جمهرة التفاسير

(الجَامع المصنَّف في علوم الكتاب العزيز)

تفسير المعوذتين

تصنيف

عبد العزيز بن داخل المطيري

تقديم

معالي الشيخ

سعد بن ناصر الشثري

فضيلة الشيخ

سعد بن عبد الله الحميّد

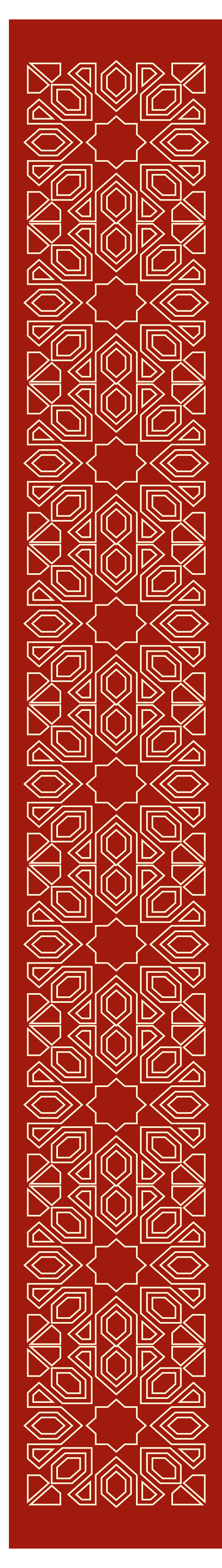
الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ

التعريف بكتاب جمهرة التفاسير

- هو كتاب موسوعي يهدف إلى جمع أقوال أهل العلم في التفسير وعلوم القرآن الكريم، وتصنيفها على العلوم والمسائل، وترتيبها حسب التسلسل التاريخي.
- صنفت أقوال العلماء عند كل آية على مسائل حسب العلوم التي تتبعها؛ فمسائل القراءات لها تصنيف، وكذلك مسائل الوقف والابتداء، ومسائل الرسم، والنزول، والتناسب، والتفسير، والإعراب، والصرف، والبلاغة، والغريب، ومعاني الحروف، والفضائل، والمبهمات، والناسخ والمنسوخ، والأحكام، والمشكل، وغيرها، كلٌّ له تصنيف يخصه؛ ليكون ذلك أدعى لسرعة الوصول إلى المعلومة المطلوبة، وأحرى بحسن تحرير المسائل لتتكامل المعلومات التي يُحتاج إليها بإذن الله.
- رُتبت المسائل في كل صنف حسب الترتيب الموضوعي، وذكرت أقوال العلماء في كل مسألة من مسائله بنصها معزوة إلى مصادرها، مرتبة حسب التسلسل التاريخي، لنوفر على الباحث كثيراً من الجهد والوقت.
- عند الحاجة إلى التعقيب على قول من الأقوال أو التعليق عليه بذكر فائدة أو تنبيه؛ فإنه يُذكر التعليق بعد القول مباشرة ويجعل قبله علامة (-) للإشارة إلى أن هذا التعليق متعلق بما سبق.
- جُمعت المادة العلمية من أكثر من ألف مرجع من كتب التفسير، وعلوم القرآن الكريم، وكتب الحديث وشروحه، وكتب الاعتقاد، وكتب الفقه وأصوله، وكتب اللغة وعلومها، وكتب السلوك، والتاريخ والسير والتراجم، والطبقات وغيرها.
- صنفت أقوال العلماء تصنيفاً علمياً وفق نظام موحد يعين الباحث على سرعة الوصول للمعلومة التي يبحث عنها، مع خدمة الكتاب بالكشافات التحليلية.
- اعتُنِيَ بتصحيح المادة العلمية بدءًا من الاجتهاد في اختيار أجود الطبعات ثم العناية بالمقابلة والتشكيل والتدقيق والتوثيق والمراجعة والتحرير العلمي وتنسيق النصوص وطباعتها بالألوان.
- نهدف إلى جعل الكتاب مرجعاً علمياً شاملاً في التفسير وعلوم القرآن، وجعله كتاباً مفتوحاً يضيف إليه الباحثون من خلال موقع الكتاب الإلكتروني تحت إشراف علمي لتكون طبعاته متجددة بتجدد الإضافات والتحرير العلمي.
- يعتبر الكتاب مرجعاً مهماً في كثير من الموضوعات التي تناولها المفسرون بالبحث والتحرير سواء منها ما كان متصلاً اتصالاً مباشراً بالتفسير، وما استطرد فيه المفسرون من الموضوعات المهمة.
- نهدف إلى جعل هذا الكتاب نواة لمشاريع علمية محررة يقوم بها كثير من الباحثين لما يوفره الكتاب من مادة علمية ثرية ولله الحمد.
- نسعى إلى تحقيق مسائل التفسير وما يتصل بها من أحاديث وآثار ومسائل لغوية تحقيقاً علمياً بعمل مؤسسي تُتاح فيه مشاركة العلماء والباحثين المجيدين.
- نسعى إلى إعداد ملخصات علمية للكتاب وفق ما يُتوصل إليه بالدراسة العلمية المتأنية لمسائله.

رقم الإيداع: ٢٤٦١ / ١٤٣١
ردمك: ٧-٤٧٠١-٠٠-٦٠٣-٩٧٨
www.afaqattaiseer.com



جمهرة التفاسير

(الجَامعُ المصنَّف فِي علوم الكتابِ العزيزِ)



معهد آفاق التيسير الإلكتروني

مركز الدراسات والبحوث
جوال: ٠٥٠٥٩٤١١٩٩

البريد الإلكتروني الخاص بالكتاب
Jamhra@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
د. سعد بن ناصر بن عبدالعزيز
أبو حبيب الشثري
ص. ب ٥٥٦٤٢ - الرياض ١١٥٤٤

الرقم: ٤٢١/٢/١٢٩
التاريخ: ١٤٣١/٦/١هـ
المشفوعات: بدون
الموضوع: شكر على كتاب

صاحب الفضيلة الشيخ عبدالعزيز الداخل المطيري
وفقه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد التحية

وصلني تفسير المعوذتين من كتاب جمهرة التفاسير وسرني ما اشتمل عليه من فوائد وأعجبني اقتداركم على جمع جميع كلام أهل العلم الذي تمكنت من جمعه مع حسن العناية بتنضيد الكتاب على أفضل الوجوه مع القدرة على ترتيب المعلومات وتصنيفها علمياً وترتيبها بحسب التسلسل التاريخي مع الاعتناء بكون المنقول من كلام أهل العلم بنصه كما أبهرني كثرة مراجع الكتاب وإنني لآمل أن يكون الكتاب مرجعاً يسهل على الباحثين الكثير من الوقت والجهد فجزاكم الله خيراً على هذا الجهد المبارك والله يحفظكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم

د. سعد بن ناصر الشثري
١٤٣١/٦/١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

سـعد بن عبدالله بن عبدالعـزيز الحمـيِّد
جامعة الملك سعود

SAAD ABDALLAH A. ALHEMAIED
KING SAUD UNIVERSITY

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد وعلى آلـه وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإني قد اطلعت على كتاب تفسير المعوذتين من موسوعة جمهرة التفاسير الذي أعده الشيخ عبد العزيـز الداخل المطيري فألفيته كتاباً جامعاً لأقوال العلماء فيما يتعلق بالمعوذتين من مسائل القراءات والنـزول والتفسير والأحكام وغيرها، وقد رأيت فيه جهداً كبيراً في جمع المادة العلمية وتصنيفها وترتيب أقـوال العلماء حسب التسلسل التاريخي مما يعين على فهم المسائل والتفطن لعلل الأقوال الخاطئة، وضم كـلام أهل العلم بعضه إلى بعض بما يثري البحث العلمي، ويفتح آفاقاً رحبة من العلوم النافعة والمباحث النفيسة التي قد لا يتسنى التعرف على بعضها بدون هذا الجمع.

وقد أعجبتني فكرة الكتاب وأرى فيها طريقة حسنة في الجمع والتصنيف أرجو أن تسهم في بناء مرجع علمي كبير للمتخصصين في علوم القرآن الكريم والتفسير ومن يحتاج إلى بعض تلك المباحث من غيرهم من المتخصصين في علوم الاعتقاد والحديث والفقه وعلوم اللغة العربية لما استوعبه الكتاب من المسـائل التي تطرق إليها العلماء في تفسيرهم للمعوذتين.

ولعل من المناسب الإشارة إلى واحدة من هذه الفوائد المتنوعة التي حواها هذا الكتاب وهـي الفوائـد الحديثية؛ مثل جمع طرق الحديث الواحد في موضع واحد ، سواء ما يتعلق منه بجانب أسباب النـزول، أوتفسير الآية ، وهذا له أهميته عند علماء الحديث ؛ إذ به تنكشف علل الأحاديث كما قال علي بـن المديني: (الحديث إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه).

وقد اطلعت على شرح لفكرة حسنة تتمثل في فتح نوافذ في موقع معهد آفاق التيسير الإلكتروني لجمع

المملكة العربية السعودية – ص . ب : ٣٨٠٩٥٣ الرياض ١١٣٤٥ – هاتف : ٤٢٥٤٦٥٧ – ٠٥٥١٥٥١٤٤ .

بسم الله الرحمن الرحيم

SAAD ABDALLAH A. ALHEMAIED سـعد بن عبدالله بن عبدالعـزيز الحمـيِّد
KING SAUD UNIVERSITY جامعة الملك سعود

ودراسة الأحاديث والآثار المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن الكريم، ومحاولة الاستفادة من الجهود الجماعية المشتركة بين كثير من طلبة العلم ، وجعلها متكاملة يضيف كل منهم ما يعرض له ، ويحضره من فائدة تتعلق بهذا الفن – علم الحديث – فيما يخص هذا المشروع الضخم، وليست هذه النوافذ مقصورة على علم الحديث فقط ، وإنما تشمل سائر الفنون التي لها تعلق بفكرة المشروع.

وإني إذ أشيد بفكرة الكتاب وما بذل فيه من جهد لأسأل الله تعالى لمن أسهم في إعـداده الإخـلاص والقبول .

وأدعوا إخواني من أهل العلم إلى إعطاء مثل هذه الأعمال العلمية المؤسسية حقها من التعاون والإسـهام في إنجاحها، وتعميم النفع بها.

كتبه: سعد بن عبد الله بن عبد العزيز الحميِّد

٢٩/شعبان/١٤٣١هـ

المملكة العربية السعودية – ص . ب : ٣٨٠٩٥٣ الرياض ١١٣٤٥ – هاتف : ٤٢٥٤٦٥٧ – ٠٥٥٥١٥٥١٤٤ .

إعداد المصوَّرات

- زين اليدالي
- عبد العزيز العليان
- أحمد السهو
- أحمد عبد الودود

العزو والترتيب والتنسيق

- محمد فهمي
- أحمد عبد الفتاح
- عماد غزير
- إبراهيم مأمون
- أشرف يوسف

النسخ والمقابلة

- مختار علواني
- رفعت عبد الغني
- محمد فهمي
- أشرف حمدون
- أحمد رياض
- أحمد عبد الفتاح
- محمد محمود
- حاتم وحيد
- عيد السيد
- أيمن عبد الرحمن

التشكيـــل

- محمود علي مخلوف
- حسام الدين سليمان
- حاتم وحيد
- سيد الجعفري
- عماد غزير
- محمد عبد الحكيم
- وائل فتحي
- محمد شبانة
- ياسر مدين
- حمادة عبيد

المراجعة والتدقيق

- حسام الدين سليمان
- أحمد عبد الودود
- محمود علي مخلوف
- محمد شبانة
- عماد غزير
- أشرف يوسف

الإدارة التنفيذية

محمد بن فهمي أبو زيد

الإشراف على المراجعة

عوض بن محمد القرني

التحرير العلمي والإشراف العام

عبد العزيز بن داخل المطيري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الَّذي أنزلَ إلينا كتابَهُ المبينَ رَحمةً للعالمينَ، وَهِدَايةً للسَّالكينَ، وَحُجَّةً على النَّاكبينَ، فكَمْ من رحمةٍ بكتابِ اللهِ تنزَّلَتْ، وَهِدَايةٍ تحقَّقَتْ، وَشُبْهَةٍ تَكَشَّفَتْ، وَكم رُفِعَ به من بَلاء، وكُشفت به مِن ضَرَّاءَ، وَشُفِي بِهِ مِن أَدْوَاء، وَتَجلَّتْ بِهِ مِن هُمُومٍ وَأَحْزانٍ، وَتَحقَّقَ بِهِ مِن نَصْرٍ وَفَتْحٍ مُبِينٍ، وَقُهِرَ بِهِ مِن عَدُوٍّ وَكَائِدٍ أَثيمٍ، فَلا جَرَمَ عَظُمَتِ العنايةُ بهذا الكتابِ العَظِيمِ رِوَايَةً وَدِرَايَةً؛ فَكَثُرَت المؤلَّفاتُ فِي تفسيرِه وَعلومِهِ وَاشتهرَتْ، وَتنوَّعَت فِي مشارِبِهَا وَاختلَفت، وَتَفرَّقَت فِيهَا مَسائِلُ هذا العِلمِ العَزِيزِ وَمَحَاسِنُهُ، فَكَم مِن كِتَابٍ مَغمورٍ حَوَى دُرَراً من العِلْمِ لَمْ تَصِلْهَا أَيدِي كَثيرٍ مِنَ البَاحِثِينَ، وَنُكَتاً مِنَ الفَهمِ لَم تتفتَّق لَهَا أذهانُ جَمَاعَاتٍ من المتأخِّرينَ.

ولا يَخْفَى عَلَى مُتَأَمِّلٍ بَصِيرٍ مَا يُعَانِيهِ طَالِبُ التَّحقيقِ وَالتَّحريرِ فِي عِلْمِ التَّفسيرِ مِن إِضناءِ النَّفْسِ وَإِمْضَاءِ الوقتِ بكثرَةِ الاطِّلاعِ عَلَى كَثيرٍ مِنَ الكُتُبِ، وَمُوازَنَةِ بَعْضِهَا ببعضٍ لِمعرفَةِ مَآخِذِ الاستدلالاتِ، وَلَطائفِ الاستدرَاكَاتِ، وَجَمْعِ الدَّلائلِ وَالمرجِّحَاتِ مَا تَفْتُرُ مَعَهُ هِمَمُ المقصِّرِينَ، وَتضعفُ عَنْهُ عَزَائِمُ المتَعَجِّلِينَ، فيقتصِرُونَ عَلَى مَرَاجِعَ قَلِيلَةٍ، وَأنظارٍ كَلِيلَةٍ، لا تَكفِي فِي دَركِ مَا يطلبُونَ؛ فيفوتُهم مِنَ العِلْمِ وَالتحقِيقِ مَا يفُوتُهم.

من أَجْلِ ذلكَ وأَجلَّ من ذلكَ أحببتُ أن أُسهِمَ بعمَلٍ قَصَدتُ به التيسيرَ على طُلابِ العلمِ وَالبَاحِثِينَ وَالعُلَمَاءِ بجمعِ مَا قيلَ فِي علومِ آيِ الكِتَابِ العَزِيزِ مِنَ المراجعِ المباشِرَةِ وَأَعْنِي بها كُتُبَ التفسيرِ وَالقِرَاءَاتِ وَالإِعرابِ وَالغريبِ وَأسبابِ النزولِ وَالناسخِ وَالمنسُوخِ وَنحوها...

وَغيرِ المباشرَةِ وأعني بهَا مَا أُلِّفَ فِي سَائِرِ الفنونِ غيرَ مُرَتَّبٍ عَلَى سُوَرِ القرآنِ الكَرِيمِ كَمَا فِي بعضِ كُتُبِ عُلُومِ القُرآنِ الكَرِيمِ، وَعلومِ الحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وَالاعتقَادِ، وَالفِقْهِ وَأُصُولِهِ، وَاللغَةِ، وَالتأرِيخِ وَالسُّلوكِ وَغيرِهَا.

فكَم من عالمٍ جَلِيلٍ لَمْ يؤلِّفْ فِي التَّفْسِيرِ، وَلَهُ فِي بَعْضِ مَسَائِلِهِ كَلامٌ عَظِيمٌ جَلِيلُ القَدْرِ، يُنبِيء عَن إِمَامَتِهِ وَتَقَدُّمِهِ.

وَكَمْ مِن عَالِمٍ جَلِيلٍ لا يُتفَطَّنُ لِبَعْضِ كَلامِهِ فِي التفسيرِ لِتَفرُّقِهِ فِي كُتُبِهِ المصنَّفَةِ فِي عُلُومٍ أُخْرَى.

فحُبِّبَ إليَّ أن أجمعَ مِنهَا - مَا استطعتُ - مَا لَهُ تعلُّقٌ بآيِ الكِتَابِ العَزِيزِ، ثمَّ أُصَنِّفَ أقوالَهم علَى مَسَائِلَ حَسَبَ العُلومِ التي تتبعُها فِي كُلِّ آيَةٍ مِنَ القِراءَات وَالوقوفِ وَالرَّسمِ وَالنزُولِ وَالإِعْرَابِ وَالبَلاغَةِ وَالتناسُبِ وَالناسِخِ وَالمنسُوخِ وَالمبهَمَاتِ وَالتَّفسيرِ وَالأَحْكَامِ وَبَيَانِ المستَشكَلِ وَغَيرِهَا.

ثُمَّ أُرَتِّبَهَا عَلَى الوَفَيَّاتِ لِيُعرفَ منشأُ كُلِّ قَوْلٍ وَكَيْفَ تَنَاقَلَهُ العُلَمَاءُ.

وَقصدتُ بذلكَ حِفْظَ أوقاتِ طُلابِ العلمِ وَجُهدِهِم، وَأَن أكفيَهم فِي تلكَ المسائلِ مؤونةَ البحثِ الكَثيرِ وَالجمعِ وَالتصنيفِ وَالترتيبِ لِيَتوافروا علَى الاطِّلاعِ وَالفَهْمِ وَالتَّحْرِيرِ.

وَقد نقلتُ لَهُمْ أَقوالَ أَهْلِ العِلْمِ بنصِّهَا معزوَّةً لِمَصادِرِهَا مُرَتَّبَةً علَى الوَفَيَاتِ.

وَقد قارَبتُ إِتمَامَ مَا يَتَعَلَّقُ بعدَدٍ مِنَ السُّوَرِ، وَبَقِيَ فِي كثيرٍ منها عَمَلٌ كَثِيرٌ، وَأسأَلُ اللهَ الإِعَانَةَ وَالتيسير.

وَأَمَّا طريقَتِي فِي الجمعِ وَالتحريرِ فأُجمِلُها فِي النقاطِ التَّالِيَةِ:

١ : جَمَعْتُ مَا يتعلَّقُ بالسورَةِ مِن المَرَاجِعِ المبَاشِرَةِ وَغيرِ المبَاشِرَةِ وفقَ منهجٍ متوسِّطٍ فِي الاختيارِ مِنَ الكُتُبِ المعاصِرَةِ، استشرتُ فِيهِ عَدداً من أهلِ العلمِ وَالفَضْلِ فاجتمَعَ رَأْيُهُم عَلَى ارتِضَاءِ مَا انتهجْتُه، أمَّا الكتبُ المتقدِّمَةُ فحرَصتُ علَى ألا أغادرَ مِنهَا شَيئاً، وَمَا طُبِعَ مُؤخَّرًا من التفاسيرِ كَتفسيرِ مَكِّيِّ بنِ أَبي طَالِبٍ، وَتفسيرِ الرَّسْعَنِيِّ وَالتفسيرِ البَسِيطِ للوَاحِدِيِّ، فَأرجُو أن أَستدرِكَ مَا ما فاتني منه في الطَّبَعَاتِ القَادِمَةِ بإذنِ اللهِ تَعَالَى.

٢ : حَرَصتُ عَلَى ألا يفوتَنِي شَيءٌ مِن الكُتُبِ المتداوَلةِ لَدى أهلِ العلمِ، وَلا سيَّمَا مَا كَانَ يتضمَّنُ أصلاً مِن الأصُولِ المهمَّةِ فِي عِلْمِ التفسيرِ كَالكُتُبِ التي اعتنَت بالأَحَادِيثِ وَالآثارِ فِي التفسيرِ، سواءٌ ما صُنِّفَ خَالِصاً فِي التفسيرِ وَما صُنِّفَ فِي الأَحَادِيثِ وَالآثارِ؛ فهذا جعلتُهُ عِندِي فِي المرتبَةِ الأولَى مِنَ الأَهَمِّيَّةِ، تَلِيهَا كُتُبُ أَئِمَّةِ اللغَةِ المتقدِّمِينَ، تَلِيهَا الكُتُبُ التي اعتنَت بجمعِ الأَقوَالِ فِي التفسيرِ، تَلِيهَا التفاسيرُ المتداوَلَةُ لَدَى أَهْلِ العِلْمِ وَيكثر النَّقلُ عنهَا، تَلِيهَا الكُتُبُ المؤلَّفَةُ فِي سَائِرِ عُلُومِ القُرْآنِ، وَفِي تَرتيبِ المَرَاجِعِ تَفصِيلات أُخرَى طَوَيْتُ ذِكْرَهَا لِئَلا يطولَ المقَامُ بسَرْدِهَا.

٣ : جَمَعْتُ كُلَّ مَا قِيلَ فِي الكُتُبِ المبَاشِرَةِ فِي كُلِّ سُورَةٍ، فلم أتركْ منها إلا مَا لا تَعلُّقَ لَهُ بالمسَائِلِ العِلْمِيَّةِ كَقَوْلِ بعضِهِم: (تم بحمدِ الله) وَنحوِ ذلِكَ.

٤ : أَمَّا طَرِيقَةُ التصنيفِ فكما بينتُهَا فِي أَوَّلِ المقدِّمَةِ، وَالمنهَجُ فِيهِ وَاضِحٌ لِمَن استقرأَ الكِتَابَ.

٥ : عَزَوتُ النُّقُولَ إِلَى مَصادِرِهَا بذكرِ اسمِ الكِتابِ وَالجزءِ وَرَقْمِ الصَّفْحَةِ.

٦ : عَلَّقْتُ على بعضِ المسائلِ، وَنَبَّهْتُ عَلَى بَعْضِ مَا يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى تَنبيهٍ، وَمَيَّزتُ قَوْلِي بأن صَدَّرتُه بـ: (قُلْتُ).

٧ : رَتَّبْتُ الأَقوالَ ترتيباً زمنيًّا لِمَا لِهَذا التَّرتِيبِ مِن فَوائدَ عِلْمِيَّةٍ جَمَّةٍ، وليَكُونَ هذَا الكِتَابُ مَفْتُوحًا لِلإِضَافَاتِ وَالتعقُّبَاتِ النَّافِعَةِ الَّتِي أَرجُو أَن تُثْرِيَ البَحْثَ فِي مَسَائِلِ هَذا العِلْمِ العَزِيزِ وَينتفعَ بهَا طُلابُ العِلْمِ وَالعُلَمَاءُ.

وَهذا المشروعُ جزءٌ من مَشروعٍ عِلْمِيٍّ كَبِيرٍ بَدَأتُ العَمَلَ فِيهِ أوائل عام ١٤٢٠ هـ، وانتهجتُ فيهِ طَرِيقَةَ العَمَلِ المؤسَّسِيِّ، وَكنتُ قد عقدتُ العزمَ على إنتاجِ موسوعَةٍ إلكترونيةٍ مفصَّلَةٍ في علومِ الشريعةِ واللغةِ العربيةِ، ولكن حالَت دونَ ذلكَ حوائل، وَعَسَى أَن يَكُونَ صرفاً إلى ما هو خير؛ فشرعت عام ١٤٢٥ هـ في إعدادِ هذا الكتابِ، واعترضَتْهُ عَقَباتٌ أعانَ اللهُ على تَجاوزِها فلهُ الحمدُ والفضلُ والمنَّةُ.

وَلا يفُوتُني أَن أشكرَ كلَّ من أسهمَ فِي إنجاحِ هذا المشروعِ العلميِّ، وَأَخُصّ منهم أُمِّي الفَاضِلَةَ الَّتي كَانت تَحوطُني بعِنَايتِهَا وَدَعوَاتِهَا، وَأَهْلِي وَأَولادِي الَّذينَ تَحمَّلُوا بسَبَبِ اشتغَالِي بهذِهِ الأَعمالِ ما تَحَمَّلُوا، وَأَخوَيَّ الشقيقينِ الشيخ: عَبدَ اللهِ بنَ دَاخِلٍ المطيريَّ، وَالمستشار: مُحمَّدَ بنَ دَاخِلٍ المطيريَّ علَى ما بَذلاهُ مِمَّا لا تَجزيهِ يَدِي وَلا لِسَانِي، وَالشَّيخ المستشارَ: فلاحَ بنَ مُطلقٍ العِطْرِيَّ، وَالشَّيخَ الفَاضِلَ: عَبْدَ المحسنِ بنَ عبدِ العَزِيزِ آل الشَّيخِ، وَصَدِيقِي المخلِصَ الوَفِيَّ الشَّيخَ: عوضَ بنَ مُحمدِ بنِ عَبْدِ اللهِ القَرنِيَّ، وَأَخِي الفَاضِلَ: مُحَمَّدَ بنَ فَهمِي أَبو زيدٍ، وَالإِخوةَ الأَفاضلَ أَعضاءَ فريقِ العملِ الذينَ أَحْسَنُوا تنفيذَ المهامِّ على الخطةِ المرسومةِ كلٌّ فيمَا أُوكِلَ إِليهِ حَتَّى خرجَ العَمَلُ بهذِهِ الحلَّةِ البهِيَّةِ.

وَيَبْقَى العَمَلُ البَشَرِيُّ عُرْضَةً للخطَأ وَالنَّقصِ وَالتَّقصِيرِ، وَالعَمَلُ المؤسَّسِيُّ يَستدعي مِنَ التَّدْقِيقِ وَالمرَاجَعَةِ مَا يفُوقُ طاقةَ الفَرْدِ إذا تفرَّغ له، فَكَيفَ إذا ضَمَّ إِليهِ أَعْمَالاً عِلمِيَّةً أُخرَى، وَحَسْبُ القارئِ الكريمِ أَنَّا بَذَلْنَا فِيهِ جُهْدَنَا وَأَتَينَا بمَا قَصَدْنَا إِلَيْهِ مِنَ الجمعِ وَالتَّصْنِيفِ وَالتَّرتِيبِ وَالتَّقْرِيبِ، وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى العَفْوَ وَالتَّجاوُزَ عَنِ الخَطَأِ وَالتَّقْصِيرِ.

اللهمَّ تَقَبَّلْ هَذا العَمَلَ بقَبُولٍ حَسَنٍ، وَانفعْ بهِ جامِعَهُ وَقَارِئَهُ وَمَنْ أَعَانَ عَلَى إِعدَادِهِ ونَشْرِهِ، وَبَارِكْ فِيهِ إِنَّكَ إِن باركتَ فِي شَيْءٍ نَفَعَ، وَحقِّق لنا ربَّنا فيمَا يرضِيكَ آمَالَنَا، وَأصلِحْ قلوبَنا وَأعمَالَنا، وَاجْعَلِ العُقْبَى لَنا.

اللهمَّ اجعَلنا مِن حِزبكَ المفلِحِينَ، وأَولِيَائِكَ المقرَّبينَ الَّذِينَ لا خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَاهْدِنَا إليكَ صِرَاطاً مُستقِيمًا، وَأَجِرْنَا مِن خِزيِ الدُّنيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ، وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الوَهَّابُ.

عبد العزيز بن داخل المطيري

المشرف العام على

معهد آفاق التيسير الإلكتروني

تَفْسِيرُ المعوِّذَتَينِ

المقدمات

أسماءُ المعوِّذتين

قلت: (المرادُ بالمعوِّذَتينِ سُورَتَا الفلَقِ والنَّاسِ، ولَهُمَا مَجْمُوعَتَينِ أَسْماءٌ وألقَابٌ وَرَدَت فِي بَعْضِ الأحَادِيثِ وَالآثَارِ وَذَكَرَهَا بَعْضُ أهلِ العلمِ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى).

الاسم الأول: المعوِّذتان

قال عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمنِ الدارميُّ (ت: ٢٥٥هـ): (بَابٌ فِي فَضْلِ المُعَوِّذَتَيْنِ). [مسند الدارمي: ٤/٢١٦٦]

قال محمدُ بنُ عيسى بنِ سَوْرَةَ التِّرْمِذيُّ (ت: ٢٧٩هـ): (وَمِنْ سُورَةِ المُعَوِّذَتَيْنِ). [سنن الترمذي: ٥/١٢٢]

قال أحمدُ بنُ محمدِ بنِ سلامةَ الطَّحاويُّ (ت: ٣٢١هـ): (بَابُ بَيَانِ مُشْكِلِ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي المُعَوِّذَتَيْنِ، وَمَا رُوِيَ عَنْهُ مَا يُوجِبُ أَنَّهُمَا مِنَ القُرْآنِ). [تحفة الأخيار: ٨/٦١٣] (م)

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الكَرَجِيُّ القَصَّابُ (ت: ٣٦٠هـ): (المُعَوِّذَتَانِ). [نكت القرآن: ٤/ ٥٦٦]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (سورةُ الفَلَقِ والناسِ (المُعَوِّذَتَيْنِ) [الكشف والبيان: ١٠/٣٣٧]

قَالَ مَكِّيُّ بْنُ أَبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (وَلَيْسَ فِي سُورَةِ الإِخْلَاصِ وَالمُعَوِّذَتَيْنِ شَيْءٌ مِنَ الاخْتِلَافِ إِلاَّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِ الأُصُولِ). [التبصرة:٣٩٢]

قَالَ مَكِّيُّ بْنُ أَبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (بَابُ مَا بَقِيَ مِنَ الاخْتِلَافِ بِعِلَلِهِ مِنَ العَصْرِ إِلَى آخِرِ القُرْآنِ وَهُوَ مَكِّيٌّ كُلُّهُ إِلاَّ المُعَوِّذَتَيْنِ وَالنَّصْرَ فَإِنَّهُنَّ مَدَنِيَّاتٌ، وَاخْتُلِفَ فِي ﴿تَبَّتْ﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾، فَقِيلَ مَدَنِيَّتَانِ، وَقِيلَ مَكِّيَّتَانِ). [الكشف:٣٨٨]

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (وقيلَ: إنَّ المُعَوِّذَتَيْنِ كانَ يُقالُ لهما: (المُقَشْقِشَتَانِ)). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٣] (م)

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ مُطَرِّفٍ الكِنَانِيُّ (ت: ٤٥٤هـ): (غريبُ سورةِ تَبَّتْ وَالإِخْلاصِ وَالمُعَوِّذَتَيْنِ). [القرطين: ٢٢٠]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (المُعَوِّذَتَانِ) [أسباب النزول: ٥٥١]

قال ابنُ الأثيرِ المباركُ بنُ محمدٍ الجزَرِيُّ (ت: ٦٠٦هـ): (سُورَةُ المُعَوِّذَتَيْنِ). [جامع الأصول: ٢/٤٤٣]

قالَ حَيْدَرُ بْنُ عَلِيٍّ القَاشِيُّ (ت: ٧٧٦هـ): (المُعَوِّذَتَانِ) [المعتمد في المنقول: ٢/٥٠٦]

قال عليُّ بنُ أبي بكرِ بنِ سليمانَ الهيثميُّ (ت: ٨٠٧هـ): (بَابٌ فِي المُعَوِّذَتَيْنِ). [كشف الأستار: ٣/٨٥]

قال عليُّ بنُ أبي بكرِ بنِ سُليمانَ الهَيْثَميُّ (ت: ٨٠٧هـ): (بابُ ما جاءَ مِنَ المُعَوِّذَتَيْنِ). [مجمع الزوائد: ٧/١٤٨]

قالَ محمودُ بنُ أحمدَ بنِ مُوسَى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): (بابٌ في المُعَوِّذَتَيْنِ، أي: هذا بابٌ في بيانِ فضائلِ المُعوِّذَتَيْنِ، وهما سورةُ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾). [شرح سنن أبي داود: ٣٧٨/٥-٣٧٩]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (سُورَةُ المُعَوِّذَتَيْنِ) [لباب النقول: ٢٦٩]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ): (أقولُ: هاتانِ السورتانِ نَزَلَتَا معًا، كما في الدلائلِ للبَيْهَقِيِّ، فلذلك قُرِنَتَا معَ ما اشْتَرَكَتَا فيه مِنَ التسميةِ بالمُعَوِّذَتَيْنِ، ومِن الافْتِتاحِ بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾. وعَقَّبَ بهما سورةَ الإخلاصِ؛ لأنَّ الثلاثةَ سُمِّيَتْ في الحديثِ بالمُعَوِّذَاتِ وبالقَوَافِلِ). [تناسق الدرر:١٨٨]

قال ابنُ الدَّيْبَعِ عبدُ الرحمن بنُ عليٍّ الشيبانيُّ الزَّبِيدِيُّ (ت: ٩٤٤هـ): (سُورَةُ المُعَوِّذَتَيْنِ). [تيسير الوصول: ٢٠١/١]

قال عليُّ بنُ حسامِ الدينِ الهنديُّ البرهانُ فوري المتقي (ت: ٩٥٧هـ): (المُعَوِّذَتَيْنِ). [كنز العمال: ٥٦٣/٢]

قال محمدُ بنُ عيسى بنِ سَوْرَةَ التِّرْمِذِيُّ (ت: ٢٧٩هـ): (بابٌ ومِن سُورَتَي المُعَوِّذَتَيْنِ). [متن تحفة الأحوذي: ٢٤٤/٩]

قال محمدُ عبدُ الرحمنِ بنِ عبدِ الرحيمِ المُبَارَكْفُورِي (ت: ١٣٥٣هـ): (بابٌ ومِن سُورَتَي المُعَوِّذَتَيْنِ، بكَسْرِ الواوِ المُشَدَّدَةِ أي: سورةِ (الفَلَقِ وسُورَةِ النَّاسِ)). [تحفة الأحوذي: ٢٤٤/٩]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُود بن عبد الله الآلوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وتُسَمَّى مع ما قبلَها كما أَشَرْنَا إليه قبلُ بالمُعَوِّذَتَيْنِ بكسرِ الواوِ، والفتحُ خطأٌ، وكذا بالمُقَشْقِشَتَيْنِ). [روح المعاني: ٢٨٣/٢٩]

قَالَ عَبْدُ الفَتَّاحِ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ القَاضِي (ت: ١٤٠٣هـ): (سُورَتَا المُعَوِّذَتَيْنِ) [أسباب النزول: ٢٥٢]

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (المُعَوِّذَتَان) [تتمة أضواء البيان: ٣٣٧/٩]

الاسم الثاني: المقشقشتان

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (وقيلَ: إنَّ المُعَوِّذَتَيْنِ كانَ يُقالُ لهما: (المُقَشْقِشَتَانِ)). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٣]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (ويُقالُ للمُعَوِّذَتَيْنِ: المُقَشْقِشَتَانِ). [الكشاف: ٤٦٩/٦]

قالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (وكانَ يُقَالُ لَهُمَا: المُقَشْقِشَتَانِ) [تفسير القرآن: ٥٠٩/٣]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وقِيلَ: إنَّ المُعَوِّذَتَيْنِ كانَ يُقالُ لَهُما: المُقَشْقِشَتَانِ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٥١/٢٠]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وتُسَمَّى مع ما قبلَها كما أَشَرْنَا إليه قبلُ بالمُعَوِّذَتَيْنِ بكسرِ الواوِ، والفتحُ خطأٌ، وكذا بالمُقَشْقِشَتَيْنِ). [روح المعاني: ٢٨٣/٢٩] (م)

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وَفِي تَفْسِيرِ القُرطبي والكشَّافِ أَنَّها وسُورةَ النَّاسِ تُسَمَّيَانِ (المقشقشتين) (بتقديمِ القَافَينِ على الشِّينينِ) زادَ القُرطبي: أي تُبَرِّئَانِ مِنَ النِّفَاقِ، وَكَذَلِكَ قَالَ الطِّيبي؛ فَيَكُونُ اسْمُ المَقَشْقِشَةِ مُشْتَرَكًا بَيْنَ أَرْبَعِ سُوَرٍ هَذِهِ، وَسُورَةِ النَّاسِ، وَسُورَةِ بَرَاءَة، وَسُورَةِ الكَافِرُونَ). [التحرير والتنوير: ٦٢٤/٣٠]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وتَقدَّمَ أيضًا أنَّ الزَّمَخْشَرِيَّ والقُرْطُبيَّ ذَكَرَا أنهما تُسَمَّيَانِ (المُقَشْقِشَتَيْنِ) بتقديمِ القافَيْنِ على الشينَيْنِ) [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣١]

قلت: (وَهذا الاسمُ اشتهرتْ بهِ سورتَا الإخلاصِ وَالكافرونَ، ذكرَ ذلكَ أبو عبيدةَ فِي مَجازِ القرآنِ، وَابنُ قُتيبةَ فِي غريب الحديثِ، وَابنُ السكِّيتِ فِي إصلاحِ المنطقِ، وَأبو منصورٍ الأزهريُّ فِي تَهذيب اللغةِ، وَالجوهريُّ فِي الصَّحَاحِ، وَابنُ فَارسٍ فِي مَقَاييسِ اللُّغَةِ، وَابنُ سيده الأندلسيُّ فِي المخصَّصِ، وَالزمَخشريُّ فِي الكَشَّافِ وَفِي غَريب الحدِيثِ لهُ، وَأبو السَّعَادَاتِ ابنُ الجزَرِيِّ فِي النِّهَايَةِ فِي غَرِيب الحدِيثِ، وَابنُ مَنظُورٍ فِي لِسَانِ العَرَبِ، وَغيرُهم.

قالَ أَبُو مَنصُورٍ الأَزْهَرِيُّ: (وَفِي الحَدِيثِ (كَانَ يُقَالُ لِسُورَتَي ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ وَ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١﴾ المقَشْقِشَتَانِ)، سُمِّيَتا مُقَشْقِشَتَيْنِ لأَنَّهُمَا تُبرِئَانِ مِنَ الشِّرْكِ كَمَا يَبْرَأُ المرِيضُ مِن مَرَضِهِ، وَقَالَ أَبُو عُبَيدٍ عَن أَبِي عُبَيْدَةَ: إِذَا بَرَأَ الرَّجُلُ مِن عِلَّتِهِ قِيلَ: قَدْ تَقَشْقَشَ. ا.هـ).

■ معنى المقشقشتين

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): ((المُقَشْقِشَتَانِ) أيْ: مُبَرِّئَتَانِ مِن النِّفَاقِ). [النكت والعيون: ٦/٣٧٣]

قالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (المُقَشْقِشَتَانِ؛ أيْ: تُبَرِّآنِ مِن النِّفَاقِ) [تفسير القرآن: ٣/٥٠٩]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبيُّ (ت: ٦٧١هـ): (المُقَشْقِشَتَانِ، أي: تُبرِئَانِ مِنَ النِّفَاقِ. وقد تَقَدَّمَ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥١]

■ الاسم الثالث: المشقشقتان

قالَ علمُ الدِّينِ عليُّ بنُ محمَّدٍ السَّخَاوِيُّ (ت:٦٤٣هـ): (ثمَّ سورةُ الفلقِ ثمَّ سورةُ النَّاسِ ويقالُ لهمَا: المعَوِّذَتانِ، والمشَقْشِقَتَانِ مِنْ قَولِهِم: شَقْشَقَ البعيرُ إذَا هَدَرَ، وَشَقْشَقَ العُصْفُورُ، وخَطِيبٌ مُشَقْشِقٌ، وخَطِيبٌ ذُو شِقْشِقَةٍ، والشِّقْشِقَةُ: الَّتي يُخْرِجُها البعيرُ إذَا هاجَ كالرِّئَةِ، شُبِّهَ الخطيبُ بالفَحْلِ). [جمال القراء:١/٢٠٣]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ) نقلاً عن علم الدين السخاوي: (قال: والفَلَقُ والنَّاسُ يقالُ لَهُمَا المعوِّذَتان بكسر الواو، والمشَقْشِقَتَانِ من قولهم: خَطِيبٌ مُشَقْشِقٌ). [الإتقان:١/١٧٧]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وفي الإتقانِ: أنها [أي: سورة الفلق] وسُورةَ الناسِ تُسَمَّيَانِ المُشَقْشِقَتَيْنِ، بتقديمِ الشينَيْنِ على القافَيْنِ، مِن قولِهم: خطيبٌ مُشَقْشِقٌ. اهـ. أيْ: مستَرْسِلُ القَوْلِ؛ تَشبيهًا له بالفَحْلِ الكريمِ مِنَ الإبلِ، يَهْدِرُ بشِقْشِقَةٍ، وهي كاللحْمِ يَبْرُزُ مِن فيه إذا غَضِبَ، ولم أُحَقِّقْ وَجْهَ وَصْفِ المُعَوِّذَتَيْنِ بذلك). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٣- ٦٢٤]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وتَقدَّمَ في سُورةِ الفلَقِ أنها وسُورةَ الناسِ تُسَمَّيَانِ (المُعَوِّذَتَيْنِ)، و(المُشَقْشِقَتَيْنِ) بتقديمِ الشينَيْنِ على القافَيْنِ) [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣١]

أسماء المعوِّذَات

قلت: (المعوِّذاتُ اسمٌ بالتغليب على سُوَرِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾، وهذه السُّوَر لها أسماء باعتبار مجموعها، ولكل منها أسماء).

قالَ أَحْمَدُ بنُ عليٍّ ابنُ حَجَرِ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (قَوْلُهُ: (بَابُ فَضْلِ المعَوِّذَاتِ) أَي الإِخْلاصِ وَالفَلَقِ وَالنَّاسِ، وَقَدْ كُنْتُ جَوَّزْتُ فِي بَابِ الوَفَاةِ النَّبوِيَّةِ مِنْ كتاب المغازِي أنَّ الجمعَ فيهِ بناءً على أنَّ أَقلَّ الجمْعِ اثْنَانِ ثُمَّ ظَهَرَ مِن حَديثِ هَذا الباب أَنَّهُ على الظَّاهِرِ، وَأنَّ المرادَ بأَنَّه كانَ يقرأُ بالمعَوِّذَاتِ أي السُّوَرِ الثَّلاثِ، وَذَكَرَ سُورَةَ الإِخلاصِ مَعَهُمَا تَغْليبًا لِمَا اشْتَملتْ عَلَيهِ من صِفَةِ الرَّبِّ وإنْ لَمْ يُصرَّحْ فِيهَا بلَفْظِ التَّعْوِيذِ، وَقَدْ أَخْرَجَ أَصْحَابُ السُّنَنِ الثَّلاثَةِ وَأَحْمَدُ وابنُ خُزَيْمَةَ وابنُ حِبَّانَ مِن حَديثِ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ تَعَوَّذْ بهِنَّ فإِنَّه لَمْ يُتَعَوَّذْ بِمِثْلِهِنَّ»، وفي لفظ: «اقْرَأَ المعَوِّذَاتِ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ...» فَذَكَرَهُنَّ). [فتح الباري:]

ضبط المعوِّذات بكسر الواو

قالَ يَحْيَى بنُ شَرَفٍ النَّوَوِيُّ (ت:٦٧٦هـ): (قَوْلُهَا: (كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بالمعَوِّذَاتِ) هِيَ بكَسْرِ الوَاوِ). [المنهاج:١٤/١٧٩]

الاسم الأول: المعوذات

قال عبدُ الرزاقِ بنُ همَّام الصَّنعانيُّ (ت: ٢١١هـ): (بَابُ المُعَوِّذَاتِ). [المصنف: ٣/٣٨٤]

قال أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حنبلٍ الشَّيبانيُّ (ت:٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ الخُزَاعِيُّ قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّم كَانَ يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ المُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمَّا اشْتَكَى صلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّم جَعَلْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُهُ بكَفِّهِ رَجاءَ بَرَكَةِ يَدِهِ). [مسند الإمام أحمد:]

قال محمد بن إسماعيل البخاري (ت:٢٥٦هـ): (باب فَضْلِ المُعَوِّذَاتِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليهِ وسلَّم كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا) [صحيح البخاري/فضائل القرآن]

قال أحمدُ بن شعيب النسائي (ت:٣٠٣هـ): (باب الأَمْرِ بقِرَاءَةِ المُعَوِّذَاتِ بَعْدَ التَّسْلِيمِ مِنَ الصَّلاةِ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنِ اللَّيْثِ عَنْ حُنَيْنِ بْنِ أَبي حكيمٍ عَنْ عُلَيِّ بْنِ رَبَاحٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَقْرَأَ المُعَوِّذَاتِ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ). [سنن النسائي بحاشية السيوطي:٣/٧٧]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ): (أقولُ: هاتانِ السورتانِ نَزَلَتا معًا، كما في الدلائلِ للبَيْهَقِيِّ، فلذلك قُرِنَتا معَ ما اشْتَرَكَتا فيه مِنَ التسميةِ بالْمُعَوِّذَتَيْنِ، ومِن الافْتِتاحِ بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾. وعَقَّبَ بهما سورةَ الإخلاصِ؛ لأنَّ الثلاثةَ سُمِّيَتْ في الحديثِ بالْمُعَوِّذَاتِ وبالقَوَاقِلِ). [تناسق الدرر:١٨٨] (م)

الاسم الثاني: ذوات قل

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النحَّاسُ (ت: ٣٣٨هـ): (ذَوَاتِ قُلْ). [القطع والائتناف:٨٢٨]

الاسم الثالث: القواقل

قَالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ): (أقولُ: هاتانِ السورتانِ نَزَلَتا معًا، كما في الدلائلِ للبَيْهَقِيِّ، فلذلك قُرِنَتا معَ ما اشْتَرَكَتا فيه مِنَ التسميةِ بالْمُعَوِّذَتَيْنِ، ومِن الافْتِتاحِ بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾. وعَقَّبَ بهما سورةَ الإخلاصِ؛ لأنَّ الثلاثةَ سُمِّيَتْ في الحديثِ بالْمُعَوِّذَاتِ وبالقَوَاقِلِ). [تناسق الدرر:١٨٨] (م)

القراءات

قَالَ مَكِّيُّ بْنُ أَبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (وَلَيْسَ فِي سُورَةِ الإِخْلَاصِ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ شَيْءٌ مِنَ الاخْتِلَافِ إِلاَّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِ الأُصُولِ، وَمَا ذَكَرْنَا مِنَ الاخْتِلَافِ فِي ﴿كُفُوًا﴾، وَوَقْفِ حَمْزَةَ عَلَيْهِ). [التبصرة:٣٩٢]

قَالَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: ٤٤٤هـ): (وليسَ في الفَلَقِ وَالناسِ خِلافٌ، إلاَّ ما تَقَدَّمَ مِن الأُصُولِ في صَدْرِ الكتابِ، وَباللَّهِ التوفيقُ). [التيسير:٢٢٦]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ عَبدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ الوَجِيهِ الوَاسِطِيُّ (ت: ٧٤٠هـ): (وَلَيْسَ في سُورَةِ الفَلَقِ وَالنَّاسِ خِلافٌ سِوَى ما تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ في الأُصُولِ، فَاعْلَمْ ذَلِكَ). [الكنز:٧٢٦]

قَالَ عَلِيُّ بنُ عُثْمَانَ ابْنُ القَاصِحِ (ت: ٨٠١هـ): (وَلَيْسَ فِي سُورَةِ الإِخْلَاصِ وَالفَلَقِ مَا يُمَالُ). [قرة العين:١٩٧]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ ابْنُ الجَزَرِيِّ (ت: ٨٣٣هـ): (وليسَ في الفَلَقِ والناسِ خلافٌ إلاَّ ما تَقَدَّمَ مِن الأصولِ في صَدْرِ الكتابِ). [تحبير التيسير:٦٢٠]

قَالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ وَقُرِئَ فِي السُّورَتَيْنِ بِحَذْفِ الهَمْزَةِ وَنَقْلِ حَرَكَتِهَا إِلَى اللاَّمِ). [إرشاد العقل السليم: ٧/٢١٦]

قَالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عَبْدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ وقُرِئَ في السُّورَتَين بِحَذْفِ الهمزةِ ونَقْلِ حَرَكَتِها إلى اللامِ كما قُرِئَ: (فَخُذَ ارْبَعَةً)). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٥]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (وقُرِئَ فِي السُّورَتَيْنِ بِحَذْفِ الهَمْزَةِ ونَقْلِ حَرَكَتِهَا إِلَى اللاَّمِ). [مراح لبيد: ٢/٦٨٣]

قَالَ أَبُو عَيَّاشَةَ مُحَمَّدٌ البَيُّومِيُّ الدَّمَنْهُورِيُّ (ت: ١٣٣٥هـ): (وَلَيْسَ فِي الإِخْلاصِ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ خِلافٌ إِلاَّ مَا تَقَدَّمَ فِي الأُصُولِ). [الفتح الرباني: ٢٩٠]

قَالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الضَّبَّاعُ (ت: ١٣٨٠هـ): (ولَيْسَ في سُورَتَي الفَلَقِ وَالنَّاسِ شَيْءٌ مِنَ الْمُخَالَفَةِ). [البهجة المرضية:١٢٧]

الوقف والابتداء

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النحاسُ (ت: ٣٣٨هـ): (وزَعَمَ الأَخْفَشُ وأبو حاتِمٍ أَنَّهُ لا تَمَامَ في هذه السُّورَةِ إلى آخِرِها وقَالَ غَيْرُهُمَا ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ قَطْعٌ كافٍ، وحُجَّتُهُمَا أَنَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِرَ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ كُلَّهُ وكذا ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وكذا ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾). [القطع والائتناف:٨٢٨]

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: ٤٤٤هـ): (قال الأَخْفَشُ وأَبُو حَاتِمٍ وابْنُ الأَنْبَارِيِّ وابْنُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ: لاَ وَقْفَ في الإِخْلاَصِ وَلاَ فِي الْمُعَوِّذَتَيْنِ دُونَ آخِرِهِنَّ. وذَلِكَ كَذَلِكَ لأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ أُمِرَ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ كُلَّهُ). [المكتفى: ٢٤٤]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ طَيْفُورَ السَّجَاوَنْدِيُّ (ت: ٥٦٠هـ) : (ولا وَقْفَ في الْمُعَوِّذَتَيْنِ إِلَى آخِرِهما؛ لِصِحَّةِ العَطْفِ وانْتِساقِ الكَلِماتِ بَعْضِها على بَعْضٍ في مَقُولٍ واحِدٍ). [علل الوقوف:١١٨٢]

قَالَ ابْنُ الْمُلَقِّنِ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٨٠٤هـ): (وسورةُ الإخلاصِ والْمُعَوِّذَتَيْنِ ليسَ في واحدةٍ مِنها وَقْفٌ أصلاً، ووقَفَ بَعْضُهم على ﴿أَحَدٌ﴾ وهو وَقْفٌ حَسَنٌ). [تفسير غريب القرآن: ٦٠٢]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ الكَرِيمِ الأَشْمُونِيُّ (ت: ق١١هـ): (الفَلَقِ وَالنَّاسِ، ليس فيهمَا وقفٌ دونَ آخِرِهِمَا وإن وَقَفْتَ على رأسِ كُلِّ آيةٍ فحَسَنٌ لِمَا رُوِيَ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كانَ يقفُ على رأسِ كلِّ آيةٍ منهما). [منار الهدى:٣١٠]

الناسخ والمنسوخ

قَالَ أَبو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَزْمٍ الأَنْدَلُسِيُّ (ت: ٣٢٠ هـ): (سورَةُ الإِخْلَاصِ، الفَلَقِ، النَّاسِ، اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَنْزِيلِهِنَّ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ مَدَنِيَّاتٌ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ: هُن مَكِّيَّاتٌ، وَكُلُّهُنَّ مُحكَمٌ، لَيْسَ فِيهِنَّ نَاسِخٌ وَلا مَنْسوخٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ). [الناسخ والمنسوخ لابن حزم: ٦٨]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النَّحَّاسُ (ت: ٣٣٨ هـ): (قَالَ كُرَيْبٌ: وجَدْنَا فِي كِتَابِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مِنْ سُورَةِ القَدْرِ إِلَى آخِرِ القُرْآنِ مَكِّيَّةٌ إلا ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾، و﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ فإِنَّهُنَّ مَدَنِيَّاتٌ لَمْ نَجِدْ فِيهِنَّ نَاسِخًا وَلَا مَنْسُوخًا. وإِذَا تَدَبَّرْتَ ذَلِكَ وجَدْتَ أَكْثَرَهُنَّ وأَكْثَرَ ما لَيْسَ فِيهِ نَاسِخٌ ولا مَنْسُوخٌ، إِنَّمَا هُوَ فيمَا لا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ نَسْخٌ؛ لأَنَّهُ لا يجُوزُ أَنْ يَقَعَ نَسْخٌ في تَوحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى ولا في أسمائِهِ، ولا في صِفَاتِهِ، والعُلَمَاءُ

يَقولُونُ: ولا في أَخْبَارِهِ، ومَعْنَاهُ: ولا فِي إِخْبَارِهِ بمَا كَانَ وما يكُونُ، والحِكْمَةُ فِي هَذَا أنَّ النَّسْخَ إنَّمَا يَكُونُ في أَحْكَامِ الشَّرَائِعِ منَ الصَّلاةِ والصِّيَامِ والحَظْرِ والإِبَاحَةِ.

وقدْ يجُوزُ أنْ يُنْقَلَ الشَّيْءُ مِنَ الأَمْرِ إِلَى النَّهْيِ، ومِنَ النَّهْيِ إِلَى الأَمْرِ؛ لأَنَّكَ إذَا قُلْتَ: افْعَلْ كَذَا، أَوْ كَذَا مُحرَّمٌ عَلَيْكَ سَنَةً، جَازَ أنْ تُبيحَهُ بَعدَ سَنَةٍ، وإِذَا قُلْتَ: افعَلْ كَذَا أوْ كَذَا مُحرَّمٌ عَلَيْكَ، وأنْتَ لا تُريدُ وقْتًا أوْ شَرْطًا فَكَذَا أيْضًا، وسَوَاءٌ عَلَيْكَ أذَكَرْتَهُ أمْ لَمْ تَذْكُرْهُ، فَهَذَا مُحالٌ فِي تَوحِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وأَسْمَائِهِ وصِفَاتِهِ وإِخْبَارِهِ بمَا كَانَ ومَا يكُونُ، أَلا تَرَى أنَّهُ مُحَالٌ أنْ تَقُولَ: قَامَ فُلانٌ، ثُمَّ تقُول بَعْدَ وَقْتٍ: لَمْ يَقُمْ؛ لأَنَّهُ لا يَقَعُ في الأَوَّلِ اشْتِرَاطٌ، ولا زَمَانٌ، فالنَّسْخُ فِي الإِخْبَارِ بمَا كَانَ ومَا يَكُونُ كَذِبٌ، وفِي الأَمْرِ والنَّهْي أيْضًا مَا لا يَقَعُ فِيهِ نَسْخٌ، وذَلِكَ الأَمْرُ بتَوْحِيدِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ واتِّبَاعِ رُسُلِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَخَصَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبيَّ الرَّحْمَةِ بالصَّلاةِ وَالتَّسْلِيمِ، وَأَهلَهُ الطَّيِّبِينَ). [الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٣/١٥٤- ١٥٥]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ العَتَائِقِيُّ (ت: ق ٨): (سُورَةُ النَّصْرِ وَتَبَّتْ وَالإِخْلاصِ وَالفَلَقِ وَالنَّاسِ لَيْسَ فِيهَا نَاسِخٌ وَلا مَنْسوخٌ). [الناسخ والمنسوخ للعتائقي:٨٥]

مقاصد المعوذتين

قالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ (ت: ٢٨٣هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ قالَ: إنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَهُ فِي هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ بالاعْتِصَامِ وَالاسْتِعَانَةِ بِهِ، وإِظْهَارِ الفَقْرِ إِلَيْهِ.

قِيلَ: مَا إِظْهَارُ الفَقْرِ؟ قالَ: هو الحَالُ بالحَالِ؛ لأَنَّ الطَّبْعَ مَيِّتٌ وإِظْهَارُهُ حَيَاتُهُ.

وقالَ: أَفْضَلُ الطَّهَارَةِ أَنْ يَطْهُرَ العَبْدُ مِنْ حَوْلِهِ وقُوَّتِهِ، وكُلُّ فِعْلٍ أو قَوْلٍ لا يُقَارِنُهُ (لا حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ) لا يَتَوَلاَّهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ وكُلُّ قَوْلٍ لا يُقَارِنُهُ اسْتِثْنَاءٌ عُوقِبَ عَلَيْهِ وإِنْ كَانَ برًّا، وكُلُّ مُصِيبَةٍ لا يُقَارِنُهَا اسْتِرْجَاعٌ لم يُثَبْ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا يَوْمَ القِيَامَةِ). [تفسير التستري: ٢١٠]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (أغراضُها: والغرَضُ منها تَعليمُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كلِماتٍ للتَّعَوُّذِ باللهِ مِن شَرِّ ما يُتَّقَى شَرُّه مِنَ المخلوقاتِ الشِّرِّيرَةِ، والأوقاتِ التي يَكثُرُ فيها حُدوثُ الشرِّ، والأحوالِ التي يُستَرُ أَفعالُ الشَّرِّ مِن وَرائِها؛ لئَلاَّ يُرْمَى فاعِلُوها بتَبِعاتِها، فعَلَّمَ اللهُ نَبيَّهُ هذه المُعَوِّذَةَ ليَتَعَوَّذَ بها، وقد ثَبَتَ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ كان يَتعوَّذُ بهذه السُّورةِ وأُختِها، ويَأمُرُ أصحابَه بالتعَوُّذِ بهما، فكانَ التَّعوُّذُ بهما مِن سُنَّةِ المُسلِمينَ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٥]

التناسب

مناسبة ختم المصحف بالمعوذتين

قالَ مُحمَّدُ بنُ أحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبيُّ (ت: ٧٤١هـ): (فإن قيلَ: لِمَ خَتَمَ القرآنَ بالمعوذتين وما الحِكمةُ في ذلك؟

فالجوابُ من ثلاثةِ أَوْجُهٍ:

الأوَّلُ: قالَ شيخُنا الأستاذُ أبو جعفرِ بنُ الزبيرِ: لَمَّا كان القرآنُ من أعْظَمِ النِّعَمِ على عِبادِه، والنِّعَمُ مَظِنَّةُ الحسَدِ فخَتَمَ بما يُطفِئُ الحسَدَ من الاستعاذةِ باللهِ.

الثاني: يَظْهَرُ لي أنَّ المُعَوِّذَتين خُتِمَ بهما؛ لأنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ فيهما: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ» كما قالَ في فاتِحةِ الكتاب: «لم يَنْزِلْ في التوراةِ ولا في الإنجيلِ ولا في الفُرقانِ مِثْلُها» فافْتُتِحَ القرآنُ بسورةٍ لم يَنْزِلْ مِثلُها، واخْتُتِمَ بسورتينِ لم يُرَ مِثْلُهما؛ ليَجْمَعَ حُسْنَ الافتتاحِ والاختتامِ، ألا تَرَى أن الخُطَبَ والرسائلَ والقصائدَ وغيرَ ذلك من أنواعِ الكلامِ إنما يُنْظَرُ فيها إلى حُسْنِ افتتاحِها واختتامِها.

الوجهُ الثالثُ: يَظْهَرُ لي أيضًا أنه لَمَّا أَمَرَ القارئَ أن يَفْتَتِحَ قِراءتَه بالتعَوُّذِ من الشيطانِ الرجيمِ خَتَمَ القرآنَ بالمعوذتينِ ليَحْصُلَ الاستعاذةُ باللهِ عندَ أوَّلِ القراءةِ وعندَ آخِرِ ما يَقْرَأُ من القراءةِ، فتكونَ الاستعاذةُ قَدِ اشتَمَلَتْ على طَرَفَي الابتداءِ والانتهاءِ وليكونَ القارئُ مَحفوظًا بحِفْظِ اللهِ الذي استعاذَ به من أوَّلِ أَمْرِه إلى آخِرِه وباللهِ التوفيقُ لا ربَّ غيرُه). [التسهيل: ٢٢٧]

قالَ عَطِيَّة مُحمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (تنبيهٌ: إذا كانَتْ أوَّلُ مَعصيةٍ وَقَعَتْ هي حَسَدَ إبليسَ بأَبِينَا آدَمَ على ما أَنْعَمَ اللَّهُ به عليه، وجاءَ حَسَدُ المُشْرِكِينَ لرسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ على نِعمةِ الوحْيِ، وحَسَدُ أهْلِ الكتاب للمسلمينَ على نِعمةِ الإسلامِ، وجاءَتْ هذه السُّورَةُ في أواخِرِ القرآنِ، فكأنَّها جاءَتْ في أعقاب القرآنِ لتُذَكِّرَ المسلمينَ بعِظَمِ نِعمتِه عليهم وشِدَّةِ حسَدِهم عليه، ليَحْذَرُوا أعداءَهم الذين يَكِيدُونَ لهم في دِينِهم، مِن كلٍّ مِن الجِنَّةِ والناسِ، على ما سَيَأْتِي في السُّورَةِ بعدَها والأخيرةِ، إنْ شاءَ اللَّهُ). [تتمة أضواء البيان: ٣٤٦/٩]

مناسبة المعوذتين لما قبلهما

قالَ مُحمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (قَبْلَ الخَوْضِ في التَّفْسيرِ لا بُدَّ مِن تَقْديمِ فَصْلَيْنِ:

الفَصْلُ الأَوَّلُ: سَمِعْتُ بَعْضَ العَارِفِينَ فَسَّرَ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ على وَجْهٍ عَجِيبٍ، فَقَالَ: إنَّه سُبْحانَه لَمَّا شَرَحَ أَمْرَ الإلَهِيَّةِ في سُورَةِ الإخْلاصِ ذَكَرَ هذه السُّورَةَ عَقِيبَها في شَرْحِ مَرَاتِبِ مَخْلُوقاتِ اللَّهِ.

فَقَالَ أوَّلاً: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ وذلك لأنَّ ظُلُماتِ العَدَمِ غَيْرُ مُتَناهِيَةٍ، والحَقُّ سُبْحانَه هو الذي فلَقَ تلك الظُّلُماتِ بنُورِ التَّكْوِينِ والإيجادِ والإبْداعِ، فلهذا قالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ ثُمَّ قالَ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾.

والوَجْهُ فيه أنَّ عَالَمَ المُمْكِنَاتِ علَى قِسْمَيْنِ ؛ عَالَمُ الأَمْرِ وعَالَمُ الخَلْقِ علَى مَا قالَ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] وعَالَمُ الأَمْرِ كُلُّه خَيْرَاتٌ مَحْضَةٌ بَرِيئَةٌ عن الشُّرورِ والآفاتِ.

أَمَّا عَالَمُ الخَلْقِ، وهو عَالَمُ الأَجْسامِ والجُسْمانِيَّاتِ، فالشَّرُّ لا يَحْصُلُ إلا فيه، وإنَّما سُمِّيَ عَالَمُ الأَجْسَامِ والجُسْمانِيَّاتِ بعَالَمِ الخَلْقِ؛ لأنَّ الخَلْقَ هو التَّقْدِيرُ، والمِقْدَارُ مِن لواحِقِ الجِسْمِ، فلَمَّا كَانَ الأَمْرُ كذلك، لا جرَمَ قالَ: أَعُوذُ بالرَّبِّ الذي فَلَقَ ظُلُماتِ بَحْرِ العَدَمِ بنُورِ الإيجادِ والإبْداعِ من الشرورِ الوَاقِعَةِ في عالَمِ الخَلْقِ، وهو عَالَمُ الأجْسَامِ والجُسمانِيَّاتِ، ثُمَّ مِن الظَّاهِرِ أَنَّ الأَجْسَامَ إِمَّا أَثَرِيَّةٌ أو عُنْصُرِيَّةٌ.

والأَجْسَامُ الأَثَرِيَّةُ خَيْرَاتٌ؛ لأَنَّها بَرِيئَةٌ عن الاخْتلالِ والفُطُورِ، علَى ما قالَ: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾ [الملك: ٣].

وأَمَّا العُنْصُرِيَّاتُ فهي إِمَّا جَمَادٌ أو نَبَاتٌ أو حَيَوانٌ:

- أَمَّا الجَمَادَاتُ فهي خَالِيَةٌ عن جَمِيعِ القُوَى النَّفْسانِيَّةِ، فالظُّلْمَةُ فيها خَالِصَةٌ، والأَنْوارُ عنها بالكُلِّيَّةِ زَائِلَةٌ، وهي المُرَادُ مِن قَوْلِه: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾.
- وأَمَّا النَّبَاتُ فالقُوَّةُ العَادِيَّةُ النَّبَاتِيَّةُ هي التي تَزِيدُ في الطُّولِ والعَرْضِ والعُمْقِ مَعًا، فهذه النَّبَاتِيَّةُ كأَنَّها تَنْفُثُ في العُقَدِ الثَّلاثِ.
- وأَمَّا الحَيوانُ فالقُوَى الحَيَوانِيَّةُ هي الحَوَاسُّ الظَّاهِرَةُ والحَوَاسُّ الباطِنِيَّةُ والشَّهْوَةُ والغَضَبُ، وكُلُّها تَمْنَعُ الرُّوحَ الإنسانِيَّةَ عن الانْصِباب إلى عَالَمِ الغَيْبِ والاشْتِغَالِ بقُدُسِ جَلالِ اللَّهِ، وهو المُرَادُ من قَوْلِه: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

ثُمَّ إِنَّه لَمْ يَبْقَ مِن السُّفْلِيَّاتِ بعدَ هذه المَرْتَبَةِ سِوَى النَّفْسِ الإنسانِيَّةِ، وهي المُسْتَعِيذَةُ، فلا تكونُ مُسْتَعَاذًا منها، فَلا جَرَمَ قَطَعَ هذه السُّورَةَ وذَكَرَ بعدَها في سُورَةِ الناسِ مَرَاتِبَ دَرَجاتِ النَّفْسِ الإنْسَانِيَّةِ في التَّرَقِّي؛ وذلك لأَنَّها بأَصْلِ فِطْرَتِها مُسْتَعِدَّةٌ لأَنْ تَنْتَقِشَ بمَعْرِفَةِ اللَّهِ تعالى ومَحَبَّتِه إلا أَنَّها تكونُ أَوَّلَ الأَمْرِ خَالِيَةً عن هذه المَعَارِفِ بالكُلِّيَّةِ، ثُمَّ إِنَّه في المرتبةِ الثانيةِ يَحْصُلُ فيها عُلومٌ أَوَّلِيَّةٌ بَدِيهِيَّةٌ يمكنُ التَّوصُّلُ بها إلى اسْتِعْلامِ المَجْهُولاتِ الفِكْرِيَّةِ، ثُمَّ في آخِرِ الأمرِ تلك المجهولاتُ الفِكْرِيَّةُ بَدِيهِيَّةٌ يُمْكِنُ التوصلُ بها إلى اسْتعلامِ المَجهولاتِ الفكريَّةِ مِن القُوَّةِ إلى الفِعْلِ؛ فقولُه تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ إِشَارَةٌ إلى المَرْتَبَةِ الأُولَى مِن مَرَاتِب النَّفْسِ الإنْسانِيَّةِ، وهي حَالُ كَوْنِها خَالِيَةً مِن جَمِيعِ العُلومِ البَدِيهِيَّةِ والكَسْبِيَّةِ؛ وذلك لأَنَّ النَّفْسَ في تلك المَرْتَبَةِ تَحْتاجُ إلى مُرَبٍّ يُرَبِّيهَا ويُزَيِّنُها بتلك المَعَارِفِ البَدِيهِيَّةِ.

ثُمَّ في المَرْتَبَةِ الثانيةِ وهي عندَ حُصُولِ هذه العُلُومِ البَدِيهِيَّةِ يَحْصُلُ لَهَا مَلَكَةٌ مِن الانْتِقالِ منها إلى اسْتِعلامِ العُلومِ الفِكْرِيَّةِ وهو المُرَادُ مِن قولِه: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾.

ثُمَّ في المَرْتَبَةِ الثالثةِ وهي عندَ خروجِ تلك العُلومِ الفِكْرِيَّةِ من القوةِ إلى الفِعْلِ يَحْصُلُ الكَمالُ التَّامُّ للنَّفْسِ، وهو المُرادُ مِن قولِه: ﴿ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ فكأنَّ الحَقَّ سُبْحانَه يُسَمِّي نَفْسَه بحَسَب كلِّ مَرْتَبَةٍ مِن مَراتِب النَّفْسِ الإنسانيةِ بِمَا يَلِيقُ بتلك المَرْتَبَةِ.

ثُمَّ قالَ: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ﴾ والمُرادُ منه القوةُ الوَهْمِيَّةُ، والسببُ في إطْلاقِ اسمِ الخَنَّاسِ على الوَهْمِ أنَّ العقلَ والوَهْمَ، قد يَتساعدانِ على تَسْليمِ بعضِ المُقَدِّماتِ، ثُمَّ إذا آلَ الأمرُ إلى النَّتيجةِ، فالعقلُ يُساعِدُ على النتيجةِ والوَهْمُ يَخْنِسُ، ويَرْجِعُ ويَمْتَنِعُ عن تَسْلِيمِ النتيجةِ، فلهذا السَّبب يُسَمَّى الوهمُ: بالخَنَّاسِ. ثُمَّ بَيَّنَ سبحانَه أنَّ ضَرَرَ هذا الخَنَّاسِ عَظِيمٌ على العقلِ، وأنَّه قَلَّما يَنْفكُّ أَحَدٌ عنه فكأنَّه سبحانَه بَيَّنَ في هذه السورةِ مَرَاتبَ الأَرْواحِ البَشَرِيَّةِ ونَبَّهَ عَلَى عَدُوِّها ونَبَّه على ما به يَقَعُ الامتيازُ بَيْنَ العَقْلِ وبَيْنَ الوَهْمِ، وهناك آخِرُ دَرَجاتِ مَرَاتِب النفسِ الإنسانيةِ، فلا جَرَمَ وَقَعَ خَتْمُ الكتاب الكَرِيمِ والفُرْقانِ العظيمِ عليه). [التفسير الكبير: ١٧١/٣٢ - ١٧٢]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَلَمَّا افْتَتَحَ القرآنَ بسورةٍ مُشْتَمِلَةٍ على جميعِ مَعَانِيهِ، خَتَمَ بسُورَتَيْنِ يَدْخُلُ مَعْنَاهُما، وَهوَ التَّعَوُّذُ، وَيُنْدَبُ ذِكْرُهُ في جميعِ أَجْزَائِهِ وَمَبَانِيهِ، وَفي ذلكَ لَطِيفَةٌ أُخْرَى عظيمةٌ جِدًّا، وَهيَ أَنَّهُ لَمَّا عُلِمَ بالإخلاصِ تَمَامُ العلمِ وَظُهُورُ الدينِ على هذا الوَجْهِ الأعظم، فَحَصَلَ بذلكَ غايةُ السرورِ، وَكَانَ التَّمَامُ في هذهِ الدارِ مُؤْذِنًا بالنُّقْصَانِ جاءَتِ المُعَوِّذَتَانِ لِدَفْعِ شَرِّ ذلكَ). [نظم الدرر: ٥٩٧/٨]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَالأحاديثُ في فَضْلِ هذهِ السورِ الثلاثِ كثيرةٌ جِدًّا، وَجُعِلَ التَّعْوِيذُ فِي سُورَتَيْنِ إِشَارَةً إلى اسْتِحْبَاب تَكْرِيرِهِ، وَجُعِلَتْ إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً نَدْبًا إلى تكثيرِهِ في تَكْرِيرِهِ، وَقُدِّمَت الفَلَقُ التي هي خَمْسُ آيَاتٍ معَ مَا مَضَى مِنَ المُنَاسَبَاتِ؛ لأنَّ اقْتِرانَهَا بسورةِ التوحيدِ أَنْسَبُ وَشَفْعَهَا بسورةِ الناسِ التي هيَ سِتُّ آيَاتٍ أَنْسَبُ، لِيَكُونَ الشَّفْعُ بالشفعِ، وَالابتداءُ بالوترِ بَعْدَ سورةِ الوَتْرِ، وَحَاصِلُ هذهِ السورةِ العُظْمَى في مَعْنَاهَا الأبدعِ الأَسْمَى، الاستعاذةُ باللَّهِ بذِكْرِ اسْمِهِ (الرَّبِّ) المُقْتَضِي للإحسانِ وَالتربيةِ بِجَلْبِ النِّعَمِ وَدَفْعِ النِّقَمِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَمِنَ السِّحْرِ وَالحَسَدِ كَمَا كانَ أَكْثَرُ البَقَرَةِ المُنَاظِرَةِ لَهَا في رَدِّ المقطعِ على المَطْلَعِ لِكَوْنِهَا ثَانِيَةً مِنَ الأَوَّلِ كما أنَّ هذهِ ثَانِيَةٌ مِنَ الآخرِ في ذِكْرِ أعداءِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحَاسِدِينَ لَهُ على ما أُوتِيَ مِنَ النِّعَمِ، وَفِي تَذْكِيرِهِمْ بمَا مَنَحَهُم مِنَ النِّعَمِ التي كَفَرُوهَا، وَأَكْثَرُ ذلكَ في بَنِي إسرائيلَ الذينَ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ حَسَدًا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَكانَ مِنْ أعظمِ مَا ضَلُّوا بِهِ السِّحْرُ المُشَارُ إِليهِ بقولِهِ تَعَالَى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ ﴾ [البقرة: ١٠٢] حتَّى قَالَ: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ إلى أنْ قَالَ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وَكانَ السحرُ مِنْ أعظمِ ما أَثَّرَ في النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كَيْدِهِمْ، حتَّى أُنْزِلَ فيهِ المُعَوِّذَتَانِ، وَكَانَ الساحِرُ لهُ مِنْهُمْ). [نظم الدرر: ٦٠٩/٨]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ): (أقولُ: هاتانِ السورتانِ نَزَلَتَا معًا، كما في الدلائلِ للبَيْهَقِيِّ، فلذلك قُرِنَتَا معَ ما اشْتَرَكَتَا فيه مِنَ التسميةِ بالمُعَوِّذَتَيْنِ، ومِن الافْتِتاحِ بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾. وعَقَّبَ بهما سورةَ الإخلاصِ؛ لأنَّ الثلاثةَ سُمِّيَتْ في الحديثِ بالمُعَوِّذَاتِ وبالقَوَاقِلِ، وقُدِّمَتِ الفلَقُ على الناسِ وإنْ كانت أَقْصَرَ مِنها؛ لمناسبَةِ مَقْطَعِها في الوزانِ لِفَواصِلِ الإخلاصِ معَ مَقْطَعِ "تَبَّتْ"). [تناسق الدرر:١٨٨]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ): (ثم رأيتُ الإمامَ فخرَ الدينِ ذَكَرَ في تفسيرِهِ كلامًا لطيفًا في مناسباتِ هذه السورِ، فقالَ في سورةِ الكوثرِ: (اعْلَمْ أنَّ هذه السورةَ كالمُتَمِّمَةِ لِمَا قبلَها مِن السوَرِ، وكالأصلِ لما بعدَها، أمَّا الأولُ فلأنَّه تعالَى جَعَلَ سورةَ الضُّحَى في مدْحِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ وتفصيلِ أحوالِه، فذَكَرَ في أوَّلِها ثلاثةَ أشياءَ تَتَعَلَّقُ بنُبُوَّتِه: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥)﴾. ثُمَّ خَتَمَها بثلاثةِ أحوالٍ مِن أحوالِه فيما يَتَعَلَّقُ بالدُّنيا: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨)﴾ [الضحى: ٣- ٨].

ثمَّ ذَكَرَ في سورةِ أَلَمْ نَشْرَحْ أنه شَرَّفَه بثلاثةِ أشياءَ: شَرْحِ الصدرِ، ووضعِ الوِزرِ، ورفعِ الذِّكْرِ.

ثُمَّ شَرَّفَه في سورةِ التينِ بثلاثةِ أشياءَ أنواعٍ: أَقْسَمَ ببلَدِه، وأَخْبَرَ بخَلاصِ أُمَّتِه من الناسِ بقولِه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ووُصُولِهم إلى الثوابِ بقوْلِه: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦)﴾ [التين: ٦].

وشرَّفَه في سورةِ اقْرَأْ بثلاثةِ أنواعٍ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]، وقَهْرِ خَصْمِه بقولِه: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨)﴾. وتَخْصِيصِهِ بالقربِ في قولِه: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۩ (١٩)﴾ [العلق: ١٧- ١٩].

وشَرَّفَه في سورةِ القَدْرِ بليلةِ القدرِ، وفيها ثلاثةُ أنواعٍ مِن الفضيلةِ: كونُها خَيْرًا مِن ألفِ شهرٍ، وتَنَزُّلُ الملائكةُ والرُّوحُ فيها، وكَوْنُها سلامًا حتى مَطْلَعِ الفجرِ.

وشَرَّفَه في ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ بثلاثةِ أشياءَ: أَنَّهُم خَيْرُ البَرِيَّةِ، وجزاؤُهم جناتٌ، ورَضِيَ عنهم.

وشَرَّفَه في الزَّلْزَلَةِ بثلاثةِ أنواعٍ: إخبارِ الأرضِ بطاعةِ أُمَّتِه، ورُؤْيَتِهم أعمالَهم، ووُصولِهم إلى ثوابِها حتى وَزْنِ الذرَّةِ.

وشَرَّفَه في العادياتِ بإقسامِه بخَيْلِ الغُزَاةِ مِن أُمَّتِه، ووَصْفِها بثلاثِ صفاتٍ.

وشَرَّفَه في القارعةِ بثِقَلِ مَوازِينِ أُمَّتِه، وكَوْنِهم في عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ، ورُؤْيَتِهم أعداءَهم في نارٍ حاميةٍ.

وفي الهَاكُمُ التَّكَاثُرُ هَدَّدَ المُعْرِضِينَ عن دينِه بثلاثةٍ: يَرَوْنَ الجَحِيمَ، ثم يَرَوْنَها عَيْنَ اليقينِ، ويُسْأَلُون عن النعيمِ.

وشَرَّفَه في سورةِ العَصْرِ بمدحِ أُمَّتِه بثلاثٍ: الإيمانِ، والعملِ الصالحِ، وإرشادِ الخَلْقِ إليه، وهو: التَّواصِي بالحقِّ والصبرِ.

وشَرَّفَه في سورةِ الهُمَزَةِ بوَعِيدِ عَدُوِّهِ بثلاثةِ أشياءَ: ألاَّ يَنْتَفِعَ بدُنْياه، ويُعَذِّبُه في الحُطَمَةِ، ويُغْلَقُ عليه.

وشَرَّفَه في سورةِ الفيلِ بأنْ رَدَّ كيدَ عَدُوِّهِ بثلاثٍ: بأن جَعَلَه في تضليلٍ، وأرْسَلَ عليهم طيرًا أبابيلَ، وجَعَلَهُم كعصفٍ مأكولٍ.

وشَرَّفَه في سورةِ قريشٍ بثلاثٍ: تَأَلُّفِ قَوْمِه، وإِطْعَامِهِم، وأَمْنِهِم.

وشَرَّفَه في الماعونِ بذمِّ عَدُوِّهِ بثلاثٍ: الدَّنَاءَةِ وَاللُّؤْمِ في قوْلِه: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾، وتَرْكِ تَعْظِيمِ الخالِقِ في قوْلِه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ وتَرْكِ نَفْعِ الخَلْقِ في قوْلِه: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون].

فلمَّا شَرَّفَه في هذهِ السوَرِ بهذه الوجوهِ العظيمةِ قالَ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾. أي: هذه الفضائلَ المُتَكَاثِرَةَ المذكورةَ في هذه السورِ، التي كلُّ واحدةٍ منها أعظمُ مِن مُلْكِ الدنيا بحذافيرِها، فاشْتَغِلْ أنتَ بعبادةِ ربِّكَ؛ إمَّا بالنفسِ، وهو قولُه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾، وإمَّا بالمالِ، وهو قولُه: ﴿وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ١، ٢]، وإمَّا بإرشادِ العِبادِ إلى الأصلحِ، وهو قولُه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون: ١، ٢]؛ فثَبَتَ أنَّ هذه السورةَ كالمُتَمِّمَةِ لِما قَبْلَها.

وأمَّا كونُها كالأصلِ لِمَا بَعْدَهَا فَهُوَ: أنَّه تعالى يأْمُرُه بعدَ هذه أنْ يَكُفَّ عن أهلِ الدنيا جميعًا بقولِه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: ١] إلى آخرِ السورةِ، ويُبْطِلَ أذاهم، وذلك يَقْتَضِي نَصْرَهُم على أعدائِهم؛ لأنَّ الطعْنَ على الإنسانِ في دينِه أشدُّ عليه من الطعنِ في نفسِه وزَوْجِه، وذلك مما يَجْبُنُ عنه كلُّ أحدٍ مِن الخَلْقِ؛ فإنَّ مُوسَى وهارونَ أُرْسِلا إلى فِرْعَوْنَ واحِدٍ فَقَالاَ: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝٤٥﴾ [طه: ٤٥].

ومحمدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مُرْسَلٌ إلى الخلقِ جميعًا، فكانَ كلُّ واحدٍ مِن الخلقِ كفِرْعَوْنَ بالنسبةِ إليه، فدَبَّرَ اللهُ في إزالةِ الخوفِ الشديدِ تدبيرًا لَطِيفًا؛ بأنْ قَدَّمَ هذه السورةَ وأخبَرَ فيها بإعطائِه الخيرَ الكثيرَ، ومِن جُمْلَتِه أيضًا: الرِّئَاسَةُ ومفاتِيحُ الدنيا، فلا يَلْتَفِتُ إلى ما بأَيْدِيهِم مِن زَهْرَةِ الدنيا، وذلك أدْعَى إلى مُجَاهَدَتِهِم بالعَدَاوةِ، والصَّدْعِ بالحَقِّ؛ لِعَدَمِ تَطَلُّعِه إلى ما بأيدِيهم.

ثم ذَكَرَ بعدَ سورةِ الكافرينَ سورةَ النصرِ، فكأنَّه تعالَى يقولُ: وَعَدْتُكَ بالخيرِ الكثيرِ وإتمامِ أمرِكَ، وأمَرْتُكَ بإبطالِ أديانِهم والبراءَةِ مِن معبوداتِهم، فلمَّا امْتَثَلْتَ أمْرِي أَنْجَزْتُ لك الوَعْدَ بالفتحِ والنصرِ وكثرةِ الأتباعِ بدُخولِ الناسِ في دينِ اللهِ أفواجًا، ولما تَمَّ أمرُ الدعوةِ والشريعةِ شَرَعَ في بيانِ ما يَتَعَلَّقُ بأحوالِ القلبِ والباطنِ؛ وذلك أنَّ الطالبَ إمَّا أن يكونَ طَلَبُه مَقْصورًا على الدنيا، فليسَ له إلا الذلُّ والخَسَارَةُ والهَوَانُ والمصيرُ إلى النارِ، وهو المرادُ مِن سورةِ تَبَّتْ، وإما أن يكونَ طالبًا للآخرةِ، فأعظمُ أحوالِه أن تَصيرَ نفسُه كالمرآةِ التي تَنْتَقِشُ فيها صُوَرُ المَوْجُوداتِ.

وقد ثَبَتَ أن طريقَ الخلقِ في معرفةِ الصانعِ على وجهينِ:

مِنهم مَن قالَ: أعْرِفُ الصانعَ ثم أتوسَّلُ بمعرفتِه إلى معرفةِ مخلوقاتِه، وهذا هو الطريقُ الأشرفُ.

ومِنهم مَن عَكَسَ، وهو طريقُ الجمهورِ.

ثم إنَّه سبحانَه خَتَمَ كتابَه المُكرَّمَ بتلكَ الطريقةِ التي هي أشرفُ، فبَدَأَ بذكرِ صفاتِ اللهِ وشَرْحِ جلالِه في سورةِ الإخلاصِ، ثم أتْبَعَه بذكرِ مراتِبِ مخلوقاتِه في الفَلَقِ، ثم خَتَمَ بذكرِ مراتِبِ النفسِ الإنسانيةِ في الناسِ، وعندَ ذلكَ خَتَمَ الكتابَ، فسُبْحَانَ مَن أَرْشَدَ العقولَ إلى معرفةِ هذه الأسرارِ الشريفةِ في كتابِه المُكرَّمِ). هذا كلامُ الإمامِ.

ثم قالَ في سورةِ الفلقِ: سَمِعْتُ بعضَ العارِفِينَ يَقُولُ: لَمَّا شَرَحَ اللهُ سبحانَه أمرَ الإلهيَّةِ في سورةِ الإخلاصِ، ذَكَرَ هاتَيْنِ السورتينِ عَقِبَها في شرحِ مراتِبِ الخَلْقِ على ما قالَ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]. فعَالَمُ الأمرِ كلُّه خَيْرَاتٌ مَحْضَةٌ، بَرِيئَةٌ عن الشرورِ والآفاتِ، أما عالَمُ الخلقِ فهو الأجسامُ الكثيفةُ والجُثْمَانِيَّاتُ، فلا جَرَمَ قالَ في المَطْلَعِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾.

ثم الأجسامُ إمَّا أَبَدِيَّةٌ، وكلُّها خَيْرَاتٌ مَحْضَةٌ؛ لأنَّها بريئةٌ عن الاختلافاتِ والفُطُورِ على ما قالَ: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۢ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾ [الملك: ٣].

وإمَّا عُنْصُرِيَّةٌ، وهي:

- إما جماداتٌ، فهي خاليةٌ عن جميعِ القُوَى النفسانيَّةِ، فالظُّلُماتُ فيها خَالِصَةٌ، والأنوارُ عنها زائِلَةٌ، وهو المرادُ من قولِه: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾.
- وإما نباتٌ، والقوَّةُ العادِلَةُ هي التي تَزِيدُ في الطولِ والعُمْقِ معًا، فهذه القوةُ النباتيَّةُ كأنَّها تَنْفُثُ في العُقْدَةِ.
- وإمَّا حيوانٌ، وهو مَحَلُّ القُوَى التي تَمْنَعُ الرُّوحَ الإنسانيةَ عن الانْصِبابِ إلى عالَمِ الغيبِ والاشتغالِ بقُدُسِ جلالِ اللهِ، وهو المرادُ بقولِه: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

ثم إنَّه لَمْ يَبْقَ مِن السُّفْلِيَّاتِ بعدَ هذه المَرْتَبَةِ سُوى النفسِ الإنسانيةِ، وهي المُسْتَفِيدَةُ، فلا يكونُ مُسْتَفَادًا مِنها، فلا جَرَمَ قَطَعَ هذه السورةَ، وذَكَرَ بعدَها في سورةِ الناسِ مَرَاتِبَ ودرجاتِ النفسِ الإنسانيةِ. انتهى.

ولم يُبيِّنِ المَرَاتِبَ المُشَارَ إليها، وقد بيَّنَها ابنُ الزَّمْلَكَانِيِّ في أسرارِه فقالَ: إضافةُ (ربِّ) إلى ﴿ٱلنَّاسِ﴾ تُؤْذِنُ بأنَّ المرادَ بالناسِ الأطفالُ؛ لأنَّ الربَّ مِن: رَبَّهُ يَرُبُّه، وهُمْ إلى التربيةِ أحوجُ. وإضافةُ ﴿مَلِكِ﴾ إلى ﴿ٱلنَّاسِ﴾ تُؤْذِنُ بإرادةِ الشبابِ به؛ إذ لَفْظُ ﴿مَلِكِ﴾ يُؤْذِنُ بالسياسةِ والعِزَّةِ، والشُّبَّانُ إليها أحوَجُ.

وإضافةُ ﴿إِلَٰهِ﴾ إلى ﴿ٱلنَّاسِ﴾ تُؤْذِنُ بأن المرادَ به الشيوخُ؛ لأنَّ ذاتَه مُسْتَحِقَّةٌ للطاعةِ والعبادةِ، وهم أقْرَبُ.

وقولُه: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ يُؤْذِنُ بأنَّ المُرادَ بالنَّاسِ: العلماءُ والعُبَّادُ؛ لأنَّ الوَسْوَسةَ غالبًا عن الشُّبَهِ.

وقولُه: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ يُؤْذِنُ بأن المرادَ بالناسِ: الأشرارُ، وهم شياطينُ الإنسِ الذين يُوَسْوِسُونَ لَهُم. واللهُ تعالى أعْلَمُ). [تناسق الدرر:١٨٩- ١٩٥]

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (ومِن الجَديرِ بالذكْرِ التنويهُ عن ارتباطِهما بسُورَةِ الإخلاصِ قَبْلَهما، وهو أنَّه سُبحانَه لَمَّا ذَكَرَ أنه سُبحانَه وتعالى الواحِدُ الأَحَدُ الفَرْدُ الصمَدُ، والصمَدُ مِن مَعانيهِ: الذي تَصْمُدُ الخلائقُ إليه في حاجاتِهم، جاءَ في هاتيْنِ السورتيْنِ تَوجيهُ العِبادِ إلى مَن يَسْتَعِيذُونَ ويَلُوذُونَ به، وهو اللَّهُ الصمَدُ سُبحانَه، فهو وَحْدَه الذي يُعِيذُهم ويَحْفَظُهم، وهو الذي يَلْجَؤُونَ إليه سُبحانَه.

و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ تُعَادِلُ الاستعاذَةَ بالخالِقِ مِمَّا خَلَقَ؛ لأنَّ كلاًّ مُنْفَلِقٌ عن غيرِه، إلاَّ اللَّهَ الواحِدَ الأَحَدَ الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ.

الثانيةُ بعدَها: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) ...... إِلَهِ النَّاسِ (٣)﴾.

وسَيأتي إنْ شاءَ اللَّهُ تعالى تَنبيهٌ على ما يُعْطِيهِ السياقُ مِن خَتْمِ الْمُصْحَفِ الشريفِ بهاتيْنِ السورتيْنِ الكريمتيْنِ، والمقارَنَةِ بينَهما لبيانِ عِظَمِ مَنْزِلَتِهما). [تتمة أضواء البيان: ٣٣٧/٩- ٣٣٨]

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (قِيلَ: إنَّه لَمَّا صَرَّحَ تعالَى بخَالِصِ التوحيدِ في سُورَةِ الإخلاصِ، وهي مَعركةُ الإيمانِ والشِّرْكِ، ومَثارُ الخِلافِ والخصومةِ بينَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ وأعدائِه، أَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ أنْ يَتعَوَّذَ مِن شُرورِ الخَلْقِ فلا يَضُرُّوهُ... إلخ). [تتمة أضواء البيان: ٣٣٩/٩]

التناسب بين سورتي الفلق والناس

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحَليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (فَذَكَرَ سُبْحَانَهُ الاسْتِعَاذَةَ مِنْ شَرِّ الخَلْقِ عُمُومًا، ثُمَّ خَصَّ الأَمْرَ بالاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ الغَاسِقِ إذَا وَقَبَ وَهُوَ الزَّمَانُ الَّذِي يَعُمُّ شَرُّهُ، ثُمَّ خَصَّ بالذِّكْرِ السِّحْرَ وَالحَسَدَ.

فَالسِّحْرُ يَكُونُ مِنَ الأَنْفُسِ الخَبِيثَةِ لَكِنْ بالاسْتِعَانَةِ بالأَشْيَاءِ كَالنَّفْثِ فِي العُقَدِ.

وَالحَسَدُ يَكُونُ مِنَ الأَنْفُسِ الخَبِيثَةِ أَيْضًا إمَّا بالعَيْنِ وَإِمَّا بالظُّلْمِ باللِّسَانِ وَاليَدِ.

وَخَصَّ مِنَ السِّحْرِ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ وَهُنَّ النِّسَاءُ، وَالحَاسِدُ الرِّجَالُ فِي العَادَةِ وَيَكُونُ مِنَ الرِّجَالِ وَمِنَ النِّسَاءِ.

وَالشَّرُّ الَّذِي يَكُونُ مِنَ الأَنْفُسِ الخَبِيثَةِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ هُوَ شَرٌّ مُنْفَصِلٌ عَنِ الإِنْسَانِ لَيْسَ هُوَ فِي قَلْبِهِ كَالوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ.

وَفِي سُورَةِ النَّاسِ ذَكَرَ **الوَسْوَاسَ الخَنَّاسَ**؛ فَإِنَّهُ مَبْدَأُ الأَفْعَالِ المَذْمُومَةِ مِنَ الكُفْرِ وَالفُسُوقِ وَالعِصْيَانِ؛ فَفِيهَا الاسْتِعَاذَةُ مِنْ شَرِّ مَا يَدْخُلُ الإِنْسَانَ مِنَ الأَفْعَالِ الَّتِي تَضُرُّهُ مِنَ الكُفْرِ وَالفُسُوقِ وَالعِصْيَانِ، وَقَدْ تَضَمَّنَ ذَلِكَ الاسْتِعَاذَةَ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ.

وَسُورَةُ الفَلَقِ فِيهَا الاسْتِعَاذَةُ مِنْ شَرِّ المَخْلُوقَاتِ عُمُومًا وَخُصُوصًا، وَلِهَذَا قِيلَ فِيهَا بِرَبِّ الفَلَقِ، وَقِيلَ فِي هَذِهِ بِرَبِّ النَّاسِ؛ فَإِنَّ فَالِقَ الإِصْبَاحِ بالنُّورِ يُزِيلُ بِمَا فِي نُورِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا فِي الظُّلْمَةِ مِنَ الشَّرِّ وَفَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى بَعْدَ انْعِقَادِهِمَا يُزِيلُ مَا فِي عُقَدِ النَّفَّاثَاتِ؛ فَإِنَّ فَلْقَ الحَبِّ وَالنَّوَى أَعْظَمُ مِنْ حَلِّ عُقَدِ النَّفَّاثَاتِ، وَكَذَلِكَ الحَسَدُ هُوَ مِنْ ضِيقِ الإِنْسَانِ وَشُحِّهِ لا يَنْشَرِحُ صَدْرُهُ لإِنْعَامِ اللَّهِ عَلَيْهِ؛ فَرَبُّ الفَلَقِ يُزِيلُ مَا يَحْصُلُ بضِيقِ الحَاسِدِ وَشُحِّهِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ لا يَفْلِقُ شَيْئًا إلا بِخَيْرٍ فَهُوَ فَالِقُ الإِصْبَاحِ بِالنُّورِ الهَادِي وَالسِّرَاجِ الوَهَّاجِ الَّذِي بِهِ صَلاحُ العِبَادِ وَفَالِقُ الحَبِ وَالنَّوَى بِأَنْوَاعِ الفَوَاكِهِ وَالأَقْوَاتِ الَّتِي هِيَ رِزْقُ النَّاسِ وَدَوَابِهِمْ وَالإِنْسَانُ مُحْتَاجٌ إِلَى جَلْبِ المَنْفَعَةِ مِنَ الهُدَى وَالرِّزْقِ وَهَذَا حَاصِلٌ بِالفَلْقِ وَالرَّبُّ الَّذِي فَلَقَ لِلنَّاسِ مَا تَحْصُلُ بِهِ مَنَافِعُهُمْ يُسْتَعَاذُ بِهِ مِمَّا يَضُرُّ النَّاسَ فَيُطْلَبُ مِنْهُ تَمَامُ نِعْمَتِهِ بِصَرْفِ المُؤْذِيَاتِ عَنْ عَبْدِهِ الَّذِي ابْتَدَأَ بِإِنْعَامِهِ عَلَيْهِ.

وَفَلْقُ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ هُوَ دَلِيلٌ عَلَى تَمَامِ القُدْرَةِ، وَإِخْرَاجُ الشَّيْءِ مِنْ ضِدِّهِ كَمَا يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ، وَالمَيِّتَ مِنَ الحَيِّ، وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الفَلْقِ؛ فَهُوَ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَى دَفْعِ الضِّدِّ المُؤْذِي بِالضِّدِّ النَّافِعِ). [مجموع الفتاوى:١٧/٥٠٧- ٥٠٨]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وَتَظْهَرُ المُنَاسَبَةُ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ وَهُوَ أَنَّ المُسْتَعَاذَ مِنْهُ هُوَ الشَّرُّ كَمَا أَنَّ المَطْلُوبَ هُوَ الخَيْرُ : إِمَّا مِنْ فِعْلِ العَبْدِ وَإِمَّا مِنْ غَيْرِ فِعْلِهِ وَمَبْدَأُ فِعْلِهِ لِلشَّرِّ هُوَ الوَسْوَاسُ الَّذِي يَكُونُ تَارَةً مِنَ الجِنِّ وَتَارَةً مِنَ الإِنْسِ وَحَسْمُ الشَّرِّ بِحَسْمِ أَصْلِهِ وَمَادَّتِهِ أَجْوَدُ مِنْ دَفْعِهِ بَعْدَ وُقُوعِهِ فَإِذَا أُعِيذَ العَبْدُ مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي الصُّدُورِ فَقَدْ أُعِيذَ مِنْ شَرِّ الكُفْرِ وَالفُسُوقِ وَالعِصْيَانِ فَهَذَا فِي فِعْلِ نَفْسِهِ وَتَعُمُّ الآيَةُ أَيْضًا فِعْلَ غَيْرِهِ لِسُوءٍ مَعَهُ فَكَانَتْ هَذِهِ السُّورَةُ لِلشَّرِّ الصَّادِرِ مِنَ العَبْدِ وَأَمَّا الشَّرُّ الصَّادِرُ مِنْ غَيْرِهِ فَسُورَةُ (الفَلَقِ) فَإِنَّ فِيهَا الاسْتِعَاذَةَ مِنْ شَرِّ المَخْلُوقَاتِ عُمُومًا وَخُصُوصًا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ). [مجموع الفتاوى:١٧/٥٣٦]

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (تنبيهٌ: ذَكَرَ أبو حَيَّانَ في آخِرِ تفسيرِه مُقارَنَةً لَطيفةً بينَ سُورتَي المُعَوِّذَتَيْنِ فقالَ: ولَمَّا كانتْ مَضَرَّةُ الدِّينِ - وهي آفَةُ الوَسوسةِ - أعْظَمَ مِن مَضَرَّةِ الدُّنيا وإنْ عَظُمَتْ؛ جاءَ البناءُ في الاستعاذةِ منها بصِفاتٍ ثلاثٍ: الربِّ والمَلِكِ والإلهِ، وإن اتَّحَدَ المطلوبُ.

وفي الاستعاذةِ مِن ثلاثٍ: الغاسِقِ والنفَّاثاتِ والحاسِدِ، بصِفَةٍ واحدةٍ، وهي الربُّ، وإنْ تَكَثَّرَ الذي يُستعاذُ منه.

وهذه الأُخْرَى لَفْتَةٌ كَريمةٌ طَالَمَا كُنْتُ تَطَلَّعْتُ إليها في وِجْهَتَيْ نَظَرٍ: إحداهما بينَ السورتينِ، والأُخْرَى بينَ سُورَةِ الناسِ ونَسَقِ المُصْحَفِ الشريفِ، سيَأْتِي إيرادُهما إنْ شاءَ اللَّهُ.

إلاَّ أنَّه على وِجْهَةِ نَظَرِ أبي حَيَّانَ؛ وهي أنَّه تعالى في سُورَةِ الفَلَقِ جاءَ في الاستعاذةِ بصِفَةٍ واحدةٍ وهي ربُّ الفَلَقِ.

وفي سُورَةِ الناسِ جاءَ في الاستعاذةِ بثلاثِ صِفاتٍ، معَ أنَّ المُستعاذَ منه في الأُولَى ثلاثةُ أُمورٍ، والمستعاذَ منه في الثانيةِ أمْرٌ واحدٌ، فلِخَطَرِ الأمْرِ الواحدِ جاءَتِ الصفاتُ الثلاثُ.

ويُقالُ أيضًا مِن جِهةٍ أُخْرَى: إنَّ المُستعاذَ منه في السُّورَةِ الأُولَى أُمورٌ تَأْتِي مِن خارجِ الإنسانِ، وتأتيهِ اعتداءً عليه مِن غيرِه، وقد تكونُ شُرورًا ظاهِرةً، ومِثْلُ ذلك قد يُمْكِنُ التحرُّزُ منه، أو اتِّقاؤُهُ قَبْلَ وُقوعِه وتَجَنُّبُهُ إذا عُلِمَ به، بينَما الشرُّ الواحدُ في الثانيةِ يَأتيهِ مِن داخِلِيَّتِه، وقد تكونُ هواجِسَ النفْسِ وما لا يُقْدَرُ على دَفْعِه؛ إذ الشيطانُ يَرانَا ولا نَراهُ؛ كما في قولِه: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وقد يُثِيرُ عليه خَلَجَاتِ نَفْسِهِ ونَوَازِعَ فِكْرِه، فلا يَجِدُ له خَلاصًا إلاَّ بالاستعاذةِ واللجوءِ إلى ربِّ الناسِ مَلِكِ الناسِ إلهِ الناسِ). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٦٢- ٣٦٣]

قلتُ: (انظر مسألة: (تعدد صفات المستعاذ به في سورة الناس وتوحيدها في الفلق) في المسائل العامة في تفسير المعوذتين).

نزول المعوذتين

الخلاف في كونهما مكيتين أو مدنيتين

قلت: (اختلَفَ أهلُ العِلْمِ فِي نُزولِ المعوِّذَتينِ علَى قولينِ:

القول الأول: أنهما مكِّيَتانِ

قالَ بهِ: هودُ بنُ محكَّمٍ، والزجَّاجُ، والواحديُّ، وأبو المظفَّرِ السَّمعانيُّ، وابنُ عطيةَ، والنَّسَفيُّ، ونظامُ الدِّينِ النَّيسابوريُّ، وابنُ جُزَيءٍ الكَلبيُّ، وأبو حيَّانَ الأندلسيُّ، والبقاعِيُّ، والسيوطيُّ كمَا في الدرِّ المنثورِ، وأبو السُّعودِ، ومحمَّد عبده المصريُّ، والقاسميُّ، والمراغِيُّ، والسعديُّ، وابنُ عاشُورٍ.

وفي بعض نسخ تفسير السعدي أن سورة الفلق مكية وسورة الناس مدنية، وهو خطأ ظاهر.

القول الثاني: أنهما مدنيَّتانِ

وَقالَ بهِ: ابنُ وهبٍ الدِّينوريُّ، والليثُ بنُ نصرٍ السمرقنديُّ، والثعلبيُّ، وأبو عمرٍو الدانيُّ، وأبو مَعْشَرٍ الطَبَريُّ، وَأبو محمَّدٍ البغويُّ، وابنُ الأبزاريِّ، والفخرُ الرازيُّ، والخازنُ، وابنُ كثيرٍ، والعَينيُّ في شَرْحِ سُنَنِ أبي داوودَ.

وَقالَ الماورديُّ: (مَكِّيَّةٌ في قولِ الحَسَنِ وعِكْرِمَةَ وعَطاءٍ وجابرٍ، ومَدَنِيَّةٌ في أَحَدِ قَوْلَي ابنِ عبَّاسٍ وقَتادةَ).

وَتبعَهُ علَى ذَلِكَ: القرطبيُّ، وَابنُ عادلٍ الحنبليُّ، والخطيبُ الشربينيُّ، والشوكانيُّ، والآلُوسيُّ، وصِدِّيق حَسَن خَان.

وَمِمَّن حكَى الخِلافَ وَلَمْ يُرَجِّحْ: ابنُ أبي زَمِنِينَ، وَهِبَةُ اللهِ بنُ سَلامَة المقرئُ، وَالزمخشريُّ، وَعَلَمُ الدين السَّخَاوِيُّ، والعزُّ بنُ عبدِ السَّلامِ، وَالفَيروزآبادي، وَجَلالُ الدينِ المحليُّ، والثعالبيُّ، وَالقسطلانيُّ فِي إرشادِ السَّارِي، وَزَكَرِيَّا الأَنصارِيُّ، والمباركفوري في تحفةِ الأحوَذيِّ.

فأمَّا القولُ الأوَّلُ فنُسِبَ إلى: ابنِ عبَّاسٍ، وَقتادَةَ، وَالحسنِ، وَعكرمةَ، وَعطاءٍ، وَجابرِ بنِ زيدٍ، وَالضحَّاكِ، وَالسُّدِّيِّ.

وَقَد تقدَّمَ بيانُ شيءٍ من ذَلِكَ فيمَا ذَكَرَهُ الماوردِيُّ وَمَن تَبِعَهُ، وَيُضَافُ:

نَسَبَهُ أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ حَزْمٍ للضحَّاكِ وَالسُّدِّيِّ، وَنَسَبهُ العَيْنِي للسُّدِّيِّ أيضًا.

وَنَسَبَهُ عبدُ الرَّزَّاقِ عَلي مُوسَى لابنِ المباركِ فِي مَوضِعَينِ مِن كُتُبِهِ.

وَمِمَّا استُدِلَّ بِهِ لهذا القولِ:

١ : مَا رَواه ابنُ الضُّرَيسِ فِي فضائلِ القرآنِ من طريقِ عُمَرَ بنِ هارُون عن عمرَ بنِ عطاءٍ عَن أبيهِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ فِي ترتيب نزولِ سُوَرِ القرآنِ ؛ فَعَدَّهُمَا فِيمَا نَزَلَ فِي مَكَّةَ ، وَعُمَرُ بنُ هارُونَ مَتروكُ الحدِيثِ.

٢ : مَا رَوَاهُ ابنُ مُردويهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : أُنْزِلَ بمكةَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ ، ذكرهُ السيوطيُّ في الدرِّ المنثورِ ، وَلَمْ أَقِفْ علَى إسنادِهِ.

- قالَ أَبو عُبيدٍ القَاسِمُ بنُ سَلاَّم (ت : ٢٢٤هـ) فِي فَضَائِلِ القُرْآنِ : (حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ عَن مُعاوية بنِ صَالِحٍ عَن عَلِيِّ بنِ أَبي طَلْحَةَ...) فذكرَ السُّورَ المكيَّةَ وَالمدَنيَّةَ وَجعَلَهُمَا فِي المكيِّ.

- وقالَ مُحَمَّدُ بنُ كَثِيرٍ العَبْدِيُّ (ت : ٢٢٣ هـ) : (حَدَّثَنَا هَمَّامٌ عَنْ قَتَادَةَ قالَ : (البَقَرةُ وَآلُ عِمْرَانَ والنِّسَاءُ والمائِدَةُ والأَنْفَالُ وَبَرَاءَةٌ والرَعْدُ والنَّحْلُ والحِجْرُ والنُّورُ والأَحْزَابُ ومُحَمَّدُ وَالفَتْحُ والحُجُرَاتُ والرَّحْمَنُ والحَدِيدُ إِلَى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾ عَشْرٌ مُتَوالِيَاتٌ ، وَ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ وَ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ قالَ : هَذَا مَدنِيٌّ ، وَسَائِرُ القُرْآنِ مَكِّيٌّ).

وَنَسبَ هذَا القولَ إِلَى قتادَةَ : ابنُ أبي زمنِينَ ، وَأبو عمرٍو الدانيُّ ، وَابنُ عطيَّةَ ، وَالعَينيُّ

وَقَالَ العَينيُّ : (فِي رِوايَةِ هَمَّامٍ وَسَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ : مَكِّيَّةٌ).

قلتُ : أمَّا رِوَايةُ همَّامٍ فتقدَّم ذكرُهَا ، وَقَدْ أخرَجَهَا أيضًا ابنُ الأنباريِّ وَالحارثُ المحاسبيُّ فِي كِتَاب فَهمِ القُرْآنِ ، وَأَمَّا رِوايَةُ سَعِيدٍ فأخرَجَهَا أَبُو عَمْرٍو الدَّانِي فِي كِتَاب البَيَانِ فِي عَدِّ آيِ القُرآنِ.

وَنَسبَ ابنُ الجوزيِّ إِلَى قتادَةَ القولَ بأَنَّهُمَا مدَنيَّتَان.

وَحكَى الماوَردِيُّ عَن قتادَةَ قولينِ فِي هذِهِ المسألةِ ، وَتبعهُ علَى ذَلكَ جَماعَةٌ كمَا تَقدَّمَ.

قالَ ابْنُ عَاشُورٍ فِي تفسيرِ سُورَةِ الفَلَقِ : (وَاختُلِفَ فيها : أَمَكِّيَّةٌ هي أمْ مدَنِيَّةٌ؟ فقالَ جابرُ بنُ زَيدٍ والحسَنُ وعَطاءٌ وعِكرِمَةُ : مَكِّيَّةٌ ، وَرَوَاه كُرَيْبٌ عنِ ابنِ عبَّاسٍ.

وقالَ قَتادةُ : هي مَدنِيَّةٌ ، ورواهُ أبو صالحٍ عنِ ابنِ عَبَّاسٍ.

والأَصحُّ أنها مكِّيَّةٌ ؛ لأنَّ رِوايةَ كُرَيْبٍ عنِ ابنِ عبَّاسٍ مَقبولةٌ ، بخِلافِ رِوايةِ أبي صالحٍ عنِ ابنِ عَبَّاسٍ ؛ ففيها متكلَّمٌ) ا.هـ.

وَأَمَّا القولُ الثاني فنُسِبَ إِلَى : ابنِ عباسٍ ، وَابنِ الزُّبير ، وَقَتَادَةَ ، وَمُجاهِدٍ ، وَعَطَاءٍ ، وَسُفيَانَ بنِ عُيينَةَ

نَسَبَهُ إِلَى ابنِ عبَّاسٍ : النحَّاسُ ، وَأبو عمرٍو الدَّانِيُّ ، وَابنُ عطيَّةَ.

قالَ أبو عمرٍو الدَّانِي : (مَدَنِيَّةٌ ، هذا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجاهِدٍ وَعَطَاءٍ ، وقال قَتادَةُ : مَكِّيَّةٌ).

وَقَالَ العينيُّ : (وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ فِي قَوْلِ سُفْيَانَ)

قلتُ: يُريدُ بذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو عُبَيدِ اللهِ المخزُومِيُّ عن سُفْيَانَ بنِ عُيَيْنَةَ عَن هِشَامِ بنِ عُروةَ عَن أبيهِ عَن عَائِشَةَ فِي حادَثَةِ سَحْرِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّمَ، أَخْرَجَهَا اللالكائيُّ وأَبو القَاسِمِ الأَصْبَهَانِيُّ، وَأَشَارَ إِلَيهَا الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ فِي التَّلْخِيصِ، وَفِيهَا تَفرُّدٌ عَن جَميعِ رُواةِ هَذَا الحدِيثِ منَ الأَئِمَّةِ، وَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الحُفَّاظِ كَمَا سَيَأْتِي بيانُ ذلك إِن شَاءَ اللهُ.

وَمِمَّا اسْتُدِلَّ بِهِ لِهَذَا القَوْلِ:

١ : مَا رواه النحَّاسُ عَن يَموتَ بنِ المزَرِّعِ ابنِ أُخْتِ الجَاحِظِ عَن أَبي حَاتِمٍ السِّجِستانيِّ عَن أَبي عُبَيدةَ مَعْمَرِ بنِ المثَنَّى عَن يونسَ بنِ حَبيبٍ عَن أَبي عَمْرِو بنِ العَلاءِ عَن مُجَاهِدٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ فِي خَبرِ تلخيصِ المكيِّ وَالمدنيِّ مِنَ القرآنِ أَنَّهُمَا مدنيَّتَانِ.

٢ : وَقَالَ النَّحَّاسُ أيضًا: (قَالَ كُرَيْبٌ: وجَدْنَا فِي كِتَابِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّ مِنْ سُورَةِ القَدْرِ إِلَى آخِرِ القُرْآنِ مَكِّيَّةٌ إِلا ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾، و﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ فإنَّهنَّ مَدنيَّاتٌ).

٣: مَا أخرجَهُ ابنُ مَردويه عَن عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ قالَ: (أُنْزِلَ بالمَدِينَةِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾) ذكرَهُ السيوطيُّ في الدرِّ المنثورِ.

وَصحَّحَ ابنُ الجوزيِّ أَنَّهُمَا مدنيَّتَانِ لنزولِهِمَا بسبب حادِثَةِ سَحْرِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّمَ، وَسَيَأْتِي بَيَانُ مَا فِيهِ بإِذْنِ اللهِ تَعَالَى.

وَفصْلُ الخطَاب فِي هَذِهِ المسأَلَةِ مَا دَلَّ عَلَيهِ حَديثُ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ الجهَنِيِّ وَحَدِيثُ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَهُمَا حَدِيثَانِ صَحِيحَانِ.

قَالَ الإمامُ مُسْلِمٌ: (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ بَيَانٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِى حَازِمٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾».

وَحَدَّثَنِى مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِى حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ عَنْ قَيْسٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ لِى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ: «أُنْزِلَ - أَوْ أُنْزِلَتْ - عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ المُعَوِّذَتَيْنِ»). [صَحِيحُ مُسْلِمٍ: ١٩٢٨، ١٩٢٧]

وَالمرْفُوعُ مِنْهُ رَوَاهُ باللَّفْظِ الأَوَّلِ النَّسَائِيُّ وَالطَّبَرَانِيُّ وَالبيهَقِيُّ وَغيرُهُم مِن طُرُقٍ عَن جَريرِ بنِ عَبْدِ الحَمِيدِ بِهِ.

وَرَوَاهُ باللَّفْظِ الثَّانِي عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَالدَّارِميُّ وَأَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُم مِن طُرُقٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بنِ أَبي خَالِدٍ بِهِ.

وَرَاوِي الحديثِ عُقْبَةُ بنُ عَامِرٍ الجُهَنِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِمَّنْ أَسْلَمَ بَعْدَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى المدِينَةِ، وَكَانَ مِن أَهْلِ الصُّفَّةِ.

وَقَوْلُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «أُنزلَتِ الليلَةَ» يَدُلُّ عَلَى حَدَاثَةِ نُزُولِهَا عِندَ التَّحدِيثِ.
وَقَولُ عُقْبَةَ: (قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ) - فِيمَا انفرَدَ بهِ مُسْلِمٌ- يَنفِي احتمالَ مُرْسَلِ الصَّحَابيِّ.
وَقَوْلُهُ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قطُّ» ينفِي احتمَالَ تَكَرُّرِ النُّزُول.
وَفِي رِوَايَةٍ عِندَ عبدِ الرَّزَّاقِ وَغَيرِهِ بِإسْنَادٍ صَحِيحٍ: «لَمْ يُسْمَعْ مِثْلُهُنَّ»

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ فقدْ رَوَاهُ التِّرمِذيُّ وَابنُ ماجَه وَالنَّسائِيُّ مِن طرقٍ عَن سَعِيدِ بن إِيَاسٍ الجُرَيرِيِّ عَن أَبِي نَضْرَةَ العَبْدِيِّ عَنْ أَبي سَعِيدٍ الخدرِيِّ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتعوَّذُ مِنَ الجَانِّ وَعَيْنِ الإنسَانِ حَتَّى نَزَلَتِ المُعَوِّذَتَان فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا.
هَذَا لَفْظُ الترمذيِّ، وَلَفْظُ النَّسَائِيِّ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ عينِ الإنسَانِ وعَينِ الجَانِّ حتَّى نَزَلَتِ المعوِّذَتَانِ فلَمَّا نَزَلَتا أَخَذَ بهِنَّ وتَرَكَ مَا سِوَاهُنَّ.
الجُرَيرِيُّ وَأَبو نَضْرَةَ مِن رِجَال الصَّحِيحَينِ، وَالحديثُ صَحَّحَهُ الالبَانِيُّ فِي مَواضِعَ مِن كُتُبهِ.
وَأَبو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ رَضِيَ اللهُ عنهُ مِن طَبَقَةِ صِغَارِ الأَنصَارِ مِن لِدَاتِ عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ وَأَنسِ بنِ مَالِكٍ، قَدِمَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ المدِينَةَ وَهُوَ غُلامٌ.
فَالصَّحِيحُ أَنَّهُمَا مَدَنِيَّتَانِ، وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ).

أقوال العلماء في نزول المعوذات

قَالَ أَبو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَزْمٍ الأَنْدَلُسِيُّ (ت: ٣٢٠ هـ): (سورَةُ الإِخْلَاصِ، الفَلَقِ، النَّاسِ.
اخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ فِي تَنْزِيلِهِنَّ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ مَدَنِيَّاتٌ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ: هُن مَكِّيَّاتٌ). [الناسخ والمنسوخ لابن حزم: ٦٨] (م)

قَالَ مَكِّيُّ بْنُ أَبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (بَابُ مَا بَقِيَ مِنَ الاخْتِلَافِ بعِلَلِهِ مِنَ العَصْرِ إِلَى آخِرِ القُرْآنِ.
وَهُوَ مَكِّيٌّ كُلُّهُ إلاَّ المُعَوِّذَتَيْنِ وَالنَّصْرَ فَإِنَّهُنَّ مَدَنِيَّاتُ، وَاخْتُلِفَ فِي ﴿تَبَّتْ﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾، فَقِيلَ مَدَنِيَّتَانِ، وَقِيلَ مَكِّيَّتَانِ). [الكشف:٣٨٨]

قَالَ مَكِّيُّ بْنُ أَبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (وَهُنَّ مَدَنِيَّاتٌ). [التبصرة:٣٩٢]

قَالَ أَبُو الفرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (وفيها قولان:
أحدُهما: مَدَنِيَّةٌ، رواهُ أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ قَتادةُ في آخَرِينَ.
والثاني: مَكيَّةٌ، رواهُ كُرَيبٌ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ الحسَنُ وعَطاءٌ وعِكرِمةُ وجابرٌ.
والأَوَّلُ أَصَحُّ، ويَدُلُّ عليهِ أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ سُحِرَ وهوَ معَ عائشة، فنَزَلَتْ عليهِ المُعَوِّذَتَانِ). [زاد المسير: ٩/٢٧٠]

قالَ علمُ الدِّينِ عليُّ بنُ محمَّدٍ السَّخاوِيُّ (ت:٦٤٣هـ): (والفلقُ والنَّاسُ منَ المدَنِيِّ، وقيلَ منَ المكِّيِّ). [جمال القراء:١/١٥٢]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ): (أقولُ: هاتانِ السورتانِ نَزَلَتَا معًا، كما في الدلائلِ للبَيْهَقِيِّ). [تناسق الدرر:١٨٨]

قَالَ زَكَرِيَّا بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٩٢٦هـ): (سُورَةُ الإِخْلاصِ هِيَ واللَّتَانِ بَعْدَهَا مَكِّيَّاتٌ أَوْ مَدَنِيَّات) [المقصد:١١٥]

قال محمدُ عبدُ الرحمنِ بنِ عبدِ الرحيمِ المُبَارَكْفُوري (ت: ١٣٥٣هـ): (وهما مَدَنِيَّتَانِ، وقيلَ: مَكِّيَّتَانِ). [تحفة الأحوذي: ٩/٢٤٤]

سبب نزول المعوذتين

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وقالَ الوَاحِدِيُّ: قالَ المُفَسِّرُونَ: (إنها نَزلتْ بسَبَبِ أنَّ لَبيدَ بنَ الأَعْصَمِ سحَرَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ)، وليسَ في الصِّحَاحِ أنها نَزلَتْ بهذا السَّبَب، وبَنَى صاحبُ الإتقانِ عليه تَرجيحَ أنَّ السُّورَةَ مَدَنِيَّةٌ، وسنتكلَّمُ على قِصَّةِ لَبيدِ بنِ الأَعْصَمِ عندَ قولِه تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ ﴾). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٤]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وقالَ في (الإتقانِ): إنَّ سببَ نُزولِها قِصَّةُ سِحْرِ لَبيدِ بنِ الأَعْصَمِ، وأنها نَزلتْ مع (سُورةِ الفَلَقِ) وقد سَبَقَه على ذلك القُرْطُبيُّ والواحِدِيُّ، وقد عَلِمْتَ تَزييفَه في سُورَةِ الفَلَقِ) [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣١]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنُ أَبِي زَمَنِينَ (ت: ٣٩٩هـ): (نَزَلَتْ هِيَ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ ﴾ مُعَوِّذَتَيْنِ للنَّبِيِّ حِينَ سَحَرَتْهُ اليَهُودُ). [تفسير القرآن العزيز: ٥/١٧٥]

دراسة أحاديث ذات صلة بسبب نزول المعوذتين

حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيُّ (ت:٢٥٦هـ): (حَدَّثَنَا إِبْراهِيمُ بْنُ مُوسَى أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا قالَتْ: سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّمَ رَجُلٌ مِنْ بَنِى زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَبيدُ بنُ الأَعْصَمِ، حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّمَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّىْءَ وَمَا فَعلَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ عِنْدِي لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: « يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِى فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، أَتَانِى رَجُلاَنِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: مَطْبُوبٌ.

قَالَ مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ. قَالَ: فِي أَيِّ شَىْءٍ؟ قَالَ: فِى مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ.

قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ ».

فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِى نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَجَاءَ فَقَالَ: « يَا عَائِشَةُ كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، أَوْ كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ أَسْتَخْرِجُهُ.

قَالَ: « قَدْ عَافَانِى اللَّهُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا »

فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ.

تَابَعَهُ أَبُو أُسَامَةَ وَأَبُو ضَمْرَةَ وَابْنُ أَبِى الزِّنَادِ عَنْ هِشَامٍ.

وَقَالَ اللَّيْثُ وَابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ هِشَامٍ فِى مُشْطٍ وَمُشَاقَةٍ. يُقَالُ الْمُشَاطَةُ مَا يَخْرُجُ مِنَ الشَّعَرِ إِذَا مُشِطَ، وَالْمُشَاقَةُ مِنْ مُشَاقَةِ الكَتَّانِ). [صحيح البخاري:]

قلت: (حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة في قصة سحر النبي صلى الله عليه وسلم رواه الشافعي والحميدي وابن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل والبخاري ومسلم وابن ماجه والنسائي والطحاوي وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي والواحدي والبغوي، وليس فيه عند جميعهم ذكر نزول المعوذتين.

وروى اللالكائي في شرح السنة وأبو القاسم الأصبهاني في كتاب الحجة في بيان المحجة كلاهما من طريق أحمد بن إبراهيم العبسقي عن محمد بن إبراهيم بن عبد الله عن أبي عبيد الله المخزومي عن سفيان بن عيينة عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة فذكر الحديث بنحو رواية الجماعة وزاد في آخره: (قالت: ونزلت ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ②﴾ حتى ختم السورة).

وذكر ابن حجر في التلخيص أن هذه الزيادة في تفسير سفيان بن عيينة رواية أبي عبيد الله عنه، وهي الرواية التي أخرجها اللالكائي وأبو القاسم الأصبهاني.

والذي يظهر لي أن هذه الزيادة مُعلّة لأمور:

أولها: التفرد عن الأئمة الثقات الحفاظ وهم جمع كثير ومخرج الحديث واحد؛ فقد روى هذا الحديث عن هشامِ بنِ عروةَ: أبو أسامة الحافظ، وعبدُ اللهِ بن نمير، وعيسى بن يونس، وابن أبي الزناد، والليث بن سعد، وأبو ضمرة أنس بن عياض، ومعمر بن راشد، ويحيى القطان، ووهيب بن خالد، وعلي بن مسهر، ولم يذكروا فيه المعوذتين.

الأمر الثاني: أن الشافعي والحميدي وعبد الله بن محمد المسندي قد رووا هذا الحديث عن سفيان بن عيينة عن هشام به، وليس فيه هذه الزيادة، ورواية المسندي أخرجها البخاري في صحيحه، ورواية الحميدي في مسنده، ورواية الشافعي أخرجها البيهقي.

الأمر الثالث: أن ابن عيينة أول ما سمع هذا الحديث من عبد الملك بن جريج عن بعض آل عروة ثم سمعه من هشام، كما ذكر ذلك الحميدي في مسنده، وابن جريج كثير التدليس؛ فجائز أن تكون تلك الزيادة مما دخل عليه

من حديث بعض آل عروة ولا نعرف حالهم، وجائز أن تكون عن بعض من قد يدلس عنهم ابن جريج، وجائز أن تكون مدرجة من بعضهم ثم أسندت خطأ، هذا إذا صحت نسبتها إلى سفيان ولم تكن مما أدرج من أحد رواة تفسيره.

الأمر الرابع: أن هذه الزيادة فيها نزول سورة الفلق مفردة، فخالفت ما صح من نزولهما جميعًا.

الأمر الخامس: أن ظاهر أحاديث عقبة بن عامر تدل على أن المعوذتين نزلتا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حال صحة وسفر، والله تعالى أعلم).

■ حديث العرزمي عن أبي بكر بن محمد عن عمرة عن عائشة

قَالَ أحمدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ عليٍّ البَيْهَقيُّ (ت: ٤٥٨ هـ): (أخبرنا أبو الحسينِ عليُّ بنُ محمدٍ المقرئُ قالَ: أخبرَنَا الحسَنُ بنُ محمَّدِ بنِ إسحاقَ قالَ: حدَّثَنا يوسُفُ بنُ يعقُوبَ قالَ: حدَّثَنا سَلَمَةُ بنُ حَيَّانَ قالَ: حدَّثَنا يزيدُ بنُ هارونَ قالَ: أخبَرَنَا مُحَمَّدُ بنُ عُبَيدِ اللهِ، عَنْ أبي بكرِ بنِ محمَّدٍ، عَنْ عَمْرَةَ، عنْ عَائِشَةَ، قالَت: كَانَ لِرسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدِمُهُ، يُقَالُ لَهُ: لَبيدُ بْنُ أَعْصَمَ وكان تعجبه خدمته فَلَمْ تَزَلْ بهِ يَهُودُ حَتَّى سَحَرَ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكَانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذُوبُ ولا يَدْرِي مَا وَجَعُهُ.

فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ نَائِمٌ إِذْ أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ والآخرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِهِ للذي عِنْدَ رِجْلَيْهِ: مَا وَجَعُهُ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبيدُ بْنُ أَعْصَمَ. قَالَ: بِمَ طَبَّهُ؟ قَالَ: بمُشْطٍ ومُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ بذِي أَرْوَانَ، وَهِيَ تَحْتَ رَاعُوفَةِ البِئْرِ.

فاستيقظَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، فدَعَا عائشَةَ؛ فقالَ: «يا عائشةُ أشَعَرتِ أنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ قدْ أنبأني بوجَعِي»؟

فَلَمَّا أَصْبَحَ غدَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغَدَا مَعَهُ أَصْحَابُهُ إِلَى البِئْرِ، فإذَا ماؤُهَا كأَنَّهُ نقوعُ الحِنَّاءِ، وإذَا نخلُهَا الَّذِي يشْرَبُ مِنْ مَائِهَا قدِ التوَى سَعَفُهُ كأَنَّهُ رُؤوسُ الشَّيَاطِينِ.

قالَ: فَنَزَلَ رَجُلٌ فَاسْتَخْرَجَ جُفَّ طَلْعَةٍ مِنْ تَحْتِ الرَّاعُوفَةِ، فَإِذَا فِيهَا مُشْطُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وَمِنْ مُرَاطَةِ رَأْسِهِ، وإذا تِمْثَالٌ مِنْ شَمْعٍ تِمْثَالُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا فيها إِبَرٌ مَغْرُوزَةٌ، وَإِذَا وَتَرٌ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليهِ السلامُ بالمُعَوِّذَتَيْنِ. فقالَ: يا مُحَمَّدُ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، وَحَلَّ عُقْدَةً ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ وَحَلَّ عُقْدَةً. حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، [ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ وَحَلَّ عُقْدَةً، حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا]، وَحَلَّ العُقَدَ كُلَّهَا.

وَجَعَلَ لا يَنْزِعُ إِبْرَةً إلاَّ وجدَ لها أَلَمًا، ثُمَّ يجدُ بَعْدَ ذلكَ رَاحَةً، فقيلَ: يا رسولَ اللهِ، لَوْ قَتَلْتَ اليَهُودِيَّ؟ فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: «قَدْ عَافَانِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا وَرَاءَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ أَشَدُّ».

قالَ: فَأَخْرَجَهُ.

قدْ رُوِّينَا فِي هذا عن الكَلْبيِّ، عن أبي صالحٍ، عن ابنِ عَبَّاسٍ ببَعْضِ معناهُ وَرُوِّيناهُ في الحديثِ الصحيحِ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ، عن أَبيهِ، عنْ عَائِشَةَ في أبوابِ دَعَوَاتِهِ دونَ ذِكْرِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ). [دلائل النبوة: ٧/ ٩٤]

قلتُ: (هذا الحديثُ رواهُ البيهقيُّ فِي الدَّلائلِ وابنُ مردويه كمَا فِي الدرِّ المنثورِ للسيوطيِّ، وفِي إسنادِهِ مُحَمَّدُ بنُ عُبَيدِ اللهِ العَرْزَمِيُّ، وهو متروكُ الحديثِ، وفِي حَدِيثِهِ هذا زياداتٌ مُنكَرَةٌ، وَضعَّفه الألبانيُّ جدًّا.

قالَ ابنُ المبارَكِ: العَرْزَمِيُّ مَتروك، وَقالَ ابنُ معينٍ: ليسَ بشيءٍ، وَقالَ النَّسائِيُّ: ليسَ بثقةٍ، وَقالَ وَكِيعٌ: كانَ العَرْزَمِيُّ رَجُلاً صَالِحًا ذَهَبَتْ كُتُبُهُ فَكَانَ يُحدِّثُ حِفْظًا فَمِن ذلكَ أَتَى بالمناكِيرِ).

■ حديث زيد بن أرقم

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنبلٍ الشَّيبَانِيُّ (ت:٢٤١هـ): (حَدَّثنا أَبو مُعَاوِيَةَ حَدَّثنا الأَعمشُ عَن يَزِيدَ بنِ حَيَّانَ عَن زيدِ بنِ أَرقمَ قالَ: سَحَرَ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّمَ رجلٌ مِنَ اليهودِ.

قالَ: فَاشْتَكَى لِذَلِكَ أيامًا.

قالَ: فَجاءَهُ جِبريلُ عَليهِ السَّلامُ؛ فقالَ: إنَّ رَجُلاً مِنَ اليهودِ سَحَرَكَ عَقَدَ لَكَ عُقَدًا عُقَدًا فِى بئرِ كَذا وَكذا فَأَرسِلْ إِلَيْهَا مَنْ يَجيءُ بهَا؛ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا فَاسْتَخْرَجَهَا فَجَاءَ بهَا فَحَلَّلَهَا.

قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ فَمَا ذَكَرَ لِذَلِكَ اليَهُودِىِّ وَلاَ رَآهُ فِى وَجْهِهِ قَطُّ حَتَّى مَاتَ). [مسند الإمام أحمد:٣٢/١٤]

قالَ عَبْدُ بنُ حُمَيْدٍ الكِسِّيُّ (ت:٢٤٩هـ): (حدَّثَنِي أَحْمَدُ بنُ يونسَ، ثنَا أبو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأعمشِ، عَن يزيدَ بنِ حَيَّانَ، عَن زيدِ بنِ أرقمَ، قالَ: سَحرَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنَ اليهودِ.

قَالَ: فاشتكَى فأَتَاه جبريلُ فنزلَ عَلَيهِ بالمعوِّذَتينِ، وَقالَ: (إِنَّ رَجُلاً مِنَ اليَهُودِ سَحَرَكَ، وَالسِّحْرُ فِي بئرِ فُلان).

قال: فَأَرْسَلَ عَلِيًّا فَجاءَ بِهِ.

قال: فَأَمَرَهُ أَن يَحلَّ العُقَدَ، وَتُقْرَأَ آيةٌ، فَجعَلَ يَقرَأُ وَيَحلُّ حَتَّى قَامَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّمَ كَأَنَّمَا أُنشِطَ مِن عِقَالٍ.

قالَ: فَمَا ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ لِذَلِكَ اليهوديِّ شَيْئًا مِمَّا صَنَعَ بِهِ؟

قالَ: وَلا أَرَاهُ فِي وَجْهِهِ). [مسند عبد بن حميد:١/١١٦]

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حدَّثنا مُحَمَّدُ بنُ إِسحَاقَ بنِ رَاهويه ثنا أَبي ح وَحدَّثنا مُحَمَّدُ بنُ عثمانَ بنِ أبي شَيبةَ ثنَا أبي ح وَحدَّثنا الحسينُ بنُ إِسحاقَ التُّسْتَرِيُّ ثنَا عثمان بنُ أبي شَيبةَ ح وَحدَّثنا أبو خَلِيفةَ ثنَا عليُّ بنُ المدينيِّ قالوا ثنَا جَريرٌ عَنِ الأَعمشِ عَن ثمامَةَ بنِ عُقبةَ عَن زيدِ بنِ أَرقمَ قالَ: كَانَ رَجُلٌ يَدخلُ علَى النبيِّ صلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ فَعَقَدَ لَهُ عُقَدًا فَوَضَعَهُ فِي بئرِ رَجُلٍ مِنَ الأَنصارِ؛ فَأَتَاهُ مَلَكَانِ يَعُودَانِهِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِندَ رَأسِهِ وَالآخَرُ عِندَ رِجْلَيهِ؛ فقالَ أَحدُهمَا: أَتدرِي ما وَجَعُهُ؟

قالَ: فُلانٌ الَّذِي يَدخلُ عَليهِ عَقَدَ لَهُ عُقَدًا فَألقَاهُ فِي بئرِ فُلانٍ الأَنصَارِيِّ فَلَوْ أُرسِلَ رَجُلٌ وَأَخذَ العُقَدَ لَوَجَدَ الماءَ قَدِ اصْفَرَّ.

قالَ: فبَعَثَ رَجُلاً فأخَذ العُقَدَ فحلَّها فبرأَ.

وَكانَ الرَّجُلُ بعدَ ذلكَ يَدخلُ عَلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّمَ؛ فلَم يَذكُرْ لهُ شيئًا مِنهُ، وَلَمْ يُعَاتِبْهُ عَلَيهِ السَّلامُ). [المعجم الكبير: ٥٠١١]

قلت: (حديثُ زيدِ بنِ أرقم رُوِيَ من طرق مدارها على الأعمش:

الطريقُ الأوَّل: طريق جرير عن الأعمش عن ثمامة بن عقبة عن زيد بن أرقم، وقد أخرجه الطبراني في معجمه الكبير من طريق إسحاق بن راهويه وعثمان بن أبي شيبة وعلي بن المديني ثلاثتهم عن جرير به، وأخرجه الحاكم في مستدركه من طريق أحمد بن حنبل عن جرير به، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وليس فيه ذكر نزول المعوذتين، وهو أقرب إلى رواية هشام بن عروة.

الطريق الثاني: طريق شيبان عن الأعمش عن ثمامة عن زيد بن أرقم بمثل رواية جرير أخرجه الطبراني في الكبير.

الطريق الثالث: طريق سفيان الثوري عن الأعمش عن ثمامة عن زيد بن أرقم أخرجه ابن سعد في الطبقات، والبزار في مسنده، وفي إسناده عندهما موسى بن مسعود وهو أبو حذيفة النهدي، وليس فيه ذكر نزول المعوذتين.

الطريق الرابع: طريق أبي معاوية عن الأعمش عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم، واختلف فيه فرواه ابن أبي شيبة وأحمد والنسائي والطبراني وأبو الشيخ الأصبهاني والبغوي من طرق عن أبي معاوية عن الأعمش به، وليس فيه ذكر نزول المعوذتين.

ورواه عبد بن حميد والطحاوي في مشكل الآثار كلاهما من طريق أحمد بن يونس عن أبي معاوية عن الأعمش عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم وذكر فيه نزول المعوذتين.

فهذه الزيادة تفرد بها أحمد بن يونس وهو إمام ثقة قال عنه أحمد بن حنبل: شيخ الإسلام، لكنه خولف في هذه الزيادة فقد روى الحديث عن أبي معاوية أحمد وابن أبي شيبة وهناد بن السري دون ذكر هذه الزيادة.

فمن صحح روايته ذهب إلى القول بموجبها واعتبرها من باب زيادة الثقة كما فعل الألباني، ومن اعتبرها مخالفة حكم عليها بالشذوذ لمخالفة أحمد بن يونس بقية الرواة عن أبي معاوية ثم مخالفة هذه الزيادة لطرق الحديث الأخرى.

والحديث إسناده صحيح وقد صححه الحافظ العراقي والألباني وقال: هو على شرط مسلم، وصحح إسناد هذه الزيادة).

حديث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس

قَالَ أحمدُ بنُ الحسينِ بنِ عليٍّ البَيْهَقِيُّ (ت: ٤٥٨ هـ): (أخبرنا أبو عبدِ اللهِ الحافظُ، وأبو سعيدِ بنُ أبي عَمْرو، قالا: حدَّثنا أبو العباسِ مُحَمَّدُ بنُ يعقوبَ، حدَّثنا يَحْيَى بنُ أبي طَالِبٍ، أنبأنا عبدُ الوَهَّابِ بنُ عَطاءٍ، أنبأنا مُحَمَّدُ بنُ السَّائِبِ، عَن أبي صالحٍ، عَنِ ابنِ عبَّاسٍ، قالَ: مَرِضَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مَرَضًا شَدِيدًا فأتَاه ملكانِ فقَعَدَا أحدُهُما عندَ رَأْسِهِ والآخَرُ عِندَ رِجْلَيهِ، فقالَ الَّذِي عندَ رِجليهِ للَّذِي عندَ رَأْسِهِ: مَا تَرى؟ قال: طُبَّ، قالَ: وَمَا طَبُّهُ؟ قالَ: سِحْرٌ، قالَ: وَمَا سِحَرُهُ؟ قالَ: لَبيدُ بنُ أَعْصَمَ اليهودِيُّ، قالَ: أَينَ هُوَ؟ قالَ: فِي بئرِ آلِ فُلان تَحْتَ صَخْرَةٍ فِي رَكِيَّةٍ فَأْتُوا الرَّكِيَّ فانزَحُوا ماءَهَا وارفعُوا الصَّخْرَةَ ثُمَّ خُذُوا الكُرْبَةَ فاحرِقُوهَا؛ فلمَّا أَصبحَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ عَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ فِي نَفَرٍ فَأَتَوُا الرَّكِيَّ فإذَا مَاؤُهَا مِثْلُ ماءِ الحِنَّاءِ فَنَزَحُوا الماءَ ثُمَّ رَفَعُوا الصَّخْرَةَ وَأَخرَجُوا الكُرْبَةَ فَأَحْرَقُوهَا فَإذَا فِيهَا وَتَرٌ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً فَأُنزِلَتْ عَلَيْهِ هَاتَانِ السُّورَتَانِ؛ فَجعَلَ كُلَّمَا قَرَأَ آيةً انْحلَّتْ عُقْدَةٌ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)﴾). الاعتمادُ عَلَى الحَدِيثِ الأَوَّلِ). [دلائل النبوة: جماع أبواب دعوات نبينا صلى الله عليه وسلم]

- **قلتُ**: (قولُ البَيْهَقِيِّ: (الاعتمادُ عَلَى الحَدِيثِ الأَوَّلِ) يُرِيدُ بِهِ حَدِيثَ هِشَامِ بنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا).

حديث عكرمة عن ابن عباس

قالَ جَلاَلُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخرَجَ ابْنُ مَرْدُوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ عِكْرِمَةَ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ لَبيدَ بْنَ الأَعْصَمِ اليهوديَّ سَحَرَ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَعَلَ فِيهِ تِمْثَالاً فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فَأَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ وَجَعٌ شَدِيدٌ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ومِيكَائِيلُ يَعُودَانِهِ، فَقَالَ ميكائيلُ: يَا جِبْرِيلُ، إِنَّ صَاحِبَكَ شَاكٍ؟ قَالَ: أَجَلْ. قَالَ: أَصَابَهُ لَبيدُ بْنُ الأعصمِ اليَهُودِيُّ، وَهُوَ فِي بِئْرِ مَيْمُونٍ فِي كَرِبَةٍ تَحْتَ صخرةٍ فِي المَاءِ.

قَالَ: فَمَا دَوَاءُ ذَلِكَ؟ قَالَ: تُنْزَحُ البِئْرُ، ثُمَّ تُقْلَبُ الصخرةُ فَتُؤْخَذُ الكَرِبَةُ فِيهَا تِمثَالٌ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فتُحْرَقُ، فَإِنَّهُ يَبْرأُ بإذنِ اللَّهِ. فَأَرْسَلَ إِلَى رَهْطٍ فِيهِمْ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَنَزَحَ المَاءَ فَوَجَدُوهُ قَدْ صَارَ كَأَنَّهُ مَاءُ الحِنَّاءِ، ثُمَّ قُلِبَتِ الصخرةُ فإذَا كَرِبَةٌ فِيهَا تِمثالٌ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾: الصُّبْحِ. فَانْحلَّتْ عُقْدَةٌ ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)﴾: مِن الجِنِّ وَالإِنْسِ. فَانْحلَّتْ عقدةٌ، ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣)﴾: اللَّيْلِ وَمَا يَجيءُ بهِ النَّهارُ، ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤)﴾ السَّحَّارَاتِ المُؤْذِيَاتِ فَانْحلَّتْ عُقدةٌ، ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)﴾). [الدر المنثور: ١٥/٧٩٤- ٧٩٥]

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه

قالَ جلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وأَخْرَجَ أبو نُعَيْمٍ في الدَّلائِلِ مِن طَرِيقِ أَبي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ، عن الرَّبيعِ بنِ أَنَسٍ، عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: صَنَعَتِ اليَهُودُ لرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ شَيْئًا، فأَصَابَهُ مِن ذَلِكَ وَجَعٌ شَدِيدٌ، فدَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُه، فظَنُّوا أَنَّه لما به، فأَتَاهُ جِبْرِيلُ بالمُعَوِّذَتَيْنِ، فعَوَّذَهُ بهِمَا، فخَرَجَ إلى أَصْحَابه صَحِيحًا). [لباب النقول: ٢٧٠]

قلتُ: (لَمْ أجِدْهُ فيمَا طُبعَ مِن دَلائلِ النبوةِ لأبي نُعيمٍ وَلا أَعْرِفُ الإسنادَ إِلَى أَبي جَعْفَر الرَّازيِّ، وَعَلَى ذلك فَأبو جَعفر الرازيُّ لا يحتملُ تفرُّدُهُ بمثلِ هذَا الأمرِ لِسوءِ حفظهِ، وَاسمُه: عِيسَى بنُ عبدِ اللهِ بنِ ماهَانَ، قالَ عنهُ الحافظُ فِي التَّقريب: (صَدُوقٌ سيءُ الحفظِ)، وَقد طعَن عددٌ مِنَ الأئِمَّةِ الحفَّاظِ فِي حفظِه كالإمَامِ أحمدِ وَابنِ مَعينٍ فِي أحدِ قَوْلَيهِمَا فِيهِ، وَالنسَائِي وابنِ خِراشٍ وَالسَّاجِي وَعمرِو بنِ عليٍ وَابنِ حِبَّانَ وَالعِجْلِيِّ، وَجَرْحُهُم فِيهِ مُفسَّرٌ، فَيُقَدَّمُ عَلَى تَوثِيقِ مَن وَثَّقَهُ مِنَ الأئِمَّةِ).

أقوال المفسرين

قَالَ عَبْدُ الخَالِقِ بْنُ الحَسَنِ ابنُ أَبي رُوبَا (ت:٣٥٦ هـ): حدَّثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ ثابتٍ الثَّورِيُّ عن أبيه عن الهُذَيْلِ بنِ حَبيبٍ عنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ البلخيِّ (ت:١٥٠هـ): (وذلك أنَّ لَبيدَ بْنَ عاصِمِ بْنِ مالِكٍ، ويُقالُ: ابْنُ أَعْصَمَ اليَهودِيَّ، سَحَرَ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً في وتَرٍ، فجَعَلَهُ في بِئْرٍ لَها سَبْعُ موانِي في جُفِّ طَلْعَةٍ كانَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَنِدُ إِلَيْها فدَبَّ فِيهِ السِّحْرُ، واشْتَدَّ عَلَيْهِ ثَلاثَ لَيالٍ، حَتَّى مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا، وجَزِعَتِ النِّساءُ، فنَزَلَتِ المُعَوِّذَاتُ، فبَيْنَما رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نائِمٌ إِذْ رَأَى كَأَنَّ ملكَيْنِ قَدْ أَتَيَاهُ، فقَعَدَ أحَدُهُما عِنْدَ رَأْسِهِ، والآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ أحَدُهُما لِصاحِبِهِ: ما شَكْواهُ؟ قَالَ: أصابَهُ طِبٌّ - يَقُولُ: سِحْرٌ- قَالَ: فمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبيدُ بْنُ أَعْصَمَ اليَهودِيُّ، قَالَ: فِي أيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: تُنْزَفُ البِئْرُ، ثُمَّ يُخْرَجُ قِشْرُ الطَّلْعَةِ فيَحْرِقُهُ، ثُمَّ يَحُلُّ العُقَدَ، كُلَّ عُقْدَةٍ بآيَةٍ مِنَ المُعَوِّذَتَيْنِ، فذلك شِفاؤُهُ، فلَمَّا اسْتَيْقَظَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَّهَ عَلِيَّ بْنَ أبي طالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ إِلَى البِئْرِ، فاسْتَخْرَجَ السِّحْرَ وجاءَ بِهِ، فَأَحْرَقَ ذلكَ القِشْرَ، ويُقالُ: إِنَّ جِبْرِيلَ أَخْبَرَ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمَكانِ السِّحْرِ، وقالَ جِبْرِيلُ لِلنَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حُلَّ عُقْدَةً واقْرَأْ آيَةً. ففَعَلَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك، فجَعَلَ يَذْهَبُ عَنْهُ ما كانَ يَجِدُ حَتَّى بَرَأَ وانْتَشَرَ لِلنِّساءِ). [تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٧/٣]

قالَ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ الفَرَّاءُ: (ت: ٢٠٧هـ): (وكان النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ قدِ اشتَكَى شَكْوًا شَديدًا، فكانَ يَومًا بينَ النائمِ واليَقظانِ، فأَتاهُ ملَكانِ فقالَ أحَدُهما: ما عِلَّتُه؟ فقالَ الآخَرُ: به طبٌّ في بئرٍ تحتَ صَخرةٍ فيها. فانتبَهَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ فبَعَثَ عمارَ بنَ ياسرٍ في نفرٍ إلى البئرِ، فاستخرَجَ السِّحْرَ، وكانَ وَتَرًا فيه إحدى عَشْرَةَ عُقدَةً، فجَعَلوا كلَّما حَلُّوا عُقدةً وَجَدَ راحةً حتى حُلَّتِ العُقَدُ، فكأنه أُنْشِطَ مِن عِقالٍ، وأُمِرَ أنْ يَتعوَّذَ

بهاتينِ السورَتَيْنِ، وهما إحدى عَشْرَةَ آيةً على عَدَدِ العُقَدِ. وكان الذي سَحَرَه لَبيدُ بنُ أعصَمَ). [معاني القرآن: ٣٠١/٣]

قالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ (ت: ٢٨٣هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ مِنَ الإِنْسِ وَالجِنِّ، وذَلِكَ أَنَّ لَبيدَ بْنَ أَعْصَمَ اليَهُودِيَّ سَحَرَ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ في بئْرِ بَنِي بَيَاضَةَ، وكَانَ يَستَندُ إِلَيْهَا فَاستندَ إِلَيْهَا فدبَّ فِيهِ السِّحْر، فاشْتَدَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى المُعَوِّذَتَيْنِ، وأَخْبَرَهُ جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ السَّلامُ – بالسِّحْرِ، وأَخْرَجَ إِلَيْهَا رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ فأَخْرَجَاهُ مِنَ البِئْرِ، وجَاءَا بِهِ إِلَى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فجَعَلَ يَحُلُّ عُقْدَةً ويَقْرَأُ آيَةً، حَتَّى بَرِئَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ بَعْدَمَا خَتَمَ السُّورَتَيْنِ بلا مُهْلَةٍ، فكَانَ لَبيدٌ بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي إِلَى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فمَا رَأَى فِي وَجْهِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، ولَا ذَاكَرَهُ ذَلِكَ). [تفسير التستري: ٢١٠]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (وَأَصْلُ ذَلِكَ أَنَّ بَنَاتِ لَبِيدِ بْنِ أَعْصَمَ سَحَرْنَ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلْنَ السِّحْرَ فِي جُفِّ طَلْعَةٍ (أَيْ: في قِشْرِهَا) تَحْتَ رَاعُوفَةِ بِئْرٍ، وكَانَ السِّحْرُ وَتَرًا فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ النَّائِمِ واليَقْظَانِ إِذْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ. فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِهِ لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلَيْهِ: مَا بِهِ؟ قَالَ: بِهِ طِبٌّ - وَالعَرَبُ تُسَمِّي السِّحْرَ طِبًّا - قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: بَنَاتُ لَبِيدِ بْنِ أَعْصَمَ. قَالَ: وَأَيْنَ طِبُّهُ؟ قَالَ: فِي جُفِّ طَلْعَةٍ تَحْتَ رَاعُوفَةِ بِئْرِ بَنِي فُلَانٍ. فَانْتَبَهَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ فَبَعَثَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَمَّارًا فَاسْتَخْرَجَا السِّحْرَ، فَجَعَلَا كُلَّمَا حَلَّا عُقْدَةً وَتَلَوا آيَةً مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾ وهُمَا إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً عَلَى عَدَدِ العُقَدِ، وَجَدَ رَسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ خِفَّةً؛ فَلَمَّا حُلَّتِ العُقَدُ وَتُلِيَتِ السُّورَتَانِ قَامَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّهُ أُنْشِطُ مِنْ عِقَالٍ، وَأَمَرَ أَنْ يُتَعَوَّذَ بِهِمَا، وَكَانَ يُعَوِّذُ بِهِمَا الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٥- ٢٣٦]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (ورُوِيَ في خبرٍ آخرَ أنَّ لَبيدَ بنَ أعصَمَ اتَّخَذَ لُعبةً للنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وأخَذَ مِن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها فأفْحَلَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فجَعَلَ في اللُّعْبَةِ إِحْدَى عَشَرَ عُقدةً، ثم ألقَاها في بئْرٍ، والقَى فوْقَها صَخرةً، فاشتَكَى مِن ذلك رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ شَكْوًا شَديدًا، فصارَتْ أعضاؤُه مثلَ العُقَدِ، فبَيْنَما رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بينَ النائمِ واليَقظانِ إذ أتاهُ مَلَكَانِ: أحَدُهما جلَسَ عندَ رأْسِه، والآخَرُ عندَ قَدَمَيْهِ، فالذي عندَ قَدَمَيْه يقولُ للذي عندَ رأْسِه: ما شَكْواهُ؟ قالَ: السِّحْرُ. قالَ: مَن فَعَلَ به؟ قالَ: لَبيدُ بنُ أعصَمَ اليَهوديُّ. قالَ: فأينَ صَنَعَ السِّحْرَ؟ قالَ: في بئْرِ كذا. قالَ: ماذا رأوه يَبْعَثُ إلى تلك البئْرِ فنَزَحَ ماءَها فإنه انتَهى إلى الصخرةِ، فإذا رآها فلْيَقْلَعْها؛ فإنَّ تحتَها كُؤْبَةً، وهي كُؤْبَةٌ قد سقطَتْ عُنُقُها، وفيه إحدى عشْرةَ عُقْدَةً، فيُحْرَقُ في النارِ، فيَبْرَأُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى. فاستَيْقظَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وقد فَهِمَ ما قالا، فبعَثَ عمارَ بنَ ياسرٍ، وعَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عنهما إلى تلك البئْرِ في رَهْطٍ مِن أَصحابه، فوَجَدُوها كما وَصَفَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لهم؛ فنزلتْ هاتانِ السُّورتانِ، وهي إحدى عَشْرَةَ

آيةً، فكلَّما قرأَ آيةً حُلَّ منها عُقدةٌ حتى انْحَلَّتْ كُلُّها، ثم أَحْرَقَها بالنارِ، فبَرِئَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ). [بحر العلوم: ٥٢٧/٣]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (قَالَ مُقَاتِلٌ وَالكَلْبِيُّ: إِنَّ لَبِيدَ بْنَ أَعْصَمَ اليَهُودِيَّ سَحَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً فِي حَبْلٍ مُعْقَدٍ، وَدَسَّهُ فِي بِئْرٍ يُقَالُ لَهُ: ذَرْوَانُ. فَمَرِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ثَلاثَ لَيَالٍ؛ فَنَزَلَتِ المُعَوِّذَتَانِ لِذَلِكَ، وَأَخْبَرَهُ جِبْرِيلُ بِمَكَانِ السِّحْرِ.

فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَجَاءَ بِهَا، فَقَالَ جِبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حِلَّ عُقْدَةً وَاقْرَأْ آيَةً. فَفَعَلَ، وَجَعَلَ كُلَّمَا يَقْرَأُ آيَةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَذَهَبَ عَنْهُ مَا كَانَ يَجِدُ). [الوسيط: ٥٧٢/٤]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (نَزَلَتْ هذه السُّورَةُ والتي بَعْدَها لَمَّا سَحَرَ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ اليَهُودِيُّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، فاشْتَكَى شَكْوَى شَدِيدَةً، فأَعْلَمَهُ اللهُ بِمَا سُحِرَ به، وأَيْنَ هُو، فبَعَثَ مَن أَتَى به، وكَانَ وَتَرَ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فجَعَلُوا كُلَّمَا حَلُّوا عُقْدَةً وَجَدَ رَاحَةً حَتَّى حَلُّوا العُقَدَ كُلَّهَا، وأَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَتَعَوَّذَ بهاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ، وهما إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً على عَدَدِ العُقَدِ). [الوجيز: ١٢٤٢/٢]

قالَ أَبُو المُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (واعْلَمْ أَنَّ المفسِّرينَ قالُوا: إنَّ هذه السورةَ والتي تَلِيهَا نَزَلَتَا حينَ سُحِرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَحَرَهُ لَبِيدُ بنُ أَعصَمَ اليهوديُّ.

والنفَّاثاتُ في العقَدِ يقالُ: إنهن بناتُه، وكان لَبيدٌ قد سَحَرَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجعَلَ ذلك في بئْرِ (ذي أَرْوانَ) فاعْتَلَّ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واشتَدَّتْ عِلَّتُه وكان يُخَيَّلُ إليه أنه يَفعلُ الشيءَ ولا يَفعلُه، ثم إنَّ جبريلَ ـ عليه السلامُ ـ أَنْزَلَ المُعَوِّذَتَيْنِ، ورُوِيَ أنه قالَ لعائشةَ هنا: «وَأَنَا نَائِمٌ نَزَلَ عَلَيَّ مَلَكَانِ، فقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، والآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فقالَ أَحَدُهما لِصَاحِبِهِ: مَا حَالُ الرجُلِ؟ فقالَ: مَطبوبٌ، قَالَ: ومَنْ طَبَّهُ؟ قالَ: لبيدُ بنُ أَعْصَمَ اليهوديُّ. فقالَ: وأينَ ذلك؟ فقالَ: في مُشْطٍ ومُشاطةٍ تَحتَ رَاعونةٍ في بئرِ ذي أَرْوانَ»

ثم إنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثَ عَلِيًّا، وقيلَ: إنه بَعَثَ عَمَّارًا، وقيلَ: بَعَثَ أبا بكرٍ وعمرَ حتى استَخْرَجُوا ذلك السحْرَ، وأَنْزَلَ اللهُ تعالى هاتينِ السورتينِ، وكان على ذاك الشيءِ إحدى عَشرةَ عُقدةً، فقالَ له جبريلُ: اقرأْ آيةً فانْحَلَّتْ عُقدةٌ، وكان كُلَّما قرأَ آيةً انْحَلَّتْ عُقدةٌ، حتى انْحَلَّت العُقَدُ كلُّها، وقامَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنما أُنْشِطَ مِن عِقالٍ). [تفسير القرآن: ٣٠٧/٦]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (قالَ مقاتِلٌ والكلبيُّ: كان في وَتَرٍ عُقِدَ عليه إحدى عشرة عُقْدَةً.

وقيلَ: كانت العُقَدُ مَغروزةً بالإبرةِ، فأَنْزَلَ اللهُ هاتين السورتينِ، وهما إحدى عَشْرَةَ آيةً؛ سورةُ الفَلَقِ خَمْسُ آياتٍ، وسورةُ الناسِ ستُّ آياتٍ، كُلَّمَا قرِئَتْ آيةٌ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، حتى انْحَلَّت العُقَدُ كُلُّها، فقامَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنما نُشِطَ من عِقالٍ). [معالم التنزيل: ٧٢٤]

قالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (وَالأكثرونَ على أنَّ الرسولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُحِرَ وَاسْتَخْرَجَ وَتَرًا فيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فَأُمِرَ بِحَلِّهَا، فَكَانَ كُلَّمَا حُلَّتْ عُقْدَةٌ وَجَدَ رَاحَةً، حَتَّى حُلَّت العُقَدُ كُلُّهَا، فَكَأَنَّمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَنَزَلَت المُعَوِّذَتَانِ إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً بعَدَدِ العُقَدِ، وَأُمِرَ أَنْ يَتَعَوَّذَ بهِمَا. وَمَنَعَ

آخَرُونَ مِنْ تأثيرِ السحرِ في الرسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ جازَ في غيرِهِ؛ لِمَا في استمرارِهِ مِنْ خَبَلِ العقلِ، وَلِإنكارِ اللَّهِ تَعَالَى على مَنْ قَالَ: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الإسراء: ٤٧]. [تفسير القرآن: ٣/٥١١]

قالَ مَحْمُودُ بنُ حَمْزَةَ بنِ نَصرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (سببُ نُزولِ السُّورَتَيْنِ: أنَّ غُلامًا كانَ يَخْدُمُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فدَسَّتْ إليه اليَهُودُ، ولم يَزالُوا به حتى أخَذَ مُشَاطَةَ رَأْسِهِ عليه السلامُ وعِدَّةَ أسنانٍ مِن مُشْطٍ، فأعطاها اليهودَ، فسَحَرُوهُ فيها، وكان الذي تَوَلَّى ذلك لَبيدَ بنَ أَعْصَمَ اليَهُودِيَّ، ثم دَسَّها في بئْرٍ يُقالُ له ذَرْوَانُ، فمَرِضَ عليه السلامُ مَرَضًا شَديدًا، وانتَشَرَ شَعْرُ رَأْسِهِ، وجَعَلَ يَذوبُ ولا يَدْرِي ما عَرَاهُ، فبَيْنَا هو نائمٌ، أتاه مَلَكانِ فقعَدَ أحدُهُما عندَ رَأْسِهِ، والآخَرُ عندَ رِجْلِهِ، فقالَ الذي عندَ رِجْلِهِ لِلَّذِي عندَ رَأْسِهِ: ما بالُ الرَّجُلِ؟ قالَ: طُبَّ. قالَ: وما طُبَّ؟ قالَ: سُحِرَ. قالَ: ومَنْ سَحَرَه؟ قالَ: لَبيدُ بنُ أعصَمَ. قالَ: فيمَ طَبَّهُ؟ قالَ: بمُشْطِه ومُشَاطِه.

قالَ: أينَ هُوَ؟ قالَ: في جُفِّ طَلْعَةٍ تحتَ رَاعُوفَةٍ في بئْرِ ذَرْوَانَ.

فانْتَبَهَ النبيُّ عليه السلامُ وقالَ: «يا عائشةُ، أَمَا عَلِمْتِ أَنَّ اللهَ أَخْبَرَنِي بدَائِي».

ثم بَعَثَ عليًّا والزُّبَيْرَ وعَمَّارَ بنَ ياسرٍ، فنزَحُوا ماءَ البئْرِ، كأنه نُقَاعَةُ الحِنَّا، ثم رَفَعُوا الصَّخْرَةَ وأَخْرَجوا الجُفَّ، فإذا فيه مُشَاطَةُ رَأْسِهِ وأسنانُ مُشْطِهِ، وإذا وَتَرٌ فيه وعليه إحدى عَشْرَةَ عُقْدَةً مَغروزةً بالإبَرِ، فأنزَلَ اللهُ هاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ إحدى عَشْرَةَ آيةً على عَدِّ العُقَدِ، فجَعَلُوا كُلَّمَا حَلُّوا عُقْدَةً وجَدَ عليه السلامُ خِفَّةً حتى حَلُّوا العُقَدَ، فقامَ كأنما نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ.

وجَعَلَ جِبريلُ عليه السلامُ يقولُ: بسمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِن كُلِّ شيءٍ يُؤْذِيكَ، ومِن حاسِدٍ وعينٍ، واللهُ يَشْفِيكَ.

الجُفُّ: قِشْرُ الطَّلْعِ، والرَّاعُوفَةُ: حَجَرٌ في أَسْفَلِ البئْرِ يَقومُ عليه المَائِحُ.

والمُشَاطَةُ: ما يَسْقُطُ مِنَ الشَّعْرِ مع المُشْطِ). [غرائب التفسير: ٢/١٤١١- ١٤١٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنُ العَرَبِيِّ (ت: ٥٤٣هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ وَالنَّاسِ فِيهِمَا ثَلاثُ مَسَائِلَ:

المَسْأَلَةُ الأُولَى: فِي سَبَبِ نُزُولِهِمَا:

رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُحِرَ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَلاَ يَفْعَلُهُ، فَمَكَثَ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ أَتَانِي مَلَكَانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، قَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ: مَا شَأْنُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، فَقَالَ: فِي مَاذَا؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، فِي جُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، تَحْتَ رَاعُوفَةٍ فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ، فَجَاءَ البِئْرَ وَاسْتَخْرَجَهُ». انْتَهَى الصَّحِيحُ.

زَادَ غَيْرُهُ: «فَوَجَدَ فِيهَا إِحْدَى عَشْرَ عُقْدَةً، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً، فَجَعَلَ كُلَّمَا قَرَأَ آيَةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، حَتَّى انْحَلَّت العُقَدُ، وَقَامَ كَأَنَّمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ». أَفَادَنِيهَا شَيْخُنَا الزَّاهِدُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ بَدْرَانَ الصُّوفِيُّ). [أحكام القرآن: ٤/١٩٩٦]

قالَ عَبْدُ الحقِّ بنُ غَالِب بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (و(النَّفَّاثاتِ في العُقَدِ): السواحرُ، ويُقالُ: إن الإشارةَ أولاً إلى بناتِ لَبيدِ بنِ الأعصمِ اليهوديِّ؛ كُنَّ ساحِراتٍ، وهُنَّ اللواتي سَحَرْنَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعَقَدْنَ له إحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى إحدَى عَشْرَةَ آيةً بعَدَدِ العُقَدِ؛ هي المُعَوِّذَتانِ، فشُفِيَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [المحرر الوجيز: ١٥/٦٠٩- ٦١٠] (م)

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَبْدِ اللهِ السُّهَيْلِيُّ (ت:٥٨١هـ): [وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ يَعْنِي السَّوَاحِرَ يَعْقِدْنَ فِي الحَرِيرِ وَغَيْرِهِ فِي سِحْرِهِنَّ وَيَنْفُثْنَ فِيهِ، وَيُرْوَى أَنَّ فِيهَا سَحَرْنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى المُعَوِّذَتَيْنِ إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً، وَالنَّفْثُ بالفَمِ قَرِيبٌ مِنَ النَّفْخِ وَلا يَكُونُ إلا مَعَ رِيقٍ، وَالتَّفْلُ قَرِيبٌ مِنْهُ. قَالَ: إِنَّهُنَّ كُنَّ مِنَ اليَهُودِ يَعْنِي السَّوَاحِرَ المَذْكُورَاتِ، وَقِيلَ هُنَّ بَنَاتُ لَبيدِ بْنِ الأَعْصَمِ]. [التعريف والإعلام: ١٩٠] (م)

قالَ أَبُو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الْجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (وفيها قولانِ:

أحدُهما: مَدنِيَّةٌ، رواهُ أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ قَتادةُ في آخَرِينَ.

والثاني: مَكِّيَّةٌ، رواهُ كُرَيبٌ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ الحَسَنُ وعَطاءٌ وعِكرمةُ وجابرٌ. والأوَّلُ أَصَحُّ، ويَدُلُّ عليهِ أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ سُحِرَ وهوَ معَ عائشةَ، فنَزَلَتْ عليهِ المُعَوِّذَتانِ). [زاد المسير: ٩/٢٧٠]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (الفصلُ الثانِي: ذَكَروا في سبب نُزولِ هذه السورةِ وُجُوهًا: ...

وثالثُها: وهو قَولُ جُمْهورِ المُفَسِّرِينَ، أَنَّ لَبيدَ بنَ أَعْصَمَ اليَهُودِيَّ سَحَرَ النَّبِيَّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم في إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً وفي وَتَرٍ دَسَّهُ في بئْرٍ يُقالُ لَها: ذَرْوانُ. فمَرِضَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم واشْتَدَّ عليه ذلك ثَلاثَ ليالٍ، فنَزَلَتِ المُعَوِّذَتانِ لذلك، وأَخْبَرَه جِبْريلُ بمَوْضِعِ السِّحْرِ فأَرْسَلَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلامُ وطَلْحَةَ وجَاءَا بِه، وقالَ جِبْرِيلُ للنبيِّ: حُلَّ عُقْدَةً، واقْرأْ آيةً ففَعَلَ وكان كُلَّما قَرَأَ آيةً انْحَلَّتْ عُقْدةٌ، فكان يَجِدُ بَعْضَ الخِفَّةِ والرَّاحَةِ). [التفسير الكبير: ٣٢/١٧٢] (م)

قَالَ حُسَيْنُ بنُ أَبِي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (العُقَدُ جَمْعُ عُقْدَةٍ وهي التي يَعْقِدُها السَّوَاحِرُ على الخيطِ أو الشَّعْرِ إذا سَحَرْنَ، رُوِيَ أَنَّهُنَّ نِساءٌ سَحَرْنَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ في إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى المُعَوِّذَتَيْنِ إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً). [الفريد: ٤/٧٥٢] (م)

قالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (وَالأكثرونَ على أَنَّ الرسولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُحِرَ وَاسْتَخْرَجَ وَتَرًا فيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فَأُمِرَ بحَلِّهَا، فَكَانَ كُلَّمَا حُلَّتْ عُقْدَةٌ وَجَدَ رَاحَةً، حَتَّى حُلَّت العُقَدُ كُلُّهَا، فَكَأَنَّمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَنَزَلَت المُعَوِّذَتَانِ إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً بعَدَدِ العُقَدِ، وَأُمِرَ أَنْ يَتَعَوَّذَ بهِما). [تفسير القرآن: ٣/٥١١]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (وتخصيصُه لِمَا رُوِيَ أنَّ يَهُودِيًّا سَحَر النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إحدى عشرةَ عُقْدَةً في وَتَرٍ دَسَّهُ في بئْرٍ، فَمَرِضَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونَزَلَت المُعَوِّذَتَان، وأَخْبَرَه جِبريلُ عليه الصلاةُ والسلامُ بمَوْضِعِ السِّحْرِ، فأرْسَلَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ تعالى عنه فجاءَ به، فَقَرَأَهُما عليه، فكانَ كُلَّمَا قرأَ آيةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، ووَجَدَ بعضَ الخِفَّةِ). [أنوار التنزيل: ٢/١١٨٠]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (رُوِيَ أنه عَلَيهِ السلامُ سُحِرَ؛ فمَرِضَ، فجاءَه مَلَكَانِ وهو نائِمٌ، فَقَالَ أَحَدُهما لِصَاحِبِه: ما بَالُه؟ فقال: طُبَّ. قال: ومَنْ طَبَّه؟ قال: لَبيدُ بنُ أَعْصَمَ اليهوديُّ. قال: وبِمَ طَبَّه؟ قال: بمُشْطٍ ومُشَاطَةٍ في جُفِّ طَلْعَةٍ تَحتَ رَاعُوفَةٍ في بئرِ ذِي أَرْوانَ. فانْتَبَهَ صلَّى اللَّهُ عَلَيْه وسلَّمَ فبعَثَ زُبَيْرًا وعَلِيًّا وعمَّارًا رضِيَ اللهُ عَنْهُم، فنَزَحُوا ماءَ البئرِ، وأخرَجوا الجُفَّ، فإذَا فيه مُشاطَةُ رَأسِه وأَسنانٌ مِن مُشْطِه، وإذَا فيه وَتَرٌ مُعَقَّدٌ فِيه إحدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً مَغْرُوزةً بالإبَرِ، فنَزَلَتْ هاتانِ السُّورتَانِ، فكُلَّمَا قرأَ جِبريلُ آيةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، حتَّى قام صلَّى اللَّهُ عَلَيْه وسلَّمَ عندَ انْحلالِ العُقْدَةِ الأخيرةِ كأنَّمَا نُشِطَ من عِقالٍ، وجعَلَ جِبريلُ يَقولُ: باسمِ اللهِ أرْقِيكَ واللهُ يَشْفِيكَ من كلِّ داءٍ يُؤْذِيكَ.

ولهذَا جُوِّزَ الاسْتِرقاءُ بما كانَ مِن كِتابِ اللهِ، وكلامِ رسولِه عليه السَّلامُ، لا بمَا كان بالسُّرْيَانِيَّةِ والعِبْرَانيَّةِ والهِنْدِيَّةِ؛ فإنَّه لا يَحِلُّ اعْتِقادُه والاعتمادُ عَلَيه). [مدارك التنزيل:٣/٢٠١٦]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (ورُوِيَ أَنَّهُ كانَ تحتَ صَخْرَةٍ في البئْرِ، فرَفَعُوا الصخْرَةَ وأخْرَجُوا جُفَّ الطَّلْعَةِ، فإذا فيهِ مُشَاطَةٌ مِنْ رَأْسِهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ وأسنانٌ مِنْ مُشْطِهِ.

وقيلَ: كانَ في وَتَرٍ عُقِدَ عليهِ إحدى عَشْرَةَ عُقْدَةً. وقيلَ: كانَ مَغْرُوزًا بالإِبَرِ، فأَنْزَلَ اللَّهُ هاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ، وهما إحدى عَشْرةَ آيَةً؛ سورةُ الفَلَقِ خمسُ آياتٍ، وسورةُ الناسِ ستُّ آياتٍ، فكانَ كُلَّمَا قرَأَ آيَةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، حتَّى انحلَّتِ العُقَدُ كلُّها، فقامَ النبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ كأَنَّما نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ. ورُوِيَ أَنَّهُ لَبثَ سِتَّةَ أشْهُرٍ، واشتَدَّ عليهِ ذلكَ ثلاثَ ليالٍ، فنَزَلَتِ المُعَوِّذَتَان). [لباب التأويل: ٤/٥٠٠]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (وقالَ جمهورُ المُفَسِّرِينَ: إنَّ لَبيدَ بنَ الأعصمِ اليَهُودِيَّ سَحَرَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ في إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً في وَتَرٍ، ودَسَّه في بئْرِ ذِي أَرْوَانَ، فمَرِضَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ واشْتَدَّ ذلك عليهِ ثَلاثَ لَيالٍ؛ فنَزَلَتِ المُعَوِّذَتانِ، وأَخْبَرَهُ جَبْرَائِيلُ بمَوْضِعِ السِّحْرِ، فأَرْسَلَ عليًّا بطَلَبِه وجاءَ به، وقالَ جَبْرَائيلُ: اقْرَأْ السُّورَتَيْنِ. فكانَ كلَّما يَقْرَأُ آيةً تَنْحَلُّ عُقْدَةٌ فيَجِدُ بَعْضَ الراحةِ والخِفَّةِ، حتى إذا أَتَمَّهَا فكأَنَّما أُنْشِطَ مِن عِقَالٍ). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٤]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبيُّ (ت: ٧٤١هـ): (و ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ بناءُ مُبالَغَةٍ، والموصوفُ مَحذوفٌ، تقديرُه النساءُ النَّفَّاثَاتُ، والجماعةُ النَّفَّاثَاتُ أو النفوسُ النفاثاتُ، والأوَّلُ أَصَحُّ؛ لأنه رُوِيَ أنه إشارةٌ إلى بَناتِ لَبيدِ بنِ الأَعْصَمِ اليهوديِّ، وكُنَّ ساحراتٍ سَحَرْنَ هن وأبوهن رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تعالى عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ،

وعَقَدْنَ له إحدى عَشَرَ عُقدةً، فأَنْزَلَ اللهُ المعوذتين إحدى عَشْرَةَ آيةً بعَدَدِ العُقَدِ، وشَفَى اللهُ رسولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وَسَلَّمَ). [التسهيل: ٢٢٥] (م)

قالَ أَبُو حيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَسببُ نُزُولِ المَعَوِّذَتَيْنِ قِصَّةُ سِحْرِ لَبِيدِ بنِ الأَعْصَمِ اليَهُودِيِّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهوَ جُفٌّ، وَالجُفُّ قِشْرُ الطَّلْعِ فيهِ مُشَاطَةُ رَأْسِهِ عَلَيْهِ الصلاةُ وَالسلامُ وَأَسْنَانُ مُشْطِهِ وَوَتَرٌ معقودٌ فيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً مَغْرُوزٌ بالإِبَرِ، فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ المُعَوِّذَتَانِ، فَجعَلَ كُلَّمَا قَرَأَ آيةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَوَجَدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نفسِهِ خِفَّةً حتَّى انْحَلَّت العقدةُ الآخيرةُ فقَامَ فكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ). [البحر المحيط: ٧٥٩/٨- ٧٦٠]

قالَ أَبُو حيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَسَبَبُ نُزُولِ المُعَوِّذَتَيْنِ قِصَّةُ لَبِيدٍ وَمَا حُكِيَ عَنْهُ). [النهر الماد: ١٣١٩]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ سُلَيْمَانَ بْنِ رَيَّانَ (ت: ٧٧٠هـ): (سُؤَالٌ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ ما وَجْهُ تَخْصِيصِهِنَّ؟
جَوَابٌ: لِمَا رُوِيَ أَنَّ يَهُودِيًّا اسمُهُ لَبِيدٌ سَحَرَ النَّبِيَّ عليه السَّلامُ في وَتَرٍ دَسَّهُ في بئْرٍ فيه إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فأَعْلَمَهُ اللَّهُ بذلك وبِمَحَلِّهِ بِمَجِيءِ جِبْرِيلَ بعْدَمَا اشْتَكَى ومَرِضَ لذَلِكَ أَيَّامًا، وقد رُوِيَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ونزلَتِ المُعَوِّذَتَانِ إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً فبعَثَ النَّبِيُّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عنه فاسْتَخْرَجَهَا، فجاءَ بها، فكانَ كُلَّمَا قرَأَ آيَةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، ووجَدَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ خِفَّةً حتَّى انْحَلَّتِ العُقْدَةُ الأَخِيرَةُ قامَ عليْهِ الصلاةُ والسلامُ كأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ). [الروض الريان: ٦٤٨/٣]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ البَلَنْسِيُّ (ت: ٧٨٢هـ): (والإِشَارَةُ بـ (النَّفَّاثَاتِ في العُقَدِ) إلى بَنَاتِ لَبِيدِ بْنِ الأَعْصَمِ اليَهُودِيِّ، وهُنَّ اللَّوَاتِي سَحَرْنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ وَعقَدْنَ لَهُ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالى إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً، وهِيِ المُعَوِّذَتَانِ، فَشُفِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ). [صلة الجمع:٧٦٠] (م)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزَابَادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ الثِّقَةُ ابْنُ الْمَأْمُونِ الهَرَوِيُّ قالَ: أَخْبَرَنَا أَبي، قالَ: أَخْبرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ، قال: أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللهِ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَمَّارُ بْنُ عَبْدِ المَجِيدِ الهَرَوِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ السَّمَرْقَنْدِيُّ، عن مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنِ الكَلْبِيِّ، عن أَبي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (نَزَلَتْ هَاتَانِ السُّورَتَانِ فِي شَأْنِ لَبِيدِ بْنِ الأَعْصَمِ اليَهُودِيِّ الَّذِي سَحَرَ النَّبِيَّ فَقَرَأَهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سِحْرِهِ فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ). [تنوير المقباس: ٦٠٤]

قال محمودُ بنُ أحمدَ بنِ موسى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): (وَقَالَ سُفْيَانُ: الفَلَقُ وَالنَّاسُ نَزَلَتَا فِيمَا كَانَ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وَقِصَّتُهُ مَشْهُورَةٌ فِي التَّفَاسِيرِ). [عمدة القاري: ١٠/٢٠]

قالَ جَلَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ المَحَلِّيُّ (ت: ٨٦٤هـ): (نَزَلَتْ هَذِهِ السورةُ والتي بَعْدَهَا لَمَّا سَحَرَ لَبِيدٌ اليَهُودِيُّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَتَرٍ بِهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فَأَعْلَمَهُ اللَّهُ بذلكَ وَبِمَحَلِّهِ، فَأُحْضِرَ بينَ يَدَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأُمِرَ بِالتَّعَوُّذِ بالسُّورَتَيْنِ، فَكَانَ كُلَّمَا قَرَأَ آيةً مِنْهَا انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ وَوَجَدَ خِفَّةً، حَتَّى انْحَلَّتِ العُقَدُ كُلُّهَا، وَقَامَ كَأَنَّمَا نُشِطَ منْ عِقَالٍ) [تفسير الجلالين: ٦٠٤]

قال عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ هَذِهِ السُّورَةُ، وسُورَةُ "النَّاسِ" و"الإِخْلاصِ" نَزَلَتْ عَلَى رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سَحَرَتْهُ اليَهُودُ). [اللباب: ٢٠/٥٦٩]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَسَبَبُ نُزُولِ ذلكَ أنَّ يَهُودِيًّا سَحَرَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرِضَ كما يَأْتِي تَخْرِيجُهُ، فإنَّ السحرَ يُؤَثِّرُ بإذنِ اللَّهِ تعالى المَرَضَ وَيَصِلُ إلى أنْ يَقْتُلَ، فإذا أَقَرَّ السَّاحِرُ أَنَّهُ قَتَلَ بسِحْرِهِ وَهو مِمَّا يَقْتُلُ غَالِبًا قُتِلَ بذلكَ عندَ الشَّافِعِيِّ، وَلا يُنَافِي قولَهُ تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. كَمَا مَضَى بيانُهُ في المائدةِ). [نظم الدرر: ٨/٦٠٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الإِيجِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت: ٩٠٥ هـ): (وقد صَحَّ أنَّ يَهُودِيًّا سَحَرَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، ودَسَّهُ في بئرٍ، فاشْتَكَى ومَرِضَ عليه السلامُ لذلكَ أيَّامًا، وقد رُوِيَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فجاءَهُ جِبْرِيلُ وأَخْبَرَهُ بالسِّحْرِ والساحِرِ، ومَوْضِعِهِ، ونَزَلَتِ المُعَوِّذَتَانِ إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً، فبَعَثَ عليه السلامُ فاسْتَخْرَجَهَا، فجاءَ بها، فكانَ كلَّما قرَأَ آيةً، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فحينَ انْحَلَّتِ العُقْدَةُ الأخيرةُ قامَ عليه السلامُ، كأنَّما نُشِطَ مِن عِقَالٍ). [جامع البيان: ٤/٥٤٦]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (واختُلِفَ في سببِ نُزولِ سُورةِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ فَقَالَ ابنُ عبَّاسٍ وعائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عنهم: كانَ غلامٌ مِنَ اليَهودِ يَخدُمُ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدَنَتْ إليهِ اليَهودُ فلمْ يَزالُوا بهِ حتى أَخَذَ مُشَاطَةَ رأسِ النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِدَّةَ أسنانٍ مِن مُشطِهِ وأعطاها اليَهودَ فسَحَرُوهُ فيها، وتَوَلَّى ذلك لبيدُ بنُ الأعْصَمِ رجلٌ منَ اليهودِ فنزلَتْ هذهِ، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾ فيهِ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١١]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ الكَرِيمِ الأَشْمُونِيُّ (ت: ق١١هـ): (وسببُ نُزُولِ السُّورَتَيْنِ أنَّهُ كانَ غلامٌ مِنَ اليهودِ يَخْدُمُ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يَزَلْ بِهِ اليهودُ حتَّى أَخَذَ مُشَاطَةَ رأسِ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأَسْنَانَ مُشْطِهِ فأعطاهُ لليهودِ فَسَحَرُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والَّذِي تَوَلَّى ذلك لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ اليَهُودِيُّ ثمَّ دَسَّهَا في بئرِ بنِي زُرَيْقٍ يقالُ لها ذَرْوَانُ فمَرِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانْتَثَرَ شَعْرُ رَأْسِ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكَانَ يَرَى أنه يَأْتِي النِّسَاءَ، وما يأتيهنَّ ويُخَيَّلُ إليه أنه يفعلُ الشيءَ وما يفعلُهُ، فبينمَا هو نائمٌ ذاتَ يومٍ أتاهُ مَلَكَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ والآخَرُ عند رِجْلَيْهِ فقالَ أحدُهمَا لصاحبِهِ: ما بَالُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: طُبَّ. قَالَ: وما طُبَّ؟ قَالَ: سُحِرَ ورُوِيَ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ فقالَ: مَطْبُوبٌ فَقَالَ: ومَنْ سَحَرَهُ؟ قَالَ: لَبيدُ ابنُ أَعْصَمَ قَالَ: في ماذا؟ قَالَ: في مُشْطٍ ومُشَاطَةٍ وجُفِّ طَلْعَةٍ ذكرٍ –جُفُّ الطَّلْعَةِ: وِعَاؤُهَا- قَالَ: وأَيْنَ هو؟ قَالَ: في ذَرْوَانَ تحتَ راعُوفَةِ البئرِ – والرَاعُوفَةُ: صَخْرَةٌ تُتْرَكُ في أَسْفَلِ البئرِ إذا احْتُفِرَتْ، فإذا أَرادُوا تَنْقِيَةَ البئرِ جَلَسَ عليها المُنَقِّي ويقالُ لها أُرْعُوفَةُ- فانْتَبَهَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقَالَ: يَا عَائِشَةُ، أما شَعُرْتِ، إنَّ اللَّهَ

أخبرني بدائي. ثمَّ بعثَ عَلِيًّا والزُّبَيْرَ وعَمَّارًا وَثَوْبَانَ، فأخرجُوا الجُفَّ وإذا فيه مُشَاطَةُ رَأْسِهِ وأَسْنَانُ مُشْطِهِ، وإذا وَتَرٌ مُعَقَّدٌ فيه إحدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً ورُوِيَ أنَّها كانتْ مَغْرُوزَةً بالإِبَرِ. اهـ كَوَاشِيٌّ). [منار الهدى:٣١٠- ٣١١]

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (وأَجْمَعَ المُفَسِّرُونَ: أنَّها نَزَلَتْ في لَبِيدِ بنِ الأَعْصَمِ، لَمَّا سَحَرَ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ ثم أتاهُ جِبْرِيلُ عليهِ السلامُ وأَخْبَرَهُ). [تتمة أضواء البيان: ٣٤٢/٩]

قلت: (انظر: مَسَائِل فِي حَادِثَةِ سَحْرِ النبيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الجُزْءِ المُلْحَقِ بتَفْسِيرِ المعَوِّذَتَينِ).

قول آخر في سبب نزول المعوذتين

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾... قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هُنَّ بَنَاتُ لَبِيدِ بْنِ أَعْصَمَ اليَهُودِيِّ سَحَرْنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [الوسيط: ٥٧٤/٤]

- **قلت:** (لَمْ أَجِدْه فِي كِتَاب أَبِي عُبَيْدَةَ، ولَوْ صَحَّ عَنهُ لَم يَكُن حُجَّةً لِمُخَالَفتِه مَا ثبَتَ فِي الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ مِن أَنَّ الَّذِي سَحَرَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ هُو لَبِيدُ بنُ الأَعْصَمِ لا بناتُهُ).

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾، يَعْنِي السَّوَاحِرَ اللاتي يَنْفُثْنَ في عُقَدِ الخَيْطِ حين يَرْقِينَ عليها، قالَ أبو عُبيدةَ: هنَّ بناتُ لَبِيدِ بنِ الأعصَمِ سَحَرْنَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [معالم التنزيل: ٧٢٦]

قالَ أَبُو المُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (واعْلَمْ أنَّ المفسِّرينَ قالُوا: إنَّ هذه السورةَ والتي تَلِيهَا نَزَلَتَا حينَ سُحِرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَحَرَهُ لَبيدُ بنُ أعصَمَ اليهوديُّ، والنفَّاثاتُ في العقَدِ يقالُ: إنهن بناتُه). [تفسير القرآن: ٣٠٧/٦]

قالَ عَبْدُ الحَقِّ بْنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (و(النَّفَّاثَاتِ في العُقَدِ): السواحرُ، ويُقالُ: إن الإشارةَ أولاً إلى بناتِ لَبيدِ بنِ الأعصمِ اليهوديِّ؛ كُنَّ ساحِرَاتٍ، وهُنَّ اللواتي سَحَرْنَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعَقَدْنَ له إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى إحدَى عَشْرَةَ آيةً بعَدَدِ العُقَدِ؛ هي المُعَوِّذَتَانِ، فشُفِيَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [المحرر الوجيز: ٦٠٩/١٥- ٦١٠]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (ورُوِيَ أنَّ نِساءً سَحَرْنَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فأَنْزَلَ اللهُ المُعَوِّذَتَيْنِ إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً.

قالَ ابنُ زَيْدٍ: كُنَّ مِنَ اليهودِ. يعني: السَّوَاحِرَ المذكوراتِ. وقِيلَ: هُنَّ بَنَاتُ لَبِيدِ بنِ الأَعْصَمِ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٩/٢٠]

قَالَ عَبْدُ الرَّحمَنِ بنُ عَبْدِ اللهِ السُّهَيْلِيُّ (ت:٥٨١هـ): ([وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ يَعْنِي السَّوَاحِرَ يَعْقِدْنَ فِي الحَرِيرِ وَغَيْرِهِ فِي سِحْرِهِنَّ وَيَنْفُثْنَ فِيهِ، وَيُرْوَى أَنَّ فِيهَا سَحَرْنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى المُعَوِّذَتَيْنِ إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً، وَالنَّفْثُ بالفَمِ قَرِيبٌ مِنَ النَّفْخِ وَلا يَكُونُ

إلا مَعَ رِيقٍ، وَالتَّفْلُ قَرِيبٌ مِنْهُ. قَالَ: إِنَّهُنَّ كُنَّ مِنَ اليَهُودِ يَعْنِي السَّوَاحِرَ المَذْكُورَاتِ، وَقِيلَ هُنَّ بَنَاتُ لَبِيدِ بْنِ الأَعْصَمِ]). [التعريف والإعلام: ١٩٠]

قول آخر

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (الفصلُ الثاني: ذكروا في سَبَبِ نُزولِ هذه السورةِ وُجُوهًا:

أحدُها: رُوِيَ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ أتاهُ وقالَ: إنَّ عِفْرِيتًا مِن الجنِّ يَكِيدُكَ، فقالَ: إذا أَوَيْتَ إلى فِرَاشِكَ قُلْ: أَعُوذُ بِرَبِّ السُّورَتَيْنِ). [التفسير الكبير: ٣٢/١٧٢]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (يُرْوَى أَنَّ جَبْرَائِيلَ أَتَاهُ وقالَ: إنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ يَكِيدُكَ، فقُلْ إِذَا أَتَيْتَ على فِرَاشِكَ: أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ، أَعُوذُ بِرَبِّ الناسِ). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٣]

قلت: (قال ابن أبي شيبة في مصنفه: حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ زَكَرِيَّا، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ شَيْبَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ، قَالَ: كَانَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ يفْزَعُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى يَخْرُجَ وَمَعَهُ سَيْفُهُ، فَخُشِيَ عَلَيْهِ أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: إِنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لِي: «إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ يَكِيدُكَ فَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ الَّتِي لاَ يُجَاوِزُهنَّ بَرٌّ وَلاَ فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلاَّ طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ» فَقَالَهُنَّ خَالِد، فَذَهَبَ ذَلِكَ عَنْهُ.

وَرَوَاهُ عبدُ الرَّزَّاقِ وَالبَيهَقِيُّ فِي شُعَبِ الإِيمَانِ مِن طَرِيقِ مَعْمَرٍ عَن قَتَادَةَ عَنْ أَبِي رَافِعٍ بِنَحْوِه.

وَرَوَى ابنُ قتيبة فِي تَأْوِيلِ مُخْتَلِفِ الحَدِيثِ وَابنُ مروانَ الدِّينورِيُّ فِي المجالَسَةِ مِن طَرِيقِ بِشْرِ بْنِ المُفَضَّلِ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الحَسَنِ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَتَانِي، فَقَالَ: إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الجِنِّ يَكِيدُكَ، فَإِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ؛ فَقُلْ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حَتَّى تَخْتِمَ آيَةَ الكُرْسِيِّ».

فَلَعَلَّ الأَمْرَ التَبَسَ عَلَى الرَّازِي، أَوْ نَقَلَهُ عَن بَعْضِ التَّفَاسِيرِ المفقُودَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ).

قول آخر

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (وثانيها: أنَّ اللَّهَ تعالى أَنْزَلَهما عليه ليَكُونا رُقْيَةً مِن العَيْنِ، وعن سَعِيدِ بنِ المُسَيِّبِ أنَّ قُرَيْشًا قالُوا: تَعالَوْا نَتَجَوَّعْ فنَعِينَ مُحَمَّدًا ففعَلوا، ثُمَّ أَتَوْه وقالُوا: ما أَشَدَّ عَضُدَكَ، وأَقْوَى ظَهْرَكَ وأَنْضَرَ وَجْهَكَ، فأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى المُعَوِّذَتَيْنِ). [التفسير الكبير: ٣٢/١٧٢] (م)

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (وعن سعيدِ بنِ المُسَيِّبِ: أَنَّ قُرَيْشًا قالوا: نَتَجَوَّعُ فَنَعِينُ مُحَمَّدًا. ففعَلُوا، ثم أَتَوْهُ وقالوا: ما أَشَدَّ عَضُدَكَ وأَقْوَى ظَهْرَكَ وأَنْضَرَ وَجْهَكَ؛ فأَنْزَلَ اللَّهُ المُعَوِّذَتَيْنِ). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٣]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وقد قِيلَ: إنَّ سَبَبَ نُزُولِها والسُّورةِ بعْدَها: أنَّ قُرَيْشًا نَدَبُوا - أيْ: نَدَبُوا مَنِ اشتَهَرَ بينَهم أنه يُصيبُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بعَيْنِه- فأَنزَلَ اللهُ المُعَوِّذَتَيْنِ؛ لِيَتَعَوَّذَ منهم بهما. ذكَرَه الفخْرُ عن سعيدِ بنِ المُسَيِّبِ، ولم يُسْنِدْهُ). [التحرير والتنوير: ٦٢٤/٣٠]

قلت: (ولَمْ أجِدْ أحَدًا أسْنَدَهُ).

فضل المعوذتين

حديث عقبة بن عامر مرفوعًا: (أنزل علي آيات لم يسمع مثلهن)

قالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت: ٢١١هـ): (عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خالِدٍ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجُهَنِيِّ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُنْزِلَ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يُسْمَعْ مِثْلُهُنَّ، وَلَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ»). [تفسير عبد الرزاق: ٤١١/٢]

قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الحَجَّاجِ بنِ مسلمٍ القُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٢٦١هـ): (وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ بَيَانٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِى حَازِمٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قال: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ ».

وَحَدَّثَنِى مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِى حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ عَنْ قَيْسٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ قَالَ لِى رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- «أُنْزِلَ - أَوْ أُنْزِلَتْ - عَلَىَّ آيَاتٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ»). [صَحيحُ مُسْلِمٍ: ١٩٢٧، ١٩٢٨]

قلت: (رواه عبد الرزاق وأحمد والدارمي ومسلم والترمذي والنسائي والطحاوي والطبراني في المعجم الكبير والثعلبي والبيهقي والواحدي والبغوي كلهم من طرق عن قيس بن أبي حازم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه).

شرح الحديث

قال محمدُ بنُ عبدِ اللهِ ابنُ العربيِّ (ت: ٥٤٣هـ): (ذَكَرَ فيه حديثَ ابْنِ أَبي حَازِمٍ قَيْسٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أنَّ النبيَّ عليه السلامُ قالَ: «قَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾» حَسَنٌ صَحِيحٌ، وإِنْ لَمْ يَذْكُرْهُ الصَّحِيحُ.

الأصولُ في ثلاثِ مَسَائِلَ:

(الأُولَى) قَوْلُهُ: «لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ» يَعْنِي في مَعْنَاهُنَّ لِمَا جَمَعْنَ مِنْ فُنُونِ الاستعاذةِ، وقد كانَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلمَ كما رُوِيَ في الصحيحِ مِنَ الخَبَرِ يَقْرَأُ بهَا كُلَّ لَيْلَةٍ، ويَنْفُثُ في يَدَيْهِ ويَمْسَحُ بهِمَا وَجْهَهُ ومَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ في فِرَاشِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ.

(الثانيةُ) اخْتَلَفَ الناسُ في الغَاسِقِ إذًا وَقَبَ على أقوالٍ لا نُطَوِّلُ بذِكْرِهَا ؛ لأنَّهُ قَدْ صَحَّ أنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلمَ قالَ: هو القَمَرُ؛ فلا يُلْتَفتُ إلى غَيْرِهِ.
(الثالثةُ) وَجْهُ إِضَافَةِ الشَّرِّ إلى القَمَرِ ما يَحْدُثُ عِنْدَهُ مِنْ فِعْلِ اللهِ فهو عَلامَتُهُ ووَقْتُهُ، فأُضِيفَ إليه كسائِرِ إِضَافَةِ الأَسْبَابِ إلى مُسَبِّبَاتِهَا، وقالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى هذا الشرِّ انتِشَارُ الحَيَوَانَاتِ عِنْدَهُ فَعَمَّ (والناس)، ويَشْهَدُ له هذا الحديثُ الصَّحِيحُ، ولَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ عِنْدَهُ شَرًّا لم يُعْلِمْ بِهِ فَأَمَرَ بالاستعاذةِ مِنْهُ، وقد كانَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلمَ يَسْتَعِيذُ مِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْلَمْ). [عارضة الأحوذي: ١١/٢٦١- ٢٦٢]

قالَ يَحْيَى بنُ شَرَفٍ النَّوَوِيُّ (ت:٦٧٦هـ): (قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ » فِيهِ بَيَان عِظَم فَضْل هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ، وَقَدْ سَبَقَ قَرِيبًا الخِلاف فِي إِطْلاق تَفْضِيل بَعْض القُرْآن عَلَى بَعْض. وَفِيهِ دَلِيل وَاضِح عَلَى كَوْنهمَا مِنَ القُرْآن، وَرُدَّ عَلَى مَنْ نَسَبَ إِلَى ابْن مَسْعُود خِلاف هَذَا. وَفِيهِ أَنَّ لَفْظَة (قُلْ) مِنَ القُرْآن ثَابِتَة مِنْ أَوَّل السُّورَتَيْنِ بَعْد البَسْمَلَة، وَقَدْ أَجْمَعَتِ الأُمَّة عَلَى هَذَا كُلّه.
قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَة: «أُنْزِلَ - أَوْ أُنْزِلَتْ - عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ» ضَبَطْنَا (نَرَ) بالنُّونِ المَفْتُوحَة، وَبالياءِ المَضْمُومَة وَكِلاهُمَا صَحِيح.
قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْمُعَوِّذَتَيْنِ) هَكَذَا هُوَ فِي جَمِيع النُّسَخ، وَهُوَ صَحِيح، وَهُوَ مَنْصُوب بفِعْلٍ مَحْذُوف أَيْ أَعْنِي المُعَوِّذَتَيْنِ وَهُوَ بكَسْرِ الوَاو). [شرح صحيح مسلم:]

من ذكر الحديث من المفسرين

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (وأَخْبَرَنَا أبو عبدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بنُ يعقوبَ المُزَكِّي، قالَ: أَخْبَرَنَا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عُبْدُوسٍ الطَّرَائِقِيُّ، أَخْبَرَنَا مُعاذُ بنُ نَجْدَةَ بنِ العُرْيَانِ، أَخْبَرَنَا خَلَّادٌ يعني ابنَ يحيى- أَخْبَرَنَا سفيانُ، عن إسماعيلَ، عن قيسِ بنِ أبي حازمٍ، عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْزَلَ عَلَيَّ اللَّهُ سُورَتَيْنِ لَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِهِنَّ، وَلَمْ أَرَ مِثْلَهُنَّ: الْمُعَوِّذَتَيْنِ»). [الكشف والبيان: ١٠/٣٣٨]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (أَخْبَرَنَا أَبُو طَاهِرٍ الزِّيَادِيُّ، أنا عَلِيُّ بْنُ حَمْشَاذَ، أنا مُحَمَّدُ بْنُ غالب بْنِ حَرْبٍ، أنا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ النُّعْمَانِ، نا وَرْقَاءُ بْنُ عُمَرَ، عَنْ إسماعيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُنْزِلَ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ تَنْزِلْ مِثْلُهُنَّ: الْمُعَوِّذَتَانِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ نُمَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ إسماعيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ) [الوسيط: ٤/٥٧٢]

قالَ أَبُو المُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (وذَكَرَ أبو عيسى التِّرمذيُّ بروايةِ إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ قالَ: حَدَّثَنِي قيسُ بنُ أبي حازمٍ، عن عُقبةَ بنِ عامرٍ الجُهَنِيِّ، عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قالَ: «قدْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَيَّ آيَاتٍ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾» إلى آخرِ السورةِ «و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

﴿ٱلۡفَلَقِ ١﴾» إلى آخرِ السورةِ، قالَ: وهو حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ. قالَ رَضِيَ اللهُ عنه: أَخْبَرَنَا بذلك أبو عبدِ اللهِ عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ، أَخْبَرَنَا أبو العَبَّاسِ بنُ سراجٍ السبخيُّ، أَخْبَرَنَا أبو العَبَّاسِ بنُ محبوبٍ، أَخْبَرَنَا أبو عيسى الحافظُ، أَخْبَرَنَا محمدُ بنُ بَشَّارٍ، أَخْبَرَنَا يَحيى بنُ سعيدٍ القَطَّانُ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ.. الحديثَ). [تفسير القرآن: ٦/٣٠٩]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (أَخْبَرَنَا إسماعيلُ [ابنُ عبدِ القاهرِ، أَخْبَرَنَا عبدُ الغافرِ] بنُ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بنُ عيسى، حَدَّثَنَا إبراهيمُ بن مُحَمَّدِ بنِ سُفيانَ، حَدَّثَنَا مُسلِمُ بنُ الحَجَّاجِ، حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بنُ سعيدٍ، حَدَّثَنَا جَريرٌ، عن بَيانٍ، عن قَيْسِ بنِ أبي حَازِمٍ، عن عُقْبَةَ بنِ عامِرٍ، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَمْ تَرَ آياتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ وَ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾»). [معالم التنزيل: ٧٢٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنُ العَرَبِيِّ (ت: ٥٤٣هـ): (المَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ أَرَ مِثْلَهُنَّ، فَذَكَرَ السُّورَتَيْنِ: الفَلَقَ، وَالنَّاسَ» صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ). [أحكام القرآن: ٤/١٩٩٧]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((م ت): وَعَنْ عُقبةَ بنِ عامرٍ الجُهَنِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ إلى آخرِ السُّورَةِ، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ».

قالَ أبو عِيسَى: هذا حديثٌ حسَنٌ صَحيحٌ). [لمحات الأنوار: ٣/١١٦٢]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((ط، ث): وَعَنْ عُقبةَ بنِ عامرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يُنَزَّلْ عَلَيَّ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؛ الْمُعَوِّذَتَانِ».

(س): وعنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أُنْزِلَ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: الْمُعَوِّذَتَانِ»). [لمحات الأنوار: ٣/١١٧١]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ، عن عُقْبَةَ بنِ عامِرٍ الجُهَنِيِّ، عنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالَ: «لَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيَّ آياتٍ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ إلى آخرِ السورةِ، وَ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ إِلَى آخرِ السُّورَةِ». قالَ: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ) [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٦٠]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (روى مسلِمٌ في صحيحِه، من حديثِ قيسِ بنِ أبي حازمٍ، عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَمْ تَرَ آياتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قطُّ: أَعُوذُ برَبِّ الفَلَقِ وَأَعُوذُ برَبِّ النَّاسِ»). [بدائع الفوائد: ٢/١٩٨]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (وقدْ قالَ مُسْلِمٌ في صحيحِه: حدَّثنا قُتيبَةُ، حدَّثنا جَريرٌ، عن بَيانٍ، عن قَيْسِ بنِ أبي حازمٍ، عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ: «أَلَمْ تَرَ آياتٍ أُنْزِلَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)﴾».
ورَوَاهُ أَحْمَدُ ومُسْلِمٌ أَيْضًا والتِّرْمِذِيُّ والنَّسائِيُّ مِن حديثِ إِسْمَاعيلَ بنِ أبي خَالِدٍ، عن قَيْسِ بنِ أبي حازمٍ، عن عُقْبَةَ بهِ، وقالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ). [تفسير القرآن العظيم: ٣٩٠٠/٨]

قالَ حَيْدَرُ بْنُ عَلِيٍّ القَاشِيُّ (ت: ٧٧٦هـ): (القَوْلُ فِي الأَخْبَارِ
أَكْثَرُ الأَحَادِيثِ فِي هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ إِنَّمَا هِيَ فَضِيلَتُهُمَا، عَنْ مُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيِّ وَأَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ وَالدَّارِمِيِّ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ تَرَ مِثْلَهُنَّ قَطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)﴾»). [المعتمد في المنقول: ٥٠٦/٢]

قالَ جَلاَلُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ والترمذيُّ والنَّسَائِيُّ وَابْنُ الضُّرَيْسِ وَابْنُ الأَنْبَارِيِّ فِي المصاحفِ وَابْنُ مَرْدُويَهْ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَاتٌ لَمْ أَرَ مِثْلَهُنَّ قَطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)﴾»). [الدر المنثور: ٧٨٦/١٥]

قالَ ابنُ الدَّيْبَعِ عبدُ الرحمن بنُ عليٍّ الشيبانيُّ الزَّبيديُّ (ت: ٩٤٤هـ): (عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قطُّ؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)﴾». أَخْرَجَهُ الخَمْسَةُ إِلاَّ البُخَارِيَّ). [تيسير الوصول: ٢٠١/١]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وعنْ عقبةَ بنِ عامرٍ، قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ نَزَلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قطُّ، أَعُوذُ بربِّ الفَلَقِ وَأَعُوذُ بربِّ النَّاسِ»). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ مسلمٌ وَالترمذيُّ وَالنسائيُّ وَغيرُهُم عَنْ عقبةَ بنِ عامرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَاتٌ لَمْ أَرَ مِثْلَهُنَّ قَطُّ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)﴾»). [فتح القدير: ٧٥٥/٥]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُود بن عبد الله الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وأَخْرَجَ مسلمٌ والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ وغيرُهما عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلى الله تعالى عليه وسلَّمَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَاتٌ لَمْ أَرَ مِثْلَهُنَّ قَطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)﴾»). [روح المعاني: ٢٩/ ٢٧٨- ٢٧٩]

قالَ مُحمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وأَخْرَجَ مسلمٌ وَالترمذيُّ وَالنسائيُّ وَغيرُهُم عَنْ عقبةَ بنِ عامرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَاتٌ لَمْ أَرَ مِثْلَهُنَّ قَطُّ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ »). [فتح البيان: ١٥/٤٥٤]

قالَ مُحمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (رَوَى الإمامُ مُسْلِمٌ عنْ عُقبةَ بنِ عامرٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾». وروى الإمامُ أحمدُ وأبو دَاوُدَ والترمذيُّ والنَّسائيُّ عنْ عُقبةَ بنِ عامرٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ صَلَّى بهِمَا في سَفَرٍ). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٤]

■ لفظ مقارب

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (ورَوى مسلمٌ أَنَّهُ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ سُورَتَانِ مَا أُنْزِلَ مِثْلُهُمَا»). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٤]

قال عبدُ الرؤوفِ بنُ تاجِ العارفِينَ المُناويُّ (ت: ١٠٣١هـ): (قَوْلُهُ: [عنِ النبيِّ عليه الصلاةُ والسلامُ]: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ سُورَتَانِ ما أُنْزِلَ مِثْلُهُمَا».

رواه مُسْلِمٌ مِن حَدِيثِ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ). [الفتح السماوي: ٣/١١٤٠]

■ فوائد

قالَ صِدِّيقُ بنُ حَسَن خَان الحُسَيْنِيُّ القنوجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قال: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عليه وآلِهِ وسلَّمَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هذهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾».

قالَ النَّوَوِيُّ: فيه بيانُ عِظَمِ فَضْلِ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ، وقد سَبَقَ قريبًا الخلافُ في إطلاقِ تَفضيلِ بَعْضِ القُرآنِ على بَعْضٍ.

وفيه: دليلٌ واضحٌ على كَوْنِهِمَا مِنَ القرآنِ، وردٌّ على مَن نَسَبَ إلى ابنِ مَسْعُودٍ خِلافَ هذا.

وفيه: أَنَّ لَفْظَةَ "قُلْ" مِنَ القرآنِ ثَابِتَةٌ مِن أَوَّلِ السُّورَتَيْنِ بَعْدَ البَسْمَلَةِ، وقد أَجْمَعَتِ الأُمَّةُ على هذا كُلِّهِ، انتهَى.

وقد وَرَدَ في فَضْلِ هاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ أَحَادِيثُ، ذَكَرَها في تُحْفَةِ الذَّاكِرِينَ.

وفي بَعْضِهَا عَنْ عُقْبَةَ عندَ أبي دَاوُدَ والنَّسَائِيِّ بلَفْظِ: «أَلَا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ؟»

قالَ الشَّوْكانِيُّ: فيه دليلٌ على مَزِيدِ فَضْلِهِمَا، ولا تَعَارُضَ بَيْنَ هذا، وبَيْنَ ما وَرَدَ فيهِ مِثْلُ ذلك مِن السُّوَرِ والآياتِ، بل يَنْبَغِي أَنْ يُحمَلَ ما وَرَدَ تَفْضِيلُهُ على أَنَّهُ فَاضِلٌ على ما عَدا ما قدْ وَقَعَ تَفْضِيلُهُ بدَلِيلٍ آخَرَ، فالتَّفْضِيلُ مِن هذه الحَيْثِيَّةِ إضافِيٌّ لا حَقِيقيٌّ.

وهذا شيءٌ حَسَنٌ، فإن مَنَعَ مِنْ ذَلِكَ مَانِعٌ، فالمَرْجِعُ التَّرْجِيحُ بَيْنَ الأَدِلَّةِ القَاضِيَةِ بالتَّفْضِيلِ). [السِّرَاجُ الوَهَّاجُ: ١/ ٥٨٠- ٥٨٤]

■ لفظ آخر

قالَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثنا حَفْصُ بنُ غِيَاثٍ، عن إسماعيلَ، عن قيسٍ، عن عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ: قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ سُورَتَانِ فَتَعَوَّذُوا بهِنَّ، فإنَّه لَمْ يُتَعَوَّذْ بمِثْلِهِنَّ». يعني: المُعَوِّذَتَيْنِ). [مسند الإمام أحمد: ٢٨/ ٥٣١- ٥٣٢]

■ طريق آخر

قالَ عبدُ الرزاقِ بنُ همَّامٍ الصَّنعانيُّ (ت: ٢١١هـ): (عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ سَعْدِ بنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ جُهَيْنَةَ، عَنْ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ الجُهَنِيِّ قالَ: بَيْنَا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ، لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهُنَّ، وَلَمْ أَرَ مِثْلَهُنَّ: المُعَوِّذَتَيْنِ). [المصنف: ٣/ ٣٨٤]

■ طريق آخر

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بنِ إبراهيمَ البُخَارِيُّ (ت: ٢٥٦هـ): (قَالَ قَيْسٌ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، سَمِعَ النُّعْمَانَ الجَنَدِيَّ، عَنْ زِيَادٍ أَبِي رِشْدِينَ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمْ يَتَعَوَّذُوا بِمِثْلِ المُعَوِّذَتَيْنِ»). [التَّارِيخُ الكَبِيرُ: ٣/ ٣٥٣]

حديث آخر عن عقبة بن عامر: (تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما)

قالَ أَبُو دَاودَ سُلَيمَانُ بنُ الأَشْعَثِ السِّجِسْتَانِيُّ (ت:٢٧٥هـ): (حَدَّثَنَا عبدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ النُّفَيلِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ سَلَمَةَ عَن مُحَمَّدِ بنِ إِسحَاقَ عَن سَعيدِ بنِ أَبي سَعيدٍ المَقبُرِيِّ عَن أَبيهِ عَن عُقبَةَ بنِ عَامِرٍ قَالَ: بينَا أَنا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَينَ الجحفةِ وَالأبواءِ إذ غَشِيَتنا رِيحٌ وَظُلمةٌ شَدِيدَةٌ فَجَعَلَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذ بأَعُوذ برَبِّ الفَلَقِ وَأَعُوذ بربِّ النَّاسِ، وَيَقُولُ: «يَا عُقبةُ تَعَوَّذ بهِمَا فَمَا تَعوَّذ مُتَعَوِّذ بمِثلهمَا» قَالَ: وَسَمِعتهُ يَؤُمُّنَا بهِمَا فِي الصَّلاةِ). [سنن أبي داوود: ٢/ ٧٣]

- **قلتُ:** (رَواهُ أبو داوودَ والطحاويُّ في شرحِ مشكلِ الآثارِ، وَالطبرانيُّ فِي المعجَمِ الكبيرِ، وَالخَرَائِطيُّ فِي مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَالجصَّاصُ فِي تَفسيرِهِ وَالبيهَقِيُّ فِي السُّنَنِ الكبرَى وَشُعَبِ الإِيمَانِ كلُّهُم مِن طَرِيقِ مُحَمَّدِ بنِ سَلَمَةَ عَن مُحَمَّدِ بنِ إِسحاقَ بنِ يسارٍ عَن سَعيدِ بنِ أَبي سَعِيدٍ المقبريِّ عَن أَبيهِ عَن عُقبةَ بنِ عامرٍ، وَهذا إِسنادٌ حَسَنٌ، وَقَد صَحَّحَ الأَلبانِيُّ الحَدِيثَ).

قالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الجَصَّاصُ (ت: ٣٧٠هـ): (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ النفيليُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: "بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الجُحْفَةِ

وَالأَبْوَاءِ؛ إِذْ غَشِيَتْنَا رِيحٌ وَظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ بِأَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ وَأَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ وَيَقُولُ: «يَا عُقْبَةُ تَعَوَّذْ بِهِمَا فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا» قَالَ: وَسَمِعْتُه يَؤُمُّنَا بِهِمَا فِي الصَّلاةِ"). [أحكام القرآن: ٦٤٨/٣]

قالَ إِلْكِيَا الهَرَّاسِيُّ عِمادُ الدِّينِ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّبَرِيُّ (ت:٥٠٤ هـ): (عَنْ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ قَالَ: بَيْنَما أنا أَسِيرُ مَعَ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بَيْنَ الجُحْفَةِ والأَبْوَاءِ، إِذْ غَشِيَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ مُظْلِمَةٌ، فجعَلَ رَسُولُ اللَّهِ يَتعوَّذُ بـ (أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ)، وَ(أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)، ويَقُولُ: «يَا عُقْبَةُ، تَعَوَّذْ بِهِمَا؛ فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا»). [أحكام القرآن: ٤٣٣/٤]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الواحِدِ الغافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): (ما جاءَ في سُورَتَي الفَلَقِ والنَّاسِ

(د): عن عُقْبَةَ بنِ عامِرٍ قَالَ: بينَمَا أَسيرُ مع النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الجُحْفَةِ والأَبْوَاءِ إذ غَشِيَنَا رِيحٌ وظُلْمَةٌ شَديدةٌ، فجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعوَّذُ بـ (أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ) و(أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)، ويَقولُ: «يَا عُقْبَةُ، تَعَوَّذْ بِهِمَا، فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا»، وسَمِعْتُه يَؤُمُّنَا بهما في الصلاةِ). [لمحات الأنوار: ١١٥٩/٣]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وعنه قالَ: بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ مَعَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينَ الجُحْفَةِ والأَبْوَاءِ، إِذْ غَشَتْنَا رِيحٌ مُظْلِمَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَعَلَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ بـ ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾، وَ ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾، ويقولُ: «يَا عُقْبَةُ، تَعَوَّذْ بِهِمَا؛ فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا». قالَ: وسَمِعْتُه يَقْرَأُ بهما في الصلاةِ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٢/٢٠]

قالَ حَيْدَرُ بْنُ عَلِيٍّ القَاشِيُّ (ت: ٧٧٦هـ): (وَلأَبِي دَاوُدَ فِي أُخْرَى: بَيْنَمَا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الجُحْفَةِ وَالأَبْوَاءِ إِذْ غَشِيَتْنَا رِيحٌ وَظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ بِأَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ وَأَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، وَيَقُولُ: «يَا عُقْبَةُ تَعَوَّذْ بِهِمَا؛ فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا» قَالَ: وَسَمِعْتُه يَؤُمُّنَا بِهِمَا فِي الصَّلاةِ). [المعتمد في المنقول: ٥٠٧/٢]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ الضُّرَيْسِ وَابْنُ مَرْدُوَيْهْ والبَيْهَقِيُّ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عامِرٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَيْنَ الجُحْفَةِ والأَبْوَاءِ إِذْ غَشِيَنَا رِيحٌ وظلمةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ بـ ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾، وَيَقُولُ: «يَا عُقْبَةُ، تَعَوَّذْ بِهِمَا فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا». قَالَ: وَسَمِعْتُه يَؤُمُّنَا بِهِمَا فِي الصَّلاةِ). [الدر المنثور: ٧٨٦/١٥- ٧٨٧]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَفِي رِوايَةٍ أَنَّهُ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ تَعَوَّذْ بِهِمَا فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا».

وَأَخْرَجَهُ ابنُ حِبَّانَ فِي صَحيحِهِ والحاكِمُ بنَحْوِ هَذا، وَقالَ: صَحيحُ الإِسْنادِ). [تُحفَةُ الذّاكِرينَ: ٣٣٠- ٣٣٢]

حديث آخر عن عقبة بن عامر مرفوعًا: (لا يتعوذ الناس بمثلهن...)

قالَ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْب بْنِ عَلِيٍّ النَّسَائِيُّ (ت: ٣٠٣هـ): (أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ حَكِيمٍ، قالَ: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، قالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ الأَسْلَمِيُّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجُهَنِيِّ، قالَ: قالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «قُلْ»، قُلْتُ: ومَا أَقُولُ؟ قالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾» فقرأَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «لَمْ يَتَعَوَّذِ النَّاسُ بِمِثْلِهِنَّ، أَوْ لاَ يَتَعَوَّذُ النَّاسُ بِمِثْلِهِنَّ»). [سُنَنُ النَّسَائِيِّ: ٧/٢٥١]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وعن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ الجُهَنِيِّ، قالَ: قالَ لِي رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُلْ». قلتُ: ما أقولُ؟ قالَ: «قُلْ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾» فقرَأَهُنَّ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قالَ: «لَم يَتَعَوَّذِ النَّاسُ بِمِثْلِهِنَّ، أَوْ لاَ يَتَعَوَّذُ النَّاسُ بِمِثْلِهِنَّ»). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٢]

لفظ آخر

قالَ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْب بْنِ عَلِيٍّ النَّسَائِيُّ (ت: ٣٠٣هـ): (أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنِي القَعْنَبِيُّ، عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمانَ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عامِرٍ الجُهَنِيِّ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَقُودُ برَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ رَاحِلَتَهُ فِي غَزْوَةٍ إِذْ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ قُلْ»، فَاسْتَمَعْتُ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ قُلْ»، فَاسْتَمَعْتُ، فَقَالَهَا الثَّالِثَةَ، فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ فَقَالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾» فَقَرأَ السُّورَةَ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَرأَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾» وقَرأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَرأَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾» فَقَرأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَالَ: «مَا تَعَوَّذَ بِمِثْلِهِنَّ أَحَدٌ»). [سُنَنُ النَّسَائِيِّ: ٧/٢٥١]

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ، ثَنَا القَعْنَبِيُّ، ثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلْمَانَ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجُهَنِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَقُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاحِلَتَهُ فِي غَزْوَةٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُلْ يَا عُقْبَةُ»، قُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَهَا الثَّالِثَةَ. قُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾» فَقَرأَ السُّورَةَ حَتَّى خَتَمَهَا ثُمَّ قَرأَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾» وقَرأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا ثُمَّ قَرأَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾» وقَرأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَالَ: «مَا تُعُوِّذَ بِمِثْلِهِنَّ»). [المُعْجَمُ الكَبِيرُ: ١٧/٣٤٦]

■ لفظ آخر

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (طريقٌ أُخْرَى

قالَ النَّسائِيُّ: أَخْبَرَنَا محمدُ بنُ عَبْدِ الأعْلَى، حدَّثَنَا المُعْتَمِرُ، سَمِعْتُ النُّعْمَانَ، عن زِيادٍ أبي الأَسَدِ، عن عُقْبَةَ بنِ عامِرٍ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ قالَ: «إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَتَعَوَّذُوا بِمِثْلِ هَذَيْنِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾»). [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩٠٤]

■ لفظ آخر

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الحُمَيْدِيُّ (ت: ٢١٩هـ): (ثنا سُفْيَانُ قَالَ: ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَجْلانَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبي سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: تَهَبَّطْتُ مع النَّبيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ثَنِيَّةٍ فَقَالَ لِي: «قُلْ يَا عُقْبَةُ»، فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ يا رسولَ اللهِ؟ وتَفرَّقْنَا فقُلْتُ: اللَّهُمَّ رُدَّهَا عَلَيَّ مِنْ نَبيِّك، ثُمَّ التَقَيْنَا فَقَالَ لِي: «قُلْ يَا عُقْبَةُ»، فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ يا رسولَ اللهِ؟ ثُمَّ تَفرَّقْنَا، فَقُلْتُ اللَّهُمَّ رُدَّهَا عَلَيَّ مِنْ نَبِيِّكَ، ثُمَّ التَقَيْنَا فَقَالَ لِي: «قُلْ يَا عُقْبَةُ»، فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ يَا رسولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾، مَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ وَلا اسْتَعَاذَ مُسْتَعِيذٌ بِمِثْلِهِنَّ قَطُّ»). [المسند: ٢/٣٧٦]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ عَلِيٍّ النَّسَائِيُّ (ت: ٣٠٣هـ): (أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنِ ابْنِ عَجْلانَ، عَنْ سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: (كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ قُلْ»، فَقُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ عَنِّي ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ قُلْ»، قُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسكَتَ عَنِّي، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ ارْدُدْهُ عَلَيَّ، فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ قُلْ»، قُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾» فقَرَأْتُهَا حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، قُلْتُ: مَاذَا أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾» فقَرَأْتُهَا حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: «مَا سَأَلَ سَائِلٌ بِمِثْلِهِمَا وَلا اسْتَعَاذَ مُسْتَعِيذٌ بِمِثْلِهِمَا»). [سُنَنُ النَّسَائِيِّ: ٧/٢٥٣- ٢٥٤]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (ورُوِيَ في بعضِ الأخبارِ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنه قالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾ ما سأَلَ منها سَائِلٌ، ولا استعاذَ مُستعيذٌ بمِثْلِها قَطُّ»). [بحر العلوم: ٣/٥٢٧]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((س): وعَنْ عُقبةَ بنِ عامِرٍ قالَ: كنتُ أَمْشِي مع رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالَ: «يَا عُقْبَةُ، قُلْ». قلتُ: ماذا أقولُ؟ فسكَتَ عَنِّي، ثم قَالَ: «يَا عُقْبَةُ، قُلْ». قُلتُ: ماذا أَقولُ يا رسولَ اللهِ؟ فسكَتَ عَنِّي، فقُلتُ: اللَّهُمَّ ارْدُدْهُ عليَّ فقالَ: «يَا عُقْبَةُ، قُلْ». فقُلتُ: ما أقولُ؟ فقالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾»، حتى أَتيتُ على آخِرِها، ثم قَالَ: «قُلْ»، قلتُ: ماذا أَقولُ يا

رسولَ اللهِ؟ قالَ: «﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾» فقرَأْتُها حتى أتَيْتُ على آخِرِها، ثم قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عندَ ذلك: «مَا سَأَلَ سَائِلٌ بِمِثْلِهِما ولاَ اسْتَعَاذَ مُسْتَعِيذٌ بِمِثْلِهِمَا». [لمحات الأنوار: ٣/١١٧١- ١١٧٢]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((ذر): وَعَنْ سَعِيدِ بنِ أبي سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ أنَّ عُقبةَ بنَ عامِرٍ الجُهَنِيَّ قَالَ: مَشَيْتُ مع النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالَ لي: «يَا عُقْبَةُ، قُلْ» فقلتُ: أيُّ شيءٍ أقولُ؟ فسكَتَ عنِّي. فقلتُ: اللَّهُمَّ ارْدُدْه عليَّ. فقالَ: «يَا عُقْبَةُ قُلْ»، فقُلتُ: قُلْ فقالَ: «﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾» فقرَأْتُها حتى جِئتُ إلى آخِرِها. ثم قَالَ: «يَا عُقْبَةُ قُلْ». قَالَ: فقُلتُ: قُلْ. فقالَ «﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾» فقرأتُها حتى جِئتُ على آخِرِها، فقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذلك «مَا سَأَلَ سَائِلٌ بِمِثْلِهِما، ولاَ اسْتَعَاذَ مُسْتَعِيذٌ بِمِثْلِهِمَا»). [لمحات الأنوار: ٣/١١٧٢]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((سف): وَعَنْ عُقبةَ بنِ عامِرٍ الجُهَنِيِّ قَالَ: هَبَطْتُ مع رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن ثَنِيَّةٍ فقالَ: «قُلْ يَا عُقْبَةُ»، فقلتُ: يا رَسُولَ اللهِ ما أقولُ؟ ثم تَفرَّقْنَا. فقلتُ: اللَّهُمَّ رُدَّها عَلَيَّ مِن نَبِيِّكَ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.ثم التَقَيْنَا. فقالَ: «قُلْ يَا عُقْبَةُ» فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، ما أقولُ؟ ثم تَفرَّقْنَا. فقلتُ: اللَّهُمَّ رُدَّها عليَّ مِن نَبِيِّكَ. ثم التَقَيْنَا فقالَ: «قُلْ يَا عُقْبَةُ» فقُلْتُ: ما أقولُ يا رَسولَ اللهِ؟ قَالَ: «﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢﴾» قَالَ: فقُلتُ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢﴾ حتى أتَى آخِرُ السُّورةِ، ثم قَالَ: «﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾» فقلتُ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ حتى أتَى آخِرُ السُّورةِ. ثم قَالَ: «﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾» فقُلتُ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ حتى أتَى آخِرُ السُّورةِ، وأنا أقولُ مِثلَ ما يَقولُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَعَوَّذَ الْمُتَعَوِّذُونَ، ولاَ اسْتَعَاذَ الْمُسْتَعِيذُونَ بِمِثْلِهِنَّ قَطُّ».

- (ط، ث): وفي رِوايةٍ: «أُنْزِلَ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَتَانِ لَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِهِما، أَوْ لَمْ أَرَ مِثْلَهُمَا؛ الْمُعَوِّذَتَانِ»). [لمحات الأنوار: ٣/١١٦٩- ١١٧٠]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((ذر): وَعَنْ سَعِيدِ بنِ أبي سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ أنَّ عُقبةَ بنَ عامِرٍ الجُهَنِيَّ قَالَ: مَشَيْتُ مع النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالَ لي: «يَا عُقْبَةُ، قُلْ» فقُلتُ: أيُّ شيءٍ أقولُ؟ فسكَتَ عنِّي. فقلتُ: اللَّهُمَّ ارْدُدْه عليَّ. فقالَ: «يَا عُقْبَةُ قُلْ»، فقُلتُ: قُلْ فقالَ: «﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾» فقرَأْتُها حتى جِئتُ إلى آخِرِها. ثم قَالَ: «يَا عُقْبَةُ قُلْ». قَالَ: فقُلتُ: قُلْ. فقالَ «﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾» فقرأتُها حتى جِئتُ على آخِرِها، فقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذلك «مَا سَأَلَ سَائِلٌ بِمِثْلِهِما، ولاَ اسْتَعَاذَ مُسْتَعِيذٌ بِمِثْلِهِمَا»). [لمحات الأنوار: ٣/١١٧٢]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((س): وَعَنْ عُقبةَ بنِ عامِرٍ قَالَ: كنتُ أَمْشِي مع رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالَ: «يَا عُقْبَةُ، قُلْ». قلتُ: ماذا أقولُ؟ فسكَتَ عنِّي، ثم قَالَ: «يَا عُقْبَةُ، قُلْ». قُلتُ: ماذا أقولُ يا رسولَ اللهِ؟ فسكَتَ عنِّي، فقُلتُ: اللَّهُمَّ ارْدُدْهُ عَلَيَّ فقالَ: «يَا عُقْبَةُ، قُلْ».

فقُلتُ: ما أَقولُ؟ فقالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾»، حتى أَتيتُ على آخِرِها، ثم قَالَ: «قُلْ»، قلتُ: ماذا أَقولُ يا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾» فقرَأْتُها حتى أَتَيْتُ على آخِرِها، ثم قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عندَ ذلك: «مَا سَأَلَ سَائِلٌ بِمِثْلِهِمَا وَلاَ اسْتَعَاذَ مُسْتَعِيذٌ بِمِثْلِهِمَا»). [لمحات الأنوار: ١١٧١/٣- ١١٧٢]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (طَرِيقٌ أُخْرَى

قالَ النَّسائِيُّ: أَخْبَرَنا قُتَيْبَةُ، حدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنِ ابْنِ عَجْلانَ، عن سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عن عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ قالَ: كُنْتُ أَمْشِي معَ رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ فقالَ: «يَا عُقَيْبُ، قُلْ» فقُلْتُ: مَاذا أقولُ؟ فسَكَتَ عَنِّي، ثمَّ قالَ: «قُلْ». فقُلْتُ: ماذا أقولُ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ فسَكَتَ عَنِّي، فقُلْتُ: اللَّهُمَّ ارْدُدْهُ عَلَيَّ. فقالَ: «يَا عُقْبَةُ، قُلْ».

قلتُ: ماذا أقولُ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ فقالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾». فقرَأْتُها حتَّى أَتَيْتُ علَى آخِرِهَا.

ثم قالَ: «قُلْ». فقُلْتُ: ماذا أقولُ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾». فقرَأْتُها حتى أَتَيْتُ علَى آخرِها، ثم قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ عندَ ذلك: «ما سَأَلَ سَائِلٌ بِمِثْلِهَا، ولا اسْتَعَاذَ مُسْتَعِيذٌ بِمِثْلِهَا»). [تفسير القرآن العظيم: ٣٩٠٤/٨]

قالَ جَلاَلُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ أبي شَيْبَةَ وَابْنُ مَرْدُويَهْ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا سَأَلَ سَائِلٌ وَلا اسْتَعَاذَ مُسْتَعِيذٌ بِمِثْلِهِمَا»؛ يَعْنِي: المُعَوِّذَتَيْنِ). [الدر المنثور: ٧٨٨/١٥]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): («مَا سَأَلَ سَائِلٌ وَلاَ اسْتَعَاذَ مُسْتَعِيذٌ بِمِثْلِهِما» مص.

الحَديثُ أَخْرَجَهُ ابنُ أَبي شَيْبَةَ في مُصَنَّفِهِ، كما قالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَهوَ مِنْ حَديثِ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: (إِنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ لِعُقْبَةَ: «اقْرَأْ بهِمَا كُلَّمَا نِمْتَ وَكُلَّما قُمْتَ، مَا سَأَلَ سَائِلٌ وَلاَ اسْتَعَاذَ مُسْتَعِيذٌ بِمِثْلِهِما». وَهذا أَحَدُ الفاظِ حَديثِ عُقْبَةَ المُتقدِّمِ، وَهَكَذا أَخْرَجَ هذهِ الرِّوايَةَ بهذا اللَّفْظِ أَحْمَدُ والنَّسَائيُّ والحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ السُّيُوطِيُّ). [تُحْفَةُ الذَّاكِرِينَ: ٣٣٠- ٣٣٢]

حديث عقبة بن عامر مرفوعًا: (ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون؟...)

طريق محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي

قالَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنا هَاشِمُ بنُ قَاسِمٍ، حَدَّثَنا أبو مُعاويةَ، يعني: شَيْبانَ، عن يَحْيَى بنِ أبي كَثِيرٍ، عن مُحَمَّدِ بنِ إبراهيمَ، أنَّ ابنَ عَابسٍ الجُهَنِيَّ، قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: «يَا ابنَ عَابسٍ، ألا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ مِنْهُ المُتَعَوِّذُونَ؟ قلتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»). [مسند الإمام أحمد: ١٨٣/٢٤]

قالَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثنا حَسَنُ بنُ مُوسَى، حَدَّثنا شَيْبانُ، عن يَحْيَى بنِ أبي كَثِيرٍ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ، أن أبا عبدِ الرحمنِ أخبَرَه: أن ابنَ عابسٍ الجُهَنِيَّ أخبَرَه، أن رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ قالَ له: «يَا ابْنَ عَابسٍ، أَلا أُخْبِرُكَ بأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ المُتَعَوِّذُونَ؟» قالَ: قلتُ: بلى. فقالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ هاتينِ السورتينِ»). [مسند الإمام أحمد: ٥٣٠/٢٨]

قالَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثنا حَسَنُ بنُ مُوسَى، حَدَّثنا شَيْبانُ، عن يَحْيَى، عن مُحَمدِ بنِ إبراهيمَ، أن أبا عبدِ اللَّهِ أخبَرَه أن ابنَ عابسٍ الجُهَنيَّ أخبَرَه، أن رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ قالَ له: «يَا ابْنَ عَابسٍ، أَلا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ المُتَعَوِّذُونَ؟» قالَ: قلتُ: بلى. فقالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ هاتينِ السورتينِ»). [مسند الإمام أحمد: ٦١٢/٢٨]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْب بْنِ عَلِيٍّ النَّسَائِيُّ (ت: ٣٠٣هـ): (أَخْبَرَنَا مَحْمُودُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الوَلِيدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو، عَنْ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الحَارِثِ، أَخْبَرَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ ابْنَ عَابسٍ الجُهَنِيَّ أَخْبَرَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ قَالَ لَهُ: «يَا ابْنَ عَابسٍ، أَلا أَدُلُّكَ - أَوْ قَالَ: أَلا أُخْبِرُكَ - بِأَفْضَلِ مَا يَتَعَوَّذُ بِهِ المُتَعَوِّذُونَ»، قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ»). [سُنَنُ النَّسَائِيِّ: ٢٥١/٧- ٢٥٢]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (وأَخْبَرَنَا أبو الحسنِ عبدُ الرحمنِ بنُ إبراهيمَ بنِ مُحَمَّدٍ العَدْلُ، أَخْبَرَنَا أبو العبَّاسِ مُحَمَّدُ بنُ يعقوبَ، قالَ: أَخْبَرَنَا العبَّاسُ بنُ الوليدِ بنِ مَزيدٍ البَيْرُوتيُّ، أَخْبَرَنِي أبي، أَخْبَرَنَا الأَوْزَاعِيُّ، أخبرنا يحيى بنُ أبي كَثيرٍ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحارثِ التَّيْمِيُّ، عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ الجُهَنِيِّ، أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ له: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ به المُتَعَوِّذُونَ» قلتُ: بلى. قالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»). [الكشف والبيان: ٣٣٧/١٠]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (أَخْبَرَنَا أبو سعيدٍ مُحَمَّد بن إبراهيمَ الشُّريحيُّ، أَخْبَرَنَا أبو إسحاقَ أحمدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إبراهيمَ الثعلبيُّ، أَخْبَرَنَا أبو الحَسَنِ عبدُ الرحمنِ بنُ إبراهيمَ العَدْلُ، حَدَّثَنَا أبو العَبَّاسِ مُحَمَّدُ بنُ يعقوبَ، حَدَّثَنَا أبو العَبَّاسُ بنُ الوليدِ بنِ مَزْيدٍ، أَخْبَرَنِي أَبي حَدَّثَنَا الأوزاعيُّ، حَدَّثَنِي يحيى بنُ أبي كثيرٍ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحارثِ التَّيْميُّ، عن عُقْبةَ بنِ عامِرٍ الجُهَنِيِّ، أن رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ له: «أَلا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلَ ما تَعَوَّذَ المُتَعَوِّذُونَ"؟» قلتُ: بلى، قالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»). [معالم التنزيل: ٧٢٨]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((ع): وَعَنِ ابْنِ عَابسٍ الجُهَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا ابْنَ عَابسٍ، أَلاَ أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلَ مَا تَعوَّذَ بِهِ الْمُتعوِّذُونَ؟». قلتُ: بلى يا رسولَ اللهِ. قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»). [لمحات الأنوار: ٣/١١٦٣]

قالَ ابْنُ القيِّمِ مُحمَّدُ بْنُ أَبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (وفي لفْظٍ آخَرَ من روايةِ مُحَمَّدِ بنِ إبراهيمَ التَّيْمِيِّ، عن عُقْبَةَ، أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ له: «ألا أُخْبِرُكَ بأفْضَلِ مَا تَعوَّذَ بِهِ الْمُتعوِّذُونَ؟» قُلْتُ: بلى. قالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»). [بدائع الفوائد: ٢/١٩٨]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (حديثٌ آخَرُ

قالَ النَّسائِيُّ: أَخْبَرَنا مَحمودُ بنُ خالِدٍ، حدَّثَنا الوَلِيدُ، حدَّثَنا أبو عُمَرَ الأَوْزَاعِيُّ، عن يَحْيَى بنِ أبي كَثِيرٍ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ الحارِثِ، عن أبي عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ ابْنِ عَابسٍ الجُهَنِيِّ، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم قالَ لَهُ: «يَا ابنَ عَابسٍ، ألا أَدُلُّكَ - أو: ألاَ أُخْبِرُكَ- بأَفْضَلِ مَا يَتعَوَّذُ بهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟» قالَ: بلَى يا رَسُولَ اللَّهِ. قالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾. هاتانِ السُّورَتانِ».

فهذهِ طُرُقٌ عن عُقْبَةَ كالمُتواتِرَةِ عنه، تُفيدُ القَطْعَ عندَ كثيرٍ مِن المُحقِّقِينَ في الحديثِ). [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩٠٥]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ قَالَ: «أَلا أُخْبِرُكَ بأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»). [اللباب: ٢٠/٥٧٥]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ والنَّسَائِيُّ والبَغَوِيُّ والبَيْهَقِيُّ عَنِ ابنِ عابسٍ الجُهَنِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «يَا ابنَ عَابسٍ، أَلا أُخْبِرُكَ بأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟» قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ هُمَا الْمُعَوِّذَتَانِ»). [الدر المنثور: ١٥/٧٨٧]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وعنْ عقبةَ بنِ عامرٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ قَالَ: «أَلا أُخبِرُكَ بأَفضَلِ مَا تَعوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟». قلتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلم قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٥]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وعنْ عقبةَ بنِ عامرٍ، قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ نَزَلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قطُّ، ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَأَعُوذُ بربِّ النَّاسِ».

وعنهُ أيضًا أنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ قَالَ: «أَلا أُخبِرُكَ بأَفْضَلِ مَا تَعوَّذَ بِهِ الْمُتَعوِّذُ».

قلتُ: بلى، قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ وَالنَّسَائِيُّ وَالبَغَوِيُّ وَالبَيْهَقِيُّ عن أبي حَابسٍ الجُهَنِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا أَبَا حَابسٍ أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟» قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾». هُمَا الْمُعَوِّذَتَانِ). [فتح القدير: ٥/٧٥٦]

قلت: (هكذا في المطبوع، والصواب: ابن عابس، وهو عقبة بن عامر بن عابس الجهني رضي الله عنه).

مرسل مقاتل بن سليمان

قَالَ عَبْدُ الخَالِقِ بْنُ الحَسَنِ ابنُ أَبِي رُوبَا (ت:٣٥٦ هـ): حدَّثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ ثابتٍ الثَّوريُّ عن أبيه عن الهُذَيْلِ بنِ حَبيبٍ عنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ البلخيِّ (ت:١٥٠هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ يَعْنِي اليَهودَ حِينَ حَسَدوا النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فقالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ: أَلا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذونَ؟ قَالَ: «يَا جِبْرِيلُ، مَا هُوَ؟» قَالَ: الْمُعَوِّذَتَانِ؛ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾). [تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٣٨]

تنبيه

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وفي حديثِ ابنِ عبَّاسٍ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ»). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٢- ٢٥٣]

قلت: (هكذا غير تام في المطبوع وأنه من حديث ابن عباس، ولعله تصحيف، فهو حديث ابن عابس عقبة بن عامر الجهني كما تقدم).

لفظ آخر

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (وروَى عَلقَمَةُ، عن عُقبَةَ بنِ عامرٍ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنه قالَ: «مَا تَعَوَّذَ الْمُتَعَوِّذُونَ بِمِثْلِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ»). [بحر العلوم: ٣/٥٢٨]

وجه كونهما أفضل ما استعيذ به

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (فَصْلٌ:

وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ فَضْلُ هَذِهِ الاسْتِعَاذَةِ وَالَّتِي قَبلَهَا كَمَا جاءَتْ بِذَلِكَ الأَحَادِيثُ عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَعِذِ الْمُسْتَعِيذُونَ بِمِثْلِهِمَا؛ فَإِنَّ الوَسْوَاسَ أَصْلُ كُلِّ كُفْرٍ وَفُسُوقٍ وَعِصْيَانٍ؛ فَهُوَ أَصْلُ الشَّرِّ كُلِّهِ؛ فَمَتَى وُقِيَ الإِنْسَانُ شَرَّهُ وُقِيَ عَذَابَ جَهَنَّمَ وَعَذَابَ القَبْرِ وَفِتْنَةَ المَحْيَا وَالمَمَاتِ وَفِتْنَةَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ هَذِهِ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِطَرِيقِ الوَسْوَاسِ.

وَوُقِيَ عَذَابَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُعَذِّبُ عَلَى الذُّنُوبِ، وَأَصْلُهَا مِنَ الوَسْوَاسِ.

ثُمَّ إنْ دَخَلَ فِي الآيَةِ وَسْوَاسُ غَيْرِهِ بِحَيْثُ يَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ اسْتِعَاذَةً مِنَ الوَسْوَاسِ الَّذِي يَعْرِضُ لَهُ، وَالَّذِي يَعْرِضُ لِلنَّاسِ بِسَبَبِهِ؛ فَقَدْ وُقِيَ ظُلْمَهُمْ.

وَإِنْ كَانَ إنَّمَا يُرِيدُ وَسْوَاسَهُ؛ فَهُمْ إنَّمَا يُسَلَّطُونَ عَلَيْهِ بِذُنُوبِهِ، وَهِيَ مِنْ وَسْوَاسِهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وَقَالَ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

وَقَالَ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩]). [مجموع الفتاوى:١٧/٥١٨]

حديث عقبة بن عامر مرفوعًا: (ألا أعلمك سورتين ...)

طريق عبد الرحمن بن يزيد عن القاسم عن عقبة

قالَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثنا الوليدُ بنُ مُسلمٍ، قالَ: حَدَّثنا ابنُ جابرٍ، عَنِ القاسمِ أبي عبدِ الرحمنِ عن عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ قالَ: بَيْنَا أَنَا أَقُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ في نَقْبٍ من تِلْكَ النِّقَابِ، إذ قالَ لي: «يَا عُقْبُ ألا تَرْكَبُ؟» قالَ: فأَجْلَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أنْ أَرْكَبَ مَرْكَبَهُ، ثُمَّ قالَ: «يَا عُقْبُ أَلَا تَرْكَبُ؟» قالَ: فأَشْفَقْتُ أنْ تَكُونَ مَعْصِيَةً، قالَ: فنزَلَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ورَكِبْتُ هُنَيَّةً، ثُمَّ رَكِبَ، ثُمَّ قالَ: «يَا عُقْبُ، ألا أُعَلِّمُكَ سُورَتَيْنِ مِنْ خَيْرِ سُورَتَيْنِ قَرَأَ بِهِمَا النَّاسُ؟» قالَ: قلتُ: بلى يا رسولَ اللَّهِ. قالَ: فأَقْرَأَنِي ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ ثُمَّ أُقِيمَتِ الصلاةُ، فتقَدَّمَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فقرَأَ بهما، ثُمَّ مَرَّ بي، قالَ: «كَيْفَ رَأَيْتَ يَا عُقْبُ؟ اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْتَ وَكُلَّمَا قُمْتَ»).

قال أَبو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: هو عُقْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ عَابسٍ، ويقال: ابْنُ عَبْسٍ الجُهَنِيُّ). [مسند الإمام أحمد: ٢٨/٥٢٨- ٥٣٠]

- **قلت:** (هذا الحديث رواه الإمام أحمد والنسائي وأبو يعلى وابن خزيمة والروياني والطحاوي والطبراني كلهم من طريق الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن القاسم أبي عبد الرحمن عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.

والوليد بن مسلم يدلس تدليس التسوية لكنه قد صرح بالتحديث عن ابن جابر وبتحديث ابن جابر عن القاسم كما في صحيح ابن خزيمة.

ورواه ابن السني وابن سمعون كلاهما من طريق هشام بن عمار عن صدقة بن خالد عن ابن جابر به.

ورواه النسائي وابن الضريس مختصرًا من طريق عبد الله بن المبارك عن ابن جابر به.

وخالف الثعلبي في روايته وستأتي).

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (وأَخْبَرَنَا الحسينُ الخَبَّازِيُّ الْمُقرِئُ، أَخْبَرَنَا ابنُ عَدِيٍّ، أَخْبَرَنَا إبراهيمُ بنُ دُحَيْمٍ، أَخْبَرَنَا أبي، أَخْبَرَنَا الوليدُ بنُ مُسْلِمٍ، أَخْبَرَنَا هِشامُ بنُ الغَازِ، عن يَزِيدَ بنِ يَزِيدَ بنِ جابرٍ، عن القاسمِ

أبي عبدِ الرحمنِ، عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ، قالَ: قالَ لي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عُقْبَةُ، أَلا أُعَلِّمُكَ سُورَتَيْنِ هُمَا أَفْضَلُ القُرْآنِ، أَوْ مِنْ أَفْضَلِ القُرْآنِ». قُلْتُ: بلى يا رسولَ اللَّهِ، فعَلَّمَنِي المُعَوِّذَتَيْنِ، ثُمَّ قَرَأَهُمَا فِي صَلاَةِ الغَدَاةِ، وقالَ لي: «اقْرَأْهُمَا كُلَّمَا قُمْتَ وَنِمْتَ»). [الكشف والبيان: ١٠/٣٣٧]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((ذر): وَعَنْ عُقبةَ بنِ عامرٍ قَالَ: قُدْتُ برَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نَقَبٍ مِنْ تِيكَ النِّقَاب فقَالَ: «أَلا تَرْكَبُ يَا عُقْبَةُ؟» فأَجْلَلْتُ أنْ أَرْكَبَ مَرْكِبَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قَالَ: «أَلا تَرْكَبُ يَا عُقْبَةُ؟» قَالَ: فأَشفَقْتُ أنْ تكونَ مَعصِيَةً، فنَزلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وركِبْتُ هُنَيْهَةً. ثم نَزَلْتُ وركِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قَالَ: «يَا عُقْبَةُ، أَلا أُعَلِّمُكَ بسُورَتَيْنِ مِنْ خَيْرِ سُورَتَيْنِ قَرَأَ بهِمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟» فقُلتُ: بلى يا رسولَ اللهِ. فأَقْرَأَني ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾ ثم أُقِيمَتِ الصلاةُ فصَلَّى وقرَأَ بهما، ثم مَرَّ بي فقال: «كَيْفَ رَأَيْتَ يَا عُقْبَةُ؟ اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْتَ أَوْ قُمْتَ».

(ش): وعنه قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأْ بالمُعَوِّذَتَيْنِ كُلَّمَا نِمْتَ وَكُلَّمَا قُمْتَ»). [لمحات الأنوار: ٣/١١٦٣- ١١٦٤]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((ث): وقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعُقْبَةَ بنِ عامِرٍ: «أَلاَ أُعَلِّمُكَ سُورَتَيْنِ هُمَا أَفْضَلُ القُرْآنِ، أَوْ مِنْ أَفْضَلِ القُرْآنِ»؟ قلتُ: بلى يا رسولَ اللهِ. فعَلَّمَنِي المُعَوِّذَتَيْنِ، ثم قَرَأَ بهما في صلاةِ الغَدَاةِ وقالَ: «اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا قُمْتَ وَنِمْتَ»). [لمحات الأنوار: ٣/١١٦٩]

قالَ إسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (طَرِيقٌ أُخْرَى

قالَ الإمامُ أحمدُ: حدَّثَنا الوليدُ بنُ مُسلمٍ، حدَّثَنا ابنُ جابرٍ، عن القاسمِ أبي عَبْدِ الرحمنِ، عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ قالَ: بَيْنَا أَنَا أَقُودُ برَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ في نَقْبٍ مِن تلكَ النِّقاب، إذ قالَ لِي: «يَا عُقْبَةُ، أَلاَ تَرْكَبُ؟». قالَ: فأَجْلَلْتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ أنْ أَرْكَبَ مَرْكَبَهُ.

ثم قالَ: «يَا عُقَيْبُ، أَلاَ تَرْكَبُ؟». فأَشْفَقْتُ أَنْ تَكونَ مَعْصِيَةً. قالَ: فنَزَلَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ، وركِبْتُ هُنَيْهَةً، ثم رَكِبَ ثم قالَ: «يَا عُقَيْبُ، أَلاَ أُعَلِّمُكَ سُورَتَيْنِ مِن خَيْرِ سُورَتَيْنِ قَرَأَ بِهِمَا النَّاسُ». قلتُ: بَلَى يا رَسُولَ اللَّهِ. فأَقْرَأَنِي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾، ثم أُقِيمَتِ الصلاةُ، فتَقَدَّمَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ فقرَأَ بهما، ثم مَرَّ بي فقالَ: « كَيْفَ رَأَيْتَ يَا عُقَيْبُ؟ اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْتَ وكُلَّمَا قُمْتَ ».

ورواهُ النَّسائِيُّ مِن حديثِ الوَليدِ بنِ مُسلمٍ وعَبْدِ اللَّهِ بنِ المُبارَكِ، كلاهما عَنِ ابْنِ جابرٍ به.

ورواهُ أبو دَاوُدَ والنَّسائِيُّ أيضًا مِن حديثِ ابنِ وَهْبٍ، عن مُعاوِيَةَ بنِ صالحٍ، عن العَلاءِ بنِ الحَارِثِ، عن القَاسِمِ بنِ عَبْدِ الرحمنِ، عن عُقْبَةَ به). [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩٠٣]

قالَ حَيْدَرُ بْنُ عَلِيٍّ القَاشِيُّ (ت: ٧٧٦هـ): (وَفِي رِوَايَةٍ لأَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ: كُنْتُ أَقُودُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاقَتَهُ فِي سَفَرٍ فَقَالَ لِي: «يَا عُقْبَةُ، أَلا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ قُرِئَتَا؟» فَعَلَّمَنِي ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ فَلَمْ يَرَنِي سُرِرْتُ بِهِمَا جِدًّا، فَلَمَّا نَزَلَ لِصَلاةِ الصُّبْحِ صَلَّى بِهِمَا الصُّبْحَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الصَّلاةِ التَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ كَيْفَ رَأَيْتَ؟»). [المعتمد في المنقول: ٥٠٦/٢]

قالَ حَيْدَرُ بْنُ عَلِيٍّ القَاشِيُّ (ت: ٧٧٦هـ): (وَلِلنَّسَائِيِّ: بَيْنَمَا أَقُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ قُلْ» فَاسْتَمَعْتُ فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ قُلْ» فَاسْتَمَعْتُ فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ قُلْ» فَاسْتَمَعْتُ فَقَالَ الثَّالِثَةَ، فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ فَقَالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾» حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَرَأَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَقَرَأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَرَأَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ فَقَرَأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا ثُمَّ قَالَ: «مَا تَعَوَّذَ بِمِثْلِهَا أَحَدٌ».

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ قَالَ: بَيْنَمَا أَقُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَقْبٍ مِنْ تِلْكَ النِّقَابِ إِذْ قَالَ: «أَلا تَرْكَبُ يَا عُقْبَةُ؟» فَأَجْلَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَرْكَبَ مَرْكَبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «أَلا تَرْكَبُ يَا عُقْبَةُ؟» فَأَشْفَقْتُ أَنْ يَكُونَ مَعْصِيَةً، فَنَزَلَ فَرَكِبْتُ هُنَيْهَةً وَنَزَلْتُ وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «أَلا أُعَلِّمُكَ سُورَتَيْنِ مِنْ خَيْرِ سُورَتَيْنِ قَرَأَهُمَا النَّاسُ؟» فَأَقْرَأَنِي ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ فَأُقِيمَتِ الصَّلاةُ فَتَقَدَّمَ فَقَرَأَ بِهِمَا ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ رَأَيْتَ يَا عُقْبَةُ؟ اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْتَ وَقُمْتَ»). [المعتمد في المنقول: ٥٠٦/٢- ٥٠٧]

قالَ محمودُ بنُ أحمدَ بنِ مُوسَى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): (عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ قالَ: كنتُ أقُودُ لرسولِ اللَّهِ ناقتَه في السفرِ، فقالَ لي: «يا عُقْبَةُ، ألا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ قُرِئَتَا؟» فعلَّمَنِي ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ قالَ: فلم يَرَنِي سُرِرْتُ بهما جدًّا، فلما نزلَ لصلاةِ الصبحِ صلَّى بهما صلاةَ الصبحِ للناسِ، فلما فرغَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ من الصلاةِ التفتَ إليَّ فقالَ: «يا عُقْبَةُ كَيْفَ رَأَيْتَ؟»). [شرح سنن أبي داود: ٣٧٩/٥]

قالَ جَلاَلُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ الحاكمُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: كُنْتُ أَقُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاحِلَتَهُ فِي السَّفَرِ، فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ، أَلا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ قُرِئَتَا». قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾». فَلَمَّا نَزَلَ صَلَّى بِهِمَا صَلاةَ الغَدَاةِ، ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تَرَى يَا عُقْبَةُ؟»). [الدر المنثور: ٧٩٠/١٥]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (فَضْلُ سورَتَي الفَلَقِ والنَّاسِ، «أَلا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ السُّورَتَيْنِ قُرِئَتَا» (د، س) الحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أبو داوُدَ والنَّسائِيُّ كما قالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَهوَ مِنْ حَديثِ عُقْبَةَ بنِ

عامرٍ، قالَ: (كُنْتُ أَقُودُ برَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاقَتَهُ فِي السَّفَرِ، فَقَالَ لِي: «يَا عُقْبَةُ، أَلا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ قُرِئَتَا؟» فعَلَّمَنِي ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ فَلَمْ يَرَنِي سُرِرْتُ بِهِمَا جِدًّا، فَلَمَّا نَزَلَ لِصَلاةِ الصُّبْحِ صَلَّى بِهِمَا صَلاةَ الصُّبْحِ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الصَّلاةِ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ كَيْفَ رَأَيْتَ؟»). [تُحْفَةُ الذَّاكِرِينَ: ٣٣٠- ٣٣٢]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): («اقْرَأْهُمَا كُلَّمَا نِمْتَ وَكُلَّمَا قُمْتَ» مص.

الحَدِيثُ أَخْرَجَهُ ابنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ، وَهوَ أَحَدُ الفاظِ حديثِ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ المُتَقَدِّمِ كَما عَرَّفْناك، وَقَدْ أَخْرَجَهُ بهَذا اللَّفْظِ أَحْمَدُ والنَّسائِيُّ والحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ السُّيوطِيُّ). [تُحْفَةُ الذَّاكِرِينَ: ٣٣٠- ٣٣٢]

■ فائدة

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (قَوْلُهُ: «خَيْرَ سُورَتَيْنِ قُرِئَتَا» فيهِ دَليلٌ عَلَى مَزِيدِ فضلِهِما، وَلا تَعارُضَ بَيْنَ هَذا وَبَيْنَ ما وَرَدَ فيهِ مِثْلُ ذَلِك مِنَ السُّوَرِ والآياتِ، بَلْ يَنْبَغي أَنْ يُحْمَلَ ما وَرَدَ تَفْضيلُهُ عَلَى أَنَّهُ فاضِلٌ عَلَى ما عَدا ما قَدْ وَقَعَ تَفْضيلُه بدَليلٍ آخَرَ، فالتَّفْضيلُ مِنْ هَذِهِ الحَيْثِيَّةِ إِضافِيٌّ لا حَقيقيٌّ، وَهَذا جَمْعٌ حَسَنٌ، فَإِنْ مَنَعَ مانِعٌ مِنْ ذَلِك فالمَرْجِعُ التَّرْجيحُ بَيْنَ الأَدِلَّةِ القاضيَةِ بالتَّفْضيلِ). [تُحْفَةُ الذَّاكِرِينَ: ٣٣٠- ٣٣٢]

■ طريق معاوية بن صالح عن العلاء بن الحارث عن القاسم عن عقبة

قالَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثنا زيدُ بنُ الحُبابِ، حَدَّثنا مُعاويةُ بنُ صالحٍ، حَدَّثنا العلاءُ بنُ الحارثِ، عن القاسمِ بنِ عبدِ الرحمنِ مولى مُعاويةَ بنِ أبي سُفْيانَ، عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ قالَ: كنتُ أَقُودُ برسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ ناقتَه، قالَ: فقالَ لي: «أَلا أُعَلِّمُكَ سُورَتَيْنِ لَمْ يُقْرَأْ بِمِثْلِهِمَا؟» قلتُ: بلى؛ فعَلَّمَنِي ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، فلم يَرَنِي أُعْجِبْتُ بهما، فلَمَّا نَزَلَ الصُّبْحُ فقرَأَ بهما، ثُمَّ قالَ لي: «كَيْفَ رَأَيْتَ يَا عُقْبَةُ؟»). [مسند الإمام أحمد: ٢٨/ ٥٨٣]

قالَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدِيٍّ، عن مُعاويةَ - يعني ابنَ صالحٍ - عن العَلاءِ بنِ الحارثِ، عن القاسمِ مولى مُعاويةَ، عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ قالَ: كنتُ أَقودُ برسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ راحلتَه في السَّفَرِ، فقالَ: «يَا عُقْبَةُ، أَلا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ قُرِئَتَا؟» قلتُ: بلى. قالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾». فلما نزلَ صلَّى بهما صلاةَ الغَداةِ، قالَ: «كَيْفَ تَرَى يَا عُقْبَةُ؟»). [مسند الإمام أحمد: ٢٨/ ٦١٤- ٦١٥]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ عَلِيٍّ النَّسَائِيُّ (ت: ٣٠٣هـ): (أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ الْحَارِثِ - وَهُوَ الْعَلاءُ - عَنِ الْقَاسِمِ مَوْلَى مُعَاوِيَةَ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: (كُنْتُ أَقُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّفَرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا

عُقْبَةُ، ألا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ قُرِئَتَا»، فَعَلَّمَنِي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ فَلَمْ يَرَنِي سُرِرْتُ بِهِمَا جِدًّا، فَلَمَّا نَزَلَ لِصَلاةِ الصُّبْحِ صَلَّى بِهِمَا صَلاةَ الصُّبْحِ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ مِنَ الصَّلاةِ الْتَفَتَ إِلَيَّ، فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ كَيْفَ رَأَيْتَ»). [سُنَنُ النَّسَائِيِّ: ٢٥٢/٧- ٢٥٣]

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حَدَّثَنَا أَبُو يَزِيدَ الْقَرَاطِيسِيُّ، ثَنَا أَسَدُ بْنُ مُوسَى ح. وَحَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ خَالِدِ بْنِ سَهْلٍ، ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، قَالا: ثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنِ الْعَلاءِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: كُنْتُ أَقُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاقَتَهُ فِي السَّفَرِ فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ، أَلا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ قُرِئَتَا؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَلَّمَنِي قَالَ: فَعَلَّمَنِي ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ فَلَمْ يَرَنِي أُعْجِبْتُ بِهِمَا، فَلَمَّا نَزَلَ صَلَّى بِهِمَا الصُّبْحَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلاتِهِ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ، كَيْفَ رَأَيْتَ»). [الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ: ٣٣٤/١٧- ٣٣٥]

قَالَ الْحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودِ بْنِ مُحَمَّدٍ الفَرَّاءُ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (وقالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ: كُنْتُ أَقُودُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ نَاقَتَهُ فِي السَّفَرِ، فقَالَ لي: «يَا عُقْبَةُ، أَلاَ أُعَلِّمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ قُرِئَتَا؟» فَعَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾. قالَ: فَلَمْ يَرَنِي سُرِرْتُ بِهِمَا جِدًّا، فلمَّا نَزَلَ لِصَلاةِ الصُّبْحِ صَلَّى بهما صَلاةَ الصُّبْحِ للنَّاسِ، فلمَّا فرَغَ الْتَفَتَ إِلَيَّ فقالَ: «يَا عُقْبَةُ كَيْفَ رَأَيْتَ؟»). [مَصَابِيحُ السُّنَّةِ: ٣٢٩/١]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((د): وَعَنْ عُقبةَ بنِ عامِرٍ قَالَ: كنتُ أَقودُ بِرَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ناقتَه في السَّفرِ فقالَ لي: «يَا عُقْبَةُ، أَلاَ أُعَلِّمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ قُرِئَتا؟»

فعَلَّمَنِي ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ فلَمْ يَرَنِي سُرِرْتُ بهما جِدًّا.

قالَ: فلَمَّا نَزلَ لصلاةِ الصُّبْحِ صلَّى بهما صلاةَ الصُّبْحِ للنَّاسِ، فلَمَّا فرَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الصلاةِ الْتَفَتَ إليَّ، فقالَ: «يَا عُقْبَةُ كَيْفَ رَأَيْتَ؟».

قُلتُ: وخَرَّجَه عبدُ المَلِكِ بنُ حَبيبٍ بِمِثْلِهِ. وقالَ: «اعْلَمْ يَا عُقْبَةُ أَنَّكَ لَنْ تُصَلِّيَ بِمِثْلِهِمَا»). [لمحات الأنوار: ١١٦٦/٣- ١١٦٧]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((سف): وَعَنْ عُقبةَ بنِ عامِرٍ الجُهَنِيِّ قَالَ: هَبَطْتُ مع رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن ثَنِيَّةٍ فقالَ: «قُلْ يَا عُقْبَةُ»، فقلتُ: يا رَسُولَ اللهِ ما أَقولُ؟ ثم تَفرَّقْنَا. فقلتُ: اللَّهُمَّ رُدَّهَا عَلَيَّ مِن نَبِيِّكَ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.ثم التَقَيْنَا. فقالَ: «قُلْ يَا عُقْبَةُ» فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، ما أَقولُ؟ ثم تَفرَّقْنَا. فقلتُ: اللَّهُمَّ رُدَّهَا عليَّ مِن نَبِيِّكَ. ثم التَقَيْنَا فقالَ: «قُلْ يَا عُقْبَةُ» فقُلْتُ: ما أَقولُ يا رَسولَ اللهِ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾» قَالَ: فقُلتُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ حتى أَتَى آخِرَ السُّورةِ، ثم قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾» فقُلتُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ حتى أَتَى آخِرَ السورةِ. ثم قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾» فقُلتُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

﴿ٱلنَّاسِ ①﴾ حتى أَتَى آخِرُ السُّورةِ، وأنا أَقولُ مِثلَ ما يَقولُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَعَوَّذَ المُتَعَوِّذُونَ، وَلاَ اسْتَعَاذَ المُسْتَعِيذُونَ بِمِثْلِهِنَّ قَطُّ». [لمحات الأنوار: ٣/١١٧٠]

حديث عقبة بن عامر مرفوعًا: (ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت...)

قالَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثنا أبو المُغيرةِ، حَدَّثنا مُعانُ بنُ رِفَاعَةَ، حَدَّثني عَلِيُّ بنُ يَزِيدَ، عن القاسمِ، عن أبي أُمامةَ الباهليِّ، عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ قالَ: لَقِيتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَابْتَدَأْتُهُ فأخَذْتُ بيَدِه، قالَ: فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، ما نَجَاةُ المُؤْمِنِ؟ قالَ: «يَا عُقْبَةُ، احْرُسْ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ».

قالَ: ثُمَّ لَقِيَنِي رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فابْتَدَأَنِي فأَخَذَ بيَدِي، فقالَ: «يَا عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، أَلا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ ثَلاثِ سُوَرٍ أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالفُرْقَانِ العَظِيمِ؟»

قالَ: قُلْتُ: بلى جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ.

قالَ: فَأَقْرَأَنِي: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾.

ثُمَّ قالَ: «يا عُقْبَةُ، لا تَنْسَاهُنَّ، ولا تَبتْ لَيْلَةً حَتَّى تَقْرَأَهُنَّ».

قالَ: فمَا نَسِيتُهُنَّ قَطُّ منذُ قالَ: «لا تَنْسَاهُنَّ»، وما بتُّ لَيْلَةً قَطُّ حَتَّى أَقرَأَهُنَّ.

قالَ عُقْبةُ: ثُمَّ لَقِيتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَابْتَدَأْتُهُ فأخذتُ بيدِه فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أخْبِرْني بفَواضِلِ الأعمالِ.

فقالَ: «يَا عُقْبَةُ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»). [مسند الإمام أحمد: ٢٨/٥٦٩ - ٥٧٠]

قالَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثنا حُسينُ بنُ محمدٍ، حَدَّثنا ابنُ عَيَّاشٍ، عن أَسِيدِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الخَثْعَمِيِّ، عن فَرْوَةَ بنِ مُجاهِدٍ اللَّخْمِيِّ عن عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ، قالَ: لَقِيتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فقالَ لي: «يَا عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ».

قالَ: ثُمَّ أتيتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فقالَ لي: «يا عُقْبَةَ بْنَ عامرٍ، امْلِكْ لِسَانَكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ».

قالَ: ثُمَّ لَقِيتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فقالَ لي: «يَا عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، أَلا أُعَلِّمُكَ سُوَرًا مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلا فِي الزَّبُورِ، وَلا فِي الإِنْجِيلِ، وَلا فِي الفُرْقَانِ مِثْلُهُنَّ، لا يَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ لَيْلَةٌ إِلا قَرَأْتَهُنَّ فِيهَا ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾».

قالَ عُقْبةُ: فما أَتَتْ عَلَيَّ ليلةٌ إلا قَرَأْتُهنَّ فيها، وحُقَّ لي أنْ لا أَدَعَهُنَّ وقد أَمَرَني بهنَّ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ.

وكانَ فَرْوةُ بنُ مجاهدٍ إذا حدَّثَ بهذا الحديثِ يقولُ: ألا فربَّ مَنْ لا يَمْلِكُ لِسانَه، أو لا يَبْكِي على خَطِيئَتِه، ولا يَسعُهُ بَيْتُهُ). [مسند الإمام أحمد: ٢٨/٦٥٤- ٦٥٥]

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عُثْمَانَ بْنِ صَالِحٍ، ثَنَا أَبُو صَالِحٍ الحَرَّانِيُّ، ثَنَا مُوسَى بْنُ أَعْيَنَ ح.

وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عِقَالٍ الحَرَّانِيُّ، ثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ النُّفَيْلِيُّ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ كِلاهُمَا عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحِيمِ خَالِدِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ المَلِكِ الشَّامِيِّ، أُرَاهُ عَنِ القَاسِمِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلا أُخْبِرُكَ خَيْرَ ثَلاثِ سُوَرٍ أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالفُرْقَانِ؟» قُلْتُ: عَلِّمْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، فَقرَأَ «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا تَبِيتَ لَيْلَةً حَتَّى تَقْرَأَهُنَّ وَلا يَمُرَّ بِكَ يَوْمٌ حَتَّى تَقْرَأَهُنَّ»). [المُعْجَمُ الكَبِيرُ: ١٧/٢٧١]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): (ما جَاءَ فِي سُورةِ الإخلاصِ والمُعَوِّذَتَيْنِ

- (زي، حـ): عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالَ لِي: «يَا عُقْبَةُ - وأخَذَ بِيَدِي- أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَفضَلَ سُورَةٍ أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالقُرْآنِ»؟ فقُلتُ: بَلَى بأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، فعلِّمْني. فقالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾» ثم دفعَ بظَهْرِ كفِّهِ فِي صَدْرِي، وقالَ: «لاَ تَنْسَ وَلاَ تَبِتْ لَيْلَةً حَتَّى تَقْرَأَهُنَّ».

قالَ عُقْبَةُ: فما نَسِيتُ مُنذُ قَالَ لي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا كانَ لي أنْ أَنْسَى، ولا بتُّ ليلةً إلاَّ قَرَأْتُ بهنَّ). [لمحات الأنوار: ٣/١١٤٨- ١١٤٩]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (قالَ الإمامُ أحمدُ: حدَّثَنَا أبو المُغِيرَةِ، حدَّثَنَا مُعَاذُ بنُ رِفَاعَةَ، حدَّثني عَلِيُّ بنُ يزيدَ، عن القاسمِ، عن أبي أُمامَةَ، عن عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ قالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ، فابْتَدَأْتُهُ فَأَخَذْتُ بيدِه فقُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِمَ نَجاةُ المؤمنِ؟ قالَ: «يَا عُقْبَةُ، احْرُسْ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ». قالَ: ثم لَقِيَنِي رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ، فابْتَدَأَنِي فأَخَذَ بيدِي فقالَ: «يَا عُقْبَةُ بنَ عَامِرٍ، أَلاَ أُعَلِّمُكَ خَيْرَ ثَلاثِ سُوَرٍ أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ والإِنْجِيلِ والزَّبُورِ والقُرْآنِ العَظِيمِ؟».

قالَ: قُلْتُ: بَلَى، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قالَ: فأَقْرَأَنِي: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾، ثم قالَ: «يَا عُقْبَةُ، لا تَنْسَهُنَّ ولا تَبِتْ لَيْلَةً حَتَّى تَقْرَأَهُنَّ».

قالَ: فَمَا نَسِيتُهُنَّ مُنْذُ قالَ: «لا تَنْسَهُنَّ». وما بِتُّ لَيْلَةً قطُّ حتى أَقْرَأَهُنَّ. قالَ عُقْبَةُ: ثمَّ لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ، فابْتَدَأْتُهُ فأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فقُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بفَواضِلِ الأَعْمالِ. فقالَ: «يَاعُقْبَةُ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ».

ورَوَى التِّرْمِذِيُّ بَعْضَه في الزُّهْدِ مِن حديثِ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ زَحْرٍ، عن عليِّ بنِ يَزِيدَ، وقالَ: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وقدْ رواهُ أَحْمَدُ مِن طَرِيقٍ آخَرَ:

حدَّثَنا حُسَيْنُ بنُ مُحمدٍ، حدَّثَنا ابنُ عَيَّاشٍ، عن أَسِيدِ بنِ عَبْدِ الرحمنِ الخَثْعَمِيِّ، عن فَرْوَةَ بنِ مُجاهِدٍ اللَّخْمِيِّ، عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ، عن النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ... فذكَرَ مِثْلَه سواءً. تفرَّد بهِ أحمدُ). [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩٠٠]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (وقدْ تقدَّمَ في روايةِ صُدَيِّ بنِ عَجْلانَ، وفَرْوَةَ بنِ مُجاهِدٍ عنه: «أَلاَ أُعَلِّمُكَ ثَلاثَ سُوَرٍ لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلاَ فِي الإِنْجِيلِ وَلاَ فِي الزَّبُورِ وَلاَ فِي الفُرْقَانِ مِثْلُهُنَّ؟ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)﴾»). [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩٠٥]

قالَ حَيْدَرُ بْنُ عَلِيٍّ القَاشِيُّ (ت: ٧٧٦هـ): (عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ أَلا أُعَلِّمُكَ سُوَرًا مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَاةِ وَلا فِي الإِنْجِيلِ وَلا فِي الزَّبُورِ وَلا فِي القُرْآنِ مِثْلُهُنَّ، وَلا يَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ لَيْلَةٌ إِلا قَرَأْتَهُنَّ فِيهَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)﴾» قَالَ عُقْبَةُ: فَمَا أَتَتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ إِلا قَرَأْتُهُنَّ فِيهَا، وَحُقَّ لِي أَنْ لا أَدَعَهُنَّ وَقَدْ أَمَرَنِي بِهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ). [المعتمد في المنقول: ٢/٥٠٤]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رَجَبٍ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٧٩٥ هـ): (وفي المُسْنَدِ، مِن طريقِ مُعاذِ بنِ رِفَاعَةَ، عن عليِّ بنِ يَزِيدَ، عن القَاسِمِ، عن أبي أُمامَةَ، عن عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ قالَ: قالَ لي رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: «أَلاَ أُعَلِّمُكَ خَيْرَ ثَلاثِ سُوَرٍ أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالقُرْآنِ العَظِيمِ». قُلْتُ: بَلَى. قالَ: فأَقْرَأَنِي: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)﴾. ثمَّ قالَ لي: «يَا عُقْبَةُ، لا تَنْسَهُنَّ، ولا تَبِتْ لَيْلَةً حَتَّى تَقْرَأَهُنَّ».

ورَوَى التِّرْمِذِيُّ بعضَ هذا الحديثِ وحَسَّنَه، ورواهُ أحمدُ أيضًا بطُولِه مِن طريقِ أَسِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الخَثْعَمِيِّ، عن فَرْوَةَ بنِ مُجاهِدٍ، عن عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ به). [تفسير سورة الإخلاص] (م)

قال عليُّ بنُ أبي بكرِ بنِ سُليمانَ الهَيْثَمِيُّ (ت: ٨٠٧هـ): (وعن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ قالَ: ثم لَقِيتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ فقالَ: «يَا عُقْبَةُ بنَ عامرٍ، أَلاَ أُعَلِّمُكَ سُوَرًا مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ، وَلاَ فِي الزَّبُورِ، وَلاَ فِي الإِنْجِيلِ، وَلاَ فِي الفُرْقَانِ مِثْلُهُنَّ؟ لاَ تَأْتِي لَيْلَةٌ إِلاَّ قَرَأْتَ بهِنَّ فِيهَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)﴾».

قلتُ: حَدِيثُ عُقْبَةَ في الصحيحِ وغيرِه باخْتِصارٍ عن هذا.

رَوَاهُ أحمدُ، ورِجالُه ثِقَاتٌ). [مجمع الزوائد: ٧/١٤٨- ١٤٩]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الإِيجِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت: ٩٠٥ هـ): (وفي مُسْنَدِ الإمامِ أَحْمَدَ: عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ أنَّه عليه السلامُ قالَ: «يَا عُقْبَةُ، أَلا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ ثَلاثِ سُوَرٍ أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ، وَالإِنْجِيلِ، وَالزَّبُورِ، وَالقُرْآنِ العَظِيمِ؟». قالَ: قُلْتُ: بَلَى، قالَ: فَأَقْرَأَنِي ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾). [جامع البيان: ٤/٥٤٨]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، أَلا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ ثَلاثِ سُوَرٍ أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالفُرْقَانِ العَظِيمِ؟» قُلْتُ: بَلَى جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: فَأَقْرَأَنِي ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾. ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ، لا تَنْسَاهُنَّ وَلا تَبِتْ لَيْلَةً حَتَّى تَقْرَأَهُنَّ»). [الدر المنثور: ١٥/٧٧٠- ٧٧١]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ بِرِجالٍ ثِقاتٍ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ قَالَ: (لَقِيتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي: «يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، أَلاَ أُعَلِّمُكَ سُوَرًا مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَاةِ وَلاَ فِي الإِنْجِيلِ وَلاَ فِي الزَّبُورِ وَلاَ فِي الفُرْقَانِ مِثْلُهُنَّ؟ لا تَأْتِي لَيْلَةٌ إِلا قَرَأْتَ بِهِنَّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ١﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾»). [تُحْفَةُ الذَّاكِرِينَ: ٣٣٠- ٣٣٢]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بْنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وفي المسنَدِ مِن طريقَيْ مُعاذِ بنِ رِفاعةَ وأُسيدِ بنِ عبدِ الرحمنِ عن عُقبةَ بنِ عامرٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ: «أَلا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ ثَلاثِ سُوَرٍ أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالقُرْآنِ العَظِيمِ؟» قلتُ: بلى. قالَ: فأَقْرَأَنِي ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ ثم قالَ: «يَا عُقْبَةُ لا تَنْسَاهُنَّ وَلا تَبِتْ لَيْلَةً حَتَّى تَقْرَأَهُنَّ» وروى التِّرمذيُّ بعضَ هذا الحديثِ وحَسَّنَه، ولا يَدُلُّ على أنها أفضلُ سُوَرِ القرآنِ مُطْلَقًا، بل على أنها مِن الأفضلِ). [روح المعاني: ٢٩/٢٦٨]

■ **فائدة**

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بْنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وَرَوَى التِّرمذيُّ بعضَ هذا الحديثِ وحَسَّنَه، ولا يَدُلُّ على أنها أفضلُ سُوَرِ القرآنِ مُطْلَقًا، بل على أنها مِن الأفضلِ). [روح المعاني: ٢٩/٢٦٨] (م)

حديث عقبة بن عامر مرفوعًا: (فإنك لا تقرأ بمثلهما)

قالَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنا أبو سَعِيدٍ، حَدَّثَنا ابنُ لَهِيعةَ، حَدَّثَنا مِشْرَحٌ، قالَ: سَمِعتُ عُقْبَةَ بنَ عامرٍ يقولُ: قالَ لي رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: «اقْرَأْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ فإِنَّكَ لا تَقْرَأُ بِمِثْلِهِمَا»). [مسند الإمام أحمد: ٢٨/٥٩٧]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (طَرِيقٌ أُخْرَى:
قالَ أَحْمَدُ: حدَّثنا يَحْيَى بنُ إِسحاقَ، حدَّثنا ابنُ لَهِيعَةَ، عن مِشْرَحِ بنِ هَاعَانَ، عن عُقْبَةَ بن عَامِرٍ: قالَ لي رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ: «اقْرَأْ بالمُعَوِّذَتَيْنِ؛ فإِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ بِمِثْلِهِمَا». تَفَرَّدَ بِهِ أحمدُ). [تفسير القرآن العظيم: ٣٩٠٤/٨]

■ طريق آخر ولفظ مقارب

قالَ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ عَلِيٍّ النَّسَائِيُّ (ت: ٣٠٣هـ): (بابُ الفَضْلِ في قِراءةِ المُعَوِّذَتَيْنِ
أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ أَسْلَمَ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: اتَّبَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وَهُوَ رَاكِبٌ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى قَدَمِهِ، فَقُلْتُ: أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ سُورَةَ هُودٍ وَسُورَةَ يُوسُفَ، فَقَالَ: «لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»). [سُنَنُ النَّسَائِيِّ: ١٥٨/١]

قالَ الحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ مُحَمَّدٍ الفَرَّاءُ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أنه قالَ: قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، أَقْرَأُ بسُورَةِ هُودٍ أو سُورَةِ يُوسُفَ؟ قالَ: «لَنْ تَقْرَأَ شيئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللهِ مِنْ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»). [مَصَابيحُ السُّنَّةِ: ١٢٦/٢]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((ع نع): وَعَنْ عُقْبَةَ بنِ عامِرٍ الجُهَنِيِّ قَالَ: اتَّبَعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو راكِبٌ، فوَضعتُ يَدِي على قَدَمِه فقُلتُ: يا رَسُولَ اللهِ أَقْرِئْنِي مِن سُورةِ هُودٍ أو مِن سُورةِ يُوسُفَ فقَالَ: «لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللهِ مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾»). [لمحات الأنوار: ١١٦١/٣]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((ط): وعنه قَالَ: تَعلَّقْتُ بقَدَمِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ أَقْرِئْنِي سُورةَ هُودٍ وسُورةَ يُوسُفَ. فقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عُقْبَةُ بْنَ عامِرٍ، إِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ بسُورَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللهِ وَأَبْلَغَ عِنْدَهُ مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾».
قالَ يَزِيدُ بنُ عَمْرٍو: لم يَكنْ أبو عِمرانَ التُّجِيبِيُّ يَدَعُها). [لمحات الأنوار: ١١٦٧/٣]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (رَوَى النَّسائِيُّ عن عُقْبَةَ بنِ عامِرٍ، قالَ: أَتَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو راكِبٌ، فوَضَعْتُ يَدِي على قَدَمِهِ، فقُلتُ: أَقْرِئْنِي سُورَةَ (هُودٍ)، أَقْرِئْنِي سُورَةَ (يُوسُفَ). فقالَ لِي: «وَلَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللهِ مِنْ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾»). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٢/٢٠]

قال محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عثمانَ الذَّهَبيُّ (ت: ٧٤٨هـ): ((يَحْيَى) بْنُ أَيُّوبَ، عن يَزِيدَ، عن أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ، عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرَأُ مِنْ يُوسُفَ وسُورَةِ هُودٍ؟ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ، اقْرَأْ بـ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ فإِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ بسُورَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ وَأَبْلَغَ عِنْدَهُ مِنْهَا، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا تَفُوتَكَ فَافْعَلْ».
(صَحِيحٌ)). [تلخيص مستدرك الحاكم: ٥٤٠/٢]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (طَرِيقٌ أُخْرَى
قالَ النَّسائِيُّ: أَخْبَرَنا قُتَيْبَةُ، حدَّثَنا اللَّيْثُ، عن يَزِيدَ بنِ أبي حَبِيبٍ، عن أبي عِمْرانَ أَسْلَمَ، عن عُقْبَةَ بنِ عامِرٍ قالَ: اتَّبَعْتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم وهو راكِبٌ، فوَضَعْتُ يَدِي على قَدَمِهِ، فقُلتُ: أَقْرِئْنِي سُورَةَ هُودٍ، أو سُورَةَ يُوسُفَ. فقالَ: «لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَنْفَعَ عِنْدَ اللَّهِ مِن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ »). [تفسير القرآن العظيم: ٣٩٠٥/٨]

قالَ حَيْدَرُ بْنُ عَلِيٍّ القَاشِيُّ (ت: ٧٧٦هـ): (وَفِي رِوَايَةٍ لِلدَّارِمِيِّ وَالنَّسَائِيِّ قَالَ: اتَّبَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ رَاكِبٌ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى قَدَمِهِ فَقُلْتُ: أَقْرِئْنِي سُورَةَ هُودٍ وَسُورَةَ يُوسُفَ، قَالَ: «لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ »). [المعتمد في المنقول: ٥٠٦/٢]

قالَ محمدُ بنُ أبي بكْرٍ ابنُ الدَّيْرِيِّ الصَّفَدِيُّ (ت: ٨٦٢هـ): (وفي روايةِ ابنِ حِبَّانَ: أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قالَ: «يا عُقْبَةُ، إنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ سُورَةً أَحَبَّ إلى اللهِ ولا أَبْلَغَ مِنْ أنْ تَقْرَأَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ فإنِ اسْتَطَعْتَ أنْ لا تَفُوتَكَ في الصلاةِ فَافْعَلْ». رواهُ الحاكمُ وقالَ: صحيحُ الإسنادِ). [التقريب: ٣١٥/١- ٣١٦]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ الضُّرَيْسِ وَابْنُ الأَنْبَارِيِّ والحاكمُ وَصَحَّحَهُ وَابْنُ مَرْدُويَهْ والبَيْهَقِيُّ فِي (شُعَبِ الإيمان)، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قلتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ أَقْرِئْنِي سورةَ يوسفَ وسورةَ هودٍ قالَ: «يا عُقبةُ اقرأْ بـ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ فإنَّكَ لنْ تقرأَ سورةً أحبَّ إلى اللهِ وأبلغَ مِنها، فإنِ استطعتَ ألا تفوتَكَ فافعلْ»). [الدر المنثور: ٧٨٦/١٥]

قالَ عَلِيٌّ المُتَّقِي بنُ عبدِ الملكِ بنِ قاضي خان الهِنْدِيُّ (ت: ٩٧٥هـ): («إِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ بشَيْءٍ أَبْلَغَ عِنْدَ اللهِ مِنْ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾» (حب هب طب عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ)). [كَنْزُ العُمَّالِ: ٦٠١/١- ٦٠٢]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَلَفْظُ الحاكِمِ: قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عُقْبَةُ اقرأْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ فَإِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ سُورَةً أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ وَأَبْلَغَ مِنْهَا، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا تَفُوتَكَ فَافْعَلْ»). [تُحفَةُ الذاكرين: ٣٣٠- ٣٣٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ الضريسِ وَابنُ الأنبارِيِّ وَالحاكمُ وَصَحَّحَهُ وَابنُ مَرْدُويَهْ وَالبيهقيُّ فِي الشُّعَبِ عَنْ عقبةَ بنِ عامرٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرِئْنِي سورةَ (يُوسُفَ) وَسورةَ (هُودٍ) قَالَ: «يَا عُقْبَةُ، اقْرَأْ بـ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ فَإِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ سُورَةً أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ وَأَبْلَغَ مِنْهَا، فَإِذَا اسْتَطَعْتَ أَنْ لا تَفُوتَكَ فَافْعَلْ»). [فتح القدير: ٧٥٥/٥]

لفظ آخر

قالَ عَلِيٌّ المُتَّقِي بنُ عبدِ الملكِ بنِ قاضي خان الهِنْدِيُّ (ت: ٩٧٥هـ): («يا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، إنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ بسُورةٍ أَحَبَّ إِلَى اللهِ ولا أَبْلَغَ عِنْدَهُ مِنْ أَنْ تَقْرَأَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا تَفُوتَكَ فِي صَلاةٍ فَافْعَلْ». (حب طب ك هب عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ)). [كَنْزُ العُمَّال: ١/٦٠١- ٦٠٢]

قال عبدُ الرؤوفِ بنُ تاجِ العارفِينَ المُناويُّ (ت: ١٠٣١هـ): (رواه ابْنُ حِبَّانَ في صَحِيحِهِ مِن حَدِيثِ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ بلَفْظِ «لَنْ تَقْرَأَ سُورَةً أَحَبَّ إلى اللهِ ولا أَبْلَغَ مِن ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ فإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا تَدَعَهُمَا فِي صَلاةٍ فَافْعَلْ»). [الفتح السماوي: ٣/١١٤١]

تنبيه

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (عن رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ سُورَتَانِ مَا أُنْزِلَ مِثْلُهُمَا، وَإِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ سُورَتَيْنِ أَحَبَّ وَلاَ أَرْضَى عِنْدَ اللَّهِ مِنْهُمَا». يعني المُعَوِّذَتَيْنِ). [الكشاف: ٦/٤٦٩]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ سُورَتَانِ مَا أُنْزِلَ مِثْلُهُمَا، وَإِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ سُورَتَيْنِ أَحَبَّ وَلا أَرْضَى عِنْدَ اللهِ مِنْهُمَا» يَعْنِي المُعَوِّذَتَيْنِ). [أنوار التنزيل: ٢/١١٨٠]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وروى ابنُ ماجه أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم قَالَ: «وَإِنَّكَ إِنْ تَقرَأْ سُورَتَيْنِ أَحَبَّ وَلا أَرْضَى عِنْدَ اللَّهِ مِنْهُمَا». يعني المعوِّذتين). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٥]

قال عبدُ الرؤوفِ بنُ تاجِ العارفِينَ المُناويُّ (ت: ١٠٣١هـ): (قَوْلُهُ: [وَعَنْهُ]: «لَنْ تَقْرَأَ سُورَتَيْنِ أَحَبَّ ولا أَرْضَى عِنْدَ اللهِ مِنْهُمَا».

رواه ابْنُ حِبَّانَ في صَحِيحِهِ مِن حَدِيثِ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ بلَفْظِ «لَنْ تَقْرَأَ سُورَةً أَحَبَّ إلى اللهِ ولا أَبْلَغَ مِن ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ فإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا تَدَعَهُمَا فِي صَلاةٍ فَافْعَلْ»). [الفتح السماوي: ٣/١١٤١]

قلت: (جمع الزمخشري حديثين عن عقبة في سياق واحد، وتبعه البيضاوي، والجملة الأولى جزء من حديث رواه مسلم وغيره من حديث عقبة بن عامر، والجملة الثانية خرجها المناوي، ولم أجدها مروية باللفظ الذي ذكره الزمخشري).

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((ق): وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ سُورَةٍ يَتَعَوَّذُ بها المُتَعَوِّذُونَ، أَبْلَغَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنْ ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ »). [لمحات الأنوار: ٣/١١٦٨]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَهْ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عُقْبَةُ، اقْرَأْ بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾ فَإِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ أَبْلَغَ مِنْهُمَا»). [الدر المنثور: ١٥/٧٨٩]

طريق آخر

قالَ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ حنبلٍ الشَّيبانيُّ(ت:٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ قَالَ حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ حَدَّثَنَا بَحِيرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُهْدِيَتْ لَهُ بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ فَرَكِبَهَا فَأَخَذَ عُقْبَةُ يَقُودُهَا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُقْبَةَ: «اقْرَأْ»

فَقَالَ: (وَمَا أَقْرَأُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟).

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾».

فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ حَتَّى قَرَأَهَا؛ فَعَرَفَ أَنِّي لَمْ أَفْرَحْ بِهَا جِدًّا؛ فَقَالَ: «لَعَلَّكَ تَهَاوَنْتَ بِهَا فَمَا قُمْتَ تُصَلِّي بِشَيْءٍ مِثْلِهَا»). [مسند الإمام أحمد: ٢٨/٥٧٦]

قال أحمد بنُ شعيب بن عليٍّ النَّسائيُّ (ت:٣٠٣هـ): (أخبرني عمرو بن عثمان قال حدثنا بقية قال حدثنا بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن عقبة بن عامر قال: أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ فركِبَهَا، وأَخَذَ عُقْبَةُ يَقُودُها بِه، فقالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ لعُقبةَ: «اقرَأْ»

قال: (وما أقرأ يا رسول الله؟).

قال: «اقرَأْ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾» فأعادَهَا عليَّ حتى قرأتُها؛ فعرفَ أنِّي لم أفرحْ بها جدًا

قال: «لَعَلَّكَ تَهاوَنْتَ بها؟ فَمَا قُمْتَ تُصَلِّي بشَيْءٍ مِثْلِهَا». [السنن الكبرى: ٤/٤٣٨]

قال أحمدُ بنُ محمدِ بنِ سلامةَ الطَّحاويُّ (ت: ٣٢١هـ): (وَوَجَدْنَا عُبَيْدَ بْنَ رِجَالٍ قَدْ حَدَّثَنَا قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ الحِمْصِيُّ، حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ، عَنْ بَحِيرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ عُقْبَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُهْدِيَتْ لَهُ بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ فَرَكِبَهَا، فَأَخَذَ عُقْبَةُ يَقُودُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عُقْبَةُ اقْرَأْ»، قَالَ: مَا أَقْرَأُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «اقْرَأْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾...»، فَأَعَادَهَا عَلَيَّ حَتَّى قَرَأْتُهَا، فَقَالَ: «لَعَلَّكَ تَهَاوَنْتَ بِهَا، فَمَا قُمْتَ تُصَلِّي بِشَيْءٍ مِثْلِهَا»). [تحفة الأخيار: ٨/٦١٦]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (طريقٌ أُخرَى

قالَ أحمدُ: حدَّثنا حَيْوَةُ بنُ شُرَيحٍ، حدَّثنا بَقِيَّةُ، حدَّثنا بَحِيرُ بنُ سَعْدٍ، عن خالِدِ بنِ مَعْدَانَ، عن جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ، عن عُقْبَةَ بنِ عامِرٍ، أنه قالَ: إنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ أُهْدِيَتْ لَهُ بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ فركِبَهَا، فأَخَذَ

عُقْبَةُ يَقُودُها لَهُ، فقالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ: «اقْرَأْ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ١﴾» - فأعَادَها لَهُ حتَّى قرَأَهَا- فعرَفَ أنِّي لَمْ أَفْرحْ بها جدًّا؛ فقالَ: «لَعَلَّكَ تَهاوَنْتَ بهَا؟ فمَا قُمْتَ تُصَلِّي بشَيْءٍ مِثْلِهَا».

ورواهُ النَّسائِيُّ، عن عَمرِو بنِ عُثْمانَ، عن بَقِيَّةَ به. ورواهُ النَّسائِيُّ أيضًا مِن حديثِ الثَّوْرِيِّ، عن مُعاوِيَةَ بنِ صَالِحٍ، عن عَبْدِ الرحمنِ بنِ جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ، عن أبيهِ، عن عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ، أنَّه سألَ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ عن المُعَوِّذَتَيْنِ... فذَكَرَ نَحْوَه). [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩٠٤]

قلت: (الحديث الذي أشار إليه هو ما أخرجه النسائي في السنن الكبرى قال: (أخبرنا موسى بن حِزَام الترمذي قال ثنا أبو أسامة عن سفيان عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عقبة بن عامر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وَسلم عن المعوذتين قال عقبة: فأمَّنا رسول الله صلى الله عليه وَسلم بهما في صلاة الفجر).

قال ابن أبي حاتم في العلل: (سألتُ أبي عَن حديثٍ رواهُ سُفيانُ الثَّورِيُّ، عن مُعاوِية بنِ صالِحٍ، عن عَبدِ الرَّحمنِ بنِ جُبيرٍ، عن عُقبة بنِ عامِرٍ، قال: سألتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم عنِ المُعوِّذتينِ.

فقِيل لأبي: إنَّ أبا زُرعة، قال: هذا خطأٌ.

قال أبي: الَّذِي عِندِي أنَّهُ ليس بخطإٍ، وكُنتُ أرى قبل ذلِك أنَّهُ خطأٌ، إنَّما هُو مُعاوِيةُ بنُ صالِحٍ، عنِ العلاءِ بنِ الحارِثِ، عنِ القاسِمِ بنِ عَبدِ الرّحمنِ، عن مُعاوِية، عنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم.

قيل لأبي: كذا قاله أبُو زُرعة.

قال أبي: وليس هو عندي كذا، الذي عندي أنه صحيح، الذي كان الحديثان جميعا كانا عند مُعاوِية بن صالِح، وكان الثَّورِيُّ حافظًا، وكان حفظ هذا أسهل على الثَّورِيِّ من حديث العلاء، فحفظ هذا ولم يحفظ ذاك، ومما يدل أن هذا الحديث صحيح أن هذا الحديث يرويه الحمصيون، عن عَبد الرَّحمن بن جُبير، عن عقبة، ومحال أن يغلط بين هذا الإسناد إلى إسناد آخر، وإنما أكثر ما يغلط الناس إذا كان حديث واحد من اسم شيخ إلى شيخ آخر، فأما مثل هؤلاء فلا أرى يخفى على الثَّورِيِّ).

■ طريق آخر

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (أَخْبَرَنَا أبو العبَّاسِ سهلُ بنُ محمدِ بنِ سعيدٍ المَرْوَزِيُّ الفَقِيهُ، أخبَرَنا جَدِّي أبو الحسَنِ المحموديُّ، أَخْبَرَنا محمدُ بنُ عليٍّ، أخبرَنا أبو العباسِ بنُ أحمدَ بنِ عمرٍو العُصْفُرِيُّ، أَخْبَرَنا عُمَيرُ بنُ عُمَيرِ بنِ عبدِ الحميدِ، أَخْبَرَنا عبدُ الحَميدِ بنُ جَعْفَرٍ، عن صالحِ بنِ أبي غَرِيبٍ، عن كَثِيرِ بنِ مُرَّةَ، عن عبدِ العزيزِ بنِ مَرْوانَ، قالَ: سَمِعْتُ عُقْبَةَ بنَ عامِرٍ الجُهَنِيَّ يقولُ: سَمِعْتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «إنَّكَ لَنْ تَقرَأَ سُورَةً أَحبَّ إلَى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ولاَ أَقْرَبَ عِنْدَهُ مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ١﴾، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ تَدَعَهَا فِي صَلاَةٍ فَافْعَلْ»). [الكشف والبيان: ١٠/٣٣٧- ٣٣٨]

■ طريق آخر

قالَ جلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعقبةَ بْنِ عَامِرٍ: «اقْرَأْ بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾؛ فَإِنَّهُمَا مِنْ أَحَبِّ القُرْآنِ إِلَى اللَّهِ»). [الدر المنثور: ١٥/٧٩٠]

■ أثر مقاتل بن سليمان

قَالَ عَبْدُ الخَالِقِ بْنُ الحَسَنِ ابنُ أَبي رُوبا (ت:٣٥٦هـ): **حدَّثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ ثابتٍ الثَّوريُّ عن أَبيه عن الهُذَيْلِ بنِ حَبيبٍ عنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ البلخيِّ (ت:١٥٠هـ)**: (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ يَعْنِي اليَهودَ حِينَ حَسَدُوا النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فقالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ: أَلا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بهِ المُتَعَوِّذونَ؟

قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هُوَ؟

قَالَ: المُعَوِّذَتَانِ؛ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾). [تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٣٨]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (وقالَ مُقاتِلٌ: رُوِيَ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنه قالَ له جبريلُ عليه السلامُ: «أَلاَ أُخْبِرُكَ يَا مُحَمَّدُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بأَفْضَلِ مَا يُتَعَوَّذُ بِهِ؟

قُلْتُ: وَمَا هُوَ؟

قَالَ: المُعَوِّذَتَانِ»). [بحر العلوم: ٣/٥٢٨]

■ حديث عبد الله بن خبيب مرفوعًا: (ما تعوَّذ الناس بأفضل منهما)

قالَ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْب بْنِ عَلِيٍّ النَّسائِيُّ (ت: ٣٠٣هـ): (أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى، قالَ: حَدَّثَنَا ابنُ وَهْبٍ، قالَ أَخْبَرَنِي حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: (كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ في طَرِيقِ مَكَّةَ فَأَصَبْتُ خَلْوَةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فَدَنَوْتُ مِنْهُ،

فَقَالَ: «قُلْ»

فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟

قَالَ: «قُلْ».

قُلْتُ: ما أَقُولُ؟

قَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَالَ: «مَا تَعَوَّذَ النَّاسُ بِأَفْضَلَ مِنْهُمَا»). [سُنَنُ النَّسَائِيِّ: ٧/٢٥٠- ٢٥١]

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: ٤٤٤هـ): (حَدَّثَنا خَلَفُ بْنُ إبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُقْرِئُ قال حَدَّثَنا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ المَكِّيُّ قال: حَدَّثَنا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ قال: حَدَّثَنا أَبُو عُبَيْدٍ قال: حَدَّثَنا سَعِيدُ بْنُ أَبي مَرْيَمَ عن مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبي كَثِيرٍ عن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عن مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ خُبَيْبٍ عن أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قَالَ [له]: «قُلْ يَا ابْنَ خُبَيْبٍ». فَقُلْتُ: ما أَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾» فقرَأَها وقَرَأْتُها حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا. ثم قَالَ لِي: «قُلْ». قُلْتُ: مَا أَقُولُ [يَا رَسُولَ اللهِ؟] فَقَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾» فقرَأَها وقَرَأْتُها مَعَهُ [حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا] ثُمَّ قَالَ: «مَا اسْتَعَاذَ أَوِ اسْتَعَانَ أَحَدٌ بِمِثْلِ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ قطُّ»). [المكتفى: ٢٤٥]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((ع): وَعَنْ مُعاذِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ خُبَيْبٍ عن أَبيهِ قَالَ: كُنتُ مع رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طَرِيقِ مَكَّةَ، ومعه أَصحابُه، فوقَعتْ علينا ضَبابَةٌ مِنَ اللَّيلِ حتى سَتَرَتْ بعضَ القَوْمِ مِن بعْضٍ، فلمَّا أَصْبَحْنا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُلْ يَا ابْنَ خُبَيْبٍ»، فقُلتُ: ما أَقولُ يا رسولَ اللهِ؟ فقالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾» فقرَأَها وقرَأْتُها، ثم قَالَ: «قُلْ»، فقُلتُ: ما أَقولُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾» فقرَأَها، وقرأْتُها، حتى فرَغَ منها، ثم قَالَ: «مَا اسْتَعَاذَ - أَوْ مَا اسْتَعَانَ- أَحَدٌ بِمِثْلِ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ قطُّ»). [لمحات الأنوار: ٣/١١٥٩]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((ع): وَعَنْ مُعاذِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ خُبَيْبٍ، عن أَبيهِ قَالَ: كُنَّا على باب النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَنتظِرُه أَنْ يخرُجَ، فخرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأَصابَنا طَشٌّ وظُلْمَةٌ، فأَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيدِي، فقالَ: «اقْرَأْ». فقلتُ: وما أَقْرَأُ؟ قَالَ: «اقْرَأْ بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ اقرَأْ بهِما، ولَنْ تقرَأَ بِمِثْلِهِما»). [لمحات الأنوار: ٣/١١٦٤]

حديث جابر بن عبد الله مرفوعًا: (اقرأ بهما ولن تقرأ بمثلهما)

قال أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْب بْنِ عَلِيٍّ النَّسَائِيُّ (ت: ٣٠٣هـ): (أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنِي بَدَلٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَدَّادُ بْنُ سَعِيدٍ أَبُو طَلْحَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ الجُرَيْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نَضْرَةَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «اقْرَأْ يَا جَابِرُ»، قُلْتُ: وَمَاذَا أَقْرَأُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «اقْرَأْ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾» فَقَرَأْتُهُمَا، فَقَالَ: «اقْرَأْ بِهِمَا وَلَنْ تَقْرَأَ بِمِثْلِهِمَا»). [سُنَنُ النَّسَائِيِّ: ٧/٢٥٤]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((ط، ز): عن جابرِ بنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقرَأْ يَا جابِرُ». قلتُ: ما أَقرأُ؟ قَالَ: «اقرَأْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾» ثُمَّ قَالَ: «اقرَأْ». قُلتُ: ما أَقرأُ؟ قَالَ: «اقرَأْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ وَلَنْ تَقرَأَ بِمِثْلِهِمَا يَا جَابِرُ»). [لمحات الأنوار: ٣/١١٦٦]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (حديثٌ آخَرُ
قالَ النَّسائِيُّ: أَخْبَرنا عمرُو بنُ عَلِيٍّ أبو حَفْصٍ، حدَّثنا بَدَلٌ، حدَّثنا شَدَّادُ بنُ سَعِيدٍ أبو طَلْحَةَ، عن سعيدٍ الجُرَيرِيِّ، حدَّثنا أبو نَضْرَةَ، عن جابرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ قالَ: قالَ لي رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ: ((اقرَأْ يَاجابرُ)). قلتُ: وما أقرَأُ بأَبي أَنْتَ وأُمِّي؟ قالَ: ((اقرَأْ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾)). فقَرَأْتُهما، فقالَ: ((اقرَأْ بهِمَا، ولَنْ تَقْرَأَ بِمِثْلِهِمَا)). [تفسير القرآن العظيم: ٣٩٠٥/٨]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ وَابْنُ الضُّرَيْسِ وَابْنُ الأَنْبَارِيِّ وَابْنُ مَرْدُويَهْ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: أَخَذَ بِمَنْكِبَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: ((اقْرَأْ)). قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ قَالَ: اقْرَأْ ((﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾)). ثُمَّ قَالَ: ((اقْرَأْ)). قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: ((﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾، وَلَنْ تَقْرَأَ بِمِثْلِهِما)). [الدر المنثور: ٧٨٩/١٥]

قالَ ابنُ الدَّيْبَعِ عبدُ الرحمن بنُ عليٍّ الشيبانيُّ الزَّبِيدِيُّ (ت: ٩٤٤هـ): (وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اقْرَأْ يَا جَابِرُ)).
قُلْتُ وَمَاذَا أَقْرَأُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟، قَالَ اقْرَأْ: ((﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾)). فَقَرَأْتُهُمَا فَقَالَ: ((اقْرَأْ بهِمَا فَلَنْ تَقْرَأَ بِمِثْلِهِمَا)). أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ). [تيسير الوصول: ٢٠١/١]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ وابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اقْرَأْ يا جابرُ، فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ، وَمَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾))، فَقَرَأْتُهُما فَقَالَ: ((وَلَنْ تَقْرَأَ بِمِثْلِهِما))). [تُحْفَةُ الذَّاكِرِينَ: ٣٣٠-٣٣٢]

حديث آخر عن جابر

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): (وَعَنْ جابرِ بنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((الْمُعَوِّذَتَانِ أَشَدُّ عَلَى إِبْلِيسَ مِنْ يَدِ أَحَدِكُمْ عَلَيْهِ)). [لمحات الأنوار: ١١٧٣/٣]

حديث أبي مسعود

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حدثنا إبراهيم قال حدثنا عبيد الله بن محمد بن عائشة التيمي قال حدثنا عبد العزيز بن مسلم عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي مَسعودٍ، عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ قالَ: ((لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيَّ مِثْلُهُنَّ: الْمُعَوِّذَتَيْنِ))
لم يرو هذا الحديث عن إسماعيل عن قيس عن أبي مسعود إلا عبد العزيز تفرد به ابن عائشة ورواه سفيان والناس عن إسماعيل عن قيس عن عقبة بن عامر الجهني). [المعجم الأوسط: ١١٦/٣]

قال عليُّ بنُ أبي بكرِ بنِ سُليمَانَ الهَيْثَميُّ (ت: ٨٠٧هـ): (وعن أبي مَسعودٍ، عنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ قالَ: «لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيَّ مِثْلُهُنَّ: المُعَوِّذَتَيْنِ». رَواهُ الطَّبَرانِيُّ في الأوسطِ، ورجالُه ثِقاتٌ). [مجمع الزوائد: ١٤٩/٧]

تنبيه

قالَ جَلاَلُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي الأَوْسَطِ، بسندٍ حَسَنٍ، عَن ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يُنْزَلْ عَلَيَّ مِثْلُهُنَّ؛ المُعَوِّذَتَيْنِ»). [الدر المنثور: ٧٨٦/١٥]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ الشَّوْكانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ في الأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ رِجالُهُ ثِقاتٌ مِنْ حَديثِ ابنِ مَسْعُودٍ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُما، عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يُنْزَلْ عَلَيَّ مِثْلُهُنَّ: المُعَوِّذَتَيْنِ»). [تُحْفَةُ الذَّاكِرِينَ: ٣٣٠- ٣٣٢]

قلت: (المشهور أنه من حديث عقبة ولعل عبد العزيز بن مسلم أخطأ في هذا الحديث فخالف بقية الرواة، وأعد قراءة تنبيه الطبراني، وقد جعله السيوطي من حديث ابن مسعود وتبعه الشوكاني وهو خطأ، وقد يكون الخطأ من أحد نساخ كتاب السيوطي، والله أعلم)

حديث ابن مسعود

قالَ جَلاَلُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ عَن ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ رَأَى فِي عُنُقِ امرأةٍ مِنْ أهلِهِ سَيْرًا فِيهِ تَمَائِمُ فَقَطَعَهُ، وَقَالَ: إِنَّ آلَ عَبْدِ اللَّهِ أَغْنِيَاءُ عَن الشِّرْكِ، ثُمَّ قَالَ: التِّوَلَةُ والتَّمَائِمُ والرُّقَى مِن الشِّرْكِ. فَقَالَت امْرَأَةٌ: إِنَّ إِحْدَانَا لَتَشْتَكِي رَأْسَهَا فَتَسْتَرْقِي، فَإِذَا اسْتَرْقَتْ ظُنَّ أَنَّ ذَلِكَ قَدْ نَفَعَهَا.

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي إِحْدَاكُنَّ فَيَنْخَسُ فِي رَأْسِهَا، فَإِذَا اسْتَرْقَتْ حَبَسَ، فَإِذَا لَمْ تَسْتَرْقِ نَخَسَ، فَلَوْ أَنَّ إِحْدَاكُنَّ تَدْعُو بمَاءٍ فَتَنْضَحُهُ في رَأْسِهَا وَوَجْهِهَا، ثُمَّ تَقُولُ: بسمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ثُمَّ تَقْرَأُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾. نَفَعَهَا ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ). [الدر المنثور: ٧٩٢/١٥]

قالَ عَلِيُّ المُتَّقِي بنُ عبدِ الملكِ بنِ قاضي خان الهِنْدِيُّ (ت: ٩٧٥هـ): (اسْتَكْثِرُوا مِنَ السُّورَتَيْنِ يُبَلِّغْكُمُ اللهُ بهِمَا فِي الآخِرَةِ: المُعَوِّذَتَيْنِ يُنَوِّرَانِ القَبْرَ، ويَطْرُدَانِ الشَّيْطَانَ، ويَزِيدَانِ فِي الحَسَنَاتِ وَالدَّرَجَاتِ، ويُثَقِّلاَنِ المِيزَانَ، ويَدُلاَّنِ صَاحِبَهُما إلى الجَنَّةِ (الدَّيْلَمِيُّ عنِ ابْنِ مَسْعُودٍ)). [كَنْزُ العُمَّالِ: ٦٠١/١- ٦٠٢]

حديث عثمان بن عفان

قَالَ أحْمَدُ بنُ عَبْدِ الكَرِيمِ الأَشْمُونِيُّ (ت: ق١١هـ): (وفي الحديثِ أَنَّهُ كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: «عَلَيْكَ بالمُعَوِّذَتَيْنِ، فَمَا تُعُوِّذَ بِأَفْضَلَ مِنْهُمَا»). [منار الهدى:٣١١]

قلت: (المشهور أنه من حديث عقبة بن عامر بلفظ آخر، ولم أره مسندًا من حديث عثمان، وروى الديلمي في الفردوس نحوه موقوفًا على أبي بن كعب).

حديث عبد الله بن أنيس الأسلمي

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (حديثٌ آخَرُ

قالَ النَّسائِيُّ: أَخْبَرَنا محمدُ بنُ المُثَنَّى، حدَّثَنا مُحمدُ بنُ جَعْفَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ سَعِيدٍ، حدَّثَني يَزيدُ بنُ رُومانَ، عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الأَسْلَمِيِّ، هو ابنُ أُنَيْسٍ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ وضَعَ يدَه على صَدْرِه ثمَّ قالَ: «قُلْ». فلم أَدْرِي ما أقولُ، ثم قالَ لي: «قُلْ». قُلْتُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾. ثم قالَ لي: «قُلْ». قلتُ: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾. حَتَّى فَرَغْتُ مِنها، ثم قالَ لي: «قُلْ». قلتُ: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾. حَتَّى فَرَغْتُ مِنها، فقالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ: «هَكَذَا فَتَعَوَّذْ، مَا تَعَوَّذَ المُتَعَوِّذُونَ بِمِثْلِهِنَّ قَطُّ»). [تفسير القرآن العظيم: ٣٩٠٥/٨]

قال عليُّ بنُ أبي بكرِ بنِ سُليمَانَ الهَيْثَميُّ (ت: ٨٠٧هـ): (وعن عبدِ اللهِ الأَسْلَمِيِّ قالَ: كنَّا معَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ في عُمْرَةٍ، حتى إذا كنَّا ببَطْنِ وَاقِمٍ اسْتَقْبَلَنا ضَبَابَةٌ فَأَضَلَّتْنَا الطَّرِيقَ، فَلَمْ أَشْعُرْ حتى طَلَعْنا على ثَنِيَّةٍ، فلمَّا رأَى رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ ذلك عَدَلَ إلى كَثِيبٍ فأَناخَ عليه، ثم قامَ وقامَ عليه مَن شاءَ اللهُ، فما زَالَ يُصَلِّي حتى طَلَعَ الفَجْرُ، فأَخَذَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ برأسِ ناقتِه ثم مشَى، وعبدُ اللهِ الأسلميُّ إلى جَنْبه، ما أحَدٌ معَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ غيرُه، فوَضَعَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ يَدَه على صَدْرِه ثم قالَ: «قُلْ». قلتُ: ما أقولُ؟ قالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾». حتى فَرَغْتُ منها، ثُمَّ قالَ: «قُلْ». قُلْتُ: ما أقولُ؟ قالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾». حتى فَرَغْتُ مِنها؛ فقالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «هَكَذَا فَتَعَوَّذْ، فَمَا تَعَوَّذَ العِبَادُ بِمِثْلِهِنَّ قَطُّ» رَوَاهُ البَزَّارُ، ورجالُه رجالُ الصحيحِ). [مجمع الزوائد: ١٤٩/٧]

قال عليُّ بنُ أبي بكرِ بنِ سُليمَانَ الهيثميُّ (ت: ٨٠٧هـ): (قال البزار: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، ثَنَا يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجُهَنِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الأَسْلَمِيِّ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عُمْرَةٍ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَطْنِ وَاقِمٍ، اسْتَقْبَلَتْنَا ضَبَابَةٌ فَأَضَلَّتْنَا الطَّرِيقَ، فَلَمْ نَشْعُرْ حَتَّى طَلَعْنَا عَلَى ثَنِيَّةٍ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ عَدَلَ إِلَى كَثِيبٍ، فَأَنَاخَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَامَ وَقَامَ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، فَمَا زَالَ يُصَلِّي حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برأْسِ نَاقتِهِ، ثُمَّ مَشَى وَعَبْدُ اللَّهِ الأَسْلَمِيُّ إِلَى جَنْبِهِ، مَا أَحَدٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُهُ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، قُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾» حَتَّى فرَغتُ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، قُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»، قُلْتُ: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ حَتَّى فَرَغْتُ مِنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَكَذَا فَتَعَوَّذْ، فَمَا تَعَوَّذَ العِبَادُ بِمِثْلِهِنَّ قَطُّ».

قَالَ البَزَّارُ: هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ، وَرَوَاهُ غَيْرُهُ عَنْ غَيْرِ عَبْدِ اللَّهِ الأَسْلَمِيِّ). [كشف الأستار: ٣/٨٥- ٨٦]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ والبَزَّارُ وَابْنُ مَرْدُويَهْ، بسندٍ صَحِيحٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ الأَسْلَمِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ: «قُلْ». فلَمْ أَدْرِ مَا أقولُ، ثُمَّ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾». ثُمَّ قَالَ لِي: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾» حَتَّى فَرَغْتُ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ لِي: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾» حَتَّى فَرَغتُ مِنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَكَذَا فَتَعَوَّذْ، فَمَا تَعَوَّذَ المُتَعَوِّذُونَ بِمِثْلِهِنَّ قَطُّ»). [الدر المنثور: ١٥/٧٧١]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ البَزَّارُ بإِسْنَادٍ رِجالُهُ رِجالُ الصَّحيحِ مِنْ حَديثِ عَبْدِ اللَّهِ الأَسْلَمِيِّ، قالَ: (كُنَّا مَعَ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عُمْرَةٍ، حَتَّى إِذَا كُنَّا ببَطْنِ وَاقٍ اسْتَقْبَلَتْنَا ضَبَابَةٌ فَأَضَلَّتْنَا الطَّرِيقَ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ عَدَلَ إِلَى كَثِيبٍ فَأَنَاخَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَامَ وَقَامَ عَلَيْهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَمَا زَالَ يُصَلِّي حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برأْسِ ناقتِهِ، ثُمَّ مَشَى وَعَبْدُ اللَّهِ الأَسْلَمِيُّ إِلَى جَنْبِه، فَوَضَعَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدهُ عَلَى صَدْرِي، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، قُلْتُ: وَمَا أَقولُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾». قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، قُلْتُ: وما أَقُولُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾»، فَقُلْتُ حَتَّى فَرَغْتُ مِنْها، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، قُلْتُ: وَمَا أَقُولُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»، قُلْتُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ حَتَّى فَرَغْتُ مِنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَكَذَا يُتَعَوَّذُ فَمَا تَعَوَّذَ العِبَادُ بِمِثْلِهِنَّ قَطُّ»). [تُحْفَةُ الذَّاكِرِينَ: ٣٣٠- ٣٣٢]

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (ورُوِيَ عن عبدِ اللَّهِ الأَسْلَمِيِّ: أَنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ وَضَعَ يَدَهُ على صَدْرِه ثم قالَ: «قُلْ».

فلَمْ أَدْرِ ما أَقولُ، ثم قالَ لي: «قُلْ».

فقلتُ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

ثم قالَ لي: «قُلْ».

قُلْتُ: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ حتى فَرَغْتُ منها، ثم قالَ لي: «قُلْ».

قلتُ: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ حتى فَرَغْتُ منها، فقال رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ: «هَكَذَا فَتَعَوَّذْ، وَمَا تَعَوَّذَ الْمُتَعَوِّذُونَ بِمِثْلِهِنَّ قَطُّ». [تتمة أضواء البيان: ٧٠/٩]

حديث أم سلمة

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَهْ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ أَحَبِّ السُّوَرِ إِلَى اللَّهِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»). [الدر المنثور: ٧٨٩/١٥]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وعنْ أمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ أَحَبِّ السُّوَرِ إِلَى اللَّهِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾». أَخْرَجَهُ ابنُ مَرْدُوَيْهِ). [فتح البيان: ٤٥٤/١٥]

حديث أسماء بنت أبي بكر

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: ٤٤٤هـ): (حَدَّثَنَا ابْنُ خَاقَانَ قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ قال: حَدَّثَنَا القَاسِمُ بْنُ سَلاَّمٍ قال: حَدَّثَنَا يَزِيدُ عن حَجَّاجِ بْنِ أَرْطَاةَ عن عَوْفِ بنِ عَبْدِ اللهِ عن أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَتْ: مَنْ صَلَّى الجُمُعَةَ ثُمَّ قَرَأَ بَعْدَهَا ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حُفِظَ أو كُفِيَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ إِلَى مِثْلِهِ). [المكتفى: ٢٤٥]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): (ما جاءَ في قِراءَتِهِنَّ بعْدَ صَلاةِ الجُمُعَةِ

- (ع): عن أَسماءَ بنْتِ أبي بكرٍ قالتْ: مَن صلَّى الجُمُعَةَ، ثم قرأَ بعْدَهَا ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ والْمُعَوِّذَتَيْنِ حُفِظَ أو كُفِيَ مِن مَجلِسِه ذلك إلى مِثْلِه). [لمحات الأنوار: ١١٥١/٣]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((زي): وعَنِ الحسَنِ - يرفعهُ- قَالَ: «مَنْ قرَأَ عنْدَ تَسليمِ الإمامِ يوْمَ الجمُعَةِ وهو ثانٍ إحْدَى رِجْلَيْهِ قبلَ أنْ يَعْطِفَهُما أو قبلَ أنْ يتكلَّمَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ سَبْعًا، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ سَبْعًا، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ سبْعًا، حُفِظَ لَهُ دِينُهُ ودُنْيَاهُ وَأَهْلُهُ ووَلَدُهُ»). [لمحات الأنوار: ١١٥١/٣]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((ع، ح): وَعَنِ ابْنِ شِهابٍ قَالَ: مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ والْمُعَوِّذَتَيْنِ بعْدَ صَلاةِ الجُمُعَةِ حِينَ يُسَلِّمُ الإمامُ قَبْلَ أنْ يَتكلَّمَ سبعًا سبعًا كانَ ضَامِنًا –قالَ أبو عُبَيْدٍ: أُراهُ قالَ– على اللهِ هو ومالُه ووَلَدُه مِنَ الجُمُعَةِ إلى الجُمُعَةِ). [لمحات الأنوار: ١١٥٢/٣]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وابنُ الضُّرَيْسِ، وَالبَيْهَقِيُّ فِي الأسماءِ والصِّفَاتِ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ: مَنْ صَلَّى الجُمُعَةَ ثُمَّ قَرَأَ بَعْدَهَا

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ والمُعَوِّذَتَيْنِ بَعْدَ صَلاةِ الجُمُعَةِ حِينَ يُسَلِّمُ الإمامُ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ سَبْعًا سَبْعًا، كانَ ضَامِنًا هو ومَالُهُ ووَلَدُهُ مِنَ الجُمُعَةِ إِلَى الجُمُعَةِ). [الدر المنثور: ١٥/٧٧٤- ٧٧٥]

حديث أبي هريرة رضي الله عنه

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وأَخْرَجَ الحَاكِمُ وصَحَّحَهُ، والبَيْهَقِيُّ في شُعَبِ الإيمانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قالَ: «لاَ يَنَامَنَّ أَحَدُكُم حَتَّى يَقْرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ»، قَالُوا: يا رسولَ اللهِ، وكَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَحَدُنَا أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ؟ قالَ: «أَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْرَأَ بـ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وَ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»). [الدر المنثور: ١٥/٧٧١]

حديث (اقرأ في صلاتك بالمعوذتين)

قال أحمدُ بنُ محمدِ بنِ سلامةَ الطَّحاويُّ (ت: ٣٢١هـ): (وَوَجَدْنَا أَبَا أُمَيَّةَ قَدْ حَدَّثَنَا قَالَ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الجُرَيْرِيِّ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ مَرَّ بِهِ فَقَالَ: «اقْرَأْ فِي صَلاتِكَ بالمُعَوِّذَتَيْنِ».

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَكَانَ فِيمَا رُوِّينَا تَحْقِيقُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمَا مِنَ القُرْآنِ، فَاتَّفَقَ جَمِيعُ مَا رُوِّينَاهُ عَنْهُ فِي ذَلِكَ لِمَا صَحَّ، وَخَرَّجْتُ مَعَانِيَهُ، وَلَمْ تُخَالِفْ بشَيْءٍ مِنْهُ شَيْئًا). [تحفة الأخيار: ٨/٦١٦]

- **قلت**: (يزيد بن عبد الله بن الشخير من بني الحريش بطن من بني عامر بن صعصعة والده صحابي).

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حَدَّثَنَا الحُسَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ التُّسْتَرِيُّ، ثَنَا وُهَيْبُ بْنُ بَقِيَّةَ، أنا خَالِدٌ، عَنِ الجُرَيْرِيِّ، عَنْ مَعْبَدِ بْنِ هِلالٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجُهَنِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعُقْبَةَ: «اقْرَأْ بهِمَا فِي صَلاتِكَ إِذَا صَلَّيْتَ، فَإِنَّكَ لا تَقْرَأُ بِمِثْلِهِمَا». يَعْنِي: المُعَوِّذَتَيْنِ). [المُعْجَمُ الكَبيرُ: ١٧/٣٤٨]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (حديثٌ آخَرُ

قالَ الإمامُ أحمدُ: حدَّثَنا إسماعيلُ، حدَّثَنا الجُرَيْرِيُّ، عن أبي العَلاءِ قالَ: قالَ رَجُلٌ: كُنَّا معَ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ في سَفَرٍ، والناسُ يَعْتَقِبُونَ، وفي الظَّهْرِ قِلَّةٌ، فحَانَتْ نَزْلَةُ رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ ونَزْلَتِي، فَلَحِقَنِي فضَرَبَ مِن بَعْدِي مَنْكِبِي، فقالَ: «﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾». فقلتُ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾. فقرَأَها رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ، فقرَأْتُها معَه، ثم قالَ: «﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾». فقرَأَها رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ وقرَأْتُها معَه، فقالَ: «إِذَا صَلَّيْتَ فاقْرَأْ بهِمَا».

الظَّاهِرُ أنَّ هذا الرجُلَ هو عُقْبَةُ بنُ عامِرٍ، واللَّهُ أعلَمُ.

ورواهُ النَّسائِيُّ، عن يَعْقُوبَ بنِ إبراهيمَ، عَنِ ابْنِ عُلَيَّةَ، به). [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩٠٥]

- **قال عليُّ بنُ أبي بكرِ بنِ سُليمانَ الهَيْثَميُّ (ت: ٨٠٧هـ)**: (عن أبي العلاءِ - يعني: يَزيدَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيرِ - قالَ: قالَ رجلٌ: كنَّا معَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ في سَفَرٍ، والناسُ يَعتَقِبُون، وفي الظَّهْرِ قِلَّةٌ، فحانَتْ نَزْلَةُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ ونَزْلَتِي، فلَحِقَنِي مِن بَعْدِي فضرَبَ مَنْكِبي فقالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾». فقُلْتُ: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾. فقرَأَها رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ وقرَأْتُها معَه، ثم قالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾». فقرَأَها رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ وقرَأْتُها معه، قالَ: «إذَا أَنْتَ صَلَّيْتَ فَاقْرَأْ بِهِمَا» رواهُ أحمدُ، ورجالُه رجالُ الصحيحِ). [مجمع الزوائد: ٧/١٤٨]

قالَ جلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَابْنُ الضُّرَيْسِ، بسندٍ صَحِيحٍ، عَنْ أَبِي العلاءِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، والناسُ يَعْتَقِبُونَ، وَفِي الظَّهْرِ قِلَّةٌ، فَجَاءَتْ نَزْلَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَزْلَتِي، فَلَحِقَنِي فَضَرَبَ مَنْكِبَيَّ فَقَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾». فَقُلْتُ: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾. فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَرَأْتُهَا مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾». فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَرَأْتُهَا مَعَهُ. قَالَ: «إِذَا أَنْتَ صَلَّيْتَ فَاقْرَأْ بِهِمَا»). [الدر المنثور: ١٥/٧٨٥]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَمِمَّا وَرَدَ في فَضْلِ هاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ ما أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَرِجالُ إسنادِهِ رِجالُ الصَّحيحِ عَنْ يَزيدَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ الشِّخِّيرِ، قالَ: (قالَ رَجُلٌ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ وَالنَّاسُ يَعْتَقِبُونَ، وَفِي الظَّهْرِ قِلَّةٌ، فَحَانَتْ نَزْلَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَزْلَتِي فَلَحِقَنِي مِنْ بَعْدِي فَضَرَبَ مَنْكِبِي، فَقالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾»، فَقَرَأَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَرَأْتُهَا مَعَهُ، وَقَالَ لِي: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾» فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَرَأْتُهَا مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِذَا أَنْتَ صَلَّيْتَ فَاقْرَأْ بِهِمَا»). [تُحْفَةُ الذَّاكِرِينَ: ٣٣٠- ٣٣٢]

ما جاء في أنها تكفي من كل شيء

قلت: (روي في هذا المعنى حديث عقبة وحديث عبد الله بن خبيب).

قالَ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْب بْنِ عَلِيٍّ النَّسَائِيُّ (ت: ٣٠٣هـ): (أَخْبَرَنَا أَبو عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبٍ، قَالَ: أَنْبَأَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، قالَ: حَدَّثَنَا أَبو عاصِمٍ، قالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، قالَ: حَدَّثَنِي أَسِيدُ بْنُ أَبِي أَسِيدٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ قالَ: (أَصابَنَا طَشٌّ وَظُلْمَةٌ، فَانْتَظَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ بِنَا، ثُمَّ ذَكَرَ كَلامًا مَعْنَاهُ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ بِنَا، فَقَالَ: «قُلْ»، فَقُلْتُ: ما أَقُولُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلاثًا يَكْفِيكَ كُلَّ شَيْءٍ»). [سُنَنُ النَّسَائِيِّ: ٧/٢٥٠]

- **قلت:** (رواه أحمد وعبد بن حميد وأبو داوود والنسائي وابن السني والضياء المقدسي وأبو نعيم الأصبهاني والبيهقي والخطيب البغدادي كلهم من طريق ابن أبي ذئب عن أسيد البراد عن معاذ بن عبد الله عن أبيه).

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((حـ): وَعَنْ مُعاذِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ خُبَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَصابَنا طَشٌّ وَظُلْمَةٌ فَأَتَيْنا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لِيُصَلِّيَ بنا، فَأَخَذَ بِيَدِي وقالَ: «قُلْ» قلتُ: وما أَقولُ؟ قالَ: «قُلْ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ والمُعَوِّذَتَيْنِ كُلَّ يَوْمٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»). [لمحات الأنوار: ٣/١١٥٠]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): (وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ خُبَيْبٍ قَالَ: خَرَجْنَا في ليلةِ مَطَرٍ وظُلْمَةٍ شديدةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي لنا، فَأَدْرَكْنَاهُ فقالَ: «أَصَلَّيْتُمْ»؟ فلم أَقُلْ شيئًا. ثم قَالَ: «قُلْ» فقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، ما أَقولُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ والمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُصْبِحُ وَحِينَ تُمْسِي ثَلاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»). [لمحات الأنوار: ٣/١١٥٠]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبيُّ (ت: ٦٧١هـ): (ورَوَى النَّسائِيُّ عن عبدِ اللهِ، قالَ: أَصابَنَا طَشٌّ وظُلْمَةٌ، فَانْتَظَرْنا رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ. ثم ذَكَرَ كلامًا معناهُ: فخَرَجَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [لِيُصَلِّيَ بنا]، فقالَ: «قُلْ». فقُلْتُ: ما أَقولُ؟ قالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وَالمُعَوِّذَتَيْنِ حينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلاثًا، يَكْفِكَ كُلَّ شَيْءٍ»). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٢]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): ((خ) عنْ زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ قالَ: سَالتُ أُبَيَّ بنَ كَعْبٍ عن المُعَوِّذَتَيْنِ، قُلْتُ: يا أبا الوَلِيدِ، إنَّ أَخَاكَ ابنَ مَسْعُودٍ يقولُ كذا وكذا، فقالَ: سَالتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، فقالَ: «قِيلَ لِي فَقُلْتُ»، فَنَحْنُ نقولُ كما قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ.

وفي روايَةٍ مِثْلِها، ولم يَذْكُرِ ابنَ مَسْعُودٍ: عنْ عبدِ اللَّهِ بنِ خُبَيْبٍ قالَ: «أَصابَنَا طَشٌّ وَظُلْمَةٌ، فانتظرْنَا رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يُصَلِّي بنا، فخرَجَ فقالَ: «قُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ وَالمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ تَكْفِيكَ كُلَّ شَيْءٍ».

وفي روايَةٍ قالَ: كُنْتُ معَ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بطريقِ مَكَّةَ، فَأَصَبْتُ خَلْوَةً مِنْ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فَدَنَوْتُ منهُ، فَقَالَ: «قُلْ»، قُلْتُ: ما أقولُ؟ قالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ حَتَّى تَخْتِمَهَا، ثُمَّ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ حَتَّى تَخْتِمَهَا»، ثمَّ قالَ: «مَا تَعَوَّذَ النَّاسُ بأَفْضَلَ مِنْهُمَا»، أخرجَهُ النَّسائِيُّ عنْ جابرٍ بمِثْلِهِ. ومعنى الطَّشِّ الطَّشِيشِ المَطَرُ الضعيفُ، وهوَ قَوْلُ أَبِي الدَّرْدَاءِ). [لباب التأويل: ٤/٤٩٩]

قالَ ابنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (وفي التِّرْمِذِيِّ والنَّسائِيِّ وسُنَنِ أبي دَاوُدَ، عن عبدِ اللهِ بنِ خُبَيْبٍ قالَ: «خَرَجْنَا في ليلةِ مَطَرٍ وظُلْمَةٍ، نَطْلُبُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لِيُصَلِّيَ لنا فأَدْرَكْنَاه، فقالَ: «قُلْ» فلم أَقُلْ شيئًا، ثم قالَ: «قُلْ» فلم أقُلْ شيئًا، ثم قالَ:«قُلْ» قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، ما

أقولُ؟ قالَ: «قُلْ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ والمُعَوِّذَتيْنِ، حينَ تُمسِي وَحِينَ تُصْبحُ ثَلاث مَرَّاتٍ، تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» قالَ التِّرْمِذِيُّ: حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ). [بدائع الفوائد: ٢/١٩٨]

قالَ حَيْدَرُ بْنُ عَلِيٍّ القَاشِيُّ (ت: ٧٧٦هـ): (القَوْلُ فِي تَرَاجِمِهِمَا

عَنِ النَّسَائِيِّ وَالتِّرْمِذِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ قَالَ: أَصابَنَا طَشٌّ وَظُلْمَةٌ فَانْتَظَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ بنا، فَخرَجَ فَقَالَ: «قُلْ» قُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِين تُمْسِي وَحِين تُصْبحُ يَكْفِيكَ كُلَّ شَيْءٍ»). [المعتمد في المنقول: ٢/٥٠٧]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رَجَبٍ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٧٩٥ هـ): (ورَوَى أبو دَاوُدَ والتِّرْمذِيُّ والنَّسائِيُّ مِن طَريقِ مُعاذِ بن عَبْدِ اللَّهِ بن خُبَيْبٍ، عن أبيهِ، عنِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ قالَ له: «قُلْ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾. وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبحُ ثَلاثًا؛ تَكْفِيكَ كُلَّ يَوْمٍ». وصحَّحَه التِّرْمذِيُّ.

ورَواهُ النَّسائِيُّ مِن طريقٍ أُخْرَى، عن مُعاذٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ خُبَيْبٍ، عن أبيهِ، عن عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ. فذكَرَه، ولَفْظُه: «تَكْفِكَ كُلَّ شَيْءٍ»). [تفسير سورة الإخلاص] (م)

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وروَى أبو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَالنَّسَائِيُّ مُسْنَدًا أَوْ مُرْسَلاً، قَالَ النَّوَوِيُّ: بالأسانيدِ الصحيحةِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ خُبَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأْ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبحُ ثَلاث مَرَّاتٍ يَكْفِيكَ كُلَّ شَيْءٍ»). [نظم الدرر: ٨/٦٠٩]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ، وعبدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَأَبُو دَاوُدَ، والتِّرْمِذِيُّ وصَحَّحَهُ، والنَّسَائِيُّ، وعبدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي زَوَائِدِ المسندِ، ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «اقْرَأْ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ والْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُصْبحُ وَحِينَ تُمْسِي ثَلاثًا يَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»). [الدر المنثور: ١٥/٧٧٠]

قال ابنُ الدَّيْبَعِ عبدُ الرحمن بنُ عليٍّ الشيبانيُّ الزَّبِيدِيُّ (ت: ٩٤٤هـ): (وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قَالَ: أَصَابَنَا طَشٌّ وَظُلْمَةٌ، فَانْتَظَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّى بِنَا ثُمَّ ذَكَرَ كَلامًا مَعْنَاهُ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «قُلْ» قُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبحُ ثَلاثًا تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ». أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ.

(الطَّشُّ) أَقَلُّ مَا يَكُونُ مِنَ المَطَرِ). [تيسير الوصول: ١/٢٠١]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ التَّمِيمِيُّ (ت: ١٢٠٦ هـ): (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مُمْطِرَةٍ وَظُلْمَةٍ، فَطَلَبْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ لَنَا فَأَدْرَكْنَاهُ فَقَالَ: «قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبحُ ثَلاث مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»، قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ). [مجموع مؤلفاته/التفسير: ٢٨١]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وجاءَ في الحديثِ أنَّ مَن قرَأَهما مع سورةِ الإخلاصِ ثلاثًا حينَ يُمْسِي وثلاثًا حينَ يُصْبح كَفَتْه مِن كلِّ شيءٍ. وفي فَضْلِهما أخبارٌ كثيرةٌ غيرُ ما ذُكِرَ). [روح المعاني: ٢٩/٢٧٩]

■

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((ق): وعَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ((مَنْ قَرَأَ فِي يَوْمٍ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ والمُعَوِّذَتَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كَفَاهُ اللهُ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)). [لمحات الأنوار: ٣/١١٤٩]

■ خبر جعفر بن نسطور الرومي

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((جع): وعَنْ جَعفرِ بنِ نُسْطُورٍ الرُّومِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ قَرَأَ فِي كُلِّ يَوْمٍ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَالمُعَوِّذَتَيْنِ كَذَلِكَ كفَاهُ اللهُ تَعَالَى أَمْرَ الدُّنيَا وَالآخِرَةِ)). [لمحات الأنوار: ٣/١١٥٠]

قالَ أحمدُ بنُ عليٍّ بنِ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت: ٨٥٢هـ): (جعفر بن نسطور الرومي لم أر له ذكرًا في كتب الضعفاء، وهو أسقطُ من أن يُشتغلَ بكذبه، روى عنه منصور بن الحكم.

أخبرنا أحمد بن محمد أنا بن خليل أنا مسعود الجمال أنا أبو علي الحداد أنا أحمد بن محمد بن عمر الواعظ القومسي إملاء ثنا أبو شجاع محمد بن علي العراقي الخلفاني ثنا منصور بن الحكم الزاهد بفرغانة ثنا جعفر بن نسطور الرومي قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فسَقَط السوطُ من يدِهِ فَنَزَلْتُ عن جوادي فرفعته إليه فقالَ: ((مد الله في عمرك مدا))

فعشت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مائة وعشرين سنة انتهى.

قد ذكره المؤلِّفُ في التجريد فقال: (الإسناد اليه ظلمات والمتون باطلة وهو دجال أو لا وجود له) وسيأتي ذكره في منصور بن الحكم فقال: والظاهر أن جعفر بن نسطور لا وجود له). [لسان الميزان:٢/١٣٠]

■ حديث عائشة رضي الله عنها

قالَ الحَسَنُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الحَسَنِ الخَلالُ(ت:٤٣٩هـ): (حدَّثنا عُمَرُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ الزَّيَّاتُ وَعُمَرُ بنُ أَحمَدَ بنِ عُثمانَ وعليُّ بنُ الحَسَنِ الجَرَّاحِيُّ وَابنُ عِمْرَانَ قَالُوا: ثَنَا مُحَمَّدُ بنُ هارُونَ بنِ عبدِ اللهِ الحَضْرَمِيُّ، ثَنَا سُلَيمَانُ بنُ عُمَرَ الأَقْطَعُ، ثَنَا أَبِي عَنِ الخَلِيلِ بنِ مُرَّةَ عَن عَبدِ اللهِ بنِ عُبَيدِ اللهِ بنِ أَبِي مُلَيكَةَ عَن عَائِشَةَ قَالَتْ: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: ((مَن قَرَأَ بَعْدَ صَلاةِ الجُمُعَةِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①﴾ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَجارَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بها مِنَ السُّوءِ إِلَى الجُمُعَةِ الأُخْرَى)). [فضائل سورة الإخلاص:١٩٤]

قالَ الأَلْبَانِيُّ: (« مَن قرَأَ بعدَ صَلاةِ الجمعةِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ سَبْعَ مَرَّاتٍ؛ أَجَارَهُ اللهُ بهَا مِنَ السُّوءِ إِلَى الجُمُعَةِ الأُخْرَى » **ضَعِيفٌ**، رَوَاهُ ابنُ السُّنِّيِّ فِي عَمَلِ اليومِ وَالليلةِ (٣٦٩)، وابنُ شاهينَ فِي الترغيبِ (٣١٤/ ٢)، وَأبو مُحَمَّدٍ المخلَدِيُّ فِي الفَوائِدِ (٣/ ٢٣٥/ ١)، وَأَبو مُحمَّدٍ الخَلاَّلُ فِي فَضَائِلِ سُورَةِ الإِخْلاصِ (١٩٤- ١٩٥) عَنِ الخليلِ بنِ مُرَّةَ، عَن عَبدِ اللهِ بنِ عبيدِ اللهِ بنِ أَبي مُلَيكةَ، عَن عَائِشَةَ مَرْفُوعًا.

قلتُ: وَهَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ؛ مِن أَجْلِ الخَلِيلِ بنِ مُرَّةَ؛ فَإِنَّهُ ضَعيفٌ؛ كَمَا جَزَمَ بِهِ فِي التَّقريبِ.

وَأخرجَهُ سَعيدُ بنُ منصورٍ فِي سُننهِ عَن مَكحولٍ مُرسلاً؛ وَزادَ فِي أَوَّلِهِ: «فَاتِحَة الكِتَابِ»، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: «كَفَّرَ اللهُ عَنْهُ مَا بَيْنَ الجمعتَينِ».

وَهُو مَعَ إِرْسَالِهِ فِيهِ فَرَجُ بنُ فَضَالَةَ؛ وَهو ضعيفٌ.

وَأخرجَهُ بهذِهِ الزِّيَادَةِ: أَبو الأَسْعَدِ القُشَيرِيُّ فِي الأربعينَ مِن طَرِيقِ أَبي عَبْدِ الرَّحمنِ السُّلَمِيُّ، عَن مُحَمَّدِ بنِ أَحمدَ الرَّازِيِّ، عَنِ الحسينِ بنِ دَاوودَ البَلْخِيِّ، عَن يَزِيدَ بنِ هَارُونَ، عَن حُمَيدٍ، عَن أَنسٍ مَرْفُوعًا، وَقالَ فِي آخِرِهِ: «غَفرَ لَهُ مَا تَقدَّمَ مِن ذَنبهِ وَمَا تَأَخَّرَ».

وَهَذا مَوضُوعٌ؛ آفَتُهُ البَلْخِيُّ هَذَا؛ قالَ الخَطِيبُ فِي "التَّارِيخِ" (٨/ ٤٤) : (لَمْ يَكُن ثِقَةً؛ لَهُ نُسْخَةٌ عَن يَزيدَ بنِ هَارُونَ عَن حُمَيدٍ عَن أَنسٍ؛ أَكْثَرُهَا مَوْضُوعٌ).

ثُمَّ سَاقَ لَهُ حَدِيثًا آخرَ، مِن طَرِيقٍ أُخْرَى عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا، وَقَالَ: (تَفرَّدَ بِروَايَتِهِ الحُسَيْنُ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ، وَرِجَالُهُ كُلُّهُم ثِقَاتٌ؛ سِوَى الحُسَينِ بنِ دَاوودَ).

وَأَبو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ؛ صُوفِيٌّ مُتَّهَمٌ بوَضْعِ الأَحَادِيثِ لِلصُّوفِيَّةِ). [السلسلة الضعيفة:٩/ ١٣٢]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): (ما جاءَ في قِراءةِ أُمِّ القُرآنِ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ والمُعوِّذَتَيْنِ يومَ الجُمُعَةِ، قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ عِنْدَ تَسْلِيمِ الإِمَامِ يَوْمَ الجُمُعَةِ قَبْلَ أَنْ يَثْنِيَ رِجْلَيْهِ، وَقَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بأُمِّ القُرْآنِ، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ والمُعوِّذَتَيْنِ سبْعًا، حَفِظَ اللهُ عَلَيْهِ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ وَأَهْلَهُ وَوَلَدَهُ إِلَى الجُمُعَةِ الأُخْرَى».

- (زي): وَعَنِ ابنِ مَسعودٍ أَنَّهُ كانَ يَقولُ: مَنْ قَرَأَ حينَ يَنصرِفُ مِنَ الجُمُعَةِ قبْلَ أَنْ يَتكلَّمَ بأُمِّ القُرآنِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ سبْعَ مَرَّاتٍ، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ سبْعَ مَرَّاتٍ، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ سبْعَ مَرَّاتٍ، حَفِظَهُ اللهُ مِنَ الجُمُعَةِ إلى الجُمُعَةِ). [لمحات الأنوار: ٣/ ١١٥٣]

حديث أُبَيِّ بنِ كَعبٍ، وهو موضوع

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (أَخْبَرَنَا أبو عَمْرٍو أحمدُ بنُ الفُراتِيِّ، أَخْبَرَنَا أبو موسى، أَخْبَرَنَا مَكِّيُّ بنُ عَبْدَانَ، أخبَرَنا سليمانُ بنُ داودَ، أخبَرَنا أحمدُ بنُ نَصْرٍ، أخبرَنا أبو مُعاذٍ، عن أبي عِصْمَةَ نوحِ بنِ أبي مَرْيَمَ، عن زيدٍ العَمِّيِّ، عن أبي نَضْرَةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ، عن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالَ: «مَنْ قرَأَ المُعَوِّذَتَيْنِ فكَأَنَّمَا قرَأَ الكُتُبَ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى كُلَّهَا»). [الكشف والبيان: ٣٣٧/١٠]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (عن رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قرَأَ المُعَوِّذَتَيْنِ فكَأَنَّمَا قرَأَ الكُتُبَ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى كُلَّهَا»). [الكشاف: ٤٦٧/٦]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (وَفِي حَدِيثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: وَمَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾. وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾. فَكَأَنَّمَا قَرَأَ جَمِيعَ الكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الأنبياءِ عَلَيْهِم السَّلامُ) [الوسيط: ٥٧٢/٤]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((ها): وَعَنْ أُبَيِّ بنِ كعْبٍ قَالَ: قَالَ لِي النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قرَأَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ فكَأَنَّمَا قرَأَ جَمِيعَ الكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى».

- (ط): وعنه قالَ: قَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قرَأَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ أُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ كأنَّما قرَأَ جَمِيعَ الكُتُبِ الَّتِي أنزلَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الأَنْبِياءِ وَعَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». [لمحات الأنوار: ١١٥٩/٣- ١١٦٠]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((ط): وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قرَأَ المُعوِّذَتينِ أُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ كأنَّما قرَأَ جميعَ الكُتُبِ الَّتِي أنزلَهَا اللهُ تعالى على الأنبياءِ وعلى محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وعلى جَميعِهم». [لمحات الأنوار: ١١٦١/٣- ١١٦٢]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((ث): وعَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قالَ: «مَنْ قرَأَ المُعَوِّذَتَيْنِ فكَأَنَّمَا قرَأَ الكُتُبَ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ كُلَّهَا».

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((ش) وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «مَنْ قرَأَ المُعَوِّذَتَيْنِ فكَأَنَّمَا قرَأَ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الكُتُبِ».

- (ث): فِي رِوايَةٍ قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ سُورَةً أَحَبَّ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَلاَ أَقْرَبَ عِنْدَهُ مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ تَدَعَهَا فِي صَلاَةٍ فَافْعَلْ». [لمحات الأنوار: ١١٦٩/٣]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قرَأَ المُعوِّذَتَيْنِ فكَأَنَّمَا قرَأَ الكُتُبَ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى»). [أنوار التنزيل: ١١٨١/٢]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (رَوَى الثَّعْلَبِيُّ عَنْ أُبَيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ المُعَوِّذَتَيْنِ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الكُتُبَ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى كُلَّهَا»). [اللباب: ٢٠/٥٧٥]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وما رواهُ الزَّمخشريُّ ولمْ يَقُلْهُ البيضاويُّ هنا لكنْ قَالَ في آخرِ السُّورةِ الآتيةِ عنْ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ المُعَوِّذَتَيْنِ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الكُتُبَ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى». حديثٌ موضوعٌ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٥]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ المُعَوِّذَتَيْنِ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الكُتُبَ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى»). [إرشاد العقل السليم: ٧/٢١٥]

قال عبدُ الرؤوفِ بنُ تاجِ العارفِينَ المُناويُّ (ت: ١٠٣١هـ): (قَوْلُهُ: «مَنْ قَرَأَ المُعَوِّذَتَيْنِ فكَأَنَّمَا قَرَأَ الكُتُبَ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ» الثَّعْلَبِيُّ وابنُ مرْدويه والوَاحِدِيُّ بأَسَانِيدِهِمْ إلى أُبَيٍّ بنِ كَعْبٍ، وقد تَقَدَّمَ أنَّ كُلَّها مَوْضُوعَةٌ واللهُ أَعْلَمُ). [الفتح السماوي: ٣/١١٤٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ بنُ مَنِيعٍ فِي مُسْنَدِهِ قَالَ: حَدَّثَنا يوسُفُ بنُ عَطِيَّةَ قالَ: حَدَّثَنا هَارُونُ بنُ كَثيرٍ عَنْ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبيهِ، عَنْ أُبَيٍّ بنِ كَعْبٍ قالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ المُعَوِّذَاتِ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ جَمِيعَ مَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»). [تُحْفَةُ الذاكرين: ٣٣٠-٣٣٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَه عَنْ أمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ أَحَبِّ السُّوَرِ إِلَى اللَّهِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»). [فتح القدير: ٥/٧٥٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ النسائيُّ وَابنُ الضريسِ وَابنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَابنُ الأنباريِّ وَابنُ مَرْدُويَه عَنْ جابرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: أَخَذَ بِمَنْكِبَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «اقْرَأْ» قُلْتُ: ما أَقْرَأُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ ثُمَّ قَالَ: «اقْرَأْ». قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾. ولَمْ تَقْرَأْ بِمِثْلِهِمَا»). [فتح القدير: ٥/٧٥٦]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ الكَرِيمِ الأَشْمُونِيُّ (ت: ق١١هـ): (ومن قرَأَ المُعَوِّذتين قَبْلَ طُلوعِ الشَّمْسِ وقبل غُرُوبها تَوَلَّى عنه الشَّيْطَانُ وله نُبَاحٌ كنُبَاحِ الكلب). [منار الهدى:٣١١]

مرسل قيس بن أبي حازم

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((سف): وَعَنْ قَيْسِ بنِ أبي حَازِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((نَزَلَتْ عَلَيَّ آيَاتٌ مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْهُنَّ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾)). [لمحات الأنوار: ١١٦٢/٣]

مرسل عبد الله بن يسار

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((حـ): وعن عَبْدِ اللهِ بنِ يَسَارٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ قَرَأَ الْمُعَوِّذَتَيْنِ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ إِلاَّ قَالَ: رَبِّ أَعِذْهُ مِنْ شَرِّي)). [لمحات الأنوار: ١١٧٢/٣]

مرسل مكحول

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ سَعِيدُ بنُ مَنْصُورٍ عَنْ مَكْحُولٍ قَالَ: مَنْ قَرَأَ فَاتِحَةَ الكِتَابِ والْمُعَوِّذَتَيْنِ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ سَبْعَ مَرَّاتٍ يَوْمَ الجُمُعَةِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ كُفِّرَ عَنْهُ مَا بَيْنَ الجُمُعَتَيْنِ وكَانَ مَعْصُومًا). [الدر المنثور: ٧٧٥/١٥]

خبر واهٍ

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وأَخْرَجَ ابنُ مَرْدُويَهْ بسَنَدٍ وَاهٍ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: ((مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ ثلاثَ مَرَّاتٍ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ، فَإِنْ قُبِضَ قُبِضَ شَهِيدًا، وَإِنْ عَاشَ عَاشَ مَغْفُورًا لَهُ)). [الدر المنثور: ٧٧٢/١٥]

خبر موضوع

قالَ محمدُ بنُ خَلِيلٍ القاوقجيُّ الطَّرَابُلُسيُّ (ت: ١٣٠٥هـ): (ومِن ذلكَ حديثُ: مَن صَلَّى ليلةَ الاثنينِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بفاتحةِ الكتاب مَرَّةً وآيةِ الكُرْسِيِّ مَرَّةً، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ مَرَّةً، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ مَرَّةً مَرَّةً، كُفِّرَتْ ذُنوبُه كُلُّها، وأعطاهُ اللهُ قَصْرًا في الجنةِ من دُرَّةٍ بيضاءَ، في جَوْفِ القَصْرِ سَبْعَةُ أبياتٍ، طولُ كلِّ بيتٍ ثلاثةُ آلافِ ذِراعٍ، وعَرْضُه مثلُ ذلك، واستمَرَّ هذا الكَذَّابُ على حديثٍ طَويلٍ فيهِ من الْمُجازَفاتِ القبيحةِ، قالَ ابنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ: هو مِن عَمَلِ الحُسَينِ بنِ إبراهيمَ، كَذَّابٌ دَجَّالٌ وضَعَ من هذا الضَّرْبِ أحاديثَ صَلاةِ يومِ الأحدِ وليلةِ الأحدِ إلى سائرِ أيامِ الأسبوعِ ولياليهِ، وهذا بابٌ واسعٌ، وإنما ذَكَرْنا منه جُزْءا يَسِيرًا لتَعْرِفَ به أنَّ هذهِ الأحاديثَ وأمثالَها مِمَّا فيه هذه المجازفاتُ الباردةُ كلُّها كَذِبٌ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم). [اللؤلؤ المرصوع: ١٨٩]

الرقية بالمعوذتين

قلتُ: (وَمِن فَضَائِلِ المعوِّذتين مَا صَحَّ مِن رُقيَةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم نفسَه بهمَا ، ورُقيةِ جبريلَ عَليهِ السَّلامُ لَهُ بالمعوِّذاتِ ، ورُقيةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ بعضَ أصحابهِ بهمَا ، وتَجدُ هذِه الأحَاديثَ وكلامَ العلمَاءِ عنهَا فِي القِسْمِ الملحَقِ بتفسيرِ المعوِّذتينِ فِي الرُّقى وَالتَّعويذاتِ).

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (وقَدْ دَخَلَ في هذه السورةِ كلُّ شرٍّ يُتوقَّى ويُتحرَّزُ منه دِينًا ودُنيا ، فلذلك لَمَّا نَزَلَتْ فَرِحَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بنُزُولِها لكونِها مَعَ مَا يَلِيهَا جَامِعَةً في التَّعوُّذِ لكلِّ أَمْرٍ). [التفسير الكبير: ١٧٩/٣٢] (م)

قالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (هيَ وَالتي بَعْدَهَا مُعَوِّذَتَا الرسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينَ سَحَرَتْهُ اليهوديَّةُ). [تفسير القرآن: ٥٠٩/٣]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وهذه السورةُ وسُورةُ: (الناسِ) و(الإخْلاَصِ) تَعَوَّذَ بهِنَّ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سَحَرَتْهُ اليهودُ ؛ على ما يَأْتِي). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٥١/٢٠]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (وقد دَخَلَ في هذهِ السورةِ كلُّ شرٍّ يُتَوَقَّى ويُتَحَرَّزُ منه دِينًا ودُنيا ؛ فلذلك لَمَّا نزلَتْ فَرِحَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ بها ؛ لكونِها معَ أُخْتِها جَامِعةً في التَّعوُّذِ من كلِّ شيءٍ). [غرائب القرآن: ٢٢٩/٣٠]

القراءة بالمعوذتين في الصلاة

القراءة بالمعوذتين في صلاة الفجر

حديث عقبة بن عامر الجهني

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت: ٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليْهِ وسَلَّمَ عَنِ المُعَوِّذَتَيْنِ قَالَ : فَأَمَّنَا بهمَا رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ فِي صَلاةِ الفَجْرِ). [المصنف: ٥٣٩/١٠]

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت: ٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الغَازِ ، عَنْ سُلَيْمَانَ ابْنِ مُوسَى ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سَفَرٍ ، فَلَمَّا طَلَعَ الفَجْرُ أَذَّنَ وَأَقَامَ ، ثُمَّ أَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ وَقَرَأَ بالمُعَوِّذَتَيْنِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ : «كَيْفَ رَأَيْتَ؟» قُلْتُ : قَدْ رَأَيْتُ يا رسولَ اللهِ. قَالَ : «فَاقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْتَ ، وَكُلَّمَا قُمْتَ»). [المصنف: ٥٣٩/١٠- ٥٤٠]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْب بْنِ عَلِيٍّ النَّسَائِيُّ (ت: ٣٠٣هـ): (أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ حِزَامٍ التِّرْمِذِيُّ ، قَالَ : أَنْبَأَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ : أَنَّهُ سَأَلَ

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ عَنِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ، قالَ عُقْبَةُ: فَأَمَّنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ بهِمَا فِي صَلاةِ الغَدَاةِ). [سُنَنُ النَّسَائِيِّ: ٢٥٢/٧]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْب بْنِ عَلِيٍّ النَّسَائِيُّ (ت: ٣٠٣هـ): (أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ، عَنِ العَلاءِ بْنِ الحَارِثِ، عَنْ مَكْحُولٍ، عَنْ عُقْبَةَ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قَرَأَ بهِمَا فِي صَلاةِ الصُّبْحِ). [سُنَنُ النَّسَائِيِّ: ٢٥٢/٧]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْب بْنِ عَلِيٍّ النَّسَائِيُّ (ت: ٣٠٣هـ): (القِراءَةُ في الصُّبْحِ بالْمُعَوِّذَتَيْنِ
أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ حِزَامٍ التِّرْمِذِيُّ وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - وَاللَّفْظُ لَهُ – قَالا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سُفْيَانُ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: (أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ عَنِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ، قَالَ عُقْبَةُ: فَأَمَّنَا بهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فِي صَلاةِ الفَجْرِ)). [سُنَنُ النَّسَائِيِّ: ١٥٨/١]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الكَرَجِيُّ القَصَّابُ (ت: ٣٦٠هـ): (وقد سَأَلَ عُقْبَةُ بنُ عامرٍ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ عن الْمُعوِّذَتَيْنِ، فأَمَّهُ بهما في صلاةِ الفَجْرِ). [نكت القرآن: ٤/ ٥٧٠]

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ دُحَيْمٍ الدِّمَشْقِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، ثَنَا الوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، ثَنَا هِشَامُ بْنُ الغَارِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، عَنِ القَاسِمِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، وكَانَ صَاحِبَ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّهْبَاءِ الَّتِي يَقُودُهَا فِي الأَسْفَارِ، قَالَ: قُدْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ رَتْوَةً مِنَ اللَّيْلِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَنِخْ». فَأَنَخْتُ، فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «ارْكَبْ يَا عُقْبَةُ». فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَلَى رَاحِلَتِكَ؟! فَأَمَرَنِي فَقَالَ: «ارْكَبْ». فَقُلْتُ أَيْضًا مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَدَّدْتُ ذَلِكَ مِرَارًا حَتَّى خِفْتُ أَنْ أَعْصِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَكِبْتُ رَاحِلَتَهُ، ثُمَّ زَجَرَ نَاقَتَهُ فَقَامَتْ، ثُمَّ نَادَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَقْبٍ مِنَ النِّقَابِ، فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ، أَلا أُعَلِّمُكَ سُورَتَيْنِ مِنَ القُرْآنِ هُمَا أَفْضَلُ القُرْآنِ، أَوْ مِنْ أَفْضَلِهِ؟» فَقُلْتُ: بَلَى بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي. فَعَلَّمَنِي الْمُعَوِّذَتَيْنِ. ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ إِذَا رَأَيْتَ الفَجْرَ فَأَعْلِمْنِي»، فَلَمَّا رَأَيْتُ الفَجْرَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الفَجْرُ. فَأَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، ثُمَّ تَوَضَّأَ، ثُمَّ أَقَامَ الصَّلاةَ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَقَرَأَ بِهِمَا فِي صَلاةِ الصُّبْحِ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ، اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا قُمْتَ وَنِمْتَ»). [المُعْجَمُ الكَبِيرُ: ٣٣٥/١٧- ٣٣٦]

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الحُسَيْنِ بن علي البَيْهَقِيُّ (ت: ٤٥٨هـ): (وَرُوِّينَا عَنِ القَاسِمِ مَوْلَى مُعَاوِيَةَ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَقَالَ لِي: «يَا عُقْبَةُ، أَلا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ قُرِئَ بِهِمَا؟» فَعَلَّمَنِي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾. ثُمَّ صَلَّى بِهِمَا صَلاةَ الصُّبْحِ). [السنن الصغرى: ٣٨١/١- ٣٨٢]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((ث) : وقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعُقْبَةَ بنِ عامِرٍ: «أَلاَ أُعَلِّمُكَ سُورَتَيْنِ هُمَا أَفْضَلُ القُرْآنِ، أَوْ مِنْ أَفْضَلِ القُرْآنِ»؟ قلتُ: بلى يا رسولَ اللهِ. فعَلَّمَنِي المُعَوِّذَتَيْنِ، ثم قَرَأَ بهما في صلاةِ الغَدَاةِ وقالَ: «اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا قُمْتَ وَنِمْتَ»). [لمحات الأنوار: ١١٦٩/٣]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (طريقٌ أُخْرَى : قالَ النَّسائِيُّ: أَخْبَرَنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ، حدَّثَنا عَبْدُ الرحمنِ، حدَّثَنا مُعاوِيَةُ، عن العَلاءِ بنِ الحَارِثِ، عن مَكْحُولٍ، عن عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ قرَأَ بِهِمَا في صلاةِ الصُّبْحِ). [تفسير القرآن العظيم: ٣٩٠٤/٨]

قالَ محمودُ بنُ أحمدَ بنِ مُوسَى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): (عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ قالَ: كنتُ أَقُودُ لرسولِ اللَّهِ ناقتَه في السفرِ، فقالَ لي: «يا عُقْبَةُ، ألا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ قُرِئَتَا؟» فعَلَّمَنِي ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ قالَ: فلم يَرَنِي سُرِرْتُ بهما جدًّا، فلما نزَلَ لصلاةِ الصبحِ صلَّى بهما صَلاةَ الصبحِ للناسِ، فلما فرَغَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ من الصلاةِ التفتَ إليَّ فقالَ: «يا عُقْبَةُ كَيْفَ رَأَيْتَ؟»). [شرح سنن أبي داود: ٣٧٩/٥]

قالَ جَلاَلُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ الضُّرَيْسِ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجُهَنِيِّ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَلَمَّا طَلَعَ الفجرُ أَذَّنَ وَأَقَامَ، ثُمَّ أَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ، ثُمَّ قَرَأَ بالمُعَوِّذَتَيْنِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «كَيْفَ رَأَيْتَ؟» قُلْتُ: قَدْ رَأَيْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَاقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْتَ وَكُلَّمَا قُمْتَ»). [الدر المنثور: ٧٩٠/١٥]

■ حديث معاذ بن جبل

قالَ جَلاَلُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُوَيْهِ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَصَلَّى الغَدَاةَ فَقَرَأَ فِيهَا بالمُعَوِّذَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ سَمِعْتَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «مَا قَرَأَ النَّاسُ بِمِثْلِهِنَّ»). [الدر المنثور: ٧٨٩/١٥]

قراءة المعوذات دبر كل صلاة

■ حديث عقبة بن عامر الجهني

قال أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حنبلٍ الشيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حدثنا أبو عبدِ الرحمنِ، حدثنا سعيدٌ -يعني: ابنَ أبي أيوبَ- حدثني يزيدُ بنُ عبدِ العزيزِ الرُّعَيْنِيُّ، وأبو مَرْحومٍ، عن يزيدَ بنِ محمدٍ القرشيِّ، عن عُلَيِّ بنِ رباحٍ، عن عقبةَ بنِ عامرٍ، أنه قال: أَمَرَنِي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَنْ أَقْرَأَ بالمُعوذاتِ في دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ). [مسند الإمام أحمد: ٦٣٣/٢٨ - ٦٣٤]

قال أحمدُ بن شعيب النسائي (ت:٣٠٣هـ): (أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنِ اللَّيْثِ عَنْ حُنَيْنِ ابْنِ أَبِي حَكِيمٍ عَنْ عُلَيِّ بْنِ رَبَاحٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَقْرَأَ الْمُعَوِّذَاتِ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ). [سنن النسائي بحاشية السيوطي:٣/٧٧ (م)]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): (مَا جَاءَ فِي قِرَاءَتِهما في دُبُرِ الصلاةِ، (س): وَعَنْ عُلَيٍّ بنِ رَبَاحٍ عن عُقبةَ بنِ عامرٍ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ أقرأَ بالمُعَوِّذَاتِ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ). [لمحات الأنوار: ٣/١١٧٤]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((ت): وَعَنْ عُقبةَ بنِ عامرٍ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنْ أَقرأَ بالمُعَوِّذَتَيْنِ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ.

قالَ أبو عيسى: هذا حديثٌ حسَنٌ غريبٌ). [لمحات الأنوار: ٣/١١٦٥]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((س): وَعَنْ عُلَيٍّ بنِ رَبَاحٍ عن عُقبةَ بنِ عامرٍ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ أقرأَ بالمُعَوِّذَاتِ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ). [لمحات الأنوار: ٣/١١٧٤]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (وفي التِّرْمِذِيِّ: حدَّثَنا قُتيبةُ، نا ابنُ لَهيعةَ، عن يَزيدَ بنِ أبي حَبيبٍ، عن عُلَيٍّ بنِ رَبَاحٍ، عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ قالَ: (أَمَرَنِي رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أَقْرَأَ بالمُعَوِّذَتَيْنِ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ) قالَ: هذا حديثٌ غريبٌ). [بدائع الفوائد: ٢/١٩٨]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (طَرِيقٌ أُخْرَى

قالَ أحمدُ: حدَّثَنا أبو عَبْدِ الرحمنِ، حدَّثَنا سعيدُ بنُ أبي أَيُّوبَ، حدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ عَبْدِ العزيزِ الرُّعَيْنِيُّ، وأبو مَرْحومٍ، عن يَزِيدَ بنِ محمدٍ القُرَشِيِّ، عن عُلَيِّ بنِ رَبَاحٍ، عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ قالَ: أَمَرَنِي رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ أنْ أقرَأَ بالمُعوِّذاتِ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ. ورواهُ أبو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيُّ والنَّسائِيُّ، مِن طُرُقٍ، عن عُلَيِّ بنِ رَبَاحٍ، وقالَ التِّرْمِذِيُّ: غَرِيبٌ). [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩٠٤]

قالَ حَيْدَرُ بْنُ عَلِيٍّ القَاشِيُّ (ت: ٧٧٦هـ): (وَلِلتِّرْمِذِيِّ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَقْرَأَ بالمُعَوِّذَتَيْنِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ). [المعتمد في المنقول: ٢/٥٠٧]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَهْ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَءُوا بالمُعَوِّذَاتِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ»). [الدر المنثور: ١٥/٧٨٨]

قال ابنُ الدَّيْبَعِ عبدُ الرَّحمن بنُ عليٍّ الشيبانيُّ الزَّبيدِيُّ (ت: ٩٤٤هـ): (وَفِي رِوَايَةٍ لِلتِّرْمِذِيِّ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَقْرَأَ المُعَوِّذَتَيْنِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ). [تيسير الوصول: ١/٢٠١]

القراءة بالمعوذات في الوتر

■ حديث عائشة

قالَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثنا محمدُ بنُ سَلَمَةَ، عن خُصَيفٍ، عن عبدِ العزيزِ بنِ جُرَيجٍ قالَ: سألتُ عائشةَ أُمَّ المؤمنينَ: بأيِّ شيءٍ كانَ يُوتِرُ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ؟ قالَتْ: كانَ يقرأُ في الركعةِ الأُولَى بـ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١]، وفي الثانيةِ بـ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: ١]، وفي الثالثةِ بـ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، والمُعوِّذتَينِ). [مسند الإمام أحمد: ٧٩/٤٣]

■ حديث عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه

قالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ إبراهِيمَ البَزَّازُ (ت: ٣٥٤هـ): (حَدَّثَنا مُحَمَّدُ بْنُ غَالِبٍ، قَالَ: حَدَّثَني عَبْدُ الصَّمَدِ، قَالَ: حَدَّثَني أَبُو جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ كانَ يُوتِرُ بـ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١]، و﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: ١]، و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ والمُعَوِّذَتَيْنِ). [الغَيْلانِيَّاتُ: ٢١٣]

■ حديث علي بن أبي طالب

قَالَ القَاضِي عِيَاضُ بنُ موسى بن عياضٍ اليحصبيُّ (ت: ٥٤٤هـ): (عَنْ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فِي وِتْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُوتِرُ بثَلاثٍ يَقْرأُ في الأُولَى بـ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، وَ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، وفي الثَّانِيَـةِ بـــ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾: وفي الثَّالِثَــةِ بـــ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾، و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ فَقَالَ مَالِكٌ: الحَمْدُ لِلَّهِ الذي وافَقَ وِتْرِي وِتْرَ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ). [الغنية: ٨٤]

■ حديث حسين بن عبد الله بن ضميرة عن أبيه عن جده

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): (حَدَّثَني الفَقِيهُ الحاجُّ المُحَدِّثُ أبو جعفرٍ أحمَدُ بنُ يَحْيَى، رَحْمَةُ اللهِ عليه، سَمَاعًا مِنِّي عليه بغَرْنَاطَةَ في شَهْرِ ذي قَعْدَةٍ سنةَ سَبعٍ وتِسعينَ وخَمْسِمِائةٍ. قَالَ: حَدَّثَني قاضِي الأحكامِ العَدْلُ الفَقيهُ أبو عَبْدِ اللهِ محمَّدُ بنُ الشَّيْخِ الفَقيهِ أبي القاسِمِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ محمَّدِ بنِ مَنصورِ بنِ محمَّدِ ابنِ الفضْلِ بنِ مَنصورِ بنِ أحمدَ بنِ يُونُسَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ اللَّيْثِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ العَلاءِ بنِ الحَضْرَمِيِّ صاحبِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعامِلِه على البَحرَيْنِ: قَالَ: نا الشيخُ العَدْلُ أبو عَبْدِ اللهِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الرازيُّ بقِراءةِ الحافِظِ أبي طاهِرٍ السِّلَفِيِّ عليه سنةَ ثَمانَ عَشْرةَ وخَمْسِمِائةٍ. قَالَ: ثنا أبو عَبْدِ اللهِ ابنُ محمَّدِ بنِ الوَلِيدِ قَالَ: ثنا أبو عُمَرَ أحمدُ بنُ سَعْدِي القَيْسِيُّ ثنا أبو الفرَجِ الحسَنُ بنُ القاسِمِ الصَّدَفِيُّ، ثنا فَضْلُ بنُ الحسَنِ بنِ محمَّدٍ المَعَافِرِيُّ، ثنا أبو مُسَافِرٍ ثنا أبو يُونُسَ محمَّدُ بنُ يَزِيدَ بالمدينةِ، ثنا أبو مُصعَبٍ قَالَ:

تَقدَّمَ مالِكُ بنُ أَنَسٍ رحِمَه اللهُ يَصِلُ الصُّفوفَ فإذا الحسينُ بنُ عَبْدِ اللهِ بن ضُمَيْرَةَ، فقالَ له مالِكٌ: حدِّثْني حَدِيثَ أَبيكَ عن جَدِّكَ عن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عنه في وِترِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قالَ: كانَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوتِرُ بثَلاثٍ، يَقرأُ في الأُولَى بـ ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، وفي الثانيةِ بـ ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾. وفي الثالثةِ بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ فقالَ مالِكٌ: الحمْدُ للهِ الذي وافَى وِتْري وِتْرَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قالَ أبو مُصْعَبٍ: فمَا تَركتُ ذلك في وِتْري مُنْذُ سَمِعْتُه مِنْ مالِكٍ، وقالَ أبو يُونُسَ: ما تَركْتُ ذلك في وِتْري منذُ سَمِعتُ أبا مُصعَبٍ عن مالِكٍ، وقالَ أبو مُسافِرٍ: ولا تَركْتُ ذلك في وِتْري منذُ سَمِعتُ أبا يُونُسَ، وقالَ فضْلٌ: ولا تَركْتُ ذلك في وِتْري منذُ سَمِعتُه مِن أبي مُسافِرٍ، وقالَ أبو الفَرَجِ: ما تَرَكْتُ ذلك في وِتْري منذُ سَمِعْتُه مِن فَضْلٍ، وقالَ أبو عُمَرَ: ما تَركْتُ ذلك في وِتْري مُنذُ سَمِعتُه مِن أبي الفَرَجِ، وقالَ أبو مُحَمَّدِ بنُ الوَليدِ: ما تَركْتُ ذلك في وِتْري مُنذُ سَمِعْتُه مِن أبي عُمرَ. وقالَ محمَّدُ بنُ الفَرَجِ: ما تَركْتُ ذلك في وِتْري منذُ سَمِعْتُه مِن ابنِ الوَليدِ وقالَ أبو عَبْد اللهِ الرَّازيُّ: ما تَرَكْتُ ذلك في وِتْري منذُ سَمِعتُه مِن مُحمَّدِ بنِ الفَرَجِ، وقالَ أبو عَبْدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ محمَّدِ بنِ مَنصورٍ: ما تَرَكْتُ ذلك في وِتْري منذُ سَمِعتُه مِن أبي عَبْدِ اللهِ الرَّازيِّ، وقالَ الحاجُّ أبو جَعفرٍ أحمدُ بنُ يَحْيَى: ما تَركتُ ذلك في وِتْري مُنذُ سَمِعْتُهُ مِن شَيْخِي أبي عَبْدِ اللهِ محمَّدِ بنِ عبدِ الرَّحْمَنِ بقِراءتِي عليه بالإسكَنْدَرِيَّةِ في شهْرِ رَبيعِ الأوَّلِ سنةَ تسْعٍ وسَبعينَ وخمْسِمائةٍ وأنا أقولُ: ما تَرَكْتُ ذلك في وِتْري منذُ سَمِعتُه مِن صاحِبنا الفَقيهِ الحاجِّ أبي جَعفرٍ أحمدَ بنِ يَحْيى بنِ عُميرةَ الضَّبِّيِّ في التاريخِ المذكورِ أوَّلاً). [لمحات الأنوار: ٣/١١٥٤- ١١٥٦]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): (وحَدَّثَنِي فيما كَتَبَ به إليَّ قاضِي الأَحكامِ العدْلُ أبو عَبْدِ اللهِ محمَّدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ مَنصورٍ رَحِمَه اللهُ، وحَدَّثَني به أيضًا الفَقيهُ القاضي المحدِّثُ الثِّقَةُ العَدْلُ بَقِيَّةُ الأَشياخِ أبو بكْرٍ محمَّدُ بنُ القَاضِي أبي خالِدٍ عَبْدِ اللهِ بنِ أبي زَمِنِينَ المُرِّيُّ أَبقاهُ اللهُ قَالَ: ثنا الفَقيهُ الجَليلُ المُقرِئُ أبو محمَّدِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ مرجوالَ رَحِمَه اللهُ قَالَ: ثنا أبو الرَّبيعِ سُليمانُ بنُ عبدِ العَزيزِ بنِ أَسَدٍ الأُمَوِيُّ قِراءةً مِنِّي عليه، قَالَ: ثنا الشيخُ الأَجَلُّ أبو عَبْدِ اللهِ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الرَّازيُّ سَماعًا عليه، قَالَ: أَجازَنِي عَبْدُ اللهِ بنُ الوَلِيدِ بنُ سعْدٍ الأَنصاريُّ مُشافَهَةً بمِصْرَ، وأنا عنه أبو عَبْدِ اللهِ محمَّدُ بنُ الفَرَجِ بنِ عبدِ الوَلِيِّ الأَنصاريُّ الأَنْدَلُسِيُّ قَالَ: نا أبو عُمَرَ أحمدُ بنُ سَعْدِيٍّ القَيْسِيُّ... الحديثَ). [لمحات الأنوار: ٣/١١٥٦- ١١٥٧]

- **قلت:** (القصة رواها ابن عدي في الكامل والخلال في فضائل سورة الإخلاص، والسلفي في مشيخة ابن الحطاب، وابن عساكر في تاريخ دمشق.

والحسين بن عبد الله بن ضميرة قال عنه البخاري: منكر الحديث، وقال ابن معين: ليس بثقة ولا مأمون، وقال أبو حاتم الرازي: متروك الحديث كذاب، وقال أحمد: لا يساوي شيئًا متروك الحديث، وكذَّبه الإمام مالك).

قالَ جلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصرٍ عَنْ أَبي ضُمَيْرَةَ، عَنْ أَبيهِ، عَنْ جدِّهِ، أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الركعةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي يُوتِرُ بهَا بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ۝١﴾ والمُعَوِّذَتَيْنِ). [الدر المنثور: ١٥/٧٩١]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((حـ): وعَنْ مَنصورٍ عن إبراهيمَ النَّخَعِيِّ قَالَ: كانوا يَسْتَحِبُّونَ أنْ يَقرأَ الرَّجُلُ في الليلَةِ بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ۝١﴾ والمُعَوِّذَتَيْنِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَبلَ أنْ يُصْبِحَ). [لمحات الأنوار: ٣/١١٤٩]

مسائل عامة في تفسير المعوذتين

بيان أن المعوذتين من القرآن

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبي شَيْبَةَ العَبْسيُّ (ت: ٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنِ الشَّعْبيِّ قَالَ: المُعَوِّذَتَانِ مِنَ القُرْآنِ.

- حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنِ الشَّعْبيِّ بنَحْوٍ مِنْهُ). [المصنف: ١٠/٥٣٨]

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبي شَيْبَةَ العَبْسيُّ (ت: ٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: قُلْتُ للأَسْوَدِ: مِنَ القُرْآنِ هُمَا؟ قَالَ: نَعَمْ. يَعْنِي المُعَوِّذَتَيْنِ). [المصنف: ١٠/٥٣٨]

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبي شَيْبَةَ العَبْسيُّ (ت: ٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا عَفَّانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هِلالٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ القَصَّابُ، قَالَ: سَالتُ الحَسَنَ، قُلْتُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ أَقْرَأُ المُعَوِّذَتَيْنِ فِي صَلاةِ الفَجْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ إِنْ شِئْتَ، سُورَتَانِ مُبارَكَتَانِ طَيِّبَتَانِ). [المصنف: ١٠/٦٣٩]

قالَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حدَّثَنا عَفَّانُ، حَدَّثنا عبدُ الوارثِ، حَدَّثنا حَنْظَلَةُ السَّدُوسيُّ، قالَ: قُلْتُ لعِكْرِمةَ: إني أقرَأُ في صلاةِ المَغرب بـ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ وإنَّ ناسًا يَعِيبونَ ذلك عليَّ؟ فقالَ: وما بَأْسٌ بذلك؟ اقْرَأْهما فإنهما من القرآنِ.

ثُمَّ قالَ: حَدَّثني ابنُ عَبَّاسٍ: أنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ جاءَ فصَلَّى ركعتينِ لم يَقْرَأْ فيهما إلا بأُمِّ الكتابِ). [مسند الإمام أحمد: ٤/٣٣٥]

قال أحمدُ بنُ محمدِ بنِ سلامةَ الطَّحاويُّ (ت: ٣٢١هـ): (بَابُ بَيَانِ مُشْكِلِ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي المُعَوِّذَتَيْنِ، وَمَا رُوِيَ عَنْهُ مَا يُوجِبُ أَنَّهُمَا مِنَ القُرْآنِ

- حدَّثَنَا أَبُو أُمَيَّةَ، حدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَابِقٍ، حدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ قَالَ: قُلْتُ لأُبَيٍّ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ: السُّورَتَانِ اللَّتَانِ لَيْسَتَا فِي مُصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: سَألتُ عَنْهُمَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «قِيلَ لِي: قُلْ، فَقُلْتُ لَكُمْ»، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَكَانَ مَا رُوِّينَا عَنْ أُبَيٍّ فِي هَذِهِ الآثَارِ مِنْ جَوابهِ زِرًّا مَا قَدْ ذَكَرَ فِيها مِمَّا لَيْسَ فِيهِ إِثْبَاتٌ مِنْهُ أَنَّهُمَا مِنَ الْقُرْآنِ وَلا إِخْرَاجٌ لَهُمَا مِنْهُ؛ ثُمَّ تَأَمَّلْنَا مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ فِيهِمَا سِوَى ذَلِكَ، هَلْ نَجِدُ فِيهِ تَحْقِيقَهُ أَنَّهُمَا مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ أَنَّهُمَا لَيْسَا فَوَجَدْنَا مَالِكَ بن يحيى الهَمْدَانِيَّ قد حدثنا قال حدثنا يَزِيدُ بن هَارُونَ حدثنا إِسْمَاعِيلُ عن قَيْسٍ عن عُقْبَةَ بن عَامِرٍ قالَ قالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّمَ: «أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ آيَاتٍ لم يُنْزِلْ عَلَيَّ مِثْلَهُنَّ الْمُعَوِّذَاتِ» ثُمَّ قَرَأَهُمَا...

قال أبو جَعْفَرٍ فَكَانَ فِيمَا رُوِّيْنَا تَحْقِيقُ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُمَا من القُرْآنِ فَاتَّفَقَ جَمِيعُ ما رُوِّيْنَاهُ عنه في ذلك لَمَّا صَحَّ وَخَرَجَتْ مَعَانِيهِ ولم تُخَالِفْ بشَيْءٍ منه شيئا وَاللَّهَ نَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ). [تحفة الأخيار: ٨/٦١٤] [مكان النقط أحاديث سبق ذكرها]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍ الكَرَجِيُّ القَصَّابُ (ت: ٣٦٠هـ): (وهما من القرآنِ، ومَن قالَ: لَيْستَا من القرآنِ فقد أعْظَمَ القولَ، وما ذُكِرَ عن ابنِ مسعودٍ فهو عنه غَيْرُ صحيحٍ، ولو صَحَّ عنه أنهما غيرُ مَكْتُوبةٍ في مُصْحَفِه، ما دلَّ على أنهما لم تكونا عندَه من القرآنِ، لأنه كانَ يَحْفَظُهما، ومَن حَفِظَ شَيْئًا فليسَ بحَتْمٍ عليهِ أنْ يَكْتُبَه ولو أنَّ حَافِظًا للقرآنِ كُلِّه لم يَكْتُبْهُ، واقْتَصَرَ على تلاوته آناءَ الليلِ والنهارِ في الصلاةِ وغيرِ الصلاةِ ما ضَرَّهُ، وإنما كُتِبَ إشْفَاقًا على مَن لا يَقْدِرُ أن يَحْفَظَهُ، فكُتِبَ لِيَسْتَوِيَ فيه الحَافِظُ وغيرُ الحافظِ، ولِيَرْجِعَ إليه الناسي إذا نَسِيَ منه الشيءَ، أو اشْتَبَهَ عليه الحَرْفُ، وَلِيَنْظُرَ فيه الناظِرُ فيَصِيرَ نَظَرُه فيه عبادةً، وَلِيَقْرَأَ فيه الحَافِظُ أيضًا فيَجْمَعَ الثوابيْنِ؛ ثوابَ التلاوةِ، وثَوَابَ النَّظَرِ.

وقد سَأَلَ عُقْبَةُ بنُ عامرٍ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ عن الْمُعَوِّذَتَيْنِ، فأَمَّهُ بهما في صلاةِ الفَجْرِ). [نكت القرآن: ٤/ ٥٦٨- ٥٧٠]

قالَ علمُ الدِّينِ عليُّ بنُ محمَّدٍ السَّخَاوِيُّ (ت:٦٤٣هـ): (وَهَاتَانِ السُّورَتَانِ منَ القُرآنِ بإجْمَاعِ الأمَّةِ، ويُرْوَى عنِ ابنِ مَسْعودٍ أنَّه كانَ يَحُكُّهُمَا مِنَ المصاحِفِ وَيقُول: (لا تزيدوا في كِتَابِ اللهِ ما ليسَ منه، فإنْ كانَ هذا صَحِيحًا عنهُ فَسَبَبُهُ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللهِ صلَّى الله عليهِ وسلَّم يُعَوِّذُ بهمَا سِبْطَيهِ فظَنَّ أنهما عُوذَتانِ.

والمسلمون كلهم على خلاف ذلك). [جمال القراء:١/٢٠٣- ٢٠٤]

قالَ جلَالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ مُسَدَّدٌ وَابْنُ مَرْدُويَهْ عَنْ حَنْظَلَةَ السَّدُوسِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِعِكْرِمَةَ: إِنِّي أُصَلِّي بقَوْمٍ فَأَقْرَأُ بـ ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾؟ فقَالَ: اقْرَأْ بهمَا فَإِنَّهُمَا مِن القُرْآنِ). [الدر المنثور: ١٥/٧٨٥]

قالَ حَيْدَرُ بْنُ عَلِيٍّ القَاشِيُّ (ت: ٧٧٦هـ): (عَنْ مَالِكٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: مَا مِنَ الْمُفَصَّلِ سُورَةٌ صَغِيرَةٌ وَلا كَبِيرَةٌ إلا قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَؤُمُّ بها النَّاسَ فِي الصَّلاةِ الْمَكْتُوبَةِ). [المعتمد في المنقول: ٢/٥٠٩]

إثبات (قل) في التلاوة، وما روي عن ابن مسعود في المعوذتين

حديث أبي بن كعب

قَالَ عَبْدُ الخَالِقِ بْنُ الحَسَنِ ابنُ أَبي رُوبَا (ت:٣٥٦ هـ): **حدَّثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ ثابتٍ الثَّورِيُّ عن أَبيه عن الهُذَيْلِ بنِ حَبيبٍ عنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ البلخيِّ (ت:١٥٠هـ):** (وقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قِيلَ لِي فَقُلْتُ لَكُمْ، فَقُولُوا كَمَا أَقُولُ». قَالَ: وكانَ ابْنُ مَسْعودٍ لا يَقْرَأُ بهما في المَكْتوبَةِ). [تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٣٨]

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ الجَارُودِ الطَّيَالِسِيُّ (ت: ٢٠٤هـ): (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، قَالَ: سَالتُ أُبَيًّا عَنِ المُعَوِّذَتَيْنِ، فَقَالَ: سَالتُ عَنْهُمَا النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَالَ: «قِيلَ لِي فَقُلْتُ لَكُمْ فقُولُوا». قَالَ أُبَيٌّ: فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ونحن نقولُ). [مُسْنَدُ أبي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ: ١/٤٣٧]

قالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت: ٢١١هـ): (عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: سَالتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، عَنِ المُعَوِّذَتَيْنِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾، فَقَالَ: إِنِّي سَالتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «قِيلَ لِي: قُلْ، فَقُلْتُ». فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [تفسير عبد الرزاق: ٢/٤١١]

قال عبدُ الرزاقِ بنُ همام الصنعانيُّ (ت: ٢١١هـ): (عَنْ مَعْمَرٍ والثَّوْرِيِّ، عَنْ عَاصِمِ بنِ أَبي النَّجُودِ، عَنْ زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ قالَ: سَالتُ أُبَيَّ بنَ كَعْبٍ عَنِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فَقَالَ: سَالتُ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمَا، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلمَ: «قِيلَ لِي فَقُلْتُ» قَالَ أُبَيٌّ: قالَ لِي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، فنَحْنُ نَقُولُ). [المصنف: ٣/٣٨٤]

قالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت: ٢١١هـ): (عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: سَالتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، عَنِ المُعَوِّذَتَيْنِ، فَقَالَ: سَالتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمَا فَقَالَ لِي: «جُعِلَتْ مَقَالاً لِي». فقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ، فَنَحْنُ نَقُولُ). [تفسير عبد الرزاق: ٢/٤١١]

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت: ٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ قَالَ: قُلْتُ لأُبَيٍّ: إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ لا يَكْتُبُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ. فَقَالَ: إِنِّي سَالتُ عَنْهُمَا النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ فَقَالَ: «قِيلَ لِي: فَقُلْتُ». فقَالَ أُبَيٌّ: وَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قِيلَ لَنَا). [المصنف: ١٠/٥٣٨]

قالَ مُحمَّدُ بنُ إسْماعِيلَ البُخَارِيُّ (ت: ٢٥٦هـ): (حَدَّثَنا قُتَيْبَةُ بنُ سَعِيدٍ: حَدَّثَنا سُفْيَانُ، عَنْ عَاصِمٍ وعَبْدَةَ، عن زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قالَ: سَالتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ عَنِ المُعَوِّذَتَيْنِ فقالَ: سَالتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ فقالَ: «قِيلَ لِي، فَقُلْتُ». فنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ). [صحيح البخاري: ٣١٢/٥]

قال محمدُ بنُ إسماعيلَ البخاريُّ (ت: ٢٥٦هـ): (حَدَّثَنا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ: حَدَّثَنا سُفْيَانُ: حَدَّثَنا عَبْدَةُ بْنُ أَبي لُبَابَةَ، عن زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ. وحَدَّثَنا عاصِمٌ، عن زِرٍّ قالَ: سَالتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ: قُلْتُ: يَا أَبَا المُنْذِرِ، إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ كذا وكذا؟ فقال أُبَيٌّ: سَالتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ فقالَ لِي: «قِيلَ لِي فَقُلْتُ».

قالَ: فنَحْنُ نَقُولُ كما قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ). [صحيح البخاري: ٣١٢/٥]

- **قال محمدُ بنُ يوسفَ بنِ عليٍّ الكِرْمانيُّ (ت: ٧٨٦هـ)**: (قَوْلُهُ: (عَاصِمٌ) هُوَ ابْنُ أَبي النَّجُودِ بفَتْحِ النُّونِ وضَمِّ الجِيمِ وبالمُهْمَلَةِ أَحَدُ القُرَّاءِ السَّبْعَةِ، و(عَبْدَةُ) ضِدُّ الحُرَّةِ ابْنُ أَبي لُبَابَةَ بضَمِّ اللامِ وخِفَّةِ المُوَحَّدَةِ الأُولَى الأَسَدِيُّ وهو عَطْفٌ على عَاصِمٍ، و(زِرٌّ) بكَسْرِ الزَّايِ وشِدَّةِ الرَّاءِ (ابْنُ حُبَيْشٍ) مُصَغَّرُ الحَبَشِ بالمُهْمَلَةِ والمُوَحَّدَةِ والمُعْجَمَةِ، و(المُعَوِّذَتَيْنِ) بكَسْرِ الواوِ.

فَإِنْ قُلْتَ: ما مَعْنَى السُّؤَالُ عَنْهُما؟

قُلْتُ: كانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ: إِنَّهُمَا لَيْسَا مِنَ القُرْآنِ فَسَأَلَ عَنْهُمَا مِنْ هذه الجِهَةِ فَقَالَ: سَالتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «قِيلَ لِي: قُلْ أَعُوذُ» أي: أَقْرَأَنِيهِما جِبْرِيلُ يَعْنِي أَنَّهُمَا مِنَ القُرْآنِ.

قَوْلُهُ: (قَالَ) أي: سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، وَحَدَّثَنَا عَاصِمٌ و(أَبو المُنْذِرِ) بكَسْرِ المُعْجَمَةِ الخَفِيفَةِ كُنْيَةُ أُبَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ كَنَّاهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأَمَّا (أَخَاكَ) فهو بحَسَبِ الدِّينِ، و(كذا وكذا) يَعْنِي أَنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنَ القُرْآنِ، و(قِيلَ لِي) أي: أَنَّهُ مِنَ القُرْآنِ وهذا كانَ مما اخْتَلَفَ فيه الصَّحَابَةُ ثم ارْتَفَعَ الخِلافُ وَوَقَعَ الإِجْمَاعُ عَلَيْهِ فَلَوْ أَنْكَرَ اليَوْمَ أَحَدٌ قُرْآنِيَّتَهُ كفَرَ، وقالَ بَعْضُهُمْ: ما كانَتِ المَسْأَلَةُ في قُرْآنِيَّتِهِمَا بلْ في صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِمَا وخَاصَّةٍ مِنْ خَواصِّهِمَا، ولا شَكَّ أَنَّ هذه الرِّوَايَةَ تَحْتَمِلُهُمَا والحَمْلُ عَلَيْهِ أَوْلَى، واللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ). [شرح الكرماني: ٢١٨/١٧- ٢٢٠]

- **قال أحمدُ بنُ علِيِّ بنِ حجرٍ العَسْقَلانيُّ (ت: ٨٥٢هـ)**: (قَوْلُهُ: **(حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ أَبي لُبَابَةَ عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، وحَدَّثَنَا عاصِمٌ عَنْ زِرٍّ)** القَائِلُ: وحَدَّثَنَا عَاصِمٌ هُو سُفْيَانُ، وكَأَنَّهُ كَانَ يَجْمَعُهُما تَارَةً ويُفْرِدُهُمَا أُخْرَى، وقَدْ قَدَّمْتُ أَنَّ فِي رِوَايَةِ الحُمَيْدِيِّ التَّصْرِيحَ بسَمَاعِ عَبْدَةَ وعَاصِمٍ لَهُ مِنْ زِرٍّ.

قولُهُ: **(سَالتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ قُلْتُ: أَبَا المُنْذِرِ)** هِيَ كُنْيَةُ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وله كُنْيَةٌ أُخْرَى: أَبُو الطُّفَيْلِ.

قولُهُ: **(يَقُولُ كَذَا وكذا)** هكَذا وَقَعَ هَذَا اللَّفْظُ مُبْهَمًا، وكَأَنَّ بَعْضَ الرُّوَاةِ أَبْهَمَهُ استِعْظَامًا لَهُ، وأَظُنُّ ذَلِكَ مِنْ سُفْيَانَ، فَإِنَّ الإِسْمَاعِيلِيَّ أَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الجَبَّارِ بْنِ العَلاءِ عَنْ سُفْيَانَ كَذَلِكَ عَلَى الإِبْهَامِ، وكُنْتُ أَظُنُّ أَوَّلاً أَنَّ الَّذِي أَبْهَمَهُ البُخَارِيُّ؛ لأَنَّنِي رَأَيْتُ التصريحَ بِهِ في رِوَايَةِ أَحْمَدَ عن سُفْيَانَ ولَفْظُهُ: (قُلْتُ لأُبَيٍّ: إِنَّ أَخَاكَ يَحُكُّهُمَا مِنَ المُصْحَفِ)، وكذا أَخْرَجَهُ الحُمَيْدِيُّ عَنْ سُفْيَانَ، ومِنْ طَرِيقِهِ أَبُو نُعَيْمٍ في المُسْتَخْرَجِ، وكَأَنَّ سُفْيَانَ كَانَ تَارَةً يُصَرِّحُ بذَلِكَ وتَارَةً يُبْهِمُهُ.

وقَدْ أَخْرَجَهُ أَحْمَد أيضًا وابْنُ حِبَّانَ مِنْ رِوايَةِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عَاصِمٍ بلَفظِ: (إِنَّ عَبْدَ اللهِ بنَ مَسْعُودٍ كَانَ لا يَكْتُبُ المُعَوِّذَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ).

وأَخرَجَ أَحْمَدُ عَنْ أَبي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ عَنْ عَاصِمٍ بلَفظِ: (إِنَّ عَبْدَ اللهِ يَقُولُ في المُعَوِّذَتَيْنِ)، وهذا أيضًا فيه إِبْهَامٌ.

وقَدْ أَخْرَجَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ في زِيَادَاتِ المُسْنَدِ والطَّبَرَانِيُّ وابنُ مَرْدَوَيهِ من طَرِيقِ الأَعْمَشِ عن أَبي إِسحاقَ عن عَبْدِ الرَّحمنِ بن يَزِيدَ النَّخَعِيِّ قَالَ: (كانَ عبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ يَحُكُّ المُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ مَصَاحِفِهِ ويَقُولُ: إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَاب اللهِ).

قَالَ الأَعْمَشُ: وقَدْ حَدَّثَنَا عَاصِمٌ عَنْ زِرٍّ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ قُتَيْبَةَ الذي في الباب الماضِي، وقد أَخْرَجَهُ البَزَّارُ، وفي آخِرِهِ: يَقُولُ: (إِنَّمَا أُمِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ أَنْ يَتَعَوَّذَ بِهِمَا).

قَالَ البَزَّارُ: ولَمْ يُتَابِعِ ابْنَ مَسْعُودٍ على ذلك أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وقد صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ أنه قَرَأَهُمَا في الصَّلاةِ.

قُلْتُ: هُوَ فِي صحيحِ مُسْلِمٍ عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، وَزَادَ فيه ابْنُ حِبَّانَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ تَفُوتَكَ قِرَاءَتُهُمَا فِي صَلاةٍ فَافْعَلْ). [فتح الباري: ٨/٧٤٢]

- **قال أحمدُ بنُ علِيِّ بنِ حجرٍ العَسْقَلانيُّ (ت: ٨٥٢هـ)**: (وأَخرَجَ أَحْمَدُ من طَرِيقِ أَبي العَلاءِ بْنِ الشِّخِّيرِ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسَلَّمَ أَقْرَأَهُ المُعَوِّذَتَيْنِ وقَالَ له: «إِذَا أَنْتَ صَلَّيْتَ فَاقْرَأْ بِهِمَا» وإِسنادُهُ صَحِيحٌ.

ولسعيدِ بْنِ مَنصورٍ مِن حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسَلَّمَ صَلَّى الصُّبْحَ فَقَرَأَ فِيهِمَا بِالمُعَوِّذَتَيْنِ.

وقَدْ تَأَوَّلَ القَاضِي أَبو بَكْرٍ البَاقِلاَّنِيُّ فِي كِتَابِ الانتِصَارِ، وتَبِعَهُ عِيَاضٌ وغَيْرُهُ - مَا حُكِيَ عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ؛ فقالَ: لَمْ يُنْكِرِ ابْنُ مَسْعُودٍ كَوْنَهُمَا مِنَ القرآنِ، وإِنَّمَا أَنْكَرَ إِثْبَاتَهُمَا فِي المُصْحَفِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَرَى أَنْ لا يُكْتَبَ فِي المُصحَفِ شَيْءٌ إِلاَّ إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسَلَّمَ أَذِنَ فِي كِتَابَتِهِ فِيهِ، وكَأَنَّهُ لَمْ يَبْلُغْهُ الإِذْنُ فِي ذَلِكَ.

قَالَ: فهذا تأويلٌ منه ولَيْسَ جَحْدًا لِكَوْنِهِمَا قُرْآنًا.

وهُو تَأْوِيلٌ حَسَنٌ إلا أَنَّ الرِّوَايَةَ الصَّحِيحَةَ الصَّرِيحَةَ الَّتِي ذَكَرْتُهَا تَدْفَعُ ذَلِكَ حَيْثُ جَاءَ فيها: ويَقُولُ: (إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَاب اللهِ).

نَعَمْ يُمْكِنُ حَمْلُ لَفْظِ كِتَاب اللهِ عَلَى المُصْحَفِ فَيَتَمَشَّى التأويلُ المَذْكُورُ، وقَالَ غَيْرُ القَاضِي: لم يَكُنِ اخْتِلافُ ابْنِ مَسْعُودٍ مَعَ غَيْرِهِ فِي قُرْآنِيَّتِهِمَا، وإِنَّمَا كانَ في صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِمَا. انْتَهَى.

وغَايَةُ مَا فِي هَذَا أنه أَبْهَمَ مَا بَيَّنَهُ القَاضِي، ومَنْ تَأَمَّلَ سِيَاقَ الطُّرُقِ الَّتِي أَوْرَدْتُهَا لِلْحَدِيثِ اسْتَبْعَدَ هَذَا الجَمْعَ، وأما قَوْلُ النَّوَوِيِّ فِي شَرْحِ المُهَذَّبِ: (أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ المُعَوِّذَتَيْنِ وَالفَاتِحَةَ مِنَ القُرْآنِ، وأَنَّ مَنْ جَحَدَ مِنْهُمَا شَيْئًا كَفَرَ، وما نُقِلَ عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ بَاطِلٌ لَيْسَ بصَحِيحٍ). ففيه نَظَرٌ، وقد سَبَقَهُ لِنَحْوِ ذَلِكَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ حَزْمٍ فقالَ في أَوَائِلِ المُحَلَّى: (مَا نُقِلَ عن ابنِ مَسْعُودٍ مِنْ إِنْكَارِ قُرْآنِيَّةِ المُعَوِّذَتَيْنِ فَهُوَ كَذِبٌ بَاطِلٌ).

وكذا قَالَ الفَخْرُ الرَّازِيُّ فِي أوَائِلِ تَفْسِيرِهِ: (الأَغْلَبُ على الظَّنِّ أَنَّ هَذَا النَّقْلَ عن ابنِ مَسْعُودٍ كَذِبٌ بَاطِلٌ). والطَّعْنُ في الرواياتِ الصَّحِيحَةِ بغَيْرِ مُسْتَنَدٍ لا يُقْبَلُ، بَلِ الرِّوَايَةُ صَحِيحَةٌ والتَّأْوِيلُ مُحْتَمَلٌ، والإجماعُ الَّذِي نَقَلَهُ إِنْ أَرَادَ شُمُولَهُ لكُلِّ عَصْرٍ فَهُوَ مَخْدُوشٌ، وإِنْ أَرَادَ اسْتِقْرَارَهُ فَهُوَ مَقْبُولٌ.

وقد قَالَ ابنُ الصَّبَّاغِ فِي الكلامِ على مَانِعِي الزَّكَاةِ: (وإنما قَاتَلَهُمْ أَبُو بَكْرٍ على مَنْعِ الزكاةِ ولم يَقُلْ: إِنَّهُمْ كَفَرُوا بذلك، وإنما لم يَكْفُرُوا لأنَّ الإجماعَ لَمْ يَكُنِ اسْتَقَرَّ، قَالَ: ونَحْنُ الآنَ نُكَفِّرُ مَنْ جَحَدَهَا).

قَالَ: (وكذلكَ مَا نُقِلَ عنِ ابنِ مَسْعُودٍ في المُعَوِّذَتَيْنِ يَعْنِي أنه لم يَثْبُتْ عِنْدَهُ القَطْعُ بذلك، ثم حَصَلَ الاتفاقُ بَعْدَ ذَلِكَ).

وقَدِ اسْتَشْكَلَ هَذَا المَوْضِعَ الفَخْرُ الرَّازِيُّ فقَالَ: (إِنْ قُلْنَا: إِنَّ كَوْنَهُمَا مِنَ القُرْآنِ كَانَ مُتَوَاتِرًا فِي عَصْرِ ابْنِ مَسْعُودٍ لَزِمَ تَكْفِيرُ مَنْ أَنْكَرَهُمَا، وإِنْ قُلْنَا: إِنَّ كَوْنَهُمَا مِنَ القُرْآنِ كَانَ لَمْ يَتَوَاتَرْ فِي عَصْرِ ابنِ مَسْعُودٍ لَزِمَ أَنَّ بَعْضَ القُرْآنِ لَمْ يَتَوَاتَرْ).

قَالَ: (وهذه عُقْدَةٌ صَعْبَةٌ.

وأُجِيبَ باحْتِمَالِ أَنَّهُ كَانَ مُتَوَاتِرًا فِي عَصْرِ ابنِ مَسْعُودٍ لَكِنْ لَمْ يَتَوَاتَرْ عِنْدَ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَانْحَلَّتِ العُقْدَةُ بعَوْنِ اللهِ تعالَى). [فتح الباري: ٧٤٢/٨- ٧٤٣]

- **قال أحمدُ بنُ علِيِّ بنِ حجرٍ العَسْقَلانيُّ (ت: ٨٥٢هـ)**: (قولُهُ: (سَالتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسَلَّمَ فقالَ: «قِيلَ لِي: قُلْ، فَقُلْتُ»، قَالَ: فنَحْنُ نَقُولُ كما قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ)

القائلُ: فنحنُ نَقُولُ إلخ هُو أُبيُّ بنُ كَعْبٍ، وَوَقَعَ عِندَ الطَّبَرَانِيِّ فِي الأَوْسَطِ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ أيضًا قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، لَكِنَّ المَشْهُورَ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ، فلَعَلَّهُ انْقَلَبَ عَلَى رَاوِيهِ ولَيْسَ في جَوابِ أُبَيٍّ تَصْرِيحٌ بالمُرَادِ إلا أَنَّ في الإجماعِ عَلَى كَوْنِهِمَا مِنَ القُرْآنِ غُنْيَةً عَنْ تَكَلُّفِ الأَسَانِيدِ بأَخْبَارِ الآحَادِ، واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بالصَّوَابِ). [فتح الباري: ٧٤٣/٨]

- **قال محمودُ بنُ أحمدَ بنِ موسى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ)**: (حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ أَبي لُبَابَةَ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، وَحَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ زِرٍّ قَالَ: سَالتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ قُلْتُ: يَا أَبَا المُنْذِرِ، إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ أُبَيٌّ: سَالتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقَالَ لِي: «قِيلَ لِي فَقُلْتُ». قَالَ: فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.

هَذَا طَرِيقٌ آخَرُ فِي حَدِيثِ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ أَخْرَجَهُ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ المَدِينِيِّ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَة إِلَى آخِرِهِ). [عمدة القاري: ١١/٢٠]

- **قال محمودُ بنُ أحمدَ بنِ موسى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ)**: (قَوْلُهُ: وَحَدَّثَنَا عَاصِمٌ. القَائِلُ: "وَحَدَّثَنَا عَاصِمٌ" هُوَ سُفْيَانُ وَكَأَنَّهُ كَانَ يَجْمَعُهُمَا تَارَةً وَيُفْرِدُهُمَا أُخْرَى، وَأَبو المُنْذِرِ كُنْيَةُ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَلَهُ كُنْيَةٌ أُخْرَى أَبو الطُّفَيْلِ.

قَوْلُهُ: (إِنَّ أَخَاكَ) يَعْنِي فِي الدِّينِ.

قَوْلُهُ: (كَذَا وَكَذَا) يَعْنِي: أَنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنَ القُرْآنِ.

قَوْلُهُ: (قِيلَ لِي) أَيْ: إِنَّهُمَا مِنَ القُرْآنِ، وَهَذَا كَانَ مِمَّا اخْتَلَفَ فِيهِ الصَّحَابَةُ ثُمَّ ارْتَفَعَ الخِلَافُ وَوَقَعَ الإِجْمَاعُ عَلَيْهِ، فَلَوْ أَنْكَرَ اليَوْمَ أَحَدٌ قُرْآنِيَّتَهُمَا كَفَرَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَا كَانَتِ المَسْأَلَةُ فِي قُرْآنِيَّتِهِمَا بَلْ فِي صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِمَا وَخَاصَّةٍ مِنْ خَاصَّتِهِمَا. وَلاَ شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ تَحْتَمِلُهُمَا فَالحَمْلُ عَلَيْهَا أَوْلَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ- . فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ مِنْ رِوَايَةِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمٍ بِلَفْظِ: أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ لاَ يَكْتُبُ المُعَوِّذَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ. وَأَخْرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي زِيَادَاتِ المُسْنَدِ وَالطَّبَرَانِيُّ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ النَّخَعِيِّ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَحُكُّ المُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ مَصَاحِفِهِ وَيَقُولُ: إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنَ القُرْآنِ أَوْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى.

قُلْتُ: قَالَ البَزَّارُ: لَمْ يُتَابِعِ ابْنَ مَسْعُودٍ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أَنَّهُ قَرَأَهَا فِي الصَّلاَةِ وَهُوَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، وَزَادَ فِيهِ ابْنُ حِبَّانَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: «فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ تَفُوتَكَ قِرَاءَتُهُمَا فِي صَلاَةٍ فَافْعَلْ».

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقِ أَبِي العَلاَءِ بْنِ الشِّخِّيرِ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أَقْرَأَهُ المُعَوِّذَتَيْنِ وَقَالَ لَهُ: «إِذَا أَنْتَ صَلَّيْتَ فَاقْرَأْ بِهِمَا». وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ صَلَّى الصُّبْحَ فَقَرَأَ فِيهِمَا بِالمُعَوِّذَتَيْنِ.

قَوْلُهُ: (قَالَ: فَنَحْنُ نَقُولُ) القَائِلُ هُوَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ). [عمدة القاري: ٢٠/١١]

- **قال محمودُ بنُ أحمدَ بنِ موسى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ)**: (قوله: (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَاصِمٍ وَعَبْدَةَ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ عَنِ المُعَوِّذَتَيْنِ فَقَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقَالَ: «قِيلَ لِي فَقُلْتُ». فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ).

مُطَابَقَتُهُ لِلتَّرْجَمَةِ ظَاهِرَةٌ، وَسُفْيَانُ هُوَ ابْنُ عُيَيْنَةَ، وَعَاصِمٌ هُوَ ابْنُ أَبِي النَّجُودِ - بِفَتْحِ النُّونِ وَضَمِّ الجِيمِ وَبِالمُهْمَلَةِ- أَحَدُ القُرَّاءِ السَّبْعَةِ، وَعَبْدَةُ - ضِدُّ الحُرَّةِ- ابْنُ أَبِي لُبَابَةَ - بِضَمِّ اللاَّمِ وَتَخْفِيفِ المُوَحَّدَةِ الأُولَى- الأَسَدِيُّ، وَزِرٌّ - بِكَسْرِ الزَّايِ وَشَدَّةِ الرَّاءِ- ابْنُ حُبَيْشٍ مُصَغَّرُ الحَبَشِ - بِالحَاءِ المُهْمَلَةِ وَالبَاءِ المُوَحَّدَةِ وَالشِّينِ المُعْجَمَةِ- وَالحَدِيثُ أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ أَيْضًا عَنْ قُتَيْبَةَ.

قَوْلُهُ: (عَنِ المُعَوِّذَتَيْنِ) بِكَسْرِ الوَاوِ، وَمَعْنَى السُّؤَالِ عَنْهُمَا لأَجْلِ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ المُعَوِّذَتَيْنِ لَيْسَتَا مِنَ القُرْآنِ فَسَأَلَ عَنْهُمَا مِنْ أُبَيٍّ مِنْ هَذِهِ الجِهَةِ فَقَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقَالَ: «قِيلَ لِي: قُلْ أَعُوذُ» أَيْ: أَقْرَأَنِيهِمَا جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- يَعْنِي أَنَّهُمَا مِنَ القُرْآنِ.

قَوْلُهُ: (فَنَحْنُ نَقُولُ) مِنْ كَلاَمِ أُبَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ). [عمدة القاري: ٢٠/١٠]

- **قالَ جلالُ الدينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أبي بكرٍ السيوطيُّ (ت: ٩١١هـ)**: (ص: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ أَبِي لُبَابَةَ، عن زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ ح، وحَدَّثَنَا عاصِمٌ عن زِرٍّ، قالَ: سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ:

قُلْتُ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: كذا وكذا؟ فقال أُبَيٌّ: سَألتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ، فقالَ لِي: ((قِيلَ لِي فَقُلْتُ)). قالَ: فنَحْنُ نَقُولُ كما قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ.

(يقول كذا وكذا) أي: يقولُ: إن المعوِّذتين ليستا من القرآنِ، وقد بسطتُ الكلامَ على مقالتِه هذه في "الإتقانِ".

(فقال أبيٌّ: سألت...) إلى آخرِه، قال ابنُ حجرٍ: ليس في جواب أبيٍّ تصريح بالمرادِ، إلا أن في الإجماع على كونِهما من القرآنِ غنيةً عن تكلفِ الأسانيدِ بأخبارِ الآحادِ. [التَّوْشِيحُ: ٣١٦٣/٧]

- **قالَ جلالُ الدينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أبي بكرٍ السيوطيُّ (ت: ٩١١هـ)**: (((خَنَسَه الشيطانُ))، قال عياضٌ: هو تحريفٌ، وإنما نَخَسَه). [التَّوْشِيحُ: ٣١٦٢/٧]

- **قال أحمدُ بنُ محمدِ بن أبي بكرٍ القَسْطَلَّانيُّ (ت: ٩٢٣هـ)**: (وبه قَالَ: (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ) البَغْلَانِيُّ الثَّقَفِيُّ قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) بْنُ عُيَيْنَةَ (عَنْ عَاصِمٍ) هُوَ ابْنُ أَبِي النَّجُودِ بفَتْحِ النُّونِ وَبالجِيمِ المَضْمُومَةِ آخِرُهُ دَالٌ مُهْمَلَةٌ أَحَدُ القُرَّاءِ السَّبْعَةِ (وَعَبْدَةُ) بفَتْحِ العَيْنِ، وَسُكُونِ المُوَحَّدَةِ ابْنُ أَبِي لُبَابَةَ بضَمِّ اللامِ، وَتَخْفِيفِ المُوَحَّدَةِ الأَسَدِيُّ كِلَاهُمَا (عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ) بكَسْرِ الزَّايِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ، وَحُبَيْش بضَمِّ الحَاءِ المُهْمَلَةِ وَفَتْحِ المُوَحَّدَةِ آخِرُهُ مُعْجَمَةٌ مُصَغَّرًا، وَسَقَطَ: ابْنُ حُبَيْشٍ لأَبِي ذَرٍّ أَنَّهُ (قَالَ: سَألتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ عَنِ المُعَوِّذَتَيْنِ) بكَسْرِ الوَاوِ المُشَدَّدَةِ، وَعِنْدَ ابْنِ حِبَّانَ وَأَحْمَدَ مِنْ طَرِيقِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عَاصِمٍ: قُلْتُ: لأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ لاَ يَكْتُبُ المُعَوِّذَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ (فَقَالَ) أُبَيٌّ: (سَألتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَنْهُمَا (فَقَالَ) وَلأَبِي ذَرٍّ: قَالَ: (((قِيلَ لِي)) بلِسَانِ جِبْرِيلَ، ((فَقُلْتُ))): قَالَ أُبَيٌّ: (فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَعِنْدَ الحَافِظِ أَبِي يَعْلَى عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَحُكُّ المُعَوِّذَتَيْنِ مِنَ المُصْحَفِ وَيَقُولُ: إِنَّمَا أُمِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَعَوَّذَ بهِمَا وَلَمْ يَكُنْ عَبْدُ اللَّهِ يَقْرَأُ بهِمَا، وَرَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الإِمَامِ أَحْمَدَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، وَزَادَ: وَيَقُولُ: إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ.

وَهَذَا مَشْهُورٌ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ القُرَّاءِ وَالفُقَهَاءِ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ لا يَكْتُبُهُمَا فِي مُصْحَفِهِ. حِينَئِذٍ فَقَوْلُ النَّوَوِيِّ فِي شَرْحِ المُهَذَّبِ: (أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ المُعَوِّذَتَيْنِ وَالفَاتِحَةَ مِنَ القُرْآنِ، وَأَنَّ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنْهَا كَفَرَ وَمَا نُقِلَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ بَاطِلٌ لَيْسَ بصَحِيحٍ) فِيهِ نَظَرٌ كَمَا نَبَّهَ عَلَيْهِ فِي الفَتْحِ؛ إِذْ فِيهِ طَعْنٌ فِي الرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ بغَيْرِ مُسْتَنَدٍ، وَهُوَ غَيْرُ مَقْبُولٍ، وَحِينَئِذٍ فَالمَصِيرُ إِلَى التَّأْوِيلِ أَوْلَى.

وَقَدْ تَأَوَّلَ القَاضِي أَبُو بَكْرٍ البَاقِلَّانِيُّ ذلك بأَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ لم يُنْكِرْ قُرْآنِيَّتَهُمَا وَإِنَّمَا أَنْكَرَ إِثْبَاتَهُمَا فِي المُصْحَفِ، فإِنَّهُ كَانَ يَرَى أَنْ لا يُكْتَبَ فِي المُصْحَفِ شَيْءٌ إِلاَّ إِن كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذِنَ فِي كِتَابَتِهِ فيه، وكَأَنَّهُ لَمْ يَبْلُغْهُ الإِذْنُ فِي ذلك، فليس فيه جَحْدٌ لِقُرْآنِيَّتِهِمَا.

وَتُعُقِّبَ بالرِّوَايَةِ السَّابقَةِ الصَّرِيحَةِ الَّتِي فيها: وَيَقُولُ: إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَأُجِيبَ بإِمْكَانِ حَمْلِ لَفْظِ كِتَابِ اللَّهِ عَلَى المُصْحَفِ، فَيَتَمَشَّى التَّأْوِيلُ المَذْكُورُ. قَالَهُ فِي فَتْحِ البَارِي.

وَيُحْتَمَلُ أَيْضًا أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهُمَا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَتَوَاتَرْ عِنْدَهُ.

ثُمَّ لَعَلَّهُ قَدْ رَجَعَ عَنْ قَوْلِهِ ذلك إلى قَوْلِ الجَماعَةِ، فقد أَجْمَعَ الصَّحابَةُ عَلَيْهِما، وَأَثْبَتُوهُما في المَصاحِفِ التي بَعَثُوهَا إلى سَائِرِ الآفَاقِ). [إرشاد الساري: ٧/٤٤٢]

- **قال أحمدُ بنُ محمدِ بن أبي بكرٍ القَسْطَلاَّنيُّ (ت: ٩٢٣هـ)**: (وَبِهِ قَالَ (حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) المَدِينِيُّ قَالَ: (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ) بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ: (حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ أَبِي لُبَابَةَ) - بضَمِّ اللامِ وَبَيْنَ المُوَحَّدَتَيْنِ الخَفِيفَتَيْنِ أَلِفٌ- الأَسَدِيُّ (عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ) قَالَ سُفْيَانُ: (وحَدَّثَنَا) أَيْضًا (عَاصِمٌ) هُوَ ابْنُ أَبِي النَّجُودِ (عَنْ زِرٍّ) أَنَّهُ (قَالَ: سَالتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ قُلْتُ) لَهُ: يَا أَبَا المُنْذِرِ، هِيَ كُنْيَةُ أُبَيٍّ (إِنَّ أَخَاكَ) فِي الدِّينِ (ابْنَ مَسْعُودٍ) عَبْدَ اللَّهِ (يَقُولُ كَذَا وكَذَا) يَعْنِي أَنَّ المُعَوِّذَتَيْنِ لَيْسَتَا مِنَ القُرْآنِ، كَمَا مَرَّ التَّصْرِيحُ بِهِ فِي حَدِيثٍ (فَقَالَ أُبَيٌّ: سَالتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَنْهُمَا (فَقَالَ لِي: «قِيلَ لِي») بلِسَانِ جِبْرِيلَ، وَلأَبِي ذَرٍّ: فَقِيلَ لِي («فَقُلْتُ»): كما قِيلَ لِي (قَالَ) أُبَيٌّ: (فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَهَذَا مِمَّا اخْتُلِفَ فِيهِ ثُمَّ ارْتَفَعَ الخِلاَفُ وَوَقَعَ الإِجْمَاعُ عَلَيْهِ، فَلَوْ أَنْكَرَ أَحَدٌ اليَوْمَ قُرْآنِيَّتَهُ كَفَرَ. وَفِي مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾»، وَعَنْهُ أَيْضًا: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَقْرَأَ بالمُعَوِّذَاتِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَعِنْدَ النَّسَائِيِّ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ بهِمَا فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ، وَقَدْ رُوِيَ ذَلِكَ مِنْ طُرُقٍ قَدْ تُفِيدُ التَّوَاتُرَ يَطُولُ إِيرَادُهَا). [إرشاد الساري: ٧/٤٤٤]

- **قال عبيدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سُليمانَ الجابريُّ (م)**: (قوله: (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عاصِمٍ وعَبْدَةَ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قالَ: " سَالتُ أُبَيَّ بنَ كَعْبٍ عَنِ المُعَوِّذَتَيْنِ، فَقَالَ سالتُ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، فَقَالَ: «قِيلَ لِي فَقُلْتُ». فنَحْنُ نَقُولُ كما قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلم).

ش: فيهِ ثلاثُ مَسَائِلَ:

الأُولَى قَوْلُهُ: " سَالتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ عَنِ المُعَوِّذَتَيْنِ " في الرِّوَايَةِ الآتيةِ "سَالتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ قُلْتُ: يا أَبَا المُنْذِرِ، إنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ كَذَا وكَذَا وأَبُو المُنْذِرِ كُنْيَةُ أُبَيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولَهُ كُنْيَةٌ أُخْرَى وهي أَبُو الطُّفَيْلِ.

وقولُهُ: " كَذَا وكَذَا " هكَذَا وَقَعَ هذا اللفظُ مُبْهَمًا عِندَ البُخَارِيِّ والنَّسَائيِّ في التَفْسيرِ وغَيْرِهِما، وكَأَنَّ بَعضَ الرُّوَاةِ أَبْهَمَهُ استِعْظَامًا له، وقدْ صَرَّحَ بهِ سُفْيانُ عِندَ أَحْمَدَ، ولَفْظُهُ: (قُلْتُ لأُبَيٍّ: إنَّ أَخَاكَ يَحُكُّهَا مِنَ المُصْحَفِ)، وقَدْ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ج ٥ ص ١٣٠ وابنُ حِبَّانَ: (٣/ ٧٧) كِلاهُما مِنْ طَرِيقِ حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ، عَنْ عاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ قالَ قُلْتُ: لأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ إنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ لا يَكْتُبُ في مُصْحَفِهِ المُعَوِّذَتَيْنِ).

الثانيةُ: قولُهُ: "سَالتُ رسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، فَقَالَ: «قِيلَ لِي فَقُلْتُ» وفي رِوايَةِ عاصِمٍ عِنْدَ ابْنِ حِبَّانَ: (قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ لِي جِبْرِيلُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾، فَقُلْتُهَا. وَقَالَ لِي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾، فَقُلْتُهَا».

الثالثةُ: قوْلُهُ: " فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ " عِنْدَ ابْنِ حِبَّانَ: (فَنَحْنُ نَقُولُ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ).

قالَ البَزَّارُ: وَلَمْ يُتَابعِ ابْنَ مَسْعُودٍ على ذلكَ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ أَنَّهُ قَرَأَهُما في الصلاةِ.

قُلْتُ: وقدْ أَخْرَجَ مسلمٌ في باب فَضْلِ قِرَاءةِ المُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ كتاب صَلاةِ المُسافِرِينَ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ، لمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾» زادَ ابْنُ حِبَّانَ: «إِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾»، وعِنْدَهُ مِنْ حَدِيثِ جابرٍ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «اقْرَأْ يَا جَابرُ» قالَ: قُلْتُ: ما أَقْرَأُ بأَبِي وأُمِّي أَنْتَ؟ قالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»، فَقَرَأْتُهُما، فقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «اقْرَأْ بِهِمَا وَلَنْ تَقْرَأَ بِمِثْلِهِمَا» قُلْتُ: فَصَحَّ بهَذا أَنَّ المُعَوِّذَتَيْنِ سُورَتَانِ مِنْ سُوَرِ القُرْآنِ. [إمداد القاري: ٤/٤٨٣]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبٍ النَّسَائِيُّ (ت: ٣٠٣هـ): (عَنْ قُتَيبَةَ بنِ سعيدٍ، عَنْ سُفْيانَ بنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَبْدَةَ بنِ أبي لُبابَةَ وعاصِمِ بنِ أبي النَّجُودِ [كلاهُمَا]، عَنْ زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: سَالتُ أُبَيَّ بنَ كَعْبٍ قلْتُ: أَبَا المُنْذرِ، إنَّ أخاكَ ابنَ مَسْعودٍ يَقُولُ كذَا وكذَا؟

فقَالَ أُبَيٌّ: سَالتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَالَ لِي: «قِيلَ لِي، فَقُلْتُ» قَالَ: فنحنُ نقُولُ كمَا قَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [ذيل تفسير النسائي: ٢/٦٢٤- ٦٢٥]

قال أحمدُ بنُ محمدِ بنِ سلامةَ الطَّحاويُّ (ت: ٣٢١هـ): (حَدَّثَنَا المُزَنِيُّ، حَدَّثَنَا الشَّافِعِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَبْدَةَ بْنِ أَبِي لُبَابَةَ، وَعَاصِمِ ابْنِ بَهْدَلَةَ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: سَالتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ عَنِ المُعَوِّذَتَيْنِ، وَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَحُكُّهُمَا مِنَ المُصْحَفِ، فَقَالَ: إِنِّي سَالتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَقَالَ: «قِيلَ لِي: قُلْ، فَقُلْتُ» فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ.

- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ الرَّقِّيُّ، حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ أَبِي لُبَابَةَ، وَعَاصِمُ ابْنُ بَهْدَلَةَ أَنَّهُمَا سَمِعَا زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ يَقُولُ: سَالتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ عَنِ المُعَوِّذَتَيْنِ ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَهُ). [تحفة الأخيار: ٨/٦١٣]

قال أحمدُ بنُ محمدِ بنِ سلامةَ الطَّحاويُّ (ت: ٣٢١هـ): (حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي دَاوُدَ، وأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ، حَدَّثَنَا أَبو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ قَالَ: قُلْتُ لأُبَيٍّ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ يَقُولُ فِي المُعَوِّذَتَيْنِ: لا تُلْحِقُوا بالقُرْآنِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَالتُ عَنْهُمَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «قِيلَ لِي: قُلْ فَقُلْتُ»، قَالَ أُبَيٌّ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُولُوا» فَنَحْنُ نَقُولُ). [تحفة الأخيار: ٨/٦١٣]

قال أحمدُ بنُ محمدِ بنِ سلامةَ الطَّحاويُّ (ت: ٣٢١هـ): (حَدَّثَنَا أَبو أُمَيَّةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَابقٍ، حَدَّثَنَا مَالِكُ ابْنُ مِغْوَلٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ قَالَ: قُلْتُ لأُبَيٍّ: يَا أَبَا المُنْذِرِ: السُّورَتَانِ اللَّتَانِ لَيْسَتَا فِي مُصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ؟

فَقَالَ: سَالتُ عَنْهُمَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «قِيلَ لِي: قُلْ، فَقُلْتُ لَكُمْ»، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ.

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَكَانَ مَا رُوِّينَا عَنْ أُبَيٍّ فِي هَذِهِ الآثَارِ مِنْ جَوَابِهِ زِرًّا مَا قَدْ ذَكَرَ فِيمَا مِمَّا لَيْسَ فِيهِ إِثْبَاتٌ مِنْهُ أَنَّهُمَا مِنَ القُرْآنِ وَلا إِخْرَاجٌ لَهُمَا مِنْهُ.

ثُمَّ تَأَمَّلْنَا مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ فِيهِمَا سِوَى ذَلِكَ، هَلْ نَجِدُ فِيهِ تَحْقِيقَهُ أَنَّهُمَا مِنَ القُرْآنِ، أَوْ أَنَّهُمَا لَيْسَا مِنْهُ...). [تحفة الأخيار: ٦١٤/٨- ٦١٥] [مكان النقط أحاديث يأتي ذكرها]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (أَخْبَرَنَا أَبو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الخَشَّابُ، أنا أَبُو عَمْرٍو مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الحِيرِيُّ، أنا عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى بْنِ مُجَاشِعٍ، نا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، نا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: قُلْتُ لأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ لا يَكْتُبُ فِي مُصْحَفِهِ المُعَوِّذَتَيْنِ. فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ جِبْرِيلُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾. فَقُلْتُهَا، فقالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾. فَقُلْتُهَا» فَنَحْنُ نَقُولُ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [الوسيط: ٥٧٥/٤]

قالَ عبدُ الحقِّ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ الإشْبيليُّ (ت: ٥٨١هـ): (البخاريُّ: حدَّثَنا قُتَيبةُ، ثنا سُفْيانُ، عن عاصمٍ وعَبْدَةَ، عن زِرٍّ: سالتُ أُبَيَّ بنَ كَعْبٍ عن المُعوِّذَتَيْنِ فقالَ: سالتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ.

وقالَ الحُمَيديُّ عن سُفْيانَ في هذا الحديثِ: «قِيلَ لي: قُلْ» فنحن نقولُ كما قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ). [الأحكام الشرعية الكبرى: ٢٥٠/٤- ٢٥١]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((ع): وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: سَالتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ المُعوِّذَتَيْنِ، فقالَ: «قِيلَ لِي، فَقُلْتُ».

قالَ أُبَيٌّ: فقالَ لنا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنحنُ نَقولُ). [لمحات الأنوار: ١١٦١/٣]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((حـ): وَعَنْ زِرٍّ سَألتُ أُبَيَّ بنَ كَعْبٍ عَنِ المُعَوِّذَتَيْنِ فقالَ: سَالتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قِيلَ لِي، فَقُلْتُ» فَنحنُ نَقولُ كما قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(خ): وعنه أيضًا قَالَ: سَألتُ أُبَيَّ بنَ كعبٍ قُلتُ: أبا المُنْذِرِ، إنَّ أخاكَ ابنَ مَسعودٍ يَقولُ: كذا وكذا، فقالَ: إنِّي سَألتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالَ لي: «قِيلَ لِي فَقُلْتُ». قَالَ: فَنحنُ نَقولُ كما قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [لمحات الأنوار: ١١٦٧/٣- ١١٦٨]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): ((خ) عنْ زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ قالَ: سَالتُ أُبَيَّ بنَ كَعْبٍ عن المُعَوِّذَتَيْنِ، قُلْتُ: يا أبا الوَلِيدِ، إنَّ أَخَاكَ ابنَ مَسْعُودٍ يقولُ كذا وكذا، فقالَ: سَالتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، فقالَ: «قِيلَ لِي فَقُلْتُ»، فَنَحْنُ نقولُ كما قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ). [لباب التأويل: ٤٩٩/٤] (م)

قالَ حَيْدَرُ بْنُ عَلِيٍّ القَاشِيُّ (ت: ٧٧٦هـ): (عَنِ البُخَارِيِّ عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: سَالتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ عَنِ المُعَوِّذَتَيْنِ قُلْتُ: أَبَا المُنْذِرِ، إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ كَذَا وكَذَا، فَقَالَ: سَالتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «قِيلَ لِي: قُلْ، فَقُلْتُ» فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [المعتمد في المنقول: ٢/٥٠٩]

قالَ حَيْدَرُ بْنُ عَلِيٍّ القَاشِيُّ (ت: ٧٧٦هـ): (عَنْ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: قُلْتُ لأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ لا يَكْتُبُ المُعَوِّذَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ قَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ فَقُلْتُهَا، فَقَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)﴾ فَقُلْتُهَا، فَنَحْنُ نَقُولُ مَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [المعتمد في المنقول: ٢/٥١٠]

قال عليُّ بنُ أبي بكرِ بنِ سُليمانَ الهَيْثَميُّ (ت: ٨٠٧هـ): (وعن زِرٍّ قالَ: قُلْتُ لأُبَيٍّ: إن أخاكَ يَحُكُّهُما مِنَ المُصْحَفِ، قيلَ لسفيانَ: ابنُ مسعودٍ: فلم يُنْكِرْ.

قالَ: سَالتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ فقالَ: «قِيلَ لِي فَقُلْتُ». فنحنُ نقولُ كما قالَ رسولُ اللهِ.

قلتُ: هو في الصحيحِ، خلا حَكِّهِما مِن المُصْحَفِ. رَواهُ أحمدُ والطبرانيُّ، ورجالُ أحمدَ رجالُ الصحيحِ). [مجمع الزوائد: ٧/١٤٩]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رَجَبٍ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٧٩٥ هـ): (وقَدْ سُئِلَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ عنِ المُعَوِّذَتَيْنِ فقالَ: «قِيلَ لِي فَقُلْتُ». وذلك إشارَةٌ منه إلى أنَّه صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ مُبَلِّغٌ مَحْضٌ لِمَا يُوحَى إليه، ليسَ فيه تَصرُّفٌ لِمَا أَوْحَاهُ اللَّهُ إليهِ بزِيادَةٍ ولا نَقْصٍ، وإنَّما هو مُبَلِّغٌ لكلامِ رَبِّه كما أَوْحَاهُ إليه، فإذا قالَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)﴾. كانَ امْتِثالاً للقولِ الذي قِيلَ لَهُ بلَفْظِه لا بمَعْنَاه). [تفسير سورة الإخلاص] (م)

قال عليُّ بنُ أبي بكرِ بنِ سُليمانَ الهَيْثَميُّ (ت: ٨٠٧هـ): (وعن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ، أن النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ سُئِلَ عن هاتيْنِ السورتيْنِ قالَ: «قِيلَ لِي فَقُلْتُ، فَقُولُوا كَمَا قُلْتُ».

رَواهُ الطَّبَرَانِيُّ في الكبيرِ والأوسَطِ، وفيه إسماعيلُ بنُ مُسْلِمٍ المكِّيُّ، وهو ضعيفٌ). [مجمع الزوائد: ٧/١٥٠]

قال عليُّ بنُ أبي بكرِ بنِ سُليمانَ الهَيْثَميُّ (ت: ٨٠٧هـ): (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، ثَنَا يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجُهَنِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الأَسْلَمِيِّ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عُمْرَةٍ حَتَّى إِذَا كُنَّا ببَطْنِ وَاقِمٍ، اسْتَقْبَلَتْنَا ضَبَابَةٌ فَأَضَلَّتْنَا الطَّرِيقَ، فَلَمْ نَشْعُرْ حَتَّى طَلَعْنَا عَلَى ثَنِيَّةٍ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ عَدَلَ إِلَى كَثِيبٍ، فَأَنَاخَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَامَ وَقَامَ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، فَمَا زَالَ يُصَلِّي حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برَأْسِ نَاقَتِهِ، ثُمَّ مَشَى وَعَبْدُ اللَّهِ الأَسْلَمِيُّ إِلَى جَنْبِهِ، مَا أَحَدٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُهُ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، قُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١)﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)﴾» حَتَّى فَرَغْتُ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، قُلْتُ:

مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾»، قُلْتُ: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ حَتَّى فَرَغْتُ مِنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَكَذَا فَتَعَوَّذْ، فَمَا تَعَوَّذَ العِبَادُ بِمِثْلِهِنَّ قَطُّ».

قَالَ البَزَّارُ: هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ، وَرَوَاهُ غَيْرُهُ عَنْ غَيْرِ عَبْدِ اللَّهِ الأَسْلَمِيِّ). [كشف الأستار: ٣/ ٨٥- ٨٦]

قالَ جَلَالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ عَن ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ فَقَالَ: «قِيلَ لِي فَقُلْتُ، فَقُولُوا كَمَا قُلْتُ»). [الدر المنثور: ١٥/ ٧٨٤]

قالَ جَلَالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ والبخاريُّ والنَّسَائِيُّ وَابْنُ الضُّرَيْسِ وَابْنُ الأَنْبَارِيِّ وَابْنُ حِبَّانَ وَابْنُ مَرْدُويَهْ عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: أَتَيْتُ المَدِينَةَ فَلَقِيتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، إِنِّي رَأَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ لا يَكْتُبُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ، فَقَالَ: أَمَا وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بالحقِّ قَدْ سَالتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمَا، وَمَا سَأَلَنِي عَنْهُمَا أَحَدٌ منذُ سَالتُهُ غَيْرُكَ؛ قَالَ: «قِيلَ لِي: قُلْ فَقُلْتُ، فَقُولُوا». فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [الدر المنثور: ١٥/ ٧٨٤- ٧٨٥]

قال ابنُ الدَّيْبَعِ عبدُ الرحمنِ بنُ عليٍّ الشيبانيُّ الزَّبِيديُّ (ت: ٩٤٤هـ): (وَعَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ: سَالتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ. قُلْتُ: أَبَا الْمُنْذِرِ، إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ: سَالتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «قِيلَ لِي: قُلْ، فَقُلْتُ». فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ). [تيسير الوصول: ١/ ٢٠١- ٢٠٢]

قال عليُّ بنُ حسامِ الدينِ الهنديُّ البرهانُ فوري المتقي (ت: ٩٥٧هـ): ((أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ) عن زرٍّ قال: قُلْتُ لأُبَيٍّ: إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ فِي الْمُعَوِّذَتَيْنِ - وفي لَفْظٍ: يَحُكُّهُمَا مِنَ الْمُصْحَفِ- فقالَ أُبَيٌّ: سَالنَا عَنْهُمَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ، فقالَ: «قِيلَ لِي: قُلْ، فَقُلْتُ» فأنا أَقُولُ كما قالَ. وفي لفظٍ: فَنَحْنُ نَقُولُ كمَا قَال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ. (ط حم والحُمَيْدِيُّ خم حب قط في الأفرادِ)). [كنز العمال: ٢/ ٥٦٣]

قال محمدُ بنُ سليمانَ المغربيُّ (ت: ١٠٩٤هـ): (عن زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ قالَ: سَالتُ أُبَيَّ بنَ كَعْبٍ عَنِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فقالَ: سألتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ فقالَ: «قِيلَ لِي، فَقُلْتُ» فنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قالَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ. رواه البخاريُّ (٤٩٧٦)). [جمع الفوائد ٣/ ٢٢٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ الطبرانيُّ عَنِ ابنِ مسعودٍ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ فَقَالَ: «قِيلَ لِي: قُلْ فَقُلْتُ فقُولُوا كَمَا قُلْتُ»). [فتح القدير: ٥/ ٧٥٥]

ما روي عن ابن مسعود في المعوذتين

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبي شَيْبَةَ العَبْسيُّ (ت: ٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ مَحَا الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ مَصَاحِفِهِ، وقَالَ: لا تَخْلِطُوا فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ). [المصنف: ١٠/ ٥٣٨]

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ العَبْسيُّ (ت: ٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا مُطَّلِبُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ: قُلْتُ لأَبِي جَعْفَرٍ: إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ مَحَا الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ مُصْحَفِهِ، فَقَالَ: اقْرَأْ بِهِمَا). [المصنف: ١٠/٥٣٩]

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ العَبْسيُّ (ت: ٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ لا يَكْتُبُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ). [المصنف: ١٠/٥٤٠]

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ، ثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، ثَنَا سُفْيَانُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ يَحُكُّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ وَيَقُولُ: (لِمَ تَزِيدُونَ مَا لَيْسَ فِيهِ)؟

- حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ الضَّبِّيُّ، ثَنَا أَبُو عُمَرَ حَفْصُ بْنُ عُمَرَ الْحَوْضِيُّ ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّمَّارُ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ قَالا: ثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّهُ كَانَ يَحُكُّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ مُصْحَفِهِ فَيَقُولُ: أَلا خَلَطُوا فِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ.

- حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ التُّسْتَرِيُّ، ثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ إِشْكَابَ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مَعْنٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّهُ كَانَ يَحُكُّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنَ الْمُصْحَفِ، يَقُولُ: لَيْسَتَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ.

- حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ التُّسْتَرِيُّ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْحَرَشِيُّ، ثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: لا تَخْلِطُوا بِالْقُرْآنِ مَا لَيْسَ فِيهِ، فَإِنَّمَا هُمَا مُعَوِّذَتَانِ تَعَوَّذَ بِهِمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)﴾ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَمْحُوهما مِنَ الْمُصْحَفِ.

- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، ثَنَا الأَزْرَقُ بْنُ عَلِيٍّ، ثَنَا حَسَّانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الصَّلْتِ بْنِ بَهْرَامَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّهُ كَانَ يَحُكُّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنَ الْمَصَاحِفِ وَيَقُولُ: إِنَّمَا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُتَعَوَّذَ بِهِمَا، وَلَمْ يَكُنْ يَقْرَأُ بِهِمَا). [الْمُعْجَمُ الكَبِيرُ: ٩/٢٦٨- ٢٦٩]

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (وَخَالَفَ ابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عنهُ الإجماعَ بقولِهِ: هُمَا عُوذَتَانِ، وَلَيْسَتَا مِن القرآنِ الكريمِ). [تفسير القرآن: ٣/٥٠٩]

قال عليُّ بنُ أبي بكرِ بنِ سُليمانَ الهَيْثَميُّ (ت: ٨٠٧هـ): (وعن عبدِ اللهِ أنه كانَ يَحُكُّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنَ الْمُصْحَفِ ويقولُ: إنما أَمَرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ أنْ يُتَعَوَّذَ بهما. وكانَ عبدُ اللهِ لا يَقْرَأُ بهما.

رَواهُ البَزَّارُ والطبرانيُّ، ورجالُهما ثِقاتٌ، وقالَ البزارُ: لم يُتَابِعْ عبدَ اللهِ أحدٌ من الصحابةِ، وقد صَحَّ عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ أنه قرَأَ بهما في الصلاةِ، وأُثْبِتَتَا في المصحَفِ). [مجمع الزوائد: ٧/١٤٩]

قال عليُّ بنُ أبي بكرِ بنِ سُليمانَ الهَيْثَميُّ (ت: ٨٠٧هـ): (وعن عبدِ الرحمنِ بنِ يَزِيدَ - يعني: النَّخَعِيَّ - قالَ: كانَ عبدُ اللهِ يَحُكُّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِن مَصاحِفِه ويقولُ: إِنَّهُما ليستا مِن كِتابِ اللهِ تَبَارَكَ وتَعالَى.

رَوَاهُ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ والطبرانيُّ، ورجالُ عبدِ اللهِ رجالُ الصحيحِ، ورجالُ الطبرانيِّ ثِقَاتٌ). [مجمع الزوائد: ٧/١٤٩]

قالَ جلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (أَخْرَجَ أَحْمَدُ والبَزَّارُ والطَّبَرَانِيُّ وَابْنُ مَرْدُويَهْ مِنْ طُرُقٍ صَحِيحَةٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ يَحُكُّ المُعَوِّذَتَيْنِ مِنَ المُصْحَفِ وَيَقُولُ: لا تَخْلِطُوا القُرْآنَ بِمَا لَيْسَ مِنْهُ، إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، إِنَّمَا أُمِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَعَوَّذَ بِهِمَا. وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ لا يَقْرَأُ بِهِمَا. قَالَ البَزَّارُ: لَمْ يُتَابِعِ ابْنَ مَسْعُودٍ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَرَأَ بِهِمَا فِي الصَّلاةِ وَأُثْبِتَتَا فِي المُصْحَفِ). [الدر المنثور: ١٥/٧٨٤]

قال محمدُ بنُ سليمانَ المغربيُّ (ت: ١٠٩٤هـ): (عن عبدِ الرحمنِ بنِ يَزِيدَ قالَ: كانَ عَبْدُ اللهِ يَحُكُّ المُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ مَصَاحِفِهِ ويَقُولُ: إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى. رواهُ أَحْمَدُ (٢٠٦٨٣) والكبيرُ). [جمع الفوائد٣/٢٢٩]

قال محمدُ بنُ سليمانَ المغربيُّ (ت: ١٠٩٤هـ): (وله وللبزارِ: أن عبدَ اللهِ كَانَ يَحُكُّ المُعَوِّذَتَيْنِ مِنَ المُصْحَفِ، ويَقُولُ: إِنَّمَا أُمِرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلمَ أَنْ يَتَعَوَّذَ بهِمَا، وكانَ عَبْدُ اللهِ لا يَقْرَأُ بهَا. رواه البزارُ (٢٣٠١)). [جمع الفوائد٣/٢٢٩]

أجوبة العلماء عما روي عن ابن مسعود في المعوذتين

قلتُ: (سبق ذكر بعض أقوال العلماء قريبًا فراجعها).

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الكَرَجِيُّ القَصَّابُ (ت: ٣٦٠هـ): (وهما من القرآنِ، ومَن قالَ: لَيْستَا من القرآنِ فقد أعْظَمَ القولَ، وما ذُكِرَ عن ابنِ مسعودٍ فهو عنه غَيْرُ صحيحٍ، ولو صَحَّ عنه أنها غيرُ مَكْتُوبةٍ في مُصْحَفِه، ما دلَّ على أنهما لم تكونا عندَه من القرآنِ، لأنه كانَ يَحْفَظُهما، ومَن حَفِظَ شَيْئًا فليسَ بحَتْمٍ عليهِ أنْ يَكتُبَه ولو أنَّ حَافِظًا للقرآنِ كلِّه لم يَكْتُبْهُ، واقْتَصَرَ على تلاوتِه آناءَ الليلِ والنهارِ في الصلاةِ وغيرِ الصلاةِ ما ضَرَّهُ، وإنما كُتِبَ إشْفَاقًا على مَن لا يَقْدِرُ أن يَحْفَظَهُ، فكُتِبَ لِيَسْتَوِيَ فيه الحَافِظُ وغيرُ الحافظِ، ولِيَرْجِعَ إليه الناسي إذا نَسِيَ منه الشيءَ، أو اشْتَبَهَ عليه الحَرْفُ، ولِيَنْظُرَ فيه الناظِرُ فيَصِيرَ نَظَرُه فيه عبادةً، ولِيَقْرَأَ فيه الحَافِظُ أيضًا فيَجْمَعَ الثوابَيْنِ؛ ثوابَ التلاوةِ، وثَوابَ النَّظَرِ). [نكت القرآن: ٤/ ٥٦٨- ٥٧٠]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (ورَوَى أبو مُعاويَةَ، عن عُثمانَ بنِ واقِدٍ قالَ: أَرْسَلَنِي أبي إلى مُحمَّدِ بنِ المُنْكَدِرِ أَسألُه عَنِ المُعَوِّذَتَيْنِ: أَهُمَا مِن كتابِ اللهِ تعالى؟ قالَ: مَن لم يَزْعُمْ أنهما مِن كتابِ اللهِ تعالى فعَلَيْهِ لَعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ). [بحر العلوم: ٣/٥٢٩]

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (وزَعَمَ ابنُ مسعودٍ أنَّهما دُعَاءٌ تَعَوَّذَ بهِ ولَيْسَتَا مِن القرآنِ، وهذا قولٌ خالَفَ به الإجماعَ مِن الصحابةِ وأهلِ البيتِ). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٣]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ مُطَرِّفٍ الكِنَانِيُّ (ت: ٤٥٤هـ): (قالَ أبو مُحمَّدٍ في المُشْكِلِ فِي آخرِ باب القراءَاتِ: أَمَّا نُقْصَانُ مُصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ بحَذْفِهِ المُعَوِّذَتَيْنِ وأُمَّ الكِتَابِ، وَزِيَادَةُ مُصْحَفِ أُبَيٍّ سورةَ القُنُوتِ، فإنَّا لا نقولُ: إنَّ عَبْدَ اللَّهِ وأُبَيًّا رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا أصابَا، وَأَخْطَأَ المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولكنَّ عَبْدَ

اللَّهِ ذَهَبَ فِيمَا يَرَى أَهْلُ النَّظَرِ إِلَى أنَّ المُعَوِّذَتَيْنِ كانتَا كَالعُوْذَةِ والرُّقْيَةِ لِلْعَيْنِ وَغَيْرِهَا، وكانَ يرَى رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يُعَوِّذُ بهمَا الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ وَغَيْرَهُمَا، كما كانَ يُعَوِّذُ بـ«أَعُوذُ بكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ» وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَظَنَّ أَنَّهُمَا لَيْسَتَا منَ القُرْآنِ، وَأَقَامَ عَلَى ظَنِّهِ وَمُخَالَفَةِ الصَّحَابَةِ جَمِيعًا كما أقامَ عَلَى التَّطْبِيقِ، وأقامَ غَيْرُهُ عَلَى الفُتْيَا بالْمُتْعَةِ وَالصَّرْفِ، ورأى آخرُ أَكْلَ البُرِّ وهو صائمٌ، ورأى آخرُ السُّحُورَ بعْدَ طلوعِ الفجرِ الثاني، في أشباهٍ لهذَا كَثِيرَةٍ، وإلى هذا ذهَبَ أُبَيٌّ رَحِمَهُ اللَّهُ في دُعَاءِ القُنُوتِ؛ لأنه رأى رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يَدْعُو به في الصلاةِ دعاءً دائمًا فظَنَّ أنه منَ القرآنِ، وأقامَ على ظَنِّهِ ومخالفَةِ الصحابَةِ. وأمَّا فاتحَةُ الكتَاب فإنِّي أَشُكُّ فيما رُوِيَ عنْ عبدِ اللَّهِ منْ تَرْكِهِ إثباتَهَا في مصحفِهِ، فإنْ كان هذا محفوظًا فليْسَ يجوزُ لمسلمٍ أنْ يَظُنَّ به الجهْلَ بأَنَّهَا منَ القُرْآنِ، وكيفَ يُظَنُّ به ذلك وهوَ منْ أشَدِّ الصحابَةِ عنايةً بالقرآنِ وأحَدُ السِّتَّةِ الذين انْتَهَى إليهِمُ العِلْمُ؟ والنَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يقولُ فيه: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ القُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْ قِرَاءَةَ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ».

وَعُمَرُ رضِيَ اللَّهُ عنه يقولُ: كُنَيْفٌ مُلِئَ عِلْمًا، وهو مع هذا مُتَقَدِّمُ الإسلامِ بَدْرِيٌّ لم يَزَلْ يَسْمَعُ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يؤُمُّ بها، وقال: «لا صَلاةَ إلا بسُورَةِ الحَمْدُ» وَهِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَأُمُّ الكِتَاب، أيْ: أَعْظَمُهُ وَأَقْدَمُ ما نزلَ منه، كما سُمِّيَتْ مكَّةُ أُمَّ القُرَى؛ لأَنَّهَا أقْدَمُهَا، قال اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ [آل عمران: ٩٦]. ولكنَّهُ ذهَبَ فيما يظُنُّ أَهْلُ النَّظَرِ إلى أن القُرْآنَ قدْ جُمِعَ بيْنَ اللَّوْحَيْنِ مخافَةَ الشَّكِّ والنِّسْيَانِ والزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ، ورأى ذلك لا يَجوزُ في سورَةِ (الحَمْدُ) لِقِصَرِهَا، وَأَنَّهَا تُثَنَّى فِي كُلِّ صلاةٍ وكلِّ رَكْعَةٍ، ولأَنَّهُ لا يَجوزُ لأحدٍ منَ المُسْلِمِينَ تركُ تَعَلُّمِهَا كما يَجوزُ تَرْكُ تَعَلُّمِ غَيْرِهَا وحِفْظِهِ إذْ كانتْ لا صَلاةَ إلا بهَا، فلَمَّا أَمِنَ عليْهَا العلَّةَ الَّتِي منْ أَجْلِهَا كُتِبَ المُصْحَفُ تَرَكَ كِتَابَتَهَا وهو يعلَمُ أَنَّهَا منَ المُصْحَفِ، ولوْ أَنَّ رَجُلاً كتبَ منَ القُرْآنِ سُوَرًا وتركَ سُوَرًا لمْ يَكْتُبْهَا لمْ نَرَ عليه في ذلك وَكَفًا إنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَباللَّهِ التَّوْفِيقُ). [القرطين: ٢٢٣]

قالَ أَبُو الْمُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (فإن قالَ قائلٌ: لِمَ لم يَكتب ابنُ مسعودٍ هاتين السورتينِ في مُصْحَفِهِ؟ وهل يَجوزُ أن يَشْتَبِهَ على أَحَدٍ أنهما مِن القرآنِ أو لَيْسَتَا مِن القرآنِ؟

والجوابُ عنه: أنَّ حَمَّادَ بنَ سَلَمَةَ رَوَى عن عاصمِ بنِ بَهدلةَ، عن زِرِّ بنِ حُبيشٍ قالَ: قلتُ لأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ: إنَّ ابنَ مَسعودٍ لم يَكْتُبْ في مُصحفِه المُعَوِّذَتَيْنِ! فقالَ أُبَيٌّ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قالَ جبريلُ - عليه السلامُ -: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ فقُلْتُها، وقالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ فقُلْتُهَا» فنحْنُ نقولُ بقَوْلِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كأنَّ أُبَيًّا وافَقَ ابنَ مسعودٍ.

قالَ رَضِيَ اللهُ عنه: أَخْبَرَنَا بهذا الحديثِ أبو الحُسَيْنِ بنُ النقورِ، أَخْبَرَنَا أبو القاسمِ بنُ حبابةَ، أَخْبَرَنَا البَغَوِيُّ، أَخْبَرَنَا هُدبةُ، عن حَمَّادِ بنِ سَلمةَ. الحديثَ، خَرَّجَه مسلمٌ في الصحيحِ، فيَجوزُ أنَّ ابنَ مسعودٍ وأُبَيًّا مِن كثرةِ ما سَمِعَا النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأُ هاتينِ السورتينِ ويَتَعَوَّذُ بهما ظَنَّا أنهما عُوْذَةٌ، فلم يُثْبِتَاهُمَا في المُصْحَفِ.

وقد قيلَ: إنهما مكتوبتانِ في مُصْحَفِ أُبَيٍّ وذَكَرَ بعضُهم أنَّ عبدَ اللهِ بنَ مَسعودٍ لم يَشْتَبهْ عليه أنهما مِن القرآنِ، ولكن لم يَكْتُبْهُما لشُهرتِهما، كما تَرَكَ كتابةَ سورةِ الفاتحةِ لشُهْرَتِها.

واللهُ أعلَمُ وأحكَمُ بالصواب، وإليه المَرْجِعُ والمَآبُ). [تفسير القرآن: ٦/٣٠٩٠- ٣١٠]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وزَعَمَ ابنُ مسعودٍ أنَّهما دُعاءٌ تُعُوِّذَ بهِ، ولَيْسَتَا مَن القرآنِ؛ خالَفَ به الإجماعَ مِن الصحابَةِ وأهلِ البيْتِ.

قالَ ابنُ قُتَيْبَةَ: لَم يَكْتُبْ عبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ في مُصْحَفِه المُعَوِّذَتَيْنِ؛ لأنه كانَ يَسْمَعُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الحَسَنَ والحُسَيْنَ - رَضِيَ اللهُ عنهما - بهِمَا، فقَدَّرَ أَنَّهُما بمَنْزِلَةِ: أُعيذُكُمَا بكَلِمَاتِ اللهِ التامَّةِ، مِن كلِّ شَيْطَانٍ وهَامَّةٍ، ومِن كلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ.

قالَ أبو بكرٍ الأنْبَارِيُّ: وهذا مَرْدُودٌ على ابنِ قُتَيْبَةَ؛ لأنَّ المُعَوِّذَتَيْنِ مِن كلامِ ربِّ العالَمِينَ، المُعْجِزِ لجميعِ المخلوقِينَ، و(أُعيذُكُمَا بكلماتِ اللهِ التامَّةِ) مِن قوْلِ البشَرِ بَيِّنٌ. وكلامُ الخالِقِ الذي هو آيَةٌ لمحمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتَمِ النبيِّينَ، وحُجَّةٌ له باقِيَةٌ على جَميعِ الكافِرِينَ، لا يَلْتَبِسُ بكلامِ الآدمِيِّينَ، على مثلِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ الفصيحِ اللِّسانِ، العالِمِ باللُّغَةِ، العارِفِ بأجناسِ الكلامِ، وأفانِينِ القوْلِ.

وقالَ بعضُ الناسِ: لم يَكْتُبْ عبدُ اللهِ المُعَوِّذَتَيْنِ؛ لأنه أَمِنَ عَلَيْهِمَا مِن النِّسيانِ، فأَسْقَطَهُمَا وهو يَحْفَظُهُما؛ كما أَسْقَطَ فاتِحَةَ الكِتاب مِنْ مُصْحَفِهِ، وما يُشَكُّ في حِفْظِه وإتْقَانِهِ لَهَا. فرُدَّ هذا القوْلُ على قائِلِه، واحْتُجَّ عليه بأنه قد كَتَبَ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾، و﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾، و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾، وهُنَّ يَجْرِينَ مَجرَى المُعَوِّذَتَيْنِ في أنهنَّ غيرُ طِوَالٍ، والحِفْظُ إليهنَّ أسْرَعُ، ونِسْيَانُهُنَّ مأمونٌ، وكلُّهنَّ يُخَالِفُ فاتِحَةَ الكِتاب؛ إذ الصلاةُ لا تَتِمُّ إلاَّ بقِراءَتِها. وسَبِيلُ كلِّ رَكْعَةٍ أنْ تكونَ المُقَدَّمَةَ فيها قَبْلَ ما يُقْرَأُ مِنْ بَعْدِها، فإسقاطُ فاتحةِ الكتاب مِن المُصْحَفِ، على معنَى الثقةِ ببقاءِ حِفْظِها، والأَمْنِ مِن نِسيانِها، صحيحٌ، وليس مِن السُّوَرِ ما يَجْرِي في هذا المعنَى مَجْرَاها، ولاَ يَسْلُكُ به طَرِيقَها. وقد مضَى هذا المعنى في سورةِ (الفاتِحَةِ). والحمدُ للهِ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥١]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): ((م) وعنْ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾». فيهِ بيانُ عظيمِ فضلِ هاتَيْنِ السورتَيْنِ، وفيهِ دليلٌ واضِحٌ على كَوْنِهما مِن القرآنِ، وفيهِ رَدٌّ على مَنْ نَسَبَ إلى ابنِ مَسْعُودٍ خِلافَ هذا، وفيهِ بَيَانُ أنَّ لَفْظَةَ ﴿قُلۡ﴾ مِن القرآنِ أيضًا، وأنَّهُ مِنْ أوَّلِ السُّورتَيْنِ بعدَ البَسْمَلَةِ، وقد اجتمَعَتِ الأُمَّةُ على هذا كُلِّهِ بعدَ خِلافٍ ذُكِرَ فيهِ). [لباب التأويل: ٤/٤٩٩]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (قالَ الإمامُ أحمدُ: حدَّثَنا عَفَّانُ، حدَّثَنا حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ، أَخْبَرَنا عَاصِمُ بنُ بَهْدَلَةَ، عن زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ قالَ: قُلْتُ لأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ: إنَّ ابنَ مَسْعُودٍ لا يَكْتُبُ المُعَوِّذَتَيْنِ في مُصْحَفِهِ؟ فقالَ: أَشْهَدُ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ أَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ عليهِ السلامُ قالَ له:

«﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾. فقُلتُها، قالَ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾. فقُلْتُها». فنحنُ نقولُ ما قالَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ.

ورواهُ أبو بكرٍ الحُمَيدِيُّ في مُسندِه، عن سُفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ، حدَّثَنا عَبْدَةُ بنُ أبي لُبابَةَ وعَاصِمُ بنُ بَهْدَلَةَ، أنَّهما سَمِعا زِرَّ بنَ حُبَيشٍ قالَ: سألتُ أُبَيَّ بنَ كَعْبٍ عن المُعوِّذَتَيْنِ فقلتُ: يا أبا المُنذرِ، إنَّ أخاكَ ابنَ مَسْعُودٍ يَحُكُّهُما مِن المُصحفِ؟ فقالَ: إنِّي سَالتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ فقالَ: «قِيلَ لِي: (قُلْ) فقُلْتُ». فنحن نقولُ كما قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ.

وقالَ أحمدُ: حدَّثَنا وَكِيعٌ، حدَّثَنا سُفيانُ، عن عاصِمٍ، عن زِرٍّ قالَ: سَالتُ ابنَ مَسْعُودٍ عن المُعَوِّذَتَيْنِ، فقالَ: سألتُ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ عنهما فقالَ: «قِيلَ لي، فقُلْتُ لَكُمْ؛ فقُولُوا». قالَ أُبَيٌّ: فقالَ لنا النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ؛ فنحنُ نقولُ.

وقالَ البخاريُّ: حدَّثَنا عَلِيُّ بنُ عَبْدِ اللَّهِ، حدَّثَنا سُفيانُ، حدَّثَنا عَبْدَةُ بنُ أبي لُبابَةَ، عن زِرِّ بنِ حُبَيشٍ، وحدَّثَنا عاصِمٌ، عن زِرٍّ قالَ: سألتُ أُبَيَّ بنَ كَعْبٍ فقُلْتُ: أبا المُنْذِرِ، إنَّ أخاكَ ابنَ مَسْعُودٍ يقولُ كذا وكذا؟ فقالَ: إنِّي سألتُ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ فقالَ: «قِيلَ لي فقُلْتُ». فنحنُ نقولُ كما قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ.

ورواهُ البخاريُّ أيضًا والنَّسائِيُّ، عن قُتَيْبَةَ، عن سُفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ، عن عَبْدَةَ وعاصِمِ بنِ أبي النَّجُودِ، عن زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ، عن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ بهِ.

وقالَ الحافِظُ أبو يَعْلَى: حدَّثَنا الأَزْرَقُ بنُ عَلِيٍّ، حدَّثَنا حَسَّانُ بنُ إِبْراهِيمَ، حدَّثَنا الصَّلْتُ بنُ بَهْرَامَ، عن إِبْراهِيمَ، عن عَلْقَمَةَ قالَ: كانَ عَبْدُ اللَّهِ يَحُكُّ المُعَوِّذَتَيْنِ مِن المُصحفِ ويَقولُ: إِنَّمَا أُمِرَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ أنْ يَتَعَوَّذَ بهما. ولمْ يَكُنْ عَبْدُ اللَّهِ يقرَأُ بهما.

ورواهُ عَبْدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ مِن حديثِ الأَعْمَشِ، عن أبي إِسْحاقَ، عن عَبْدِ الرحمنِ بنِ يَزِيدَ قالَ: كانَ عَبْدُ اللَّهِ يَحُكُّ المُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ مَصاحِفِه ويَقُولُ: إِنَّهُما لَيْسَتَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ.

قالَ الأعمشُ: وحدَّثَنا عاصِمٌ، عن زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ، عن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ قالَ: سَالنَا عنهما رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ قالَ: «قِيلَ لِي؛ فقُلْتُ».

وهذا مَشْهورٌ عندَ كثيرٍ مِن القُرَّاءِ والفُقهاءِ، أنَّ ابنَ مَسْعُودٍ كانَ لا يَكْتُبُ المُعَوِّذَتَيْنِ في مُصْحَفِه، فلعَلَّه لمْ يَسْمَعْهُما مِنَ النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ، ولم يَتَواتَرْ عندَه، ثم لعلَّه قدْ رَجَعَ عن قولِه ذلك إلى قولِ الجماعةِ؛ فإنَّ الصحابةَ رضِيَ اللَّهُ عنهُم كَتبوهما في المَصاحفِ الأَئِمَّةِ، ونَفَّذُوها إلى سائِرِ الآفاقِ كذلك، ولِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ). [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩٠٢- ٣٩٠٣]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (وزَعَمَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّهُمَا دُعاءٌ، ولَيْسَتا مِنَ القُرْآنِ، وخَالَفَ بهِ الإِجْماعَ مِنَ الصَّحابَةِ، وأَهْلِ البَيْتِ.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: لَمْ يَكْتُبْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فِي مُصْحَفِهِ المُعَوِّذَتَيْنِ؛ لأَنَّه كَانَ يَسْمَعُ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الحَسَنَ والحُسَيْنَ بهِمَا، فَقَدَّرَ أَنَّهُمَا بمَنْزِلَةِ: "أَعُوذُ بكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ".

قَالَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: وهَذَا مَرْدُودٌ عَلَى ابْنِ قُتَيْبَةَ؛ لأَنَّ المُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ كلامِ ربِّ العالَمِينَ المُعجِزِ لِجَمِيعِ المَخْلُوقِينَ و"أُعِيذُكُمَا بكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ" مِنْ قولِ البَشَرِ، وكلامُ الخالِقِ الَّذِي هُوَ آيَةٌ وحُجَّةٌ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ الكافِرِينَ لا يَلْتَبِسُ بكلامِ الآدَمِيِّينَ عَلَى مِثْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، الفَصِيحِ اللِّسَانِ، العَالِمِ باللُّغَةِ العَارِفِ بأَجْنَاسِ الكلامِ.

وقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: لَمْ يَكْتُبْ عَبْدُ اللَّهِ المُعَوِّذَتَيْنِ؛ لأَنَّه أَمِنَ عَلَيْهِمَا مِنَ النِّسْيَانِ فأَسْقَطَهُمَا وهُوَ يَحْفَظُهُمَا كَمَا أَسْقَطَ فَاتِحَةَ الكِتَابِ مِنْ مُصْحَفِهِ، ومَا يُشَكُّ فِي إِتْقَانِهِ وحِفْظِهِ لهمَا، ورُدَّ هَذَا القَوْلُ عَلَى قائله، واحْتُجَّ عَلَيْهِ بأَنَّهُ قَدْ كَتَبَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾، و﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وهُنَّ يَجْرِينَ مَجْرَى المُعَوِّذَتَيْنِ فِي أَنَّهُنَّ غَيْرُ طِوَالٍ، والحِفْظُ إِلَيْهِنَّ أَسْرَعُ والنِّسْيَانُ مَأْمُونٌ، وكُلُّهن يُخَالِفُ فَاتِحَةَ الكتاب؛ إِذِ الصلاةُ لا تَتِمُّ إلا بقِرَاءَتِهَا، وسَبِيلُ كُلِّ رَكْعَةٍ أَنْ تَكُونَ المُقَدَّمَةَ فِيهَا قَبْلَ مَا يُقْرَأُ مِنْ بَعْدِهَا، فَإِسْقَاطُ فاتِحَةِ الكِتَابِ مِنَ المُصْحَفِ عَلَى مَعْنَى الثِّقَةِ بَبَقَاءِ حِفْظِهَا والأَمْنِ مِنْ نِسْيَانِهَا صَحِيحٌ، ولَيْسَ مِنَ السُّوَرِ فِي هَذَا المَعْنَى مَجْرَاهَا، ولا يَسْلُكُ به طَرِيقَهَا). [اللباب: ٢٠/٥٦٨- ٥٦٩]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يُثْبِتُ هاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ، كَمَا رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بنُ أَحْمَدَ فِي المُسْنَدِ وَالطَّبَرَانِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ يَزِيدَ يَعْنِي النَّخَعِيَّ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعودٍ يَحُكُّ المُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ مَصاحِفِهِ ويَقولُ: إِنَّهُما لَيْسَتَا مِنْ كِتابِ اللَّهِ تَعالَى.

ورِجالُ إِسْنادِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أَحْمَدَ رِجالُ الصَّحيحِ، ورِجالُ إِسْنادِ الطَّبَرانِيِّ ثِقاتٌ، وَهكذا أَخْرَجَ البَزَّارُ فِي مُسْنَدِهِ: أَنَّ ابنَ مَسْعودٍ كانَ يَحُكُّ المُعَوِّذَتَيْنِ مِنَ المُصْحَفِ ويَقولُ: إِنَّما أَمَرَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُتَعَوَّذَ بهِمَا.

وكانَ عَبْدُ اللَّهِ لا يَقْرَأُ بهِما، ورِجالُ إِسْنادِهِ ثِقاتٌ، وَهكذا أَخْرَجَ الطَّبَرانِيُّ بإِسْنادٍ رِجالُهُ ثِقاتٌ، قالَ البَزَّارُ: لَمْ يُتابِعْ عَبْدَ اللَّهِ بنَ مَسْعُودٍ أَحَدٌ مِنَ الصَّحابَةِ، وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَرَأَ بهِمَا فِي الصَّلاةِ وَأُثْبِتَتا فِي المُصْحَفِ، انْتَهى.

قُلْتُ: وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ فيهما: (إِنَّهُما خَيْرُ سُورَتَيْنِ قُرِئَتا)، وتَقَدَّمَ أَمْرُهُ بالقِراءَةِ بهِمَا، وَهَذِهِ خاصِّيَّةٌ مِنْ خَواصِّ القُرْآنِ، وَتَقَدَّمَ أَيضًا: أَنَّ مَنْ قَرَأَهُمَا فَكَأَنَّمَا قَرَأَ جَمِيعَ ما أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأَجْمَعَ عَلَى ذَلِكَ الصَّحابَةُ وَجَميعُ أَهْلِ الإِسْلامِ طَبَقَةٌ بَعْدَ طَبَقَةٍ، والصَّحابيُّ بَشَرٌ، ولَيْسَ قَوْلُهُ حُجَّةً فِي مِثْلِ هَذا، عَلَى فَرْضِ عَدَمِ مُخالَفَتِهِ لِما ثَبَتَ عَنِ الشّارِعِ، فَكَيْفَ وَقَدْ خالَفَ ها هُنا السُّنَّةَ الثَّابتَةَ والإِجْماعَ المَعْلومَ). [تُحْفَةُ الذَّاكِرِينَ: ٣٣٠- ٣٣٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ أحمدُ وَالبَزَّارُ وَالطبرانيُّ وابنُ مَرْدُويه مِنْ طُرُقٍ - قَالَ السيوطيُّ: صَحِيحَةٌ- ، عَنِ ابنِ مسعودٍ أَنَّهُ كانَ يَحُكُّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ في المصحفِ يَقُولُ: لا تَخْلِطُوا القرآنَ بما ليسَ منهُ، إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كتاب اللَّهِ، إِنَّمَا أُمِرَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَعَوَّذَ بهِمَا، وكَانَ ابنُ مسعودٍ لا يَقْرَأُ بهِمَا، قَالَ البَزَّارُ: لمْ يُتَابِعِ ابنَ مسعودٍ أَحَدٌ مِنَ الصحابةِ، وَقدْ صَحَّ عَنِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قرأَ بهِمَا فِي الصلاةِ، وَأُثْبِتَتَا فِي المصحفِ). [فتح القدير: ٥/٧٥٥]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ أحمدُ وَالبخاريُّ وَالنسائيُّ وَغيرُهُم عَنْ زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ قَالَ: أَتَيْتُ المدينةَ فَلَقِيتُ أُبَيَّ بنَ كعبٍ، فَقُلْتُ لهُ: أَبَا الْمُنْذِرِ، إِنِّي رَأَيْتُ ابنَ مسعودٍ لا يَكْتُبُ المعوذتَيْنِ في مصحفِهِ. فَقَالَ: أَمَا وَالذي بَعَثَ مُحَمَّدًا بالحقِّ لقدْ سَالتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمَا وَمَا سَأَلَنِي عَنْهُمَا أَحَدٌ منذُ سألتُهُ غَيْرُكَ. قَالَ: «قِيلَ لِي: قُلْ فَقُلْتُ فقُولُوا». فنحنُ نَقُولُ كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [فتح القدير: ٥/٧٥٥]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَقَدْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يُثْبِتُ هاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ، كَمَا روى عَبْدُ اللَّهِ بنُ أَحْمَدَ فِي الْمُسْنَدِ وَالطَّبَرَانِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ يَزيد يَعْنِي النَّخَعِيَّ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعودٍ يَحُكُّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ مَصاحِفِهِ وَيَقولُ: إِنَّهُما لَيْسَتَا مِنْ كِتاب اللَّهِ تَعالَى.
وَرِجالُ إِسْنادِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أَحْمَدَ رِجالُ الصَّحيح، وَرِجالُ إِسْنادِ الطَّبَرَانِيِّ ثِقاتٌ، وَهكذا أَخْرَجَ البَزَّارُ في مُسْنَدِهِ: أَنَّ ابنَ مَسْعودٍ كانَ يَحُكُّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنَ الْمُصْحَفِ وَيَقولُ: إِنَّمَا أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُتَعَوَّذَ بهِمَا.
وَكانَ عَبْدُ اللَّهِ لا يَقْرَأُ بهما، وَرِجالُ إِسْنادِه ثِقاتٌ، وَهكذا أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ بإِسْنادِ رِجالُهُ ثِقاتٌ، قالَ البَزَّارُ: لَمْ يُتابِعْ عَبْدَ اللَّهِ بنَ مَسْعُودٍ أَحَدٌ مِنْ الصَّحابَةِ، وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَرَأَ بهِمَا في الصَّلاةِ وَأُثْبِتَتا في الْمُصْحَفِ، انْتَهى.
قُلْتُ: وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال فيهما: (إِنَّهُمَا خَيْرُ سُورَتَيْنِ قُرِئَتَا)، وَتَقَدَّمَ أَمْرُهُ بالقِراءَةِ بهِمَا، وَهَذِهِ خاصِّيَّةٌ مِنْ خَواصِّ القُرْآنِ، وَتَقَدَّمَ أيضًا: أَنَّ مَنْ قَرَأَهُمَا فَكَأَنَّمَا قَرَأَ جَمِيعَ ما أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَجْمَعَ عَلَى ذَلِكَ الصَّحَابَةُ وَجَميعُ أَهْلِ الإِسْلامِ طَبَقَةٌ بَعْدَ طَبَقَةٍ، والصَّحابيُّ بَشَرٌ، وَلَيْسَ قَوْلُهُ حُجَّةً في مِثْلِ هَذا، عَلَى فَرْضِ عَدَمِ مُخالَفَتِهِ لِما ثَبَتَ عَنِ الشّارِعِ، فَكَيْفَ وَقَدْ خالَفَ ها هُنا السُّنَّةَ الثَّابتةَ والإِجْماعَ الْمَعْلومَ). [تُحفَةُ الذاكِرينَ: ٣٣٠- ٣٣٢]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وعن ابنِ مسعودٍ أنه أَنْكَرَ قُرآنِيَّتَهما، أَخْرَجَ الإمامُ أحمدُ والبزَّارُ والطبرانيُّ وابنُ مَرْدَوَيْهِ مِن طُرُقٍ صحيحةٍ عنه أنه كان يَحُكُّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِن المصْحَفِ ويقولُ: لا تَخْلِطوا القرآنَ بما ليس منه، إنهما لَيْسَتَا مِن كتابِ اللهِ تعالى، إنما أَمَرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ أن يُتَعَوَّذَ

بهما. وكان ابنُ مسعودٍ لا يَقرأُ بهما، قالَ البَزَّارُ: لم يُتابع ابنَ مسعودٍ أحدٌ مِن الصحابةِ، وقد صَحَّ عن النبيِّ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ أنه قَرَأَ بهما في الصلاةِ وأُثْبِتَتا في المصحَفِ.

وأَخْرَجَ الإمامُ أحمدُ والبخاريُّ والنَّسائيُّ وابنُ حِبَّانَ وغيرُهم عن زِرِّ بنِ حُبيشٍ قالَ: أَتَيْتُ المدينةَ فلَقِيتُ أُبَيَّ ابنَ كَعبٍ فقُلتُ له: يا أبا المنذِرِ، إني رأيتُ ابنَ مسعودٍ لا يكتبُ المُعَوِّذَتَيْنِ في مُصحفِه. فقالَ: أما والذي بَعَثَ محمَّدًا صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ بالحقِّ لقد سألتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ عنهما وما سألني عنهما أحدٌ منذُ سألتُ غيرَك، فقالَ: «قِيلَ لِي قُلْ فَقُلْتُ فَقُولُوا» فنحن نَقولُ كما قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ.

وبهذا الاختلافِ قَدَحَ بعضُ المُلْحِدِينَ في إعجازِ القرآنِ قالَ: لو كانتْ بلاغةُ ذلك بَلَغَتْ حدَّ الإعجازِ لتَمَيَّزَ به عن القرآنِ فلم يُختلَفْ في كونِه منه، وأنتَ تَعلمُ أنه وَقَعَ الإجماعُ على قُرآنِيَّتِهما وقالوا: إنَّ إنكارَ ذلك اليومِ كُفْرٌ، ولَعَلَّ ابنَ مسعودٍ رَجَعَ عن ذلك، وفي شَرْحِ المواقِفِ أنَّ اختلافَ الصحابةِ في بعضِ سُوَرِ القرآنِ مرْوِيٌّ بالآحادِ المفيدةِ للظَّنِّ، ومجموعُ القرآنِ مَنقولٌ بالتواترِ المفيدِ لليقينِ الذي يَضْمَحِلُّ الظنُّ في مقابَلتِه فتلك الآحادُ مما لا يُلْتَفَتُ إليه ثم إن سَلَّمْنَا اختلافَهم فيما ذُكِرَ قلنا: إنهم لم يَخْتَلِفُوا في نزولِه على النبيِّ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ ولا في بُلوغِه في البلاغةِ حَدَّ الإعجازِ بل في مُجَرَّدِ كونِه مِن القرآنِ، وذلك لا يَضُرُّ فيما نحنُ بصَدَدِه. انتهى.

وعَكْسُ هذا القولِ في السورتينِ المذكورتينِ قيلَ في سُورَتَي الخَلْعِ والحَفْدِ، وفي ألفاظِهما رواياتٌ منها ما يَقْنُتُ به الحنفيَّةُ، فقد رُوِيَ أنهما في مصحَفِ أُبَيِّ بنِ كعبٍ، وفي مصحَفِ ابنِ عبَّاس وفي مُصْحَفِ ابنِ مسعودٍ، فهما إن صَحَّ أنهما كلامُ اللهِ تعالى مَنسوخَا التلاوةِ وليسا مِن القرآنِ كما لا يَخْفَى). [روح المعاني: ٢٩/٢٧٩]

قالَ صِدِّيقُ بنُ حَسَن خَان الحُسَيْنِيُّ القنوجيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قال: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وآلِهِ وسَلَّمَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هذهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قطُّ؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①﴾».

قالَ النَّوَوِيُّ: فيه بيانُ عِظَمِ فَضْلِ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ، وقد سَبَقَ قريبًا الخلافُ في إطلاقِ تَفضيلِ بَعْضِ القُرآنِ على بَعْضٍ.

وفيه: دليلٌ واضحٌ على كَوْنِهِمَا مِنَ القرآنِ، ورَدٌّ على مَن نَسَبَ إلى ابنِ مَسْعُودٍ خِلافَ هذا.

وفيه: أنَّ لَفْظَةَ "قُلْ" مِنَ القرآنِ ثَابِتَةٌ مِن أَوَّلِ السُّورَتَيْنِ بَعْدَ البَسْمَلَةِ، وقد أَجْمَعَتِ الأُمَّةُ على هذا كُلِّهِ، انتَهَى.

وقد وَرَدَ في فَضْلِ هاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ أَحَادِيثُ، ذَكَرَها في تُحْفَةِ الذَّاكِرِينَ.

وفي بَعْضِهَا عَنْ عُقْبَةَ عندَ أبي دَاوُدَ والنَّسائِيِّ بلَفْظِ: «أَلاَ أُعَلِّمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ؟»

قالَ الشَّوْكانِيُّ: فيه دليلٌ على مَزِيدِ فَضْلِهِمَا، ولا تَعَارُضَ بَيْنَ هذا، وبَيْنَ ما وَرَدَ فيهِ مِثْلُ ذلك مِنَ السُّوَرِ والآياتِ، بل يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ ما وَرَدَ تَفْضيلُهُ على أَنَّهُ فَاضلٌ على ما عَدا ما قدْ وَقَعَ تَفْضِيلُهُ بدَلِيلٍ آخَرَ،

فالتَّفْضيلُ مِن هذه الحَيْثِيَّةِ إضافِيٌّ لا حَقِيقيٌّ. وهذا شيءٌ حَسَنٌ، فإن مَنَعَ مِنْ ذَلِكَ مَانِعٌ، فالمَرْجِعُ التَّرْجيحُ بَيْنَ الأَدِلَّةِ القَاضِيَةِ بالتَّفْضيلِ.

قال: وقَدْ كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ لا يُثْبِتُ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ، كما رَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ في المُسْنَدِ والطَّبَرانِيُّ عَنْ عَبْدِ الرحمنِ بْنِ يَزِيدَ النَّخَعِيِّ، قالَ: كَانَ عبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ يَحُكُّ المُعَوِّذَتَيْنِ من مَصَاحِفِهِ، ويقولُ: إنهما لَيْسَتَا مِنْ كِتَابِ اللهِ تعالى. ورِجَالُ إسنادِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ رِجَالُ الصَّحِيحِ، ورجالُ إِسْنَادِ الطَّبَرَانِيِّ ثِقاتٌ، وهكذا أَخْرَجَ البَزَّارُ في مُسْنَدِهِ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَحُكُّ المُعَوِّذَتَيْنِ مِنَ المُصْحَفِ ويقولُ: إِنَّمَا أُمِرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وآلِهِ وسَلَّمَ أن يَتَعَوَّذَ بهِمَا، وكانَ عَبْدُ اللهِ لا يَقْرَأُ بهِمَا، ورجالُ إِسْنَادِهِ ثِقَاتٌ، وهكذا أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ بإِسْنَادٍ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

قال البَزَّارُ: لم يُتَابِعْ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ أحدٌ مِنَ الصحابةِ، وقد صَحَّ عَنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وآلِهِ وسَلَّمَ: أنه قَرَأَهُما في الصلاةِ، وأُثْبِتَتا في المُصْحَفِ. انتهى.

قالَ: قُلْتُ: وقد تَقَدَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآلِهِ وسَلَّمَ، قالَ فيهما: إِنَّهُمَا خَيْرُ سُورَتَيْنِ، وقد تَقَدَّمَ أَمْرُهُ بالقِرَاءَةِ بهِمَا، وهذا خاصَّةٌ مِنْ خَوَاصِّ القرآنِ، وتَقَدَّمَ أيضًا: أنَّ مَنْ قَرَأَ بهِمَا فكَأَنَّمَا قَرَأَ جَمِيعَ مَا أُنْزِلَ على مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ.

وأَجْمَعَ على ذلك الصحابَةُ وجَمِيعُ أَهْلِ الإسلامِ، طَبَقَةً بَعْدَ طَبَقَةٍ، والصَّحَابيُّ بَشَرٌ ولَيْسَ قَوْلُهُ حُجَّةً، في مِثْلِ هذا على فَرْضِ عَدَمِ مُخَالَفَتِهِ لِمَا ثَبَتَ عَنِ الشَّارِعِ، فَكَيْفَ وقَد خَالَفَ هاهنا السُّنَّةَ الثابتةَ، والإجماعَ المَعْلُومَ؟!

انْتَهى كلامُ الشَّوْكَانِيِّ.

وقد عرَفْتَ بهذا أنَّ قولَ النَّوَوِيِّ المُتَقَدِّمَ بلَفْظِ: وفِيهِ رَدٌّ عَلَى مَنْ نَسَبَ إلى ابنِ مَسْعُودٍ خِلافَ هذا. انتهى ليس كما يَنْبَغِي، فإنَّ الخلافَ عنه رَضِيَ اللهُ عنه ثابتٌ بما حَكَاهُ الشوكانيُّ رَحِمَهُ اللهُ قَرِيبًا، والجوابُ عَنْ هَذا الخلافِ الجَوَابُ المُتَقَدِّمُ). [السِّرَاجُ الوَهَّاجُ: ١/ ٥٨٠- ٥٨٤]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وعن ابنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كانَ يَحُكُّ المعوذتَيْنِ مِنَ المُصْحَفِ يَقُولُ: لا تَخْلِطُوا القرآنَ بما ليسَ منهُ إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كتابِ اللَّهِ إِنَّمَا أُمِرَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَعَوَّذَ بهِمَا، وكانَ ابنُ مسعودٍ لا يَقْرَأُ بهِمَا. أَخْرَجَهُ أحمدُ والطبرانيُّ وَابنُ مَرْدُوَيْهِ مِنْ طُرُقٍ، قَالَ السيوطيُّ: صَحِيحَةٌ، قَالَ البَزَّارُ: لم يُتَابِعِ ابنَ مسعودٍ أَحَدٌ مِنَ الصحابةِ، وَقَدْ صَحَّ عَنِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَرَأَ بهما في الصلاةِ، وأُثْبِتَتَا في المصحفِ.

وأَخْرَجَ أحمدُ وَالبخاريُّ وَالنسائيُّ وَغيرُهم عَنْ زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ قَالَ: أَتَيْتُ المدينةَ فَلَقِيتُ أُبَيَّ بنَ كعبٍ فَقُلْتُ لهُ: أَبَا المُنْذِرِ، إِنِّي رَأَيْتُ ابنَ مسعودٍ لا يَكْتُبُ المعوذتَيْنِ في مصحفِهِ. فَقَالَ: أَمَا وَالذي بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالحقِّ لقدْ سَالتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمَا وَما سَأَلَنِي عَنْهُمَا أَحَدٌ منذُ سَالتُهُ غَيْرُكَ.

قالَ: «قيلَ لي: قلْ. فَقُلْتُ فقولوا». فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

قالَ القرطبيُّ: زَعَمَ ابنُ مسعودٍ أنَّ هَاتَيْنِ السورتَيْنِ دُعَاءٌ يُتَعَوَّذُ بِهِ وَلَيْسَتَا مِنَ القرآنِ، وقدْ خَالَفَ الإجماعَ مِنَ الصحابةِ وأهلِ البيتِ.

وَقَالَ ابنُ قتيبةَ: لمْ يَكْتُب ابنُ مسعودٍ المعوذتَيْنِ في مصحفِهِ؛ لأنَّهُ كانَ يَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الحسنَ والحسينَ بهِمَا، فقدَّرَ أنَّهُمَا بمَنْزِلَةِ: أُعِيذُكُمَا بكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كلِّ شيطانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ.

قال أَبو بَكْرِ بْنُ الأنباريِّ: وَهذا مَرْدُودٌ على ابنِ قتيبةَ؛ لأنَّ المُعوذتَيْنِ مِنْ كلامِ ربِّ العالمينَ المُعْجِزِ لجميعِ المخلوقِينَ، وَأُعِيذُكُمَا إلخ مِنْ كلامِ البشرِ.

وَكلامُ الخالقِ الذي هوَ آيةٌ لمحمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَحُجَّةٌ لهُ باقِيَةٌ على جماعةِ الكافِرينَ لا يَلْتَبِسُ بكلامِ الآدَمِيِّينَ، فَضْلاً عَنْ مثلِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ الفصيحِ اللسانِ العالمِ باللغةِ العارفِ بأجناسِ الكلامِ وَأَفَانِينِ القولِ.

وَقَالَ بعضُ الناسِ: لمْ يَكْتُبْ عَبْدُ اللَّهِ المعوذتَيْنِ؛ لأنَّهُ أَمِنَ عَلَيْهِمَا مِنَ النسيانِ فَأَسْقَطَهُمَا وَهوَ يَحْفَظُهُمَا، كما أَسْقَطَ فاتحةَ الكتابِ مِنْ مُصْحَفِهِ). [فتح البيان: ١٥/٤٥٣- ٤٥٤]

قالَ مُحمَّد أنْوَر الكَشميريُّ (ت: ١٣٥٢هـ): (قولُهُ: فقالَ: «قيلَ لِي: قُلْ»، واعلَمْ أَنَّهُ نُسِبَ إلى ابنِ مَسْعُودٍ أَنَّ المُعَوِّذَتَيْنِ لَمْ تَكُونَا عِنْدَهُ مِنَ القُرْآنِ، وكانَ يَقُولُ: إِنَّهُمَا نزَلَتَا لِلْحَوائِجِ الوَقْتِيَّةِ، كَالتَّعَوُّذِ، فَهُمَا وَظِيفَتَانِ وَقْتِيَّتَانِ، عَلَى شَاكِلَةِ سَائِرِ الوَظَائِفِ والأَدْعِيَةِ، فلا يَجُوزُ إِدْخَالُهُمَا في القرآنِ، وكانَ يَتَمَسَّكُ لَهُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿قُلْ﴾. فَإِنَّهُ يَدُلُّ على تَعْلِيمِهِ إِيَّاهُ، علَى طَرِيقِ سَائِرِ الأَدْعِيَةِ، فَأَجَابَ عَنْهُ زِرُّ بْنُ حُبَيْشٍ، وهُوَ تِلْمِيذُ ابْنِ مَسْعُودٍ، وحَاصِلُهُ أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ قَالَ لَهُ جِبْرَائِيلُ عليهِ الصَّلاةُ والسلامُ: ﴿قُلْ﴾ فَقَالَ كَمَا أَمَرَهُ، فَنَحْنُ أَيْضًا نَقُولُ كما قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ، على أنَّ ﴿قُلْ﴾ في سورةِ الإخلاصِ أَيْضًا، وبالجملةِ كَانَ الخلافُ بَيْنَهُمَا كالخلافِ فِي الرَّمَلِ فِي الحَجِّ، زَعَمَهُ بَعْضُهُمْ سُنَّةً وَقْتِيَّةً، والجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهُ سُنَّةٌ مُسْتَمِرَّةٌ، فهكذا كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَرَاهُمَا وَظِيفَةً وَقْتِيَّةً، لا أَنَّهُ كانَ يُنْكِرُ كَوْنَهُمَا مُنَزَّلَتَيْنِ مِنَ السَّمَاءِ، وبَحَثَ فيه الحافظُ، وآلَ إلى أَنَّهُ لم يَكُنْ يُنْكِرُ قُرْآنِيَّتَهُ، ولَكِنَّهُ كَانَ يُنْكِرُ كِتَابَتَهُ في المُصْحَفِ، ومَرَّ عَلَيْهِ بَحْرُ العلُومِ في شَرْحِ مُسَلَّمِ الثُّبُوتِ، تَحْتَ تَعْرِيفِ القُرْآنِ، وقالَ: إِنَّ سِلْسِلَةَ القِرَاءَةِ الَّتِي تَبْلُغُ اليَوْمَ إلى ابْنِ مَسْعُودٍ نَجِدُ فِيهَا المُعَوِّذَتَيْنِ بالاتفاقِ وحِينَئِذٍ يَنْبَغِي أَنْ يَؤُولَ في النَّقْلِ المَذْكُورِ). [فَيْضُ البَارِي: ٤/٢٦١- ٢٦٢]

قالَ مُحمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (واشتَهَرَ عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ في الصحيحِ أنَّه كانَ يُنكِرُ أنْ تكونَ المُعَوِّذَتَانِ مِنَ القرآنِ، ويَقولُ: إنما أُمِرَ رسولُ اللهِ أنْ يَتَعَوَّذَ بهما، أيْ: ولم يُؤمَرْ بأنهما مِنَ القرآنِ.

وقد أَجْمَعَ أصحابُ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ على القِراءةِ بهما في الصَّلاةِ، وكُتِبَا في مَصَاحِفِهِم، وصَحَّ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ قَرَأَ بهما في صَلاَتِه). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٤- ٦٢٥]

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (يَذْكُرُ المُفَسِّرُونَ، عن ابنِ مسعودٍ أنَّه كانَ يَراهُما مُعَوِّذَتَيْنِ مِن غيرِ القرآنِ، ولكنَّ أُبيَّ بنَ كَعْبٍ قالَ: أَشْهَدُ أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ أخْبَرَنِي: «أنَّ جبريلَ عليه السلامُ قالَ له: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ١﴾. فقُلْتُها، وقالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ فقُلْتُها». فنَحنُ نقولُ ما قالَه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ. ذَكَرَه ابنُ كَثِيرٍ عن الإمامِ أحمدَ.

وذَكَرَ نحوَه عن البُخَارِيِّ ثُمَّ قالَ: ثُمَّ قد رَجَعَ عن قولِه إلى قولِ الجماعةِ؛ فإنَّ الصحابةَ رَضِيَ اللَّهُ عنهم أَثْبَتُوهُما في المَصاحِفِ الأَئِمَّةِ، ونَفَذُوهَا إلى سائرِ الآفاقِ.

ورُوِيَ عن الإمامِ أحمدَ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ قَرَأَ بهما في الصلاةِ، وساقَ عِدَّةَ طُرُقٍ في إثباتِ أَنَّهما قُرآنٌ؛ ممَّا يَنْفِي أيَّ خِلافٍ بعدَ ذلك في إثباتِهما.

وقد اعْتَذَرَ القُرْطُبيُّ عن ابنِ مَسعودٍ بأنَّه لم يَسْمَعْهُما مِن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ على أنَّهما قُرآنٌ، وسَمِعَهما فظَنَّهُما أنَّهما دُعاءٌ مِن الأَدْعِيَةِ؛ كقولِه صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ: «أَعُوذُ بكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ».

ولَمَّا بَلَغَه إثباتُهما عن رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ رجَعَ إلى قولِ الجُمهورِ). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٣٧]

أقوال العلماء في توجيه إثبات (قل) في التلاوة

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فإن قُلْتَ: فكيف جاءَ امتثالُ هذا الأمرِ بلفظِ الأمْرِ والمأمورِ به فقالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ١﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ ومعلومٌ أنه إذا قيلَ: قُلِ الحَمْدُ للهِ، وقُلْ سبحانَ اللهِ، فإنَّ امتثالَه أن يَقولَ: الحمْدُ للهِ، وسبحانَ اللهِ، ولا يَقولَ: قُلْ سُبحانَ اللهِ.

قلتُ: هذا هو السؤالُ الذي أَوْرَدَه أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ على النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعينِه، وأجابَه عنه رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالَ البخاريُّ في صحيحِه: حدَّثَنا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنا سفيانُ، عن عاصمٍ وعَبْدَةَ، عن زرٍّ قالَ: سألتُ أُبَيَّ بنَ كَعْبٍ عن المُعَوِّذَتَينِ فقالَ: سألتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالَ: «قيلَ لي فقلتُ» فنحنُ نقولُ كما قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم حَدَّثَنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ، حَدَّثَنا سفيانُ، حَدَّثَنا عَبْدَةُ بنُ أبي لُبابةَ، زرِّ بنِ حُبَيْشٍ، وحَدَّثَنا عاصِمٌ، عن زرٍّ قالَ: (سألتُ أُبيَّ بنَ كَعْبٍ، قُلتُ: أبا المُنْذِرِ: إنَّ أَخاكَ ابنَ مسعودٍ يَقولُ: كذا وكذا، فقالَ: إني سَألتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالَ: «قيلَ لي: فَقُلْتُ: قُلْ» فنحن نَقولُ كما قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قلتُ: مفعولُ القولِ محذوفٌ وتقديرُه قِيلَ لي: قُلْ، أو قِيلَ لي هذا اللفْظُ فقُلْتُ كما قيلَ لي، وتَحتَ هذا من السِّرِّ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس له في القرآنِ إلا بَلاغُهُ، لا أنه هو أَنْشَأَهُ من قِبَلِ نفسِه، بل هو المُبَلِّغُ له عن اللهِ.

وقد قالَ اللهُ له: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾ فكان يَقتضِي البلاغُ التامُّ أن يَقولَ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾ كما قالَ اللهُ.

وهذا هو المعنى الذي أَشارَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه بقولِه: «قِيلَ لِي فَقُلْتُ» أي: أَنِّي لستُ مُبْتَدِئًا، بل أنا مُبَلِّغٌ، أَقولُ كما يُقالُ لي، وأُبَلِّغُ كلامَ ربِّي كما أَنْزَلَه إليَّ.

فَصلَواتُ اللهِ وسلامُه عليه، لقد بَلَّغَ الرسالةَ وأَدَّى الأمانةَ وقالَ كما قيلَ له، فكَفَانَا وشَفَانَا من المُعتزِلةِ والجَهْمِيَّةِ وإخوانِهم مِمَّنْ يقولُ: هذا القرآنُ العربيُّ، وهذا النَّظْمُ من كلامِه ابْتَدَأَ هو به.

ففي هذا الحديثِ أَبْيَنُ الردِّ لهذا القولِ، وأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَّغَ القولَ الذي أُمِرَ بتبليغِه على وَجْهِه ولَفْظِه، حتى إنه لَمَّا قيلَ له قُلْ، قالَ هو: قُلْ. لأنه مُبَلِّغٌ مَحْضٌ، وما على الرسولِ إلا البلاغُ). [بدائع الفوائد: ٢/٢٠٢- ٢٠٣]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (ونَظيرُ هذا قولُه تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فهو توحيدٌ منه لنفسِه وأَمْرٌ للمُخَاطَبِ بتوحيدِه فإذا قالَ العَبْدُ: قلْ هو اللهُ أَحَدٌ، كان قد وَحَّدَ اللهَ بما وَحَّدَ به نفسَه، وأتى بلَفْظَةِ (قُلْ) تَحقيقًا لهذا المعنى، وأنه مُبَلِّغٌ مَحْضٌ قائلٌ لِمَا أُمِرَ بقولِه، واللهُ أَعْلَمُ.

وهذا بخِلافِ قولِه: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾ و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ فإنَّ هذا أمْرٌ مَحْضٌ بإنشاءِ الاستعاذةِ، لا تَبْلِيغٌ لقولِه: أعوذُ بربِّ الناسِ، فإنَّ اللهَ لا يَستعيذُ من أَحَدٍ، وذلك عليه مُحالٌ، بخلافِ قولِه: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فإنه خَبَرٌ عن توحيدِه، وهو سبحانَه يُخبِرُ عن نفسِه بأنه الواحدُ الأَحَدُ، فتَأَمَّلْ هذه النُّكْتَةَ البديعةَ، واللهُ المُستعانُ). [بدائع الفوائد: ٢/١٧٢]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ سُلَيْمَانَ بْنِ رَيَّانَ (ت: ٧٧٠هـ): (**سُؤَالٌ**: المناسبُ أنْ يَتَعَوَّذَ المتعوِّذُ بأَعُوذُ بربِّ الفَلَقِ وأَعُوذُ بربِّ النَّاسِ إلى آخِرِ السورتَيْنِ منْ غيْرِ لفظَةِ ﴿قُلۡ﴾ كما لا يَخْفَى.

جَوَابٌ: المَقْصُودُ التَّعَوُّذُ بالسُّورَتَيْنِ المذكورَةِ فيهما الاستعاذَةُ منْ حيثُ إنهما كلامُ اللَّهِ تعالى المجيدِ، والسورَةُ هي مجموعُ ﴿قُلۡ أَعُوذُ﴾ إلى آخِرِهِ، وبدونِ ﴿قُلۡ﴾ بعْضُ السورَةِ وليْسَ الغَرَضُ التَّكَلُّمَ بهذه الكلماتِ، فَرُبَّما لا يَنْفَعُ لوْ غيَّرَ نَظْمَ القُرْآنِ معَ أنه تَكَلَّمَ بجميعِ تلك الكلماتِ فَافْهَمْ). [الروض الريان: ٣/٦٥١- ٦٥٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الإِيجِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت: ٩٠٥ هـ): (فإنْ قُلْتَ: المُناسِبُ أنْ يَتَعَوَّذَ المُتَعَوِّذُ بـ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾، و﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾، إلى آخِرِ السُّورَتَيْنِ من غيرِ لفظةِ (قُلْ) كَمَا لا يَخْفَى.

قلتُ: المقصودُ التعوُّذُ بالسورتينِ المذكورةِ فيهما الاستعاذةُ، من حيثُ إنَّهما كلامُ اللهِ المجيدِ، والسورةُ هي مجموعُ ﴿قُلۡ أَعُوذُ﴾ إلى تَمامِ السورةِ، وبدونِ (قُلْ) بعضُ السورةِ، وليسَ الغَرَضُ التكلُّمَ بهذه الكَلِمَاتِ، فرُبَّمَا لا يَنْفَعُ لو غَيَّرَ نَظْمَ القرآنِ معَ أنه تكليمٌ بجميعِ تِلْكَ الكَلِمَاتِ، فافْهَمْ، واللهُ أعلمُ). [جامع البيان: ٤/٥٤٨]

أثر مقاتل بن سليمان

قَالَ عَبْدُ الخَالِقِ بْنُ الحَسَنِ ابنُ أَبي رُوبَا (ت:٣٥٦ هـ): حدَّثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ ثابتٍ الثَّورِيُّ عن أَبيه عن الهُذَيْلِ بنِ حَبيبٍ عنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ البلخيِّ (ت:١٥٠هـ) قال: (وقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قِيلَ لِي فَقُلْتُ لَكُمْ، فَقُولُوا كَمَا أَقُولُ».

قَالَ: وكانَ ابْنُ مَسْعودٍ لا يَقْرَأُ بهِما في المَكْتوبَةِ). [تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٣٨]

ما يقول من قرأ المعوذتين

أثر ابن عمر

قالَ الحسينُ بنُ الحسنِ بنِ محمَّدٍ الحَلِيميُّ (ت: ٤٠٣ هـ): (وقالَ ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: إذا قَرَأْتَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾، فَقُلْ: أعوذُ بربِّ الفلقِ. وإذا قَرَأْتَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾ فَقُلْ: أَعُوذُ بربِّ النَّاسِ). [المنهاج في شعب الإيمان: ٢/ ٢٢٦]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ عَن ابْنِ عُمَرَ قَالَ: إِذَا قَرَأْتَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾ فَقُلْ: أَعُوذُ بربِّ الفَلَقِ، وَإِذَا قَرَأْتَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾ فَقُلْ: أَعُوذُ بربِّ النَّاسِ). [الدر المنثور: ١٥/٧٩١]

قراءة المعوذات وحدها

ما روي عن مجاهد بن جبر من كراهة قراءة المعوذات وحدها

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبي شَيْبَةَ العَبْسيُّ (ت: ٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبي بُكَيْرٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَافِعٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سُلَيْمَانَ مَوْلَى أُمِّ عَلِيٍّ، أَنَّ مُجَاهِدًا كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَقْرَأَ بالْمُعَوِّذَاتِ وَحْدَهَا حَتَّى يَجْعَلَ مَعَهَا سُورَةً). [المصنف: ١٠/٥٣٨- ٥٣٩]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بنِ إبراهيمَ البُخَارِيُّ (ت: ٢٥٦هـ): (حَدَّثَنِي ابْنُ أَبي شَيْبَةَ، نا يَحْيَى بْنُ أَبي بُكَيْرٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ نَافِعٍ، عَنْ سُلَيْمٍ مَوْلَى أُمِّ عَلِيٍّ، عَنْ مُجَاهِدٍ: كَرِهَ أَنْ يَقْرَأَ بالْمُعَوِّذَاتِ وَحْدَهَا حَتَّى يَجْعَلَ مَعَهَا سُورَةً). [التاريخ الكبير: ١/٢١٢]

- **قلت:** (قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى بالمعوذتين في صلاة الفجر، وصلى بالمعوذات في الوتر).

الأصول التي اشتملت عليها المعوذتان

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (والمقصودُ الكلامُ على هاتين السورتين وبيانُ عظيمِ منفعتِهما وشدةِ الحاجةِ، بل الضرورةِ إليهما، وأنه لا يَسْتَغْني عنهما أَحَدٌ قطُّ، وأَنَّ لهما تأثيرًا

خاصًّا في دَفْعِ السِّحْرِ والعينِ وسائرِ الشرورِ، وأنَّ حاجةَ العَبْدِ إلى الاستعاذةِ بهاتَيْنِ السورتينِ أَعْظَمُ من حاجتِه إلى النَّفَسِ والطعامِ والشراب واللِّباسِ.

فنقولُ واللهُ المُستعانُ: قَدِ اشْتَمَلَت السورتانِ على ثلاثةِ أُصولٍ: وهي أصولُ الاستعاذةِ؛ أحَدُها: نفْسُ الاستعاذةِ، والثانيةُ: المُستعاذُ به، والثالثةُ: المُستعاذُ منه.

فبمَعْرِفَةِ ذلك تُعْرَفُ شِدَّةُ الحاجةِ والضرورةُ إلى هاتينِ السورتينِ، فلْنَعْقِدْ لهما ثلاثةَ فصولٍ:

الفَصْلُ الأوَّلُ في: الاستعاذةِ.

والفصْلُ الثاني في المُستعاذِ به.

والثالثُ: في المُستعاذِ منه). [بدائع الفوائد: ٢/١٩٩- ٢٠٠]

قالَ ابنُ القيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (الفصْلُ الأوَّلُ: اعْلَمْ أنَّ لفظَ "عاذَ" وما تَصرَّفَ منها تَدُلُّ على التَّحرُّزِ والتَّحصُّنِ والنَّجاةِ، وحقيقةَ معناها الهروبُ من شيءٍ تَخافُه إلى مَن يَعْصِمُك منه، ولهذا يُسَمَّى المُستعاذُ به مَعاذًا، كما يُسَمَّى مَلْجَأً وَوَزَرًا.

وفي الحديثِ أنَّ ابْنَةَ الجَوْنِ لَمَّا أُدْخِلَتْ على النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوَضَعَ يدَه عليها، قالَتْ: أَعوذُ باللهِ منكَ. فقالَ لها: «لَقَدْ عُذْتِ بِمَعَاذٍ الحَقِي بأَهْلِكِ». فمعنى أَعوذُ التَجِئُ وأَعْتَصِمُ وأَتَحَرَّزُ.

وفي أَصْلِه قولان: أحدُهما: أنه مَأخوذٌ من السِّتْرِ، والثاني: أنه مأخوذٌ من لزومِ المُجاوَرَةِ، فأمَّا مَن قالَ: إنه من السِّتْرِ قالَ: العَرَبُ تَقولُ للبيتِ الذي في أَصْلِ الشجرةِ التي قَدِ اسْتُتِرَ بها: عُوَّذٌ، بضَمِّ العينِ وتشديدِ الواوِ وفَتْحِها، فكأنه لَمَّا عاذَ بالشجرةِ واسْتَتَرَ بأَصلِها وظِلِّها سَمَّوْه عُوَّذًا، فكذلك العائذُ قَدِ اسْتَتَرَ من عدُوِّه بمَن استعاذَ به منه، واسْتَجَنَّ به منه.

ومَن قالَ: هو لُزومُ المُجاوَرَةِ. فإنَّ العَرَبَ تَقولُ للَّحْمِ إذا لَصِقَ بالعَظْمِ فلم يَتَخَلَّصْ منه: عُوَّذٌ؛ لأنه اعْتَصَمَ به واسْتَمْسَكَ به، فكذلك العائذُ قَدِ اسْتَمْسَكَ بالمُستعاذِ به، واعْتَصَمَ به ولَزِمَه، والقولان حقٌّ والاستعاذةُ تَنْتَظِمُهما معًا، فإنَّ المُستعيذَ مُسْتَتِرٌ بمَعَاذِه مُتَمَسِّكٌ به مُعتَصِمٌ به، قَدِ اسْتَمْسَكَ قَلْبُه به ولَزِمَه كما يَلْزَمُ الوَلَدُ أباه إذا أَشْهَرَ عليه عَدُوُّه سيفًا، وقَصَدَه به فهَرَب منه، فعَرَضَ له أبوه في طريقِ هَرَبه، فإنه يُلْقِي نفسَه عليه، ويَسْتَمْسِكُ به أَعْظَمَ استمساكٍ، فكذلك العائذُ قد هَرَبَ من عَدُوِّه الذي يَبْغِي هَلاكَه إلى ربِّه ومالِكِه، وفَرَّ إليه، والقَى بنفسِه بينَ يَدَيْهِ، واعْتَصَمَ به واستجارَ به، والتَجأَ إليه.

وبعدُ فمعنى الاستعاذةِ القائمُ بقَلْبه وراءَ هذه العباراتِ، وإنما هي تَمثيلٌ وإشارةٌ وتفهيمٌ، وإلا فما يَقومُ بالقَلْبِ حينئذٍ الالتجاءُ والاعتصامُ والانطراحُ بينَ يَدَيِ الربِّ، والافتقارُ إليه والتذلُّلُ بينَ يَدَيْهِ أمْرٌ لا تُحيطُ به العِبارةُ.

ونَظيرُ هذا التعبيرِ عن معنى مَحَبَّتِه وخَشيتِه وإجلالِه ومَهابَتِه فإنَّ العِبارةَ تَقْصُرُ عن وَصْفِ ذلك، ولا تُدْرَكُ إلا بالاتِّصافِ بذلك، لا بمُجرَّدِ الصفةِ والخَبَرِ، كما أنك إذا وَصَفْتَ لَذَّةَ الوِقاعِ لعِنِّينٍ لم تُخْلَقْ له شَهوةٌ أَصْلاً، فلو

قَرَّبْتَها وشَبَّهْتَها بما عَساكَ أن تُشَبِّهَهَا به لم تَحْصُلْ حقيقةُ معرفتِها في قَلْبه، فإذا وَصَفْتَها لِمَنْ خُلِقَتْ فيه ورُكِّبَتْ فيه عَرَفَها بالوُجودِ والذَّوْق.

وأَصْلُ هذا الفِعْلِ: أَعْوُذُ بتَسكينِ العينِ وضَمِّ الواوِ، ثم أُعِلَّ بنَقْلِ حركةِ الواوِ إلى العينِ وتَسكينِ الواوِ، فقَالُوا: أَعوذُ على أَصْلِ هذا الباب ثم طَرَدُوا إعلالَه، فقالُوا في اسمِ الفاعلِ: عائذٌ، وأَصْلُه عَاوِذٌ، فوَقَعَت الواوُ بعدَ أَلِفِ فاعِلٍ، فقَلَبُوها هَمْزَةً، كما قالُوا: قائمٌ وخائفٌ، وقالُوا في المَصْدَرِ: عِياذًا باللهِ، وأَصْلُه عِوَاذًا كلِواذٌ، فقَلَبُوا الواوَ ياءً لكسرةِ ما قَبْلَها ولم تُحَصِّنْها حرَكَتُها إلا أنها قد ضَعُفَتْ بإعلالِها في الفِعْلِ وقالُوا: مُستعيذٌ. وأصلُه مُسْتَعْوِذٌ: كمُسْتَخْرِجٌ، فنَقَلُوا كَسرةَ الواوِ إلى العينِ قَبْلَها، قُلِبَت الواوُ قَبْلَها كَسرةً، فقُلِبَتْ ياءً على أَصْلِ الباب.

فإن قُلْتَ: فلِمَ دَخَلَتِ السينُ والتاءُ في الأمْرِ من هذا الفِعْلِ كقولِه: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ ولم تَدْخُلْ في الماضي والمُضارعِ، بل الأكثرُ أن يقالَ: أعوذُ باللهِ، وَعُذْتُ باللهِ، دونَ أَستعيذُ واستَعَذْتُ.

قلتُ: السينُ والتاءُ الدالَّةُ على الطَّلَب، فقولُه: أَستعيذُ باللهِ، أي: أَطْلُبُ العِياذَ به، كما إذا قُلتَ: أَستخيرُ اللهَ. أي: أَطْلُبُ خِيرَتَه، وأَسْتَغْفِرُه، أي: أَطْلُبُ مَغفِرتَه، وأَستقيلُه أي: أَطْلُبُ إقالَتَه، فدَخَلَتْ في الفِعْلِ؛ إيذانًا لطَلَب هذا المعنى من المَعاذِ، فإذا قالَ المأمورُ: أَعوذُ باللهِ، فقد امْتَثَلَ ما طُلِبَ منه؛ لأنه طَلَبَ منه الالتجاءَ والاعتصامَ، وفَرْقٌ بينَ نفْسِ الالتجاءِ والاعتصامِ وبينَ طَلَب ذلك، فلما كان المُستعيذُ هَارِبًا مُلْتَجِئًا مُعْتَصِمًا باللهِ، أتى بالفِعْلِ الدالِّ على ذلك دونَ الفِعْلِ الدالِّ على طَلَب ذلك، فتَأَمَّلْه.

وهذا بِخِلافِ ما إذا قِيلَ: استَغْفِرِ اللهَ فقالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، فإنه طَلَبَ منه أن يَطْلُبَ المَغْفِرَةَ من اللهِ، فإذا قالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ كان مُمْتَثِلاً؛ لأنَّ المعنى: أَطْلُبُ من اللهِ أن يَغْفِرَ لي. وحيث أرادَ هذا المعنى في الاستعاذةِ فلا ضَيْرَ أن يأتيَ بالسينِ، فيَقولُ: أَستعيذُ باللهِ، أي: أَطْلُبُ منه أن يُعيذَنِي، ولكنَّ هذا معنًى غيرُ نفسِ الاعتصامِ والالتجاءِ والهرَب إليه، فالأوَّلُ مُخْبِرٌ عن حالِه وعياذِه بربِّه، وخَبَرُه يَتَضَمَّنُ سؤالَه وطَلَبَه أن يُعيذَه.

والثاني: طالِبٌ سائلٌ من رَبِّه أن يُعيذَه كأنه يقولُ: أَطْلُبُ منك أن تُعيذَني، فحالُ الأوَّلِ أَكْمَلُ، ولهذا جاءَ عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في امتثالِ هذا الأمْرِ: «أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ - وَأَعوذُ بكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ - وَأَعُوذُ بعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ» دونَ أَستعيذُ، بل الذي عَلَّمَه اللهُ إيَّاه أن يقولَ: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ دونَ أَستعيذُ، فتَأَمَّلْ هذه الحِكْمَةَ البَديعةَ). [بدائع الفوائد: ٢/٢٠٠- ٢٠١]

الاستعاذة لا تكون إلا بالله تعالى

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (الفَصْلُ الثاني: في المُستعاذِ به، وهو اللهُ وَحْدَه: ربُّ الفَلَقِ وربُّ الناسِ مَلِكُ الناسِ إلهُ الناسِ، الذي لا يَنبغِي الاستعاذةُ إلا به، ولا يُستعاذُ بأَحَدٍ من خَلْقِه، بل هو الذي يُعيذُ المُستَعِيذينَ ويَعْصِمُهم ويَمْنَعُهم من شَرِّ ما استعاذوا من شَرِّه.

وقد أَخْبَرَ – تعالى – في كتابه عن مَن استعاذَ بخَلقِه أنَّ استعاذتَه زَادَتْهُ طُغْيَانًا ورهَقًا فقالَ حكايةً عن مُؤْمِنِي الجِنِّ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن: ٦].

جاءَ في التفسيرِ أنه كان الرجُلُ من العَرَب في الجاهليَّةِ إذا سافرَ فأَمْسَى في أَرْضٍ قَفْرٍ قالَ: أَعوذُ بسَيِّدِ هذا الوادي من شَرِّ سُفهاءِ قَوْمِه، فيَبيتُ في أَمْنٍ وجِوارٍ منهم حتى يُصْبحَ، أي فزادَ الإنسُ الجِنَّ باستعاذتِهم بسادَتِهم رَهَقًا، أي: طُغيانًا وإثْمًا وشَرًّا، يقولون: سُدْنَا الإنْسَ والجِنَّ.

والرَّهَقُ في كلامِ العَرَب الإثمُ وغِشْيانُ المَحارِمِ، فزَادُوهم بهذه الاستعاذةِ غِشْيانًا لِمَا كان مَحظورًا من الكِبْرِ والتعاظُمِ، فظَنُّوا أنهم سَادُوا الإنسَ والجِنَّ.

واحْتَجَّ أهلُ السُّنَّةِ على المُعتزِلَةِ في أنَّ كَلماتِ اللهِ غيرُ مَخلوقةٍ، بأنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استعاذَ بقولِه: «أَعُوذُ بكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ» وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَستعيذُ بمَخلوقٍ أَبدًا.

ونَظيرُ ذلك قولُه: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِعَفْوِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ».

فدَلَّ على أنَّ رِضاه وعَفْوَه من صِفاتِه، وأنه غيرُ مَخلوقٍ وكذلك قولُه: «أَعُوذُ بعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ» وقولُه «أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ» وما استعاذَ به النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غيرُ مَخلوقٌ؛ فإنه لا يَستعيذُ إلا باللهِ أو بصِفَةٍ من صِفاتِه.

وجَاءَت الاستعاذةُ في هاتينِ السورتينِ باسمِ الربِّ والمَلِكِ والإلهِ، وجاءت الرُّبوبيَّةُ فيها مُضافةً إلى الفَلَقِ وإلى الناسِ، ولا بُدَّ من أن يكونَ ما وَصَفَ به نفسَه في هاتَيْنِ السورتينِ يُناسِبُ الاستعاذةَ المَطلوبةَ، ويَقتضِي دَفْعَ الشرِّ المُستعاذِ منه أَعْظَمَ مُناسَبَةٍ وأَبْيَنَها.

وقد قَرَّرْنا في مَواضِعَ مَتَعَدِّدَةٍ أنَّ اللهَ – سبحانه – يُدْعَى بأسمائِه الحُسْنَى، فيُسْأَلُ لكلِّ مطلوبٍ باسمٍ يُناسِبُه ويَقتضيهِ، وقد قالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هاتَيْنِ السورتينِ: «إِنَّه مَا تَعَوَّذَ الْمُتَعَوِّذُونَ بِمِثْلِهِمَا» فلا بُدَّ أن يكونَ الاسمُ المُستعاذُ به مُقْتَضِيًا للمطلوب، وهو دَفْعُ الشرِّ المُستعاذِ منه أو رَفْعُه، وإنما يَتَقَرَّرُ هذا بالكلامِ في الفَصْلِ الثالثِ، وهو الشيءُ المُستعاذُ منه فتَتَبَيَّنُ المُناسَبَةُ المذكورةُ). [بدائع الفوائد: ٢/٢٠٣- ٢٠٤]

بيان معنى الشر

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (وقَبلَ الكلامِ في ذلك لا بدَّ من بيانِ الشرِّ: ما هو؟ وما حقيقتُه؟

فنقولُ: الشرُّ يُقالُ على شيئينِ:

- على الألَمِ
- وعلى ما يُفْضِي إليه.

وليس له مُسَمًّى سوى ذلك، فالشرورُ هي الآلامُ وأسبابُها، فالمَعاصِي والكفْرُ والشِّرْكُ وأنواعُ الظلْمِ هي شرورٌ، وإن كان لصاحبها فيها نوعُ غَرَضٍ ولَذَّةٍ لكنها شرورٌ؛ لأنها أسبابُ الآلامِ ومُفضِيَةٌ إليها كإفضاءِ سائرِ الأسباب إلى مُسبِّباتها، فتَرَتُّبُ الألَمِ عليها كتَرَتُّب الموتِ على تَناوُلِ السمومِ القاتِلَةِ، وعلى الذَّبْحِ والإحراقِ بالنارِ والخَنْقِ بالحبْلِ، وغيرِ ذلك من الأسباب التي تُصيبه مُفْضِيَةً إلى مُسبِّباتِها، ولا بدَّ ما لم يَمْنَع السببيَّةَ مانعٌ أو يُعارِض السببَ ما هو أَقْوَى منه، وأَشَدُّ اقْتِضَاءً لضِدِّهِ، كما يُعارِضُ سببَ المعاصي قُوَّةُ الإيمانِ وعَظَمَةُ الحَسناتِ الماحيةِ وكَثْرَتُها، فيَزيدُ في كَمِّيَّتِها وكَيْفِيَّتِهَا على أسباب العذاب، فيَدْفَعُ الأقوى للأضْعَفِ، وهذا شأنُ جميعِ الأسباب المُتَضَادَّةِ كأسباب الصِّحَّةِ والمَرَضِ، وأسباب الضَّعْفِ والقُوَّةِ.

والمقصودُ أنَّ هذه الأسبابَ التي فيها لَذَّةٌ مَا هِيَ إلاَّ شَرٌّ، وإن نالَتْ بها النفْسُ مَسَرَّةً عاجِلَةً، وهي بمَنزِلَةِ طعامٍ لذيذٍ شَهِيٍّ لكنه مَسمومٌ، إذا تَناوَلَه الآكِلُ لَذَّ لآكِلِه، وطَابَ له مَساغُه، وبعدَ قَليلٍ يَفعلُ به ما يَفعلُ، فهكذا المَعاصِي والذنوبُ، ولا بُدَّ حتى لو لم يُخْبِر الشارِعُ بذلك لكان الواقعُ والتجرِبةُ الخاصَّةُ والعامَّةُ من أَكْبَرِ شُهودِه، وهل زالَتْ عن أَحَدٍ قطُّ نِعمةٌ إلا بشُؤْمِ مَعصيَتِه.

فإنَّ اللهَ إذا أَنْعَمَ على عَبْدٍ بنِعمةٍ حَفِظَها عليه ولا يُغَيِّرُها عنه حتى يكونَ هو الساعيَ في تغييرِها عن نفسِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١﴾ [الرعد: ١١].

ومَن تَأَمَّلَ ما قَصَّ اللهُ في كتابه من أحوالِ الأمَمِ الذين أَزالَ نِعَمَه عنهم وَجَدَ سببَ ذلك جميعَه إنما هو مُخالَفَةُ أَمْرِه وعِصيانُ رُسُلِه، وكذلك مَن نَظَرَ في أحوالِ أهلِ عَصْرِه، وما أزالَ اللهُ عنهم من نِعَمِه وَجَدَ ذلك كلَّه من سُوءِ عَواقِب الذنوب كما قيلَ:

إذا كنتَ في نِعْمَةٍ فارْعَهَا ... فإنَّ المعاصي تُزيلُ النِّعَمْ

فما حُفِظَتْ نِعمةُ اللهِ بشيءٍ قَطُّ مِثْلِ طاعتِه، ولا حَصَلَتْ فيها الزيادةُ بمِثْلِ شُكْرِه، ولا زالَتْ عن العَبْدِ بمِثْلِ مَعْصِيَتِه لربِّه، فإنها نَارُ النعمِ التي تَعمَلُ فيها كما تَعْمَلُ النارُ في الحطَب اليابسِ.

ومَن سافَرَ بفِكْرِه في أحوالِ العالَمِ استَغْنَى عن تعريفِ غيرِه له.

والمقصودُ أنَّ هذه الأسبابَ شرورٌ ولا بُدَّ، وأمَّا كونُ مُسبِّباتِها شرورًا فلأنها آلامٌ نفسيَّةٌ وبَدَنِيَّةٌ، فيَجتَمِعُ على صاحبِها مع شِدَّةِ الألَمِ الحِسِّيِّ أَلَمُ الرُّوحِ بالهمومِ والغُمومِ والأحزانِ والحَسَراتِ.

ولو تَفطَّنَ العاقِلُ اللبيبُ لهذا حَقَّ التَّفَطُّنِ لأعطاه حَقَّه من الحَذَرِ والجِدِّ في الهَرَب، ولكن قد ضُرِبَ على قَلْبه حِجابُ الغَفْلَةِ ليَقْضِيَ اللهُ أَمرًا كان مَفْعُولاً.

فلو تَيَقَّظَ حقَّ التَّيَقُّظِ لتَقَطَّعَتْ نفسُه في الدنيا حَسَرَاتٍ على ما فَاتَه من حَظِّه العاجِلِ والآجِلِ من اللهِ، وإنما يَظهَرُ له هذا حقيقةَ الظهورِ عندَ مُفارَقَةِ هذا العالَمِ والإشرافِ والاطِّلاع على عالَم البَقاءِ فحِينئذٍ يَقولُ ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ [الفجر: ٢٤] و﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

ولَمَّا كان الشرُّ هو الآلامَ وأسبابَها كانت استعاذاتُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميعُها مَدارَها على هَذَيْنِ الأصلينِ، فكلُّ ما استعاذَ منه أو أُمِرَ بالاستعاذةِ منه فهو إمَّا مؤْلِمٌ وإمَّا سببٌ يُفْضِي إليه، فكان يَتَعَوَّذُ في آخِرِ الصلاةِ من أَرْبَعٍ، وأَمَرَ بالاستعاذةِ منهن، وهي: عذابُ القَبْرِ وعذابُ النارِ، فهذان أَعْظَمُ المُؤْلِماتِ، وفتنةُ المَحْيَا والمَماتِ، وفِتنةُ المسيحِ الدَّجَّالِ، وهذان سببُ العذاب المؤلِمِ، فالفِتنةُ سببُ العذاب، وذَكَرَ الفتنةَ خُصوصًا وعُمومًا، وذكر نَوْعَي الفِتنةِ؛ لأنها إمَّا في الحياةِ وإمَّا بعدَ الموتِ، ففِتنةُ الحياةِ قد يَتَراخَى عنها العَذابُ مُدَّةً.

وأمَّا فِتنةُ الموتِ فيَتَّصِلُ بها العَذابُ من غيرِ تَراخٍ فعَادَت الاستعاذةُ إلى الألَمِ والعَذاب وأسبابها، وهذا من آكَدِ أَدْعِيَةِ الصلاةِ، حتى أَوْجَبَ بعضُ السلَفِ والخَلَفِ الإعادةَ على مَن لم يَدْعُ به في التشَهُّدِ الأخيرِ.

وأَوْجَبَه ابنُ حَزْمٍ في كلِّ تَشَهُّدٍ فإنْ لم يأتِ به فيه بَطَلَتْ صلاتُه.

ومن ذلك قولُه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بكَ مِنَ الهمِّ وَالحَزَنِ وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ» فاستعاذَ من ثمانيةِ أشياءَ، كلُّ اثنين منها قرينان.

فالهَمُّ والحَزَنُ قَرينان، وهما من آلامِ الرُّوحِ ومُعَذِّبَاتِها، والفَرْقُ بينَهما أنَّ الهَمَّ تَوَقُّعُ الشَّرِّ في المُستقبَلِ، والحُزْنَ التألُّمُ على حُصولِ المكروهِ في الماضي أو فَواتِ المحبوب، وكِلاهما تألُّمٌ وعذابٌ يَرِدُ على الروحِ، فإنْ تعَلَّقَ بالماضي سُمِّيَ حُزْنًا وإن تَعَلَّقَ بالمُستقبَلِ سُمِّيَ هَمًّا.

والعَجْزُ والكَسَلُ قَرينان، وهما من أسباب الألَمِ؛ لأنهما يَستلزِمان فَواتَ المحبوب، فالعَجْزُ يَستلزِمُ عَدَمَ القُدرةِ، والكَسَلُ يَستلزِمُ عَدَمَ إرادتِه، فتَتَأَلَّمُ الروحُ لفَواتِه بحَسَب تَعَلُّقِها به والتذاذِها بإدراكِه لو حَصَلَ.

والجُبْنُ والبُخْلُ قَرينان؛ لأنهما عَدَمُ النَّفْعِ بالمَالِ والبَدَنِ، وهما من أسباب الألَمِ؛ لأنَّ الجبَانَ تَفُوتُه مَحبوباتٌ ومُفْرِحَاتٌ ومَلذوذاتٌ عظيمةٌ لا تُنالُ إلا بالبَذْلِ والشجاعةِ، والبُخْلُ يَحولُ بينَه دونَها أيْضًا، فهذان الخُلُقان من أَعْظَمِ أسباب الآلامِ.

وضَلَعُ الدَّيْنِ وقَهْرُ الرِّجالِ قَرينان، وهما مُؤْلِمَانِ للنَّفْسِ مُعَذِّبان لها، أَحَدُهما قَهْرٌ بحقٍّ، وهو ضَلَعُ الدَّيْنِ والثاني قَهْرٌ بباطِلٍ وهو غَلَبَةُ الرجالِ، وأيضًا فضَلَعُ الدَّيْنِ قَهْرٌ بسَبَبٍ من العَبْدِ في الغالِب، وغَلَبَةُ الرجالِ قَهْرٌ بغيرِ اختيارِه.

ومن ذلك تَعَوُّذُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ» فإنهما يُسبِّبان الألَمَ العاجِلَ.

ومن ذلك قولُه: «أَعُوذُ برِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ» فالسَّخَطُ سببُ الألَمِ، والعُقوبةُ هي الألَمُ، فاستعاذَ من أَعْظَمِ الآلامِ وأَقْوَى أسبابها). [بدائع الفوائد: ٢/٢٠٥- ٢٠٧]

أنواع الشرور المستعاذ منها في المعوذتين

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (فَوَقَعَ تَرْتِيبُ المُسْتَعَاذِ مِنْهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى كَمَالِ التَّرْتِيبِ انْتِقَالاً مِنَ الأعَمِّ الأعْلَى الأبْعَدِ إِلَى الأخَصِّ الأقْرَبِ الأسْفَلِ فَجُعِلَتْ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ.

الأوَّلُ: مِنْ شَرِّ المَخْلُوقَاتِ عُمُومًا وَقَوْلُ الحَسَنِ: إنَّهُ إبْلِيسُ وَذُرِّيَّتُهُ وَقَوْلُ بَعْضِهِمْ إنَّهُ جَهَنَّمُ: ذُكِرَ لِلشَّرِّ الَّذِي هُوَ لَنَا شَرٌّ مَحْضٌ مِنَ الأرْوَاحِ وَالأجْسَامِ.

وَالثَّانِي: شَرُّ الغَاسِقِ إذَا وَقَبَ فَدَخَلَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ مِنَ العَلَوِيَّاتِ فِي السُّفْلَيَاتِ مِنَ اللَّيْلِ وَمَا فِيهِ مِنَ الكَوَاكِبِ كَالثُّرَيَّا وَسُلْطَانِهِ الَّذِي هُوَ القَمَرُ وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ سِحْرُ التمرسحات[1] الَّذِي هُوَ أَعْلَى السِّحْرِ وَأَرْفَعُهُ.

الثَّالِثُ: شَرُّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ وَهُنَّ السَّوَاحِرُ اللَّوَاتِي يَتَصَوَّرْنَ بِأَفْعَالٍ فِي أَجْسَامٍ.

وَالرَّابِعُ: الحَاسِدُ وَهِيَ النُّفُوسُ المُضِرَّةُ سَفَهًا فَانْتَظَمَ بِذَلِكَ جَمِيعُ أَسْبَابِ الشُّرُورِ

ثُمَّ خَصَّ فِي "سُورَةِ النَّاسِ" الشَّرَّ الصَّادِرَ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَهُمُ الأَرْوَاحُ المُضِرَّةُ). [مجموع الفتاوى:١٧/٥٣٥]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (الفصلُ الثالثُ: في أنواعِ الشرورِ المُستعاذِ منها في هاتينِ السورتينِ.

الشَّرُّ الذي يُصيبُ العَبْدَ لا يَخلو من قِسْمَيْنِ: إمَّا ذنوبٌ وَقَعَتْ منه يُعاقَبُ عليها فيكونُ وُقوعُ ذلك بفِعْلِه وقَصْدِه وسَعْيِه، ويكونُ هذا الشرُّ هو الذنوبَ ومُوجباتِها، وهو أَعْظَمُ الشرَّيْنِ وأَدْوَمُهما وأَشَدُّهما اتِّصالاً بصاحبه.

وإما شَرٌّ واقعٌ به من غيرِه، وذلك الغيرُ: إمَّا مُكَلَّفٌ أو غيرُ مُكَلَّفٍ، والمُكَلَّفُ إمَّا نظيرُه، وهو الإنسانُ، أو ليس نظيرَه وهو الجِنِّيُّ، وغيرُ المُكَلَّفِ مِثْلُ الهوامِّ وذواتِ الحُمَى وغيرِها.

فتَضَمَّنَتْ هاتانِ السورتانِ الاستعاذةَ من هذه الشرورِ كلِّها بأَوْجَزِ لفظٍ وأَجْمَعِه وأَدَلِّه على المُرادِ وأَعَمِّه استعاذةً، بحيث لم يَبْقَ شَرٌّ من الشرورِ إلا دَخَلَ تحتَ الشرِّ المُستعاذِ منه فيهما.

فإنَّ سورةَ الفَلَقِ تَضَمَّنَت الاستعاذةَ من أمورٍ أربعةٍ: أحدُها شرُّ المخلوقاتِ التي لها شَرٌّ عمومًا، الثاني: شَرُّ الغاسقِ إذا وَقَبَ، الثالثُ: شرُّ النفَّاثاتِ في العُقَدِ، الرابعُ: شَرُّ الحاسدِ إذا حَسَدَ.

فنَتَكَلَّمُ عن هذه الشرورِ الأربعةِ ومَواقِعِها واتِّصالِها بالعَبْدِ والتحرُّزِ منها قبلَ وقوعِها، وبماذا تُدْفَعُ بعدَ وُقوعِها). [بدائع الفوائد: ٢/٢٠٤- ٢٠٥]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فَصْلٌ: والشَّرُّ المُستعاذُ منه نوعان:

أحدُهما: موجودٌ يُطْلَبُ رَفْعُه.

والثاني: معدومٌ يُطْلَبُ بَقاؤُه على العَدَمِ، وأن لا يُوجَدَ.

كما أنَّ الخيرَ المُطلَقَ نوعان:

أحدُهما موجودٌ: فيُطْلَبُ دوامُه وثَباتُه، وأن لا يُسْلَبَه.

والثاني: معدومٌ فيُطْلَبُ وُجودُه وحصولُه.

فهذه أربعةٌ هي أُمَّهَاتُ مَطَالِبِ السائلينَ من رَبِّ العالمينَ، وعليها مَدارُ طَلِبَاتِهِمْ.

---

(١) كذا في المطبوع، وهو مصحف من التمزيجات أو التمريحات.

وقد جاءتْ هذه المَطَالِبُ الأربعةُ في قولِه – تعالى – حكايةً عن دُعاءِ عِبادِه في آخرِ آلِ عِمرانَ في قولِهم: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا ﴾ [آل عمران: ١٩٣]

فهذا الطَّلَبُ لدَفْعِ الشرِّ الموجودِ، فإنَّ الذنوبَ والسيِّئاتِ شرٌّ كما تَقدَّمَ بيانُه، ثم قالَ: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾

فهذا طَلَبٌ لدَوامِ الخيرِ الموجودِ، وهو الإيمانُ حتى يَتوَفَّاهُم عليه، فهذان قِسمانِ.

ثم قالَ: ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾ فهذا طَلَبٌ للخيرِ المعدومِ أن يُؤتِيَهُم إيَّاهُ، ثم قالَ: ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣- ١٩٤] فهذا طَلَبٌ أن لا يُوقِعَ بهم الشَّرَّ المعدومَ وهو خِزْيُ يومِ القِيامةِ، فانْتَظَمَت الآيتان المَطالِبَ الأربعةَ أَحْسَنَ انتظامٍ، مُرَتَّبَةً أَحْسَنَ ترتيبٍ، قُدِّمَ فيها النوعان اللذان في الدنيا، وهما: المَغفرةُ ودَوامُ الإسلامِ إلى الموتِ، ثم أُتْبِعَا بالنوعينِ اللذينِ في الآخرةِ، وهما أن يُعْطَوا ما وُعِدُوه على السِنَةِ رُسُلِه، وأن لا يُخْزِيَهم يومَ القِيامةِ.

فإذا عُرِفَ هذا فقولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تَشَهُّدِ الخُطْبَةِ: «نَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا» يَتناوَلُ الاستعاذةَ من شَرِّ النفْسِ الذي هو مَعدومٌ، لكنه فيها بالقُوَّةِ فيَسألُ دَفْعَه وأن لا يُوجَدَ، وأمَّا قولُه: من «سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا» ففيه قولان:

أحدُهما: أنه استعاذةٌ من الأعمالِ السيِّئةِ التي قد وُجِدَتْ، فيكونُ الحديثُ قد تَناوَلَ نَوْعَي الاستعاذةِ من الشرِّ المعدومِ الذي لم يُوجَدْ، ومِن الشرِّ الموجودِ فطَلَبَ دفْعَ الأوَّلِ ورَفْعَ الثاني.

والقولُ الثاني: أنَّ سَيِّئَاتِ الأعمالِ هي عقوباتُها ومُوجِبَاتُها السيِّئةُ التي تَسُوءُ صاحبَها، وعلى هذا يكونُ من استعاذةِ الدَّفْعِ أيضًا لكنه دفْعُ المُسَبِّبِ، والأوَّلُ دَفْعُ السببِ، فيكونُ قَدِ استعاذَ من حُصولِ الألَمِ وأسبابِه.

- وعلى الأوَّلِ يكونُ إضافةُ السيِّئاتِ إلى الأعمالِ من بابِ إضافةِ النوعِ إلى جِنْسِه، فإنَّ الأعمالَ جِنْسٌ وسيِّئاتِها نوعٌ منها.

- وعلى الثاني يكونُ من بابِ إضافةِ المُسبِّبِ إلى سَبَبِه والمعلولِ إلى عِلَّتِه كأنه قالَ: من عُقوبةِ عَمَلِي.

والقولان مُحتَمَلان، فتَأَمَّلْ أيُّهما الْيَقُ بالحديثِ وأَوْلَى به، فإنَّ مع كلِّ واحدٍ منهما نَوعًا من الترجيحِ، فيَتَرَجَّحُ الأوَّلُ بأنَّ مَنشأَ الأعمالِ السيِّئةِ من شَرِّ النفسِ فشَرُّ النفْسِ يُوَلِّدُ الأعمالَ السيِّئةَ، فاستعاذَ من صِفةِ النفْسِ ومن الأعمالِ التي تَحْدُثُ عن تلك الصفةِ، وهذان جِماعُ الشرِّ، وأسبابُ كلِّ ألَمٍ، فمَتَى عُوفِيَ منهما عُوفِيَ من الشَّرِّ بحذافيرِه، ويَتَرَجَّحُ الثاني بأنَّ سَيِّئَاتِ الأعمالِ هي العُقوباتُ التي تَسوءُ العامِلَ، وأسبابَها شَرُّ النفْسِ، فاستعاذَ من العُقوباتِ والآلامِ وأسبابِها، والقولان في الحقيقةِ مُتلازمان، والاستعاذةُ من أحَدِهما تَستلْزِمُ الاستعاذةَ من الآخَرِ.

فصلٌ: ولَمَّا كان الشَّرُّ له سببٌ هو مَصْدَرُه، وله مَوْرِدٌ ومُنْتَهًى، وكان السببُ إمَّا من ذاتِ العَبْدِ وإمَّا من خَارِجٍ، ومَوْرِدُه ومُنْتَهاهُ إمَّا نفسُه وإمَّا غيرُه، كان هنا أربعةُ أُمورٍ:

شَرٌّ مَصْدَرُه من نفسِه ويَعودُ على نفسِه تارةً، وعلى غيرِه تارةً أُخرى.

وشَرٌّ مَصْدَرُه من غيرِه، وهو السبَبُ فيه، ويَعودُ على نفسِه تارةً وعلى غيرِه أخرى.

جَمَعَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه المَقاماتِ الأربعةَ في الدعاءِ الذي عَلَّمَه الصِّدِّيقَ أن يَقولَه إذا أَصْبَحَ، وإذا أَمْسَى، وإذا أَخَذَ مَضْجَعَه: «اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ».

فذَكَرَ مَصْدَرَي الشرِّ وهما: النفْسُ والشيطانُ، وذَكَرَ مَوْرِدَيْه ونِهايَتَيْهِ وهما عَوْدُه على النفْسِ أو على أَخيهِ المُسلِمِ، فجَمَعَ الحديثُ مَصادِرَ الشرِّ ومَوارِدَه في أَوْجَزِ لفْظٍ وأَخْصَرِه وأَجْمَعِه وأَبْيَنِه). [بدائع الفوائد: ٢/٢٠٧- ٢٠٩]

تعدد صفات المستعاذ به في سورة الناس وتوحيدها في الفلق

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (واعْلَمْ أَنَّ في هذه السُّورَةِ لَطِيفَةً أُخْرَى: وهي أَنَّ المُسْتَعَاذَ به في السورَةِ الأُولَى مَذْكورٌ بصِفَةٍ واحِدَةٍ وهي أَنَّه رَبُّ الفَلَقِ، والمُسْتَعَاذَ منه ثلاثَةُ أَنْواعٍ مِن الآفَاتِ، وهي الغَاسِقُ والنفَّاثَاتُ والحَاسِدُ، وأَمَّا في هذه السورَةِ فالمُسْتَعاذُ به مَذْكُورٌ بصِفَاتٍ ثَلاثَةٍ: وهي الرَّبُّ والمَلِكُ والإِلَهُ، والمُسْتَعَاذُ منه آفَةٌ واحِدَةٌ، وهي الوَسْوَسَةُ، والفَرْقُ بَيْنَ المَوْضِعَيْنِ أَنَّ الثَّنَاءَ يَجِبُ أَنْ يَتَقَدَّرَ بقَدْرِ المَطْلُوبِ، فالمَطْلُوبُ في السورَةِ الأُولَى سَلامةُ النَّفْسِ والبَدَنِ، والمَطْلُوبُ في السورَةِ الثانيةِ سَلامةُ الدِّينِ، وهذا تَنْبِيهٌ علَى أَنَّ مَضَرَّةَ الدِّينِ وإِنْ قَلَّتْ، أَعْظَمُ مِن مَضَارِّ الدُّنيا وإِنْ عَظُمَتْ). [التفسير الكبير: ٣٢/١٨٢]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (واعْلَمْ أنَّ المُسْتَعاذَ بهِ مَذْكورٌ في السورةِ الأُولَى بصِفَةٍ وَاحِدَةٍ، وهو أَنَّه رَبُّ الفَلَقِ. والمُسْتَعاذَ منه ثَلاثَةُ أنواعٍ مِن الآفاتِ: الغَاسِقُ، والنَّفَّاثاتُ، والحاسِدُ.

وأَمَّا في السورةِ الثانيةِ فالمُستعاذُ به مَذْكورٌ بصِفاتٍ ثَلاثٍ: وهي الربُّ والمَلِكُ والإِلَهُ، والمُستعاذُ منه آفَةٌ واحِدَةٌ، وهي الوَسْوسَةُ.

وفيهِ إِشارةٌ إلى أنَّ حِفْظَ النفسِ والدِّينِ أهمُّ من حفظِ البَدَنِ، بل الثاني مَطلوبٌ بالغَرَضِ، والأولُ مَقصودٌ بالذاتِ). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٦]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنُ جَمَاعَةَ الكِنَانِيُّ (ت: ٧٣٣هـ): (مسألةٌ: قولُه تعالى: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ إلى آخِرِ السورةِ، المُسْتعاذُ به في هذه ثلاثُ صِفاتٍ، والمُسْتَعاذُ منه شَيْءٌ واحِدٌ، وهو الوَسْوَسَةُ.

وفي سُورةِ الفَلَقِ: المُسْتعاذُ به بصِفَةٍ واحِدَةٍ، والمُسْتَعَاذُ منهُ أربعةُ أشياءَ؟

جَوابُه: أنَّ البناءَ على المطلوب منه يَنْبَغِي أنْ يَكُونَ بقَدْرِ المَسْئُولِ، والمطلوبُ في سورةِ الناسِ سَلامةُ الدِّينِ من الوَسْوَسَةِ القادحةِ فيه.

وفي سُورةِ الفَلَقِ: تَتَعَلَّقُ بالنفسِ والبَدَنِ والمالِ، وسلامةُ الدِّينِ أَعْظَمُ وأَهَمُّ، ومَضَرَّتُه أعظمُ من مَضَرَّةِ الدنيا). [كشف المعاني: ٤٣٣- ٤٣٤]

قالَ أَبُو حيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَلَمَّا كَانَتْ مَضَرَّةُ الدينِ - وَهيَ آفةُ الوسوسةِ- أَعْظَمَ مِنْ مَضَرَّةِ الدنيا، وَإِنْ عَظُمَتْ، جاءَ البناءُ في الاستعاذةِ منها بصفاتٍ ثلاثٍ: (الربِّ وَالمَلِكِ وَالإِلَهِ) وَإِنِ اتَّحَدَ المطلوبُ، وَفِي الاستعاذةِ مِنْ ثلاثٍ (الغَاسِقِ وَالنَّفَّاثَاتِ وَالحَاسِدِ) بصفةٍ وَاحدةٍ وَهيَ الربُّ وَإِنْ تَكَثَّرَ الذي يُسْتَعَاذُ منهُ). [البحر المحيط: ٧٦٥/٨]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): ((لطيفةٌ) نختمُ بها كما ختَمَ بها الفخرُ الرَّازيُّ رحمَهُ اللَّهُ تَعَالَى تفسيرَهُ وهيَ أنَّ المستعاذَ بهِ في السورةِ الأُولَى مذكورٌ بصفةٍ واحدةٍ وهيَ أنَّهُ ربُّ الفلقِ، والمستعاذُ منهُ ثلاثةُ أنواعٍ منَ الآفاتِ وهيَ الغاسقُ والنَّفَّاثاتُ والحاسدُ، وأما في هذهِ السورةِ فالمستعاذُ بهِ مذكورٌ بصفاتٍ ثلاثٍ وهيَ الرَّبُّ والمَلِكُ والإلهُ، والمستعاذُ منهُ آفةٌ واحدةٌ وهيَ الوسوسةُ، والفرقُ بينَ الموضعينِ أنَّ الثَّناءَ يجبُ أنْ يُقَدَّرَ بقَدْرِ المطلوب فالمطلوبُ في السُّورةِ الأُولَى سلامةُ النَّفْسِ والبدنِ، والمطلوبُ في السُّورةِ الثَّانيةِ سلامةُ الدِّينِ. وهَذَا تنبيهٌ على أنَّ مَضَرَّةَ الدِّينِ وإنْ قلَّتْ أعظمُ مِنْ مضارِّ الدُّنيا وإنْ عَظُمَتْ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٦- ٦١٧]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (وفي هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ لَطِيفَةٌ وهِيَ أَنَّ المُسْتَعَاذَ بهِ فِي السُّورَةِ الأُولَى مَذْكُورٌ بصِفَةٍ وَاحِدَةٍ، وهِيَ أَنَّهُ رَبُّ الفَلَقِ والمُسْتَعَاذَ مِنْهُ ثَلاثَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الآفَاتِ: وهِيَ الغَاسِقُ، والنَّفَّاثَاتُ، والحَاسِدُ. أَمَّا فِي هَذِهِ السُّورَةِ المُسْتَعَاذُ بهِ مَذْكُورٌ بصِفَاتٍ ثَلاثَةٍ: وهِيَ الرَّبُّ والمَلِكُ والإِلَهُ والمُسْتَعَاذُ مِنْهُ آفَةٌ وَاحِدَةٌ، وهيَ الوَسْوَسَةُ، والفَرْقُ بَيْنَ المَوْضِعَيْنِ أَنَّ الثَّنَاءَ يَجِبُ أَنْ يَتَقَدَّرَ بقَدْرِ المَطْلُوب، فالمَطْلُوبُ فِي السُّورَةِ الأُولَى: سَلامَةُ النَّفْسِ والبَدَنِ، والمَطْلُوبُ فِي السُّورَةِ الثَّانِيَةِ: سَلامَةُ الدِّينِ. وهذَا تَنْبيهٌ عَلَى أَنَّ مَضَرَّةَ الدِّينِ وإِنْ قَلَّتْ أَعْظَمُ مِنْ مَضَارِّ الدُّنْيَا وإِنْ عَظُمَتْ. واللَّهُ أَعْلَمُ ولاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ باللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ). [مراح لبيد: ٦٨٤/٢]

فوائد

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وقدْ قَدَّمْنَا في سورةِ الفلقِ ما وَرَدَ في سبب نزولِ هذهِ السورةِ وَما وَرَدَ في فَضْلِهَا فارْجِعْ إليهِ.

وَأَتَى الحافِظُ ابنُ القَيِّمِ في البدائع بفوائدَ بَدِيعَةٍ كَثِيرَةٍ تَتَعَلَّقُ بالمُعَوذَتَيْنِ، وكَتَبَ عشرينَ ورقةً في بيانِ ذلكَ لا يَتَّسِعُ هذا المقامُ لِبَسْطِهَا إِنْ شِئْتَ فَرَاجِعْهُ) [فتح البيان: ٤٦٣/١٥]

قلت: (قد أوردتُ ما كتبَه ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ عنِ المعوِّذتينِ فِي بدَائِعِ الفَوائِدِ وَفِي كُتُبِهِ الأُخْرَى فِي هـذَا الكِتَاب مُفَرَّقًا على المسَائِلِ، وَللهِ الحمدُ وَالمنَّةُ).

تَفسِيرُ سُورةِ الفلق

المقدمات

أسماء السورة

قالَ مُحمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (سَمَّى النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ هذه السُّورَةَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ روى النَّسَائِيُّ عن عُقبةَ بنِ عامرٍ قالَ: اتَّبَعْتُ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ وهو راكِبٌ، فوَضَعْتُ يَدِي على قَدَمِه فقُلْتُ: أَقْرِئْنِي يا رسولَ اللهِ سُورةَ هُودٍ وسُورةَ يُوسُفَ؛ فقالَ: «لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللهِ مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾».

وهذا ظاهِرٌ في أنه أَرادَ سُورةَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾؛ لأنه كانَ جَوَابًا على قَوْلِ عُقْبَةَ: أَقْرِأْنِي سُورةَ هودٍ...إلخ، ولأنه عَطَفَ على قولِه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ قولَه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾، ولم يُتِمَّ سورةَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾.

عَنْوَنَها البخاريُّ في صَحيحِه سُورةَ قُلْ أَعوذُ برَب الفَلَقِ، بإضافَةِ سُورةٍ إلى أوَّلِ جُملةٍ منها.

وجاءَ في بعضِ كلامِ الصحابَةِ تَسمِيَتُها مع سُورَةِ الناسِ (المُعَوِّذَتَيْنِ).

روى أبو داوُدَ والتِّرمِذِيُّ وأحْمَدُ عن عُقبةَ بنِ عامرٍ قالَ: (أَمَرَنِي رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ أنْ أَقرأَ بالمُعَوِّذاتِ). بكسْرِ الواوِ المُشَدَّدَةِ، وبصِيغةِ الجمْعِ بتأويلِ الآياتِ المُعَوِّذاتِ، أيْ: آياتِ السُّورَتَيْنِ. وفي روايةٍ: بالمُعَوِّذَتَيْنِ في دُبرِ كلِّ صلاةٍ. ولم يَذكُرْ أحَدٌ مِنَ المُفَسِّرينَ أنَّ الواحدةَ منهما تُسَمَّى المُعَوِّذَةَ بالإفرادِ، وقد سَمَّاهَا ابنُ عَطِيَّةَ سُورَةَ المعَوِّذَةِ الأُولَى، بإضافَةُ (سُورَةٍ) إلى (المُعَوِّذَةِ) مِن إضافةِ المسمَّى إلى الاسمِ، ووَصْفُ السُّورَةِ بذلك مَجازٌ يَجْعَلُها كالذي يَدُلُّ الخائِفَ على المكان الذي يَعْصِمُه مِن مُخِيفِه، أو كالذي يَدْخُلُه المُعاذُ.

وسُمِّيَتْ في أَكْثَرِ المَصاحِفِ ومُعظَمِ كُتُبِ التفسيرِ (سُورَةَ الفَلَقِ).

وفي الإتقانِ: أنها وسُورةَ الناسِ تُسَمَّيَانِ المُشَقْشِقَتَيْنِ، بتقديمِ الشينَيْنِ على القافَيْنِ، مِن قولِهم: خطيبٌ مُشَقْشِقٌ. اهـ. أيْ: مستَرْسِلُ القَوْلِ؛ تَشبيهًا له بالفَحْلِ الكريمِ مِنَ الإبلِ، يَهْدِرُ بشِقْشِقَةٍ، وهي كاللحْمِ يَبْرُزُ مِن فيه إذا غَضِبَ، ولم أُحَقِّقْ وَجْهَ وَصْفِ المُعَوِّذَتَيْنِ بذلك.

وفي (تفسيرِ القُرْطُبيِّ) و(الكَشَّافِ) أنها وسُورةَ الناسِ تُسَمَّيَانِ المُقَشْقِشَتَيْنِ، بتقديمِ القافِ على الشِّينَيْنِ، زادَ القُرْطُبيُّ: أيْ تُبَرِّئَانِ مِنَ النِّفاقِ. وكذلك قالَ الطِّيبيُّ، فيَكونُ اسمُ المُقَشْقِشَةِ مُشتَرَكًا بينَ أربعِ سُوَرٍ: هذه، وسُورةِ الناسِ، وسُورَةِ بَراءَةٍ، وسُورَةِ الكافرونَ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٣- ٦٢٤]

الاسم الأول: سورة {قل أعوذ برب الفلق}

قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ يَحْيَى بْنِ المُبَارَكِ اليَزِيدِيُّ (ت: ٢٣٧هـ): (سُورَةُ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾) [غريب القرآن وتفسيره: ٤٤٧]

قال محمدُ بنُ إسماعيلَ البخاريُّ (ت: ٢٥٦هـ): (سورةُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾). [صحيح البخاري: ٣١١/٥]

- قال محمودُ بنُ أحمدَ بن موسى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): ((سُورَةُ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾) أَيْ: هَذَا فِي تَفْسِيرِ بَعْضِ شَيْءٍ مِنْ سُورَةِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ: "سُورَةُ" وَفِي بَعْضِهَا سُورَةُ الفَلَقِ). [عمدة القاري: ١٠/٢٠]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنُ أَبِي زَمَنِينَ (ت: ٣٩٩هـ): (تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾) [تفسير القرآن العزيز: ١٧٤/٥]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾). [النهر الماد: ١٣١٩]

قال أحمدُ بنُ عَلَيِّ بنِ حجرٍ العَسْقَلانيُّ (ت: ٨٥٢هـ): (قولُهُ: (سُورَةُ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾). [فتح الباري:]

قالَ محمودُ بنُ أحمدَ بنِ مُوسَى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): (و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ مَدَنِيَّةٌ). [شرح سنن أبي داود: ٣٧٨/٥- ٣٧٩]

قالَ جلالُ الدين عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أبي بكرِ السيوطيُّ (ت: ٩١١هـ): (تفسيرُ سورةِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾). [التَّوْشِيحُ: ٣١٦٢/٧]

الاسم الثاني: سورة الفلق

قالَ يَحيَى بْنُ زِيادٍ الفَرَّاءُ: (ت: ٢٠٧هـ): (ومِن سُورةِ الفَلَقِ) [معاني القرآن: ٣٠١/٣]

قالَ أَبو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ المُثَنَّى التَّيْمِيُّ (ت: ٢١٠هـ): (سورةُ الفَلَقِ) [مجاز القرآن: ٣١٧/٢]

قالَ الأَخْفَشُ سَعِيدُ بْنُ مَسْعَدَةَ البَلْخِيُّ (ت: ٢١٥هـ): (ومِن سُورةِ الفَلَقِ) [معاني القرآن: ٥٤٩/٢]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٢٧٦هـ): (سورةُ الفَلَقِ) [تفسير غريب القرآن: ٥٤٣]

قالَ هُودُ بْنُ مُحَكَّمٍ الهواريُّ (ت: ق٣): (تفسيرُ سورةِ الفَلَقِ) [تفسير كتاب الله العزيز: ٥٤٤/٤]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبٍ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٣٠٨هـ): (ومِنْ سُورَةِ الفَلَقِ) [الواضح: ٥٢٧/٢]

قال مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (تَفْسِيرُ سُورَةِ الفلقِ) [جامع البيان: ٧٤١/٢٤]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الفَلَقِ). [جامع البيان: ٧٥٢/٢٤]

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ السَّرِيِّ الزَّجَّاجُ (ت: ٣١١هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ) [معاني القرآن وإعرابه: ٣٧٩/٥]

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ مُجَاهِدٍ (ت: ٣٢٤هـ): (ذِكْرُ اخْتِلافِهِمْ فِي سُورَةِ الفَلَقِ) [السبعة في القراءات: ٧٠٣]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النحَّاسُ (ت: ٣٣٨هـ): (شَرْحُ إعراب سُورَةِ الفَلَقِ) [إعراب القرآن: ٥/٣١٣]

قَالَ غُلامُ ثَعْلَبٍ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ البَغْدَادِيُّ (ت: ٣٤٥هـ): (ومِن سُورةِ الفَلَقِ) [تفسير غريب القرآن: ٦٠٩]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الجَصَّاصُ (ت: ٣٧٠هـ): (وَمِنْ سُورَةِ الفَلَقِ) [أحكام القرآن: ٣/٦٤٨]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الأَزْهَرِيُّ (ت: ٣٧٠ هـ): (سورة الفَلَقِ) [علل القراءات:٨٠٩]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ):(ومن سورةِ الفَلَقِ) [الحجة:٣٧٨]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (شَوَاذُّ سُورَةِ الفَلَقِ) [مختصر شواذ القراءات:١٨٣]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (وَمن سُورَةِ الفَلَقِ) [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٢]

قَالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ) [بحر العلوم: ٣/٥٢٦]

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الفَارِسِيُّ (ت: ٣٧٧هـ): (ذِكْرُ اخْتِلافِهِمْ فِي سُورَةِ الفَلَقِ). [الحجة في علل القراءات السبع: ٤٦٦]

قَالَ عَبْدُ المُنْعِمِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ غَلْبُونَ (ت: ٣٨٩هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ) [التذكرة:٦٥٣]

قال محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الحاكمُ النَّيْسابوريُّ (ت: ٤٠٥هـ): (تَفْسِيرُ سُورَةِ الفَلَقِ). [المستدرك: ٢/٥٤٠]

قَالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ محمدُ بنُ الحُسَيْنِ الموسَوِيُّ (ت: ٤٠٦هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ). [تلخيص البيان: ٣٤٠]

قَالَ هِبَةُ اللهِ بنُ سَلامَةَ بنِ نَصْرٍ المُقْرِي (ت: ٤١٠ هـ): (سورةُ الفَلَقِ). [الناسخ والمنسوخ لابن سلامة: ٢٠٨]

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (سورةُ الفَلَقِ) [الكشف والبيان: ١٠/٣٣٧]

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (سورةُ الفَلَقِ والناسِ (المُعَوِّذَتَيْنِ) [الكشف والبيان: ١٠/٣٣٧]

قَالَ مَكِّيُّ بْنُ أَبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (وَسُورَةُ "الفَلَقِ" خَمْسُ آيَاتٍ). [الكشف:٣٨٩]

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (تَفْسِيرُ مُشْكِلِ إِعْرَابِ سُورَةِ الفَلَقِ) [مشكل إعراب القرآن: ٢/ ٣٩١]

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ) [العمدة في غريب القرآن: ٣٦١]

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (الفَلَقُ) [تفسير المشكل من غريب القرآن: ٣٠٩]

قَالَ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إبْرَاهِيمَ البَغْدَادِيُّ (ت: ٤٣٨هـ): (سُورَةُ الإِخْلاصِ وَالفَلَقِ). [الروضة:١٠٠٣]

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: ٤٤٤هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ) [المكتفى: ٢٤٤]

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: ٤٤٤هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ). [البيان:٢٩٧]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ) [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٣]

قَالَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الأَهْوَازِيُّ (ت: ٤٦٦هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ). [الوجيز:٣٩١]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ) [الوجيز: ٢/١٢٤٢]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (تَفْسِيرُ سُورَةِ الفَلَقِ) [الوسيط: ٤/٥٧٢]

قَالَ عَبْدُ الكَرِيمِ بنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الطَّبَرِيُّ (ت: ٤٧٨هـ): (الفَلَقُ). [التلخيص:٤٨٧]

قالَ أَبُو المُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (تفسيرُ سورةِ الفلق) [تفسير القرآن: ٦/٣٠٥]

قالَ إلكِيَا الهَرَّاسِيُّ عِمادُ الدِّينِ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّبَرِيُّ (ت:٥٠٤ هـ) : (سورةُ الفَلَق) [أحكام القرآن: ٤/٤٣٣]

قَالَ الحَسَنُ بْنُ خَلَفٍ ابنُ بِلِّيمَةَ الهَوَّارِيُّ (ت: ٥١٤هـ): (سورَةُ الفَلَق وسُورَةُ النَّاسِ). [تلخيص العبارات:١٦٤]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (سورةُ الفَلَق) [معالم التنزيل: ٧٢٣]

قَالَ مَحْمُودُ بنُ حَمْزَةَ بنِ نَصْرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (سُورَةُ الفَلَق) [غرائب التفسير: ٢/١٤١١]

قَالَ مَحْمُودُ بنُ حَمْزَةَ بنِ نَصْرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (سُورَةُ الفَلَق) [البرهان: ٣٧١]

قَالَ قِوَامُ السُّنَّةِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَصْبَهَانِيُّ (ت: ٥٣٥هـ) (فيما نُسِبَ إليه): (وَمِنْ سُورَةِ الفَلَقِ) [إعراب القرآن: ٥٦٥]

قَالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (سورةُ الفَلَق) [الكشاف: ٦/٤٦٤]

قَالَ سِبْطُ ابْنِ الخَيَّاطِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ البَغْدَادِيُّ (ت: ٥٤١هـ): (سُورة الفَلَقِ والناسِ). [الاختيار:٨١٠]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنُ العَرَبِيِّ (ت: ٥٤٣هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ وَالنَّاسِ) [أحكام القرآن: ٤/١٩٩٦]

قال محمدُ بنُ عبدِ اللهِ ابنُ العربيِّ (ت: ٥٤٣هـ): (ومِنْ سُورَةِ الفَلَقِ والنَّاسِ). [عارضة الأحوذي: ١١/٢٦٠]

قَالَ عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ الأَصْبَهَانِيُّ البَاقُولِيُّ (ت: ٥٤٣هـ): (سُورَةُ الفَلَق) [كشف المشكلات: ٢/١٤٩٥]

قَالَ عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِب بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (سورةُ الفَلَق). [المحرر الوجيز: ١٥/٦٠٧]

قَالَ عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِب بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (تفسيرُ سورةِ الفَلَق). [المحرر الوجيز: ١٥/٦٠٧]

قَالَ عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِب بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (كَمُلَ تفسيرُ سورةِ الفَلَق). [المحرر الوجيز: ١٥/٦١٢]

قَالَ مَحْمُودُ بنُ أَبِي الحَسَنِ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٥٥٥هـ): (سُورَةُ الفَلَق) [إيجاز البيان: ٢/٣٤١]

قَالَ نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ ابنُ أبي مَرْيَمَ (ت: ٥٦٥هـ): (سُورَةُ الفَلَق). [الموضح:١٤١٦]

قَالَ ابنُ الأَبْزَارِيِّ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ الغَافِقِيُّ (ت: ٥٦٥هـ): (الفَلَقُ). [رواية أبي عمرو بن العلاء:٢١٥]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَبي نَصْرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٧٠ هـ): (سورَةُ الفَلَق). [شواذ القراءات:٥٢٧]

قَالَ أَبُو البَرَكَاتِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَنْبَارِيُّ (ت: ٥٧٧هـ): (غَرِيبُ إِعْرَاب سُورَةِ الفَلَق) [البيان: ٥٤٨]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَبْدِ اللهِ السُّهَيْلِيُّ (ت:٥٨١هـ): (وَمِنْ سُورَةِ الفَلَق) [التعريف والإعلام: ١٨٩]

قَالَ أبو الفرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (سورةُ الفَلَق) [زاد المسير: ٩/٢٧٠]

قَالَ أَبُو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الْجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (سورةُ الفَلَق) [تذكرة الأريب: ٣٢٣]

قَالَ شِيثُ بنُ إبراهيمَ بنِ حَيْدَرَةَ ابْنُ الحاجِّ القِفْطِيُّ (ت: ٥٩٨هـ): (سُورَةُ الفَلَق). [حز الغلاصم في إفحام المخاصم: ١٠٧ - ١٠٨]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (سُورَةُ الفَلَق) [التفسير الكبير: ٣٢/١٧١]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (الفَلَق) [التبيان: ٢/ ٤٨٤]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (سُورَةُ الفَلَق) [إعراب القراءات الشواذ: ٢/ ٧٥٨]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ) [إملاء ما من به الرحمن: ٢/ ٢٦٧]

قَالَ حُسَيْنُ بنُ أَبي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (إعرابُ سورةِ الفَلَقِ) [الفريد: ٧٥١/٤]

قَالَ عَلَمُ الدِّينِ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ السَّخَاوِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): ([سُورَةُ] الفَلَقِ) [أقوى العدد: ٢٣٠]

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (سورةُ الفَلَقِ) [تفسير القرآن: ٥٠٩/٣]

قَالَ زَيْنُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أبي بَكْرٍ الرَّازِيُّ (ت: ٦٦٦هـ): (سورةُ الفَلَقِ) [غرائب التنزيل: ٦٠١]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (تفسيرُ سورةِ الفَلَقِ) [الجامع لأحكام القرآن: ٢٥١/٢٠]

قَالَ ابنُ المُنَيِّرِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ الإِسْكَنْدَرَانِيُّ (ت: ٦٨٣هـ): (تَفْسِيرُ غريب سُورةِ الفَلَقِ) [التيسير العجيب: ٢٣٥]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ) [أنوار التنزيل: ١١٧٩/٢]

قَالَ الدِّيرِينِيُّ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ سَعِيدٍ الدَّمِيرِيُّ (ت: ٦٩٧هـ) : (سُورَةُ الفَلَقِ) [التيسير: ٣٥١]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ الثَّقَفِيُّ (ت: ٧٠٨هـ): (سورةُ الفَلَقِ) [البرهان: ٢٤٧]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ بنِ الزُّبَيْرِ الغِرْنَاطِيُّ (ت:٧٠٨هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ). [ملاك التأويل:]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ) [مدارك التنزيل:٢٠١٣/٣]

قَالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (سُورةُ الفَلَقِ) [لباب التأويل: ٤٩٩/٤]

قَالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (سورةُ الفَلَقِ) [غرائب القرآن: ٢٢٣/٣٠]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنُ جَمَاعَةَ الكِنَانِيُّ (ت: ٧٣٣هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ) [كشف المعاني:٤٣١]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيٍّ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (سورةُ الفَلَقِ) [التسهيل: ٢٢٥]

قَالَ عَبْدُ البَاقِي بْنُ عَبدِ المَجِيدِ القُرَشِيُّ اليَمَانِيُّ (ت: ٧٤٣هـ): (سورةُ الفَلَقِ) [الترجمان: ٢٣٤]

قَالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (سورةُ الفَلَقِ) [البحر المحيط: ٧٥٩/٨]

قَالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ) [النهر الماد: ١٣١٩]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُثْمَانَ التُّرْكُمَانِيُّ (ت: ٧٥٠هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ) [بهجة الأريب: ٢٥٦]

قَالَ السَّمِينُ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الحَلَبِيُّ (ت: ٧٥٦هـ): (سورةُ الفَلَقِ) [الدر المصون: ١٥٧/١١]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ سُلَيْمَانَ بْنِ رَيَّانَ (ت: ٧٧٠هـ): (سورةُ الفَلَقِ) [الروض الريان: ٦٤٨/٣]

قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (تَفْسِيرُ سُورَةِ الفَلَقِ) [تفسير القرآن العظيم: ٣٩٠٢/٨]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ البَلَنْسِيُّ (ت: ٧٨٢هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ) [صلة الجمع:٧٥٩]

قال محمدُ بنُ يوسف بنِ علي الكِرْمانيُّ (ت: ٧٨٦هـ): (سُورةُ الفَلَقِ). [شرح الكرماني: ٢١٨/١٧]

قَالَ ابْنُ المُلَقِّنِ عُمَرُ بنُ عَلِيٍّ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٨٠٤هـ): (سورةُ الفَلَقِ) [تفسير غريب القرآن: ٦٠٣]

قَالَ ابنُ الهائِمِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِمَادٍ القَرَافِيُّ (ت: ٨١٥هـ): (سورةُ الفَلَقِ) [التبيان: ٣٥٥]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ خَلِيلِ القبَاقِبِيُّ (ت: ٨٤٩هـ): ([سورةُ الفَلَقِ]). [إيضاح الرموز:٧٣٧]

قال أحمدُ بنُ عَلَيٍّ بنِ حجرٍ العَسْقَلانيُّ (ت: ٨٥٢هـ): (وتُسَمَّى أيضًا سُورَةَ الفَلَق). [فتح الباري: ٧٤١/٨]

قالَ جَلالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ المَحَلِّيُّ (ت: ٨٦٤هـ): (سورةُ الفَلَق) [تفسير الجلالين: ٦٠٤]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبِيُّ (ت: ٨٧٥ هـ): (تَفْسِيرُ سُورَةِ الفلق) [الجواهر الحسان: ٦٤٠/٥]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (سُورَةُ الفَلَق) [اللباب: ٥٦٨/٢٠]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (سورةُ الفَلَق) [نظم الدرر: ٦٠٣/٨]

قَالَ عُمَرُ بْنُ قَاسِمٍ النَّشَّارُ (ت: ٩٣٨هـ): (سورةُ الفَلَق). [البدور الزاهرة:٤٦٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الإِيجِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت: ٩٠٥ هـ): (سورةُ الفَلَق) [جامع البيان: ٥٤٥/٤]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (سورةُ الفَلَق) [إرشاد العقل السليم: ٢١٤/٧]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (سُورَةُ الفَلَق) [الدر المنثور: ٧٨٤/١٥]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت:٩١١هـ): (سورةُ الفَلَق) [مفحمات الأقران:٢١٦]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ): (سُورَةُ الفَلَق) [الإكليل: ١٣٥٦/٣]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبي بَكرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ): (سورةُ الفَلَقِ والناسِ). [تناسق الدرر:١٨٨]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت:٩١١هـ): (سورةُ الفَلَق) [مفحمات الأقران:٢١٦]

قَالَ زَكَرِيَّا بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٩٢٦هـ): (سُورَةُ الفَلَق). [فتح الرحمن:٤٩٩]

قَالَ زَكَرِيَّا بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٩٢٦هـ): (سُورةُ الفَلَق) [المقصد:١١٥]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (سورةُ الفلق) [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١١]

قال عبدُ الرؤوفِ بنُ تاجِ العارفينَ المُناويُّ (ت: ١٠٣١هـ): (سورةُ الفَلَق). [الفتح السماوي: ١١٣٩/٣]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ الكَرِيمِ الأَشْمُونِيُّ (ت: ق١١هـ): (الفَلَقِ وَالنَّاسِ). [منار الهدى:٣١٠ (م)]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ البَنَّاءُ الدِّمْيَاطِيُّ (ت: ١١١٧هـ): (سُورَةُ الفَلَق). [إتحاف فضلاء البشر: ٦٣٨]

قَالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَاقِسِيُّ (ت: ١١١٨هـ): (سُورَةُ الفَلَق). [غيث النفع:٦٦٢]

قَالَ المُؤَذِّنُ عَبْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ اللهِ بن سَلامَةَ الإِدْكَاوِيُّ (ت: ١١٨٤هـ): (سُورَةُ الفَلَق). [ترويح أولي الدماثة: ٢٧٨/٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ التَّمِيمِيُّ (ت: ١٢٠٦ هـ): (تَفْسِيرُ سُورَةِ الفَلَق). [مجموع مؤلفاته/التفسير: ٢٨٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (تَفْسِيرُ سورةِ الفلق) [فتح القدير: ٧٥٥/٥]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (سورةُ الفَلَق) [روح المعاني: ٢٧٨/٢٩]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (سورةُ الفَلَق) [فتح البيان: ٤٥٣/١٥]

قَالَ رِضْوانُ بنُ مُحَمَّدٍ المُخَلِّلاتِيُّ (ت: ١٣١١هـ): (سُورَةُ الفَلَق). [القول الوجيز:٣٦٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (سُورَةُ الفَلَق) [مراح لبيد: ٦٨١/٢]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (سُورَةُ الفَلَق) [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٤]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ) [تفسير المراغي: ٣٠/٢٦٦]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ نَاصِرٍ السّعْدِيُّ (ت: ١٣٧٦هـ): (تَفْسِيرُ سورةِ الفَلَقِ) [تيسير الكريم الرحمن: ٤/٢٠٠١]

قَالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ) [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٣]

قَالَ عَبْدُ الفَتَّاحِ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ القَاضِي (ت: ١٤٠٣هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ). [البدور الزاهرة: ٣٤٧]

الاسم الثالث: السورة التي يذكر فيها الفلق

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ (ت: ٢٨٣هـ): (السُّورَةُ التَّي يُذْكَرُ فِيهَا الفَلَقُ) [تفسير التستري: ٢٠٩]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزآبادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (وَمِنَ السُّورَةِ الَّتِي يَذْكُرُ فِيهَا الفَلَقَ) [تنوير المقباس: ٦٠٤]

نزول السورة

الخلاف في كونها مكية أو مدنية

قلت: (سبق الكلام عن هذه المسألة عند الكلام عن نزول المعوذتين فقد نزلتا جميعًا، وإنما أفردت هنا الكلام المفرد عن سورة الفلق).

قَالَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ البَلْخِيِّ (ت:١٥٠هـ): (مَكِّيَّةٌ) [تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٣٧]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ كَثِيرٍ العَبْدِيُّ (ت: ٢٢٣ هـ): (حَدَّثَنَا هَمَّامٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: (البَقَرَةُ وآلُ عِمْرَانَ والنِّسَاءُ والمائِدَةُ والأَنْفَالُ وَبرَاءَةٌ والرَعْدُ والنَّحْلُ والحِجْرُ والنُّورُ والأَحْزَابُ ومُحَمَّدُ وَالفَتْحُ والحُجُرَاتُ والرَّحْمَنُ والحَدِيدُ إِلَى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم] عَشْرٌ مُتَوالِيَاتٌ، وَ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ [الزلزلة] وَ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ [النصر] قال: هَذَا مَدَنِيٌّ، وَسَائِرُ القُرْآنِ مَكِّيٌّ). [الناسخ والمنسوخ لقتادة: ٥٥]

قَالَ هُودُ بْنُ مُحكَّمٍ الهواريُّ (ت: ق٣): (وهي مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا) [تفسير كتاب الله العزيز: ٤/٥٤٤]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبٍ الدِّينَورِيُّ (ت: ٣٠٨هـ): (وهي كُلُّها مَدَنِيَّةٌ) [الواضح: ٢/٥٢٧]

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ السَّرِيِّ الزَّجَّاجُ (ت: ٣١١هـ): (مَكِّيَّةٌ) [معاني القرآن وإعرابه: ٥/٣٧٩]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النَّحَّاسُ (ت: ٣٣٨ هـ): (حدَّثَنَا يَمُوتُ بِإِسْنَادِهِ عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ...أَنَّ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النصر] إِلَى آخِرِ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ مَدَنِيَّةٌ). [الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٣/١٥٣]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النَّحَّاسُ (ت: ٣٣٨ هـ): (قَالَ كُرَيْبٌ: (وجَدْنَا فِي كِتَابِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مِن سُورَةِ القَدْرِ إِلَى آخِرِ القُرْآنِ مَكِّيَّةٌ إِلاَّ ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾، و﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾، و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ فإنَّهُنَّ مَدَنِيَّاتٌ)). [الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٣/١٥٣] (م)

قَالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (مَكِّيَّة) [بحر العلوم: ٣/٥٢٦]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (مُختَلَفٌ فيها) [بحر العلوم: ٣/٥٢٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنُ أَبي زَمَنِينَ (ت: ٣٩٩هـ): (وَهِيَ مَكِّيَّةٌ كلُّهَا فِي قَوْلِ قَتَادَةَ، وبَعْضُهم يَقُولُ: مَدَنِيَّةٌ). [تفسير القرآن العزيز: ٥١٧٤/]

قَالَ هِبَةُ اللهِ بنُ سَلامَةَ بن نَصرٍ المُقرِي (ت: ٤١٠ هـ): (سورةُ الفَلَقِ نزَلَتْ بالمدينةِ، وقيلَ: بمَكَّةَ، واللهُ أَعْلَمُ). [الناسخ والمنسوخ لابن سلامة: ٢٠٨]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (مَدَنِيَّةٌ) [الكشف والبيان: ١٠/٣٣٧]

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: ٤٤٤هـ): (مَدَنِيَّةٌ، هذا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَعَطَاءٍ، وقال قَتَادَةُ: مَكِّيَّةٌ، وقَدْ ذَكَرَ نَظِيرَتَهَا فِي جَمِيعِ العَدَدِ). [البيان:٢٩٧]

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (مَكِّيَّةٌ في قولِ الحَسَنِ وعِكْرِمَةَ وعَطاءٍ وجابرٍ، ومَدَنِيَّةٌ في أَحَدِ قَوْلَي ابنِ عبَّاسٍ وقَتادةَ) [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٣]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (مَكِّيَّةٌ) [الوسيط: ٤/٥٧٢]

قَالَ عَبْدُ الكَرِيمِ بنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الطَّبَرِيُّ (ت: ٤٧٨هـ): (مَدَنِيَّةٌ). [التلخيص:٤٨٧]

قالَ أَبُو المُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (وهي مَكِّيَّةٌ) [تفسير القرآن: ٦/٣٠٥]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (مَدَنِيَّةٌ) [معالم التنزيل: ٧٢٣]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (مَكِّيَّةٌ، وقِيلَ: مدنيَّةٌ) [الكشاف: ٦/٤٦٤]

قالَ عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِب بن عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (مَكِّيَّةٌ). [المحرر الوجيز: ١٥/٦٠٧]

قالَ عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِب بن عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (هذه السورةُ قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: هي مدنيةٌ. وقالَ قَتَادَةُ: هي مَكِّيَّةٌ). [المحرر الوجيز: ١٥/٦٠٧]

قَالَ ابنُ الأَبْزَارِيِّ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ الغَافِقِيُّ (ت: ٥٦٥هـ): (مَدَنِيَّةٌ). [رواية أبي عمرو بن العلاء:٢١٥]

قَالَ أبو الفرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (وفيها قولانِ:

أحدُهما: مَدَنِيَّةٌ، رواهُ أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ قتادةُ في آخَرِينَ.

والثاني: مَكِّيَّةٌ، رواهُ كُرَيبٌ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ الحسَنُ وعَطاءٌ وعِكرِمةُ وجابرٌ. والأوَّلُ أَصَحُّ، ويَدُلُّ عليهِ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ سُحِرَ وهوَ معَ عائشةَ، فنَزَلَتْ عليهِ المُعَوِّذَتَانِ). [زاد المسير: ٩/٢٧٠]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (مَدَنِيَّةٌ) [التفسير الكبير: ٣٢/١٧١]

قالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ) [تفسير القرآن: ٣/٥٠٩]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وهي مَكِّيَّةٌ، فِي قَوْلِ الحَسَنِ وعِكْرِمَةَ وعَطَاءٍ وجَابرٍ، ومَدَنِيَّةٌ في أَحَدِ قَوْلَي ابنِ عبَّاسٍ وقَتَادَةَ) [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥١]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (مُخْتَلَفٌ فيها) [أنوار التنزيل: ٢/١١٧٩]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (مَكِّيَّةٌ) [مدارك التنزيل:٣/٢٠١٣]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (مدنيَّةٌ، وقيلَ: مَكِّيَّةٌ، والأَوَّلُ أصحُّ) [الباب التأويل: ٤/٤٩٩]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (وهِيَ مَكِّيَّةٌ) [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٣]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (مَكِّيَّةٌ) [التسهيل: ٢٢٥]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (مَكِّيَّةٌ) [البحر المحيط: ٨/٧٥٩]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (هذهِ السورةُ مَكِّيَّةٌ في قولِ الحسنِ وَعطاءٍ وَعِكْرِمَةَ وَجَابرٍ وَروايةِ كُرَيْبٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، مَدَنِيَّةٌ في قولِ ابْنِ عَبَّاسٍ في روايةِ أبي صَالِحٍ وَقَتَادَةَ وَجَمَاعَةٍ، قِيلَ: وَهوَ الصحيحُ). [البحر المحيط: ٨/٧٦٠]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (هَذِهِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ). [النهر الماد: ١٣١٩]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (وهي مدنية) [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩٠٢]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزآبادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (وَهِيَ كُلُّهَا مَكِّيَّةٌ، وَقِيلَ مَدَنِيَّةٌ) [تنوير المقباس: ٦٠٤]

قال محمودُ بنُ أحمدَ بنِ موسى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): (وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ فِي قَوْلِ سُفْيَانَ، وَفِي رِوَايَةِ هَمَّامٍ وَسَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ: مَكِّيَّةٌ، وكَذَا قَالَهُ السُّدِّيُّ). [عمدة القاري: ٢٠/١٠]

قالَ محمودُ بنُ أحمدَ بنِ مُوسَى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): (و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ مَدنِيَّةٌ). [شرح سنن أبي داود: ٥/٣٧٨- ٣٧٩ (م)]

قالَ جَلالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ المَحَلِّيُّ (ت: ٨٦٤هـ): (مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ) [تفسير الجلالين: ٦٠٤]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبِيُّ (ت: ٨٧٥ هـ): (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَدَنِيَّةٌ. وَقَالَ قَتَادَةُ: مَكِّيَّةٌ) [الجواهر الحسان: ٥/٦٤٠]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (مَكِّيَّةٌ في قَوْلِ الحَسَنِ، وعِكْرِمَةَ، وعَطَاءٍ، وجَابرٍ، ومَدَنِيَّةٌ في قَوْلِ ابنِ عَبَّاسٍ، وقَتَادَةَ) [اللباب: ٢٠/٥٦٨]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (مَكِّيَّةٌ) [نظم الدرر: ٨/٦٠٣]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الإِيجِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت: ٩٠٥ هـ): (مُخْتَلَفٌ فيها) [جامع البيان: ٤/٥٤٥]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (مكيةٌ) [الدر المنثور: ١٥/٧٨٤]

قال أحمدُ بنُ محمدِ بن أبي بكرٍ القَسْطلاَّنيُّ (ت: ٩٢٣هـ): (مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ). [إرشاد الساري: ٧/٤٤١]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (مكية في قولِ الحَسنِ وعكرمةَ وعطاءٍ وجابرٍ، ومدنيَّةٌ في قولِ ابنِ عبَّاسٍ وقتادةَ) [تفسير القرآن الكريم: ٤/٦١١]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ) : (مَكِّيَّةٌ مُخْتَلَفٌ فِيهَا) [إرشاد العقل السليم: ٧/٢١٤]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ البَنَّاءُ الدِّمْيَاطِيُّ (ت: ١١١٧هـ): (مَكِّيَّةٌ، وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ، قِيلَ وَهُوَ الصَّحِيحُ). [إتحاف فضلاء البشر: ٦٣٨]

قَالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَاقِسِيُّ (ت: ١١١٨هـ): (مَدَنِيَّةٌ، قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وغَيْرِه وصُحِّحَ، ومكِّيَّةٌ في قَوْلِ الحَسَنِ وجَابِرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- وعَطَاءٍ وعِكْرِمَةَ). [غيث النفع:٦٦٢]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَهِيَ مَكِّيَّةٌ في قولِ الحسنِ وَعكرمةَ وَعطاءٍ وَجَابرٍ، وَمَدَنِيَّةٌ في أَحَدِ قَوْلَي ابْنِ عَبَّاسٍ وَقتادة) [فتح القدير: ٥/٧٥٥]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (مَكِّيَّةٌ في قولِ الحسنِ وعَطاءٍ وعِكرمةَ وجابرٍ وروايةِ كُريبٍ عن ابنِ عبَّاسٍ، مَدَنِيَّةٌ في قولِ ابنِ عبَّاسٍ في روايةِ أبي صالحٍ وقَتادةَ وهو الصحيحُ؛ لأن سببَ نزولِها سِحْرُ اليهودِ كما سيأتي إن شاءَ اللهُ تعالى، وهم إنما سَحَرُوه عليه الصلاةُ والسلامُ بالمدينةِ، كما جاءَ في الصِّحاحِ فلا يُلْتَفَتُ لِمَن صَحَّحَ كونَها مَكِّيَّةً، وكذا في الكلامِ في سورةِ الناسِ، وآيُها الخمسُ بلا خِلافٍ) [روح المعاني: ٢٩/٢٧٨]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وَهِي مَكِّيَّةٌ في قولِ الحسنِ وَعِكْرِمَةَ وَعطاءٍ وَجابرٍ، وَمدنيَّةٌ في أَحَدِ قَوْلَي ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ. قيلَ: وَهوَ الصحيحُ) [فتح البيان: ١٥/٤٥٣]

قَالَ رِضْوانُ بنُ مُحَمَّدٍ المُخَلِّلاتِيُّ (ت: ١٣١١هـ): (مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ قَتَادَةَ، وَمَدَنِيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ ومُجَاهِدٍ وَعَطَاءٍ). [القول الوجيز:٣٦٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (مَدَنِيَّةٌ) [مراح لبيد: ٢/٦٨١]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّين القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (مَكِّيَّةٌ) [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٤]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (هِيَ مَكِّيَّةٌ) [تفسير المراغي: ٣٠/٢٦٦]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ نَاصِرٍ السَّعْدِيُّ (ت: ١٣٧٦هـ): (وهي مَكِّيَّةٌ) [تيسير الكريم الرحمن: ٤/٢٠٠١]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (واختُلِفَ فيها: أَمَكِّيَّةٌ هي أمْ مَدنِيَّةٌ؟ فقالَ جابرُ بنُ زَيدٍ والحسَنُ وعَطاءٌ وعِكرِمَةُ: مَكِّيَةٌ. ورَوَاه كُرَيْبٌ عنِ ابنِ عبَّاسٍ. وقالَ قَتادةُ: هي مَدنِيَّةٌ، ورَواهُ أبو صالحٍ عنِ ابنِ عبَّاسٍ. والأَصَحُّ أنها مَكِّيَّةٌ؛ لأنَّ رِوايةَ كُرَيْبٍ عنِ ابنِ عبَّاسٍ مَقبولةٌ، بخِلافِ رِوايةِ أبي صالحٍ عنِ ابنِ عبَّاسٍ؛ ففيها متكلَّمٌ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٤]

قَالَ عَبْدُ الفَتَّاحِ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ القَاضِي (ت: ١٤٠٣هـ): (نَزَلَتْ بمَكَّةَ) [أسباب النزول: ٢٥٢]

قال عبيدُ بنُ عبدِ اللهِ بن سُلَيمانَ الجابريُّ (م): (قالَ الحَسَنُ وعِكْرِمَةُ وعَطَاءٌ وجَابرٌ: هي مَكِّيَّةٌ، وفي إحدى الرِّوَايَتَيْنِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّها مَدَنِيَّةٌ وهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ). [إمداد القاري: ٤/٤٨١]

ترتيب نزولها

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (نَزَلَتْ بعدَ الفِيلِ) [الكشاف: ٦/٤٦٤]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (نزلت بعد الفيل) [مدارك التنزيل:٣/٢٠١٣]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبيُّ (ت: ٧٤١هـ): (نَزَلَتْ بَعْدَ الفِيلِ) [التسهيل: ٢٢٥]

قَالَ رِضْوانُ بنُ مُحَمَّدٍ المُخَلِّلاتِيُّ (ت: ١٣١١هـ): (ونَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الفِيلِ، ونَزَلَتْ بَعْدَهَا سُورَةُ النَّاسِ). [القول الوجيز:٣٦٢]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الفِيلِ) [تفسير المراغي: ٣٠/٢٦٦]

قَالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وعُدَّتِ العِشرينَ في عِدادِ نُزولِ السُّوَرِ، نَزلتْ بعْدَ سُورَةِ الفِيلِ، وقَبلَ سُورَةِ الناسِ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٤]

- **قلت:** (الكلامُ فِي تَرتيب نُزولِ السُّوَرِ موقوفٌ علَى صِحَّةِ الرِّوَايةِ، وَغالبُ المفسِّرينَ يعتمدونَ علَى ما رُوِيَ مِنَ الآثارِ العامَّةِ فِي ترتيب النزولِ، وعامَّتُه لا يصحُّ، ومَا رُوِيَ عن بعضِ التَّابعين كَقَتادَةَ وَجابرِ بنِ زيدٍ وَعَليِّ بنِ أبي طَلْحَةَ معلولٌ متنًا لمخالفةِ بعضِه لِمَا ثبتَ فِي الأحاديثِ الصِّحَاحِ.

وَلَعَلَّ اللهَ يهيئ بفضلِهِ وَرَحمتِهِ مَن يدرسُ ترتيبَ نزولِ السُّوَرِ دِراسَةً عِلْمِيَّةً مُحَرَّرَةً يستندُ فِيهَا إِلَى فِقهِ دَلائِلِ آياتِ الكتاب العزيزِ وَلَطَائِفِ إِشارَاتِهِ فِي هَذا الباب، وَإِلَى مَا يُستنبَطُ مِن صحيحِ الأَحاديثِ والآثارِ، وَما ذكَرَهُ العُلَمَاءُ المحقِّقُونَ فِي هَذَا الباب؛ فلِبَعْضِهِم فِيهِ كَلامٌ حَسَنٌ مُحَرَّرٌ)

سبب نزولها

قلت: (تقدم ذكر سبب نزولها في الكلام العام عن المعوذتين)

القراءات

قَالَ الحَسَنُ بْنُ خَلَفٍ ابنُ بِلِّيمَةَ الهَوَّارِيُّ (ت: ٥١٤هـ): (لَيْسَ فِيهِمَا خلافٌ). [تلخيص العبارات:١٦٤]

قَالَ سِبْطُ ابْنِ الخَيَّاطِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ البَغْدَادِيُّ (ت: ٥٤١هـ): (قدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ ما فيها مِن الخلافِ فيما سَلَفَ). [الاختيار:٨١٠]

قَالَ عُمَرُ بْنُ قَاسِمٍ النَّشَّارُ (ت: ٩٣٨هـ): (وَبَيْنَ الإِخْلاصِ وَالفَلَقِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ ﴾[الإخلاص: ٤] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ خَلَقَ ۝٢ ﴾ مِائَتَا وَجْهٍ وَعَشَرَةُ أَوْجُهٍ غَيْرُ الأَوْجُهِ المُنْدَرِجَةِ.

بَيَانُ ذَلِكَ:

(قَالُونُ) سِتَّةَ عَشَرَ وَجْهًا. (وَرْشٌ) عِشْرُونَ وَجْهًا: مِنْهَا مَعَ التَّكْبِيرِ وَحْدَهُ سِتَّةٌ وسَبْعُونَ وَجْهًا وَبِزِيَادَةِ التَّهْلِيلِ قَبْلَهُ كَذَلِكَ. (قُنْبُلٌ) مِائَةُ وَجْهٍ وَثَمَانِيَةٌ وسِتُّونَ وَجْهًا: مِنْهَا مَعَ التَّكْبِيرِ وَحْدَهُ سِتَّةٌ وسَبْعُونَ وَجْهًا وهِيَ مُنْدَرِجَةٌ مَعَ البَزِّيِّ، وبزِيَادَةِ التَّهْلِيلِ قَبْلَهُ كَذَلِكَ، وهِيَ مُنْدَرِجَةٌ مَعَ البَزِّيِّ أَيْضًا، وَمَعَ عَدَمِهِمَا سِتَّةَ عَشَرَ وَجْهًا، وهِيَ مُنْدَرِجَةٌ مَعَ قَالُونَ. (أَبُو عَمْرٍو) عِشْرُونَ وَجْهًا: مِنْهَا مَعَ البَسْمَلَةِ سِتَّةَ عَشَرَ وَجْهًا، وهِيَ مُنْدَرِجَةٌ مَعَ قَالُونَ. وَمَعَ عَدَمِهَا أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ. (ابْنُ عَامِرٍ) عِشْرُونَ وَجْهًا: مِنْهَا مَعَ البَسْمَلَةِ سِتَّةَ عَشَرَ وَجْهًا، وهِيَ مُنْدَرِجَةٌ مَعَ قَالُونَ، وَمَعَ عَدَمِهَا أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ، وهِيَ مُنْدَرِجَةٌ مَعَ أَبِي عَمْرٍو. (شُعْبَةُ) سِتَّةَ عَشَرَ وَجْهًا، وهِيَ مُنْدَرِجَةٌ مَعَ قَالُونَ.

(حَفْصٌ) سِتَّةَ عَشَرَ وَجْهًا. (خَلَفٌ) وَجْهَانِ. (خَلَّادٌ) وَجْهٌ وَاحِدٌ، وهُوَ مُنْدَرِجٌ مَعَ خَلَف. (الكِسَائِيُّ) سِتَّةَ عَشَرَ وَجْهًا، وهِيَ مُنْدَرِجَةٌ مَعَ قَالُونَ). [المكرر: ١٦٤]

قَالَ عُمَرُ بْنُ قَاسِمٍ النَّشَّارُ (ت: ٩٣٨هـ): ([الأَوْجُهُ التي بين الفَلَقِ وَالنَّاسِ]

وبين (الفَلَقِ) و(النَّاسِ) من قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ﴾ إلى قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾ ثلاثُمِائَةِ وَجْهٍ وثمانيَةٌ وَثَمانُونَ وَجْهًا غَيْرُ الأَوْجُهِ الْمُنْدَرِجَةِ.

بَيَانُ ذلك:

(قَالُونُ): أَرْبَعَةٌ وعِشْرُونَ وَجْهًا، (وَرْشٌ): اثنانِ وثلاثونَ وَجْهًا.

(البَزِّيُّ): مائتَا وَجْهٍ وثمانيَةٌ وَثَمانُونَ وَجْهًا، منها مع التَّكْبِيرِ وَحْدَهُ مائَةُ وَجْهٍ وَأَرْبَعَةٌ وأَرْبَعُونَ وَجْهًا، وبزيادَةِ التَّهْلِيلِ قبله كذلك، (قُنْبُلٌ): ثلاثمائَةِ وَجْهٍ واثنَا عَشَرَ وَجْهًا، منها مع التَّكْبِيرِ وَحْدَهُ مائَةُ وَجْهٍ وأَرْبَعَةٌ وَأَرْبَعُونَ وَجْهًا، وهي مُنْدَرِجَةٌ مع البَزِّيِّ، وبزيادَةِ التَّهْلِيلِ قبله كذلك، وهي مُنْدَرِجَةٌ أيضا مع البَزِّيِّ، ومع عَدَمِهِمَا أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ وَجْهًا مُنْدَرِجَةٌ مع قَالُونَ.

(الدُّورِيُّ): اثنانِ وثلاثونَ وَجْهًا، (السُّوسِيُّ): اثنَانِ وثلاثُونَ وَجْهًا، منها أربعةٌ وعِشْرُونَ مُنْدَرِجَةٌ مع قَالُونَ.

(ابنُ عامِرٍ): اثنانِ وثلاثونَ وَجْهًا، منها أربعةٌ وعِشْرُونَ مُنْدَرِجَةٌ مع قَالُونَ، وثمانيَةُ أَوْجُهٍ مُنْدَرِجَةٌ مع السُّوسِيِّ.

(عَاصِمٌ): أربعَةٌ وعِشْرُونَ وَجْهًا مُنْدَرِجَةٌ مع قَالُونَ.

(خَلَفٌ): ثمانيَةُ أَوْجُهٍ منها أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ مُنْدَرِجَةٌ مع السُّوسِيِّ، (خَلَّادٌ): أربعَةُ أَوْجُهٍ مُنْدَرِجَةٌ مع السُّوسِيِّ.

(الكِسَائِيُّ): أَرْبَعَةٌ وعِشْرُونَ وَجْهًا مُنْدَرِجَةٌ مع قَالُونَ، (أبو جعْفَرٍ): أَرْبَعَةٌ وعِشْرُونَ وَجْهًا مُنْدَرِجَةٌ مع قَالُونَ.

(يَعْقُوبُ): اثنانِ وثلاثونَ وَجْهًا، منها أربعةٌ وعِشْرُونَ وَجْهًا مُنْدَرِجَةٌ مع قَالُونَ، وثمانيَةُ أَوْجُهٍ مع السُّوسِيِّ.

خَلَفٌ: أربعَةُ أَوْجُهٍ مُنْدَرِجَةٌ مع السُّوسِيِّ). [البدور الزاهرة:٤٦٣- ٤٦٤]

قَالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَاقِسِيُّ (ت: ١١١٨هـ): (فإنْ جَمَعْتَها معَ الإخلاصِ من قَوْلِه تَعالَى: ﴿كُفُوًا﴾ والوَقْفُ علَى ﴿يُولَدْ ③﴾ كافٍ إلى قَوْلِهِ: ﴿خَلَقَ ②﴾، واسْتَحْسَنَ بَعْضُهُمُ الوَقْفَ عليه ووَصَفَهُ بَعْضُهُم بالتَّمَامِ، ومَذْهَبُ الجُمْهُورِ كَالأَخْفَشِ وأَبِي حَاتِمٍ وابْنِ الأَنْبَارِيِّ وابْنِ عَبْدِ الرَّازِقِ أَنْ لا وَقْفَ إلا في آخِرِها، وعليه اقْتَصَرَ العُمَانِيُّ والدَّانِيُّ، وعَلَّلَ ذلك بأنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ أَمَرَ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ كُلَّهُ، انْتَهَى.

ويُجَابُ بأنَّه حَاصِلٌ وإنْ وَقَفَ، وإنَّمَا العِلَّةُ تَعَلُّقُ اللاَّحِقِ بالسَّابِقِ مِن جِهَةِ العَطْفِ، فَتَبْدَأُ لِقَالُونَ بقَطْعِ الجَميعِ وقَطْعِ الأوَّلِ ووَصْلِ الثاني، وانْدَرَجَ معه فيهما قُنْبُلٌ والبَصْرِيُّ والشَّامِيُّ وشُعْبَةُ وعَلِيٌّ، ثم تَعْطِفُ بالبَزِّيِّ بالأوجُهِ الأربعةِ وانْدَرَجَ معه قُنْبُلٌ، ثم تَأْتِي بوَصْلِ الجميعِ لِقَالُونَ وانْدَرَجَ معه مَنْ تَقَدَّمَ، ثم تَعْطِفُ البَزِّيَّ بأَوْجُهِ التَّكْبِيرِ الثلاثةِ ثم التَّكْبِيرِ مع التَّهْلِيلِ ثم مع التَّهْلِيلِ والتَّحْمِيدِ.

ثم تَأْتِي بالسَّكْتِ والوَصْلِ للبَصْرِيِّ وانْدَرَجَ معه الشَّامِيُّ، ثم تَأْتِي بالسَّكْتِ والوَصْلِ وأَوْجُهِ البَسْمَلَةِ الثلاثةِ لوَرْشٍ معَ النَّقْلِ في ﴿كُفُوًا أَحَدٌ ④﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ﴾، ثم بحَفْصٍ بإبْدَالِ هَمْزَةِ ﴿كُفُوًا﴾ واوًا مع

أَوْجُهِ البَسْمَلَةِ الثلاثةِ، ثم تَأْتِي بحَمْزَةَ بإِسْكَانِ فَاءِ ﴿كُفُوًا﴾ معَ الوَصْلِ بينَ السُّورَتَيْنِ، ثم بخَلَفٍ بالسَّكْتِ على هَمْزَةِ ﴿أَحَدٌ ۝٤﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ مع الوَصْلِ أيضًا). [غيث النفع:٦٦٢]

عدد الآي والكلمات والحروف

عدد الآيات

ذِكْرُ مَنْ حكَى الإجماعَ على أن عدد آياتها خمس

قَالَ مَكِّيُّ بْنُ أَبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (وَالفَلَقُ خَمْسُ آيَاتٍ.

وكُلُّ مَا لَمْ نَذْكُرْ فِيهِ مَدَنِيٌّ ولا كُوفِيٌّ؛ فَهُوَ اتِّفَاقٌ مِنْهُمَا فَاعْلَمْ ذَلِكَ). [التبصرة:٣٩٢]

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: ٤٤٤هـ): (وَهِيَ خَمْسُ آيَاتٍ في جَمِيعِ العَدَدِ، لَيْسَ فِيهَا اخْتِلافٌ). [البيان:٢٩٧]

قَالَ عَلَمُ الدِّينِ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ السَّخَاوِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (خَمْسُ آيَاتٍ باتِّفَاقٍ). [أقوى العدد:٢٣٠]

قَالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَاقِسِيُّ (ت: ١١١٨هـ): (وآيُها خَمْسٌ للجَمِيعِ). [غيث النفع:٦٦٢]

قَالَ رِضْوانُ بنُ مُحَمَّدٍ المُخَلِّلاتِيُّ (ت: ١٣١١هـ): (وعَدَدُ آيَاتِهَا خَمْسٌ باتِّفَاقٍ). [القول الوجيز:٣٦٢]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وعَدَدُ آيَاتِها خَمْسٌ بالاتفاق). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٥]

قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَلِيّ مُوسَى: (لَيْسَ فِيهَا مَوَاضِعُ مُخْتَلَفٌ فِيهَا بَيْنَ العُلَمَاءِ). [المحرر الوجيز:١٩٦]

قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَلِيّ مُوسَى: (لَيْسَ فِيهَا فَوَاصِلُ مُخْتَلَفٌ فِيهَا). [مرشد الخلان:٢١٩]

مَنْ ذَكَرَ من العلماء أنَّ عدد آياتها خمس

قَالَ عَبْدُ الخَالِقِ بْنُ الحَسَنِ ابنُ أبي رُوبَا (ت:٣٥٦ هـ): حدَّثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ ثابتٍ الثَّوريُّ عن أَبيه عن الهُذَيْلِ بنِ حَبيبٍ عنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ البلخيِّ (ت:١٥٠هـ): (عَدَدُها خَمْسُ آياتٍ) [تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٣٧]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (وهي خَمْسُ آياتٍ) [بحر العلوم: ٣/٥٢٦]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (وخمسُ آياتٍ) [الكشف والبيان: ١٠/٣٣٧]

قَالَ مَكِّيُّ بْنُ أَبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (وَالفَلَقُ خَمْسُ آيَاتٍ). [التبصرة:٣٩٢]

قَالَ مَكِّيُّ بْنُ أَبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (خَمْسُ آيَاتٍ). [الكشف:٣٨٩] (م)

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (خَمْسُ آياتٍ) [الوسيط: ٤/٥٧٢]

قَالَ عَبْدُ الكَرِيمِ بنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الطَّبَرِيُّ (ت: ٤٧٨هـ): (وهي خَمْسٌ). [التلخيص:٤٨٧]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (وآياتُها خمس) [الكشاف: ٦/٤٦٤]

قالَ عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِب بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (وآياتُها خَمْسٌ). [المحرر الوجيز: ١٥/٦٠٧]

قَالَ ابنُ الأَبْزَارِيِّ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ الغَافِقِيُّ (ت: ٥٦٥هـ): (وَهِيَ خَمْسُ آيَاتٍ). [رواية أبي عمرو بن العلاء:٢١٥]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (خَمْسُ آياتٍ) [التفسير الكبير: ١٧١/٣٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وهي خَمْسُ آياتٍ) [الجامع لأحكام القرآن: ٢٥١/٢٠]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (وآيُها خَمْسُ آياتٍ) [أنوار التنزيل: ١١٧٩/٢]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (وآياتُها ٥) [مدارك التنزيل:٢٠١٣/٣]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (وهيَ خمسُ آياتٍ) [لباب التأويل: ٤٩٩/٤]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (آياتُها خَمْسٌ) [غرائب القرآن: ٢٢٣/٣٠]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (وآياتُها ٥) [التسهيل: ٢٢٥]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأَندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وهيَ خمسُ آياتٍ) [البحر المحيط: ٧٥٩/٨]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزآبادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (آيَاتُهَا خَمْسٌ) [تنوير المقباس: ٦٠٤]

قالَ محمودُ بنُ أحمدَ بنِ مُوسَى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): (وهي خَمْسُ آياتٍ). [شرح سنن أبي داود: ٣٧٨/٥- ٣٧٩]

قال محمودُ بنُ أحمدَ بنِ موسى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): (وَخَمْسُ آيَاتٍ). [عمدة القاري: ١٠/٢٠]

قالَ جَلالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ المَحَلِّيُّ (ت: ٨٦٤هـ): (وآيَاتُهَا خَمْسٌ) [تفسير الجلالين: ٦٠٤]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (وهِيَ خَمسُ آيَاتٍ) [اللباب: ٥٦٨/٢٠]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (آيَاتُهَا خَمْسٌ) [نظم الدرر: ٦٠٣/٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الإِيجِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت: ٩٠٥ هـ): (وهي خمسُ آياتٍ) [جامع البيان: ٥٤٥/٤]

قال أحمدُ بنُ محمدِ بن أبي بكرٍ القَسْطَلَّانيُّ (ت: ٩٢٣هـ): (وَآيُهَا خَمْسٌ). [إرشاد الساري: ٤٤١/٧]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وهيَ خمسُ آياتٍ) [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١١]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (وآيُهَا خَمْسٌ) [إرشاد العقل السليم: ٢١٤/٧]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ البَنَّاءُ الدِّمْيَاطِيُّ (ت: ١١١٧هـ): (وَآيُهَا خَمْسٌ). [إتحاف فضلاء البشر: ٦٣٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (هِيَ خَمْسُ آيَاتٍ) [فتح القدير: ٧٥٥/٥]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (هيَ خَمْسُ آيَاتٍ) [فتح البيان: ٤٥٣/١٥]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (وآياتُها خَمْسُ آياتٍ) [مراح لبيد: ٦٨١/٢]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (وآيُها خَمْسٌ) [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٤]

قالَ مُحَمَّدُ عَبْدُ الرَّحمنِ بنِ عَبْدِ الرحيمِ المُبَارَكْفُوري (ت: ١٣٥٣هـ): (خَمْسُ آياتٍ). [تحفة الأحوذي: ٢٤٤/٩]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (وَآيَاتُهَا خَمْسٌ) [تفسير المراغي: ٢٦٦/٣٠]

قَالَ عَبْدُ الفَتَّاحِ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ القَاضِي (ت: ١٤٠٣هـ): (وَآيَاتُهَا ٥) [أسباب النزول: ٢٥٢]

قَالَ عَبْدُ الفَتَّاحِ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ القَاضِي (ت: ١٤٠٣هـ): (ثُمَّ أَشَارَ إلى أَنَّ عَدَدَ آيِ سُورَةِ الفِيلِ وَسُورَةِ تَبَّتْ يَدَا وَسُورَةِ الفَلَقِ - وَهِيَ الَّتِي عَبَّرَ عَنْهَا بغَاسِقٍ- خَمْسُ آياتٍ). [معالم اليسر:٢١٧] (م)

■ نظيرتها في العدد

قَالَ رِضْوانُ بنُ مُحَمَّدٍ المُخَلِّلاتِيُّ (ت: ١٣١١هـ): (وَنَظِيرَتُهَا فِي المَدَنِيَّيْنِ سُورَةُ الفيلِ وقُرَيْشٍ وَتَبَّتْ، وفِي المَكِّيِّ سُورَةُ الإِخْلاصِ مَكَانَ سُورَةِ القَدْرِ، وفِي الكُوفِيِّ وَالبَصْرِيِّ سُورَةُ القَدْرِ وَالفِيلِ وَتَبَّتْ، وفِي الشَّامِيِّ سُورَةُ الفِيلِ وَتَبَّتْ وَالإِخْلاصِ). [القول الوجيز:٣٦٢]

قَالَ عَبْدُ الفَتَّاحِ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ القَاضِي (ت: ١٤٠٣هـ): (ثُمَّ أَشَارَ إلى أَنَّ عَدَدَ آيِ سُورَةِ الفِيلِ وَسُورَةِ تَبَّتْ يَدَا وَسُورَةِ الفَلَقِ - وَهِيَ الَّتِي عَبَّرَ عَنْهَا بغَاسِقٍ- خَمْسُ آياتٍ، كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ هَاءُ هَبْ، وَجَمَعَ السُّوَرَ الثَّلاثَ لِكَوْنِهَا مُتَّفِقَةً فِي العَدَدِ). [معالم اليسر:٢١٧]

■ فواصل السورة

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: ٤٤٤هـ): (وَرُؤُوسُ الآيِ: الفَلَقِ (١) مَا خَلَقَ (٢) وَقَبَ (٣) العُقَدِ(٤) حَسَدَ (٥)). [البيان:٢٩٧]

قَالَ رِضْوانُ بنُ مُحَمَّدٍ المُخَلِّلاتِيُّ (ت: ١٣١١هـ): (وقَاعِدَةُ فَواصِلِهَا (دبق) نَحْوُ: حَسَدَ وَقَبَ وخَلَقَ، وعَدَدُ آيَاتِها خَمْسٌ باتِّفَاقٍ كَمَا مَرَّ.

وَهِيَ: الفَلَقِ، خَلَقَ، وَقَبَ، فِي العُقَدِ، إِذَا حَسَدَ. (٥)). [القول الوجيز:٣٦٢]

■ عدد الكلمات

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (وثلاثٌ وعِشرونَ كَلِمَةً) [الكشف والبيان: ٣٣٧/١٠]

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: ٤٤٤هـ): (وَكَلِمُهَا ثلاثٌ وعِشْرُونَ كَلِمَةً، كَكَلِمِ الفِيلِ وَالمَسَدِ). [البيان:٢٩٧]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (وثلاثٌ وعشرونَ كلمةً) [لباب التأويل: ٤٩٩/٤]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزآبادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (وَكَلِمَاتُهَا ثَلاثٌ وَعِشْرُونَ) [تنوير المقباس: ٦٠٤]

قال محمودُ بنُ أحمدَ بنِ موسى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): (وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ كَلِمَةً). [عمدة القاري: ١٠/٢٠]

قالَ محمودُ بنُ أحمدَ بنِ مُوسَى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): (وثلاثٌ وعِشْرونَ كَلِمَةً). [شرح سنن أبي داود: ٣٧٨/٥- ٣٧٩]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (وثلاثٌ وعِشْرُونَ كَلِمَةً) [اللباب: ٥٦٨/٢٠]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وثلاثٌ وعشرونَ كَلِمةً) [تفسير القرآن الكريم: ٦١١/٤]

قَالَ رِضْوانُ بنُ مُحَمَّدٍ المُخَلِّلاتِيُّ (ت: ١٣١١هـ): (وكَلِمَاتُهَا ثَلاثٌ وعِشْرُونَ كَلِمَةً). [القول الوجيز:٣٦٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (كلماتها ثَلاثٌ وعِشْرُونَ كَلِمَةً) [مراح لبيد: ٦٨١/٢]

تنبيه

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (كَلِمُها عَشْرٌ) [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٣]

- **قلت**: (هذا خطأ طباعي ظاهر).

لطائف في عدد كلمات السورة

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَقَدِ انْقَضَى ما يَسَّرَ اللَّهُ مِنَ الكلامِ على انْتِظَامِ مَعَانِيهَا بحَسَبِ تَرْكِيبِ كَلِمَاتِهَا، وَبَقِيَ الكلامُ على كَلِمَاتِهَا مِنْ حيثُ العددُ، فِيمَا تُشِيرُ إليهِ مِنَ البَرَكَاتِ وَالمددِ، هيَ ثلاثٌ وَعشرونَ كَلِمَةً إشارَةً إلى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنةِ الثالثةِ والعشرينَ مِنَ النُّبُوَّةِ يَأْمَنُ مِنْ أَذَى حَاسِدِيهِ، وَذلكَ بالوفاةِ عندَ تَمَامِ الدينِ وَيَأْسِ الحاسدينَ مِنْ كلِّ شَيْءٍ مِنَ الأَذَى في الدينِ وَالدنيا، وَخلاصِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كلِّ كَدَرٍ، فإذا ضَمَمْتَ إليها الضمائرَ، وَهيَ خمسةٌ كانتْ ثَمَانِيَ وَعِشْرِينَ، وَهيَ تُوَازِي سنةَ خَمْسَ عَشْرَةَ مِنَ الهجرةِ.

وَذلكَ عندَ استِحْكَامِ أَمْرِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في السنةِ الثانيةِ مِنْ خلافتِهِ ببَثِّ العَسَاكِرِ وَإِنْفَاذِهِ إلى مَلِكِ الفُرْسِ وَالرومِ وَتَغَلْغُلِ هَيْبَتِهِ فِي قُلُوبِهِمْ وَتَضَعْضُعِ الفرسِ بغَلَبِ العربِ على رُسْتُمَ أُكْبَرِ أُمَرَائِهِمْ وَالرومِ بغَلَبِهِمْ على مَاهَانَ أَعْظَمِ رُؤَسَائِهِمْ، فَاضْمَحَلَّ أمرُ المُنَافِقِينَ وَالحَاسِدِينَ، وَأَيِسُوا مِنْ تَأْثِيرِ أَدْنَى كَيْدٍ مِنْ أَحَدٍ مِنَ الكَائِدِينَ.

فإذا ضُمَّ إليها أربعُ كَلِمَاتِ البَسْمَلَةِ كَانَت اثْنَتَيْنِ وَثلاثِينَ إذا حَسَبْتَ مِنْ أَوَّلِ النُّبُوَّةِ وَازَتْهَا السنةُ التاسعةَ عشرةَ مِنَ الهجرةِ، وَفيها كانَ فَتْحُ قَيْسَارِيَّةِ الرومِ مِنْ بلادِ الشامِ، وَبفَتْحِهَا كانَ فَتْحُ جَمِيعِ بلادِ الشامِ، لَمْ يَبْقَ بها بَلَدٌ إلاَّ وَهيَ في أَيْدِي المسلمينَ، فَزَالَتْ عنها دولةُ الرومِ.

وَفيها أيضًا كانَ فتحُ جَلُولاءَ مِنْ بلادِ فارسَ، وَكانَ فَتْحًا عَظِيمًا جِدًّا هَدَّ أَجْنَادَهُم وَمُلُوكَهُم، لذلكَ سُمِّيَ فَتْحَ الفُتُوحِ، وَحَصَلَ حِينَئِذٍ أَعْظَمُ الخِزْيِ للفُرْسِ والرُّومِ الذينَ هُمْ أَحْسَدُ الحَسَدَةِ، لِمَا كانَ لهم مِنَ العِزَّةِ وَالقُوَّةِ بالأموالِ وَالرِّجَالِ.

وَإِنْ حَسَبْتَ مِنَ الهجرةِ وَازَتْهَا سَنَةُ انْقِرَاضِ مُلْكِ أَعْظَمِ الحَسَدَةِ الأكاسرةِ الذينَ شَقَّقَ مَلِكُهُم كتابَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَرْسَلَ إلى عَامِلِهِ بَاذَانَ – الذي كانَ اسْتَخْلَفَهُ على بلادِ اليمنِ – يَأْمُرُهُ أَنْ يَغْزُوَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ أَنَّهُ يَقْتُلُهُ سُبْحَانَهُ في ليلةٍ سَمَّاهَا، فَلَمَّا أَتَتْ تلكَ الليلةُ أَخْبَرَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُسُلَ بَاذَانَ بذَلِكَ، فَرَجَعُوا إلى بَاذَانُ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: إِنْ كَانَ صَادِقًا فَسَيَأْتِي الخَبَرُ في يومِ كذا، فَأَتَى الخبرُ في ذلكَ اليومِ بصِدْقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ بَاذَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الأبناءِ الذينَ كَانُوا في بلادِ اليمنِ لم يَتَخَلَّفْ منهم أَحَدٌ، وَأَوْفَدَ مِنْهُ وَفْدًا على النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلكَ، وَتَوَلَّى اللَّهَ ورسولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رَضِيَ اللَّهُ عنهم – وَاللَّهُ أَعْلَمُ). [نظم الدرر: ٨/٦١٠]

قلت: (ربط الحوادث بأعداد كلمات القرآن منهج بدعيّ خاطئ، ينبغي الزجر عنه).

عدد الحروف

القول الأول: أربعة وسبعون حرفا

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (وهي أربعٌ وسبعونَ حَرْفًا) [الكشف والبيان: ٣٣٧/١٠]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (وأربعةٌ وسبعونَ حرفًا) [لباب التأويل: ٤٩٩/٤]

قال محمودُ بنُ أحمدَ بنِ موسى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): (وَهِيَ أَرْبَعَةٌ وَسَبْعُونَ حَرْفًا). [عمدة القاري: ١٠/٢٠]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (وأَرْبَعَةٌ وسَبْعُونَ حَرْفًا) [اللباب: ٥٦٨/٢٠]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وأربعةٌ وسَبعونَ حرْفًا) [تفسير القرآن الكريم: ٦١١/٤]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (حروفها أَرْبَعَةٌ وسَبْعُونَ حَرْفًا) [مراح لبيد: ٦٨١/٢]

القول الثاني: تسعة وسبعون حرفًا

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: ٤٤٤هـ): (وَحُرُوفُهَا تِسْعَةٌ وَسَبْعُونَ، كَحُرُوفِ النَّاسِ). [البيان:٢٩٧]

قَالَ رِضْوانُ بنُ مُحَمَّدٍ المُخَلِّلاتِيُّ (ت: ١٣١١هـ): (وحُرُوفُهَا تِسْعَةٌ وسَبْعُونَ حَرْفًا). [القول الوجيز:٣٦٢]

القول الثالث: تسعة وتسعون حرفًا

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (حُرُوفُها تِسْعٌ وتِسْعُونَ) [غرائب القرآن: ٢٢٣/٣٠]

القول الرابع: تسعة وستون حرفًا

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزآبادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (وَحُرُوفُهَا تِسْعَةٌ وَسِتُّونَ حَرْفًا) [تنوير المقباس: ٦٠٤]

القول الخامس: ثلاثة وسبعون حرفا

قالَ محمودُ بنُ أحمدَ بنِ مُوسَى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): (وثلاثٌ وسَبْعونَ حَرْفًا). [شرح سنن أبي داود: ٣٧٨/٥- ٣٧٩]

الوقف والابتداء

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: ٤٤٤هـ): (لَيْسَ فِيهَا وَقْفٌ كَافٍ، والتَّمَامُ فِي آخِرِهَا). [المكتفى: ٢٤٤]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (الوُقُوفُ: (الفَلَقِ ٥ لا)، (خَلَقَ ٥ لا)، (وَقَبَ ٥ لا)، (العُقَدِ ٥ لا) (حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥)). [غرائب القرآن: ٢٢٣/٣٠]

قَالَ زَكَرِيَّا بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٩٢٦هـ): (لَيْسَ فِيهَا وَقْفٌ كَافٍ ولا تَامٌّ إلاَّ آخِرُهَا فتَامٌّ). [المقصد:١١٥]

فضل السورة

قلت: (تقدم بعض ما يتعلق بفضل هذه السورة عند الكلام على فضل المعوذات، والكلام على فضل المعوذتين، وما ذكر هنا مما يخص سورة الفلق بالذكر).

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ الماوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (وهذه و"الناس" مُعَوِّذَتَا رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ حينَ سَحَرَتْهُ اليهودُ). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٣]

أحاديث عن عقبة بن عامر بن عابس الجهني

قالَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثنا هَاشِمٌ، حَدَّثنا لَيْثٌ، حَدَّثني يَزِيدُ بنُ أبي حَبيبٍ، عن أبي عِمْرانَ أَسْلَمَ، عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ الجُهنيِّ أنه قالَ: اتَّبَعْتُ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ وهو رَاكِبٌ، فوَضَعْتُ يَدِي عَلَى قَدَمِهِ، فقُلْتُ: أَقْرِئْنِي مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ، فقالَ: «لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾ »). [مسند الإمام أحمد: ٢٨/٥٧٥]

قالَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثنا حَجَّاجٌ، حَدَّثنا لَيْثٌ، حَدَّثني يَزِيدُ بنُ أبي حَبيبٍ، عن أبي عِمْرانَ، عن عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ، أنه قالَ: اتَّبَعْتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ وهو راكبٌ فوَضَعْتُ يدي على قَدَمِه، فقلتُ: أَقْرِئْني سورةَ هُودٍ، أو سورةَ يُوسُفَ. فقالَ: «لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللَّهِ مِن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾ »). [مسند الإمام أحمد: ٢٨/٦٥٦]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْب بْنِ عَلِيٍّ النَّسَائِيُّ (ت: ٣٠٣هـ): (أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ، قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ أَسْلَمَ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: (أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وَهُوَ رَاكِبٌ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى قَدَمِهِ، فَقُلْتُ: أَقْرِئْنِي سُورَةَ هُودٍ أَقْرِئْنِي سُورَةَ يُوسُفَ، فَقَالَ: «لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾ »). [سُنَنُ النَّسَائِيِّ: ٧/٢٥٤]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبيُّ (ت: ٦٧١هـ): (رَوَى النَّسَائِيُّ عن عُقْبَةَ بنِ عامِرٍ، قالَ: أَتَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو راكِبٌ، فوَضَعْتُ يَدِي على قَدَمِهِ، فقُلتُ: أَقْرِئْنِي سُورَةَ (هُودٍ)، أَقْرِئْنِي سُورَةَ (يُوسُفَ). فقالَ لِي: «وَلَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللهِ مِنْ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾ »). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٢] (م)

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّمَّارُ البَصْرِيُّ، ثَنَا أَبُو الوَلِيدِ الطَّيَالِسِيُّ، ثَنَا لَيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الخَيْرِ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَى بَغْلَتِهِ البَيْضَاءِ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى قَدَمِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرِئْنِي. قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ بشَيْءٍ أَبْلَغَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾ »). [المُعْجَمُ الكَبِيرُ: ١٧/٣٨٦]

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حَدَّثَنَا مُطَّلِبُ بْنُ شُعَيْبٍ الأَزْدِيُّ، ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ أَسْلَمَ: عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: اتَّبَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ رَاكِبٌ- فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى قَدَمِهِ فَقُلْتُ: أَقْرِئْنِي مِنْ سُورَةِ هُودٍ، أَوْ سُورَةِ يُوسُفَ. قَالَ: «لَنْ تَقْرَأَ بشَيْءٍ أَبْلَغَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ »). [المُعْجَمُ الكَبِيرُ: ١٧/٣١١- ٣١٢]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((ع نع): وعَنْ عُقْبَةَ بنِ عامِرٍ الجُهَنِيِّ قَالَ: اتَّبعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو راكِبٌ، فوَضعتُ يَدِي على قَدَمِه فقلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ أَقْرِئْنِي مِن سُورةِ هُودٍ أو مِن سُورةِ يُوسُفَ فقَالَ: «لَنْ تَقرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللهِ مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ »). [لمحات الأنوار: ٣/١١٦١]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((ط): وعنه قَالَ: تَعلَّقْتُ بقَدَمِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ أَقْرِئْنِي سُورةَ هُودٍ وسُورةَ يُوسُفَ. فقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، إِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ بسُورَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللهِ وَأَبْلَغَ عِنْدَهُ مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ ».

قَالَ يَزِيدُ بنُ عَمْرٍو: لم يَكنْ أبو عِمرانَ التُّجِيبيُّ يَدَعُها). [لمحات الأنوار: ٣/١١٦٧]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (رَوَى النَّسائِيُّ عن عُقْبَةَ بنِ عامِرٍ، قالَ: أَتَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو راكِبٌ، فوَضَعْتُ يَدِي على قَدَمِهِ، فقُلتُ: أَقْرِئْنِي سُورَةَ (هُودٍ)، أَقْرِئْنِي سُورَةَ (يُوسُفَ). فقالَ لِي: «وَلَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللهِ مِنْ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ »). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٢]

قال محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عثمانَ الذَّهَبيُّ (ت: ٧٤٨هـ): ((يَحْيَى) بْنُ أَيُّوبَ، عن يَزِيدَ، عن أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ، عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرَأُ مِنْ يُوسُفَ وسُورَةِ هُودٍ؟ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ، اقْرَأْ بـ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ فَإِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ بسُورَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ وَأَبْلَغَ عِنْدَهُ مِنْهَا، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا تَفُوتَكَ فَافْعَلْ». (صَحِيحٌ)). [تلخيص مستدرك الحاكم: ٢/٥٤٠]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ الذَّهَبِيُّ (ت: ٧٤٨ هـ): ((يحيى) بنُ أيُّوبَ، عن زَيْدٍ، عن أَسْلَمَ أبي عِمْرَانَ، عن عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ، قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أقْرَأُ من سُورةِ يُوسُفَ وسُورةِ هُودٍ قال: «يَا عُقْبَةُ، اقْرَأْ ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾، فَإِنَّكَ لنْ تَقْرَأَ بسُورةٍ أحبَّ إلى اللَّهِ وأبلَغَ عنده منها، فإنِ اسْتَطعْتَ أنْ لا تَفُوتَكَ فافعَلْ». صحيحٌ). [التلخيص: ٢/٥٤٠]

قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (طَرِيقٌ أُخْرَى

قالَ النَّسائِيُّ: أَخبَرَنا قُتَيْبَةُ، حدَّثَنا اللَّيْثُ، عن يَزِيدَ بنِ أبي حَبِيبٍ، عن أبي عِمْرانَ أَسْلَمَ، عن عُقْبَةَ بنِ عامِرٍ قالَ: اتَّبَعْتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم وهو راكِبٌ، فوَضَعْتُ يَدِي علَى قَدَمِهِ، فقُلتُ: أَقْرِئْنِي سُورَةَ هُودٍ، أو سُورَةَ يُوسُفَ. فقالَ: «لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَنْفَعَ عِنْدَ اللَّهِ مِن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ »). [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩٠٥]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبيُّ (ت: ٦٧١هـ): (رَوَى النَّسَائِيُّ عن عُقْبَةَ بنِ عامِرٍ، قالَ: أَتَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو راكِبٌ، فوَضَعْتُ يَدِي على قَدَمِهِ، فقُلْتُ: أَقْرِئْنِي سُورَةَ (هُودٍ)، أَقْرِئْنِي سُورَةَ (يُوسُفَ). فقالَ لِي: «وَلَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللهِ مِنْ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾ »). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٢] (م)

قالَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنا أبو عبدُ الرحمنِ، حَدَّثَنا حَيْوَةُ، وابنُ لَهِيعةَ، قالا: سَمِعْنا يزيدَ بن أبي حَبِيبٍ يقولُ: حَدَّثَني أبو عِمْرانَ أنه سَمِعَ عُقْبَةَ بنَ عامرٍ يقولُ: تَعَلَّقْتُ بقَدَمِ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أَقْرِئْنِي سُورَةَ هُودٍ وسُورَةَ يُوسُفَ. فقالَ لي رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: «يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، إِنَّكَ لَمْ تَقْرَأْ سُورَةً أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ وَلا أَبْلَغَ عِنْدَهُ مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾ ».

قالَ يَزِيدُ: لم يَكُنْ أبو عِمْرانَ يَدَعُها، كانَ لا يَزالُ يَقْرَؤُها في صلاةِ المَغرِب). [مسند الإمام أحمد: ٢٨/٦٣٤- ٦٣٥]

قال عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمنِ الدارميُّ (ت: ٢٥٥هـ): (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا حَيْوَةُ وَابْنُ لَهِيعَةَ قَالا: سَمِعْنَا يَزِيدَ بْنَ أَبِي حَبِيبٍ يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبُو عِمْرَانَ، أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ: تَعَلَّقْتُ بِقَدَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرِئْنِي سُورَةَ هُودٍ وَسُورَةَ يُوسُفَ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عُقْبَةُ، إِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ مِنَ الْقُرْآنِ سُورَةً أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ وَلا أَبْلَغَ عِنْدَهُ مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾ ».

قَالَ يَزِيدُ: فَلَمْ يَكُنْ أَبُو عِمْرَانَ يَدَعُهَا، كَانَ لا يَزَالُ يَقْرَؤُهَا فِي صَلاةِ الْمَغْرِب). [مسند الدارمي: ٤/٢١٦٦]

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُوسَى، ثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِي، ثَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ، وَابْنُ لَهِيعَةَ قَالا: سَمِعْنَا يَزِيدَ بْنَ أَبِي حَبِيبٍ يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبُو عِمْرَانَ، أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ: تَعَلَّقْتُ بِقَدَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرِئْنِي سُورَةَ هُودٍ وَسُورَةَ يُوسُفَ. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عُقْبَةُ، إِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ بِسُورَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ وَلا أَبْلَغَ مِنْ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾ »). [المُعْجَمُ الكَبيرُ: ١٧/٣١١- ٣١٢]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ) : ((د): وَعَنْ عُقبةَ بنِ عامرٍ قَالَ: كنتُ أَقودُ برَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ناقتَه في السَّفَرِ فقال لي: «يَا عُقْبَةُ، أَلا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ قُرِئَتَا؟» فعَلَّمَنِي ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①﴾ فلَمْ يَرَنِي سُرِرْتُ بهما جِدًّا.

قالَ: فلَمَّا نَزلَ لصلاةِ الصُّبْحِ صلَّى بهما صلاةَ الصُّبْحِ للنَّاسِ، فلَمَّا فرَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الصلاةِ التَفتَ إليَّ، فقالَ: «يَا عُقْبَةُ كَيْفَ رَأَيْتَ؟».

قُلتُ: وخَرَّجَه عبدُ المَلِكِ بنُ حَبِيبٍ بمِثْلِهِ. وقالَ: «اعْلَمْ يَا عُقْبَةُ أَنَّكَ لَنْ تُصَلِّيَ بِمِثْلِهِمَا».

- (ط): وعنه قالَ: تَعلَّقْتُ بقدَمِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ أَقرِئْني سُورةَ هُودٍ وسُورةَ يُوسُفَ. فقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، إِنَّكَ لَنْ تَقرَأَ بسُورةٍ أَحبَّ إِلَى اللهِ وَأَبْلَغَ عِنْدَهُ مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾ ».
قالَ يَزِيدُ بنُ عَمْرٍو: لم يَكنْ أبو عِمرانَ التُّجِيبيُّ يَدَعُها). [لمحات الأنوار: ٣/١١٦٦- ١١٦٧] (م)

قالَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثنا حَيْوَةُ بنُ شُرَيْحٍ، قالَ: حدَّثنا بَقِيَّةُ، حدَّثنا بَحِيرُ بنُ سَعْدٍ، عن خالدِ بنِ مَعْدانَ، عن جُبَيرِ بنِ نُفَيرٍ، عن عُقْبةَ بنِ عامرٍ أنه قالَ: إنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أُهْدِيَتْ له بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ فركِبَها، فأَخَذَ عُقْبَةُ يَقُودُهَا له، فقالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ لعُقْبَةَ: «اقْرَأْ». فقالَ: وما أَقْرَأُ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ النبيُّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: «اقْرَأْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾ ».
فأعادَها عليه حتى قرأَها، فعرَفَ أني لم أَفْرَحْ بها جِدًّا، فقالَ: «لَعَلَّكَ تَهَاوَنْتَ بها، فَمَا قُمْتَ تُصَلِّي بشَيْءٍ مِثْلِهَا»). [مسند الإمام أحمد: ٢٨/٥٧٦]

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عِيسَى بْنِ الْمُنْذِرِ، ثنا أَبِي، ثنا بَقِيَّةُ، عن بَحِيرِ بْنِ سَعْدٍ، عن خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عن جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ فركِبَهَا، فَأَخَذَ عُقْبَةُ يَقُودُهَا، فَقَالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «اقْرَأْ». فقَالَ: مَا أَقْرَأُ يا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: «اقْرَأْ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ②﴾ » قَالَ: فَأَعَادَهَا عَلَيَّ حَتَّى قَرَأْتُهَا، فَعَلِمَ أَنِّي لَمْ أَفْرَحْ بهَا جِدًّا، فَقَالَ: «لَعَلَّكَ تَهَاوَنْتَ بهَا؟ مَا قُمْتَ تُصَلِّي بشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْهَا»). [مسند الشاميين: ٢/١٨٤]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيبِ بْنِ عَلِيٍّ النَّسَائِيُّ (ت: ٣٠٣هـ) : (أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا بَحِيرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: (أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ فَرَكِبَهَا، وَأَخَذَ عُقْبَةُ يَقُودُهَا بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ لِعُقْبَةَ: «اقْرَأْ»، قَالَ: وَمَا أَقْرَأُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «اقْرَأْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ②﴾ » فَأَعَادَهَا عَلَيَّ حَتَّى قَرَأْتُهَا، فَعَرَفَ أَنِّي لَمْ أَفْرَحْ بِهَا جِدًّا، قَالَ: «لَعَلَّكَ تَهَاوَنْتَ بِهَا، فَمَا قُمْتُ يَعْنِي بِمِثْلِهَا»). [سُنَنُ النَّسَائِيِّ: ٧/٢٥٢]

قال أحمدُ بنُ محمدِ بنِ سلامةَ الطَّحاويُّ (ت: ٣٢١هـ): (وَوَجَدْنَا عُبَيْدَ بْنَ رِجَالٍ قَدْ حَدَّثَنَا قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ الحِمْصِيُّ، حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ، عَنْ بَحِيرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ عُقْبَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُهْدِيَتْ لَهُ بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ، فَرَكِبَهَا، فَأَخَذَ عُقْبَةُ يَقُودُهَا، فَقَالَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عُقْبَةُ اقْرَأْ»، قَالَ: مَا أَقْرَأُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «اقْرَأْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ ...»، فَأَعَادَهَا عَلَيَّ حَتَّى قَرَأْتُهَا، فَقَالَ: «لَعَلَّكَ تَهَاوَنْتَ بِهَا، فَمَا قُمْتَ تُصَلِّي بِشَيْءٍ مِثْلِهَا»). [تحفة الأخيار: ٨/٦١٥- ٦١٦]

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيُّ، ثَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ (ح) وَحَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ التُّسْتَرِيُّ، ثَنَا عَلِيُّ بْنُ بَحْرٍ قَالَا: ثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ، ثَنَا بَحِيرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ، فَرَكِبَهَا فَأَخَذَ عُقْبَةُ يَقُودُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأْ» قَالَ: مَا أَقْرَأُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾». فَقَالَ: «مَا قُمْتَ تُصَلِّي بِشَيْءٍ مِثْلِهَا»). [المُعْجَمُ الكَبِيرُ: ١٧/٣٣٧]

قال عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمنِ الدارميُّ (ت: ٢٥٥هـ): (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنِ ابْنِ عَجْلَانَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، أَنَّ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ قَالَ: مَشَيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِي: «قُلْ يَا عُقْبَةُ»، فَقُلْتُ: أَيَّ شَيْءٍ أَقُولُ؟ قَالَ: فَسَكَتَ عَنِّي ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ قُلْ»، فَقُلْتُ: أَيَّ شَيْءٍ أَقُولُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾»، فَقَرَأْتُهَا حَتَّى جِئْتُ عَلَى آخِرِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: «مَا سَأَلَ سَائِلٌ وَلَا اسْتَعَاذَ مُسْتَعِيذٌ بِمِثْلِهَا»). [مسند الدارمي: ٤/٢١٦٧]

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ رِشْدِينَ الْمِصْرِيُّ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، ثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ، أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا - وَهُوَ رَاكِبٌ- فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى قَدَمِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرِئْنِي مِنْ سُورَةِ هُودٍ، وَإِمَّا مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، إِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ بِسُورَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ وَأَبْلَغَ عِنْدَهُ مِنْ أَنْ تَقْرَأَ بِـ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَفُوتَكَ فِي صَلَاةٍ فَافْعَلْ»). [المُعْجَمُ الكَبِيرُ: ١٧/٣١١- ٣١٢]

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (جَعْفَرٌ، عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي عَرِيبٍ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ: أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

«إِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ سُورَةً أَحَبَّ إِلَيَّ وَلا أَبْلَغَ مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا تَدَعَهَا فِي صَلاةٍ فَافْعَلْ». [المُعْجَمُ الكَبِيرُ: ١٧/٣٤٦]

قال محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الحاكمُ النَّيْسابوريُّ (ت: ٤٠٥هـ): (حَدَّثَنَا أَبُو العَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، ثنا العَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدُّورِيُّ، ثنا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، ثنا أَبِي، سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ أَيُّوبَ يُحَدِّثُ عن يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عن أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ التُّجِيبِيِّ، عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرَأُ مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ وَسُورَةِ هُودٍ؟ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ، اقْرَأْ بِـ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ فَإِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ بسُورَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ وَأَبْلَغَ عِنْدَهُ مِنْهَا، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا تَفُوتَكَ فَافْعَلْ». هذا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ). [المستدرك: ٢/٥٤٠]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ) : ((ق): وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ سُورَةٍ يَتَعَوَّذُ بها الْمُتَعَوِّذُونَ أَبْلَغُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنْ ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ »). [لمحات الأنوار: ٣/١١٦٨]

حديث أبيّ بن كعب

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ) : ((ش) وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الكُتُبِ».

- (ث): فِي رِوايةٍ قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ سُورَةً أَحَبَّ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَلا أَقْرَبَ عِنْدَهُ مِنْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا تَدَعَهَا فِي صَلاةٍ فَافْعَلْ»). [لمحات الأنوار: ٣/١١٦٩]

الناسخ والمنسوخ

قَالَ هِبَةُ اللهِ بنُ سَلامَةَ بنِ نَصْرٍ المُقْرِي (ت: ٤١٠ هـ): (جَمِيعُهَا مُحْكَمٌ؛ لَيْسَ فيها ناسِخٌ ولا مَنْسُوخٌ). [الناسخ والمنسوخ لابن سلامة: ٢٠٨]

قالَ عَلَمُ الدِّينِ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ السَّخَاوِيُّ (ت: ٦٤٣ هـ): (﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾... وَلَيْسَ فِي بَاقِي القُرْآنِ نَسْخٌ باتِّفَاقٍ، إِلاَّ مَا ذَكَرُوهُ فِي سُورَةِ (العَصْرِ)). [جمال القراء: ١/ ٣٩١]

قَالَ هِبَةُ اللهِ بنُ عَبْدِ الرَّحيمِ ابنُ البَارِزِيِّ (ت: ٧٣٨ هـ): (سورةُ النَّصْرِ إِلَى آخرِ الناسِ مُحكماتٌ). [الناسخ والمنسوخ لابن البارزي: ٥٨]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحمَّدٍ العَتَائِقِيُّ (ت: ق ٨): (سُورَةُ النَّصْرِ وَتَبَّتْ وَالإِخْلاصِ وَالفَلَقِ وَالنَّاسِ لَيْسَ فِيهَا نَاسِخٌ وَلا مَنْسوخٌ). [الناسخ والمنسوخ للعتائقي:٨٥]

التناسب

قالَ أبو حاتِمٍ سَهْلُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عثمانَ السِّجِسْتَانِيُّ (ت: ٢٥٥ هـ): (وقالَ جَلَّ وعَزَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾، فَأَجْمَلَ ثُمَّ أَفْرَدَ: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾). [كتاب النخل: ٤١]

مناسبة السورة لما قبلها

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (التفسيرُ:

لَمَّا أمَرَه بقِراءَةِ سورةِ الإخلاصِ؛ تَنْزِيهًا له عَمَّا لا يَلِيقُ به في ذاتِه وصفاتِه، وكانَ ذلكَ مِن أشرفِ الطاعاتِ- أمَرَه أنْ يَسْتَعِيذَ من شرِّ مَن يَصُدُّه عن ذلك؛ كالمُشْرِكِينَ وسائرِ شياطينِ الإنسِ والجِنِّ). [غرائب القرآن: ٢٢٣/٣٠]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (ولَمَّا شَرَحَ أمرَ الإِلَهِيَّةِ في السورةِ قَبْلَهَا شَرَحَ مَا يُسْتَعَاذُ منهُ باللَّهِ مِنَ الشرِّ الذي في العالمِ ومَرَاتِبِ مَخْلُوقاتِهِ). [البحر المحيط: ٧٦٠/٨]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (ولَمَّا شَرَحَ أَمْرَ الإِلَهِيَّةِ فِي السُّورَةِ قَبْلَهَا شَرْحًا يُسْتَعَاذُ مِنْهُ باللَّهِ مِنَ الشَّرِّ الَّذِي فِي العَالَمِ ومَرَاتِبِ مَخْلُوقَاتِهِ). [النهر الماد: ١٣١٩]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (ولَمَّا شَرَحَ أمرَ الإلهيَّةِ في السورةِ قبلَها جِيءَ بها بعدَها شَرْحًا لِمَا يُستعاذُ منه باللهِ تعالى مِن الشرِّ الذي في مَراتِبِ العالَمِ ومَراتِبِ مخلوقاتِه وهي السورةُ التي بعدَها نزَلَتا معًا كما في الدلائلِ للبيهقيِّ، فلذلك قُرِنَتا مع ما اشْتَرَكَتَا فيه مِن التسميةِ بالمُعَوِّذَتَيْنِ ومِن الافتتاحِ بقُلْ أعوذُ). [روح المعاني: ٢٧٨/٢٩]

قَالَ عَبْدُ اللهِ الغمَارِيُّ: (لَمَّا بَيَّنَ فيما سَبَقَ أنه الصَّمَدُ؛ أي: المقصودُ إليه في كلِّ أمرٍ، أَرْشَدَ هنا إلى الالتجاءِ إليه، والاستعاذةِ به مِنْ شُرورِ خَلْقِهِ). [جواهر البيان:١٥٠]

مقاصد السورة

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (مقصودُهَا الاعتصامُ مِنْ شَرِّ كُلِّ مَا انْفَلَقَ عنهُ الخلقُ الظاهرُ وَالباطنُ، وَاسْمُهَا ظاهرُ الدلالةِ على ذلكَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي لهُ جميعُ الحولِ، ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي اسْتَجْمَعَ كمالَ الطَّولِ، ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي أَتَمَّ على أهلِ وِدادِهِ جَمِيعَ النولِ، بالسلامِ مِنْ عَلِيِّ القولِ.

لَمَّا افْتَتَحَ سُبْحَانَهُ وَتعالى هذا الذِّكْرَ الحكيمَ بالهدايةِ في قولِهِ تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]، وَبالهدايةِ وَالتَّقْوَى التي هيَ شعارُ التَّائِبِ في قولِهِ تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢].

وَذلكَ أَوَّلُ مَنَازِلِ السَّائِرِينَ، وَخَتَمَ بتقريرِ أمرِ التوحيدِ على وَجْهٍ لا يُتَصَوَّرُ أنْ يكونَ أَكْمَلُ منهُ، وَتقريرِ الإخلاصِ فيهِ كما يُشْعِرُ بهِ الأمرُ بـ ﴿قُلْ﴾.

وَذلكَ هوَ نهايةُ المقاماتِ عندَ العارِفِينَ فَتَمَّ بذلكَ الدينُ، وَانْتَهَى سَيْرُ السَّالِكِينَ، وَخَتَمَ الإخلاصَ المُقَرِّرَةَ لذلكَ بأنَّهُ تعالى لا كُفُؤَ لهُ، فَتَوَفَّرَت الدَّوَاعِي على الانقطاعِ إليهِ وَالعُكُوفِ عَلَيْهِ.

وَالقَتْ عَصَاهَا وَاطْمَأَنَّ بهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بالإِيَابِ المُسَافِرُ). [نظم الدرر: ٦٠٣/٨]

قالَ مُحَمَّدُ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (أغراضُها: والغرَضُ منها تَعليمُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كلِماتٍ للتَّعَوُّذِ باللهِ مِن شَرِّ ما يُتَّقَى شَرُّه مِنَ المخلوقاتِ الشِّرِّيرَةِ، والأوقاتِ التي يَكثُرُ فيها حُدوثُ الشرِّ، والأحوالِ التي يُستَرُ أَفعالُ الشَّرِّ مِن وَرَائِها؛ لئَلاَّ يُرْمَى فاعِلُوها بتَبِعَاتِها، فعَلَّمَ اللهُ نَبِيَّهُ هذه المُعَوِّذَةَ لِيَتَعَوَّذَ بها، وقد ثَبَتَ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ كان يَتعوَّذُ بهذه السُّورةِ وأُخْتِها، ويَأمُرُ أصحابَه بالتعَوُّذِ بهما، فكانَ التَّعَوُّذُ بهما مِن سُنَّةِ المُسلِمينَ). [التحرير والتنوير: ٦٢٥/٣٠]

جمعت هذه السورة التعوُّذَ من أنواع الشرور

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ قالَ الحسينُ بنُ الفَضْلِ: إنَّ اللَّهَ جَمَعَ الشرورَ في (هذه الآيةِ)[1] وختَمَها بالحسدِ؛ لِيُعْلَمَ أنه أخسُّ الطبائعِ). [الكشف والبيان: ٣٤٠/١٠]

قالَ عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (وقالَ الحسنُ بنُ الفَضْلِ: ذَكَرَ اللَّهُ تعالى الشرورَ في هذه السورةِ، ثمَّ خَتَمَها بالحسدِ لِيُظْهِرَ أنه أخَسُّ طَبْعٍ). [المحرر الوجيز: ٦١٢/١٥] (م)

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (وقَدْ دَخَلَ في هذه السورةِ كلُّ شَرٍّ يُتوقَّى ويُتَحَرَّزُ منه دِينًا ودُنيا، فلذلك لَمَّا نَزَلَتْ فَرِحَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بنُزُولِهَا لكونِها مَعَ مَا يَلِيهَا جَامِعَةً في التَّعَوُّذِ لكلِّ أَمْرٍ). [التفسير الكبير: ١٧٩/٣٢]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (والاسْتِعاذةُ مِن شرِّ هذِه الأشياءِ بعدَ الاستعاذةِ من شَرِّ ما خَلَقَ إشعارٌ بأنَّ شرَّ هؤلاءِ أشَدُّ، وخُتِمَ بالحسَدِ لِيُعْلَمَ أنه شَرُّها). [مدارك التنزيل:٢٠١٤/٣] (م)

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (وقد دَخَلَ في هذهِ السورةِ كلُّ شَرٍّ يُتَوَقَّى ويُتَحَرَّزُ منه دِينًا ودُنيا). [غرائب القرآن: ٢٢٩/٣٠] (م)

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبِيُّ (ت: ٨٧٥ هـ): (وَقَالَ الحُسَيْنُ بْنُ الفضلِ: ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الشرورَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ خَتَمَهَا بالحسدِ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ أَخَسُّ الطَّبَائِعِ). [الجواهر الحسان: ٦٤١/٥]

(١) هكذا في الأصل ولعل الصواب (هذه السورة).

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (ذَكَرَ اللَّهُ سبحانَهُ في هذهِ السورةِ إرشادَ رسولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى الاستعاذةِ مِنْ شرِّ كلِّ مخلوقاتِهِ على العمومِ، ثمَّ ذَكَرَ بَعْضَ الشرورِ على الخصوصِ معَ انْدِرَاجِهِ تحتَ العمومِ لزيادةِ شَرِّهِ وَمَزِيدِ ضَرِّهِ، وَهو الغاسِقُ وَالنَّفَّاثَاتُ وَالحاسدُ، فَكَأَنَّ هؤلاءِ لِمَا فِيهم مِنْ مَزِيدِ الشرِّ حَقِيقُونَ بإفرادِ كلِّ واحدٍ منهم بالذكرِ). [فتح البيان: ١٥/٤٦١- ٤٦٢]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ نَاصِرٍ السَّعْدِيُّ (ت: ١٣٧٦هـ): (فهذه السورةُ تَضَمَّنَتِ الاستعاذةَ مِن جميعِ أنواعِ الشرورِ عُمُومًا وخُصوصًا، ودَلَّتْ على أنَّ السِّحرَ له حقيقةٌ، يُخْشَى مِن ضَرَرِهِ، ويُسْتَعَاذُ باللَّهِ مِنه ومِن أهلِه). [تيسير الكريم الرحمن: ٤/٢٠٠١]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ الَّذِي لهُ جميعُ الحَوْلِ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الَّذِي استجمعَ كَمَالَ الطَّوْلِ ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الَّذِي أتمَّ على أَهْلِ وُدِّهِ جَمِيعَ النَّوْلِ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١١]

تفسير قول الله تعالى: (قُلْ أعُوذُ بِرب الفَلَقِ (١))

القراءات

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ وقُرِئَ: في السُّورَتَين بحَذْفِ الهمزةِ ونَقْلِ حَرَكَتِها إلى اللامِ). [أنوار التنزيل: ١١٨١/٢]

قالَ عَبْدُ الفتَّاحِ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ القَاضِي (ت: ١٤٠٣هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ لا يَخْفَى ما فيهِ مِن النقلِ لوَرْشٍ مُطلقًا، وما فيهِ لحَمْزَةَ وَصْلاً ووَقْفًا مِن السَّكْتِ وغيرِه). [البدور الزاهرة: ٣٤٧]

قلت: (انظر أقوال العلماء في القراءات في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾)..

الصرف

قالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿قُلْ﴾ أَمْرٌ، وَعَلامَةُ الأَمْرِ سُكُونُ آخِرِهِ، وَالأَصْلُ عِنْدَ أَهْلِ البَصْرَةِ أُقْوُلْ عَلَى وَزْنِ أُقْتُلْ، فَاسْتَثْقَلُوا الضَّمَّةَ عَلَى الوَاوِ فَنَقَلُوهَا إلى القَافِ، فَلَمَّا تَحَرَّكَتِ القَافُ اسْتَغْنَوْا عَنْ أَلِفِ الوَصْلِ فَصَارَ قُولْ، فَالتَقَى سَاكِنَانِ الوَاوُ وَاللامُ، فَحَذَفُوا الوَاوَ لالتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ. وَعِنْدَ أَهْلِ الكُوفَةِ الأَصْلُ لِتَقْوُلْ فَيَجْزِمُونَهُ بلامِ الأَمْرِ، قَالُوا: ثُمَّ حَذَفْنَا حَرْفَ الاسْتِقْبَالِ وَاللاَّمَ فِي الأَمْرِ تَخْفِيفًا، فَهُوَ عِنْدَهُمْ مَجْزُومٌ بِتِلْكَ اللامِ المُقَدَّرَةِ.

وَعِنْدَ أَهْلِ البَصْرَةِ لَمَّا حُذِفَتْ تِلْكَ اللاَّمُ وَحَرْفُ المُضَارِعِ صَارَ مَوْقُوفًا لا مَجْزُومًا؛ لأنَّ العَامِلَ إذَا وُجِدَ عَمِلَ، وإذَا فُقِدَ بَطَلَ عَمَلُهُ.

وَلَوْ كَانَ كَمَا زَعَمُوا لَكَانَ المَوْجُودُ مَعْدُومًا والمَعْدُومُ مَوْجُودًا.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أنَّ الأصْلَ اللاَّمُ رَدُّهُمْ إيَّاهُ فِي الغَائِبِ إذَا قُلْتَ لِيَذْهَبْ زَيْدٌ، ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: ٧]. فَكَذَلِكَ المَأْمُورُ كَانَ أصْلُهُ لِتَفْعَلْ، فَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فَحَذَفُوهُ.

وَمِنَ العَرَبِ مَنْ يَأْتِي فِي المُخَاطَبِ عَلَى الأَصْلِ فَيَقُولُ: لِتَذْهَبْ، ولِتَرْكَبْ يَا زَيْدُ.

وَقَرَأَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « (فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُوا) » بالتَّاءِ، وَقَدْ قَرَأَ بِهِ مِنَ السَّبْعَةِ ابْنُ عَامِرٍ.

وحَدَّثَنِي أَحْمَدُ عَنْ عَلِيٍّ عَنْ أبي عُبَيْدٍ عَنْ إسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أبي جَعْفَرٍ المَدَنِيِّ أَنَّهُ قَرَأَ (فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُوا) بالتَّاءِ. ولا تُحْذَفُ اللاَّمُ فِي غَائِبٍ إلاَّ فِي شَاذٍّ أَوْ ضَرُورَةِ شَاعِرٍ. قَالَ الشَّاعِرُ:

مُحَمَّدُ تَفْدِ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ ... إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ أَمْرٍ وَبَالا

أَرَادَ لِتَفْدِ، فَحَذَفَ اللاَّمَ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٢- ٢٣٣]

قالَ أَبُو البَرَكَاتِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَنْبَارِيُّ (ت: ٥٧٧هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾.

(أَعُوذُ): فِعْلٌ مُعْتَلُّ العَيْنِ، وَيُسَمَّى أَجْوَفَ، وَأَصْلُهُ: أَعْوُذُ؛ عَلَى وَزْنِ أَفْعُلُ، إِلاَّ أَنَّهُ اسْتُثْقِلَتِ الضَّمَّةُ عَلَى الوَاوِ؛ لأنَّ الضَّمَّةَ تُسْتَثْقَلُ عَلَى حَرْفِ العِلَّةِ، فَنُقِلَتْ مِنَ العينِ الَّتِي هِيَ الوَاوُ إِلَى مَا قَبْلَهَا، وَتُثْبَتُ الوَاوُ لِسُكُونِهَا وَانْضِمَامِ مَا قَبْلَهَا، وَأُعِلَّ هَا هُنَا (أَعُوذُ) بالنَّقْلِ؛ تَبَعًا لإعلالِ مَاضِيهِ؛ لأنَّ الأصلَ فِي الإعلالِ لِلْمَاضِي، إلاَّ أَنَّهُ أُعِلَّ فِي المَاضِي بالقَلْب، وَفِي المُضَارِعِ بالنَّقْلِ). [البيان: ٥٤٨]

الإعراب

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿قُلْ﴾ أَمْرٌ، وَعَلامَةُ الأَمْرِ سُكُونُ آخِرِهِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٢]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿أَعُوذُ﴾ فِعْلٌ مُضَارِعٌ، عَلامَةُ رَفْعِهِ ضَمُّ آخِرِهِ.

﴿بِرَبِّ﴾ جَرٌّ بالبَاءِ الزَّائِدَةِ.

﴿ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ جَرٌّ بالإضَافَةِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٣]

التناسب

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (أَمَرَ بالتَّعَوُّذِ برب هذا الدين، مُوَافَقَةً لإِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، مِنْ شَرِّ مَا يَقْدَحُ فيهِ بضَرَرٍ في الظاهِرِ أَوْ في الباطنِ، وَهُمُ الخَلائِقُ، حتَّى على الفَنَا في الغِنَا، وَبَدَأَ بما يَعُمُّ شَيَاطِينَ الإنسِ وَالجنِّ في الظاهِرِ وَالباطنِ، ثمَّ أَتْبَعَ بما يَعُمُّ القَبيلَيْنِ وَيَخُصُّ البَاطِنَ الذي يَسْتَلْزِمُ صلاحُهُ صَلاحَ الظاهِرِ؛ إعلامًا بشَرَفِ الباطنِ على وَجهٍ لا يُخِلُّ بالظاهِرِ، وَفِي ذلكَ إشارةٌ إلى الحَثِّ على مُعَاوَدَةِ القراءةِ مِنْ أوَّلِ القرآنِ كما يُشيرُ إليهِ قولُهُ تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ - أيْ: أَرَدْتَ قِرَاءَتَهُ - ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل: ٩٨].

فَقَالَ تعالى: ﴿قُلْ﴾. أيْ: لكلِّ مَنْ يَبْلُغُهُ القَوْلُ مِنْ جميعِ الخلائقِ تَعْلِيمًا لَهُم وَأَمْرًا، فإِنَّهُم كُلُّهُمْ مَرْبُوبُونَ مَقْهُورُونَ، لا نَجَاةَ لهم في شيءٍ مِنَ الضَّرَرِ إلاَّ بعِصْمَتِهِ سُبْحَانَهُ وتعالى، فعلى كلٍّ مِنْهُمْ أَنْ يَفْزَعَ أَوَّلَ مَا تُصيبُهُ المصيبةُ إلى مَوْلاهُ القادرِ على كَشْفِهَا تَصْحِيحًا لِتَوَكُّلِهِ، فإنَّهُ يَرْتَقِي بذلكَ إلى حالِ الرِّضَا بمُرِّ القضاءِ، وَلا يَأْخُذُ في الاعتمادِ على جَلادَتِهِ وَتَدْبيرِهِ بحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، فَإِنَّهُ يَشْتَدُّ أَسَفُهُ وَلا يَرُدُّ ذلكَ عنهُ شَيْئًا، ﴿أَعُوذُ﴾ أيْ: أَسْتَجِيرُ وَالتَجِئُ وَأَعْتَصِمُ وَأَحْتَرِزُ.

وَلَمَّا كَانَ هذا المعنَى أَلْيَقَ شَيْءٍ بصِفَةِ الرُّبُوبِيَّةِ - لأنَّ الإعاذَةَ مِنَ المَضَارِّ أَعْظَمُ تَرْبِيَةً - قَالَ: ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ أي: الذي يُرَبِيهِ وَيُنْشِئُ منهُ ما يُرِيدُ، وَهوَ الشيءُ المفلوقُ بإيجادِهِ ظُلْمَةَ العدمِ كَالعيونِ التي فُلِقَتْ بها ظلمةُ الأرضِ وَالجبالِ، وَكالأمطارِ التي فُلِقَتْ بهَا ظُلْمَةُ الجوِّ وَالسحاب، وَكالنباتِ الذي فُلِقَتْ بِهِ ظلمةُ

الصَّعِيدِ، وَكالأولادِ التي فُلِقَتْ بها ظلمةُ الأَحْشَاءِ، وَكالصبحِ الذي فُلِقَتْ بِهِ ظلمةُ الليلِ، وَما كانَ مِنَ الوحشةِ إلى ما حَصَلَ مِنْ ذلكَ مِنَ الطُّمَأْنِينَةِ وَالسكونِ وَالأنسِ وَالسرورِ إلى غيرِ ذلكَ مِنْ سائرِ المخلوقاتِ.

قَالَ المَلَّويُّ: وَالفَلْقُ – بالسُّكُونِ وَالحركةِ، كلُّ شَيْءٍ انْشَقَّ عنهُ ظلمةُ العدمِ وَأُوجِدَ مِنَ الكائناتِ جَمِيعِهَا – انْتَهَى.

وَخُصَّ في العُرْفِ بالصبحِ، فَقِيلَ: فَلَقُ الصُّبْحِ، وَمِنهُ قولُهُ تعالَى: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]. لأَنَّهُ ظَاهِرٌ في تَغَيُّرِ الحالِ وَمُحَاكَاةِ يومِ القيامةِ، الذي هوَ أعظمُ فَلَقٍ يَشُقُّ ظُلْمَةَ الفنَاءِ وَالهلاكِ بالبعثِ وَالإِحياءِ، فإِنَّ القادِرَ على ما قَبْلَهُ بِمَا نُشَاهِدُهُ قَادِرٌ عَلَيْهِ؛ لأَنَّهُ لا فَرْقَ، بل البعثُ أَهْوَنُ في عوائِدِ الناسِ؛ لأَنَّهُ إِعادةٌ، كَذَا سَائِرُ المُمْكِنَاتِ، وَمَنْ قَدَرَ على ذلكَ قَدَرَ على إِعاذَةِ المُسْتَعِيذِ مِنْ كلِّ ما يَخَافُهُ وَيَخْشَاهُ). [نظم الدرر: ٨/٦٠٣- ٦٠٤]

البلاغة

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (والفلَقُ: الصُّبْحُ، وهو فَعَلٌ بمعنى مَفعولٍ مِثْلُ الصَّمَدِ؛ لأنَّ الليلَ شُبهَ بشيءٍ مغلَقٍ يَنفلِقُ عن الصُّبْحِ، وحقيقةُ الفلَقِ: الانشقاقُ عن باطِنِ شيءٍ، واستُعِيرَ لظُهورِ الصُّبْحِ بعدَ ظُلمةِ الليلِ، وهذا مِثلُ استعارةِ الإخراجِ لظُهورِ النُّورِ بعْدَ الظلامِ في قولِه تعالى: ﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ٢٩﴾ [النازعات: ٢٩]، واستعارةِ السَّلْخِ له في قولِه تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧]). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٦]

التفسير

معنى افتتاح السورة بـ(قل)

قلت: (انظر ما سبق في المسائل العامة في تفسير المعوذتين مسألة: إثبات (قل) في التلاوة).

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (وافْتُتِحَ السورةَ بـ﴿قُلۡ﴾ ؛ لأنَّ اللَّهَ تعالى أمَرَ نَبِيَّهُ أنْ يَقُولَها، وهي مِن السُّورَةِ؛ لنُزُولِها معَها، وقد قالَ بعضُ فُصَحَاءِ السلَفِ: احْفَظِ القَلاقِلَ. وفيه تَأْوِيلانِ:

أَحَدُهُمَا: قُلْ: ﴿قُلۡ﴾ في كلِّ سورةٍ ذُكِرَ في أوائلِها؛ لأنَّه منها.

والثاني: احْفَظِ السورةَ التي في أَوَّلِها: ﴿قُلۡ﴾ لتأكيدِها بالأمْرِ بقراءَتِها). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٧]

قَالَ مَحْمُودُ بنُ حَمْزَةَ بنِ نَصرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ﴾: نَزَلَ فِي ابْتِدَاءِ خَمْسِ سُوَرٍ وَصارَ مَتْلُوًّا لأَنَّهَا نَزَلَتْ جوَابًا). [البرهان: ٣٧١]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (قولُه تعالَى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ فيه مَسائِلُ:

المسألةُ الأُولَى: في قولِه: ﴿قُلۡ﴾ فوائِدُ:

أحدُها: أنَّه سُبْحانَه لَمَّا أَمَرَ بقِراءَةِ سُورَةِ الإخلاصِ تَنْزِيهًا له عَمَّا لا يَلِيقُ به في ذَاتِهِ وصِفَاتِهِ، وكان ذلك مِن أَعْظَمِ الطَّاعاتِ، فكأنَّ العَبْدَ قالَ: إِلَهنا، هذه الطَّاعَةُ عَظِيمَةٌ جِدًّا لا أَثِقُ بنَفْسِي في الوَفَاءِ بها، فأَجَابَ بأَنْ قالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ أي: اسْتَعِذْ باللَّهِ، والتَجِئْ إليه حَتَّى يُوَفِّقَك لهذه الطاعَةِ على أَكْمَلِ الوُجُوهِ.

وثانيها: أنَّ الكُفَّارَ لَمَّا سَأَلُوا الرَّسُولَ عن نَسَبِ اللَّهِ وصِفَتِه، فكأنَّ الرَّسولَ عَلَيْهِ السَّلامُ قالَ: كيف أَنْجُو مِن هؤلاءِ الجُهَّالِ الذين تَجَاسَرُوا وقالُوا فيك ما لا يَلِيقُ بكَ؟ فقالَ اللَّهُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ أي: اسْتَعِذْ بي حَتَّى أَصُونَك عن شَرِّهِم.

وثالِثُها: كأنَّه تعالى يَقولُ: مَن التَجأَ إلى بَيْتِي شَرَّفْتُه وجَعَلْتُه آمِنًا، فَقُلْتُ: ومَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا فالتَجِئْ أنت أيضًا إِلَيَّ حَتَّى أَجْعَلَكَ آمِنًا فـ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾). [التفسير الكبير: ٣٢/١٧٣]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنُ جَمَاعَةَ الكِنَانِيُّ (ت: ٧٣٣هـ): (مسألةٌ: قولُه تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ ما فَائِدَةُ إثباتِها في التلاوةِ معَ عُمومِ الحُكْمِ؟

جوابُه: تَوجَّهَ الخِطابُ إلى النبيِّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ تَشْرِيفًا له وتَخْصِيصًا بمَزيدِ الاعتناءِ بالمُخاطبةِ، ومثلُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١] ونحوُ ذلكَ، وأيضًا لو بُدِئَ بـ﴿أَعُوذُ﴾ لم يَكُنْ فيه من التنصيصِ على الأمرِ بها ما في قولِه: ﴿قُلْ﴾ لتَطَرُّقِ احتمالِ قصدِ الإخبارِ بعدَه). [كشف المعاني:٤٣٣]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (﴿قُلْ﴾. أيْ: لكلِّ مَنْ يَبْلُغُهُ القَوْلُ مِنْ جميعِ الخلائقِ تَعْلِيمًا لَهُم وَأَمْرًا، فَإِنَّهُم كُلُّهُمْ مَرْبُوبُونَ مَقْهُورُونَ، لا نَجَاةَ لهم في شيءٍ مِنَ الضَّرَرِ إلاَّ بِعِصْمَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتعالى، فعلى كلٍّ مِنْهُمْ أَنْ يَفْزَعَ أَوَّلَ مَا تُصِيبُهُ المصيبةُ إِلى مَوْلاهُ القادرِ على كَشْفِهَا تَصْحِيحًا لِتَوَكُّلِهِ، فإِنَّهُ يَرْتَقِي بذلكَ إِلى حالِ الرِّضَا بمُرِّ القضاءِ، وَلا يَأْخُذُ في الاعتمادِ على جَلادَتِهِ وَتَدْبيرِهِ بحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، فَإِنَّهُ يَشْتَدُّ أَسَفُهُ وَلا يَرُدُّ ذلكَ عنهُ شَيْئًا). [نظم الدرر: ٨/٦٠٣- ٦٠٤]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (والخِطابُ في ﴿قُلْ﴾ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ وإذا قد كانَ قُرآنًا كانَ خِطابُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ به يَشمَلُ الأُمَّةَ حيثُ لا دَليلَ على تَخصيصِه به، فلذلك أمَرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ بعضَ أصحابه بالتعوُّذِ بهذه السُّورَةِ، ولذلك أيضًا كان يُعَوِّذُ بهما الحسَنَ والحُسَيْنِ، كما ثبَتَ في الصحيحِ، فتَكونُ صِيغةُ الأمرِ الموَجَّهَةُ إلى المخاطَبِ مُستَعْمَلَةً في مَعْنَيَيِ الخطابِ مِن تَوَجُّهِه إلى مُعَيَّنٍ وهو الأَصْلُ، ومِن إرادةِ كلِّ مَن يَصِحُّ خِطابُه، وهو طَريقٌ مِن طُرُقِ الخِطابِ تَدُلُّ على قَصْدِه القَرائنُ، فيَكونُ مِنَ استعمالِ المشتَرَكِ في مَعْنَيَيْهِ.

واستعمالُ صِيغةِ التَّكَلُّمِ في فِعْلِ ﴿أَعُوذُ﴾ يَتْبَعُ ما يُرادُ بصيغةِ الخِطابِ في فِعْلِ ﴿قُلْ﴾، فهو مَأمورٌ به لكُلِّ مَن يُريدُ التَّعَوُّذَ بها.

وأمَّا تَعويذُ قَارِئِها غيرَه بها ؛ كما وَرَدَ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ كان يُعوِّذُ بالمُعَوِّذَتَيْنِ الحسَنَ والحُسَيْنَ، وما رُوِيَ عن عائشةَ قالتْ: إنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ كانَ يَنْفُثُ على نفْسِه في المَرَضِ الذي ماتَ فيه بالمُعَوِّذاتِ، فلَمَّا ثَقُلَ كنتُ أَنْفُثُ به عليه بهِنَّ، وأمسَحُ بيدِ نفْسِه لبَرَكَتِها. فذلك على نِيَّةِ النِّيَابَةِ عمَّنْ لا يُحْسِنُ أنْ يُعَوِّذَ نفْسَه بنفْسِه بتلك الكَلِمَاتِ ؛ لعَجْزٍ، أو صِغَرٍ، أو عَدَمِ حفْظٍ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٥- ٦٢٦]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (الأَمْرُ بالقوْلِ يَقتضِي المحافَظَةَ على هذه الأَلفاظِ ؛ لأنها التي عَيَّنَها اللهُ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ليَتَعَوَّذَ بها ، فإجَابَاتُها مَرْجُوَّةٌ، إذ ليس هذا المَقولُ مشْتَمِلاً على شَيءٍ يُكَلَّفُ به أو يَعمَلُ حتى يكونَ المرادُ: قلْ لهم كذا، كما في قولِه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، وإنما هو إنشاءُ معنًى في النفْسِ تَدُلُّ عليه هذه الأقوالُ الخاصَّةُ.

وقد رُوِيَ عن ابنِ مسعودٍ في أنه سأَلَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عنِ المُعَوِّذَتَيْنِ فقالَ: «قِيلَ لِي: قُلْ؛ فَقُلْتُ لَكُمْ: قُولُوا». يريدُ بذلك المحافَظَةَ على هذه الألفاظِ للتَّعَوُّذِ، وإذ قدْ كانتْ مِنَ القرآنِ فالمحافَظَةُ على ألفاظِها متَعَيِّنَةٌ، والتعوُّذُ يَحصُلُ بمَعناها وبألفاظِها، حتى كَلِمَةَ ﴿قُلْ﴾). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٦]

لمن الخطاب في هذه الآية؟

قالَ عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِب بن عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (الخِطَابُ للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمرادُ هو وآحادُ أُمَّتِه). [المحرر الوجيز: ١٥/٦٠٨]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبِيُّ (ت: ٨٧٥ هـ): (قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾. الخِطَابُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالمُرَادُ هُوَ وَآحَادُ أُمَّتِهِ). [الجواهر الحسان: ٥/٦٤٠]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ التَّمِيمِيُّ (ت: ١٢٠٦ هـ): (وَأَمَّا المُسْتَعِيذُ فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُلُّ مَنِ اتَّبَعَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ). [مجموع مؤلفاته/التفسير: ٢٨٢]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (والخِطابُ في ﴿قُلْ﴾ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٦]

قلت: (وانظر أقاويل العلماء في المسألة التالية).

معنى (أعوذ)

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبٍ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٣٠٨هـ): (عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عنهما، في قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ﴾ يقولُ: قُلْ يا مُحَمَّدُ ﴿أَعُوذُ﴾ أَمْتَنِعُ وَأَعْتَصِمُ وَأَسْتَجِيرُ). [الواضح: ٢/٥٢٧]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لنبيِّه محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قلْ يَا محمدُ: أَسْتَجِيرُ بِرَبِّ الفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ مِن الخَلْقِ). [جامع البيان: ٢٤/٧٤١]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (قولُه تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾. يعني: قُلْ يا مُحَمَّدُ: أَعتصِمُ، وأَستعيذُ، وأَستعينُ بخالِقِ الخَلْقِ). [بحر العلوم: ٥٢٦/٣]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزآبادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ الثِّقَةُ ابْنُ المَأْمُونِ الهَرَوِيُّ قالَ: أَخْبَرَنَا أَبي، قالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ، قال: أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللهِ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَمَّارُ بْنُ عَبْدِ المَجِيدِ الهَرَوِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ السَّمَرْقَنْدِيُّ، عن مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنِ الكَلْبيِّ، عن أبي صَالحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ يَقُولُ: قُلْ يَا مُحَمَّدٌ أَمْتَنِعُ، وَيُقَالُ أَسْتَعِيذُ بِرَب الفَلَقِ). [تنوير المقباس: ٦٠٤]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (﴿أَعُوذُ﴾ أي: أَسْتَجِيرُ وَالتَجِئُ وَأَعْتَصِمُ وَأَحْتَرِزُ.
وَلَمَّا كَانَ هذا المعنَى اللّيقَ شَيْءٍ بصِفَةِ الرُّبُوبيَّةِ؛ لأنَّ الإِعاذة مِنَ المَضارِّ أَعْظَمُ تَرْبيَةً قَالَ: ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ أي: الذي يُرَبيهِ وَيُنْشِئُ منهُ ما يُرِيدُ). [نظم الدرر: ٦٠٤/٨]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (ومعنى أعوذُ أستجيرُ وألتجئُ وأعتصمُ وأحترِزُ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ التَّمِيمِيُّ (ت: ١٢٠٦ هـ): (فَمَعْنَى أَعُوذُ: أَعْتَصِمُ وَالتَجِئُ وَأَتَحَرَّزُ). [مجموع مؤلفاته/التفسير: ٢٨٢]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ أي: التجئُ وأعتصمُ وأَتَحَرَّزُ). [روح المعاني: ٢٧٩/٢٩]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾؛ أيْ: أَلُوذُ بهِ والتجِئُ إليهِ). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٤]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (أَعُوذُ: أَيْ الجَأُ). [تفسير المراغي: ٢٦٦/٣٠]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ نَاصِرٍ السّعْدِيُّ (ت: ١٣٧٦هـ): (أي: ﴿قُلْ﴾ مُتَعَوِّذًا: ﴿أَعُوذُ﴾؛ أي: الجَأُ وأَلُوذُ وأَعْتَصِمُ). [تيسير الكريم الرحمن: ٢٠٠١/٤]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (والعَوْذُ: اللَّجأُ إلى شيءٍ يَقِي مَن يَلْجأُ إليه مَن يَخَافُه، يقالُ: عاذَ بفُلانٍ، وعاذَ بحِصْنٍ، ويقالُ: استعاذَ، إذا سأَلَ غيرَه أنْ يُعيذَه، قالَ تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾ [الأعراف: ٢٠٠]. وعاذَ مِن كذا، إذا صارَ إلى ما يُعِيذُه منه؛ قالَ تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل: ٩٨]). [التحرير والتنوير: ٦٢٦/٣٠]

المراد بالفلق

قَالَ عَبْدُ الخَالِقِ بْنُ الحَسَنِ ابنُ أَبي رُوبَا (ت:٣٥٦ هـ): حدَّثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ ثابتٍ الثَّورِيُّ عن أَبيه عن الهُذَيْلِ بنِ حَبِيبٍ عنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ البلخيِّ (ت:١٥٠هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ يَعْنِي برب الخَلْقِ). [تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٧/٣]

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت:١٧٣هـ) : (الفَلَقُ: الفجر، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾ هو الصبح، والله فَلَقَهُ أي أوضَحَهُ وأبداهُ فانفلَقَ). [العين: فلق]

قالَ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ الفَرَّاءُ: (ت: ٢٠٧هـ): (قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾ الفلَقُ: الصُّبْحُ، يُقالُ: هو أَبْيَنُ مِن فَلَقِ الصُّبْحِ، وفَرَقِ الصُّبْحِ). [معاني القرآن: ٣/٣٠١]

قالَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى التَّيْمِيُّ (ت: ٢١٠هـ): ﴿الْفَلَقِ﴾: الصُّبْحُ). [مجاز القرآن: ٢/٣١٧]

قالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت: ٢١١هـ): (عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْفَلَقِ﴾ قَالَ: هُوَ فَلَقُ الصُّبْحِ). [تفسير عبد الرزاق: ٢/٤٠٨]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ يَحيَى بْنِ المُبَارَكِ اليَزِيدِيُّ (ت: ٢٣٧هـ): (﴿الْفَلَقِ﴾: الصُّبْحُ). [غريب القرآن وتفسيره: ٤٤٧]

قال محمدُ بنُ إسماعيلَ البخاريُّ (ت: ٢٥٦هـ): (وقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿الْفَلَقِ﴾: الصُّبْحِ، و﴿غَاسِقٍ﴾ اللَّيْلِ ﴿إِذَا وَقَبَ ③﴾: غُرُوبُ الشَّمْسِ. يُقَالُ: أَبْيَنُ مِنْ فَرَقِ وفَلَقِ الصُّبْحِ). [صحيح البخاري: ٥/٣١١]

- **قال أحمدُ بنُ عَلَيٍّ بنِ حجرٍ العَسْقَلانيُّ (ت: ٨٥٢هـ)**: (قال الفِرْيَابيُّ: ثنا وَرْقَاءُ، عن ابنِ أَبي نَجيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، في قَوْلِهِ ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾، قال: فَلَقِ الصُّبْحِ). [تغليق التعليق: ٧/٣٨١]

- **قال أحمدُ بنُ عَلَيٍّ بنِ حجرٍ العَسْقَلانيُّ (ت: ٨٥٢هـ)**: (قولُهُ: (وقَالَ مُجَاهِدٌ: الفَلَقُ الصُّبْحُ) وصلَهُ الفِرْيَابيُّ من طَرِيقِهِ وكذا قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ). [فتح الباري: ٨/٧٤١]

- **قال أحمدُ بنُ عَلَيٍّ بنِ حجرٍ العَسْقَلانيُّ (ت: ٨٥٢هـ)**: (قولُهُ: (يُقَالُ: أَبْيَنُ مِنْ فَرَقِ وفَلَقِ الصُّبْحِ) هُو قولُ الفَرَّاءِ ولَفْظُهُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾ الفَلَقُ الصُّبْحُ، وهُو أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ وفَرَقِ الصُّبْحِ). [فتح الباري: ٨/٧٤١]

- **قال محمودُ بنُ أحمدَ بنِ موسى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ)**: (وَالفَلَقُ: الصُّبْحُ كَذَا رُوِيَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْهُ: سِجْنٌ فِي جَهَنَّمَ، وَعَنِ السُّدِّيِّ: جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يَرْفَعُهُ بسَنَدٍ لا بَأْسَ بِهِ: الفَلَقُ جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ مُغَطًّى، وَعَنْ كَعْبٍ: الجُبُّ بَيْتٌ فِي جَهَنَّمَ إِذَا فُتِحَ صَاحَ أَهْلُ النَّارِ مِنْ شَرِّ حَرِّهِ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ). [عمدة القاري: ٢٠/١٠]

- - **قالَ عوضُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ القَرنِيُّ**: (قوله: (الجب بيت في جهنم) هي هكذا في المطبوع ولعل الصواب الفلق بيت في جهنم). [هيئة المراجعة]

- **قال محمودُ بنُ أحمدَ بنِ موسى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ)**: ((وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الفَلَقُ: الصُّبْحُ. وَغَاسِقٌ اللَّيْلُ، إِذَا وَقَبَ: غُرُوبُ الشَّمْسِ. يُقَالُ: أَبْيَنُ مِنْ فَرَقٍ وَفَلَقِ الصُّبْحِ.
وَكَذَا قَوْلُهُ: (يُقَالُ: أَبْيَنُ مِنْ فَرَقٍ وَفَلَقِ الصُّبْحِ) مِنْ كَلامِ الفَرَّاءِ). [عمدة القاري: ٢٠/١٠]

- **قالَ جلالُ الدينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أبي بكرٍ السيوطيُّ (ت: ٩١١هـ)**: (قوله: (وقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: الصُّبْح، و﴿غَاسِقٍ﴾: اللَّيْلِ. ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾: غُرُوبُ الشَّمْسِ، يُقَالُ: أَبْيَنُ مِنْ فَرَقِ وفَلَقِ الصُّبْح. ﴿وَقَبَ ۝٣﴾ إذا دَخَلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وأَظْلَمَ)). [التَّوْشِيحُ: ٣١٦٢/٧]

- **قال أحمدُ بنُ محمدِ بن أبي بكرٍ القَسْطَلاَّنيُّ (ت: ٩٢٣هـ)**: ((وَقَالَ مُجَاهِدٌ) فِيمَا وَصَلَهُ الفِرْيَابيُّ: (الفَلَقُ الصُّبْحُ) ؛ لأَنَّ اللَّيْلَ يُفْلَقُ عَنْهُ وَيُفْرَقُ ؛ فَعَلٌ بمَعْنَى مَفْعُولٍ أَيْ: مَفْلُوق، وتَخْصِيصُهُ لِمَا فِيهِ مِنْ تَغَيُّرِ الحَالِ، وَتَبَدُّلِ وَحْشَةِ اللَّيْلِ بسُرُورِ النُّورِ، وقِيلَ: هُوَ كُلُّ مَا يَفْلِقُهُ اللَّهُ كَالأَرْضِ عَنِ النَّبَاتِ وَالسَّحَابِ عَنِ المَطَرِ وَالأَرْحَامِ عَنِ الأَوْلادِ، وثَبَتَ قَوْلُهُ: الفَلَقُ الصُّبْحُ لأَبِي ذَرٍّ وَسَقَطَ لِغَيْرِهِ). [إرشاد الساري: ٤٤١/٧]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٢٧٦هـ): (الفَلَقُ: الصُّبْحُ). [تفسير غريب القرآن: ٥٤٣]

قالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ (ت: ٢٨٣هـ): (قالَ: والفَلَقُ: الصُّبْحُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وهُوَ عِنْدَ الضَّحَّاكِ: وَادٍ فِي النَّارِ، وعِنْدَ وَهْبٍ: بَيْتٌ فِي النَّارِ، وعِنْدَ الحَسَنِ: جُبٌّ فِي النَّارِ.

وقِيلَ: أَرادَ بِهِ جَمِيعَ الخَلْقِ، وقِيلَ: هو الصُّخُورُ تَنْفَلِقُ عَنِ المِيَاهِ). [تفسير التستري: ٢١٠]

قَالَ اليَمَانُ بنُ أبي اليمانِ البَنْدَنِيجِيُّ (ت: ٢٨٤هـ): (وَالفَرَقُ: فَرَقُ الصُّبْحِ، يُقَالُ: هُوَ أَبْيَنُ مِنْ فَرَقِ الصُّبْحِ، قالَ الله تعالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وهوَ الصُّبْحِ). [التقفيه في اللغة: ٦٠٣]

قالَ هُودُ بْنُ مُحكَّمٍ الهواريُّ (ت: ق٣): (قولُه تعالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ ذَكَرُوا أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «الفَلَقُ سِجْنٌ فِي جَهَنَّمَ»). [تفسير كتاب الله العزيز: ٥٤٤/٤]

قالَ هُودُ بْنُ مُحكَّمٍ الهواريُّ (ت: ق٣): (وقالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: الفَلَقُ فَلَقُ الصُّبْحِ. وقالَ الحَسَنُ مِثْلَهُ، وكُلُّ شَيْءٍ تَفَلَّقَ مِنَ الحَبِ والنَّوَى للنَّبَاتِ). [تفسير كتاب الله العزيز: ٥٤٤/٤]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبٍ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٣٠٨هـ): (عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عنهما، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ﴾ يقولُ: قُلْ يا مُحَمَّدُ ﴿أَعُوذُ﴾ أَمْتَنِعُ وَأَعْتَصِمُ وَأَسْتَجِيرُ ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ برَب الخَلْقِ، ويُقَالُ: الصُّبْحُ، ويُقَالُ: وادٍ فِي جَهَنَّمَ، ويُقَالُ: غِطَاءُ النَّارِ). [الواضح: ٥٢٧/٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَريرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (واخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ في معنى الفَلَقِ ؛

- فقَالَ بَعْضُهُم: هو سِجْنٌ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى هذا الاسْمَ.

ذِكْرُ مَن قالَ ذَلِكَ:

- حَدَّثَنِي الحُسَيْنُ بنُ يَزِيدَ الطَّحَّانُ، قالَ: ثَنَا عبدُ السلامِ بنُ حَرْبٍ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللهِ، عمَّنْ حَدَّثَه عن ابنِ عبَّاسٍ، قالَ: الفَلَقُ: سِجْنٌ فِي جَهَنَّمَ.

- حَدَّثَنَا ابنُ بَشَّارٍ، قالَ: ثَنَا أبو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، قالَ: ثَنَا عبدُ السلامِ بنُ حَرْبٍ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أبي فَرْوَةَ، عن رجلٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ في قَوْلِهِ: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ قال: سِجْنٌ فِي جَهَنَّمَ.

- حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، قالَ: ثَنَا هُشَيْمٌ، قالَ: أَخْبَرَنَا العَوَّامُ عنْ عبدِ الجبَّارِ الخَوْلانِيُّ، قالَ: قَدِمَ رجلٌ مِن أصحاب رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشامَ، قالَ: فنَظَرَ إلى دُورِ أهلِ الذِّمَّةِ، وما هم فيه من العَيْشِ والنضَارَةِ، وما وُسِّعَ عليهم في دُنياهم، قالَ: فقالَ: لا أُبالي، أَلَيْسَ مِن ورائِهم الفَلَقُ؟ قالَ: قِيلَ وما الفَلَقُ؟ قالَ: بيتٌ في جهنَّمَ، إذَا فُتِحَ هَرَّ أهلُ النارِ.

- حَدَّثَنَا ابنُ بَشَّارٍ، قالَ: ثَنَا عبدُ الرحمنِ، قالَ: ثَنَا سُفيانُ، قالَ: سَمِعْتُ السُّدِّيَّ يقولُ: الفَلَقُ: جُبٌّ في جَهَنَّمَ.

- حَدَّثَنِي عليُّ بنُ حَسَنٍ الأَزْدِيُّ، قالَ: ثَنَا الأَشْجَعِيُّ، عن سُفْيَانَ، عن السُّدِّيِّ، مِثلَه.

- حَدَّثَنَا ابنُ حُمَيْدٍ، قالَ: ثَنَا مِهْرَانُ، عن سُفْيَانَ، عن السُّدِّيِّ، مثلَه.

- حَدَّثَنِي إسحاقُ بنُ وَهْبٍ الواسِطِيُّ، قالَ: ثَنَا مسعودُ بنُ موسَى بنِ مُشْكَانَ الواسِطِيُّ، قالَ: ثَنَا نَصْرُ بنُ خُزَيْمَةَ الخُرَاسَانِيُّ، عن شُعَيْب بنِ صَفْوَانَ، عن محمدِ بنِ كَعْبٍ القُرَظِيِّ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالَ: «الفَلَقُ: جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ مُغَطًّى».

- حَدَّثَنَا ابنُ البَرْقِيُّ، قالَ: ثَنَا ابنُ أبي مَرْيَمَ، قالَ: ثَنَا نافِعُ بنُ يَزِيدَ، قالَ: ثَنَا يَحْيَى بنُ أَبِي أُسَيْدٍ، عن ابنِ عَجْلانَ، عن أبي عُبَيْدٍ، عن كَعْبٍ، أنَّه دخَلَ كَنِيسَةً فأَعْجَبَه حُسْنُها، فقالَ: أَحْسَنُ عَمَلٍ وأَضَلُّ قَوْمٍ، رَضِيتُ لَكُمُ الفَلَقَ.

قِيلَ: وما الفَلَقُ؟ قالَ: بيتٌ في جَهَنَّمَ، إذَا فُتِحَ صاحَ جَمِيعُ أَهْلِ النارِ مِن شِدَّةِ حَرِّهِ.

وقالَ آخرُونَ: هو اسْمٌ مِن أسماءِ جَهَنَّمَ.

ذِكْرُ مَن قالَ ذَلِكَ:

- حَدَّثَنِي يُونُسُ، قالَ: أَخْبَرَنَا ابنُ وَهْبٍ، قالَ: سَمِعْتُ خُثَيمَ بنَ عَبْدِ اللهِ يقولُ: سَالتُ أبا عبدِ الرَّحْمَنِ الحُبُلِّيَّ، عن الفَلَقِ، قالَ: هي جَهَنَّمُ.

وقالَ آخرُونَ: الفَلَقُ: الصُّبْحُ.

ذِكْرُ مَن قالَ ذَلِكَ:

- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ سَعْدٍ، قالَ: ثَنِي أَبِي، قالَ: ثَنِي عَمِّي، قالَ: ثَنِي أَبِي، عن أبيه، عن ابنِ عبَّاسٍ: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ قالَ: الفَلَقُ: الصبحُ.

- حَدَّثَنَا ابنُ بَشَّارٍ، قالَ: ثَنَا ابنُ أبي عَدِيٍّ، قالَ: أنبأَنَا عَوْفٌ، عن الحسَنِ، في هذه الآيَةِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ قالَ: الفلقُ: الصبْحُ.

قالَ: ثَنَا عبدُ الرحمنِ، قالَ: ثَنَا سُفيانُ، عن سالِمٍ الأَفْطَسِ، عن سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ، قالَ: الفلَقُ الصبحُ.

- حَدَّثَنَا أبو كُرَيْبٍ، قالَ: ثَنَا وَكِيعٌ؛ وحَدَّثَنَا ابنُ حُمَيْدٍ، قالَ: ثَنَا مِهْرَانُ، جميعًا عن سُفْيَانَ، عن سالِمٍ الأَفْطَسِ، عن سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ، مثلَه.

- حَدَّثَنِي عليٌّ بنُ الحسَنِ الأَزْدِيُّ، قالَ: ثَنَا الأَشْجَعِيُّ، عن سُفْيَانَ، عن سالِمٍ، عن سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ، مثلَه.

- حَدَّثَنَا أبو كُرَيْبٍ، قالَ: ثَنَا وَكِيعٌ، عن الحسَنِ بنِ صالِحٍ، عن عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ عُقَيْلٍ، عن جَابِرٍ، قالَ: الفلَقُ: الصبْحُ.

- حَدَّثَنَا ابنُ بَشَّارٍ، قالَ: ثَنَا أبو أحمدَ، قالَ: ثَنَا الحسَنُ بنُ صالِحٍ، عن عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ عُقَيْلٍ، عن جَابرِ بنِ عبدِ اللهِ، مِثْلَه.

- حَدَّثَنِي يُونُسُ، قالَ: أَخْبَرَنَا ابنُ وَهْبٍ، قالَ: أَخْبَرَنَا أبو صَخْرٍ، عن القُرَظِيِّ، أنَّه كان يقولُ في هذه الآيَةِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ يقولُ: فالِقِ الحَب والنوَى، وقرأ: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ عَمْرٍو، قالَ: ثَنَا أبو عاصم، قالَ: ثَنَا عيسى؛ وحَدَّثَنِي الحَارِثُ، قالَ: ثَنَا الحسَنُ، قالَ: ثَنَا وَرْقَاءُ، جَمِيعًا عن ابنِ أبي نَجِيحٍ، عن مُجَاهِدٍ، في قَوْلِهِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ قالَ: الصبح.

- حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قالَ: ثَنَا يَزِيدُ، قالَ: ثَنَا سعيدٌ، عن قَتَادَةَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ قالَ: الفلَقُ: فلَقُ النهارِ.

- حَدَّثَنَا ابنُ عبدِ الأعلى، قالَ: ثَنَا ابنُ ثَوْرٍ، عن مَعْمَرٍ، عن قَتَادَةَ، قالَ: الفلقُ: فلَقُ الصبْحِ.

- حَدَّثَنِي يُونُسُ، قالَ: أَخْبَرَنَا ابنُ وَهْبٍ، قالَ: قالَ ابنُ زَيْدٍ، في قَوْلِ اللهِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ قِيلَ له: فَلَقُ الصبحِ؟ قالَ: نعمْ.

وقَرَأَ: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ الَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦].

وقالَ آخَرُونَ: الفلقُ: الخَلْقُ، ومعنى الكلامِ: قلْ أُعوذُ بربِ الخَلْقِ.

ذِكْرُ مَن قالَ ذَلِكَ:

- حَدَّثَنِي عليٌّ، قالَ: ثنا أبو صالِحٍ، قالَ: ثَنِي مُعَاوِيَةُ، عن عليٍّ، عن ابنِ عبَّاسٍ، في قَوْلِهِ: ﴿الْفَلَقِ﴾ يعني: الخَلْقِ.

والصَّوابُ مِنَ القَوْلِ في ذلك، أن يقالَ: إن اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أمَرَ نبيَّه محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقولَ: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾.

والفَلَقُ في كلامِ العرب: فَلَقُ الصبح، تقولُ العربُ: هو أبْيَنُ مِن فَلَقِ الصبح، ومِن فَرَقِ الصبْحِ.

وجائِزٌ أن يكونَ في جهنَّم سِجْنٌ اسْمُه فلَقٌ.

وإذا كانَ ذلك كذلك، ولم يَكُنْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَضَعَ دَلالَةً على أنَّه عَنَى بقَوْلِهِ: ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ بعضَ ما يُدْعَى الفلقَ دونَ بعضٍ، وكانَ اللهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ ربَّ كلِّ ما خَلَقَ مِن شيءٍ، وَجَبَ أن يكون مَعْنِيًّا به كلُّ ما اسْمُه الفَلَقُ؛ إِذْ كانَ رَبَّ جَمِيعِ ذلك). [جامع البيان: ٢٤/٧٤١- ٧٤٥]

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ السَّرِيِّ الزَّجَّاجُ (ت: ٣١١هـ): (قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ وَهُوَ فَلَقُ الصُّبْحِ وَهُوَ ضِيَاؤُهُ، وَيُقَالُ أَيْضًا فَرَقُ الصُّبْحِ. يُقَالُ: (هُوَ أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ).

وَمَعْنَى الفَلَقِ الخَلْقُ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥]. وَكَذَلِكَ فَلَقَ الأَرْضَ بالنَّبَاتِ وَالسَّحَابَ بالمطَرِ، وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الخَلْقَ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ خَلْقَهُ أَكْثَرُهُ عَنِ انْفِلاقٍ. فَالفَلَقُ جَمِيعُ المَخْلُوقَاتِ وَفَلَقُ الصُّبْحِ مِنْ ذَلِكَ). [معاني القرآن وإعرابه: ٣٧٩/٥]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النحَّاسُ (ت: ٣٣٨هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ قَدِ اختلَفَ العلماءُ في مَعْنَاهُ، فقالَ جَابرُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ: هُوَ الصُّبْحُ، وقالَ أبو عبدِ الرَّحمنِ الحُبُلِّيُّ: هي جَهَنَّمُ، وقيلَ: هو الخَلْقُ، وقيلَ: هو وَادٍ فِي جَهَنَّمَ. قالَ أبو جَعْفرٍ: وإذا وَقَعَ الاختلافُ وَجَبَ أَنْ يُرْجَعَ إلى اللِّسانِ الذي نَزَلَ به القرآنُ، والعَرَبُ تقولُ: هو أَبْيَنُ من فَلَقِ الصُّبْحِ وفَرَقِه، يَعْنُونَ الفَجْرَ). [إعراب القرآن: ٣١٣/٥]

قَالَ غُلامُ ثَعْلَبٍ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الوَاحِدِ البَغْدَادِيُّ (ت: ٣٤٥هـ): (﴿الْفَلَقِ﴾ جهَنَّمَ، والفَلَقُ أيضًا: ضَوْءُ الفَجْرِ، والفَلَقُ أيضًا: المُطْمَئِنُّ بينَ الرَّبْوَتَيْنِ، والفَلَقُ أيضًا: القَيْدُ الذي يكونُ مِن خَشَبٍ يُقالُ له: الأَدْهَمُ). [تفسير غريب القرآن: ٦٠٩]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ الحسَنِ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٣٥٢هـ): (ثَنَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: ثَنَا آدَمُ، قَالَ: ثَنَا وَرْقَاءُ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ، عن مُجَاهِدٍ قَالَ: الفَلَقُ: الصُّبْحُ). [تفسير مجاهد: ٧٩٦]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الكَرَجِيُّ القَصَّابُ (ت: ٣٦٠هـ): (اخْتَلَفُوا فِي تَفْسِيرِ الفَلَقِ، فمنهم مَن قالَ: هم الخَلْقُ، ومِنْهُم مَن قالَ: هو الصُّبْحُ، ومنهم مَن قالَ: هو سِجْنٌ فِي جَهَنَّم). [نكت القرآن: ٤/ ٥٦٦]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (والفَلَقُ الصُّبْحُ، وَيُقَالُ: هُوَ أَبْيَنُ مِن فَلَقِ الصُّبْحِ، وَمِنْ فَرَقِ الصُّبْحِ، والفَلَقُ أَيْضًا الخَلْقُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: لا والَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، والفَلَقُ جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ يَصِيرُ إِلَيْهِ صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ وَقَيْحُهُمْ، وَقِيلَ: الفَلَقُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ نَعُوذُ باللهِ مِنْهُ، كَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ۝٥٢﴾ [الكهف: ٥٢] قِيلَ المَوْبِقُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ [نَعُوذُ باللهِ مِنْهُ]، وَقِيلَ: المَوْبِقُ المَهْلِكُ، وَقِيلَ المَوْبِقُ المَوْعِدُ.

وَالفَلَقُ فِي غَيْرِ هَذَا مَا اطْمَأَنَّ مِنَ الأَرْضِ، وَالفَلَقُ مِقْطَرَةٌ مِنْ خَشَبٍ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٣]

قَالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (قولُه تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾. يعني: قُلْ يا مُحَمَّدُ: أَعتَصِمُ، وأَستعيذُ، وأَستعينُ بخالِقِ الخَلْقِ. والفَلَقُ الخَلْقُ، وإنما سُمِّيَ الخَلْقُ فَلَقًا لأنهم فُلِقوا مِن آبائِهم وأُمَّهاتِهم. ويُقالُ: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾. يعني: بخالِقِ الصُّبْحِ، ويُقالُ: فالِقُ الحَب والنَّوَى. قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥]. وقالَ: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، ويُقالُ: الفَلَقُ وادٍ في جهَنَّمَ. ويُقالُ: جُبٌّ في النارِ.

ورُوِيَ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنه قالَ: «الفَلَقُ شَجرةٌ في جهَنَّمَ؛ فإنْ أَرادَ اللهُ أنْ يُعَذِّبَ الكافرَ بأَشَدِّ العذابِ يَأمُرُه أنْ يَأكلَ مِن ثَمرِها».

ورُوِيَ عن كَعْبِ الأحبارِ أنه دَخَلَ في بعْضِ الكنائسِ التي للرُّومِ فقالَ: أَخْسَرُ عمَلٍ وأَضَلُّ قَوْمٍ؛ قد رَضِيتُ لكُمْ بالفَلَقِ. فقِيلَ له: ما الفَلَقُ يا كعْبُ؟ قالَ: بئْرٌ في النارِ إذا فُتِحَ بابُها صاح جَميعُ أهْلِ النارِ مِن شِدَّةِ عذابها). [بحر العلوم: ٣/٥٢٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنُ أَبِي زَمَنِينَ (ت: ٣٩٩هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾. تَفْسِيرُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبيِّ عليهِ السَّلامُ: «الفَلَقُ سِجْنٌ فِي جَهَنَّمَ»). [تفسير القرآن العزيز: ٥/١٧٤]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: هو سِجْنٌ في جَهَنَّمَ.

ورَوى هُشَيْمٌ عن العوَّامِ عن عبدِ الجَبَّارِ الخَوْلانيِّ، قالَ: قَدِمَ رجلٌ مِن أصحاب النبيِّ عليه السلامُ الشامَ فنظَرَ إلى دُورِ أهلِ الذمَّةِ، وما فيها مِن العَيْشِ والنَّضارَةِ، وما وُسِّعَ عليهم في دُنياهم، فقالَ: لا أُبالي، أليسَ مِن ورائِهم الفَلَقُ؟ قالَ: قِيلَ: وما الفَلَقُ؟

قالَ: بيتٌ إذَا انْفَتَحَ صاحَ جميعُ أهلِ النارِ مِن شِدَّةِ حَرِّهِ.

وقالَ أبو عبدِ الرحمنِ الحُبُلِّيُّ: الفَلَقُ هو جَهَنَّمُ.

قالَ جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ والحسنُ وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ ومُجَاهِدٌ وقَتَادَةُ والقُرَظِيُّ وابنُ زيدٍ: الفَلَقُ: الصبْحُ. وإليه ذهَبَ ابنُ عَبَّاسٍ، ودليلُ هذا التأويلِ قولُه تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

قالَ الضَّحَّاكُ والوَالِبِيُّ عن ابنِ عَبَّاسٍ: معنى الفَلَقِ الخَلْقُ.

ووَهْبٌ: هو جُبٌّ في جَهَنَّمَ.

وقالَ الكَلْبِيُّ: هو وادٍ في جَهَنَّمَ.

وقالَ عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو: شجرةٌ في النارِ.

وقِيلَ: الفَلَقُ الجبالُ والصخورُ تَنْفَلِقُ بالمياهِ؛ أي: تَتَشَقَّقُ.

وقِيلَ: هو الرَّحِمُ تَنْفَلِقُ عن الحيوانِ.

وقِيلَ: الحَبُّ والنوَى تَنْفَلِقُ عن التراب. دليلُه قولُه سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام: ٩٥]. والأصلُ فيه الشَّقُّ.

وقالَ مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ التِّرْمِذِيُّ في هذه: كَشَفَ اللَّهُ تعالى عن قلوب خَوَاصِّ عِبادِه فقَذَفَ النورَ فيها، فانْفَلَقَ الحِجَابُ وانْكَشَفَ الغِطاءُ). [الكشف والبيان: ١٠/٣٣٩]

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (﴿الْفَلَقِ﴾: الصُّبْحِ). [تفسير المشكل من غريب القرآن: ٣٠٩]

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ فيه سِتَّةُ تأويلاتٍ:

أَحَدُهَا: أنَّ الفَلَقَ سِجْنٌ في جَهَنَّمَ. قَالَهُ ابنُ عبَّاسٍ.

الثاني: أنه اسمٌ مِن أسماءِ جَهَنَّمَ. قَالَهُ أبو عبدِ الرحمنِ.

الثالثُ: أنَّه الخَلْقُ كلُّه. قَالَهُ الضَّحَّاكُ.

الرابعُ: أنَّه فَلَقُ الصُّبْح. قَالَهُ جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ، ومنه قولُ الشاعرِ:

يــا ليلــةً لم أَنَمْهَــا بــتُّ مُرْتَفِقًــا أَرْعَــى النُّجُــومَ إلى أنْ نَــوَّرَ الفَلَــقُ

الخامسُ: أنَّها الجبالُ والصخورُ تَنْفَلِقُ بالمِيَاهِ.

السادسُ: أنَّه كلُّ ما انْفَلَقَ عن جميعِ ما خُلِقَ مِن الحيوانِ والصبْحِ والحَب والنَّوَى وكلِّ شيءٍ مِن نباتٍ وغيرِه. قَالَهُ الحَسَنُ.

ولأصحاب الغوامِضِ أنَّه فَلَقُ القلوبَ للأفهامِ حتى وَصَلَتْ إليها ووَصَلَتْ فيها، وأصْلُ الفَلَقِ الشَّقُّ الواسعُ، وقيلَ للصُّبْحِ: فَلَقٌ. لفَلْقِ الظلامِ عنه، كما قِيلَ له: فَجْرٌ. لانفجارِ الضَّوْءِ منه). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٤]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ مُطَرِّفٍ الكِنَانِيُّ (ت: ٤٥٤هـ): (﴿ٱلْفَلَقِ﴾: الصُّبْحُ). [القرطين: ٢٢٢]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (قَوْلُهُ: ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾: يَعْنِي: الصُّبْحَ). [الوجيز: ٢/١٢٤٢]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (وَ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: الصُّبْحُ وَبَيَانُهُ، يُقَالُ: هُوَ أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ). [الوسيط: ٤/٥٧٢]

قالَ أَبُو المُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (قولُه تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ فيه أقوالٌ:

أحدُها - وهو الأَظْهَرُ -: أنَّ الفَلَقَ هو الصبحُ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

والقولُ الثاني: أنه جميعُ الخَلْقِ.

والقولُ الثالثُ: أنه بيتٌ في النارِ، إذا فُتِحَ بابُه صاحَ أَهْلُ جَهَنَّمَ مِن شِدَّةِ حَرِّه، قالَه كعبٌ الحبرُ.

والقولُ الرابعُ: جُبٌّ في جَهَنَّمَ، قالَه مجاهِدٌ). [تفسير القرآن: ٦/٣٠٥]

قالَ الحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (قولُه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ أرادَ بالفَلَقِ: الصبْحَ، وَهو قولُ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ والحَسَنِ، وسعيدِ بنِ جُبيرٍ ومُجاهِدٍ، وقَتَادةَ وأَكْثَرِ المُفَسِّرِينَ، وهي روايةُ العَوْفِيِّ عن ابنِ عَبَّاسٍ، بدليلِ قولِه: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

ورُوِيَ عن ابنِ عَبَّاسٍ: أنه سِجْنٌ في جهنَّمَ، وقالَ الكَلْبِيُّ: وادٍ في جَهَنَّمَ.

وقالَ الضَّحَّاكُ: يعني: الخَلْقَ، وهي روايةُ الوالِبيِّ عن ابنِ عَبَّاسٍ، والأوَّلُ هو المعروفُ). [معالم التنزيل: ٧٢٥]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (الفَلَقُ والفَرَقُ: الصُّبحُ؛ لأنَّ اللَّيْلَ يُفْلَقُ عنه ويُفْرَقُ، فَعَلٌ بمعنى مفعولٍ.

يُقالُ في المَثَلِ: هو أبْيَنُ مِن فَلَقِ الصُّبْحِ ومِن فَرَقِ الصُّبْحِ.

ومنه قولُهم: سَطَعَ الفُرقانُ. إذا طَلَعَ الفَجرُ.

وقِيلَ: هو كلُّ ما يَفْلِقُه اللَّهُ؛ كالأرضِ عن النباتِ، والجبالِ عن العُيونِ، والسَّحاب عن المطرِ، والأرحامِ عن الأولادِ، والحب عن النَّوَى، وغيرِ ذلك.

وقِيلَ: هو وَادٍ في جهنَّمَ أو جُبٌّ فيها، مِن قولِهم لِمَا اطْمَأَنَّ مِن الأرضِ: الفَلَقُ، والجمعُ: فُلْقَانٌ.

وعن بعضِ الصحابَةِ أنه قَدِمَ الشامَ فرَأَى دُورَ أهلِ الذِّمَّةِ وما هم فيه مِن خَفْضِ العَيْشِ، وما وُسِّعَ عليهم مِن دُنياهم، فقالَ: لا أُبَالِي أليسَ مِن وَرَائِهم الفَلَقُ؟! فقيلَ: وما الفَلَقُ؟ قالَ: بيتٌ في جَهَنَّمَ، إذَا فُتِحَ صاحَ جميعُ أهلِ النارِ مِن شِدَّةِ حَرِّهِ). [الكشاف: ٤٦٤/٦]

قالَ عَبْدُ الحقِّ بنُ غالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (وقالَ ابنُ عَبَّاسٍ، وابنُ جُبَيْرٍ، والحسنُ، والقُرَظِيُّ، ومُجَاهِدٌ، وقَتَادَةُ، وابنُ زيدٍ: (الفَلَقُ) الصبحُ. كقولِه تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وقالَ ابنُ عَبَّاسٍ أيضًا، وجماعةٌ مِن الصحابةِ والتابعينَ: الفلقُ: جُبٌّ في جَهَنَّمَ. ورَوَاهُ أبو هُرَيْرَةَ عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [المحرر الوجيز: ٦٠٧/١٥- ٦٠٨]

قالَ مَحْمُودُ بنُ أَبِي الحَسَنِ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٥٥٥هـ): (الفَلَقُ: الخَلْقُ كُلُّهم، وقيلَ: الفَلَقُ: الصُّبْحُ). [إيجاز البيان: ٣٤١/٢]

قَالَ أبو الفرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (وفي (الفَلَقِ) سِتَّةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّهُ الصبْحُ، رواهُ العَوْفِيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ، وبهِ قالَ الحسَنُ وسعيدُ بنُ جبيرٍ ومُجَاهِدٌ وقَتادةُ والقُرَظِيُّ وابنُ زيدٍ. واللُّغَوِيُّونَ قالُوا: ويُقالُ: هذا أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ وفَرَقِ الصُّبْحِ.

والثاني: أنَّهُ الخَلْقُ، رواهُ الوالبيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ. وكذلكَ قالَ الضحَّاكُ: الفَلَقُ الخَلْقُ كُلُّهُ.

والثالثُ: سِجْنٌ في جَهنَّمَ، رُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ أيضًا. وقالَ وَهبٌ والسُّدِّيُّ: جُبٌّ في جَهَنَّمَ. وقالَ ابنُ السائب: وادٍ في جَهَنَّمَ.

والرابعُ: شَجرةٌ في النارِ، قالَهُ عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو.

والخامسُ: أنَّهُ كُلُّ ما انْفَلَقَ عنْ شيءٍ: كالصُّبْحِ والحَبِ والنَّوَى وغيرِ ذلكَ، قالَهُ الحسَنُ. قالَ الزَّجَّاجُ: وإذا تَأَمَّلْتَ الخَلْقَ بَانَ لكَ أنَّ أَكثرَهُ عنِ انْفلاقٍ: كالأرضِ بالنباتِ، والسَّحاب بالمَطَرِ.

والسادسُ: أنَّهُ اسمٌ مِنْ أسماءِ جَهنَّمَ، قالَهُ أبو عبدِ الرحمنِ عبدُ اللَّهِ بنُ يَزيدَ الحُبُلِّيُّ). [زاد المسير: ٢٧٢/٩- ٢٧٣]

قالَ أَبُو الفرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الْجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (﴿الْفَلَقِ﴾: الصُّبْحُ. وقيلَ: وادٍ في جَهَنَّمَ. وقيلَ: غِطَاؤُهَا). [تذكرة الأريب: ٣٢٣]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (المسألةُ الرابعةُ: ذَكَروا في: ﴿الْفَلَقِ﴾ وُجُوهًا:

أَحَدُها: أنَّه الصُّبْحُ وهو قَوْلُ الأَكْثَرِينَ، قالَ الزَّجَّاجُ: لأنَّ اللَّيْلَ يُفْلَقُ عنه الصُّبحُ ويُفرَقُ، فَعَلٌ بمَعْنَى مَفْعُولٍ، يُقالُ: هو أَبْيَنُ مِن فَلَقِ الصُّبحِ ومِن فَرَقِ الصُّبحِ.

وتَخْصِيصُه في التَّعَوُّذِ لوُجُوهٍ:

الأَوَّلُ: أنَّ القادِرَ علَى إِزالَةِ هذه الظُّلُماتِ الشَّدِيدَةِ عن كُلِّ هذا العَالَمِ يَقْدِرُ أيضًا أَنْ يَدْفَعَ عن العائِذِ كُلَّ ما يَخَافُه ويَخْشَاه.

الثاني: أَنَّ طُلُوعَ الصُّبْحِ كالمِثَالِ لِمَجِيءِ الفَرَجِ، فكَمَا أَنَّ الإنسانَ في اللَّيْلِ يكونُ مُنْتَظِرًا لطُلُوعِ الصَّباحِ، كذلك الخَائِفُ يكونُ مُتَرَقِّبًا لطُلُوعِ صَبَاحِ النَّجاح.

الثالثُ: أَنَّ الصُّبْحَ كالبُشْرَى؛ فإِنَّ الإنْسانَ في الظَّلامِ يكونُ كلَحْمٍ علَى وَضَمٍ، فإذا ظَهَرَ الصُّبْحُ فكأَنَّه صَاحَ بالأَمَانِ وبُشِّرَ بالفَرَجِ، فلهذا السبب يَجِدُ كلُّ مَرِيضٍ ومَهْمومٍ خِفَّةً في وَقْتِ السَّحَرِ، فالحَقُّ سبحانَه يَقولُ: قُلْ أَعُوذُ بربٍّ يُعْطِي إِنْعَامَ فَلَقِ الصُّبْحِ قَبْلَ السُّؤَالِ فكيف بعدَ السُّؤالِ؟.

الرابعُ: قالَ بَعْضُهم: إِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلامُ لما القِيَ في الجُب وَجِعَتْ رُكْبَتُه وَجَعًا شديدًا فباتَ لَيْلَتَه سَاهِرًا، فلَمَّا قَرُبَ طُلُوعُ الصُّبْحِ نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ بإذنِ اللَّهِ يُسَلِّيهِ ويَأْمُرُه بأَنْ يَدْعُوَ رَبَّه فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ، ادْعُ أَنْتَ وأُؤَمِّنُ أَنَا؛ فَدَعا جِبْرِيلُ وأَمَّنَ يُوسُفُ فكَشَفَ اللَّهُ مَا كان به مِن الضُّرِّ، فلَمَّا طَابَ وَقْتُ يُوسُفَ قالَ جِبْرِيلُ: وأَنَا أَدْعُو أيضًا وتُؤَمِّنُ أنت، فسأَلَ يُوسُفُ رَبَّه أَنْ يَكْشِفَ الضُّرَّ عن جَمِيعِ أَهْلِ البَلاءِ في ذلك الوَقْتِ فَلا جَرَمَ ما مِن مَرِيضٍ إِلاَّ وَيَجِدُ نَوْعَ خِفَّةٍ في آخِرِ اللَّيْلِ، ورُوِيَ أَنَّ دُعاءَه في الجُب: يا عُدَّتِي في شِدَّتِي ويَا مُؤْنِسِي في وَحْشَتِي ويَا رَاحِمَ غُرْبَتِي ويا كَاشِفَ كُرْبَتِي ويَا مُجِيبَ دَعْوَتِي، ويا إِلَهِي وإِلَهَ آبائِي إِبْرَاهِيمَ وإِسْحَاقَ ويَعْقُوبَ ارْحَمْ صِغَرَ سِنِّي وضَعْفَ رُكْنِي وقِلَّةَ حِيلَتِي، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، يا ذا الجَلالِ والإِكْرَام.

الخَامِسُ: لَعَلَّ تَخْصِيصَ الصبحَ بالذِّكْرِ في هذا الموضعِ؛ لأَنَّه وَقْتُ دُعاءِ المُضْطَرِّينَ وإجابَةِ المَلْهُوفِينَ، فكأَنَّه يَقُولُ: قُلْ أَعُوذُ بربِ الوَقْتِ الذي يُفَرَّجُ فيه عن كُلِّ مَهْمُومٍ.

السادسُ: يَحْتَمِلُ أَنَّه خَصَّ الصبحَ بالذِّكْرِ؛ لأَنَّه نَمُوذَجٌ مِن يَوْمِ القِيَامَةِ؛ لأَنَّ الخَلْقَ كالأَمْواتِ والدُّورَ كالقُبُورِ، ثُمَّ منهم مَن يَخْرُجُ مِن دَارِهِ مُفْلِسًا عُرْيانًا لا يُلْتَفَتُ إليه، ومنهم مَن كان مَدْيونًا فيُجَرُّ إلى الحَبْسِ، ومنهم مَن كان مَلِكًا مُطاعًا فتُقَدَّمُ إليه المَرَاكِبُ ويَقُومُ الناسُ بَيْنَ يَدَيْهِ، كذا في يومِ القِيَامَةِ بَعْضُهم مُفْلِسٌ عن الثَّواب عَارٍ عن لِبَاسِ التَّقْوَى يُجَرُّ إلى المَلِكِ الجَبَّارِ، ومِنْ عَبْدٍ كَانَ مُطِيعًا لربه في الدُّنيا فصَارَ مَلِكًا مُطاعًا في العُقْبَى يُقَدَّمُ إليه البُرَاقُ.

السابعُ: يَحْتَمِلُ أَنَّه تعالى خَصَّ الصبحَ بالذِّكْرِ؛ لأَنَّه وَقْتُ الصَّلاةِ الجَامِعَةِ لأَحْوالِ القِيَامَةِ، فالقِيَامُ في الصَّلاةِ يُذَكِّرُ القِيَامَ يَوْمَ القِيامَةِ كما قالَ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٦] والقِرَاءَةُ في الصَّلاةِ تُذَكِّرُ قِرَاءَةَ الكُتُب، والرُّكُوعُ في الصَّلاةِ يُذَكِّرُ مِن القيامةِ قولَه: ﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ [السجدة: ١٢] والسُّجُودُ في الصَّلاةِ يُذَكِّرُ قولَه: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٤٢﴾ [القلم: ٤٢] والقُعُودُ يُذَكِّرُ قولَه: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: ٢٨] فكانَ العَبْدُ يقولُ: إِلَهِي كمَا خَلَّصْتَنِي مِن ظُلْمَةِ اللَّيلِ فخَلِّصْنِي مِن هذه الأَهْوالِ، وإِنَّما خَصَّ وَقْتَ صَلاةِ الصبحِ؛ لأَنَّ لَهَا مَزِيدَ شَرَفٍ علَى ما قالَ: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾ [الإسراء: ٧٨] أي: تَحْضُرُها مَلائِكَةُ اللَّيْلِ والنَّهار.

الثامنُ: أَنَّه وَقْتُ الاسْتِغْفارِ والتَّضرُّعِ علَى ما قالَ: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ۝١٧﴾ [آل عمران: ١٧].

القَوْلُ الثَّاني في الفَلَق: إنَّه عِبارَةٌ عن كلِّ ما يَفْلِقُهُ اللَّهُ كالأَرْضِ عن النَّباتِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥] والجِبالِ عن العُيونِ: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٧٤] والسَّحاب عن الأَمْطارِ والأَرْحَامِ عن الأَوْلادِ والبَيْضِ عَن الفَرْخِ والقُلُوب عن المَعَارِفِ، وإذا تَأَمَّلْتَ الخَلْقَ تَبيَّنَ لَكَ أنَّ أَكْثَره عن انْقِلابٍ، بل العَدَمُ كأَنَّه ظُلْمَةٌ والنُّورُ كأنَّه الوُجُودُ، وثَبتَ أنَّه كان اللَّهُ في الأَزَلِ ولَمْ يَكُنْ معه شَيْءٌ البَتَّةَ، فكأَنَّه سبحانَه هو الذي فَلَقَ بحارَ ظُلُماتِ العَدَمِ بأَنْوارِ الإيجادِ والتَّكْوينِ والإِبْداعِ، فهذا هو المُرادُ مِن الفَلَقِ.

وهذا التَّأْوِيلُ أَقْرَبُ مِن وُجُوهٍ:

أحدُها: هو أنَّ المَوجودَ إمَّا الخالِقُ وإمَّا الخَلْقُ، فإذا فَسَّرْنَا الفَلَقَ بهذا التَّفْسِيرِ صَارَ كأَنَّه قَالَ: قُلْ أَعُوذُ بربِّ جَمِيعِ المُمْكِناتِ، ومُكَوِّنِ كلِّ المُحْدَثاتِ والمُبْدَعاتِ؛ فيكونُ التَّعْظِيمُ فيه أَعْظَمَ، ويكونُ الصُّبْحُ أَحَدَ الأُمُورِ الدَّاخِلَةِ في هذا المَعْنَى.

وثانيها: أنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ إمَّا وَاجِبٌ لذَاتِهِ أو مُمْكِنٌ لذَاتِهِ، والمُمْكِنُ لذَاتِهِ يَكُونُ مَوْجودًا بغَيْرِه، مَعْدومًا في حَدِّ ذَاتِه؛ فإذن كلُّ مُمْكِنٍ فَلا بُدَّ لَهُ مِن مُؤَثِّرٍ يُؤَثِّرُ فيه حَالَ حُدُوثِه ويُبْقِيهِ حَالَ بَقَائِهِ، فإنَّ المُمْكِنَ حَالَ بَقَائِهِ يَفْتَقِرُ إلى المُؤَثِّرِ، والتَّرْبِيَةُ إِشَارَةٌ لا إلى حَالِ الحُدُوثِ بَلْ إلى حَالِ البَقَاءِ، فكأَنَّه يقولُ: إنَّك لَسْتَ مُحْتَاجًا إلى حَالِ الحُدُوثِ فَقَطْ بَلْ في حَالِ الحُدُوثِ وحَالِ البَقَاءِ مَعًا في الذَّاتِ وفي جَمِيعِ الصِّفَاتِ، فقولُه: ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ يَدُلُّ على احْتِياجِ كُلِّ مَا عَدَاه إليه حَالَتَي الحُدُوثِ والبَقَاءِ في المَاهِيَّةِ والوُجُودِ بحَسَب الذَّواتِ والصِّفَاتِ وسَرُّ التَّوْحِيدِ لا يَصْفُو عن شَوَائِبِ الشِّرْكِ إلا عندَ مُشاهَدَةِ هذه المعاني.

وثالثُها: أنَّ التَّصْويرَ والتكوينَ في الظُّلْمَةِ أَصْعَبُ منه في النُّورِ، فكأَنَّه يَقُولُ: أَنَا الذي أَفْعَلُ مَا أَفْعَلُه قَبْلَ طُلُوعِ الأَنْوَارِ وظُهُورِ الأَضْوَاءِ، ومِثْلُ ذلك مِمَّا لا يَتَأَتَّى إلاَّ بالعِلْمِ التَّامِّ والحِكْمَةِ البَالِغَةِ وإليه الإشارَةُ بقولِه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾ [آل عمران: ٦].

القَوْلُ الثَّالِثُ: إنَّه وَادٍ في جَهَنَّمَ أَوْ جُبٌّ فيها، مِن قَوْلِهم لِمَا اطْمَأَنَّ مِن الأَرْضِ: الفَلَقُ. والجَمْعُ فُلْقَانٌ، وعن بَعْضِ الصَّحَابَةِ أَنَّه قَدِمَ الشَّامَ فَرَأَى دُورَ أَهْلِ الذِّمَّةِ ومَا هُم فيه مِن خَصْبِ العَيْشِ فَقَالَ: لا أُبَالِي، أَلَيْسَ مِن وَرَائِهِم الفَلَقُ، فقِيلَ: ومَا الفَلَقُ؟

قالَ: بَيْتٌ في جَهَنَّمَ إذا فُتِحَ صَاحَ جَمِيعُ أَهْلِ النَّارِ مِن شِدَّةِ حَرِّهِ، وإِنَّما خَصَّه بالذِّكْرِ ههنا؛ لأَنَّه هو القَادِرُ على مثلِ هذا التَّعْذِيبِ العَظِيمِ الخَارِجِ عن حَدِّ أَوْهَامِ الخَلْقِ، ثُمَّ قَدْ ثَبتَ أَنَّ رَحْمَتَه أَعْظَمُ وأَكْمَلُ وأَتَمُّ مِن عَذَابِه، فكأَنَّه يقولُ: يا صَاحِبَ العَذَابِ الشَّدِيدِ أَعُوذُ برَحْمَتِك التي هي أَعْظَمُ وأَكْمَلُ وأَتَمُّ وأَسْبَقُ وأَقْدَمُ مِن عَذَابك).
[التفسير الكبير: ٣٢/١٧٥- ١٧٦]

قالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (﴿ٱلْفَلَقِ﴾: اسمٌ لِجَهَنَّمَ، أَوْ لِسِجْنٍ فيها (ع)، أَو الخَلْقُ كُلُّهُمْ، أَوْ فَلَقُ الصبحِ، أَو الجبالُ والصخورُ تَنْفَلِقُ بالمِيَاهِ، أَوْ كلُّ ما انْفَلَقَ عَنْ كلِّ ما خُلِقَ مِنْ صُبْحٍ

وَحيوانٍ وَصُخُورٍ وَجبالٍ وَحَبٍّ وَنَوًى، وَكلِّ شيءٍ مِنْ نباتٍ وَغيرِهِ. وَأصلُ الفَلَقِ الشقُّ الواسعُ. قيلَ للصُّبْحِ: فَلَقٌ؛ لانفلاقِ الظلامِ عنهُ، كما قِيلَ لهُ: فَجْرٌ؛ لانفجارِ الضوءِ منهُ). [تفسير القرآن: ٣/٥٠٩- ٥١٠]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبيُّ (ت: ٦٧١هـ): (الرابعةُ: قولُه تعالَى: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ اخْتُلِفَ فيه:

فقيلَ: سِجْنٌ في جَهَنَّمَ؛ قالَه ابنُ عبَّاسٍ.

وقالَ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ: بَيْتٌ في جهَنَّمَ، إذَا فُتِحَ صاحَ أهلُ النارِ مِن حَرِّهِ.

وقالَ الحُبُلِّيُّ أبو عبدِ الرحمنِ: هو اسمٌ مِن أسماءِ جَهَنَّمَ.

وقالَ الكلبيُّ: وادٍ في جَهَنَّمَ.

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ: شَجَرَةٌ في النارِ.

سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ: جُبٌّ في النارِ.

النَّحَّاسُ: يُقالُ لِمَا اطْمَأَنَّ مِنَ الأَرْضِ: فَلَقٌ. فعلى هذا يَصِحُّ هذا القولُ.

وقالَ جابرُ بنُ عَبْدِ اللهِ والحَسَنُ وسَعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ أيضًا، ومُجَاهِدٌ وقَتَادَةُ والقُرَظِيُّ وابنُ زَيْدٍ: الفَلَقُ: الصُّبْحُ.

وقالَه ابنُ عبَّاسٍ. تقولُ العرَبُ: هو أَبْيَنُ مِن فَلَقِ الصُّبْحِ وفَرَقِ الصُّبْحِ.

وقالَ الشاعرُ:

يَا لَيْلَةً لَمْ أَنَمْهَا بِتُّ مُرْتَفِقًا ... أَرْعَى النُّجُومَ إِلَى أَنْ نَوَّرَ الفَلَقُ

وقيلَ: الفَلَقُ: الجبالُ والصُّخُورُ تَنْفَلِقُ بالمياهِ، أي: تَتَشَقَّقُ.

وقِيلَ: هو التَّفْلِيقُ بينَ الجِبالِ والصخُورِ؛ لأنها تَتَشَقَّقُ مِنْ خَوْفِ اللهِ عزَّ وجلَّ. قالَ زُهَيْرٌ:

مَا زِلْتُ أَرْمُقُهُمْ حَتَّى إذَا هَبَطَتْ ... أَيْدِي الرِّكَابِ بِهِمْ مِنْ رَاكِسٍ فَلَقَا

الراكِسُ: بطْنُ الوادِي. وكذلك هو في قولِ النابغَةِ:

أَتَانِي ودُونِي رَاكِسٌ فالضَّوَاجِعُ

والراكِسُ أيضا: الهادِي، وهو الثَّوْرُ وَسَطَ البَيْدَرِ، تَدُورُ عليه الثِّيرانُ في الدِّيَاسَةِ.

وقِيلَ: الرَّحِمُ تَنْفلِقُ بالحيوانِ.

وقِيلَ: إنَّه كلُّ مَا انْفَلَقَ عن جَمِيعِ مَا خَلَقَ مِن الحيوانِ والصُّبْحِ والحَب والنَّوَى، وكلِّ شيءٍ مِن نباتٍ وغيرِه؛ قالَه الحسَنُ وغيرُه.

قالَ الضحَّاكُ: الفَلَقُ: الخَلْقُ كلُّه؛ قالَ:

وَسْوَسَ يَدْعُو مُخْلِصًا رَبَّ الفَلَقْ ... سِرًّا وَقَدْ أَوَّنَ تَأْوِينَ العُقُقْ

قلتُ: هذا القولُ يَشْهَدُ له الاشْتِقَاقُ؛ فإنَّ الفَلَقَ الشَّقُّ؛ فَلَقْتُ الشيءَ فَلْقًا، أي: شَقَقْتُهُ.

والتَّفْلِيقُ مِثْلُه، يُقالُ: فَلَّقْتُه فانْفَلَقَ وتَفَلَّقَ.

فَكُلُّ ما انْفَلَقَ عن شيءٍ مِن حَيَوانٍ وصُبْحٍ وحَبٍّ ونَوًى وماءٍ فهو فَلَقٌ؛ قالَ اللهُ تعالَى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعامُ: ٩٦] قالَ: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعامُ: ٩٥].

وقالَ ذُو الرُّمَّةِ يَصِفُ الثَّوْرَ الوَحْشِيَّ:

حتى إذَا مَا انْجَلَى عَن وَجْهِهِ فَلَقٌ ... هَادِيهِ في أُخْرَيَاتِ اللَّيْلِ مُنْتَصِبُ

يعني بالفَلَقِ هنا: الصبْحَ بعَيْنِه.

والفَلَقُ أيضًا: المُطْمَئِنُّ مِن الأرضِ بينَ الرَّبْوَتَيْنِ، وجَمْعُهُ: فُلْقَانٌ، مثلَ: خَلَقٍ وخُلْقَانٍ، وربَّما قالُوا: كانَ ذلك بفالِقِ كذا وكذا؛ يُرِيدُونَ المكانَ المُنْحدِرَ بينَ الربوتيْنِ. والفَلَقُ أيضًا مِقْطَرَةُ السَّجَّانِ.

فأمَّا الفِلْقُ –بالكسرِ- : فالداهِيَةُ والأمرُ العَجَبُ؛ تقولُ مِنه: أَفْلَقَ الرجلُ وافْتَلَقَ. وشاعِرٌ مُفْلِقٌ، وقد جاءَ بالفِلْقِ، [أي: بالداهِيَةِ].

والفِلْقُ أيضًا: القضيبُ يُشَقُّ باثْنَيْنِ، فيُعْمَلُ مِنه قوْسانِ، يُقالُ لكلِّ واحدةٍ مِنهما: فِلْقٌ، وقولُهم: جاءَ بعُلَقَ فُلَقَ - وهي الداهِيَةُ- لا يُجْرَى مُجْرَى عُمَرَ. يُقالُ مِنه: أَعْلَقْتُ وأَفْلَقْتُ، أي: جِئْتُ بعُلَقَ فُلَقَ. ومرَّ يَفْتَلِقُ في عَدْوِهِ، أي: يأتي بالعَجَبِ مِن شِدَّتِهِ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٤- ٢٥٦]

- **قلت**: (رَاكِسٌ: وادٍ مَعْرُوفٌ بينَ الحجازِ وَعَالِيَةِ نَجْدٍ فِي دِيَارِ الأَحْلافِ مِن غَطَفَانَ وَبَنِي أَسَدٍ وَبَنِي عَامِرٍ، وَهُوَ المرادُ فِي الشواهدِ المتقدِّمَةِ، وَإِيَّاهُ عَنَى عَبيدُ بنُ الأَبرَصِ بقولِهِ:

أَقْفَرَ مِنْ أَهلِهِ مَلْحُوبُ ... فَالقُطَّبِيَّاتُ فَالذَّنُوبُ

فَرَاكِسٌ فَثُعَيْلِبَاتٌ ... فَذَاتُ فِرْقَيْنِ فَالقَلِيبُ

وَهُوَ مُشْتَهِرُ الذِّكْرِ فِي أَشْعَارِ العَرَبِ).

قَالَ ابنُ المُنيِّرِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ الإِسْكَنْدَرَانِيُّ (ت: ٦٨٣هـ): (

(الفَلَقُ) الصُّبْحُ وقيلَ الخَلْقُ ... جَمِيعُهُ وكُلُّ هَذا حَقُّ

). [التيسير العجيب: ٢٣٥]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ ما يُفْلَقُ عنه، أي: يُفْرَقُ كالفَرْقِ، فَعَلٌ بمَعْنَى مَفْعُولٍ، وهو يَعُمُّ جميعَ المُمْكِناتِ، فإنه تعالى فَلَقَ ظُلْمَةَ العَدَمِ بنورِ الإيجادِ عنها سيما ما يَخْرُجُ من أَصْلٍ كالعيونِ والأمطارِ والنباتِ والأولادِ ويَخْتَصُّ عُرْفًا بالصبحِ، ولذلك فُسِّرَ به). [أنوار التنزيل: ٢/١١٧٩]

قالَ الدِّيرِينِيُّ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ سَعِيدٍ الدَّمِيرِيُّ (ت:٦٩٧هـ): (

الفَلَقُ الصُّبْحُ وَقِيلَ: جُبُّ ... فِي النَّارِ أَوْ غِطَاؤُهَا المُكَبُّ

). [التيسير: ٣٥١]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾: أي: الصُّبحِ، أو الخَلْقِ، أو هُو وادٍ فِي جَهَنَّمَ، أو جُبٌّ فِيها). [مدارك التنزيل:٣/٢٠١٣]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): ((وأمَّا التفسيرُ)

فقولُه عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾، أرادَ بالفلقِ الصبحَ، وهوَ قولُ الأكثرينَ، وروايَةٌ عن ابنِ عبَّاسٍ؛ لأنَّ الليلَ يَنْفلِقُ عن الصُّبْحِ.

وسَبَبُ تخْصِيصِهِ في التَّعوُّذِ أنَّ القادِرَ على إزالةِ هذهِ الظلمةِ عن العالمِ قادِرٌ على أنْ يدْفَعَ عن المُسْتَعِيذِ ما يَخافُهُ ويخشاهُ.

وقيلَ: إنَّ طلُوعَ الصبحِ كالمثالِ لِمَجيءِ الفرَجِ، كما أنَّ الإنسانَ ينتظِرُ طلوعَ الصباحِ، فكذلكَ الخائِفُ يَترَقَّبُ مجيءَ النجاحِ.

وقيلَ: إنَّ تخصيصَ الصبحِ بالذِّكْرِ في هذا الموضعِ؛ لأنَّهُ وَقْتُ دُعاءِ المُضْطَرِّينَ وإجابةِ المَلْهُوفِينَ، فكأنَّهُ يقولُ: قُلْ أَعُوذُ برَب الوَقْتِ الذي يُفرِّجُ فيهِ هَمُّ المَهْمُومِينَ والمَغْمُومِينَ.

ورُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّ الفلَقَ سِجْنٌ في جهنَّمَ. وقيلَ: هوَ وادٍ في جهنَّمَ، إذا فُتِحَ استَعاذَ أهلُ النارِ مِنْ حَرِّهِ، ووجْهُهُ أنَّ المُسْتَعِيذَ قالَ: أعوذُ بربِ هذا العَذَابِ القادِرِ عليهِ مِنْ شَرِّ عَذَابهِ وغيرِهِ.

ورُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ أيضًا أنَّ الفلَقَ الخَلْقُ، ووجْهُ هذا التأويلِ أنَّ اللَّهَ تعالى فلَقَ ظُلُماتِ بحرِ العَدَمِ بإيجادِ الأنوارِ، وخَلَقَ منهُ الخَلْقَ، فكأنَّهُ قالَ: قلْ أعُوذُ بربِ جميعِ المُمْكِنَاتِ، ومُكوِّنِ جميعِ المُحْدَثَاتِ). [لباب التأويل: ٤/٥٠١]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (فِي (الفَلَقِ) أَقْوَالٌ تَرْجِعُ إِلَى تَعْمِيمٍ وَتَخْصِيصٍ فَإِنَّهُ فُسِّرَ بالخَلْقِ عُمُومًا وَفُسِّرَ بكُلِّ مَا يُفْلَقُ مِنْهُ كَالفَجْرِ وَالحَب وَالنَّوَى وَهُوَ غَالِبُ الخَلْقِ وَفُسِّرَ بالفَجْرِ. وَأَمَّا تَفْسِيرُهُ بالنَّارِ أَوْ بِجُبٍّ أَوْ شَجَرَةٍ فِيهَا فَهَذَا مَرْجِعُهُ إِلَى التَّوْقِيفِ). [مجموع الفتاوى: ١٧/٥٣٣]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (فَصْلٌ: فِي ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام: ٩٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦].

وَالفَلَقُ: فَعَلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ كَالقَبَضِ بِمَعْنَى المَقْبُوضِ فَكُلُّ مَا فَلَقَهُ الرَّبُّ فَهُوَ فَلَقٌ.

قَالَ الحَسَنُ: الفَلَقُ كُلُّ مَا انْفَلَقَ عَنْ شَيْءٍ: كَالصُّبْحِ وَالحَب وَالنَّوَى.

قَالَ الزَّجَّاجُ: وَإِذَا تَأَمَّلْت الخَلْقَ بَانَ لَك أَنَّ أَكْثَرَهُ عَنِ انْفِلَاقٍ كَالأَرْضِ بالنَّبَاتِ وَالسَّحَاب بالمَطَرِ.

وَقَدْ قَالَ كَثِيرٌ مِنَ المُفَسِّرِينَ: الفَلَقُ الصُّبْحُ؛ فَإِنَّهُ يُقَالُ هَذَا أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ وَفَرَقِ الصُّبْحِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الفَلَقُ الخَلْقُ كُلُّهُ.

وَأَمَّا مَنْ قَالَ: إنَّهُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ أَوْ شَجَرَةٌ فِي جَهَنَّمَ أَوْ أَنَّهُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ فَهَذَا أَمْرٌ لا تُعْرَفُ صِحَّتُهُ لا بدَلالَةِ الاسْمِ عَلَيْهِ وَلا بنَقْلٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلا فِي تَخْصِيصِ رُبُوبِيَّتِهِ بذَلِك حِكْمَةٌ بِخِلَافِ مَا إذَا قَالَ رَبُّ الخَلْقِ أَوْ رَبُّ كُلِّ مَا انْفَلَقَ أَوْ رَبُّ النُّورِ الَّذِي يُظْهِرُهُ عَلَى العِبَادِ بالنَّهَارِ؛ فَإِنَّ فِي تَخْصِيصِ هَذَا بالذِّكْرِ مَا يَظْهَرُ بِهِ عَظَمَةُ الرَّب المُسْتَعَاذِ بهِ). [مجموع الفتاوى: ١٧/٥٠٤-٥٠٥]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (وفي الفَلَقِ وُجوهٌ:

فالأكثرونَ على أنَّه الصُّبْحُ، مِن قولِه: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، وخُصَّ ههنا بالذِّكْرِ؛ لأنَّه نَمُوذَجٌ مِن صُبْحِ يومِ القيامةِ، ولأنَّه وَقْتُ الصلاةِ والجماعةِ والاستغفارِ؛ ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء: ٧٨].

وفِيهِ إشارةٌ إلى أنَّ القادرَ على إزالةِ الظُّلْمةِ عن وَجْهِ الأرضِ قادِرٌ على دَفْعِ ظُلْمَةِ الشُّرورِ والآفاتِ عن العَبْدِ بصلاحِ النجاحِ.

رُوِيَ أن يُوسُفَ عليهِ السلامُ حِينَ القِيَ في الجُب وَجِعَتْ رُكْبَتُه وَجَعًا شَدِيدًا، فباتَ لَيْلَتَه ساهرًا، فلَمَّا قَرُبَ طُلوعُ الصُّبْحِ نزَلَ جَبْرائيلُ عليهِ السلامُ يُسَلِّيهِ ويأْمُرُه بأنْ يَدْعُوَ رَبَّه، فقالَ: يَا جَبْرائيلُ، ادْعُ أنتَ وأُؤَمِّنُ أنَا. فدَعَا جَبْرَائِيلُ فأَمَّنَ يُوسُفُ، فكَشَفَ اللَّهُ ما كانَ بهِ مِن الضُّرِّ، فلمَّا حَصَلَ له الراحَةُ قالَ: يا جَبْرائيلُ، أنا أَدْعُو وتُؤَمِّنُ أَنْتَ. فسَأَلَ يُوسُفُ ربَّه أَنْ يَكْشِفَ الضُّرَّ عن جَميعِ أهلِ البلاءِ في ذلك الوَقْتِ، فلا جَرَمَ ما مِن مَرِيضٍ إلاَّ وَيجِدُ نَوْعَ خِفَّةٍ في آخِرِ الليلِ.

ورُوِيَ أنَّ دُعاءَه في الجُب: يَا عُدَّتِي عِنْدَ شِدَّتِي، ويا مُؤْنِسِي في وَحْشَتِي، ويا رَاحِمَ غُرْبَتِي، ويا كَاشِفَ كُرْبَتِي، ويَا مُجِيبَ دَعْوَتِي، ويا إلَهِي وإلَهَ آبَائِي إبْرَاهِيمَ وإسْمَاعِيلَ وإسْحَاقَ ويَعْقُوبَ، ارْحَمْ صِغَرَ سِنِّي وضَعْفَ رُكْنِي وقِلَّةَ حِيلَتِي، يا حَيُّ، يا قَيُّومُ، يا ذَا الجَلالِ والإكْرَامِ.

وقيلَ: هو كلُّ ما يَفْلِقُه اللَّهُ؛ كالأرضِ عن النباتِ؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥]، والجِبَالِ عن العُيونِ، ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٧٤]، والسحاب عن المَطرِ، والأرحامِ عن الأولادِ، والقَبْضِ عن البَسْطِ، والشِّدَّةِ عن الفرَجِ، والقُلوب عن المَعارِفِ.

وقيلَ: هو وادٍ في جَهَنَّمَ إذا فُتِحَ صاحَ جَميعُ مَن في جَهَنَّمَ مِن شِدَّةِ حَرِّه، كأَنَّ العَبْدَ قالَ: يا صَاحِبَ العَذَابِ الشديدِ، أَعوذُ برَحْمَتِكَ التي هي أَعْظَمُ وأَكْمَلُ وأَسْبَقُ وأقْدَمُ مِن عَذابكَ.

وصَاحِبُ هذا القولِ زَعَمَ أنَّ المُرادَ ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾. أي: مِن شَدائِدِ مَا خَلَقَ فِيهَا.

وعن ابنِ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ إبْلِيسَ خاصَّةً؛ لأنَّ اللَّهَ تعالى لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا هو شَرٌّ منه، ويَدْخُلُ فيه الاستعاذةُ مِن السَّحَرَةِ؛ لأنَّهم أَعْوَانُه وجُنُودُه.

وقيلَ: أرَادَ أَصْنَافَ الحيواناتِ المُؤْذِيَةِ مِن الهَوَامِّ والسِّبَاعِ.

وقيلَ: الأسقامُ والآفاتُ والمِحَنُ؛ فإنَّها شُرورٌ إضافِيَّةٌ، وإنْ جازَ أنْ تكونَ خَيْرَاتٍ باعتباراتٍ أُخَرَ، والكلُّ بقَدَرٍ كما مَرَّ في مُقَدِّمَةِ الكتاب في تَفْسِيرِ الاستعاذةِ). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٦- ٢٢٧]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ إبْرَاهِيمَ ابْنُ جَمَاعَةَ الكِنَانِيُّ (ت: ٧٣٣هـ): (﴿ٱلْفَلَقِ﴾: هُوَ: الصُّبْحُ؛ لأَنَّ اللَّيْلَ يُفْلَقُ عَنْهُ، فَهُو بمَعْنَى مَفْلُوقٍ، وَقِيلَ: هُوَ كُلُّ مَا فَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ خَلْقٍ وَنَوًى، وَقِيلَ: هُوَ وَادٍ أَوْ جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ). [غرر التبيان:٥٥٢]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبيُّ (ت: ٧٤١هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ تَقدَّمَ معنى أعوذُ في التعوُّذِ، ومعنى رب في اللغاتِ والفاتحةِ، وفي ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ ثلاثةُ أقوالٍ:

الأوَّلُ: أنه الصبْحُ، ومنه: ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ ﴾ [الأنعام: ٩٦] قالَ الزَّمخشريُّ: هو فَعَلٌ بمعنى مَفعولٍ.

الثاني: أنه كلُّ ما يَفلِقُه اللهُ كفَلَقِ الأرضِ عن النباتِ، والجبالِ عن العيونِ، والسَّحاب عن المَطرِ، والأرحامِ عن الأولادِ، والحَب والنَّوَى وغيرِ ذلك.

الثالثُ: أنه جُبٌّ في جهَنَّمَ، وقد رُوِيَ هذا عن رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [التسهيل: ٢٢٥]

قَالَ عَبْدُ البَاقِي بْنُ عَبدِ المَجِيدِ القُرَشِيُّ اليَمَانِيُّ (ت: ٧٤٣هـ): (﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١ ﴾ الفلَقُ: الصُّبْحُ، ويُقَالُ له: الفرَقُ، أَيْضًا؛ لأَنَّ اللَّيْلَ يُفْلَقُ عنه، و(فَلَقٌ) بمَعْنَى: مَفْلُوقٍ، ويُقَالُ في المَثَلِ: هو أَبْيَنُ من فَلَقِ الصُّبْحِ، ومِن فَرَقِ الصُّبْحِ، وقِيلَ: كُلُّ ما يَفْلِقُهُ اللهُ كالأَرْضِ عَنِ النَّباتِ والجِبالِ عَنِ العُيونِ والسَّحاب عَنِ المَطرِ والأَرْحامِ عَنِ الأَوْلادِ والحَب والنَّوَى وغَيْرِ ذلك، وقِيلَ: هو وَادٍ في جَهَنَّمَ). [الترجمان: ٢٣٤]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (الفَلَقُ: فَعَلٌ بمَعْنَى مَفْعُولٍ، وَتَأْتِي أَقْوَالُ أهلِ التفسيرِ فيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى). [البحر المحيط: ٧٥٩/٨]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَالفَلَقُ: الصبحُ، قالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَجابرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَمجاهدٌ وَقتادةُ وَابنُ جُبَيْرٍ والقُرَظِيُّ وَابنُ زيدٍ، وَفي المَثَلِ: هوَ أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ وَمِنْ فَرَقِ الصبحِ.

وَقالَ الشاعرُ:

يَـا لَيْلَـةً لَـمْ أَنَمْهَـا بِـتُّ مُرْتَقِبًـا ... أَرْعَـى النُّجُـومَ إِلَـى أَنْ نَـوَّرَ الفَلَـقُ

وقالَ الشاعرُ يَصِفُ الثَّوْرَ الوَحْشِيَّ:

حتَّـى إِذا مـا انْجَلَـى عَـنْ وَجْهِـهِ فَلَـقٌ ... هَادِيــهِ في أُخْرَيَــاتِ الليـلِ مُنْتَـصِبُ

وقيلَ: الفَلَقُ: كُلُّ مَا يَفْلِقُهُ اللَّهُ تعالى كالأرضِ عن النباتِ، وَالجبالِ عَنِ العيونِ، وَالسحاب عَنِ المطرِ، وَالأرحامِ عَنِ الأولادِ، وَالحَب وَالنَّوَى وَغيرِ ذلكَ.

وَقالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أيضًا وَجماعةٌ مِنَ الصحابةِ وَالتابعِينَ: «الفَلَقُ جُبٌّ في جَهَنَّمَ». وَرَوَاهُ أبو هريرةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقالُوا لِمَا اطْمَأَنَّ مِنَ الأرضِ: الفَلَقُ، وَجَمْعُهُ فُلْقَانٌ. وَقِيلَ: وَادٍ في جَهَنَّمَ. وَقالَ بعضُ الصحابةِ: بَيْتٌ في جَهَنَّمَ إذا فُتِحَ صَاحَ جميعُ أهلِ النارِ مِنْ شدَّةِ حَرِّهِ). [البحر المحيط: ٧٦٠/٨- ٧٦١]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَ الفَلَقُ: الصُّبْحُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ). [النهر الماد: ١٣١٩]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُثْمَانَ التُّرْكُمَانِيُّ (ت: ٧٥٠هـ): (﴿ ٱلۡفَلَقِ ﴾ الصُّبْح. وقِيلَ: وَادٍ فِي جَهَنَّم). [بهجة الأريب: ٢٥٦]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصلٌ: واعْلَمْ أنَّ الخَلْقَ كلَّه فَلَقٌ، وذلك أنَّ فَلَقًا فَعَلٌ بمعنى مَفعولٍ: كقَبَضٍ وسَلَبٍ وقَنَصٍ بمعنى مَقبوضٍ ومَسلوبٍ ومَقنوصٍ.

واللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فالِقُ الإصباحِ وفَالِقُ الحَب والنَّوَى وفالِقُ الأرضِ عن النباتِ، والجبالِ عن العُيونِ، والسَّحَاب عن المَطرِ، والأرحامِ عن الأَجِنَّةِ، والظلامِ عن الإصباحِ، ويُسَمَّى الصبْحُ المُتَصدِّعُ عن الظُّلْمَةِ: فَلَقًا وفرَقًا، يُقالُ: هو أبيضُ من فَرَقِ الصُّبْحِ وفلَقِه.

وكما أنَّ في خَلْقِه فَلْقًا وفرْقًا؛ فكذلك أمْره كلُّه فُرْقَانٌ يَفْرُقُ الحَقَّ والباطلَ فيَفْرُقُ بينَ ظلامِ الباطلِ بالحَقِّ كما يُفْرقُ ظلامُ الليلِ بالإصباحِ، ولهذا سَمَّى كتابَه الفُرْقَانَ ونَصْرَه فُرْقَانًا لتَضمُّنِه الفَرْقَ بينَ أوليائِه وأعدائِه، ومنه فَلْقُه البَحْرَ لموسى فَلْقًا وسمَّاهُ، فظهَرَتْ حِكمةُ الاستعاذةِ بربِ الفَلَقِ في هذه المَواضع، وظَهَرَ بهذا إعجازُ القرآنِ وعَظَمَتُه وجَلالتُه، وأنَّ العِبادَ لا يَقْدِرون قَدْرَه، وأنه ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢]). [بدائع الفوائد: ٢/٢٢٠- ٢٢١]

قَالَ السَّمِينُ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الحَلَبِيُّ (ت: ٧٥٦هـ): (قولُهُ: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾. هوَ الصبحُ. وَهوَ فَعَلٌ بمعنَى مَفْعُولٍ، كالقَبَضِ، أيْ: مَفْلُوقٌ، وَفي الحديثِ: (الرُّؤْيا مِثْلُ فَلَقِ الصُّبْحِ).

وَقالَ الشاعرُ:

يَا لَيْلَةً لَمْ أَنَمْهَا بِتُّ مُرْتَقِبًا ... أَرْعَى النُّجُومَ إِلَى أَنْ نَوَّرَ الفَلَقُ

وَقال ذُو الرُّمَّةِ:

حتَّى إذا مَا انْجَلَى عَنْ وَجْهِهِ فَلَقٌ ... هَادِيهِ فِي أُخْرَيَاتِ الليلِ مُنْتَصِبُ

وَقِيلَ: هوَ جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ. وَقِيلَ: المُطْمَئِنُّ مِنَ الأرضِ، وَجَمْعُهُ فُلْقَانٌ. وَقِيلَ: كُلُّ ما فُلِقَ كالحب وَالأرضِ عَنِ النباتِ). [الدر المصون: ١١/١٥٧]

قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (قالَ ابنُ أبي حَاتِمٍ: حدَّثَنا أحمدُ بنُ عِصامٍ، حدَّثَنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِيُّ، حدَّثَنا حَسَنُ بنُ صالِحٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ محمدِ ابنِ عَقِيلٍ، عن جابرٍ قالَ: الفَلَقُ: الصُّبْحُ.

وقالَ العَوْفِيُّ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الفَلَقُ: الصُّبْحُ.

ورُوِيَ عن مُجاهِدٍ وسعيدِ بنِ جُبَيْرٍ وعَبْدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَقِيلٍ والحَسَنِ وقَتَادَةَ ومحمدِ بنِ كَعْبٍ القُرَظِيِّ وابنِ زَيْدٍ ومَالِكٍ، عن زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ مِثْلُ هذا، قالَ القُرَظِيُّ وابنُ زَيْدٍ وابنُ جَرِيرٍ: وهي كقولِه تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وقالَ عليُّ بنُ أبي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الفَلَقُ: الخَلْقُ، وكذا قالَ الضَّحَّاكُ: أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ أَنْ يَتَعوَّذَ مِن الخَلْقِ كُلِّه.

وقالَ كَعْبُ الأحبارِ: (الفَلَقُ: بَيْتٌ في جهَنَّمَ، إذَا فُتِحَ صاحَ جَمِيعُ أهلِ النارِ مِن شِدَّةِ حَرِّه) رواهُ ابنُ أبي حَاتِمٍ، ثم قالَ: حدَّثَنا أبي، حدَّثَنا سُهَيْلُ بنُ عُثْمَانَ، عن رَجُلٍ سَمَّاهُ، عن السُّدِّيِّ، عن زَيدِ بنِ عليٍّ، عن آبائِه، أنَّهم قالوا: الفَلَقُ: جُبٌّ في قَعْرِ جَهَنَّمَ، عليهِ غِطَاءٌ، فإذا كُشِفَ عنهُ خَرَجَتْ منه نَارٌ، تَصِيحُ منه جَهَنَّمُ مِن شِدَّةِ حَرِّ مَا يَخْرُجُ منه.

وكذا رُوِيَ عن عمرِو بنِ عَبَسَةَ والسُّدِّيِّ وغيرِهم.

وقدْ ورَدَ في ذلك حديثٌ مَرفوعٌ مُنكَرٌ، فقالَ ابنُ جَرِيرٍ: حدَّثَنِي إسحاقُ بنُ وَهْبٍ الوَاسِطِيُّ، حدَّثَنا مَسْعُودُ بنُ مُوسَى بنِ مُشْكَانَ الوَاسِطِيُّ، حدَّثَنا نَصْرُ بنُ خُزَيْمَةَ الخُراسَانِيُّ، عن شُعَيْبِ بنِ صَفْوَانَ، عن محمدِ بنِ كَعْبٍ

القُرَظِيِّ، عن أبي هُرَيْرَةَ، عن النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ قالَ: «الفَلَقُ: جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ مُغَطًّى». إسنادُه غَرِيبٌ، ولايَصِحُّ رَفْعُه.

وقالَ أبو عَبْدِ الرحمنِ الحُبُلِّيُّ: الفَلَقُ: مِن أَسْماءِ جَهَنَّمَ.

قالَ ابنُ جَرِيرٍ: والصَّوَابُ القَوْلُ الأَوَّلُ: أنَّه فَلَقُ الصُّبْحِ، وهذا هو الصحيحُ، وهو اختيارُ البخاريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحِه). [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩٠٦- ٣٩٠٧]

قالَ حَيْدَرُ بْنُ عَلِيٍّ القَاشِيُّ (ت: ٧٧٦هـ): (يُقَالُ: هُوَ أَبْيَنُ مِنْ فَرَقِ الصُّبْحِ وَفَلَقِ الصُّبْحِ). [المعتمد في المنقول: ٢/٥٠٦]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ البَلَنْسِيُّ (ت: ٧٨٢هـ): ((سي) هو جُبٌّ في جَهَنَّمَ سُمِّيَ الفَلَقَ، وقيلَ: هو فَلَقُ الصُّبْحِ). [صلة الجمع:٧٥٩]

قَالَ ابْنُ المُلَقِّنِ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٨٠٤هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾. والفَلَقُ: الصُّبْحُ. وقيلَ: الفَلَقُ: الخَلْقُ كُلُّهم. وقيلَ: هو جُبٌّ في جَهَنَّمَ، يَستعيذُ منه كلُّ مَن في جَهَنَّمَ، مَن في النارِ، مِن شِدَّةِ حرِّه). [تفسير غريب القرآن: ٦٠٣]

قَالَ ابنُ الهائِمِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِمَادٍ القَرَافِيُّ (ت: ٨١٥هـ): (﴿الْفَلَقِ﴾: الصُّبْحُ. ويقالُ: وادٍ في جَهَنَّمَ). [التبيان: ٣٥٥]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزآبادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ الثِّقَةُ ابْنُ المَأْمُونِ الهَرَوِيُّ قالَ: أَخْبَرَنَا أَبي، قالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ، قال: أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللهِ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَمَّارُ بْنُ عَبْدِ المَجِيدِ الهَرَوِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ السَّمَرْقَنْدِيُّ، عن مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنِ الكَلْبِيِّ، عن أَبِي صَالحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ((﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ برَب الخَلْقِ)، وَيُقَالُ: الفَلَقُ هُوَ الصُّبْحُ، وَيُقَالُ: جُبٌّ فِي النَّارِ، وَيُقَالُ: هُوَ وَادٍ فِي النَّارِ). [تنوير المقباس: ٦٠٤]

قالَ أحمدُ بنُ عَلِيِّ بنِ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت: ٨٥٢هـ): (وكتابُ التفسيرِ المَأْثُورِ عن مَالِكٍ، جَمْعُ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ مُحمدِ بنِ داودَ الرَّزَّازِ، بروايتِها عن حسنِ بنِ عُمَرَ الكُرْديِّ، قالَ: أخبرَنا مُكْرَمُ بنُ محمدِ بنِ أبي الصَّقْرِ، والحسنُ بنُ سالمِ بنِ عليِّ بنِ سَلاَّمٍ حُضُورًا في الرابعةِ، وإجازةً قالا: أخبرَنا عبدُ الرحمنِ بنُ عَلِيٍّ الخِرَقِيُّ، قالَ: أخبرَنا نصرُ اللهِ بنُ محمدٍ المِصِّيصِيُّ، قالَ: أخبرَنا عَلِيُّ بنُ أبي العَلاءِ، قالَ: أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ داود الرزازُ، قالَ: أخبرَنا أبو بَكْرٍ محمدُ بنُ عمرَ بنِ سَلْمٍ الجِعَابيُّ، فذكرَه. وأَوَّلُ الجُزْءِ: عن الزُّهْرِيِّ في قولِه تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] وآخِرُه: الفَلَقُ: الصُّبْحُ). [المجمع المؤسس للمعجم المفهرس: ٢/٣٦٩- ٣٧٠]

قالَ جَلالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ المَحَلِّيُّ (ت: ٨٦٤هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ الصُّبْحِ). [تفسير الجلالين: ٦٠٤]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبِيُّ (ت: ٨٧٥ هـ): (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: الفَلَقُ: الصُّبْحُ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا وجماعةٌ مِن الصَّحَابَةِ: الفَلَقُ: جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ. وَرَوَاهُ أَبو هُرَيْرَةَ عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [الجواهر الحسان: ٥/٦٤٠]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (فَصْلٌ في تَفْسِيرِ السُّورَةِ
تَقَدَّمَ الكلامُ عَلَى الاسْتِعَاذةِ، و"الفَلَقُ": هُوَ الصُّبْحُ، وهُوَ فَعَلٌ بمَعْنَى مَفْعُولٍ، أي: مَفْلُوقٌ، وفي الحَدِيثِ: «الرُّؤْيا مِثْلُ فَلَقِ الصُّبْحِ».
قَالَ الشَّاعِرُ:

يَـا لَيْلَـةً لَـمْ أَنَمْهَـا بِـتُّ مُرْتَفِقًـا ... أَرْعَـى النُّجُـومَ إِلَـى أنْ نَـوَّرَ الفَلَـقُ

وقَالَ ذُو الرُّمَّةِ يَصِفُ الثَّوْرَ الوَحْشِيَّ:

حَتَّى إِذَا مَـا انْجَلَـى عَـنْ وَجْهِـهِ فَلَـقٌ ... هَادِيــهِ في أُخْرَيَــاتِ اللَّيْـلِ مُنْتَـصِبُ

يعنِي بالفَلَقِ هُنَاكَ الصُّبْحَ بعَيْنِهِ.
وقِيلَ: الفَلَقُ: الجِبَالُ والصُّخُورُ تَنْفَلِقُ بالمِيَاهِ أي: تَتَشَقَّقُ وقِيلَ: هُوَ التَّفْلِيقُ بَيْنَ الجِبَالِ، لأَنَّها تَنْشَقُّ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ تَعَالَى.
قَالَ زُهَيْرٌ:

مَـا زِلْـتُ أَرْمُقُهُـمْ حَتَّـى إِذَا هَبَطَـتْ ... أَيْـدِي الرِّكَـابِ بِهِـمْ مِـنْ رَاكِـسٍ فَلَقَـا

والرَّاكِسُ: بَطْنُ الوَادِي.
وكذلك هُوَ فِي قَوْلِ النَّابغَةِ:

.... أَتَــانِي وَدُونِــي رَاكِــسٌ فَالــضَّوَاجِعُ

والرَّاكِسُ أَيْضًا: الهَادِي، وهُوَ الثَّوْرُ وَسَطَ البَيْدَرِ تَدُورُ عَلَيْهِ الثِّيرَانُ في الدِّيَاسَةِ.
وقِيلَ: الرَّحِمُ تَنْفَلِقُ بالحَيَوانِ.
وقِيلَ: إِنَّهُ كُلُّ مَا انْفَلَقَ عَنْ جَمِيعِ مَا خُلِقَ مِنَ الحَيَوَانِ، والصُّبْحِ، والحَب، والنَّوَى وكُلُّ شَيْءٍ مِنْ نَبَاتٍ وغَيْرِهِ. قَالَه الحَسَنُ وغَيْرُهُ.
قَالَ الضَّحَّاكُ: الفَلَقُ: الخَلْقُ كُلُّهُ قَالَ:

وَسْـوَسَ يَـدْعُو مُخْلِـصًا رَبَّ الفَلَـقِ ... سِـــرًّا وَقَـــدْ أَوَّنَ تَـــأْوِينَ العَقَـــقِ

قَالَ القُرْطُبِيُّ: وهَذَا القَوْلُ يَشْهَدُ لَهُ الاشْتِقَاقُ، فَإِنَّ الفَلَقَ: الشَّقُّ، يُقَالُ: فَلَقْتُ الشَّيْءَ فَلْقًا، أي: شَقَقْتُهُ، والتَّفْلِيقُ مِثْلُهُ، يُقَالُ: فَلَقْتُهُ وتَفَلَّقَ، فَكُلُّ مَا انْفَلَقَ عَنِ الشَّيْءِ مِنْ حَيَوَانٍ وصُبْحٍ وَحَبٍّ ونَوًى ومَاءٍ فهُوَ فَلَقٌ: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦] وقَالَ -عَزَّ وَجلَّ- : ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥].
وَالفَلَقُ مِقْطَرَةُ السَّجَّانِ، فَأَمَّا الفِلْقُ بالكَسْرِ فهُوَ الداهيَةُ، والأَمْرُ العَجِيبُ يُقَالُ منه: أَفْلَقَ الرَّجُلُ وافْتَلَقَ، وشَاعِرٌ مُفْلِقٌ، وقد جَاءَ بالفِلْقِ؛ قَالَ الشَّاعِرُ:

وَاعَجَبًــــا لِهَــــذِهِ الفَلِيقَــــهْ ... هَــلْ يُـــذْهِبَنَّ القُوبَــاءَ الرِّيقَــهْ

والفِلْقُ أَيْضًا: القَضِيبُ يُشَقُّ باثْنَيْنِ، فَيُعْمَلُ مِنْهُ قَوْسَانِ، يُقَالُ لِكُلٍّ مِنْهُمَا: فِلْقٌ، وقَوْلُهُمْ: جَاءَ بعُلُقٍ فُلُقٍ وهِيَ الدَّاهِيَةُ يُقَالُ مِنْهُ: أَعْلَقْتُ وَأَفْلَقْتُ. أي جِئْتُ بعُلُقٍ فُلُقٍ، وَمَرَّ يَفْتَلِقُ فِي عَدْوِهِ أي بالعَجَب مِنْ شِدَّتِهِ). [اللباب: ٢٠/٥٦٩- ٥٧٠]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (قَالَ: ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ أي: الذي يُرَبِيهِ وَيُنْشِئُ منهُ ما يُرِيدُ، وَهوَ الشيءُ المفلوقُ بإيجادِهِ ظُلْمَةَ العدمِ كالعيونِ التي فُلِقَتْ بها ظلمةُ الأرضِ وَالجبالِ، وَكالأمطارِ التي فُلِقَتْ بهَا ظُلْمَةَ الجوِّ وَالسحاب، وَكالنباتِ الذي فُلِقَتْ بِهِ ظلمةُ الصَّعِيدِ، وَكالأولادِ التي فُلِقَتْ بها ظلمةُ الأَحْشَاءِ، وَكالصبحِ الذي فُلِقَتْ بِهِ ظلمةُ الليلِ، وَما كانَ مِنَ الوحشةِ إلى ما حَصَلَ مِنْ ذلكَ مِنَ الطُّمَأْنينَةِ وَالسكونِ وَالأنسِ وَالسرورِ إلى غيرِ ذلكَ مِنْ سائرِ المخلوقاتِ.
قَالَ المَلَّوِيُّ: وَالفَلْقُ – بالسُّكُونِ وَالحركةِ، كلُّ شَيْءٍ انْشَقَّ عنهُ ظلمةُ العدمِ وَأُوجِدَ مِنَ الكائناتِ جَمِيعِهَا – انْتَهَى). [نظم الدرر: ٨/٦٠٤]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الإِيجيُّ الشَّافِعِيُّ (ت: ٩٠٥ هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾: هو الصبحُ، أو الخَلْقُ كلُّه؛ لأنَّه ما مِن شيءٍ إلاَّ ويَفْلِقُ ويَفْرِقُ ظُلْمَةَ العَدَمِ عنه، أو هو بيتٌ، أو جُبٌّ في جَهَنَّمَ إذا فُتِحَ صاحَ جميعُ أهلِ النارِ مِن شِدَّةِ حَرِّه). [جامع البيان: ٤/٥٤٥- ٥٤٦]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبي حَاتِمٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ آبَائِهِ قَالَ: الفَلَقُ جُبٌّ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، فَإِذَا كُشِفَ عَنْهُ خَرَجَتْ مِنْهُ نَارٌ تَصِيحُ مِنْهُ جَهَنَّمُ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ). [الدر المنثور: ١٥/٧٩٧]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وابْنُ أَبي حَاتِمٍ عن كعبٍ قَالَ: الفلَقُ بيتٌ في جهَنَّمَ إذَا فُتِحَ صاحَ أهلُ النارِ مِن شِدةِ حرِّهِ). [الدر المنثور: ١٥/٧٩٧]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وابْنُ أَبي حَاتِمٍ عن أبي عَبْدِ الرحمنِ الحُبُلِّيِّ قَالَ: الفلَقُ جهَنَّمُ). [الدر المنثور: ١٥/٧٩٧]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وابْنُ أَبي حَاتِمٍ وابْنُ مَرْدُويَهْ عن جَابرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: الفلَقُ الصُّبْحُ). [الدر المنثور: ١٥/٧٩٧]

قَالَ عبدُ الرحمنِ بنُ أبي بكرِ بنِ مُحَمَّدٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (بابٌ: أَوْدِيَةُ جَهَنَّمَ وَحَيَّاتُهَا وَعَقَارِبُهَا
قالَ تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾. [الهمزة: ١] وقالَ تعالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾). [البدور السافرة في أمور الآخرة: ٣١٤- ٣١٥]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (والفَلَقُ الصُّبْحُ في قولِ الأكثرينَ، ومنهُ قولُهُ تَعَالَى ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦] لأنَّهُ ظاهرٌ في تغيُّرِ الحالِ وَمحاكاةِ يومِ القيامةِ الَّذِي هوَ أعظمُ فلقٍ يشقُّ ظُلمةَ الفناءِ والهلاكِ بالبعثِ والإحياءِ.
وقالَ المَلَّوِيُّ: الفَلْقُ بالسُّكونِ والحركةِ كلُّ شيءٍ انْفَلَقَ عنهُ ظُلمةُ العَدمِ وأُوجِدَ منِ الكائناتِ جميعًا.

ورُويَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهما أنَّهُ سِجْنٌ في جهنَّمَ.

وقَالَ الكلبيُّ: وادٍ في جهنَّمَ.

وقَالَ الضَّحَّاكُ: يعني الخَلْقَ.

وَقِيلَ: المطمئنُّ منَ الأرضِ وجمعُهُ فُلْقَانٌ مثْلَ خَلَقٍ وخُلْقَانٍ.

وَقِيلَ: الفَلَقُ الجِبالُ والصُّخورُ تنفلِقُ بالمياهِ أيْ: تنشقُّ.

وَقِيلَ هوَ التَّفليقُ بينَ الجِبالِ؛ لأنَّها تنشَقُّ منْ خوفِ اللَّهِ تَعَالَى). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٢- ٦١٣]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾. الفَلَقُ: الصُّبْحُ كالفَرَقِ؛ لأَنَّهُ يُفْلَقُ عَنْهُ اللَّيْلُ وَيُفْرَقُ، فَعَلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ؛ فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِن المَفْلُوقِ والمَفْلُوقِ عَنْهُ مَفْعُولٌ. وَقِيلَ: هُوَ مَا انْفَلَقَ مِنْ عَمُودِهِ، وَقِيلَ: هُوَ كُلُّ مَا يَفْلِقُهُ اللَّهُ تَعَالَى كالأَرْضِ عَن النَّبَاتِ، والجِبَالِ عَن العُيُونِ، والسَّحَابِ عَنِ الأمطارِ، والحَبِ والنَّوَى عَمَّا يَخْرُجُ مِنْهُمَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ). [إرشاد العقل السليم: ٧/ ٢١٤]

قَالَ المُؤَذِّنُ عَبْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ سَلامَةَ الإِدْكَاوِيُّ (ت: ١١٨٤هـ): (البَلَنْسِيُّ: وهو جُبٌّ في جَهَنَّمَ سُمِّيَ الفَلَقَ، وقيلَ: هو فَلَقُ الصُّبْحِ). [ترويح أولي الدماثة: ٢/ ٢٧٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ التَّمِيمِيُّ (ت: ١٢٠٦ هـ): (وَالفَلَقُ هُوَ بَيَاضُ الصُّبْحِ إِذَا انْفَلَقَ مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ). [مجموع مؤلفاته/التفسير: ٢٨٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (﴿ٱلْفَلَقِ﴾ الصبحُ، يُقَالُ: هوَ أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ الصبحِ. وَسُمِّيَ فَلَقًا؛ لأنَّهُ يُفْلَقُ عنهُ الليلُ، وهوَ فَعَلٌ بمَعْنَى مَفْعُولٍ، قَالَ الزَّجَّاجُ: لأنَّ الليلَ يَنْفَلِقُ عنهُ الصبحُ، ويَكونُ بمَعْنَى مَفْعُولٍ، يُقَالُ: هوَ أَبْيَنُ مِنْ فلَقِ الصبحِ، ومِن فَرَقِ الصبحِ، وهذا قَوْلُ جمهورِ المُفَسِّرِينَ، ومنهُ قولُ ذِي الرُّمَّةِ:

حتَّى إذا مَا انْجَلَى عَنْ وَجْهِهِ فَلَقٌ ... هَادِئَةٌ فِي أُخْرَيَاتِ اللَّيْلِ مُنْتَصِبُ

وقولُ الآخَرِ:

يَا لَيْلَةً لَمْ أَنَمْهَا بِتُّ مُرْتَفِقًا ... أَرْعَى النُّجُومَ إِلَى أَنْ نَوَّرَ الفَلَقُ

وَقِيلَ: هوَ سِجْنٌ في جَهَنَّمَ. وقيلَ: هوَ اسمٌ مِنْ أسماءِ جَهَنَّمَ. وَقيلَ: شَجَرَةٌ في النارِ. وَقيلَ: هوَ الجبالُ والصخورُ؛ لأنَّها تُفْلَقُ بالمياهِ؛ أيْ: تَشَقَّقُ. وقيلَ: هوَ التَّفْلِيقُ بينَ الجبالِ؛ لأنَّها تَنْشَقُّ مِنْ خوفِ اللَّهِ.

قَالَ النَّحَّاسُ: يُقَالُ لكلِّ ما اطْمَأَنَّ مِنَ الأرضِ: فَلَقٌ، وَمِنهُ قولُ زُهَيْرٍ:

مَا زِلْتُ أَرْمُقُهُمْ حَتَّى إِذَا هَبَطَتْ ... أَيْدِي الرِّكَابِ بِهِمْ مِنْ رَاكِسٍ فَلَقَا

والرَّكْسُ: بَطْنُ الوادِي، وَمِثْلُهُ قولُ النابغةِ:

وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَاجِعُ

وقيلَ: هوَ الرَّحِمُ تَنْفَلِقُ بالحَيَوَانِ. وَقيلَ: هوَ كلُّ ما انْفَلَقَ عَنْ جميعِ ما خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الحيوانِ وَالصبحِ وَالحَبِ وَالنَّوَى وكلِّ شيءٍ مِنْ نَبَاتٍ وَغيرِهِ. قَالَهُ الحسنُ وَالضَّحَّاكُ.

قَالَ القُرْطُبيُّ: هذا القولُ يَشْهَدُ لهُ الانشقاقُ، فإنَّ الفلقَ الشَّقُّ، فَلَقْتُ الشيءَ فَلْقًا: شَقَقْتُهُ، وَالتَّفْلِيقُ مِثْلُهُ، يُقَالُ: فَلَقْتُهُ فانْفَلَقَ وتَفَلَّقَ، فَكلُّ ما انْفلَقَ عَنْ شيءٍ مِنْ حيوانٍ وَصبحٍ وَحَبٍّ وَنَوًى وَماءٍ فَهُوَ فَلَقٌ.

قَالَ اللَّهُ سبحانَهُ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦] وَقالَ: [الأنعام: ٩٥] ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥] انْتهى.

وَالقولُ الأوَّلُ أوْلَى؛ لأنَّ المعنَى وَإِنْ كانَ أَعَمَّ منهُ وَأَوْسَعَ مِمَّا تَضمَّنَهُ لكنَّهُ المتبادرُ عندَ الإِطلاقِ). [فتح القدير: ٥/٧٥٧- ٧٥٨]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ فَعَلٌ بمعنى مفعول، صفةٌ مُشَبَّهَةٌ كقَصصٍ بمعنى مَقصوصٍ، مِن فَلَقَ شَقَّ وفَرَقَ، وهو يَعُمُّ جميعَ الموجوداتِ المُمكِنةِ فإنه تعالى فَلَقَ بنورِ الإيجادِ سيَّما ما يَخرجُ مِن أصلٍ، كالعيونِ مِن الجبالِ والأمطارِ مِن السَّحاب والنباتِ مِن الأرضِ والأولادِ مِن الأرحامِ.

وخُصَّ عُرْفًا بالصبحِ، وإطلاقُهم المفلوقَ عليه مع قولِهم: فَلَقَ اللهُ تعالى الليلَ عن الصبحِ على نحوِ إطلاقِ المسلوخِ على الشاةِ مع قولِهم: سَلَخْتُ الجلدَ مِن الشاةِ.

وتفسيرُه بالمعنى العامِّ أَخْرَجَه ابنُ جَريرٍ وابنُ المنذِرِ وابنُ أبي حاتمٍ عن ابنِ عبَّاسٍ، ولفظُه: الفَلَقُ الخَلْقُ.

وأَخْرَجَ الطَّسْتيُّ عنه أنه فسَّرَه بالصبحِ، وأَنْشَدَ رَضِيَ اللهُ تعالى عنه قولَ زُهيرٍ:

الفارجُ الهمَّ مَسْدُولاً عساكِرُهُ		كما يُفَرِّجُ غَمَّ الظُّلمةِ الفَلَقُ

وهو مرْوِيٌّ عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ ومجاهِدٍ وقَتادةَ وابنِ جُبيرٍ والقرطبيِّ وابنِ زيدٍ.

وعليه فتعليقُ العياذِ باسمِ الرب المضافِ إلى الفلَقِ المُنْبِئِ عن النورِ عَقيبَ الظُّلمةِ والسَّعَةِ بعدَ الضيقِ والفَتْقِ بعدَ الرَّتْقِ عِدَةٌ كَريمةٌ بإعاذةِ العائذِ مِمَّا يَعُوذُ منه وإنجائِه منه وتَقويةٌ لرَجائِه بتذكيرِ بعضِ نَظائرِه ومَزيدُ تَرغيبٍ له في الجِدِّ والاعتناءِ بقَرْعِ باب الالتجاءِ إليه عزَّ وجَلَّ.

وقيلَ: إنَّ في تخصيصِ الفَلَقِ بالذكرِ؛ لأنه نَمُوذَجٌ مِن يومِ القِيامةِ؛ فالدُّورُ كالقبورِ والنومُ أخو الموتِ، والخارجون مِن مَنازِلِهم صَباحًا منهم مَن يَذهبُ لنَضرةٍ وسرورٍ، ومِنهم مَن يكونُ مِن مُطالبةِ دُيونٍ في غُمومٍ وشُرورٍ، إلى أحوالٍ أُخرَ تَكونُ للعِبادِ هي أَشْبَهُ شيءٍ بما يكونُ لهم في المَعادِ.

وفي تفسيرِ القاضي أنَّ لفظَ الرب ههنا أَوْقَعُ مِن سائرِ الأسماءِ، أي: التي يَجوزُ إضافتُها إلى الفَلَقِ على ما قيلَ؛ لأنَّ الإعاذةَ مِن المَضارِّ تَربيةٌ، وهو على تعميمِ الفَلَقِ ظاهرٌ لشُمولِه للمستعيذِ والمستعاذِ منه، وعلى تخصيصِه بالصبحِ، قيلَ: لأنه مُشْعِرٌ بأنه سُبحانَه قادرٌ مُغَيِّرٌ للأحوالِ، مُقَلِّبٌ للأطوارِ فيُزيلُ الهمومَ والأكدارَ.

وقالَ الرئيسُ ابنُ سِينا - بعدَ أن حَمَلَ الفلَقَ على ظُلمةِ العَدَمِ المَفلوقةِ بنورِ الوُجودِ- : إنَّ في ذِكْرِ الرب سِرًّا لطيفًا مِن حقائقِ العِلمِ، وذلك أنَّ المربوبَ لا يَستغني في شيءٍ مِن حالاتِه عن الرب، كما يُشاهَدُ في الطفلِ ما دامَ مَربوبًا، ولَمَّا كانتِ الماهِيَّاتُ المُمْكِنَةُ غيرَ مُستغنِيَةٍ عن إفاضةِ المبدأِ الأوَّلِ لا جَرَمَ ذَكَرَ لفظَ الرب للإشارةِ إلى ذلك.

وفيه إشارةٌ أُخرى مِن خَفِيَّاتِ العلومِ، وهو أنَّ العوذَ والعِياذَ في اللغةِ عِبارةٌ عن الالتجاءِ إلى الغيرِ، فلَمَّا أَمَرَ بمجَرَّدِ الالتجاءِ إلى الغيرِ وعَبَّرَ عنه بالرب دَلَّ ذلك على أنَّ عَدمَ الحصولِ ليس لأمرٍ يَرجِعُ إلى المستعاذِ به المفيضِ للخيراتِ، بل لأمرٍ يَرجِعُ إلى قابِلِها فإنَّ مِن المُقرَّرِ أنه ليس شيءٌ مِن الكمالاتِ وغيرِها مَبخولاً به مِن جانب المبدأِ الأوَّلِ سبحانَه، بل الكلُّ حاصلٌ مَوقوفٌ على أن يَصْرِفَ المستعيذُ جِهةَ قَبولِه إليه وهو المعنيُّ بالإشارةِ النبويَّةِ: «إنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ أَلا فَتَعَرَّضُوا لَهَا» بَيَّنَ أنَّ نفحاتِ الألطافِ دائمةٌ، وإنما الخللُ مِن المستعيذِ. انتهى.

وفي روايةٍ عن ابنِ عبَّاسٍ أيضًا وجماعةٍ مِن الصحابةِ والتابعينَ: إنَّ الفَلَقَ جُبٌّ في جهنَّمَ. وأَخْرَجَ ابنُ مَردويهِ والدَّيْلَميُّ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ قالَ: سألتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ عن قولِ اللهِ عزَّ وجَلَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ قالَ: «هُوَ سِجْنٌ فِي جَهَنَّمَ يُحْبَسُ فِيهِ الجَبَّارُونَ وَالمُتَكَبِّرُونَ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَتَعُوذُ باللهِ تَعَالَى مِنْهُ».

وأَخْرَجَ ابنُ مَرْدويْهِ عن عمرِو بنِ عَنبسةَ قالَ: صَلَّى بنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ فقرأَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ فقالَ: «يَا ابْنَ عَنْبَسَةَ، أَتَدْرِي مَا الفَلَقُ؟» قلتُ: اللهُ ورسولُه أَعْلَمُ. قالَ: «بِئْرٌ فِي جَهَنَّمَ، فَإِذَا سُعِّرَتِ البِئْرُ فَمِنْهَا تُسَعَّرُ جَهَنَّمُ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَتَتَأَذَّى مِنْهُ كَمَا يَتَأَذَّى ابْنُ آدَمَ مِنْ جَهَنَّمَ».

وأَخْرَجَ ابنُ جَريرٍ وابنُ أبي حاتمٍ عن كعبٍ قالَ: الفَلَقُ بيتٌ في جَهَنَّمَ إذا فُتِحَ صاحَ أهلُ النارِ مِن شِدَّةِ حَرِّه. وعن الكلبيِّ أنه وادٍ في جَهَنَّمَ، وقيلَ: هو جَهَنَّمُ وهو على ما في الكشافِ مِن قولِهم لِمَا اطْمَأَنَّ مِن الأرضِ: الفلَقُ، والجمْعُ فُلقانٌ كخَلَقٍ وخُلقانٍ، وتخصيصُه بالذكرِ قيلَ: لأنه مَسْكَنُ اليهودِ فعن بعضِ الصحابةِ أنه قَدِمَ الشامَ فرأى دُورَ أهلِ الذِّمَّةِ وما هم فيه مِن خَفْضِ العيشِ وما وُسِّعَ عليهم مِن دُنياهم فقالَ: لا أُبالِي أليسَ مِن ورائِهم الفلَقُ. وفُسِّرَ بما رُوِيَ آنِفًا عن كعبٍ، ومنهم الذي سَحَرَ النبيَّ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ ففي تَعليقِ العِياذِ بالرب مُضافًا إليه عِدَةٌ كريمةٌ بإعاذتِه صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ مِن شَرِّهِم، ولا يَخفَى أنَّ هذا مِمَّا لا يُثْلِجُ الصدرَ وأَظُنُّ ضَعفَ الأخبارِ السالفةِ ويَترجَّحُ في نَظَرِي المعنى الأوَّلُ للفَلَقِ). [روح المعاني: ٢٩/٢٧٩- ٢٨٠]

قالَ مُحمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾. ﴿الْفَلَقِ﴾: الصبحُ، يُقَالُ: هوَ أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ الصبحِ، وَسُمِّيَ فَلَقًا؛ لأَنَّهُ يُفْلَقُ عنهُ الليلُ، وَهو فَعَلٌ بمَعْنَى مَفْعُولٍ.

قَالَ الزَّجَّاجُ: لأنَّ الليلَ يَنْفَلِقُ عنهُ الصبحُ ويَكونُ بمَعْنَى مفعولٍ، وَهذا قولُ جُمْهُورِ المُفَسِّرِينَ.

وَقِيلَ: هوَ سِجْنٌ في جَهَنَّمَ. وَقِيلَ: هو اسمٌ مِنْ أسماءِ جَهَنَّمَ. وَقِيلَ: شجرةٌ في النارِ. وَقِيلَ: هوَ الجبالُ وَالصخورُ؛ لأَنَّها تُفْلَقُ بالمياهِ؛ أيْ: تَشَقَّقُ، وَقِيلَ: هوَ التفليقُ بينَ الجبالِ؛ لأَنَّها تَنْشَقُّ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ.

قالَ النحَّاسُ: يُقَالُ لكلِّ ما اطْمَأَنَّ مِنَ الأرضِ فَلَقٌ. وَقِيلَ: هوَ كلُّ ما انْفَلَقَ عَنْ جميعِ ما خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الحيوانِ وَالصبحِ وَالحبِ وَالنَّوَى وكلِّ شَيْءٍ مِنْ نباتٍ وَغيرِهِ. قَالَهُ الحسنُ وَالضَّحَّاكُ.

قالَ القُرْطُبيُّ: هذا القولُ يَشْهَدُ لهُ الانشقاقُ، فإنَّ الفلَقَ الشقُّ يُقَالُ: فَلَقْتُ الشيءَ فَلْقًا شَقَقْتُهُ، والتفليقُ مِثْلُهُ، يُقَالُ: فَلَقْتُهُ فانْفَلَقَ وتَفلَّقَ، فكُلُّ مَا انْفَلَقَ عَنْ شيءٍ مِنْ حيوانٍ وصبحٍ وحبٍّ ونَوًى ومَاءٍ فهوَ فَلَقٌ، قَالَ اللَّهُ سبحانَهُ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]. وقَالَ: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥] انْتَهَى.

والقولُ الأَوَّلُ أَوْلَى؛ لأنَّ المَعْنَى وإِنْ كانَ أَعمَّ منهُ وأَوْسعَ مِمَّا تضَمَّنَهُ لكنَّهُ المُتَبادِرُ عندَ الإِطلاقِ). [فتح البيان: ١٥/٤٥٧]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾، أيِ: الصُّبْحِ، فإنَّهُ وَقْتُ دُعَاءِ المُضْطَرِّينَ، وإجابَةِ المَلْهُوفِينَ، فكَأَنَّهُ يَقُولُ: قُلْ أَعُوذُ برَب الوَقْتِ الَّذِي يُفَرَّجُ فِيهِ عَنْ كُلِّ مَهْمُومٍ، ولأنَّهُ أُنْمُوذَجٌ مِنْ يَوْمِ القِيَامَةِ، لأنَّ الخَلْقَ كَالأمْواتِ والدُّورَ كالقُبورِ، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَخْرُجُ عَنْ دارِهِ مُفْلِسًا عُرْيَانًا، ومِنْهُمْ مَنْ كَانَ مَدْيُونًا فيُجَرُّ إلى الحَبْسِ، ومِنْهُمْ مَنْ كَانَ مَلِكًا مُطَاعًا، فتُقَدَّمُ إِلَيْهِ المَرَاكِبُ ويَقُومُ النَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وكَذَا فِي يَوْمِ القِيَامَةِ بَعْضُهُمْ مُفْلِسٌ عَنِ الثَّواب، عَارٍ عَنْ لِبَاسِ التَّقْوى. فيُجَرُّ إلى المَلِكِ الجَبَّارِ، وبَعْضُهُمْ كَانَ مُطِيعًا لِربهِ فِي الدُّنْيا، فصَارَ مَلِكًا مُطَاعًا فِي العُقْبَى يُقَدَّمُ إليه البُرَاقُ.

وقِيلَ: الفلَقُ وادٍ فِي جَهنَّمَ أَوْ جُبٌّ فِيهَا.

رُوِيَ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ قَدِمَ الشَّامَ فَرَأَى دُورَ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمَا هُمْ فِيهِ مِنْ خِصْبِ العَيْشِ فَقَالَ: لا أُبَالِي أَلَيْسَ مِنْ وَرَائِهِمُ الفَلَقُ. فَقِيلَ: وَمَا الفَلَقُ؟ قَالَ: بَيْتٌ فِي جَهَنَّمَ إذَا فُتِحَ صَاحَ جَمِيعُ أَهْلِ النَّارِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ). [مراح لبيد: ٢/٦٨١]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المصريُّ(ت: ١٣٢٣هـ): (﴿ٱلْفَلَقِ﴾ قِيلَ: هو الصُّبْحُ، وربُّهُ هو اللهُ الَّذي وَضَعَ نِظامَ الكَواكِبِ على أنْ يكونَ في الأَرْضِ لَيْلٌ يَغْمُرُ الأَرْضَ بظُلْمَتِهِ، ثُمَّ يكونُ صُبْحٌ فيَفْلِقُ هذا الظَّلامَ، ويُفَرِّجُ كُرَبَهُ عَنِ الأَنامِ، وقالَ جَمْعٌ مِنَ المُفَسِّرينَ: إنَّ الفلَقَ هو المَوْجودُ المُمْكِنُ كُلُّهُ، وربُّهُ هو خالِقُهُ الَّذي شَقَّ ظُلْمَةَ العَدَمِ عنه، ومَن كانَ رَبَّ الوُجُودِ كُلِّهِ أو رَبَّ الصُّبْحِ ولا يُمْكِنُ أنْ يَأْتِيَ بالصُّبْحِ سِواهُ، فهو جَدِيرٌ أنْ يُتَعوَّذَ به ويُلْجَأَ إليه وَحْدَهُ... (ضبب على هذا الموضع المطبوع)). [تفسير جزء عم: ١٨٣]

قالَ مُحَمَّد جَمَالُ الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (والفَلَقُ فَعَلٌ بمعنى المفعولِ، كقَصَصٍ بمعنى المَقْصُوصِ.

قالَ ابنُ تَيْمِيَّةَ: كُلُّ ما فَلَقَهُ الرَّبُّ فهو فَلَقٌ. قالَ الحَسَنُ: الفلَقُ كلُّ ما انْفَلَقَ عنْ شيءٍ كالصُّبْحِ والحَب والنَّوَى.

قالَ الزَّجَّاجُ: وإذا تَأَمَّلْتَ الخَلْقَ بَانَ لَكَ أنَّ أكْثَرَهُ عن انفلاقٍ؛ كالأرضِ بالنَّبَاتِ والسحاب بالمَطَرِ.

وقدْ قالَ كثيرٌ مِن المُفَسِّرينَ: الفلَقُ الصبحُ؛ فإنَّهُ يقالُ: هذا أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ، وفَرَقِ الصُّبْحِ.

وقالَ بَعْضُهم: الفلَقُ الخَلْقُ كُلُّهُ.

وأَمَّا مَنْ قالَ: إنَّهُ وادٍ في جَهنَّمَ، أوْ شجرةٌ في جَهنَّمَ، أوْ أنَّهُ اسمٌ مِنْ أسماءِ جَهنَّمَ، فهذا أمْرٌ لا نَعْرِفُ صِحَّتَهُ، لا بدَلالةِ اسمٍ عليهِ، ولا بنَقْلٍ عنِ النبيِّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، ولا في تَخصيصِ رُبوبيَّتِهِ بذلكَ حِكمةٌ، بخِلافِ ما إذا قالَ: رَب الخَلْقِ، أوْ رب كلِّ ما انْفَلَقَ، أوْ رب النُّورِ الذي يُظْهِرُهُ على العِبادِ بالنهارِ؛ فإنَّ في تخصيصهِ هذا بالذِّكْرِ ما يَظْهَرُ بهِ عَظَمةُ الرب المُسْتَعاذِ بهِ، انتهى). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٤]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (والفَلَقُ: شَقُّ الشَّيْءِ وَفَصْلُ بَعْضِهِ مِن بَعْضٍ، تَقُولُ: فَلَقْتُ الشَّيْءَ فَانْفَلَقَ، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥] والشَّيْءُ المَفْلُوقُ يُسَمَّى فَلْقًا، وَالمُرَادُ بِهِ كُلُّ ما يَفْلِقُهُ اللهُ كالأَرْضِ الَّتِي تَنْفَلِقُ عَنِ النَّبَاتِ، والجِبَالِ الَّتِي تَنْفَلِقُ عَنْ عُيُونِ المَاءِ، والسَّحَائِبِ الَّتِي تَنْفَلِقُ عن مَاءِ الأَمْطَارِ، والأَرْحَامِ الَّتِي تَنْفَلِقُ عَنِ الأَوْلادِ). [تفسير المراغي: ٣٠/٢٦٦- ٢٦٧]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ أَيْ قُلْ: أَسْتَعِيذُ برَب المَخْلُوقَاتِ وَمُبْدِعِ الكَائِنَاتِ، مِن كُلِّ أَذًى وَشَرٍّ يُصِيبُنِي مِن مَخْلُوقٍ مِن مَخْلُوقَاتِهِ طُرًّا). [تفسير المراغي: ٣٠/٢٦٧]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ نَاصِرٍ السّعْدِيُّ (ت: ١٣٧٦هـ): (﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ ؛ أي: فالِقِ الحب والنَّوَى، وفالِقِ الإصباحِ). [تيسير الكريم الرحمن: ٤/٢٠٠١]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (والفلَقُ: الصُّبْحُ، وهو فَعَلٌ بمعنى مَفعولٍ مِثْلُ الصَّمَدِ؛ لأنَّ الليلَ شُبِهَ بشيءٍ مغلَقٍ يَنفَلِقُ عن الصُّبْحِ، وحقيقةُ الفَلَقِ: الانشقاقُ عن باطِنِ شيءٍ، واستُعِيرَ لظُهورِ الصُّبْحِ بعدَ ظُلمةِ الليلِ، وهذا مِثلُ استعارةِ الإخراجِ لظُهورِ النُّورِ بعْدَ الظلامِ في قولِه تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩﴾ [النازعات: ٢٩]، واستعارةِ السَّلْخِ له في قولِه تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ [يس: ٣٧].

وربُّ الفَلَقِ: هو اللهُ؛ لأنه الذي خلَقَ أسبابَ ظُهورِ الصُّبْحِ، وتَخصيصُ وصْفِ اللهِ بأنه ربُّ الفَلَقِ دونَ وصْفٍ آخَرَ؛ لأنَّ شَرًّا كثيرا يَحدُثُ في الليلِ؛ مِن لُصوصٍ، وسِباعٍ، وذَواتِ سُمومٍ، وتَعَذُّرِ السيْرِ، وعُسْرِ النَّجْدَةِ، وبُعْدِ الاستغاثَةِ، واشتدادِ آلامِ المَرْضَى، حتى ظَنَّ بعْضُ أهْلِ الضلالةِ الليلَ إِلَهَ الشرِّ.

والمعنى: أَعوذُ بفالِقِ الصُّبْحِ مَنجاةً مِن شُرورِ اللَّيْلِ، فإنه قادِرٌ على أنْ يُنْجِيَنِي في الليلِ مِن الشَّرِّ، كما أَنْجَى أهلَ الأرضِ كلَّهم بأنْ خَلَقَ لَهُمُ الصُّبْحَ، فوُصِفَ اللهُ بالصِّفَةِ التي فيها تَمهيدٌ للإجابَةِ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٦]

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (قَوْلُهُ تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ قالَ أبو حَيَّانَ وغيرُه: الفَلَقُ فَعَلٌ بمعنَى مفعولٍ؛ أي: مَفْلوقٍ، واخْتُلِفَ في المرادِ بذلك.

فقيلَ: إنَّه الصبحُ يَتَفَلَّقُ عنه الليلُ.

وقيلَ: الحَبُّ والنَّوَى.

وقيلَ: هو جُبٌّ في جَهَنَّمَ.

وقالَ بعضُ المُفسِّرِينَ: كلُّ ما فَلَقَه اللَّهُ عن غيرِه، كالليلِ عن الصبْحِ، والحَب والنَّوَى عن النَّبْتِ، والأرضِ عن النباتِ، والجبالِ عن العيونِ، والأرحامِ عن الأولادِ والسَّحاب عن المَطَرِ.

وقالَ ابنُ جريرٍ: إنَّ اللَّهَ أطْلَقَ ولم يُقَيِّدْ، فتُطْلِقُ كذلك كما أَطْلَقَ.

والذي يَظْهَرُ أنَّ كلَّ الأقوالِ ما عدا القولَ بأنَّه جُبٌّ في جَهَنَّمَ مِن قَبِيلِ اختلافِ التنوُّعِ، وأنَّها كلَّها مُحْتَمَلَةٌ، قالَ ابنُ جَريرٍ: على الإطلاقِ.

أمَّا القولُ بأنَّه جُبٌّ في جَهَنَّمَ، فلم يَثْبُتْ فيه نَصٌّ، وليسَتْ فيه آيةٌ مُشاهَدَةٌ يُحالُ عليها للدَّلالةِ على قُدرةِ اللَّهِ تعالى، كما في الأشياءِ الأُخْرَى المُشاهَدَةِ.

والذي يَشْهَدُ له القرآنُ هو الأوَّلُ، كما جاءَ النصُّ الصريحُ في الصبْحِ والحَب والنَّوَى؛ كقَوْلِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام: ٩٥- ٩٦].

وكلُّها آياتٌ دالَّةٌ على قُدرةِ اللَّهِ، وجاءَ في حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها في بَدْءِ الوَحْيِ: وأنَّه صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ ما كانَ يَرَى رُؤْيَا إلاَّ جاءَتْ كفَلَقِ الصُّبْحِ. والفَلَقُ بمعنَى الصبْحِ مَعروفٌ في كلامِ العَرَبِ.

وعليه قولُ الشاعِرِ:

يا ليلةً لم أَنَمْها بتُّ مُرْتَقِبًا ... أَرْعَى النجومَ إلى أنْ قُدِّرَ الفَلَقُ

وقولُ الآخَرِ مِثْلُه، وفيه: "إلى أنْ نَوَّرَ الفلَقُ" بدَلَ "قُدِّرَ"، والواقعُ أنَّه في قُوَّةِ الإقسامِ برَب الكونِ كلِّه، يتَفَلَّقُ بعضُه عن بعْضٍ). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٣٩- ٣٤٠]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ سُلَيْمَانَ الأَشْقَرُ (ت:١٤٣٠هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ الفَلَقُ: الصُّبْحُ؛ لأَنَّ اللَّيْلَ يَنْفَلِقُ عَنْهُ، وَقِيلَ: هُوَ كُلُّ مَا انْفَلَقَ عَنْ جَمِيعِ مَا خَلَقَ اللَّهُ من الحَيَوانِ والصبحِ والحب والنَّوَى، وَكُلِّ شَيْءٍ مِنْ نَبَاتٍ وَغَيْرِهِ). [زبدة التفسير: ٦٠٤]

أحاديث وآثار في المراد بالفلق

حديث عمرو بن عبسة

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (أَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَهْ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ قَالَ: صَلَّى بنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقرَأَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾. فَقَالَ: ((يَا ابْنَ عَبَسَةَ، أَتَدْرِي مَا الفَلَقُ؟)) قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ((بِئْرٌ فِي جَهَنَّمَ إِذَا سُعِّرَتِ البِئْرُ ففيها سعْرُ جَهَنَّمَ، وإِنَّ جَهَنَّمَ لَتَتَأَذَّى بِهَا كَمَا يَتَأَذَّى بَنُو آدَمَ مِنْ جَهَنَّمَ)). [الدر المنثور: ١٥/٧٩٦]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِن وجهٍ آخَرَ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ قَالَ: الفلَقُ بئْرٌ فِي جَهَنَّمَ إِذَا سُعِّرَتْ جهَنَّمُ فَمِنْهُ تُسعَّرُ، وإِنَّهَا لَتَتَأَذَّى بِهِ كَمَا يَتَأَذَّى بَنُو آدَمَ مِنْ جَهَنَّمَ). [الدر المنثور: ١٥/٧٩٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَقدْ أَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَه عَنْ عَمْرِو بنِ عَبَسَةَ قَالَ: صَلَّى بنا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقرَأَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾. فَقَالَ: ((يَا ابنَ عَبَسَةَ أَتَدْرِي مَا الفَلَقُ؟)) قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ((بِئْرٌ فِي جَهَنَّمَ)).

وَأَخْرَجَهُ ابنُ أبي حاتِمٍ مِنْ قولِ عمرِو بنِ عَبَسَةَ غيرَ مَرْفُوعٍ). [فتح القدير: ٥/٧٦٠]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وأَخْرَجَ ابنُ مَرْدَوَيْهِ عن عمرِو بنِ عَنبسةَ قالَ: صَلَّى بنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ فقرأَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ فقالَ: «يا ابْنَ عَنْبَسَةَ، أَتَدْرِي مَا الفَلَقُ؟» قلتُ: اللهُ ورسولُه أَعْلَمُ. قالَ: «بئْرٌ فِي جَهَنَّمَ، فَإِذَا سُعِّرَتِ البِئْرُ فَمِنْهَا تُسعَّرُ جَهَنَّمُ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَتَتَأَذَّى مِنْهُ كَمَا يَتَأَذَّى ابْنُ آدمَ مِنْ جَهَنَّمَ»). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٠]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (عنْ عمرِو بنِ عَبَسَةَ قَالَ: صَلَّى بنا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾. وقَالَ: «يَا ابْنَ عَبَسَةَ، أَتَدْرِي مَا ﴿الْفَلَقِ﴾؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرسولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «بِئْرٌ فِي جَهَنَّمَ». أَخْرَجَهُ ابنُ مَرْدُويْهِ، وَأَخْرَجَهُ ابنُ أبي حاتمٍ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ غيرَ مَرْفُوعٍ). [فتح البيان: ١٥/٤٥٨]

■ حديث عقبة بن عامر الجهني

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَهْ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقرَأْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾، هَلْ تَدْرِي مَا الفَلَقُ؟ بَابٌ فِي النَّارِ إِذَا فُتِحَ سُعِّرَتْ جَهَنَّمُ»). [الدر المنثور: ١٥/٧٩٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَه عَنْ عقبةَ بنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ لي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقرَأْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾. هَلْ تَدْرِي مَا الفَلَقُ؟ بَابٌ فِي النَّارِ إِذَا فُتِحَ سُعِّرَتْ جَهَنَّمُ»). [فتح القدير: ٥/٧٦٠]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وعنْ عُقْبَةَ بنِ عامرٍ قَالَ: قَالَ لي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «اقرَأْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾. هلْ تَدْرِي ما ﴿الْفَلَقِ﴾؟ بَابٌ في النارِ، إذا فُتِحَ سُعِّرَتْ جَهَنَّمُ». أَخْرَجَهُ ابنُ مَرْدُويْهِ). [فتح البيان: ١٥/٤٥٨]

■ حديث عبد الله بن عمرو بن العاص

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَهْ والدَّيْلَمِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَالَ: سَالتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾. قَالَ: «هُوَ سِجْنٌ فِي جَهَنَّمَ يُحبَسُ فِيهِ الجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَتعَوَّذُ باللَّهِ مِنْهُ»). [الدر المنثور: ١٥/٧٩٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَه والدَّيْلَمِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ قَالَ: سَالتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾. فَقَالَ: «هُوَ سِجْنٌ فِي جَهَنَّمَ يُحْبَسُ فِيهِ الجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَتَتَعَوَّذُ باللَّهِ مِنْهُ»). [فتح القدير: ٥/٧٦٠]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وأَخْرَجَ ابنُ مَردويهِ والدَّيْلَميُّ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ قالَ: سألتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ عن قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١﴾ قالَ: «هُوَ سِجْنٌ فِي جَهَنَّمَ يُحْبَسُ فِيهِ الجَبَّارُونَ وَالْمُتَكبِرُونَ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَتَعُوذُ باللهِ تَعَالَى مِنْهُ»). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٠]

قالَ مُحمَّد صِدِّيق حسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وعنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ قَالَ: سَالتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١﴾. فَقَالَ: «هُوَ سِجْنٌ فِي جَهَنَّمَ يُحْبَسُ فِيهِ الجَبَّارُونَ وَالْمُسْتَكْبِرُونَ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَتَتَعَوَّذُ باللَّهِ مِنْهُ». أَخْرَجَهُ ابنُ مَرْدُوَيْهِ وَالدَّيْلَمِيُّ). [فتح البيان: ١٥/٤٥٨]

حديث أبي هريرة

قالَ مُحمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ جريرٍ عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الفَلَقُ جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ». وَهذهِ الأحاديثُ لَوْ كانتْ صَحِيحَةً ثابتَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكانَ المصيرُ إليها وَاجِبًا، وَالقولُ بها مُتَعَيِّنًا). [فتح القدير: ٥/٧٦٠]

قالَ مُحمَّد صِدِّيق حسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «﴿الْفَلَقِ﴾ جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ». أَخْرَجَهُ ابنُ جريرٍ.

وهذهِ الأحاديثُ لَوْ كانتْ صَحِيحَةً ثابتَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكانَ المصيرُ إليها وَاجِبًا، وَالقولُ بها مُتَعَيِّنًا). [فتح البيان: ١٥/٤٥٨]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الفَلَقُ جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ مُغَطًّى»). [الدر المنثور: ١٥/٧٩٦]

آثار عن ابن عباس

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الفَلَقُ سِجْنٌ في جَهَنَّمَ). [الدر المنثور: ١٥/٧٩٧]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الفَلَقُ الصُّبْحُ). [الدر المنثور: ١٥/٧٩٨]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ الطَّسْتِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ الأَزْرَقِ قَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ١﴾. قَالَ: أَعُوذُ برب الصُّبْحِ إِذَا انْفَلَقَ عَنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ. قَالَ: وَهَلْ تَعْرِفُ العَرَبُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَمَا سَمِعْتَ زُهَيْرَ بْنَ أَبِي سُلْمَى وهو يَقُولُ:

الفَـــارِجُ الهَـــمَّ مَـــسْدُولاً عَـــسَاكِرُهُ كَمَـا يُفَـرِّجُ غَـمَّ الظُّلْمَـةِ الفَلَـقُ). [الدر المنثور: ١٥/٧٩٨]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبي حَاتِمٍ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الفَلَقُ الخَلْقُ). [الدر المنثور: ١٥/٧٩٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ جريرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الفَلَقُ سِجْنٌ في جَهَنَّمَ.
وَأَخْرَجَ ابْنُ جريرٍ وَابنُ أبي حاتمٍ وَابنُ مَرْدُويَه عَنْ جابرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: الفَلَقُ الصبحُ.
وَأَخْرَجَ ابْنُ جريرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلَهُ، وَأَخْرَجَ ابْنُ جريرٍ وَابنُ المنذرِ وَابنُ أَبي حاتمٍ عنهُ قَالَ: الفَلَقُ الخَلْقُ). [فتح القدير: ٥/٧٦٠]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وفي روايةٍ عن ابنِ عبَّاسٍ أيضًا وجماعةٍ مِن الصحابةِ والتابعينَ: إنَّ الفَلَقَ جُبٌّ في جَهَنَّم). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٠]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وعن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ سِجْنٌ في جَهَنَّمَ). [فتح البيان: ١٥/٤٥٨]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وَعن ابْنِ عَبَّاسٍ أيضًا: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ الخَلْق). [فتح البيان: ١٥/٤٥٨]

أثر جابر بن عبد الله

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (حَدَّثَنَا أبو كُرَيْبٍ، قالَ: ثَنَا وَكيعٌ، عن الحسَنِ بنِ صالِحٍ، عن عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ عُقَيْلٍ، عن جَابرٍ، قالَ: الفَلَقُ: الصبْحُ.
- حَدَّثَنَا ابنُ بَشَّارٍ، قالَ: ثَنَا أبو أحمدَ، قالَ: ثَنَا الحسَنُ بنُ صالِحٍ، عن عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ عُقَيْلٍ، عن جَابرِ بنِ عبدِ اللهِ، مِثْلَه). [جامع البيان: ٢٤/٧٤٣]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وَعنْ جابرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ الصبحُ). [فتح البيان: ١٥/٤٥٨]

الحكمة من تخصيص الاستعاذة برب الفلق

- راجع ما ذكره الرازي في مسألة المراد بالفلق.

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾ ما يُفْلَقُ عنه، أي: يُفْرَقُ كالفَرْقِ، فَعَلٌ بمعنى مفعولٍ، وهو يَعُمُّ جميعَ المُمْكِناتِ، فإنه تعالى فَلَقَ ظُلْمَةَ العَدَمِ بنورِ الإيجادِ عنها سيما ما يَخْرُجُ من أَصْلٍ كالعيونِ والأمطارِ والنباتِ والأولادِ ويَختَصُّ عُرْفًا بالصبحِ، ولذلك فُسِّرَ به، وتخصيصُه لِمَا فيه من تَغيُّرِ الحالِ وتَبَدُّلِ وَحْشَةِ الليلِ بسرورِ النورِ، ومحاكاةِ فاتحةِ يومِ القِيامةِ، والإشعارِ بأنَّ مَن قَدَرَ أن يُزيلَ به ظُلْمَةَ الليلِ عن هذا العالَمِ قَدَرَ أن يُزيلَ عن العائذِ به ما يَخافُه). [أنوار التنزيل: ٢/١١٧٩- ١١٨٠]

قال أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت:٧٢٨هـ): (وَسورةُ الفلقِ فيها الاستعاذَةُ من شرِّ المخلوقاتِ عُمومًا وَخصوصًا، وَلِهذَا قِيلَ فِيها برب الفلَقِ، وَقِيلَ فِي هَذِه برب النَّاسِ؛ فإنَّ فَالقَ الإصباحِ بالنورِ يُزيلُ بما فِي نورِه منَ الخيرِ مَا فِي الظُّلْمَةِ مِن الشَّرِّ، وَفالِقُ الحَب وَالنَّوى بَعدَ انعِقَادِهِمَا يُزيلُ مَا فِي عُقَدِ النَّفَّاثَاتِ؛ فإنَّ فَلْقَ الحَب وَالنَّوى أَعْظَمُ مِنْ حَلِّ عُقَدِ النَّفَّاثَاتِ، وَكَذَلِكَ الحَسَدُ هُو مِن ضِيقِ الإِنسانِ وَشُحِّهِ لا يَنشَرِحُ صَدْرُهُ لإِنعَامِ اللهِ عَلَيهِ؛ فَربُّ الفَلَقِ يُزيلُ مَا يَحْصُلُ بضِيقِ الحَاسِدِ وَشُحِّهِ، وَهو سُبْحَانَهُ لا يَفْلِقُ شَيئًا إلا بخيرٍ؛ فَهُوَ فَالِقُ الإصباحِ بالنُّورِ الهَادِي وَالسِّرَاجِ الوَهَّاجِ الَّذِي بِهِ صَلاحُ العِبَادِ، وَفَالِقُ الحَب وَالنَّوى بأَنْوَاعِ الفَوَاكِهِ وَالأَقْوَاتِ الَّتِى هِيَ رِزْقُ النَّاسِ وَدَوابهِمْ، وَالإِنسَانُ مُحْتَاجٌ إِلَى جَلْبِ المنفَعَةِ مِنَ الهُدَى وَالرِّزْقِ، وَهَذا حَاصِلٌ بالفَلْقِ، وَالرَّبُّ الَّذِي فَلَقَ للنَّاسِ مَا تَحْصُلُ بِهِ مَنَافِعُهُم يُسْتَعَاذُ بِهِ مِمَّا يَضُرُّ النَّاسَ فَيُطلَبُ مِنْهُ تَمَامُ نِعْمَتِهِ بِصَرْفِ المؤذِيَاتِ عَن عَبْدِهِ الَّذِي ابتَدَأَ بِإِنْعَامِهِ عَليهِ، وَفَلْقُ الشَّيءِ عَنِ الشَّيءِ هُوَ دَلِيلٌ عَلَى تَمَامِ القُدْرَةِ، وَإِخْرَاجِ الشَّيءِ مِن ضِدِّهِ كَمَا يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ الميِّتِ وَالميِّتَ مِنَ الحَيِّ، وَهَذَا مِن نَوعِ الفَلْقِ؛ فَهُوَ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَى دَفْعِ الضِّدِّ المؤذِي بالضِدِّ النَّافِعِ). [مجموع الفتاوى:]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (وفي الفَلَقِ وُجوهٌ:

فالأكثرونَ على أنَّه الصُّبْحُ، مِن قولِه: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، وخُصَّ ههنا بالذِّكْرِ؛ لأنَّه نَمُوذَجٌ مِن صُبْحِ يومِ القيامةِ، ولأنَّه وَقْتُ الصلاةِ والجماعةِ والاستغفارِ؛ ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨)﴾ [الإسراء: ٧٨].

وفيهِ إشارةٌ إلى أنَّ القادرَ على إزالةِ الظُّلْمةِ عن وَجهِ الأرضِ قادرٌ على دَفْعِ ظُلْمةِ الشُّرورِ والآفاتِ عن العَبْدِ بصلاحِ النجاحِ). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٦]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (﴿أَعُوذُ﴾ أي: أَسْتَجِيرُ وَالتجِئُ وَأَعْتَصِمُ وَأَحْتَرِزُ.

وَلَمَّا كَانَ هذا المعنَى اليَقَ شَيْءٍ بصِفَةِ الرُّبُوبيَّةِ؛ لأنَّ الإعاذةَ مِنَ المَضارِّ أَعْظَمُ تَرْبيَةً قَالَ: ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ أي: الذي يُرَبيهِ وَيُنْشِئُ منهُ ما يُريدُ، وَهوَ الشيءُ المفلوقُ بإيجادِهِ ظُلْمَةَ العدمِ كَالعيونِ التي فُلِقَتْ بها ظلمةُ الأرضِ وَالجبالِ، وَكالأمطارِ التي فُلِقَتْ بهَا ظُلْمَةُ الجوِّ وَالسحاب، وَكالنباتِ الذي فُلِقَتْ بِهِ ظلمةُ الصَّعِيدِ، وَكالأولادِ التي فُلِقَتْ بها ظلمةُ الأَحْشَاءِ، وَكالصبحِ الذي فُلِقَتْ بِهِ ظلمةُ الليلِ، وَما كَانَ مِنَ الوحشةِ إلى ما حَصَلَ مِنْ ذلكَ مِنَ الطُّمَأْنِينَةِ وَالسكونِ وَالأنسِ وَالسرورِ إلى غيرِ ذلكَ مِنْ سائِرِ المخلوقاتِ.

قَالَ المَلَّويُّ: وَالفَلْقُ – بالسُكُونِ وَالحركةِ ، كلُّ شَيْءٍ انْشَقَّ عنهُ ظلمةُ العدمِ وَأُوجِدَ مِنَ الكائناتِ جَمِيعِهَا – انْتَهى.

وَخُصَّ في العُرْفِ بالصبحِ، فَقِيلَ: فَلَقُ الصُّبحِ، وَمنهُ قولُهُ تعالَى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]. لأَنَّهُ ظَاهِرٌ في تَغَيُّرِ الحالِ وَمُحَاكَاةِ يومِ القيامةِ، الذي هوَ أعظمُ فَلَقٍ يَشُقُّ ظُلْمَةَ الفَنَاءِ وَالهلاكِ بالبعثِ وَالإحياءِ، فإِنَّ القادِرَ على ما قَبْلَهُ بمَا نُشَاهِدُهُ قَادِرٌ عَلَيْهِ؛ لأَنَّهُ لا فَرْقَ، بل البعثُ أَهْوَنُ في عوائِدِ الناسِ؛ لأَنَّهُ إِعادةٌ، كَذَا سَائِرُ المُمْكِنَاتِ، وَمَنْ قَدَرَ على ذلكَ قَدَرَ على إِعاذَةِ المُسْتَعِيذِ مِنْ كلِّ ما يَخَافُهُ وَيَخْشَاهُ). [نظم الدرر: ٨/٦٠٤]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (وَأَمَّا الإشعارُ بأَنَّ مَنْ قَدَرَ أَنْ يُزِيلَ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ مِنْ هَذَا العَالِمِ قَدرَ أَنْ يُزِيلَ عَن العائِذِ مَا يَخَافُهُ كَمَا قِيلَ فَلا ؛ إِذْ لا رَيْبَ للعائِذِ فِي قُدْرَتِهِ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَحْتَاجَ إِلَى التَّنْبِيهِ عَلَيْهَا). [إرشاد العقل السليم: ٢١٤/٧] (م)

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَقدْ قِيلَ في وَجْهِ تخصيصِ الفلقِ: الإيماءُ إلى أنَّ القادرَ على إزالةِ هذهِ الظلماتِ الشديدةِ عَنْ كلِّ هذا العالمِ يَقْدِرُ أَيْضًا أنْ يَدْفَعَ عَنِ العائذِ كُلَّ ما يَخافُهُ وَيَخْشَاهُ. وَقيلَ: طلوعُ الصبحِ كالمثالِ لمجيءِ الفرحِ، فَكَمَا أنَّ الإنسانَ في الليلِ يَكُونُ مُنْتَظِرًا لِطُلُوعِ الصباحِ، كذلكَ الخائفُ يَكُونُ مُتَرَقِّبًا لطلوعِ صباحِ النجاحِ. وَقيلَ غيرُ هذا مِمَّا هوَ مُجَرَّدُ بيانِ مُنَاسَبَةٍ ليسَ فيها كَثِيرُ فَائِدَةٍ تَتَعَلَّقُ بالتفسيرِ). [فتح القدير: ٧٥٨/٥]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (تعليقُ العِياذِ باسمِ الربِ المضافِ إلى الفلَقِ المُنْبئِ عن النورِ عَقيبَ الظُّلمةِ والسَّعَةِ بعدَ الضيقِ والفَتْقِ بعدَ الرَّتْقِ عِدَةٌ كَرِيمةٌ بإعاذةِ العائذِ مِمَّا يَعُوذُ منه وإنجائِه منه وتَقوِيَةٌ لرَجائِه بتذكيرِ بعضِ نَظائرِه ومَزيدُ تَرغيبٍ له في الجِدِّ والاعتناءِ بقَرْعِ باب الالتجاءِ إليه عزَّ وجَلَّ، وقيلَ: إنَّ في تخصيصِ الفَلَقِ بالذكْرِ؛ لأنه نَمُوذَجٌ مِن يومِ القِيامةِ فالدُّورُ كالقبورِ والنومُ أخو الموتِ والخارجون مِن مَنازِلهم صَباحًا منهم مَن يَذهبُ لنَضرةٍ وسرورٍ ومِنهم مَن يكونُ مِن مُطالبةِ دُيونٍ في غُمومٍ وشُرورٍ إلى أحوالٍ أُخرَ تَكونُ للعِبادِ هي أَشْبَهَ شيءٍ بما يكونُ لهم في المَعادِ). [روح المعاني: ٢٧٩/٢٩- ٢٨٠]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وَقدْ قِيلَ في وَجْهِ تخصيصِ الفلقِ: الإيماءُ إلى أنَّ القادرَ على إزالةِ هذهِ الظلماتِ الشديدةِ عَنْ كلِّ هذا العالمِ يَقْدِرُ أيضًا أنْ يَدْفَعَ عَنِ العائذِ كلَّ ما يَخافُهُ وَيَخْشَاهُ. وَقِيلَ: طُلُوعُ الصبحِ كالمثالِ لِمَجِيءِ الفَرَجِ، فَكَمَا أنَّ الإنسانَ في الليلِ يَكُونُ مُنْتَظِرًا لطلوعِ الصباحِ، كذلكَ الخائفُ يكونُ مُتَرَقِّبًا لطلوعِ صباحِ النَّجَاحِ.
[فتح البيان: ٤٥٧/١٥]

وقيلَ غيرُ هذا مِمَّا هوَ مُجَرَّدُ بيانِ مناسبةٍ لَيْسَ فيها كثيرُ فَائِدَةٍ تَتَعَلَّقُ بالتفسيرِ). [فتح البيان: ٤٥٨/١٥]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (وإِنَّمَا خَصَّهُ اللهُ بالذِّكْرِ هاهُنا، لأَنَّهُ القَادِرُ على مِثْلِ هَذَا التَّعْذِيبِ وقَدْ ثَبتَ أَنَّ رَحْمَتَهُ تَعَالَى أَعْظَمُ مِنْ عَذَابِهِ فكَأَنَّهُ يَقُولُ: يَا صَاحِبَ العَذَابِ الشَّدِيدِ أَعُوذُ برَحْمَتِكَ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ وأَقْدَمُ مِنْ عَذَابِكَ.

وقَالَ الرَّازِيُّ: وأَقْرَبُ التَّأْوِيلاتِ أَنَّ الفَلَقَ هُوَ كُلُّ مَا يَفْلِقُهُ اللهُ تَعَالَى كالأَرْضِ عَنِ النَّبَاتِ والجِبالِ عَنِ العُيُونِ، والسَّحَابِ عَنِ الأَمْطَارِ، والأَرْحَامِ عَنِ الأَوْلادِ، والبَيْضِ عَنِ الفَرْخِ، والقُلُوبِ عَنِ المَعَارِفِ، فكَأَنَّ اللهَ تَعَالَى هوَ الذِي فَلَقَ بحَارَ ظُلُمَاتِ العَدَمِ بأَنْوَارِ الإِيجادِ وكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: قُلْ أَعُوذُ برَب جَمِيعِ المُمْكِنَاتِ وبمُكَوِّنِ المُحْدَثَاتِ، فَيَكُونُ التَّعْظِيمُ فِيهِ أَعْظَمَ ويَكُونُ الصُّبْحُ وجُبُّ النَّارِ أَحَدَ الأُمُورِ الدَّاخِلَةِ فِي هَذَا المَعْنَى). [مراح لبيد: ٦٨١/٢- ٦٨٢]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وتَخصيصُ وصْفِ اللهِ بأنه ربُّ الفَلَقِ دونَ وصْفٍ آخَرَ؛ لأنَّ شَرًّا

كثيرًا يَحدُثُ في الليلِ ؛ مِن لُصوصٍ، وسِباعٍ، وذَواتِ سُمومٍ، وتَعَذُّرِ السيْرِ، وعُسْرِ النَّجْدَةِ، وبُعْدِ الاستغاثةِ، واشتدادِ آلامِ المَرْضَى، حتى ظَنَّ بعْضُ أهْلِ الضلالةِ الليلَ إِلَهَ الشرِّ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٦]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ سُلَيْمَانَ الأَشْقَرُ (ت:١٤٣٠هـ): (قِيلَ: وَالمُرَادُ الإيماءُ إِلَى أَنَّ القادرَ عَلَى إزالةِ هَذِهِ الظُّلُماتِ الشَّدِيدَةِ عَنْ كُلِّ هَذَا العَالَمِ يَقْدِرُ أَيْضًا أَنْ يَدْفَعَ عَنِ العائِذِ بِهِ كُلَّ ما يَخَافُهُ وَيَخْشَاهُ). [زبدة التفسير: ٦٠٤]

الحكمة من اقتران الاستعاذة بلفظ الربوبية

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (المسألةُ الثالثةُ: أَنَّه تعالى قالَ في مِفْتاحِ القِراءَةِ: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ وقالَ ههنا: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وفي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧﴾ [المؤمنون: ٩٧] وَجاءَ في الأحاديثِ: أَعُوذُ بكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ، وَلا شَكَّ أَنَّ أَفْضَلَ أَسْماءِ اللَّهِ هو اللَّهُ، وأَمَّا الرَّبُّ فإنَّه قَدْ يُطْلَقُ على غَيْرِه، قالَ تعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ [يوسف: ٣٩] فَمَا السَّبَبُ في أَنَّه تعالى عِندَ الأَمْرِ بالتَّعَوُّذِ لَمْ يَقُلْ: أَعُوذُ باللَّهِ، بَلْ قالَ: ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾؟ وأَجَابُوا عنه مِن وُجُوهٍ:

أحدُها: أَنَّه في قولِه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨]؟ إِنَّمَا أَمَرَهُ بالاسْتِعاذَةِ هناك لأَجْلِ قِراءَةِ القُرْآنِ، وإِنَّما أَمَرَه بالاسْتعاذَةِ ههنا في هذه السورةِ لأَجْلِ حِفْظِ النَّفْسِ والبَدَنِ عن السِّحْرِ، والمُهِمُّ الأَوَّلُ أَعْظَمُ، فَلا جَرَمَ ذَكَرَ هناك الاسْمَ الأَعْظَمَ.

وثانيها: أَنَّ الشيطانَ يُبالِغُ حَالَ مَنْعِكَ مِن العِبادَةِ أَشَدَّ مُبَالَغَةٍ من إِيصالِ الضُّرِّ إِلى بَدَنِكَ ورُوحِكَ، فَلا جَرَمَ ذَكَرَ الاسْمَ الأَعْظَمَ هناك دُونَ ههنا.

وثالثُها: أَنَّ اسْمَ الرَّبِّ يُشِيرُ إِلى التَّرْبِيَةِ فكأَنَّه جَعَلَ تَرْبِيَةَ اللَّهِ لَهُ فيما تَقَدَّمَ وسيلَةً إلى تَرْبِيَتِه لَهُ في الزَّمَانِ الآتِي، أو كَأَنَّ العَبْدَ يَقُولُ: التَّرْبِيَةُ والإِحْسَانُ حِرْفَتُكَ فَلا تُهْمِلْنِي، ولا تُخَيِّبْ رَجَائِي.

ورابعُها: أَنَّ بالتَّرْبِيَةِ صَارَ شَارِعًا في الإحسانِ، والشُّرُوعُ مُلْزِمٌ.

وخَامِسُهَا: أَنَّ هذه السورةَ آخِرُ سُوَرِ القُرْآنِ فذَكَرَ لَفْظَ الرب تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّه سبحانَه لا تَنْقَطِعُ عنك تَرْبِيَتُه وإِحْسانُه.

فإِنْ قِيلَ: إِنَّه خَتَمَ القُرْآنَ على اسْمِ الإِلَهِ حَيْثُ قَالَ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾.

قُلْنَا: فيه لَطِيفَةٌ وهي كونُه تعالَى قَالَ: قُلْ أَعُوذُ بمَنْ هو رَبِي ولكنَّه إِلَهٌ قَاهِرٌ لوَسْوَسَةِ الخَنَّاسِ فهو كالأَبِ المُشْفِقِ الذي يَقُولُ: ارْجِعْ عندَ مُهِمَّاتِكَ إلى أبيك المُشْفِقِ عليك الذي هو كالسَّيْفِ القَاطِعِ والنارِ المُحْرِقَةِ لأَعْدَائِكَ، فيكونُ هذا مِن أعظمِ أنواعِ الوَعْدِ بالإحسانِ والتَّرْبِيَةِ.

وسادِسُها: كأَنَّ الحَقَّ قَالَ لِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ: قَلْبُكَ لِي فَلا تُدْخِلْ فِيهِ حُبَّ غَيْرِي، ولَسَانُكَ لِي فَلا تَذْكُرْ به أَحَدًا غَيْرِي، وبَدَنُك لِي فَلا تَشْغَلْه بخِدْمَةِ غَيْرِي، وإِنْ أَرَدْتَ شَيْئًا فَلا تَطْلُبْه إِلاَّ مِنِّي، فإِنْ أَرَدْتَ العِلْمَ فَقُلْ:

﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤] وإنْ أَرَدْتَ الدُّنيا فاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِه وإنْ خِفْتَ ضَرَرًا فقلْ: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ فإنِّي أَنَا الذي وصفْتُ نَفْسِي بأَنِّي فَالِقُ الإصْبَاحِ، وبأَنِّي فَالِقُ الحَب والنَّوَى، وما فَعْلَتُ هذه الأشياءَ إلاَّ لأَجْلِكَ، فإذا كُنْتُ أَفْعَلُ كلَّ هذه الأمورِ لأجْلِكَ، أَفلا أَصُونُكَ عن الآفاتِ والمَخَافَاتِ؟). [التفسير الكبير: ٣٢/١٧٥]

- **قلت**: (ما ذكره الرازي هنا فيه تمحلات وتكلفات لا تخفى، وفي بعضه صواب يحتاج إلى تجويد عبارة، وأما تشبيهه للرب سبحانه بالأب المشفق فتشبيه شنيع غير موفق).

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (ولفظُ الرب هنا أَوْقَعُ من سائرِ أسمائِه تعالى؛ لأنَّ الإعاذةَ من المَضَارِّ تربيةٌ). [أنوار التنزيل: ٢/١١٨٠]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (سؤالٌ: كيفَ قالَ في افتتاحِ القراءَةِ: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨]. وقالَ ههنا: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ﴾. دونَ أنْ يقولَ: باللَّهِ؟

وأُجيبَ بأَنَّ المُهِمَّ الأوَّلَ أَعْظَمُ من حِفْظِ النفسِ والبدَنِ عن السِّحْرِ والوَسوسةِ، فلا جَرَمَ ذكَرَ هناك الاسْمَ الأعظمَ، وأيضًا الشيطانُ يُبالِغُ في منعِ الطاعةِ أَكْثَرَ مِمَّا يُبالِغُ في إيصالِ الضررِ إلى النفسِ.

وأيضًا كأنَّ العبدَ يَجْعَلُ تَرْبِيَتَه السابقةَ وَسيلةً في التربيةِ اللاحقةِ). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٦]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (﴿أَعُوذُ﴾ أيْ: أَسْتَجِيرُ وَالتَجِئُ وَأَعْتَصِمُ وَأَحْتَرِزُ.

وَلَمَّا كَانَ هذا المعنَى الِيَقَ شَيْءٍ بصِفَةِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ لأنَّ الإعاذةَ مِنَ المَضَارِّ أعْظَمُ تَرْبِيَةٍ قَالَ: ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ أي: الذي يُرَبِيهِ وَيُنْشِئُ منهُ ما يُرِيدُ). [نظم الدرر: ٨/٦٠٤]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الإيجِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت: ٩٠٥ هـ): (وذَكَرَ الربَّ؛ لأنَّ الإعاذةَ مِنَ المَضَارِّ تَرْبِيَةٌ). [جامع البيان: ٤/٥٤٦]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (ولفظُ الرَّب هنا أَوْقَعُ مِنْ سَائِرِ أَسْمَائِهِ تَعَالَى؛ لأنَّ الإعاذةَ منَ المضارِّ تربيةٌ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٣] [هكذا العبارة في المطبوع، والصواب: المضار]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (وَفِي تَعْلِيقِ العِيَاذِ باسْمِ الرَّب المُضَافِ إِلَى الفَلَقِ المُنْبِئِ عَنِ النُّورِ عُقَيْبَ الظُّلْمَةِ، وَالسَّعَةِ بَعْدَ الضِّيقِ، والفَتْقِ بَعْدَ الرَّتْقِ؛ عِدَةٌ كريمةٌ بإعاذةِ العَائِذِ مِمَّا يَعُوذُ مِنْهُ وَإِنْجائِهِ مِنْهُ، وَتَقْوِيَةٌ لرجائِهِ بتَذْكِيرِ بَعْضِ نظائرِهِ، وَمَزِيدُ تَرْغِيبٍ لَهُ فِي الجِدِّ والاعتناءِ بقَرْعِ بَابِ الالتجاءِ إِلَيْهِ تَعَالَى.

وَأَمَّا الإشعارُ بأَنَّ مَنْ قَدَرَ أَنْ يُزِيلَ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ مِنْ هَذَا العَالَمِ قَدَرَ أَنْ يُزِيلَ عَنِ العائِذِ مَا يَخَافُهُ كَمَا قِيلَ فَلا؛ إِذْ لا رَيْبَ للعائِذِ فِي قُدْرَتِهِ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَحْتَاجَ إِلَى التَّنْبِيهِ عَلَيْهَا). [إرشاد العقل السليم: ٧/٢١٤]

قالَ أَبُو الثَّنَاءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (تعليقُ العِياذِ باسمِ الرب المضافِ إلى الفلَقِ المُنْبئِ عن النورِ عَقيبَ الظُّلمةِ والسَّعَةِ بعدَ الضيقِ والفَتْقِ بعدَ الرَّتْقِ عِدَةٌ كَرِيمةٌ بإعاذةِ العائذِ مِمَّا يَعُوذُ منه وإنجائِه منه

وتَقويَةٌ لرَجائِه بتذكيرِ بعضِ نَظائرِه ومَزيدُ تَرغيبٍ له في الجِدِّ والاعتناءِ بقَرْعِ باب الالتجاءِ إليه عزَّ وجَلَّ). [روح المعاني: ٢٩/ ٢٧٩- ٢٨٠]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (في تَعليقِ العِياذِ بالرب مُضافًا إليه عِدَةٌ كريمةٌ بإعاذتِه صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ مِن شَرِّهِم، ولا يَخْفَى أنَّ هذا مِمَّا لا يُثْلِجُ الصدرَ وأَظُنُّ ضَعفَ الأخبارِ السالفةِ ويَترجَّحُ في نَظَرِي المعنى الأوَّلُ للفَلَقِ). [روح المعاني: ٢٩/ ٢٨٠]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وفي تفسيرِ القاضي أنَّ لفظَ الرب ههنا أَوْقَعُ مِن سائرِ الأسماءِ، أي: التي يَجوزُ إضافتُها إلى الفَلَقِ على ما قيلَ؛ لأنَّ الإعاذةَ مِن المَضارِّ تَربيةٌ، وهو على تعميمِ الفَلَقِ ظاهرٌ لشُمولِه للمستعيذِ والمستعاذِ منه وعلى تخصيصِه بالصبحِ، قيلَ: لأنه مُشْعِرٌ بأنه سُبحانَه قادرٌ مُغَيِّرٌ للأحوالِ، مُقَلِّبٌ للأطوارِ فيُزيلُ الهمومَ والأكدارَ، وقالَ الرئيسُ ابنُ سينا بعدَ أن حَمَلَ الفلَقَ على ظُلمةِ العَدَمِ المَفلوقةِ بنورِ الوُجودِ: إنَّ في ذِكْرِ الرب سِرًّا لطيفًا مِن حقائقِ العِلمِ، وذلك أنَّ المربوبَ لا يَستغنِي في شيءٍ مِن حالاتِه عن الرب، كما يُشاهَدُ في الطفلِ ما دامَ مَربوبًا، ولَمَّا كانتِ الماهِيَّاتُ المُمْكِنَةُ غيرَ مُستغنِيَةٍ عن إفاضةِ المبدأِ الأوَّلِ لا جَرَمَ ذَكَرَ لفظَ الرب للإشارةِ إلى ذلك، وفيه إشارةٌ أُخرى مِن خَفِيَّاتِ العلومِ، وهو أنَّ العوذَ والعِياذَ في اللغةِ عِبارةٌ عن الالتجاءِ إلى الغيرِ، فلَمَّا أَمَرَ بمجَرَّدِ الالتجاءِ إلى الغيرِ وعَبَّرَ عنه بالرب دَلَّ ذلك على أنَّ عَدَمَ الحصولِ ليس لأمرٍ يَرجعُ إلى المستعاذِ به المفيضِ للخيراتِ، بل لأمرٍ يَرجِعُ إلى قابلِها فإنَّ مِن المُقَرَّرِ أنه ليس شيءٌ مِن الكمالاتِ وغيرِها مَبخولاً به مِن جانب المبدأِ الأوَّلِ سبحانَه، بل الكلُّ حاصلٌ مَوقوفٌ على أن يَصْرِفَ المستعيذُ جِهةَ قَبولِه إليه وهو المعنيُّ بالإشارةِ النبويَّةِ: «إِنَّ لِرَبِكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ أَلا فَتَعَرَّضُوا لَهَا» بَيَّنَ أنَّ نَفحاتِ الألطافِ دائمةٌ، وإنما الخللُ مِن المستعيذِ. انتهى). [روح المعاني: ٢٩/ ٢٨٠]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (والفلَقُ: الصُّبْحُ، وهو فَعَلٌ بمعنى مَفعولٍ مِثْلُ الصَّمَدِ؛ لأنَّ الليلَ شُبِّهَ بشيءٍ مغلَقٍ يَنفلِقُ عن الصُّبْحِ، وحقيقةُ الفَلَقِ: الانشقاقُ عن باطِنِ شيءٍ، واستُعِيرَ لظُهورِ الصُّبْحِ بعدَ ظُلمةِ الليلِ، وهذا مِثْلُ استعارةِ الإخراجِ لظُهورِ النُّورِ بعْدَ الظلامِ في قولِه تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾﴾، واستعارةِ السَّلْخِ له في قولِه تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧]). [التحرير والتنوير: ٣٠/ ٦٢٦ (م)]

تفسير قول الله تعالى: (مِن شَرِّ ما خلق (٢))

القراءات

القراءات في قوله تعالى: {من شر ما}

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالَوَيْهِ (ت: ٣٧٠هـ):((مِنْ شَرٍّ مَا) عَمْرُو بْنُ فَايِدٍ). [مختصر شواذ القراءات:١٨٣]

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾، ﴿مَا﴾ بِمَعْنَى الَّذِي، وَالضَّمِيرُ مَحْذُوفٌ مِنَ الصِّلَةِ، وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَكَذَلِكَ إِنْ جَعَلْتَ مَا وَالفِعْلَ مَصْدَرًا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ، إِلاَّ أَنَّهُ لا ضَمِيرَ مَحْذُوفٌ مِنَ الكَلامِ.
وَمَنْ قَرَأَهُ: (مِنْ شَرٍّ) بالتَّنْوِينِ فَقَدْ أَلحَدَ وَغَيَّرَ اللَّفْظَ وَالمَعْنَى؛ لأَنَّهُ يَجْعَلُ (مَا) نَفْيًا وَيُقَدِّمُ (مِنْ)، وَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ عِنْدَهُ بِخَلَقَ، فَيُقَدِّمُ مَا بَعْدَ النَّفْيِ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ لا يَجُوزُ عِنْدَ جَمِيعِ النَّحْوِيِّينَ؛ لأَنَّ تَقْدِيرَهُ عِنْدَهُ: مَا خَلَقَ مِنْ شَرٍّ، فَيَخْرُجُ الكَلامُ عَنْ حَدِّهِ وَيَصِيرُ إِلَى النَّفْيِ، فَبَعْدَ مَا هُوَ دُعَاءٌ وَتَعَوُّذٌ يَصِيرُ خَبَرًا نَفْيًا مُعْتَرِضًا بَيْنَ تَعَوُّذَيْنِ، وَذَلِكَ إِلحَادٌ ظَاهِرٌ وَخَطَأٌ بَيِّنٌ). [مشكل إعراب القرآن: ٢/ ٣٩١]

قَالَ قِوَامُ السُّنَّةِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَصْبَهَانِيُّ (ت: ٥٣٥هـ) (فيما نُسِبَ إليه): (وقَرَأَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ (مِنْ شَرٍّ مَا خَلَقَ) بالتَّنْوِينِ؛ لأَنَّهُ كَانَ... أَنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقِ الشَّرَّ مِنْ وَجْهَيْنِ:
أَحَدُهُما: أَنَّه كَانَ يُبْطِلُ معْنَى الاسْتِعاذَةِ.
والثاني: أَنَّهُ يُعْمِلُ ما بَعْدَ النَّفْيِ فيما قَبْلَهُ، وهذا لا يَجُوزُ). [إعراب القرآن: ٥٦٥]

قَالَ عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ الأَصْبَهَانِيُّ البَاقُولِيُّ (ت: ٥٤٣هـ): (قولُه تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾:
رُوِيَ عن أبي حَنِيفَةَ أنَّه نَوَّنَ قولَه: ﴿مِن شَرِّ﴾ فقال قائِلونَ: إنَّه جعَلَ ﴿مَا﴾ من قولِه: ﴿مَا خَلَقَ ۝٢﴾ نَفْيًا، والتقديرُ: ما خَلَقَ من شَرٍّ، فقَدَّمَ. وخَفِيَ عليهم أنَّ ما بعدَ حرفِ النفيِ لا يَعْمَلُ فيما قبلَه.
وإنَّما (ما) على قِراءَتِه معَ الفعلِ بتأويلِ المصدرِ في موضعِ الجرِّ بَدَلٌ من ﴿شَرِّ﴾، والتقديرُ: قُلْ أَعُوذُ برَبِّ الفَلَقِ مِن شَرٍّ مَا خَلَقَ أي: مِن خَلْقِه، أي مِن خَلْقِ شَرٍّ، فهو من باب بَدَلِ الاشتمالِ، وليسَ بحرفِ النفيِ). [كشف المشكلات: ٢/١٤٩٥]

قَالَ عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (وقرَأَ عمرُو بنُ عُبَيْدٍ وبعضُ المُعْتَزِلَةِ القائلِين بأنَّ اللَّهَ تعالى لم يَخْلُقِ الشرَّ: (مِنْ شَرٍّ) بالتنوينِ (مَا خَلَقَ) على النفيِ، وهذه قِراءةٌ مَرْدُودَةٌ، مَبْنِيَّةٌ على مذهبٍ باطلٍ، فاللَّهُ تعالى خالِقُ كلِّ شيءٍ). [المحرر الوجيز: ١٥/٦٠٨]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي نَصْرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٧٠ هـ): (وعَنْ عَمْرِو بْنِ فَايِدٍ وأَبِي حَنِيفَةَ: (مِنْ شَرٍّ مَا خَلَقَ) مُنَوَّنًا، يُوهِمُ النَّفْيَ). [شواذ القراءات:٥٢٧]

قَالَ أَبُو البَرَكَاتِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَنْبَارِيُّ (ت: ٥٧٧هـ): (وَقُرِئَ: (مِنْ شَرٍّ مَا خَلَقَ)، بتَنْوِينِ (شَرٍّ)، وَهَذِهِ القِرَاءَةُ تُرْوَى عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ.

وَ(مَا) فِيهَا أَيْضًا مَصْدَرِيَّةٌ، كالقراءةِ المشهورةِ، وَيَكُونُ (مَا) فِي مَوْضِعِ البَدَلِ مِنْ (شَرٍّ)؛ أَيْ: مِنْ خَلْقِهِ.

وَتَوَهَّمَ قَوْمٌ أَنَّ (مَا) نَافِيَةٌ عَلَى تَقْدِيرِ: مَا خَلَقَ مِنْ شَرٍّ، وَهَذَا وَهْمٌ ظَاهِرُ الفَسَادِ؛ لأَنَّ مَا بَعْدَ النَّفْيِ لا يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِمَا قَبْلَهُ. وَاللهُ أَعْلَمُ). [البيان: ٥٤٨]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (وقُرِئَ: (مِنْ شَرٍّ) بالتنوينِ، و(ما) على هذا بدَلٌ مِن (شَرٍّ) أو زائدةٌ، ولا يَجُوزُ أن تكونَ نافِيَةً؛ لأن النافيةَ لا يَتَقَدَّمُ عليها ما في حَيِّزِها، فلذلك لم يَجُزْ أن يكونَ التقديرُ: ما خَلَقَ مِن شرٍّ، ثم هو فَاسِدٌ في المَعنَى). [التبيان: ٢/ ٤٨٤]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (قولُه تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾. يُقْرَأُ (شَرٍّ) بالتنوينِ، وهي قِرَاءَةٌ ضَعِيفَةٌ جِدًّا؛ وذلك أَنَّ ﴿مَا﴾ للنَّفْيِ، وعلى هذه القراءةِ تَتَعَلَّقُ ﴿مِن﴾ بـ﴿خَلَقَ﴾. و﴿مَا﴾ في حَيِّزِ النفْيِ لا تَتَقَدَّمُ عليه، وقَدْ قيلَ: إنَّ ﴿مَا﴾ زَائِدَةٌ، وهذا يُخَرَّجُ على قَوْلِ الأَخْفَشِ: إنَّ (مِن) تُزَادُ في الواجِبِ، وهو ضَعِيفٌ في المعنى. ويُقْرَأُ (خُلِقَ) على مَسا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ). [إعراب القراءات الشواذ: ٢/ ٧٥٨]

قَالَ حُسَيْنُ بنُ أَبِي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ الجمهورُ على تَرْكِ التنوينِ، (مِنْ شَرِّ) مُضافٌ إلى (مَا).

و(ما) يَجوزُ أنْ تَكونَ موصولةً وعائدُها محذوفٌ، والمعنَى: أَسْتَجِيرُ بربِّ الفَلَقِ من شرِّ كلِّ ما خَلَقَه ما يَكونُ له ضَرَرٌ.

وأنْ تَكونَ مَصْدَرِيَّةً، أي: من شَرِّ خَلْقِه، أي: مَخْلُوقِه تَسْمِيَةً للمفعولِ بالمصدرِ (كخَلْقِ اللَّهِ وصَيْدِ الصائدِ).

وقُرِئَ: (مِنْ شَرٍّ مَا خَلَقَ) بالتنوينِ، و(ما) على هذا لا يَخْلُو من أنْ تَكونَ نافيةً أو مصدريَّةً أو صِلَةً، فلا يَجوزُ أنْ تَكونَ نافيةً على معنًى: ما خَلَقَ من شَرٍّ؛ لأمرينِ:

- أحَدُهما: أنَّ اللَّهَ تعالى خَالِقُ كلِّ شيءٍ؛ خَيْرًا كانَ أو شَرًّا، وعليه الجمهورُ من العلماءِ، وذلك حُجَّةٌ.
- والثاني: أنَّ ما كانَ في صلةِ النفيِ لا يَتقَدَّمُ عليه عندَ جميعِ النحاةِ.

إذًا ثَبَتَ أنها مَصْدَرِيَّةٌ في موضعِ بَدَلٍ مِن (شَرٍّ) مِن خَلْقِهِ، أو صِلَةٌ و(خَلَقَ) في مَوْضِعِ جَرٍّ على صِلَةٍ (لشَرٍّ)، أي: مِن شَرِّ خَلْقِه). [الفريد: ٤/ ٧٥١]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (وقرَأَ أَبُو حَنِيفَةَ رضِيَ اللهُ عَنْه: (مِنْ شَرٍّ) بالتنوينِ، و(مَا) على هذا مع الفِعلِ بتَأويلِ المَصدرِ في مَوضِعِ الجَرِّ بَدَلٌ مِن (شَرٍّ)، أَيْ: شرِّ خَلْقِه، أَيْ: مِن خَلْقٍ شَرٍّ، أو زائِدَةٌ). [مدارك التنزيل:٣/٢٠١٣]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَقَرَأَ الجمهورُ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ بإضافةِ ﴿شَرِّ﴾ إلى ﴿مَا﴾، وقرأَ عمرُو بنُ فائِدٍ: (مِنْ شَرٍّ) بالتنوينِ.

وَقالَ ابنُ عَطِيَّةَ: وَقَرَأَ عمرُو بنُ عُبَيْدٍ وبعضُ المعتزلةِ القائِلِينَ بأنَّ اللَّهَ تعالى لمْ يَخْلُق الشرَّ: (مِنْ شَرٍّ) بالتنوينِ (ما خَلَقَ) على النَّفْيِ، وَهيَ قراءةٌ مردودةٌ مَبْنِيَّةٌ على مذهبٍ باطلٍ، ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

وَلهذهِ القراءةِ وَجْهٌ غيرُ النَّفْيِ، فلا يَنْبَغِي أنْ تُرَدَّ، وَهوَ أنْ يَكُونَ ﴿مَا خَلَقَ ۝٢﴾ بَدَلاً مِنْ (شَرٍّ) على تقديرِ مَحْذُوفٍ؛ أيْ: مِنْ شَرٍّ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَحُذِفَ لدلالةِ شَرِّ الأَوَّلِ عَلَيْهِ، أَطْلَقَ أَوَّلاً ثمَّ عَمَّ ثانيًا). [البحر المحيط: ٧٦١/٨]

قَالَ السَّمِينُ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الحَلَبِيُّ (ت: ٧٥٦هـ): (وَالعامَّةُ على إضافةِ ﴿شَرِّ﴾ إلى ﴿مَا﴾. وقرَأَ عَمْرُو بنُ فَائِدٍ بتَنْوِينِهِ.

وَقالَ ابنُ عَطِيَّةَ: (عَمْرُو بنُ عُبَيْدٍ وبعضُ المعتزلةِ الَّذِينَ يَرَوْنَ أنَّ اللَّهَ لم يَخْلُقِ الشرَّ: (مِن شَرٍّ) بالتنوينِ (مَا خَلَقَ) على النَّفْيِ، وَهيَ قراءةٌ مردودةٌ مَبْنِيَّةٌ على مذهبٍ باطلٍ) انْتَهَى.

وَلا يَتَعَيَّنُ أنْ تَكُونَ (ما) نَافِيَةً، بلْ يَجُوزُ أنْ تكُونَ مَوْصُولَةً بَدَلاً مِنْ (شَرٍّ) على حَذْفِ مضافٍ، أَيْ: مِنْ شَرٍّ شَرِّ ما خَلَقَ. عَمَّمَ أَوَّلاً ثُمَّ خَصَّصَ ثانيًا.

وَقالَ أبو البقاءِ: وَ (مَا) عَلَى هَذَا بَدَلٌ مِنْ (شَرٍّ) أَوْ زائدةٌ، وَلا يَجُوزُ أنْ تكونَ نَافِيَةً؛ لأنَّ النافيةَ لا يَتَقَدَّمُ عليها ما في حَيِّزِهَا، فلذلكَ لم يَجُزْ أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ: مَا خَلَقَ مِنْ شَرٍّ، ثُمَّ هوَ فاسدُ المَعْنَى. قُلْتُ: وَهوَ رَدٌّ حَسَنٌ صِنَاعِيٌّ، وَلا يُقَالُ: إنَّ (مِنْ شَرّ) مُتَعَلِّقٌ بـ (أَعُوذُ) وَحُذِفَ مَفْعُولُ (خَلَقَ) لأنَّهُ خلافُ الأصلِ. وَقدْ أَنْحَى مَكِّيٌّ على هذا القائلِ، وَرَدَّهُ بما تَقَدَّمَ أَقْبَحَ رَدٍّ). [الدر المصون: ١٥٨/١١]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (والعامَّةُ: عَلَى إِضَافَةِ "شَرِّ" إِلَى "مَا"، وقرَأَ عَمْرُو بْنُ فَايِدٍ: "مِنْ شَرٍّ" بالتَّنْوِينِ.

وقَالَ ابنُ عَطِيَّةَ: وقرَأَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ وبعضُ المُعْتَزِلَةِ الَّذِين يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخلُقِ الشَّرَّ: "مِنْ شَرٍّ" بالتَّنْوِينِ "مَا خَلَقَ" عَلَى النَّفْيِ، وهي قِرَاءَةٌ مَرْدُودَةٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَى مَذْهَبٍ بَاطِلٍ. انْتَهَى.

ولا يَتَعَيَّنُ أَنْ تَكُونَ "مَا" نَافِيَةً، بل يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً بَدَلاً مِنْ "شَرٍّ" عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، أي: مِنْ شَرٍّ شَرِّ مَا خَلَقَ، عَمَّمَ أَوَّلاً ثُمَّ خَصَّصَ ثَانِياً.

وقَالَ أَبُو البَقَاءِ: و"مَا" عَلَى هَذَا بَدَلٌ مِنْ "شَرٍّ" أو زَائِدَةٌ، ولا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ نَافِيَةً؛ لأَنَّ النَّافِيَةَ لا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهَا مَا فِي حَيِّزِهَا، فَلِذَلِكَ لَمْ يَجُزْ أن يَكُونَ التَّقْدِيرُ: ومَا خَلَقَ مِنْ شَرٍّ، ثُمَّ هُوَ فَاسِدٌ في المَعْنَى. وهُوَ رَدٌّ حَسَنٌ صِنَاعِيٌّ، ولا يُقَالُ: إنَّ "مِنْ شَرّ" مُتَعَلِّقٌ بـ"أَعُوذُ" وقد أَنْحَى مَكِّيٌّ عَلَى هَذَا القائِلِ، وردَّهُ بمَا تَقَدَّمَ). [اللباب: ٥٧٠/٢٠]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وقرأَ عمرُو بنُ فائدٍ على ما في البحرِ: (مِن شَرٍّ) بالتنوينِ، وقالَ ابنُ عَطِيَّةَ: هي قِراءةُ عمرِو بنِ عُبيدٍ وبعضِ المعتزلةِ القائلينَ بأنَّ اللهَ تعالى لم يَخْلُقِ الشرَّ،

وحَملوا "ما" على النفيِ، وجَعَلوا الجملةَ في مَوْضِعِ الصفةِ، أي: مِن شَرٍّ ما خَلَقَه اللهُ تعالى ولا أَوْجَدَه، وهي قراءةٌ مَردودةٌ مَبْنِيَّةٌ على مَذهبٍ باطلٍ. انتهى.

وأنتَ تَعلمُ أنَّ القراءةَ بالروايةِ، ولا يَتعَيَّنُ في هذهِ القراءةِ هذا التوجيهُ، بل يَجوزُ أن تكونَ (ما) بَدَلاً مِن (شَرٍّ) على تقديرِ محذوفٍ قد حُذِفَ لدَلالةِ ما قَبْلَه عليه، أي: مِن شَرٍّ شَرِّ ما خَلَقَ). [روح المعاني: ٢٩/ ٢٨١]

قالَ مُحمَّد صِدِّيق حسَن خان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وقدْ حرَّفَ بعضُ الْمُتَعَصِّبِينَ هذهِ الآيةَ مُدافَعَةً عَنْ مَذْهَبِهِ، وَتَقْوِيمًا لباطلِهِ، فَقَرَأَ بتَنْوِينِ (شَرٍّ) على أنَّ (مَا) نَافِيَةٌ، وَالمَعْنَى: مِنْ شَرٍّ لَمْ يَخْلُقْهُ، وَمنهم عَمْرُو بنُ عبيدٍ وَعمرُو بنُ فائدٍ، وَفي المَدَارِكِ: قَرَأَ أبو حنيفةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (مِنْ شَرٍّ) بالتنوينِ، وَ(مَا) على هذا معَ الفعلِ بتَأْوِيلِ المصدرِ في موضعِ الجرِّ، بَدَلٌ مِنْ (شرٍّ)، أيْ: شَرِّ خَلْقِهِ؛ أيْ: مِنْ خَلْقٍ شَرٍّ، أَوْ (مَا) زَائِدَةٌ. انْتَهَى، وَفيهِ أَيْضًا بُعْدٌ وَضَعْفٌ كَمَا تَرَى). [فتح البيان: ١٥/ ٤٥٩]

القراءات في قوله تعالى: {خلق}

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالَوَيْهِ (ت: ٣٧٠هـ):((مِنْ شَرِّ مَا خُلِقَ) بضَمِّ الخَاءِ؛ بَعْضُهُمْ). [مختصر شواذ القراءات: ١٨٣]

قَالَ أبو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (قولُهُ تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾، وقرأَ ابنُ السَّمَيْفَعِ وابنُ يَعْمَرَ: (خُلِقَ) بضَمِّ الخاءِ وكَسْرِ اللامِ). [زاد المسير: ٩/ ٢٧٣]

معاني الحروف

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النحَّاسُ (ت: ٣٣٨هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ تكونُ (مَا) مَصْدَرًا فلا تَحتاجُ إلى عائدٍ، ويَجوزُ أنْ تكونَ بمعنى الذي، فتكونُ الهاءُ العائدةُ عليه مَحْذُوفةً). [إعراب القرآن: ٥/ ٣١٣]

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾، ﴿مَا﴾ بِمَعْنَى الَّذِي، وَالضَّمِيرُ مَحْذُوفٌ مِنَ الصِّلَةِ، وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَكَذَلِكَ إِنْ جَعَلْتَ مَا وَالفِعْلَ مَصْدَرًا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ، إِلاَّ أَنَّهُ لا ضَمِيرَ مَحْذُوفٌ مِنَ الكَلامِ). [مشكل إعراب القرآن: ٢/ ٣٩١]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ يجوزُ أنْ تَكُونَ "ما" بمعنى الذي والعائدُ مَحْذُوفٌ، وأنْ تَكُونَ مَصْدَرِيَّةً). [إملاء ما من به الرحمن: ٢/ ٢٦٧]

قَالَ حُسَيْنُ بنُ أَبي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (و(ما) يَجوزُ أنْ تَكونَ موصولةً، وعائدُها محذوفٌ، والمعنَى: أَسْتَجِيرُ بربِّ الفَلَقِ من شرِّ كلِّ ما خَلَقَه ما يكونُ له ضَرَرٌ، وأنْ تكونَ مَصْدَرِيَّةً، أي: من شَرِّ خَلقِه، أي: مَخْلُوقِه؛ تَسْمِيَةً للمفعولِ بالمصدرِ (كخَلْقِ اللَّهِ وصَيْدِ الصائدِ)). [الفريد: ٤/ ٧٥١] (م)

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبيُّ (ت: ٧٤١هـ): (و ﴿مَا﴾ هنا مَوصولةٌ أو مَوصوفةٌ أو مَصدريَّةٌ). [التسهيل: ٢٢٥]

قالَ ابْنُ القيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ سهـ): (في قولِه: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ و(ما) ههنا مَوصولةٌ ليس إلا، والشَّرُّ مُسْنَدٌ في الآيةِ إلى المخلوقِ المفعولِ، لا إلى خَلْقِ الربِّ تعالى الذي هو فِعْلُه وتَكوينُه، فإنه لا شَرَّ فيه بوَجْهٍ ما). [بدائع الفوائد: ٢/]

قَالَ السَّمِينُ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الحَلَبيُّ (ت: ٧٥٦هـ): (و (مَا) مَصْدَرِيَّةٌ، أَوْ بِمَعْنَى الَّذِي]). [الدر المصون: ١١/١٥٨]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (و "مَا" مَصْدَرِيَّةٌ، أو بِمَعْنَى "الَّذِي"). [اللباب: ٢٠/٥٧٠]

الصرف

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (وَالَمصْدَرُ خَلَقَ يَخْلُقُ خَلْقًا فَهُوَ خَالِقٌ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٣]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (قولُه تَعالَى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ يَجُوزُ أنْ تكونَ ﴿مَا﴾ بمعنى الذي، والعائِدُ محذوفٌ، وأن تكونَ مصدريَّةً.

والخلقُ بمَعنَى المَخلُوقِ، وإن شِئْتَ كانَ على بابِه، أي: من شرِّ خَلْقِه، أي: ابْتِداعِه). [التبيان: ٢/ ٤٨٤]

الإعراب

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ ﴿مِن﴾ حَرْفُ جَرٍّ. وَ﴿شَرِّ﴾: جَرٌّ بِمِنْ.

وَ﴿مَا﴾ بِمَعْنَى الَّذِي، وَهُوَ جَرٌّ بالإضَافَةِ. وَ﴿خَلَقَ ۝٢﴾ فِعْلٌ مَاضٍ وَهُوَ صِلَةُ ﴿مَا﴾). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٣]

قَالَ مَكِّيُّ بْنُ أبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾، ﴿مَا﴾ بِمَعْنَى الَّذِي، وَالضَّمِيرُ مَحْذُوفٌ مِنَ الصِّلَةِ، وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَكَذَلِكَ إِنْ جَعَلْتَ مَا وَالفِعْلَ مَصْدَرًا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ، إِلاَّ أَنَّهُ لا ضَمِيرَ مَحْذُوفٌ مِنَ الكَلامِ). [مشكل إعراب القرآن: ٢/ ٣٩١]

قَالَ قِوَامُ السُّنَّةِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَصْبَهَانِيُّ (ت: ٥٣٥هـ) (فيما نُسِبَ إليه): (﴿مَا﴾ فِي مَوْضِعِ جَرٍّ بإِضَافَةِ ﴿شَرِّ﴾ إِلَيْها). [إعراب القرآن: ٥٦٥]

قَالَ أَبُو البَرَكَاتِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَنْبَارِيُّ (ت: ٥٧٧هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾.

القِرَاءَةُ المَشْهُورَةُ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ بغَيْرِ تَنْوِينٍ، عَلَى الإضافةِ، وَ(مَا): مَصْدَرِيَّةٌ، وَتَقْدِيرُهُ: مِنْ شَرِّ خَلْقِهِ). [البيان: ٥٤٨]

قَالَ أَبُو البَرَكَاتِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَنْبَارِيُّ (ت: ٥٧٧هـ): (وَقُرِئَ: (مِنْ شَرٍّ مَا خَلَقَ) بِتَنْوِينِ (شَرٍّ)، وَهَذِهِ القِرَاءَةُ تُرْوَى عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ.

وَ(مَا) فِيهَا أَيْضًا مَصْدَرِيَّةٌ، كالقراءةِ المشهورةِ، وَيَكُونُ (مَا) فِي مَوْضِعِ البَدَلِ مِنْ (شَرٍّ)؛ أَيْ: مِنْ خَلْقِهِ.

وَتَوَهَّمَ قَوْمٌ أَنَّ (مَا) نَافِيَةٌ عَلَى تَقْدِيرِ: مَا خَلَقَ مِنْ شَرٍّ، وَهَذَا وَهْمٌ ظَاهِرُ الفَسَادِ؛ لأَنَّ مَا بَعْدَ النَّفْيِ لا يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِمَا قَبْلَهُ. وَاللهُ أَعْلَمُ). [البيان: ٥٤٨]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (قولُه تَعالَى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ يَجُوزُ أَنْ تكونَ ﴿مَا﴾ بمعنى الذي، والعائِدُ محذوفٌ، وأن تكونَ مصدريَّةً.

والخلقُ بمَعنَى المَخلُوقِ، وإن شِئْتَ كانَ على بابِه، أي: من شَرِّ خَلْقِه، أي: ابْتِدَاعِه). [التبيان: ٢/ ٤٨٤]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (وقُرِئَ: (مِنْ شَرٍّ) بالتنوينِ، و(ما) على هذا بدَلٌ مِن (شَرٍّ) أو زائدةٌ، ولا يَجُوزُ أن تكونَ نافِيَةً؛ لأن النافيةَ لا يَتَقَدَّمُ عليها ما في حَيِّزِها، فلذلك لم يَجُزْ أن يكونَ التقديرُ: ما خَلَقَ مِن شرٍّ، ثم هو فَاسِدٌ في المَعنَى). [التبيان: ٢/ ٤٨٤]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (قولُه تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾. يُقْرَأُ (شَرٍّ) بالتنوينِ، وهي قِرَاءَةٌ ضَعِيفَةٌ جِدًّا؛ وذلك أَنَّ ﴿مَا﴾ للنَّفْيِ، وعلى هذه القراءةِ تَتَعَلَّقُ ﴿مِن﴾ بـ﴿خَلَقَ ۝٢﴾، و﴿مَا﴾ في حَيِّزِ النفْيِ لا تَتَقَدَّمُ عليه. وقَدْ قِيلَ: إنَّ ﴿مَا﴾ زَائِدَةٌ، وهذا يُخَرَّجُ على قَوْلِ الأَخْفَشِ أَنَّ (مِن) تُزَادُ في الواجِبِ، وهو ضَعِيفٌ في المعنى. ويُقْرَأُ (خُلِقَ) على مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ). [إعراب القراءات الشواذ: ٢/ ٧٥٨]

قَالَ حُسَيْنُ بنُ أَبِي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ الجمهورُ على تَرْكِ التنوينِ، (مِنْ شَرِّ) مُضافٌ إلى (مَا)، و(ما) يَجوزُ أنْ تَكونَ موصولةً، وعائدُها محذوفٌ، والمعنَى: أَسْتَجِيرُ بربِّ الفَلَقِ من شرِّ كلِّ ما خَلَقَه ما يكونُ له ضَرَرٌ.

- وأنْ تَكونَ مَصْدَرِيَّةً، أي: من شَرِّ خَلْقِه، أي: مَخْلُوقِه؛ تَسْمِيَةً للمفعولِ بالمصدرِ (كخَلْقِ اللَّهِ وصَيْدِ الصائدِ).

وقُرِئَ: (مِنْ شَرٍّ مَا خلقَ) بالتنوينِ، و(ما) على هذا لا يَخْلُو من أنْ تَكونَ نافيةً، أو مصدريَّةً، أو صِلَةً، فلا يَجوزُ أنْ تَكونَ نافيةً على معنى: ما خَلَقَ من شَرٍّ، لأمرينِ:

أحَدُهما: أنَّ اللَّهَ تعالى خَالِقُ كلِّ شيءٍ خَيْرًا كانَ أو شَرًّا، وعليه الجمهورُ من العلماءِ، وذلك حُجَّةٌ.

والثاني: أنَّ ما كانَ في صلةِ النفيِ لا يَتقدَّمُ عليه عندَ جميعِ النحاةِ.

إذًا ثَبَتَ أنها مَصْدَرِيَّةٌ في موضعِ بَدَلٍ من (شَرٍّ) [أي] مِن خَلْقِه، أو صِلَةٌ و(خَلَقَ) في مَوْضِعِ جَرٍّ على صِلَةٍ لـ(شَرٍّ)، أي: مِن شَرِّ خَلْقِه). [الفريد: ٤/ ٧٥١] (م)

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (و(ما) مَوصولةٌ، والعائِدُ مَحذوفٌ، أو مَصدَرِيَّةٌ، ويَكونُ الخَلْقُ بمعنَى المَخْلوقِ). [مدارك التنزيل: ٢٠١٣/٣]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (وقرَأَ أَبو حَنِيفَةَ رضِيَ اللهُ عنْه: (مِنْ شَرٍّ) بالتنوينِ، و(مَا) على هذا مع الفِعلِ بتأويلِ المَصدرِ في مَوضعِ الجَرِّ بَدَلٌ مِن (شَرٍّ)، أيْ: شرِّ خَلْقِه، أيْ: مِن خَلْقٍ شَرٍّ، أو زائِدةٌ). [مدارك التنزيل:٢٠١٣/٣] (م)

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبيُّ (ت: ٧٤١هـ): (و ﴿مَا﴾ هنا مَوصولةٌ أو مَوصوفةٌ أو مَصدريَّةٌ). [التسهيل: ٢٢٥] (م)

قالَ أَبُو حيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وقَرَأَ الجمهورُ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ بإِضافةِ ﴿شَرِّ﴾ إلى ﴿مَا﴾). [البحر المحيط: ٧٦١/٨] (م)

قالَ أَبُو حيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وقَرَأَ عمرُو بنُ فائدٍ (مِنْ شَرٍّ) بالتنوينِ، وقالَ ابنُ عَطِيَّةَ: وقَرَأَ عمرُو بنُ عُبَيْدٍ وبعضُ المعتزلةِ القائِلِينَ بأنَّ اللَّهَ تعالى لمْ يَخْلُقِ الشرَّ: (مِنْ شَرٍّ) بالتنوينِ (ما خَلَقَ) على النَّفْيِ، وَهيَ قراءةٌ مردودةٌ مَبْنِيَّةٌ على مذهبٍ باطلٍ، ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢].

ولِهذهِ القراءةِ وَجْهٌ غيرُ النَّفْيِ، فلا يَنْبَغِي أنْ تُرَدَّ، وَهوَ أنْ يكُونَ (مَا خَلَقَ) بَدَلاً مِنْ (شَرٍّ) على تقديرِ مَحْذُوفٍ؛ أيْ: مِنْ شَرٍّ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَحُذِفَ لدلالةِ (شَرٍّ) الأَوَّلِ عَلَيْهِ، أَطْلَقَ أَوَّلاً ثمَّ عَمَّ ثانِيًا). [البحر المحيط: ٧٦١/٨] (م)

قَالَ السَّمِينُ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الحَلَبِيُّ (ت: ٧٥٦هـ): (وَالعامَّةُ على إِضافةِ ﴿شَرِّ﴾ إلى ﴿مَا﴾. وقَرَأَ عَمْرُو بنُ فَائِدٍ بتَنْوِينِهِ. وقالَ ابنُ عَطِيَّةَ: "عَمْرُو بنُ عُبَيْدٍ وبعضُ المعتزلةِ الَّذِينَ يَرَوْنَ أنَّ اللَّهَ لم يَخْلُقِ الشرَّ: (مِن شَرٍّ) بالتنوينِ (مَا خَلَقَ) على النَّفْيِ، وَهيَ قراءةٌ مردودةٌ مَبْنِيَّةٌ على مذهبٍ باطلٍ" انْتَهَى.

وَلا يَتَعَيَّنُ أنْ تَكُونَ (ما) نَافِيَةً، بلْ يَجُوزُ أنْ تكُونَ مَوْصُولَةً بَدَلاً مِنْ (شَرٍّ) على حَذْفِ مضافٍ، أيْ: مِنْ شَرٍّ شَرِّ ما خَلَقَ. عمَّمَ أَوَّلاً ثُمَّ خَصَّصَ ثانيًا.

وَقالَ أبو البقاءِ: " وَمَا عَلَى هَذَا بَدَلٌ مِنْ (شَرٍّ) أَوْ زائدةٌ، وَلا يَجُوزُ أنْ تكونَ نَافِيَةً؛ لأنَّ النافيةَ لا يَتَقَدَّمُ عليها ما في حَيِّزِهَا، فلذلكَ لم يَجُزْ أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ: مَا خَلَقَ مِنْ شَرٍّ، ثُمَّ هوَ فاسدُ المَعْنَى. قُلْتُ: وَهوَ رَدٌّ حَسَنٌ صِناعِيٌّ، وَلا يُقَالُ: إنَّ (مِنْ شَرّ) مُتَعَلِّقٌ بـ (أَعُوذُ) وَحُذِفَ مَفْعُولُ (خَلَقَ) لأَنَّهُ خلافُ الأصلِ. وَقدْ أَنْحَى مَكِّيٌّ على هذا القائلِ، وَرَدَّهُ بما تَقَدَّمَ أَقْبَحَ رَدٍّ). [الدر المصون: ١٥٨/١١] (م)

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (والعامَّةُ: عَلَى إِضَافَةِ "شَرِّ" إِلَى "مَا" وقَرَأَ عَمْرُو بْنُ فَايدٍ: "مِنْ شَرٍّ" بالتَّنْوِينِ.

وقَالَ ابنُ عَطِيَّةَ: وقَرَأَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ وبعضُ المُعْتَزِلَةِ الَّذِين يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقِ الشَّرَّ: "مِنْ شَرٍّ" بالتَّنْوِينِ، "مَا خَلَقَ" عَلَى النَّفْيِ، وهي قِرَاءَةٌ مَرْدُودَةٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَى مَذْهَبٍ بَاطِلٍ. انْتَهَى.

ولا يَتَعَيَّنُ أَنْ تكونَ "مَا" نَافِيَةً، بل يَجوزُ أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً بَدَلاً مِنْ "شَرٍّ" عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، أي: مِنْ شَرٍّ شَرِّ مَا خَلَقَ، عَمَّمَ أوَّلا ثُمَّ خَصَّصَ ثَانِيًا.

وقَالَ أَبو البَقَاءِ: و"مَا" عَلَى هَذَا بَدَلٌ مِنْ "شَرٍّ" أو زَائِدَةٌ، ولا يَجُوزُ أَنْ تكُونَ نَافِيَةً؛ لأَنَّ النَّافِيَةَ لا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهَا مَا فِي حَيِّزِهَا، فَلِذَلِكَ لَمْ يَجُزْ أن يَكُونَ التَّقْدِيرُ: ومَا خَلَقَ مِنْ شَرٍّ، ثُمَّ هُوَ فَاسِدٌ في المَعْنَى. وهُوَ رَدٌّ حَسَنٌ صِناعِيٌّ، ولا يُقَالُ: إنَّ "مِنْ شَرّ" مُتَعَلِّقٌ بـ"أَعُوذُ" وقد أَنْحَى مَكِّيٌّ عَلَى هَذَا القائِلِ، ورَدَّهُ بمَا تَقَدَّمَ). [اللباب: ٢٠/٥٧٠] (م)

قالَ عليُّ بنُ خليلِ بنِ أحمدَ البَصْرَوِيُّ (ت: ٩٥٠ هـ): (وَمِثَالُ (مَا المَوْصُولَةِ) قولُهُ تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾

مِنْ: حَرْفُ جَرٍّ مُتَعَلِّقٌ بأَعُوذُ.

شَرِّ: اسْمٌ مَجْرُورٌ بمِنْ.

مَا: اسْمٌ مَوْصُولٌ فِي مَوْضِعِ جَرٍّ عَلَى أَنَّهُ مُضَافٌ إليهِ.

خَلَقَ: فِعْلٌ مَاضٍ، وَفَاعِلُهُ: ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ يَعُودُ على ربِّ الخلقِ سبحانَهُ وتعالَى.

وَجُمْلَةُ خَلَقَ: صِلَةُ الموصولِ، ولا مَوْضِعَ لها من الإعراب؛ لأنَّ صلةَ الموصولِ لا مَوْضِعَ لها من الإعراب، والعائدُ من الصلةِ إلى الموصولِ مَحْذُوفٌ وَتَقْدِيرُهُ – فِي غَيْرِ القُرْآنِ – مِنْ شَرِّ الَّذِي خَلَقَهُ؛ لأنَّ العائدَ المُتَّصِلَ المنصوبَ يَجُوزُ حَذْفُهُ). [شرح القواعد البصروية في النحو: ٢٠٨]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وقرأَ عمرُو بنُ فائدٍ على ما في البحرِ: (مِن شَرٍّ) بالتنوينِ، وقالَ ابنُ عَطِيَّةَ: هي قِراءةُ عمرِو بنِ عُبيدٍ وبعضِ المعتزلةِ القائلينَ بأنَّ اللهَ تعالى لم يَخْلُقِ الشرَّ وحَمَلوا "ما" على النفيِ، وجَعَلوا الجملةَ في مَوْضِعِ الصفةِ، أي: مِن شَرٍّ ما خَلَقَه اللهُ تعالى ولا أَوْجَدَه. وهي قِراءةٌ مَردودةٌ مَبْنِيَّةٌ على مَذهبٍ باطلٍ. انتهى.

وأنتَ تَعلمُ أنَّ القراءةَ بالروايةِ، ولا يَتَعَيَّنُ في هذهِ القراءةِ هذا التوجيهُ، بل يَجوزُ أن تكونَ (ما) بَدَلاً مِن (شَرٍّ) على تقديرِ محذوفٍ قد حُذِفَ لدَلالةِ ما قَبْلَه عليه، أي: مِن شَرٍّ شَرِّ ما خَلَقَ). [روح المعاني: ٢٩/٢٨١] (م)

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وقدْ حَرَّفَ بعضُ المُتَعَصِّبينَ هذهِ الآيَةَ مُدَافَعَةً عَنْ مَذْهَبِهِ، وَتَقْوِيمًا لباطلِهِ، فَقَرَأَ بتَنْوِينِ (شَرٍّ) على أنَّ (مَا) نَافِيَةٌ، وَالمَعْنَى مِنْ شَرٍّ لَمْ يَخْلُقْهُ، وَمنهم عَمْرُو بنُ عُبيدٍ وَعُمَرُ بنُ فائدٍ، وَفِي المَدَارِكِ: قَرَأَ أبو حَنيفةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (مِنْ شَرٍّ) بالتنوينِ، وَ(مَا) على هذا معَ الفعلِ بتَأْوِيلِ المصدرِ في موضعِ الجرِّ بَدَلٌ مِنْ (شرٍّ)، أيْ: شَرِّ خَلْقِهِ؛ أيْ: مِنْ خَلْقٍ شَرٍّ، أَوْ (مَا) زَائِدَةٌ. انْتَهَى، وَفيهِ أَيْضًا بُعْدٌ وَضَعْفٌ كَمَا تَرَى). [فتح البيان: ١٥/٤٥٩] (م)

متعلق الجار والمجرور

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النحَّاسُ (ت: ٣٣٨هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ تكونُ (مَا) مَصْدَرًا فلا تَحتاجُ إلى عائدٍ، ويَجوزُ أنْ تكونَ بمعنى الذي، فتكونُ الهاءُ العائدةُ عليه مَحْذُوفةً). [إعراب القرآن: ٣١٣/٥]

قَالَ السَّمِينُ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الحَلَبيُّ (ت: ٧٥٦هـ): (قولُهُ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ مُتعَلِّقٌ بـ﴿أَعُوذُ﴾). [الدر المصون: ١٥٨/١١]

قَالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (قَوْلُهُ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ متعلِّقٌ بـ ﴿أَعُوذُ﴾). [اللباب: ٥٧٠/٢٠]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ مُتَعَلِّقٌ بـ﴿أَعُوذُ﴾). [فتح القدير: ٧٥٨/٥ (م)]

قَالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ مُتَعَلِّقٌ بـ﴿أَعُوذُ﴾). [فتح البيان: ٤٥٨/١٥ (م)]

التناسب

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَلَمَّا كانت الأشياءُ قِسْمَيْنِ: عَالَمَ الخلقِ وعالَمَ الأمرِ، وكانَ عالَمُ الأمرِ خَيْرًا كُلُّهُ، فَكَانَ الشَّرُّ مُنْحَصِرًا في عالمِ الخلقِ خَاصَّةً بالاستعاذةِ، فَقَالَ تعالَى مُعَمِّمًا فِيهَا: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾. أيْ: مِنْ كلِّ شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ تعالى عَزَّ وَجَلَّ وَصِفَاتِهِ، وَالشرُّ تَارَةً يَكُونُ اخْتِيَارِيًّا مِنَ العاقِلِ الدَّاخِلِ تَحْتَ مَدْلُولِ (ما)، وَغيرِهِ مِنْ سائرِ الحيوانِ، كالكُفْرِ وَالظلمِ وَنَهْشِ السِّبَاعِ وَلَدْغِ ذَوَاتِ السُّمُومِ، وَتَارَةً طَبِيعِيًّا كإحراقِ النارِ وَإِهلاكِ السمومِ.

وَقَالَ الإمامُ أبو جعفرٍ بنُ الزبيرِ: قدْ أُشِيرَ - أيْ: في الكلامِ على ارتباطِ الإخلاصِ - إلى وَجْهِ ارْتِبَاطِهَا آنِفًا، وَذلكَ وَاضِحٌ إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. انْتَهَى). [نظم الدرر: ٦٠٤/٨]

التفسير

قَالَ عَبْدُ الخَالِقِ بْنُ الحَسَنِ ابنُ أَبِي رُوبَا (ت:٣٥٦ هـ): حدَّثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ ثابتٍ الثَّوريُّ عن أَبيه، عن الهُذَيْلِ بنِ حَبِيبٍ، عنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ البَلْخِيِّ (ت:١٥٠هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ). [تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٧/٣]

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ (ت: ٢٨٣هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ مِنَ الإِنْسِ وَالجِنِّ). [تفسير التستري: ٢١٠]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبٍ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٣٠٨هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ خَلَق). [الواضح: ٥٢٧/٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (وقالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾؛ لأنه أَمَرَ نَبِيَّه أن يَسْتَعِيذَ مِن شَرِّ كلِّ شيءٍ؛ إذ كانَ كلُّ ما سِوَاه فهو ما خَلَقَ). [جامع البيان: ٧٤٥/٢٤]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (ثم قالَ عزَّ وجلَّ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ قالَ: الجنِّ والإنسِ. وقالَ الكلبيُّ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ يعني: مِن شَرِّ ذي شَرٍّ). [بحر العلوم: ٥٢٦/٣]

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أَحدُهَا: أنَّ شَرَّ ما خَلَقَ جَهَنَّم. قَالَهُ ثابتٌ البُنَانِي.

الثاني: إبليسُ وذُرِّيَّتُه. قَالَهُ الحسنُ.

الثالثُ: مِن شَرِّ ما خَلَقَ في الدنيا والآخِرَةِ. قَالَهُ ابنُ شَجَرَةَ.

وفي هذا الشرِّ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: أنه محمولٌ على عُمومِهِ في كلِّ شَرٍّ.

الثاني: أنَّه خاصٌّ في الشرِّ الذي يَسْتَحِقُّ المُصَابُ به الثوابَ). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٤]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ مِن الجِنِّ والإِنْسِ). [الوسيط: ٥٧٢/٤]

قالَ أَبُو المُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (وقولُه: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ أي: مِن شَرِّ جميعِ ما خَلَقَ). [تفسير القرآن: ٣٠٥/٦]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾: مِن شَرِّ خَلْقِهِ.
وشَرُّهُم: ما يَفْعَلُه المُكَلَّفُونَ مِن الحيوانِ مِن المعاصي والمآثِمِ، ومُضَارَّةُ بعضِهِم بعضًا؛ مِن ظُلْمٍ وبَغْيٍ وقَتْلٍ وضَرْبٍ وشَتْمٍ وغيرِ ذلك، وما يَفْعَلُهُ غيرُ المُكَلَّفِينَ مِنه مِن الأكلِ والنَّهْشِ واللَّدْغِ والعَضِّ؛ كالسِّباعِ والحَشَرَاتِ، وما وَضَعَه اللَّهُ في المَوَاتِ مِن أنواعِ الضَّرَرِ؛ كالإحراقِ في النارِ والقتلِ في السُّمِّ). [الكشاف: ٤٦٤/٦-٤٦٥] [(المَوات) لعلَّها: المواد]

قالَ عَبْدُ الحَقِّ بْنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (وقولُه تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ يَعُمُّ كلَّ موجودٍ له شَرٌّ). [المحرر الوجيز: ٦٠٨/١٥]

قَالَ أبو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (قولُهُ تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾، وقرأَ ابنُ السَّمَيْفَعِ وابنُ يَعْمَرَ: (خُلِقَ) بضَمِّ الخاءِ وكَسْرِ اللامِ. وفيهِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّهُ عامٌّ، وهوَ الأَظْهَرُ.

والثاني: أنَّ شَرَّ ما خُلِقَ إبليسُ وذُرِّيَّتُهُ، قالَهُ الحسَنُ.

والثالثُ: جَهَنَّمُ، حكاهُ الماورديُّ). [زاد المسير: ٢٧٣/٩]

قالَ مُحمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (قولُه تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ وفيه مَسْأَلتان:

المَسْأَلةُ الأُولَى: في تَفْسيرِ هذه الآيةِ وُجُوهٌ:

قالَ عَطَاءٌ عن ابنِ عبَّاسٍ: يُريدُ إبْلِيسَ خاصَّةً؛ لأَنَّ اللَّهَ تعالى لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا هو شرٌّ منه، ولأنَّ السُّورَةَ إنَّما نَزَلَتْ في الاسْتِعَاذَةِ مِن السِّحْرِ، وذلك إنَّما يَتِمُّ بإبْلِيسَ وبأَعْوَانِه وجُنُودِه.

وثانيها: يُريدُ جهَنَّمَ، كأَنَّه يَقُولُ: قُلْ أَعُوذُ بربِّ جهَنَّمَ ومِن شَدَائِدِ مَا خَلَقَ فيها.

وثالثُها: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ يُريدُ مِن شَرِّ أَصْنَافِ الحَيوانَاتِ المُؤْذِياتِ كالسِّبَاعِ والهَوَامِّ وغَيْرِهِمَا، ويَجُوزُ أَنْ يَدْخُلَ فيه مَن يُؤْذِيني مِن الجنِّ والإنسِ أيضًا، ووَصفَ أَفْعَالَها بأنَّها شرٌّ، وإنَّما جازَ إدْخَالُ الجنِّ والإنسانِ تحتَ لَفْظَةِ "مَا"؛ لأنَّ الغَلَبَةَ لَمَّا حصَلَتْ في جَانِبِ غَيْرِ العُقَلاءِ حَسُنَ اسْتِعْمالُ لفظةِ "ما" فيه؛ لأنَّ العِبرةَ بالأَغْلَب أيضًا، ويَدْخُلُ فيه شُرُورُ الأَطْعِمَةِ المُمْرِضةِ وشُرورُ المَاءِ والنارِ.

فإنْ قِيلَ: الآلامُ الحَاصِلَةُ عَقِيبَ الماءِ والنَّارِ ولَدْغِ الحَيَّةِ والعَقْرَبِ حَاصِلَةٌ بخَلْقِ اللَّهِ تعالى ابتداءً، على قولِ أَكْثَرِ المُتَكَلِّمِينَ، أو مُتَوَلِّدَةٌ مِن قُوًى خَلَقَها اللَّهُ تعالى في هذه الأجْرَامِ، على ما هو قولُ جُمهورِ الحُكماءِ وبعضِ المُتَكَلِّمِينَ، وعلى التَّقْدِيرَيْنِ فيَصِيرُ حَاصِلُ الآيةِ أنَّه تعالى أمَرَ الرسولَ عَلَيْهِ السَّلامُ بأنْ يَسْتَعِيذَ باللَّهِ مِن اللَّهِ، فما مَعْنَاهُ؟

قُلْنَا: وأيُّ بَأْسٍ بذلك، ولَقَدْ صرَّحَ عَلَيْهِ السَّلامُ بذلك، فقالَ: «وأَعُوذُ بكَ مِنْكَ»

ورابعُها: أَرَادَ به مَا خَلَقَ مِن الأمراضِ والأَسْقامِ والقَحْطِ وأنواعِ المِحَنِ والآفَاتِ، وزَعَمَ الجُبَّائِيُّ والقَاضِي أنَّ هذا التَّفْسِيرَ باطِلٌ؛ لأنَّ فِعْلَ اللَّهِ تعالى لا يَجُوزُ أنْ يُوصَفَ بأنه شَرٌّ. قالوا: ويَدُلُّ عليه وُجُوهٌ:

الأَوَّلُ: أَنَّه يَلْزَمُ على هذا التَّقْديرِ أنَّ الذي أمَرَ بالتَّعَوُّذِ منه هو الذي أَمَرَنا أنْ نَتَعَوَّذَ به، وذلك مُتناقِضٌ.

والثاني: أنَّ أَفعالَ اللَّهِ كلَّها حِكْمَةٌ وصَوابٌ، وذلك لا يَجُوزُ أَنْ يُقالَ: إنَّه شَرٌّ.

والثالِثُ: أنَّ فِعْلَ اللَّهِ لو كان شَرًّا لوُصِفَ فاعِلُه بأنَّه شِرِّيرٌ، ويتعالى اللَّهُ عن ذلك.

والجَوابُ عن الأَوَّلِ أَنَّا بَيَّنَّا أَنَّه لا امْتِنَاعَ في قَوْلِه: «أَعُوذُ بكَ مِنْكَ».

وعن الثاني: أنَّ الإنسانَ لَمَّا تَأَلَّمَ به فإنَّه يُعَدُّ شَرًّا، فورَدَ اللَّفْظُ على وَفْقِ قَوْلِه، كما في قولِه: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] وقولِه: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٤]

وعَنِ الثَّالِثِ: أنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ تَوْقِيفِيَّةٌ، لا اصْطِلاحِيَّةٌ، ثُمَّ الذي يَدُلُّ على جَوازِ تَسْمِيَةِ الأَمْرَاضِ والأَسْقَامِ بأَنَّها شُرورٌ قولُه تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ۝٢٠﴾ [المعارج: ٢٠] وقولُه: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ۝٥١﴾ [فصلت: ٥١] وكان عَلَيْهِ السَّلامُ يَقولُ: «وأَعُوذُ بكَ مِنْ شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ والنَّهارِ»). [التفسير الكبير: ١٧٧/٣٢]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (قولُه تعالَى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ يَجُوزُ أنْ تكونَ ﴿مَا﴾ بمعنى الذي، والعائِدُ محذوفٌ، وأن تكونَ مصدريَّةً.

والْخَلْقُ بمَعنَى المَخلُوقِ، وإن شِئْتَ كانَ على بابِه، أي: من شرِّ خَلْقِه، أي: ابْتِدَاعِه). [التبيان: ٢/ ٤٨٤]

قَالَ حُسَيْنُ بنُ أَبِي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ الجمهورُ على تَرْكِ التنوينِ، (مِنْ شَرِّ) مُضافٌ إلى (مَا)، و(ما) يَجوزُ أنْ تَكُونَ موصولةً وعائدُها محذوفٌ، والمعنَى: أَسْتَجِيرُ بربِّ الفَلَقِ من شرِّ كلِّ ما خَلَقَه ممَّا يكونُ له ضَرَرٌ.

وأنْ تَكونَ مَصْدَرِيَّةً، أي: من شَرِّ خَلْقِه، أي: مَخْلُوقِه؛ تَسْمِيَةً للمفعولِ بالمصدرِ (كخَلْقِ اللَّهِ وصَيْدِ الصائدِ).

وقُرِئَ: (مِنْ شَرٍّ مَا خَلَقَ) بالتنوينِ، و(ما) على هذا لا يَخْلُو من أنْ تَكونَ نافيةً أو مصدريَّةً أو صِلَةً، فلا يَجوزُ أنْ تَكونَ نافيةً على معنَى: ما خَلَقَ من شَرٍّ، لأمرينِ:

أحَدُهما: أنَّ اللَّهَ تعالى خَالِقُ كلِّ شيءٍ؛ خَيْرًا كانَ أو شَرًّا، وعليه الجمهورُ من العلماءِ، وذلك حُجَّةٌ.

والثاني: أنَّ ما كانَ في صلةِ النفيِ لا يَتقدَّمُ عليه عندَ جميعِ النحاةِ.

إذًا ثَبَتَ أنها مَصْدَرِيَّةٌ في موضعِ بَدَلٍ من (شَرٍّ) [أي] مِن خَلْقِهِ، أو صِلَةٌ، و(خَلَق) في مَوْضِعِ جَرٍّ على صِلَةِ (لشَرٍّ)، أي: مِن شَرِّ خَلْقِه). [الفريد: ٤/ ٧٥١]

قالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (﴿شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾: جَهَنَّمَ، أَوْ إبليسَ وَذُرِّيَّتِهِ، أَوْ عامٌّ مِنْ كلِّ شرورِ الدُّنيا وَالآخرةِ، أَو التَّعَوُّذُ مِنْ شَرٍّ مُوجِبٍ للعقاب، أَوْ عامٌّ في كلِّ شرٍّ). [تفسير القرآن: ٣/ ٥١٠]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وقولُه تعالَى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾. قِيلَ: هو إِبْلِيسُ وذُرِّيَّتُه. وقِيلَ: جَهَنَّمُ. وقِيلَ: هو عامٌّ، أي: مِن شرِّ كلِّ ذِي شَرٍّ خَلَقَه اللهُ عزَّ وجلَّ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ٢٥٦]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ خَصَّ عالَمَ الخَلْقِ بالاستعاذةِ عنه لانحصارِ الشَّرِّ فيه، فإنَّ عالَمَ الأمرِ خيرٌ كلُّه، وشَرُّه اختياريٌّ لازمٌ ومُتَعَدٍّ كالكُفْرِ والظُّلْمِ، وطبيعيٌّ كإحراقِ النارِ وإهلاكِ السُّمُومِ). [أنوار التنزيل: ٢/ ١١٨٠]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾: أيِ: النَّارِ، أو الشَّيطانِ). [مدارك التنزيل: ٣/ ٢٠١٣]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (وقرَأَ أَبُو حَنِيفَةَ رضِيَ اللهُ عَنْه: (مِنْ شَرٍّ) بالتنوينِ، و(مَا) على هذا مع الفِعلِ بتَأويلِ المَصدرِ في مَوضِعِ الجَرِّ بَدَلٌ مِن (شَرٍّ)، أيْ: شرِّ خَلْقِه، أيْ: مِن خَلْقٍ شَرٍّ، أو زائِدةٌ). [مدارك التنزيل: ٣/ ٢٠١٣] (م)

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ قِيلَ: يُرِيدُ بِهِ إبليسَ خاصَّةً؛ لأنَّهُ لم يَخْلُقِ اللَّهُ خَلْقًا هوَ شَرٌّ منهُ، ولأنَّ السِّحْرَ لا يَتِمُّ إلاَّ بِهِ وبأعوانِهِ وجنودِهِ. وقيلَ: مِنْ شَرِّ كلِّ ذِي شَرٍّ.

وقيلَ: مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ مِن الجنِّ والإِنْسِ). [الباب التأويل: ٤/ ٥٠١]

قالَ نِظامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (وقيلَ: هو [أي: الفلقُ] وادٍ في جَهَنَّمَ إذا فُتِحَ صاحَ جَمِيعُ مَن في جَهَنَّمَ مِن شِدَّةِ حَرِّه، كأَنَّ العَبْدَ قالَ: يا صاحِبَ العَذابِ الشديدِ، أَعُوذُ برَحْمَتِكَ التي هي أَعْظَمُ وأَكْمَلُ وأَسْبَقُ وأَقْدَمُ مِن عَذابِكَ.

وصَاحِبُ هذا القولِ زَعَمَ أنَّ المُرَادَ ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾. أي: مِن شَدائِدِ مَا خَلَقَ فِيهَا.

وعن ابنِ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ إِبْلِيسَ خَاصَّةً؛ لأنَّ اللَّهَ تعالى لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا هو شَرٌّ منه، ويَدْخُلُ فيه الاستعاذةُ مِن السَّحَرَةِ؛ لأنَّهم أَعْوَانُه وجُنُودُه.

وقيلَ: أرادَ أَصْنَافَ الحيواناتِ المُؤْذِيَةِ مِن الهَوَامِّ والسِّباعِ.

وقيلَ: الأسقامُ والآفاتُ والمِحَنُ؛ فإنَّها شُرورٌ إضافِيَّةٌ، وإنْ جازَ أنْ تكونَ خَيْرَاتٍ باعتباراتٍ أُخَرَ، والكلُّ بقَدَرٍ كما مرَّ في مُقَدِّمَةِ الكتابِ في تَفْسِيرِ الاستعاذةِ). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٦- ٢٢٧]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنُ جَمَاعَةَ الكِنَانِيُّ (ت: ٧٣٣هـ): (وَ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾: هُوَ عَامٌّ فِي كُلِّ شَرٍّ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ، وَقِيلَ: هُوَ إِبْلِيسُ؛ لأَنَّهُ شَرُّ مَخْلُوقٍ). [غرر التبيان:٥٥٢]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيٍّ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ هذا عُمومٌ في جميعِ المخلوقاتِ، وشَرُّهم على أنواعٍ كثيرةٍ، أعاذَنَا اللهُ منها). [التسهيل: ٢٢٥]

قَالَ عَبْدُ البَاقِي بْنُ عَبدِ المَجِيدِ القُرَشِيُّ اليَمَانِيُّ (ت: ٧٤٣هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ أي: مِنْ شَرِّ مَخْلوقاتِهِ، وشُرورُ المَخْلُوقِينَ تَخْتَلِفُ، أَمَّا شَرُّ الإنْسانِ فمَعْلُومٌ كالقَتْلِ والضَّرْبِ وما إليه، والعُدْوانِ والظُّلْمِ وغَيْرِ ذلك، وأَمَّا غَيْرُ الإنْسانِ فكالنَّهْشِ واللَّدْغِ والعَضِّ، وما يَصْدُرُ مِنَ الوُحُوشِ والسِّباعِ والحَشَراتِ، وما وَضَعَهُ اللهُ تعالى في الجَماداتِ من أَنْواعِ الضَّرَرِ كالإحْراقِ والإغْراقِ). [الترجمان: ٢٣٤]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأَندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَقَرَأَ الجمهورُ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ بإضافةِ ﴿شَرِّ﴾ إلى ﴿مَا﴾، وَ﴿مَا﴾ عامٌّ يَدْخُلُ فيهِ جميعُ مَن يُوجَدُ مِنْهُ الشرُّ مِنْ حيوانٍ مُكَلَّفٍ وَغَيْرِ مُكَلَّفٍ وَجَمَادٍ كالإحراقِ بالنارِ وَالإغراقِ بالبحرِ وَالقَتْلِ بالسمِّ). [البحر المحيط: ٧٦١/٨]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأَندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ عَامٌّ يَدْخُلُ فِيهِ جَمِيعُ مَنْ يُوجَدُ مِنْهُ الشَّرُّ مِنْ حَيَوَانٍ مُكَلَّفٍ وَغَيْرِ مُكَلَّفٍ وَجَمَادٍ، كَالإِحْرَاقِ بالنَّارِ، وَالإِغْرَاقِ بالبَحْرِ، وَالقَتْلِ بالسُّمِّ). [النهر الماد: ١٣١٩]

قالَ ابنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصلٌ: وقد دَخَلَ في قولِه تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ الاستعاذةُ من كلِّ شرٍّ في أيِّ مخلوقٍ قامَ به الشرُّ، من حيوانٍ أو غيرِه، إِنْسِيًّا أو جِنِّيًّا أو هامَّةً أو دابَّةً أو رِيحًا أو صاعِقةً، أيَّ نوعٍ كان من أنواعِ البَلاءِ.

فإن قُلْتَ: فهل في (ما) ههنا عُمومٌ؟

قُلْتُ: فيها عُمومٌ تَقْييديٌّ وَصْفِيٌّ، لا عُمومٌ إطلاقيٌّ، والمعنى مِنْ شَرِّ كُلِّ مَخلوقٍ فيه شَرٌّ، فعُمومُها من هذا الوَجْهِ.

وليس المرادُ الاستعاذةَ من شرِّ كلِّ مَا خَلَقَه اللهُ، فإنَّ الجَنَّةَ وما فيها ليس فيها شَرٌّ، وكذلك الملائكةُ والأنبياءُ، فإنهم خيرٌ مَحْضٌ، والخيرُ كُلُّه حَصَلَ على أيديهم، فالاستعاذةُ من شَرِّ ما خَلَقَ تَعُمُّ شَرَّ كلِّ مَخلوقٍ فيه شَرٌّ، وكلَّ شَرٍّ في الدنيا والآخرةِ، وشرَّ شياطينِ الإنسِ والجِنِّ وشَرَّ السِّباعِ والهَوامِّ، وشَرَّ النارِ والهواءِ وغيرِ ذلك.

وفي الصحيحِ عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قالَ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فَقالَ: أَعُوذُ بكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ». رواه مسلِمٌ.

ورَوَى أبو داوُدَ في سُنَنِه عن عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ قالَ: كانَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا سافَرَ، فأَقْبَلَ الليلُ قالَ: «يَا أَرْضُ، رَبِّي وَرَبُّكِ اللهُ، أَعُوذُ باللهِ مِنْ شَرِّكِ وَشَرِّ مَا فِيكِ وَشَرِّ مَا خَلَقَ فِيكِ، وَشَرِّ مَا يَدُبُّ عَلَيْكِ، أَعُوذُ باللهِ مِنْ أَسَدٍ وَأَسْوَدَ، وَمِنَ الحَيَّةِ وَالعَقْرَبِ، وَمِنْ سَاكِنِ البَلَدِ، وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ». وفي الحديثِ الآخَرِ: «أَعُوذُ بكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ الَّتِي لا يُجَاوِزُهَا بَرٌّ وَلا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلاَّ طَارِقًا يَطْرُقُ بخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ»). [بدائع الفوائد: ٢/٢١٥- ٢١٦]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (وقولُه: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ أي: مِن شَرِّ جميعِ المخلوقاتِ.

وقالَ ثابتٌ البُنَانِيُّ والحَسَنُ البَصْرِيُّ: جَهَنَّمُ وإِبْليسُ وذُرِّيَّتُه مِمَّا خَلَقَ). [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩٠٧]

قَالَ ابْنُ المُلَقِّنِ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٨٠٤هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾. أي: مِن شَرِّ جميعِ الخَلْقِ، واللهُ تعالى خلَقَ الخيرَ والشرَّ). [تفسير غريب القرآن: ٦٠٣]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزآبَادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ الثِّقَةُ ابْنُ المَأْمُونِ الهَرَوِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا أَبِي، قالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ، قالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللهِ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَمَّارُ بْنُ عَبْدِ المَجِيدِ الهَرَوِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ السَّمَرْقَنْدِيُّ، عن مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنِ الكَلْبِيِّ، عن أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ خَلَقَ). [تنوير المقباس: ٦٠٤]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ المَحَلِّيُّ (ت: ٨٦٤هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ مِنْ حَيَوَانٍ مُكَلَّفٍ وَغَيْرِ مُكَلَّفٍ، وَجَمَادٍ كَالسُّمِّ، وَغَيْرِ ذلك). [تفسير الجلالين: ٦٠٤]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبِيُّ (ت: ٨٧٥ هـ): (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ يَعُمُّ كُلَّ مَوْجُودٍ لَهُ شَرٌّ). [الجواهر الحسان: ٥/٦٤٠]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (فَصْلٌ في المَقْصُودِ بشَرِّ مَا خَلَقَ:

روى عَطاءٌ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ إِبْلِيسَ خاصَّةً؛ لأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ أَشَرَّ منه، وأَنَّ السُّورَةَ إِنَّمَا نَزَلَتْ فِي الاسْتِعَاذَةِ مِنَ السِّحْرِ، وذَلِكَ إِنَّمَا يَتِمُّ بِإِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ، وقِيلَ: جَهَنَّمُ وما خُلِقَ فيها.

وقِيلَ: عامٌّ؛ أي مِنْ شَرِّ كُلِّ مَا خَلَقَه اللَّهُ. وقِيلَ: مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الأَمْرَاضِ والأَسْقَامِ [والقَحْطِ] وأَنْوَاعِ المِحَنِ.

قَالَ الجُبَّائِيُّ والقَاضِي: هَذَا التَّقْيِيدُ بَاطِلٌ؛ لأَنَّ فِعْلَ اللَّهِ - تَعَالَى- لا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بأَنَّهُ شَرٌّ؛ لأَنَّ الَّذِي أَمَرَ بالتَّعَوُّذِ مِنْهُ هُوَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، وذلك مُتَنَاقِضٌ؛ لأَنَّ أَفْعَالَهُ - تَعَالَى - كُلَّهَا حِكْمَةٌ وصَوَابٌ، فلا يَجُوزُ أن يُقَالُ: شَرٌّ.

وأَيْضًا: فَلأَنَّ فِعْلَ اللَّهِ لو كَانَ شَرًّا؛ لَوُصِفَ فَاعِلُهُ بأنه شَرٌّ، وتَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ.

والجَوَابُ عَنِ الأَوَّلِ: أَنَّهُ لا امْتِنَاعَ فِي قَوْلِهِ: أَعُوذُ بكَ مِنْكَ، كَمَا رُدَّ عَنِ الثاني أَنَّ الإِنْسَانَ لَمَّا تَأَلَّمَ وُصِفَ بالأَلَمِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البَقَرَة: ١٩٤].

وعَنِ الثَّالِثِ: أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ تَوْقِيفِيَّةٌ، لا اصْطِلاحِيَّةٌ، ومِمَّا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ تَسْمِيَةِ الأَمْرَاضِ والأَسْقَامِ بأَنَّهَا شُرُورٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠﴾ [المَعَارِج: ٢٠]). [اللباب: ٢٠/٥٧٠- ٥٧١]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢﴾. أيْ: مِنْ كلِّ شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ تعالى عَزَّ وَجَلَّ وصِفَاتِهِ، والشرُّ تَارَةً يكُونُ اخْتِيَارِيًّا مِنَ العاقِلِ الدَّاخِلِ تَحْتَ مَدْلُولِ (ما) وغيرِهِ مِنْ سائرِ الحيوانِ كالكُفْرِ والظلمِ ونَهْشِ السِّبَاعِ ولَدْغِ ذَوَاتِ السُّمُومِ، وتَارَةً طَبِيعِيًّا كإحراقِ النارِ وإهلاكِ السمومِ). [نظم الدرر: ٨/٦٠٤]

قالَ الخطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (ولما كانتِ الأشياءُ قِسْمَيْنِ؛ عَالَمَ الخلقِ وعالَمَ الأمرِ، وكانَ عالَمُ الأمرِ خيرًا كلُّهُ فكانَ الشَّرُّ منحصرًا في عالَمِ الخَلْقِ خصَّهُ بالاستعاذةِ، فَقَالَ تَعَالَى مُعَمِّمًا فيها: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢﴾ فخصَّ عالَمَ الخَلْقِ بالاستعاذةِ منهُ لانحصارِ الشَّرِّ فيهِ، والشَّرُّ يكونُ اختياريًّا منَ العاقلِ الدَّاخلِ تحتَ مدلولِ (ما) وغيرِهِ منْ سائرِ الحيواناتِ كالكُفرِ والظُّلمِ ونَهْشِ السِّباعِ ولدغِ ذواتِ السُّمومِ، وتارةً طبيعيًّا كإحراقِ النَّارِ وإهلاكِ السُّمومِ. وقِيلَ: المرادُ بهِ إبليسُ خاصَّةً؛ لأَنَّهُ لمْ يَخلُقِ اللَّهُ خَلْقًا شرًّا منهُ، ولأنَّ السِّحْرَ لا يتمُّ إلا بهِ وبأعوانِهِ وجنودِهِ. وقِيلَ: منْ شرِّ كلِّ ذي شرٍّ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٣]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢﴾؛ أَيْ: مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَهُ مِنَ الثَّقَلَيْنِ وَغَيْرِهِمْ كَائِنًا مَا كَانَ مِنْ ذَوَاتِ الطبائعِ والاختيارِ. وَهَذَا كَمَا تَرَى شَامِلٌ لجميعِ الشُّرُورِ، فَمَنْ تَوَهَّمَ أَنَّ الاستعاذةَ هَاهُنَا مِن المَضَارِّ البَدَنِيَّةِ وَأَنَّهَا تَعُمُّ الإِنْسَانَ وَغَيْرَهُ مِمَّا لَيْسَ بصَدَدِ الاستعاذةِ، ثُمَّ جَعَلَ عُمُومَهَا مَدَارًا لإضافةِ الرَّبِّ إِلَى الفلقِ فَقَدْ نَأَى عَنِ الحَقِّ بمراحلَ). [إرشاد العقل السليم: ٧/٢١٤]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ التَّمِيمِيُّ (ت: ١٢٠٦ هـ): (قَوْلُهُ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢﴾ وَهَذَا يَعُمُّ شُرُورَ الأُولَى وَالآخِرَةِ، وَشُرُورَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا). [مجموع مؤلفاته/التفسير: ٢٨٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ مُتعَلِّقٌ بأَعُوذُ؛ أيْ: مِنْ شَرِّ كُلِّ مَا خَلَقَهُ سبحانَهُ مِنْ جميعِ مخلوقاتِهِ، فَيَعُمُّ جَميعَ الشرورِ.
وَقيلَ: هوَ إبليسُ وَذُرِّيَّتُهُ.
وَقيلَ: جَهَنَّمُ.
وَلا وَجهَ لهذا التخصيصِ كما أَنَّهُ لا وَجهَ لتخصيصِ مَنْ خَصَّصَ هذا العمومَ بالمضارِّ البدنيَّةِ). [فتح القدير: ٥/٧٥٨]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ أي: مِن شَرِّ الذي خَلَقه مِن الثَّقَلَيْنِ وغيرِهم كائنًا ما كان مِن ذواتِ الطِّباعِ والاختيارِ، والظاهرُ عُمومُ الشرِّ للمَضارِّ البدنيَّةِ وغيرِها. وزَعَمَ بعضُهم أنَّ الاستعاذةَ ههنا مِن المَضارِّ البدنيَّةِ وأنها تَعُمُّ الإنسانَ وغيرَه مما ليس بصَدَدِ الاستعاذةِ، ثم جُعِلَ عُمومُها مَدارَ إضافةِ الربِّ إلى الفَلَقِ بالمعنى العامِّ، وهو كما تَرَى، نعم الذي يَتبادَرُ إلى الذهْنِ أنَّ عُمومَه لشُرورِ الدنيا، وقالَ بعضُ الأفاضلِ: هو عامٌّ لكلِّ شَرٍّ في الدنيا والآخِرةِ وشَرِّ الإنسِ والجنِّ والشياطينِ وشَرِّ السِّباعِ والهوامِّ وشَرِّ النارِ وشَرِّ الذنوبِ والهوى وشَرِّ النفسِ وشَرِّ العملِ، وظاهِرُه تعميمُ ما خَلَقَ بحيثُ يَشمَلُ نفسَ المستعيذِ، ولا يَأْبَى ذلك نزولُ السورةِ ليَستعيذَ بها رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ، وجَوَّزَ بعضُهم جَعْلَ ما مَصدريَّةً مع تأويلِ المصدرِ باسمِ المفعولِ، وهو تَكَلُّفٌ مُستغنًى عنه). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٠- ٢٨١]

قالَ مُحمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ مُتَعَلِّقٌ بـ﴿أَعُوذُ﴾؛ أيْ: أَعُوذُ باللَّهِ مِنْ شرِّ كلِّ ما خَلَقَهُ مِنْ جميعِ مخلوقاتِهِ، فَيَعُمُّ جميعَ الشرورِ، فهذا عَامٌّ وما بَعْدَهُ مِنَ الشرورِ الثلاثةِ خَاصٌّ، فهوَ مِنْ ذِكْرِ الخاصِّ بعدَ العامِّ. وقِيلَ: هوَ إبليسُ وذُرِّيَّتُهُ. وقِيلَ: جهَنَّمُ، ولا وَجْهَ لهذا التخصيصِ، كَمَا أَنَّهُ لا وَجْهَ لتخصيصِ مَنْ خَصَّصَ هذا العمومَ بالمضارِّ البَدَنِيَّةِ). [فتح البيان: ١٥/٤٥٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾، أيْ: مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ خَلَقَهُ الرَّبُّ مِنْ إِبْلِيسَ، ومِن جَهَنَّمَ، ومِنْ أَصْنَافِ الحَيَوَانَاتِ المُؤْذِيَاتِ كالسِّبَاعِ والهَوَامِّ وغَيْرِهِمَا). [مراح لبيد: ٢/٦٨٢]

قالَ مُحمَّد عَبْدُه المِصريُّ (ت: ١٣٢٣هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾، أي: من كُلِّ شَرٍّ وأَذًى يُصِيبُكَ من أيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ). [تفسير جزء عم: ١٨٤]

قالَ مُحمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (وقولُهُ تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾؛ أيْ: مِنْ شَرِّ ما خَلَقَهُ مِن الثَّقَلَيْنِ وغيرِهم، كائِنًا ما كانَ مِنْ ذَوَاتِ الطبائعِ والاختيارِ). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٥]

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (الإِيضَاحُ:
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ أَيْ قُلْ: أَسْتَعِيذُ برَبِّ المَخْلُوقَاتِ ومُبْدِعِ الكَائِنَاتِ، مِن كُلِّ أَذًى وَشَرٍّ يُصِيبُنِي مِن مَخْلُوقٍ مِن مَخْلُوقَاتِهِ طُرًّا). [تفسير المراغي: ٣٠/٢٦٧]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ نَاصِرٍ السّعْدِيُّ (ت: ١٣٧٦هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾، وهذا يَشْمَلُ جميعَ ما خَلَقَ اللَّهُ؛ مِن إنسٍ وجنٍّ وحيواناتٍ، فيُسْتَعَاذُ بخالِقِها مِن الشرِّ الذي فيها). [تيسير الكريم الرحمن: ٢٠٠١/٤]

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (قَوْلُهُ تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ وهذا عامٌّ، وهو على عُمومِه، حتَّى قالَ الحَسَنُ: إنَّ إبْلِيسَ وجَهَنَّمَ مِمَّا خَلَقَ). [تتمة أضواء البيان: ٣٤٠/٩]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ سُلَيْمَانَ الأَشْقَرُ (ت:١٤٣٠هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾؛ أي: أَعُوذُ باللَّهِ من شَرِّ كُلِّ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ منْ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ). [زبدة التفسير: ٦٠٤]

مسائل عقدية

اختصاص الشر بعالم الخلق دون عالم الأمر

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ خَصَّ عالَمَ الخَلْقِ بالاستعاذةِ عنه لانحصارِ الشَّرِّ فيه، فإنَّ عالَمَ الأمْرِ خيرٌ كلَّه، وشَرُّه اختياريٌّ لازِمٌ ومُتَعَدٍّ، كالكُفْرِ والظُّلْمِ، وطبيعيٌّ كإحراقِ النارِ وإهلاكِ السُّمُومِ). [أنوار التنزيل: ١١٨٠/٢]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (ولما كانتِ الأشياءُ قِسْمَيْنِ؛ عَالَمَ الخلقِ وعالَمَ الأمرِ، وكانَ عالَمُ الأمرِ خيرًا كلُّهُ فكانَ الشَّرُّ منحصرًا في عالَمِ الخَلْقِ خصَّهُ بالاستعاذةِ، فَقَالَ تَعَالَى مُعَمِّمًا فيها: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ فخصَّ عالَمَ الخَلْقِ بالاستعاذةِ منهُ لانحصارِ الشَّرِّ فيهِ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٣]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (وَإِضَافَةُ الشَّرِّ إِلَيْهِ لاختصاصِهِ بعالمِ الخَلْقِ الْمُؤَسَّسِ عَلَى امْتِزاجِ الْمَوادِّ المتباينةِ وَتَفاعُلِ كَيْفِيَّاتِهَا الْمُتَضادَّةِ الْمُسْتَتْبِعَةِ للكونِ والفسادِ، وَأَمَّا عَالَمُ الأَمْرِ فَهُوَ خَيْرٌ مَحْضٌ مُنَزَّهٌ عَنْ شوائبِ الشَّرِّ بالْمَرَّةِ). [إرشاد العقل السليم: ٢١٤/٧]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وإضافةُ الشرِّ إلى ما خَلَقَ قيلَ: لاختصاصِه بعالَمِ الخَلْقِ المؤسَّسِ على امتزاجِ الموادِّ المتباينةِ المستَتْبِعَةِ للكونِ والفسادِ، وأمَّا عالَمُ الأمرِ الذي أُوجِدَ بمُجَرَّدِ أمرِ كُنْ مِن غيرِ مادَّةٍ فهو خيرٌ مَحْضٌ مُنَزَّهٌ عن شوائبِ الشرِّ بالمرَّةِ، والظاهرُ أنه عَنَى بعالَمِ الأمرِ عالَمَ المُجَرَّداتِ، وهم الملائكةُ عليهم السلامُ، وأُورِدَ عليه بعدَ غَضِّ الطرفِ عن عَدَمِ وُرودِ ذلك في لسانِ الشرْعِ أنَّ منهم مَن يَصدُرُ منه شَرٌّ كخَسفِ البلادِ وتعذيبِ العِبادِ، وأُجيبَ بأنَّ ذلك بأمرِه تعالى، فلم يَصْدُرْ إلا لامتثالِ الأمرِ، لا لقَصْدِ الشرِّ مِن حيثُ هو شَرٌّ، فلا إيرادَ، نعم يَرِدُ أنَّ كونَهم مُجَرَّدِينَ خِلافُ المختارِ الذي عليه سَلَفُ الأمَّةِ ومَن تَبِعَهم، بل هم أجسامٌ لطيفةٌ نُورِيَّةٌ، ولو سُلِّمَ تَجَرُّدُهم قُلنا بعدَمِ حَصْرِ المُجَرَّداتِ فيهم، كيف وقد قال كثيرٌ بتَجَرُّدِ الجنِّ فقالوا: إنها ليسَتْ أجسامًا ولا حالَّةً فيها، بل هي جواهرُ مُجَرَّدَةٌ قائمةٌ بأنفسِها مختلِفَةٌ بالماهِيَّةِ، بعضُها خَيِّرَةٌ، وبعضُها شِرِّيرةٌ، وبعضُها كريمةٌ حُرَّةٌ مُحِبَّةٌ للخيراتِ، وبعضُها دَنِيَّةٌ خَسيسةٌ مُحِبَّةٌ للشرورِ

والآفاتِ، وبالجملةِ ما خَلَقَ أعمُّ مِن المجرَّدِ على القولِ به وغيرِه، والكلُّ مخلوقٌ له تعالى، أي: مُوجَدٌ بالاختيارِ بعدَ العَدَمِ، إلا أنَّ المرادَ بالاستعاذةِ مما فيه شَرٌّ مِن ذلك). [روح المعاني: ٢٩/ ٢٨١]

عموم خلق الله لكل شيء

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾، ﴿مَا﴾ بِمَعْنَى الَّذِي، وَالضَّمِيرُ مَحْذُوفٌ مِنَ الصِّلَةِ، وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَكَذَلِكَ إِنْ جَعَلْتَ مَا وَالفِعْلَ مَصْدَرًا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ، إِلاَّ أَنَّهُ لا ضَمِيرَ مَحْذُوفٌ مِنَ الكَلامِ). [مشكل إعراب القرآن: ٢/ ٣٩١]

الشرُّ يكون في مخلوقات الله لا في أفعال الله

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (هذه سورةٌ دَالَّةٌ على أنَّ اللهَ سُبحانَه خالِقُ كلِّ شَرٍّ، وأمَرَ نبيَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يَتَعَوَّذَ مِن جميعِ الشرورِ. فقالَ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ٢٥٩-٢٦٠]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصلٌ:

فإذا عُرِفَ هذا فلْنَتَكَلَّمْ على الشُّرورِ الْمُستعاذِ منها في هاتينِ السورتينِ:

الشرُّ الأوَّلُ العامُّ في قولِه: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ و(ما) ههنا مَوصولةٌ ليس إلا، والشَّرُّ مُسْنَدٌ في الآيةِ إلى المخلوقِ المفعولِ، لا إلى خَلْقِ الربِّ - تعالى - الذي هو فِعْلُه وتَكوينُه، فإنه لا شَرَّ فيه بوَجْهٍ ما.

فإنَّ الشَّرَّ لا يَدخُلُ في شيءٍ من صِفاتِه ولا في أفعالِه، كما لا يَلْحَقُ ذاتَه تَبارَكَ وتعالى، فإنَّ ذاتَه لها الكَمالُ الْمُطْلَقُ الذي لا نَقْصَ فيه بوَجْهٍ من الوُجوهِ، وأَوْصَافَه كذلك لها الكَمالُ الْمُطلَقُ والجَلالُ التامُّ، ولا عَيْبَ فيها ولا نَقْصَ بوَجْهٍ ما.

وكذلك أفعالُه كلُّها خَيْرَاتٌ مَحْضَةٌ، لا شَرَّ فيها أَصْلاً، ولو فَعَلَ الشرَّ - سبحانَه- لاشْتُقَّ له منه اسمٌ، ولم تكن أسماؤُه كلُّها حُسْنَى، ولَعادَ إليه منه حُكْمٌ - تعالى وتَقَدَّسَ عن ذلك- وما يَفْعَلُه من العَدْلِ بعِبادِه، وعُقوبَةِ مَن يَسْتَحِقُّ العُقوبةَ منهم هو خيرٌ مَحْضٌ؛ إذ هو مَحْضُ العَدْلِ والحِكْمَةِ، وإنما يكونُ شَرًّا بالنِّسبةِ إليهم، فالشَّرُّ وَقَعَ في تَعَلُّقِه بهم وقِيامِه بهم، لا في فِعْلِه القائمِ به تعالى.

ونحن لا نُنْكِرُ أنَّ الشرَّ يكونُ في مَفعولاتِه الْمُنفصِلَةِ، فإنه خالقُ الخيرِ والشرِّ، ولكن هنا أمرانِ يَنبغِي أن يكونا منك على بالٍ:

أحدُهما: أنَّ ما هو شرٌّ أو مُتَضَمِّنٌ للشَّرِّ، فإنه لا يكونُ إلا مَفعولاً مُنْفَصِلاً، لا يكونُ وَصفًا له، ولا فِعْلاً من أَفعالِه.

الثاني: أنَّ كونَه شَرًّا هو أَمْرٌ نِسْبيٌّ إضافيٌّ، فهو خيرٌ من جهةِ تَعَلُّقِ فِعْلِ الربِّ وتكوينِه به، وشرٌّ من جهةِ نِسبتِه إلى مَن هو شَرٌّ في حقِّه، فله وَجهانِ هو من أحدِهما خيرٌ، وهو الوجْهُ الذي نُسِبَ منه إلى الخالِقِ - سبحانَه وتعالى - خَلْقًا وتَكْوِينًا ومَشيئةً لِمَا فيه من الحِكمةِ البالِغَةِ التي استَأْثَرَ بعِلْمِها وأَطْلَعَ مَن شاءَ مِن خَلْقِه على ما شاءَ منها.

وأكثرُ الناسِ تَضِيقُ عقولُهم عن مَبادئِ مَعرفتِها فَضْلاً عن حقيقتِها، فيَكفيهم الإيمانُ المُجْمَلُ بأنَّ اللهَ – سبحانَه – هو الغنيُّ الحَميدُ، وفاعِلُ الشرِّ لا يَفعلُه إلا لحاجَتِه المُنافِيَةِ لغِنَاهُ أو لنَقْصِه وعَيْبِه المُنافِي لحَمْدِه، فيَستحيلُ صُدورُ الشرِّ من الغَنِيِّ الحميدِ فِعْلاً، وإن كان هو الخالِقَ للخَيرِ والشرِّ، فقد عرَفْتَ أنَّ كونَه شرًّا هو أَمْرٌ إضافيٌّ، وهو نفسُه خيرٌ من جِهَةِ نِسبتِه إلى خالقِه ومُبْدِعِه، فلا تَغْفُلْ عن هذا المَوضِعِ، فإنه يَفتَحُ لك بابًا عَظيمًا من مَعرفةِ الربِّ ومَحَبَّتِه، ويُزيلُ عنك شُبُهاتٍ حارَتْ فيها عقولُ أَكْثَرِ الفُضلاءِ.

وقد بَسَطْتُ هذا في كتابِ التُّحْفَةِ المَكِّيَّةِ وكتابِ الفَتْحِ القُدْسِيِّ وغيرِهما، وإذا أَشْكَلَ عليك هذا فأنا أُوَضِّحُه لك بأَمْثِلَةٍ: أحَدُها: أنَّ السارِقَ إذا قُطِعَتْ يَدُه فقَطْعُها شرٌّ بالنِّسبةِ إليه، وخيرٌ مَحْضٌ بالنِّسبةِ إلى عُمومِ الناسِ؛ لِمَا فيه من حِفْظِ أموالِهم ودَفْعِ الضرَرِ عنهم، وخيرٌ بالنِّسبةِ إلى مُتَوَلِّي القَطْعِ أَمْرًا وحُكْمًا، لِمَا في ذلك من الإحسانِ إلى عَبيدِه عُموماً بإتلافِ هذا العُضْوِ المُؤْذِي لهم المُضِرِّ بهم، فهو مَحمودٌ على حُكْمِه بذلك، وأَمْرُه به مَشكورٌ عليه، يَسْتَحِقُّ عليه الحَمْدَ من عِبادِه والثناءَ عليه والمَحَبَّةَ.

وكذلك الحُكْمُ بقَتْلِ مَن يَصولُ عليهم في دِمائِهم وحُرُمَاتِهم، وجَلْدِ مَن يَصولُ عليهم في أَعراضِهم، فإذا كان هذا عُقوبةَ من يَصولُ عليهم في دُنياهم فكيف عُقوبةُ مَن يَصولُ على أديانِهم، ويَحولُ بينَهم وبينَ الهُدَى الذي بَعَثَ اللهُ به رُسُلَه، وجَعَلَ سَعادةَ العِبادِ في مَعاشِهم ومَعادِهم مَنُوطَةً به؟! أفليس في عُقوبةِ هذا الصائلِ خيرٌ مَحْضٌ وحِكْمةٌ وعَدْلٌ وإحسانٌ إلى العَبيدِ، وهي شَرٌّ بالنسبةِ إلى الصائلِ الباغي، فالشرُّ ما قامَ به من تلك العُقوبةِ، وأمَّا ما نُسِبَ إلى الربِّ منها من المشيئةِ والإرادةِ والفعْلِ، فهو عينُ الخيرِ والحكمةِ، فلا يَغْلُظْ حِجابُك عن فَهْمِ هذا النبأِ العظيمِ والسرِّ الذي يُطْلِعُك على مسألةِ القدَرِ، ويَفتَحُ لك الطريقَ إلى اللهِ ومَعرفةِ حِكْمَتِه ورحمتِه وإحسانِه إلى خَلْقِه، وأنه سبحانه كما أنه البَرُّ الرحيمُ الوَدودُ المُحسِنُ فهو الحكيمُ المَلِكُ العدْلُ، فلا تُناقِضُ حِكْمَتُه رَحْمَتَه، بل يَضَعُ رَحمتَه وبرَّه وإحسانَه مَوْضِعَه، ويَضَعُ عُقوبتَه وعَدْلَه وانتقامَه وبأْسَه مَوْضِعَه، وكِلاهما مُقْتَضَى عِزَّتِه وحِكْمَتِه، وهو العزيزُ الحكيمُ، فلا يَليقُ بحِكمَتِه أن يَضعَ رِضاه ورَحْمَتَه مَوْضِعَ العُقوبةِ والغَضَبِ، ولا يَضَعَ غَضَبَه وعُقوبتَه مَوْضِعَ رِضاهُ ورَحْمَتِه، ولا يُلْتَفَتُ إلى قولِ مَن غَلُظَ حِجابُه عن اللهِ أنَّ الأمرينِ بالنسبةِ إليه على حدٍّ سواءٍ ولا فَرْقَ أَصْلاً، وإنما هو مَحْضُ المشيئةِ بلا سَبَبٍ ولا حِكْمَةٍ.

وتأمَّلِ القرآنَ من أوَّلِه إلى آخِرِه كيف تَجِدُه كفيلاً بالرَّدِّ على هذه المَقالَةِ وإنكارِها أَشَدَّ الإنكارِ، وتَنزيهِ نفسِه عنها، كقولِه تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦﴾ [القلم: ٣٥- ٣٦] وقولِه: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٢١﴾

[الجاثية: ٢١] وقوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٨].

فأنْكَرَ - سبحانَه - على مَن ظَنَّ هذا الظَّنَّ، ونَزَّهَ نفسَه عنه، فَدَلَّ على أنه مُسْتَقِرٌّ في الفِطَرِ والعقولِ السليمةِ أنَّ هذا لا يكونُ ولا يَليقُ بحِكْمَتِه وعِزَّتِه وإلهيَّتِه: لا إلهَ إلا هو، تعالى عما يَقولُ الجاهِلُون عُلُوًّا كبيرًا.

وقد فَطَرَ اللهُ عُقولَ عِبادِه على اسْتِقْبَاحِ وَضْعِ العُقوبةِ والانتقامِ في مَوْضِعِ الرحمةِ والإحسانِ ومُكافأةِ الصُّنْعِ الجميلِ بمِثْلِه وزيادةٍ، فإذا وَضَعَ العُقوبةَ مَوْضِعَ ذلك اسْتَنْكَرَتْهُ فِطَرُهُم وعقولُهم أشَدَّ الاستنكارِ واسْتَهْجَنَتْهُ أعْظَمَ الاستهجانِ، وكذلك وَضْعُ الإحسانِ والرحمةِ والإكرامِ في مَوْضِعِ العُقوبةِ والانتقامِ.

كما إذا جاءَ إلى مَن يَسِيءُ إلى العالَمِ بأنواعِ الإساءةِ في كلِّ شيءٍ من أموالِهم وحَرِيمِهم ودِمائِهم، فأكْرَمَه غايةَ الإكرامِ ورَفَعَه وكَرَّمَه، فإنَّ الفِطَرَ والعقولَ تأبَى استحسانَ هذا، وتَشْهَدُ على سَفَهِ مَن فَعَلَه.

هذه فِطْرَةُ اللهِ التي فَطَرَ الناسَ عليها، فما للعُقولِ والفِطَرِ لا تَشهَدُ حِكْمَتَه البالغةَ وعِزَّتَه وعَدْلَه في وَضْعِ عُقوبتِه في أَوْلَى المَحالِّ بها وأَحَقِّها بالعُقوبةِ، وأنها لو أُولِيَت النِّعَمَ لم تَحْسُنْ بها ولم تَلِقْ، ولَظَهَرَتْ مُناقَضَةُ الحِكْمَةِ، كما قالَ الشاعرُ:

نِعْمَـــةُ اللهِ لا تُعـــابُ ولكـــن رُبَّمَـــا اســـتُقْبِحَتْ علـــى أقـــوامِ

فهكذا نِعَمُ اللهِ لا تَليقُ ولا تَحْسُنُ ولا تَجْمُلُ بأعدائِه الصادِّينَ عن سبيلِه، الساعينَ في خِلافِ مَرضاتِه، الذين يَرْضَونَ إذا غَضِبَ، ويَغْضَبُونَ إذا رَضِيَ، ويُعَطِّلونَ ما حَكَمَ به، ويَسْعَوْن في أن تَكونَ الدعوةُ لغيرِه، والحُكْمُ لغيرِه والطاعةُ لغيرِه، فهم مُضَادُّونَ في كلِّ ما يُريدُ، يُحِبُّونَ ما يُبْغِضُه ويَدْعُون إليه، ويُبْغِضُون ما يُحِبُّه، ويَنْفِرون عنه، ويُوَالُون أعداءَه وأَبْغَضَ الخَلْقِ إليه، ويُظاهِرونَهم عليه وعلى رسولِه، كما قالَ تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [الفرقان: ٥٥] وقالَ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ [الكهف: ٥٠].

فتَأَمَّلْ ما تَحْتَ هذا الخِطابِ الذي يَسْلُبُ الأرواحَ حَلاوةً وعِتابًا وجَلالةً وتَهديدًا، كيف صَدَّرَه بإخبارِنا أنه أمَرَ إبْليسَ بالسجودِ لأَبينَا، فأَبَى ذلك فَطَرَدَه ولَعَنَه وعاداه من أَجْلِ إبائِه عن السجودِ لأَبينا، ثم أنْتُمْ تُوَالُونَه من دُوني، وقد لَعَنْتُه وطَرَدْتُه إذ لم يَسْجُدْ لأبيكُمْ، وجَعَلْتُه عَدُوًّا لكم ولأبيكُم فوَالَيْتُمُوه وتَرَكْتُمُوني، أفليسَ هذا من أَعْظَمِ الغَبْنِ وأَشَدِّ الحَسرةِ عليكم؟

ويومَ القِيامةِ يَقولُ تعالى: أليس عَدْلاً مِنِّي أن أُوَلِّيَ كلَّ رجلٍ منكم ما كان يَتَوَلَّى في دارِ الدنيا، فلَيَعْلَمَنَّ أولياءُ الشيطانِ كيفَ حالُهم يومَ القِيامةِ إذا ذَهَبوا مع أوليائِهم، وبَقِيَ أولياءُ الرحمنِ لم يَذْهَبوا مع أَحَدٍ، فيَتَجَلَّى لهم ويَقولُ: ألا تَذْهَبُون حيثُ ذَهَبَ الناسُ؟!!

فيقولون: فارَقْنَا الناسَ أَحْوَجَ ما كنا إليهم، وإنما نَنْتَظِرُ ربَّنا الذي كنا نَتَوَلاَّهُ ونَعْبُدُه.

فيقولُ: هل بينَكم وبينَه عَلامةٌ تَعْرِفُونه بها؟

فيقولون: نعم، إنه لا مِثْلَ له، فيَتَجَلَّى لهم، ويُكْشَفُ عن ساقٍ فيَخِرُّون له سُجَّدًا.

فيا قُرَّةَ عيونِ أوليائِه بتلك المُوالاةِ، ويا فَرَحَهم إذا ذَهَبَ الناسُ مع أَوْلِيائِهم وبَقُوْا مع مَوْلاهم الحقِّ! فسَيَعْلَمُ المُشرِكون به الصادُّون عن سبيلِه أنهم ما كانوا أَوْلِياءَه، إنْ أولياؤُه إلا المُتَّقُون، ولكنَّ أَكْثَرَهم لا يَعْلَمون.

ولا تَسْتَطِلْ هذا البساطَ فما أَحْوَجَ القلوبَ إلى مَعرفتِه وتَعَقُّلِه ونُزولِها منه مَنازلَها في الدنيا لِتَنْزِلَ في جوارِ ربِّها في الآخرةِ، مع الذين أَنْعَمَ اللهُ عليهم من النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهداءِ والصالحِينَ وحَسُنَ أولئك رَفِيقًا). [بدائع الفوائد: ٢/٢١٠- ٢١٣]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المِصريُّ (ت: ١٣٢٣هـ): (إنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ لِمَا لا نَعْلَمُهُ مِنَ الحِكْمَةِ، وقد يَقِفُنا على حِكْمَتِهِ في بَعْضِ خَلْقِهِ، وقد خَلَقَ كُلَّ مَخْلوقٍ لِيُصِيبَ مِنَ الوُجودِ الحَظَّ الَّذي قَدَّرَهُ له، ووَهَبَهُ كُلَّ ما يَتِمُّ به ذلك الحَظُّ المُقَدَّرُ، فكُلُّ مَخْلوقٍ فهو خَيْرٌ في نَفْسِهِ؛ لأَنَّهُ أَخَذَ مَكانَهُ مِنَ الوُجودِ وهو الحَقُّ الَّذي لا يُمْكِنُ أنْ يُزَحْزَحَ عنه، وإنَّمَا الشُّرورُ الَّتي تعْرِضُ أُمُورٌ نِسْبيَّةٌ، فما هو شَرٌّ بالنِّسْبَةِ إليك خَيْرٌ لكائِنٍ آخَرَ، يَأْكُلُكَ السَّبُعُ فتَأَلَّمُ وتَمُوتُ ويَحْزَنُ لكَ الأَقارِبُ والأَصْدِقاءُ، ويُحْرَمُ سَعْيَكَ الأَوْلادُ والفُقَراءُ، فكُلُّ ذلكَ أَذًى وشَرٌّ بالنِّسْبَةِ إليك وإليهم، ولكِنَّهُ خَيْرٌ بالنِّسْبَةِ إلى السَّبُعِ وتَكْمِيلٌ لِحَظِّه، ولهذا أَضافَ الشَّرَّ إلى ما خَلَقَ؛ لأنَّ الشَّرَّ إنَّمَا يَأْتِي بمُراعاةِ تلك الإضافَةِ، أمَّا أَفْعالُ اللهِ في نَفْسِها فكُلٌّ منها خَيْرٌ في نَفْسِهِ كما بَيَّنَّا، وهذا هو الَّذي يَصِحُّ الاسْتِعاذَةُ باللهِ منه، والاسْتِعانَةُ به على أنْ يُخَلِّصَكَ من أَذاهُ، فأنتَ تَلْجَأُ إلى اللهِ أنْ يَقِيَكَ الوُقوعَ في نِسْبَةٍ مع مَخْلُوقٍ آخَرَ يُصِيبُكَ أَذًى في تلك النِّسْبَةِ، كأنْ لا يُخَلِّيَ بَيْنَكَ وبَيْنَ الأَسَدِ أو لا يَدَعَهُ يَنْتَبِهُ إليك، أو يُقْدِرَكَ على دَفْعِهِ وهكذا). [تفسير جزء عم: ١٨٤]

معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (والشر ليس إليك)

قالَ ابنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصلٌ: إذا عُرِفَ هذا، عُرِفَ معنى قولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديثِ الصحيحِ: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ» وأنَّ معناه أجَلُّ وأعْظَمُ من قولِ مَن قالَ: والشرُّ لا يُتَقَرَّبُ به إليكَ، وقولِ مَن قالَ: والشرُّ لا يَصْعَدُ إليك، وأنَّ هذا الذي قالُوه وإن تَضَمَّنَ تنزيهَه عن صُعودِ الشرِّ إليه والتَّقَرُّبِ به إليه، فلا يَتَضَمَّنُ تنزيهَه في ذاتِه وصِفاتِه وأفعالِه عن الشرِّ.

بخلافِ لفْظِ المَعصومِ الصادِقِ المُصَدَّقِ، فإنه يَتَضَمَّنُ تنزيهَه في ذاتِه – تَبارَكَ وتعالى – عن نِسبَةِ الشرِّ إليه بوَجْهٍ ما، لا في صِفاتِه ولا في أفعالِه ولا في أسمائِه، وإن دَخَلَ في مَخلوقاتِه، كقولِه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)﴾.

وتَأَمَّلْ طريقةَ القرآنِ في إضافةِ الشرِّ تارةً إلى سببه، ومَن قامَ به كقولِه: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)﴾ [البقرة: ٢٥٤] وقولِه: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥)﴾ [الصف: ٥] وقولِه: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ [النساء: ١٦٠] وقولِه:

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٤٦] وقوله: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٦﴾ [الزخرف: ٧٦] وهو في القرآنِ أكثَرُ من أن يُذْكَرَ، ههنا عُشْرُ مِعشارِه، وإنما المقصودُ التمثيلُ.

وتارةً يُحْذَفُ فاعلُه كقولِه تعالى حكايةً عن مُؤْمِنِي الجنِّ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ١٠﴾ [الجن: ١٠] فحذَفُوا فاعلَ الشرِّ ومُريدَه، وصرَّحُوا بمُريدِ الرَّشَدِ.

ونظيرُه في الفاتِحةِ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: ٧] فذكَرَ النعمةَ مُضافةً إليه – سبحانه – والضلالَ مَنسوبًا إلى مَن قامَ به، والغضبَ مَحذوفًا فاعلُه.

ومِثلُه قولُ الخَضِرِ في السفينةِ: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، وفي الغُلامَيْنِ: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢] ومِثلُهُ قولُه: ﴿ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧] فنسَبَ هذا التَّزْيِينَ المحبوبَ إليه، وقالَ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤] فحذَفَ الفاعلَ المُزَيِّنَ.

ومِثلُه قولُ الخليلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ٨٢﴾ [الشعراء: ٧٨- ٨٢] فنسَبَ إلى ربِّه كلَّ كمالٍ من هذه الأفعالِ، ونسَبَ إلى نفسِه النَّقْصَ منها، وهو المَرَضُ والخطيئةُ.

وهذا كثيرٌ في القرآنِ، ذَكَرْنا منه أمْثِلَةً كثيرةً في كتاب الفوائدِ المَكِّيَّةِ، وبَيَّنَّا هناك السِّرَّ في مَجيءِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ والفَرْقَ بينَ الموضعينِ، وأنه حيث ذَكَرَ الفاعلَ كان مَن آتاه الكتابَ واقعًا في سِياقِ المَدْحِ، وحيث حَذَفَه كان من أُوتِيَه واقعًا في سِياقِ الذمِّ، أو مُنْقَسِمًا، وذلك من أسرارِ القرآنِ.

ومِثلُه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] وقالَ: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ١٤﴾ [الشورى: ١٤] وقولُه: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٦٩] وبالجملةِ فالذي يُضافُ إلى اللهِ – تعالى – كلُّه خيرٌ وحِكْمَةٌ ومَصْلَحَةٌ وعَدْلٌ، والشرُّ ليس إليه).

[بدائع الفوائد: ٢/ ٢١٤- ٢١٥]

فائدة

قال مُحَمَّدُ بنُ الحسينِ بنِ عبدِ اللهِ الآجُرِّيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (وأَخْبَرَنَا الفِرْيَابِيُّ، قالَ: حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بنُ سعيدٍ، قالَ: حَدَّثَنَا يوسفُ بنُ سَهْلٍ الواسِطِيُّ، قالَ: حَجَجْتُ فَسَمِعْتُ رَجُلاً يُلَبي يقولُ في تَلْبِيَتِهِ: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ. فَلَمَّا دَخَلْتُ مكَّةَ لَقِيتُ سُفْيَانَ، فَأَخْبَرْتُهُ بالذي سَمِعْتُ، فَمَا زَادَنِي على أَنْ قَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢﴾). [الشريعة ٢/ ٩٤٣- ٩٤٥]

الرد على المعتزلة في مسألة خلق الشر

قالَ عليُّ بنُ عُبَيْدِ اللهِ بنِ نصرٍ ابنُ الزَّاغُونيِّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٥٢٧هـ): (الأفعالُ الصادرةُ عن المُكلَّفِ عَلَى ضَرْبَيْنِ: .....

فأمَّا الضربُ الثاني: وهوَ ما كانَ نَقِيصَةً وَفَسَادًا وَشَرًّا وَقُبْحًا، فإنَّا نقولُ: هو خَلْقُ اللهِ تعالى قَضَاهُ وَقَدَّرَهُ وَأَرَادَهُ، وقالَ جُمْهُورُ المعتزلةِ: الشَّرُّ ليسَ مِنْ فِعْلِ اللهِ ولا مِنْ قَضَائِهِ ولا مِنْ قَدَرِهِ.

وَالدلالةُ على ذلكَ آياتٌ من القرآنِ، منها قولُهُ تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ خَلَقَ الشَّرَّ في هذهِ الآيةِ). [الإيضاح في أصول الدين: ٤٨٤- ٤٨٦]

قَالَ قِوَامُ السُّنَّةِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَصْبَهَانِيُّ (ت: ٥٣٥هـ) (فيما نُسِبَ إليه): (وفي هذا دَلالَةٌ على أَنَّ اللهَ تعالى قَدْ خَلَقَ الشَّرَّ). [إعراب القرآن: ٥٦٥]

قَالَ قِوَامُ السُّنَّةِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَصْبَهَانِيُّ (ت: ٥٣٥هـ) (فيما نُسِبَ إليه): (وَقَرَأَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ (مِنْ شَرٍّ مَا خَلَقَ) بالتَّنْوِينِ، لأَنَّهُ كَانَ... أَنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقِ الشَّرَّ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُما: أَنَّه كَانَ يُبْطِلُ معْنَى الاسْتِعاذَةِ.

والثاني: أَنَّهُ يُعْمِلُ ما بَعْدَ النَّفْيِ فيما قَبْلَهُ، وهذا لا يَجُوزُ). [إعراب القرآن: ٥٦٥] (م)

قالَ عَبْدُ الحقِّ بنُ غالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (وقرَأَ عمرُو بنُ عُبَيْدٍ، وبعضُ المُعْتَزِلَةِ القائلينَ بأنَّ اللَّهَ تعالى لم يَخْلُقِ الشرَّ: (مِنْ شَرٍّ) بالتنوينِ (مَا خَلَقَ) على النفيِ، وهذه قِراءةٌ مَرْدُودَةٌ، مَبْنِيَّةٌ على مذهبٍ باطلٍ، فاللَّهُ تعالى خالِقُ كلِّ شيءٍ). [المحرر الوجيز: ١٥/٦٠٨]

قالَ شِيثُ بنُ إبراهيمَ بنِ حَيْدَرَةَ ابْنُ الحاجِّ القِفْطِيُّ (ت: ٥٩٨هـ): (قولُهُ تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾.

وَالقَدَرِيَّةُ تقولُ: ما خَلَقَ اللهُ شَرًّا، كما يقولُ المجوسُ، ولهذا قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ: «القَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ». وذلكَ أنَّ مِنَ المَجُوسِ مَنْ يَقُولُ بالتثنيةِ فَيَقُولُونَ: للعالَمِ إِلَهَانِ، أَحَدُهُمَا يَخْلُقُ الخيرَ والأنوارَ وهوَ الرحمنُ، والآخرَ يَخْلُقُ الشرَّ والظُّلْمَةَ وهوَ الشيطانُ، وَإِنَّهُمَا اخْتَلَفَا ثُمَّ تَهَادَنَا إلى وقتٍ مخصوصٍ مَعْلُومٍ، يُعَبِّرُونَ عنهُ بالقيامةِ، وَيُسَمَّوْنَ بالثَّنَوِيَّةِ وَالمَانَوِيَّةِ، يُنْسَبُونَ إلى مَانِي المَجُوسِيِّ الذي كانَ في زمانِ كِسْرَى، وَهُمُ الَّذِينَ عَنَاهُم المُتَنَبِّي بقَوْلِهِ:

وَكَمْ لِظَلامِ الليلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ ... تُخَبِّرُ أَنَّ المَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ

وَقَاكَ رَدَى الأعداءِ يَسْرِي عَلَيْهِمُ ... وَزَارَكَ فِيهِ ذُو الدَّلالِ المُحَجَّبُ

يقولُ للممدوحِ: إِنَّكَ تَفْعَلُ الخيراتِ في ظلامِ الليلِ وتنالُ الظَّفَرَ بأعدائِكَ في الليلِ. ومِن مَذْهَبِ الثنويةِ أنَّ الظلامَ ليسَ فيهِ ولا عِنْدَهُ خَيْرٌ، وأنتَ أَيُّهَا الممدوحُ قَدْ نُصِرْتَ على أعدائِكَ وَنِلْتَ المطلوبَ مِنْ مُرَادِكَ في ظلامِ الليلِ، وهذهِ الأحوالُ تُكَذِّبُ المانويةَ الذين يقولونَ تلكَ المقالةَ. وَشَرُّ الشرورِ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ، واللهُ خَلَقَهُ وَبَثَّ الشرَّ مِنْهُ.

وقيلَ لِقَدَرِيٍّ: كيفَ تَقُولُ: ما خلقَ اللهُ شرًّا، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾؟ فقالَ: لَسْتُ أَقْرَؤُهَا هكَذَا. قِيلَ لَهُ: فَكَيْفَ تَقْرَؤُهَا؟ فقالَ: (مِنْ شَرٍّ مَا خَلَقَ) فَيُنَوِّنُ شرًّا وَيَجْعَلُ (مَا) نَفْيًا. فَتَعَجَّبُوا يَا أُولِي الأَلبابِ مِن هذا العَجَبِ العُجَابِ، يُفْسِدُونَ القرآنَ وَيُخَالِفُونَ رَبَّهُمْ حَتَّى يُصْلِحُوا اعْتِقَادَهُم وَمَذْهَبَهُم.

وفيما أَخَذْنَاهُ عن سَيِّدِنَا الفَقِيهِ الشيخ أبي القاسمِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ أنهُ قالَ لأبي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، لَوْ أَرَادَ اللهُ أنْ لا يُعْصَى لَمَا خَلَقَ إِبْلِيسَ). [حز الغلاصم في إفحام المخاصم: ١٠٧ - ١٠٨]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبيُّ (ت: ٦٧١هـ): (التاسِعَةُ: هذه سورةٌ دَالَّةٌ على أنَّ اللهَ سُبحانه خالِقُ كلِّ شرٍّ، وأَمَرَ نبيَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يَتَعَوَّذَ مِن جميعِ الشرورِ، فقالَ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٩] (م)

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (فَصْلٌ في أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَيْرَ وَالشَّرَّ: هَذِهِ السُّورَةُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ شَرٍّ، وأَمَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَعَوَّذَ مِنْ جَمِيعِ الشُّرُورِ، فَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ- : ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ وذَلِكَ خَاتِمَةُ ذَلِكَ الحَسَدِ؛ تَنْبِيهًا عَلَى عِظَمِتِهِ، وَكَثْرَةِ ضَرَرِهِ، والحَاسِدُ عَدُوُّ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى). [اللباب: ٢٠/٥٧٥]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ): (قَوْلُه تَعَالَى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾: فِيهِ رَدٌّ عَلَى مَن قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقِ الشَّرَّ). [الإكليل: ٣/١٣٥٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَقدْ حَرَّفَ بعضُ المُتَعَصِّبِينَ هذهِ الآيَةَ مدافعةً عَنْ مَذْهَبِهِ وَتَقْوِيمًا لِبَاطِلِهِ فَقَرَؤُوا بتَنْوِينِ (شَرٍّ) على أنَّ (ما) نافيةٌ، وَالمعنى: مِنْ شَرٍّ لَمْ يَخْلُقْهُ، وَمنهم عَمْرُو بنُ عبيدٍ وَعمرُو بنُ عائِذٍ). [فتح القدير: ٥/٧٥٨]

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (وللمُعْتَزِلَةِ في هذه الآيَةِ كَلامٌ حولَ خَلْقِ أفعالِ العِبادِ، وأنَّ اللَّهَ لا يَخْلُقُ الشرَّ، وقالوا: كيفَ يَخْلُقُه ويُقَدِّرُه، ثم يَأمُرُ بالاستعاذةِ به سُبحانَه مِمَّا خَلَقَه وقَدَّرَه؟!

وأُجِيبَ مِن أهْلِ السُّنَّةِ: بأنه لا مانِعَ مِن ذلك، كما في قولِه صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ: «وَأَعُوذُ بكَ مِنْكَ».

وقد قالَ تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الرعد: ١٦].

وتَقَدَّمَ للشيخ - رحمةُ اللَّهِ تعالى عَلَيْنا وعليه - مناقشةُ هذه المَسْأَلَةِ في مُناظَرَةِ الإسْفِرائِينيِّ مع الجُبَّائِيِّ في القَدَرِ.

ومعلومٌ أنَّ المخلوقَ لا يَتَأَتَّى منه شيءٌ قطُّ إلاَّ بمشيئةِ الخالِقِ؛ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٤٠]

قالَ صَالِحُ بْنُ غُرْمِ اللهِ الغَامِدِيُّ (م): (قالَ اللهُ تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾.

- قالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ من شَرِّ خَلْقِهِ، وشَرُّهم: ما يَفْعَلُهُ المُكَلَّفُونَ مِنَ الحَيوانِ مِنَ المَعاصِي والمَآثِمِ، ومُضارَّةِ بَعْضِهم بَعْضًا من ظُلْمٍ وبَغْيٍ، وقَتْلٍ وضَرْبٍ وشَتْمٍ، وغَيْرِ ذلك، وما يَفْعَلُهُ غَيْرُ

المُكَلَّفِينَ منه مِنَ الأَكْلِ والنَّهْسِ واللَّدْغِ والعَضِّ كالسِّباعِ والحَشرات، وما وَضَعَهُ اللهُ في المَواتِ من أَنْواعِ الضَّرَرِ كالإحْراقِ في النَّارِ، والقَتْلِ في السُّمِّ).

قال ابْنُ المُنَيِّرِ: (لا يَسَعُهُ على قاعِدَتِهِ الفاسِدَةِ الَّتِي هي من جُمْلَةِ ما يَدْخُلُ تَحْتَ هذه الاسْتِعاذَةِ إلى صَرْفِ الشَّرِّ إلى ما يَعْتَقِدُهُ خالِقًا لأَفعالِهِ، أو لِمَا هو غَيْرُ فاعِلٍ له البَتَّةَ كالمَوات، وأَمَّا صَرْفُ الاسْتِعاذَةِ إلى ما يَفْعَلُهُ اللهُ تعالى بِعِبادِهِ من أَنْواعِ المِحَنِ والبَلايَا وغَيْرِ ذلك فلا؛ لأَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ لا يَخْلُقُ أَفعالَ الحَيَواناتِ، وإنَّما هم يَخْلُقونَها؛ لأَنَّهَا شَرٌّ، واللهُ تعالى لا يَخْلُقُهُ لقُبْحِهِ، كُلُّ ذلك تَفْريعٌ على قاعِدَةِ الصَّلاحِ والأَصْلَحِ الَّتِي وَضَحَ فَسادُها، حتى حَرَّفَ بَعْضُ القَدَرِيَّةِ الآيَةَ، فقرَأَ: (مِنْ شَرٍّ مَا خَلَقَ) بتَنْوينِ (شَرٍّ) وجَعْلِ (ما) نافِيَةً).

التَّعْلِيقُ: ظاهِرُ كَلامِ الزَّمَخْشَرِيِّ هنا صَحِيحٌ لا غُبارَ عليه، وإنْ كان قد يَخْفَى فيه إنْكارُ خَلْقِ اللهِ لأَفعالِ العِبادِ، لاعْتِقادِهِ أَنَّ الشَّرَّ الصَّادِرَ عنهم لَيْسَ مَخْلُوقًا له!! لكِنَّ قَوْلَهُ في هذا المَوْضِعِ هو المُوافِقُ لظاهِرِ الآيَةِ؛ فإنَّ الشَّرَّ مَنْسُوبٌ فيها إلى المَخْلوقِ ولَيْسَ إلى الخالِقِ، كما يَزْعُمُ ابْنُ المُنَيِّرِ.

فإنَّهُ - أي ابْنُ المُنَيِّرِ - يَزْعُمُ أَنَّ الشَّرَّ الصَّادِرَ عَنِ المَخْلُوقاتِ هو فِعْلُ اللهِ، وأَنَّهُ يُنْسَبُ إليه بهذا المَعْنَى بناءً على قاعِدَتِهِ الفاسِدَةِ المَبْنِيَّةِ على أَساسِ أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ في الوُجودِ هو فِعْلُ اللهِ على الحَقِيقَةِ، وإنْ نُسِبَ إلى مَن قامَ به بطَرِيقِ المَجازِ، وأَنَّ اللهَ إنَّما يَفْعَلُ لمَحْضِ المَشيئَةِ مِن غَيْرِ اعْتِبارِ عِلَّةٍ ولا غايَةٍ ولا حِكْمَةٍ فيما يَفْعَلُ، وقد بَيَّنْتُ فيما سَبَقَ ما اشْتَمَلَ عليه هذا القَوْلُ من أُصُولٍ فاسِدَةٍ ومَعانٍ باطِلَةٍ.

ولو كان الأَمْرُ كما زَعَمَ ابْنُ المُنَيِّرِ هنا لَكانَ المُسْتَعاذُ منه هو اللهَ؟! وكَفَى بهذا المَعْنَى دَلِيلاً على بُطْلانِ هذا القَوْلِ وفَسادِهِ.

والقَوْلُ الفَصْلُ في هذه الآيَةِ - إنْ شاءَ اللهُ - هو أَنَّ (ما) في قَوْلِهِ: ﴿مَا خَلَقَ ۝٢﴾ هي المُوصِلَةُ لَيْسَ إلاَّ، والمَعْنَى: من شَرِّ كُلِّ مَخْلُوقٍ فيه شَرٌّ؛ فإنَّ الشَّرَّ في الآيَةِ مُسْنَدٌ إلى المَخْلُوقِ المَفْعُولِ، لا إلى خَلْقِ الرَّبِّ تعالى، الَّذِي هو فِعْلُهُ وتَكْوِينُهُ، فإنَّهُ لا شَرَّ فيه بوَجْهٍ ما، فإنَّ الشَّرَّ لا يَدْخُلُ في شَيْءٍ من صِفاتِهِ ولا في أَفعالِهِ، كما لا يَلْحَقُ ذاتَهُ تَبارَكَ وتَعالى، فإنَّ ذاتَهُ لها الكَمالُ المُطْلَقُ الَّذِي لا نَقْصَ فيه بوَجْهٍ مِنَ الوُجوهِ، وأَوْصافُهُ كذلك، وكذلك أَفْعالُهُ كُلُّها خَيْراتٌ مَحْضَةٌ لا شَرَّ فيها أَصْلاً، ولو فَعَلَ الشَّرَّ سُبْحانَهُ لاشْتَقَّ له منه اسْمًا، ولم تَكُنْ أَسْماؤُهُ كُلُّها حُسْنَى، ولَعادَ له منه حُكْمٌ، تعالى وتَقَدَّسَ عن ذلك.

وهنا أَمْرانِ لا بُدَّ من مُلاحَظَتِهِما:

الأَوَّلُ: أَنَّ ما هو شَرٌّ أو مُتَضَمِّنٌ للشَّرِّ، فإنَّهُ لا يَكونُ إلاَّ مَفْعولاً مُنْفَصِلاً، لا يَكونُ وَصْفًا له ولا فِعْلاً من أَفعالِهِ.

الثَّانِي: أَنَّ كَوْنَهُ شَرًّا هو أَمْرٌ نِسْبِيٌّ إضافِيٌّ، فهو خَيْرٌ من جِهَةِ تَعَلُّقِ فِعْلِ الرَّبِّ وتَكْوِينِهِ به، وشَرٌّ من جِهَةِ نِسْبَتِهِ إلى مَن هو شَرٌّ في حَقِّهِ، فله وَجْهانِ: أَحَدُهما خَيْرٌ، وهو الوَجْهُ الَّذِي نُسِبَ منه إلى الخالِقِ سُبْحانَهُ وتعالى خَلْقًا وتَكْوِينًا ومَشِيئَةً؛ لِمَا فيه مِنَ الحِكْمَةِ البالِغَةِ الَّتِي اسْتَأْثَرَ بعِلْمِها، وأَطْلَعَ مَن شاءَ مِن خَلْقِهِ على ما يَشاءُ منها.

والثَّاني شرٌّ، وهو الوَجْهُ الَّذِي يُنْسَبُ إلى مَن صَدَرَ مِنه الشَّرُّ مِن مَخْلُوقاتِهِ.

فالرَبُّ سُبْحانَهُ وتعالى هو الغَنِيُّ الحَمِيدُ، وفاعِلُ الشَّرِّ لا يَفْعَلُهُ إلاَّ لحاجَتِهِ المُنافِيَةِ لغِناهُ، أو لنَقْصِهِ وعَيْبِهِ المُنافِي لحَمْدِهِ، فيَسْتَحِيلُ صُدورُ الشَّرِّ مِنَ الغَنِيِّ الحَمِيدِ فِعْلاً، وإنْ كانَ هو الخالِقَ للخَيْرِ والشَّرِّ، وقد تَبَيَّنَ مِمَّا سَبَقَ أنَّ كَوْنَهُ شَرًّا هو أَمْرٌ إضافِيٌّ، وهو في نَفْسِهِ خَيْرٌ من جهَةِ نِسْبَتِهِ إلى خالِقِهِ ومُبْدِعِهِ). [المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف: ١١٢٢/٢- ١١٢٣]

الشر لا ينسب إلى الله تعالى

قالَ ابنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (وبالجُمْلَةِ فالكلمةُ الجامعةُ لهذا هي الكلمةُ التي أَثْنَى بها رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ربِّه، حيثُ يقولُ: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»، فالشَّرُّ لا يُضافُ إلى مَن الخيرُ بيدَيْهِ، وإنما يُنْسَبُ إلى المخلوقِ، كقولِه تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝﴾.

فأَمَرَه أن يَستعيذَ به من الشرِّ الذي في المخلوقِ، فهو الذي يُعيذُ منه ويُنْجِي منه.

وإذا أَخْلَى العَبْدُ قَلْبَه من مَحَبَّتِه والإنابةِ إليه وطَلَبِ مَرْضَاتِه، وأَخْلَى لسانَه من ذِكْرِه والثناءِ عليه، وجَوارِحَه من شُكْرِه وطَاعتِه، فلم يُرِدْ من نفسِه ذلك ونَسِيَ ربَّه لم يُرِدِ اللهُ – سبحانه – أن يُعيذَه من ذلك الشرِّ، ونَسِيَه كما نَسِيَه، وقَطَعَ الإمدادَ الواصِلَ إليه منه، كما قَطَعَ العَبْدُ عُبُودِيَّتَه والشكْرَ والتقوى التي تَنالُه من عِبادِه، قالَ تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] فإذا أَمْسَكَ العَبْدُ عما يَنالُ ربُّه منه، أَمْسَكَ الربُّ عما يَنالُ العَبْدُ من توفيقِه.

وقد صَرَّحَ – سبحانَه – بهذا المعنى بعينِه في قولِه - تعالى- : ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝﴾ [الأنعام: ١١٠] أي نُخَلِّي بينَهم وبينَ نفوسِهم التي ليس لهم منها إلا الظلْمُ والجَهْلُ، وقالَ تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩] وقالَ تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]، فعَدَمُ إرادتِه تطهيرَهم، وتَخْلِيَتُه بينَهم وبينَ نفوسِهم، أَوْجَبَ لهم من الشرِّ ما أَوْجَبَه.

فالذي إلى الربِّ وبيَدَيْهِ ومنه هو الخيرُ، والشَّرُّ كان منهم مَصْدَرُه، وإليهم كان منتهاه، فمنهم ابْتُدِئَتْ أسبابُه بخِذلانِ اللهِ – تعالى – لهم تارَةً وبعُقوبَتِه لهم به تارَةً، وإليهم انتهتْ غايتُه ووُقوعُه.

فتَأَمَّلْ هذا الموضِعَ كما يَنبغِي، فإنه يَحُلُّ عنك إشكالاتٍ حارَ فيها أكثَرُ الناسِ، ولم يَهْتَدُوا إلى الجَمْعِ بينَ المُلْكِ والحمْدِ والعَدْلِ والحِكْمَةِ). [انظر مختصر الصواعق: ٣١٥]

قلتُ: (لابنِ القيمِ رحِمه اللهُ كتابٌ حافلٌ سماه (شفاءُ العليلِ في مسائلِ القضاءِ والقدرِ والحكمةِ والتعليلِ)، وقد عقَدَ فيه باباً طويلاً في تنزيه القضاءِ الإلهيِّ عن الشرِّ، وقد لخصتُه في كتابٍ لطيفٍ.

وقد منَّ اللهُ عليَّ مرةً أخرى بجمعِ ما تفرقَ من كلامِ ابنِ القيمِ في سائرِ كتبِه عن دلالةِ أسماءِ اللهِ الحسنى على تنزيهِ اللهِ تعالى عن الشرورِ والنقائصِ والعيوبِ، وجعلتُه في بابٍ ضمنَ كتابي: (المرتبعُ الأسنى في رياضِ الأسماءِ الحسنى)).

بيان المستشكل

الاستعاذة من الشر وهو من خلق الله

قالَ مُحمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (المسألةُ الثانيةُ: طَعَنَ بَعْضُ المُلْحِدَةِ في قولِه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ مِن وجوهٍ:

أحدُها: أنَّ المُستعاذَ منه أَهُوَ وَاقِعٌ بقَضَاءِ اللَّهِ وقَدَرِه، أو لا بقَضَاءِ اللَّهِ وَلا بقَدَرِه؟

فإنْ كان الأَوَّلَ كيف أَمَرَ بأَنْ يَسْتَعِيذَ باللَّهِ منه؛ وذلك لأنَّ مَا قَضَى اللَّهُ به وقدَّرَه فهو وَاقِعٌ، فكأنَّه تعالى يقولُ: الشَّيْءُ الذي قَضَيْتُ بوُقُوعِه، وهو لا بُدَّ وَاقِعٌ، فاسْتَعِذْ بي منه حتى لا أُوقِعَهُ، وإنْ لَمْ يَكُنْ بقَضائِه وقَدَرِه، فذلك يَقْدَحُ في مُلْكِ اللَّهِ ومَلَكُوتِه، وثانيها: أنَّ المُسْتعاذَ منه إنْ كانَ مَعْلومَ الوقوعِ فلا دَافِعَ له، فلا فَائِدَةَ في الاستعاذةِ، وإنْ كانَ مَعْلومَ اللاَّوُقوعِ، فلا حَاجَةَ إلى الاستعاذةِ، وثالِثُها: أَنَّ المُسْتعاذَ منه إنْ كانَ مَصْلَحَةً فكيف رَغِبَ المُكَلَّفُ في طَلَبِ دَفْعِه ومَنْعِه، وإنْ كانَ مَفْسَدَةً فكيف خَلَقَه وقَدَّرَه؟

واعْلَمْ أنَّ الجوابَ عن أمثالِ هذه الشُّبُهاتِ أَنْ يُقالَ: إنه لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وقَدْ تَكَرَّرَ هذا الكلامُ في هذا الكِتَابِ). [التفسير الكبير: ٣٢/١٧٧]

قالَ مُحمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (فإنْ قِيلَ: الآلامُ الحَاصِلَةُ عَقِيبَ الماءِ والنَّارِ ولَدْغِ الحَيَّةِ والعَقْرَبِ حَاصِلَةٌ بخَلْقِ اللَّهِ تعالى ابتداءً، على قولِ أَكْثَرِ المُتَكَلِّمِينَ، أو مُتَوَلِّدَةٌ مِن قُوًى خَلَقَها اللَّهُ تعالى في هذه الأَجْرَامِ، على ما هو قولُ جُمهورِ الحُكماءِ وبعضِ المُتَكَلِّمِينَ، وعلى التَّقْدِيرَيْنِ فيَصِيرُ حَاصِلُ الآيةِ أَنَّه تعالى أَمَرَ الرسولَ عَلَيْهِ السَّلامُ بأَنْ يَسْتَعِيذَ باللَّهِ مِن اللَّهِ، فما مَعْنَاهُ؟ قُلْنَا: وأَيُّ بَأْسٍ بذلك، ولَقَدْ صَرَّحَ عَلَيْهِ السَّلامُ بذلك، فقالَ: «وأَعُوذُ بكَ مِنْكَ»، ورابِعُها: أَرَادَ به مَا خَلَقَ مِن الأمراضِ والأَسْقامِ والقَحْطِ وأنواعِ المِحَنِ والآفَاتِ، وزَعَمَ الجُبَّائِيُّ والقَاضِي أَنَّ هذا التَّفْسِيرَ باطِلٌ؛ لأنَّ فِعْلَ اللَّهِ تعالى لا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بأنه شَرٌّ. قالُوا: ويَدُلُّ عليه وُجُوهٌ: الأَوَّلُ: أَنَّه يَلْزَمُ على هذا التَّقْديرِ أَنَّ الذي أَمَرَ بالتَّعَوُّذِ منه هو الذي أَمَرَنا أَنْ نَتَعَوَّذَ به، وذلك مُتناقِضٌ، والثاني: أَنَّ أَفْعالَ اللَّهِ كلَّها حِكْمَةٌ وصَوابٌ، وذلك لا يَجُوزُ أَنْ يُقالَ: إِنَّه شَرٌّ، والثالِثُ: أَنَّ فِعْلَ اللَّهِ لو كان شَرًّا لوُصِفَ فاعِلُه بأَنَّه شِرِّيرٌ، ويتعالى اللَّهُ عن ذلك.

والجَوابُ عن الأَوَّلِ أَنَّا بَيَّنَّا أَنَّه لا امْتِناعَ في قَوْلِه: «أَعُوذُ بكَ مِنْكَ»، وعن الثاني: أَنَّ الإنسانَ لَمَّا تَأَلَّمَ به فإِنَّه يُعَدُّ شَرًّا، فورَدَ اللَّفْظُ على وَفْقِ قَوْلِه، كما في قولِه: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] وقولِه:

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] وعَنِ الثَّالِثِ: أَنَّ أَسْماءَ اللَّهِ تَوْقِيفِيَّةٌ، لا اصْطِلاحِيَّةٌ، ثُمَّ الذي يَدُلُّ على جَوازِ تَسْمِيَةِ الأَمْراضِ والأَسْقامِ بأَنَّها شُرورٌ قولُه تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠﴾ [المعارج: ٢٠] وقولُه: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ٥١﴾ [فصلت: ٥١] وكان عَلَيْهِ السَّلامُ يَقولُ: «وأَعُوذُ بكَ مِنْ شَرِّ طَوارِقِ اللَّيْلِ والنَّهارِ»). [التفسير الكبير: ٣٢/١٧٧]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحمَّدٍ الخازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (فإنْ قُلْتَ: المُسْتَعاذُ منهُ هلْ هوَ بقضاءِ اللَّهِ وقَدَرِهِ، فذلكَ قَدْحٌ في القُدْرَةِ، قُلْتُ: كلُّ ما وَقَعَ في الوُجُودِ هوَ بقضاءِ اللَّهِ وقدرِهِ، والاستشْفَاءُ بالتَّعَوُّذِ والرُّقى مِنْ قضاءِ اللَّهِ وقدرِهِ، يدُلُّ على صحَّةِ ذلكَ ما رَوى التِّرْمِذِيُّ عن ابنِ أبي خُزامَةَ، عنْ أبيهِ، قالَ: سَأَلتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فَقُلْتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أرأيْتَ رُقًى نَسْتَرْقِي بها، ودواءً نَتَداوَى بهِ، وتُقاةً نَتَّقِيهَا، هلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ شيئًا؟ قالَ: «هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ تَعالَى». قالَ التِّرْمِذِيُّ: هذا حديثٌ حَسَنٌ. وعنْ عُمَرَ: نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إلى قَدَرِ اللَّهِ تعالى). [لباب التأويل: ٤/٥٠٠]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (**(فإنْ قيلَ**: المستعاذُ منهُ هلْ هوَ بقضاءِ اللَّهِ وقدرِهِ أوْ لا، فإنْ كانَ بقضاءِ اللَّهِ وقدرِهِ فكيفَ أمرَ بالاستعاذةِ معَ أنَّ ما قدَّر لا بدَّ واقِعٌ، وإنْ لمْ يكنْ بقضاءِ اللَّهِ وقدرِهِ فذلكَ قَدْحٌ في القُدْرةِ، **أُجِيبَ** بأنَّ كلَّ ما وقعَ في الوجودِ فهوَ بقضاءِ اللَّهِ وقدرِهِ، والاستشفاءُ بالتَّعَوُّذِ والرُّقَى مِن قَضاءِ اللَّهِ، يَدُلُّ على صحَّةِ ذلكَ ما رَوى التِّرمذيُّ عنْ أبي خُزَامَةَ عنْ أبيهِ، قَالَ: سألتُ رَسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلمَ فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أرأيتَ رُقًى نسْتَرْقِي بها، ودواءٌ نتداوَى بهِ، وتُقَاةٌ نتَّقِيها، هلْ يَرُدُّ مِن قضاءِ اللَّهِ شيئًا؟ قَالَ: «هُوَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ». قَالَ التِّرمذيُّ: هَذَا حديثٌ حَسَنٌ. وعنْ عُمَرَ: نَفِرُّ منْ قَدَرِ اللَّهِ إلى قَدَرِ اللَّهِ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٢]

تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣)﴾

الصرف

■ جمع (شر) و (خير)

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالَوَيْهِ (ت: ٣٧٠هـ): (وَجمْعُ شَرٍّ شُرُورٌ، وَجمْعُ خَيْرٍ خُيُورٌ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٤]

■ أفعل التفضيل من (خير) و (شر)

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (فإنْ قَالَ قائِلٌ: جَميعُ مَا فِي كَلامِ العَرَبِ أَفْعَلُ مِنْ كَذَا فِي مَعْنَى التَّفَاضُلِ يَجِيءُ بالألِفِ، نَحْوُ قَوْلِكَ: زَيْدٌ أَفْضَلُ مِنْ عَمْرٍو، وَزَيْدٌ أَكْتَبُ مِنْ خَالِدٍ، إلاَّ فِي خَيْرٍ وشَرٍّ؛ فَإِنَّهُمْ قَالُوا: زَيْدٌ خَيْرٌ مِنْ عَمْرٍو، وَشَرٌّ مِنْ عَمْرٍو. ولَمْ يَقُولُوا: أَخْيَرُ ولا أَشَرُّ، فَلِمَ أَسْقَطُوا الأَلِفَ مِنْ هَذَيْنِ؟ فَقُلْ لِعِلَّتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا أنَّ خَيْرًا وشَرًّا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُمَا فَحُذِفَتْ أَلِفُهُمَا. وَقَالَ الأَخْفَشُ: جَمِيعُ مَا يُقَالُ فِيهِ: أَفْعَلُ مِنْ كَذَا لا يَنْصَرِفُ إلاَّ خَيْرًا وشَرًّا؛ فَإِنَّهُمَا يَنْصرِفَانِ، فَحُذِفَتْ أَلِفُهُمَا إِذْ فَارَقَا نَظَائِرَهُمَا). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٤]

■ غاسق

قَالَ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ الفَرَّاءُ: (ت: ٢٠٧هـ): (ويُقالُ: غَسَقَ وأَغسَقَ). [معاني القرآن: ٣/٣٠١]

قَالَ الأَخْفَشُ سَعِيدُ بْنُ مَسْعَدَةَ البَلْخِيُّ (ت: ٢١٥هـ): (وقولُه: ﴿مِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣)﴾:

تقولُ: غَسَقَ يَغْسِقُ غُسُوقًا، وهي الظُّلْمَةُ، ووَقَبَ يَقِبُ وُقُوبًا، وهو الدخولُ في الشيءِ). [معاني القرآن: ٢/٥٤٩]

قَالَ اليمانُ بنُ أبي اليمانِ البَنْدَنِيجِيُّ (ت: ٢٨٤هـ): (وَالغُسُوقُ مَصْدَرُ غَسَقَ الليلُ يَغْسِقُ إِذَا أَظْلَمَ). [التقفيه في اللغة: ٦٠٧]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (يُقَالُ: غَسَقَ اللَّيْلُ وأَغْسَقَ إذَا أَظْلَمَ، وَغَسَقَتْ عَيْنُهُ تَغْسِقُ إِذَا دَمَعَتْ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٤] (م)

قَالَ حُسَيْنُ بنُ أَبي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (وقولُه: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣)﴾ الغُسوقُ: الإظلامُ، يُقالُ: غَسَقَ الليلُ يَغْسِقُ غُسوقًا إذا أَقْبَلَ ظَلامُه، كلُّ شيءٍ اسْوَدَّ فقدَ غَسَقَ). [الفريد: ٤/٧٥١] (م)

قَالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (يُقالُ: غَسَقَ الليلُ يَغْسِقُ، إذا أَظْلَمَ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٧] (م)

■ وقب

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (وَالمَصْدَرُ مِنْ وَقَبَ يَقِبُ وَقْبًا وَوُقُوبًا فَهُوَ وَاقِبٌ، وَالأَمْرُ قِبْ، وَقِبَا، وَقِبُوا، وَقِبِي، وَقِبَا، وَقِبْنَ، وَيُقَالُ: وَقَبَ الفَرَسُ والبِرْذَوْنُ يَقِبُ وَقِيبًا ووُقُوبًا فَهُوَ وَاقِبٌ، وَهُوَ الَّذِي تَسْمَعُهُ مِنْ جَوْفِهِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٥]

الإعراب

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿ وَمِن شَرِّ ﴾ الواوُ حَرْفُ نَسَقٍ. وَ﴿شَرِّ ﴾ جَرٌّ بِمِنْ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٤]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿ غَاسِقٍ ﴾ جَرٌّ بالإضَافَةِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٤]

قَالَ السَّمِينُ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الحَلَبِيُّ (ت: ٧٥٦هـ): (وَ ﴿إِذَا ﴾ منصوبٌ بـ ﴿أَعُوذُ ﴾ أيْ: أَعُوذُ باللَّهِ مِنْ هذا في وَقتِ كذا). [الدر المصون: ١١/١٥٩] (م)

قَالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (قَوْلُهُ: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ ﴾ "إِذَا" مَنْصُوبٌ بـ "أَعُوذُ" أي: أَعُوذُ باللَّهِ مِنْ هَذَا في وَقْتِ كذا وكذا). [اللباب: ٢٠/٥٧١] (م)

قَالَ مُحَمَّد الطَّاهِر بْن عَاشُور (ت: ١٣٩٣هـ): (فالغاسِقُ صِفَةٌ لِمَوصوفٍ مَحذوفٍ لظُهورِه مِن معنى وَصْفِه، مِثْلُ الجواري في قولِه تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ ﴾ [الشورى: ٣٢]). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٧]

البلاغة

الاستعارة المكنية في الآية

قَالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ محمدُ بنُ الحُسَينِ الموسَوِيُّ (ت: ٤٠٦هـ): (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ مِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ ﴾ وَهَذِهِ اسْتِعَارَةٌ وَالْمُرَادُ بالغَاسِقِ هُنَا اللَّيْلُ). [تلخيص البيان: ٣٤٠] (م)

قَالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (وقَالَ الزَّجَّاجُ: قِيلَ للَّيْلِ: غَاسِقٌ؛ لأَنَّه أَبْرَدُ مِنَ النَّهَارِ، والغَاسِقُ: البَارِدُ، وَالغَسَقُ: البَردُ، ولأَنَّ في اللَّيْلِ تَخْرُجُ السِّبَاعُ مِنْ آجَامِهَا، والهَوَامُّ مِنْ أَمَاكِنِهَا، وَيَنْبَعِثُ أَهْلُ الشَّرِّ عَلَى العَبَثِ والفَسَادِ، فَاسْتُعِيرَ مِنَ اللَّيْلِ). [اللباب: ٢٠/٥٧٢] (م)

معنى التنكير في (غاسق)

قَالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وتَنكيرُ ﴿ غَاسِقٍ ﴾ للجنْسِ؛ لأنَّ المُرادَ جِنْسُ الليلِ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٧]

قَالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وتَنكيرُ ﴿ غَاسِقٍ ﴾ في مَقامِ الدُّعاءِ يُرادُ به العُمومُ؛ لأنَّ مَقامَ الدُّعاءِ يُناسِبُ التعميمَ.

ومنه قولُ الحَرِيرِيِّ في المَقامَةِ الخامِسَةِ: (يَا أَهْلَ ذا المَغْنَى وُقِيتُمْ ضرّا)، أيْ: وُقِيتُمْ كُلَّ ضرٍّ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٧]

المجاز العقلي في قولهم: أغدر الليل

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (يُقالُ: أَغْدَرَ الليلُ؛ لأنه إذا اشتَدَّ ظلامُه كَثُرَ الغَدْرُ فيه، فعُبِّرَ عن ذلك بأنه أَغْدَرَ، أيْ: صارَ ذا غَدْرٍ على طَريقِ المَجازِ العَقْلِيِّ). [التحرير والتنوير: ٦٢٧/٣٠]

التفسير

المراد بالغاسق في الآية، ومعنى وُقُوبه

قَالَ عَبْدُ الخَالِقِ بْنُ الحَسَنِ ابنُ أَبي رُوبَا (ت:٣٥٦ هـ): حدَّثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ ثابتٍ الثَّورِيُّ، عن أَبيه، عن الهُذَيْلِ بنِ حَبيبٍ، عنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ البَلْخِيِّ (ت:١٥٠هـ): (﴿مِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾ يَعْنِي ظُلْمَةَ اللَّيْلِ ﴿إِذَا وَقَبَ ③﴾ يَعْنِي: إِذَا دَخَلَتْ ظُلْمَةُ اللَّيْلِ فِي ضَوْءِ النَّهارِ، إِذَا غابَتِ الشَّمْسُ فاخْتَلَطَ الظَّلامُ). [تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٧/٣]

قالَ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ الفَرَّاءُ: (ت: ٢٠٧هـ): (وقولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③﴾.

والغاسِقُ: الليلُ.

﴿إِذَا وَقَبَ ③﴾ إذا دخَلَ في كلِّ شيءٍ وأظْلَمَ. ويُقالُ: غسَقَ وأَغسَقَ). [معاني القرآن: ٣٠١/٣]

قالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت: ٢١١هـ): (عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الحَسَنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③﴾ قَالَ: إِذَا أَقْبَلَ، إِذَا دَخَلَ عَلَى النَّاسِ.

عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ: إِذَا غَابَ، إِذَا ذَهَبَ). [تفسير عبد الرزاق: ٤٠٨/٢]

قالَ الأَخْفَشُ سَعِيدُ بْنُ مَسْعَدَةَ البَلْخِيُّ (ت: ٢١٥هـ): (وقولُه: ﴿مِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③﴾ تقولُ: غَسَقَ يَغْسِقُ غُسُوقًا، وهي الظُّلْمَةُ، ووَقَبَ يَقِبُ وُقُوبًا، وهو الدخولُ في الشيءِ). [معاني القرآن: ٥٤٩/٢]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ يَحْيَى بْنِ المُبَارَكِ اليَزِيدِيُّ (ت: ٢٣٧هـ): (﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③﴾: الغاسِقُ في التفسيرِ: القمرُ. وقالوا: الليلُ. ﴿وَقَبَ ③﴾: دخَلَ وغابَ). [غريب القرآن وتفسيره: ٤٤٧]

قال محمدُ بنُ إسماعيلَ البخاريُّ (ت: ٢٥٦هـ) : (وقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: الصُّبْح، و﴿غَاسِقٍ﴾ اللَّيْلِ ﴿إِذَا وَقَبَ ③﴾: غُرُوبُ الشَّمْسِ. يُقَالُ: أَبْيَنُ مِنْ فَرَقٍ وفَلَقِ الصُّبْحِ. ﴿وَقَبَ ③﴾ إذا دَخَلَ في كُلِّ شَيْءٍ وأَظْلَمَ). [صحيح البخاري: ٣١١/٥]

- **قال محمدُ بنُ يُوسفَ بنِ عليٍّ الكِرْمانيُّ (ت: ٧٨٦هـ):** (قَالَ تَعَالَى: ﴿مِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③﴾ الغَاسِقُ: اللَّيْلُ، والوُقُوبُ: غُرُوبُ الشَّمْسِ والدُّخُولُ في مَوْضِعِهَا، ويُقَالُ: وَقَبَ إِذَا دَخَلَ في كُلِّ شَيْءٍ فَأَظْلَمَ، وَأَمَّا الفَلَقُ والفَرَقُ فَهُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ). [شرح الكرماني: ٢١٨/١٧]

- **قال أحمدُ بنُ عَليِّ بنِ حَجَرٍ العَسْقَلانيُّ (ت: ٨٥٢هـ):** (وقالَ ابنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ عَمْرٍو، ثنا أبو عاصمٍ، ثنا عِيسَى، عنِ ابنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجاهِدٍ، في قَوْلِهِ: ﴿غَاسِقٍ﴾: قال: الليلُ.
﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾، قالَ: إذا دَخَلَ). [تغليق التعليق: ٣٨١/٧]

- **قال أحمدُ بنُ عَليِّ بنِ حجرٍ العَسْقَلانيُّ (ت: ٨٥٢هـ):** (قولُهُ: (وَ﴿غَاسِقٍ﴾: اللَّيْلُ، ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾: غُرُوبُ الشَّمْسِ) وصَلَهُ الطَّبَرِيُّ مِنْ طَرِيقِ مُجَاهِدٍ بلَفظِ: ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾: اللَّيْلُ إذا دَخَلَ). [فتح الباري: ٧٤١/٨]

- **قال أحمدُ بنُ عَليِّ بنِ حجرٍ العَسْقَلانيُّ (ت: ٨٥٢هـ):** (قولُهُ: (وَقَبَ: إِذَا دَخَلَ في كُلِّ شَيْءٍ وأَظْلَمَ) هُوَ كلامُ الفَرَّاءِ أيضًا، وجاءَ في حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ أَنَّ الغَاسِقَ القَمَرُ. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ والحَاكِمُ مِنْ طَرِيقِ أَبِي سَلَمَةَ عن عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ نَظَرَ إلى القَمَرِ فقَالَ: «يَا عَائِشَةُ اسْتَعِيذِي باللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا» قَالَ: «هَذَا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ» إسنادُهُ حَسَنٌ). [فتح الباري: ٧٤١/٨]

- **قال محمودُ بنُ أحمدَ بنِ موسى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ):** (وَقَبَ: إِذَا دَخَلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَأَظْلَمَ).
أَيْ: قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾: إِنَّ الغَاسِقَ: اللَّيْلُ. وإِذَا وَقَبَ: غُرُوبُ الشَّمْسِ. وكَذَا رُوِيَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، ووَقَبَ مِنَ الوُقُوبِ وَهُوَ غُرُوبُ الشَّمْسِ وَالدُّخُولُ فِي مَوْضِعِهَا، وَيُقَالُ: وَقَبَ إِذَا دَخَلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَأَظْلَمَ، وَهُوَ كَلامُ الفَرَّاءِ). [عمدة القاري: ١٠/٢٠]

- **قالَ جلالُ الدينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أبي بكرٍ السيوطيُّ (ت: ٩١١هـ):** (وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: الصُّبْح، و﴿غَاسِقٍ﴾: اللَّيْلِ. ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾: غُرُوبُ الشَّمْسِ، يُقَالُ: أَبْيَنُ مِنْ فَرَقِ وفَلَقِ الصُّبْح. ﴿وَقَبَ ۝٣﴾ إذا دَخَلَ في كُلِّ شَيْءٍ وأَظْلَمَ). [التَّوْشِيح: ٣١٦٢/٧] (م)

- **قال أحمدُ بنُ محمدِ بن أبي بكرٍ القَسْطَلاَّنيُّ (ت: ٩٢٣هـ):** ((وَغَاسِقٍ) بالرَّفْعِ وَبالجَرِّ وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِلتَّنْزِيلِ (اللَّيْلِ) أَيِ: العَظِيمِ ظَلامُهُ (إِذَا وَقَبَ) أَيْ: (غُرُوبُ الشَّمْسِ، يُقَالُ: أَبْيَنُ مِنْ فَرَقِ وَفَلَقِ الصُّبْحِ) الأَوَّلُ بالرَّاءِ وَالثَّانِي باللاَّمِ. (وَقَبَ إِذَا دَخَلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَأَظْلَمَ) بغُرُوب الشَّمْسِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ القَمَرُ فَإِنَّهُ يَكْسِفُ فَيَغْسِقُ، وَوُقُوبُهُ: دُخُولُهُ فِي الكُسُوفِ، وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ وَالحَاكِمِ: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهَا فَأَرَاهَا القَمَرَ حِينَ طَلَعَ، وَقَالَ: «تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ»). [إرشاد الساري: ٤٤١/٧]

- **قال أحمدُ بنُ محمدِ بن أبي بكرٍ القَسْطَلاَّنيُّ (ت: ٩٢٣هـ):** (قَالَ فِي شَرْحِ المِشْكَاةِ: لَمَّا سُحِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَشْفَى بالمُعَوِّذَتَيْنِ؛ لأَنَّهُمَا مِنَ الجَوَامِعِ فِي هَذَا البَابِ، فَتَأَمَّلْ فِي أُولاهُمَا كَيْفَ خَصَّ وَصفَ الْمُسْتَعَاذِ بِهِ بربِّ الفلَقِ، أَيْ بفَالِقِ الإِصْبَاحِ؛ لأَنَّ هَذَا الوَقْتَ وَقْتُ فَيَضَانِ الأَنْوَارِ وَنُزُولِ الخَيْرَاتِ وَالبَرَكَاتِ، وَخَصَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ بِمَا خَلَقَ، فَابْتَدَأَ بالعَامِّ فِي قَوْلِهِ: مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، أَيْ: مِنْ شَرِّ خَلْقِهِ، ثُمَّ ثَنَّى بالعَطْفِ عَلَيْهِ مَا هُوَ شَرُّهُ أَخْفَى؛ وهو نَقِيضُ انْفِلاقِ الصُّبحِ مِنْ دُخُولِ الظَّلامِ وَاعْتِكَارِهِ المَعْنِيِّ بقَوْلِهِ: (وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) لأَنَّ إِثْبَاتَ الشَّرِّ فيه أَكْثَرُ، وَالتَّحَرُّزَ منه أَصْعَبُ، ومنه قَوْلُهُمْ: اللَّيْلُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ). [إرشاد الساري: ٤٤١/٧]

- **قال عبيدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سُلَيمانَ الجابريُّ (م)**: (شَرْحُ جُمْلَةٍ مِنَ الآثارِ والكَلِمَاتِ:

١- " وقالَ مُجَاهِدٌ: [غَاسِقٍ] اللَّيْلُ ".

ش: أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، ثَنِي مُحَمَّدُ بنُ عَمْرٍو، ثَنَا أَبُو عاصِمٍ، ثَنَا عِيسَى، وثَنِي الحارِثُ، ثَنَا الحَسَنُ، ثَنَا وَرْقَاءُ، جَمِيعًا عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فَذَكَرَهُ، وهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ والحَسَنِ والقُرَظِيِّ، وهُوَ أَحَدُ ثَلاثَةِ أَقْوَالٍ حَكَاهَا فِي الآيَةِ.

وثَانِيها: أَنَّهُ الكَوْكَبُ وأَنَّهُ الثُّرَيَّا، وبِهِ قالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وابنُ زَيْدٍ.

وثالِثُهَا: أَنَّهُ القَمَرُ، وهُوَ قَوْلُ عَائِشَةَ ويَزِيدَ بنِ هَارُونَ.

واخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَوَّلَ هذِهِ الأَقْوَالِ، فَقَالَ: وهُوَ الذي يُظْلِمُ، يُقَالُ: غَسَقَ اللَّيْلُ يَغْسِقُ غُسُوقًا، إذا أَظْلَمَ.

وعندي أَنَّهُ لا مُنَافَاةَ بَيْنَ هذِهِ الأَقْوَالِ الثلاثةِ؛ لأَنَّ ظاهِرَ الآيةِ أَمْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ بالاستِعَاذَةِ مِنْ كُلِّ مُضِيءٍ إذا أَظْلَمَ. واللهُ أَعْلَمُ.

٢- " [إذا وَقَبَ] غُرُوبُ الشَّمْسِ ".

ش: أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ بهذا اللفظِ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ كَعْبٍ القُرَظِيِّ). [إمداد القاري: ٤/٤٨٢]

- **قال عبيدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سُلَيمانَ الجابريُّ (م)**: (" [وَقَبَ] إذا دَخَلَ في كُلِّ شيءٍ وأَظْلَمَ ".

ش: قَالَهُ الفَرَّاءُ، وزَادَ: ويُقَالُ: غَسَقَ وأَغْسَقَ). [إمداد القاري: ٤/٤٨٢]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٢٧٦هـ): (والغاسِقُ: الليلُ، والغَسَقُ: الظُّلْمَةُ. ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ أي: دَخَلَ في كلِّ شيءٍ.

ويقالُ: الغاسِقُ: القمرُ إذا كُسِفَ فاسْوَدَّ. ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾: دَخَلَ في الكسوفِ). [تفسير غريب القرآن: ٥٤٣]

قالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ (ت: ٢٨٣هـ): (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ يَعْنِي إِذَا دَخَلَ اللَّيْلُ. وقِيلَ: إِذَا اشْتَدَّتْ ظُلْمَتُهُ. وقِيلَ: وُقُوبُ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ أَوَّلُ اللَّيْلِ، تُرْسَلُ فِيهِ عَفَارِيتُ الجِنِّ، فلا يُشْفَى مُصَابٌ تِلْكَ السَّاعَةَ.

قَالَ سَهْلٌ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ بَاطِنُهَا: الذِّكْرُ إِذَا دَخَلَهُ رُؤْيَةُ النَّفْسِ، فسُتِرَ عَنِ الإِخْلاصِ لِلَّهِ بالذِّكْرِ فِيهِ). [تفسير التستري: ٢١٠]

قالَ اليمانُ بنُ أبي اليمانِ البَنْدَنِيجِيُّ (ت: ٢٨٤هـ): (والغُسُوقُ: مَصْدَرُ غَسَقَ الليلُ يَغْسِقُ إِذَا أَظْلَمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾؛ أي: إِذَا دَخَلَ). [التقفيه في اللغة: ٦٠٧]

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ بنِ بَشِيرٍ الحَرْبِيُّ (ت: ٢٨٥هـ): (حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ خَالِهِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَرَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القَمَرَ فَقَالَ: هَذَا غَاسِقٌ إِذَا وَقَبَ، فَتَعَوَّذِي مِنْ شَرِّهِ.

- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حَيَّانَ، عَنْ أَبِي الْمُهَزَّمِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَوْلَهُ: ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾. كوكَبٌ.

- حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ حَجَّاجٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿غَاسِقٍ﴾ قَالَ: اللَّيْلُ).

- حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، حَدَّثَنَا يَعْلَى، عَنْ جُوَيْبِرٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ: الغَاسِقُ: اللَّيْلُ.

- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنَا جَعْفَرٌ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ: ﴿غَاسِقٍ﴾ قَالَ: اللَّيْلُ.

- حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ: الغَسَقُ: الظُّلْمَةُ، فِيمَا أَخْبَرَنَا سَلَمَةُ عَنِ الفَرَّاءِ: الغَاسِقُ: اللَّيْلُ إِذَا أَظْلَمَ.

- أَخْبَرَنَا أَبُو عمرَ، عَنِ الكِسَائِيِّ، يُقَالُ: غَسَقَ اللَّيْلُ يَغْسِقُ غَسْقًا وَغُسُوقًا.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ: إِنَّهُ قَالَ فِي القَمَرِ: هَذَا غَاسِقٌ فَتَعَوَّذِي مِنْ شَرِّهِ. كَأَنَّهُ أَمَرَهَا أَنْ تَتَعَوَّذَ مِنْ شَرِّ اللَّيْلِ وَمَا يَحْدُثُ فِيهِ، فَسَمَّى اللَّيْلَ بِبَعْضِ مَا يَكُونُ فِيهِ؛ إِذْ كَانَ القَمَرُ لا يَكُونُ إِلاَّ بِاللَّيْلِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ أَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّ الغَاسِقَ كَوْكَبٌ؛ لأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ لَيْلاً، فَسُمِّيَ اللَّيْلُ بِهِ.

وَمِثْلُهُ: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧﴾ [الإسراء: ١٠٧] فَقَالَ الْمُفَسِّرُونَ: هِيَ الوُجُوهُ. فَسُمِّيَ الوَجْهُ بِبَعْضِ مَا فِيهِ، وَهُوَ الذَّقَنُ.

وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥﴾ [النبأ: ٢٥]. فَاخْتَلَفَ القُرَّاءُ فِي قِرَاءَتِهِ، وَالْمُفَسِّرُونَ فِي تَفْسِيرِهِ، فَشَدَّدَهُ بَعْضُهُمْ، وَخَفَّفَهُ بَعْضُهُمْ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ البَرْدُ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: مَا يَسِيلُ مِنْ صَدِيدِهِمْ.

أَخْبَرَنَا الأَثْرَمُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ: وَغَسَّاقًا. قَالَ: هُوَ مَا هَمَى؛ أَيْ: سَالَ.

وَيُقَالُ: غَسَقَتِ العَيْنُ وَالجُرْحُ؛ أَيْ: سَالَ). [غَرِيبُ الحديثِ: ٢/٧١٥- ٧١٧]

قالَ هُودُ بْنُ مُحكَّمٍ الهواريُّ (ت: ق٣): (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ أي: ومن شَرِّ الليلِ إذا أَطْبَقَ. قالَ بعضُهم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ في قولِه تعالَى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] أي: اجتماع الليلِ وظُلْمَتِهِ. ذَكَرَ ذلك دَاوُدُ بْنُ حُصَيْنٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وقالَ بَعْضُهم: بُدُوُّ اللَّيْلِ). [تفسير كتاب الله العزيز: ٤/٥٤٤]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبٍ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٣٠٨هـ): (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾ مِنْ شَرِّ اللَّيْلِ ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ إِذَا دَخَلَ ظلامُهُ في كُلِّ شَيْءٍ). [الواضح: ٢/٥٢٧]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (وقولُه: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ يقولُ: ومِنْ شَرِّ مُظْلِمٍ إِذَا دَخَلَ، وهَجَمَ علينا بظلامِهِ.

ثم اخْتَلَفَ أهلُ التأويلِ في المُظْلِمِ الذي عُنِيَ في هذه الآيَةِ، وأُمِرَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاستعاذةِ مِنه.

- **فقالَ بعْضُهُم:** هو الليلُ إذا أظْلَمَ.

ذِكْرُ مَن قالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَني مُحَمَّدُ بنُ سَعْدٍ، قالَ: ثَني أبي، قالَ: ثَني عَمِّي، قالَ: ثَني أبي، عن أبيه، عن ابنِ عبَّاسٍ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ قالَ: الليلُ.

حَدَّثَنا ابنُ بَشَّارٍ، قالَ: ثَنا ابنُ أبي عَدِيٍّ، قالَ: أَنْبَأَنا عَوْفٌ، عن الحَسَنِ، في قَوْلِهِ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ قالَ: أوَّلُ الليلِ إذا أظْلَمَ.

حَدَّثَني يُونُسُ، قالَ: أخْبَرَنا ابنُ وَهْبٍ، قالَ: ثَنا أبو صَخْرٍ، عن القُرَظِيِّ، أنَّه كانَ يقولُ في: ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ يقولُ: النهارُ إذا دَخَلَ في الليلِ.

حَدَّثَنا ابنُ حُمَيْدٍ، قالَ: ثَنا مِهْرانُ، عن سُفْيانَ، عن رجلٍ مِن أهلِ المدينةِ، عن محمدِ بنِ كَعْبٍ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ قالَ: هو غروبُ الشمسِ إذا جاءَ الليلُ، إذَا وَجَبَ.

حَدَّثَني مُحَمَّدُ بنُ عَمْرٍو، قالَ: ثَنا أبو عاصِمٍ، قالَ: ثَنا عيسَى؛ وحَدَّثَني الحَارِثُ، قالَ: ثَنا الحسَنُ، قالَ: ثَنا وَرْقَاءُ، جَمِيعًا عن ابنِ أبي نَجِيحٍ، عن مُجَاهِدٍ، قولَه: ﴿غَاسِقٍ﴾ قالَ: الليلُ، ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ قالَ: إذَا دخَلَ.

حَدَّثَنا ابنُ عبدِ الأعلى، قالَ: ثَنا ابنُ ثَوْرٍ، عن مَعْمَرٍ، عن الحَسَنِ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ قالَ: الليلُ إذَا أَقْبَلَ.

حَدَّثَنا بِشْرٌ، قالَ: ثَنا يَزِيدُ، قالَ: ثَنا سعيدٌ، عن قَتَادَةَ، عن الحسنِ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ قالَ: إذا جاءَ.

حَدَّثَني عليٌّ، قالَ: ثَنا أبو صالِحٍ، قالَ: ثَني مُعَاوِيَةُ، عن عليٍّ، عن ابنِ عبَّاسٍ، قولَه: ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ يقولُ: إذا أَقْبَلَ.

وقالَ بعضُهم: هو النهارُ إذَا دَخَلَ في الليلِ، وقد ذَكَرْناه قَبْلُ.

حَدَّثَنا ابنُ حُمَيْدٍ، قالَ: ثَنا مِهْرانُ، عن سُفْيانَ، عن رجلٍ مِن أهلِ المدينَةِ، عن محمدِ بنِ كَعْبٍ القُرَظِيِّ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ قالَ: هو غروبُ الشمْسِ إذَا جاءَ الليلُ، إذَا وَجَبَ.

وقالَ آخَرُونَ: هو كوكبٌ. وكانَ بعضُهم يقولُ: ذلك الكوكبُ هو الثُّرَيَّا.

ذِكْرُ مَن قالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا مُجاهدُ بنُ موسَى، قالَ: ثَنَا يَزِيدُ، قالَ: أخبَرَنا سليمانُ بنُ حَيَّانَ، عن أبي الْمُهَزِّمِ، عن أبي هريرةَ في قَوْلِهِ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ قالَ: كَوْكَبٌ.

حَدَّثَنِي يُونُسُ، قالَ: أَخْبَرَنَا ابنُ وَهْبٍ، قالَ: قالَ ابنُ زَيْدٍ في قَوْلِهِ: ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ قالَ: كانَتِ العرَبُ تَقُولُ: الغاسِقُ: سُقُوطُ الثُّرَيَّا، وكانَت الأسقامُ والطَّوَاعِينُ تَكْثُرُ عندَ وُقُوعِها، وتَرْتَفِعُ عندَ طُلُوعِها.

ولقائِلِي هذا القوْلِ عِلَّةٌ مِن أَثَرٍ عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو ما حَدَّثَنَا به نَصْرُ بنُ عَلِيٍّ، قالَ: ثَنَا بَكَّارُ بنُ عبدِ اللهِ ابنُ أخِي هَمَّامٍ، قالَ: ثَنَا محمدُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ، عن أبيه، عن أبي سَلَمَةَ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ قالَ: «النجْمُ الغاسِقُ».

وقالَ آخَرُونَ: بل الغاسِقُ إِذَا وَقَبَ: القمَرُ، ورَوَوْا بذلك عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبرًا.

حَدَّثَنَا أبو كُرَيْبٍ، قالَ: ثَنَا وَكِيعٌ، وحَدَّثَنَا ابنُ سُفْيَانَ، قالَ: ثَنَا أبي ويَزِيدُ بنُ هارونَ به.

وحَدَّثَنَا ابنُ حُمَيْدٍ، قالَ: ثَنَا مِهْرَانُ، عن سُفْيَانَ، عن محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبي ذِئْبٍ، عن خالِه الحارِثِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن أبي سَلَمَةَ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن عائِشَةَ، قالت: أَخَذَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيدِي، ثم نَظَرَ إلى القمرِ، فقالَ: «يَا عائِشَةُ، تَعَوَّذِي باللهِ مِن شرِّ غاسِقٍ إذَا وَقَبَ، وهَذَا غَاسِقٌ إِذَا وَقَبَ».

وهذا لَفْظُ حديثِ أبي كُرَيْبٍ وابنِ وَكِيعٍ.

وأمَّا ابنُ حُمَيْدٍ، فإنه قالَ في حديثِه: قالت: أَخَذَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَدِي، فقالَ: «أَتَدْرِينَ أَيُّ شَيْءٍ هَذَا؟ تَعَوَّذِي باللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ».

حَدَّثَنَا محمدُ بنُ سِنانٍ، قالَ: ثَنَا أبو عامِرٍ، قالَ: ثَنَا ابنُ أَبِي ذِئْبٍ، عن الحارِثِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن عائِشَةَ، أن النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إلى القمرِ فقالَ: «يَا عائِشَةُ، اسْتَعِيذِي باللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ».

وأَوْلَى الأقوالِ في ذلك عندي بالصواب أن يُقالَ: إنَّ اللهَ أمَرَ نبيَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يَسْتَعِيذَ ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾ وهو الذي يُظْلِمُ، يقالُ: قد غَسَقَ الليلُ يَغْسِقُ غُسُوقًا: إذا أظلَمَ.

﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ يعني إذا دَخَلَ في ظلامِه؛ والليلُ إذا دَخَلَ في ظلامِه غاسِقٌ، والنجمُ إذا أفَلَ غاسِقٌ، والقمرُ غاسِقٌ إِذَا وَقَبَ.

ولم يُخَصِّصْ بعضُ ذلك، بل عَمَّ الأمرُ بذلك، فكلُّ غاسِقٍ فإنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ يُؤْمَرُ بالاستعاذةِ مِن شرِّهِ إِذَا وَقَبَ.

وكانَ قَتَادَةُ يقولُ في معنى وَقَبَ: ذَهَبَ.

حَدَّثَنَا ابنُ عبدِ الأعلى، قالَ: ثَنَا ابنُ ثَوْرٍ، عن مَعْمَرٍ، عن قَتَادَةَ: ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ قالَ: إِذَا ذَهَبَ.

ولستُ أعْرِفُ ما قالَ قتادَةُ في ذلك في كلامِ العربِ، بل المعروفُ مِن كلامِها مِن معنَى وَقَبَ: دَخَلَ). [جامع البيان: ٢٤/٧٤٥- ٧٤٩]

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ السَّرِيِّ الزَّجَّاجُ (ت: ٣١١هـ): (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ ﴿غَاسِقٍ﴾ يَعْنِي بِهِ اللَّيْلَ، إِذَا وَقَبَ: إِذَا دَخَلَ، وَقِيلَ: لَيْلٌ غَاسِقٌ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - لأَنَّهُ أَبْرَدُ مِنَ النَّهَارِ، وَالغَاسِقُ: البَارِدُ). [معاني القرآن وإعرابه: ٥/٣٧٩]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النحَّاسُ (ت: ٣٣٨هـ): (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ تكلَّمَ العلماءُ في معنى الغاسقِ، فعن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ أنه القمَرُ، وقد ذكَرْنَاهُ بإسنادِه.

ورَوَى عُقَيْلٌ، عن الزُّهْرِيِّ قالَ: الغَاسِقُ إذا وَقَبَ: الشَّمْسُ إذا غرَبَتْ.

قالَ أبو جَعْفرٍ: وأكثرُ أهلِ التَّفْسيرِ أنَّ الغاسِقَ الليلُ، ومنهم مَن قالَ: الكواكِبُ، فإذا رُجِعَ إلى اللُّغَةِ عُرِفَ منها أنه يُقالُ: غَسَقَ إذا أظْلَمَ، فاتَّفقَتِ الأقوالُ؛ لأنَّ الشَّمْسَ إذا غرَبَتْ دَخَلَ الليلُ، والقمَرُ بالليلِ يَكُونُ، والكوكبُ لا يَكَادُ يَطْلُعُ إلاَّ لَيْلاً؛ فصَارَ المعنَى: ومِن شَرِّ الليلِ إذا دخلَ بظُلْمَتِه فغَطَّى كلَّ شَيْءٍ. يُقالُ: وَقَبَ إذا دَخَلَ، وقولُ قَتَادَةَ: وَقَبَ: ذَهَبَ، لا يُعْرَفُ). [إعراب القرآن: ٥/٣١٣- ٣١٤]

قَالَ غُلامُ ثَعْلَبٍ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ البَغْدَادِيُّ (ت: ٣٤٥هـ): (و﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ قالَ ثعلبٌ: فيه قولانِ: هو القَمَرُ، وهو اللَّيْلُ، والقمرُ هو قولُ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «تَعوَّذِي مِنْ شَرِّ هَذَا الغَاسِقِ»، وهو الاختيارُ.

و﴿وَقَبَ ۝٣﴾ أي: دَخَلَ في كلِّ شيءٍ، ويُقالُ أيضًا: وَقَبَ إذا انْكَسَفَ، وهو دُخُولُه في غَيْرِ أَبْرَاجِهِ). [تفسير غريب القرآن: ٦١٠]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ الحَسَنِ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٣٥٢هـ): (ثَنَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: ثَنَا آدَمُ، قَالَ: ثَنَا وَرْقَاءُ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ، عن مُجَاهِدٍ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ قَالَ: الغَاسِقُ: هو اللَّيْلُ، ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾: يَعْنِي إِذَا دَخَلَ، يَعْنِي غُرُوبَ الشَّمْسِ). [تفسير مجاهد: ٧٩٦]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الكَرَجِيُّ القَصَّابُ (ت: ٣٦٠هـ): (واخْتَلَفُوا في الغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ، فَمِنْهم مَن قالَ: هو الليلُ إذا ذهَبَ، ومنهم من قالَ: هو القمَرُ، نظَرَ إليه النبيُّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ قَدِ اطَّلَعَ، فقالَ لعائشةَ: «اسْتَعِيذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ».

فمَن فَسَّرَهُ على الليلِ اختلفوا في وُقوبه: فمنهم مَن جَعَلَهُ دخولَه، ومنهم من جعلَه ذَهابَهُ). [نكت القرآن: ٤/ ٥٦٦- ٥٦٧]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الكَرَجِيُّ القَصَّابُ (ت: ٣٦٠هـ): (ومنهم مَن قالَ في الغَاسِقِ إذَا وَقَبَ: إنه القمَرُ إذا انْكَسَفَ فدخَلَ في الكُسوفِ، فأُمِرَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أنْ يَتَعَوَّذَ مِن كُلِّ هذا). [نكت القرآن: ٤/ ٥٦٨]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (والغَاسِقُ: اللَّيْلُ إذَا دَخَلَ بظُلْمَتِهِ؛ يُقَالُ: غَسَقَ اللَّيْلُ وأَغْسَقَ إذَا أَظْلَمَ، وغَسَقَتْ عَيْنُهُ تَغْسِقُ إذَا دمعَتْ. وقِيلَ الغَسَّاقُ: المَاءُ المُنْتِنُ، وقِيلَ: الغَاسِقُ القَمرُ. قَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَائِشَةَ وَقَدْ نَظرَتْ إِلى القَمرِ: «يَا عَائِشَةُ، تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ هَذَا فَإِنَّهُ الغَاسِقُ».

﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ ومَعْنَى وقَبَ ذَهَبَ ضَوْءُهُ، وإِنَّمَا يَكُونُ ذَهَابُ ضَوْئِهِ أَمارَةً لِقِيَامِ السَّاعَةِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝٩﴾ [القيامة: ٩] أيْ: جُمِعَ بَيْنَهُمَا فِي ذَهَابِ ضَوْئِهِمَا). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٤- ٢٣٥]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (ثم قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾. يعني ظُلمةَ الليلِ إذا دَخَلَ سَوادُ الليلِ في ضَوْءِ النهارِ. ويُقالُ: ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾. يعني: إذا جاءَ وأَدْبَرَ. وقالَ القُتَبِيُّ: الغَاسِقُ: الليلُ، والغَسَقُ: الظُّلْمَةُ، ويُقالُ: الغاسِقُ: القَمرُ إذا انكَسَفَ واسْوَدَّ. وإِذَا وَقَبَ: يعني إذا دَخَلَ في الكُسوفِ). [بحر العلوم: ٥٢٦/٣]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنُ أَبِي زَمَنِينَ (ت: ٣٩٩هـ): (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾. تَفْسِيرُ السُّدِّيِّ: يَعْنِي اللَّيْلَ إِذَا أَطْبَقَ الأُفُقَ بظُلْمَتِه). [تفسير القرآن العزيز: ١٧٤/٥]

قالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ محمدُ بنُ الحُسَينِ المُوسَوِيُّ (ت: ٤٠٦هـ): (وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿مِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾. وَهَذِهِ اسْتِعَارَةٌ وَالمُرَادُ بالغَاسِقِ هُنَا اللَّيْلُ، وَقِيلَ: إِنَّهُ فِي الأَصْلِ اسْمٌ لِكُلٍّ، وَأَرَادَ بِمَا يُسْتَضَرُّ بِهِ وَيُخَافُ مِنْهُ، فَسُمِّيَ اللَّيْلُ غَاسِقًا؛ لأَنَّهُ يَرِدُ بالمَخَاوِفِ وَيَطْرُقُ بالدَّوَاهِي فِي الأَغْلَبِ وَالأَكْثَرِ؛ لأَنَّهُ يَسْتَنْهِضُ السِّبَاعَ مِنْ مَرَابِضِهَا، وَيَسْتَدْلِفُ الهَوَامَّ مِنْ مَكَانِهَا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَمَا يَجْرِي هَذَا المَجْرَى. وَمَعْنَى وَقَبَ أَيْ: دَخَلَ بِمَا يَدْخُلُ بِهِ مِمَّا أَوْمَأْنَا إِلَى ذِكْرِهِ، يُقَالُ: وَقَبَ يَقِبُ وُقُوبًا إِذَا دَخَلَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الكَوْكَبُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ اللَّيْلُ بِهِ لأَنَّهُ لا يَكُونُ إِلا باللَّيْلِ، وَالأَوَّلُ أَصَحُّ؛ لأَنَّ الغَسَقَ اسْمٌ لِلظَّلامِ، وَيُقَالُ: غَسَقَ اللَّيْلُ إِذَا أَظْلَمَ). [تلخيص البيان: ٣٤٠]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾.

أَخْبَرَنَا أبو عبدِ اللهِ الحَسَنُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ بنِ عبدِ اللهِ الدِّينَوَرِيُّ، أَخْبَرَنَا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ بَرْزَةَ، أخبرَنا ابنُ أبي ذِئبٍ، عنِ الحارثِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ، أخبرَنا عُبيدُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ شَرِيكٍ البَزَّارِ، أَخْبَرَنَا آدمُ بنُ أبي إياسٍ، أَخْبَرَنَا ابنُ أبي ذِئْبٍ، عن الحارثِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها قالتْ: أخَذَ رسولُ اللَّهِ عليه السلامُ بيَدِي فأَشارَ إلى القَمرِ، فقالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ».

أَخْبَرَنَا أبو عبدِ اللهِ بنُ فَنْجَوَيْهِ الدِّينَوَرِيُّ، أَخْبَرَنَا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ شَيْبَةَ، أَخْبَرَنَا أبو بكرِ بنُ الهَيْثَمِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ خُرَّزَاذَ البَصْرِيُّ بمكةَ، أَخْبَرَنَا نصرُ بنُ عليٍّ، أَخْبَرَنَا بَكَّارُ بنُ عبدِ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا محمدُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ، عن أبيه، عن أبي سَلَمَةَ، عن أبي هُرَيْرَةَ، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ قال: النجمُ إذا طَلَعَ.

وقالَ ابنُ عَبَّاسٍ والحسنُ ومُجَاهِدٌ ومحمد بن كعبٍ: يعني الليلَ إذا أقبلَ ودَخَلَ.

وقالَ ابنُ زَيْدٍ: يعني: والثُّرَيَّا إذا سَقَطَتْ.

قالَ: وكانَتِ الأسقامُ والطواعينُ تَكْثُرُ عندَ وُقُوعِها وتَرْتَفِعُ عند طُلُوعِها.

وأصلُ الغَسَقِ الظُّلْمَةُ، والوقْبُ المَدْخَلُ، مَجازُه: ومِن شَرِّ مُظلِمٍ إذا دخَلَ. وقالَ يَمانٌ: سكَنَ بظلامِه.

وقِيلَ: سُمِّيَ الليلُ غاسِقًا؛ لأنه أَبْرَدُ مِن النهارِ، والغاسِقُ: البارِدُ، والغَسَقُ: البَرْدُ). [الكشف والبيان: ١٠/٣٤١]

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (﴿غَاسِقٍ﴾: القَمَرِ، اللَّيْلِ ﴿وَقَبَ ۝٣﴾: دَخَلَ). [العمدة: ٣٦١]

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (الغَاسِقُ: اللَّيْلُ، ﴿وَقَبَ ۝٣﴾: دَخَلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وقيل: الغَاسِقُ: القَمَرُ، و﴿وَقَبَ ۝٣﴾: دَخَلَ فِي الكُسُوفِ فَاسْوَدَّ). [تفسير المشكل من غريب القرآن: ٣٠٩]

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ فيه أربعةُ تأويلاتٍ:

أَحَدُهَا: يعني الشمسَ إذا غَرَبَتْ. قَالَهُ ابنُ شِهَابٍ.

الثاني: القمرُ إذا وَلَجَ؛ أي: دَخَلَ في الظلامِ.

روَى أبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الرحمنِ عن عائشةَ أنَّها قالَتْ: أَخَذَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بيَدِي ثم نَظَرَ إلى القمَرِ فقالَ: «يَا عَائِشَةُ، تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ، وَهَذَا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ».

الثالثُ: أنَّه الثُّرَيَّا إذا سَقَطَتْ، وكانَتِ الأسقامُ والطَّواعِينُ تَكْثُرُ عندَ وُقُوعِهَا وتَرتَفِعُ عندَ طُلُوعِها. قَالَهُ ابنُ زيدٍ.

الرابعُ: أنَّه الليلُ؛ لأنَّه يُخرِجُ السِّبَاعَ مِن آجَامِها، والهَوَامَّ مِن مَكَامِنِها، ويَبْعَثُ أهلَ الشرِّ على العَبَثِ والفَسادِ. قَالَهُ ابنُ عبَّاسٍ والضحَّاكُ وقَتادةُ والسُّدِّيُّ؛ قالَ الشاعرُ:

يا طَيْفَ هِنْدٍ لقد أَبْقَيْتَ لي أَرَقَا ... إذ جِئْتَنَا طارِقًا والليلُ قد غَسَقَا

وأصلُ الغَسَقِ: الجَرَيَانُ بالضَّرَرِ، مأخوذٌ مِن قولِهم: غَسَقَتِ القَرْحَةُ. إذا جرَى صَدِيدُها.

والغَسَّاقُ: صَدِيدُ أهلِ النارِ؛ لِجَرَيَانِه بالعذاب.

وغَسَقَتْ عينُه: إذا جرَى دَمْعُها بالضررِ في الخَلْقِ.

فعلى تأويلِه أنَّه الليلُ في قولِه: ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ أربعةُ تأويلاتٍ:

أَحَدُهَا: إذا أَظْلَمَ. قَالَهُ ابنُ عبَّاسٍ.

الثاني: إذا دَخَلَ. قَالَهُ الضَّحَّاكُ.

الثالثُ: إذا ذَهَبَ. قَالَهُ قتادةُ.

الرابعُ: إذا سَكَنَ. قَالَهُ اليَمَانُ بنُ رِئَابٍ). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٤- ٣٧٥]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ مُطَرِّفٍ الكِنَانِيُّ (ت: ٤٥٤هـ): (وَالغَاسِقُ: اللَّيْلُ، وَالغَسَقُ: الظُّلْمَةُ، ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾، أيْ: دَخَلَ في كُلِّ شَيْءٍ، ويقالُ: الغَاسِقُ: القَمَرُ إذَا كسَفَ وَاسْوَدَّ، ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾: دَخَلَ في الكُسُوفِ). [القرطين:٢٢٢]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾: يَعْنِي اللَّيْلَ، ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾: دَخَلَ). [الوجيز:٢/١٢٤٢]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الغَاسِقُ: اللَّيْلُ إِذَا أَقْبَلَتْ ظُلْمَتُهُ مِنَ المَشْرِقِ فَدَخَلَ فِي النَّهَارِ.

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: يَعْنِي ظُلْمَةَ اللَّيْلِ إِذَا دَخَلَ سَوَادُهُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ.

وَقَالَ الفَرَّاءُ: وَيُقَالُ: غَسَقَ اللَّيْلُ وَأَغْسَقَ؛ إِذَا أَظْلَمَ). [الوسيط: ٤/٥٧٣- ٥٧٤]

قالَ أَبُو المُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (وقولُه: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ فيه أقوالٌ أيضًا: أحدُها: مِن شَرِّ الليلِ إذا أَظْلَمَ، فالغاسقُ هو الليلُ، قالَه الحسَنُ ومجاهِدٌ وعِكْرِمَةُ وقَتَادَةُ.

ويقالُ: مِن شَرِّ الليلِ إذا أَقْبَلَ: يُقالُ: وَقَبَ: دَخَلَ. وقيلَ: أَقْبَلَ.

ومعنى الاستعاذةِ مِن الليلِ لأن فيه يكونُ تَحرُّكُ الهمومِ وهجومُ كلِّ ذي شَرٍّ بقَصْدٍ.

والقولُ الثاني: أن قولَه: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ هو القمرُ، وفيه خبرٌ معروفٌ روى ابنُ أبي ذِئبٍ، عن الحارثِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن أبي سَلَمَةَ، عن عائشةَ قالَتْ: «أَخَذَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَدِي، وأشارَ إلى القمرِ وقالَ: تَعَوَّذِي باللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ» وذَكَرَه أبو عيسى في جامِعِه وقالَ: هو حديثٌ صحيحٌ. قالَ النحَّاسُ: يَجوزُ أن تكونَ الاستعاذةُ مِن القمَرِ؛ لأنَّ قومًا أَشْرَكوا بسبَبِه، فنَسَبَ إليه الاستعاذةَ على المَجازِ، قالَ القُتَيْبِيُّ: مِن شَرِّ غاسقٍ إذا وَقَبَ: هو القمرُ إذا دَخَلَ في ساهورِه - أي: في غِلافِه - وهو إذا غابَ. وذَكَرَ بعضُهم: أنَّ الاستعاذةَ مِن القمرِ؛ لأنَّ أهلَ البَرِّيَّةِ يَتَحَيَّنُونَ وَجْهَ القمرِ - أي غُروبَه - وهم اللصوصُ وأهلُ الشرِّ والفَسادِ.

والقولُ الثالثُ: أنَّ الغاسقَ هو الثُّرَيَّا.

وقولُه: ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ إذا غابَ، وذكَرَ ذلك: إذا غابَ الثريَّا ظهرَت العاهاتُ والبَلايا، وإذا طَلَعَ الثريَّا رُفِعَت العاهاتُ والبَلايَا.

وقد وَرَدَ عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قالَ: «إِذَا طَلَعَ النَّجْمُ رُفِعَتِ العَاهَةُ عَنْ كُلِّ بَلَدٍ».

وذلك مِثلُ الوَباءِ والطواعينِ والأسقامِ وما يُشْبِهُها.

وقيلَ: ﴿مِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ أي: مِن شرِّ الشمسِ إذا غَرَبَتْ.

وذَكَرَ النَّقَّاشُ بإسنادِه عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ عن ابنِ عَبَّاسٍ قالَ: ﴿مِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾: مِن شرِّ الذَّكَرِ إذا دَخَلَ.

قالَ النَّقَّاشُ: فذَكَرْتُ ذلك لمحمَّدِ بنِ إسحاقَ بنِ خُزيمةَ، وقلْتُ: هل يَجوزُ أن تُفَسِّرَ القرآنَ بهذا؟

قالَ: نعم ، قالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعُوذُ بكَ مِنْ شَرِّ مَنِيِّي». وهو خبرٌ معروفٌ، وهو أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «أَعُوذُ بكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي» فعَدَّدَ أشياءَ، وقالَ في آخِرِها: «وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي»). [تفسير القرآن: ٦/٣٠٥- ٣٠٦]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣﴾، أَخْبَرَنَا أبو الحَسَنِ السَّرَخْسِيُّ، أَخْبَرَنَا زاهِرُ بنُ أحمدَ، أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ المغلِّسِ، حَدَّثَنَا هارونُ بنُ إسحاقَ الهَمْدَانِيُّ، حَدَّثَنَا وكيعٌ، عن ابنِ أبي ذِئبٍ، عن [خالِه] الحارثِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن أبي سَلَمَةَ، عن عائشةَ قالَتْ: أَخَذَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَدِي فنَظَرَ إلى القمرِ فقالَ: «يا عائشةُ، اسْتَعِيذِي باللهِ من شَرِّ غاسِقٍ إذا وَقَبَ، هذا غاسقٌ إذا وَقَبَ».

فعلى هذا: المرادُ به: القمرُ إذا خَسَفَ واسودَّ، ﴿وَقَبَ ٣﴾ أي: دَخَلَ في الخُسوفِ وأَخَذَ في الغَيبوبةِ [وأَظْلَمَ].

وقالَ ابنُ عَبَّاسٍ: (الغاسِقُ) الليلُ إذا أَقْبَلَ بظُلمَتِه من المَشرِقِ ودَخَلَ في كلِّ شيءٍ وأَظْلَمَ، و"الغَسَقُ" الظُّلْمَةُ: يُقالُ غَسَقَ الليلُ [وأَغْسَقَ] إذا أَظْلَمَ، وهو قولُ الحَسَنِ ومُجاهِدٍ، يعني الليلَ إذا أَقْبَلَ ودَخَلَ. و(الوُقُوبُ) الدخولُ: وهو دُخولُ الليلِ بغروبِ الشمْسِ.

قالَ مقَاتِلٌ: يعني ظُلْمَةَ الليلِ إذا دَخَلَ سَوادُه في ضَوءِ النهارِ.

وقيلَ: سُمِّيَ الليلُ غاسقًا؛ لأنه أَبْرَدُ من النهارِ، والغَسَقُ: البَرْدُ.

وقالَ ابنُ زَيدٍ: [يعني] الثُّرَيَّا إذا سَقَطَتْ. ويُقالُ: إنَّ الأسقامَ تَكْثُرُ عندَ وُقوعِها وتَرْتَفِعُ عندَ طُلوعِها). [معالم التنزيل: ٧٢٥]

قالَ مَحْمُودُ بنُ حَمْزَةَ بنِ نَصْرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (قَوْلُهُ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣﴾ هو اللَّيْلُ، والغَسَقُ الظلامُ، وقِيلَ: الليلُ والغَسَقُ: البَرْدُ.

ابنُ عيسى: الهاجِمُ لضَرَرٍ؛ مِن قَوْلِهم: غَسَقَتْ عَيْنُه، جَرَى دَمْعُها، وغَسَقَتِ القُرْحَةُ جَرَى صَدِيدُها.

وقِيلَ: الغاسِقُ: القَمَرُ. ورُوِيَ عن عائشةَ أنها قالتْ: أخَذَ النبيُّ عليه السلامُ بيَدِي ونَظَرَ إلى القَمَرِ، فقالَ: «تَعَوَّذِي باللهِ مِنْ هَذَا؛ فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ». وقِيلَ هو الشَّمْسُ.

الغَرِيبُ: أبو هُريرةَ: الغاسِقُ: الثُّرَيَّا، فإنَّ الأسقامَ تَكْثُرُ عندَ وُقوعِها، وتَرتَفِعُ عند طُلوعِها.

العَجِيبُ: في بعضِ التفاسيرِ: ومِن شَرِّ الذَّكَرِ إذا أَنْعَظَ. وقيلَ: وَلَجَ، ورَوَى هذا القائلُ: استَعِيذُوا باللهِ مِن شَرِّ الغُلْمَةِ. وعن أبي هُريرةَ: نَعوذُ باللهِ مِن غُلْمَةٍ لا عُدَّةَ لها. وعنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «أَعُوذُ باللهِ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَبَصَرِي وَبَطْنِي وَمَنِيِّي». وهذا تَفسيرٌ يَسْمُجُ ذِكْرُه؛ لَكِنِّي أَوْرَدْتُه لكونِه في عِدَادِ العَجِيبِ مِنَ الأقوالِ، وكُلُّ ما وَصَفْتُه بالعَجِيبِ فَفِيهِ أَدْنَى خَلَلٍ ونَظَرٍ). [غرائب التفسير: ٢/١٤١٢- ١٤١٣]

قَالَ قِوَامُ السُّنَّةِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَصْبَهَانِيُّ (ت: ٥٣٥هـ) (فيما نُسِبَ إليه): (قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾.

الغَاسِقُ: اللَّيْلُ، ووقَبَ: دَخَلَ في كُلِّ شَيْءٍ، ورُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّها قَالَتْ: الغَاسِقُ...

سُمِّيَ اللَّيْلُ غاسِقًا؛ لأَنَّهُ أَبْرَدُ مِنَ النَّهارِ، وأَصْلُ الغَسَقِ: البَرْدُ، ومِنْهُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ [النبأ: ٢٥]). [إعراب القرآن: ٥٦٥]

قال مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (والغاسِقُ: الليلُ إذا اعْتَكَرَ ظلامُه، مِن قولِه تعالى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨]. ومنه: غسَقَتِ العينُ: امْتَلأَتْ دَمْعًا، وغسَقَتِ الجِراحَةُ: امْتَلأَتْ دَمًا.

ووُقُوبُه: دُخُولُ ظَلامِه في كلِّ شيءٍ، ويُقَالُ: وَقَبَتِ الشمسُ. إذا غابَتْ.

وفي الحديثِ: لَمَّا رَأَى الشمسَ قد وَقَبَتْ قال: «هَذَا حِينُ حِلِّهَا». يعني صلاةَ المغرب.

وقِيلَ: هو القمرُ إذا امْتَلأَ.

وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها: أَخَذَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَدِي فأشارَ إلى القمرِ فقالَ: «تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ».

ووُقُوبُه: دُخُولُه في الكُسُوفِ واسْوِدَادُه.

ويَجُوزُ أنْ يُرَادَ بالغاسِقِ: الأسودُ مِنَ الحَيَّاتِ.

ووَقْبُه: ضَرْبُه ونَقْبُه.

والوَقْبُ: النَّقْبُ.

ومِنه: وَقْبَةُ الثَّرِيدِ.

والتعَوُّذُ مِن شرِّ الليلِ؛ لأنَّ انْبِثَاثَه فيه أكثرُ، والتحَرُّزَ مِنه أصعبُ.

ومنه قولُهم: الليلُ أَخْفَى للوَيْلِ.

وقولُهم: أَغْدَرَ الليلُ؛ لأنَّه إذا أَظْلَمَ كَثُرَ فيه الغَدْرُ.

وأُسْنِدَ الشرُّ إليه لمُلابسَتِه له مِن حدوثِه فيه). [الكشاف: ٦/٤٦٥]

قَالَ الحُسَيْنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الجُورقَانِيُّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٥٤٣هـ): (بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾.

- أَخْبَرَنَا أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، أَخْبَرَنَا أَبو القَاسِمِ بُجَيْرُ بْنُ عَبْدِ الغَفَّارِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبو عَلِيٍّ الحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ المَرْزُبَانِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الحَلَبِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ مُجَاهِدٍ العِرْقِيُّ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ

عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾ قَالَ: مِنْ شَرِّ الأَيْرِ إِذَا قَامَ. هذا حَدِيثٌ بَاطِلٌ، وإِسْنَادُهُ مُنْكَرٌ جِدًّا.

فِي خِلافِ ذلك

- أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الغَفَّارِ، أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ مَنْدَهْ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَحْيَى بْنِ مَنْدَهْ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الصَّبَّاحِ، قَالا: حَدَّثَنَا أَبُو مَسْعُودٍ أَحْمَدُ بْنُ الفُرَاتِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ وَإِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي ذِئْبٍ، عَنِ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: نَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى القَمَرِ فَقَالَ: اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ؛ فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ.

هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ اتَّفَقَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ، وَأَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ عَلَى إِخْرَاجِهِ فِي كِتَابَيْهِمَا). [الأباطيل والمناكير: ٢/٣٠٧- ٣٠٨]

قال مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنُ العَرَبِيِّ (ت: ٥٤٣هـ): (المَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾: رُوِيَ أَنَّهُ الذَّكَرُ. وَرُوِيَ أَنَّهُ اللَّيْلُ. وَرُوِيَ أَنَّهُ القَمَرُ، وَذَلِكَ صَحِيحٌ خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ. وَوَجْهُ أَنَّهُ الذَّكَرُ أَوِ اللَّيْلُ لا يَخْفَى.

وَوَجْهُ أَنَّهُ القَمَرُ لِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ جِهَةِ الجَهْلِ وَعِبَادَتِهِ وَاعْتِقَادِ الطَّبَائِعِيِّينَ أَنَّهُ يَفْعَلُ الفَاكِهَةَ أَوْ تَنْفَعِلُ عَنْهُ، أَوْ لأَنَّهُ إِذَا طَلَعَ بِاللَّيْلِ انْتَشَرَتْ عَنْهُ الحَشَرَاتُ بِالأَذَايَاتِ. وَهَذَا يَضْعُفُ لأَجْلِ أَنَّ انْتِشَارَهَا بِاللَّيْلِ أَكْثَرُ مِن انْتِشَارِهَا بِالقَمَرِ.

وَفِيمَا ذَكَرْنَا مَا يُغْنِي عَنِ الزِّيَادَةِ عَلَيْهِ). [أحكام القرآن: ٤/١٩٩٦]

قال محمدُ بنُ عبدِ اللهِ ابنُ العربيِّ (ت: ٥٤٣هـ) : ((الثانيةُ) اخْتَلَفَ الناسُ في الغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ على أقوالٍ لا نُطَوِّلُ بذِكْرِهَا؛ لأَنَّهُ قَدْ صَحَّ أنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلمَ قالَ: هو القَمَرُ. فلا يُلْتَفَتُ إلى غَيْرِهِ). [عارضة الأحوذي: ١١/٢٦١]

قالَ عَبْدُ الحقِّ بنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (واختَلَفَ الناسُ في (الغَاسِقِ إذا وَقَبَ)؛ فقالَ ابنُ عَبَّاسٍ، ومُجَاهِدٌ، والحسنُ: الغاسِقُ: الليلُ، ووَقَبَ: أَظْلَمَ ودَخَلَ على الناسِ. وقالَ الشاعرُ:

إنَّ هَـــذَا اللَّيْـــلَ قَـــدْ غَـــسَقَا ... وَشَـــكَوْتُ الهَـــمَّ وَالأَرَقَـــا

وقال مُحَمَّدُ بنُ كعبٍ: ﴿غَاسِقٍ﴾ النهارِ، ﴿إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾ أي: دَخَلَ في الليلِ.

وقالَ ابنُ زيدٍ عن العرب: الغاسِقُ: سُقُوطُ الثُّرَيَّا وكانَتِ

[المحرر الوجيز: ١٥/٦٠٨]

الأسقامُ والطاعونُ تَهِيجُ عندَه.

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «النَّجْمُ هُوَ الغَاسِقُ». فيَحْتَمِلُ أنْ يُرِيدَ الثُّرَيَّا، وقالَ عليه السلامُ لعائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها - وقدْ نَظَرَ إلى القمرِ - : «تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ؛ فَهَذَا هُوَ».

وقالَ القُتَبيُّ وغيرُه: هو البدرُ إذا دَخَلَ في سَاهُورِهِ فخَسَفَ.

وقالَ الزُّهْرِيُّ: الغاسقُ إذا وَقَبَ: الشمسُ إذا غَرُبَتْ، و(وَقَبَ) في كلامِ العرب: دَخَلَ

وَقَدْ قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ فِي كِتَابِ النقَّاشِ: «الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»: ذَكَرُ الرَّجُلِ، فهذا التعوُّذُ فِي هَذَا التَّأويلِ نَحْو قولِهِ عَلَيهِ السَّلامُ وَهُوَ يُعَلِّمُ السَّائِلَ التَّعَوُّذَ: «قُلْ أَعوذُ باللهِ مِن شَرِّ سَمْعِي وَشَرِّ قَلبي وَشَرِّ بَصَرِي وَشَرِّ لِسَانِي وَشَرِّ مَنِيِّي» ذَكَرَ الحَدِيثَ جَمَاعَةٌ). [المحرر الوجيز: ١٥/٦٠٩]

قالَ مَحْمُودُ بنُ أَبِي الحَسَنِ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٥٥٥هـ): (﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾: القمرِ دخلَ في الكُسوفِ). [إيجاز البيان: ٢/٣٤١]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَبْدِ اللهِ السُّهَيْلِيُّ (ت:٥٨١هـ): (قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾ قِيلَ: هُوَ اسْمٌ لإِبْلِيس، وَقِيلَ: هُوَ اللَّيْلُ، وَقِيلَ: هُوَ الثُّرَيَّا. وَأَصَحُّ مَا قِيلَ فِيهِ: إِنَّهُ القَمَرُ. لِلْحَدِيثِ المَرْفُوعِ فِي ذَلِكَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا: «تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ هَذَا، فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ» وَشَرُّهُ يُتَّقَى يَكُونُ فِي الأَبْدَانِ بالآفَاتِ الَّتِي تَحْدُثُ بسَبَبِهِ، وَيَكُونُ فِي الأَدْيَانِ [كَالفِتْنَةِ] الَّتِي افْتُتِنَ بهَا مَنْ عَبَدَهُ وَعَبَدَ الشَّمْسَ). [التعريف والإعلام: ١٨٩]

قَالَ أبو الفرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (وفي (الغَاسِقِ) أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: أَنَّهُ القمرُ. رَوَتْ عائشةُ قالَتْ: نَظَرَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ إلى القمرِ فقالَ: «استَعِيذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّهِ؛ فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»، رواهُ التِّرمذيُّ والنَّسائيُّ في كتابَيْهِمَا. قالَ ابنُ قُتيبةَ: ويُقالُ: الغَاسِقُ القَمَرُ إذا كُسِفَ فاسْوَدَّ. ومعنى ﴿وَقَبَ ۝٣﴾: دَخَلَ في الكُسُوفِ.

والثاني: أَنَّهُ النجْمُ، رواهُ أبو هُريرةَ عن رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ.

والثالثُ: أَنَّهُ اللَّيْلُ، قالَهُ ابنُ عبَّاسٍ والحسَنُ ومُجَاهِدٌ والقُرَظِيُّ والفَرَّاءُ وأبو عُبيدٍ وابنُ قُتيبةَ والزَّجَّاجُ. قالَ اللُّغَوِيُّونَ: ومعنى (وَقَبَ): دَخَلَ في كُلِّ شيءٍ فأَظْلَمَ. و(الغَسَقُ): الظُّلمةُ. وقالَ الزَّجَّاجُ: الغاسقُ البارِدُ، فقيلَ للَّيْلِ: غاسقٌ؛ لأَنَّهُ أَبْرَدُ مِن النهارِ.

والرابعُ: أَنَّهُ الثُّرَيَّا إذا سَقَطَتْ، وكانت الأسقامُ والطواعينُ تَكْثُرُ عندَ وُقوعِها، وتَرتفِعُ عندَ طُلوعِها، قالَهُ ابنُ زيدٍ). [زاد المسير: ٩/٢٧٤- ٢٧٥]

قالَ أَبُو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الْجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): ((والغَاسِقُ): اللَّيْلُ. ومَعْنَى ﴿وَقَبَ ۝٣﴾: دَخَلَ في كلِّ شيءٍ فَأَظْلَمَ). [تذكرة الأريب: ٣٢٣]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (قولُه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ ذَكَرُوا في الغَاسِقِ وُجُوهًا:

أَحَدُها: أَنَّ الغَاسِقَ هو اللَّيْلُ إذا عَظُمَ ظَلامُه مِن قولِه: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] ومنه غَسَقَتِ العَيْنُ إذا امْتَلأَتْ دَمْعًا وغَسَقَتِ الجِرَاحَةُ إذا امْتَلأَتْ دَمًا، وهذا قَولُ الفَرَّاءِ وأَبي عُبَيْدَةَ، وأَنْشَدَ ابنُ قَيْسٍ:

إنَّ هَـــذَا اللَّيْـــلَ قَـــدْ غَـــسَقَا وَاشْـــتَكَيْتُ الهَـــمَّ والأَرَقَـــا

- وقالَ الزَّجَّاجُ: الغَاسِقُ في اللُّغَةِ هو البَارِدُ، وسُمِّيَ اللَّيْلُ غَاسِقًا؛ لأنَّه أَبْرَدُ مِن النهارِ، ومنه قولُه: إنَّه الزَّمْهَرِيرُ.

وثالِثُها: قالَ قَوْمٌ: الغَاسِقُ والغَسَّاقُ هو السَّائِلُ مِن قَوْلِهِم: غَسَقَتِ العَيْنُ تَغْسِقُ غَسَقًا إذا سَالَتْ بالمَاءِ، وسُمِّيَ اللَّيْلُ غَاسِقًا لانْصِبابِ ظَلامِهِ على الأرضِ، أمَّا الوُقُوبُ فهو الدُّخُولُ في شيءٍ آخَرَ بحَيْثُ يَغِيبُ عن العينِ، يُقالُ: وَقَبَ يَقِبُ وُقُوبًا إذا دخَلَ، والوَقْبَةُ النُّقْرَةُ؛ لأنَّه يَدْخُلُ فيها الماءُ، والإيقابُ إِدْخَالُ الشَّيْءِ في الوَقْبَةِ، هذا ما يَتَعلَّقُ باللُّغَةِ.

وللمُفَسِّرِينَ في الآيةِ أَقْوَالٌ:

أَحَدُها: أنَّ الغاسِقَ إذا وَقَبَ هو اللَّيْلُ إذَا دَخَلَ، وإِنَّما أَمَرَ أَنْ يُتَعَوَّذَ مِن شَرِّ اللَّيْلِ؛ لأنَّ في اللَّيْلِ تَخرُجُ السِّبَاعُ مِن آجَامِهَا والهَوَامُّ مِن مَكانِهَا، ويَهْجُمُ السَّارِقُ والمُكَابِرُ، ويَقَعُ الحَرِيقُ، ويَقِلُّ فيه الغَوْثُ، ولذلك لو شَهَرَ [مُعْتَدٍ] سِلاحًا على إنسانٍ ليلاً فقَتَلَهُ المَشْهُورُ عليه لا يَلْزَمُه قِصَاصٌ، ولو كَانَ نَهَارًا يَلْزَمُه؛ لأنَّه يُوجَدُ فيه الغَوْثُ، وقالَ قَوْمٌ: إنَّ في اللَّيْلِ تَنْتَشِرُ الأَرْواحُ المُؤْذِيَةُ المُسَمَّاةُ بالجِنِّ والشَّيَاطِينِ؛ وذلك لأنَّ قُوَّةَ شُعَاعِ الشَّمْسِ كأَنَّها تَقْهَرُهم، أَمَّا في اللَّيلِ فيَحْصُلُ لهم نَوْعُ اسْتِيلاءٍ.

وثانيها: أنَّ الغاسِقَ إذا وَقَبَ هو القَمَرُ، قالَ ابنُ قُتَيْبَةَ: الغَاسِقُ: القَمَرُ، سُمِّيَ به؛ لأنَّه يَكْسِفُ فيَغْسِقُ، أي: يَذْهَبُ ضَوْءُه ويَسْوَدُّ، [و]وُقُوبُه دُخُولُه في ذلك الاسْوِدَادِ، رَوَى أبو سَلَمَةَ عن عائشةَ أنَّه أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّم بيدِهَا وأَشارَ إلى القَمَرِ، وقالَ: «اسْتَعِيذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ». قَالَ ابنُ قُتَيْبَةَ: ومَعْنَى قولِه: تَعَوَّذِي باللَّهِ مِن شَرِّهِ إذا وَقَبَ أي: إِذَا دَخَلَ في الكُسُوفِ، وعندِي فيه وَجْهٌ آخَرُ: وهو أَنَّه صَحَّ أَنَّ القَمَرَ في جِرْمِهِ غيرُ مُسْتَنِيرٍ بل هو مُظْلِمٌ، فهذا هو المُرَادُ مِن كونِه غَاسِقًا، وأَمَّا وُقُوبُه فهو انْمِحَاءُ نُورِه في آخِرِ الشَّهْرِ، والمُنَجِّمُونَ يَقُولُونَ: إنَّه في آخِرِ الشَّهْرِ يكُونُ مَنْحُوسًا قَلِيلَ القُوَّةِ؛ لأنَّه لا يَزَالُ يَنْتَقِصُ نُورُه، فبِسَبَبِ ذلك تَزْدَادُ نُحُوسَتُه، ولذلك فإنَّ السَّحَرَةَ إنَّما يَشْتَغِلُونَ بالسِّحْرِ المُورِثِ للتَّمْرِيضِ في هذا الوَقْتِ، وهذا مُناسِبٌ لسَبَبِ نُزُولِ السورةِ؛ فإنَّها إنَّما نَزَلَتْ لأَجْلِ أَنَّهم سَحَرُوا النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم لأجْلِ التَّمْرِيضِ.

وثالِثُها: قَالَ ابنُ زَيْدٍ: الغَاسِقُ إذا وَقَبَ يَعْنِي الثُّرَيَّا إذا سَقَطَتْ. قالَ: وكَانَتِ الأَسْقَامُ تَكْثُرُ عندَ وُقُوعِها، وتَرْتَفِعُ عندَ طُلُوعِها، وعلَى هذا تُسَمَّى الثُّرَيَّا غَاسِقًا، لانْصِبَابِهِ عندَ وُقوعِه في المَغْرِبِ، ووُقُوبُه: دُخُولُه تَحْتَ الأَرْضِ وغَيْبُوبَتُه عن الأَعْيُنِ.

ورابِعُها: قَالَ صَاحِبُ الكَشَّافِ: يَجُوزُ أَنْ يُرادَ بالغَاسِقِ الأَسْوَدُ مِن الحَيَّاتِ، ووُقُوبُه: ضَرْبُه ونَقْبُه، والوَقْبُ والنَّقْبُ واحِدٌ. واعْلَمْ أَنَّ هذا التَّأْوِيلَ أَضْعَفُ الوُجُوهِ المَذْكُورَةِ.

وخَامِسُها: الغَاسِقُ ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ هو الشمسُ إذا غَابَتْ، وإِنَّما سُمِّيَتْ غَاسِقًا؛ لأَنَّها في الفَلَكِ تَسْبَحُ، فسُمِّيَ حَرَكَتُها وجَرَيانُها بالغَسَقِ، ووُقُوبُها: غَيْبَتُها ودُخُولُها تَحْتَ الأرضِ). [التفسير الكبير: ٣٢/١٧٨]

قَالَ حُسَيْنُ بنُ أَبي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (وقولُه: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣﴾ الغُسوقُ: الإظلامُ، يُقالُ: غَسَقَ الليلُ يَغْسِقُ غُسوقًا إذا أَقْبَلَ ظَلامُه، كلُّ شيءٍ اسْوَدَّ فقد غَسَقَ، والوَقْبُ: الدخولُ، يُقالُ: وَقَبَ يَقِبُ وُقُوبًا أيضًا إذا دَخَلَ). [الفريد: ٤/٧٥١- ٧٥٢]

قالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (﴿غَاسِقٍ﴾: الشمسُ إذا غَرَبَتْ، أو القمرُ إذا وَلَجَ في الظلامِ. نَظَرَ الرسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى القمرِ وقالَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا: «تَعوَّذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ، وَهَذَا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ». أو الثُّرَيَّا إذا سَقَطَتْ؛ لأنَّ الأسقامَ والطَّوَاعِينَ تَكْثُرُ عِنْدَ سُقُوطِهَا، وَتَرْتَفِعُ عندَ طُلُوعِهَا. أو الليلُ لِخُرُوجِ السِّبَاعِ والهوامِّ فيهِ، وَيَنْبَعِثُ أهلُ الشرِّ على العبثِ والفسادِ (ع).

﴿إِذَا وَقَبَ ٣﴾: أَظْلَمَ (ع)، أَوْ دَخَلَ، أَوْ ذَهَبَ. أَصْلُ الغَسَقِ الجَرَيَانُ، غَسَقَت القُرْحَةُ: جَرَى صَدِيدُهَا، وَالغَسَّاقُ: صَدِيدُ أهلِ النارِ لِجَرَيَانِهِ، وَغَسَقَتِ العينُ جَرَى دَمْعُهَا بالضَّرَرِ). [تفسير القرآن: ٣/٥١٠]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبيُّ (ت: ٦٧١هـ): (الخامِسَةُ: قولُه تعالَى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣﴾.
اخْتُلِفَ فيه:

فقِيلَ: هو اللَّيْلُ. والغَسَقُ: أوَّلُ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، يُقالُ منه: غَسَقَ الليلُ يَغْسِقُ، أي: أَظْلَمَ. قالَ [ابنُ] قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ:

إنَّ هَـــذَا اللَّيْـــلَ قـــد غَـــسَقَا ... واشْـــتَكَيْتُ الهَـــمَّ والأَرَقَـــا

وقالَ آخَرُ:

يـا طَيْـفَ هِنْـدٍ لَقَـدْ أَبْقَيْـتَ لِـي أَرَقَـا ... إذْ جِئْتَنَـا طَارِقًـا واللَّيْـلُ قَـدْ غَـسَقَا

هذا قولُ ابنِ عبَّاسٍ والضَّحَّاكِ وقَتَادَةَ والسُّدِّيِّ وغيرِهم.

و﴿وَقَبَ ٣﴾ على هذا التفسيرِ: أظْلَمَ؛ قالَه ابنُ عبَّاسٍ. والضحَّاكُ: دَخَلَ. قَتادَةُ: ذَهَبَ. يَمَانُ بنُ رِئابٍ: سَكَنَ. وقِيلَ: نَزَلَ، يُقالُ: وَقَبَ العَذَابُ على الكافِرِينَ: نَزَلَ. قالَ الشاعِرُ:

وَقَـبَ العَـذَابُ عَلَـيهِمْ فَكَـأَنَّهُمْ ... لَحِقَـتْهُمْ نَـارُ الـسَّمُومِ فأُحْـصِدُوا

وقالَ الزَّجَّاجُ: قِيلَ للَّيْلِ: غَاسِقٌ؛ لأنَّه أَبْرَدُ مِنَ النهارِ. والغاسِقُ: البارِدُ. والغَسَقُ: البَرْدُ، ولأنَّ في الليلِ تَخْرُجُ السِّبَاعُ مِن آجَامِهَا، والهَوَامُّ مِن أماكِنِها، ويَنْبَعِثُ أهلُ الشرِّ على العَيْثِ والفسَادِ.

وقِيلَ: الغاسِقُ: الثُّرَيَّا؛ وذلك أنها إذَا سَقَطَتْ كَثُرَتِ الأَسْقَامُ والطَّوَاعِينُ، وإذَا طَلَعَت ارْتَفَعَ ذلك؛ قالَه عبدُ الرحمنِ بنُ زَيْدٍ.

وقِيلَ: هو الشَّمْسُ إذَا غَرَبَت؛ قالَه ابنُ شِهَابٍ.

وقِيلَ: هو القَمَرُ. قالَ القُتَبيُّ: ﴿إِذَا وَقَبَ ٣﴾ القَمَرُ إذَا دَخَلَ في سَاهُورِهِ، وهو كالغِلافِ لَه، وذلك إذَا خُسِفَ به. وكلُّ شيءٍ اسودَّ فهو غَسَقَ.

وقالَ قَتادَةُ: ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ إذا غابَ. وهو أصحُّ؛ لأنَّ في التِّرْمِذِيِّ عن عائِشَةَ: أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إلى القمرِ، فقالَ: «يا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي باللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغاسِقُ إِذَا وَقَبَ». قالَ أبو عيسَى: هذا حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ.

وقالَ أحمدُ بنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ، عن ابنِ الأعرابيِّ في تأويلِ هذا الحديثِ: وذلك أنَّ أهْلَ الرِّيْبِ يَتحَيَّنُونَ وَجْبَةَ القَمَرِ. وأَنْشَدَ:

أَرَاحَنِـي اللهُ مِـنْ أشْـياءَ أَكْرَهُهـا　　　مِنهـا العَجُـوزُ ومِنهـا الكَلْـبُ والقَـمَ

هَـذا نَبُـوحٌ وهـذا يُسْتَـضَاءُ بـه　　　وَهَـذِهِ ضِـمْرِزٌ قَوَّامَـةُ الـسَّحَر

وقيلَ: الغاسِقُ: الحَيَّةُ إذا لَدَغَتْ. وكأنَّ الغاسِقَ نابُها؛ لأن السُّمَّ يَغْسِقُ مِنه، أي: يَسيلُ. وَوَقَبَ نابُها: إذا دَخَلَ في اللَّديغِ.

وقِيلَ: الغاسِقُ: كلُّ هاجِمٍ يَضُرُّ، كائِنًا مَا كَانَ، مِن قَوْلِهِم: غَسَقَتِ القُرْحَةُ: إذَا جَرَى صَدِيدُها). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٦- ٢٥٧]

قَالَ ابنُ المُنيِّرِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ الإِسْكَنْدَرَانِيُّ (ت: ٦٨٣هـ): (

الغَاسِـقُ اللَّيْـلُ وسُـمِّيَ غَاسِـقَا　　　لِبَـرْدِهِ فَـاقْتَبِسِ الحَقَائِقَـا

ووَقَـبَ الغَاسِـقُ يَعْنِـي دَخَـلا　　　وذاكَ وقـتٌ للـشياطينِ خَـلا

). [التيسير: ٢٣٥]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾ ليلٍ عظيمٍ ظَلامُه من قوله: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، وأصلُه الامتلاءُ، يُقالُ: غَسَقَت العينُ. إذا امْتَلأَتْ دَمْعًا، وقِيلَ: السَّيَلانُ، وغَسَقُ الليلِ: انصبابُ ظلامِه، وغَسَقُ العينِ: سَيَلانُ دَمْعِه.

﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ دَخَلَ ظلامُه في كلِّ شيءٍ، وتَخصيصُه لأنَّ المَضَارَّ فيه تَكْثُرُ ويَعْسُرُ الدفعُ، ولذلك قيلَ: الليلُ أَخْفَى للوَيْلِ، وقِيلَ: المرادُ به القمرُ، فإنه يَكْسِفُ فيَغْسِقُ، ووُقُوبُه: دُخولُه في الكُسوفِ). [أنوار التنزيل: ٢/١١٨٠]

– **قال عبدُ الرؤوفِ بنُ تاجِ العارفِينَ المُناويُّ (ت: ١٠٣١هـ):** (قَوْلُهُ: وقيلَ: المرادُ به القَمَرُ، وَرَدَ مَرْفُوعًا، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ والنَّسَائِيُّ والحاكِمُ مِن حَدِيثِ عَائِشَةَ). [الفتح السماوي: ٣/١١٣٩]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (ويَجوزُ أن يُرادَ بالغاسِقِ ما يَخْلُو عن النورِ وما يُضاهِيهِ كالقُوَى، وبالنفَّاثَاتِ النَّبَاتَاتُ فإنَّ قُواها النباتيَّةَ من حيث إنها تَزيدُ في طُولِها وعَرْضِها وعُمْقِها، كأنها تَنْفُثُ في العُقَدِ الثلاثةِ). [أنوار التنزيل: ٢/١١٨٠]

– **قلتُ:** (راجع ما نقله الآلوسيُّ عن ابنِ سينا في مسألةِ المرادِ بالغاسِقِ).

قالَ الدِّيرِينِيُّ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ سَعِيدٍ الدَّمِيرِيُّ (ت:٦٩٧هـ): (

وَالغَاسِـقُ اللَّيْـلُ البَهِـيمُ ووَقَـبْ　　　دَخَـلَ فِـي الإِظْـلامِ وَالـضَّوْءُ ذَهَـبْ

). [التيسير: ٣٥١]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ ﴾: الغاسِقُ: اللَّيلُ إِذَا اعْتَكَرَ ظَلامُه، ووُقُوبُه دُخولُ ظَلامِه في كُلِّ شيءٍ، وعن عائِشَةَ رضِيَ اللهُ عَنها: أَخَذَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْه وسلَّمَ بيَدِي فأشَارَ إلى القَمَرِ فقَالَ: «تَعوَّذِي باللهِ مِنْ شرِّ هَذا؛ فَإنَّه الغاسِقُ إِذَا وَقَبَ». ووُقُوبُه: دُخولُه في الكُسُوفِ واسْوِدَادُه). [مدارك التنزيل:٣/٢٠١٣]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ ﴾ عنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عنها قالتْ: إنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ نظَرَ إلى القَمَرِ فقالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي اللَّهَ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»، أخرجَهُ التِّرْمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

فَعَلَى هذا الحديثِ المرادُ بِهِ القمرُ إذا خَسَفَ واسْوَدَّ، ومعنى وَقَبَ: دخَلَ في الخُسُوفِ، أوْ أَخَذَ في الغَيْبُوبَةِ. وقيلَ: سُمِّيَ بِهِ؛ لأنَّهُ إذا خَسَفَ اسْوَدَّ وذَهَبَ ضوْءُهُ. وقيلَ: إذا وَقَبَ دخَلَ في المُحَاقِ، وهوَ آخِرُ الشهرِ، وفي ذلكَ الوقتِ يَتِمُّ السِّحْرُ المُورِثُ للتَّمْرِيضِ، وهذا مُنَاسِبٌ لِسَبَبِ نُزُولِ هذهِ الآيَةِ.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: الغاسقُ: الليلُ. إذا وَقَبَ: أيْ: أَقْبَلَ بظُلْمَتِهِ مِن المَشْرِقِ.

وقيلَ: سُمِّيَ الليلُ غاسِقًا؛ لأنَّهُ أَبْرَدُ مِن النهارِ، والغَسَقُ: البَرْدُ.

وإنَّما أُمِرَ بالتَّعَوُّذِ من الليلِ؛ لأنَّ فيهِ تُنْتَشَرُ الآفاتُ، ويَقِلُّ الغَوْثُ، وفيهِ يَتِمُّ السِّحْرُ.

وقيلَ: الغاسِقُ: الثُّرَيَّا إذا سَقَطَتْ وغابَتْ.

وقيلَ: إنَّ الأسقامَ تَكْثُرُ عندَ وقوعِهَا، وتَرْتَفِعُ عندَ طلوعِهَا؛ فلهذَا أُمِرَ بالتَّعَوُّذِ من الثُّرَيَّا عندَ سُقُوطِهَا). [لباب التأويل: ٤/٥٠١]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحَليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وَالغَاسِقُ قَدْ رُوِيَ فِي الحَدِيثِ المَرْفُوعِ عَنْ عَائِشَةَ فِي التِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ وَقَالَ لَهَا: « يَا عَائِشَةُ، تَعَوَّذِي بِاللَّهِ مِنْ هَذَا، فَهَذَا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ ».

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الغَاسِقُ: القَمَرُ إِذَا كَسَفَ فَاسْوَدَّ، وَمَعْنَى (وَقَبَ) دَخَلَ فِي الكُسُوفِ.

وَالمَشْهُورُ عِنْدَ أَهْلِ التَّفْسِيرِ وَاللُّغَةِ أَنَّ (الغَاسِقَ) اللَّيْلُ، (وَقَبَ): دَخَلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَأَظْلَمَ، وَ(الغَسَقُ): الظُّلْمَةُ.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الغَاسِقُ: البَارِدُ، فَقِيلَ لِلَّيْلِ: غَاسِقٌ لأَنَّهُ أَبْرَدُ مِنَ النَّهَارِ.

أَوْ يُقَالُ: الغَسَقُ: السَّيَلانُ وَالإِحَاطَةُ، وَغَسَقُ اللَّيْلِ: سَيَلانُهُ وَإِحَاطَتُهُ بِالأَرْضِ، وَإِذَا فُسِّرَ بِالقَمَرِ فَقَدْ يُقَالُ: وُقُوبُهُ أَيْ دُخُولُهُ، وَهُوَ دُخُولُهُ فِي الكُسُوفِ، وَلا مُنَافَاةَ بَيْنَ تَفْسِيرِهِ بِاللَّيْلِ وَبِالقَمَرِ؛ فَإِنَّ القَمَرَ آيَةُ اللَّيْلِ، فَهُنَا ثَلاثُ مَرَاتِبَ:

اللَّيْلُ مُطْلَقًا، ثُمَّ القَمَرُ مُطْلَقًا، ثُمَّ القَمَرُ حَالَ كُسُوفِهِ.

وَهَذَا مُناسِبٌ لِمَا ذُكِرَ فِي الْمُسْتَعَاذِ بِهِ ؛ فَإِنَّ عُمُومَ الفَلَقِ لِلْخَلْقِ بِإِزَاءِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَخُصُوصُهُ بِالفَجْرِ الَّذِي هُوَ ظُهُورُ النُّورِ بِإِزَاءِ الغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ الَّذِي هُوَ دُخُولُ الظَّلامِ.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الغَاسِقُ: الثُّرَيَّا إِذَا سَقَطَتْ وَكَانَتِ الأَسْقَامُ وَالطَّوَاعِينُ تَكْثُرُ عِنْدَ وُقُوعِهَا، وَقَدْ تَقَعُ عِنْدَ طُلُوعِهَا، وَيُشْبِهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنْ يَكُونَ مِنَ الحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ: أَنَّ النُّورَ هُوَ جِنْسُ الخَيْرِ، وَالظُّلْمَةَ جِنْسُ الشَّرِّ، وَفِي اللَّيْلِ يَقَعُ مِنَ الشُّرُورِ النَّفْسَانِيَّةِ مَا لا يَقَعُ فِي النَّهَارِ، وَالقَمَرُ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي الأَرْضِ لا سِيَّمَا حَالَ كُسُوفِهِ ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّهُمَا آيَتَانِ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِمَا عِبَادَهُ». وَالتَّخْوِيفُ: إِنَّمَا يَكُونُ بِانْعِقَادِ سَبَبِ الخَوْفِ، وَلا يَكُونُ ذَلِكَ إِلا عِنْدَ سَبَبِ العَذَابِ أَوْ مَظِنَّتِهِ ؛ فَعُلِمَ أَنَّ الكُسُوفَ مَظِنَّةُ حُدُوثِ عَذَابٍ بِأَهْلِ الأَرْضِ، وَلِهَذَا شَرَعَ عِنْدَ الكُسُوفِ الصَّلاةَ الطَّوِيلَةَ وَالصَّدَقَةَ وَالعَتَاقَةَ وَالدُّعَاءَ لِدَفْعِ العَذَابِ، وَكَذَلِكَ عِنْدَ سَائِرِ الآيَاتِ الَّتِي هِيَ إِنْشَاءُ العَذَابِ كَالزَّلْزَلَةِ وَظُهُورِ الكَوَاكِبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَهُوَ أَقْرَبُ الكَوَاكِبِ الَّتِي لَهَا تَأْثِيرٌ فِي الأَرْضِ بِالتَّرْطِيبِ وَالْيُبْسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَلِهَذَا كَانَ الطَّالِبُونَ لِلْمَنْفَعَةِ وَالمَضَرَّةِ مِنَ الكَوَاكِبِ إِنَّمَا يَأْخُذُونَ الأَحْدَاثَ بِحَسَبِ سَيْرِ القَمَرِ، فَإِذَا كَانَ فِي شَرَفِهِ كَالسَّرَطَانِ كَانَ الوَقْتُ عِنْدَهُمْ سَعِيدًا، وَإِذَا كَانَ فِي العَقْرَبِ وَهُوَ هُبُوطُهُ كَانَ نَحْسًا، فَهَذَا فِي عِلْمِهِمْ وَكَذَلِكَ فِي عَمَلِهِمْ مِنَ السِّحْرِ وَغَيْرِهِ: القَمَرُ أَقْرَبُ الْمُؤَثِّرَاتِ، حَتَّى صَنَّفُوا (مُصْحَفَ القَمَرِ) لِعِبَادَتِهِ وَتَسْبِيحِهِ). [مجموع الفتاوى: ١٧/٥٣٣- ٥٣٤]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وَإِذَا قِيلَ: الفَلَقُ يَعُمُّ وَيَخُصُّ فَبِعُمُومِهِ لِلْخَلْقِ أَسْتَعِيذُ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَبِخُصُوصِهِ لِلنُّورِ النَّهَارِيِّ أَسْتَعِيذُ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ.

فَإِنَّ الغَاسِقَ قَدْ فُسِّرَ بِاللَّيْلِ كَقَوْلِهِ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ وَأَهْلِ اللُّغَةِ. قَالُوا: وَمَعْنَى ﴿وَقَبَ ۝٣﴾ دَخَلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

قَالَ الزَّجَّاجُ: الغَاسِقُ: البَارِدُ، وَقِيلَ: لَيْلٌ غَاسِقٌ لأَنَّهُ أَبْرَدُ مِنَ النَّهَارِ.

وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، تَعَوَّذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ».

وَرُوِيَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا أَنَّ الغَاسِقَ النَّجْمُ.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: هُوَ الثُّرَيَّا، وَكَانَتِ الأَسْقَامُ وَالطَّوَاعِينُ تَكْثُرُ عِنْدَ وُقُوعِهَا وَتَرْتَفِعُ عِنْدَ طُلُوعِهَا.

وَهَذَا الْمَرْفُوعُ قَدْ ظَنَّ بَعْضُ النَّاسِ مُنَافَاتَهُ لِمَنْ فَسَّرَهُ بِاللَّيْلِ ؛ فَجَعَلُوهُ قَوْلا آخَرَ ثُمَّ فَسَّرُوا وُقُوبَهُ بِسُكُونِهِ.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَيُقَالُ: الغَاسِقُ: القَمَرُ إِذَا كَسَفَ وَاسْوَدَّ، وَمَعْنَى وَقَبَ: دَخَلَ فِي الكُسُوفِ، وَهَذَا ضَعِيفٌ ؛ فَإِنَّ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُعَارَضُ بِقَوْلِ غَيْرِهِ، وَهُوَ لا يَقُولُ إِلا الحَقَّ، وَهُوَ لَمْ يَأْمُرْ عَائِشَةَ بِالاسْتِعَاذَةِ مِنْهُ عِنْدَ كُسُوفِهِ، بَلْ مَعَ ظُهُورِهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] فَالقَمَرُ آيَةُ اللَّيْلِ.

وكَذَلِكَ النُّجُومُ إِنَّمَا تَطْلُعُ فَتُرَى بِاللَّيْلِ، فَأَمْرُهُ بالاسْتِعَاذَةِ مِنْ ذَلِكَ أَمْرٌ بالاسْتِعَاذَةِ مِنْ آيَةِ اللَّيْلِ، وَدَلِيلِهِ وَعَلامَتِهِ، وَالدَّلِيلُ مُسْتَلْزِمٌ لِلْمَدْلُولِ؛ فَإِذَا كَانَ شَرُّ القَمَرِ مَوْجُودًا فَشَرُّ اللَّيْلِ مَوْجُودٌ، وَلِلْقَمَرِ مِنَ التَّأْثِيرِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِ، فَتَكُونُ الاسْتِعَاذَةُ مِنَ الشَّرِّ الحَاصِلِ عَنْهُ أَقْوَى.

وَيَكُونُ هَذَا كَقَوْلِهِ عَنِ المَسْجِدِ المُؤَسَّسِ عَلَى التَّقْوَى: «هُوَ مَسْجِدِي هَذَا»، مَعَ أَنَّ الآيَةَ تَتَنَاوَلُ مَسْجِدَ قُبَاءٍ قَطْعًا. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ عَنْ أَهْلِ الكِسَاءِ: «هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي» مَعَ أَنَّ القُرْآنَ يَتَنَاوَلُ نِسَاءَهُ، فَالتَّخْصِيصُ لِكَوْنِ المَخْصُوصِ أَوْلَى بالوَصْفِ؛ فَالقَمَرُ أَحَقُّ مَا يَكُونُ بِاللَّيْلِ بالاسْتِعَاذَةِ، وَاللَّيْلُ مُظْلِمٌ تَنْتَشِرُ فِيهِ شَيَاطِينُ الإِنْسِ وَالجِنِّ مَا لا تَنْتَشِرُ بِالنَّهَارِ، وَيَجْرِي فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّرِّ مَا لا يَجْرِي بِالنَّهَارِ مِنْ أَنْوَاعِ الكُفْرِ وَالفُسُوقِ وَالعِصْيَانِ وَالسِّحْرِ وَالسَّرِقَةِ وَالخِيَانَةِ وَالفَوَاحِشِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَالشَّرُّ دَائِمًا مَقْرُونٌ بِالظُّلْمَةِ، وَلِهَذَا إِنَّمَا جَعَلَهُ اللَّهُ لِسُكُونِ الآدَمِيِّينَ وَرَاحَتِهِمْ، لَكِنَّ شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ تَفْعَلُ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ مَا لا يُمْكِنُهَا فِعْلُهُ بِالنَّهَارِ، وَيَتَوَسَّلُونَ بِالقَمَرِ وَبِدَعْوَتِهِ وَالقَمَرِ وَعِبَادَتِهِ، وَأَبُو مَعْشَرٍ البَلْخِيُّ لَهُ "مُصْحَفُ القَمَرِ" يَذْكُرُ فِيهِ مِنَ الكُفْرِيَّاتِ وَالسِّحْرِيَّاتِ مَا يُنَاسِبُ الاسْتِعَاذَةَ مِنْهُ). [مجموع الفتاوى:١٧/٥٠٥- ٥٠٦]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (وذُكِرَ في الغَاسِقِ وُجُوهٌ:

فعنِ الفرَّاءِ وأبي عُبَيْدَةَ: هو الليلُ إذَا جَنَّ ظلامُه، ومنه غَسَقَتِ العَيْنُ أو الجِراحَةُ: إذا امْتَلأَتْ دَمْعًا أو دَمًا.

وقالَ الزَّجَّاجُ: هو البارِدُ، وسُمِّيَ الليلُ غاسِقًا؛ لأنه أبْرَدُ من النهارِ، فعلى هذا لعلَّه أُرِيدَ به الزَّمْهَرِيرُ.

وقالَ قومٌ: هو السائِلُ، مِن قولِهم: غَسَقَتِ العَيْنُ تَغْسِقُ غَسْقًا، إذا سَالَتْ بالمَاءِ. وسُمِّيَ الليلُ غاسِقًا؛ لانصبابِ ظَلامِهِ على الأرضِ.

قلتُ: ولعلَّ الاستعاذَةَ على هذا التفسيرِ إنما تكونُ مِن الغَسَّاقِ في قولِه تعالى: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ [النبأ: ٢٥].

والوُقُوبُ: الدُّخولُ في الشيءِ بحَيْثُ يَغِيبُ عن العَيْنِ، هذا مِن حَيْثُ اللُّغَةُ، ثُمَّ إنَّ الغاسِقَ إذَا فُسِّرَ بالليلِ فوُقُوبُه: دُخولُه، وهو ظَاهِرٌ.

ووَجْهُ التعَوُّذِ من شَرِّه أنَّ السِّباعَ فيهِ تَخْرُجُ من آجامِها والهوامَّ من مَكامِنِها، وأهلَ الشرِّ والفِتْنَةِ من أماكِنِها، ويَقِلُّ فيهِ الغَوْثُ؛ ولهذا قالَتِ الفُقَهاءُ: لو شَهَرَ أحَدٌ سِلاحًا على إنسانٍ لَيْلاً فقتَلَه المشهورُ عليهِ لَمْ يَلْزَمْهُ قِصاصٌ، ولو كانَ نَهارًا لَزِمَه؛ لوُجودِ الغَوْثِ.

وَقَدْ يُقالُ: إنَّه تَنْتَشِرُ في الليلِ الأرواحُ المُؤْذِيَةُ المُسَمَّاةُ بالجِنِّ والشياطينِ؛ وذلكَ لأَنَّ قُوَّةَ الشَّمْسِ وشُعاعَها كأنَّها تَقْهَرُهم، أمَّا في الليلِ فيَحْصُلُ لهم نوعُ استيلاءٍ.

وعن ابنِ عبَّاسٍ: هو ظُلْمَةُ الشَّهْوَةِ البَهِيمِيَّةِ إذا غلَبَتْ داعِيَةَ العَقْلِ.

قالَ ابنُ قُتَيْبَةَ: الغَاسِقُ: القَمَرُ؛ لأنَّه يَذْهَبُ ضَوْءُه عندَ الخُسوفِ، ووقُوبُه: دُخولُه في ذلك الاسْوِدادِ.

وعن عائشةَ: أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ أخَذَ بيدِها وقالَ لَها: «اسْتَعِيذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ».

وعَلَى هذا التَّفْسِيرِ يُمْكِنُ تصحيحُ قولِ الحكيمِ: إنَّ القَمَرَ جِرْمٌ كَثِيفٌ مُظلِمٌ في ذَاتِه، لكنَّه يَقْبَلُ الضَّوْءَ عن الشمسِ، ويَخْتَلِفُ حالُه في ذلك بحَسَبِ قُرْبِه منها وبُعدِه عنها، ووُقُوبُه: إما دُخولُه في دَائرةِ الظلامِ في الخُسوفاتِ، وإما دُخولُه تَحْتَ شُعاعِ الشمسِ في آخِرِ كُلِّ شَهْرٍ، وحينَئذٍ يَكُونُ مَنْحُوسًا قَليلَ القُوَّةِ؛ ولذلك تَخْتَارُ السَّحَرَةُ ذلك الوَقْتَ للتمريضِ والإضرارِ والتفريقِ ونحوِها.

وقيلَ: الغاسِقُ: الثُّرَيَّا إذا سَقَطَ في المَغْرِبِ، قالَ ابنُ زَيْدٍ: وكانتِ الأسقامُ تَكْثُرُ حِينَئذٍ.

وقالَ في الكَشَّافِ: "يَجوزُ أنْ يُرادَ بِهِ الأَسْوَدُ مِن الحَيَّاتِ، ووَقْبُه: ضَرْبُه ونَقْبُه".

وقيلَ: هو الشمسُ إذا غابَتْ، وسُمِّيَتْ غَاسِقًا؛ لسَيلانِها ودَوامِ حَرَكَتِها). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٧- ٢٢٨]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنُ جَمَاعَةَ الكِنَانِيُّ (ت: ٧٣٣هـ): (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾: هُوَ: اللَّيْلُ إِذَا أَظْلَمَ. ﴿وَقَبَ ۝٣﴾: أَيْ: عَمَّ ظَلامُهُ؛ لأَنَّ بَثَّ الشَّرِّ فِيهِ أَكْبَرُ، وَقِيلَ: هُوَ القَمَرُ إِذَا امْتَلأَ، وَوَقَبَ: أَيِ انْكَسَفَ. وَقِيلَ: هُوَ إِبْلِيسُ). [غرر التبيان:٥٥٢]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيٍّ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ فيه ثمانيةُ أقوالٍ،

الأَوَّلُ: أنه الليلُ إذا أَظْلَمَ، ومنه قولُه تعالى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، وهذا قولُ الأكثرينَ؛ وذلك لأنَّ ظُلمةَ الليلِ يَنْتَشِرُ عندَها أهلُ الشرِّ من الإنْسِ والجِنِّ، ولذلك قالَ في المَثَلِ: الليلُ أَخْفَى للوَيْلِ.

الثاني: أنه القَمَرُ. خَرَّجَ النَّسائيُّ أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى القمَرَ فقالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي باللهِ من شَرِّ هذا فإنه الغاسِقُ إذا وَقَبَ»، ووُقوبُه هذا كُسوفُه؛ لأنَّ وَقَبَ في كلامِ العَرَبِ يكونُ بمعنى الظُّلْمَةِ والسوادِ وبمعنى الدخولِ، فالمعنى: إذا دَخَلَ في الكُسوفِ، أو إذا أَظْلَمَ به.

الثالثُ: أنه الشمْسُ إذا غَرَبَتْ، والوُقوبُ على هذا المعنى الظُّلْمَةُ أو الدخولُ.

الرابعُ: أن الغاسِقَ النهارُ إذا دَخَلَ في الليلِ، وهذا قريبٌ من الذي قبلَه.

الخامسُ: أنَّ الغاسِقَ سُقوطُ الثُّرَيَّا، وكانت الأسقامُ والطاعونُ تَهيجُ عندَه، ورُوِيَ أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِه وَسَلَّمَ قالَ: «النَّجْمُ هو الغاسِقُ». فيَحتمِلُ أن يُريدَ الثُّرَيَّا.

السادسُ: أنه الذَّكَرُ إذا قام، حَكَى النَّقَّاشُ هذا القولَ عن ابنِ عَبَّاسٍ.

السابعُ: قالَ الزَّمخشريُّ: يَجوزُ أن يُرادَ بالغاسِقِ الأسودُ من الحَيَّاتِ، ووَقْبُه: ضَرْبُه.

الثامنُ: أنه إبليسُ، حَكَى ذلك السُّهيليُّ). [التسهيل: ٢٢٥]

قَالَ عَبْدُ البَاقِي بْنُ عَبدِ المَجِيدِ القُرَشِيُّ اليَمَانِيُّ (ت: ٧٤٣هـ): (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ الغَاسِقُ: اللَّيْلُ إذا اعْتَكَرَ ظلامُهُ، ومنه: غَسَقَتِ العَيْنُ: إذا امْتَلأَتْ دَمْعًا، وغَسَقَتِ الجِراحَةُ: امْتَلأَتْ دَمًا، ووُقُوبُهُ: دُخُولُ ظَلامِهِ، ومنه وقَبَتِ الشَّمْسُ: إذا غَابَتْ، وقيلَ: المُرادُ بالغَاسِقِ إذا وَقَبَ: القَمَرُ إذا امْتَلأَ نُورًا ووَقَبَ، ووُقُوبُهُ دُخُولُهُ في الكُسوفِ، ويَجُوزُ أنْ يُرَادَ بالغَاسِقِ: الأَسْوَدُ مِنَ الحَيَّاتِ، ووَقْبُهُ: ضَرْبُهُ ونَقْبُهُ، والوَقْبُ: النَّقْبُ، ومنه: وَقْبَةُ الثَّرِيدِ). [الترجمان: ٢٣٤]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَقَبَ الليلُ: أَظْلَمَ، وَالشمسُ: غَابَتْ، وَالعذابُ: حَلَّ، قَالَ الشاعرُ:

وَقَبَ العَذَابُ عليهمُ فَكَأَنَّهُم ... لَحِقَتْهُمُ نَارُ السَّمُومِ فَأُحْصِدُوا

). [البحر المحيط: ٧٥٩/٨]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَالغَاسِقُ: الليلُ، وَ﴿وَقَبَ ﴿٣﴾﴾ أَظْلَمَ وَدَخَلَ على الناسِ؛ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالحسنُ وَمجاهدٌ وَزَمَكَهُ الزمخشريُّ على عادتِهِ فَقَالَ: وَالغاسِقُ: الليلُ إذا اعْتَكَرَ ظَلامُهُ، مِنْ قولِهِ تعالى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨]. وَمِنْهُ: غَسَقَت العينُ: امْتلأَتْ دَمْعًا، وَغَسَقَت الجِراحةُ: امْتلأَتْ دمًا، وَوُقُوبُهُ دُخُولُ ظلامِهِ في كلِّ شيءٍ. انْتَهَى.

وَقالَ الزَّجَّاجُ: هوَ الليلُ؛ لأَنَّهُ أَبْرَدُ مِنَ النهارِ، وَالغاسقُ: البارِدُ، اسْتُعِيذَ مِنْ شَرِّهِ؛ لأَنَّهُ فيهِ تَنْبُتُ الشياطينُ وَالهوامُّ وَالحشراتُ وَأهلُ الفَتْكِ، قَالَ الشاعرُ:

يَا طَيْفَ هِنْدٍ لَقَدْ أَبْقَيْتَ لِي أَرَقَا ... إِذْ جِئْتَنَا طَارِقًا وَاللَّيْلُ قَدْ غَسَقَا

وقالَ محمدُ بنُ كعبٍ: النهارُ دَخَلَ في الليلِ. وَقالَ ابنُ شِهَابٍ: المُرادُ بالغَاسِقِ: الشمسُ إذا غَرَبَتْ. وَقالَ القُتَبيُّ وَغيرُهُ: هوَ القمرُ إذا دَخَلَ في سَاهُورِهِ فَخَسَفَ. وَفي الحديثِ: نَظَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى القمرِ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، نَعُوذُ باللَّهِ مِنْ هَذَا، فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ». وَعنهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «الغاسِقُ: النَّجْمُ».

وَقالَ ابنُ زيدٍ عَنِ العربِ: الغَاسِقُ: الثُّرَيَّا إذا سَقَطَتْ، وكانت الأسقامُ وَالطَّاعُونُ تَهيجُ عندَ ذلكَ، وَقيلَ: الحيَّةُ إذا لَدَغَتْ، وَالغاسقُ: سُمُّ نَابِهَا؛ لأَنَّهُ يَسِيلُ منهُ، وَالنَّفَّاثَاتُ: النِّسَاءُ أَوِ النُّفُوسُ أَوِ الجماعاتُ السواحرُ يَعْقِدْنَ عُقَدًا في خيوطٍ وَيَنْفُثْنَ عليها وَيَرْقِينَ). [البحر المحيط: ٧٦١/٨- ٧٦٢]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَالغَاسِقُ: اللَّيْلُ، وَ﴿وَقَبَ ﴿٣﴾﴾: أَظْلَمَ وَدَخَلَ عَلَى النَّاسِ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ). [النهر الماد: ١٣١٩]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُثْمَانَ التُّرْكُمَانِيُّ (ت: ٧٥٠هـ): (﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾ اللَّيْلِ إذَا دَخَلَ. وقِيلَ: القَمَرُ إِذَا اسْوَدَّ ودَخَلَ فِي الكُسُوفِ). [بهجة الأريب: ٢٥٦]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١هـ): (فصلٌ: الشرُّ الثاني: شَرُّ الغاسِقِ إذا وَقَبَ، فهذا خاصٌّ بعدَ عامٍّ، وقد قالَ أَكْثَرُ المُفسِّرينَ: إنه الليلُ. قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: الليلُ إذا أَقْبَلَ بظُلْمَتِه من الشرْقِ ودَخَلَ في كلِّ شيءٍ وأَظْلَمَ، والغَسَقُ: الظُّلْمَةُ، يُقالُ: غَسَقَ الليلُ وأَغْسَقَ إذا ظَلِمَ، ومنه قولُه تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

وكذلك قالَ الحَسَنُ ومُجاهِدٌ: الغاسِقُ إذا وَقَبَ: الليلُ إذا أَقْبَلَ ودَخَلَ، والوُقوبُ: الدخولُ، وهو دُخولُ الليلِ بغُروبِ الشمْسِ، وقالَ مُقاتِلٌ: يعني ظُلمةَ الليلِ إذا دَخَلَ سَوادُه في ضَوْءِ النهارِ.

وفي تَسميةِ الليلِ غَاسقًا قولٌ آخَرُ: إنه من البَرْدِ، والليلُ أَبْرَدُ من النهارِ.

والغَسَقُ: البَرْدُ، وعليه حَمَلَ ابنُ عبَّاسٍ قولَه تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧﴾ [ص: ٥٧] وقولَه: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥﴾ [النبأ: ٢٤- ٢٥] قال: هو الزَّمْهَريرُ يُحرِقُهم ببَرْدِه، كما تُحرِقُهُم النارُ بحَرِّها، وكذلك قالَ مُجاهِدٌ ومُقاتِلٌ: هو الذي انْتَهى بَرْدُه.

ولا تَنافِيَ بينَ القولَيْنِ؛ فإنَّ الليلَ بارِدٌ مُظْلِمٌ، فمن ذَكَرَ بَرْدَه فقط أو ظُلْمَتَه فقط اقْتَصَرَ على أحَدِ وَصْفَيْه، والظُّلْمَةُ في الآيةِ أَنْسَبُ لمكانِ الاستعاذةِ، فإنَّ الشرَّ الذي يُناسِبُ الظُّلْمَةَ أَوْلَى بالاستعاذةِ من البَرْدِ الذي في الليلِ، ولهذا اسْتَعاذَ برَب الفَلَقِ الذي هو الصبْحُ والنورُ ومِن شرِّ الغاسِقِ الذي هو الظُّلْمةُ، فناسَبَ الوصْفُ المُستعاذُ به للمعنى المطلوبِ بالاستعاذةِ، كما سنَزيدُه تَقريرًا عن قريبٍ إن شاءَ اللهُ.

فإن قيلَ: فما تَقولون فيما رواه التِّرمِذِيُّ من حديثِ ابنِ أبي ذِئْبٍ، عن الحارثِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن أبي سَلَمَةَ، عن عائشةَ قالَتْ: أَخَذَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَدِي فنظَرَ إلى القمَرِ فقالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي باللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ». قالَ التِّرْمِذِيُّ: هذا حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ. وهذا أَوْلَى من كلِّ تفسيرٍ فيَتَعَيَّنُ المَصيرُ إليه.

وقيلَ: هذا التفسيرُ حَقٌّ، ولا يُنَاقِضُ التفسيرَ الأوَّلَ، بل يُوافِقُه ويَشْهَدُ بصِحَّتِه؛ فإنَّ اللهَ — تعالى — قالَ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢]. فالقَمَرُ هو آيةُ الليلِ وسُلطانُه، فهو أيضًا غاسِقٌ إذا وَقَبَ، وهذا خَبَرُ صِدْقٍ، وهو أَصْدَقُ الخَبَرِ، ولم يَنْفِ عن الليلِ اسمَ الغاسِقِ إذا وَقَبَ، وتخصيصُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له بالذِّكْرِ لا يَنْفِي شُمولَ الاسمِ لغيرِه.

ونَظيرُ هذا قولُه في المَسجِدِ الذي أُسِّسَ على التقوى، وقد سُئِلَ عنه؟ فقالَ: «هُوَ مَسْجِدِي هَذَا» ومعلومٌ أنَّ هذا لا يَنْفِي كونَ مَسْجِدِ قُباءٍ مؤسَّسًا على التقوى مثلَ ذلك.

ونَظيرُه أيضًا قولُه في عليٍّ وفَاطِمَةَ والحسَنِ والحسينِ، رَضِيَ اللهُ عنهم أَجْمَعِينَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي». فَإِنَّ هَذَا لا يَنْفِي دُخُولَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فِي لَفْظِ أَهْلِ البيتِ، ولكنَّ هؤلاءِ أَحَقُّ مَن دَخَلَ في لفْظِ أَهْلِ بيتِه.

ونَظيرُ هذا قولُه: «لَيْسَ المِسْكِينُ هَذَا الطَّوَّافَ الَّذِي تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنَّ المِسْكِينَ الَّذِي لا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا وَلا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ». وهذا لا يَنْفِي اسمَ المَسْكَنَةِ عن الطَّوَّافِ، بل يَنْفِي اختصاصَ الاسمِ به، وتَنَاوُلُ المِسكينِ لغيرِ السائلِ أَوْلَى مِن تَناوُلِه له.

ونَظيرُ هذا قولُه: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ، وَلَكِن الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ» فإنه لا يَقتَضِي نَفْيَ الاسمِ عن الذي يَصْرَعُ الرجالَ، ولكن يَقْتَضِي أنَّ ثُبوتَه للذي يَمْلِكُ نفسَه عندَ الغَضَبِ أَوْلَى. ونَظيرُه الغَسَقُ والوُقوبُ وأمثالُ ذلك، فكذلك قولُه في القمَرِ: «هذا هو الغاسِقُ إذا وَقَبَ» لا يَنْفِي أن يكونَ الليلُ غاسقًا، بل كِلاهما غاسِقٌ.

فإن قيلَ: فما تقولون في القولِ الذي ذَهَبَ إليه بعضُهم أنَّ المرادَ به القمَرُ إذا خَسَفَ واسْوَدَّ، وقولُه: وَقَبَ أي: دَخَلَ في الخُسوفِ أو غابَ خَاسِفًا.

قيلَ: هذا القولُ ضَعيفٌ، ولا نَعْلَمُ به سَلَفًا، والنبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أشارَ إلى القمَرِ وقالَ: ((هذا الغاسِقُ إذا وَقَبَ)) لم يكن خاسِفًا إذ ذاك، وإنما كان هو مُسْتَنِيرًا، ولو كان خاسِفًا لذَكَرَتْه عائشةُ، وإنما قالَتْ: نَظَرَ إلى القمَرِ، وقالَ: ((هَذَا هُوَ الغَاسِقُ)) ولو كان خاسِفًا لم يَصِحَّ أن يُحْذَفَ ذلك الوَصْفُ منه، فإنَّ ما أُطْلِقَ عليه اسمُ الغاسِقِ باعتبارِ صِفَةٍ لا يَجوزُ أن يُطْلَقَ عليه بدونِها لِمَا فيه من التلبيسِ.

وأَيضًا فإنَّ اللغةَ لا تُساعِدُ على هذا فلا نَعْلَمُ أحدًا قالَ: الغاسِقُ: القمَرُ في حالِ خُسُوفِه، وأيضًا فإنَّ الوُقوبَ لا يَقولُ أَحَدٌ من أهلِ اللغةِ: إنه الخُسوفُ، وإنما هو الدخولُ من قولِهم: وَقَبت العينُ إذا غارَتْ، ورَكِيَّةٌ وَقْباءُ: غارَ ماؤُها فدَخَلَ في أَعماقِ الترابِ.

ومنه الوَقْبُ: للثُّقْبِ الذي يَدْخُلُ فيه المِحْوَرُ، وتقولُ العَرَبُ: وَقَبَ يَقِبُ وُقوبًا إذا دَخَلَ.

فإن قيلَ: فما تقولون في القوْلِ الذي ذَهَبَ إليه بعضُهم: إنَّ الغاسِقَ هو الثُّرَيَّا إذا سَقَطَتْ، فإن الأسقامَ تَكْثُرُ عندَ سقوطِها وغُروبِها وتَرْتَفِعُ عندَ طُلوعِها؟ قيلَ: إن أَرادَ صاحِبُ هذا القولِ اختصاصَ الغاسِقِ بالنَّجْمِ إذا غَرَبَ فباطِلٌ، وإن أَرادَ أنَّ اسْمَ الغاسِقِ يَتناوَلُ ذلك بوَجْهٍ ما، فهذا يَحْتِملُ أن يَدُلَّ اللفظُ عليه بفَحْوَاه ومَقصودِه وتَنْبيهِه، وأمَّا أن يَخْتَصَّ اللفظُ به فباطِلٌ). [بدائع الفوائد: ٢/٢١٦- ٢١٨]

قَالَ السَّمِينُ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الحَلَبِيُّ (ت: ٧٥٦هـ): (قولُهُ: ﴿وَقَبَ ۝٣﴾. وَقَبَ الليلُ: أَظْلَمَ، وَالعذابُ: حَلَّ، وَالشمسُ: [غَرَبَتْ، وَقِيلَ: وَقَبَ، أَيْ: دَخَلَ)] قَالَ الشاعِرُ: [الدر المصون: ١١/١٥٨]

وَقَبَ العَذَابُ عَلَيْهِمُ فَكَأَنَّهُمْ ... لَحِقَتْهُمُ نَارُ السَّمُومِ فَأُحْصِدُوا

والغاسِقُ قِيلَ: الليلُ. وَقِيلَ: القمرُ. سُمِّيَ الليلُ غَاسِقًا لِبُرُودَتِهِ، وَقدْ تَقَدَّمَ الكلامُ على هذهِ المادَّةِ في سورةِ ص. وَاستُعِيذَ مِنَ الليلِ لِمَا يَبِيتُ فيهِ مِنَ الآفاتِ. قَالَ الشاعِرُ:

يَا طَيْفَ هِنْدٍ لَقَدْ أَبْقَيْتَ لِي أَرَقَا ... إِذْ جِئْتَنَا طَارِقًا وَالليلُ قَدْ غَسَقَا

أيْ: أَظْلَمَ وَاعْتَكَرَ.

وَ ﴿إِذَا﴾ منصوبٌ بـ ﴿أَعُوذُ﴾ أيْ: أَعُوذُ باللَّهِ مِنْ هذا في وَقتِ كذا). [الدر المصون: ١١/١٥٩]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ سُلَيْمَانَ بْنِ رَيَّانَ (ت: ٧٧٠هـ): (سُؤالٌ: ما مَعْنَى ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾؟

جَوابٌ: إِذَا أُرِيدَ بالغاسِقِ اللَّيْلُ، فمعناه: دَخَلَ ظلامُهُ، ولا شكَّ أن المضارَّ في اللَّيْلِ أكثَرُ، ولذلك قيلَ: اللَّيْلُ أَخْفَى للوَيْلِ). [الروض الريان: ٣/٦٤٨]

قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾. قالَ مُجاهِدٌ: ﴿غَاسِقٍ﴾: اللَّيْلُ، ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾: غُروبُ الشَّمْسِ.

حكاهُ البُخاريُّ عنه، ورَوَاه ابنُ أَبِي نَجيحٍ عنه. وكذا قالَ ابنُ عَبَّاسٍ ومحمدُ بنُ كَعْبٍ القُرَظِيُّ والضَّحَّاكُ وخُصَيْفٌ والحَسَنُ وقَتَادَةُ: إِنَّهُ اللَّيْلُ إِذَا أَقْبَلَ بظَلامِه.

وقالَ الزُّهْرِيُّ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾: الشَّمْسُ إذا غَرَبَت.

وعن عَطِيَّةَ وقَتَادَةَ: ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾: اللَّيْلُ إذا ذَهَب.

وقالَ أبو الْمُهَزَّمِ عن أبي هُرَيْرَةَ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾: كَوْكَبٌ.

وقالَ ابنُ زَيْدٍ: كانتِ العربُ تقولُ: الغاسِقُ: سُقُوطُ الثُّرَيَّا، وكانتِ الأَسْقَامُ والطَّواعِينُ تَكْثُرُ عند وُقُوعِهَا، وتَرْتَفِعُ عندَ طُلُوعِها.

قالَ ابنُ جَرِيرٍ: ولِهؤلاءِ مِن الأَثَرِ ما حدَّثنِي نَصْرُ بنُ عَلِيٍّ، حدَّثنِي بَكَّارُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ ابنُ أَخِي هَمَّامٍ، حدَّثنَا محمدُ بنُ عَبْدِ العزيزِ بنِ عُمَرَ بنِ عَبْدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ، عن أبيهِ، عن أبي سَلَمَةَ، عن أبي هُرَيْرَةَ، عن النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾. قالَ: «النَّجْمُ الغَاسِقُ».

قلتُ: وهذا الحديثُ لا يَصِحُّ رَفْعُه إلى النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّم.

قالَ ابنُ جَرِيرٍ: وقالَ آخرونَ: هو القَمَرُ.

قُلْتُ: وعُمْدَةُ أصحابِ هذا القولِ ما رَواهُ الإمامُ أحمدُ: حدَّثنَا أبو دَاوُدَ الحَفَرِيُّ، عَنِ ابْنِ أبي ذِئْبٍ، عن الحارثِ، عن أبي سَلَمَةَ قالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رضِيَ اللَّهُ عَنْها: أَخَذَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ بيَدِي، فأَرانِي القَمَرَ حينَ طَلَعَ وقالَ: «تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ».

ورَواهُ التِّرْمِذِيُّ والنَّسائِيُّ في كتابَيِ التفسيرِ مِن سُنَنَيْهِمَا، مِن حديثِ مُحمدِ بنِ عَبْدِ الرحمنِ بنِ أبي ذِئْبٍ، عن خَالِه الحارثِ بنِ عَبْدِ الرحمنِ، به.

وقالَ التِّرْمِذِيُّ: حديثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. ولَفْظُه: «تَعَوَّذِي باللَّهِ مِن شَرِّ هَذَا؛ فإِنَّ هَذَا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ». ولَفْظُ النَّسائِيِّ: «تَعَوَّذِي باللَّهِ مِن شَرِّ هَذَا، هَذَا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ».

قالَ أصحابُ القولِ الأولِ، وهو أنَّه الليلُ إذا وَلَجَ: هذا لا يُنافِي قَوْلَنَا؛ لأَنَّ القَمَرَ آيةُ الليلِ، ولايُوجَدُ له سُلطانٌ إلاَّ فيهِ، وكذلك النجومُ لا تُضِيءُ إلاَّ باللَّيْلِ، فهو يَرْجِعُ إلى مَا قُلْنَاهُ، واللَّهُ أَعْلَمُ). [تفسير القرآن العظيم: ٣٩٠٧/٨- ٣٩٠٨]

قالَ حَيْدَرُ بْنُ عَلِيٍّ القَاشِيُّ (ت: ٧٧٦هـ): (مُجَاهِدٌ: غَاسِقٍ: اللَّيْلِ، إِذَا وَقَبَ: غُرُوبُ الشَّمْسِ، إِذَا وَقَبَ: إِذَا دَخَلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَأَظْلَمَ). [المعتمد في المنقول: ٥٠٦/٢]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ البَلَنْسِيُّ (ت: ٧٨٢هـ): (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾.

(سه) قيلَ: هو اسْمٌ لإِبْلِيسَ، وقيلَ: هو اللَّيْلُ، وقيلَ: هو الثُّرَيَّا، وأَصَحُّ ما فيهِ أَنَّهُ القَمَرُ؛ لِلْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ في ذلك عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قالَ لها: «تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ هَذَا، إِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»، وشَرُّهُ الذي يُتَّقَى يَكُونُ في الأَبْدَانِ بالآفَاتِ التي تَحْدُثُ بسَبَبِهِ، ويَكُونُ في الأَدْيَانِ كالفِتْنَةِ التي بها افْتُتِنَ مَنْ عَبَدَهُ وَعَبَدَ الشَّمْسَ. انْتَهَى.

(سي) وقِيلَ: الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ: الشَّمْسُ إِذَا غَرَبَت.

وذَكَرَ النَّقَّاشُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ الغَاسِقَ إِذَا وَقَبَ: ذَكَرُ الرَّجُلِ إِذَا قَامَ.
ونَقَلَهُ الغَزالِيُّ في الإِحْيَاءِ). [صلة الجمع: ٧٥٩- ٧٦٠]

قَالَ ابْنُ المُلَقِّنِ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٨٠٤هـ): (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾. أي: الليلِ المُظْلِمِ.
﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾. أي: أَقْبَلَ ودخَلَ؛ معناه: مَن يكونُ في الليلِ، ويُقالُ: إنَّ مَرَدَةَ الجِنِّ يَخْرُجونَ بالليلِ).
[تفسير غريب القرآن: ٦٠٣]

قَالَ ابنُ الهائِمِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِمَادٍ القَرَافِيُّ (ت: ٨١٥هـ): (﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾: يعني اللَّيْلَ إذَا دخَلَ في كلِّ شيْءٍ. والغَسَقُ: الظُّلْمةُ. ويقالُ: الغاسقُ: القمرُ إذَا كَسَفَ فاسْوَدَّ. ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾: إذَا دخَلَ في الكُسُوفِ). [التبيان: ٣٥٥]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزآبادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ الثِّقَةُ ابنُ المَأْمُونِ الهَرَوِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا أَبي، قالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبدِ اللهِ، قال: أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللهِ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَمَّارُ بْنُ عَبْدِ المَجِيدِ الهَرَوِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ السَّمَرْقَنْدِيُّ، عن مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنِ الكَلْبِيِّ، عن أَبي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ مِنْ شَرِّ اللَّيْلِ إِذَا دَخَلَ وَأَدْبَرَ). [تنوير المقباس: ٦٠٤]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ المَحَلِّيُّ (ت: ٨٦٤هـ): (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ أي: الليلِ إذا أَظْلَمَ، والقمرِ إذا غابَ). [تفسير الجلالين: ٦٠٤]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبِيُّ (ت: ٨٧٥ هـ): (وَاخْتُلِفَ فِي الغَاسِقِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: الغَاسِقُ: اللَّيْلُ.
وَ(وَقَبَ): أَظْلَمَ وَدَخَلَ عَلَى النَّاسِ.
وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَارَ إِلَى القمرِ وَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، تَعَوَّذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ». قَالَ السُّهَيْلِيُّ: وَهَذَا أَصَحُّ مَا قِيلَ لهذا الحَدِيثِ الصَّحِيحِ. انْتَهَى.
وَلَفْظُ صَاحِبِ سلاح المُؤْمِنِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنها أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَى القمرِ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسائِيُّ، والحاكمُ فِي المُسْتَدْرَكِ، وَاللَّفْظُ للترمذيِّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَقَالَ الحاكمُ: صَحِيحُ الإسنادِ. وَوَقَبَ القمرُ وُقُوبًا: دَخَلَ فِي الظلِّ الَّذِي يَكْسِفُهُ؛ قَالَهُ ابْنُ سِيدَهْ - انْتَهَى مِن السلاحِ). [الجواهر الحسان: ٥/٦٤٠- ٦٤١]

قَالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (قَوْلُهُ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ "إِذَا" مَنْصُوبٌ بـ "أَعُوذُ" أي: أَعُوذُ باللَّهِ مِنْ هَذَا في وَقْتِ كذا وكذا.
والغَسَقُ: هُوَ أَوَّلُ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، يُقَالُ منه: غَسَقَ اللَّيْلُ يَغْسِقُ، أي: يُظْلِمُ.
قَالَ ابْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ:

إِنَّ هَذَا اللَّيْلَ قَدْ غَسَقَا ... وَاشْتَكَيْتُ الهَمَّ وَالأَرَقَا

وهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ والضَّحَّاكِ وقَتَادَةَ والسُّدِّيِّ وغَيْرِهِم، ووَقَبَ عَلَى هَذَا: أَظْلَمَ.

وقِيلَ: نَزَلَ، قَالَ: وَقَبَ العَذَابُ عَلَى الكَافِرِينَ: نَزَلَ.

قَالَ:

وَقَبَ العَذَابُ عَلَيْهِمُ فكَأَنَّهُمْ ... لَحِقَتْهُمُ نَارُ السَّمُومِ فَأُحْصِدُوا

وقَالَ الزَّجَّاجُ: قِيلَ للَّيْلِ: غَاسِقٌ؛ لأَنَّه أَبْرَدُ مِنَ النَّهَارِ، والغَاسِقُ: البَارِدُ، وَالغَسَقُ: البَرْدُ؛ ولأَنَّ في اللَّيْلِ تَخْرُجُ السِّبَاعُ مِنْ آجَامِهَا، والهَوَامُّ مِنْ أَماكِنِهَا، وَيَنْبَعِثُ أَهْلُ الشَّرِّ عَلَى العَبَثِ والفَسَادِ، فَاسْتُعِيرَ مِنَ اللَّيْلِ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

يَا طَيْفَ هِنْدٍ لَقَدْ أَبْقَيْتَ لِي أَرَقَا ... إِذْ جِئْتَنَا طَارِقًا وَاللَّيْلُ قَدْ غَسَقَا

أي: أَظْلَمَ واعْتَكَرَ.

وقِيلَ: الغَاسِقُ: الثُّرَيَّا؛ لأَنَّها إِذَا سَقَطَتْ كَثُرَتِ الأَسْقَامُ والطَّوَاعِينُ، وإِذَا طَلَعَتِ ارْتَفَعَ ذلك. قَالَه عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ.

وقَالَ القُتَبِيُّ: القَمَرُ إِذَا وَقَبَ إِذَا دَخَلَ في سَاهُورِهِ كالغِلافِ إِذَا خَسَفَ، وكُلُّ شَيْءٍ اسْوَدَّ فهُوَ غَسَقَ.

وقَالَ قَتَادَةُ: "إِذَا وَقَبَ": إِذَا غَابَ.

قَالَ القُرْطُبِيُّ: وهُوَ أَصَحُّ؛ لِمَا رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ، فقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ» قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[وقِيلَ: الغَاسِقُ: الحَيَّةُ إِذَا لَدَغَتْ، وكَأَنَّ الغَاسِقَ نَابُهَا؛ لأَنَّ السُّمَّ يَغْسِقُ مِنْهُ، أي يَسِيلُ، يُقَالُ: غَسَقَتِ العَيْنُ تَغْسِقُ غَسْقًا، إِذَا سَالَتْ بالمَاءِ، وَسُمِّيَ اللَّيْلُ غَاسِقًا؛ لانْصِبَابِ ظَلامِهِ عَلَى الأَرْضِ، ووَقَبَ نَابُها إِذَا قَامَتْ باللَّدْغِ].

وقِيلَ: الغَاسِقُ: كُلُّ هَاجِمٍ يَضُرُّ، كائنًا مَا كَانَ، مِنْ قَوْلِهِم: غَسَقَتِ القُرْحَةُ، إِذَا جَرَى صَدِيدُهَا.

قَالَ ابْنُ الخَطِيبِ: وعِنْدِي فِيهِ وَجْهٌ آخَرُ، لَوْ أَنَّهُ صَحَّ، أَنَّ [القَمَرَ فِي جِرْمِهِ غَيْرُ مُسْتَنِيرٍ، بل هُوَ مُظْلِمٌ، فهَذَا هُوَ المُرَادُ مِنْ كَوْنِهِ غَاسِقًا، وَأَمَّا وُقُوبُهُ فهُوَ انْمِحَاءُ نُورِهِ فِي آخِرِ] الشَّهْرِ، وَالمُنَجِّمُونَ يَقُولُونَ: إِنَّهُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ مَنْحُوسٌ، قَلِيلُ القُوَّةِ؛ لأَنَّه لا يَزَالُ نُورُهُ بسَبَبِ ذَلِكَ تَزْدَادُ نُحُوسَتُهُ، فَإِنَّ السَّحَرَةَ إِنَّمَا يَشْتَغِلُونَ فِي السِّحْرِ المَوْرُوثِ للتَّمْرِيضِ فِي هَذَا الوَقْتِ، وهَذَا مُنَاسِبٌ لِسَبَبِ نُزُولِ السُّورَةِ، فَإِنَّهَا نَزَلَتْ لأَجْلِ أَنَّهُمْ سَحَرُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَجْلِ التَّمْرِيضِ). [اللباب: ٢٠/٥٧١- ٥٧٢]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَكانتْ مَادَّةُ (الغسق) تَدُورُ على الظلامِ وَالانْصِبَاب، فالغَسَقُ، مُحَرَّكَةً: ظُلْمَةُ أَوَّلِ الليلِ، وَغَسَقَتِ العينُ: أَظْلَمَتْ أَوْ دَمَعَتْ، وَاللَّبَنُ: انْصَبَّ مِنَ الضَّرْعِ، وَاللَّيْلُ: اشْتَدَّتْ ظُلْمَتُهُ، وَالغَسَقَانُ، مُحَرَّكَةً: الانصبابُ.

وَالغَاسِقُ: القَمَرُ، وَكأَنَّهُ سُمِّيَ بِهِ لسرعةِ سَيْرِهِ وَانْصِبَابِهِ في البروجِ، وَلأَنَّهُ ليسَ لهُ مِنْ نفسِهِ إلاَّ الإظلامُ، وَالثُّرَيَّا إذا سَقَطَتْ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ، قَالَ في القاموسِ: لِكَثْرَةِ الطَّوَاعِينِ وَالأسقامِ عندَ سُقُوطِهَا. وَالذَّكَرُ إذا قَامَ، كما قَالَهُ جماعةٌ، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهما، وَهوَ سَبَبٌ للجهلِ الذي هوَ ظلامٌ كُلُّهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ ﴾ أيْ: مُظْلِمٍ بَارِدٍ مُنْصَبٍّ ظَلامُهُ وَبَرْدُهُ، سَوَاءٌ كانَ أَصْلاً في الظلامِ حِسِّيًّا أَوْ مَعْنَوِيًّا، أَوْ كانَ حَامِلاً عَلَيْهِ، مثلُ الذَّكَرِ إذا قامَ لِمَا يَجُرُّ إليهِ مِنَ الوساوسِ الرَّدِيئَةِ لِغَلَبَةِ الشهوةِ واستحكامِ سلطانِ الهَوَى، وَمثلُ القمرِ لِمَا يَحْدُثُ منهُ مِنَ الرُّطُوبَاتِ الْمُفْسِدَةِ للأبدانِ وَغيرِ ذلكَ، انْصِبَابًا لهُ غايةُ القوَّةِ كَانْصِبَاب ما يَفِيضُ عَنِ امتلاءٍ في انحدارٍ، وَنَكَّرَهُ إشارةً إلى أَنَّهُ ليسَ كُلُّ غاسِقٍ مَذْمُومًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَلَمَّا كَانَ الشيءُ الذي اتَّصَفَ بالظلامِ يَكْثُفُ فَيَشْتَدُّ انْصِبَابُهُ وَأَخْذُهُ في السُّفُولِ إلى أَنْ يَسْتَقِرَّ وَيَسْتَحْكِمَ فِيمَا صُوِّبَ إليهِ مُجْتَمِعًا جِدًّا كَاجْتِمَاعِ الشيءِ في الوَقْبَةِ، وَهيَ النُّقْرَةُ في الصخرةِ، وَكانَ الظلامُ لا يَشْتَدُّ أَذَاهُ إلاَّ إذا اسْتَقَرَّ وَثَبَتَ - قَالَ مُعَبِّرًا بأداةِ التحققِ: ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ أي: اعْتَكَرَ ظلامُهُ، وَدَخَلَ في الأشياءِ بغَايَةِ القوَّةِ كَمَدْخُولِ الثَّقِيلِ الكثيفِ الْمُنْصَبِّ في النُّقْرَةِ التي تكونُ كالبئرِ في الصخرةِ الصَّمَّاءِ الْمَلْسَاءِ، وَهذا إشَارَةٌ إلى أَنَّهُ يَسْهُلُ عِلاجُهُ وَزوالُهُ قبلَ تَمَكُّنِهِ.

وَفي الحديثِ: «لَمَّا رَأَى الشَّمْسَ قَدْ وَقَبَتْ قَالَ: هَذَا حِينُ حِلِّهَا» يَعْنِي صلاةَ المغربِ، وَفيهِ عندَ أبي يَعْلَى أَنَّهُ قَالَ لعائشةَ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهَا عَنِ القمرِ: «تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ».

وَأكثرُ الأقوالِ أَنَّهُ الليلُ، خُصَّ بالاستعاذةِ لأنَّ الْمَضَارَّ فيهِ تَكْثُرُ وَيَعْسُرُ دَفْعُهَا، وَأصلُ الغسَقِ الظلامُ، وَيَلْزَمُ منهُ الامتلاءُ، وَقِيلَ: إنَّ الامتلاءَ هوَ الأصلُ، وَأَصْلُ الوُقُوبِ الدخولُ في وَقْبَةٍ، أَوْ ما هُوَ كالوَقْبَةِ، وَهيَ النُّقْرَةُ). [نظم الدرر: ٨/٦٠٥]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الإِيجِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت: ٩٠٥ هـ): (﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ ﴾: الليلِ، ﴿ إِذَا وَقَبَ ۝٣ ﴾: دَخَلَ ظلامُه، ولا شكَّ أنَّ المَضارَّ في الليلِ أكثرُ وأشدُّ. أو هو القمرُ إذا وَقَبَ، ودَخَلَ في الكُسُوفِ والاسودادِ. وعن بعضٍ: هو الثُّرَيَّا إذا سَقَطَتْ. ويُقالُ: إنَّ الأَسقامَ تَكْثُرُ عندَ وُقُوعِها، وتَرْتَفِعُ عندَ طُلُوعِها). [جامع البيان: ٤/٥٤٦]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت:٩١١هـ): (﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ فُسِّرَ في حديثٍ مرفوعٍ بالقمرِ إذا طلَع.

أخرَجه التِّرْمِذِيُّ من حديثِ عائشةَ.

وقالَ ابنُ شهابٍ: هو الشمسُ إذا غَرَبَتْ.

وقالَ ابنُ زَيدٍ: الثُّرَيَّا.

أخرَجَهُما ابنُ أَبِي حاتمٍ). [مفحمات الأقران: ٢١٦]

قالَ جلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَأَبُو الشَّيْخِ عَن ابْنِ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾. قَالَ: كَانَتِ العَرَبُ تَقُولُ: الغَاسِقُ: سُقُوطُ الثُّرَيَّا، وكَانَتِ الأَسْقَامُ والطَّوَاعِينُ تَكْثُرُ عِنْدَ وُقُوعِهَا وتَرْتَفِعُ عِنْدَ طُلُوعِهَا). [الدر المنثور: ١٥/٧٩٩]

قالَ جلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عَطِيَّةَ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾. قَالَ: اللَّيْلُ إِذَا ذَهَبَ). [الدر المنثور: ١٥/٧٩٩]

قالَ جلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَن ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ: الشَّمْسُ إِذَا غَرَبَتْ). [الدر المنثور: ١٥/٧٩٩]

قالَ جلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾. قَالَ: اللَّيْلُ إِذَا أَقْبَلَ). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٠]

قالَ جلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ الطَّسْتِيُّ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ الأَزْرَقِ قَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾. قَالَ: الغَاسِقُ: الظُّلْمَةُ، والوَقْبُ: شِدَّةُ سَوَادِهِ إِذَا دَخَلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ. قَالَ: وَهَلْ تَعْرِفُ العَرَبُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. أَمَا سَمِعْتَ زُهَيْرًا يَقُولُ:

ظَلَّتْ تَجُوبُ يَدَاهَا وَهْيَ لاهِيَةٌ ... حَتَّى إِذَا جَنَحَ الإِظْلامُ وَالغَسَقُ

وَقَالَ فِي الوَقْبِ:

وَقَبَ العَذَابُ عَلَيْهِمُ فَكَأَنَّهُمْ ... لَحِقَتْهُمُ نَارُ السَّمَاءِ فَأُخْمِدُوا

). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٠]

قالَ جلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾. قَالَ: اللَّيْلُ إِذَا دَخَلَ). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٠]

قالَ جلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ): (قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «هُوَ القَمَرُ إِذَا طَلَعَ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وغَيْرُه.

وقَالَ الزُّهْرِيُّ: (الشَّمْسُ إِذَا غَرَبَتْ).

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: (اللَّيْلُ إِذَا دَخَلَ).

وقَالَ عَطِيَّةُ: (إِذَا ذَهَبَ).

وقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: (الكَوْكَبُ).

وقَالَ ابنُ زَيْدٍ: (الثُّرَيَّا إِذَا سَقَطَتْ كَانَتِ الأَسْقَامُ والطَّوَاعِينُ تَكْثُرُ عِنْدَ وُقُوعِهَا، وتَرْتَفِعُ عِنْدَ طُلُوعِهَا). أَخْرَجَهَا كُلَّهَا ابنُ أَبِي حَاتِمٍ، ففيهِ على قَوْلِ ابنِ زَيْدٍ أَصْلٌ مِن أُصولِ الطِّبِّ، وكَذَا عَلَى قَوْلِ مَن قَالَ: (الذَّكَرُ إِذَا قَامَ)). [الإكليل: ٣/١٣٥٦- ١٣٥٨]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ فِيهِ أَوْجُهٌ:

أحدُها: ما رُوِيَ عنْ عائشةَ قالتْ: إنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إلى القمرِ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ». أخرجهُ التِّرمذيُّ وقَالَ: حديثٌ صحيحٌ حسنٌ. فعلى هَذَا المرادُ بِهِ القَمرُ إذا خَسَفَ واسودَّ وذهَبَ ضَوْءُهُ أوْ إذا دخَلَ في المُحَاقِ، وهوَ آخِرُ الشَّهرِ، وفي ذلكَ الوقتِ يتمُّ السِّحرُ المُؤثِّرُ للتمريضِ، وهَذَا مناسبٌ لسببِ نزولِ هذهِ السُّورةِ.

ثانيها: ما رُوِيَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ أنَّ الغاسِقَ اللَّيلُ، إذا وَقَبَ: أيْ أقبلَ بظُلمتِهِ منَ المشرقِ، وسُمِّيَ اللَّيلُ غاسقًا؛ لأَنَّهُ أبردُ منَ النَّهارِ، والغَسَقُ: البَرْدُ، وإنما أُمِرْنا بالتَّعوُّذِ منَ اللَّيلِ فإنَّ فيهِ تنتشرُ الآفاتُ ويقلُّ الغوثُ، ومنهُ قولُهمُ: اللَّيلُ أخفَى الوَيْلَ، وقولُهم: اعْذِرِ اللَّيلَ؛ لأنَّهُ إذا أظلمَ كثُرَ فيهِ العَدوُّ وفيهِ يتِمُّ السِّحرُ. وأسندَ الشَّرَّ إليهِ لملابستِهِ لهُ مِن حدوثِهِ فيهِ.

ثالثُها: أنَّهُ الثُّريَّا إذا سقَطتْ وغابتْ، ويقَالُ: إنَّ الأسقامَ تكثُرُ عندَ وقوعِها وترتفِعُ عندَ طلوعِها، فلهَذَا أُمِرَ بالتعوُّذِ منَ الثُّريَّا عندَ سقوطِها.

رابعُها: أنَّهُ الأسودُ منَ الحياتِ، ووقْبُهُ ضَرْبُهُ ونفْثُهُ، والوَقْبُ: النَّقبُ، ومنهُ وقبتُ الثَّريدَ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٣]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ تَخْصِيصٌ لِبَعْضِ الشرورِ بالذِّكْرِ مَعَ انْدِراجِهِ فِيمَا قَبْلَهُ لزيادةِ مَسَاسِ الحاجةِ إِلَى الاستعاذةِ مِنْهُ، لكثرةِ وُقُوعِهِ، ولأنَّ تَعْيِينَ المُسْتَعَاذِ مِنْهُ أَدَلُّ عَلَى الاعتناءِ بالاستعاذةِ وَأَدْعَى إِلَى الإعاذةِ؛ أَيْ: وَمِنْ شَرِّ لَيْلٍ مُعْتَكِرٍ ظَلامُهُ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

وَأَصْلُ الغَسَقِ الامتلاءُ، يُقَالُ: غَسَقَتِ العَيْنُ إِذَا امْتَلأَتْ دَمْعًا، وَقِيلَ: هُوَ السَّيَلانُ، وَغَسَقُ اللَّيْلِ: انْصِبَابُ ظلامِهِ، وَغَسَقُ العَيْنِ: سَيَلانُ دَمْعِهَا.

وإضافةُ الشَّرِّ إِلَى اللَّيْلِ لِمُلابَسَتِهِ لَهُ بِحُدُوثِهِ فِيهِ، وَتَنْكِيرُهُ لِعَدَمِ شُمُولِ الشَّرِّ لِجَمِيعِ أَفْرَادِهِ، وَلا لِكُلِّ أَجْزَائِهِ.

وَتَقْيِيدُهُ بقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾؛ أَيْ: دَخَلَ ظلامُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ لأَنَّ حُدُوثَهُ فِيهِ أَكْثَرُ، والتَّحَرُّزَ مِنْهُ أَصْعَبُ وَأَعْسَرُ؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ: اللَّيْلُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ.

وَقِيلَ: الغاسِقُ: هُوَ القَمَرُ إِذَا امْتَلأَ، وَوُقُوبُهُ: دُخُولُهُ فِي الخسوفِ وَاسْوِدَادُهُ؛ لِمَا رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ بِيَدِي فَأَشَارَ إِلَى القَمَرِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذِي بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ».

وَقِيلَ: التعبيرُ عَن القمرِ بالغاسقِ؛ لأَنَّ جِرْمَهُ مُظْلِمٌ، وَإِنَّمَا يَسْتَنِيرُ بضوءِ الشَّمْسِ، وَوُقُوبُهُ المَحَاقُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ، والمُنَجِّمُونَ يَعُدُّونَهُ نَحْسًا، وَلِذَلِكَ لا يَشْتَغِلُ السَّحَرَةُ بالسِّحْرِ المُوَرِّثِ للتَّمْرِيضِ إِلاَّ فِي ذَلِكَ الوقتِ.

قِيلَ: وَهُوَ المُنَاسِبُ لِسَبَبِ النزولِ.

وَقِيلَ: الغاسِقُ: الثُّرَيَّا، وَوُقُوبُهَا: سُقُوطُهَا؛ لأَنَّهَا إِذَا سَقَطَتْ كَثُرَتِ الأمراضُ والطَّوَاعِينُ. وَقِيلَ: هُوَ كُلُّ شَرٍّ يَعْتَرِي الإِنْسَانَ، وَوُقُوبُهُ: هُجُومُهُ). [إرشاد العقل السليم: ٧/٢١٤- ٢١٥]

قَالَ المُؤَذِّنُ عَبْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ سَلامَةَ الإِدْكَاوِيُّ (ت: ١١٨٤هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾.

السُّهَيْلِيُّ: قيلَ: هو اسْمٌ لإِبْلِيسَ، وقيلَ: هو اللَّيْلُ، وقيلَ: هو الثُّرَيَّا.

وأَصَحُّ ما فيهِ أَنَّهُ القَمَرُ؛ لِلْحَدِيثِ المَرْفُوعِ في ذلكَ عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قالَ لها: «تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ هَذَا، إِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»، وشَرُّهُ الذي يُتَّقَى يَكُونُ في الأَبْدَانِ بالآفَاتِ التي تَحْدُثُ بسَبَبِهِ، ويَكُونُ في الأَدْيَانِ كالفِتْنَةِ التي بها افْتُتِنَ مَنْ عَبَدَهُ وعَبَدَ الشَّمْسَ. انْتَهَى.

البَلَنْسِيُّ: وقيلَ: الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ: الشَّمْسُ إِذَا غَرَبَتْ، وذَكَرَ النَّقَّاشُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ الغَاسِقَ إِذَا وَقَبَ: ذَكَرُ الرَّجُلِ إِذَا قَامَ، ونَقَلَهُ الإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ في (الإِحْيَاءِ)). [ترويح أولي الدماثة: ٢/٢٧٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ التَّمِيمِيُّ (ت: ١٢٠٦ هـ): (قَوْلُهُ: ﴿مِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ وَالغَاسِقُ: اللَّيْلُ، إِذَا وَقَبَ: أَي أَظْلَمَ وَدَخَلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ مَحَلُّ تَسَلُّطِ الأَرْوَاحِ الخَبِيثَةِ). [مجموع مؤلفاته/ التفسير: ٢٨٣]

قالَ محمد أمين بن عَلِيِّ السويديُّ العِرَاقِيُّ (ت: ١٢٤٦هـ): (حديثُ ابنِ عَبَّاسٍ مَوْقُوفًا ومُسْنَدًا في قولِه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ هو قِيامُ الذَّكَرِ، وقالَ الذي أسندَه: الذَّكَرُ إذا دخلَ. هذا حديثٌ لا أصلَ له). [الموضوعات في الإحياء: ٧٩]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾. الغاسِقُ: الليلُ، وَالغَسَقُ الظُّلْمَةُ، يُقَالُ: غَسَقَ الليلُ يَغْسِقُ إذا أَظْلَمَ.

قَالَ الفرّاءُ: يُقَالُ: غَسَقَ الليلُ وَأَغْسَقَ إذا أَظْلَمَ، وَمنهُ قولُ قيسِ بنِ الرُّقَيَّاتِ:

إِنَّ هَـذَا اللَّيْـلَ قَـدْ غَـسَقَا ... وَاشْـتَكَيْتُ الهَـمَّ وَالأَرَقَـا

وقالَ الزَّجَّاجُ: قيلَ للليلِ: غاسِقٌ؛ لأَنَّهُ أَبْرَدُ مِنَ النهارِ، وَالغاسقُ: البَارِدُ، وَالغَسَقُ: البردُ، وَلأَنَّ في الليلِ تَخْرُجُ السِّبَاعُ مِنْ آجَامِهَا وَالهَوَامُّ مِنْ أَمَاكِنِهَا، وَيَنْبَعِثُ أهلُ الشرِّ على العبثِ وَالفسادِ. كذا قَالَ، وَهوَ قولٌ بَارِدٌ، فإِنَّ أَهْلَ اللغةِ على خِلافِهِ، وَكذا جمهورُ المُفَسِّرِينَ.

وَوُقُوبُهُ: دُخُولُ ظلامِهِ، وَمنهُ قولُ الشاعرِ:

وَقَـبَ العَـذَابُ عَلَـيْهِم فَكَـأَنَّهُمْ ... لَحِقَـتْهُمُ نَـارُ الـسَّمُومِ فَأُخْمِـدُوا

أيْ: دَخَلَ العذابُ عليهم، ويُقَالُ: وَقَبت الشمسُ، إذا غَابَتْ. وَقيلَ: الغاسِقُ: الثُّرَيَّا، وَذلكَ أنَّها إذا سَقَطَتْ كَثُرَت الأسقامُ وَالطواعِينُ، وَإذا طَلَعَت ارْتَفَعَ ذلكَ، وَبِهِ قَالَ ابْنُ زيدٍ. وَهذا مُحْتَاجٌ إِلى نَقْلٍ عَنِ العربِ أَنَّهُم يَصِفُونَ الثُّرَيَّا بالغُسُوقِ.

وَقالَ الزُّهْرِيُّ: هوَ الشمسُ إذا غَرَبَتْ، وَكأَنَّهُ لاحَظَ مَعْنَى الوُقُوبِ، وَلم يُلاحِظْ مَعْنَى الغُسُوقِ. وَقيلَ: هوَ القمرُ إذا خسَفَ. وَقيلَ: إذا غابَ. وبهذا قَالَ قتادةُ وَغيرُهُ.

وَاسْتَدَلُّوا بحديثٍ أَخْرَجَهُ أحمدُ وَالترمذيُّ وَابنُ جريرٍ وَابنُ المنذرِ وَأبو الشيخِ في العظمةِ وَالحاكمُ وَصَحَّحَهُ وَابنُ مَرْدُويَه عَنْ عائشةَ قَالَتْ: نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا إِلى القمرِ لَمَّا طَلَعَ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ». قَالَ التِّرْمِذِيُّ بعدَ إِخراجِهِ: حسنٌ صحيحٌ. وَهذا لا يُنَافِي قولَ الجمهورِ؛ لأنَّ القمرَ آيةُ الليلِ وَلا يُوجَدُ لهُ سلطانٌ إلاَّ فيهِ، وَهكذا يُقَالُ في جواب مَنْ قَالَ: إِنَّهُ الثُّرَيَّا.

قَالَ ابْنُ الأعرابيِّ في تأويلِ هذا الحديثِ: وَذلكَ أَنَّ أهلَ الرِّيَبِ يَتَحَيَّنُونَ وَجْهَ القمرِ.

وَقيلَ: الغَاسِقُ: الحيَّةُ إذا لَدَغَتْ.

وَقيلَ: الغاسِقُ كلُّ هَاجِمٍ يَضُرُّ كَائِنًا مَن كانَ؛ مِنْ قولِهِم: غَسَقَت القُرْحةُ إذا جَرَى صَدِيدُهَا.

وَقيلَ: الغاسِقُ هوَ السائلُ. وَقدْ عَرَّفْنَاكَ أَنَّ الراجحَ في تفسيرِ هذهِ الآيةِ هوَ ما قالَهُ أهلُ القولِ الأَوَّلِ، وَوَجْهُ تَخْصِيصِهِ أَنَّ الشرَّ فيهِ أَكْثَرُ وَالتَّحَرُّزَ مِنَ الشرورِ فِيهِ أَصْعَبُ، وَمِنهُ قَوْلُهُم: الليلُ أَخْفَى للوَيْلِ). [فتح القدير: ٥/٧٥٨- ٧٥٩]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ جريرٍ وَابنُ المنذرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾. قَالَ: الليلُ إذا أَقْبَلَ). [فتح القدير: ٥/٧٦٠]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (والغاسقُ: الليلُ إذا اعْتَكَرَ ظلامُه، وأصلُ الغَسَقِ الامتلاءُ، يُقالُ: غَسَقَتْ إذا امْتَلأَتْ دَمْعًا، وقيلَ: هو السَّيَلانُ، وغَسَقُ الليلُ: انصبابُ ظَلامِه على الاستعارةِ، وغَسَقُ العينِ: سَيلانُ دَمْعِها، وإضافةُ الشرِّ إلى الليلِ لِمُلابستِهِ له لحدوثِه فيه على حَدِّ: نهارُه صائمٌ، وتنكيرُه لعُمومِ شمولِ الشرِّ لجميعِ أفرادِه ولكلِّ أجزائِه.

﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ أي: إذا دَخَلَ ظَلامُه في كلِّ شيءٍ، وأَصْلُ الوَقْبِ النُّقْرَةُ والحفرةُ، ثم استُعْمِلَ في الدخولِ ومنه قولُه:

وَقَبَ العَذَابُ عَلَيْهِمُ فَكَأَنَّهُمْ ... لَحِقَتْهُمُ نَارُ السَّمُومِ فَأُخْمِدُوا

كذا في المغيبِ لِمَا أنَّ ذلك كالدخولِ في الوَقَبِ أي: النُّقرةِ والحُفرةِ، وقد فُسِّرَ هنا بالمجيءِ أيضًا، والتقييدُ بهذا الوقتِ؛ لأنَّ حدوثَ الشرِّ فيه أكثرُ، والتحرُّزَ منه أَصعبُ وأَعسرُ، ومِن أَمثالِهم: الليلُ أَخْفَى للويلِ الغاسقِ بالليلِ. والوقوبُ بدخولِ ظلامِه؛ أَخْرَجَه ابنُ جَريرٍ وابنُ المنذِرِ عن ابنِ عبَّاسٍ ومجاهِدٍ وابنِ أبي حاتمٍ عن

الضَّحَّاكِ، ورُوِيَ عن الحسَنِ أيضًا، وإليه ذَهَبَ الزجَّاجُ إلا أنه جَعَلَ الغاسقَ بمعنى البارِدِ، وقالَ: أُطْلِقَ على الليلِ؛ لأنه أَبْرَدُ مِن النهارِ.

وقالَ مُحَمَّدُ بنُ كعبٍ: هو النهارُ، ووَقَبَ بمعنى: دَخَلَ في الليلِ، وهو كما تَرَى.

وقيلَ: القمرُ إذا امتلأَ نُورًا على أنَّ الغَسَقَ الامتلاءُ ووُقوبَه دخولُه في الخسوفِ واسودادُه.

وقيلَ: التعبيرُ عنه بالغاسقِ لسرعةِ سَيْرِه وقَطْعِه البروجَ، على أنَّ الغَسَقَ مُستعارٌ مِن السَّيَلانِ.

وقيلَ: التعبيرُ عنه بذلك لأنَّ جِرْمَه مُظْلِمٌ وإنما يَستنيرُ مِن ضوءِ الشمسِ، ووُقوبُه على القولينِ المَحَاقُ في آخِرِ الشهرِ، والمنجِّمونَ يَعُدُّونَه نَحْسًا، ولذلك لا تَشْتَغِلُ السحرةُ بالسحرِ المورِثِ للمرضِ إلا في ذلك الوقتِ، قيلَ: وهو المناسِبُ لسببِ نزولِه، واسْتُدِلَّ على تفسيرِه بالقمرِ بما أَخْرَجَه الإمامُ أحمدُ والتِّرمذيُّ والحاكمُ وصَحَّحَه وغيرُهم عن عائشةَ قالتْ: نَظَرَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ يومًا إلى القمرِ لَمَّا طَلَعَ فقالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي باللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ». ومَن سَلَّمَ صِحَّةَ هذا لا يَنبغِي له العُدولُ إلى تفسيرٍ آخَرَ.

وأَخْرَجَ ابنُ أبي حاتمٍ عن ابنِ شِهابٍ أنه قالَ: الغاسقُ إذا وَقَبَ: الشمسُ إذا غَرَبَتْ، وكأنَّ إطلاقَ الغاسقِ عليها لامتلائِها نُورًا، ونَقَلَ ابنُ زيدٍ عن العرَبِ أنَّ الغاسقَ الثُّرَيَّا ووقوبَها سُقوطُها، وكانتِ الأسقامُ والطواعينُ تَكْثُرُ عندَ ذلك، وروى تَفْسِيرَه غيرُ واحدٍ عن أبي هُريرةَ مَرفوعًا، وفي الحديثِ: «إذا طَلَعَ النَّجْمُ ارْتَفَعَتِ الْعَاهَةُ». وفي بعضِ الرواياتِ زيادةُ: «عَنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ». وفي بعضِها: «ما طَلَعَ النَّجْمُ ذَاتَ غَداةٍ إلا رُفِعَتْ كُلُّ آفَةٍ أَوْ عَاهَةٍ أَوْ خَفَّتْ». وفيه رِواياتٌ أُخَرُ فلْيُرَاجَعْ شرْحُ المُناوِيِّ الكبيرُ للجامعِ الصغيرِ.

وقيلَ: أُريدَ بذلك الحَيَّةُ إذا لَدَغَتْ، وإطلاقُ الغاسقِ عليها لامتلائِها سُمًّا، وقيلَ: أُريدَ سُمُّها إذا دَخَلَ في الجسَدِ، وأُطْلِقَ عليه الغاسقُ لسَيَلانِه مِن نابِها، وكِلا القولينِ لا يُعَوَّلُ عليه، وقيلَ: هو كلُّ شَرٍّ يَعْتَرِي الإنسانَ، والشرُّ يُوصَفُ بالظُّلمةِ والسوادِ، ووُقوبُه هُجومُه، وذَكَرَ المَجْدُ الفيروزآباديُّ في القاموسِ في مادَّةِ وَقَبَ قولاً في معنى الآيةِ، زَعَمَ أنه حكاهُ الغزاليُّ وغيرُه عن ابنِ عباسٍ، ولا أَظُنُّ صِحَّةَ نِسبتِه إليه لظُهورِ أنه عَورةٌ بينَ الأقوالِ). [روح المعاني: ٢٩/٢٨١- ٢٨٢]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (هذا وقالَ الرئيسُ ابنُ سِينَا: الغاسقُ القُوَّةُ الحيوانيَّةُ، فهي ظُلمةٌ غاسقةٌ مُنْكَدِرَةٌ، على خِلافِ النفسِ الناطقةِ التي هي المستعيذَةُ؛ فإنها خُلِقَتْ في جَوْهَرِها نَقِيَّةً صافِيَةً مُبَرَّأَةً عن كُدوراتِ المادَّةِ وعَلائقِها قابلةً لجميعِ الصُّوَرِ والحقائقِ، وإنما تَتَلَوَّثُ مِن الحيوانيَّةِ.

والنَّفَّاثاتُ في العُقَدِ: إشارةٌ إلى القُوَى النَّبَاتِيَّةِ مِن حيثُ إنها تَزيدُ في المِقدارِ مِن جميعِ جِهاتِه؛ الطولِ والعرْضِ والعُمْقِ، فكأنها تَنْفُثُ في العُقَدِ الثلاثِ، ولَمَّا كانتِ العِلاقةُ بينَ النفْسِ الإنسانيَّةِ والقُوَى النباتيَّةِ بواسطةِ الحيوانيَّةِ لا جَرَمَ قَدَّمَ ذِكْرَ القُوَى الحيوانيَّةِ على القُوَّةِ النباتيَّةِ، والشرُّ اللازمُ مِن هاتينِ القُوَّتينِ في جَوْهَرِ النفسِ

هو استحكامُ علائقِ البَدَنِ وامتناعُ تَغَذِّيهَا بالغذاءِ المُوافِقِ لها واللائقِ بجوهرِها، وهو الإحاطةُ بملكوتِ السماواتِ والأرضِ والانتقاشُ بالنقوشِ الباقيةِ.

وعَنَى بقولِه تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ النِّزاعَ الحاصلَ بينَ البَدَنِ وقُواهُ وبينَ النفسِ، فالحاسِدُ هو البَدَنُ مِن حيثُ له القُوَّتَانِ، والمحسودُ هو النفسُ، فالبَدَنُ وَبالٌ عليها، فما أَحْسَنَ حالَها عندَ الإعراضِ عنه، وما أَعظمَ لَذَّتَها بالمفارَقَةِ إن لم تكنْ تَلَوَّثَتْ منه). [روح المعاني: ٢٩/ ٢٨٥]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وقيلَ: الغاسقُ إشارةٌ إلى المَعْدِنِ، والنفاثاتُ إلى النباتاتِ، والحاسدُ إلى الحيوانِ، ولَمَّا كان الإنسانُ لا يَتضرَّرُ عن الأجسامِ الفَلَكِيَّةِ وإنما يَتضرَّرُ عن الأجسامِ العُنصريَّةِ، وهي إمَّا مَعْدِنٌ أو نَباتٌ أو حَيوانٌ أُمِرَ بالاستعاذة مِن شَرِّ كلٍّ منها، وكِلا القولينِ كما تَرَى، واللهُ تعالى أَعْلَمُ). [روح المعاني: ٢٩/ ٢٨٥]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ ﴾. الغاسِقُ: الليلُ، وَالغَسَقُ: الظُّلْمَةُ، قَالَ الفرَّاءُ: يُقَالُ: غَسَقَ الليلُ وَأَغْسَقَ إذا أَظْلَمَ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: قِيلَ للَّيْلِ: غاسِقٌ؛ لأَنَّهُ أَبْرَدُ مِنَ النهارِ، وَالغَاسِقُ: البارِدُ، وَالغَسَقُ: البَرْدُ، وَلأَنَّ في الليلِ تَخْرُجُ السِّبَاعُ مِنْ آجَامِهَا وَالهوامُّ مِنْ أَمَاكِنِهَا، وَيَنْبَعِثُ أهلُ الشرِّ على العبثِ وَالفسادِ. كذا قَالَ، وَهوَ قولٌ بَارِدٌ؛ فإنَّ أهلَ اللغةِ على خِلافِهِ، وَكذا جمهورُ المُفَسِّرِينَ، وَوُقُوبُهُ: دخولُ ظلامِهِ، يُقَالُ: وَقَبَت الشمسُ؛ إذا غَابَتْ، وَقِيلَ: الغاسقُ: الثُّرَيَّا، وَذلك أَنَّها إذا سَقَطَتْ كَثُرَت الأَسقامُ وَالطواعِينُ، وَإذا طَلَعَتِ ارْتَفَعَ ذلكَ، وَبهِ قَالَ ابْنُ زيدٍ، وَهذا مُحْتَاجٌ إلى نقلٍ عَنِ العربِ أَنَّهُم يَصِفُونَ الثُّرَيَّا بالغُسوقِ.

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: هوَ الشمسُ إذا غَرَبَتْ. وكأنَّهُ لاحَظَ معنَى الوُقُوبِ وَلم يُلاحِظْ معنَى الغُسُوقِ، وَقِيلَ: هوَ القمرُ إذا خَسَفَ. وَقِيلَ: إذا غَابَ. وَبهذا قَالَ قَتَادَةُ وَغيرُهُ.

واسْتَدَلُّوا بحديثٍ أَخْرَجَهُ أحمدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَغيرُهُم، عَنْ عائشةَ قَالَتْ: نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يومًا إلى القمرِ لَمَّا طَلَعَ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ». قَالَ التِّرْمِذِيُّ بعدَ إخراجِهِ: حسنٌ صحيحٌ.

وهذا لا يُنَافِي قولَ الجمهورِ؛ لأنَّ القمرَ آيةُ الليلِ، وَلا يُوجَدُ لهُ سُلْطَانٌ إلاَّ فيهِ، وَهكذا يُقَالُ في جوابِ مَنْ قَالَ: إنَّهُ الثُّرَيَّا.

قالَ ابنُ الأعرابيِّ في تأويلِ هذا الحديثِ: وَذلكَ أنَّ أهلَ الرِّيبِ يَتَحَيَّنُونَ وَجْبَةَ القمرِ، وَقِيلَ: الغاسقُ: الحَيَّةُ إذا لَدَغَتْ. وَقِيلَ: الغاسقُ: كلُّ هَاجِمٍ يَضُرُّ كَائِنًا ما كانَ، مِنْ قولِهِم: غَسَقَت القرحةُ؛ إذا جَرَى صَدِيدُهَا. وَقِيلَ: الغاسِقُ هوَ السائلُ.

وَقدْ عَرَّفْنَاكَ أنَّ الراجحَ في تفسيرِ هذهِ الآيةِ هوَ ما قَالَهُ أهلُ القولِ الأوَّلِ، وَوَجْهُ تَخْصِيصِهِ أنَّ الشرَّ فيهِ أكثرُ وَالتَّحَرُّزَ مِنَ الشرورِ فيهِ أصْعَبُ، وَمنهُ قَوْلُهُم: الليلُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ.

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «النَّجْمُ هُوَ الغَاسِقُ، وَهُوَ الثُّرَيَّا». أَخْرَجَهُ ابنُ جَرِيرٍ وَأبو الشيخِ وَغَيْرُهُمَا، وَرُوِيَ مِنْ وَجْهٍ آخرَ عنهُ غيرَ مَرْفُوعٍ.

وقدْ قَدَّمْنَا تأويلَ ما وَرَدَ أنَّ الغاسقَ القمرُ.

وأَخْرَجَ أبو الشيخِ عنهُ أيضًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا ارْتَفَعَتِ النُّجُومُ رُفِعَتْ كُلُّ عَاهَةٍ عَنْ كُلِّ بَلَدٍ». وَهذا لَوْ صَحَّ لمْ يَكُنْ فيهِ دليلٌ على أنَّ الغاسقَ هوَ النجمُ أَوِ النجومُ. وَعن ابْنِ عَبَّاسٍ في الآيةِ قَالَ: الليلُ إذا أَقْبَلَ). [فتح البيان: ١٥/٤٥٩- ٤٦٠]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾، أيْ: ومنْ شرِّ قَمرٍ إذا طَلَعَ، كَمَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ بيَدِي، فَأَشَارَ إِلَى القَمَرِ فقَالَ: «نَعُوذُ باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إذَا وَقَبَ»، ومَعْنَى غُسُوقِ القَمَرِ: امْتِلاؤُه، فوُقُوبُهُ دُخُولُه في الخُسُوفِ، أو مِنْ شَرِّ شَمْسٍ إِذَا غَرَبَتْ كما قَالَهُ ابْنُ شِهَابٍ، وإِنَّمَا سُمِّيَتْ غَاسِقًا، لأنها فِي الفَلَكِ تَسْبَحُ، فسُمِّيَ جَرَيَانُهَا بالغَسَقِ ووُقُوبُهَا دُخُولُهَا تحْتَ الأَرْضِ، أو مِنْ شَرِّ ثُرَيَّا إذَا سَقَطَتْ؛ لأنَّ الأَسْقامَ تَكْثُرُ عِنْدَ سُقُوطِهَا وتَرْتَفِعُ عِنْدَ طُلُوعِهَا، كَمَا قَالَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ، وعَلَى هَذَا تُسَمَّى الثُّرَيَّا غَاسِقًا لانْصِبابِهِ عِنْدَ وُقُوعِهِ فِي المَغْرِبِ، ووُقُوبُه: دُخُولُهُ تَحْتَ الأَرْضِ وغَيْبُوبَتُهُ عَنِ الأَعْيُنِ، أَوْ مِنْ شَرِّ حَيَّةٍ إذَا لَدَغَتْ). [مراح لبيد: ٢/٦٨٢]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المِصريُّ (ت: ١٣٢٣هـ): (أَصْلُ المَعْنَى فِي مادَّةِ غَسَقَ: السَّيَلانُ والانصبابُ، وأَصْلُ الوَقْبِ النَّقْرُ في الجَبَلِ ونَحْوِهِ، ووَقَبَ بمَعْنَى دَخَلَ دُخولاً لم يَتْرُكْ شَيْئًا إلاَّ مَرَّ به). [تفسير جزء عم: ١٨٤]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المِصريُّ (ت: ١٣٢٣هـ): (والمُرادُ مِنَ الغاسِقِ هنا اللَّيْلُ، ووَقَبَ أي: دَخَلَ وغَمَرَ كُلَّ شَيْءٍ، كأَنَّمَا انْصَبَّ عليه واشْتَدَّتْ ظُلْمَتُهُ، فإنَّهُ في هذهِ الحالَةِ مَخُوفٌ موضعٌ لأنْ يَدْهَمَكَ وأنتَ لا تَدْرِي كيف تَخْلُصُ منه، فإنْ كُنْتَ بصَدَدِ سَفَرٍ ضَلَلْتَ الطَّرِيقَ ولا تَدْرِي كيف تَهْتَدِي، وإنْ كُنْتَ في خِصامٍ معَ عَدُوٍّ فقد يكونُ الظَّلامُ أَشَدَّ أَعْوانِهِ عليك، ولا حاجَةَ لتَعْدِيدِ ما في الظَّلامِ من أَطْوارِ الشَّرِّ، فذلك مِمَّا لا يَكادُ يَخْفَى على أَحَدٍ مِنَ البَشَرِ، كانَ جَدِيرًا أنْ يُخَصَّ بالاسْتِعاذَةِ من شَرِّهِ بربِّهِ سُبْحانَهُ، فهو القادِرُ على الكفايَةِ منه). [تفسير جزء عم: ١٨٤]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (وقالَ الإمامُ ابنُ تَيْمِيَّةَ: وإذا قيلَ: الفلَقُ يَعُمُّ ويَخُصُّ، فبعُمُومِهِ استُعِيذَ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ، وبخُصُوصِهِ للنُّورِ النهاريِّ استُعِيذَ مِنْ شَرِّ غاسقٍ إذا وَقَبَ؛ فإنَّ الغاسِقَ قدْ فُسِّرَ بالليلِ، كقولِهِ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، وهذا قولُ أكثَرِ المُفسِّرِينَ وأهلِ اللغةِ. قَالُوا: ومعنى ﴿وَقَبَ ۝٣﴾ دخَلَ في كلِّ شيءٍ.

قالَ الزَّجَّاجُ: الغاسقُ: البارِدُ، وقيلَ للَّيلِ: غاسِقٌ؛ لأَنَّهُ أَبْرَدُ مِن النهارِ. وقدْ رَوَى التِّرمذيُّ والنَّسائيُّ عنْ عائشةَ، أنَّ النبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ نَظَرَ إلى القمرِ فقالَ: «يا عَائِشَةُ، تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّهِ؛ فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ».

ورُوِيَ مِنْ حديثِ أبي هُريرةَ مَرفوعًا: «الغَاسِقُ: النَّجْمُ». وقالَ ابنُ زيدٍ: هوَ الثُّرَيَّا، وكانتِ الأسقامُ والطواعينُ تَكْثُرُ عندَ وُقوعِها وتَرْتَفِعُ عندَ طُلُوعِها.

وهذا المَرْفُوعُ قدْ ظَنَّ بعضُ الناسِ مُنافاتَهُ لِمَنْ فَسَّرَهُ بالليلِ فجَعَلُوهُ قولاً آخَرَ، ثمَّ فَسَّرُوا وُقوبَهُ بسُكُونِهِ. قالَ ابنُ قُتيبةَ: ويُقَالُ: الغاسِقُ القمرُ إذا كَسَفَ وَاسْوَدَّ، ومعنى وَقَبَ دخَلَ في الكُسُوفِ، وهذا ضعيفٌ؛ فإنَّ ما قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم لا يُعارَضُ بقَوْلِ غيرِهِ، وهوَ لا يَقُولُ إلاَّ الحقَّ، وهوَ لم يَأْمُرْ عائشةَ بالاستعاذةِ منهُ عندَ كُسُوفِهِ، بلْ معَ ظُهورِهِ.

وقدْ قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢].

فالقمرُ آيَةُ اللَّيْلِ، وكذلكَ النجومُ إنَّما تَطْلُعُ فتُرَى باللَّيْلِ، فأَمْرُهُ بالاستعاذةِ مِنْ ذلكَ أَمْرٌ بالاستعاذةِ مِنْ آيَةِ الليلِ ودَلِيلِهِ وعلامَتِهِ، والدليلُ مُستلزِمٌ للمَدْلُولِ، فإذا كانَ شَرُّ القمرِ مَوجودًا فشَرُّ الليلِ مَوجودٌ، وللقمرِ مِنَ التأثيرِ ما ليسَ لغيرِهِ، فتكونُ الاستعاذةُ مِنَ الشرِّ الحاصلِ عنهُ أَقْوَى، ويكونُ هذا كقولِهِ عن المسجدِ المُؤَسَّسِ على التَّقْوى: «هُوَ مَسْجِدِي»، هذا معَ أنَّ الآيَةَ تتناوَلُ مَسْجِدَ قُباءٍ قَطْعًا.

وكذلكَ قولُهُ عنْ أهلِ الكِساءِ: «هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي»، معَ أنَّ القرآنَ يَتناوَلُ نِساءَهُ. فالتخصيصُ لكَوْنِ المخصوصِ أَوْلَى بالوَصْفِ، فالقمرُ أحَقُّ ما يكونُ بالاستعاذةِ، والليلُ مُظْلِمٌ مُنتشِرٌ فيهِ شياطينُ الإنسِ والجنِّ ما لا تَنْتَشِرُ بالنهارِ، ويَجْرِي فيهِ مِنْ أنواعِ الشرِّ ما لا يَجْرِي بالنهارِ مِنْ أنواعِ الكُفْرِ والفسوقِ والعصيانِ والسَّرِقَةِ والخيانةِ والفواحشِ وغيرِ ذلكَ.

فالشرُّ دائمًا مقرونٌ بالظُّلمةِ؛ ولهذا إنَّما جَعَلَهُ اللَّهُ لسُكُونِ الآدَمِيِّينَ وراحَتِهِم، لكِنَّ شياطينَ الإنسِ والجنِّ تَفعَلُ فيهِ مِنَ الشرِّ ما لا يُمْكِنُها فِعْلُهُ بالنهارِ، ويَتوسَّلُونَ بالقمرِ وبدَعْوَتِهِ وعِبادَتِهِ. وأبو مَعْشَرٍ البَلْخِيُّ لهُ "مُصْحَفُ القَمَرِ" يَذكرُ فيهِ مِنَ الكُفْرِيَّاتِ والسِّحْرِيَّاتِ ما يُناسِبُ الاستعاذةَ منهُ. انتهى كلامُ ابنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٥- ٥٧٦]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ أَيْ وَمِن شَرِّ اللَّيْلِ إِذَا دَخَلَ وَغَمَرَ كُلَّ شَيْءٍ بظَلامِهِ، واللَّيْلُ إِذَا كَانَ عَلَى تِلْكَ الحَالِ كَانَ مَخُوفًا بَاعِثًا عَلَى الرَّهْبَةِ، إِلَى أنه سِتَارٌ يَخْتَفِي فِي ظَلامِهِ ذَوُو الإِجْرَامِ إِذَا قَصَدُوكَ بالأذَى، إِلَى أنه عَوْنٌ لأَعْدَائِكَ عَلَيْكَ). [تفسير المراغي: ٣٠/٢٦٧]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (والغَاسِقُ: اللَّيْلُ إِذَا اعْتَكَرَ ظَلامُهُ، وَوَقَبَ: دَخَلَ ظَلامُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، ويُقَالُ: وَقَبَتِ الشَّمْسُ: إِذَا غَابَتْ). [تفسير المراغي: ٣٠/٢٦٧]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ نَاصِرٍ السَّعْدِيُّ (ت: ١٣٧٦هـ): (ثم خَصَّ بعدَما عَمَّ، فقالَ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾؛ أي: مِن شرِّ ما يكونُ في الليلِ حينَ يَغْشَى الناسَ، وتَنْتَشِرُ فيه كثيرٌ مِن الأرواحِ الشرِّيرةِ والحيواناتِ المُؤْذِيَةِ). [تيسير الكريم الرحمن: ٢٠٠١/٤]

قَالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (والغاسِقُ: وَصْفُ الليلِ إذا اشتَدَّتْ ظُلْمَتُه، يُقالُ: غَسَقَ الليلُ

يَغْسِقُ، إذا أَظْلَمَ، قالَ تعالى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ [الإسراء: ٧٨]). [التحرير والتنوير: ٦٢٧/٣٠]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (ومعنى ﴿وَقَبَ ۝٣﴾ دخَلَ وتَغلْغَلَ في الشيءِ، ومنه الوَقْبَةُ: اسمُ النُّقْرَةِ في الصخرةِ يَجتمعُ فيها الماءُ، ووقَبَتِ الشمْسُ: غابَتْ). [التحرير والتنوير: ٦٢٨/٣٠]

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (قَوْلُه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾.

الغاسِقُ: قِيلَ: الليلُ؛ لقَوْلِهِ تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

ووَقَبَ؛ أي: دَخَلَ.

وعليه قولُ الشاعِرِ:

إنَّ هـذا الليـلَ قـدْ غـسَقَا ... واشْـتَكَيْتُ الهَـمَّ والأَرَقَـا

وقولُ الآخَرِ:

يـا طَيْـفَ هِنْـدٍ قـدْ أَبْقَيْـتَ لِـي أَرَقَـا ... إذْ جِئْتَنَـا طارِقًـا والليـلُ قـد غـسَقَا

قالَ القُرْطُبيُّ: وهذا قَوْلُ ابنِ عبَّاسٍ والضَّحَّاكِ وقَتَادَةَ والسُّدِّيِّ وغيرِهم.

وقيلَ: الغاسِقُ: القمرُ إذا كانَ في آخِرِ الشهْرِ؛ لحديثِ عائِشةَ عندَ التِّرْمِذِيِّ: أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ قالَ لها: «تَعوَّذِي مِنْ هَذَا؛ فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»؛ أي: القَمَرُ.

وقائلُ هذا القولِ يَقُولُ: إنَّه أَنْسَبُ لِمَا يَجِيءُ بعدَه مِن السَّحَرِ؛ لأنه أَكْثَرُ ما يكونُ عندَهم في آخِرِ الشهْرِ.

ونَقَلَ القُرْطُبيُّ عن ثَعْلَبٍ، عن ابنِ الأعرابيِّ: أنَّ أهْلَ الرِّيَبِ يَتحَيَّنُونَ وَجْبَةَ القمرِ؛ أي: سُقوطَه وغَيْبُوبَتَه.

وأَنْشَدَ قولَ الشاعِرِ:

أَرَاحَنِـي اللَّـهُ مِـن أشـياءَ أَكْرَهُهَـا ... مِنها العَجـوزُ ومِنها الكلْـبُ والقَمَـر

هـذا نَبُـوحٌ وهـذا يُسْتَـضَاءُ بـه ... وهـذهِ ضِـمْرِزٌ قَوَّامَـةُ الـسَّحَر

والضِّمْرِزُ: الناقةُ المُسِنَّةُ، والمرأةُ الغَلِيظَةُ.

والصحيحُ الأوَّلُ، الذي هو الليلُ؛ بشَهادةِ القُرآنِ. والثاني تابعٌ له؛ لأنَّ القمَرَ في ظُهورِه واختفائِه مُرْتَبِطٌ بالليلِ، فهو بعضُ ما يكونُ في الليلِ، وفي الليلِ تَنْتَشِرُ الشياطِينُ وأهْلُ الفَسادِ؛ مِن الإنسانِ والحيوانِ، ويَقِلُّ فيه المُغِيثُ إلاَّ اللَّهَ.

وفي الحديثِ: «أَطْفِئُوا السُّرُجَ؛ فَإِنَّ الفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى النَّاسِ بُيُوتَهُمْ لَيْلاً»؛ أي: الفَأْرَةَ). [تتمة أضواء البيان: ٣٤٠/٩-٣٤١]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ سُلَيْمَانَ الأَشْقَرُ (ت:١٤٣٠هـ): (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾؛ أَيْ: وَأَعُوذُ بِهِ مِن شَرِّ اللَّيْلِ إِذَا أَقْبَلَ، قَالُوا: لأَنَّ فِي اللَّيْلِ تَخْرُجُ السِّبَاعُ مِنْ آجَامِهَا، وَالهَوَامُّ من أَمَاكِنِهَا، وَيَنْبَعِثُ أَهْلُ الشَّرِّ عَلَى العَيْثِ وَالفَسَادِ.

وَقِيلَ: الغَاسِقُ هُوَ القَمَرُ إِذَا طَلَعَ). [زبدة التفسير: ٦٠٤]

أحاديث وآثار في تفسير الغاسق

حديث عائشة: (استعيذي بالله من شر هذا ...)

قال محمدُ بنُ عيسى بنِ سَوْرَةَ التِّرْمِذِيُّ (ت: ٢٧٩هـ): (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرٍو، عَن ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، عَن الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ». هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ). [سنن الترمذي: ٥/١٢٢]

- **قال محمد ناصر الدين الألبانيُّ (ت:١٤٢٠هـ):** (عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»

حَسَنٌ صحيحٌ: الصحيحةُ (٣٧٢)، المِشْكَاةُ (٢٤٧٥)). [صَحيحُ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ للألبانِيِّ: ٣/١٣٦]

- **قالَ مُحَمَّدُ عَبْدُ الرَّحمنِ بن عَبْدِ الرحيمِ المُبَارَكْفُوري (ت: ١٣٥٣هـ):** (قولُهُ: (عَنِ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ) القُرَشِيِّ العَامِرِيِّ، خَالُ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، صَدُوقٌ مِنَ الخَامِسَةِ. قَوْلُهُ: «اسْتَعِيذِي باللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا» أي: هذا القمرِ، «فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ» قالَ في القاموسِ: الغاسِقُ مُحرَّكَةً: ظُلْمَةُ أَوَّلِ اللَّيلِ، وغَسَقَ اللَّيْلُ غَسْقًا اشْتَدَّتْ ظُلْمَتُهُ، والغاسِقُ: القَمَرُ أوِ الليلُ إذا غابَ الشَّفَقُ، وقالَ فيه: وَقَبَ الظلامُ دَخَلَ، والشمسُ، وَقْبًا ووُقُوبًا غابَتْ، والقَمَرُ دَخَلَ في الخُسُوفِ، ومنه ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣)﴾. انتهى.

قال الطيبيُّ: إنما استعَاذَ مِنْ كُسُوفِهِ؛ لأَنَّهُ مِنْ آياتِ اللهِ الدَّالَّةِ على حُدُوثِ بَلِيَّةٍ ونُزُولِ نَازِلَةٍ كما قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «وَلَكِنْ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ» ولأنَّ اسمَ الإشارةِ في الحديثِ كوَضْعِ اليَدِ في التَّعْيِينِ، وتَوْسِيطُ ضَمِيرِ الفَصْلِ بَيْنَهُ وبَيْنَ الخَبَرِ المُعَرَّفِ يَدُلُّ على أنَّ المُشَارَ إليه هو القَمَرُ لا غَيْرُ. انْتَهَى.

وقالَ الخازِنُ في تَفْسِيرِهِ بَعْدَ ذِكْرِ حَدِيثِ عَائِشَةَ هذا ما لَفْظُهُ: (فعلى هذا الحديث المرادُ به القَمَرُ إذا خَسَفَ واسْوَدَّ، ومَعْنَى وَقَبَ دَخَلَ في الخُسُوفِ، أو أَخَذَ في الغَيْبُوبَةِ، وقيلَ: سُمِّيَ بِهِ؛ لأَنَّهُ إِذَا خَسَفَ اسْوَدَّ وذَهَبَ ضَوْءُهُ.

وقيلَ: إِذَا وَقَبَ دَخَلَ في المَحَاقِ، وهو آخِرُ الشَّهْرِ، وفي ذلك الوَقْتِ يَتِمُّ السِّحْرُ المُورِّثُ للتَّمْرِيضِ، وهذا مُنَاسِبٌ لِسَبَبِ نُزُولِ هذه السورةِ.

وقالَ ابنُ عَبَّاسٍ: الغاسِقُ: الليلُ الذي وَقَبَ أي: أَقْبَلَ بظُلْمَتِهِ مِنَ المَشْرِقِ. وقيلَ: سُمِّيَ الليلُ غَاسِقًا؛ لأنه أَبْرَدُ مِنَ النَّهَارِ، والغَسَقُ: البَرْدُ، وإنما أُمِرَ بالتَّعَوُّذِ مِنَ الليلِ؛ لأنَّ فِيهِ تَنْتَشِرُ الآفاتُ ويَقِلُّ الغَوْثُ، وفيه يَتِمُّ السِّحْرُ. وقيلَ: الغَاسِقُ: الثُّرَيَّا إذا سَقَطَتْ وغَابَتْ، وقيلَ: إِنَّ الأَسْقَامَ تَكْثُرُ عِنْدَ وُقُوعِهَا وتَرْتَفِعُ عِنْدَ طُلُوعِهَا، فلِهَذَا أُمِرَ بالتَّعَوُّذِ مِنَ الثُّرَيَّا عِنْدَ سُقُوطِهَا). انتهى.

وقالَ ابنُ جَرِيرٍ في تَفْسِيرِهِ: (وأَوْلَى الأقوالِ في ذلك عندي بالصوابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أَنْ يَسْتَعِيذَ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ، وهو الذي يُظْلِمُ، يُقَالُ: قد غَسَقَ اللَّيْلُ يَغْسِقُ غُسُوقًا إذا أَظْلَمَ. إذا وَقَبَ:

يَعْنِي إذا دَخَلَ فِي ظَلامِهِ، والليلُ إذا دَخَلَ فِي ظَلامِهِ غَاسِقٌ، والنَّجْمُ إذا أَفَلَ غَاسِقٌ، والقَمَرُ غاسِقٌ إذا وَقَبَ، ولم يُخَصَّصْ بَعْدَ ذَلِكَ بَلْ عَمَّ الأَمْرُ بذَلِكَ، فكُلُّ غَاسِقٍ فإنَّهُ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كان يُؤْمَرُ بالاستعاذَةِ مِنْ شَرِّهِ إِذَا وَقَبَ). انتهَى.

قولُهُ: (هذا حديثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ) وأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ والنَّسَائِيُّ والحَاكِمُ وصَحَّحَهُ وابنُ جَرِيرٍ). [تحفة الأحوذي: ٢٤٤/٩- ٣٤٥]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبٍ النَّسَائِيُّ (ت: ٣٠٣هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ أَخْبَرَنَا محمودُ بنُ غَيْلانَ، قالَ: حَدَّثَنَا الحَفَرِيُّ، عَنْ سفيانَ، عَنِ ابنِ أبي ذِئْبٍ، عنِ الحارثِ، عَنْ أبي سَلَمةَ، عَنْ عائشةَ قَالَتْ: أخذَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَدِي، فإذا القمرُ حينَ طَلَعَ، فقالَ: «تَعوَّذِي باللهِ منْ شرِّ هذا، هذا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»). [ذيل تفسير النسائي: ٦٢٣/٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (وحَدَّثَنَا ابنُ حُمَيْدٍ، قالَ: ثَنَا مِهْرَانُ، عن سُفْيَانَ، عن محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبي ذِئْبٍ، عن خالِهِ الحارثِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن أبي سَلَمَةَ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن عائِشَةَ قالت: أَخَذَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَدِي، ثم نَظَرَ إلى القمرِ فقالَ: «يَا عائِشَةُ، تَعَوَّذِي باللهِ مِن شرِّ غاسِقٍ إِذَا وَقَبَ، وهَذَا غَاسِقٌ إِذَا وَقَبَ».

وهذا لفْظُ حديثِ أبي كُرَيْبٍ وابنِ وَكِيعٍ.

وأَمَّا ابنُ حُمَيْدٍ فإنه قالَ فِي حديثِه: قالت: أَخَذَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَدِي، فقالَ: «أَتَدْرِينَ أَيُّ شَيْءٍ هَذَا؟ تَعَوَّذِي باللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ».

حَدَّثَنَا محمدُ بنُ سِنانٍ، قالَ: ثَنَا أبو عامِرٍ، قالَ: ثَنَا ابنُ أَبِي ذِئْبٍ، عن الحارثِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن عائِشَةَ، أن النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إلى القمرِ فقالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي باللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»). [جامع البيان: ٢٤/ ٧٤٨- ٧٤٩]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويه (ت: ٣٧٠هـ): (قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَائِشَةَ وَقَدْ نَظَرَتْ إِلَى القَمَرِ: «يَا عَائِشَةُ، تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ هَذَا فَإِنَّهُ الغَاسِقُ»). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٤]

قال محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الحاكمُ النَّيْسابوريُّ (ت: ٤٠٥هـ): (حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الحَافِظُ بهَمَذَانَ، ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الحُسَيْنِ، ثنا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ، ثنا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، عن خَالِهِ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عن أَبِي سَلَمَةَ، عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بيَدِهَا فَأَشَارَ بهَا إِلَى القَمَرِ، فَقَالَ: «اسْتَعِيذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ». صَحِيحُ الإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ). [المستدرك: ٥٤٠/٢- ٥٤١]

- **قالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ الذَّهَبِيُّ (ت: ٧٤٨ هـ):** ((ابنُ أبي ذِئْبٍ) عن خالِهِ الحارثِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن أبي سَلَمَةَ، عن عائِشةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ أَخَذَ بيَدِها، فأشارَ بها إلى القمرِ فقالَ: «اسْتَعِيذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وقَبَ» صحيحٌ). [التلخيص: ٥٤٠/٢]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ ﴾.
أَخْبَرَنا أبو عبدِ اللهِ الحسَنُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ بنِ عبدِ اللهِ الدِّينَوْرِيُّ، أَخْبَرَنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ بَرْزَةَ، أخبرَنا ابنُ أبي ذِئبٍ، عنِ الحارثِ بنِ عبدِ الرحمنِ، أخبرَنا عُبيدُ بنُ عبدِ الواحدِ بنِ شَرِيكٍ البَزَّارِ، أَخْبَرَنا آدَمُ بنُ أبي إياسٍ، أَخْبَرَنا ابنُ أبي ذِئْبٍ، عنِ الحارثِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها قالتْ: أخَذَ رسولُ اللَّهِ عليه السلامُ بيَدِي فأَشَارَ إلى القمَرِ، فقالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»). [الكشف والبيان: ١٠/٣٣٩]

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (روَى أبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الرحمنِ عن عائشةَ أنَّها قالَتْ: أَخَذَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بيَدِي ثم نَظَرَ إلى القمَرِ فقالَ: «يَا عَائِشَةُ، تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ، وهَذَا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٤- ٣٧٥] (م)

قالَ أَبُو المُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (روى ابنُ أبي ذِئبٍ، عن الحارثِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن أبي سَلَمَةَ، عن عائشةَ قالَتْ: (أَخَذَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَدِي، وأشارَ إلى القمرِ وقالَ: «تَعَوَّذِي باللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ» وذكَرَه أبو عيسى في جامِعِه وقالَ: هو حديثٌ صحيحٌ). [تفسير القرآن: ٦/٣٠٥- ٣٠٦] (م)

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ ﴾، أَخْبَرَنا أبو الحَسَنِ السَّرْخَسِيُّ، أَخْبَرَنا زاهِرُ بنُ أحمدَ، أَخْبَرَنا جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ المغلِّسِ، حَدَّثَنا هارونُ بنُ إسحاقَ الهَمْدانِيُّ، حَدَّثَنا وَكِيعٌ، عن ابنِ أبي ذِئبٍ، عن [خالِه] الحارثِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن أبي سَلَمَةَ، عن عائشةَ قالَتْ: أَخَذَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَدِي فنظَرَ إلى القمَرِ فقالَ: «يا عائشةُ، اسْتَعِيذِي باللهِ من شَرِّ غاسِقٍ إذا وَقَبَ، هذا غاسِقٌ إذا وَقَبَ»). [معالم التنزيل: ٧٢٥] (م)

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودِ بْنِ مُحَمَّدٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها أنها قالَت: أَخَذَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ بيَدِي فَنَظَرَ إلى القمَرِ فقالَ: «يا عَائِشَةُ، استعيذِي باللهِ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ، هذا غاسِقٌ إِذَا وَقَبَ»). [مَصَابِيحُ السُّنَّةِ: ٢/٢١٥]

قالَ مَحْمُودُ بنُ حَمْزَةَ بنِ نَصْرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (ورُوِيَ عن عائشةَ أنها قالتْ: أخَذَ النبيُّ عليه السلامُ بيَدِي ونَظَرَ إلى القمَرِ فقالَ: «تَعَوَّذِي باللهِ مِنْ هَذَا؛ فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»). [غرائب التفسير: ٢/١٤١٢] (م)

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها: أَخَذَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَدِي فأشارَ إلى القمرِ فقالَ: «تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»). [الكشاف: ٦/٤٦٥] (م)

قَالَ الحُسَيْنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الجُورقَانِيُّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٥٤٣هـ): (أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الغَفَّارِ، أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ مَنْدَهْ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَحْيَى بْنِ مَنْدَهْ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الصَّبَّاحِ، قَالا: حَدَّثَنَا أَبُو مَسْعُودٍ أَحْمَدُ بْنُ الفُرَاتِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ وَإِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ

عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي ذِئْبٍ، عَنِ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: نَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى القَمرِ فَقَالَ: «اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ».

هَذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ اتَّفَقَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ وَأَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ عَلَى إِخْرَاجِهِ فِي كِتَابَيْهِمَا). [الأباطيل والمناكير: ٢/٣٠٧- ٣٠٨] (م)

قال عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (وقالَ عليه السلامُ لعائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها وقدْ نَظَرَ إلى القمرِ: «تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ؛ فَهَذَا هُوَ»). [المحرر الوجيز: ١٥/٦٠٩] (م)

قالَ عبدُ الحَقِّ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ الإِشْبيليُّ (ت: ٥٨١هـ): (التِّرْمِذِيُّ: حدَّثَنا محمدُ بنُ المُثَنَّى، ثنا عَبْدُ المَلِكِ بنُ عَمْرٍو العَقَدِيُّ، عن ابنِ أبي ذِئْبٍ، عن الحارثِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن أبي سَلَمَةَ بنِ عَبدِ الرحمنِ، عن عائشةَ، أن النبيَّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ نظَرَ إلى القَمَرِ فقالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي من شَرِّ هذا؛ فإنَّ هذا الغاسِقُ إذا وَقَبَ».

قالَ أبو عِيسَى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ). [الأحكام الشرعية الكبرى: ٤/٢٥٠- ٢٥١]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَبْدِ اللهِ السُّهَيْلِيُّ (ت:٥٨١هـ): (وَأَصَحُّ مَا قِيلَ فِيهِ: إِنَّهُ القَمَرُ. لِلْحَدِيثِ المَرْفُوعِ فِي ذَلِكَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا: «تَعَوَّذِي بِاللَّهِ مِنْ هَذَا؛ فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»). [التعريف والإعلام: ١٨٩] (م)

قَالَ أبو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (رَوَتْ عائشةُ قالَتْ: نَظَرَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ إلى القمَرِ فقالَ: «اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ؛ فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»، رواهُ التِّرمذيُّ والنَّسائيُّ في كتابَيْهِمَا). [زاد المسير: ٩/٢٧٤] (م)

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (رَوَى أبو سَلَمَةَ عن عائشةَ أنَّه أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّم بيدِهَا وأَشَارَ إلى القَمَرِ، وقالَ: «اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»). [التفسير الكبير: ٣٢/١٧٨] (م)

قال ابنُ الأثيرِ المبارك بنُ محمدٍ الجزَرِيُّ (ت: ٦٠٦هـ): ((ت- عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَى القَمرِ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ.

[شَرْحُ الغَرِيبِ]:

(الغَاسِقُ) اللَّيْلُ، وَوَقَبَ: إِذَا طَلَعَ، وَإِنَّمَا سَمَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم القَمَرَ غَاسِقًا، لأَنَّهُ إِذَا أَخَذَ فِي الطُّلُوعِ وَالمَغِيبِ يُظْلِمُ لَوْنُهُ، لِمَا يَعْرِضُ دُونَهُ مِنَ الأَبْخِرَةِ المُتَصَاعِدَةِ مِنَ الأَرْضِ عِنْدَ الأُفُقِ، وَالغُسُوقُ: الظَّلامُ). [جامع الأصول: ٢/٤٤٣- ٤٤٦]

قالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (نَظَرَ الرسولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى القمرِ وَقالَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا: «تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ، وَهَذَا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»). [تفسير القرآن: ٥١٠/٣] (م)

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (فِي التِّرْمِذِيِّ عن عائِشَةَ: أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إلى القَمَرِ فقالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي باللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ». قالَ أبو عيسَى: هذا حديثٌ حسَنٌ صحِيحٌ.

وقالَ أحمدُ بنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ، عن ابنِ الأعرابيِّ في تأويلِ هذا الحديثِ: وذلك أنَّ أهْلَ الرِّيَبِ يَتَحَيَّنُونَ وَجْبَةَ القَمَرِ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٧/٢٠] (م)

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (وعن عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها: أخَذَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْه وسلَّمَ بيَدِي فأشَارَ إلى القَمَرِ، فقَالَ: «تَعَوَّذِي باللهِ مِنْ شرِّ هَذا؛ فَإِنَّه الغاسِقُ إِذَا وَقَبَ»). [مدارك التنزيل: ٢٠١٣/٣] (م)

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ عنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عنها قالتْ: إنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ نظَرَ إلى القَمَرِ فقالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي اللَّهَ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»، أخرجَهُ التِّرْمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ). [الباب التأويل: ٥٠١/٤] (م)

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (وعن عائشةَ: أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ أخَذَ بيَدِها وقالَ لَها: «اسْتَعِيذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»). [غرائب القرآن: ٢٢٧/٣٠] (م)

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وفِي الحديثِ: نَظَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلى القمرِ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، نَعُوذُ باللَّهِ مِنْ هَذَا، فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ».

وَعنهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «الغَاسِقُ النَّجْمُ»). [البحر المحيط: ٧٦١/٨] (م)

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (قالَ ابنُ جَرِيرٍ: وقالَ آخرونَ: هو القَمَرُ.

قُلْتُ: وعُمْدَةُ أصحابِ هذا القولِ ما رواهُ الإمامُ أحمدُ: حدَّثَنا أبو داوُدَ الحَفَرِيُّ، عَنِ ابْنِ أبي ذِئْبٍ، عن الحارِثِ، عن أبي سَلَمَةَ قالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رضِيَ اللَّهُ عَنْها: أخَذَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ بيَدِي، فأَرانِي القَمَرَ حينَ طَلَعَ وقالَ: «تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ».

ورواهُ التِّرْمِذِيُّ والنَّسائِيُّ في كتابَيِ التفسيرِ مِن سُنَنَيْهِمَا، مِن حديثِ مُحمدِ بنِ عَبْدِ الرحمنِ بنِ أبي ذِئْبٍ، عن خَالِه الحارِثِ بنِ عَبْدِ الرحمنِ، به.

وقالَ التِّرْمِذِيُّ: حديثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. ولَفْظُه: «تَعَوَّذِي باللَّهِ مِن شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ». ولَفْظُ النَّسائِيِّ: «تَعَوَّذِي باللَّهِ مِن شَرِّ هَذَا، هَذَا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»). [تفسير القرآن العظيم: ٣٩٠٧/٨- ٣٩٠٨]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبِيُّ (ت: ٨٧٥ هـ): (وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَارَ إِلَى القمرِ وقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ». قَالَ السُّهَيْلِيُّ: وهَذَا أَصَحُّ مَا قِيلَ لهذا الحَدِيثِ الصَّحِيحِ - انْتَهَى.

وَلَفْظُ صَاحِبِ سلاحِ المُؤْمِنِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَى القمرِ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ والنَّسَائِيُّ والحاكمُ فِي المُسْتَدْرَكِ، وَاللَّفْظُ للترمذيِّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَقَالَ الحاكمُ: صَحِيحُ الإسنادِ). [الجواهر الحسان: ٥/٦٤٠- ٦٤١]

قالَ حَيْدَرُ بْنُ عَلِيٍّ القَاشِيُّ (ت: ٧٧٦هـ): (عَنْ أَحْمَدَ وَالتِّرْمِذِيِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»). [المعتمد في المنقول: ٢/٥٠٩]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ البَلَنْسِيُّ (ت: ٧٨٢هـ): (وأَصَحُّ ما فيهِ أَنَّهُ القَمَرُ؛ لِلْحَدِيثِ المَرْفُوعِ فِي ذلك عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قالَ لها: «تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ هَذَا؛ إِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»). [صلة الجمع: ٧٦٠] (م)

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (وقَالَ قَتَادَةُ: (إِذَا وَقَبَ: إِذَا غَابَ).

قَالَ القُرْطُبِيُّ: وهُوَ أَصَحُّ؛ لِمَا رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ فقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ». قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ). [اللباب: ٢٠/٥٧٢] (م)

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَفيهِ عندَ أَبِي يَعْلَى أَنَّهُ قَالَ لعائشةَ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهَا عَنِ القمرِ: «تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ»). [نظم الدرر: ٨/٦٠٥] (م)

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ والتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ المُنْذِرِ وَأَبو الشَّيْخِ فِي العَظَمَةِ والحَاكِمِ وَصَحَّحَهُ وَابْنُ مَرْدُويَهْ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا إِلَى القَمَرِ لَمَّا طَلَعَ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»). [الدر المنثور: ١٥/٧٩٨]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ): (قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣)﴾.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: «هُوَ القَمَرُ إِذَا طَلَعَ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وغَيْرُه). [الإكليل: ٣/١٣٥٧]

قال ابنُ الدَّيْبَعِ عبدُ الرحمنِ بنُ عليٍّ الشَّيْبَانيُّ الزَّبِيدِيُّ (ت: ٩٤٤هـ): (وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ). [تيسير الوصول: ١/٢٠٢]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (رُوِيَ عنْ عائشة قالتْ: إنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إلى القمرِ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ».
أخرجهُ التِّرمذيُّ وقَالَ: حديثٌ صحيحٌ حسنٌ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٣] (م)

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ بِيَدِي فَأَشَارَ إِلَى القَمَرِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذِي باللَّهِ تَعَالَى مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»). [إرشاد العقل السليم: ٧/ ٢١٥] (م)

قال محمدُ بنُ سليمانَ المغربيُّ (ت: ١٠٩٤هـ): (عن عائشةَ أن النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلمَ نَظَرَ إلى القَمَرِ فقالَ: «يا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فإنَّ هذا هو الغاسِقُ إِذَا وَقَبَ». رواه الترمذيُّ). [جمع الفوائد: ٣/ ٢٢٨]

قَالَ المُؤَذِّنُ عَبْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ سَلامَةَ الإِدْكَاوِيُّ (ت: ١١٨٤هـ): (وأَصَحُّ ما فيهِ أَنَّهُ القَمَرُ؛ لِلْحَدِيثِ المَرْفُوعِ في ذلكَ عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قالَ لها: «تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ هَذَا، إِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»). [ترويح أولي الدماثة: ٢/ ٢٧٨]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (واسْتُدِلَّ على تفسيرِه بالقمرِ بما أَخْرَجَه الإمامُ أحمدُ والتِّرمذيُّ والحاكمُ وصَحَّحَه وغيرُهم عن عائشةَ، قالتْ: نَظَرَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ يومًا إلى القمرِ لَمَّا طَلَعَ فقالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي باللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»). [روح المعاني: ٢٩/ ٢٨١- ٢٨٢] (م)

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وَقِيلَ: هوَ القمرُ إذا خَسَفَ. وَقِيلَ: إذا غَابَ. وبهذا قَالَ قَتَادَةُ وَغيرُهُ.
واستَدَلُّوا بحديثٍ أَخْرَجَهُ أحمدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَغيرُهُم، عَنْ عائشةَ قَالَتْ: نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يومًا إلى القمرِ لَمَّا طَلَعَ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا؛ فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ». قَالَ التِّرْمِذِيُّ بعدَ إخراجِهِ: حسنٌ صحيحٌ). [فتح البيان: ١٥/ ٤٥٩] (م)

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ ﴾، أيْ: ومنْ شَرِّ قَمَرٍ إِذَا طَلَعَ، كَمَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ، قَالَتْ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ بِيَدِي، فَأَشَارَ إِلَى القَمَرِ فَقَالَ: «نَعُوذُ باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»). [مراح لبيد: ٢/ ٦٨٢] (م)

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (وقدْ رَوَى التِّرمذيُّ والنَّسائِيُّ عنْ عائشةَ، أنَّ النبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ نَظَرَ إلى القمرِ فقالَ: «يَا عَائِشَةُ، تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّهِ؛ فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٥] (م)

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (وقيلَ: الغاسِقُ: القمرُ إذا كانَ في آخِرِ الشهْرِ؛ لحديثِ عائِشَةَ عندَ التِّرْمِذِيِّ، أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ قالَ لها: «تَعَوَّذِي مِنْ هَذَا؛ فَإِنَّهُ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»). [تتمة أضواء البيان: ٩/ ٣٤١] (م)

■ حديث أبي هريرة

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (**وقالَ آخَرُونَ:** هو كوكبٌ. وكانَ بعضُهم يقولُ: ذلك الكوكبُ هو الثُّرَيَّا.

ذِكْرُ مَن قالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا مُجاهدُ بنُ موسَى، قالَ: ثَنَا يَزيدُ، قالَ: أخبَرَنا سليمانُ بنُ حَيَّانَ، عن أبي المُهَزِّمِ، عن أبي هريرة في قَوْلِهِ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ قالَ: كَوْكَبٌ.

حَدَّثَنِي يُونُسُ، قالَ: أَخْبَرَنَا ابنُ وَهْبٍ، قالَ: قالَ ابنُ زَيْدٍ في قَوْلِهِ: ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ قالَ: كانَتِ العرَبُ تَقولُ: الغاسِقُ: سُقُوطُ الثُّرَيَّا، وكانَتِ الأسقَامُ والطَّوَاعِينُ تَكْثُرُ عندَ وُقُوعِها، وتَرْتَفِعُ عندَ طُلُوعِها.

ولقائِلِي هذا القوْلِ عِلَّةٌ مِن أَثَرٍ عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو ما حَدَّثَنَا به نَصْرُ بنُ عَلِيٍّ، قالَ: ثَنَا بَكَّارُ بنُ عبدِ اللهِ ابنُ أخِي هَمَّامٍ، قالَ: ثَنَا محمدُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ، عن أبيه، عن أبي سَلَمَةَ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ قالَ: «النجْمِ الغاسِقِ»). [جامع البيان: ٧٤٨/٢٤]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (أَخْبَرَنَا أبو عبدِ اللهِ بنُ فَنْجُويَهْ الدِّينَوْرِيُّ، أَخْبَرَنَا عبدُ اللهِ بنُ محمَّدِ بنِ شَيْبَةَ، أَخْبَرَنَا أبو بكرٍ بنُ الهيثَمِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ خُرَّزَاذَ البَصْرِيُّ بمكة، أَخْبَرَنَا نصرُ بنُ عليٍّ، أَخْبَرَنَا بكَّارُ بنُ عبدِ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا محمدُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ، عن أبيه، عن أبي سَلَمَةَ، عن أبي هُرَيْرَةَ، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وتعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ قالَ: النجمُ إذا طَلَعَ). [الكشف والبيان: ٣٤٠/١٠]

قالَ عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِب بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «النَّجْمُ هُوَ الغَاسِقُ»). [المحرر الوجيز: ٦٠٩/١٥] (م)

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (قالَ ابنُ جَرِيرٍ: ولهؤلاءِ مِن الأَثَرِ ما حدَّثنِي نَصْرُ بنُ عَلِيٍّ، حدَّثنِي بَكَّارُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ ابنُ أَخِي هَمَّامٍ، حدَّثَنَا محمدُ بنُ عَبْدِ العزيزِ بنِ عُمَرَ بنِ عَبْدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ، عن أبيهِ، عن أبي سَلَمَةَ، عن أبي هُرَيْرَةَ، عن النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾. قالَ: «النَّجْمُ الغَاسِقُ».

قلتُ: وهذا الحديثُ لا يَصِحُّ رَفْعُه إلى النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ). [تفسير القرآن العظيم: ٣٩٠٧/٨] (م)

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَأَبو الشَّيْخ وَابْنُ مَرْدُويَهْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾. قَالَ: «النَّجْمُ هُوَ الغَاسِقُ، وَهُوَ الثُّرَيَّا»). [الدر المنثور: ٧٩٨/١٥]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخرَجَ ابْنُ جَريرٍ وابْنُ أَبي حَاتِمٍ مِن وجهٍ آخَرَ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قالَ: الغَاسِقُ: الكَوْكَبُ). [الدر المنثور: ٧٩٩/١٥]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ أَبو الشَّيْخِ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا طَلَعَ النَّجْمُ ذَاتَ غَدَاةٍ قطُّ إلا رُفِعَت كُلُّ آفَةٍ وعاهَةٍ أو خَفَّتْ). [الدر المنثور: ٧٩٩/١٥]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ أَبو الشَّيْخِ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا ارْتَفَعَتِ النُّجُومُ رُفِعَتِ العَاهَةُ عَنْ كُلِّ بَلَدٍ»). [الدر المنثور: ٧٩٩/١٥]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وأَخْرَجَ ابْنُ جريرٍ وأبو الشيخِ وابنُ مَرْدُويَه عن أبي هُرَيْرَةَ عَنِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قولِهِ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾. وقالَ: «النَّجْمُ هُوَ الغَاسِقُ، وَهُوَ الثُّرَيَّا».

وَأَخْرَجَهُ ابنُ جريرٍ وَابنُ أبي حاتمٍ، وَمِن وَجْهٍ آخَرَ عنهُ غيرَ مَرْفُوعٍ.

وَقدْ قَدَّمْنَا تأويلَ هذا وَتأويلَ ما وَرَدَ أنَّ الغاسقَ القمرُ. وَأَخْرَجَ أبو الشيخِ عنهُ أيضًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا ارْتَفَعَتِ النُّجُومُ رُفِعَتْ كُلُّ عَاهَةٍ عَنْ كُلِّ بَلَدٍ».

وَهذا لَوْ صَحَّ لَمْ يَكُنْ فيهِ دليلٌ على أنَّ الغاسقَ هوَ النجمُ أَوِ النجومُ). [فتح القدير: ٧٦٠/٥]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وروى تَفْسِيرَه غيرُ واحدٍ عن أبي هُريرةَ مرفوعًا، وفي الحديثِ: «إِذَا طَلَعَ النَّجْمُ ارْتَفَعَتِ العَاهَةُ». وفي بعضِ الرواياتِ زيادةُ «عَنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ»). [روح المعاني: ٢٨٢/٢٩]

قالَ مُحمَّد صِدِّيق حسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وعنْ أَبي هُرَيْرَةَ، عَنِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «النَّجْمُ هُوَ الغَاسِقُ، وَهُوَ الثُّرَيَّا». أَخْرَجَهُ ابنُ جَرِيرٍ وَأبو الشيخِ وَغَيْرُهُمَا، وَرُوِيَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عنهُ غيرَ مَرْفُوعٍ). [فتح البيان: ٤٦٠/١٥] (م)

قالَ مُحمَّد صِدِّيق حسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وَأَخْرَجَ أبو الشيخِ عنهُ أيضًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا ارْتَفَعَتِ النُّجُومُ رُفِعَتْ كُلُّ عَاهَةٍ عَنْ كُلِّ بَلَدٍ»). [فتح البيان: ٤٦٠/١٥] (م)

قالَ مُحمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (ورُوِيَ مِنْ حديثِ أبي هُريرةَ مرفوعًا: «الغَاسِقُ النَّجْمُ»). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٥]

وجه الاستعاذة من {شر غاسق إذا وقب} مع دخوله في عموم {من شر ما خلق}

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَلَمَّا كَانَ عَطْفُ الخَاصِّ على العامِّ يُعْرَفُ بأنَّ ذلكَ الخاصَّ أَوْلَى أفرادِ العامِّ بِمَا ذُكِرَ لهُ مِنَ الحكمِ، وكَانَ شَرُّ الأشياءِ الظلامَ، فإنَّهُ أَصْلُ كلِّ فَسَادٍ، وكانتْ شَرَارَتُهُ معَ ذلكَ وَشرارةُ السحرِ والحَسَدِ خَفِيَّةً، خَصَّهَا بالذِّكْرِ مِنْ بينِ مَا عَمَّهُ الخَلْقُ؛ لأنَّ الخَفِيَّ يَأْتِي مِنْ حيثُ لا يَحْتَسِبُ الإنسانُ فيكونُ أَضَرَّ، ولذا قيلَ: شَرُّ العداةِ المُدَاجِي). [نظم الدرر: ٦٠٤/٨]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ ﴾ تَخْصِيصٌ لِبَعْضِ الشرورِ بالذِّكْرِ مَعَ انْدِرَاجِهِ فِيمَا قَبْلَهُ لزيادةِ مَسَاسِ الحاجةِ إِلَى الاستعاذةِ مِنْهُ لكثرةِ وُقُوعِهِ، ولأنَّ تَعْيِينَ المُسْتَعَاذِ مِنْهُ أَدَلُّ عَلَى الاعتناءِ بالاستعاذةِ وَأَدْعَى إِلَى الإعاذةِ). [إرشاد العقل السليم: ٢١٤/٧]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ ﴾ تخصيصٌ لبعضِ الشرورِ بالذكْرِ مع اندراجِه فيما قبلُ لزيادةِ مَساسِ الحاجةِ إلى الاستعاذةِ منه لكثرةِ وُقوعِه، ولأنَّ تعيينَ المستعاذِ منه أَدَلُّ على الاغتناءِ بالاستعاذةِ وأَدْعَى إلى الإعاذةِ). [روح المعاني: ٢٨١/٢٩]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المِصريُّ (ت: ١٣٢٣هـ): (ثُمَّ خَصَّصَ بَعْضَ ما خَلَقَ لكَثْرَةِ ما يَقَعُ الشَّرُّ فيه معَ غَلَبَةِ الضَّعْفِ عن دَفْعِهِ، فقالَ: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ ﴾). [تفسير جزء عم: ١٨٤]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّين القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (وقولُهُ سبحانَهُ: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ ﴾ قال أبو السُّعودِ: تَخصيصٌ لبعضِ الشُّرُورِ بالذِّكْرِ، معَ اندراجِهِ فيما قَبْلَهُ لزيادةِ مَسَاسِ الحاجةِ إلى الاستعاذةِ منهُ؛ لكَثْرَةِ وُقُوعِهِ، ولأنَّ تَعْيِينَ المُسْتَعَاذِ منهُ أَدَلُّ على الاعتناءِ بالاستعاذةِ، وأَدْعَى إلى الإِعَاذَةِ). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٥]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ نَاصِرٍ السَّعْدِيُّ (ت: ١٣٧٦هـ): (ثم خَصَّ بعدَمَا عَمَّ، فقالَ: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ ﴾). [تيسير الكريم الرحمن: ٢٠٠١/٤] (م)

وجه إضافة الشر إلى الغاسق

قال محمدُ بنُ عبدِ اللهِ ابنُ العربيِّ (ت: ٥٤٣هـ): ((الثالثةُ) وَجْهُ إِضَافَةِ الشَّرِّ إلى القَمَرِ ما يَحْدُثُ عِنْدَهُ مِنْ فِعْلِ اللهِ فهو عَلامَتُهُ ووَقْتُهُ، فأُضِيفَ إليه كسائرِ إِضافَةِ الأَسْبَابِ إلى مُسَبباتِهَا.

وقالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى هذا الشرِّ انتِشَارُ الحَيَوَانَاتِ عِنْدَهُ فعَمَّ ﴿وَٱلنَّاسِ﴾، ويَشهَدُ له هذا الحديثُ الصَّحِيحُ، ولَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ عِنْدَهُ شرًّا لم يُعْلَمْ به، فأَمَرَ بالاستعاذةِ مِنْهُ، وقد كانَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلمَ يَسْتَعِيذُ مِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْلَمْ). [عارضة الأحوذي: ٢٦١/١١- ٢٦٢]

قالَ أحمدُ بنُ عبدِ الحليمِ بن عبدِ السلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ (ت: ٧٢٨هـ): (أَمْكِنَةُ النُّورِ والصَّالحينَ والملائكةِ لا تَتَسَلَّطُ عليهَا الشياطينُ بكلِّ ما تريدُ، بلْ كيدُهمْ فيهَا ضعيفٌ، كمَا أنَّ كيدَهُم في شَهْرِ رَمَضَانَ ضَعِيفٌ، إِذْ كَانُوا فيهِ يُسَلْسَلُونَ، لكن لَم يبطُلْ فِعْلُهمْ بالكلِّيَّةِ بلْ ضَعُفَ؛ فَشَرُّهُمْ فيهِ على أهلِ الصَّوْمِ قليلٌ، بخِلافِ أهلِ [الشَّرَابِ]، وَأَهْلِ الظُّلُمَاتِ، فَإِنَّ الشياطينَ هنالكَ مَحَالُّهُمْ، وَهُمْ يُحِبُّونَ الظُّلْمَةَ، وَيَكْرَهُونَ النُّورَ، ولهذا يَنْتَشِرُونَ بالليلِ؛ كما جَاءَ في الحديثِ الصحيحِ، ولهذا أَمَرَ اللهُ بالتَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ). [النبوات: ١٢٨]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصلٌ: والسببُ الذي لأَجْلِه أَمَرَ اللهُ بالاستعاذةِ من شَرِّ الليلِ وشَرِّ القمرِ إذا وَقَبَ هو أنَّ الليلَ إذا أَقْبَلَ فهو مَحَلُّ سلطانِ الأرواحِ الشِّرِّيرةِ الخَبيثةِ، وفيه تَنْتَشِرُ الشياطينُ، وفي الصحيحِ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ أنَّ الشمسَ إذا غَرَبَتِ انْتَشَرَت

الشياطينُ، ولهذا قالَ: «فَاكْفِتُوا صِبْيَانَكُمْ وَاحْبِسُوا مَوَاشِيَكُمْ حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ». وفي حديثٍ آخَرَ: «فَإِنَّ اللهَ يَبُثُّ مِنْ خَلْقِهِ مَا يَشَاءُ»، والليلُ هو مَحَلُّ الظلامِ، وفيه تَتَسَلَّطُ شياطينُ الإنْسِ والجِنِّ ما لا تَتَسَلَّطُ بالنهارِ، فإنَّ النهارَ نُورٌ، والشياطينُ إنما سُلطانُهم في الظُّلُماتِ والمواضعِ المُظلِمَةِ على أهْلِ الظُّلْمَةِ.

ورُوِيَ أنَّ سائلاً سألَ مُسَيْلِمةَ: كيف يَأتيكَ الذي يَأتيكَ؟ فقالَ: في ظَلْمَاءَ حِنْدِسٍ. وسألَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كيف يَأتِيكَ؟ فقالَ: «فِي مِثْلِ ضَوْءِ النَّهَارِ». فاستَدَلَّ بهذا على نُبُوَّتِه، وأنَّ الذي يَأتِيه مَلَكٌ من عِندِ اللهِ، وأنَّ الذي يأتي مُسَيْلِمَةَ شيطانٌ، ولهذا كان سلطانُ السحرِ وعِظَمُ تأثيرِه إنما هو بالليلِ دونَ النهارِ، فالسِّحْرُ الليليُّ عندَهم هو السِّحْرُ القويُّ التأثيرِ، ولهذا كانت القلوبُ المُظلِمَةُ هي مَحالَّ الشياطينِ وبيوتَهم ومأواهم، والشياطينُ تَجُولُ فيها وتَتَحَكَّمُ كما يَتحكَّمُ ساكنُ البيتِ فيه، وكُلَّمَا كان القَلْبُ أَظْلَمَ كان للشيطانِ أَطْوَعَ، وهو فيه أَثْبَتُ وأَمْكَنُ). [بدائع الفوائد: ٢/٢١٨- ٢١٩]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (وقَالَ الزَّجَّاجُ: قِيلَ للَّيْلِ: غَاسِقٌ؛ لأَنَّه أَبْرَدُ مِنَ النَّهَارِ، والغَاسِقُ: البَارِدُ، وَالغَسَقُ: البَرْدُ، ولأَنَّ في اللَّيْلِ تَخْرُجُ السِّبَاعُ مِنْ آجَامِهَا، والهَوَامُّ مِنْ أَمَاكِنِهَا، وَيَنْبَعِثُ أَهْلُ الشَّرِّ عَلَى العَبَثِ والفَسَادِ، فَاسْتُعِيرَ مِنَ اللَّيْلِ). [اللباب: ٢٠/٥٧٢ (م)]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَأكثرُ الأقوالِ أَنَّهُ الليلُ، خُصَّ بالاستعاذةِ لأنَّ المَضارَّ فِيهِ تَكْثُرُ وَيَعْسُرُ دَفْعُهَا). [نظم الدرر: ٨/٦٠٥ (م)]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (وإضافةُ الشَّرِّ إِلَى اللَّيْلِ لِمُلابَسَتِهِ لَهُ بحُدُوثِهِ فِيهِ، وَتَنْكِيرُهُ لِعَدَمِ شُمُولِ الشَّرِّ لِجَمِيعِ أَفْرَادِهِ، وَلا لِكُلِّ أَجْزَائِهِ. وَتَقْيِيدُهُ بقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾؛ أَيْ: دَخَلَ ظلامُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ لأَنَّ حُدُوثَهُ فِيهِ أَكْثَرُ، والتَّحَرُّزَ مِنْهُ أَصْعَبُ وَأَعْسَرُ؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ: اللَّيْلُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ). [إرشاد العقل السليم: ٧/٢١٤- ٢١٥]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَوَجْهُ تَخْصِيصِهِ أَنَّ الشرَّ فيهِ أَكْثَرُ وَالتَّحَرُّزَ مِنَ الشرورِ فِيهِ أَصْعَبُ، وَمِنهُ قَوْلُهُم: الليلُ أَخْفَى للوَيْلِ). [فتح القدير: ٥/٧٥٩]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وإضافةُ الشرِّ إلى الليلِ لِمُلابستِهِ له لحدوثِه فيه على حَدِّ: نهارُه صائمٌ، وتنكيرُه لعُمومِ شمولِ الشرِّ لجميعِ أفرادِه ولكلِّ أجزائِه). [روح المعاني: ٢٩/٢٨١]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (والتقييدُ بهذا الوقتِ؛ لأنَّ حدوثَ الشرِّ فيه أكثرُ والتحرُّزَ منه أصعبُ وأعسرُ، ومِن أمثالِهم: الليلُ أَخْفَى للويلِ). [روح المعاني: ٢٩/٢٨١]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وَوَجْهُ تَخْصِيصِهِ أنَّ الشرَّ فيهِ أكثرُ وَالتَّحَرُّزُ مِنَ الشرورِ فيهِ أَصْعَبُ، وَمنهُ قَوْلُهُمْ: الليلُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ). [فتح البيان: ١٥/٤٦٠]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (والليلُ: تَكثُرُ فيه حوادثُ السوءِ مِنَ اللصوصِ والسِّبَاعِ والهَوَامِّ، كما تَقدَّمَ آنِفًا.

وتَقييدُ ذلك بظَرْفِ ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ أيْ: إذا اشتَدَّ ظُلمَتُه؛ لأنَّ ذلك وقْتٌ يَتحَيَّنُه الشُّطَّارُ وأصحابُ الدَّعارَةِ والعَيْثِ؛ لتَحقُّقِ غَلَبَةِ الغفلةِ والنومِ على الناسِ فيه، يُقالُ: أَغْدَرَ الليلُ؛ لأنه إذا اشتَدَّ ظلامُه كَثُرَ الغَدْرُ فيه، فعُبِّرَ عن ذلك بأنه أَغْدَرُ، أيْ: صارَ ذا غَدْرٍ على طَريقِ المَجازِ العَقْليِّ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٧]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (خُصَّ بالتعوُّذِ أشَدُّ أوقاتِ الليلِ تَوَقُّعًا لِحُصولِ المَكروهِ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٨]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وإضافَةُ الشرِّ إلى غاسِقٍ مِن إضافةِ الاسمِ إلى زَمانِه على معنى (في)، كقولِه تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣]). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٧]

مناسبة الاستعاذة برب الفلق في هذه السورة

قالَ أحمدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تَيميَّةَ الحرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وَسُورَةُ الفَلَقِ فِيهَا الاسْتِعَاذَةُ مِنْ شَرِّ المَخْلُوقَاتِ عُمُومًا وَخُصُوصًا، وَلِهَذَا قِيلَ فِيهَا: بِرَبِّ الفَلَقِ وَقِيلَ فِي هَذِهِ: بِرَبِّ النَّاسِ؛ فَإِنَّ فَالِقَ الإِصْبَاحِ بِالنُّورِ يُزِيلُ بِمَا فِي نُورِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا فِي الظُّلْمَةِ مِنَ الشَّرِّ، وَفَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى بَعْدَ انْعِقَادِهِمَا يُزِيلُ مَا فِي عُقَدِ النَّفَّاثَاتِ، فَإِنَّ فَلْقَ الحَبِّ وَالنَّوَى أَعْظَمُ مِنْ حَلِّ عُقَدِ النَّفَّاثَاتِ، وَكَذَلِكَ الحَسَدُ هُوَ مِنْ ضِيقِ الإِنْسَانِ وَشُحِّهِ لا يَنْشَرِحُ صَدْرُهُ لِإِنْعَامِ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَرَبُّ الفَلَقِ يُزِيلُ مَا يَحْصُلُ بِضِيقِ الحَاسِدِ وَشُحِّهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ لا يَفْلِقُ شَيْئًا إلاَّ بِخَيْرٍ، فَهُوَ فَالِقُ الإِصْبَاحِ بِالنُّورِ الهَادِي وَالسِّرَاجِ الوَهَّاجِ الَّذِي بِهِ صَلاحُ العِبَادِ، وَفَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى بِأَنْوَاعِ الفَوَاكِهِ وَالأَقْوَاتِ الَّتِي هِيَ رِزْقُ النَّاسِ وَدَوَابِّهِمْ، وَالإِنْسَانُ مُحْتَاجٌ إِلَى جَلْبِ المَنْفَعَةِ مِنَ الهُدَى وَالرِّزْقِ، وَهَذَا حَاصِلٌ بِالفَلْقِ، وَالرَّبُّ الَّذِي فَلَقَ لِلنَّاسِ مَا تَحْصُلُ بِهِ مَنَافِعُهُمْ يُسْتَعَاذُ بِهِ مِمَّا يَضُرُّ النَّاسَ فَيُطْلَبُ مِنْهُ تَمَامُ نِعْمَتِهِ بِصَرْفِ المُؤْذِيَاتِ عَنْ عَبْدِهِ الَّذِي ابْتَدَأَ بِإِنْعَامِهِ عَلَيْهِ، وَفَلْقُ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ هُوَ دَلِيلٌ عَلَى تَمَامِ القُدْرَةِ، وَإِخْرَاجُ الشَّيْءِ مِنْ ضِدِّهِ كَمَا يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَالمَيِّتَ مِنَ الحَيِّ، وَهَذَا مِنْ نَوْعِ الفَلْقِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَى دَفْعِ الضِّدِّ المُؤْذِي بِالضِّدِّ النَّافِعِ). [مجموع الفتاوى:١٧/٥٠٨]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصلٌ: ومن هَهُنا تَعْلَمُ السرَّ في الاستعاذةِ برَبِّ الفَلَقِ في هذا المَوْضِعِ، فإنَّ الفَلَقَ الصبحُ الذي هو مَبدأُ ظهورِ النورِ، وهو الذي يَطْرُدُ جيشَ الظلامِ وعَسْكَرَ المُفسدِينَ في الليلِ، فيَأْوِي كلُّ خَبيثٍ وكلُّ مُفْسِدٍ وكلُّ لِصٍّ وكلُّ قاطِعِ طريقٍ إلى سَرَبٍ أو كِنٍّ أو غارٍ، وتَأْوِي الهَوامُّ إلى أَحْجُرَتِها، والشياطينُ التي انْتَشَرَت بالليلِ إلى أَمْكِنَتِها ومَحالِّها، فأَمَرَ اللهُ عِبادَه أن يَسْتَعِيذُوا بِرَبِّ النورِ، الذي يَقْهَرُ الظُّلمةَ ويُزيلُها ويَقْهَرُ عَسْكَرَها وجَيْشَها، ولهذا ذَكَرَ سبحانَه في كلِّ كِتابٍ أنه يُخْرِجُ عِبادَه من الظُّلماتِ إلى النورِ، ويَدَعُ الكُفَّارَ في ظُلُماتِ كُفْرِهم.

قالَ تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقالَ تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقالَ في أعمالِ الكُفَّارِ: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠] وقد قالَ قبلَ ذلك في صِفاتِ أهلِ الإيمانِ ونُورِهم: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥] فالإيمانُ كلُّه نورٌ، ومآلُه إلى نورٍ، ومُسْتَقَرُّه في القلْبِ المضيءِ المستنيرِ، والمُقْتَرِنِ بأهلِه الأرواحُ المستنيرة المُضيئةُ المُشرِقَةُ، والكُفْرُ والشرْكُ كلُّه ظُلمةٌ ومآلُه إلى الظُّلُماتِ، ومُستَقَرُّه في القلوب المُظلِمةِ، والمُقْتَرِنِ بها الأرواحُ المُظلِمةُ، فتأَمَّلِ الاستعاذةَ بربِّ الفَلَقِ من شرِّ الظُّلْمَةِ، ومن شَرِّ ما يَحْدُثُ فيها، ونَزِّلْ هذا المعنى على الواقِعِ يَشهَدْ بأنَّ القرآنَ، بلْ هاتَانِ السُّورتانِ، من أَعْظَمِ أعلامِ النُّبُوَّةِ وبَراهينِ صِدْقِ رِسالةِ مُحمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومُضادَّةٌ لِمَا جاءَ به الشياطينُ من كلِّ وجهٍ، وأنَّ ما جاءَ به ما تَنَزَّلَتْ به الشياطينُ، وما يَنْبَغِي لهم وما يَستطيعونَ، فما فَعَلُوه ولا يَليقُ بهم، ولا يَتَأَتَّى منهم ولا يَقْدِرُون عليه.

وفي هذا أَبْيَنُ جوابٍ وأَشْفَاه لِمَا يُورِدُه أعداءُ الرسولِ عليه من الأسئلةِ الباطلَةِ التي قَصَّرَ المُتكَلِّمون غايةَ التقصيرِ في دَفْعِها، وما شَفَوْا في جوابِها، وإنما اللهُ سبحانَه هو الذي شَفَى وكَفَى في جوابِها، فلم يُحوِجْنا إلى مُتَكَلِّمٍ ولا إلى أُصُولِيٍّ ولا نظَّارٍ، فله الحمْدُ والمِنَّةُ لا نُحْصِي ثناءً عليه). [بدائع الفوائد: ٢/٢١٩- ٢٢٠]

بيان المستشكل

الحكمة من التقييد بالظرف

قَالَ أَحْمَدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ بنِ الزُّبَيْرِ الغِرْنَاطِيُّ (ت: ٧٠٨هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾، للسَّائِلِ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ التَّقْيِيدِ بالظَّرْفِ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾ وفي قَوْلِهِ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾، فَلِمَ تَقَعُ الاسْتِعاذَةُ مِنْ شَرِّ هَذَيْنِ بتَقْيِيدِ الوُقُوب في الغَاسِقِ ووقوعِ الحَسَدِ مِنَ الحَاسِدِ، ويُطْلَقُ حُكْمَ الاسْتِعاذَةِ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ وهُنَّ السَّاحِرَاتُ، ولَمْ يَقُلْ: إذَا نَفَثْنَ أَوْ سَحَرْنَ، فَيُقَيِّدُ كما قَيَّدَ مَا قَبْلُ وما بَعْدُ، فما الفَرْقُ؟

والجَوَابُ عَنْ ذلك - واللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ في سُورَةِ طه: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٩]، إِطْلَاقٌ حَاكِمٌ بتَمَادِيهِ وتَمَادِي حُكْمِهِ على تِلْكَ الصِّفَةِ المَذْمُومَةِ، فَلَمْ يَكُنِ التَّقْيِيدُ في آيَةِ الفَلَقِ لَوْ قِيلَ: إذا

كذا لِيُطَابقَ ما ورَدَ في سُورَةِ طه مِنَ الإطْلاقِ، ثُمَّ إنَّ السِّحْرَ كُفْرٌ، وقَدْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ قَوْلَ المَلَكَيْنِ لِلطَّالِبِ تَعَلُّمَهُ: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] أيْ: بتَعَلُّمِ السِّحْرِ، ولا يَسْحَرُكُمْ سِحْرُ السَّاحِرِ ولا يُسَمَّى سَاحِرًا إلاَّ باعْتِقَادٍ، فَتَبَيَّنَ أنَّ السِّحْرَ شَرٌّ مُطْلَقٌ، فَوَرَدَ التَّعَوُّذُ مِنْهُ مُطْلَقًا غَيْرَ مُقَيَّدٍ بوُقُوعٍ أوْ (....) وتَأْثِيرِ الكَوَاكِبِ وذلك كُفْرٌ، وما أجْرَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنَ التَّأْثِيرِ في العَالَمِ عِنْدَ تلاقِيها وتقابُلِها وتَناظُرِهَا وما في ذلك مِنْ تَفْصِيلِ التَّنَاظُرِ،

كُلُّ ذَلِكَ فِعْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ

ولا تَأْثِيرَ إلاَّ له جَلَّ وتَعَالَى، (...)، ويُقْتَلُ السَّاحِرُ ولا اسْتِتَابَةَ في قَوْلٍ.

أمَّا الغاسِقُ فَإنَّهُ اللَّيْلُ إذا أظْلَمَ، ولَيْسَ الشَّرُّ مِنْهُ بما هو لَيْلٌ مُظْلِمٌ، إنَّمَا هو سِتْرٌ لِذَوِي الشَّرِّ لاحْتِجَابِهِمْ بظُلْمَتِهِ عَنْ أعْيُنِ النَّاسِ فَيُوقِعُونَ فيه شَرَّهُمْ، فالشَّرُّ فيهِ لا مِنْهُ، ألا تَرَى أنَّه لأهْلِ الخَيْرِ رَحْمَةٌ ونِعْمَةٌ، وكذلِكَ لِكُلِّ مَنْ لا يَتَرصَّدُهُ لِشَرٍّ، قَالَ تعالَى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣]، أي: لِتَسْكُنُوا في اللَّيْلِ ولِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ في النَّهَارِ.

وتَرَدَّدَ ذِكْرُ اللَّيْلِ في غَيْرِ ما آيَةٍ في كِتَابِ اللَّهِ مَعْدُودًا في نِعَمِ اللَّهِ تعالَى على عبادِهِ، وهو شَقِيقُ النَّهَارِ في تِلْكَ، ثُمَّ إنَّهُ مِنْ حَيْثُ هو لِبَاسٌ وسِتْرٌ عَنِ الأعْيُنِ فَيُمْكِنُ فِيهِ لأهْلِ الشَّرِّ ما لا يُمْكِنُهُمْ في نَهَارِهِمْ، فَيَسْتَحْكِمُ فيهِ شَرُّهُمْ عِنْدَ امْتِدَادِ ظُلْمَتِهِ لأمْنِهِمْ مِنَ النَّاسِ في ذلك.

فَتَبَيَّنَ أنَّهُ لَيسَ شَرًّا بما هو لَيْلٌ، إنَّمَا الشَّرُّ فيه وعِنْدَهُ، لا به بما هو لَيْلٌ ولا مِنْهُ، ولا يَتَمَكَّنُ مَطْلُوبُ ذَوِي الشَّرِّ إلا في ظُلْمَتِهِ، فَنِسْبَةُ الشَّرِّ إلَيْهِ بهذا الوَجْهِ، والإضَافَةُ في لِسَانِ العَرَبِ تَكُونُ بأدْنَى مُلابَسَةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٦] والضُّحَى لَيْسَ لِلْعَشِيَّةِ، وإنَّما هُمَا طَرَفَانِ للنَّهارِ، فَصَحَّتِ الإضَافَةُ بهذا القَدْرِ، وقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣]، واللَّيْلُ والنَّهارُ لا يَمْكُرَانِ، إنَّمَا يَكُونُ المَكْرُ فِيهِمَا، قال مَعناهُ سِيبَوَيْهِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأمَّا الحاسِدُ فَإنَّ القَائِمَ بنَفْسِهِ مِن هذه الصِّفَةِ قَبْلَ أنْ يَمْضِيَ يُمكِنُ أنْ يُنْفِذَهَا حَسَدًا ويُمكِنُ أنْ يُنْفِذَهَا غِبْطَةً، فإذًا لا يَتَبَيَّنُ كَوْنُهُ حَسَدًا إلا بَعْدَ أنْ يُمْضَى ويُوقَعَ، ألا تَرَى اتِّحَادَ ما يَقُومُ بالنَّفْسِ أوَّلاً مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ.

بَيَانُ ذلك أنَّ كُلَّ عاقِلٍ - بما هو عاقِلٌ - إذَا رَأَى نِعْمَةً على غَيْرِهِ مِنْ دِينٍ أوْ دُنْيَا أعْجَبَتْهُ وتَمَنَّاها لِنَفْسِهِ، فَإنْ أرَادَ زَوَالَهَا عَمَّنْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ وانْفِرَادَهُ هو بها فهذا هو الحَسَدُ المَذْمُومُ، وإنْ تَمَنَّى مِثْلَهَا أوْ أكْثَرَ وبقاءَ تِلْكَ على صاحِبِهَا فهذه هي الغِبْطَةُ، وهي مِن صِفَاتِ المُؤْمِنِينَ، فَقَدْ وَضَحَ أنَّهُ إنَّما يَكُونُ حَسَدًا ويُوصَفُ بتِلْكَ الصِّفَةِ عِنْدَ ظُهُورِهِ ووقُوعِهِ على الصِّفَةِ المَذْمُومَةِ، وأمَّا قَبْلَ ذلك فلا شَرَّ فيه ولا هو شَرٌّ، ألا ترَى أنَّ الحَاسِدَ لَوْ قَامَتْ به تلك الصِّفَةُ ثُمَّ تَذَكَّرَ واسْتَغْفَرَ لِمَنْ رَأَى النِّعْمَةَ به والخَيْرَ ورَكَنَ قَلْبُهُ إلى ذلك لَمْ يُؤَاخَذْ شَرْعًا بتِلْكَ الهِمَّةِ والخَطْرَةِ، وقَدْ نَصَّ الشَّرْعُ على ذلك، واتَّفَقَ العُلَمَاءُ والقاضِي أبو بَكْرٍ ومَنْ قال بقَوْلِهِ على تَلَقِّي الوَارِدِ في هذا عَنِ الشَّارِعِ عَلَيْهِ السَّلامُ، مُنَزَّلاً على ما ذَكَرْتُهُ، فَلَمَّا كانَ حَالُ الحَسَدِ على ما ذُكِرَ وحالُ الغَاسِقِ على ما تَقَدَّمَ ذَلِكَ وقَعَ التَّقْيِيدُ في الاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّهِمَا بالظَّرْفِ فَقِيلَ: ﴿إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾ و﴿إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾، ولَمْ يَقَعْ

تَقْيِيدٌ فِي الاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ السَّحَرَةِ، وجاءَ كُلٌّ مِنْ ذَلِكَ على ما يَجِبُ ويُنَاسِبُ، ولا يُمْكِنُ خِلافُهُ، واللَّهُ أَعْلَمُ). [ملاك التأويل: ١١٦٤]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وقيلَ: الغاسقُ وَالحاسِدُ بالظَّرْفِ؛ لأَنَّهُ إذا لم يَدْخُلِ الليلُ لا يَكُونُ مَنْسُوبًا إليهِ، وَكذا كلُّ ما فُسِّرَ بهِ الغاسقُ). [البحر المحيط: ٧٦٣/٨]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَقَيَّدَ الغَاسِقَ وَالحَاسِدَ بالظَّرْفِ لأَنَّهُ إذَا لَمْ يَدْخُلِ اللَّيْلُ لا يَكُونُ شَرٌّ مَنْسُوبٌ إِلَى النَّفَّاثَاتِ). [النهر الماد: ١٣١٩]

تفسير قول الله تعالى: (وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ (٤))

القراءات

القراءات في قوله تعالى: {النفاثات}

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ):((النَّافِثَاتِ فِي العُقَدِ) الحَسَنُ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ القَاسِمِ.

(النُّفَّاثَاتِ) عَنِ الحَسَنِ أَيْضًا). [مختصر شواذ القراءات:١٨٣]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (وَمَنْ قَرَأَ (النَّافِثَاتِ) فَإِنَّهَا تَكُونُ مَرَّةً وَمِرارًا، وَالمُشَدَّدُ لا يَكُونُ إِلاَّ مُكَرَّرًا). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٥]

قَالَ عَبْدُ المُنْعِمِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ غَلْبُونَ (ت: ٣٨٩هـ): (قرَأَ رُوَيْسٌ: (النَّافِثَاتِ) بالأَلِفِ بعد النُّونِ، مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ بَعْدَ الفاءِ، معَ تَخْفِيفِ الفاءِ وكَسْرِها؛ جَمْعُ (نَافِثَةٍ)، وهي قِراءَةُ الحَسَنِ البَصْرِيِّ، وقَرَأَ البَاقُونَ ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ بأَلِفٍ بعد الفاءِ، من غَيْرِ أَلِفٍ قَبْلَها، مع تَشْدِيدِ الفاءِ [وفَتْحِها]؛ جَمْعُ (نَفَّاثَةٍ)). [التذكرة:٦٥٣]

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (وقرَأَ عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ وعبدُ الرحمنِ بنُ سابطٍ: (مِنْ شَرِّ النَّافِثَاتِ) في وزنِ فاعلاتٍ). [الكشف والبيان: ١٠/٣٤٠]

قَالَ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إبْرَاهِيمَ البَغْدَادِيُّ (ت: ٤٣٨هـ): (وقد ذُكِرَ عن يَعْقُوبَ أَنَّهُ قَرَأَ: (النَّافِثَاتِ) بتقديمِ الأَلِفِ على الفاءِ، ولا أَعْرِفُهُ عن شُيوخِنَا، ولا أُعَوِّلُ عَلَيْهِ). [الروضة:١٠٠٤]

قَالَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الأَهْوَازِيُّ (ت: ٤٦٦هـ): (قَوْلُهُ: ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾.

قَالَ أَبو عَلِيٍّ: قَرَأْتُ عَنْ يَعْقُوبَ مِنْ طَرِيقَيْهِ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ بتَشْدِيدِ الفَاءِ وَبِأَلِفٍ بَعْدَهَا كَالجَمَاعَةِ.

وَقَالَ لِي أَبو عَبْدِ اللَّهِ اللالَكَائِيُّ: قَالَ لِي أَبو بَكْرٍ الشَّذَائِيُّ: قَالَ لِي أَبو بَكْرٍ التَّمَّارُ: قَرَأْتُ عَلَى رُوَيْسٍ لِيَعْقُوبَ سَبْعَ خَتَمَاتٍ. وَأَخَذَ عَلَيَّ فِي أَرْبَعٍ مِنْهَا: (وَمِنْ شَرِّ النَّافِثَاتِ) بِأَلِفٍ قَبْلَ الفَاءِ وَبالتَّخْفِيفِ.

وَأَخَذَ عَلَيَّ فِي ثَلاثِ خَتَمَاتٍ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ بالأَلِفِ بَعْدَ الفَاءِ وَبالتَّشْدِيدِ كَالجَمَاعَةِ.

قَالَ أَبو عَبْدِ اللَّهِ: وَلَمْ يَأْخُذْ بِهِ عَلَى الشَّذَائِيِّ إِلاَّ كَالجَمَاعَةِ). [الوجيز:٣٩١]

قَالَ شُرَيْحُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرُّعَيْنِيُّ الإِشْبِيلِيُّ (ت: ٥٣٩هـ): (﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ قرَأَ رُوَيْسٌ على وَزْنِ الفَاعِلاتِ، جَمْعُ نَافِثَةٍ.

قال أبو الحسن: مَعْنَاهُ كمَعْنَى ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ غَيْرَ أنَّ التشديدَ للمُبَالَغَةِ). [الجمع والتوجيه:٨٤]

قَالَ عَبْدُ الحَقِّ بْنُ غَالِب بن عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (وقرَأَ عبدُ اللَّهِ بنُ القاسمِ، والحسنُ، وابنُ عُمَرَ: (النَّافِثَاتِ)). [المحرر الوجيز: ١٥/٦١٠]

قَالَ نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ ابنُ أَبي مَرْيَمَ (ت: ٥٦٥هـ): (﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ بتَشْدِيدِ الفَاءِ، وَبالأَلِفِ بَعْدَ الفَاءِ.

قَرَأَهَا القُرَّاءُ كُلُّهُمْ، إلاَّ مَا رَوَى يس عَنْ يَعْقُوبَ فَإِنَّهُ قَرَأَ (النَّافِثَاتِ) بِأَلِفٍ قَبْلَ الفَاءِ عَلَى وَزْنِ فَاعِلاتٍ.

وَالوَجْهُ أَنَّ ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ جَمْعُ نَفَّاثَةٍ، وَهِيَ الكَثِيرَةُ النَّفْثِ). [الموضح:١٤١٦]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَبي نَصرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت:٥٧٠هـ): (وعنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ القَاسِمِ؛ مَوْلًى لأَبي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه: (النَّافِثَاتِ) بتَخْفِيفِ الفَاءِ وتَقْدِيمِ الأَلِفِ عليها. وجَاءَ كذلك عَنْ يَعْقُوبَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وعَنِ الحَسَنِ وَأَبي الرَّبيعِ (النَّفِثَاتِ) بغَيْرِ أَلِفٍ. وعَنْ حُمَيْدٍ وَالحَسَنِ (بضَمِّ النُّونِ)). [شواذ القراءات:٥٢٧- ٥٢٨]

قَالَ أبو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (وقدْ روى ابنُ أبي سُرَيْجٍ: (النَّافِثَاتِ) بأَلِفٍ قبلَ الفاءِ معَ كسْرِ الفاءِ وتَخفيفِها). [زاد المسير: ٢٧٥/٩]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (قولُه تعالى: ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾. يُقْرَأُ بضمِّ النونِ، وهو جَمْعُ المُشَدَّدِ، ويُقرأُ بألفٍ بَعْدَ النُّونِ، مكسورةَ الفاءِ مُخَفَّفًا، على فَاعِلٍ). [إعراب القراءات الشواذ: ٢/ ٧٥٨- ٧٥٩]

قَالَ حُسَيْنُ بنُ أَبي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (وقولُه: ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ الجمهورُ على الألفِ بعدَ الفاءِ مُشَدَّدَةً، وهو جمعُ نَفَّاثَةٍ. وقُرِئَ: (النَّافِثَاتِ) بألفٍ قبلَ الفاءِ، وهو جَمْعُ نافثةٍ، وهو بمعنًى). [الفريد: ٧٥٢/٤]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وقرَأَ عَبْدُ اللهِ بنُ عَمْرٍو، وعَبْدُ الرحمنِ بنُ سابطٍ، وعِيسَى بنُ عُمَرَ، ورُوَيْسٌ، عن يَعْقُوبَ: (وَمِنْ شَرِّ النَّافِثَاتِ) في وَزْنِ: (فَاعِلاتٍ) .

ورُوِيَتْ عن عبدِ اللهِ بنِ القاسمِ مَوْلَى أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنهما). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٩/٢٠]

قَالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَقَرَأَ الجمهورُ ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾، وَالحسنُ بضَمِّ النونِ، وَابنُ عمرَ وَالحسنُ أيضًا وَعبدُ اللَّهِ بنُ القاسمِ ويعقوبُ في روايةٍ: (النَّافِثَاتِ)، وَالحسنُ أيضًا وَأبو الربيعِ: (النَّفِثَاتِ) بغيرِ ألفٍ، نحوَ الْحَذِرَاتِ). [البحر المحيط: ٧٦٢/٨]

قَالَ السَّمِينُ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الحَلَبِيُّ (ت: ٧٥٦هـ): (وَقرأَ الحسنُ (النُّفَّاثَاتِ) بضَمِّ النونِ، وَهيَ اسمٌ كالنُّفَّاخَةِ. وَيَعْقُوبُ وَعبدُ اللَّهِ بنُ القاسمِ (النَّافِثَاتِ) وَهيَ مُحْتَمَلَةٌ لقراءةِ العامَّةِ، وَالحسنُ أيضًا وَأبو الربيعِ (النَّفِثَاتِ) دونَ ألفٍ، كَحَاذِرٍ وَحَذِرٍ). [الدر المصون: ١٦٠/١١]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ ابْنُ الجَزَرِيِّ (ت: ٨٣٣هـ): (واخْتُلِفَ عن رُوَيْسٍ في ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ فرَوَى النَّخَّاسُ عن التَّمَّارِ عنه مِن طريقِ الكَارَزِينِيِّ، والجَوْهَرِيُّ عن التَّمَّارِ (النَّافِثَاتِ) بألفٍ بعدَ النونِ وكسرِ الفاءِ مُخَفَّفَةً مِن غيرِ ألفٍ بعدَها، وكذا رَوَاهُ أحمدُ بنُ محمدٍ اليَقْطِينِيُّ وغيرُه عن التَّمَّارِ، وهي روايةُ عبدِ السلامِ المُعَلِّمِ، عن رُوَيْسٍ، وروايةُ أبي الفَتْحِ النَّحْوِيِّ عن يَعْقُوبَ، وقراءةُ عبدِ اللَّهِ بنِ القاسمِ المَدَنِيِّ وأبي السَّمَّالِ وعاصمٍ الجَحْدَرِيِّ، وروايةُ ابنِ أبي شُرَيْحٍ عن الكِسائِيِّ، وجاءَتْ عن الحسنِ البَصْرِيِّ، وهي التي قَطَعَ بها لرُوَيْسٍ صاحِبُ المُبْهِجِ وصاحبُ التَّذْكِرَةِ، وذَكَرَه عنه أيضًا أبو عَمْرٍو الدَّانِيُّ وأبو الكَرَمِ وأبو الفَضْلِ الرَّازِيُّ وغيرُهم، ورَوَى باقي أصحابِ التَّمَّارِ عنه، عن رُوَيْسٍ: بتشديدِ الفاءِ وفَتْحِها وألفٍ بعدَها مِن غيرِ ألفٍ بعدَ النونِ، وبذلك قَرَأَ الباقونَ، وأَجْمَعَتِ المصاحفُ على حذفِ الألفَيْنِ فاحْتَمَلَتْها القراءتانِ.

وكذلك (النُّفَاثَاتِ) مما انْفَرَدَ به أبو الكَرَمِ الشَّهْرُزُورِيُّ في كتابه المِصْبَاحِ عن رَوْحٍ بضمِّ النونِ وتخفيفِ الفاءِ وجمع (نُفاثَةٍ) وهو ما نَفَثْتَه مِن فِيكَ.

وقَرَأَ أبو الرَّبيعِ والحسنُ أيضًا: (النَّفِثَاتِ) بغيرِ ألفٍ وتخفيفِ الفاءِ وكسرِها.

والكلُّ مأخوذٌ مِن النَّفْثِ، وهو شِبْهُ النَّفْخِ يكونُ في الرُّقْيَةِ، ولا رِيقَ معه، فإنْ كانَ معَه رِيقٌ فهو التَّفْلُ، يُقَالُ مِنه: نَفَثَ الرَّاقِي يَنْفُثُ وبالكسرِ والضمِّ، فالنَّفَّاثَاتُ في العُقَدِ بالتشديدِ: السواحِرُ على مرادِ تَكْرَارِ الفعلِ والاحْتِرَافِ به، والنافِثَاتُ تكونُ للدَّفْعَةِ الواحدةِ مِن الفعلِ ولِتَكْرَارِهِ أيضًا، والنَّفِثَاتُ يَجُوزُ أنْ يكونَ مقصورًا مِن النَّافِثَاتِ، ويَحْتَمِلُ أنْ يكونَ في الأصلِ على فَعِلاتٍ مثلِ حَذِرَاتٍ لكونِه لازمًا، فالقراآتُ الأربعُ تَرْجِعُ إلى شيءٍ واحدٍ، ولا تُخَالِفُ الرَّسْمَ. واللَّهُ سبحانَه وتعالى أَعْلَمُ). [النشر:٣٧٤]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ ابْنُ الجزَرِيِّ (ت: ٨٣٣هـ): (

(دِ)ينًا وَحَمَّالَةُ نَصْبُ الرَّفْعِ (نَـ)ـمْ وَالنَّافِثَاتِ عَنْ رُوَيْسِ الخُلْفُ تَمْ). [طيبة النشر: ١١٨]

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنُ الجزَرِيِّ (ت: ٨٣٥هـ): (وقَرَأَ (النَّافِثَاتِ) بأَلِفٍ بَعْدَ النُّونِ وكَسْرِ الفَاءِ مُخففَّةً مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ بَعدَهَا كَمَا لَفَظَ بهِ رُوَيْسٌ بخَلافٍ عَنْهُ، وهِيَ قِرَاءَةُ عَاصِمٍ الجَحْدَرِيِّ وعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَاسِمٍ الهُذَلِيِّ وأَبي السَّمَّالِ ورِاوِيَةُ ابْنِ شُرَيحٍ عَنِ الكِسَائِيِّ، وجَاءَتْ عَنِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ، والبَاقُونَ: (النَّفَاثَاتِ) كَمَا هوَ المَشْهُورُ، فَفِيهَا قِرَاءَاتٌ ذُكِرَتْ في النَّشْرِ، وكُلُّهَا مَأخُوذَةٌ منَ النَّفْثِ، وهو شِبْهُ النَّفْخِ في الرُّقَى مِنْ غَيْرِ رِيقٍ، وإنْ كَانَ مَعَهُ رِيقٌ فَهُوَ تَفْلٌ، ومَعْنَاهُ السَّوَاحِرُ.

(قوله: تَمْ) ما أحْسَنَ ما اتفقَ لِلنَّاظِمِ أَنَالَهُ اللَّهُ تَعَالَى الجَنَّةَ ولَطَفَ بنَا وبهِ في قَوْلِهِ: الخُلْفُ تَمْ، فَإنَّهُ يُؤْذِنُ بنيَّةٍ مُخْلِصَةٍ بإِتْمَامِ الخُلْفِ فِيهِ لِرُوَيْسٍ وتَمَّ حَرْفُ الخِلافِ، واللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ). [شرح طيبة النشر:٣٣١]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ خَلِيلٍ القبَاقِبيُّ (ت: ٨٤٩هـ): (قَرَأَ الحَسَنُ: (النُّفَّاثَاتِ) بضَمِّ النُّونِ، والباقُونَ بفَتْحِهَا، ورُوَيْسٌ بأَلِفٍ بَعْدَهَا وكَسْرِ الفَاءِ مُخَفَّفَةً بوَزْنِ فَاعِلاتٍ، وعنه وَجْهٌ كالبَاقِينَ غَيْرَ الحَسَنِ). [إيضاح الرموز:٧٣٧]

قالَ عُمَرُ بنُ علِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (وقرَأَ الحَسَنُ: "النُّفَّاثَاتِ" بضَمِّ النُّونِ، وهُوَ اسمٌ كالنَّفَّاثَةِ. ويَعْقُوبُ وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَابطٍ وعِيسَى بْنُ عُمَرَ وعَبْدُ اللَّهِ بنُ القاسِمِ: "النَّافِثَاتِ" وهي مُحْتَمِلَةٌ لِقِرَاءَةِ العَامَّةِ.

والحَسَنُ وأَبُو الرَّبيعِ: "النَّفِثَاتِ" دُونَ أَلِفٍ كَحَاذِرٍ وحَذِرٍ). [اللباب: ٢٠/٥٧٣]

قَالَ عُمَرُ بْنُ قَاسِمٍ النَّشَّارُ (ت: ٩٣٨هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ قَرَأَ رُوَيْسٌ بخلافٍ عنه بأَلِفٍ بَعْدَ النُّونِ وكَسْرِ الفَاءِ مع تَخْفِيفِهَا، وروى رَوْحٌ بخلافٍ عنه بضَمِّ النُّونِ وَتَخْفِيفِ الفَاءِ، والبَاقونَ بغَيْرِ أَلِفٍ بَعْدَ النُّونِ وَتَشْدِيدِ الفَاءِ مَفْتُوحَةً بعْدَهَا أَلِفٌ، وكَذا قَرَأَ يَعْقُوبُ في أَحَدِ وَجْهَيْهِ). [البدور الزاهرة:٤٦٢]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (وَقُرِئَ (النَّافِثَاتِ)، كَمَا قُرِئَ (النَّفِثَاتِ) بغَيْرِ أَلِفٍ). [إرشاد العقل السليم: ٧/٢١٥]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ البَنَّاءُ الدِّمْيَاطِيُّ (ت: ١١١٧هـ): (وَاخْتُلِفَ فِي ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾: فَرُوَيْسٌ مِنْ طَرِيقِ النَّخَّاسِ بِالْمُعْجَمَةِ وَالجَوْهَرِيِّ كِلاهُمَا عَنِ التَّمَّارِ عَنْهُ (النَّافِثَاتِ) بِأَلِفٍ بَعْدَ النُّونِ وَكَسْرِ الفَاءِ مُخَفَّفَةً، بلا أَلِفٍ بَعْدَهَا، وَهِيَ قِرَاءَةُ عَاصِمٍ الجَحْدَرِيِّ وَغَيْرِهِ، وَرُوِيَتْ عَنِ الكِسَائِيِّ، وَقُطِعَ بهَا لِرُوَيْسٍ فِي المُبْهِجِ، وَالتَّذْكِرَةِ.
وَانْفَرَدَ أَبُو الكَرَمِ فِي مِصْبَاحِهِ عَنْ رَوْحٍ بضَمِّ النُّونِ وَتَخْفِيفِ الفَاءِ جَمْعَ "نُفَائَةٍ"، وَهُوَ مَا تَنْفُثُهُ مِنْ فِيكَ.
وَعَنِ الحَسَنِ بضَمِّ النُّونِ وَتَشْدِيدِ الفَاءِ وَفَتْحِهَا وَأَلِفٍ بَعْدَهَا، بلا أَلِفٍ بَعْدَ النُّونِ، كَالتُّفَّاحَاتِ.
وَالبَاقُونَ كَذَلِكَ لَكِنْ بفَتْحِ النُّونِ، جَمْعِ "نَفَّاثَةٍ" وَهِيَ رِوَايَةُ مَا فِي أَصْحَابِ التَّمَّارِ عَنْهُ عَنْ رُوَيْسٍ، وَالرَّسْمُ مُحْتَمِلٌ لِلْقِرَاءَاتِ الأَرْبَعِ، لِحَذْفِ الأَلِفَيْنِ فِي جَمِيعِ المَصَاحِفِ). [إتحاف فضلاء البشر: ٦٣٨]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (قَرَأَ الجمهورُ ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ جَمْعُ نَفَّاثَةٍ على المبالغةِ.
وَقَرَأَ يعقوبُ وَعبدُ الرحمنِ بنُ سابطٍ وَعيسَى بْنُ عُمَرَ: (النَّافِثَاتِ) جمعُ نَافِثَةٍ.
وَقَرَأَ الحَسَنُ: (النُّفَّاثَاتِ) بضَمِّ النونِ، وَقَرَأَ أبو الربيعِ: (النَّفِثَاتِ) بدونِ ألفٍ). [فتح القدير: ٧٥٩/٥]

قَالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وقرأ الحَسَنُ: (النُّفَّاثاتِ)، بضَمِّ النونِ، وقرأ هو أيضًا وابنُ عمرَ وعبدُ اللهِ بنُ القاسمِ ويعقوبُ في روايةٍ: (النَّافِثاتِ) وأبو الربيعِ والحَسَنُ أيضًا النَّفِثاتِ بغيرِ أَلِفٍ كالحَذِراتِ). [روح المعاني: ٢٨٣/٢٩]

قَالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (قَرَأَ الجمهورُ: ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ جمعُ نَفَّاثَةٍ على المبالغةِ، وَقُرِئَ: (النَّافِثَاتِ)؛ جَمْعُ نَافِثَةٍ، وَ(النُّفَّاثَاتِ) بضَمِّ النونِ، وَ(النَّفِثَاتِ) بدُونِ ألفٍ). [فتح البيان: ٤٦٠/١٥]

قَالَ عَبْدُ الفَتَّاحِ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ القَاضِي (ت: ١٤٠٣هـ): (قَرَأَ الحَسَنُ (النُّفَّاثَاتِ) كَقِرَاءَةِ الجُمْهُورِ، لَكِنْ بضَمِّ النُّونِ، وَالفَتْحُ وَالضَّمُّ لُغَتَانِ، جَمْعُ نَفَّاثَةٍ بالفَتْحِ وَالضَّمِّ أَيْضًا). [القراءات الشاذة للقاضي: ٩٤]

الرسم

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ ابْنُ الجزَرِيِّ (ت: ٨٣٣هـ): (وَرَوَى باقي أصحاب التَّمَّارِ عنه، عن رُوَيْسٍ بتشديدِ الفاءِ وفَتْحِها وألفٍ بعدَها مِن غيرِ ألفٍ بعدَ النونِ، وبذلك قَرَأَ الباقونَ، وأَجْمَعَتِ المصاحفُ على حذفِ الألفَيْنِ، فاحْتَمَلَتْها القراءتانِ، وكذلك (النُّفَائاتِ) مما انْفَرَدَ به أبو الكَرَمِ الشَّهْرُزُورِيُّ في كتابه المِصْبَاحِ عن رَوْحٍ بضمِّ النونِ وتخفيفِ الفاءِ وجمع (نُفَائَةٍ)، وهو ما نَفَثْتَه مِن فِيكَ.
وقَرَأَ أبو الرَّبيعِ والحسنُ أيضًا: (النَّفِثَاتِ) بغير ألفٍ وتخفيفِ الفاءِ وكسرِها.
والكلُّ مأخوذٌ مِن النَّفْثِ، وهو شِبْهُ النَّفْخِ يكونُ في الرُّقْيَةِ ولا رِيقَ معه، فإنْ كانَ معه رِيقٌ فهو التَّفْلُ، يُقَالُ مِنه: نَفَثَ الرَّاقِي يَنْفُثُ وبالكسرِ والضمِّ، فالنَّفَّاثَاتُ في العُقَدِ بالتشديدِ السواحرُ على مرادِ تكْرَارِ الفعلِ والاحْتِرَافِ به، والنافِثَاتُ تكونُ للدَّفْعَةِ الواحدةِ مِن الفعلِ ولِتَكْرَارِهِ أيضًا، والنَّفِثَاتُ يَجُوزُ أنْ يكونَ مقصورًا

مِن النَّافِثَاتِ، ويَحْتَمِلُ أنْ يكونَ في الأصلِ على فَعِلاتٍ مثلِ حَذِرَاتٍ لكونِه لازمًا، فالقراآتُ الأربعُ تَرْجِعُ إلى شيءٍ واحدٍ، ولا تُخَالِفُ الرَّسْمَ. واللَّهُ سبحانَه وتعالى أَعْلَمُ). [النشر:٣٧٤] (م)

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ البَنَّاءُ الدِّمْيَاطِيُّ (ت: ١١١٧هـ): (وَاخْتُلِفَ فِي ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾: فَرُوَيْسٌ مِنْ طَرِيقِ النَّخَّاسِ بِالْمُعْجَمَةِ، وَالجَوْهَرِيِّ كِلاهُمَا عَنِ التَّمَّارِ عَنْهُ: (النَّافِثَاتِ) بِأَلِفٍ بَعْدَ النُّونِ وَكَسْرِ الفَاءِ مُخَفَّفَةً، بلا أَلِفٍ بَعْدَهَا، وَهِيَ قِرَاءَةُ عَاصِمٍ الجَحْدَرِيِّ وَغَيْرِهِ، وَرُوِيَتْ عَنِ الكِسَائِيِّ، وَقُطِعَ بهَا لِرُوَيْسٍ فِي الْمُبْهِجِ وَالتَّذْكِرَةِ.
وَانْفَرَدَ أَبُو الكَرَمِ فِي مِصْبَاحِهِ عَنْ رَوْحٍ بِضَمِّ النُّونِ وَتَخْفِيفِ الفَاءِ جَمْعَ "نُفَاثَةٍ"، وَهُوَ مَا تَنْفُثُهُ مِنْ فِيكَ.
وَعَنِ الحَسَنِ بِضَمِّ النُّونِ وَتَشْدِيدِ الفَاءِ وَفَتْحِهَا وَأَلِفٍ بَعْدَهَا، بلا أَلِفٍ بَعْدَ النُّونِ، كَالتُّفَّاحَاتِ.
وَالبَاقُونَ كَذَلِكَ، لَكِنْ بِفَتْحِ النُّونِ، جَمْعِ "نَفَّاثَةٍ"، وَهِيَ رِوَايَةُ مَا فِي أَصْحَابِ التَّمَّارِ عَنْهُ عَنْ رُوَيْسٍ، وَالرَّسْمُ مُحْتَمِلٌ لِلْقِرَاءَاتِ الأَرْبَعِ، لِحَذْفِ الأَلِفَيْنِ فِي جَمِيعِ المَصَاحِفِ). [إتحاف فضلاء البشر: ٦٣٨] (م)

المفردات

أصل معنى العقدة

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالَوَيْهِ (ت: ٣٧٠هـ): (وَالعُقْدَةُ فِي كَلامِ العَرَبِ: الحَائِطُ الكَثِيرُ النَّخْلِ، وَكَذَلِكَ القَرْيَةُ الكَثِيرَةُ النَّخْلِ.
وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا اتَّخَذَ ذَلِكَ فَقَدْ أَحْكَمَ أَمْرَهُ، فَسُمِّيَتِ العُقْدَةُ فِي الشَّدِّ بِذَلِكَ. وَكُلُّ شَيْءٍ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ عُقْدَةٌ).
[إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٦]

واحد العقد

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَالعُقَدُ: جَمْعُ عُقْدَةٍ). [فتح القدير: ٥/٧٥٩]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (والعُقَدُ: وَاحِدُهَا عُقْدَةٌ). [تفسير المراغي: ٣٠/٢٦٧]

قَالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (والعُقَدُ: جَمْعُ عُقْدَةٍ، وهي ربطٌ في خَيْطٍ أو وَتَرٍ يَزعُمُ السحَرَةُ أنَّ سِحْرَ المَسحورِ يَستَمِرُّ ما دامَتْ تلك العُقدةُ مَعقودةً، ولذلك يَخافونَ مِن حَلِّها، فيَدْفِنُونَها أو يُخَبِّئُونَها في مَحَلٍّ لا يُهتَدَى إليه). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٨]

واحد النَّفَّاثات

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النحَّاسُ (ت: ٣٣٨هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ٤﴾ جَمْعُ نَفَّاثَةٍ وفي المُكَسَّرِ نَوَافِثُ). [إعراب القرآن: ٥/٣١٤]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالَوَيْهِ (ت: ٣٧٠هـ): (وَالنَّفَّاثَاتُ: السَّوَاحِرُ، وَاحِدَتُهَا نَفَّاثَةٌ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٥]

قَالَ عَبْدُ الْمُنْعِمِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ غَلْبُونَ (ت: ٣٨٩هـ): (وقرأَ الباقُونَ: ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ بأَلِفٍ بعد الفاءِ، من غَيْرِ أَلِفٍ قَبْلَها، مع تَشْدِيدِ الفاءِ [وفتْحِها]؛ جَمْعُ (نَفَّاثَةٍ)). [التذكرة:٦٥٣]

قَالَ نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ ابنُ أَبي مَرْيَمَ (ت: ٥٦٥هـ): (﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ جَمْعُ نَفَّاثَةٍ، وَهِيَ الكَثِيرَةُ النَّفْثِ). [الموضح:١٤١٦]

قَالَ حُسَيْنُ بنُ أَبي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (وقولُه: ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ الجمهورُ على الألفِ بعدَ الفاءِ مُشَدَّدَةً، وهو جمعُ نَفَّاثَةٍ). [الفريد: ٧٥٢/٤ (م)]

قَالَ السَّمِينُ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الحلَبِيُّ (ت: ٧٥٦هـ): (قولُهُ: ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾. جَمْعُ نَفَّاثَةٍ، مِثَالُ مُبَالَغَةٍ مِنْ نَفَثَ، أيْ: نَفَخَ). [الدر المصون: ١٥٩/١١]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (قَوْلُهُ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ النَّفَّاثَاتُ: جَمْعُ نَفَّاثَةٍ، مِثَالُ مُبَالَغَةٍ مِنْ نَفَثَ، أي: نَفَخَ). [اللباب: ٥٧٣/٢٠]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (قَرَأَ الجمهورُ: ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ جَمْعُ نَفَّاثَةٍ على المبالغةِ). [فتح القدير: ٧٥٩/٥]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (قَرَأَ الجمهورُ: ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ جمعُ نَفَّاثَةٍ على المبالغةِ). [فتح البيان: ٤٦٠/١٥]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المِصريُّ (ت: ١٣٢٣هـ): (والنَّفَّاثَةُ من صِيَغِ المُبالَغةِ، كالعَلاَّمَةِ والفَهَّامَةِ، يُسْتَعْمَلُ كذلكَ للذَّكَرِ والأُنْثَى، والنَّفَّاثاتُ جَمْعُهُ). [تفسير جزء عم: ١٨٥]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (والنَّفَّاثَاتُ: وَاحِدُهُمْ نَفَّاثَةٌ كَعَلاَّمَةٍ). [تفسير المراغي: ٢٦٧/٣٠]

قَالَ عَبْدُ الفَتَّاحِ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ القَاضِي (ت: ١٤٠٣هـ): (قَرَأَ الحَسَنُ: (النُّفَّاثَاتِ) كَقِرَاءَةِ الجُمْهُورِ، لَكِنْ بضَمِّ النُّونِ، وَالفَتْحُ وَالضَّمُّ لُغَتَانِ، جَمْعُ نَفَّاثَةٍ بالفَتْحِ وَالضَّمِّ أَيْضًا). [القراءات الشاذة للقاضي: ٩٤]

واحد النافثات

قَالَ عَبْدُ الْمُنْعِمِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ غَلْبُونَ (ت: ٣٨٩هـ): (قَرَأَ رُوَيْسٌ: (النَّافِثَاتِ) بالأَلِفِ بعد النُّونِ، مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ بَعْدَ الفاءِ، معَ تَخْفِيفِ الفاءِ وكَسْرِها؛ جَمْعُ (نَافِثَةٍ)، وهي قِراءَةُ الحَسَنِ البَصْرِيِّ). [التذكرة: ٦٥٣]

قَالَ شُرَيْحُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرُّعَيْنِيُّ الإِشْبِيلِيُّ (ت: ٥٣٩هـ): (﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ قَرَأَ رُوَيْسٌ على وَزْنِ الفَاعِلاتِ، جَمْعُ نَافِثَةٍ). [الجمع والتوجيه:٨٤]

قَالَ نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ ابنُ أَبي مَرْيَمَ (ت: ٥٦٥هـ): (وَأَمَّا (النَّافِثَاتِ) فَهِيَ جَمْعُ نَافِثَةٍ، وَهِيَ النَّافِخَةُ). [الموضح:١٤١٧]

قَالَ حُسَيْنُ بنُ أَبي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (وقُرِئَ: (النَّافِثَاتِ) بألفٍ قبلَ الفاءِ، وهو جَمْعُ نافثةٍ، وهو بمعنًى). [الفريد: ٧٥٢/٤ (م)]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَقَرَأَ يعقوبُ وعبدُ الرحمنِ بنُ سابطٍ وعيسَى بْنُ عُمَرَ: (النَّافِثَاتِ) جمعُ نَافِثَةٍ). [فتح القدير: ٥/٧٥٩]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وَقُرِئَ: (النَّافِثَاتِ)؛ جَمْعُ نَافِثَةٍ). [فتح البيان: ١٥/٤٦٠]

واحد النُّفاثات

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ ابْنُ الجَزَرِيِّ (ت: ٨٣٣هـ): (وكذلك (النُّفَاثَاتِ) مما انْفَرَدَ به أبو الكَرَمِ الشَّهْرُزُورِيُّ في كِتابه المِصْبَاحِ عن رَوْحٍ بضمِّ النونِ وتخفيفِ الفاءِ وجمعِ (نُفَاثَةٍ) وهو ما نَفَثْتَه مِن فِيكَ). [النشر: ٣٧٤]

ما تفيده صيغة المبالغة (النفاثات)

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (ومَنْ قرَأَ "النَّافِثَاتِ" فَإِنَّهَا تَكُونُ مَرَّةً ومِرَارًا، والمُشَدَّدُ لا يَكُونُ إلاَّ مُكَرَّرًا). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٥]

قَالَ شُرَيْحُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرُّعَيْنِيُّ الإِشْبِيلِيُّ (ت: ٥٣٩هـ): (﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ قَرَأَ رُوَيْسٌ على وَزْنِ الفَاعِلاتِ، جَمْعُ نَافِثَةٍ.

قالَ أبو الحسنِ: مَعْنَاهُ كمَعْنَى ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ غَيْرَ أنَّ التشديدَ للمُبَالغَةِ). [الجمع والتوجيه:٨٤ (م)]

قَالَ نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ ابنُ أبي مَرْيَم (ت: ٥٦٥هـ): (﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ جَمْعُ نَفَّاثَةٍ، وَهِيَ الكَثِيرَةُ النَّفْثِ). [الموضح:١٤١٦ (م)]

قَالَ نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ ابنُ أَبي مَرْيَم (ت: ٥٦٥هـ): (وَأَمَّا (النَّافِثَات) فَهِيَ جَمْعُ نَافِثَةٍ، وهِيَ النَّافِخَةُ، وَلَيْسَ لَفْظُ الفَاعِلَةِ مَوْضُوعًا لِلْمُبَالَغَةِ، وَإِنْ كَانَ يَحْتَمِلُ الكَثْرَةَ أَيْضًا، كَمَا أَنَّ الفِعْلَ وَإِنْ لَمْ يُبْنَ عَلَى التَّفْعِيلِ، فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ الكَثْرَةَ؛ لأَنَّ كِلَيْهِمَا دَالٌّ عَلَى المَصْدَرِ). [الموضح: ١٤١٧]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (والنَّفَّاثَاتُ والنافِثَاتُ بمعنًى واحِدٍ). [التبيان: ٢/ ٤٨٤]

قَالَ حُسَيْنُ بنُ أبي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (وقولُه: ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ الجمهورُ على الألفِ بعدَ الفاءِ مُشَدَّدَةً، وهو جمعُ نَفَّاثَةٍ. وقُرِئَ: (النَّافِثَاتِ) بألفٍ قبلَ الفاءِ، وهو جَمْعُ نافثةٍ وهو بمعنًى). [الفريد: ٤/٧٥٢ (م)]

قَالَ السَّمِينُ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الحَلَبِيُّ (ت: ٧٥٦هـ): (قولُهُ: ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ جَمْعُ نَفَّاثَةٍ، مِثَالُ مُبَالَغَةٍ مِن نَفَثَ، أيْ: نَفَخَ). [الدر المصون: ١١/١٥٩]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (قَوْلُهُ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ النَّفَّاثَاتُ: جَمْعُ نَفَّاثَةٍ، مِثَالُ مُبَالَغَةٍ مِنْ نَفَثَ، أي: نَفَخَ). [اللباب: ٢٠/٥٧٣]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (قَرَأَ الجمهورُ ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ جَمْعَ نفَّاثةٍ على المبالغةِ). [فتح القدير: ٥/٧٥٩]

قالَ مُحمَّد صِدِّيق حسَن خَان القِنَّوجيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (قَرَأَ الجمهورُ: ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ جمعَ نَفَّاثَةٍ على المبالغةِ). [فتح البيان: ١٥/٤٦٠]

قالَ مُحمَّد عَبْدُه المِصريُّ (ت: ١٣٢٣هـ): (والنَّفَّاثَةُ من صِيَغِ المُبالَغَةِ كالعَلاَّمَةِ والفَهَّامَةِ، يُستَعْمَلُ كذلكَ للذَّكَرِ والأُنْثَى، والنَّفَّاثاتُ جَمْعُهُ). [تفسير جزء عم: ١٨٥]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (والنَّفَّاثَاتُ: وَاحِدُهُمْ نَفَّاثَةٌ كَعَلاَّمَةٍ، مِنَ النَّفْثِ، وَهُوَ النَّفْخُ مِن رِيقٍ يَخْرُجُ مِن الفَمِ، والعُقَدُ: وَاحِدُهَا عُقْدَةٌ). [تفسير المراغي: ٣٠/٢٦٧]

قَالَ عَبْدُ الفَتَّاحِ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ القَاضِي (ت: ١٤٠٣هـ): (جَمْعُ نَفَّاثَةٍ بالفتْحِ وَالضَّمِّ أَيْضًا، وَهِيَ المَرْأَةُ السَّاحِرَةُ المُبَالِغَةُ فِي تَعَاطِيهِ، فَهِيَ مِنْ صِيَغِ المُبَالَغَةِ). [القراءات الشاذة للقاضي: ٩٤]

الإعراب

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالَوَيْهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿وَمِن﴾ نَسَقٌ عَلَيْهِ. ﴿شَرِّ﴾ جَرٌّ بِمِنْ. ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ جَرٌّ بالإِضَافَةِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٥]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿فِي ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ جَرٌّ بفِي). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٥]

معاني الحروف

معنى التعريف في (النفاثات)

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وتَعريفُها إمَّا للعهدِ أو للإيذانِ بشُمولِ الشرِّ لجميعِ أفرادِهِنَّ وتَمَحُّضِهِنَّ فيه). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٣]

قالَ مُحمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وتَعريفُ ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ تَعريفُ الجِنْسِ، وهو في معنى النَّكِرَةِ، لا تَفاوُتَ في المعنى بَيْنَه وبينَ قولِه: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾ وقولِه: {وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ}). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٩]

البلاغة

قالَ الشَّريفُ الرَّضِيُّ محمدُ بنُ الحُسَينِ المُوسَوِيُّ (ت: ٤٠٦هـ): ((وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ وَهَذِهِ اسْتِعَارَةٌ عَلَى أَحَدِ التَّأْوِيلَيْنِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ المُرَادُ بذَلِكَ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمُ الاسْتِعَاذَةَ مِنْ شَرِّ النِّسَاءِ اللاَّتِي يَفْسَخْنَ عَزَائِمَ الرِّجَالِ بمَكْرِهِنَّ وَيَنْقُضْنَ أَيْدَهُمْ بكَيْدِهِنَّ، وَعُقَدُ الرِّجَالِ هُنَا كِنَايَةٌ عَنْ عَزَائِمِهَا وَمَوَاضِعِ الثَّبَاتِ وَالتَّمَاسُكِ مِنْهَا، وَذَلِكَ تَشْبِيهٌ بمَا يُلْقِيهِ النَّافِثُ مِنْ رِيقِهِ عَلَى العُقْدَةِ تَكُونُ فِي الحَبْلِ لِيَسْهُلَ انْحِلالُهَا، وَيَنْطَلِقَ انْعِقَادُهَا). [تلخيص البيان: ٣٤٠]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (القولُ الثاني، وهو اخْتِيارُ أَبي مُسْلِمٍ: (مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ) أي: النِّسَاءِ، (في العُقَدِ)، أي: في عَزَائِمِ الرِّجَالِ وآرَائِهِم، وهو مُسْتَعَارٌ مِن عُقَدِ الحِبَالِ). [التفسير الكبير: ٣٢/١٧٩] (م)

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (وقِيلَ: المرادُ بالنَّفْثِ في العُقَدِ إبطالُ عَزائِمِ الرجالِ بالحِيَلِ، مُستعارٌ من تَلْيِينِ العُقَدِ بنَفْثِ الرِّيقِ لِيَسْهُلَ حَلُّها). [أنوار التنزيل: ٢/١١٨٠] (م)

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبيُّ (ت: ٧٤١هـ): (و ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ بناءُ مُبالَغَةٍ، والموصوفُ مَحذوفٌ، تقديرُه النساءُ النَّفَّاثَاتُ، والجماعةُ النَّفَّاثَاتُ أو النفوسُ النفاثاتُ). [التسهيل: ٢٢٥]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ أي: ومِن شَرِّ النفوسِ السواحرِ اللاتي يَعْقِدْنَ عُقَدًا في خُيوطٍ ويَنْفُثْنَ عليها، فالنَّفَّاثاتُ صِفَةٌ للنفوسِ، واعْتُبِرَ ذلك لمكانِ التأنيثِ مع أنَّ تأثيرَ السحْرِ إنما هو مِن جِهةِ النفوسِ الخبيثةِ والأرواحِ الشِّرِّيرةِ وسلطانِه منها، وقَدَّرَ بعضُهم النِّساءَ مَوصوفًا، والأوَّلُ أَوْلَى ليَشمَلَ الرجالَ ويَتَضمَّنَ الإشارةَ السابقةَ ويُطابقَ سببَ النزولِ؛ فإنَّ الذي سَحَرَه صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ كان رجلاً على المشهورِ كما ستَسمَعُ إن شاءَ اللهُ تعالى.

وقيلَ: أَعانَه بعضُ النِّساءِ، ولكونِ مِثلِ ذلك مِن عمَلِ النساءِ وكَيْدِهِنَّ غَلَبَ المؤنَّثُ على المذكَّرِ هنا، وهو جائزٌ على ما فَصَّلَه الخَفَاجِيُّ في شرْحِ دُرَّةِ الغوَّاصِ). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٣] (م)

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وقيلَ في الآيةِ: المرادُ بالنفْثِ في العُقَدِ إبطالُ عزائمِ الرجالِ بالحِيَلِ، مُستعارٌ مِن تَلْيِينِ العُقَدِ بنفْثِ الرِّيقِ ليَسْهُلَ حَلُّها، وهو يَقْرُبُ مِن بدَعِ التفاسيرِ). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٤] (م)

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (قَرَأَ الجمهورُ: ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ جمعُ نَفَّاثَةٍ على المبالَغةِ). [فتح البيان: ١٥/٤٦٠] (م)

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (هذا النَّوْعُ الثاني مِنَ الأنواعِ الخَاصَّةِ المَعطوفَةِ على العامِّ مِن قولِه: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٨]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وعُطِفَ **{شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ}** على شَرِّ الليلِ؛ لأنَّ الليلَ وقْتٌ يَتَحَيَّنُ فيه السَّحَرَةُ إجراءَ شَعْوَذَتِهِم؛ لئَلاَّ يَطَّلِعَ عليهم أحَدٌ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٨]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وتعريفُ ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ باللامِ إشارةٌ إلى أنَّهُنَّ مَعْهُوداتٌ بينَ العرَبِ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٩]

التناسب

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَلَمَّا كانَ السِّحْرُ أَعْظَمَ مَا يَكُونُ مِنْ ظلامِ الشرِّ المُسْتَحْكِمِ في العُرُوقِ الدَّاخِلِ فِي وُقُوبِهَا ؛ لِمَا فيهِ مِنْ تَفْرِيقِ المَرْءِ مِنْ زَوْجِهِ وَأَبِيهِ وَابْنِهِ وَنحوِ ذلكَ، وَما فيهِ مِنْ ضَنَى الأجسامِ وَقَتْلِ النفوسِ عَقَّبَ ذلكَ بقولِهِ تعالى : ﴿ وَمِن شَرِّ ﴾.

وَلَمَّا كانَ كلُّ سَاحِرٍ شِرِّيرًا بِخِلافِ الغاسقِ وَالحاسدِ، وَكانَ السِّحْرُ أَضَرَّ مِنَ الغَسَقِ وَالحَسَدِ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ شَرٌّ كُلُّهُ، وَمِن جِهَةِ أَنَّهُ أَخْفَى مِنْ غَيْرِهِ، وَكانَ ما هو منهُ مِنَ النساءِ أَعْظَمَ ؛ لأنَّ مَبْنَى صِحَّتِهِ وَقُوَّةِ تَأْثِيرِهِ قِلَّةُ العَقْلِ وَالدينِ وَرَدَاءَةُ الطبعِ وَضَعْفُ اليَقِينِ وَسرعةُ الاستحالةِ، وَهُنَّ أَعْرَقُ في كلٍّ مِنْ هذهِ الصفاتِ وَأَرْسَخُ، وَكانَ ما وُجِدَ مِنْهُ مِنْ جمعٍ وَعلى وَجْهِ المبالغةِ أَعْظَمَ مِنْ غيرِهِ عَرَّفَ وَبَالَغَ وَجَمَعَ وَأَنَّثَ لِيَدْخُلَ فيهِ ما دُونَهُ مِنْ باب الأَوْلَى، فَقَالَ تعالى : ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾). [نظم الدرر: ٨/٦٠٥- ٦٠٦]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (ولَمَّا كانَ السِّحرُ أعظمَ ما يكونُ لما فيهِ منْ تفريقِ المرءِ مِن زوجِهِ وأبيهِ وابنهِ ونحوِ ذلكَ عقَّبَ ذلكَ بقولِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ ﴾). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٣]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المِصريُّ (ت: ١٣٢٣هـ): (ثُمَّ خَصَّ مَخْلوقاتٍ أُخَرَ لظُهورِ ضَرَرِها، وعَسِرَ الاحْتِياطُ منه فلا بُدَّ مِنَ الفَزَعِ إلى اللهِ والاسْتِنْجادِ بقُدْرَتِهِ الشَّامِلَةِ على دَفْعِ شَرِّها، فقالَ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ ﴾). [تفسير جزء عم: ١٨٤]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (ثمَّ خَصَّ تعالى مَخلوقاتٍ أُخَرَ بالاستعاذةِ مِنْ شرِّها ؛ لِظُهُورِ ضَرَرِها وعُسْرِ الاحتياطِ منها، فلا بُدَّ مِن الفَزَعِ إلى اللَّهِ والاسْتِنْجَادِ بقُدرتِهِ الشاملةِ على دَفْعِ شرِّها، فقالَ سُبحانَهُ : ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ ﴾). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٦]

التفسير

معنى النفث

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ يَحْيَى بْنِ المُبَارَكِ اليَزِيدِيُّ (ت: ٢٣٧هـ): (والنَّفْثُ: شَبيهَةٌ بالنفخِ، والتَّفْلُ لا يكونُ إلاَّ ومعَه رِيقٌ). [غريب القرآن وتفسيره: ٤٤٧]

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ السَّرِيِّ الزَّجَّاجُ (ت: ٣١١هـ): (تَنْفُثُ: تَتْفُلُ بلا رِيقٍ، كَأَنَّهُ نَفْخٌ كَمَا يَفْعَلُ كُلُّ مَنْ يَرْقِي). [معاني القرآن وإعرابه: ٥/٣٧٩]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالَوَيْهِ (ت: ٣٧٠هـ): (والنَّفْثُ: الرِّيحُ بالرُّقْيَةِ، وَنَفْخٌ بلا رِيقٍ، والتَّفْلُ: نَفْخٌ مَعَهُ رِيقٌ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٥]

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (والنَّفْثُ: رِيحٌ يَخْرُجُ مِنَ الفَمِ لا رِيقَ مَعَهُ. والتَّفْلُ: رِيحٌ مَعَهُ شَيءٌ مِن رِيقٍ). [تفسير المشكل من غريب القرآن: ٣٠٩]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (والنَّفْثُ: النَّفْخُ في العُقَدِ بلا رِيقٍ، والتَّفْلُ: النفخُ فيها بريقٍ). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٦]

قَالَ أَبُو المُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (والنفْثُ هو النَّفْخُ بالفَمِ، والتَّفْلُ هو إذا كان معه رِيقٌ). [تفسير القرآن: ٦/٣٠٦]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللهِ السُّهَيْلِيُّ (ت:٥٨١هـ): (وَالنَّفْثُ بالفَمِ قَرِيبٌ مِنَ النَّفْخِ، وَلا يَكُونُ إلا مَعَ رِيقٍ، وَالتَّفْلُ قَرِيبٌ مِنْهُ). [التعريف والإعلام: ١٩٠]

قَالَ أبو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (فأمَّا **النَّفَّاثَاتُ** فقالَ ابنُ قُتيبةَ: هُنَّ السواحِرُ يَنْفُثْنَ، أيْ: يَتْفُلْنَ إذا سَحَرْنَ ورَقَيْنَ. قالَ الزَّجَّاجُ: يَتْفُلْنَ بلا رِيقٍ، كأنَّهُ نَفْخٌ. وقالَ ابنُ الأنباريِّ: قالَ اللُّغَوِيُّونَ: تفسيرُ نَفَثَ: نَفَخَ نَفْخًا ليسَ معهُ رِيقٌ، ومعنى تَفَلَ: نَفَخَ نَفْخًا معهُ رِيقٌ. قالَ ذو الرُّمَّةِ:

ومِنْ جَوفِ ماءٍ عَرْمَضُ الحَوْلِ فَوْقَهُ ... متى يَحْسُ منهُ مَائِحُ القومِ يَتْفُلِ

). [زاد المسير: ٩/٢٧٥]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (في الآيةِ قَوْلانِ: الأَوَّلُ: أَنَّ النَّفْثَ النَّفْخُ مَعَ رِيقٍ، هكذا قَالَه صاحبُ الكشافِ، ومنهم مَن قالَ: إنَّه النَّفْخُ فَقَطْ، ومنه قولُه عَلَيْهِ السَّلامُ: «إِنَّ جِبْرِيلَ نَفَثَ فِي رَوْعِي»). [التفسير الكبير: ٣٢/١٧٩]

قَالَ حُسَيْنُ بْنُ أَبِي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (والنَّفْثُ: النفخُ بلا رِيقٍ، بخِلافِ التَّفْلِ، وقيلَ: معَ رِيقٍ). [الفريد: ٤/٧٥٢]

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (وَالنَّفْثُ النَّفْخُ في العُقَدِ بغيرِ رِيقٍ، وَالتَّفْلُ النَّفْخُ فيها بريقٍ). [تفسير القرآن: ٣/٥١٠]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (والنَّفْثُ: النَّفْخُ مع رِيقٍ). [أنوار التنزيل: ٢/١١٨٠]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (والنفثُ: النَّفْخُ معَ رِيقٍ قليلٍ، وقيلَ: إنَّهُ النفخُ فقطْ). [لباب التأويل: ٤/٥٠٢]

قَالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (وأمَّا النَّفْثُ فهو النَّفْخُ بريقٍ، وقيلَ: النَّفْخُ فَقَطْ). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٨]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيٍّ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (النَّفْثُ: شِبْهُ النَّفْخِ دونَ تَفْلٍ وريقٍ؛ قالَه ابنُ عَطِيَّةَ، وقالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: هو النفْخُ مع رِيقٍ). [التسهيل: ٢٢٥]

قَالَ عَبْدُ البَاقِي بْنُ عَبدِ المَجِيدِ القُرَشِيُّ اليَمَانِيُّ (ت: ٧٤٣هـ): (والنَّفْثُ: النَّفْخُ مع رِيقٍ). [الترجمان: ٢٣٤]

قالَ أَبُو حيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (النَّفْثُ: شِبْهُ النفخِ دونَ تَفْلٍ بريقٍ؛ قَالَهُ ابنُ عَطِيَّةَ، وَقيلَ: نَفْخٌ بريقٍ مَعَهُ؛ قَالَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ، وَقالَ صَاحِبُ (اللَّوَامِحِ): شِبْهُ النفخِ مِنَ الفَمِ في الرُّقْيَةِ وَلا رِيقَ مَعَهُ، فإذا كانَ بريقٍ فهوَ التَّفْلُ، قَالَ الشاعرُ:

فَــإِنْ يَبْــرَأْ فَلَــمْ أَنْفِــثْ عَلَيْــهِ ... وإِنْ يُفْقَــدْ فَحُــقَّ لَــهُ الفُقُــودُ

). [البحر المحيط: ٧٥٩/٨]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (والنَّفْثُ هو النَّفْخُ مع رِيقٍ، وهو دونَ التَّفْلِ، وهو مَرْتَبَةٌ بينَهما). [بدائع الفوائد:٢/]

قَالَ السَّمِينُ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الحَلَبِيُّ (ت: ٧٥٦هـ): (قولُهُ: ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ جَمْعُ نَفَّاثَةٍ، مِثَالُ مُبَالَغَةٍ مِنْ نَفَثَ، أيْ: نَفَخَ، وَاخْتُلِفَ فيهِ، فَقَالَ أبو الفضلِ: شَبَّهَ النَّفْخَ مِنَ الفمِ في الرُّقْيَةِ وَلا شيءَ مَعَهُ، فإذا كَانَ بريقٍ فهوَ التَّفْلُ. وأَنْشَدَ:

فَــإِنْ يَبْــرَأْ فَلَــمْ أَنْفِــثْ عَلَيْــهِ ... وإِنْ يُفْقَــدْ فَحُــقَّ لَــهُ الفُقُــودُ

وقالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: نَفْخٌ معهُ رِيقٌ). [الدر المصون: ١١/١٥٩]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ ابْنُ الجَزَرِيِّ (ت: ٨٣٣هـ): (والكلُّ مأخوذٌ مِن النَّفْثِ، وهو شِبْهُ النَّفْخِ يكونُ في الرُّقْيَةِ، ولا رِيقَ معه، فإنْ كانَ معَه رِيقٌ فهو التَّفْلُ، يُقَالُ مِنه: نَفَثَ الرَّاقِي يَنْفُثُ). [النشر:٣٧٤]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبِيُّ (ت: ٨٧٥ هـ): (والنَّفْثُ شِبْهُ النَّفْخِ دُونَ تَفْلِ رِيقٍ). [الجواهر الحسان: ٥/٦٤١]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (قَوْلُهُ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ النَّفَّاثاتُ: جَمْعُ نَفَّاثَةٍ، مِثَالُ مُبَالَغَةٍ مِنْ نَفَثَ، أي: نَفَخَ، واخْتُلِفَ فيه؛ فقَالَ أبو الفَضْلِ: شَبَّهَ النَّفْخَ مِنَ الفَمِ بالرُّقْيَةِ، ولا شَيْءَ مَعَهُ، قَالَ عَنْتَرَةُ:

فَــإِنْ يَبْــرَأْ فَلَــمْ أَنْفُــثْ عَلَيْــهِ ... وَإِنْ يُفْقَــدْ فَحُــقَّ لَــهُ الفُقُــودُ

وقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: "النَّفْخُ مَعَ رِيقٍ"). [اللباب: ٢٠/٥٧٣]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبدِ الرَّحْمَنِ الإِيجِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت: ٩٠٥ هـ): (والنَّفْثُ النَّفْخُ معَ رِيقٍ). [جامع البيان: ٤/٥٤٦]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (والنَّفْثُ: النَّفْخُ معَ رِيقٍ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٣]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ البَنَّاءُ الدِّمْيَاطِيُّ (ت: ١١١٧هـ): (وَالكُلُّ مَأْخُوذٌ مِنَ "النَّفْثِ"، وَهُوَ شِبْهُ النَّفْخِ، يَكُونُ فِي الرُّقْيَةِ وَلا رِيقَ مَعَهُ، فَإِنْ كَانَ مَعَهُ رِيقٌ فَهُوَ التَّفْلُ). [إتحاف فضلاء البشر: ٦٣٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَالنَّفْثُ: النَّفْخُ كما يَفْعَلُ ذلكَ مَنْ يَرْقِي وَيَسْحَرُ، قِيلَ: معَ رِيقٍ. وَقِيلَ: بدُونِ رِيقٍ.

وَالعُقَدُ جَمْعُ عُقْدَةٍ، وَذلكَ أَنَّهُنَّ كُنَّ يَنْفُثْنَ في عُقَدِ الخيوطِ حِينَ يَسْحَرْنَ بها، وَمنهُ قولُ عَنْتَرَةَ:

فَــإِنْ يَبْــرَأْ فَلَــمْ أَنْفِــثْ عَلَيْــهِ ... وَإِنْ يُفْقَــدْ فَحُــقَّ لَــهُ الفُقُــودُ

وقولُ مُتَمِّمِ بنِ نُوَيْرَةَ:

نَفَــثَ في الخَــيْطِ شَــبيهَ الرُّقَــى		مِــنْ خَــشْيَةِ الجِنَّــةِ وَالحَاسِــدِ). [فتح القدير: ٧٥٩/٥]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (والنَّفْثُ: النفْخُ مع رِيقٍ كما قال الزَّمخشريُّ، وقالَ صاحبُ اللوامحِ هو شِبْهُ النفخِ يكونُ في الرُّقْيَةِ ولا رِيقَ معه، فإن كان بريقٍ فهوَ تَفْلٌ، والأوَّلُ هو الأَصحُّ لِمَا نَقَلَه ابنُ القيِّمِ مِن أنهم إذا سَحَرُوا واسْتَعَانُوا على تأثيرِ فِعْلِهِم بنَفَسٍ يُمازِجُه بعضُ أجزاءِ أَنفُسِهِم الخبيثةِ). [روح المعاني: ٢٨٣/٢٩]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المصريُّ (ت: ١٣٢٣هـ): (والنَّفْثُ: النَّفْخُ الخَفِيفُ، أو النَّفْخُ مَعَ شَيْءٍ مِنَ الرِّيقِ). [تفسير جزء عم: ١٨٥]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (مِنَ النَّفْثِ، وَهُوَ النَّفْخُ مِن رِيقٍ يَخْرُجُ مِن الفَمِ). [تفسير المراغي: ٣٠/ ٢٦٧]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (والنَّفْثُ: نفْخٌ مع تَحريكِ اللسانِ بدُونِ إخراجِ رِيقٍ، فهو أقَلُّ مِنَ التَّفْلِ، يَفعَلُه السحَرَةُ إذا وَضَعُوا علاجَ سِحْرِهِم في شيءٍ، وعَقَدُوا عليه عُقَدًا، ثم نَفَثُوا عليها). [التحرير والتنوير: ٣٠/ ٦٢٨]

المراد بالنفاثات في العقد

قَالَ عَبْدُ الخَالِقِ بْنُ الحَسَنِ ابنُ أَبِي رُوبَا (ت:٣٥٦ هـ): حدَّثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ ثابتٍ الثَّورِيُّ، عن أبيه، عن الهُذَيْلِ بن حبيبٍ، عنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ البَلْخِيِّ (ت:١٥٠هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤﴾ يَعْنِي السِّحْرَ وآلاتِهِ، يَعْنِي الرُّقْيَةَ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ مَعْصِيَةٌ، يَعْنِي بِهِ ما تَنْفُثْنَ مِنَ الرُّقَى في العُقْدَةِ والأُخْذَةِ، يَعْنِي بِهِ السِّحْرَ، فهُنَّ السَّاحِراتُ المُهَيِّجاتُ الأَخَّاذَاتُ). [تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٧/٣- ٥٣٨]

قالَ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ الفَرَّاءُ: (ت: ٢٠٧هـ): (وقولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤﴾ وهن السواحِرُ يَنفُثْنَ سِحْرَهُنَّ. ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥﴾، يعني: الذي سَحَرَه لَبِيدٌ). [معاني القرآن: ٣٠١/٣]

قالَ أبو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ المُثَنَّى التَّيْمِيُّ (ت: ٢١٠هـ): (و﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾: السَّحَرَةُ يَنْفُثْنَ، قالَ عَنْتَرَةُ:

فَــإِنْ يَبْــرَأْ فلــم أَنْفِــثْ عليــه		وإنْ يُفْقَــدْ فَحُــقَّ لــه الفُقُــودُ). [مجاز القرآن: ٣١٧/٢]

قالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت: ٢١١هـ): (قَالَ مَعْمَرٌ: تَلا قَتَادَةُ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤﴾ قَالَ: إِيَّاكُمْ وَمَا خَالَطَ السِّحْرَ مِنْ هَذِهِ الرُّقَى). [تفسير عبد الرزاق: ٤٠٨/٢]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ يَحيَى بْنِ المُبَارَكِ اليَزِيدِيُّ (ت: ٢٣٧هـ): (﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾: السَّحَرَةُ يَنْفُثْنَ في الناسِ العُقَدَ). [غريب القرآن وتفسيره: ٤٤٧]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٢٧٦هـ): (﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾: السَّواحِرُ. ويَنْفُثْنَ: يَتْفُلْنَ إذا سَحَرْنَ ورَقَيْنَ). [تفسير غريب القرآن: ٥٤٣]

قالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ (ت: ٢٨٣هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ أي: السَّوَاحِرِ تَنْفُثُ فِي العُقَدِ). [تفسير التستري: ٢١٠]

قالَ هُودُ بْنُ مُحكَّمٍ الهواريُّ (ت: ق٣): (قالَ تعالَى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ وهُنَّ السَّوَاحِرُ يَنْفُثْنَ فِي العُقَدِ للسِّحْرِ). [تفسير كتاب الله العزيز: ٥٤٤/٤]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبٍ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٣٠٨هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ النِّسَاءِ السَّوَاحِرِ ﴿فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ إذَا رَقَيْنَ وَنَفَثْنَ في العُقَدِ). [الواضح: ٥٢٧/٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (وقولُه: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ يقولُ: ومِن شرِّ السواحرِ اللاتي يَنْفُثْنَ في عُقَدِ الخَيْطِ، حينَ يَرْقِينَ عليها.

وبنحوِ الذي قُلنا في ذلك قالَ أهلُ التأويلِ.

ذِكْرُ مَن قالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ سَعْدٍ، قالَ: ثَنِي أَبِي، قالَ: ثَنِي عَمِّي، قالَ: ثَنِي أَبِي، عن أبيه، عن ابنِ عبَّاسٍ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ قالَ: ما خَالَطَ السِّحْرَ مِنَ الرُّقَى.

حَدَّثَنَا ابنُ بَشَّارٍ، قالَ: ثَنَا ابن أبي عَدِيٍّ، عن عوفٍ، عن الحسَنِ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ قالَ: السواحِرِ والسَّحَرَةِ.

حَدَّثَنَا ابنُ عبدِ الأعلى، قالَ: ثَنَا ابنُ ثَوْرٍ، عن مَعْمَرٍ قالَ: تلا قتَادَةُ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ قالَ: إيَّاكُمْ وما خَالَطَ السِّحْرَ مِن هذه الرُّقَى.

قالَ: ثَنَا ابنُ ثَوْرٍ، عن مَعْمَرٍ، عن ابنِ طاوسٍ، عن أبيه، قالَ: ما مِنْ شَيْءٍ أقربُ إلى الشركِ مِن رُقْيَةِ الحيةِ والمَجَانِينِ.

حَدَّثَنَا بشْرٌ، قالَ: ثَنَا يَزِيدُ، قالَ: ثَنَا سعيدٌ، عن قَتَادَةَ قالَ: كان الحسنُ يقولُ إذا جَازَ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ قالَ: إياكُم وما خَالَطَ السحْرَ.

حَدَّثَنَا ابنُ حُمَيْدٍ، قالَ: ثَنَا مِهْرَانُ، عن سُفْيَانَ، عن جَابرٍ، عن مُجَاهِدٍ وعِكْرِمَةَ: ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ قالَ: قالَ مُجَاهِدٌ: الرُّقَى في عُقَدِ الخَيْطِ؛ وقالَ عِكْرِمَةُ: الأُخَذُ في عُقَدِ الخَيْطِ.

حَدَّثَنِي يُونُسُ، قالَ: أَخْبَرَنَا ابنُ وَهْبٍ، قالَ: قالَ ابنُ زَيْدٍ في قَوْلِهِ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ قالَ: النفاثاتُ: السواحِرُ في العُقَدِ). [جامع البيان: ٧٤٩/٢٤- ٧٥١]

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ السَّرِيِّ الزَّجَّاجُ (ت: ٣١١هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾. ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ السَّوَاحِرُ، تَنْفُثُ: تَتْفُلُ بلا رِيقٍ، كَأَنَّهُ نَفخٌ كمَا يَفْعَلُ كُلُّ مَنْ يَرْقِي). [معاني القرآن وإعرابه: ٣٧٩/٥]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النحَّاسُ (ت: ٣٣٨هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤﴾ جَمْعُ نَفَّاثَةٍ، وفي المُكَسَّرِ نَوَافِثُ، يقالُ: إِنَّهُنَّ نِسَاءٌ سَوَاحِرُ كُنَّ في عهدِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ، أُمِرَ بالاستعاذةِ مِنْهُنَّ لأَنَّهُنَّ يُوهِمْنَ أنهن يَنْفَعْنَ أو يَضْرُرْنَ، فرُبَّما لَحِقَ الإنسانَ في دينِه ما يَأْثَمُ به. فأمَّا السِّحْرُ فباطِلٌ). [إعراب القرآن: ٥/٣١٤]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الكَرَجِيُّ القَصَّابُ (ت: ٣٦٠هـ): (وَالنَّفَّاثَاتُ: السواحرُ، والعُقَدُ: السِّحْرُ). [نكت القرآن: ٤/٥٦٧]

قالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الجَصَّاصُ (ت: ٣٧٠هـ): (وقَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤﴾ قَالَ أَبو صَالِحٍ: النَّفَّاثَاتُ فِي العُقَدِ: السَّوَاحِرُ.

ورَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ تَلا: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤﴾ قَالَ: (إيَّاكُمْ وَمَا يُخَالِطُ مِنَ السِّحْرِ مِنْ هَذِهِ الرُّقَى).

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: النَّفَّاثَاتُ فِي العُقَدِ: السَّوَاحِرُ يَنْفُثْنَ عَلَى العَلِيلِ وَيَرْقُونَهُ بكَلامٍ فِيهِ كُفْرٌ وَشِرْكٌ وَتَعْظِيمٌ لِلْكَوَاكِبِ وَيُطْعِمْنَ العَلِيلَ الأَدْوِيَةَ الضَّارَّةَ وَالسُّمُومَ القَاتِلَةَ، وَيَحْتَالُونَ فِي التَّوَصُّلِ إِلَى ذَلِكَ، ثُمَّ يَزْعُمْنَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ رُقَاهُنَّ، هَذَا لِمَنْ أَرَدْنَ ضَرَرَهُ وَتَلَفَهُ، وَأَمَّا مَنْ يَزْعُمْنَ أَنَّهُنَّ يُرِدْنَ نَفْعَهُ فَيَنْفُثْنَ عَلَيْهِ وَيُوهِمْنَ أَنَّهُنَّ يَنْفَعْنَ بذَلِكَ، وَرُبَّمَا يَسْقِينَهُ بَعْضَ الأَدْوِيَةِ النَّافِعَةِ فَيَتَّفِقُ لِلْعَلِيلِ خِفَّةُ الوَجَعِ؛ فَالرُّقْيَةُ المَنْهِيُّ عَنْهَا هِيَ رُقْيَةُ الجَاهِلِيَّةِ لِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ.

وَأَمَّا الرُّقْيَةُ بالقُرْآنِ وَبذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهَا جَائِزَةٌ، وَقَدْ أَمَرَ بها النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَدَبَ إِلَيْهَا، وَكَذَلِكَ قَالَ أَصْحَابُنَا فِي التَّبَرُّكِ بالرُّقْيَةِ بذِكْرِ اللَّهِ). [أحكام القرآن: ٣/٦٤٨- ٦٤٩]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (وَالنَّفَّاثَاتُ: السَّوَاحِرُ، وَاحِدَتُهَا نَفَّاثَةٌ. وَمَنْ قَرَأَ "النَّافِثَاتِ" فَإِنَّهَا تَكُونُ مَرَّةً وَمِرَارًا، وَالمُشَدَّدُ لا يَكُونُ إِلاَّ مُكَرَّرًا، وَالنَّفْثُ: الرِّيحُ بالرُّقْيَةِ وَنَفْخٌ بلا رِيقٍ، وَالتَّفْلُ نَفْخٌ مَعَهُ رِيقٌ. وَأُنْشِدَ:

طَعَنْتُ مَجَامِعَ الأَحْشَاءِ مِنْهُ ... بنَافِذَةٍ عَلَى دَهَشٍ وَفِتْرِ
تَرَكْتُ الرُّمْحَ يَبْرُقُ فِي صَلاهُ ... كَأَنَّ سِنَانَهُ مِنْقَارُ نَسْرِ
فَإِنْ يَبْرَأْ فَلَمْ أَنْفُثْ عَلَيْهِ ... وَإِنْ يَهْلِكْ فَذَلِكَ كَانَ قَدْرِي

أيْ: تَقْدِيرِي). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٥]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (ثم قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤﴾. يعني: الساحراتِ المُؤَخِّزَاتِ المُهَيِّجَاتِ، اللواتي يَنْفُثْنَ في العُقَدِ). [بحر العلوم: ٣/٥٢٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنُ أَبِي زَمَنِينَ (ت: ٣٩٩هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤﴾: هِيَ السَّوَاحِرُ، يَنْفُثْنَ فِي العُقَدِ للسِّحْرِ). [تفسير القرآن العزيز: ٥/١٧٤]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤﴾ يعني الساحرات

المهيِّجاتِ اللائِي يَنْفُثْنَ في عُقَدِ الخَيْطِ حِينَ يَرْقِينَ عليها، والنَّفْثُ: شِبْهُ النفخِ، كما يَعْمَلُ مَن يَرْقِي، قالَ عَنْتَرَةُ:

فَـإِنْ يَبْـرَأْ فَلَـمْ أَنْفِـثْ عَلَيْـهِ ... وَإِنْ يُفقَـدْ فَحُـقَّ لَـهُ الفُقُـودُ). [الكشف والبيان: ٣٤٠/١٠]

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾: السَّحَرَةِ). [العمدة في غريب القرآن: ٣٦١]

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾: السَّواحِرِ يَنْفُثْنَ، أي: يَتْفُلْنَ إذا سَحَرْنَ ورَقَيْنَ). [تفسير المشكل من غريب القرآن: ٣٠٩]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ قالَ أهلُ التأويلِ: مِن السواحِرِ يَنْفُثْنَ في عُقَدِ الخُيوطِ للسِّحْرِ، قالَ الشاعرُ:

أَعُـوذُ بِرَبِّـي مِـنَ النَّافِثَـا ... تِ في عِضَـهِ العاضِـهِ المُعْـضِهِ

وربما فَعَلَ قومٌ في الرُّقَى مِثْلَ ذلك؛ طَلَبًا للشِّفاءِ، كما قالَ مُتَمِّمُ بنُ نُوَيْرَةَ:

نَفَثْـتُ في الخَـيْطِ شَـبِيهَ الرُّقَـى ... مِـن خَـشْيَةِ الجِنَّـةِ والحَاسِـدِ). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٥]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (وفي ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ ثلاثةُ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: أنَّه إيهامٌ للأذَى وتَخَيُّلٌ للمَرَضِ مِن غيرِ أنْ يَكُونَ له تأثيرٌ في الأَذَى والمَرَضِ، إلاَّ استشعارٌ رُبَّما أَحْزَنَ، أو طعامٌ ضارٌّ رُبَّما نَفَذَ بِحِيلةٍ خَفِيَّةٍ.

الثاني: أنَّه قد يُؤْذِي بمَرَضٍ لعارِضٍ يَنْفَصِلُ فيتَّصِلُ بالمسحورِ فيُؤَثِّرُ فيهِ كتأثيرِ العينِ، وكما يَنْفَصِلُ مِن فَمِ المُتَثائِبِ ما يُحْدِثُ في المقابِلِ له مِثْلَه.

الثالثُ: أنه قد يكونُ ذلك بمَعونةٍ مِن خَدَمِ الجِنِّ يَمْتَحِنُ اللَّهُ بعْضَ عِبادِهِ). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٦]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ مُطَرِّفٍ الكِنَانِيُّ (ت: ٤٥٤هـ): (﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾: السَّوَاحِرُ، وَيَنْفُثْنَ: يَتْفُلْنَ إذَا سَحَرْنَ وَرَقَيْنَ). [القرطين: ٢٢٢]

قَالَ يوسفُ بنُ عبدِ اللهِ ابنُ عبدِ البَرِّ النَّمَرِيُّ (ت: ٤٦٣هـ): (رَوَى ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَطَاءِ بْنِ أَبِي الخُوَارِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾. قَالَ: السِّحْرُ). [الاسْتِذْكَارُ: ٣٤/٢٧]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾: يَعْنِي السَّوَاحِرَ تَنْفُثُ ﴿فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾: كَأَنَّهَا تَنْفُخُ فِيها بشَيْءٍ تَقْرَؤُهُ). [الوجيز: ١٢٤٢/٢]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾. يَعْنِي السَّحَرَةَ وَالسَّوَاحِرَ، وَالنَّفْثُ: النَّفْخُ كَمَا يَفْعَلُ كُلُّ مَنْ يَرْقِي.

قَالَ عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ السَّحَرَةَ الَّذِينَ عَقَدُوا السِّحْرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هُنَّ بَنَاتُ لَبِيدِ بْنِ أَعْصَمَ اليَهُودِيِّ، سَحَرْنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [الوسيط: ٥٧٤/٤]

قالَ أَبُو المُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (وقولُه: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ أي: السواحرِ، والنفثُ: هو النَّفْخُ بالفمِ، والتَّفْلُ: هو إذا كان معَه ريقٌ). [تفسير القرآن: ٣٠٦/٦]

قالَ أَبُو المُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (واعْلَمْ أنَّ المفسِّرينَ قالُوا: إنَّ هذه السورةَ والتي تَلِيهَا نَزَلَتَا حينَ سُحِرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَحَرَهُ لَبيدُ بنُ أَعصَمَ اليهوديُّ.

والنفَّاثاتُ في العُقَدِ يقالُ: إنهن بناتُه). [تفسير القرآن: ٣٠٧/٦]

قالَ إِلْكِيا الهَرَّاسِيُّ عِمَادُ الدِّينِ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّبَرِيُّ (ت:٥٠٤ هـ): (وَ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ السَّواحِرُ يَنْفُثْنَ علَى العَلِيلِ، ويَرْقُونَهُ بكلامٍ هوَ كُفْرٌ وتَعْظِيمٌ للكَوْكَبِ، ويُطْعِمْنَ العَلِيلَ الأَدْوِيَةَ الحَارَّةَ الضَّارَّةَ والسُّمومَ القَاتِلَةَ، ويَحْتَلْنَ في التَّوَصُّلِ إلى ذلكَ، ويَزْعُمْنَ أَنَّ ذلكَ مِنْ رُقَاهُنَّ، ومَنْ أَرَدْنَ نَفْعَهُ نَفَثْنَ عليهِ، وأَوْهَمْنَ أَنَّهُنَّ نَفَعْنَهُ بذَلِكَ، ورُبَّمَا أَضَفْنَ إلى ذَلِكَ بَعْضَ الأَدْوِيَةِ النَّافِعَةِ). [أحكام القرآن: ٤٣٣/٤]

قالَ الحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾، يَعنِي السَّوَاحِرَ اللاتي يَنْفُثْنَ في عُقَدِ الخَيْطِ حين يَرْقِينَ عليها، قالَ أبو عُبيدةَ: هنَّ بناتُ لَبيدِ بنِ الأعصَمِ، سَحَرْنَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [معالم التنزيل: ٧٢٦]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ حَمْزَةَ بنِ نَصرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (قَوْلُهُ: ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾: هُنَّ بناتُ لَبيدِ بنِ الأَعْصَمِ). [غرائب التفسير: ١٤١٣/٢]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ حَمْزَةَ بنِ نَصرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (الغَرِيبُ: النَّفَّاثَاتُ: هُنَّ السواحِرُ، تَنْفُثُ في العُقَدِ، كأنها تَنْفُخُ فيها بشَيْءٍ تَقرَؤُهُ). [غرائب التفسير: ١٤١٢/٢]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ حَمْزَةَ بنِ نَصرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (العَجِيبُ: أرادَ بالنفاثاتِ في العُقَدِ النساءَ اللَّوَاتِي يَسْلُبْنَ قُلوبَ الرجالِ بحُبِّهِنَّ. قالَ أبو تَمَّامٍ:

السَّالِبَاتُ الفتَى عَزِيمَتَهُ ... بالسِّحْرِ والنافِثَاتُ في عُقَدِ). [غرائب التفسير: ١٤١٢/٢]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (النَّفَّاثَاتُ: النساءُ أو النفُوسُ أو الجماعاتُ السواحِرُ اللاَّتِي يَعْقِدْنَ عُقَدًا في خُيُوطٍ ويَنْفُثْنَ عليها، ويَرْقِينَ.

والنَّفْثُ: النَّفْخُ معَ رِيقٍ، ولا تأثيرَ لذلك، اللَّهُمَّ إلاَّ إذَا كانَ ثَمَّ إطعامُ شيءٍ ضارٍّ، أو سَقْيُهُ أو إشمامُه، أو مُبَاشَرَةُ المَسْحورِ به على بعضِ الوجوهِ، ولكنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ قد يَفْعَلُ عندَ ذلك فِعلاً على سبيلِ الامتحانِ الذي يَتَمَيَّزُ به الثَّبْتُ على الحَقِّ مِن الحَشْوِيَّةِ والجَهَلَةِ مِن العوامِّ، فيَنْسِبُهُ الحَشْوِيَّةُ والرَّعَاعُ إليهنَّ، وإلى نَفْثِهِنَّ، والثابتونَ بالقولِ الثابتِ لا يَلْتَفِتُونَ إلى ذلك، ولا يَعْبَؤُونَ به.

فإنْ قُلْتَ: فما مَعْنَى الاستعاذةِ مِن شَرِّهِنَّ؟

قلتُ: فيها ثلاثةُ أوجهٍ:

أحدُها: أنْ يُسْتَعَاذَ مِن عَمَلِهِنَّ الذي هو صَنْعَةُ السِّحْرِ، ومِن إثْمِهِنَّ في ذلك.

والثاني: أنْ يُسْتَعَاذَ مِن فِتْنَتِهِنَّ الناسَ بسِحْرِهِنَّ، وما يَخْدَعْنَهُم به مِن باطلِهِنَّ.
والثالثُ: أنْ يُسْتَعَاذَ مِمَّا يُصِيبُ اللَّهُ به مِن الشرِّ عندَ نَفْثِهِنَّ.
ويَجوزُ أنْ يُرادَ بهنَّ النساءُ الكَيَّادَاتُ، مِن قولِه: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف: ٢٨]؛ تشبيهًا لكَيْدِهِنَّ بالسحرِ والنفْثِ في العُقَدِ.
أو اللاتي يَفْتِنَّ الرجالَ بتَعَرُّضِهِنَّ لهم ومحاسِنِهِنَّ كأنَّهُنَّ يَسْحَرْنَهُم بذلكَ). [الكشاف: ٦/٤٦٥- ٤٦٦]

- **قال صَالِحُ بْنُ غُرْمِ اللهِ الغَامِدِيُّ (م)**: (قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾
قال الزَّمَخْشَرِيُّ: ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ النِّساءُ: أو النُّفوسُ، أو الجَماعاتُ السَّواحِرُ اللاتِّي يَعْقِدْنَ عُقَدًا في خُيُوطٍ ويَنْفُثْنَ عليها ويَرْقِينَ، والنَّفْثُ: النَّفْخُ مع رِيقٍ، ولا تَأْثِيرَ لذلك، اللَّهُمَّ إلاَّ إذا كان ثَمَّ إطْعامُ شَيْءٍ ضَارٍّ، أو سَقْيُهُ، أو إشْمامُهُ، أو مُباشَرَةُ المَسْحُورِ به على بَعْضِ الوُجوهِ، ولكِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ قد يَفْعَلُ عند ذلك فِعْلاً على سَبيلِ الامْتِحانِ الَّذِي يَتَمَيَّزُ به الثَّبْتُ على الحَقِّ مِنَ الحَشْوِيَّةِ والجَهَلَةِ مِنَ العَوامِّ، فيَنْسِبُهُ الحَشْوُ والرَّعاعُ إلَيْهِنَّ وإلى نَفْثِهِنَّ، والثَّابتونَ بالقَوْلِ الثَّابتِ لا يَلْتَفِتونَ إلى ذلك ولا يَعْبَؤُونَ به).
قال ابْنُ المُنَيِّرِ: (وقد تَقَدَّمَ أنَّ قاعِدَةَ القَدَرِيَّةِ إنْكارُ حَقِيقَةِ السِّحْرِ، على أنَّ الكِتابَ والسُّنَّةَ قد وَرَدا بوُقوعِهِ، والأَمْرِ بالتَّعَوُّذِ منه، وقد سُحِرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ في مُشْطٍ ومُشاطَةٍ، في جُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، والحَدِيثُ مَشْهورٌ، وإنَّما الزَّمَخْشَرِيُّ اسْتَفَزَّهُ الهَوَى حتى أَنْكَرَ ما عَرَفَ، وما به إلاَّ أنْ يَتَّبِعَ اعْتِزالَهُ، ويُغَطِّيَ بكَفِّهِ وَجْهَ الغَزالَةِ).
التَّعْلِيقُ: والأَمْرُ كما ذَكَرَ ابْنُ المُنَيِّرِ، وقد سَبَقَ بَيانُ بُطْلانِ مَذْهَبِ الزَّمَخْشَرِيِّ هذا في غَيْرِ هذا المَوْضِعِ). [المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف: ٢/١١٢٣- ١١٢٥]

- **قلت**: (انظُرْ مسألةَ معنى الاستعاذةِ من شرِّ النفاثاتِ في العقدِ)

قالَ عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (والنَّفَّاثَاتُ في العُقَدِ: السواحرُ، ويُقالُ: إن الإشارةَ أولاً إلى بناتِ لَبيدِ بنِ الأعصمِ اليهوديِّ؛ كُنَّ ساحِرَاتٍ، وهُنَّ اللواتي سَحَرْنَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعَقَدْنَ له إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى إحدَى عَشْرَةَ آيةً بعَدَدِ العُقَدِ؛ هي المُعَوِّذَتَانِ، فشُفِيَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [المحرر الوجيز: ١٥/٦٠٩- ٦١٠]

قالَ عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِبِ بن عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (و(النَّفْثُ): شِبْهُ النَّفْخِ، دونَ تَفْلِ رِيقٍ، وهذا النفثُ هو على عُقَدٍ تُعْقَدُ في خُيُوطٍ ونَحْوِها على اسمِ المسحورِ فيُؤْذَى بذلكَ، وهذا الشأنُ في زمانِنا موجودٌ شائعٌ في صحراءِ المغربِ، وحَدَّثَنِي ثِقَةٌ أنه رأَى عندَ بعضِهم خيطًا أحمرَ قد عُقِدَتْ فيه عُقَدٌ على فُصْلانٍ، فمُنِعَتْ بذلك رَضَاعَ أُمَّهَاتِها، فكانَ إذا حَلَّ عُقْدَةً جَرَى ذلك الفَصِيلُ إلى أُمِّهِ في الحِينِ فرَضَعَ. أعاذَنا اللَّهُ تعالى مِن شرِّ السحرِ، بقُدْرَتِه). [المحرر الوجيز: ١٥/٦١٠]

قالَ مَحْمُودُ بنُ أَبِي الحَسَنِ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٥٥٥هـ): (﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾: السَّواحِرِ). [إيجاز البيان: ٢/٣٤١]

قَالَ نَصرُ بْنُ عَلِيٍّ ابنُ أَبي مَرْيَمَ (ت: ٥٦٥هـ): (﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ جَمْعُ نَفَّاثَةٍ، وَهِيَ الكَثِيرَةُ النَّفْثِ، وَالنَّفْثُ نَفْخٌ مِنْ غَيْرِ رِيقٍ، بِخِلافِ التَّفْلِ، وَالْمُرَادُ بِهِنَّ السَّوَاحِرُ بَنَاتُ لَبِيدِ بْنِ أَعْصَمَ). [الموضح:١٤١٦]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَبْدِ اللهِ السُّهَيْلِيُّ (ت:٥٨١هـ): ([وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ يَعْنِي السَّوَاحِرَ، يَعْقِدْنَ فِي الحَرِيرِ وَغَيْرِهِ فِي سِحْرِهِنَّ وَيَنْفُثْنَ فِيهِ، وَيُرْوَى أَنَّ فِيهَا سَحَرْنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى المُعَوِّذَتَيْنِ إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً، وَالنَّفْثُ بالفَمِ قَرِيبٌ مِنَ النَّفْخِ، وَلا يَكُونُ إِلا مَعَ رِيقٍ، وَالتَّفْلُ قَرِيبٌ مِنْهُ. قَالَ: إِنَّهُنَّ كُنَّ مِنَ اليَهُودِ، يَعْنِي السَّوَاحِرَ المَذْكُورَاتِ، وَقِيلَ هُنَّ بَنَاتُ لَبِيدِ بْنِ الأَعْصَمِ]). [التعريف والإعلام: ١٩٠]

قَالَ أبو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (فأمَّا ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾، فقالَ ابنُ قُتيبةَ: هُنَّ السواحِرُ يَنْفُثْنَ؛ أيْ: يَتْفُلْنَ إذا سَحَرْنَ ورَقَيْنَ. قالَ الزَّجَّاجُ: يَتْفُلْنَ بلا رِيقٍ، كأنَّهُ نَفْخٌ. وقالَ ابنُ الأنباريِّ: قالَ اللُّغويُّونَ: تفسيرُ نَفَثَ: نَفَخَ نَفْخًا ليسَ معهُ رِيقٌ، ومعنى تَفَلَ: نَفَخَ نَفْخًا معهُ رِيقٌ. قالَ ذو الرُّمَّةِ:

ومِنْ جَوفِ ماءٍ عَرْمَضُ الحَوْلِ فَوْقَهُ ... متى يَحْسُ منهُ مَائِحُ القومِ يَتْفُلِ

). [زاد المسير: ٢٧٥/٩]

قَالَ أبو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (وقالَ بعضُ المفسِّرينَ: المرادُ بالنَّفَّاثاتِ هاهنا بناتُ لَبيدِ بنِ أعْصَمَ اليهوديِّ، سَحَرْنَ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ). [زاد المسير: ٢٧٥/٩]

قالَ أَبُو الفرجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الْجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (و﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾: السواحِرُ يَنْفُثْنَ، أي: يَتْفُلْنَ إذَا سَحَرْنَ ورَقَيْنَ). [تذكرة الأريب: ٣٢٣]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (قولُه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾

فيه مَسَائِلُ:

المسألةُ الأُولَى: فِي الآيةِ قَوْلانِ:

الأَوَّلُ: أَنَّ النَّفْثَ النَّفْخُ مَعَ رِيقٍ، هكذا قالَه صاحبُ الكشافِ، ومنهم مَن قالَ: إنَّه النَّفْخُ فقَطْ، ومنه قولُه عَلَيْهِ السَّلامُ: «إِنَّ جِبْرِيلَ نَفَثَ فِي رَوْعِي».

والعُقَدُ جَمْعُ عُقْدَةٍ، والسَّبَبُ فيه أنَّ السَّاحِرَ إِذَا أَخَذَ فِي قِرَاءَةِ الرُّقْيَةِ أَخَذَ خَيْطًا، ولا يَزَالُ يَعْقِدُ عليه عُقَدًا بعدَ عُقَدٍ، ويَنْفُثُ فِي تلك العُقَدِ، وإنَّما أَنَّثَ النَّفَّاثَاتِ لوجوهٍ:

أَحدُها: أنَّ هذه الصِّنَاعَةَ إنَّما تُعْرَفُ بالنِّسَاءِ؛ لأَنَّهُنَّ يَعْقِدْنَ ويَنْفُثْنَ؛ وذلك لأنَّ الأَصْلَ الأَعْظَمَ فيه رَبْطُ القَلْبِ بذلك الأَمْرِ وإِحْكَامُ الهِمَّةِ والوَهْمِ فيه، وذلك إنَّما يَتَأَتَّى مِن النِّسَاءِ لِقِلَّةِ عِلْمِهِنَّ وشِدَّةِ شَهْوَتِهِنَّ، فَلا جَرَمَ كان هذا العَمَلُ مِنْهُنَّ أَقْوَى، قالَ أبو عُبَيْدَةَ: النَّفَّاثَاتُ: هُنَّ بَنَاتُ لَبِيدِ بنِ أَعْصَمَ اليَهُودِيِّ، سَحَرْنَ النَّبِيَّ صلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ.

وثانيها: أنَّ المُرَادَ مِن ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ النُّفُوسُ.

وثالِثُها: المُرَادُ منها الجَماعَاتُ؛ وذلك لأنَّه كلما كَانَ اجتماعُ السَّحَرَةِ علَى العَمَلِ الوَاحِدِ أَكْثَرَ كانَ التَّأْثِيرُ أَشَدَّ.

القولُ الثاني: وهو اخْتِيارُ أَبِي مُسْلِمٍ (مِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ) أي: النِّساءِ، (فِي العُقَدِ)، أي: في عَزَائِمِ الرِّجَالِ وآرائِهِم، وهو مُسْتَعارٌ مِن عُقَدِ الحِبالِ، والنَّفْثُ وهو تَلْيِينُ العُقْدَةِ مِن الحَبْلِ بريقٍ يَقْذِفُه عليه لِيَصِيرَ حَلُّه سَهْلاً، فمَعْنَى الآيةِ أنَّ النِّسَاءَ لأجلِ كَثْرَةِ حُبِّهِنَّ في قُلُوبِ الرِّجَالِ يَتصرَّفْنَ في الرِّجَالِ يُحوِّلْنَهُم مِن رَأْيٍ إلى رَأْيٍ، ومِن عَزِيمَةٍ إلى عَزِيمَةٍ، فأمَرَ اللَّهُ رَسُولَه بالتَّعوُّذِ مِن شَرِّهِنَّ كقَوْلِه: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] فلذلك عَظَّمَ اللَّهُ كَيْدَهُنَّ فقالَ: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف: ٢٨].

واعْلَمْ أنَّ هذا القَوْلَ حَسَنٌ، لولا أنَّه علَى خِلافِ قولِ أَكْثَرِ المُفَسِّرِين). [التفسير الكبير: ٣٢/١٧٩]

قَالَ حُسَيْنُ بنُ أَبِي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (وقولُه: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ النساءُ السَّوَاحِرُ اللاتي يَعْقِدْنَ خُيوطَه ويَنْفُثْنَ عليها، والنَّفْثُ: النفخُ بلا رِيقٍ، بِخِلافِ التَّفْلِ، وقيلَ: معَ رِيقٍ، والعُقَدُ جَمْعُ عُقْدَةٍ، وهي التي يَعْقِدُها السَّوَاحِرُ على الخيطِ أو الشَّعَرِ إذا سَحَرْنَ، رُوِيَ أَنَّهُنَّ نِساءٌ سَحَرْنَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ في إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى المُعَوِّذَتَيْنِ إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً). [الفريد: ٤/٧٥٢]

قالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (﴿النَّفَّاثَاتِ﴾: السواحِرُ يَنْفُثْنَ في عُقَدِ الخيوطِ للسحرِ، ورُبَّمَا فُعِلَ في الرُّقَى مِثْلُ ذَلِكَ طلبًا للشفاءِ). [تفسير القرآن: ٣/٥١٠]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (السادِسَةُ: قولُه تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾. يعني: الساحِرَاتِ اللائِي يَنْفُثْنَ في عُقَدِ الخَيْطِ حينَ يَرْقِينَ عَلَيْهَا. شَبَّهَ النفْخَ كما يَعْمَلُ مَن يَرْقِي.

قالَ الشاعِرُ:

أَعُــوذُ بربِّــي مِــنَ النَّافِثَــا ... تِ فِـي عِـضَهِ العَاضِـهِ المُعْـضِهِ

وقالَ مُتَمِّمُ بنُ نُوَيْرَةَ:

نَفَثْتُ فِي الخَيْطِ شَبِيهَ الرُّقَى ... مِـنْ خَـشْيَةِ الجِنَّـةِ والحاسِـدِ

وقالَ عَنْتَرَةُ:

فَـإِنْ يَبْـرَأْ فَلَـمْ أَنْفِـثْ عليـه ... وإِنْ يُفْقَـدْ فَحُـقَّ لَـه الفُـقُودُ

). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٧]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (ورُوِيَ أنَّ نِساءً سَحَرْنَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فأَنْزَلَ اللهُ المُعَوِّذَتَيْنِ إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً، قالَ ابنُ زَيْدٍ: كُنَّ مِنَ اليهودِ. يعني السَّوَاحِرَ المذكوراتِ. وقِيلَ: هُنَّ بَنَاتُ لَبِيدِ بنِ الأَعْصَمِ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٩]

قَالَ ابنُ المُنَيِّرِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ الإِسْكَنْدَرانِيُّ (ت: ٦٨٣هـ): (

والنَّفْــثُ كـالنَّفْخِ بغَـيرِ رِيـقِ ... يَفْعَلُــهُ الــساحِرُ للتفريــقِ

). [التيسير العجيب: ٢٣٥]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤﴾ ومِن شرِّ النفوسِ أو النساءِ السَّواحِرِ اللاتي يَعْقِدْنَ عُقَدًا في خيوطٍ ويَنْفُثْنَ عليها، والنَّفْثُ: النَّفْخُ مع رِيقٍ). [أنوار التنزيل: ٢/١١٨٠]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (وقِيلَ: المرادُ بالنَّفْثِ في العُقَدِ إبطالُ عَزائِمِ الرجالِ بالحِيَلِ، مُستعارٌ من تَلْيينِ العُقَدِ بنَفْثِ الرِّيقِ لِيَسْهُلَ حَلُّها، وإفرادُها بالتعريفِ؛ لأنَّ كلَّ نَفَّاثَةٍ شِرِّيرةٌ بخِلافِ كلِّ غاسقٍ وحاسِدٍ). [أنوار التنزيل: ٢/١١٨٠]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (ويَجوزُ أن يُرادَ بالغاسِقِ ما يَخْلُو عن النورِ وما يُضاهِيهِ كالقُوَى، وبالنفَّاثاتِ النَّبَاتَاتُ؛ فإنَّ قُواها النباتيَّةَ من حيث إنها تَزيدُ في طُولِها وعَرْضِها وعُمْقِها، كأنها تَنْفُثُ في العُقَدِ الثلاثةِ). [أنوار التنزيل: ٢/١١٨٠]

قالَ الدِّيرِينِيُّ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ سَعِيدٍ الدَّمِيرِيُّ (ت:٦٩٧هـ): (
نَفَـثَ أَيْ تَفَـلَ يَعْنِـي الـسِّحْرَا ... فِـي العُقَـدِ الَّتِـي تُلَـوَّى كُفْـرَا
). [التيسير في التفسير: ٣٥١]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤﴾: النَّفَّاثاتُ: النِّساءُ، أو النُّفوسُ، أو الجماعاتُ السَّواحِرُ اللاتِي يَعْقِدْنَ عُقَدًا في خُيوطٍ ويَنْفُثْنَ علَيها ويَرْقِينَ، والنَّفْثُ: النَّفْخُ مع رِيقٍ). [مدارك التنزيل:٣/٢٠١٣]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحمَّدٍ الخازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤﴾: يعني السواحرَ اللاَّتِي يَنْفُثْنَ في عُقَدِ الخَيْطِ حينَ يَرْقِينَ عليها.

وقيلَ: المرادُ بالنَّفَّاثاتِ بناتُ لَبيدِ بنِ الأَعْصَمِ اللاتِي سَحَرْنَ النبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، والنفثُ: النَّفْخُ معَ رِيقٍ قليلٍ.

وقيلَ: إنَّهُ النفخُ فقطْ). [لباب التأويل: ٤/٥٠١- ٥٠٢]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (وأمَّا النَّفْثُ: فهو النَّفْخُ بريقٍ، وقيلَ: النَّفخُ فَقَطْ.

والعُقَدُ: جَمْعُ عُقْدَةٍ، والسببُ فيه أنَّ الساحِرَ إذا أخَذَ في قِراءَةِ الرُّقْيَةِ أخَذَ خَيْطًا، ولا يزالُ يَعْقِدُ عليهِ عُقَدًا بعدَ عُقَدٍ ويَنْفُثُ في تلك العُقَدِ.

ووَجْهُ التأنيثِ إمَّا الجَمَاعَةُ؛ لأنَّ اجتماعَ السَّحَرَةِ على عَمَلٍ واحِدٍ أَبْلَغُ تَأْثِيرًا، وإمَّا لأنَّ هذهِ الصناعةَ إنَّما تُعْرَفُ بالنِّساءِ؛ لأَنَّهم يَعْقِدْنَ ويَنْفُثْنَ؛ وذلك أنَّ الأَصْلَ الكُلِّيَّ في ذلك الفَنِّ هو رَبْطُ القَلْبِ وتَعْلِيقُ الوَهْمِ بذلك الأَمْرِ، وأنه في النِّساءِ أَوْفَرُ؛ لقِلَّةِ عِلْمِهِنَّ وشِدَّةِ شَهْوَتِهِنَّ.

وقالَ أبو عُبَيْدَةَ: إنَّهُنَّ بَناتُ لَبيدِ بنِ الأَعْصَمِ اليَهُودِيِّ اللاَّتِي سَحَرْنَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ.

وقالَ أبو مُسلمٍ: العُقَدُ: عَزائِمُ الرِّجالِ، والنَّفْثُ: حَلُّها؛ لأنَّ مَن يُريدُ حَلَّ عُقْدَةِ الحَبْلِ يَنفُثُ عليهِ برِيقٍ يَقْذِفُه عليهِ؛ لِيَصِيرَ حَلُّه سهلاً.

والمعنى: أنَّ النساءَ لكَثْرَةِ حِيَلِهِنَّ يَتصرَّفْنَ في عَزائِمِ الرجالِ، يُحَوِّلْنَهم مِن رَأْيٍ إلى رَأْيٍ، ومِن عَزِيمَةٍ إلى عَزِيمَةٍ، فأمَرَ اللَّهُ رسولَه بالتَّعَوُّذِ مِن شَرِّهِنَّ.

وهذا القولُ مناسِبٌ لِمَا جاءَ في مَواضِعَ أُخَرَ مِن القرآنِ: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف: ٢٨].

والاستعاذةُ مِنْهُنَّ الاستعاذةُ مِن إثمِ عَمَلِهِنَّ، أو مِن فِتْنَتِهِنَّ الناسَ بسِحْرِهِنَّ، أو مِن إطْعامِهِنَّ الأطعمةَ الرَّدِيَّةَ المُورِثَةَ للجُنونِ أو المَوْتِ). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٨]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنُ جَمَاعَةَ الكِنَانِيُّ (ت: ٧٣٣هـ): (﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾: هُنَّ النُّفُوسُ، أَوِ السَّوَاحِرُ، أَوِ النِّسَاءُ.

والعُقَدُ: هِيَ الَّتِي عَقَدَهَا بَنَاتُ لَبِيدِ بْنِ أَعْصَمَ اليَهُودِيِّ حِينَ سَحَرْنَ بهَا النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً فِي وَتَرٍ، وَمُشَاطَةٍ وَمُشْطٍ وَصُورَةٍ مِنْ عَجِينٍ فِيهَا إِبَرٌ مَغْرُوزَةٌ، وَجُعِلَتْ فِي بِئْرٍ يُقَالُ لَهَا: بِئْرُ ذَرْوَانَ، فَبَعَثَ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ وَعَمَّارًا فَاسْتَخْرَجُوهُ، وَشَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى). [غرر التبيان: ٥٥٢- ٥٥٣]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيٍّ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ النَّفْثُ: شِبْهُ النَّفْخِ دونَ تَفْلٍ وريقٍ؛ قاله ابنُ عَطِيَّةَ، وقالَ الزَّمخشريُّ: هو النفْخُ مع رِيقٍ. وهذا النفْثُ ضَرْبٌ من السحْرِ، وهو أن يَنْفُثَ على عُقَدٍ تُعقَدُ في خَيْطٍ أو نحوِه على اسمِ مَسحورٍ، فيَضُرُّه ذلك، وحكَى ابنُ عَطِيَّةَ أنه حدَّثَه ثِقَةٌ أنه رأَى عندَ بعضِ الناسِ بصَحْراءِ المغربِ خَيْطًا أَحْمَرَ قد عُقِدتْ فيه عُقَدٌ على فُصلانٍ، وهي أولادُ الإبلِ، فمَنَعَها بذلك رَضاعَ أمَّهاتِها، فكان إذا حَلَّ عُقدةً جرَى ذلك الفَصيلُ إلى أُمِّهِ فرَضَعَ في الحِينِ). [التسهيل: ٢٢٥]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيٍّ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (و﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ بناءُ مُبالَغةٍ، والموصوفُ محذوفٌ، تقديرُه النساءُ النَّفَّاثاتُ، والجماعةُ النَّفَّاثاتُ أو النفوسُ النفاثاتُ، والأوَّلُ أصَحُّ؛ لأنه رُوِيَ أنه إشارةٌ إلى بَناتِ لَبيدِ بنِ الأَعْصَمِ اليهوديِّ، وكُنَّ ساحراتٍ سَحَرْنَ هن وأبوهن رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تعالى عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، وعَقَدْنَ له إحدى عَشَرَ عُقدةً، فأَنْزَلَ اللهُ المعوِّذتين إحدى عَشَرَ آيةً بعَدَدِ العُقَدِ، وشَفَى اللهُ رسولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ). [التسهيل: ٢٢٥]

قالَ عَبْدُ البَاقِي بْنُ عَبدِ المَجِيدِ القُرَشِيُّ اليَمَانِيُّ (ت: ٧٤٣هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾: يَجُوزُ أَنْ يُرادَ النِّساءُ أو النُّفُوسُ أو الجَماعاتُ السَّواحِرُ، اللائي يَعْقِدْنَ عُقَدًا في خَيْطٍ ويَنْفُثْنَ عَلَيْها ويَرْقِينَ). [الترجمان: ٢٣٤]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (والنَّفَّاثَاتُ: النِّسَاءُ السَّوَاحِرُ يَعْقِدْنَ عُقَدًا فِي خُيُوطٍ وَيَنْفُثْنَ عَلَيْهَا وَيَرْقِينَ. وَالاسْتِعَاذَةُ مِنْ شَرِّهِنَّ هُوَ مَا يُصِيبُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الشَّرِّ عِنْدَ فِعْلِهِنَّ ذَلِكَ). [النهر الماد: ١٣١٩]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَقالَ ابنُ عَطِيَّةَ: وَهذا النفثُ هوَ على عُقَدٍ تُعْقَدُ في خيوطٍ وَنَحْوِهَا على اسمِ المسحورِ فيُؤْذَى بذلكَ، وَهذا الشأنُ في زَمَانِنا موجودٌ شائعٌ في صَحْراءِ المغربِ،

وَحَدَّثَنِي ثِقَةٌ أَنَّهُ رَأَى عندَ بعضِهِم خَيْطًا أَحْمَرَ، قدْ عُقِدَتْ فيهِ عُقَدٌ على فُصْلانٍ، فَمُنِعَتْ مِنْ رضاعِ أُمَّهَاتِهَا بذلكَ، فكانَ إذا حَلَّ عُقْدَةً جَرَى ذلكَ الفَصِيلُ إلى أُمِّهِ في الحِينِ فَرَضَعَ. انْتَهَى). [البحر المحيط: ٧٦٣/٨]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُثْمَانَ التُّرْكُمَانِيُّ (ت: ٧٥٠هـ): (﴿النَّفَّاثَاتِ﴾ السَّوَاحِرِ يَنْفُثْنَ، أَيْ: يَتْفُلْنَ إِذَا سَحَرْنَ ورَقَيْنَ). [بهجة الأريب: ٢٥٧]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصلٌ: الشرُّ الثالثُ: شَرُّ النفَّاثاتِ في العُقَدِ، وهذا الشَّرُّ هو شَرُّ السحرِ، فإنَّ النَّفَّاثاتِ في العُقَدِ هن السواحِرُ اللاتي يَعْقِدْنَ الخيوطَ، ويَنْفُثْنَ على كلِّ عُقْدةٍ حتى يَنْعقِدَ ما يُرِدْنَ من السحرِ، والنَّفْثُ هو النَّفْخُ مع رِيقٍ، وهو دونَ التَّفْلِ، وهو مَرْتَبَةٌ بينَهما، والنَّفْثُ فِعْلُ الساحِرِ، فإذا تَكَيَّفَتْ نفسُه بالخُبْثِ والشرِّ الذي يُريدُه بالمَسحورِ، ويَستعينُ عليه بالأرواحِ الخَبيثةِ نَفَخَ في تلك العُقْدةِ نَفْخًا معه رِيقٌ، فيَخْرُجُ من نَفْسِه الخبيثةِ نفَسٌ مُمَازِجٌ للشرِّ والأذى، مُقْتَرِنٌ بالرِّيقِ المُمازِجِ لذلكَ، وقد تساعَدَ هو والرُّوحُ الشيطانيَّةُ على أذى المَسحورِ، فيَقَعُ فيه السحرُ بإذنِ اللهِ الكونيِّ القدريِّ لا الأمْرِ الشرعيِّ). [بدائع الفوائد: ٢٢١/٢]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (وقولُه: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾.
قالَ مُجاهِدٌ وعِكْرِمَةُ والحَسَنُ وقَتَادَةُ والضَّحَّاكُ: يَعْنِي السَّوَاحِرَ. قالَ مُجاهِدٌ: إذا رَقَيْنَ ونَفَثْنَ في العُقَدِ.
وقالَ ابنُ جَرِيرٍ: حدَّثنا ابنُ عَبْدِ الأعْلَى، حدَّثَنا ابنُ ثَوْرٍ، عن مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ طاوُسٍ، عن أبيهِ قالَ: ما مِن شَيْءٍ أَقْرَبَ مِنَ الشِّرْكِ مِن رُقْيَةِ الحَيَّةِ والمَجَانِينِ). [تفسير القرآن العظيم: ٣٩٠٨/٨]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ البَلَنْسِيُّ (ت: ٧٨٢هـ): (والإشارَةُ بـ (النَّفَّاثاتِ في العُقَدِ) إلى بَنَاتِ لَبيدِ بْنِ الأَعْصَمِ اليَهُودِيِّ، وهُنَّ اللَّوَاتِي سَحَرْنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وَعَقَدْنَ لَهُ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً، وهِيَ المُعَوِّذَتَانِ، فَشُفِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ). [صلة الجمع: ٧٦٠]

قَالَ ابنُ المُلَقِّنِ عُمَرُ بنُ عَلِيٍّ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٨٠٤هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾.
أي: الساحراتِ النَّافِخاتِ في العُقدِ، وكانَ السَّحَرَةُ يَعْقِدُونَ خُيوطًا وهم يَنْفُخُونَ فيها. يُقالُ: نَفَثَ، أي: نَفَخَ بشَفَتَيْهِ مِن غيرِ رِيقٍ. وتَفَلَ أي: بَصَقَ). [تفسير غريب القرآن: ٦٠٣]

قَالَ ابنُ الهائِمِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِمَادٍ القَرَافِيُّ (ت: ٨١٥هـ): (﴿النَّفَّاثَاتِ﴾: السَّوَاحِرُ يَنْفُثْنَ إذَا سَحَرْنَ ورَقَيْنَ). [التبيان: ٣٥٥]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزآبادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ الثِّقَةُ ابْنُ المَأْمُونِ الهَرَوِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا أَبِي، قالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ، قال: أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللهِ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَمَّارُ بْنُ عَبْدِ المَجِيدِ الهَرَوِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ السَّمَرْقَنْدِيُّ، عن مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنِ الكَلْبِيِّ، عن أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ المُهَيِّجَاتِ الآخِذَاتِ السَّاحِرَاتِ النَّافِخَاتِ ﴿فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾). [تنوير المقباس: ٦٠٤]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ ابْنُ الجزَرِيِّ (ت: ٨٣٣هـ): (والكلُّ مأخوذٌ مِن النَّفْثِ، وهو شِبْهُ النَّفْخ يكونُ في الرُّقْيَةِ ولا رِيقَ معَه، فإنْ كانَ معَه رِيقٌ فهو التَّفْلُ، يُقَالُ مِنه: نَفَثَ الرَّاقِي يَنْفِثُ وبالكسرِ والضمِّ، فالنَّفَّاثَاتُ في العُقَدِ - بالتشديدِ - السواحِرُ على مرادِ تَكْرارِ الفعلِ والاحْتِرَافِ به، والنافِثَاتُ تكونُ للدَّفْعَةِ الواحدةِ مِن الفعلِ ولِتَكْرَارِهِ أيضًا، والنَّفِثَاتُ يَجُوزُ أنْ يكونَ مقصورًا مِن النَّافِثَاتِ، ويَحْتَمِلُ أنْ يكونَ في الأصلِ على فَعِلاتٍ مثلَ حَذِرَاتٍ لكونِه لازمًا، فالقراءاتُ الأربعُ تَرْجِعُ إلى شيءٍ واحدٍ، ولا تُخَالِفُ الرَّسْمَ. واللَّهُ سبحانَه وتعالى أَعْلَمُ). [النشر: ٣٧٤]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ المَحَلِّيُّ (ت: ٨٦٤هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ السَّوَاحِرِ تَنْفُثُ فِي العُقَدِ التي تَعْقِدُهَا فِي الخَيْطِ، تَنْفُخُ فيها بشَيْءٍ تَقُولُهُ منْ غيرِ رِيقٍ، وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: مَعَهُ، كبناتِ لَبِيدٍ المذكورِ). [تفسير الجلالين: ٦٠٤]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبِيُّ (ت: ٨٧٥ هـ): (وَ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ السَّوَاحِرُ، وَيُقَالُ: إنَّ الإشارةَ أَوَّلاً إِلَى بناتِ لَبِيدِ بْنِ الأعصمِ اليَهُودِيِّ، كُنَّ سَاحِرَاتٍ، وَهُنَّ اللَّوَاتِي سَحَرْنَ مَعَ أَبِيهِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والنَّفْثُ شِبْهُ النَّفْخِ دُونَ تَفْلِ رِيقٍ، وَهَذَا النَّفْثُ هُوَ عَلَى عُقَدٍ تُعْقَدُ فِي خيوطٍ وَنَحْوِهَا عَلَى اسْمِ المَسْحُورِ فَيُؤْذَى بذَلِكَ.

قَالَ (ع): وَهَذَا الشأنُ فِي زَمَانِنَا مَوْجُودٌ شَائِعٌ فِي صحراءِ المَغْرِب، وَحَدَّثَنِي ثِقَةٌ أَنَّهُ رَأَى عِنْدَ بَعْضِهِمْ خَيْطًا أَحْمَرَ قَدْ عُقِدَتْ فِيهِ عُقَدٌ عَلَى فُصلانٍ، فَمُنِعَتْ بذَلِكَ رَضَاعَ أُمَّهَاتِهَا، فكَانَ إِذَا حَلَّ عُقْدَةً جَرَى ذَلِكَ الفَصِيلُ إِلَى أُمِّهِ فِي الحِينِ فَرَضَعَ، أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْ شَرِّ السِّحْرِ والسَّحَرَةِ). [الجواهر الحسان: ٦٤١/٥]

قَالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (فَصْلٌ في مَعْنَى النَّفَّاثَاتِ:

قَالَ المُفَسِّرُونَ: يَعْنِي السَّاحِرَاتِ اللائِي يَنْفُثْنَ في عُقَدِ الخَيْطِ حِينَ يَرْقِينَ عَلَيْهَا.

قَالَ أَبو عُبَيْدَةَ: النَّفَّاثَاتُ هِيَ بَنَاتُ لَبِيدِ بْنِ أَعْصَمَ اليَهُودِيِّ، سَحَرْنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

أَعُـــوذُ بربِّـــي مِـــنَ النَّافِثَـــا ... تِ فِـي عِـضَهِ العَاضِـهِ المُعْـضِهِ

وقَالَ مُتَمِّمُ بْنُ نُوَيْرَةَ:

نَفَثْـتُ فِـي الخَـيْطِ شَـبيهَ الرُّقَـى ... مِـنْ خَـشْيَةِ الجِنَّـةِ وَالحَاسِـدِ). [اللباب: ٥٧٣/٢٠]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَلَمَّا كَانَ السِّحْرُ أَعْظَمَ مَا يَكُونُ مِنْ ظلامِ الشرِّ المُسْتَحْكِمِ في العُرُوقِ الدَّاخِلِ فِي وُقُوبِهَا؛ لِمَا فيهِ مِنْ تَفْرِيقِ المَرْءِ مِنْ زَوْجِهِ وَأَبِيهِ وَابْنِهِ وَنحوِ ذلكَ، وَما فيهِ مِنْ ضَنَى الأجسامِ وَقَتْلِ النفوسِ عَقَّبَ ذلكَ بقولِهِ تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ﴾.

وَلَمَّا كَانَ كلُّ سَاحِرٍ شِرِّيرًا بخِلافِ الغاسقِ وَالحاسدِ، وَكانَ السِّحْرُ أَضَرَّ مِنَ الغَسَقِ وَالحَسَدِ مِنْ جهَةِ أَنَّهُ شَرٌّ كُلُّهُ، وَمِن جِهَةِ أَنَّهُ أَخْفَى مِنْ غَيْرِهِ، وَكانَ ما هوَ منهُ مِنَ النساءِ أَعْظَمَ؛ لأنَّ مَبْنَى صِحَّتِهِ وَقُوَّةَ تَأْثِيرِهِ قِلَّةُ العَقْلِ

وَالدينِ وَرداءةُ الطبعِ وَضَعْفُ اليَقِينِ وَسرعةُ الاستحالةِ، وَهُنَّ أَعْرَقُ في كلٍّ مِنْ هذهِ الصفاتِ وَأَرْسَخُ، وَكانَ ما وُجِدَ مِنْهُ مِنْ جمعٍ وَعلى وَجْهِ المبالغةِ أَعْظَمَ مِنْ غيرِهِ عَرَّفَ وَبَالَغَ وَجَمَعَ وَأَنَّثَ لِيَدْخُلَ فيهِ ما دُونَهُ مِنْ بابِ الأَوْلَى، فَقَالَ تعالى: ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ أي: النُّفُوسِ الساحرةِ، سَوَاءٌ كانتْ نُفُوسَ الرجالِ أَوْ نُفُوسَ النساءِ؛ أي: التي تُبَالِغُ في النَّفْثِ، وَهوَ التَّفْلُ، وَهوَ النَّفْخُ معَ بَعْضِ الرِّيقِ؛ هكذا في الكشَّافِ، وَقَالَ صَاحِبُ القَامُوسِ: وَهوَ كالنَّفْخِ وَأَقَلُّ مِنَ التَّفْلِ، وَقالَ: تَفْلٌ بريقٍ، وَفي التفسيرِ عَنِ الزَّجَّاجِ أَنَّهُ التَّفْلُ بلا رِيقٍ، ﴿فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ أيْ: تَعْقِدُهَا للسحرِ في الخيوطِ وَما أَشْبَهَهَا). [نظم الدرر: ٨/٦٠٥- ٦٠٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الإيجيُّ الشَّافِعِيُّ (ت: ٩٠٥ هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾: أي: النساءِ والجماعاتِ السواحرِ، اللواتي يَعْقِدْنَ عُقَدًا، ويَنْفُثْنَ عليها، والنَّفْثُ: النَّفْخُ معَ رِيقٍ). [جامع البيان: ٤/٥٤٦]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (أَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾. قَالَ: السَّاحِرَاتِ). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٠]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾. قالَ: مَا خَالَطَ السِّحْرَ مِن الرُّقَى). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٠- ٨٠١]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبي حَاتِمٍ عَن الضَّحَّاكِ: ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾. قَالَ: السَّوَاحِرُ). [الدر المنثور: ١٥/٨٠١]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبي حَاتِمٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾. قَالَ: الرُّقَى فِي عُقَدِ الخَيْطِ). [الدر المنثور: ١٥/٨٠١]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ): (﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ بناتُ لَبِيدِ بنِ الأَعْصَمِ). [مفحمات الأقران:٢١٦]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ أي: النِّساءِ أوِ النُّفوسِ أوِ الجَماعاتِ السَّواحِرِ اللَّواتِي تعقِدُ عُقَدًا في خُيوطٍ وينْفُثْنَ عليها ويرقِينَ عليها، والنَّفْثُ النَّفْخُ معَ ريقٍ، وقَالَ أبو عُبيدةَ: النَّفَّاثاتُ منْ بناتِ لَبيدِ بنِ أَعصَمَ اليهوديِّ، سَحرْنَ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٣]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (قَالَ الزَّمخشريُّ: ويجوزُ أنْ يُرادَ بهنَّ النِّساءُ الكَيَّادَاتُ منْ قولِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝٢٨﴾ [يوسف: ٢٨] تشبيهًا لكيدِهنَّ بالسِّحْرِ والنَّفْثِ في العُقَدِ، أوِ اللاتي يفتِنَّ الرِّجالَ بتعرُّضهنَّ لهمْ وعرضِهنَّ محاسِنَهنَّ كأنَّهنَّ يسحرْنَهُمْ بذلكَ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٣]

قَالَ المُؤَذِّنُ عَبْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ اللهِ بن سَلامَةَ الإِدْكَاوِيُّ (ت: ١١٨٤هـ): (والإشَارَةُ بالنَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ إلى بَنَاتِ لَبيدِ بْنِ الأَعْصَمِ اليَهُودِيِّ، وهُنَّ اللَّوَاتِي سَحَرْنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وَعَقَدْنَ لَهُ إِحْدَى عَشْرَةَ

عُقْدَةً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالى إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً، وهِيَ الْمُعَوِّذَتَانِ، فَشُفِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ). [ترويح أولي الدماثة: ٢/٢٧٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّاب التَّمِيمِيُّ (ت: ١٢٠٦ هـ): (الثَّالِثُ: شَرُّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ، وَهَذَا مِنْ شَرِّ السِّحْرِ، فَإِنَّ النَّفَّاثَاتِ السَّوَاحِرُ الَّتِي يَعْقِدْنَ الخُيُوطَ؛ وَيَنْفُثْنَ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ حَتَّى يَنْعَقِدَ مَا يُرِدْنَ مِنَ السِّحْرِ، وَالنَّفَّاثَاتُ مُؤَنَّثٌ؛ أَي: الأَرْوَاحُ وَالأَنْفُسُ؛ لأَنَّ السِّحْرَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ الأَنْفُسِ الخَبِيثَةِ). [مجموع مؤلفاته/التفسير: ٢٨٣]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ المنذرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾. قَالَ: السَّاحِرَاتِ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ جريرٍ عنهُ في الآيةِ قَالَ: هوَ ما خَالَطَ السحرَ مِنَ الرُّقَى). [فتح القدير: ٥/٧٦٠]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾. النَّفَّاثَاتُ: هُنَّ السَّوَاحِرُ؛ أَيْ: وَمِن شَرِّ النُّفُوسِ النَّفَّاثَاتِ، أَوِ النساءُ النَّفَّاثَاتُ، وَالنَّفْثُ النَّفْخُ كما يَفْعَلُ ذلكَ مَنْ يَرْقِي وَيَسْحَرُ، قِيلَ: معَ رِيقٍ. وَقِيلَ: بِدُونِ رِيقٍ.

وَالعُقَدُ جَمْعُ عُقْدَةٍ، وَذلكَ أَنَّهُنَّ كُنَّ يَنْفُثْنَ في عُقَدِ الخيوطِ حِينَ يَسْحَرْنَ بها، وَمنهُ قولُ عَنْتَرَةَ:

فَإِنْ يَبْرَأْ فَلَمْ أَنْفِثْ عَلَيْهِ ... وَإِنْ يَعْقِدْ فَحُقَّ لَهُ العُقُودُ

وقولُ مُتَمِّمِ بنِ نُوَيْرَةَ:

نَفَثَ في الخَيْطِ شَبِيهَ الرُّقَى ... مِنْ خَشْيَةِ الجِنَّةِ وَالحَاسِدِ

قالَ أبو عُبيدةَ: النَّفَّاثَاتُ هُنَّ بَنَاتُ لَبِيدٍ الأَعْصَمِ اليهوديِّ، سَحَرْنَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [فتح القدير: ٥/٧٥٩]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ أي: ومِن شرِّ النفوسِ السواحرِ اللاتي يَعْقِدْنَ عُقَدًا في خُيوطٍ ويَنْفُثْنَ عليها، فالنَّفَّاثاتُ صِفَةٌ للنفوسِ، واعْتُبِرَ ذلك لمكانِ التأنيثِ، معَ أنَّ تأثيرَ السحْرِ إنما هو مِن جِهةِ النفوسِ الخبيثةِ والأرواحِ الشِّرِّيرةِ وسلطانِه منها، وقَدَّرَ بعضُهم النِّساءَ مَوصوفًا، والأوَّلُ أَوْلَى ليَشمَلَ الرجالَ ويَتَضمَّنَ الإشارةَ السابقةَ ويُطابقَ سببَ النزولِ؛ فإنَّ الذي سَحَرَه صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ كان رجلاً على المشهورِ كما ستَسمَعُ إن شاءَ اللهُ تعالى.

وقيلَ: أَعانَه بعضُ النِّساءِ، ولكونِ مِثلِ ذلك مِن عمَلِ النساءِ وكَيْدِهِنَّ غَلَبَ المؤنَّثُ على المذكَّرِ هنا، وهو جائزٌ على ما فَصَّلَه الخَفَاجيُّ في شرحِ دُرَّةِ الغوَّاصِ). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٣]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وقيلَ في الآيةِ: المرادُ بالنفْثِ في العُقَدِ إبطالُ عزائمِ الرجالِ بالحِيَلِ، مُستعارٌ مِن تَلْيينِ العُقَدِ بنَفْثِ الرِّيقِ ليَسْهُلَ حَلُّها، وهو يَقْرُبُ مِن بدَعِ التفاسيرِ). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٤]

قالَ مُحمَّد صِدِّيق حسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾. النَّفَّاثَاتُ هُنَّ السواحرُ؛ أيْ: وَأَعُوذُ برب الفلقِ مِنْ شَرِّ النُّفُوسِ النَّفَّاثَاتِ أَوِ النِّسَاءِ النَّفَّاثَاتِ، وَالنَّفْثُ: النَّفْخُ كما يَفْعَلُ

ذلكَ مَنْ يَرْقِي وَيَسْحَرُ، قيلَ: معَ رِيقٍ، وَقِيلَ: بدونِ رِيقٍ، وَهوَ دليلُ بطلانِ قولِ المعتزلةِ في إنكارِ تَحَقُّقِ السحرِ وَظهورِ أثرِهِ.

والعُقَدُ: جَمْعُ عُقْدَةٍ، وَذلكَ أَنَّهُنَّ كُنَّ يَنْفُثْنَ في عُقَدِ الخيوطِ حينَ يَسْحَرْنَ بها. قَالَ أبو عُبيدةَ: ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ هُنَّ بَنَاتُ لَبيدِ بنِ الأَعْصَمِ اليَهُودِيِّ، سَحَرْنَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ). [فتح البيان: ١٥/٤٦٠]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: السَّاحِرَاتُ. وَعنهُ قَالَ: هوَ ما خَالَطَ السِّحْرَ مِنَ الرُّقَى). [فتح البيان: ١٥/٤٦٠]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾، أيْ: ومِن شَرِّ النِّسَاءِ اللاَّتِي يُبْطِلْنَ عَزَائِمَ الرِّجَالِ بالحِيَلِ كَمَا اخْتَارَهُ أَبو مُسْلِمٍ، فمَعْنَى الآيَةِ أَنَّ النِّسَاءَ لأجلِ كَثْرَةِ حُبِّهِنَّ فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ يَتَصَرَّفْنَ فِيهِمْ ويُحَوِّلْنَهُمْ مِنْ رَأْيٍ إِلَى رَأْيٍ، ومِنْ عَزِيمَةٍ إلى عَزِيمَةٍ، فَأَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ بالتَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّهِنَّ). [مراح لبيد: ٢/٦٨٢]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المصريُّ (ت: ١٣٢٣هـ): (ثُمَّ خَصَّ مَخْلوقاتٍ أُخَرَ لظُهورِ ضَرَرِها، وعُسْرِ الاحْتِياطِ منه، فلا بُدَّ مِنَ الفَزَعِ إلى اللهِ والاسْتِنْجادِ بقُدْرَتِهِ الشَّامِلَةِ على دَفْعِ شَرِّها، فقالَ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾، العُقَدُ: ما تَعْرِفُهُ في الخَيْطِ والحَبْلِ، جَمْعُ عُقْدَةٍ، ثُمَّ تُسْتَعْمَلُ العُقْدَةُ في كُلِّ ما رُبِطَ وأُحْكِمَ رَبْطُهُ، ولذلك سَمَّى اللهُ الارْتِباطَ... [ضبب على هذا الموضع في المطبوع]

ونُسَمِّيهِ عُقْدَةً أَيْضًا). [تفسير جزء عم: ١٨٤]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المصريُّ (ت: ١٣٢٣هـ): (والنَّفَّاثَةُ من صِيَغِ المُبالَغَةِ، كالعَلاَّمَةِ والفَهَّامَةِ، يُسْتَعْمَلُ كذلكَ للذَّكَرِ والأُنْثَى، والنَّفَّاثاتُ جَمْعُهُ، والمُرادُ بهم هنا النَّمَّامونَ المُقَطِّعونَ لرَوابطِ الأُلفَةِ المُحْرِقونَ لها بما يُلْقُونَ عليها من ضِرامِ نَمائِمِهم، وإنَّمَا جاءَتِ العِبارَةُ كما في الآيَةِ؛ لأنَّ اللهَ جَلَّ شَأْنُهُ أرادَ أنْ يُشَبِّهَهم بأولئك السَّحَرَةِ المُشَعْوِذِينَ الَّذينَ إذا أَرادُوا أنْ يَحُلُّوا عُقْدَةَ المَحَبَّةِ بَيْنَ المَرْءِ وزَوْجِهِ مَثَلاً فيما يُوهِمونَ به العامَّةَ عَقَدوا عُقْدَةً، ثُمَّ نَفَثُوا فيها وحَلُّوها، ليَكونَ ذلك حَلًّا للعُقْدَةِ الَّتي بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، والنَّميمةُ تُشْبِهُ أنْ تَكونَ ضَرْبًا مِنَ السِّحْرِ؛ لأنَّها تَحُولُ ما بَيْنَ الصَّدِيقَيْنِ من مَحَبَّةٍ إلى عَداوَةٍ بوَسيلَةٍ خَفِيَّةٍ كاذِبَةٍ، والنَّمِيمَةُ تُضَلِّلُ وِجْدانَ الصَّدِيقَيْنِ كما يُضَلِّلُ اللَّيْلُ مَن يَسِيرُ فيه بظُلْمَتِهِ، ولهذا ذَكَرَها عَقِبَ ذِكْرِ الغاسِقِ إذا وَقَبَ، ولا يَسْهُلُ على أَحَدٍ أنْ يَحْتاطَ للتَّحَفُّظِ مِنَ النَّمَّامِ، فإنَّهُ يَذْكُرُ عَنْكَ ما يَذْكُرُ لصاحِبَكَ، وأنت لا تَعْلَمُ ماذا يَقولُ ولا يُمْكِنُ أنْ يَقولَ، وإذا جاءَكَ فرُبَّما دَخَلَ عليك بما يُشْبِهُ الصِّدْقَ، حتى لا يَكادَ يُمْكِنُكَ تَكْذِيبُهُ، فلا بُدَّ لك من قُوَّةٍ أَعْظَمَ من قُوَّتِكَ تَسْتَعِينُ بها عليه، وهي قُوَّةُ اللهِ). [تفسير جزء عم: ١٨٥]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ قالَ ابنُ جريرٍ: أيْ ومِنْ شرِّ السَّوَاحِرِ اللاَّتِي يَنْفُثْنَ في عُقَدِ الخَيْطِ حينَ يَرْقِينَ علَيْها، وبهِ قالَ أهلُ التأويلِ، فعَنْ مجاهِدٍ: الرُّقَى في عُقَدِ الخيطِ.

وعنْ طاوُسٍ: ما مِنْ شيءٍ أَقْرَبَ إلى الشرْكِ مِنْ رُقْيَةِ المَجانينِ. ومِثْلُهُ عنْ قَتادةَ والحسنِ.

وقالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: النَّفَّاثَاتُ: النساءُ، أو الجماعاتُ السَّوَاحِرُ اللاَّتِي يَعْقِدْنَ عُقَدًا في خُيوطٍ، ويَنْفُثْنَ عليْهَا ويَرْقِينَ.

والنَّفْثُ: النفخُ معَ رِيقٍ. ولا تأثيرَ لذلكَ، اللَّهُمَّ إلاَّ إذا كانَ ثَمَّ إِطْعَامُ شيءٍ ضارٍّ أوْ سَقْيُه أوْ إشمامُهُ أوْ مُباشَرَةُ المسحورِ بهِ على بعضِ الوجوهِ، ولكنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قدْ يَفعلُ عندَ ذلكَ فِعْلاً على سبيلِ الامتحانِ الذي يَتميَّزُ بهِ الثَّبْتُ على الحقِّ مِن الحشْوِيَّةِ والجَهَلَةِ مِن العوامِّ، فَيَنْسِبُهُ الحَشْوُ والرَّعاعُ إلَيْهِنَّ وإلَى نَفْثِهِنَّ، والثَّابتُونَ بالقولِ الثابتِ لا يَلْتَفِتُونَ إلى ذلكَ ولا يَعْبَؤُونَ بهِ). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٦]

قالَ مُحمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (وفي الآيَةِ تَأْوِيلٌ آخَرُ، وهوَ اختيارُ أبي مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، قالَ: ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾: النساءُ، والعُقَدُ: عَزائمُ الرجالِ وآراؤُهم، مُستعارٌ مِنْ عُقَدِ الحِبالِ، والنفْثُ وهوَ تَلْيينُ العُقدةِ مِن الحَبْلِ بريقٍ يَقذِفُهُ عليهِ لِيَصيرَ حبْلُهُ سَهلاً.

فمَعنى الآيَةِ: أنَّ النساءَ لأَجْلِ كَثْرَةِ حُبِّهِنَّ في قُلُوبِ الرجالِ يَتصرَّفْنَ في الرجالِ يُحَوِّلْنَهُمْ مِنْ رَأْيٍ إلى رَأْيٍ، ومِنْ عَزِيمَةٍ إلى عَزِيمَةٍ، فأَمَرَ اللَّهُ رسولَهُ بالتَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّهِنَّ، كقولِهِ: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، فكذلكَ عَظَّمَ اللَّهُ كَيْدَهُنَّ فقالَ: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف: ٢٨]). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٦]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ أَيْ مِن شَرِّ النَّمَّامِينَ الَّذِينَ يَقْطَعُونَ رَوابطَ المَحبَّةِ، ويُبَدِّدُونَ شَمْلَ المَوَدَّةِ، وقَدْ شُبِّهَ عَمَلُهُمْ بالنَّفْثِ، وشُبِّهَتْ رَابطَةُ الوِدَادِ بالعُقْدَةِ، والعَرَبُ تُسَمِّي الارْتِبَاطَ الوَثِيقَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ عُقْدَةً، كما سُمِّيَ الارْتِبَاطُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ عُقْدَةَ النِّكَاحِ.

فَالنَّمِيمَةُ تُحَوِّلُ ما بَيْنَ الصَّدِيقَيْنِ مِن مَحَبَّةٍ إلَى عَدَاوَةٍ بالوَسَائِلِ الخَفِيَّةِ الَّتِي تُشْبِهُ أَنْ تَكُونَ ضَرْبًا مِنَ السِّحْرِ، وَيَصْعُبُ الاحْتِيَاطُ والتَّحَفُّظُ مِنهَا؛ فالنَّمَّامُ يَأْتِي لك بكَلامٍ يُشْبِهُ الصِّدْقَ فَيَصْعُبُ عَلَيْكَ تَكْذِيبُهُ، كما يَفْعَلُ السَّاحِرُ المُشَعْوِذُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَحُلَّ عُقْدَةَ المَحَبَّةِ بين المَرْءِ وَزَوْجِهِ، إِذ يَقُولُ كَلامًا وَيَعْقِدُ عُقْدَةً وَيَنْفُثُ فِيهَا، ثُمَّ يَحُلُّهَا إِيهَامًا للعَامَّةِ أَنَّ هَذَا حَلٌّ للعُقْدَةِ الَّتِي بين الزَّوْجَيْنِ). [تفسير المراغي: ٣٠/٢٦٧- ٢٦٨]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ نَاصِرٍ السّعْدِيُّ (ت: ١٣٧٦هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾؛ أي: ومِن شرِّ السواحرِ اللاتِي يَسْتَعِنَّ على سِحْرِهِنَّ بالنَّفْثِ في العُقَدِ التي يَعْقِدْنَها على السِّحْرِ). [تيسير الكريم الرحمن: ٤/ ٢٠٠١]

قالَ مُحمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (فالمرادُ بـ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾: النساءُ الساحراتُ، وإنما جيءَ بصِفَةِ المُؤَنَّثِ؛ لأنَّ الغالِبَ عندَ العربِ أنْ يَتعاطَى السِّحْرَ النساءُ؛ لأنَّ نِساءَهم لا شُغْلَ لهنَّ بعْدَ تَهيئَةِ لَوازمِ الطعامِ والماءِ والنظافةِ، فلذلكَ يكثُرُ انكبابُهُنَّ على مِثلِ هاتِهِ السَّفَاسِفِ مِنَ السِّحْرِ والتكَهُّنِ ونَحوِ ذلكَ، فالأوهامُ الباطِلَةُ تَتَفَشَّى بينهُنَّ، وكانَ العربُ يَزْعُمونَ أنَّ الغُولَ ساحِرَةٌ مِنَ الجِنِّ. ووَرَدَ في خبَرِ هِجرةِ الحَبَشَةِ أنَّ عُمارةَ بنَ الوليدِ بنِ المُغيرةِ اتُّهِمَ بزوجةِ النَّجاشِيِّ، وأنَّ النَّجاشِيَّ دعَا له السواحِرَ فنَفَخْنَ في إحلِيلِه فصارَ

مَسلوبَ العقْلِ هائِمًا على وجْهِهِ، ولَحِقَ بالوُحُوشِ.
والعُقَدُ: جَمْعُ عُقْدَةٍ، وهي ربْطٌ في خَيْطٍ أو وَتَرٍ يَزعُمُ السحَرَةُ أنَّ سِحْرَ المَسحورِ يَستَمِرُّ ما دامَتْ تلك العُقدةُ مَعقودةً، ولذلك يَخافونَ مِن حَلِّها، فيَدْفِنُونَها أو يُخَبِّئُونَها في مَحَلٍّ لا يُهتَدَى إليه.
أمَرَ اللهُ رسولَه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بالاستعاذةِ مِن شَرِّ السحَرَةِ؛ لأنه ضَمِنَ له أنْ لا يَلحقَه شَرُّ السحَرَةِ، وذلك إبطالٌ لقولِ المُشرِكينَ في أكاذيبِهم: إنه مَسحورٌ. قالَ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨﴾ [الفرقان: ٨].
وجُملةُ القولِ هنا: أنه لَمَّا كانَ الأَصَحُّ أنَّ السُّورةَ مَكِّيَّةٌ فإنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مَأمونٌ مِن أنْ يُصيبَه شَرُّ النَّفَّاثَاتِ؛ لأنَّ اللهَ أعاذَه منها). [التحرير والتنوير: ٦٢٨/٣٠]
قَالَ عَبْدُ الفَتَّاحِ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ القَاضِي (ت: ١٤٠٣هـ): (قَرَأَ الحَسَنُ: (النُّفَّاثَاتِ) كَقِرَاءَةِ الجُمْهُورِ، لَكِنْ بضَمِّ النُّونِ، وَالفَتْحُ وَالضَّمُّ لُغَتَانِ، جَمْعُ نَفَّاثَةٍ بالفَتْحِ وَالضَّمِّ أَيْضًا، وَهِيَ المَرْأَةُ السَّاحِرَةُ المُبَالِغَةُ فِي تَعَاطِيهِ؛ فَهِيَ مِنْ صِيَغِ المُبَالَغَةِ). [القراءات الشاذة للقاضي: ٩٤]
قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (قَوْلُهُ تعالَى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ المرادُ بِهِ السَّحَرَةُ قَطْعًا؛ سواءٌ كانَ النَّفْثُ مِن النساءِ كما هو ظاهِرُ اللفْظِ، أو مِن الرِّجالِ على معنَى الجماعاتِ، أو النُّفوسِ الشِّرِّيرةِ فتَشْمَلُ النوعيْنِ). [تتمة أضواء البيان: ٣٤٢/٩]
قالَ مُحَمَّدُ بنُ سُلَيْمَانَ الأَشْقَرُ (ت:١٤٣٠هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾؛ أَيْ: وَأَعُوذُ به مِنْ شَرِّ النِّسَاءِ السَّاحِرَاتِ؛ وَذَلِكَ لأَنَّهُنَّ كُنَّ يَنْفُثْنَ فِي عُقَدِ الخُيُوطِ حِينَ يَسْحَرْنَ بها). [زبدة التفسير: ٦٠٤]

وجه ذِكر النفاثات بلفظ التأنيث

قلتُ: (سبَق في أقاويلِ العلماءِ في المسألةِ السابقةِ ذِكْرٌ لهذه المسألةِ فراجِعْه إن شِئْت).
قالَ عَبْدُ الرَّحمنِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ أَحْمَدَ السُّهَيْلِيُّ (ت: ٥٨١هـ): (وَكَانَتْ عُقَدُ السِّحْرِ أَحَدَ عَشَرَ عُقْدَةً، فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى المُعَوّذَتَيْنِ إحْدَى عَشْرَةَ آيَةً فَانْحَلّتْ بكُلِّ آيَةٍ عُقْدَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ وَلَمْ يَقُلِ: النّفّاثِينَ، وَإِنّمَا كَانَ الّذِي سَحَرَهُ رَجُلاً.
وَالجَوَابُ: أَنَّ الحَدِيثَ قد رَوَاهُ إِسْمَاعِيلُ القَاضِي، وَزَادَ فِي رِوَايَتِهِ أَنَّ زَيْنَبَ اليَهُودِيَّةَ أَعَانَتْ لَبِيدَ بْنَ الأَعْصَمِ عَلَى ذَلِكَ السِّحْرِ، مَعَ أَنَّ الأُخْذَةَ فِي الغَالِبِ مِنْ عَمَلِ النِّسَاءِ وَكَيْدِهِنَّ). [الروض الأنف:٣٧٣/٢]
قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾
فيه مَسَائِلُ:
المسألةُ الأُولَى: في الآيةِ قَوْلانِ:

الأَوَّلُ: أَنَّ النَّفْثَ النَّفْخُ مَعَ رِيقٍ، هكذا قَالَه صاحبُ الكشافِ، ومنهم مَن قالَ: إنَّه النَّفْخُ فقَطْ، ومنه قولُه عَلَيْهِ السَّلامُ: «إِنَّ جِبْرِيلَ نَفَثَ فِي رَوْعِي».

والعُقَدُ جَمْعُ عُقْدَةٍ، والسَّبَبُ فيه أنَّ السَّاحِرَ إِذَا أَخَذَ في قِرَاءَةِ الرُّقْيَةِ أَخَذَ خَيْطًا، ولا يَزَالُ يَعْقِدُ عليه عُقَدًا بعدَ عُقَدٍ ويَنْفُثُ في تلك العُقَدِ، وإِنَّما أَنَّثَ النَّفَّاثَاتِ لوجوهٍ:

أَحدُها: أنَّ هذه الصِّنَاعَةَ إِنَّما تُعْرَفُ بالنِّسَاءِ؛ لأَنَّهُنَّ يَعْقِدْنَ ويَنْفُثْنَ؛ وذلك لأنَّ الأَصْلَ الأَعْظَمَ فيه رَبْطُ القَلْبِ بذلك الأَمْرِ وإِحْكَامُ الهِمَّةِ والوَهْمِ فيه، وذلك إِنَّما يَتَأَتَّى مِن النِّسَاءِ لقِلَّةِ عِلْمِهِنَّ وشِدَّةِ شَهْوَتِهِنَّ، فَلا جَرَمَ كان هذا العَمَلُ مِنْهُنَّ أَقْوَى، قالَ أبو عُبَيْدَةَ: النَّفَّاثَاتُ: هُنَّ بَنَاتُ لَبِيدِ بنِ أَعْصَمَ اليَهُودِيِّ، سَحَرْنَ النَّبِيَّ صلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ.

وثانيها: أنَّ الْمُرَادَ مِن ﴿النَّفَّٰثَٰتِ﴾ النُّفُوسُ.

وثَالِثُها: الْمُرَادُ منها الجَمَاعَاتُ؛ وذلك لأَنَّه كلما كَانَ اجتماعُ السَّحَرَةِ علَى العَمَلِ الوَاحِدِ أَكْثَرَ كان التَّأْثِيرُ أَشَدَّ.

القولُ الثاني: وهو اخْتِيارُ أَبِي مُسْلِمٍ (مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ) أي: النِّسَاءِ، (فِي العُقَدِ) أي: في عَزَائِمِ الرِّجَالِ وآرَائِهِم، وهو مُسْتَعَارٌ مِن عُقَدِ الحِبَالِ، والنَّفْثُ وهو تَلْيِينُ العُقْدَةِ مِن الحَبْلِ بريقٍ يَقْذِفُه عليه لِيَصِيرَ حَلُّه سَهْلاً، فمَعْنَى الآيَةِ أنَّ النِّسَاءَ لأجلِ كَثْرَةِ حُبِّهِنَّ في قُلُوبِ الرِّجَالِ يَتَصَرَّفْنَ في الرِّجَالِ يُحَوِّلْنَهُم مِن رَأْيٍ إلى رَأْيٍ، ومِن عَزِيمَةٍ إلى عَزِيمَةٍ، فأَمَرَ اللَّهُ رَسُولَه بالتَّعَوُّذِ مِن شَرِّهِنَّ كقَوله: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] فلذلك عَظَّمَ اللَّهُ كَيْدَهُنَّ فقال: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف: ٢٨].

واعْلَمْ أَنَّ هذا القَوْلَ حَسَنٌ، لولا أنَّه علَى خِلافِ قولِ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ). [التفسير الكبير: ٣٢/١٧٩] (م)

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (ووَجْهُ التأنيثِ إِمَّا الجَمَاعَةُ؛ لأنَّ اجتماعَ السَّحَرَةِ على عَمَلٍ وَاحِدٍ أَبْلَغُ تَأْثِيرًا، وإِمَّا لأنَّ هذهِ الصناعةَ إنَّما تُعْرَفُ بالنِّساءِ؛ لأَنَّهنَّ يَعْقِدْنَ ويَنْفُثْنَ؛ وذلك أنَّ الأَصْلَ الكُلِّيَّ في ذلك الفَنِّ هو رَبْطُ القَلْب وتَعْلِيقُ الوَهْمِ بذلك الأَمْرِ، وأنه في النِّساءِ أَوْفَرُ؛ لقِلَّةِ عِلْمِهِنَّ وشِدَّةِ شَهْوَتِهِنَّ). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٨] (م)

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فإن قِيلَ: فالسحْرُ يكونُ من الذكورِ والإناثِ فلِمَ خَصَّ الاستعاذةَ من الإناثِ دونَ الذُّكورِ؟

قِيلَ في جوابِه: إنَّ هذا خَرَجَ على السبَبِ الواقِعِ، وهو: أنَّ بناتِ لَبِيدِ بنِ أَعْصَمَ سَحَرْنَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا جوابُ أبي عُبيدةَ وغيرِه، وليس هذا بسديدٍ؛ فإنَّ الذي سَحَرَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو لَبِيدُ بنُ أَعْصَمَ كما جاءَ في الصحيحِ.

والجوابُ الْمُحَقَّقُ أنَّ النفَّاثاتِ هنا هنَّ الأرواحُ والأَنْفُسُ النفَّاثاتُ، لا النساءُ النفَّاثاتُ؛ لأنَّ تأثيرَ السحْرِ إنما هو جِهَةُ الأنْفُسِ الخَبيثةِ والأرواحِ الشِّرِّيرةِ، وسُلطانُه إنما يَظْهَرُ منها، فلِهَذا ذُكِرَت النفَّاثاتُ هنا بلفظِ التأنيثِ دونَ التذكيرِ، واللهُ أَعْلَمُ.

ففي الصحيح عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عائشةَ، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طُبَّ حتى إنه ليُخَيَّلُ إليه أنه صَنَعَ شيئًا وما صَنَعَه، وأنه دَعَا رَبَّه ثم قالَ: «أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُه فِيهِ؟» فقالَتْ عائشةُ: وما ذاك يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «جاءَنِي رَجلانِ فجلَسَ أحدُهما عندَ رأسِي والآخَرُ عندَ رِجْلَيَّ، فقالَ أحدُهما لصاحِبِه: ما وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قالَ الآخَرُ: مَطبوبٌ. قالَ: مَن طَبَّه؟ قالَ: لَبيدُ بنُ الأعصَمِ. قالَ: في ماذا؟ قالَ: في مُشْطٍ ومُشَاطَةٍ وجُفِّ طَلْعِ ذَكَرٍ. قالَ: فأينَ هو؟ قالَ: في ذَرْوَانَ بئرٍ في بَنِي زُرَيْقٍ».

قالَتْ عائشةُ رَضِيَ اللهُ عنها: فأتاها رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم رَجَعَ إلى عائشةَ فقالَ: «وَاللهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ».

قالَ: فقُلْتُ له: يا رسولَ اللهِ، هلا أَخْرَجْتَه؟ قالَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللهُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا».

فأَمَرَ بها فدُفِنَتْ.

قالَ البخاريُّ: وقالَ الليثُ وابنُ عُيَيْنَةَ، عن هِشامٍ: في مُشْطٍ ومُشاقَةٍ، ويُقالُ: إنَّ المُشاطَةَ ما يَخرُجُ من الشعْرِ إذا مُشِطَ، والمُشاقَةُ من مُشاقَةِ الكَتَّانِ.

قلتُ: هكذا في هذه الروايةِ أنه لم يُخْرِجْه اكتفاءً بمُعافاةِ اللهِ له وشِفائِه إيَّاه). [بدائع الفوائد: ٢/ ٢٢١- ٢٢٢]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (قَالَ ابْنُ الخَطِيبِ: هَذِهِ الصِّنَاعَةُ إِنَّمَا تُعْرَفُ بِالنِّسَاءِ؛ لأَنَّهن يَعْقِدْنُ فِي الخَيْطِ، ويَنْفُثْنَ، وذَلِكَ لأَنَّ الأَصْلَ الأَعْظَمَ فيه رَبْطُ القَلْبِ بذَلِكَ الأَمْرِ، وإِحْكَامُ الهِمَّةِ وَالوَهْمِ فيه، وذَلِكَ إِنَّمَا يَتَأَتَّى مِنَ النِّسَاءِ لِقِلَّةِ عَمَلِهِنَّ، وَشِدَّةِ شَهْوَتِهِنَّ، فلا جَرَمَ كَانَ هَذَا العَمَلُ مِنْهُنَّ أَقْوَى). [اللباب: ٢٠/ ٥٧٤]

قلتُ: (ذكَرَ الجَوهريُّ في الصِّحاحِ قولَ الراجزِ:

لَقَدْ عَلِمْتُ والأَجَلُّ البَاقِي ... أَلاَّ يَرُدُّ القَدَرَ الرَّوَاقِي

ثم قال: كأنَّه جَمْعُ امْرَأَةٍ راقِيَةٍ أَوْ رَجُلٍ راقِيَةٍ بالهَاءِ للمُبَالَغَةِ).

وجه تخصيص النفاثات في العقد

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (وتخصيصُه لِمَا رُوِيَ أَنَّ يَهُودِيًّا سَحَرَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إحدى عشرةَ عُقْدَةً في وَتَرٍ دَسَّهُ في بئرٍ، فَمَرِضَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونَزَلَت المُعَوِّذَتَانِ، وأَخْبَرَه جِبريلُ عليه الصلاةُ والسلامُ بمَوْضِعِ السِّحْرِ، فأرسَلَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ تعالى عنه فجاءَ به، فقَرَأَهُما عليه، فكانَ كُلَّمَا قرأَ آيةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، ووَجَدَ بعضَ الخِفَّةِ، ولا يُوجِبُ ذلك صِدْقَ الكَفَرَةِ في أنه مَسحورٌ؛ لأنهم أَرَادُوا به أنه مَجنونٌ بوَاسِطَةِ السِّحْرِ). [أنوار التنزيل: ٢/ ١١٨٠]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ سُلَيْمَانَ بْنِ رَيَّانَ (ت: ٧٧٠هـ): (سُؤَالٌ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ ما وَجْهُ تَخْصِيصِهِنَّ؟

جَوَابٌ: لِمَا رُوِيَ أنَّ يَهُودِيًّا اسمُهُ لَبِيدٌ سَحَرَ النَّبيَّ عليه السَّلامُ في وَتَرٍ دَسَّهُ في بئْرٍ فيه إحْدَى عَشْرَةَ عُقدَةً، فأعْلَمَهُ اللَّهُ بذلك وبمَحَلِّهِ بمجيءِ جِبْرِيلَ بعْدَما اشْتكَى ومَرِضَ لذَلِكَ أيَّامًا، وقد رُوِيَ: ستَّةَ أشْهُرٍ، ونزلَتِ المُعَوِّذَتَانِ إحْدَى عَشْرَةَ آيَةً، فبعَثَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عنه فاسْتَخْرَجَهَا، فجاءَ بها، فكانَ كُلَّمَا قرَأَ آيَةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، ووجَدَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ خِفَّةً حتَّى انْحَلَّتِ العُقْدَةُ الأَخِيرَةُ قامَ عليْهِ الصلاةُ والسلامُ كأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ). [الروض الريان: ٦٤٨/٣]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (وَتَخْصِيصُهُ بالذِّكْرِ لِمَا رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ وعائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أَنَّهُ كَانَ غُلامٌ مِن اليَهُودِ يَخْدِمُ النَّبيَّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وكَانَ عِنْدَهُ أَسْنَانٌ مِنْ مُشْطِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، فَأَعْطَاهَا لليهودِ فَسَحَرُوهُ عَلَيْهِ السَّلامُ فِيهَا، وَتَوَلاَّهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ اليَهُودِيُّ وَبَنَاتُهُ، وَهُنَّ النَّافِثَاتُ فِي العُقَدِ، فَدَفَنَهَا فِي بِئْرِ أَرِيسٍ.

فَمَرِضَ النَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ بالمُعَوِّذَتَيْنِ، وَأَخْبَرَهُ بِمَوْضِعِ السِّحْرِ وَبِمَنْ سَحَرَهُ وَبِمَا سَحَرَهُ، فَأَرْسَلَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ والزُّبَيْرَ وعَمَّارًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَنَزَحُوا مَاءَ البِئْرِ، فكَأَنَّهُ نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، ثُمَّ رَفَعُوا أَرَاعُوثَةَ البِئْرِ وَهِيَ الصخرةُ الَّتِي تُوضَعُ فِي أسفلِ البِئْرِ، فَأَخْرَجُوا مِنْ تَحتِهَا الأسنانَ وَمَعَهَا وَتَرٌ قَدْ عُقِدَ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً مُغَرَّزَةً بالإِبَرِ.

فَجَاؤُوا بهَا النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ المُعَوِّذَتَيْنِ عَلَيْهَا، فَكَانَ كُلَّمَا قَرَأَ آيَةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَوَجَدَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ خِفَّةً حَتَّى انْحَلَّتِ العُقْدَةُ الأَخِيرَةُ عِنْدَ تَمَامِ السُّورَتَيْنِ، فَقَامَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ كَأَنَّمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفلا نَقْتُلُ الخَبِيثَ؟

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا».

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا غَضِبَ النَّبيُّ غَضَبًا يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ قَطُّ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ شَيْئًا هُوَ لِلَّهِ تَعَالَى فَيَغْضَبُ لِلَّهِ وَيَنْتَقِمُ). [إرشاد العقل السليم: ٢١٥/٧]

قالَ أَبُو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وتخصيصُه بالذكرِ لِمَا روى البخاريُّ ومسلمٌ وابنُ ماجهْ عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ تعالى عنها قالتْ: سُحِرَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ حتى إنه لَيُخَيَّلُ إليه أنه فَعَلَ الشيءَ ولم يكُنْ فعَلَه، حتى إذا كان ذاتَ يومٍ أو ذاتَ ليلةٍ دعا اللهَ، ثم دَعَا، ثم دعا، ثم قالَ: «أَشعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟» قلتُ: وما ذاكَ يا رسولَ اللهِ؟ فقالَ: «جَاءَنِي رَجُلانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ، أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ. قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ؟ قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ».

قالتْ: فَأَتَاها رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ في أُناسٍ مِن أصحابه ثم قالَ: «يَا عَائِشَةُ، وَاللهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ».

قالتْ: فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، أفلا أَحْرَقْتَه؟

قالَ: «لا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللهُ تَعَالَى، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، فَأَمَرْتُ بِهَا فَدُفِنَتْ» وهذان المَلَكان على ما يَدُلُّ على روايةِ ابنِ مَرْدُويَهْ مِن طريقِ عِكرمةَ عن ابنِ عبَّاسٍ هما جبريلُ وميكائيلُ عليهما السلامُ.

ومِن حديثِها في الدلائلِ للبيهقيِّ بعدَ ذِكْرِ حديثِ المَلَكَيْنِ: فلمَّا أَصْبَحَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ غدَا ومعه أصحابُه إلى البئرِ، فدَخَلَ رَجُلٌ فاستخرَجَ جُفَّ طَلعةٍ مِن تحتِ الراعوثةِ، فإذا فيها مُشطُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ ومِن مُشاطةِ رأسِه، وإذا تِمثالٌ مِن شمْعٍ، تِمثالُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ، وإذا فيها إِبَرٌ مَغروزةٌ، وإذا وَتَرٌ فيه إحدى عشْرةَ عُقدةً، فأتاهُ جِبريلُ عليه السلام بالمُعَوِّذَتَيْنِ فقالَ: يا محمدُ، قُلْ أعوذُ بربِّ الفلقِ، وحَلَّ عُقدةً، مِن شرِّ ما خلَقَ، وحلَّ عُقدةً، حتى فَرَغَ منهما وحَلَّ العُقَدَ كلَّها، وجَعَلَ لا يَنْزِعُ إبرةً إلا وَجَدَ لها أَلَمًا، ثم يَجِدُ بعدَ ذلك راحةً، فقيلَ: يا رسولَ اللهِ، لو قَتَلْتَ اليهوديَّ؟ قالَ: «قَدْ عَافَانِي اللهُ تَعَالَى، وَمَا يَرَاهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ أَشَدُّ».

وفي روايةٍ: أنَّ الذي تَوَلَّى السحرَ لَبيدُ بنُ الأعصمِ وبناتُه، فَمَرِضَ النبيُّ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ، فنَزَلَ جِبريلُ بالمُعَوِّذَتَيْنِ وأخبرَه بمَوْضِعِ السحرِ وبمَنْ سَحَرَه وبمَا سَحَرَه، فأَرْسَلَ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ تعالى وجهَه والزُّبيرَ وعَمَّارًا، فنَزَحُوا ماءَ البئرِ وهو كنُقاعةِ الحِنَّاءِ ثم رَفَعوا رَاعوثةَ البئْرِ فأَخْرَجوا أَسنانَ المُشطِ ومعها وَتَرٌ قد عُقِدَ فيه إحدى عشْرةَ عُقدةً مُغَرَّزَةً بالإبَرِ، فجاؤوا بها النبيَّ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ، فجعَلَ يَقرأُ المُعَوِّذَتَيْنِ عليها، فكان كُلَّمَا يَقرأُ آيةً انْحَلَّتْ عُقدةٌ ووَجَدَ عليه الصلاةُ والسلامُ خِفَّةً، حتى انْحَلَّتِ العُقدةُ الأخيرةُ عندَ تَمامِ السورتينِ، فقامَ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ كأنما أُنْشِطَ مِن عِقالٍ. الخبرُ والروايةُ الأُولَى أَصَحُّ مِن هذه). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٢- ٢٨٣]

وجه تعريف النفاثات، وتنكير الغاسق والحاسد

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (فإنْ قُلْتَ: فلِمَ عَرَّفَ بعضَ المُسْتَعاذِ مِنه ونَكَّرَ بعضَه؟

قلتُ: عُرِّفَت ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾؛ لأنَّ كلَّ نَفَّاثةٍ شِرِّيرةٌ، ونُكِّرَ ﴿غَاسِقٍ﴾؛ لأنَّ كلَّ غاسقٍ لا يكونُ فيه الشرُّ، إنَّما يكونُ في بعضٍ دونَ بعضٍ، وكذلك كلُّ حاسدٍ لا يَضُرُّ، ورُبَّ حَسَدٍ محمودٍ وهو الحسدُ في الخيراتِ، ومِنه قولُه عليه الصلاةُ والسلامُ: «لا حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ».

وقالَ أبو تَمَّامٍ:

وَمَا حَاسِدِي فِي المَكْرُمَاتِ بِحَاسِدِ

وقال:

إنَّ العُلا حَسَـنٌ فِي مِثْلِهَـا الحَسَدُ). [الكشاف: ٦/٤٦٦- ٤٦٧]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (السؤالُ الثاني: لِمَ عَرَّفَ بَعْضَ المُسْتَعَاذِ منه ونَكَّرَ بَعْضَه؟ الجوابُ: عَرَّفَ النفَّاثاتِ؛ لأنَّ كلَّ نَفَّاثَةٍ شِرِّيرَةٌ، ونَكَّرَ غاسِقًا؛ لأَنَّه لَيْسَ كلُّ غَاسِقٍ شِرِّيرًا، وأيضًا لَيْسَ كلُّ حَاسِدٍ شِرِّيرًا، بل رُبَّ حَسَدٍ يكونُ مَحْمُودًا وهو الحَسَدُ في الخَيْرَاتِ). [التفسير الكبير: ١٧٩/٣٢]

قالَ حُسَيْنُ بنُ أَبي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (الزَّمَخْشَرِيُّ: فإِنْ قُلْتَ: (مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) تَعمِيمٌ في كلِّ ما يُسْتعاذُ منه، فما معنَى الاستعاذةِ بعدَه من الغاسقِ والنَّفَّاثاتِ والحاسدِ؟ قلتُ: فلِمَ عَرَّفَ بعضَ المستعاذِ منه ونَكَّرَ بعضَه؟ قلتُ: عُرِّفَتِ النَّفَّاثاتُ؛ لأنَّ كُلَّ نَفَّاثَةٍ شِرِّيرَةٌ، ونُكِّرَ غَاسِقٌ لأنَّ كلَّ غاسقٍ لا يَكونُ فيه الشَّرُّ، إنما يَكونُ في بعضٍ دونَ بعضٍ، وكذلكَ كلُّ حاسدٍ لا يَضُرُّ، ورُبَّ حَسَدٍ مَحْمُودٌ، وهو الحَسَدُ في الخيراتِ. انتهى كلامُه). [الفريد: ٧٥٢/٤]

قالَ زَيْنُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أبي بَكْرٍ الرَّازِيُّ (ت: ٦٦٦هـ): (فإنْ قيلَ: كيف عَرَّفَ سبحانَه النَّفَّاثاتِ ونَكَّرَ ما قبلَها وما بعدَها؟ قلنا: لأنَّ كلَّ نَفَّاثَةٍ لها شرٌّ وليسَ كلُّ غاسِقٍ وهو الليلُ له شرٌّ، وكذا ليسَ كلُّ حاسدٍ له شرٌّ، بل رُبَّ حَسُودٍ محمودٌ وهو الحَسَدُ في الخَيْرَاتِ، ومنه قولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ....» الحديثَ، وقالَ أبو تَمَّامٍ:

وَمَا حَاسِدٌ فِي المَكْرُمَاتِ بحَاسِدِ

وقالَ:

إنَّ العُلَى حَسَنٌ فِي مِثْلِهَا الحَسَدُ). [غرائب التنزيل: ٦٠١]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (وإفرادُها بالتعريفِ؛ لأنَّ كلَّ نَفَّاثَةٍ شِرِّيرةٌ، بخِلافِ كلِّ غاسقٍ وحاسِدٍ). [أنوار التنزيل: ١١٨٠/٢]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (وإنَّما عَرَّفَ بعضَ المُسْتَعاذِ مِنْه ونَكَّرَ بعضَهُ؛ لأنَّ كُلَّ نفَّاثَةٍ شِرِّيرَةٌ، فلذَا عُرِّفَتِ النَّفَّاثاتُ ونُكِّرَ غَاسِقٌ؛ لأنَّ كلَّ غاسِقٍ لا يَكونُ فيه الشَّرُّ، إنما يَكونُ في بعضٍ دونَ بعضٍ، وكذلِك كلُّ حاسدٍ لا يَضُرُّ، ورُبَّ حَسَدٍ يَكونُ مَحموداً كالحَسَدِ في الخَيْراتِ، واللهُ أعلمُ). [مدارك التنزيل: ٢٠١٤/٣]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحمَّدٍ النَّيْسابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (وعُرِّفَتِ النَّفَّاثاتُ؛ لأنَّ كلَّ نَفَّاثَةٍ شِرِّيرةٌ، ونُكِّرَ غَاسِقٌ وحَاسِدٌ؛ لأنَّه لَيْسَ كُلُّ غاسقٍ بشَرٍّ، بل الليلُ للغَاسِقِينَ شَرٌّ، وليسَ كلُّ حَسَدٍ مَذْمومًا، بل منه ما هو خَيْرٌ كما قالَ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ: «لا حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ؛ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ القُرْآنَ فَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ»). [غرائب القرآن: ٢٢٩/٣٠]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (فإن قيلَ: لِمَ عَرَّفَ ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ بالألِفِ واللامِ ونَكَّرَ ما قَبْلَه، وهو ﴿غَاسِقٍ﴾، وما بعدَه، وهو ﴿حَاسِدٍ﴾ مع أنَّ الجميعَ مُسْتَعاذٌ منه؟ فالجوابُ أنه عَرَّفَ ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ ليُفيدَ العُمومَ؛ لأنَّ كلَّ نَفَّاثَةٍ شِرِّيرةٌ بخِلافِ الغاسِقِ والحاسِدِ فإنَّ شرَّهما في بعضٍ دونَ بعضٍ). [التسهيل: ٢٢٦]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَنَكَّرَ ﴿ غَاسِقٍ ﴾ وَ ﴿حَاسِدٍ ﴾ وَعَرَّفَ ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ ﴾ لأنَّ كلَّ نَفَّاثَةٍ شِرِّيرةٌ، وكلَّ غاسقٍ لا يكونُ فيهِ الشرُّ، إنَّمَا يكونُ في بعضٍ دونَ بعضٍ، وكذلكَ كلُّ حَاسِدٍ لا يَضُرُّ، وَرُبَّ حَسَدٍ مَحْمُودٌ، وَهوَ الحسدُ في الخيراتِ، وَمنهُ «لا حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ». وَمنهُ قولُ أبي تَمَّامٍ:

وَمَا حَاسِدٌ في المَكْرُمَاتِ بحَاسِدِ

وقالَ آخَرُ:

إنَّ العلا حَسَنٌ في مِثْلِهَا الحَسَدُ). [البحر المحيط: ٨/٧٦٣]

قَالَ السَّمِينُ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الحَلَبيُّ (ت: ٧٥٦هـ): (وَنَكَّرَ غَاسِقًا وَحَاسِدًا؛ لأَنَّهُ قدْ يَتَخَلَّفُ الضَّرَرُ فيهما، فالتَّنْكِيرُ يُفِيدُ التَّبْعِيضَ. وعَرَّفَ ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ ﴾: إمَّا للعهدِ كما يُرْوَى في التفسيرِ، وإمَّا للمبالغةِ في الشرِّ). [الدر المصون: ١١/١٦٠]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (ونَكَّرَ غَاسِقًا وَحَاسِدًا؛ لأَنَّه قَدْ يَتَخَلَّفُ الضَّرَرُ فِيهِمَا؛ فَإِنَّ التَّنْكِيرَ للتَّبْعِيضِ، وعرَّفَ النَّفَّاثَاتِ إمَّا لِلْعَهْدِ كَمَا يُرْوَى فِي التَّفْسِيرِ، وَإِمَّا لِلْمُبَالَغَةِ في الشَّرِّ). [اللباب: ٢٠/٥٧٣]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): ((فإنْ قيلَ) لِمَ عَرَّفَ بعضَ المُستعاذِ منهُ ونكَّرَ بعضَهُ؟ (أجيبَ) بأنَّ النَّفَّاثاتِ عُرِّفتْ لأنَّهُ كلُّ نفَّاثةٍ شِرِّيرةٌ، ونُكِّرَ غاسقٍ لأنَّ كلَّ غاسقٍ لا يكونُ فيهِ الشرُّ، إنما يكونُ في بعضٍ دونَ بعضٍ، وكذلكَ كلُّ حاسدٍ لا يَضُرُّ، ورُبَّ حسَدٍ محمودٌ، وهوَ الحَسَدُ في الخيراتِ، ومنهُ قولُهُ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ». الحديثَ. وقالَ أبو تمامٍ: وَمَا حَاسِدٌ فِي المَكْرُمَاتِ بِحَاسِدِ

وقَالَ آخرُ:

إنَّ العُلا حَسَنٌ فِي مِثْلِهَا الحَسَدُ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٤]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (وَتَعْرِيفُهَا إمَّا للعَهْدِ أَوْ للإيذانِ بشُمُولِ الشَّرِّ لِجَمِيعِ أفرادِهِنَّ وَتَمَحُّضِهِنَّ فيهِ). [إرشاد العقل السليم: ٧/٢١٥]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وَإِنَّمَا عَرَّفَ بعضَ المُسْتَعَاذِ منهُ وَنَكَّرَ بَعْضَهُ؛ لأنَّ كلَّ نَفَّاثَةٍ شِرِّيرَةٌ، فلذا عُرِّفَت النَّفَّاثَاتِ وَنُكِّرَ غاسِقٍ؛ لأنَّ كلَّ غاسِقٍ لا يكونُ فيهِ الشرُّ، إنَّمَا يَكُونُ في بعضٍ دونَ بعضٍ، وكذلكَ كلُّ حَاسِدٍ لا يَضُرُّ، وَرُبَّمَا حَسَدٌ يكونُ مَحْمُودًا كالحسدِ في الخيراتِ، ذَكَرَهُ النَّسَفِيُّ في المَدَارِكِ). [فتح البيان: ١٥/٤٦٢]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وإنما أُوثِرَ لفظُ ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ ﴾ بالتعريفِ؛ لأنَّ التعريفَ في مِثْلِهِ للإشارةِ إلى أنه حَقِيقةٌ مَعلومةٌ للسامعِ، مثلُ التعريفِ في قولِهم: أَرْسَلَها العِرَاكَ. كما تَقَدَّمَ في قولِه تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ في سورةِ الفاتِحَةِ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٩]

معنى الاستعاذة من شر النفاثات في العقد

قالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الجَصَّاصُ (ت: ٣٧٠هـ): (وَإِنَّمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بالاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ؛ لأَنَّ مَنْ صَدَّقَ بأَنَّهُنَّ يَنْفَعْنَ بذَلِكَ كَانَ ذَلِكَ ضَرَرًا عَلَيْهِ فِي الدِّينِ مِنْ حَيْثُ يَعْتَقِدُ جَوازَ نَفْعِهَا وَضَرَرِهَا بِتِلْكَ الرُّقْيَةِ؛ وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى شَرُّهُنَّ فِيمَا يَحْتَلْنَ مِنْ سَقْيِ السُّمُومِ وَالأَدْوِيَةِ الضَّارَّةِ). [أحكام القرآن: ٣/٦٤٩]

- **قلتُ**: (هذا القولُ باطلٌ؛ لأنَّ النفثَ علَى هذا التأويلِ لا شرَّ فيهِ، وإِنَّمَا الشرُّ فِي اعتقادِ المعتقِدِ تأثيرَهُ، وَتخصيصُ النفاثاتِ فِي العُقَدِ بالذكرِ على هَذا التَّأويلِ لا وَجْهَ لَهُ، وكَذلِكَ الجهةُ الأخرَى التي ذكرَها باطِلَةٌ كبُطلانِ الجهَةِ الأُولَى؛ فَإِنَّ سَقْيَ السُّمُومِ والأدويَةِ الضَّارَّةِ لا تَأثيرَ للنفثِ فِي العُقَدِ فيهِ، ولا وَجْهَ لِذِكْرِ النفَّاثاتِ فِي العُقَدِ عَلَى هذا التَّأويلِ، وَفَسَادُ اللازمِ يدُلُّ على فَسَادِ الملزُومِ).

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (فإِنْ قُلْتَ: فما مَعْنَى الاستعاذةِ مِن شَرِّهِنَّ؟

قلتُ: فيها ثلاثةُ أوجهٍ:

أحدُها: أنْ يُسْتَعَاذَ مِن عَمَلِهِنَّ الذي هو صَنْعَةُ السِّحْرِ، ومِن إِثْمِهِنَّ في ذلك.

والثاني: أنْ يُسْتَعَاذَ مِن فِتْنَتِهِنَّ الناسَ بسِحْرِهِنَّ، وما يَخْدَعْنَهُم به مِن باطِلِهِنَّ.

والثالثُ: أنْ يُسْتَعَاذَ مِمَّا يُصِيبُ اللَّهُ به مِن الشرِّ عندَ نَفْثِهِنَّ). [الكشاف: ٦/٤٦٥]

- **قال صَالِحُ بْنُ غُرْمِ اللهِ الغَامِدِيُّ (م)**: (عادَ كَلامُ الزَّمَخْشَرِيِّ، قال: (فإِنْ قُلْتَ: فما مَعْنَى الاسْتِعاذَةِ مِن شَرِّهِنَّ؟ قُلْتُ: فيها ثَلاثَةُ أَوْجُهٍ: أَحَدُها: أنْ يُسْتَعاذَ مِن عَمَلِهِنَّ الَّذِي هو صَنْعَةُ السِّحْرِ، ومِن إِثْمِهِنَّ في ذلك.

والثَّانِي: أنْ يُسْتَعاذَ مِن فِتْنَتِهِنَّ النَّاسَ بسِحْرِهِنَّ، وما يَخْدَعْنَهم به مِن باطِلِهِنَّ.

والثَّالِثُ: أنْ يُسْتَعاذَ مِمَّا يُصِيبُ اللهُ به مِنَ الشَّرِّ عند نَفْثِهِنَّ، ويَجوزُ أنْ يُرادَ بهِنَّ النِّساءُ الكَيَّاداتُ من قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝٢٨﴾ [يوسف: ٢٨] تَشْبيهًا لكَيْدِهِنَّ بالسِّحْرِ والنَّفْثِ في العُقَدِ.....)

قال ابْنُ المُنَيِّرِ: (وهذا مِنَ الطِّرازِ الأَوَّلِ، فَعَدِّ عَنْهُ جانِبًا، ولو فَسَّرَ غَيْرُهُ النَّفَّاثاتِ في العُقَدِ بالمُتَخَيِّلاتِ مِنَ النِّساءِ، ولَسْنَ ساحِراتٍ، حتى يَتِمَّ إِنْكارُ وُجودِ السِّحْرِ لعَدَّهُ مِن بدَعِ التَّفاسِيرِ).

التَّعْلِيقُ: والَّذِي عليه أَهْلُ التَّحْقِيقِ أنَّ المُرادَ بالنَّفَّاثاتِ هنا الأَرْواحُ والأَنْفُسُ الشِّرِّيرَةُ، لا النِّساءُ النَّفَّاثاتُ؛ لأنَّ السِّحْرَ يكونُ مِنَ الذُّكورِ والإناثِ.

والسِّحْرُ إِنَّما هو من جِهَةِ الأَنْفُسِ الخَبيثَةِ والأَرْواحِ الشِّرِّيرَةِ، وسُلْطانُهُ إِنَّما يَظْهَرُ منها، فلهذا ذُكِرَتِ النَّفَّاثاتُ هنا بلَفْظِ التَّأْنِيثِ دُونَ التَّذْكِيرِ.

والنَّفْثُ فِعْلُ السَّاحِرِ، فإذا تَكَيَّفَتْ نَفْسُهُ بالخُبْثِ والشَّرِّ الَّذِي يُرِيدُهُ بالمَسْحورِ، واسْتَعانَ عليه بالأَرْواحِ الخَبيثَةِ، نَفَخَ في العُقَدِ الَّتِي يَعْقِدُها نَفْخًا معه رِيقٌ، فَيَخْرُجُ مِن نَفْسِهِ الخَبيثَةِ نَفَسٌ مُمازِجٌ للشَّرِّ والأَذَى، مُقْتَرِنٌ بالرِّيقِ المُمازِجِ لذلك، يُساعِدُهُ في ذلك الرُّوحُ الشَّيْطانِيَّةُ على أَذَى المَسْحورِ، فيَقَعُ فيه السِّحْرُ بإِذْنِ اللهِ الكَوْنِيِّ القَدَرِيِّ لا الأَمْرِ الشَّرْعِيِّ الدِّينِيِّ.

وهَذِهِ الآيَةُ مِن أَدِلَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ على أنَّ السِّحْرَ له تَأْثِيرٌ وحَقِيقَةٌ، وقد جرَى بيانُ وَجْهِ ذلك في غَيْرِ هذا المَوْضِعِ، واللهُ أَعْلَمُ). [المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف: ٢/١١٢٣- ١١٢٥]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (المسألةُ الثالثةُ: أَنْكَرَت المُعْتَزِلَةُ تَأْثِيرَ السِّحْرِ، وقَدْ تَقَدَّمَت هذه المَسْأَلَةُ، ثُمَّ قالُوا: سَبَبُ الاسْتِعَاذَةِ مِن شَرِّهِنَّ لثَلاثَةِ أَوْجُهٍ:

أَحَدُها: أَنْ يُسْتَعَاذَ مِن إثمِ عَمَلِهِنَّ في السِّحْرِ.

والثاني: أَنْ يُسْتَعاذَ مِن فِتْنَتِهِنَّ النَّاسَ بسِحْرِهِنَّ.

والثَالِثُ: أَنْ يُسْتَعاذَ مِن إطْعَامِهِنَّ الأَطْعِمَةَ الرَّدِيئَةَ المُورِثَةَ للجُنُونِ والموتِ). [التفسير الكبير: ٣٢/١٧٩]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (والاستعاذةُ مِنْهُنَّ الاستعاذةُ مِن إثمِ عَمَلِهِنَّ، أو مِن فِتْنَتِهِنَّ الناسَ بسِحْرِهِنَّ، أو مِن إطْعامِهِنَّ الأطعمةَ الرَّدِيَّةَ المُورِثَةَ للجنونِ أو المَوْتِ). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (قالَ الزَّمخشريُّ: إنَّ في الاستعاذةِ من ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ ثلاثةَ أَوْجُهٍ:

أحدُها: أن يُستعاذَ من مِثْلِ عَمَلِهِنَّ، وهو السحْرُ، ومن إثمِهِنَّ في ذلك.

والثاني: أن يُستعاذَ من خِدَاعِهِنَّ للناسِ وفِتْنَتِهِنَّ.

والثالثُ: أن يُستعاذَ مِمَّا يُصيبُ من الشرِّ عندَ نَفْثِهِنَّ). [التسهيل: ٢٢٥]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأَندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَالاستعاذةُ مِنْ شَرِّهِنَّ هوَ ما يُصِيبُ اللَّهُ تعالى بهِ مِنَ الشرِّ عندَ فِعْلِهِنَّ ذلكَ، وَسببُ نزولِ هاتَيْنِ المُعَوِّذَتَيْنِ يَنْفِي ما تَأَوَّلَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ مِنْ قولِهِ: وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بهِ النساءُ الكَيَّادَاتُ مِنْ قولِهِ: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝٢٨﴾ [٢٨: يُوسُفُ] تَشْبيهًا لِكَيْدِهِنَّ بالسحرِ وَالنفثِ في العُقدِ أَوِ اللاتي يَفْتِنَّ الرجالَ بتَعَرُّضِهِنَّ لَهُم وَعَرْضِهِنَّ مَحَاسِنَهُنَّ كأَنَّهُنَّ يَسْحَرْنَهُمْ بذلكَ. انْتَهَى). [البحر المحيط: ٨/٧٦٢]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (فإنْ قيلَ: ما معنى الاستعاذةِ منْ شرِّهنَّ؟

أُجيبَ بثلاثةِ أوجهٍ:

أحدُها: أنَّهُ يُستعاذُ مِن عملِهِنَّ الَّذِي هوَ صَنعةُ السِّحرِ ومنْ إثمِهنَّ في ذلكَ.

ثانيها: أنْ يُستعاذَ منْ فِتْنَتِهِنَّ النَّاسَ بسحرِهِنَّ وما يخدَعْنَهُم بِهِ مِن باطِلِهِنَّ.

ثالثها: أنْ يُستعاذَ مما يُصيبُ اللَّهُ بِهِ منَ الشَّرِّ عنْ نفْثِهِنَّ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٣]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّين القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (فإنْ قُلْتَ: فما معنى الاستعاذةِ مِنْ شَرِّهِنَّ؟ قُلْتُ: فيها ثلاثةُ أَوْجُهٍ:

أحدُها: أنْ يُستعاذَ مِنْ عَمَلِهِنَّ الذي هوَ صَنعةُ السحرِ، ومِنْ إِثْمِهِنَّ في ذلكَ.

والثاني: أنْ يُستعاذَ مِنْ فِتْنَتِهِنَّ الناسَ بسِحْرِهِنَّ وما يَخْدَعْنَهُمْ بهِ مِنْ باطِلِهِنَّ.

الثالثُ: أنْ يُسْتَعَاذَ مِمَّا يُصيبُ اللَّهُ بهِ مِن الشَّرِّ عندَ نَفْثِهِنَّ. انْتَهَى). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٦]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (أمَرَ اللهُ رسولَه صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ بالاستعاذةِ مِن شَرِّ السحَرَةِ؛ لأنه ضَمِنَ له أنْ لا يَلحقَه شَرُّ السحَرَةِ، وذلك إبطالٌ لقولِ المُشرِكينَ في أكاذيبِهم: إنه مَسحورٌ. قالَ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسۡحُورًا ۝٨﴾ [الفرقان: ٨].

وجُملةُ القولِ هنا أنه لَمَّا كانَ الأَصَحُّ أنَّ السُّورةَ مَكِّيَّةٌ؛ فإنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ مَأمونٌ مِن أنْ يُصيبَه شَرُّ النَّفَّاثاتِ؛ لأنَّ اللهَ أَعاذَه منها). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٨]

لِمَ جُعلت الاستعاذة من النفاثات لا من النفث

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وإنما جُعِلَتِ الاستعاذةُ مِنَ النَّفَّاثاتِ، لا مِنَ النَّفْثِ، فلم يُقَلْ: إذا نَفَثْنَ في العُقَدَ، للإشارةِ إلى أنَّ نَفْثَهُنَّ في العُقَدِ ليس بشيءٍ يَجْلُبُ ضَرًّا بذاتِه، وإنما يَجْلُبُ الضَّرَّ النافِثَاتُ، وهُنَّ مُتعاطِيَاتُ السِّحْرِ؛ لأنَّ الساحِرَ يَحْرِصُ على أنْ لا يَترُكَ شيئًا مِمَّا يُحَقِّقُ له ما يَعْمَلُه لأجْلِه إلا احتالَ على إيصالِه إليه، فرُبَّما وَضَعَ له في طعامِه أو شَرابِه عناصِرَ مُفسِدَةً للعقْلِ أو مُهلِكَةً بقَصْدٍ أو غيرِ قصْدٍ، أو قَاذوراتٍ يُفْسِدُ اختلاطُها بالجَسَدِ بعضَ عناصِرِ انتظامِ الجِسْمِ، يَخْتَلُّ بها نشاطُه أو إرادتُه، وربما أَغْرَى به مَن يَغتالُه، أو مَن يَتَجَسَّسُ على أحوالِه لِيُرِيَ لِمَن يَسألونُه السحْرَ أنَّ سِحْرَه لا يَختَلِفُ ولا يُخْطِئُ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٩]

أحكام الآية

قَالَ يوسفُ بنُ عبدِ اللهِ ابنُ عبدِ البَرِّ النَّمَرِيُّ (ت: ٤٦٣هـ): (قال ابنُ وهبٍ: سألتُ مالكًا عن المرأةِ التي تَرْقِي بالجريدةِ والمِلحِ، وعن الذي يَكْتُبُ الكتبَ للإنسانِ؛ لِيُعَلِّقَه عليه من الوجعِ، ويَعْقِدُ في الخيطِ الذي يَرْبِطُ به الكتابَ سبعَ عُقدٍ، والذي يكتُبُ خاتمَ سليمانَ في الكتابِ، فكرِهَ مالكٌ ذلك كلَّه، وقال: هذا لم يكُنْ من أمرِ الناسِ القديمِ، وكانَ العَقْدُ في ذلك أشدَّ كراهيةً، وكان يكرَهُ العَقْدَ جدًّا.

أَظُنُّ هَذَا - وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْلَمُ- لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤﴾ وَذَلِكَ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ ضَرْبٌ مِنَ السِّحْرِ). [الاسْتِذْكَارُ: ٢٧/٣٤]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ التَّمِيمِيُّ (ت: ١٢٠٦هـ): (الحَادِيَةُ وَالخَمْسُونَ: النَّهْيُ عَنِ النَّفْثِ فِي العُقَدِ). [مجموع مؤلفاته/التفسير: ٢٧٩]

بيان المُسْتَشْكَل

الحكمة من عدم التقييد بالظرف في هذه الآية

قالَ أَحْمَدُ بنُ إبْرَاهِيمَ بنِ الزُّبَيْرِ الغِرْنَاطِيُّ (ت: ٧٠٨هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾، للسَّائِلِ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ التَّقْيِيدِ بالظَّرْفِ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾، وفي قَوْلِهِ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾، فَلِمَ تَقَعُ الاسْتِعَاذَةُ مِنْ شَرِّ هَذَيْنِ بتَقْيِيدِ الوُقُوبِ في الغَاسِقِ ووقُوعِ الحَسَدِ مِنَ الحَاسِدِ، ويُطْلَقُ حُكْمُ الاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ وهُنَّ السَّاحِرَاتُ، ولَمْ يَقُلْ: إذَا نَفَثْنَ أَوْ سَحَرْنَ، فَيُقَيَّدُ كما قُيِّدَ مَا قَبْلُ وما بَعْدُ، فما الفَرْقُ؟

والجَوابُ عَنْ ذلك - واللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ في سُورَةِ طه: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾ [طه: ٦٩]، إطْلاقٌ حَاكِمٌ بتَمَادِيهِ وتَمَادِي حُكْمِهِ على تِلْكَ الصِّفَةِ المَذْمُومَةِ، فَلَمْ يَكُنِ التَّقْيِيدُ في آيَةِ الفَلَقِ لَوْ قِيلَ: إذا كذا لِيُطَابِقَ ما وَرَدَ في سُورَةِ طه مِنَ الإطْلاقِ، ثُمَّ إِنَّ السِّحْرَ كُفْرٌ، وقَدْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ قَوْلَ المَلَكَيْنِ لِلطَّالِبِ تَعَلُّمَهُ: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] أيْ: بتَعَلُّمِ السِّحْرِ، ولا يَسْحَرُكُمْ سِحْرُ السَّاحِرِ ولا يُسَمَّى سَاحِرًا إلاَّ باعْتِقَادٍ، فَتَبَيَّنَ أَنَّ السِّحْرَ شَرٌّ مُطْلَقٌ، فوَرَدَ التَّعَوُّذُ مِنْهُ مُطْلَقًا غَيْرَ مُقَيَّدٍ بوُقُوعٍ أَوْ (....) وتَأْثِيرِ الكَوَاكِبِ، وذلك كُفْرٌ، وما أَجْرَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنَ التَّأْثِيرِ في العَالَمِ عِنْدَ تلاقِيها وتقابُلِهَا وتَنَاظُرِهَا وما في ذلك مِنْ تَفْصِيلِ التَّنَاظُرِ، كُلُّ ذَلِكَ فِعْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ولا تَأْثِيرَ إلاَّ له جَلَّ وتَعَالَى (...) ويُقْتَلُ السَّاحِرُ ولا اسْتِتَابَةَ في قَوْلٍ.

أَمَّا الغاسِقُ فَإِنَّهُ اللَّيْلُ إذا أَظْلَمَ، ولَيْسَ الشَّرُّ مِنْهُ بما هو لَيْلٌ مُظْلِمٌ، إنَّمَا هو سِتْرٌ لِذَوِي الشَّرِّ لاحْتِجَابِهِمْ بظُلْمَتِهِ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، فَيُوقِعُونَ فيه شَرَّهُمْ، فالشَّرُّ فيهِ لا مِنْهُ، أَلا تَرَى أَنَّه لأهْلِ الخَيْرِ رَحْمَةٌ ونِعْمَةٌ، وكذلِكَ لِكُلِّ مَنْ لا يَتَرَصَّدُهُ لِشَرٍّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣]، أي: لِتَسْكُنُوا في اللَّيْلِ ولِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ في النَّهارِ.

وتَرَدَّدَ ذِكْرُ اللَّيْلِ في غَيْرِ ما آيَةٍ في كِتَابِ اللَّهِ مَعْدُودًا في نِعَمِ اللَّهِ تعالَى على عبادِهِ، وهو شَقِيقُ النَّهارِ في تِلْكَ، ثُمَّ إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ هو لِبَاسٌ وسِتْرٌ عَنِ الأَعْيُنِ فَيُمْكِنُ فِيهِ لأهْلِ الشَّرِّ ما لا يُمْكِنُهُمْ في نَهارِهِمْ، فَيَسْتَحْكِمُ فيهِ شَرُّهُمْ عِنْدَ امْتِدَادِ ظُلْمَتِهِ لأَمْنِهِمْ مِنَ النَّاسِ في ذلك. فَتَبَيَّنَ أَنَّهُ لَيْسَ شَرًّا بما هو لَيْلٌ إنَّمَا الشَّرُّ فيه وعِنْدَهُ لا به بما هو لَيْلٌ ولا مِنْهُ، ولا يَتَمَكَّنُ مَطْلُوبُ ذَوِي الشَّرِّ إلا في ظُلْمَتِهِ، فنِسْبَةُ الشَّرِّ إِلَيْهِ بهذا الوَجْهِ، والإضَافَةُ في لِسَانِ العَرَبِ تَكُونُ بأَدْنَى مُلابَسَةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾ [النازعات: ٤٦] والضُّحَى لَيْسَ لِلْعَشِيَّةِ، وإنَّما هُمَا طَرَفَانِ للنَّهارِ، فَصَحَّتِ الإضَافَةُ بهذا القَدْرِ، وقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] واللَّيْلُ والنَّهارُ لا يَمْكُرَانِ إنَّمَا يَكُونُ المَكْرُ فِيهِمَا، قال مَعناهُ سِيبَوَيْهِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأَمَّا الحاسِدُ فَإِنَّ القَائِمَ بنَفْسِهِ مِن هذه الصِّفَةِ قَبْلَ أَنْ يَمْضِيَ يُمكِنُ أَنْ يُنْفِذَهَا حَسَدًا ويُمكِنُ أَنْ يُنْفِذَهَا غِبْطَةً، فإذًا لا يَتَبَيَّنُ كَوْنُهُ حَسَدًا إلا بَعْدَ أَنْ يُمْضَى ويُوقَعَ، ألا تَرَى اتِّحَادَ ما يَقُومُ بالنَّفْسِ أَوَّلاً مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ. بَيانُ

ذلك أنَّ كُلَّ عاقِلٍ - بما هو عَاقِلٌ - إِذَا رَأَى نِعْمَةً على غَيْرِهِ مِنْ دِينٍ أَوْ دُنْيَا أَعْجَبَتْهُ وتَمَنَّاها لِنَفْسِهِ، فَإِنْ أَرَادَ زَوَالَهَا عَمَّنْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ وانْفِرَادَهُ هو بها فهذا هو الحَسَدُ المَذْمُومُ، وإِنْ تَمَنَّى مِثْلَهَا أَوْ أَكْثَرَ وبقاءَ تِلْكَ على صاحِبِهَا فهذه هي الغِبْطَةُ، وهي مِن صِفَاتِ المُؤْمِنِينَ، فَقَدْ وَضَحَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ حَسَدًا ويُوصَفُ بتِلْكَ الصِّفَةِ عِنْدَ ظُهُورِهِ ووقُوعِهِ على الصِّفَةِ المَذْمُومَةِ، وأَمَّا قَبْلَ ذلك فلا شَرَّ فيه ولا هو شَرٌّ، ألا ترَى أنَّ الحَاسِدَ لَوْ قَامَتْ به تلك الصِّفَةُ ثُمَّ تَذَكَّرَ واسْتَغْفَرَ لِمَنْ رَأَى النِّعْمَةَ به والخَيْرَ ورَكَنَ قَلْبُهُ إلى ذلك لَمْ يُؤَاخَذْ شَرْعًا بِتِلْكَ الهِمَّةِ والخَطْرَةِ، وقَدْ نَصَّ الشَّرْعُ على ذلك، واتَّفَقَ العُلَمَاءُ والقاضِي أبو بَكْرٍ ومَنْ قالَ بقَوْلِهِ على تَلَقِّي الوَارِدِ في هذا عَنِ الشَّارِعِ عَلَيْهِ السَّلامُ، مُنَزَّلاً على ما ذَكَرْتُهُ، فَلَمَّا كانَ حَالُ الحَسَدِ على ما ذُكِرَ وحالُ الغَاسِقِ على ما تَقَدَّمَ ذَلِكَ وقَعَ التَّقْيِيدُ في الاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّهِمَا بالظَّرْفِ فَقِيلَ: ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ و﴿إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾، ولَمْ يَقَعْ تَقْيِيدٌ في الاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ السَّحَرَةِ، وجاءَ كُلٌّ مِنْ ذَلِكَ على ما يَجِبُ ويُنَاسِبُ، ولا يُمْكِنُ خِلافُهُ، واللَّهُ أَعْلَمُ). [ملاك التأويل: ١١٦٤] (م)

فوائد

قَالَ يوسفُ بنُ عبدِ اللهِ ابنُ عبدِ البَرِّ النَّمَرِيُّ (ت: ٤٦٣هـ): (وَأَمَّا عَقْدُ الشَّيْطَانِ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ ابْنِ آدَمَ إِذَا رَقَدَ فَلا يُوصَلُ إِلَى كَيْفِيَّةِ ذَلِكَ، وَأَظُنُّهُ كِنَايَةً عَنْ جِنْسِ الشَّيْطَانِ وَتَثْبِيطِهِ لِلإِنْسَانِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ وَعَمَلِ البِرِّ.

وَقِيلَ: إِنَّهَا كَعُقَدِ السِّحْرِ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾). [الاستذكار: ٦/٣٦٧- ٣٦٨]

قالَ محمودُ بنُ أحمدَ بنِ مُوسَى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): (ص- قالَ: نَفْثُه: الشِّعْرُ، ونَفْخُه: الكِبْرُ، وهَمْزُه المُوتَةُ.

ش – أي: نَفْثُ الشيطانِ الشِّعْرُ، إنما سُمِّيَ النَّفْثُ شِعْرًا؛ لأنه كالشيءِ يَنْفُثُه الإنسانُ من فيهِ كالرُّقْيَةِ.

قيلَ: إنْ كانَ هذا التفسيرُ من مَتْنِ الحديثِ فلا مَعْدِلَ عنه، وإن كانَ مِن قولِ بعضِ الرُّواةِ فلَعَلَّه يُرادُ منه السِّحْرُ، فإنه أشْبَهُ لِمَا شَهِدَ له التنزيلُ، قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾). [شرح سنن أبي داود: ٣٧٢/٣]

تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥) ﴾

القراءات

إمالة {حاسد}

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ مُجَاهِدٍ (ت: ٣٢٤هـ): (قَوْلُهُ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَنَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ وَعَاصِمٌ وَحَمْزَةُ والكِسَائِيُّ: ﴿حَاسِدٍ﴾ بفَتْحِ الحَاءِ.
وَحَدَّثَنِي الجَمَّالُ عن أَحْمَدَ بْنِ يَزِيدَ، عن رَوْحٍ، عن أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى، عَنْ أبي عَمْرٍو: (حِاسِدٍ) بكَسْرِ الحَاءِ).
[السبعة في القراءات:٧٠٣]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالَوَيْهِ (ت: ٣٧٠هـ):(لا خلافَ فيها إلاَّ ما رَواهُ أحمدُ بنُ موسى عن أبي عمرٍو: ﴿حَاسِدٍ﴾ بالإمالةِ، والمشهورُ عنه التفخيمُ). [الحجة:٣٧٨]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ):((حِاسِدٍ) بالإِمَالَةِ عَنِ ابْنِ عَمْرٍو). [مختصر شواذ القراءات: ١٨٣]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الأَزْهَرِيُّ (ت: ٣٧٠ هـ): (قولُه جلَّ وعزَّ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)﴾.
رَوَى رَوْحٌ، عن أَحْمَدَ بنِ مُوسى، عن أبي عَمْرٍو: (حِاسِدٍ) بكَسْرِ الحاءِ، وقَرَأَ ابنُ كثيرٍ، ونافِعٌ، وأبو عَمْرٍو، وعاصِمٌ، وحَمْزَةُ، والكِسائِيُّ، وابنُ عَمَّارٍ: ﴿حَاسِدٍ﴾ بفَتْحِ الحاءِ). [علل القراءات:٨٠٩]

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الفَارِسِيُّ (ت: ٣٧٧هـ): (قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَنَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو وَعَاصِمٌ وَابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ وَالكِسَائِيُّ: ﴿حَاسِدٍ﴾ بفَتْحِ الحَاءِ، قَالَ: وَخَبَّرَنِي الجَمَّالُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ رَوْحٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى، عَنْ أَبي عَمْرٍو: (حِاسِدٍ) بكَسْرِ الحَاءِ.
قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: التَّفْخِيمُ وَالإِمَالَةُ فِي هَذَا النَّحْوِ حَسَنَانِ). [الحجة في علل القراءات السبع:٤٦٦]

قَالَ عَبْدُ المُنْعِمِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ غَلْبُونَ (ت: ٣٨٩هـ): (قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ: وَحَدَّثَنِي أَبُو سَهْلٍ، وَابْنُ خَالَوَيْهِ عَنِ ابْنِ مُجَاهِدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي الجَمَّالُ، عَنْ أَحْمَدَ، عَنْ رَوْحٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى، عَنْ أَبي عَمْرٍو أَنَّهُ قَرَأَ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ﴾ بإِمَالَةِ الحَاءِ.
وَالمَشْهُورُ عَنْ أَبي عَمْرٍو فَتْحُ الحَاءِ مِثْلَ جَمَاعَةِ القُرَّاءِ.
وَكَذَلِكَ قَرَأْتُ عَلَى جَمِيعِ مَنْ قَرَأْتُ عَلَيْهِ، وَبالفَتْحِ آخُذُ). [الاستكمال: ٦٣٩- ٦٤٠]

قَالَ عَبْدُ المُنْعِمِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ غَلْبُونَ (ت: ٣٨٩هـ): (وقَرَأَ نُصَيْرٌ: ﴿حَاسِدٍ﴾ بإمالَةِ الحاءِ، وفَتَحَها البَاقُونَ، إلاَّ ما حَدَّثَنا المُعَدِّلُ، قال: حَدَّثَنا ابنُ مُجاهِدٍ، قال: حَدَّثَنِي الجَمَّالُ، عن أَحْمَدَ، عن رَوْحٍ، عن أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى، عن أَبي عَمْرٍو: (حِاسِدٍ) بكَسْرِ الحاءِ.
قال أَبُو الحَسَنِ، رَضِيَ اللهُ عنه: وبالفَتْحِ قَرَأْتُ لأَبي عَمْرٍو، وبه آخُذُ). [التذكرة:٦٥٣- ٦٥٤]

قالَ عَبْدُ الحقِّ بنُ غَالِب بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (وأمَالَ أبو عَمْرٍو: ﴿حَاسِدٍ﴾ والباقونَ يَفْتَحُونَ الحاءَ). [المحرر الوجيز: ٦١٢/١٥]

قَالَ نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ ابنُ أَبِي مَرْيَمَ (ت: ٥٦٥هـ): ((حاسِدٍ) بالإِمَالَةِ: رُوِيَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو.

والوَجْهُ أَنَّ الإِمَالَةَ حَسَنَةٌ فِي هَذَا؛ لِلْكَسْرَةِ الَّتِي بَعْدَ الأَلِفِ.

وَقَرَأَ البَاقُونَ ﴿حَاسِدٍ﴾ بالفَتْحِ مِنْ غَيْرِ إِمَالَةٍ.

والوَجْهُ أَنَّهُ هُوَ الأَصْلُ، والإِمَالَةُ لَيْسَتْ بِحُكْمٍ واجِبٍ). [الموضح: ١٤١٧]

معاني الحروف

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿إِذَا﴾ حَرْفُ وَقْتٍ غَيْرُ وَاجِبٍ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٦]

الصرف

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿حَسَدَ ۝٥﴾ فِعْلٌ ماضٍ. والمَصْدَرُ حَسَدَ يَحْسُدُ حَسَدًا فَهُوَ حَاسِدٌ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٧]

قَالَ حُسَيْنُ بنُ أَبِي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (وقولُه: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ حَسَدَ يَحْسُدُ حُسُودًا وحَسَادَةً إذا تَمَنَّى زَوالَ النعمةِ عن صَاحِبِها). [الفريد: ٧٥٢/٤]

الإعراب

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿وَمِن شَرِّ﴾ جرٌّ بمِنْ. ﴿حَاسِدٍ﴾ جَرٌّ بالإِضَافَةِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٦]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿حَسَدَ ۝٥﴾ فِعْلٌ ماضٍ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٧]

التناسب

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَعَمَّ أَوَّلاً فَقَالَ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ ثُمَّ خَصَّ هذهِ لِخَفَاءِ شَرِّهَا؛ إِذْ يَجِيءُ مِنْ حَيْثُ لا يُعْلَمُ، وَقالُوا: شَرُّ العِدَاةِ المُداجِي بكَيْدِكَ مِنْ حيثُ لا تَشْعُرُ). [البحر المحيط: ٧٦٣/٨]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَلَمَّا كانَ أَعْظَمُ حَامِلٍ على السحرِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَذَى الناسِ الحَسَدَ، وَهُوَ تَمَنِّي زَوالِ نِعْمَةِ المَحْسُودِ:

وَدَارَيْـتُ كُـلَّ النَّـاسِ إلاَّ لِحَاسِـدٍ ... مُدَارَاتُـهُ عَـزَّتْ وَشَـقَّ نَوَالُهَـا
وَكَيْـفَ يُـدَارِي المَـرْءُ حَاسِـدَ نِعْمَـةٍ ... إذَا كَـانَ لا يُرْضِـيهِ إلاَّ زَوَالُهَـا

قالَ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ﴾ أيْ: ثابتِ الاتِّصَافِ بالحسدِ مُعْرِقٍ فيهِ، وَنَكَّرَهُ؛ لأَنَّهُ ليسَ كلُّ حَاسِدٍ مَذْمُومًا، وَأعظمُ الحَسَدَةِ الشَّيْطَانُ الذي ليسَ لهُ دأبٌ إلاَّ السعيُ في إزالةِ نِعَمِ العباداتِ عَنِ الإنسانِ بالغَفَلاتِ.

وَلَمَّا كانَ الضَّارُّ مِنَ الحَسَدِ إنَّمَا هوَ ما أُظْهِرَ وَعُمِلَ بمُقْتَضَاهُ بالإصابةِ بالعينِ أوْ غَيْرِهَا، قالَ مُقَيِّدًا لهُ: ﴿إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾. أيْ: حَسَدَ بالفعلِ بعَيْنِهِ الحاسدةِ.

وَأمَّا إذا لمْ يَظْهَرِ الحسدُ، فإنَّهُ لا يَتَأَذَّى بهِ إلاَّ الحاسدُ لاغتمامِهِ بنِعْمَةِ غَيْرِهِ، وَفي إشْعَارِ الآيةِ الدُّعاءُ بمَا يُحْسَدُ عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِ الدَّارَيْنِ؛ لأنَّ خيرَ الناسِ مَنْ عَاشَ مَحْسُودًا وَمَاتَ مَحْسُودًا، وَلِمَنْ لمْ يُلْقِ بَالاً للدعاءِ بذلكَ وَيهْتَمَّ بتَحْصِيلِ ما يُحْسَدُ عَلَيْهِ ضَحِكَ منهُ إبليسُ إذَا تَلا هَذِهِ الآيةَ لِكَوْنِهِ ليسَ لهُ فَضِيلَةٌ يُحْسَدُ عليها، وَلَعَلَّهُ عَبَّرَ بأداةِ التحقيقِ إشعارًا بأنَّ مَنْ كَانَ ثابتَ الحسدِ مُتَمَكِّنًا مِنَ الاتِّصَافِ بهِ بمَا أَشْعَرَ بهِ التعبيرُ بالوصفِ تَحَقَّقَ منهُ إظهارُهُ وَلم يَقْدِرْ على مُدَافَعَتِهِ في الأغلبِ إلاَّ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَقدْ عُلِمَ بكونِ الحسدِ عِلَّةَ السِّحْرِ المُوقِعِ في القتلِ الذي هوَ أعظمُ المَعَاصِي بعدَ الشركِ وَفي الشِّرْكِ؛ لأَنَّهُ لا يَصِحُّ غَايَةَ الصِّحَّةِ إلاَّ معَ الشركِ - أنَّ الحَسَدَ شرُّ ما انْفَلَقَ عنهُ ظلامُ العَدَمِ، وَالشاهِدُ لذلكَ غَلَبَتُهُ على الأُمَمِ السالفةِ وَتَحْذِيرُ الأُمَّةِ التي هيَ خيرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ مِنْهُ بشهادةِ هَادِيهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَخْرَجَ الإمامُ أَحْمَدُ وَأبو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ عَنِ الزبيرِ بنِ العَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، ألا وَالبَغْضَاءُ هِيَ الحَالِقَةُ، لا أَقُولُ: إِنَّهَا تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ».

وَفي البابِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عنهما وَابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَعْظَمُ أسبابِ الحَالِقَةِ أَوْ كُلُّهَا الحَسَدُ، فَعُلِمَ بهذا رُجُوعُ آخرِ السورةِ على أَوَّلِهَا، وَانْعِطَافُ مَفصِلِهَا على مَوصِلِهَا، وَمَن أُعِيذَ مِنْ هذهِ المذكوراتِ انْفَلَقَ سَمَاءُ قَلْبِهِ عَنْ شمسِ المعرفةِ بعدَ ظلامِ ليلِ الجهلِ، فَأَشْرَقَتْ أَرْجَاؤُهُ بأَنْوَارِ الحِكَمِ إلى أنْ يَضِيقَ الوصفُ لهُ عَنْ بَدَائِعِ الكَشْفِ.

هُنَـاكَ تَـرَى مَـا يَمْـلأُ العَـيْنَ قُـرَّةً ... وَيُـسْلِي عَـنِ الأَوْطَـانِ كُـلَّ غَرِيـبِ

فَيَنْقَطِعُ التَّعَلُّقُ عَمَّا سِوَى اللَّهِ بمَحْضِ الاتِّبَاعِ وَالبُعْدِ عَنِ الابتداعِ بمُقْتَضَى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. وَقدْ بَطَلَ بالأمرِ بالاستعاذةِ قولُ الجَبْرِيَّةِ: إِنَّا كَالآلةِ لا فِعْلَ لنا أَصْلاً، وَإِنَّمَا نَحْنُ كالحَجَرِ لا يَتَحَرَّكُ إلاَّ بمُحَرِّكٍ؛ لأَنَّهُ لَوْ كانَ هوَ المُحَرِّكَ لَنَا بغَيْرِ اخْتِيَارٍ لَمْ يَكُنْ للأَمْرِ فَائِدَةٌ.

وَقولُ القدريَّةِ: إِنَّا نَخْلُقُ أَفْعَالَنَا.

وَقولُ الفَلاسِفَةِ: إِنَّهُ إذا وُجِدَ السببُ وَالْمُسَبَّبُ حَصَلَ التأثيرُ مِنْ غيرِ احْتِيَاجٍ إلى رَبْطٍ إلَهِيٍّ كَالنارِ وَالحَطَبِ؛ لأَنَّهُ لَوْ كَانَ ذلكَ لَكَانَتْ هذهِ الأفعالُ الْمُسَبَّبَاتُ إذا وُجِدَتْ مِنْ فَاعِلِيهَا الذينَ هُمُ الأسبابُ، أَوِ الأفعالُ التي هيَ الأسبابُ، وَالْمُسَبَّبَاتُ التي هيَ الأبدانُ الْمُرَادُ تَأْثِيرُهَا أَثَّرَتْ وَلَمْ تَنْفَعْ الاستعاذةُ، وَالشَّاهِدُ خِلافُهُ.

وَثَبَتَ قولُ الأشاعرةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ أَنَّهُ إذا وُجِدَ السَّبَبُ وَالْمُسَبَّبُ تَوَقَّفَ وُجُودُ الأَثَرِ على إيجَادِ اللَّهِ تعالى، فإِنْ أَنْفَذَ السَّبَبَ وُجِدَ الأثرُ، وَإِنْ لمْ يُنْفِذْهُ لَمْ يُوجَدْ، وَالسُّورَتَانِ مُعْلِمَتَانِ بأنَّ البَلايَا كثيرةٌ، وهوَ قَادِرٌ على دَفْعِهَا، فَهُمَا حَامِلَتَانِ على الخَوْفِ وَالرَّجَاءِ.

وَذلكَ هوَ لُبَابُ العبوديَّةِ). [نظم الدرر: ٨/٦٠٦- ٦٠٧]

- **قلتُ**: (انظُرِ التعليقَ عليه في المسائلِ العَقَدِيَّةِ).

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (ولما كانَ أعظمُ حاملٍ على السِّحرِ وغيرِهِ منْ أَذَى النَّاسِ الحَسَدَ، وهوَ تمنِّي زوالِ نِعمةِ المَحْسُودِ للحاسدِ أو غيرِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ﴾). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٤]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (عُطِفَ شَرُّ الحاسِدِ على شَرِّ الساحِرِ المعطوفِ على شَرِّ الليلِ، لمناسَبَةٍ بينَه وبينَ المعطوفِ عليه مُباشَرَةً، وبينَه وبينَ المعطوفِ عليه بواسِطَتِه، فإِنَّ مما يَدْعُو الحاسِدَ إلى أَذَى المحسودِ أنْ يَتَطَلَّبَ حُصولَ أذاهُ لتَوهُّمِ أنَّ السحْرَ يُزِيلُ النِّعمةَ التي حَسَدَه عليها، ولأنَّ ثَوَرَانَ وِجدانِ الجسَدِ يَكثُرُ في وقْتِ الليلِ؛ لأنَّ الليلَ وقْتُ الخَلْوَةِ، وخُطورِ الخواطِرِ النَّفْسِيَّةِ، والتفكُّرِ في الأحوالِ الحافَّةِ بالحاسِدِ والمحسودِ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٩]

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

اقترانُ الحسَدِ بالسِّحْرِ هنا يُشِيرُ إلى وُجودِ عَلاقةٍ بينَ كلٍّ مِن السِّحْرِ والحسَدِ، وأقَلُّ ما يكونُ هو التأثيرُ الخَفِيُّ الذي يكونُ مِن الساحِرِ بالسحْرِ، ومِن الحاسِدِ بالحسَدِ، معَ الاشتراكِ في عُمومِ الضرَرِ، فكِلاهما إيقاعُ ضَرَرٍ في خَفاءٍ، وكِلاهما مَنْهِيٌّ عنه.

وقد أَوْضَحَ فَضيلةُ الشيخِ - رحمةُ اللَّهِ تعالى عَلَيْنَا وعليه- أنواعَ السِّحْرِ وأحكامَه، وأَوْرَدَ فيه كلامًا وافيًا.

وقد ظَهَرَ بما قَدَّمْنَا: أنَّ الحسَدَ له عَلاقةٌ بالسِّحْرِ نَوْعًا ما، فلَزِمَ إيضاحُه وبيانُ أمْرِه بقَدْرِ الْمُستطاعِ، إنْ شاءَ اللَّهُ). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٤٢- ٣٤٣]

التفسير

المراد بالحاسد في الآية

قَالَ عَبْدُ الخَالِقِ بْنُ الحَسَنِ ابنُ أَبِي رُوبَا (ت:٣٥٦ هـ): حدَّثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ ثابتٍ الثَّورِيُّ، عن أبيه، عن الهُذَيْلِ بن حَبِيبٍ، عنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ البَلْخِيِّ (ت:١٥٠هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ يَعْنِي اليَهودَ حِينَ حَسَدوا النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٨/٣]

قالَ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ الفَرَّاءُ: (ت: ٢٠٧هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ يعني الذي سَحَرَه ؛ لَبيدٌ). [معاني القرآن: ٣٠١/٣]

قالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ (ت: ٢٨٣هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ يَعْنِي اليَهُودَ، حَسَدُوا النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم حَتَّى سَحَرُوهُ.

وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في هَذِهِ الآيَةِ: هُوَ نَفْسُ ابْنِ آدَمَ). [تفسير التستري: ٢١٠]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبٍ الدِّينَورِيُّ (ت: ٣٠٨هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ هو لَبيدُ بْنُ الأَعْصَمِ اليَهُودِيُّ الذي حَسَدَ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَتَسَبَّبَ في سَحْرِهِ وَأَخْذِهِ عن عَائِشَةَ، رَضِيَ الله عنها). [الواضح: ٥٢٧/٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (وقولُه: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾. اخْتَلَفَ أهلُ التأويلِ في الحاسِدِ الذي أُمِرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يَسْتَعِيذَ من شَرِّ حَسَدِهِ به، فقَالَ بَعْضُهُم: ذلك كلُّ حاسِدٍ أُمِرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يَسْتَعِيذَ مِن شَرِّ عَيْنِه ونَفْسِه.

ذِكْرُ مَن قالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا ابنُ عبدِ الأعلى، قالَ: ثَنَا ابنُ ثَوْرٍ، عن مَعْمَرٍ، عن قَتَادَةَ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ قالَ: من شرِّ عَيْنِه ونَفْسِه، وعن عَطَاءٍ الخُرَاسَانِيِّ مثلُ ذلك.

قالَ مَعْمَرٌ: وسَمِعْتُ ابنَ طَاوسٍ يُحَدِّثُ عن أبيه، قالَ: العينُ حَقٌّ، ولو كانَ شيءٌ سابقَ القَدَرِ، سَبَقَتْهُ العيْنُ، وإذا اسْتُغْسِلَ أَحَدُكُم فلْيَغْتَسِلْ.

وقالَ آخَرُونَ: بل أُمِرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه الآيةِ أَنْ يَسْتَعِيذَ مِن شرِّ اليهودِ الذين حَسَدُوه.

ذِكْرُ مَن قالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنِي يُونُسُ، قالَ: أَخْبَرَنَا ابنُ وَهْبٍ، قالَ: قالَ ابنُ زَيْدٍ في قَوْلِهِ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ قالَ: يهودَ، لم يَمْنَعْهُم أن يُؤْمِنُوا به إلا حَسَدُهم.

وأَوْلَى القَوْلَيْنِ بالصَّوَاب في ذلك، قولُ مَن قالَ: أُمِرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يَسْتَعِيذَ مِن شرِّ كلِّ حاسِدٍ إذَا حَسَدَ، فعابَه أو سَحَرَه، أو بَغَاهُ سُوءًا.

وإنَّما قُلنا: ذلك أوْلى بالصواب؛ لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لم يَخْصُصْ مِن قولِهِ: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ حاسدًا دونَ حاسِدٍ، بلْ عَمَّ أمْرُهُ إيَّاه بالاسْتِعاذَةِ مِن شرِّ كلِّ حاسِدٍ، فذلك على عُمُومِهِ). [جامع البيان: ٢٤/٧٥١-٧٥٢]

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النحَّاسُ (ت: ٣٣٨هـ): (﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ قالَ ابنُ زَيْدٍ: هم اليهودُ، وقالَ غيرُه: هو لَبيدُ بنُ أَعْصَمَ، وبَنَاتُه هن السَّوَاحِرُ.

قالَ أبو جَعْفرٍ: أَوْلَى ما قِيلَ في هذا قولُ قَتَادَةَ، قالَ: هو لكُلِّ من). [إعراب القرآن: ٥/٣١٤] [هكذا هي الجملة في المطبوع غير تامة]

قالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الجَصَّاصُ (ت: ٣٧٠هـ): (وَقَوْلُه تَعَالَى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ أَبِي الرَّبِيعِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ قَالَ: يَقُولُ: مِنْ شَرِّ عَيْنَيْهِ وَنَفْسِهِ). [أحكام القرآن: ٣/٦٤٩]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (ثم قالَ عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾. يعني: كُلَّ ذي حَسَدٍ؛ أرادَ به لَبيدَ بنَ أعصَمَ اليَهُودِيَّ، ويُقالُ: لَبيدُ بنُ عاصِمٍ). [بحر العلوم: ٣/٥٢٦]

قالَ يوسفُ بنُ عبدِ اللهِ ابنُ عبدِ البَرِّ النَّمَرِيُّ (ت: ٤٦٣هـ): (....قَالَ [ابنُ جُرَيْجٍ]: وَأَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ عَطَاءٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾. قَالَ: اللَّيْلُ فِي النَّهارِ، قَالَ: وَأَوَّلُهُ تُرْسَلُ فِيهِ عَفَارِيتُ الجِنِّ، فَلا يُشْفَى مُصَابٌ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ). [الاستذكار: ٢٧/٣٤]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾: يَعْنِي لَبيدًا الَّذِي سَحَرَهُ). [الوجيز: ٢/١٢٤٢]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾؛ يَعْنِي اليَهُودَ، حَسَدُوا النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [الوسيط: ٤/٥٧٤]

قالَ أَبُو المُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (وقولُه: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ الحسدُ هو تَمَنِّي زَوالِ النِّعمةِ عن المُنْعَمِ عليه، وقد ذَكَرْنا في الحَسَدِ أشياءَ مِن قبلُ، وقيلَ: مِن شَرِّ حاسدٍ إذا حَسَدَ، أي: إذا ظَلَمَ). [تفسير القرآن: ٦/٣٠٧]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ يعني اليهودَ؛ فإنهم كانوا يَحْسُدُونَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [معالم التنزيل: ٧٢٦]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (﴿إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾: أي: إذا ظَهَرَ حَسَدُه وعَمِلَ بمُقْتَضاهُ؛ مِن بَغْيِ الغوائلِ للمحسودِ؛ لأنه إذا لَمْ يَظْهَرْ أَثَرُ ما أَضْمَرَهُ فلا ضَرَرَ يَعودُ منه على مَن حَسَدَه، بل هو الضارُّ لنفسِه؛ لاغْتِمَامِه بسُرورِ غيرِه.

وعن عُمرَ بنِ عبدِ العزيزِ: لَمْ أرَ ظالِمًا أَشْبَهَ بالمظلومِ مِن حاسِدٍ.

ويَجوزُ أنْ يُرَادَ بشرِّ الحاسدِ إثمُهُ، وسَمَاجَةُ حالِه في وقتِ حَسَدِهِ، وإظهارُه أثَرَه). [الكشاف: ٦/٤٦٦]

قالَ عَبْدُ الحقِّ بنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (وقولُه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

قالَ قَتَادَةُ: مِن شرِّ عينِه ونفسِه.

يُريدُ السعيَ الخبيثَ والإذايةَ كيفَ قَدَرَ؛ لأنَّه عدوٌّ مُجِدٌّ مُمْتَحَنٌ، وقالَ الشاعرُ:

كُلُّ العَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتَتُهَا ... إلاَّ عَدَاوَةَ مَن عَادَاكَ مِنْ حَسَدِ

وعينُ الحاسدِ في الغالب لاقِفَةٌ، نعوذُ باللَّهِ عَزَّ وجَلَّ مِن شرِّها، وقالَ الشاعرُ:

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ... طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ

والحسدُ في الاثنتيْن اللتيْن قالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسدٌ مُسْتَحْسَنٌ غيرُ ضارٍّ، وإنما هو باعِثٌ على خيرٍ). [المحرر الوجيز: ١٥/٦١١- ٦١٢]

قَالَ أبو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ﴾، يعني اليهودَ، حَسَدُوا رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ). [زاد المسير: ٩/٢٧٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (قولُه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ مِن المَعْلُومِ أَنَّ الحَاسِدَ هو الذي تَشْتَدُّ مَحَبَّتُه لإزالَةِ نِعْمَةِ الغَيْرِ إليه، ولا يَكَادُ يكونُ كذلك إلا ولو تَمَكَّنَ مِن ذلك بالحِيَلِ لفعَلَ، فلذلك أَمَرَ اللَّهُ بالتَّعَوُّذِ منه.

وقَدْ دَخَلَ في هذه السورةِ كلُّ شَرٍّ يُتوقَّى ويُتَحَرَّزُ منه دِينًا ودُنْيَا، فلذلك لَمَّا نَزَلَتْ فَرِحَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بنُزُولِهَا لكونِها مَعَ مَا يَلِيهَا جَامِعَةً في التَّعَوُّذِ لكلِّ أَمْرٍ.

ويَجُوزُ أَنْ يُرادَ بشَرِّ الحَاسِدِ إثْمُه وسَمَاجَةُ حالِه في وقتِ حَسَدِه وإظْهَارُه أَثَرَه). [التفسير الكبير: ٣٢/١٧٩]

قالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ﴾: مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ وعَيْنِهِ أَنْ يُصِيبَ بِهَا، أَوْ لأنَّ حَسَدَهُ يَحْمِلُهُ على الأَذَى). [تفسير القرآن: ٣/٥١١]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (ويَجوزُ أنْ يُرادَ بالغاسِقِ ما يَخْلُو عن النورِ وما يُضاهِيهِ كالقُوَى، وبالنَّفَّاثَاتِ النَّبَاتَاتُ، فإنَّ قُواها النباتيَّةَ من حيث إنها تَزيدُ في طُولِها وعَرْضِها وعُمْقِها، كأنها تَنْفُثُ في العُقَدِ الثلاثةِ، وبالحاسِدِ الحيوانُ فإنه إنما يَقْصِدُ غيرَه غالبًا طَمَعًا فيما عندَه، ولعل إفرادَها من عالِمِ الخَلْقِ لأنها الأسبابُ القريبةُ للمَضَرَّةِ). [أنوار التنزيل: ٢/١١٨٠]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾: الحَاسِدُ هُوَ الَّذِي يَتَمَنَّى زَوَالَ نِعْمَةِ الغَيْرِ، وَرُبَّمَا يَكُونُ مَعَ ذَلِكَ سَعْيٌ؛ فلذلكَ أَمَرَ اللَّهُ تعالى بالتَّعَوُّذِ مِنْهُ، وَأَرَادَ بالحَاسِدِ هُنَا اليَهُودَ؛ فَإِنَّهُم كَانُوا يَحْسُدُونَ النبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، أَوْ لَبِيدَ بنَ الأَعْصَمِ وَحْدَهُ). [لباب التأويل: ٤/٥٠٢]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (والحاسِدُ: هو الذي تَشْتَدُّ مَحَبَّته لإزالةِ نِعْمَةِ الغَيْرِ إليهِ، حتى لو تَمَكَّنَ مِن ذلك بالحِيَلِ لَفعَلَ، فلذلك أمَرَ اللَّهُ رسولَه صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ بالتَعَوُّذِ منه). [غرائب القرآن: ٢٢٨/٣٠]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بشَرِّ الحاسدِ إِثْمُهُ وَسَماجةُ حالِهِ فِي وَقتِ حَسَدِهِ وَإِظْهارِ أثرِهِ. انْتَهَى). [البحر المحيط: ٧٦٣/٨]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصلٌ: الشرُّ الرابعُ: شَرُّ الحاسدِ إذا حَسَدَ، وقد دَلَّ القرآنُ والسنَّةُ على أن نفسَ حسَدِ الحاسدِ يُؤْذِي المحسودَ، فنفسُ حَسَدِه شَرٌّ يَتَّصِلُ بالمحسودِ من نفسِه وعينِه، وإن لم يُؤْذِه بيدِه ولا لسانِه، فإنَّ اللهَ - تعالى - قالَ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ فحقَّقَ الشرَّ منه عندَ صدورِ الحسَدِ، والقرآنُ ليس فيه لَفْظَةٌ مُهْمَلَةٌ.

ومعلومٌ أنَّ الحاسِدَ لا يُسَمَّى حاسدًا إلا إذا قامَ به الحَسَدُ، كالضارب والشاتِمِ والقاتلِ ونحوِ ذلك، ولكن قد يكونُ الرجُلُ في طَبْعِه الحسَدُ، وهو غافِلٌ عن المحسودِ لاهٍ عنه، فإذا خَطَرَ على ذِكْرِه وقَلْبِه انْبَعَثَت نارُ الحسَدِ من قَلْبِه إليه، ووُجِّهَتْ إليه سهامُ الحسَدِ مِن قِبَلِه، فيَتَأَذَّى المحسودُ بمُجَرَّدِ ذلك، فإن لم يَسْتَعِذْ باللهِ، ويَتَحَصَّنْ به، ويكونُ له أورادٌ من الأذكارِ والدعواتِ والتوجُّهِ إلى اللهِ والإقبالِ عليه، بحيثُ يُدْفَعُ عنه من شَرِّه بمقدارِ تَوَجُّهِه وإقبالِه على اللهِ، وإلا نالَه شَرُّ الحاسدِ ولا بُدَّ، فقولُه تعالى: ﴿إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ بيانٌ لأنَّ شَرَّه إنما يَتحقَّقُ إذا حَصَلَ منه الحَسَدُ بالفِعْلِ). [بدائع الفوائد: ٢٢٨/٢]

قالَ ابْنُ المُلَقِّنِ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٨٠٤هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ﴾ وهو لَبِيدٌ الذي حسَدَ الرسولَ فسَحَرَه.

وقيلَ: عَنَى به جَمِيعَ اليهودِ). [تفسير غريب القرآن: ٦٠٤]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزآبادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (**أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ الثِّقَةُ ابْنُ المَأْمُونِ الهَرَوِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا أَبِي، قالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ، قال: أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللهِ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَمَّارُ بْنُ عَبْدِ المَجِيدِ الهَرَوِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ السَّمَرْقَنْدِيُّ، عن مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنِ الكَلْبِيِّ، عن أَبي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:** (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ لَبِيدِ بْنِ الأَعْصَمِ اليَهُودِيِّ إِذَا حَسَدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَحَرَهُ وَأَخَذَهُ عَنْ عَائِشَةَ). [تنوير المقباس: ٦٠٤]

قالَ جَلالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ المَحَلِّيِّ (ت: ٨٦٤هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ أَظْهَرَ حَسَدَهُ وعَمِلَ بمُقْتَضَاهُ، كَلَبِيدٍ المذكورِ من اليهودِ الحَاسِدِينَ للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [تفسير الجلالين: ٦٠٤]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبِيُّ (ت: ٨٧٥ هـ): (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾. قَالَ قَتَادَةُ: مِنْ شَرِّ عَيْنِهِ وَنَفْسِهِ، يُرِيدُ بالنفسِ السَّعْيَ الخَبِيثَ). [الجواهر الحسان: ٦٤١/٥]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَلَمَّا كانَ أَعْظَمُ حَامِلٍ على السحرِ وَغيْرِهِ مِنْ أَذَى الناسِ الحَسَدَ، وَهُوَ تَمَنِّي زَوَالِ نِعْمَةِ المَحْسُودِ:

وَدَارَيْـتُ كُـلَّ النَّـاسِ إلاَّ لِحَاسِـدٍ ... مُدَارَاتُـهُ عَـزَّتْ وَشَـقَّ نَوَالُهَـا

وَكَيْـفَ يُـدَارِي المَـرْءُ حَاسِـدَ نِعْمَـةٍ ... إِذَا كَـانَ لا يُرْضِـيهِ إلاَّ زَوَالُهَـا

قالَ تَعالَى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ﴾ أيْ: ثَابتِ الاتِّصَافِ بالحسدِ مُعْرِقٍ فيهِ، وَنَكَّرَهُ لأنَّهُ ليسَ كلُّ حَاسِدٍ مَذْمُومًا، وَأعظمُ الحَسَدَةِ الشَّيْطَانُ الذي ليسَ لهُ دأبٌ إلاَّ السعيُ في إزالةِ نِعَمِ العباداتِ عَنِ الإنسانِ بالغَفَلاتِ). [نظم الدرر: ٨/٦٠٦]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الحَسَنِ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾. يَعْنِي اليَهُودَ؛ هُمْ حَسَدَةُ الإِسْلامِ). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٢]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾. قَالَ: نَفْسِ ابْنِ آدَمَ وَعَيْنِهِ). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٢]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ قَتَادَةَ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾. قَالَ: مِنْ شَرِّ عَيْنِهِ وَنَفْسِهِ). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٢- ٨٠٣]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ): (قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ وعَطَاءٌ: (مِنْ نَفْسِ ابنِ آدَمَ وعَيْنِهِ). أَخْرَجَهُ ابنُ أبي حَاتِمٍ، ففيهِ أَنَّ العَيْنَ حَقٌّ، وفِي السُّورَةِ استِحْبَابُ التَّعَوُّذِ مِمَّا ذُكِرَ فِيهَا). [الإكليل: ٣/١٣٥٩]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ﴾ أيْ: ثابتِ الاتِّصافِ بالحَسَدِ معروفٍ فيهِ، وأعظمُ الحُسَّادِ الشَّيطانُ الَّذِي ليسَ لهُ دأبٌ إلا السَّعْيُ في إزالةِ نِعَمِ العباداتِ عنِ الإنسانِ بالغَفَلاتِ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٤]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وَقِيلَ: المُرادُ بالحَاسِدِ في الآيَةِ اليَهودُ فإنَّهمْ كانوا يَحسُدونَ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلمَ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٤]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّاب التَّمِيمِيُّ (ت: ١٢٠٦ هـ): (﴿شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ وَهَذَا يَعُمُّ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتَهُ؛ لأَنَّهُمْ أَعْظَمُ الحُسَّادِ لِبَنِي آدَمَ أَيْضًا). [مجموع مؤلفاته/التفسير: ٢٨٣]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ المنذرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ في قولِهِ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾. قَالَ: نَفْسِ ابنِ آدمَ وَعَيْنِهِ. ا هـ). [فتح القدير: ٥/٧٦١]

قالَ مُحمَّد عَبْدُه المصريُّ (ت: ١٣٢٣هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ الحاسِدُ الَّذي يَتمَنَّى زَوالَ نِعمَةِ مَحْسودِهِ، ولا يَرْضَى أنْ تَتجَدَّدَ له نِعْمَةٌ، وهو إذا حَسَدَ - أي: أَنْفَذَ حَسَدَهُ وحَقَّقَهُ بالسَّعْيِ والجِدِّ في إزالَةِ نِعْمَةِ مَن يَحْسُدُهُ - من أَشَدِّ خَلْقِ اللهِ أَذًى، ومن أَخْفاهُم حِيلَةً وأَدَقِّهم وَسِيلَةً، ولَيْسَ في طاقَةِ مَحْسودِهِ إرْضَاؤُهُ بوَجْهٍ مِنَ الوُجوهِ، ولا في استِطاعَتِهِ الوُقوفُ على ما يُدَبِّرُهُ مِنَ المَكايِدِ، فلا مَلْجَأَ منه إلاَّ إلى اللهِ وَحْدَهُ، فهو القادِرُ على كَفِّ أذاهُ وإحْباطِ سَعْيِهِ، وَقَانا اللهُ شَرَّ الحاسِدِينَ، وكَفَّ عَنَّا كَيْدَ الكائِدِينَ، واللهُ أَعْلَمُ). [تفسير جزء عم: ١٨٧]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ أَيْ وَنَسْتَعِيذُ بكَ رَبَّنَا مِن شَرِّ الحَاسِدِ إِذَا أَنْفَذَ حَسَدَهُ، بالسَّعْيِ والجِدِّ فِي إِزَالَةِ نِعْمَةِ مَنْ يَحْسُدُهُ، فَهُوَ يُعْمِلُ الحِيلَةَ، وَيَنْصِبُ شِبَاكَهُ لإيقاعِ المَحْسُودِ فِي الضَّرَرِ، بأَدَقِّ الوَسَائِلِ، ولا يُمْكِنُ إرْضَاؤُهُ، ولا فِي الاسْتِطَاعَةِ الوُقُوفُ عَلَى ما يُدَبِّرُهُ، فَهُوَ لا يَرْضَى إلا بزَوَالِ النِّعْمَةِ، وَلَيْسَ فِي الطَّوْقِ دَفْعُ كَيْدِهِ، وَرَدُّ عَوَادِيهِ، فَلَمْ يَبْقَ إلا أَنْ نَسْتَعِينَ عليه بالخَالِقِ الأَكْرَمِ، فَهُوَ القَادِرُ عَلَى رَدِّ كَيْدِهِ، وَدَفْعِ أَذَاهُ، وإِحْبَاطِ سَعْيِهِ.

نَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ وَأَنْتَ الوَزَرُ والنَّصِيرُ، أَنْ تَقِيَنَا أَذَى الحَاسِدِينَ، وَتَدْفَعَ عَنَّا كَيْدَ الكَائِدِينَ، إِنَّكَ أَنْتَ المَلْجَأُ وَالمُعِينُ). [تفسير المراغي: ٣٠/٢٦٨- ٢٦٩]

قالَ مُحمَّد صِدِّيق حسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وَعن ابْنِ عَبَّاسٍ في قولِهِ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾. قالَ: نَفْسِ ابنِ آدمَ وَعَيْنِهِ). [فتح البيان: ١٥/٤٦٢]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ نَاصِرٍ السَّعْدِيُّ (ت: ١٣٧٦هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ والحاسدُ: هو الذي يُحِبُّ زَوَالَ النِّعمةِ عن المَحْسودِ، فيَسْعَى في زَوالِها بما يَقْدِرُ عليه مِن الأسبابِ، فاحْتِيجَ إلى الاستعاذةِ باللَّهِ مِن شَرِّهِ وإبطالِ كَيْدِه، ويَدْخُلُ في الحاسدِ العاينُ؛ لأنَّه لا تَصْدُرُ العينُ إلاَّ مِن حاسدٍ شِرِّيرِ الطبعِ خَبيثِ النَّفْسِ). [تيسير الكريم الرحمن: ٤/٢٠٠١]

قالَ مُحمَّدُ بنُ سُلَيْمَانَ الأَشْقَرُ (ت:١٤٣٠هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ الحَسَدُ: تَمَنِّي زَوالِ النِّعْمَةِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بهَا عَلَى المَحْسُودِ). [زبدة التفسير: ٦٠٤]

■ تنبيه:

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصلٌ: وقولُه: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ يَعُمُّ الحاسدَ من الجِنِّ والإنسِ؛ فإنَّ الشيطانَ وحِزْبَه يَحْسُدُون المؤمنينَ على ما آتاهُم اللهُ من فَضْلِه، كما حَسَدَ إبليسُ أَبَانَا آدمَ وهو عَدُوٌّ لذُرِّيَّتِه، كما قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] ولكنَّ الوَسواسَ أخصُّ بشياطينِ الجِنِّ، والحسَدَ أَخَصُّ بشياطينِ الإنْسِ، والوَسْوَاسُ يَعُمُّهما كما سيأتي بيانُهما، والحسَدُ يَعُمُّها أيضًا، فَكِلا الشيطانَيْنِ حاسدٌ مُوَسْوِسٌ، فالاستعاذةُ من شرِّ الحاسِدِ تَتَناوَلُهما جميعًا). [بدائع الفوائد: ٢/٢٣٥]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ التَّمِيمِيُّ (ت: ١٢٠٦ هـ): (﴿شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ وَهَذَا يَعُمُّ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتَهُ؛ لأَنَّهُمْ أَعْظَمُ الحُسَّادِ لِبَنِي آدَمَ أَيْضًا). [مجموع مؤلفاته/التفسير: ٢٨٣]

معنى قوله: (إذا حسد)

قالَ مَحْمُودُ بنُ حَمْزَةَ بنِ نَصرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (قَوْلُهُ: ﴿حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ أيْ: إذا ظَهَرَ حَسَدُه؛ لأنَّ حَسَدَ الحاسِدِ لا يَضُرُّ إلا إذا ظَهَرَ منه ذلك بفِعْلٍ أو قَوْلٍ). [غرائب التفسير: ١٤١٣/٢]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (﴿إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾: أي: إذَا ظَهَرَ حَسَدُه وعَمِلَ بمُقْتضاهُ؛ مِن بَغْيِ الغوائلِ للمحسودِ؛ لأنه إذا لَمْ يَظْهَرْ أَثَرُ ما أَضْمَرَهُ فلا ضَرَرَ يَعودُ منه على مَن حَسَدَه، بل هو الضارُّ لنفسِه؛ لاغْتِمَامِه بسُرورِ غيرِه.

وعن عُمرَ بنِ عبدِ العزيزِ: لَمْ أرَ ظالِمًا أَشْبَهَ بالمظلومِ مِن حاسِدٍ.

ويَجوزُ أنْ يُرادَ بشرِّ الحاسدِ إِثْمُهُ، وسَمَاجَةُ حالِه في وقتِ حَسَدِهِ، وإظهارُه أَثَرَه). [الكشاف: ٤٦٦/٦] (م)

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (قالَ العلماءُ: الحاسِدُ لا يَضُرُّ إلاَّ إذا ظَهَرَ حَسَدُه بفِعْلٍ أو قَوْلٍ، وذلك بأنْ يَحْمِلَه الحسَدُ على إيقاعِ الشَّرِّ بالمَحْسُودِ، فيَتْبَعُ مَسَاوِئَه، ويَطْلُبُ عَثَرَاتِهِ.

قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا حَسَدْتَ فَلا تَبْغِ...» الحديثَ. وقد تَقَدَّمَ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٩/٢٠]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ إذا أَظْهَرَ حَسَدَهُ وعَمِلَ بمُقتضاهُ، فإنه لا يَعودُ ضَرَرٌ منه قبلَ ذلك إلى المحسودِ، بل يُخَصُّ به لاغتمامِه بسرورِه، وتخصيصُه لأنه العُمْدَةُ في إضرارِ الإنسانِ بل الحيوانِ غيرَه). [أنوار التنزيل: ١١٨٠/٢]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾: أيْ: إذا ظَهَرَ حَسَدُه وعَمِلَ بمُقْتضاهُ؛ لأنَّه إذا لم يَظْهَرْ فلا ضَرَرَ يَعودُ منه على مَن حَسَدَه، بل هو الضارُّ لنَفسِه؛ لاغْتِمامِه بسُرورِ غيرِه، وهو الأسَفُ على الخيرِ عندَ الغيرِ). [مدارك التنزيل: ٢٠١٣/٣- ٢٠١٤]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (وفَائِدَةُ الظَّرْفِ وَهُوَ قَوْلُه: ﴿إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ أَنَّهُ لا يُستعاذُ مِن الحاسدِ مِن جِهاتٍ أُخْرَى، ولكنْ مِن هذهِ، ولو جُعِلَ الحاسِدُ بمعنَى الغَابطِ أو لمعنًى أَعَمَّ، وقولُه: ﴿حَسَدَ ۝٥﴾ بالمعنَى المذمومِ - كانَ لَهُ وَجْهٌ). [غرائب القرآن: ٢٢٩/٣٠]

قَالَ عَبْدُ البَاقِي بْنُ عَبدِ المَجِيدِ القُرَشِيُّ اليَمَانِيُّ (ت: ٧٤٣هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ والمَعْنَى: إذا أَظْهَرَهُ، وإِنْ لم يُظْهِرْهُ فلا يَعُودُ ضَرَرُهُ على المَحْسُودِ، وإنَّما هو الضَّارُّ لنَفْسِهِ لاغْتِمامِهِ بسُرورِ غَيْرِهِ). [الترجمان: ٢٣٤]

قالَ أَبُو حيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَكذلكَ الحاسدُ لا يُؤَثِّرُ حَسَدُهُ إلا إذا أَظْهَرَهُ بأَنْ يَحْتَالَ للمحسودِ فيما يُؤْذِيهِ، أَمَّا إِذا لم يَظْهَر الحسدُ فإِنَّمَا يَتَأَذَّى بِهِ هوَ لا المَحْسُودُ لاغتمامِهِ بنعمةِ غيرِهِ). [البحر المحيط: ٧٦٣/٨]

قالَ أَبُو حيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَالحَاسِدُ لا يُؤَثِّرُ حَسَدُهُ إلاَّ إِذَا أَظْهَرَهُ بأَنْ يَحْتَالَ لِلْمَحْسُودِ فِيمَا يُؤْذِيهِ، أَمَّا إِذَا لَمْ يُظْهِرِ الحَسَدَ فَمَا يَتَأَذَّى بِهِ إِلاَّ الحَاسِدُ لاغْتِمَامِهِ بِنِعْمَةِ غَيْرِهِ). [النهر الماد: ١٣١٩]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصلٌ: الشرُّ الرابعُ: شَرُّ الحاسدِ إذا حَسَدَ، وقد دَلَّ القرآنُ والسنَّةُ على أن نَفْسَ حسَدِ الحاسدِ يُؤْذِي المحسودَ، فنَفْسُ حَسَدِه شَرٌّ يَتَّصِلُ بالمحسودِ من نفسِه وعينِه، وإن لم يُؤْذِه بيدِه ولا لسانِه، فإنَّ اللهَ تعالى قالَ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ فحقَّقَ الشرَّ منه عندَ صدورِ الحسَدِ، والقرآنُ ليس فيه لَفْظَةٌ مُهْمَلَةٌ.

ومعلومٌ أنَّ الحاسِدَ لا يُسَمَّى حاسدًا إلا إذا قامَ به الحَسَدُ، كالضاربِ والشاتِمِ والقاتلِ ونحوِ ذلك، ولكن قد يكونُ الرجُلُ في طَبْعِه الحسَدُ، وهو غافِلٌ عن المحسودِ لاهٍ عنه، فإذا خَطَرَ على ذِكْرِه وقَلْبِه انْبَعَثَت نارُ الحسَدِ من قَلْبِه إليه، ووُجِّهَتْ إليه سهامُ الحسَدِ مِن قِبَلِه، فيَتَأَذَّى المحسودُ بمُجَرَّدِ ذلك، فإن لم يَسْتَعِذْ باللهِ، ويَتَحَصَّنْ به، ويكونُ له أورادٌ من الأذكارِ والدعواتِ والتوجُّهِ إلى اللهِ والإقبالِ عليه، بحيثُ يُدْفَعُ عنه من شَرِّه بمقدارِ تَوَجُّهِه وإقبالِه على اللهِ، وإلا نالَه شَرُّ الحاسِدِ ولا بُدَّ، فقولُه تعالى: ﴿إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ بيانٌ لأنَّ شَرَّه إنما يَتَحَقَّقُ إذا حَصَلَ منه الحَسَدُ بالفِعْلِ.

وقد تَقَدَّمَ في حديثِ أبي سعيدٍ الصحيحِ رُقْيَةُ جِبريلَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيها «باسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ» فهذا فيه الاستعاذةُ من شرِّ عينِ الحاسدِ، ومعلومٌ أنَّ عينَه لا تُؤَثِّرُ بمُجَرَّدِها، إذ لو نَظَرَ إليه نَظَرَ ساهٍ عنه، كما يَنْظُرُ إلى الأرضِ والجبَلِ وغيرِه لم يُؤَثِّرْ فيه شيئًا، وإنما إذا نَظَرَ إليه نَظَرَ مَن قد تَكَيَّفَتْ نفسُه الخبيثةُ وانْسَمَّتْ واحْتَدَّتَ فصارتْ نَفسًا غَضَبِيَّةً خَبيثةً حاسدةً أَثَّرَت بها تلك النظْرَةُ، فأَثَّرَتْ في المحسودِ تأثيرًا بحَسَبِ صفةِ ضَعْفِه وقُوَّةِ نفسِ الحاسِدِ، فربما أَعْطَبَه وأَهْلَكَه بمنزلةِ مَن فَوَّقَ سَهْمًا نحوَ رَجُلٍ عُريانٍ فأصابَ منه مَقْتلاً، وربُما صَرَعَه وأَمْرَضَهُ، والتجارِبُ عندَ الخاصَّةِ والعامَّةِ بهذا أَكثرُ من أن تُذْكَرَ.

وهذه العينُ إنما تأثيرُها بواسِطَةِ النفسِ الخبيثةِ، وهي في ذلك بمنزِلَةِ الحيَّةِ التي إنما يُؤَثِّرُ سُمُّها إذا عَضَّتْ واحْتَدَّتْ، فإنها تَتَكَيَّفُ بكيفيَّةِ الغَضَبِ والخُبْثِ، فتُحْدِثُ فيها تلك الكَيْفِيَّةُ السُّمَّ فتُؤَثِّرُ في المَلْسُوعِ.

ورُبَّما قَوِيَتْ تلك الكَيْفِيَّةُ واشْتَدَّتْ في نوعٍ منها حتى تُؤَثِّرَ بمجَرَّدِ نظرةٍ، فتَطْمِسُ البصرَ وتُسقِطُ الحَبَلَ، كما ذَكَرَه النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأَبْتَرِ وذي الطُّفْيَتَيْنِ منها وقالَ: «اقْتُلُوهُمَا فَإِنَّهُمَا يَطْمِسَانِ البَصَرَ وَيُسْقِطَانِ الحَبَلَ» فإذا كان هذا في الحيَّاتِ فما الظَّنُّ في النفوسِ الشِّرِّيرةِ الغَضَبيَّةِ الحاسدةِ، إذا تَكَيَّفَتْ بكَيْفِيَّتِها الغَضَبيَّةِ وانْسَمَّتْ وتَوَجَّهَتْ إلى المحسودِ بكَيْفِيَّتِها، فللهِ كَمْ مِن قَتيلٍ وكَمْ من سَلِيبٍ وكَمْ من مُعَافًى عادَ مُضْنًى على

فِراشِه يَقولُ طَبيبُه: لا أَعْلَمُ دَاءَه ما هو. فصَدَقَ ليس هذا الداءُ من عِلْمِ الطبائع، هذا من علْمِ الأرواحِ وصِفاتِها وكَيْفيَّاتِها ومعرفةِ تأثيراتِها في الأجسامِ والطبائعِ وانفعالِ الأجسامِ عنها، وهذا علْمٌ لا يَعْرِفُه إلا خَواصُّ الناسِ، والمحجوبون مُنْكِرون له، ولا يَعْلَمُ تأثيرَ ذلك وارتباطَه بالطبيعةِ وانفعالَها عنه إلا مَن له نصيبٌ من ذَوْقِه، وهل الأجسامُ إلا كالخشَبِ المُلْقَى، وهل الانفعالُ والتأثُّرُ وحُدُوثُ ما يَحْدُثُ عنها من الأفعالِ العَجيبةِ والآثارِ الغريبةِ إلا من الأرواحِ، والأجسامُ آلتُها بمنزِلةِ آلةِ الصانعِ، فالصنْعَةُ في الحقيقةِ له، والآلاتُ وسائطُ في وُصولِ أَثَرِه إلى الصُّنْعِ.

ومَن له أَدْنَى فِطْنَةٍ وتَأَمَّلَ أحوالَ العالَمِ، ولَطُفَتْ روحُه وشاهَدَتْ أحوالَ الأرواحِ وتأثيراتِها وتَحريكَها الأجسامَ وانفعالَها عنها، كلُّ ذلك بتقديرِ العزيزِ العليمِ خالِقِ الأسباب والمُسَبَّباتِ، رأى عجائبَ في الكونِ وآياتٍ دالَّةً على وَحدانيَّةِ اللهِ وعَظَمَتِه ورُبوبيَّتِه، وأنَّ ثَمَّ عالَمًا آخَرَ تَجْري عليه أحكامٌ أُخَرُ تَشهَدُ آثارُها، وأسبابُها غَيْبٌ عن الأبصارِ، فتَبَارَكَ اللهُ ربُّ العالمينَ وأَحْسَنُ الخالقينَ، الذي أَتْقَنَ ما صَنَعَ وأَحْسَنَ كلَّ شيءٍ خَلَقَه.

ولا نِسْبَةَ لعالَمِ الأجسامِ على عالَمِ الأرواحِ، بل هو أَعْظَمُ وأوسَعُ وعَجائبُه أَبْهَرُ، وآياتُه أَعْجَبُ، وتَأَمَّلْ هذا الهَيْكَلَ الإنسانيَّ إذا فارَقَتْهُ الروحُ كيف يَصيرُ بمنزِلةِ الخشَبَةِ أو القِطْعَةِ من اللحمِ، فأين ذَهَبَتْ تلك العُلومُ والمعارِفُ والعَقْلُ، وتلك الصنائعُ الغريبةُ، وتلك الأفعالُ العجيبةُ، وتلك الأفكارُ والتدبيراتُ، كيف ذَهَبَتْ كلُّها مع الروحِ، وبَقِيَ الهيكَلُ سواءٌ هو والترابُ، وهل يُخاطِبُكَ من الإنسانِ أو يَراكَ أو يُحِبُّكَ أو يُواليك أو يُعاديك، ويَخِفُّ عليك ويَثْقُلُ ويُؤْنِسُكَ ويُوحِشُكَ إلا ذلك الأمْرُ الذي وراءَ الهيكَلِ المُشاهَدِ بالبصَرِ، فرُبَّ رجُلٍ عظيمُ الهَيُولَى كبيرُ الجُثَّةِ خَفيفٌ على قَلْبِك حُلْوٌ عندَك، وآخَرَ لطيفُ الخِلْقَةِ صغيرُ الجُثَّةِ أَثْقَلُ على قَلْبِك من جَبَلٍ، وما ذاك إلا للطَافَةِ رُوحِ ذاك وخِفَّتِه وحَلاوتِها، وكَثَافَةِ هذا وغِلَظِ رُوحِه ومَرارتِها، وبالجُملةِ فالعلقُ والوَصْلُ التي بينَ الأشخاصِ والمُنافَرَاتُ والبُعْدُ إنما هي للأرواحِ أَصْلاً والأشباحِ تَبَعًا). [بدائع الفوائد: ٢/٢٢٨- ٢٣١]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصلٌ: وتَأَمَّلْ تَقييدَه سُبحانَه شَرَّ الحاسِدِ بقولِه: {إِذَا حَسَدَ} لأنَّ الرجُلَ قد يكونُ عندَه حَسَدٌ ولكن يُخْفِيه، ولا يُرَتِّبُ عليه أَذًى بوجْهٍ ما، لا بقَلْبِه، ولا بلسانِه، ولا بيدِه، بل يَجِدُ في قلبِه شيئًا من ذلك ولا يُعاجِلُ أخاه إلا بما يُحِبُّ اللهُ، فهذا لا يَكادُ يَخلُو منه أحَدٌ إلا مَن عَصَمَه اللهُ.

وقيلَ للحَسَنِ البَصريِّ: أَيَحْسُدُ المؤمنُ؟ قالَ: ما أنساكَ إخوةَ يُوسُفَ؟ لكنَّ الفرْقَ بينَ القوَّةِ التي في قَلْبِه من ذلك وهو لا يُطيعُها ولا يَأْتَمِرُ لها، بل يَعصيها طاعةً للهِ وخَوْفًا وحَياءً منه وإجلالاً له، أن يَكرَهَ نِعَمَه على عِبادِه، فَيَرَى ذلك مُخالَفَةً للهِ وبُغضًا لِمَا يُحِبُّه اللهُ، ومَحبَّةً لِمَا يُبْغِضُه، فهو يُجاهِدُ نفسَه على دفْعِ ذلك، ويُلزِمُها بالدعاءِ للمَحسودِ وتَمَنِّي زيادةِ الخيرِ له، بخِلافِ ما إذا حَقَّقَ ذلك وحَسَدَ ورُتِّبَ على حَسَدِه مُقتضاهُ من الأَذَى بالقلْبِ واللسانِ والجوارِحِ، فهذا الحَسَدُ المذمومُ، هذا كلُّه حَسَدُ تَمَنِّي الزوالِ). [بدائع الفوائد: ٢/٢٣٦- ٢٣٧]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ سُلَيْمَانَ بْنِ رَيَّانَ (ت: ٧٧٠هـ): (**سُؤَالٌ**: ما الفائدةُ في قولِه: ﴿إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾؟

جَوَابٌ: معْنَى ﴿إِذَا حَسَدَ ۝﴾ إذا ظَهَرَ حَسَدُهُ وعَمِلَ بمُقْتَضَاهُ، فإنه لا يعودُ ضَرَرُهُ منه قبلَ ذلك إلى المحْسُودِ، بل يختصُّ به لاغتِمَامِهِ بسُرُورِهِ). [الروض الريان: ٦٤٩/٣]

قالَ جَلالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ المَحلِّيُّ (ت: ٨٦٤هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾ أَظْهَرَ حَسَدَهُ وعَمِلَ بمُقْتَضَاهُ). [تفسير الجلالين: ٦٠٤] (م)

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (ولَمَّا كانَ الضَّارُّ مِنَ الحَسَدِ إِنَّمَا هوَ ما أُظْهِرَ وعُمِلَ بمُقْتَضَاهُ بالإصابةِ بالعينِ أَوْ غيرِها، قَالَ مُقيِّدًا لهُ: ﴿إِذَا حَسَدَ ۝﴾. أيْ: حَسَدَ بالفعلِ بعَيْنِهِ الحاسدةِ، وَأَمَّا إذا لمْ يُظْهِرِ الحسدَ فإِنَّهُ لا يَتَأَذَّى بِهِ إلاَّ الحَاسِدُ لاغتمامِهِ بنِعْمَةِ غَيْرِهِ). [نظم الدرر: ٦٠٦/٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الإِيجِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت: ٩٠٥ هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾: إذا أَظْهَرَ حَسدَهُ، وعَمِلَ بمُقْتَضَاهُ، فإنه إذا لم يَظْهَرْ أَثَرُ ما أَضْمَرَ، فلا ضَرَرَ منه إلا على نفسِهِ لاغتمامِهِ وهَمِّهِ). [جامع البيان: ٥٤٦/٤]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (ثمَّ قيَّدَ ذلكَ بقولِهِ تَعالَى: ﴿إِذَا حَسَدَ ۝﴾ أيْ: إذا ظَهَرَ حسَدُهُ وعَمِلَ بمقتضاهُ منْ بغيِ الغَوائلِ للمحسودِ؛ لأَنَّهُ إذا لمْ يَظْهَرْ أثرُ ما أَضْمَرَ فلا ضَرَرَ يَعُودُ منهُ على مَن حَسَدَهُ، بَلْ هوَ الضَّارُّ لنَفسِهِ لاغتمامِهِ بسُرورِ غيرِهِ، وعنْ عُمرَ بنِ عبدِ العزيزِ: لمْ أرَ ظالِمًا أشبهَ بالمظلومِ مِن حاسدٍ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٤]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾؛ أَيْ: إِذَا أَظْهَرَ مَا فِي نَفْسِهِ مِن الحسدِ، وعَمِلَ بمُقْتَضَاهُ بترْتِيبِ مُقَدِّمَاتِ الشَّرِّ ومَبَادِئِ الأضرارِ بالمحسودِ قَوْلاً أَوْ فِعْلاً، والتقييدُ بذَلِكَ لِمَا أَنَّ ضَرَرَ الحسدِ قَبْلَهُ إِنَّمَا يَحِيقُ بالحَاسِدِ لا غَيْرُ). [إرشاد العقل السليم: ٢١٥/٧]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ التَّمِيمِيُّ (ت: ١٢٠٦ هـ): (قَوْلُهُ: ﴿إِذَا حَسَدَ ۝﴾؛ لأَنَّ الحَاسِدَ إِذَا أَخْفَى الحَسَدَ وَلَمْ يُعَامِلْ أَخَاهُ إِلاَّ بمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ لَمْ يَضُرَّهُ، وَلَمْ يَضُرَّ المَحْسُودَ). [مجموع مؤلفاته/التفسير: ٢٨٣]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾. الحسدُ: تَمَنِّي زَوَالِ النعمةِ التي أَنْعَمَ اللَّهُ بها على المحسودِ، ومَعْنَى ﴿إِذَا حَسَدَ ۝﴾ إذا أَظْهَرَ ما في نفسِهِ مِنَ الحسدِ، وعَمِلَ بمُقْتَضَاهُ، وَحَمَلَهُ الحسدُ على إيقاعِ الشرِّ بالمحسودِ.

قَالَ عمرُ بْنُ عَبْدِ العزيزِ: لَمْ أَرَ ظَالِمًا أَشْبَهَ بالمظلومِ مِنْ حاسدٍ. وَقَدْ نَظَمَ الشاعرُ هذا المعنَى فَقَالَ:

قُلْ لِلْحَسُودِ إِذَا تَنَفَّسَ طَعْنَةً ... يَا ظَالِمًا وَكَأَنَّهُ مَظْلُومُ). [فتح القدير: ٧٥٩/٥]

قالَ أَبُو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾ أي: إذا أَظْهَرَ ما في نفسِهِ مِنَ الحَسَدِ وعَمِلَ بمُقتضاهُ بترتيبِ مُقَدِّماتِ الشرِّ ومَبادِئِ الإضرارِ بالمحسودِ قولاً وفعلاً، ومِن ذلك على ما قِيلَ النظرُ إلى المحسودِ وتوجيهُ نفسِهِ الخبيثةِ نحوَهُ على وجهِ الغضبِ، فإنَّ نفسَ الحاسدِ حِينَئذٍ تَتَكَيَّفُ

بكيفيَّةٍ خَبيثةٍ ربما تُؤَثِّرُ في المحسودِ بحَسَب ضَعْفِه وقُوَّةِ نفسِ الحاسدِ شرًّا قد يَصِلُ إلى حَدِّ الإهلاكِ، ورُبَّ حاسدٍ يُؤْذِي بنظرِه بعينِ حَسَدِه نحوَ ما يُؤْذِي بُعْدُ الحيَّاتِ بنظَرِهِنَّ). [روح المعاني: ٢٩/ ٢٨٤]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾، أيْ: إذَا أَظْهَرَ مَا فِي نَفْسِهِ مِنَ الحَسَدِ، وعَمِلَ بمُقْتَضَاهُ كَتَهْيِئَةِ مَبَادِئِ الإِضْرَارِ بالمحسُودِ قَوْلاً أو فِعْلاً). [مراح لبيد: ٢/ ٦٨٢]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المِصريُّ (ت: ١٣٢٣هـ): (إذا حَسَدَ: أي: أَنْفَذَ حَسَدَهُ وحَقَّقَهُ بالسَّعْيِ والجِدِّ في إزالَةِ نِعْمَةِ مَن يَحْسُدُهُ). [تفسير جزء عم: ١٨٧]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ قالَ الزمخشريُّ: أيْ إذا أَظْهَرَ حَسَدَهُ وعَمِلَ بمُقتضاهُ مِنْ بَغْيِ الغوائلِ للمحسودِ؛ لأنَّهُ إذا لم يَظْهَرْ أثرُ ما أَضْمَرَهُ فلا ضَرَرَ يعودُ منه على مَنْ حَسَدَهُ، بلْ هوَ الضارُّ لنَفْسِهِ؛ لاغتمامِهِ بسُرورِ غيرِهِ). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٨]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ أَيْ وَنَسْتَعِيذُ بكَ رَبَّنَا مِن شَرِّ الحَاسِدِ إِذَا أَنْفَذَ حَسَدَهُ، بالسَّعْيِ والجِدِّ فِي إِزَالَةِ نِعْمَةِ مَنْ يَحْسُدُهُ، فَهُوَ يُعْمِلُ الحِيلَةَ، وَيَنْصِبُ شِبَاكَهُ لإِيقَاعِ المَحْسُودِ فِي الضَّرَرِ، بِأَدَقِّ الوَسَائِلِ، ولا يُمْكِنُ إرْضَاؤُهُ، ولا فِي الاسْتِطَاعَةِ الوُقُوفُ عَلَى ما يُدبرُهُ، فَهُوَ لا يَرْضَى إلا بزَوَالِ النِّعْمَةِ، وَلَيْسَ فِي الطَّوْقِ دَفْعُ كَيْدِهِ، وَرَدُّ عَوَادِيهِ، فَلَمْ يَبْقَ إلا أَنْ نَسْتَعِينَ عليه بالخَالِقِ الأَكْرَمِ، فَهُوَ القَادِرُ عَلَى رَدِّ كَيْدِهِ، وَدَفْعِ أَذَاهُ، وإِحْبَاطِ سَعْيِهِ.

نَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ وَأَنْتَ الوَزَرُ والنَّصِيرُ أَنْ تَقِيَنَا أَذَى الحَاسِدِينَ، وَتَدْفَعَ عَنَّا كَيْدَ الكَائِدِينَ، إِنَّكَ أَنْتَ المَلْجَأُ وَالمُعِينُ). [تفسير المراغي: ٣٠/ ٢٦٨- ٢٦٩] (م)

قالَ مُحَمَّدُ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وتَقييدُ الاستعاذةِ مِن شَرِّهِ بوَقْتِ ﴿إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾؛ لأنه حِينَئذٍ يَندَفِعُ إلى عمَلِ الشرِّ بالمحسودِ حينَ يَجيشُ الحسَدُ في نفْسِه، فتَتَحَرَّكُ له الحِيَلُ والنَّوَايَا لإلحاقِ الضُّرِّ به، والمرادُ مِنَ الحسَدِ في قولِه: ﴿إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ حسَدٌ خاصٌّ، وهو البالغُ أشَدَّ حقيقتِه، فلا إشكالَ في تقييدِ الحسَدِ بـ﴿حَسَدَ ۝٥﴾، وذلك قولُ عمرِو بنِ معْدِيكَرِب:

وبَــدَتْ لَمِــيسُ كأنَّهَــا ... بَــدْرُ الــسَّمَاءِ إذا تَبَــدَّى

أيْ: تَجَلَّى واضِحًا مُنيرًا). [التحرير والتنوير: ٣٠/ ٦٣٠]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (ومَعْنَى ﴿إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾: إذا أَظْهَرَ ما في نفسِهِ مِنَ الحسدِ، وعَمِلَ بمُقْتَضَاهُ، وحَمَلَهُ الحسدُ على إيقاعِ الشرِّ بالمحسودِ.

قَالَ عمرُ بْنُ عَبْدِ العزيزِ: لَمْ أَرَ ظَالِمًا أَشْبَهَ بالمظلومِ مِنْ حَاسِدٍ، وقدْ نَظَمَ الشاعرُ هذا المعنَى فَقَالَ:

قُــلْ لِلْحَــسُودِ إذَا تَــنَفَّسَ طَعْنَــةً ... يَــا ظَالِمًــا وكَأَنَّــهُ مَظْلُــومُ

). [فتح البيان: ١٥/ ٤٦٢]

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (وقد قُيِّدَتِ الاستعاذةُ مِن شَرِّ الحاسِدِ إذا حَسَدَ؛ أي: عندَ إيقاعِه الحَسَدَ بالفِعْلِ، ولم يُقَيِّدْها مِن شَرِّ الساحِرِ إذا سَحَرَ.

وذلك - واللَّهُ تعالى أعْلَمُ - أنَّ النَّفْثَ في العُقَدِ هو عينُ السِّحْرِ، فتكونُ الاستعاذةُ واقعةً موْقِعَها عندَ سِحْرِه الواقع مِنه بنَفْثِه الحاصِلِ منه في العُقَدِ.

أمَّا الحاسِدُ فلم يُسْتَعَذْ مِنه إلاَّ عندَ إيقاعِه الحسَدَ بالفِعْلِ؛ أي: عندَ توَجُّهِهِ إلى المَحسودِ؛ لأنَّه قبلَ توَجُّهِه إلى المَحْسودِ بالحسَدِ لا يَتأتَّى منهُ شرٌّ، فلا مَحلَّ للاستعاذةِ منه). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٤٣]

الحكمة من عدم ذكر المحسود عليه

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (تنبيهٌ: قد أَطْلَقَ الحسَدَ هنا ولم يُبيِّنِ المَحسودَ عليه ما هو، معَ أنه كما تَقدَّمَ: زَوالُ النِّعمةِ عن الغيرِ.

وقد نَبَّهَ القرآنُ الكريمُ على أعْظَمِ النعمةِ التي حُسِدَ عليها المُسْلِمونَ عامَّةً، والرسولُ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ خاصَّةً، وهي نِعمةُ الإسلامِ ونِعمةُ الوحْيِ وتحصيلُ الغنائمِ.

فأهْلُ الكتابِ حَسَدُوا المُسْلِمينَ على الإسلامِ في قَوْلِه تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

والمشرِكُونَ حَسَدُوا رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ على نِعمةِ الوحيِ إليه؛ كما في قَوْلِه تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النساء: ٥٤].

والناسُ هنا عامٌّ أُرِيدَ به الخُصوصُ، وهو النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ؛ كما في قَوْلِه تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

فالناسُ الأُولَى عامٌّ أُرِيدَ به خُصوصُ رَجُلٍ واحدٍ، وهو نُعَيْمُ بنُ مسعودٍ الأَشْجَعِيُّ.

ومِمَّا جاءَ فيهِ الحَسَدُ عن نِعمةٍ مُتوقَّعَةٍ، قَوْلُهُ تعالى: ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الفتح: ١٥].

فتَبيَّنَ بنَصِّ القرآنِ أنَّ الحسَدَ يكونُ في نِعمةٍ مَوجودةٍ، ويكونُ في نِعمةٍ مُتوَقَّعٌ وُجودُها). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٤٤]

سبب الاستعاذة من شر الحاسد

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (وفي الاستعاذةِ مِن شَرِّ حاسدٍ إذا حَسَدَ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: مِن شَرِّ نَفْسِهِ وعَيْنِه؛ فإنَّه رُبَّما أصابَ بها فَعَانَ وضَرَّ، والمَعْيُونُ: المُصَابُ بالعينِ، وقالَ الشاعرُ:

قَدْ كانَ قومُكَ يَحْسَبُونَكَ سَيِّدًا ... وإِخالُ أَنَّكَ سَيِّدٌ مَعْيُونُ

الثاني: أنْ يَحْمِلَهُ فَرْطُ الحسَدِ على إيقاعِ الشرِّ بالمحسودِ، فإنَّه يَتَّبِعُ المساوِئَ ويَطْلُبُ العَثَرَاتِ). [النكت والعيون: ٦/٣٧٧]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (﴿إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ : أي: إذَا ظَهَرَ حَسَدُه وعَمِلَ بمُقْتضاهُ؛ مِن بَغْيِ الغوائلِ للمحسودِ؛ لأنه إذا لَمْ يَظْهَرْ أَثَرُ ما أَضْمَرَهُ فلا ضَرَرَ يَعودُ منه على مَن حَسَدَه، بل هو الضارُّ لنفسِه؛ لاغْتِمَامِهِ بسُرورِ غيرِه.

وعن عُمرَ بنِ عبدِ العزيزِ: لَمْ أرَ ظالمًا أَشْبَهَ بالمظلومِ مِن حاسِدٍ.

ويَجوزُ أنْ يُرَادَ بشرِّ الحاسدِ إثمُهُ، وسَمَاجَةُ حالِه في وقتِ حَسَدِهِ، وإظهارُه أَثَرَه). [الكشاف: ٤٦٦/٦]

قالَ عَبْدُ الحقِّ بنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (وقولُه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

قالَ قَتَادَةُ: مِن شرِّ عينِه ونفسِه.

يُرِيدُ السعيَ الخبيثَ والإذايةَ كيفَ قدَرَ؛ لأنَّه عدوٌّ مُجِدٌّ مُمْتَحَنٌ، وقالَ الشاعرُ:

كُلُّ العَداوَةِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتَتُها ... إلاَّ عَداوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدِ

وعينُ الحاسدِ في الغالبِ لاقِفَةٌ، نعوذُ باللَّهِ عَزَّ وجَلَّ مِن شرِّها، وقالَ الشاعرُ:

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ... طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ

والحسدُ في الاثنتيْن اللتيْن قالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسدٌ مُسْتَحْسَنٌ غيرُ ضارٍّ، وإنما هو باعِثٌ على خيرٍ). [المحرر الوجيز: ٦١١/١٥- ٦١٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (قولُه تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ مِن المَعْلُومِ أنَّ الحَاسِدَ هو الذي تَشْتَدُّ مَحبَّتُه لإزَالَةِ نِعمَةِ الغَيْرِ إليه، ولا يَكَادُ يكونُ كذلك إلا ولو تَمكَّنَ مِن ذلك بالحِيَلِ لفعَلَ، فلذلك أَمَرَ اللَّهُ بالتَّعوُّذِ منه.

وقدْ دَخَلَ في هذه السورةِ كلُّ شَرٍّ يُتوقَّى ويُتحَرَّزُ منه دِينًا ودُنيَا، فلذلك لَمَّا نَزَلَتْ فَرِحَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بنُزُولِهَا لكونِها مَعَ مَا يَلِيهَا جَامِعَةً في التَّعوُّذِ لكلِّ أَمْرٍ.

ويَجُوزُ أنْ يُرادَ بشَرِّ الحَاسِدِ إثمُه وسَمَاجَةُ حالِه في وقتِ حَسَدِهِ وإظْهَارُه أَثَرَه). [التفسير الكبير: ١٧٩/٣٢]

قالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ﴾ : مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ وَعَيْنِهِ أَنْ يُصِيبَ بِهَا، أَوْ لأنَّ حَسَدَهُ يَحْمِلُهُ على الأَذَى). [تفسير القرآن: ٥١١/٣]

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ : الحَاسِدُ هُوَ الَّذِي يَتَمَنَّى زَوَالَ نِعْمَةِ الغَيْرِ، وَرُبَّمَا يَكُونُ مَعَ ذَلِكَ سَعْيٌ؛ فلذلكَ أَمَرَ اللَّهُ تعالى بالتَّعوُّذِ مِنْهُ). [لباب التأويل: ٥٠٢/٤]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (والحاسِدُ: هو الذي تَشْتَدُّ مَحبَّتُه لإزالةِ نِعْمَةِ الغَيْرِ إليهِ، حتى لو تَمكَّنَ مِن ذلك بالحِيَلِ لَفعَلَ، فلذلك أمَرَ اللَّهُ رسولَه صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ بالتَّعوُّذِ منه). [غرائب القرآن: ٢٢٨/٣٠] (م)

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبِيُّ (ت: ٨٧٥ هـ): (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾. قَالَ قَتَادَةُ: مِنْ شَرِّ عَيْنِهِ وَنَفْسِهِ، يُرِيدُ بالنفسِ السَّعْيَ الخَبِيثَ). [الجواهر الحسان: ٦٤١/٥] (م)

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ نَاصِرٍ السّعْدِيُّ (ت: ١٣٧٦هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ والحاسدُ: هو الذي يُحِبُّ زَوَالَ النِّعمةِ عن المَحْسودِ، فيَسْعَى في زَوَالِها بما يَقْدِرُ عليه مِن الأسبابِ، فاحْتِيجَ إلى الاستعاذةِ باللَّهِ مِن شَرِّهِ وإبطالِ كَيْدِه). [تيسير الكريم الرحمن: ٤/٢٠٠١]

تضمن هذه السورة لدواء الحسد

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فهذه السورةُ من أَكْبَرِ أَدْوِيَةِ المحسودِ، فإنها تَتَضَمَّنُ التوكُّلَ على اللهِ والالتجاءَ إليه والاستعاذةَ به من شَرِّ حاسدِ النعمةِ، فهو مُستعيذٌ بوَلِيِّ النِّعَمِ ومُولِّيها، كأنه يقولُ: يا مَن أَوْلاني نِعْمَتَه وأَسداها إليَّ، أنا عائذٌ بك من شَرِّ مَن يُريدُ أن يَسْتَلِبَها مِنِّي ويُزيلَها عَنِّي، وهو حَسْبُ مَن تَوَكَّلَ عليه، وكافِي مَن لَجَأَ إليه، وهو الذي يُؤَمِّنُ خَوفَ الخائفِ، ويُجيرُ المُستجيرَ، وهو نِعْمَ المَولى ونِعمَ النصيرُ، فمَن تَوَلاَّهُ واسْتَنْصَرَ به وتَوَكَّلَ عليه، وانْقَطَعَ بكلِّيَّتِه إليه تَوَلاَّه وحَفِظَه وحَرَسَه وصانَه، ومَن خافَه واتَّقاه أَمَّنَه مما يَخافُ ويَحْذَرُ، وجَلَبَ إليه كلَّ ما يَحتاجُ إليه من المنافعِ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٢- ٣].

فلا تَسْتَبْطِئْ نَصْرَه ورِزْقَه وعَافِيَتَه؛ فإنَّ اللهَ بالِغُ أَمْرِه، وقد جَعَلَ اللهُ لكلِّ شيءٍ قَدْرًا لا يَتَقَدَّمُ عنه ولا يَتَأَخَّرُ، ومَن لم يَخَفْه أخافَه من كلِّ شيءٍ، وما خافَ أحدٌ غيرَ اللهِ إلا لنَقْصِ خوفِه من اللهِ، قالَ تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ۝١٠٠﴾ [النحل: ٩٨- ١٠٠] وقال: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٧٥﴾ [آل عمران: ١٧٥] أي: يُخَوِّفُكُم بأوليائِه ويُعَظِّمُهم في صدورِكم فلا تَخافوهم وأَفْرِدوني بالمَخافةِ أَكْفِكُم إيَّاهم). [بدائع الفوائد: ٢/٢٣٧- ٢٣٨]

ما قيل في الحكمة من ختم السورة بالاستعاذة من شر الحاسد

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ قالَ الحسينُ بنُ الفَضْلِ: إنَّ اللَّهَ جَمَعَ الشرورَ في (هذه الآيةِ)[1] وخَتَمَها بالحسدِ؛ لِيُعْلَمَ أنه أخَسُّ الطبائعِ). [الكشف والبيان: ١٠/٣٤٠]

قالَ عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (وقالَ الحسنُ بنُ الفَضْلِ: ذَكَرَ اللَّهُ تعالى الشرورَ في هذه السورةِ، ثمَّ خَتَمَها بالحسدِ لِيُظْهِرَ أنه أخَسُّ طَبْعٍ). [المحرر الوجيز: ١٥/٦١٢]

(١) هكذا في الأصل ولعل الصواب (هذه السورة).

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبيُّ (ت: ٦٧١هـ): (هذه سورةٌ دَالَّةٌ على أنَّ اللهَ سُبحانه خالِقُ كلِّ شَرٍّ، وأمرَ نبيَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يَتعوَّذَ مِن جميعِ الشرورِ، فقالَ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾. وجَعَلَ خَاتِمَةَ ذلك الحَسَدَ؛ تَنْبيهًا على عِظَمِهِ وكَثْرَةِ ضَرَرِهِ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٩- ٢٦٠]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (والاسْتِعاذةُ مِن شرِّ هذِه الأشياءِ بعدَ الاستعاذةِ من شَرِّ ما خَلَقَ إشعارٌ بأنَّ شرَّ هؤلاءِ أشَدُّ، وخُتِمَ بالحسَدِ لِيُعْلَمَ أنه شَرُّها). [مدارك التنزيل:٣/٢٠١٤]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وخَتَمَ بالحسدِ لِيُعْلِمَ أَنَّهُ أَشَدُّ وأَشَرُّ). [فتح البيان: ١٥/٤٦٢]

فائدة

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالَوَيْهِ (ت: ٣٧٠هـ): (والعَرَبُ تَقُولُ: حَسَدَ حَاسِدُكَ، إِذَا دَعَوْا للرَّجُلِ؛ أيْ: لا زِلْتَ فِي مَوْضِعٍ تُحْسَدُ عَلَيْهِ، والعَامَّةُ تَقُولُ: حُسِدَ حَاسِدُكَ، وَهَذَا خَطَأٌ، وَأَنْشَدَ ابْنُ مُجَاهِدٍ:

حَسَدُوا الفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ ... فَالنَّاسُ أَضْدَادٌ لَهُ وَخُصُومُ

كَضَرَائِرِ الحَسْنَاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا ... كَذِبًا وَزُورًا إِنَّهُ لَدَمِيمُ

الدَّمَامَةُ فِي الخَلْقِ، والذَّمَامَةُ فِي الخُلُقِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٧]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَفِي إِشْعَارِ الآيَةِ الدُّعَاءُ بِمَا يُحْسَدُ عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِ الدَّارَيْنِ؛ لأنَّ خيرَ الناسِ مَنْ عَاشَ مَحْسُودًا وَمَاتَ مَحْسُودًا، وَلِمَنْ لمْ يُلْقِ بَالاً للدعاءِ بذلكَ وَيَهْتَمَّ بتَحْصِيلِ ما يُحْسَدُ عَلَيْهِ ضَحِكَ منهُ إِبليسُ إِذَا تَلا هَذِهِ الآيَةَ لِكَوْنِهِ ليسَ لهُ فَضِيلَةٌ يُحْسَدُ عليها، وَلَعَلَّهُ عَبَّرَ بأداةِ التحقيقِ إشعارًا بأنَّ مَنْ كَانَ ثَابتَ الحسدِ مُتَمَكِّنًا مِن الاتِّصَافِ بِهِ بِمَا أَشْعَرَ بِهِ التعبيرُ بالوصفِ تَحَقَّقَ منهُ إظهارُهُ ولم يَقْدِرْ على مُدَافَعَتِهِ فِي الأغلبِ إلاَّ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى). [نظم الدرر: ٨/٦٠٦]

قَالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وفي إشعارِ الآيةِ ادِّعَاءٌ بما يُحسَدُ عليهِ مِن نِعَمِ الدَّارَيْنِ؛ لأنَّ خيرَ النَّاسِ مَن عاشَ محسودًا وماتَ محسودًا). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٤]

قَالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (ولَمَّا كانَ الحَسَدُ يَسْتَلْزِمُ كونَ المحسودِ في حالةٍ حَسَنَةٍ كَثُرَ في كلامِ العَرَبِ الكِنايةُ عنِ السَّيِّدِ بالمحسودِ، وبعَكْسِه الكِنايةُ عن سَيِّئِ الحالِ بالحاسِدِ، وعليه قَوْلُ أبي الأَسْوَدِ:

حَسَدُوا الفتَى أنْ لم يَنَالُوا سَعْيَهُ ... فالقومُ أعداءٌ له وخُصُومُ

كضَرَائِرِ الحسناءِ قُلْنَ لوَجْهِهَا ... حَسَدًا وبُغْضًا إنه لَمَشُومُ

وقولُ بَشَّارِ بنِ بُرْدٍ:

إنْ يَحْسُدُوني فإنِّي غيرُ لائِمِهِم ... قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أهْلُ الفَضْلِ قد حُسِدُوا

فَدَامَ لي ولهم ما بي وما بهم ... وماتَ أكثَرُنا غَيْظًا بما يَجِدُ

). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣٠]

مسائل عقدية

بطلان قول الجبرية والقدرية والفلاسفة

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَقدْ بَطَلَ بالأمرِ بالاستعاذةِ قولُ الجبريَّةِ: إِنَّا كَالآلَةِ لا فِعْلَ لنا أَصْلاً، وإِنَّمَا نَحْنُ كالحَجَرِ لا يَتحرَّكُ إِلاَّ بمُحرِّكٍ، لأَنَّهُ لَوْ كانَ هوَ المُحرِّكَ لَنَا بغَيْرِ اخْتِيَارٍ لَمْ يَكُنْ للأَمْرِ فَائِدَةٌ.

وَقولُ القدريَّةِ: إِنَّا نَخْلُقُ أَفْعَالَنَا.

وَقولُ الفَلاسِفَةِ: إِنَّهُ إذا وُجِدَ السببُ وَالْمُسَبَّبُ حَصَلَ التأثيرُ مِنْ غيرِ احْتِيَاجٍ إلى رَبْطٍ إِلَهِيٍّ كَالنارِ وَالحَطَبِ؛ لأَنَّهُ لَوْ كَانَ ذلكَ لَكَانَتْ هذهِ الأفعالُ الْمُسَبَّبَاتُ، إذا وُجِدَتْ مِنْ فَاعِلِيهَا الذينَ هُمُ الأسبابُ، أَوِ الأفعالُ التي هيَ الأسبابُ، وَالْمُسَبَّبَاتُ التي هيَ الأبدانُ الْمُرَادُ تَأْثِيرُهَا أَثَّرَتْ وَلَمْ تَنْفَعِ الاستعاذةُ، وَالشَّاهِدُ خلافُهُ.

وَثَبَتَ قولُ الأشاعرةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ أَنَّهُ إذا وُجِدَ السَّبَبُ وَالْمُسَبَّبُ تَوَقَّفَ وُجُودُ الأَثَرِ على إِيجَادِ اللَّهِ تعالى، فإِنْ أَنْفَذَ السَّبَبَ وُجِدَ الأَثرُ، وَإِنْ لمْ يُنْفِذْهُ لَمْ يُوجَدْ، وَالسُّورَتَانِ مُعْلِمَتَانِ بأَنَّ البَلايَا كثيرةٌ وهوَ قَادِرٌ على دَفْعِهَا، فَهُمَا حَامِلَتَانِ على الخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَذلكَ هوَ لُبَابُ العبوديَّةِ). [نظم الدرر: ٨/٦٠٧]

- **قلت:** (قولُ أهلِ السنةِ والجماعةِ غيرُ ما وصفَه البقاعيُّ، وإن كانت جبريةُ الأشاعرةِ أخفَّ من جبريةِ الجهميةِ الغلاةِ، فأولئك يُلغون تأثيرَ الأسبابِ ظاهرًا وباطنًا، وهؤلاء يَنفونَ تأثيرَها باطنًا ويُثبتونه ظاهرًا، ويجعلون النسبةَ إليها مجازيةً، وأهلُ السنةِ يثبتون تأثيرَ الأسبابِ ظاهرًا وباطنًا وأن ذلك كلَّه بمشيئةِ اللهِ تعالى وتقديرِه، فالعبدُ فاعلٌ على الحقيقةِ، وفِعلُه مِن تقديرِ اللهِ عزَّ وجلَّ وخلقِه ومشيئتِه، لا يكونُ في ملكِه تعالى ما لا يشاءُ).

أحكام الآية

النهي عن الحسد

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ التَّمِيمِيُّ (ت: ١٢٠٦ هـ): (الخَمْسُونَ: النَّهْيُ عَنِ الحَسَدِ). [مجموع مؤلفاته/التفسير: ٢٧٩]

مسائل عامة في تفسير السورة

وجه تخصيص بعض المخلوقات بالذكر

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (فإِنْ قُلْتَ: قولُه: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ تعميمٌ في كلِّ ما يُسْتَعَاذُ منه، فما معنَى الاستعاذةِ بعدَه مِن الغاسِقِ والنفَّاثَاتِ والحاسِدِ؟

قُلْتُ: قَدْ خُصَّ شَرُّ هؤلاءِ مِن كلِّ شرٍّ؛ لخَفَاءِ أمرِه، وأنه يَلْحَقُ الإنسانَ مِن حيثُ لا يَعْلَمُ كأنما يُغْتَالُ به.

وقالوا: شَرُّ العُدَاةِ المُدَاجي الذي يَكِيدُكَ مِن حيثُ لا تَشْعُرُ). [الكشاف: ٦/٤٦٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (قولُه: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ عَامٌّ في كلِّ ما يُسْتَعاذُ منه، فَمَا مَعْنَى الاستعاذَةِ بعدَه مِن الغاسِقِ والنفَّاثاتِ والحَاسِدِ؟

الجوابُ: تَنْبِيهًا علَى أنَّ هذه الشُّرورَ أَعْظَمُ أَنْواعِ الشرِّ). [التفسير الكبير: ٣٢/١٧٩]

قالَ زَيْنُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أبي بَكْرٍ الرَّازِيُّ (ت: ٦٦٦هـ): (فإنْ قيلَ: قولُه تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ يَتَنَاوَلُ كلَّ ما بعدَه، فما الفائدةُ في الإعادةِ؟

قلنا: خَصَّ شرَّ هذه الأشياءِ الثلاثةِ بالذِّكْرِ تَعْظِيمًا لشرِّها، كما في عَطْفِ الخاصِّ على العامِ؛ تعظيمًا لشرفِه وفضلِه، أو خَصَّهَا بالذِّكْرِ لِخَفَاءِ شَرِّها، وأنه يَلْحَقُ الإنسانَ من حيثُ لا يشعُرُ به، ولهذا قيلَ: شرُّ الأعداءِ المُدَاجي، وهو الذي يَكِيدُ الإنسانَ مِن حيثُ لا يَعْلَمُ). [غرائب التنزيل: ٦٠١]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (ويَجوزُ أن يُرادَ بالغاسِقِ ما يَخْلُو عن النورِ وما يُضاهِيهِ كالقُوَى، وبالنفَّاثاتِ النَّبَاتَاتُ؛ فإنَّ قُواها النباتيَّةَ من حيث إنها تَزيدُ في طُولِها وعَرْضِها وعُمْقِها، كأنها تَنْفُثُ في العُقَدِ الثلاثةِ، وبالحاسِدِ الحيوانُ فإنه إنما يَقْصِدُ غيرَه غالبًا طَمَعًا فيما عندَه، ولعل إفرادَها من عالِمِ الخَلْقِ لأنها الأسبابُ القريبةُ للمَضَرَّةِ). [أنوار التنزيل: ٢/١١٨٠]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (والاسْتِعاذةُ مِن شرِّ هذِه الأشياءِ بعدَ الاستعاذةِ من شَرِّ ما خَلَقَ إشعارٌ بأنَّ شرَّ هؤلاءِ أشَدُّ، وخُتِمَ بالحسَدِ لِيُعْلَمَ أنه شرُّها). [مدارك التنزيل:٣/٢٠١٤]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (بل قولُه: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ عامٌّ، والبواقِي تَخْصِيصٌ بعدَ تَعْمِيمٍ؛ تنبيهًا على أنها أَعْظَمُ الشُّرورِ وأهمُّ شيءٍ يُستعاذُ منه). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٨]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنُ جَمَاعَةَ الكِنَانِيُّ (ت: ٧٣٣هـ): ([٤٧٦] مَسْأَلَةٌ: قولُه تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ عَامٌّ في كُلِّ شَيْءٍ، فما فَائدةُ تَكْرارِ: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾، ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾، {وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ}؟

جوابُه: هو تَخْصِيصٌ بعدَ تَعْمِيمٍ؛ لِيَدُلَّ به على أنَّ هذه الثلاثةَ من أشَرِّ الشرورِ على الناسِ؛ لكثرةِ وُقوعِها بينَ الناسِ). [كشف المعاني:٤٣١]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (فإن قيلَ: إنَّ قولَه: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ عمومٌ يَدخُلُ تحتَه كلُّ ما ذُكِرَ بعدَه فلأيِّ شيءٍ ذُكِرَ ما بعدَه؟

فالجوابُ: أنَّ هذا من التجريدِ للاعتناءِ بالمذكورِ بعدَ العُمومِ، ولقد تَأَكَّدَ ما ذُكِرَ في هذه السورةِ بعدَ العُمومِ بسببِ السِّحْرِ الذي سَحَرَ اليهودُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشدَّةِ حَسَدِهم له). [التسهيل: ٢٢٦]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ سُلَيْمَانَ بْنِ رَيَّانَ (ت: ٧٧٠هـ): (سُؤَالٌ: ما وجْهُ تخصيصِ هذِهِ الثلاثةِ بعدَ التعميمِ في قولِهِ تَعالَى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾؟

جَوَابٌ: لِخَفَاءِ شَرِّهَا فإنَّهُ يَلْحَقُ الإنسانَ من حَيْثُ لا يَعْلَمُ). [الروض الريان: ٣/٦٤٩]

قالَ جلالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ المَحَلِّيُّ (ت: ٨٦٤هـ): (وَذَكَرَ الثلاثةَ الشَّامِلَ لَهَا مَا خَلَقَ بَعْدَهُ لِشِدَّةِ شَرِّهَا). [تفسير الجلالين: ٦٠٤]

قال أحمدُ بنُ محمدِ بن أبي بكرٍ القَسْطَلاَّنيُّ (ت: ٩٢٣هـ): (قَالَ فِي شَرْحِ المِشْكَاةِ: لَمَّا سُحِرَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَشْفَى بالمُعَوِّذَتَيْنِ؛ لأَنَّهُمَا مِنَ الجَوَامِعِ فِي هَذَا البَابِ، فَتَأَمَّلْ فِي أُولاهُمَا كَيْفَ خَصَّ وَصْفَ المُسْتَعَاذِ بِهِ بربِّ الفَلَقِ، أَيْ بِفَالِقِ الإِصْبَاحِ؛ لأنَّ هَذَا الوَقْتَ وَقْتُ فَيَضَانِ الأَنْوَارِ وَنُزُولِ الخَيْرَاتِ وَالبَرَكَاتِ، وَخَصَّ المُسْتَعَاذَ مِنْهُ بِمَا خَلَقَ، فَابْتَدَأَ بالعَامِّ فِي قَوْلِهِ: مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ أَيْ: مِنْ شَرِّ خَلْقِهِ، ثُمَّ ثَنَّى بالعَطْفِ عَلَيْهِ مَا هُوَ شَرُّهُ أَخْفَى؛ وهو نَقِيضُ انْفِلاقِ الصُّبْحِ مِنْ دُخُولِ الظَّلامِ وَاعْتِكَارِهِ المَعْنِيِّ بِقَوْلِهِ: (وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) لأَنَّ إِثْبَاتَ الشَّرِّ فيه أَكْثَرُ، وَالتَّحرُّزَ منه أَصْعَبُ، ومنه قَوْلُهُمُ: اللَّيْلُ أَخْفَى لِلْوَيْلِ). [إرشاد الساري: ٧/٤٤١]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): ((فإنْ قيلَ:) قولُهُ تَعَالَى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ تعميمٌ في كلِّ ما يُستعاذُ منه، فما معنى الاستعاذةِ بَعْدَهُ منَ الغاسقِ والنفَّاثاتِ والحاسدِ؟

(أجيبَ) بأنَّهُ قدْ خصَّ شرَّ هؤلاءِ منْ كلٍّ لِخَفَاءِ أَمْرِهِم وأنَّهُ يَلْحَقُ الإنسانَ منْ حيثُ لا يعلمُ كأنما يُغتالُ بِهِ، وقالوا: شرُّ العِداةِ المُدَاجِي الَّذِي يَكيدُكَ منْ حيثُ لا تَشْعُرُ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٤]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (ذَكَرَ اللَّهُ سبحانَهُ في هذهِ السورةِ إِرْشَادَ رسولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الاستعاذةِ مِنْ شرِّ كلِّ مخلوقاتِهِ على العمومِ، ثمَّ ذكَرَ بعضَ الشرورِ على الخصوصِ معَ اندراجِهِ تحتَ العمومِ؛ لزيادةِ شَرِّهِ ومَزِيدِ ضُرِّهِ، وهوَ الغاسِقُ وَالنَّفَّاثَاتُ وَالحاسدُ، فَكَأَنَّ هؤلاءِ لِمَا فِيهِم مِنْ مزيدِ الشرِّ حَقِيقُونَ بإفرادِ كلِّ واحدٍ منهم بالذِّكْرِ). [فتح القدير: ٥/٧٥٩- ٧٦٠]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (ثُمَّ خَصَّصَ مِن بَعْضِ ما خَلَقَ أَصْنَافًا يَكْثُرُ وُقُوعُ الأذَى منهم، فَطَلَبَ إِلَيْهِ التَّعَوُّذَ مِن شَرِّهِمْ وَدَفْعَ أَذَاهُمْ، وَهُمْ:

(١) ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ أَيْ وَمِن شَرِّ اللَّيْلِ إِذَا دَخَلَ وَغَمَرَ كُلَّ شَيْءٍ بظَلامِهِ، واللَّيْلُ إِذَا كَانَ عَلَى تِلْكَ الحَالِ كَانَ مَخُوفًا بَاعِثًا عَلَى الرَّهْبَةِ، إِلَى أنه سِتَارٌ يَخْتَفِي فِي ظَلامِهِ ذَوُو الإِجْرَامِ إِذَا قَصَدُوكَ بالأذَى، إِلَى أنه عَوْنٌ لأَعْدَائِكَ عَلَيْكَ.

(٢) ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤﴾ أَيْ مِن شَرِّ النَّمَّامِينَ الَّذِينَ يَقْطَعُونَ رَوابطَ المَحبَّةِ، وَيُبَدِّدُونَ شَمْلَ المَوَدَّةِ، وَقَدْ شَبَّهَ عَمَلَهُمْ بالنَّفْثِ، وَشُبِهَتْ رَابطَةُ الوِدَادِ بالعُقْدَةِ، والعَرَبُ تُسَمِّي الارْتِبَاطَ الوَثِيقَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ عُقْدَةً، كما سُمِّيَ الارْتِبَاطُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ عُقْدَةَ النِّكَاحِ.

فَالنَّمِيمَةُ تُحَوِّلُ ما بَيْنَ الصَّدِيقَيْنِ مِن مَحَبَّةٍ إِلَى عَدَاوَةٍ بالوَسَائِلِ الخَفِيَّةِ الَّتِي تُشْبهُ أَنْ تَكُونَ ضَرْبًا مِنَ السِّحْرِ، وَيَصْعُبُ الاحْتِيَاطُ وَالتَّحفُّظُ مِنهَا؛ فالنَّمَّامُ يَأْتِي لك بكَلامٍ يُشْبهُ الصِّدْقَ فَيَصْعُبُ عَلَيْكَ تَكْذِيبُهُ، كما يَفْعَلُ

السَّاحِرُ الْمُشَعْوِذُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَحُلَّ عُقْدَةَ الْمَحَبَّةِ بين الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، إذ يَقُولُ كَلامًا وَيَعْقِدُ عُقْدَةً وَيَنْفُثُ فِيهَا، ثُمَّ يَحُلُّهَا إِيهَامًا للعَامَّةِ أَنَّ هَذَا حَلٌّ للعُقْدَةِ الَّتِي بين الزَّوْجَيْنِ.

قَالَ الأَسْتَاذُ الإِمَامُ ما خُلاصَتُهُ: قَدْ رَوَوْا هَاهُنَا أَحَادِيثَ فِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّمَ سَحَرَهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، وَأَثَّرَ سِحْرُهُ فِيهِ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أنه يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَهُوَ لا يَفْعَلُهُ، أو يَأْتِي شَيْئًا وَهُوَ لا يَأْتِيهِ، وأَنَّ اللهَ أَنْبَأَهُ بذَلِكَ، وَأُخْرِجَتْ مَوَادُّ السِّحْرِ مِن بئْرٍ، وَعُوفِيَ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّمَ مِمَّا كَانَ نَزَلَ بِهِ مِن ذَلِكَ وَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ.

ولا يَخْفَى أَنَّ تَأْثِيرَ السِّحْرِ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مَاسٌّ بالعَقْلِ آخِذٌ بالرُّوحِ، فَهُوَ مِمَّا يُصَدِّقُ قَوْلَ الْمُشْرِكِينَ فِيهِ: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الإسراء: ٤٧].

والذِّي يَجِبُ عَلَيْنَا اعْتِقَادُهُ أَنَّ القُرْآنَ الْمُتَوَاتِرَ جَاءَ بِنَفْيِ السِّحْرِ عنه عَلَيه الصَّلاةُ والسَّلامُ، حَيْثُ نَسَبَ القَوْلَ بإِثْبَاتِ حُصُولِهِ له إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَوَبَّخَهُمْ عَلَى ذلك.

والحَدِيثُ - عَلَى فَرْضِ صِحَّتِهِ- مِن أَحَادِيثِ الآحَادِ الَّتِي لا يُؤْخَذُ بها فِي العَقَائِدِ، وَعِصْمَةُ الأَنْبِيَاءِ عَقِيدَةٌ لا يُؤْخَذُ فِيهَا إلا باليَقِينِ، وَنَفْيُ السِّحْرِ عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ لا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ السِّحْرِ مُطْلَقًا، فَرُبَّمَا جَازَ أَنْ يُصِيبَ السِّحْرُ غَيْرَهُ بالجُنُونِ، وَلَكِنْ مِنَ الْمُحَالِ أَنْ يُصِيبَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّمَ، لأَنَّ اللهَ عَصَمَهُ مِنْه.

إلا أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ عَطَاءٍ وَالحَسَنِ وَجَابرٍ، وَمَا يَزْعُمُونَهُ مِنَ السِّحْرِ إنما وَقَعَ بالْمَدِينَةِ، فهَذَا مِمَّا يُضْعِفُ الاحْتِجَاجَ بالحَدِيثِ، وَيُضْعِفُ التَّسْلِيمَ بِصِحَّتِهِ.

وَعَلَى الجُمْلَةِ فَعَلَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ بنَصِّ الكِتَابِ، وَنُفَوِّضَ الأَمْرَ فِي الحَدِيثِ ولا نُحَكِّمُهُ فِي عَقِيدَتِنَا. اهـ.

(٣) ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ أَيْ وَنَسْتَعِيذُ بكَ رَبَّنَا مِن شَرِّ الحَاسِدِ إِذَا أَنْفَذَ حَسَدَهُ، بالسَّعْيِ والجِدِّ فِي إِزَالَةِ نِعْمَةِ مَنْ يَحْسُدُهُ، فَهُوَ يُعْمِلُ الحِيلَةَ، وَيَنْصِبُ شِبَاكَهُ لإيقَاعِ الْمَحْسُودِ فِي الضَّرَرِ بأَدَقِّ الوَسَائِلِ، ولا يُمْكِنُ إِرْضَاؤُهُ، ولا فِي الاسْتِطَاعَةِ الوُقُوفُ عَلَى ما يُدَبِّرُهُ، فَهُوَ لا يَرْضَى إلا بزَوَالِ النِّعْمَةِ، وَلَيْسَ فِي الطَّوْقِ دَفْعُ كَيْدِهِ، وَرَدُّ عَوَادِيهِ، فَلَمْ يَبْقَ إلا أَنْ نَسْتَعِينَ عليه بالخَالِقِ الأَكْرَمِ، فَهُوَ القَادِرُ عَلَى رَدِّ كَيْدِهِ، وَدَفْعِ أَذَاهُ، وإِحْبَاطِ سَعْيِهِ.

نَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ وَأَنْتَ الوَزَرُ والنَّصِيرُ، أَنْ تَقِيَنَا أَذَى الحَاسِدِينَ، وَتَدْفَعَ عَنَّا كَيْدَ الكَائِدِينَ، إِنَّكَ أَنْتَ الْمَلْجَأُ وَالْمُعِينُ). [تفسير المراغي: ٢٦٨/٣٠- ٢٦٩]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (عطفُ أشياءَ خاصَّةٍ هي مما شَمِلَه عُمومُ ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾، وهي ثلاثةُ أنواعٍ مِن أنواعِ الشُّرورِ:

أحدُهما: وقتٌ يَغْلِبُ وُقوعُ الشرِّ فيه، وهو اللَّيْلُ.

والثاني: صِنْفٌ مِنَ الناسِ أُقِيمَتْ صِناعَتُهم على إرادةِ الشرِّ بالغيرِ.

والثالثُ: صِنْفٌ مِنَ الناسِ ذو خُلُقٍ مِن شأْنِه أنْ يَبْعَثَ على إلحاقِ الأذَى بمَنْ تَعَلَّقَ به). [التحرير والتنوير: ٦٢٧/٣٠]

اشتمال السورة على الاستعاذة من كل شر

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فقد اشْتَمَلَت السورةُ على الاستعاذةِ من كُلِّ شَرٍّ في العالَمِ، وتَضَمَّنَتْ شُرورًا أربعةً يُستعاذُ منها، شرًّا عامًّا، وهو شَرُّ ما خَلَقَ، وشَرُّ الغاسِقِ إذا وَقَبَ، فهذان نَوْعَانِ، ثم ذَكَرَ شرَّ الساحِرِ والحاسِدِ، وهي نوعان أيضًا؛ لأنهما من شرِّ النفْسِ الشِّرِّيرةِ، وأحدُهما يَستعينُ بالشيطانِ ويَعْبُدُه وهو الساحِرُ). [بدائع الفوائد: ٢/]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ ﴾؛ أَيْ: مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَهُ مِن الثَّقَلَيْنِ وَغَيْرِهِمْ كَائِنًا مَا كَانَ مِنْ ذَوَاتِ الطبائعِ والاختيارِ، وَهَذَا كَمَا تَرَى شَامِلٌ لجميعِ الشُّرُورِ، فَمَنْ تَوَهَّمَ أَنَّ الاستعاذةَ هَاهُنَا مِن المَضَارِّ البَدَنِيَّةِ وَأَنَّهَا تَعُمُّ الإِنْسَانَ وَغَيْرَهُ مِمَّا لَيْسَ بصَدَدِ الاستعاذةِ، ثُمَّ جَعَلَ عُمُومَهَا مَدَارًا لإضافةِ الرَّبِّ إِلَى الفلقِ فَقَدْ نَأَى عَن الحَقِّ بمراحلَ). [إرشاد العقل السليم: ٢١٤/٧] (م)

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ التَّمِيمِيُّ (ت: ١٢٠٦ هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ فَمَعْنَى أَعُوذُ: أَعْتَصِمُ وَأَلْتَجِئُ وَأَتَحَرَّزُ؛ وَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الكَلِمَةُ مُسْتَعَاذًا بِهِ وَمُسْتَعَاذًا مِنْهُ وَمُسْتَعِيذًا.

فَأَمَّا المُسْتَعَاذُ بِهِ فَهُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ رَبُّ الفَلَقِ الَّذِي لا يُسْتَعَاذُ إِلاَّ بِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَمَّنِ اسْتَعَاذَ بِخَلْقِهِ أَنَّ اسْتِعَاذَتَهُ زَادَتْهُ رَهَقًا، وَهُوَ الطُّغْيَانُ فَقَالَ: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾ [الجِنُّ: الآيَةُ ٦]، وَالفَلَقُ هُوَ بَيَاضُ الصُّبْحِ إِذَا انْفَلَقَ مِنَ اللَّيْلِ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ.

وَأَمَّا المُسْتَعِيذُ فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُلُّ مَنِ اتَّبَعَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

وَأَمَّا المُسْتَعَاذُ مِنْهُ فَهُوَ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ:

الأَوَّلُ: قَوْلُهُ: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ ﴾ وَهَذَا يَعُمُّ شُرُورَ الأُولَى وَالآخِرَةِ، وَشُرُورَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

الثَّانِي: قَوْلُهُ: ﴿ مِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ ﴾ وَالغَاسِقُ: اللَّيْلُ، إِذَا وَقَبَ؛ أَي: أَظْلَمَ وَدَخَلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ مَحَلُّ تَسَلُّطِ الأَرْوَاحِ الخَبِيثَةِ.

الثَّالِثُ: ﴿شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ وَهَذَا مِنْ شَرِّ السِّحْرِ، فَإِنَّ النَّفَّاثَاتِ السَّوَاحِرُ الَّتِي يَعْقِدْنَ الخُيُوطَ وَيَنْفُثْنَ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ حَتَّى يَنْعَقِدَ مَا يُرِدْنَ مِنَ السِّحْرِ، وَالنَّفَّاثَاتُ مُؤَنَّثٌ، أَيِ: الأَرْوَاحُ وَالأَنْفُسُ؛ لأَنَّ السِّحْرَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ الأَنْفُسِ الخَبِيثَةِ.

الرَّابِعُ: ﴿شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ وَهَذَا يَعُمُّ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتَهُ؛ لأَنَّهُمْ أَعْظَمُ الحُسَّادِ لِبَنِي آدَمَ أَيْضًا.

قَوْلُهُ: ﴿إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾؛ لأَنَّ الحَاسِدَ إِذَا أَخْفَى الحَسَدَ وَلَمْ يُعَامِلْ أَخَاهُ إِلاَّ بِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ لَمْ يَضُرَّهُ، وَلَمْ يَضُرَّ المَحْسُودَ). [مجموع مؤلفاته/التفسير: ٢٨٢- ٢٨٣]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ نَاصِرٍ السّعْدِيُّ (ت: ١٣٧٦هـ): (فهذه السورةُ تَضَمَّنَتْ الاستعاذةَ مِن جميعِ أنواعِ الشرورِ عُمُومًا وخُصوصًا). [تيسير الكريم الرحمن: ٢٠٠١/٤]

جواز الرقية والتعوذ مما ذكر في السورة من الشرور

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (وهذه الآيةُ دَليلُ أنَّ الرُّقْيَةَ جَائزةٌ إذا كانتْ بذِكْرِ اللهِ تعالى وبكِتَابِه. واللهُ أَعلَمُ بالصَّوَابِ). [بحر العلوم: ٥٢٧/٣]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبيُّ (ت: ٦٧١هـ): (التاسِعَةُ: هذه سورةٌ دَالَّةٌ على أنَّ اللهَ سُبحانَه خالِقُ كلِّ شَرٍّ، وأمَرَ نبيَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يَتَعَوَّذَ مِن جميعِ الشرورِ فقالَ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٩/٢٠- ٢٦٠]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ): (قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ وعَطَاءٌ: (مِنْ نَفْسِ ابنِ آدمَ وعَيْنِهِ). أَخْرَجَهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ، ففيهِ أَنَّ العَيْنَ حَقٌّ، وفِي السُّورَةِ اسْتِحْبَابُ التَّعَوُّذِ مِمَّا ذُكِرَ فِيهَا). [الإكليل: ١٣٥٩/٣]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ التَّمِيمِيُّ (ت: ١٢٠٦ هـ): (الخَامِسَةُ وَالثَّلاثُونَ: الأَمْرُ بالاسْتِعَاذَةِ مِمَّا ذُكِرَ فِي سُورَةِ الفَلَقِ). [مجموع مؤلفاته/ التفسير: ٢٧٨]

وجه التقييد بإذا الظرفية في الاستعاذة من شر الغاسق والحاسد دون النفاثات

- **راجعْ تفسيرَ قولِه تعالى: (إذا حسد)**

قَالَ أَحْمَدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ بنِ الزُّبَيْرِ الغِرْنَاطِيُّ (ت: ٧٠٨هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾، للسَّائِلِ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ التَّقْيِيدِ بالظَّرْفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ وفِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾، فلِمَ تَقَعُ الاسْتِعَاذَةُ مِنْ شَرِّ هَذَيْنِ بتَقْيِيدِ الوُقُوبِ فِي الغَاسِقِ ووقُوعِ الحَسَدِ مِنَ الحَاسِدِ، ويُطْلَقُ حُكْمُ الاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ وهُنَّ السَّاحِرَاتُ، ولَمْ يَقُلْ: إذَا نَفَثْنَ أَوْ سَحَرْنَ فَيُقَيَّدُ كما قُيِّدَ مَا قَبْلُ وما بَعْدُ، فما الفَرْقُ؟

والجَوَابُ عَنْ ذلك - واللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ طه: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ۝٦٩﴾ [طه: ٦٩] إِطْلاقٌ حَاكِمٌ بتَمَادِيهِ وتَمَادِي حُكْمِهِ على تِلْكَ الصِّفَةِ المَذْمُومَةِ، فَلَمْ يَكُنِ التَّقْيِيدُ فِي آيَةِ الفَلَقِ لَوْ قِيلَ: إذا كذا لِيُطَابِقَ ما وَرَدَ فِي سُورَةِ طه مِنَ الإِطْلاقِ. ثُمَّ إِنَّ السِّحْرَ كُفْرٌ، وقَدْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ قَوْلَ المَلَكَيْنِ للطَّالِبِ تَعَلُّمَهُ: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] أَيْ: بتَعَلُّمِ السِّحْرِ، ولا يَسْحَرُكُمْ سِحْرُ السَّاحِرِ ولا يُسَمَّى سَاحِرًا إلاَّ باعْتِقَادٍ، فَتَبَيَّنَ أَنَّ السِّحْرَ شَرٌّ مُطْلَقٌ، فَوَرَدَ التَّعَوُّذُ مِنْهُ مُطْلَقًا غَيْرَ مُقَيَّدٍ بوُقُوعٍ أَوْ (....) وتَأْثِيرِ الكَوَاكِبِ، وذلك

كُفْرٌ، وما أَجْرَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنَ التَّأْثِيرِ في العَالَمِ عِنْدَ تلاقِيها وتقابُلِهَا وتَناظُرِهَا وما في ذلك مِنْ تَفْصِيلِ التَّنَاظُرِ، كُلُّ ذَلِكَ فِعْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، ولا تَأْثِيرَ إلاَّ له جَلَّ وتَعَالَى (...) ويُقْتَلُ السَّاحِرُ ولا اسْتِتَابَةَ في قَوْلٍ.

أَمَّا الغاسِقُ فَإِنَّهُ اللَّيْلُ إذا أَظْلَمَ، ولَيْسَ الشَّرُّ مِنْهُ بما هو لَيْلٌ مُظْلِمٌ، إِنَّمَا هو سِتْرٌ لِذَوِي الشَّرِّ لاحْتِجَابِهِمْ بظُلْمَتِهِ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ فَيُوقِعُونَ فيه شَرَّهُمْ، فالشَّرُّ فيهِ لا مِنْهُ، أَلا تَرَى أَنَّه لأهْلِ الخَيْرِ رَحْمَةٌ ونِعْمَةٌ وكذلِكَ لِكُلِّ مَنْ لا يَتَرَصَّدُهُ لِشَرٍّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣]، أي: لِتَسْكُنُوا في اللَّيْلِ ولِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ في النَّهارِ.

وتَرَدَّدَ ذِكْرُ اللَّيْلِ في غَيْرِ ما آيَةٍ في كِتَابِ اللَّهِ مَعْدُودًا في نِعَمِ اللَّهِ تعالَى على عبادِهِ، وهو شَقِيقُ النَّهارِ في تِلْكَ، ثُمَّ إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ هو لِبَاسٌ وسِتْرٌ عَنِ الأَعْيُنِ فَيُمْكِنُ فِيهِ لأَهْلِ الشَّرِّ ما لا يُمْكِنُهُمْ في نَهَارِهِمْ، فَيَسْتَحْكِمُ فيهِ شَرُّهُمْ عِنْدَ امْتِدَادِ ظُلْمَتِهِ لأَمْنِهِمْ مِنَ النَّاسِ في ذلك. فَتَبَيَّنَ أَنَّهُ لَيْسَ شَرًّا بما هو لَيْلٌ إِنَّمَا الشَّرُّ فيه وعِنْدَهُ لا به بما هو لَيْلٌ ولا مِنْهُ، ولا يَتَمَكَّنُ مَطْلُوبُ ذَوِي الشَّرِّ إلا في ظُلْمَتِهِ، فَنِسْبَةُ الشَّرِّ إِلَيْهِ بهذا الوَجْهِ، والإضَافَةُ في لِسَانِ العَرَبِ تَكُونُ بأَدْنَى مُلابَسَةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾ [النازعات: ٤٦] والضُّحَى لَيْسَ لِلْعَشِيَّةِ، وإِنَّمَا هُمَا طَرَفَانِ للنَّهارِ، فَصَحَّتِ الإضَافَةُ بهذا القَدْرِ، وقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣]، واللَّيْلُ والنَّهارُ لا يَمْكُرَانِ إِنَّمَا يَكُونُ المَكْرُ فِيهِمَا، قال مَعْناهُ سِيبَوَيْهِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأَمَّا الحاسِدُ فَإِنَّ القَائِمَ بنَفْسِهِ مِن هذه الصِّفَةِ قَبْلَ أَنْ يَمْضِيَ يُمكِنُ أَنْ يُنْفِذَهَا حَسَدًا ويُمْكِنُ أَنْ يُنْفِذَهَا غِبْطَةً، فإِذًا لا يَتَبَيَّنُ كَوْنُهُ حَسَدًا إلا بَعْدَ أَنْ يُمْضَى ويُوقَعَ، ألا ترى اتِّحَادَ ما يَقُومُ بالنَّفْسِ أَوَّلاً مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ. بَيَانُ ذلك أَنَّ كُلَّ عاقِلٍ - بما هو عاقِلٌ - إِذَا رَأَى نِعْمَةً على غَيْرِهِ مِنْ دِينٍ أَوْ دُنْيَا أَعْجَبَتْهُ وتَمَنَّاها لِنَفْسِهِ، فَإِنْ أَرادَ زَوَالَهَا عَمَّنْ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ وانْفِرادَهُ هو بها فهذا هو الحَسَدُ المَذْمُومُ، وإِنْ تَمَنَّى مِثْلَهَا أَوْ أَكْثَرَ وبقاءَ تِلْكَ على صاحِبِهَا فهذه هي الغِبْطَةُ، وهي مِن صِفَاتِ المُؤْمِنِينَ، فَقَدْ وَضَحَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ حَسَدًا ويُوصَفُ بتِلْكَ الصِّفَةِ عِنْدَ ظُهُورِهِ ووقُوعِهِ على الصِّفَةِ المَذْمُومَةِ، وأَمَّا قَبْلَ ذلك فلا شَرَّ فيه ولا هو شَرٌّ، ألا ترى أَنَّ الحَاسِدَ لَوْ قَامَتْ به تلك الصِّفَةُ ثُمَّ تَذَكَّرَ واسْتَغْفَرَ لِمَنْ رَأَى النِّعْمَةَ به والخَيْرَ ورَكَنَ قَلْبُهُ إلى ذلك لَمْ يُؤَاخَذْ شَرْعًا بتِلْكَ الهِمَّةِ والخَطْرَةِ، وقَدْ نَصَّ الشَّرْعُ على ذلك، واتَّفَقَ العُلَمَاءُ والقاضِي أبو بَكْرٍ ومَنْ قالَ بقَوْلِهِ على تَلَقِّي الوَارِدِ في هذا عَنِ الشَّارِعِ عَلَيْهِ السَّلامُ، مُنَزَّلاً على ما ذَكَرْتُهُ، فَلَمَّا كانَ حَالُ الحَسَدِ على ما ذُكِرَ وحالُ الغَاسِقِ على ما تَقَدَّمَ ذَلِكَ وقَعَ التَّقْيِيدُ في الاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّهِمَا بالظَّرْفِ فَقِيلَ: ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ و﴿إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾، ولَمْ يَقَعْ تَقْيِيدٌ في الاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ السَّحَرَةِ، وجاءَ كُلٌّ مِنْ ذَلِكَ على ما يَجِبُ ويُنَاسِبُ، ولا يُمْكِنُ خِلافُهُ، واللَّهُ أَعْلَمُ). [ملاك التأويل: ١١٦٤]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (فإن قيلَ: لِمَ قالَ: ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ وَ﴿إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ فقيَّدَ بـ ﴿إِذَا﴾ التي تَقْتَضِي تَخصيصَ بعضِ الأوقاتِ؟

فالجوابُ: أنَّ شَرَّ الحاسِدِ ومَضَرَّتَه إنما تَقَعُ إذا أَمْضَى حَسَدَه، فحينئذٍ يَضُرُّ بقولِه أو بفِعْلِه أو بإصابتِه بالعينِ؛ فإنَّ عينَ الحَسودِ قاتِلَةٌ، وأمَّا إذا لم يَمْضِ حسدُه ولم يَتَصَرَّفْ بمُقتضاه فشَرُّه ضَعيفٌ، ولذلك قالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلاثٌ لا يَنْجُو مِنْهُنَّ أَحَدٌ: الحَسَدُ وَالظَّنُّ والطِّيَرَةُ» فمَخْرَجُه من الحَسَدِ أن لا يَبْقَى، ومَخرجُه من الظنِّ أن لا يُحقِّقَ، ومَخرجُه من الطِّيَرَةِ ألا يَرجِعَ، فلهذا خَصَّه بقولِه: ﴿إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾). [التسهيل: ٢٢٦]

قالَ أَبو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وقُيِّدَ الغاسقُ والحاسِدُ بالظَّرْفِ؛ لأنَّهُ إذا لم يَدْخُلِ الليلُ لا يَكُونُ مَنْسُوبًا إليهِ، وكذا كلُّ ما فُسِّرَ بهِ الغاسقُ). [البحر المحيط: ٧٦٣/٨]

قالَ أَبو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَقُيِّدَ الغَاسِقُ وَالحَاسِدُ بالظَّرْفِ لأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَدْخُلِ اللَّيْلُ لا يَكُونُ شَرٌّ مَنْسُوبٌ إِلَى النَّفَّاثَاتِ). [النهر الماد: ١٣١٩] (م)

قالَ عَطِيَّةُ مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (وقد قُيِّدَتِ الاستعاذةُ مِن شَرِّ الحاسِدِ إذا حَسَدَ؛ أي: عندَ إيقاعِه الحَسَدَ بالفِعْلِ، ولم يُقَيِّدْها مِن شَرِّ الساحِرِ إذا سَحَرَ.

وذلك - واللَّهُ تعالى أعْلَمُ - أنَّ النَّفْثَ في العُقَدِ هو عينُ السِّحْرِ، فتكونُ الاستعاذةُ واقعةً موْقِعَها عندَ سِحْرِه الواقعِ مِنه بنَفْثِه الحاصِلِ منه في العُقَدِ.

أمَّا الحاسِدُ فلم يُسْتَعَذْ منه إلاَّ عندَ إيقاعِه الحسَدَ بالفِعْلِ؛ أي: عندَ تَوَجُّهِهِ إلى المَحسودِ؛ لأنَّه قبلَ تَوَجُّهِه إلى المَحْسودِ بالحسَدِ لا يَتَأَتَّى منهُ شَرٌّ، فلا مَحَلَّ للاستعاذةِ منه). [تتمة أضواء البيان: ٣٤٣/٩]

لماذا كرر قوله: (من شر)؟

قَالَ مَحْمُودُ بْنُ حَمْزَةَ بنِ نَصرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (وَكَرَّرَ قَوْلَهُ: ﴿وَمِن شَرِّ﴾ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ لأَنَّ شَرَّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا غَيْرُ شَرِّ الآخَرِ). [البرهان: ٣٧١]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وأُعِيدَتْ كَلِمَةُ ﴿وَمِن شَرِّ﴾ بعْدَ حرْفِ العَطْفِ في هذه الجُملةِ، وفي الجُملتينِ المَعطوفتينِ عليها، مع أنَّ حرْفَ العَطْفِ مُغْنٍ عن إعادةِ العامِلِ قَصْدًا لتأكيدِ الدُّعاءِ تَعَرُّضًا للإجابةِ، وهذا مِنْ الابتهالِ، فيُنَاسِبُه الإطْنَابُ). [التحرير والتنوير: ٦٢٧/٣٠]

اقتران السحر بالحسد

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (وأَصْلُ الحَسَدِ هو بُغْضُ نِعمةِ اللهِ على المحسودِ وتَمَنِّي زوالِها، فالحاسِدُ عدوُّ النِّعَمِ، وهذا الشرُّ هو من نفسِه وطَبْعِها، ليس هو شيئًا اكْتَسَبَه من غيرِها، بل هو من خُبْثِها وشَرِّها، بخلافِ السحْرِ فإنه إنما يكونُ باكتسابِ أمورٍ أخرى واستعانَةٍ بالأرواحِ الشيطانيَّةِ؛ فلهذا – واللهُ أَعْلَمُ – قَرَنَ في السورةِ بينَ شَرِّ الحاسِدِ وشرِّ الساحِرِ؛ لأن الاستعاذَةَ من شَرِّ هذين تَعُمُّ

كلَّ شرٍّ يأتي من شياطينِ الإنْسِ والجِنِّ، فالحسَدُ من شياطينِ الجِنِّ، والسحْرُ من النوعينِ، وبَقِيَ قِسمٌ يَنفرِدُ به شياطينُ الجِنِّ، وهو الوسوسةُ في القَلْبِ، فذَكَرَه في السورةِ الأخرى، كما سيأتي الكلامُ عليها إن شاءَ اللهُ.

فالحاسِدُ والساحِرُ يُؤْذِيَانِ المحسودَ والمسحورَ بلا عَمَلٍ منه، بل هو أَذًى من أَمْرٍ خارِجٍ عنه، ففرَّقَ بينَهما في الذكْرِ في سورةِ الفَلَقِ.

والوَسواسُ إنما يُؤْذِي العبْدَ من داخلٍ بواسطةِ مُسَاكَنَتِه له وقَبُولِه منه، ولهذا يُعاقَبُ العبْدُ على الشرِّ الذي يُؤذِيه به الشيطانُ من الوَساوِسِ التي تَقْتَرِنُ بها الأفعالُ والعَزْمُ الجازِمُ؛ لأنَّ ذلك بسَعْيِه وإرادتِه، بخِلافِ شَرِّ الحاسِدِ والساحِرِ، فإنه لا يُعَاقَبُ عليه، إذ لا يُضافُ إلى كَسْبِه ولا إرادتِه، فلهذا أَفْرَدَ شرَّ الشيطانِ في سورةٍ وقَرَنَ بينَ شَرِّ الساحرِ والحاسِدِ في سورةٍ، وكثيرًا ما يَجتمِعُ في القرآنِ الحسَدُ والسحْرُ للمناسَبَةِ، ولهذا اليهودُ أَسْحَرُ الناسِ وأَحْسَدُهم؛ فإنهم لشِدَّةِ خُبْثِهم فيهم من السحْرِ والحسَدِ ما ليس في غيرِهم، وقد وَصَفَهم اللهُ في كتابِه بهذا وهذا، فقالَ: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: ١٠٢].

والكلامُ على أسرارِ هذهِ الآيةِ وأحكامِها وما تَضَمَّنَتْه من القواعِدِ والردِّ على مَن أَنْكَرَ السحْرَ، وما تَضَمَّنَتْه من الفُرقانِ بينَ السحْرِ وبينَ المُعجزاتِ الذي أَنْكَرَه مَن أَنْكَرَ السحْرَ خَشيةَ الالتباسِ، وقد تَضَمَّنَتِ الآيةُ أَعْظَمَ الفُرقانِ بينَهما في مَوْضِعٍ غيرِ هذا، إذ المقصودُ الكلامُ على أسرارِ هاتينِ السورتينِ وشدَّةِ حاجةِ الخَلْقِ إليهما، وأنه لا يَقومُ غيرُهما مَقامَهما.

وأَمَّا وَصْفُهم بالحسَدِ فكثيرٌ في القرآنِ؛ كقولِه تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤] وفي قولِه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

والشيطانُ يُقارِنُ الساحِرَ والحاسِدَ ويُحادِثُهما ويُصاحِبُهما، ولكنَّ الحاسِدَ تُعينُه الشياطينُ بلا استدعاءٍ منه للشيطانِ؛ لأنَّ الحاسِدَ شَبيهٌ بإبليسَ، وهو في الحقيقةِ من أَتباعِه؛ لأنه يَطْلُبُ ما يُحِبُّه الشيطانُ من فَسادِ الناسِ وزوالِ نِعَمِ اللهِ عنهم، كما أنَّ إبليسَ حَسَدَ آدمَ لشَرَفِه وفَضْلِه، وأَبَى أن يَسْجُدَ له، فالحاسِدُ من جُنْدِ إبليسَ، وأَمَّا الساحِرُ فهو يَطْلُبُ من الشيطانِ أن يُعينَه ويَستعينَه، ورُبَّما يَعْبُدُه من دونِ اللهِ حتى يَقْضِيَ له حاجتَه، ورُبَّما يَسْجُدُ له.

وفي كُتُب (السحْرِ والسِّرِّ المَكتومِ) من هذا عجائبُ؛ ولهذا كُلَّما كان الساحِرُ أكفَرَ وأَخْبَثَ وأشدَّ مُعاداةً للهِ ورسولِه ولِعِبادِه المؤمنينَ كان سِحْرُه أَقْوَى وأَنْفَذَ. ولهذا سِحْرُ عُبَّادِ الأصنامِ أَقْوَى من سِحْرِ أهلِ الكِتابِ، وسِحْرُ اليهودِ أَقْوَى من سِحْرِ المُنتَسِبينَ إلى الإسلامِ، وهم الذين سَحَرُوا رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي المُوَطَّأِ عن كَعْبٍ قالَ: (كَلِمَاتٌ أَحْفَظُهُنَّ من التوراةِ لولاها لَجَعَلَتْنِي يَهودُ حِمارًا: أَعُوذُ بوجْهِ اللهِ العظيمِ الذي لا شَيءَ أَعْظَمُ منه، وبكَلِماتِ اللهِ التامَّاتِ التي لا يُجاوِزُهُنَّ بَرٌّ ولا فَاجِرٌ، وبأسماءِ اللهِ الحُسنى ما عَلِمْتُ منها وما لم أَعْلَمْ من شَرِّ مَا خَلَقَ وذَرأَ وبَرأَ).

والمقصودُ أنَّ الساحِرَ والحاسِدَ كلٌّ منهما قَصْدُه الشرُّ، لكنَّ الحاسِدَ بطَبْعِه ونفْسِه وبُغْضِه للمحسودِ، والشيطانُ يَقْتَرِنُ به، ويُعِينُه ويُزَيِّنُ له حَسَدَه ويَأْمُرُه بمُوجَبِه، والساحِرُ بعِلْمِه وكَسْبِه وشِرْكِه واسْتِعَانَتِه بالشياطينِ). [بدائع الفوائد: ٢/٢٣٣- ٢٣٥]

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

اقترانُ الحسَدِ بالسِّحْرِ هنا يُشِيرُ إلى وُجودِ عَلاقةٍ بينَ كلٍّ مِن السِّحْرِ والحسَدِ، وأقَلُّ ما يكونُ هو التأثيرُ الخَفِيُّ الذي يكونُ مِن الساحِرِ بالسحْرِ، ومِن الحاسِدِ بالحسَدِ، معَ الاشتراكِ في عُمومِ الضرَرِ، فكِلاهما إيقاعُ ضَرَرٍ في خَفاءٍ، وكِلاهما مَنْهِيٌّ عنه.

وقد أَوْضَحَ فَضيلةُ الشيخِ - رحمةُ اللَّهِ تعالى عَلَيْنَا وعليه- أنواعَ السِّحْرِ وأحكامَه، وأَوْرَدَ فيه كلامًا وافيًا.

وقد ظَهَرَ بما قَدَّمْنَا أنَّ الحسَدَ له عِلاقةٌ بالسِّحْرِ نَوْعًا ما، فلَزِمَ إيضاحُه وبيانُ أمرِه بقَدْرِ المُستطاعِ، إنْ شاءَ اللَّهُ). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٤٢- ٣٤٣]

أسئلة

قَالَ زَكَرِيَّا بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٩٢٦هـ): (قَوْلُهُ: ﴿مِن شَرِّ﴾ لماذا كَرَّرَهُ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ؟

ولماذا لم يُغْنِ قَوْلُهُ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ عَمَّا بَعْدَهُ مع اشْتِمالِهِ عليْه؟

لماذا عَرَّفَ (النَّفَّاثَاتِ) ونكَّرَ ما قَبْلَها وما بَعْدَها؟). [فتح الرحمن:٤٩٩]

توقيعات

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وأخرجَ الإمامُ أحمدُ عنِ الزُّبيرِ بنِ العوَّامِ أنَّهُ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قالَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ داءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمُ: الحَسَدُ والبَغْضَاءُ، ألا والبَغْضَاءُ هِيَ الحَالِقَةُ»، فنسألُ اللَّهَ تعالَى أنْ يحفَظَنا ومُحِبِّينا منهُ إنَّهُ كريمٌ جوادٌ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٤]

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (نسألُ اللَّهَ العافيةَ والمُعافاةَ). [تتمة أضواء البيان: ٩/ ٣٥١]

❖❖❖

تم تفسيرُ سورَةِ الفَلَقِ

وللهِ الحمدُ والمِنَّةُ

تَفسيرُ سورةِ النَّاسِ

المقدمات

أسماء السورة

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (سُورةُ الناسِ، تَقَدَّمَ عندَ تَفسيرِ أوَّلِ سُورةِ الفَلَقِ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ سَمَّى سُورةَ الناسِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١﴾).
وتَقدَّمَ في سُورةِ الفلَقِ أنَّها وسُورةَ الناسِ تُسَمَّيَانِ (المُعَوِّذَتَيْنِ)، و(المُشَقْشِقَتَيْنِ) بتقديمِ الشينَيْنِ على القافَيْنِ، وتَقدَّمَ أيضًا أنَّ الزَّمَخْشَرِيَّ والقُرْطُبِيَّ ذكَرا أنهما تُسَمَّيَانِ (المُقَشْقِشَتَيْنِ) بتقديمِ القافَيْنِ على الشينَيْنِ، وعَنْوَنَها ابنُ عَطِيَّةَ في المُحَرَّرِ الوَجيزِ (سُورَةَ المعَوِّذَةِ الثانيةِ) بإضافةِ (سُورةٍ) إلى (المُعَوِّذَةِ) مِن إضافةِ الموصوفِ إلى الصِّفَةِ.
وعَنْوَنَهما التِّرْمِذِيُّ (المُعَوِّذَتَيْنِ)، وعَنْوَنَها البُخاريُّ في صَحيحِه (سُورةَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١﴾).
وفي مَصاحِفِنا القديمةِ والحديثةِ المَغربيَّةِ والمَشرقِيَّةِ تَسمِيَةُ هذه السُّورَةِ (سُورَةَ الناسِ)، وكذلك أكثَرُ كُتُبِ التفسيرِ) [التحرير والتنوير: ٦٣١/٣٠]

الاسم الأول: سورة {قل أعوذ برب الناس}

قالَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ المُثَنَّى التَّيْمِيُّ (ت: ٢١٠هـ): (سورةُ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١﴾) [مجاز القرآن: ٣١٧/٢]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ يَحْيَى بْنِ المُبَارَكِ اليَزِيدِيُّ (ت: ٢٣٧هـ): (سورَةُ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١﴾) [غريب القرآن وتفسيره: ٤٤٧]

قال محمدُ بنُ إسماعيلَ البخاريُّ (ت: ٢٥٦هـ): (سورةُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١﴾). [صحيح البخاري: ٣١٢/٥]

- **قال محمودُ بنُ أحمدَ بنِ موسى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ):** ((سُورَةُ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١﴾) أَي: هَذَا فِي تَفْسِيرِ بَعْضِ شَيْءٍ مِنْ سُورَةِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ لَمْ يُذْكَرْ لَفْظُ: "سُورَةُ" وَفِي بَعْضِهَا: سُورَةُ النَّاسِ). [عمدة القاري: ١٠/٢٠]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النَّحَّاسُ (ت: ٣٣٨ هـ): (حدَّثَنَا يَمُوتُ بإِسْنَادِهِ عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ...أنَّ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ إِلَى آخِرِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١﴾ مَدَنِيَّةٌ). [الناسخ والمنسوخ للنحاس: ١٥٣/٣] (م)

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنُ أَبِي زَمَنِينَ (ت: ٣٩٩هـ): (تَفْسِيرُ سُورَةِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١﴾) [تفسير القرآن العزيز: ١٧٥/٥]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ بنِ الزُّبَيْرِ الغِرْنَاطِيُّ (ت: ٧٠٨هـ): (سُورَةُ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١﴾). [ملاك التأويل:]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (: فَصْلٌ : فِي ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ إلَى آخِرِهَا). [مجموع الفتاوى:١٧/٥١١]

قال أحمدُ بنُ عَلِيٍّ بنِ حجرٍ العَسْقَلانيُّ (ت: ٨٥٢هـ): (قَوْلُهُ : (سُورَةُ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾) وتُسَمَّى سُورَةَ النَّاسِ). [فتح الباري: ٨/٧٤١]

قالَ محمودُ بنُ أحمدَ بنِ مُوسَى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): (و ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ مَكِّيَّةٌ في قولِ قَتادةَ وعِكْرِمةَ ، وفي قولِ ابنِ عباسٍ مَدَنِيَّةٌ). [شرح سنن أبي داود: ٥/٣٧٨- ٣٧٩]

قالَ جلالُ الدينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أبي بكرٍ السيوطيُّ (ت: ٩١١هـ): (تفسيرُ سورةِ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾). [التَّوْشِيحُ: ٧/٣١٦٣]

قال أحمدُ بنُ محمدِ بن أبي بكرٍ القَسْطَلَّانيُّ (ت: ٩٢٣هـ): (سُورَةُ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾). [إرشاد الساري: ٧/٤٤٢]

■ أدلة هذا الاسم:

قالَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثنا حَسَنُ بنُ مُوسَى ، حَدَّثنا شَيْبانُ ، عن يَحْيَى بنِ أبي كَثِيرٍ ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ ، أن أبا عبدِ الرحمنِ أخبَرَه : أن ابنَ عابسٍ الجُهَنِيَّ أخبَرَه ، أن رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ له : «يَا ابْنَ عَابِسٍ ، أَلا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟» قالَ : قلتُ : بلى. فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : «﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾ و ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ هاتينِ السورتينِ»). [مسند الإمام أحمد: ٢٨/٥٣٠] (م)

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (أَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَهْ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ : أُنْزِلَ بِالْمَدِينَةِ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٦] (م)

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَهْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : أُنْزِلَ بِمكةَ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٦] (م)

■ الاسم الثاني: سورة الناس

قَالَ عَبْدُ الخَالِقِ بْنُ الحَسَنِ ابنُ أَبِي رُوبَا (ت:٣٥٦ هـ): حدَّثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ ثابتٍ الثَّورِيُّ عن أَبِيه عن الهُذَيْلِ بنِ حَبِيبٍ عنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ البلخيِّ (ت:١٥٠هـ): (سُورَةُ النَّاسِ) [تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٣٩]

قالَ يَحيَى بْنُ زِيادٍ الفَرَّاءُ: (ت: ٢٠٧هـ): (ومِن سُورةِ الناسِ) [معاني القرآن: ٣/٣٠٢]

قالَ الأَخْفَشُ سَعِيدُ بْنُ مَسْعَدَةَ البَلْخِيُّ (ت: ٢١٥هـ): (ومِن سُورةِ الناسِ) [معاني القرآن: ٢/٥٥٠]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَورِيُّ (ت: ٢٧٦هـ): (سورةُ الناسِ) [تفسير غريب القرآن: ٥٤٣]

قالَ هُودُ بْنُ مُحكَّمٍ الهوَّارِيُّ (ت: ق٣): (تفسيرُ سورةِ النَّاسِ) [تفسير كتاب الله العزيز: ٤/٥٤٥]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبٍ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٣٠٨هـ): (ومِنْ سُورَةِ النَّاسِ) [الواضح: ٥٢٨/٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (تَفْسِيرُ سُورَةِ الناسِ) [جامع البيان: ٧٥٣/٢٤]

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ مُجَاهِدٍ (ت: ٣٢٤هـ): (ذِكْرُ اخْتِلافِهِمْ فِي سُورَةِ النَّاسِ). [السبعة في القراءات:٧٠٣]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النحَّاسُ (ت: ٣٣٨هـ): (شرحُ إعرابِ سُورَةِ الناسِ) [إعراب القرآن: ٣١٥/٥]

قَالَ غُلامُ ثَعْلَبٍ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ البَغْدَادِيُّ (ت: ٣٤٥هـ): (ومِن سُورةِ الناسِ) [تفسير غريب القرآن: ٦١٣]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ الحَسَنِ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٣٥٢هـ): (تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّاسِ) [تفسير مجاهد: ٧٩٧]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ):(ومن سورةِ الناسِ) [الحجة: ٣٧٨]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ):(شَوَاذُّ سُورَةِ النَّاسِ) [مختصر شواذ القراءات:١٨٣]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الأَزْهَرِيُّ (ت: ٣٧٠ هـ): (سورةُ النَّاسِ). [علل القراءات:٨١١]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (ومَن سُورَةِ النَّاسِ) [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٨]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (سُورَةُ النَّاسِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٤٣] [نسخة رامفور]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (سُورةُ الناسِ) [بحر العلوم: ٥٢٨/٣]

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الفَارِسِيُّ (ت: ٣٧٧هـ): (ذِكْرُ اخْتِلافِهِمْ فِي سُورَةِ النَّاسِ). [الحجة:٤٦٦]

قَالَ عَبْدُ المُنْعِمِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ غَلْبُونَ (ت: ٣٨٩هـ): (سُورَةُ النَّاسِ) [التذكرة:٦٥٥]

قَالَ عُثْمَانُ بْنُ جِنِّي المَوْصِلِيُّ (ت: ٣٩٢هـ): (سورةُ الفَلَقِ والنَّاسِ) [المحتسب:٣٧٥]

قال محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الحاكمُ النَّيْسابوريُّ (ت: ٤٠٥هـ): (تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّاسِ). [المستدرك: ٥٤١/٢]

قالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ محمدُ بنُ الحُسَيْنِ الموسَوِيُّ (ت: ٤٠٦هـ): (سُورَةُ النَّاسِ). [تلخيص البيان: ٣٤١]

قَالَ هِبَةُ اللهِ بنُ سَلامَةَ بنِ نَصرٍ المُقْرِي (ت: ٤١٠ هـ): (سُورَةُ النَّاسِ). [الناسخ والمنسوخ لابن سلامة: ٢٠٩]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (سورةُ الناسِ) [الكشف والبيان: ٣٤١/١٠]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ الخَطِيبُ الإِسْكَافِيُّ (ت: ٤٣١هـ): (سُورَةُ النَّاسِ) [درة التنزيل: ٣٧٤]

قَالَ مَكِّيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (وَسُورَةُ النَّاسِ). [الكشف:٣٨٩]

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (سُورَةُ النَّاسِ) [العمدة في غريب القرآن: ٣٦١]

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (النَّاسُ) [تفسير المشكل من غريب القرآن: ٣٠٩]

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (تَفْسِيرُ مُشْكِلِ إِعْرَابِ سُورَةِ النَّاسِ) [مشكل إعراب القرآن: ٢/ ٣٩٢]

قَالَ مَكِّيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (وَالنَّاسُ سِتُّ آيَاتٍ). [التبصرة:٣٩٢]

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: ٤٤٤هـ): (سُورَةُ النَّاسِ) [المكتفى: ٢٤٥]

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: ٤٤٤هـ): (سُورَةُ النَّاسِ). [البيان:٢٩٨]

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (سورةُ الناسِ) [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٨]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الواحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (سُورَةُ النَّاسِ) [الوجيز: ٢/١٢٤٣]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الواحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّاسِ) [الوسيط: ٤/٥٧٥]

قَالَ عَبْدُ الكَرِيمِ بنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الطَّبَرِيُّ (ت: ٤٧٨هـ): (النَّاسُ). [التلخيص:٤٨٧]

قالَ أَبُو المُظفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (تفسيرُ سورةِ الناسِ) [تفسير القرآن: ٦/٣٠٨]

قالَ الحَسَنُ بْنُ خَلَفِ ابنُ بِلِّيمَةَ الهَوَّارِيُّ (ت: ٥١٤هـ): (سورَةُ الفَلَقِ وسُورَةُ النَّاسِ). [تلخيص العبارات:١٦٤]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (سورةُ الناسِ) [معالم التنزيل: ٧٢٧]

قالَ مَحْمُودُ بنُ حَمْزَةَ بنِ نَصْرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (سُورَةُ الناسِ) [غرائب التفسير: ٢/١٤١٥]

قَالَ مَحْمُودُ بنُ حَمْزَةَ بنِ نَصْرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (سُورَةُ النَّاسِ) [البرهان: ٣٧١]

قَالَ قِوَامُ السُّنَّةِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَصْبَهَانِيُّ (ت: ٥٣٥هـ) (فيما نُسِبَ إليه): (وَمِنْ سُورةِ النَّاسِ) [إعراب القرآن: ٥٦٦]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (سُورَةُ النَّاسِ) [الكشاف: ٦/٤٦٨]

قَالَ سِبْطُ ابْنِ الخَيَّاطِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَلِيٍّ البَغْدَادِيُّ (ت: ٥٤١هـ): (سُورة الفَلَقِ والناسِ). [الاختيار:٨١٠]

قالَ عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ الأَصْبَهَانِيُّ البَاقُولِيُّ (ت: ٥٤٣هـ): (سُورةُ الناسِ) [كشف المشكلات: ٢/١٤٩٦]

قال محمدُ بنُ عبدِ اللهِ ابنُ العربيِّ (ت: ٥٤٣هـ): (ومِنْ سُورَةِ الفَلَقِ والنَّاسِ). [عارضة الأحوذي: ١١/٢٦٠]

قالَ عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (تفسيرُ سورةِ الناسِ) [المحرر الوجيز: ١٥/٦١٣]

قالَ عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (كَمُلَ تفسيرُ سورةِ الناسِ). [المحرر الوجيز: ١٥/٦١٥]

قالَ مَحْمُودُ بنُ أَبِي الحَسَنِ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٥٥٥هـ): (سُورَةُ الناسِ) [إيجاز البيان: ٢/٣٤٢]

قالَ نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ ابنُ أَبِي مَرْيَمَ (ت: ٥٦٥هـ): (سُورَةُ النَّاسِ). [الموضح:١٤١٨]

قَالَ ابنُ الأَبْزَارِيِّ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ الغَافِقِيُّ (ت: ٥٦٥هـ): (النَّاسُ). [رواية أبي عمرو بن العلاء:٢١٥]

قالَ أَبُو البَرَكَاتِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَنْبَارِيُّ (ت: ٥٧٧هـ): (غَرِيبُ إِعْرَابِ سُورَةِ النَّاسِ) [البيان: ٥٤٩]

قالَ أبو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (سُورَةُ النَّاسِ) [زاد المسير: ٩/٢٧٧]

قَالَ أبو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (سورةُ الناسِ) [تذكرة الأريب: ٣٢٤]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (سُورَةُ النَّاسِ) [التفسير الكبير: ٣٢/١٨٠]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (النَّاس) [التبيان: ٢/ ٤٨٥]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (سُورَةُ النَّاسِ) [إعراب القراءات الشواذ: ٢/ ٧٦٢]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (سُورَةُ الناسِ) [إملاء ما من به الرحمن: ٢/ ٢٩٨]

قَالَ ابنُ عَسَاكِرَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ خَضِرٍ الغَسَّانِيُّ (ت:٦٣٦هـ): (سُورَةُ النَّاسِ) [التكملة والإتمام: ٢٢٣]

قَالَ حُسَيْنُ بنُ أَبِي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (إعرابُ سورةِ الناسِ) [الفريد: ٤/٧٥٣]

قَالَ عَلَمُ الدِّينِ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ السَّخَاوِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): ([سُورَةُ] النَّاسِ). [أقوى العدد: ٢٣٠]

قالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (سُورَةُ النَّاسِ) [تفسير القرآن: ٥١٢/٣]

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ بنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت: ٦٦٠هـ): (سُورَةُ النَّاسِ). [فوائد في مشكل القرآن:٢٦١]

قالَ زَيْنُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أبِي بَكْرٍ الرَّازِيُّ (ت: ٦٦٦هـ): (سورةُ الناسِ) [غرائب التنزيل: ٦٠٢]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (سُورَةُ الناسِ) [الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٠/٢٠]

قَالَ ابنُ المُنَيِّرِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ الإِسْكَنْدَرَانِيُّ (ت: ٦٨٣هـ): (تَفْسِيرُ غريبِ سُورةِ النَّاسِ) [التيسير العجيب: ٢٣٥]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (سُورَةُ الناسِ) [أنوار التنزيل: ١١٨٠/٢]

قالَ الدِّيرِينِيُّ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ سَعِيدٍ الدَّمِيرِيُّ (ت: ٦٩٧هـ) : (سُورَةُ النَّاسِ) [التيسير: ٣٥٢]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ الثَّقَفِيُّ (ت: ٧٠٨هـ): (سورةُ الناسِ) [البرهان: ٢٤٧]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (سورةُ الناسِ) [مدارك التنزيل:٢٠١٥/٣]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (سورةُ الناسِ) [لباب التأويل: ٥٠٣/٤]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (سورةُ الناسِ) [غرائب القرآن: ٢٢٣/٣٠]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنُ جَمَاعَةَ الكِنَانِيُّ (ت: ٧٣٣هـ): (وَمِنْ سُورَةِ النَّصْرِ إِلَى النَّاسِ) [غرر التبيان:٥٥١]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنُ جَمَاعَةَ الكِنَانِيُّ (ت: ٧٣٣هـ): (سُورةُ الناسِ) [كشف المعاني:٤٣٣]

قَالَ هِبَةُ اللهِ بنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ ابنُ البَارِزِيِّ (ت: ٧٣٨ هـ): (سورةُ النَّصْرِ إِلَى آخرِ الناسِ مُحكماتٌ). [الناسخ والمنسوخ لابن البارزي: ٥٨]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (سورةُ الناسُ) [التسهيل: ٢٢٦]

قَالَ عَبْدُ البَاقِي بْنُ عبدِ المَجِيدِ القُرَشِيُّ اليَمَانِيُّ (ت: ٧٤٣هـ): (سورةُ النَّاسِ) [الترجمان: ٢٣٥]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (سورةُ الناسِ) [البحر المحيط: ٧٦٤/٨]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (سُورَةُ النَّاسِ) [النهر الماد: ١٣٢٠]

قال محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عثمانَ الذَّهَبِيُّ (ت: ٧٤٨هـ): (تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّاسِ). [تلخيص مستدرك الحاكم: ٥٤١/٢]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُثْمَانَ التُّرْكُمَانِيُّ (ت: ٧٥٠هـ): (سُورَةُ النَّاسِ) [بهجة الأريب: ٢٥٧]

قَالَ السَّمِينُ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الحَلَبِيُّ (ت: ٧٥٦هـ): (سورةُ الناسِ) [الدر المصون: ١٦١/١١]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ سُلَيْمَانَ بْنِ رَيَّانَ (ت: ٧٧٠هـ): (سورَةُ النَّاسِ) [الروض الريان: ٦٥٠/٣]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ البَلَنْسِيُّ (ت: ٧٨٢هـ): (سُورَةُ النَّاسِ) [صلة الجمع:٧٦١]

قال محمدُ بنُ يوسف بنِ عليٍّ الكِرْمانيُّ (ت: ٧٨٦هـ): (سورةُ الناسِ). [شرح الكرماني: ٢١٩/١٧]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ العَتَائِقِيُّ (ت: ق ٨): (سُورَةُ النَّصْرِ وَتَبَّتْ وَالإِخْلاصِ وَالفَلَقِ وَالنَّاسِ لَيْسَ فِيهَا نَاسِخٌ وَلا مَنْسوخٌ). [الناسخ والمنسوخ للعتائقي:٨٥ (م)]

قَالَ عَلِيُّ بنُ عُثْمَانَ ابْنُ القَاصِحِ (ت: ٨٠١هـ): (سُورَةُ النَّاسِ). [قرة العين:١٩٧]

قَالَ ابْنُ المُلَقِّنِ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٨٠٤هـ): (سورةُ الناسِ) [تفسير غريب القرآن: ٦٠٥]

قَالَ ابنُ الهائِمِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِمَادٍ القَرَافِيُّ (ت: ٨١٥هـ): (سورةُ الناسِ) [التبيان: ٣٥٦]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ خَلِيلٍ القبَاقِبِيُّ (ت: ٨٤٩هـ): [سورَةُ النَّاسِ]). [إيضاح الرموز:٧٣٧]

قال أحمدُ بنُ عَلِيٍّ بنِ حجرٍ العَسْقَلانيُّ (ت: ٨٥٢هـ): (قَوْلُهُ: (سُورَةُ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾ وتُسَمَّى سُورَةَ النَّاسِ). [فتح الباري: ٧٤١/٨ (م)]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ المَحَلِّيُّ (ت: ٨٦٤هـ): (سورةُ الناسِ) [تفسير الجلالين: ٦٠٤]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبِيُّ (ت: ٨٧٥ هـ): (تَفْسِيرُ سُورَةِ الناسِ) [الجواهر الحسان: ٦٤٢/٥]

قَالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (سُورَةُ النَّاسِ) [اللباب: ٥٧٦/٢٠]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (سورةُ الناسِ) [نظم الدرر: ٦١١/٨]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الإِيجِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت: ٩٠٥ هـ): (سورةُ الناسِ) [جامع البيان: ٥٤٧/٤]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (سُورَةُ النَّاسِ) [الدر المنثور: ٨٠٦/١٥]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ): (سُورَةُ النَّاسِ) [الإكليل: ١٣٦٠/٣]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ): (سورةُ الفَلَقِ والناسِ). [تناسق الدرر:١٨٨]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت:٩١١هـ): (سورةُ الناسِ) [مفحمات الأقران:٢١٧]

قَالَ زَكَرِيَّا بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٩٢٦هـ): (سُورَةُ النَّاسِ). [فتح الرحمن:٤٩٩]

قَالَ زَكَرِيَّا بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٩٢٦هـ): (سُورَةُ النَّاسِ). [المقصد:١١٥]

قَالَ عُمَرُ بْنُ قَاسِمٍ النَّشَّارُ (ت: ٩٣٨هـ): (سورَةُ النَّاسِ). [البدور الزاهرة:٤٦٣]

قَالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (سورةُ النَّاسِ) [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٥]

قَالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (سورةُ النَّاسِ) [إرشاد العقل السليم: ٢١٦/٧]

قال عبدُ الرؤوفِ بنُ تاجِ العارفينَ المُناويُّ (ت: ١٠٣١هـ): (سورةُ النَّاسِ). [الفتح السماوي: ١١٤٢/٣]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ الكَرِيمِ الأَشْمُونِيُّ (ت: ق١١هـ): (الفَلَقِ وَالنَّاسِ) [منار الهدى:٣١٠]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ البَنَّاءُ الدِّمْيَاطِيُّ (ت: ١١١٧هـ): (سُورَةُ النَّاسِ). [إتحاف فضلاء البشر: ٦٣٩]

قَالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَاقِسِيُّ (ت: ١١١٨هـ): (سُورَةُ النَّاسِ). [غيث النفع:٦٦٢]

قَالَ المُؤَذِّنُ عَبْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ سَلامَةَ الإِدْكَاوِيُّ (ت: ١١٨٤هـ): (سُورَةُ النَّاسِ). [ترويح أولي الدماثة: ٢٧٩/٢]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (تَفْسِيرُ سورةِ الناسِ) [فتح القدير: ٧٦٢/٥]

قَالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (سورةُ الناسِ) [روح المعاني: ٢٨٥/٢٩]

قَالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (سورةُ الناسِ) [فتح البيان: ٤٦٣/١٥]

قَالَ رِضْوانُ بنُ مُحَمَّدٍ المُخَلِّلاتِيُّ (ت: ١٣١١هـ): (سُورَةُ النَّاسِ) [القول الوجيز:٣٦٢]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (سورةُ النَّاسِ) [مراح لبيد: ٦٨٣/٢]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المصريُّ(ت: ١٣٢٣هـ): (سُورَةُ النَّاسِ) [تفسير جزء عم: ١٨٨]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (سُورةُ الناسِ) [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٩]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (سُورَةُ النَّاسِ) [تفسير المراغي: ٣٠/٢٦٩]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ نَاصِرٍ السّعْدِيُّ (ت: ١٣٧٦هـ): (تَفْسِيرُ سورةِ الناسِ) [تيسير الكريم الرحمن: ٤/٢٠٠٢]

قَالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الضَبَّاعُ (ت: ١٣٨٠هـ): (ولَيْسَ في (سُورَتَي الفَلَقِ وَالنَّاسِ) شَيْءٌ مِنَ الْمُخَالَفَةِ). [البهجة المرضية:١٢٧] (م)

قَالَ مُحَمَّدٌ الأَمِينُ الجكنيُّ الشَّنْقِيطِيُّ (ت: ١٣٩٣هـ): (سورةُ الناسِ) [دفع إيهام الاضطراب:٢٣٥]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (تَمَّ تَفسيرُ (سُورَةِ النَّاسِ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣٦]

قَالَ عَبْدُ الفَتَّاحِ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ القَاضِي (ت: ١٤٠٣هـ): (سُورَةُ الناسِ). [البدور الزاهرة: ٣٤٧]

الاسم الثالث: السُّورَةُ الَّتي يُذْكَرُ فِيهَا النَّاسُ

قالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ (ت: ٢٨٣هـ): (السُّورَةُ الَّتي يُذْكَرُ فِيهَا النَّاسُ) [تفسير التستري: ٢١١]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزَابادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (وَمِنَ السُّورَةِ الَّتِي يَذْكَرُ فِيهَا النَّاسُ) [تنوير المقباس: ٦٠٤]

نزول السورة

الخلاف في كونها مكية أو مدنية

قلت: (راجع ما تقدم بيانه عند الكلام على نزول المعوذتين).

قَالَ عَبْدُ الخَالِقِ بْنُ الحَسَنِ ابنُ أَبِي رُوبَا (ت:٣٥٦ هـ): حدَّثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ ثابِتٍ الثَّورِيُّ عن أبيه عن الهُذَيْلِ بنِ حَبِيبٍ عنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ البلخيِّ (ت:١٥٠هـ): (مَكِّيَّةٌ) [تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٣٩]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ كَثِيرٍ العَبْدِيُّ (ت: ٢٢٣هـ): (حَدَّثَنا هَمَّامٌ عَنْ قَتَادَةَ قالَ: (البَقَرةُ وآلُ عِمْرَانَ والنِّسَاءُ والمائِدَةُ والأَنْفَالُ وَبَرَاءَةٌ والرَّعْدُ والنَّحْلُ والحِجْرُ والنُّورُ والأَحْزَابُ ومُحَمَّدٌ وَالفَتْحُ والحُجُرَاتُ والرَّحْمَنُ والحَدِيدُ إِلَى ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١] عَشْرٌ مُتَوَالِيَاتٌ، و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ و﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ قالَ: هَذَا مَدَنِيٌّ، وَسَائِرُ القُرْآنِ مَكِّيٌّ). [الناسخ والمنسوخ لقتادة: ٥٥]

قالَ هُودُ بْنُ مُحكَّمٍ الهوَّارِيُّ (ت: ق٣): (وهي مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا) [تفسير كتاب الله العزيز: ٤/٥٤٥]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبٍ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٣٠٨هـ): (وهي كُلُّها مَدَنِيَّةٌ) [الواضح: ٢/٥٢٨]

قَالَ أَبو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَزْمٍ الأَنْدَلُسِيُّ (ت: ٣٢٠ هـ): (سورَةُ الإِخْلاصِ، الفَلَقِ، النَّاسِ، اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَنْزِيلِهِنَّ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ مَدَنِيَّاتٌ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ: هُن مَكِّيَّاتٌ). [الناسخ والمنسوخ لابن حزم: ٦٨] (م)

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النَّحَّاسُ (ت: ٣٣٨ هـ): (حدَّثَنَا يَمُوتُ بإسْنَادِهِ عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ..أنَّ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ إلى آخرِ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ مدَنِيَّةٌ). [الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٣/١٥٣]

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النَّحَّاسُ (ت: ٣٣٨ هـ): (قَالَ كُرَيْبٌ: (وجَدْنَا فِي كِتَابِ ابْنِ عبَّاسٍ أنَّ مِنْ سُورَةِ القَدْرِ إِلَى آخِرِ القُرْآنِ مكِّيَّةٌ إلاَّ ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾، و﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾، و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ فإنَّهُنَّ مدَنِيَّاتٌ). [الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٣/١٥٣]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (مُختَلَفٌ فيها) [بحر العلوم: ٣/٥٢٨]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (مَكِّيَّةٍ) [بحر العلوم: ٣/٥٢٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنُ أَبِي زَمَنِينَ (ت: ٣٩٩هـ): (وهِيَ مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ قَتَادَةَ، وبَعْضُهم يَقُولُ: مَدَنِيَّةٌ). [تفسير القرآن العزيز: ٥/١٧٥]

قَالَ هِبَةُ اللهِ بنُ سَلامَةَ بنِ نَصْرٍ المُقْرِي (ت: ٤١٠ هـ): (سُورَةُ النَّاسِ نزَلَتْ بالمَدِينَةِ، وقيلَ: بمَكَّةَ. واللهُ أَعْلَمُ). [الناسخ والمنسوخ لابن سلامة: ٢٠٩]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (مدنيَّةٌ) [الكشف والبيان: ١٠/٣٤١]

قَالَ مَكِّيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (ولَيْسَ فِي سُورَةِ الإِخْلاصِ والمُعَوِّذَتَيْنِ شَيْءٌ مِنَ الاخْتِلافِ إلاَّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِ الأُصُولِ، ومَا ذَكَرْنَا مِنَ الاخْتِلافِ فِي ﴿كُفُوًا﴾، وَوَقْفُ حَمْزَةَ عَلَيْهِ.

وهُنَّ مَدَنِيَّاتٌ، والإِخْلاصُ قَدْ قِيلَ: إِنَّهَا أَرْبَعُ آيَاتٍ، والفَلَقُ خَمْسُ آيَاتٍ. والنَّاسُ سِتُّ آيَاتٍ.

وكُلُّ مَا لَمْ نَذْكُرْ فِيهِ مَدَنِيٌّ ولا كُوفِيٌّ فَهُوَ اتِّفَاقٌ مِنْهُمَا فَاعْلَمْ ذَلِكَ). [التبصرة:٣٩٢] (م)

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: ٤٤٤هـ): (مَدَنِيَّةٌ، هذا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وعَطَاءٍ، وقال قَتَادَةُ: مَكِّيَّةٌ). [البيان:٢٩٨]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (مَكِّيَّةٌ) [الوسيط: ٤/٥٧٥]

قَالَ عَبْدُ الكَرِيمِ بنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الطَّبَرِيُّ (ت: ٤٧٨هـ): (مَدَنِيَّةٌ). [التلخيص:٤٨٧]

قالَ أَبُو المُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (وهي مَدَنِيَّةٌ) [تفسير القرآن: ٦/٣٠٨]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (مَدَنِيَّةٌ) [معالم التنزيل: ٧٢٧]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (مَكِّيَّةٌ، وقِيلَ: مدنيَّةٌ) [الكشاف: ٦/٤٦٨]

قالَ عَبْدُ الحَقِّ بْنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (مَكِّيَّةٌ) [المحرر الوجيز: ١٥/٦١٣]

قالَ عَبْدُ الحَقِّ بْنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (قالَ ابنُ عَبَّاسٍ وغيرُه: هي مَدَنِيَّةٌ. وقالَ قَتَادَةُ: هي مَكِّيَّةٌ). [المحرر الوجيز: ١٥/٦١٣]

قَالَ ابنُ الأَنْبَارِيِّ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ الغَافِقِيُّ (ت: ٥٦٥هـ): (مَدَنِيَّةٌ). [رواية أبي عمرو بن العلاء:٢١٥]

قَالَ أبو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (وفيها قولانِ:

أحدُهما: أنّها مَدَنِيَّةٌ، رواهُ أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ.

والثاني: أنّها مَكِّيَّةٌ، رواهُ أبو كُرَيْبٍ عن ابنِ عبَّاسٍ) [زاد المسير: ٢٧٧/٩]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (مَدَنِيَّةٌ) [التفسير الكبير: ١٨٠/٣٢]

قالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (كالفَلَقِ) [تفسير القرآن: ٥١٢/٣]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (مِثْلُ (الفَلَقِ)؛ لأنها إِحْدَى المُعَوِّذَتَيْنِ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٠/٢٠]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (مُخْتَلَفٌ فيها) [أنوار التنزيل: ١١٨٠/٢]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (مَكِّيَّةٌ) [مدارك التنزيل:٢٠١٥/٣]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (وهيَ مدنيَّةٌ، وقيلَ: مكِّيَّةٌ، والأَوَّلُ أَصَحُّ) [لباب التأويل: ٥٠٣/٤]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (وهِيَ مكِّيَّةٌ، وقيلَ: مَدَنِيَّةٌ) [غرائب القرآن: ٢٢٣/٣٠]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيٍّ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (مَكِّيَّةٌ) [التسهيل: ٢٢٦]

قالَ أَبُو حيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (مَدَنِيَّةٌ) [البحر المحيط: ٧٦٤/٨]

قالَ أَبُو حيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (تَقَدَّمَ أَنَّها نَزَلَتْ معَ ما قَبْلَهَا، والخلافُ أَهِيَ مَدَنِيَّةٌ أمْ مَكِّيَّةٌ؟) [البحر المحيط: ٧٦٤/٨]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (وهي مدنية) [تفسير القرآن العظيم: ٣٩١١/٨]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزَآبادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (وَهِيَ كُلُّهَا مَدَنِيَّةٌ) [تنوير المقباس: ٦٠٤]

قال محمودُ بنُ أحمدَ بنِ موسى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): (وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ). [عمدة القاري: ١٠/٢٠]

قالَ محمودُ بنُ أحمدَ بنِ مُوسَى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): (و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ مَكِّيَّةٌ في قولِ قَتَادَةَ وعِكْرِمَةَ، وفي قولِ ابنِ عباسٍ مَدَنِيَّةٌ). [شرح سنن أبي داود: ٣٧٨/٥- ٣٧٩] (م)

قالَ جَلالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ المَحَلِّيُّ (ت: ٨٦٤هـ): (مَكِّيَّةٌ أوْ مَدَنِيَّةٌ) [تفسير الجلالين: ٦٠٤]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبِيُّ (ت: ٨٧٥ هـ): (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: هِيَ مَدَنِيَّةٌ. وَقَالَ قَتَادَةُ: مَكِّيَّةٌ) [الجواهر الحسان: ٦٤٢/٥]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (مَكِّيَّةٌ) [اللباب: ٥٧٦/٢٠]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (مَكِّيَّةٌ) [نظم الدرر: ٦١١/٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الإِيجِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت: ٩٠٥ هـ): (مُخْتَلَفٌ فيها) [جامع البيان: ٥٤٧/٤]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (مكيةٌ) [الدر المنثور: ٨٠٦/١٥]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (أَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَهْ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: أُنْزِلَ بِالمَدِينَةِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾). [الدر المنثور: ٨٠٦/١٥]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَهْ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أُنْزِلَ بِمكةَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٦]

قال أحمدُ بنُ محمدِ بن أبي بكرٍ القَسْطلاَّنيُّ (ت: ٩٢٣هـ): (مَكِّيَّةٌ أو مَدَنِيَّةٌ). [إرشاد الساري: ٧/٤٤٢]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (مكيةٌ) [تفسير القرآن الكريم: ٤/٦١٥]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (مَكِّيَّةٌ مُخْتَلَفٌ فِيهَا) [إرشاد العقل السليم: ٧/٢١٦]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ البَنَّاءُ الدِّمْيَاطِيُّ (ت: ١١١٧هـ): (مَكِّيَّةٌ، وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ). [إتحاف فضلاء البشر: ٦٣٩]

قَالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَاقِسِيُّ (ت: ١١١٨هـ): (مَدَنِيَّةٌ في قَوْلِ ابْنِ عبّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- ومُجَاهِدٍ، مَكِّيَّةٌ في قَوْلِ قَتَادَةَ). [غيث النفع:٦٦٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَالخلافُ في كَوْنِهَا مَكِّيَّةً أَوْ مَدَنِيَّةً كالخلافِ الذي تَقَدَّمَ في سورةِ الفلقِ، وَأَخْرَجَ ابنُ مَرْدُويه عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أُنْزِلَ بِمكَّةَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾، وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويه عَن ابنِ الزبيرِ قَالَ: أُنْزِلَ بالمدينةِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾. وَقَدْ قَدَّمْنَا في سورةِ الفلقِ ما وَرَدَ في سببِ نزولِ هذهِ السورةِ وَما وَرَدَ في فَضْلِهَا فَارْجِعْ إليهِ) [فتح القدير: ٥/٧٦٢]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وَالخلافُ في كَوْنِهَا مَكِّيَّةً أَوْ مدنيَّةً كالخلافِ الذي تَقَدَّمَ في سورةِ الفلقِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أُنْزِلَ بِمكَّةَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾. وَعن ابنِ الزبيرِ قَالَ: أُنْزِلَ بالمَدِينَةِ) [فتح البيان: ١٥/٤٦٣]

قَالَ رِضْوانُ بنُ مُحَمَّدٍ المُخَلِّلاتيُّ (ت: ١٣١١هـ): (مَدَنِيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ وَابْنِ المُبَارَكِ، ومَكِّيَّةٌ عِنْدَ بَعْضٍ). [القول الوجيز:٣٦٢]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (مَدَنِيَّةٌ) [مراح لبيد: ٢/٦٨٣]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المصريُّ(ت: ١٣٢٣هـ): (هذه السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ كالسُّورَةِ الَّتي قَبْلَها في قَوْلِ مَن ذَكَرْنا). [تفسير جزء عم: ١٨٨ (م)]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (مَكِّيَّةٌ) [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٩]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (هِيَ مَكِّيَّةٌ) [تفسير المراغي: ٣٠/٢٦٩]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ نَاصِرٍ السّعْدِيُّ (ت: ١٣٧٦هـ): (وهي مَدَنِيَّةٌ) [تيسير الكريم الرحمن: ٤/٢٠٠٢]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وعلى الصحيحِ مِن أنَّها مَكِّيَّةٌ، فقَدْ عُدَّتِ الحادِيَةَ والعِشرينَ مِنَ السُّوَرِ، نَزلتْ عَقِبَ سُورةِ الفَلَقِ، وقبْلَ سُورةِ الإخلاصِ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣١]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وهي مَكِّيَّةٌ في قَولِ الذين قالوا في سُورةِ الفَلَقِ: إنها مَكِّيَّةٌ. ومَدَنيَّةٌ في قَوْلِ الذينَ قالوا في سُورةِ الفلَقِ: إنها مَدنيَّةٌ. والصحيحُ أنهما نَزَلَتَا مُتعاقِبَتَيْنِ، فالخِلافُ في إحداهما كالخِلافِ في الأُخرى) [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣١]

قَالَ عَبْدُ الفَتَّاحِ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ القَاضِي (ت: ١٤٠٣هـ): (نَزَلَتْ بِمكَّةَ) [أسباب النزول: ٢٥٢]

قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَلِيّ مُوسَى: (مَدَنِيَّةٌ فِي قَوْلِ ابنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ وابنِ المُبَارَكِ، ومَكِّيَّةٌ عِنْدَ بَعْضٍ). [المحرر الوجيز:١٩٧]

قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَلِيّ مُوسَى: (مَدَنِيَّةٌ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ وَابْنِ المُبَارَكِ . وَمَكِّيَّةٌ عِنْدَ البَعْضِ). [مرشد الخلان:٢٢٠]

قال عبيدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سُلَيمانَ الجابريُّ (م): (قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أُنْزِلَ بِمكَّةَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَرْدُويَهْ، وعَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ قالَ: أُنْزِلَ بِالمَدِينَةِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَرْدُويَهْ). [إمداد القاري: ٤/٤٨٤]

ترتيب نزولها

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنُ أَبِي زَمَنِينَ (ت: ٣٩٩هـ): (نَزَلَتْ هِيَ وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ مُعَوِّذَتَيْنِ للنَّبِيِّ حِينَ سَحَرَتْهُ اليَهُودُ). [تفسير القرآن العزيز: ٥/١٧٥]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (نَزَلَتْ بعدَ الفَلَقِ) [الكشاف: ٦/٤٦٨]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (نزلتْ بعدَ الفلق) [مدارك التنزيل:٣/٢٠١٥]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (نَزَلَتْ بَعْدَ الفلَقِ) [التسهيل: ٢٢٦]

قالَ أَبُو حيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (تَقَدَّمَ أَنَّها نَزَلَتْ معَ ما قَبْلَهَا) [البحر المحيط: ٨/٧٦٤]

قالَ أَبُو حيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (تَقَدَّمَ أَنَّهَا نَزَلَتْ مَعَ مَا قَبْلَهَا). [النهر الماد: ١٣٢٠]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (تَفْسِيرُ سُورَةِ الفَلَقِ) [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩١١]

قَالَ رِضْوانُ بنُ مُحَمَّدٍ المُخَلِّلاتِيُّ (ت: ١٣١١هـ): (ونَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الفَلَقِ، ونَزَلَتْ بَعْدَهَا سُورَةُ الإِخْلاصِ). [القول الوجيز:٣٦٢]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المصريُّ(ت: ١٣٢٣هـ): (نَزَلَتْ بَعْدَ الفَلَقِ) [تفسير جزء عم: ١٨٨]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الفَلَقِ) [تفسير المراغي: ٣٠/٢٦٩]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وقالَ في (الإتقان): إنَّ سببَ نُزولِها قِصَّةُ سِحْرِ لَبِيدِ بنِ الأَعْصَمِ، وإنها نَزلتْ مع (سُورةِ الفَلَقِ) وقد سَبَقَه على ذلك القُرْطُبِيُّ والواحِدِيُّ، وقد عَلِمْتَ تَزيِيفَه في سُورَةِ الفَلَقِ) [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣١]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وهي مَكِّيَّةٌ في قَولِ الذين قالوا في سُورةِ الفَلَقِ: إنها مَكِّيَّةٌ. ومَدنيَّةٌ في قَوْلِ الذينَ قالوا في سُورةِ الفلَقِ: إنها مَدنيَّةٌ. والصحيحُ أنهما نَزَلَتَا مُتعاقِبَتَيْنِ، فالخِلافُ في إحداهما كالخِلافِ في الأُخرى) [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣١]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وعلى الصحيحِ مِن أَنَّها مَكِّيَّةٌ، فقَدْ عُدَّتِ الحادِيَةَ والعِشرينَ مِنَ السُّوَرِ، نَزلتْ عَقِبَ سُورةِ الفَلَقِ، وقبْلَ سُورةِ الإخلاصِ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣١]

سبب نزولها

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنُ أَبِي زَمَنِينَ (ت: ٣٩٩هـ): (نَزَلَتْ هِيَ وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ مُعَوِّذَتَيْنِ للنَّبِيِّ حِينَ سَحَرَتْهُ اليَهُودُ). [تفسير القرآن العزيز: ٥/١٧٥]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المصريُّ(ت: ١٣٢٣هـ): (هذه السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ كالسُّورَةِ الَّتي قَبْلَها في قَوْلِ مَن ذَكَرْنا ولا عَلاقَةَ لها بسِحْرٍ ولا بما هو من ناحيَتِهِ، وإنَّمَا هي أَمْرٌ إلَهِيٌّ بالاسْتِعاذَةِ باللهِ والالتِجاءِ إليه والاسْتِعانَةِ به على دَفْعِ شَرٍّ عَظِيمٍ يُشْبِهُ الشُّرورَ الَّتي ذُكِرَتْ في الآيَةِ المُتَقَدِّمَةِ، ولكِنَّهُ شَرٌّ قد يَسْهُو عنه النَّاسُ فلا يُبالونَ به؛ لأَنَّهُ يَأْتِيهم من ناحِيَةِ شَهَواتِهم، وتَلْتَبِسُ به قُواهُم من حيثُ لا يَشْعُرونَ فيَقَعونَ به في سَيِّئاتِ الأَعْمالِ، وهم يَحْسَبونَ أَنَّهُم يُحْسِنونَ صُنْعًا، ولَمَّا كانَ مِنَ الخَفاءِ بحيثُ تَضْعُفُ قُوَّةُ الإنْسانِ عن دَفْعِهِ بسُهولَةٍ احْتاجَ إلى الاسْتِعانَةِ عليه باللهِ واللِّياذِ بجِوارِهِ منه، وذلكَ الشَّرُّ هو شَرُّ الوَسْواسِ). [تفسير جزء عم: ١٨٨]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وقالَ في (الإتقانِ): إنَّ سببَ نُزولِها قِصَّةُ سِحْرِ لَبِيدِ بنِ الأَعْصَمِ، وإنها نَزَلتْ مع (سُورةِ الفَلَقِ) وقد سَبَقَه على ذلك القُرْطُبِيُّ والواحِدِيُّ، وقد عَلِمْتَ تَزييفَه في سُورَةِ الفَلَقِ) [التحرير والتنوير: ٦٣١/٣٠]

قلت: (راجع ما تقدم بيانه عند الكلام على سبب نزول المعوذتين).

عدد الآي والكلمات والحروف

عدد الآيات

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: ٤٤٤هـ): (وهِيَ سَبْعُ آياتٍ في المَكِّيِّ والشَّامِيِّ، وسِتٌّ في عَدَدِ البَاقِينَ.

اخْتِلافُهَا آيَةُ: ﴿الْوَسْوَاسِ﴾ عَدَّهَا المَكِّيُّ والشَّامِيُّ ولم يَعُدَّهَا البَاقُونَ). [البيان:٢٩٨]

قَالَ عَبْدُ الكَرِيمِ بنُ عَبْدِ الصَّمَدِ الطَّبَرِيُّ (ت: ٤٧٨هـ): (وهي سَبْعٌ في المَكِّيِّ والشَّامِيِّ، وسِتٌّ في البَاقِي، الخِلافُ في آيَةِ ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾: مَكِّيٌّ، شَامِيٌّ). [التلخيص:٤٨٧]

قَالَ القَاسِمُ بنُ فِيرُّه بنِ خَلَفٍ الشَّاطِبِيُّ (ت: ٥٩٠هـ): (

وَفِي النَّاسِ سِتٌّ وَالشَّامِي وَمَكَّةٌ (ز)كَا لَهُمَا الوَسْوَاسِ عُدَّ وَكُنْ مُدْرِي). [ناظمة الزهر: ٦١]

قَالَ عَلَمُ الدِّينِ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ السَّخَاوِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (اخْتِلافُهَا آيَةُ: ﴿الْوَسْوَاسِ﴾ عَدَّهَا المَكِّيُّ والشَّامِيُّ، فَهِيَ فِيهِمَا سَبْعُ آيَاتٍ، وَهِيَ سِتُّ آيَاتٍ فِيمَا سِوَاهُمَا). [أقوى العدد:٢٣٠]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ البَنَّاءُ الدِّمْيَاطِيُّ (ت: ١١١٧هـ): (وآيُهَا سِتٌّ مَدَنِيٌّ وَعِرَاقِيٌّ، وَسَبْعٌ مَكِّيٌّ وَشَامِيٌّ، وَخِلافُهَا آيَةُ ﴿الْوَسْوَاسِ﴾ مَكِّيٌّ وَشَامِيٌّ). [إتحاف فضلاء البشر: ٦٣٩]

قَالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَاقِسِيُّ (ت: ١١١٨هـ): (وآيُها سِتٌّ مَدَنِيٌّ وعِرَاقِيٌّ، وسَبْعٌ في الباقِي، خِلافُها ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾). [غيث النفع:٦٦٢]

قَالَ رِضْوانُ بنُ مُحَمَّدٍ المُخَلِّلاتِيُّ (ت: ١٣١١هـ): (وعَدَدُ آيَاتِهَا سِتٌّ عِنْدَ غَيْرِ الشَّامِيِّ والمَكِّيِّ، وَسَبْعٌ عِنْدَهُمَا. اخْتِلافُهُمْ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ وهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ عَدَّهُ المَكِّيُّ والشَّامِيُّ لِوُجُودِ المُشَاكَلَةِ، وَلَمْ يَعُدَّهُ البَاقُونَ لِعَدَمِ المُسَاوَاةِ فِيمَا بَعْدَهُ، وهَذَا مَعْنَى قَوْلِ الشَّاطِبِيِّ:

وفِي النَّاسِ سِتٌّ والشَّامِي ومَكَّةٌ ... زَكَا لَهُمَا الوَسْوَاسِ عُدَّ وكُنْ مُدْرِي). [القول الوجيز:٣٦٢- ٣٦٣]

قَالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وعَدَدُ آيها سِتُّ آياتٍ، وذَكَرَ في (الإتقان) قولاً: أنها سَبْعُ آياتٍ، وليس مَعْزُوًّا لأهْلِ العَدَدِ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣٢]

قَالَ عَبْدُ الفَتَّاحِ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ القَاضِي (ت: ١٤٠٣هـ): (ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ سُورَةَ النَّاسِ سِتُّ آيَاتٍ عِنْدَ غَيْرِ الشَّامِيِّ وَالمَكِّيِّ، وَعِنْدَهُمَا سَبْعٌ كَمَا أَشَارَ بِذَلِكَ بِزَايِ زَكَا). [معالم اليسر:٢١٨]

قَالَ عَبْدُ الفَتَّاحِ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ القَاضِي (ت: ١٤٠٣هـ): (ثُمَّ أَمَرَ بِعَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ لِلشَّامِيِّ وَالمَكِّيِّ وَتَرْكِهِ لِغَيْرِهِمَا وَلِذَا زَادَ عَدَدُهُمَا عَلَى غَيْرِهِمَا وَاحِدَةً، وَوَجْهُ عَدِّ الوَسْوَاسِ المُشَاكَلَةُ وَوَجْهُ تَرْكِهِ عَدَمُ تَمَامِ الكَلَامِ، وَقِصَرُ مَا بَعْدَهُ، وَفِي قَوْلِهِ وكُنْ مُدْرِي إِشَارَةٌ إِلَى تَمَامِ النَّظْمِ، فَإِنَّ الأَمْرَ بِتَعْلِيمِ الغَيْرِ إِنَّمَا يَتَّجِهُ بَعْدَ التَّعَلُّمِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: قَدْ أَنْهَيْتُ مَا عَاهَدْتُكَ عَلَى بَيَانِهِ فَكُنْ حَرِيصًا عَلَى نَقْلِهِ لِلْغَيْرِ وَإِشَاعَتِهِ بَيْنَ النَّاسِ). [معالم اليسر:٢١٨- ٢١٩]

قَالَ عَبْدُ الفَتَّاحِ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ القَاضِي (ت: ١٤٠٣هـ): (وأَخِيرًا نَبَّهْتُ على أنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ كِلاهُمَا مَعْدُودٌ لِلْمكِّيِّ وَالشَّامِيِّ مَتْرُوكٌ للبَاقِينَ). [نفائس البيان:٧٥]

قَالَ عَبْدُ الفَتَّاحِ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ القَاضِي (ت: ١٤٠٣هـ): (وفي سُورَةِ النَّاسِ وَاحِدٌ وهُوَ ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾). [نفائس البيان:٧٥]

قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَلِيّ مُوسَى: (وَعَدَدُ آيَاتِهَا الإِجْمَالِيُّ سِتٌّ: مَدَنِيٌّ وَعِرَاقِيٌّ، وَسَبْعٌ: مَكِّيٌّ وَشَامِيٌّ). [المحرر الوجيز:١٩٧]

قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَلِيّ مُوسَى: (المُخْتَلَفُ فِيهِ بَيْنَ العُلَمَاءِ مَوْضِعٌ وَاحِدٌ؛ بَيَّنَهُ المُصَنِّفُ فِي الأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ، وَهُوَ لَفْظُ (الوَسْوَاسِ) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾، أَخْبَرَ المُصَنِّفُ أَنَّ المَكِّيَّ وَالشَّامِيَّ يَعُدَّانِهِ وَغَيْرُهُمَا لا يَعُدُّهُ.

وَجْهُ مَنْ عَدَّ المُشَاكَلَةُ، وَوَجْهُ التَّرْكِ عَدَمُ المُسَاوَاةِ فِيمَا بَعْدَهُ.

وَلَيْسَ فِيهَا مُشْبِهُ فَاصِلَةٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَوْلُهُ: (بِحَمْدِ رَبِّنَا مَعَ الصَّلاةِ) إلخ، مَعْنَاهُ أَنَّ نَظْمَهُ قَدْ تَمَّ مُتَلَبِّسًا بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ مَعَ الصَّلاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى آلِهِ الهُدَاةِ الرَّاشِدِينَ). [المحرر الوجيز:١٩٧]

قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَلِيّ مُوسَى: (وَعَدَدُ آيَاتِهَا الإِجْمَالِيُّ سِتٌّ مَدَنِيٌّ وَعِرَاقِيٌّ . وَسَبْعٌ مَكِّيٌّ وَشَامِيٌّ). [مرشد الخلان:٢٢٠]

قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَلِيّ مُوسَى: (الْمُخْتَلَفُ فِيهِ بَيْنَ العُلَمَاءِ مَوْضِعٌ وَاحِدٌ بَيَّنَهُ الْمُصَنِّفُ بِقَوْلِهِ:

.... يَلِـدْ مَـعَ الوَسْـوَاسِ مَـكٌ شَـامِهِمْ

بَيَّنَ الْمُصَنِّفُ أَنَّ لَفْظَ (الوَسْوَاسِ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾. وَكَذَلِكَ لَفْظُ (يَلِدْ) السَّابِقُ فِي سُورَةِ الإِخْلاصِ كِلاهُمَا مَعْدُودٌ لِلْمَكِّيِّ وَالشَّامِي وَمَتْرُوكٌ لِلْبَاقِينَ.

وَجْهُ مَنْ عَدَّهُ الْمُشَاكَلَةُ.

وَوَجْهُ مَنْ تَرَكَهُ عَدَمُ الْمُسَاوَاةِ فِيمَا بَعْدَهُ. وَلَيْسَ فِيهَا مُشْبِهُ فَاصِلَةٍ. وَاللهُ أَعْلَمُ). [مرشد الخلان:٢٢٠]

■ مَن ذَكَر من العلماء أن عدد آياتها ست

قَالَ عَبْدُ الخَالِقِ بْنُ الحَسَنِ ابنُ أَبِي رُوبَا (ت:٣٥٦ هـ): حدَّثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ ثابتٍ الثَّوريُّ عن أبيه عن الهُذَيْلِ بنِ حَبِيبٍ عنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ البلخيِّ (ت:١٥٠هـ): (عَدَدُها سِتُّ آياتٍ) [تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٩/٣]

قَالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (وهي سِتُّ آياتٍ) [بحر العلوم: ٥٢٨/٣]

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (وسِتُّ آياتٍ). [الكشف والبيان: ٣٤١/١٠]

قَالَ مَكِّيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (وَلَيْسَ فِي سُورَةِ الإِخْلاصِ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ شَيْءٌ مِنْ الاخْتِلافِ إِلاَّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِ الأُصُولِ، وَمَا ذَكَرْنَا مِنْ الاخْتِلافِ فِي ﴿كُفُوًا﴾، وَوَقْفُ حَمْزَةَ عَلَيْهِ.

وَهُنَّ مَدَنِيَّاتٌ، وَالإِخْلاصُ قَدْ قِيلَ: إِنَّهَا أَرْبَعُ آيَاتٍ، وَالفَلَقُ خَمْسُ آيَاتٍ. وَالنَّاسُ سِتُّ آيَاتٍ.

وَكُلُّ مَا لَمْ نَذْكُرْ فِيهِ مَدَنِيٌّ وَلا كُوفِيٌّ فَهُوَ اتِّفَاقٌ مِنْهُمَا فَاعْلَمْ ذَلِكَ). [التبصرة:٣٩٢] (م)

قَالَ مَكِّيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (سِتُّ آيَاتٍ). [الكشف:٣٨٩]

قَالَ مَكِّيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (وَالنَّاسُ سِتُّ آيَاتٍ). [التبصرة:٣٩٢] (م)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (سِتُّ آيَاتٍ) [الوسيط: ٥٧٥/٤]

قَالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (وآياتُها ٦) [الكشاف: ٤٦٨/٦]

قَالَ عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (وآياتُها سِتٌّ) [المحرر الوجيز: ٦١٣/١٥]

قَالَ ابنُ الأَبْزَارِيِّ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ الغَافِقِيُّ (ت: ٥٦٥هـ): (وَهِيَ عِنْدَهُ سِتُّ آيَاتٍ). [رواية أبي عمرو بن العلاء:٢١٥]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (وهي سِتُّ آياتٍ) [التفسير الكبير: ١٨٠/٣٢]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (وآيُها ستُّ آياتٍ) [أنوار التنزيل: ١١٨٠/٢]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (وآياتُها ٦) [مدارك التنزيل:٢٠١٥/٣]

قَالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (وهيَ ستُّ آياتٍ) [لباب التأويل: ٥٠٣/٤]

قَالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (آيَاتُها سِتٌّ) [غرائب القرآن: ٢٢٣/٣٠]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (وآياتُها ٦) [التسهيل: ٢٢٦]

قالَ أَبُو حيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَهِيَ سِتُّ آيَاتٍ) [البحر المحيط: ٧٦٤/٨]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزَآبادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (آيَاتُهَا سِتٌّ) [تنوير المقباس: ٦٠٤]

قالَ محمودُ بنُ أحمدَ بنِ مُوسَى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): (وهي سِتُّ آياتٍ). [شرح سنن أبي داود: ٣٧٨/٥- ٣٧٩]

قال محمودُ بنُ أحمدَ بنِ موسى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): (وَسِتُّ آيَاتٍ). [عمدة القاري: ١٠/٢٠]

قالَ جَلالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ المَحلِّيُّ (ت: ٨٦٤هـ): (وَآيَاتُهَا سِتٌّ) [تفسير الجلالين: ٦٠٤]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (وهي سِتُّ آيَاتٍ) [اللباب: ٥٧٦/٢٠]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (آيَاتُهَا سِتٌّ) [نظم الدرر: ٦١١/٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الإِيجيُّ الشَّافِعِيُّ (ت: ٩٠٥ هـ): (وهي سِتُّ آياتٍ) [جامع البيان: ٥٤٧/٤]

قال أحمدُ بنُ محمدِ بن أبي بكرٍ القَسْطَلاَّنيُّ (ت: ٩٢٣هـ): (وآيُهَا سِتٌّ). [إرشاد الساري: ٤٤٢/٧]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وهيَ ستُّ آياتٍ) [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٥]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (وآيُهَا سِتٌّ) [إرشاد العقل السليم: ٢١٦/٧]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (هِيَ سِتُّ آيَاتٍ) [فتح القدير: ٧٦٢/٥]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وهي سِتُّ آياتٍ لا سَبْعٌ، وإن اختارَ بعضُهم). [روح المعاني: ٢٨٣/٢٩]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (هي ستُّ آياتٍ) [فتح البيان: ٤٦٣/١٥]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (وآياتُها سِتُّ آيَاتٍ) [مراح لبيد: ٦٨٣/٢]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المصريُّ(ت: ١٣٢٣هـ): (وآياتُها ٦) [تفسير جزء عم: ١٨٨]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (وهيَ سِتُّ آياتٍ) [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٩]

قال محمدُ عبدُ الرحمنِ بن عبدِ الرحيمِ المُبَارَكْفُوري (ت: ١٣٥٣هـ): (والثانيةُ سِتُّ آياتٍ). [تحفة الأحوذي: ٢٤٤/٩]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (وَآيَاتُهَا سِتٌّ) [تفسير المراغي: ٢٦٩/٣٠]

قَالَ عَبْدُ الفَتَّاحِ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ القَاضِي (ت: ١٤٠٣هـ): (وَآيَاتُهَا ٦) [أسباب النزول: ٢٥٢]

قال عبيدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سُلَيمانَ الجابريُّ (م): (وآياتُها سِتُّ آياتٍ). [إمداد القاري: ٤٨٤/٤]

■ نظائرها في العدد

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: ٤٤٤هـ): (وقَدْ ذُكِرَ نَظِيرَتُهَا في جَمِيعِ العَدَدِ على اخْتِلافِهَا). [البيان:٢٩٨]

قَالَ رِضْوانُ بنُ مُحَمَّدٍ المُخَلِّلاتِيُّ (ت: ١٣١١هـ): (وَنَظِيرَتُهَا فِي المَدَنِيِّينَ سُورَةُ أَرَأَيْتَ وَالكَافِرُونَ، وفِي البَصْرِيِّ والكُوفِيِّ سُورَةُ الكَافِرُونَ فَقَطْ، ولا نَظِيرَ لَهَا فِي المَكِّيِّ وَالشَّامِيِّ). [القول الوجيز:٣٦٢]

فواصل السورة

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: ٤٤٤هـ): (وَرُؤُوسُ الآيِ: بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ(٣) الخَنَّاسِ (٤) النَّاسِ (٥) وَالنَّاسِ (٦)). [البيان:٢٩٨]

قَالَ رِضْوَانُ بنُ مُحَمَّدٍ المُخَلِّلاتِيُّ (ت: ١٣١١هـ): (وقَاعِدَةُ فَوَاصِلِهَا (س) نَحْوُ النَّاسِ). [القول الوجيز:٣٦٢]

قَالَ رِضْوَانُ بنُ مُحَمَّدٍ المُخَلِّلاتِيُّ (ت: ١٣١١هـ): (المُتَّفَقُ عَلَيْهِ: النَّاسِ، النَّاسِ، إِلَهِ النَّاسِ، الخَنَّاسِ، النَّاسِ، وَالنَّاسِ (٦)). [القول الوجيز:٣٦٣]

عدد الكلمات

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (وعِشرونَ كَلِمَةً). [الكشف والبيان: ٣٤١/١٠]

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: ٤٤٤هـ): (وَكَلِمُهَا عِشْرُونَ كَلِمَةً). [البيان:٢٩٨]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (وَعِشْرُونَ كلمةً) [لباب التأويل: ٥٠٣/٤]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (كَلِمُها عِشرونَ) [غرائب القرآن: ٢٢٣/٣٠]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزَآبادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (وَكَلِمَاتُهَا عِشْرُونَ) [تنوير المقباس: ٦٠٤]

قالَ محمودُ بنُ أحمدَ بنِ مُوسَى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): (وعِشْرونَ كَلِمَةً). [شرح سنن أبي داود: ٣٧٨/٥- ٣٧٩]

قال محمودُ بنُ أحمدَ بنِ موسى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): (وَعِشْرُونَ كَلِمَةً). [عمدة القاري: ١٠/٢٠]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (وَعِشْرُونَ كَلِمَةً) [اللباب: ٥٧٦/٢٠]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وعشرونَ كلمةً) [تفسير القرآن الكريم: ٦١٥/٤]

قَالَ رِضْوَانُ بنُ مُحَمَّدٍ المُخَلِّلاتِيُّ (ت: ١٣١١هـ): (وكَلِمَاتُهَا عِشْرُونَ كَلِمَةً). [القول الوجيز:٣٦٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (كلماتها عِشْرُونَ كَلِمَةً) [مراح لبيد: ٦٨٣/٢]

عدد الحروف

القول الأول: تسعة وسبعون حرفا

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (وهي تسعةٌ وسبعونَ حَرفاً). [الكشف والبيان: ٣٤١/١٠]

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: ٤٤٤هـ): (وَحُرُوفُهَا تِسْعَةٌ وَسَبْعُونَ حَرْفًا، كَحُرُوفِ الفَلَقِ). [البيان:٢٩٨]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (وتسعةٌ وسبعونَ حرفاً) [لباب التأويل: ٥٠٣/٤]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (حُروفُها تِسْعَةٌ وسَبْعُونَ) [غرائب القرآن: ٢٢٣/٣٠]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزَآبادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (وَحُرُوفُهَا تِسْعَةٌ وَسَبْعُونَ) [تنوير المقباس: ٦٠٤]

قالَ محمودُ بنُ أحمدَ بنِ مُوسَى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): (وتِسْعَةٌ وسَبْعُونَ حَرْفًا). [شرح سنن أبي داود: ٣٧٨/٥- ٣٧٩]

■ القول الثاني: تسعة وتسعون حرفا

قال محمودُ بنُ أحمدَ بنِ موسى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ): (وَهِيَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ حَرْفًا). [عمدة القاري: ٢٠/١٠]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (وَتِسْعَةٌ وتِسْعُونَ حَرْفًا) [اللباب: ٢٠/٥٧٦]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وتسعةٌ وتسعونَ حرفًا) [تفسير القرآن الكريم: ٤/٦١٥]

قَالَ رِضْوانُ بنُ مُحَمَّدٍ المُخَلِّلاتِيُّ (ت: ١٣١١هـ): (وحُرُوفُها [تِسْعٌ وَتِسْعُونَ] حَرْفًا). [القول الوجيز:٣٦٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (حروفها تِسْعَةٌ وتِسْعُونَ حَرْفًا) [مراح لبيد: ٢/٦٨٣]

■ ما قيل فِي لطائف عدد الحروف في سورة الناس

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (هذا مَا يَسَّرَهُ اللهُ مِنْ مدلولاتِ نُظُومِهَا وَجُمَلِهَا بالنسبةِ إِلى مَفْهُومَاتِهَا وَعِلَلِهَا، وبَقِيَ النظرُ إِلى ما يُشِيرُ إِليهِ أَعْدَادُ كَلِمَاتِهَا بلطائفِ رُمُوزِهَا وَإِشَارَاتِهَا، فهيَ عشرونَ كَلِمَةً تُوَازِيهَا إذا حَسَبْتَ مِنْ أَوَّلِ النُّبُوَّةِ سَنَةَ عُمْرَةِ القضاءِ، وَهيَ السابعةُ مِنَ الهجرةِ، بِهَا تَبَيَّنَ الأمنُ مِمَّا وَسْوَسَ بهِ الشيطانُ سَنَةَ عُمْرَةِ الحديبيةِ مِنْ أجلِ رُؤْيَا النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لدخولِ البيتِ وَالطوافِ بهِ.

فَإِذا ضَمَمْتَ إِليها الضمائرَ الثلاثَ كانتْ ثلاثاً وَعشرينَ فَوَازَت السنةَ العاشرةَ مِنَ الهجرةِ وَهيَ سنةُ حجَّةِ الوداعِ، وَهيَ القاطعةُ لتأثيرِ وسواسِ الشيطانِ الذي كانَ في أوَّلِ السنةِ الحاديةَ عشرةَ عندَ موتِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلى العربِ بِأَمْرِ الرِّدَّةِ، فَأَعَاذَ اللهُ مِنْ شَرِّهِ بِهِمَّةِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ تعالى عنهُ، حتَّى رَدَّ الناسَ إِلى الدينِ وَأَنْزَلَ بِهِ وسواسَ الشياطينِ المُفْسِدِينَ فَانْتَظَمَتْ كلمةُ المُسْلِمِينَ تَصْدِيقاً لقولِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجَّةِ الوداعِ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ بَعْدَ اليَوْمِ».

فَإِذا ضَمَمْتَ إِليها كلماتِ البسملةِ صَارَتْ سَبْعاً وَعشرينَ، تُوَازِي سنةَ اسْتِحْكَامِ أمرِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ الفَارُوقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي مَا سَلَكَ فَجًّا إِلاَّ سَلَكَ الشيطانُ فَجًّا غَيْرَهُ، وَذلكَ سنةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِنَ الهجرةِ، هذا بالنظرِ إِلى كَلِمَاتِهَا، فإِنْ نَظَرْتَ إِليها مِنْ جهةِ الحروفِ كانتْ لَهَا أَسْرَارٌ كُبْرَى مِنْ جهةٍ أُخْرَى، منها أَنَّ كَلِمَاتِهَا معَ كَلِمَاتِ الفاتحةِ انْتَظَمَتْ مِنْ سِتَّةٍ وَعشرينَ حَرْفاً، وَهيَ ما عَدَا الثاءِ المُثَلَّثَةِ وَالزاءِ وَالظاءِ المُعْجَمَةِ مِنْ حروفِ المُعْجَمِ التِّسْعَةِ وَالعشرينَ كُلُّ وَاحدةٍ مِنْهُمَا مِنَ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ حَرْفاً اشْتَرَكَتَا في ثمانيةَ عَشَرَ مِنْهَا وَاخْتَصَّتْ كلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بأربعةٍ: الفاتحةُ بالحاءِ وَالطاءِ المُهْمَلَتَيْنِ وَالضَّادِ وَالغَيْنِ المُعْجَمَتَيْنِ، وَالناسُ بالجيمِ وَالخاءِ وَالشِّينِ المُعْجَمَةِ وَالفاءِ.

وَقَالَ ابنُ مُيْلَقٍ: سَقَطَ مِنَ الفاتحةِ سَبْعَةُ أَحْرُفٍ (ثج خز شظف) انْتَهَى، فَلَعَلَّ في ذلكَ وَاللهُ أَعْلَمُ إِشارةً إِلى أَنَّ تَكَامُلَ نُزُولِ القرآنِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلى آخرِهِ في عددِ الحروفِ التي اشْتَمَلَتْ عليها كلٌّ مِنْ سُورَتَيْ أَوَّلِهِ وَآخرِهِ مِنَ السِّنِينَ، وَذلكَ اثْنَانِ وَعشرونَ، وَالثالثةُ وَالعشرونَ سنةُ القدومِ على مُنْزِلِهِ الحيِّ القَيُّومِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما أَعْظَمَ شَأْنَهُ وَأَعَزَّ سُلْطَانَهُ وَأَقْوَمَ بُرْهَانَهُ). [نظم الدرر: ٨/٦١٩- ٦٢٠]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (ثم إنه قيلَ: إنَّ حُروفَ هذه السورةِ غيرَ المُكَرَّرِ اثنان وعشرون حَرْفًا، وكذا حروفُ الفاتحةِ، وذلك بعددِ السنينَ التي أُنْزِلَ فيها القرآنُ فلْيُرَاجَعْ.

وبعدَ أن يُوجَدَ الأمرُ كما ذُكِرَ لا يَخْفَى كونُ سِنِي النزولِ اثنتَيْن وعشرينَ سنةً قولاً لبعضِهم، والمشهورُ أنها ثلاثٌ وعشرون ا. هـ.

ومثلُ هذا الرمزِ ما قيلَ: إنَّ أوَّلَ حُروفِه الباءُ وآخرَها السينُ، فكأنه قيلَ بس أي حَسْب، ففيه إشارةٌ إلى أنه كافٍ عمَّا سِواهُ، ورَمْزٌ إلى قولِه تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقد نَظَمَ ذلك بعضُ الفُرْسِ فقالَ:

أول وآخر قرآن زجه با آمد وسين ... يعني اندرد وجهان رهبر ما قرآن بس

ومثلُه مِن الرموزِ كثيرٌ.

لكن قيلَ: لا يَنبغِي أن يُقالَ: إنَّ مُرادَ اللهِ عزَّ وجلَّ في هذه السورةِ إلى الاستعانةِ به تعالى شأنُه كما أَرْشَدَ جَلَّ وعلا إليها في الفاتحةِ، بل لا يَبْعُدُ أن يكونَ مُرادُه تعالى على القولِ بأنَّ ترتيبَ السوَرِ بوَحْيِه سُبحانَه مِن خَتْمِ كتابِه الكريمِ بالاستعاذةِ به تعالى مِن شَرِّ الوَسواسِ الإشارةَ كما في الفاتحةِ إلى جلالةِ شأنِ التقوى والرمزَ إلى أنها مِلاكُ الأمرِ كلِّه وبها يَحْصُلُ حُسْنُ الخاتِمَةِ، فسُبحانَه مِن مَلِكٍ جَليلٍ ما أَجَلَّ كَلِمَتَه، وللهِ دَرُّ التنزيلِ ما أَحْسَنَ فاتحتَه وخاتمتَه). [روح المعاني: ٢٩/ ٢٨٧- ٢٨٨]

قلت: (هذا من التكلف المذموم).

الوقف والابتداء

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النحَّاسُ (ت: ٣٣٨هـ): (وزَعَمَ الأَخْفَشُ وأبو حاتِمٍ أَنَّهُ لا تَمَامَ في هذه السُّورَةِ إلى آخِرِهَا وقَالَ غَيْرُهُمَا ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ قَطْعٌ كافٍ، وحُجَّتُهُمَا أَنَّه صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ أَنْ تَقُولَ ذَلِكَ كُلَّهُ وكذا ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ①﴾ وكذا ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾). [القطع والائتناف:٨٢٨]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (الوُقوف: (النَّاسِ ٥ لا)، (النَّاس ٥ لا)، (النَّاسِ ٥ لا)، (الخَنَّاسِ ٥ لا) بناءً على أنَّ الفَصْلَ بينَ الصِّفَةِ ومَوْصُوفِها لا يَصْلُحُ إلاَّ للضَّرُورةِ، ولو قيلَ: إنَّ مَحلَّه النصبُ أو الرفْعُ على الذمِّ حَسُنَ الوَقْفُ، (النَّاسِ ٥ لا)، (والنَّاسِ٥)). [غرائب القرآن: ٣٠/ ٢٢٣]

قَالَ زَكَرِيَّا بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٩٢٦هـ): (آخِرُ السُّورَةِ تَامٌّ. قَالَهُ أَبُو عَمْرٍو، وَلَمْ يَزِدِ الأَصْلُ فِي سُورَتَي الفَلَقِ والنَّاسِ عَلَى قَوْلِهِ: وَلَيْسَ فِي الفَلَقِ والنَّاسِ وَقْفٌ حَسَنٌ يُعْتَمَدُ). [المقصد:١١٥]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ الكَرِيمِ الأَشْمُونِيُّ (ت: ق١١هـ): (ليس فيهمَا وقفٌ دونَ آخِرِهِمَا وإن وَقَفْتَ على رأسِ كُلِّ آيةٍ فحَسَنٌ لِمَا رُوِيَ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كانَ يقفُ على رأسِ كلِّ آيةٍ منهما). [منار الهدى:٣١٠]

الناسخ والمنسوخ

قالَ أبو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَزْمٍ الأَنْدَلُسِيُّ (ت: ٣٢٠هـ): (سورَةُ الإِخْلاصِ، الفَلَقِ، النَّاسِ، اخْتَلَفَ المُفَسِّرُونَ فِي تَنْزِيلِهِنَّ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ مَدَنِيَّاتٌ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ: هُن مَكِّيَّاتٌ، وَكُلُّهُنَّ مُحْكَمٌ، لَيْس فِيهِنَّ نَاسِخٌ وَلا مَنْسوخٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ). [الناسخ والمنسوخ لابن حزم: ٦٨]

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النَّحَّاسُ (ت: ٣٣٨هـ): (حدَّثَنَا يَمُوتُ بإِسْنَادِهِ عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ...أنَّ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ إِلَى آخرِ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ مَدَنِيَّةٌ.

قَالَ كُرَيْبٌ: (وجَدْنَا فِي كِتَابِ ابْنِ عبَّاسٍ أَنَّ مِنْ سُورَةِ القَدْرِ إِلَى آخِرِ القُرْآنِ مَكِّيَّةٌ إلاَّ ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١﴾، و﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾، و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ فإنَّهُنَّ مَدنِيَّاتٌ).

لَمْ نَجِدْ فِيهِنَّ نَاسِخًا وَلا مَنْسُوخًا. وإِذَا تَدَبَّرْتَ ذَلِكَ وجَدْتَ أَكْثَرَهُنَّ وأَكْثَرَ ما لَيْسَ فِيهِ نَاسِخٌ ولا مَنْسُوخٌ، إِنَّمَا هُوَ فيمَا لا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ نَسْخٌ لأَنَّهُ لا يجُوزُ أَنْ يَقَعَ نَسْخٌ في تَوحِيدِ اللهِ تَعَالَى ولا في أسمائِهِ، ولا في صِفَاتِهِ، والعُلَمَاءُ يَقولُونُ: ولا في أَخْبَارِهِ، ومَعْنَاهُ: ولا فِي إِخْبَارِهِ بِمَا كَانَ وما يكُونُ، والحِكْمَةُ فِي هَذَا أَنَّ النَّسْخَ إِنَّمَا يَكُونُ في أَحكَامِ الشَّرَائِعِ منَ الصَّلاةِ والصِّيَامِ والحَظْرِ والإِبَاحَةِ. وقدْ يجُوزُ أَنْ يُنْقَلَ الشَّيْءُ مِنَ الأَمْرِ إِلَى النَّهْيِ، ومِنَ النَّهْيِ إِلَى الأَمْرِ؛ لِأَنَّكَ إذَا قُلْتَ: افْعَلْ كَذَا، أَوْ كَذَا مُحرَّمٌ عَلَيْكَ سَنَةً، جَازَ أَنْ تُبِيحَهُ بَعدَ سَنَةٍ، وإِذَا قُلْتَ: افْعَلْ كَذَا أَوْ كَذَا مُحَرَّمٌ عَلَيْكَ، وأَنْتَ لا تُرِيدُ وقْتًا أَوْ شَرْطًا فَكَذَا أَيْضًا، وسَوَاءٌ عَلَيْكَ أَذَكَرْتَهُ أَمْ لَمْ تَذْكُرْهُ، فَهَذَا مُحالٌ فِي تَوحِيدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وأَسْمَائِهِ وصِفَاتِهِ وإِخْبَارِهِ بِمَا كَانَ وما يَكُونُ، أَلا تَرَى أَنَّهُ مُحَالٌ أَنْ تَقُولَ: قَامَ فُلانٌ، ثُمَّ تقُول بَعْدَ وَقْتٍ: لَمْ يَقُمْ؛ لِأَنَّهُ لا يَقَعُ فِي الأَوَّلِ اشْتِرَاطٌ، ولا زَمَانٌ، فالنَّسْخُ فِي الإِخْبَارِ بِمَا كَانَ ومَا يَكُونُ كَذِبٌ، وفِي الأَمْرِ والنَّهْيِ أَيْضًا مَا لا يَقَعُ فِيهِ نَسْخٌ، وذَلِكَ الأَمْرُ بِتَوْحِيدِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ واتِّبَاعِ رُسُلِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيهِمْ أَجْمَعِينَ، وَخَصَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ بِالصَّلاةِ وَالتَّسْلِيمِ، وَأَهلَهُ الطَّيِّبِينَ). [الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٣/١٥٤- ١٥٥]

قَالَ هِبَةُ اللهِ بنُ سَلامَةَ بنِ نَصرٍ المُقْرِي (ت: ٤١٠ هـ): (وجَمِيعُها مُحْكَمٌ، وليسَ فيها نَاسِخٌ ولا مَنْسوخٌ). [الناسخ والمنسوخ لابن سلامة: ٢٠٩]

قالَ عَلَمُ الدِّين عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ السَّخَاوِيُّ (ت: ٦٤٣ هـ): (﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١﴾... وَلَيْس فِي بَاقِي القُرْآنِ نَسْخٌ بِاتِّفَاقٍ، إِلاَّ مَا ذَكَرُوهُ فِي سُورَةِ (العَصْرِ)). [جمال القراء: ١/ ٣٩١]

قَالَ هِبَةُ اللهِ بنُ عَبْدِ الرَّحيمِ ابنُ البَارِزِيِّ (ت: ٧٣٨ هـ): (سورةُ النَّصْرِ إِلَى آخرِ الناسِ مُحكماتٌ). [الناسخ والمنسوخ لابن البارزي: ٥٨]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ العَتَائِقِيُّ (ت: ق ٨): (سُورَةُ النَّصْرِ وَتَبَّتْ وَالإِخْلاصِ وَالفَلَقِ وَالنَّاسِ لَيْسَ فِيهَا نَاسِخٌ وَلا مَنْسوخٌ). [الناسخ والمنسوخ للعتائقي:٨٥]

التناسب

التناسب بين سورة الفلق وسورة الناس

قلت: (انظر ما سبق ذكره في مسائل التناسب في أول تفسير المعوذتين).

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (﴿ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ ﴾ لَمَّا كانت الاستعاذةُ في السُورَةِ المتقدِّمَةِ من المَضَارِّ البَدَنِيَّةِ، وهي تَعُمُّ الإنسانَ وغيرَه، والاستعاذةُ في هذه السُورَةِ من الأضرارِ التي تَعْرِضُ للنفوسِ البَشَرِيَّةِ وَتَخُصُّها عَمَّمَ الإضافةَ ثَمَّ، وخَصَّصَها بالناسِ ههنا، فكأنه قِيلَ: أَعوذُ من شَرِّ المُوَسْوِسِ إلى الناسِ بِرَبِّهِم الذي يَمْلِكُ أُمورَهم ويَسْتَحِقُّ عِبادتَهم). [أنوار التنزيل: ٢/١١٨١]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ الثَّقَفِيُّ (ت: ٧٠٨هـ): (وجْهُ تأخُّرِها عن شَقِيقَتِها عمومُ الأولى وخصوصُ الثانيةِ، ألا ترَى عُمومَ قولِه تعالى: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ ﴾، وإبْهَامَ ﴿ مَا ﴾، وتَنكيرَ غَاسِقٍ وحَاسِدٍ، والعَهْدَ فيما اسْتُعِيذَ مِن شَرِّه في سورةِ الناسِ، وتَعْرِيفَه ونَعْتَه بالعُمومِ، ثم أَتْبَعَ بالخصوصِ؛ ليكونَ أَبْلَغَ في تحصيلِ ما قُصِدَت الاسْتِعَاذَةُ منه وأَوْفَى بالمقصودِ.

ونظيرُ هذا في تقديمِ المعنى الأعمِّ ثم إتباعِه بالأخصِّ؛ لِيَتَنَاوَلَ الجلائِلَ والدقائِقَ، قوْلُه سبحانَه: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، فمعنى الرحمنِ الرحيمِ واحِدٌ إلاَّ في عُمُومِ الصفةِ الأُولَى، وكوْنِها في المبالغةِ أبلغُ، وقد تَعَرَّضَ لبيانِ ذلك المفسِّرُون، ولذلك نظائِرُ). [البرهان: ٢٤٧- ٢٤٨]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (التأويلُ: أَعُوذُ بالربِّ الذي فَلَقَ ظُلُمَاتِ بَحْرِ العَدَمِ بنُورِ التكوينِ والإبداعِ، مِن شرِّ عالَمِ الخَلْقِ المَمْزُوجَةِ خَيْراتُها بالآفاتِ، ولا سِيَّمَا عَالَمُ الكونِ والفسادِ الذي هو جَمادٌ ونباتٌ وحيوانٌ، والجماداتُ أبعدُها عن الأنوارِ لخُلُوِّها عن جميعِ القُوَى الرُّوحانِيَّةِ، وهو المرادُ بقولِه: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ ﴾.

وفَوْقَها النباتاتُ النامياتُ في الأقطارِ الثلاثةِ: الطُّولِ والعَرْضِ والعُمْقِ، وهُنَّ العُقَدُ الثلاثُ؛ فلذلك سُمِّيَتْ قُواها بالنَّفَّاثَاتِ فيها، وفَوْقَه القُوَى الحَيوانِيَّةُ مِن الحَواسِّ الظاهرةِ والباطنةِ والشهوةِ والغضبِ، المانعةِ للرُّوحِ الإنسانِيَّةِ عن الانصبابِ إلى عالَمِ الأَمْرِ، كالحاسدِ يَمْنَعُ المَرْءَ عن كمالِه، ويُغَيِّرُه عن حالِه.

ثم أَرَادَ ذِكْرَ مَراتبِ النفسِ الإنسانِيَّةِ التي هي أَشْرَفُ درجاتِ الحيوانِ.

فقولُه: ﴿ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ ﴾ إشَارَةٌ إلى العَقْلِ الهَيُولانِيِّ المُفْتَقِرِ إلى مَزِيدِ تَرْبِيَةٍ وترشيحٍ حتى يَخْرُجَ مِن مَعْدِنِها ويَظْهَرَ مِن حُكْمِها.

وقولُه: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ ﴾ إشارةٌ إلى العَقْلِ بالمَلَكَةِ؛ لأنَّه مَلَكَ العلومَ البَدِيهِيَّةَ، وَحصَلَتْ له مَلَكَةُ الانتقالِ منها إلى العلومِ الكَسْبِيَّةِ؛ لأنَّ النَّفْسَ في هذهِ الحالَةِ أحْوَجُ إلى الزجْرِ عن العقائدِ الباطلةِ، والأخلاقِ الفاسدةِ، والتأديبُ في الصِّغَرِ كالنَّقْشِ على الحَجَرِ.

وقولُه: ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ ﴾. إشارةٌ إلى سائرِ مَراتِبِها مِن العَقْلِ بالفِعْلِ والعَقْلِ الْمُستفادِ، فإنَّ الإنسانَ إذْ ذاكَ كأنه صارَ عَالَماً معقولاً مُضاهِياً لِمَا عليهِ الوُجودُ، فعَرَفَ المَعْبُودَ، فتَوَجَّهَ إلى عِرْفانِه والعبادةِ له، وأيضاً اتَّصَفَ بصفاتِه، وتَخَلَّقَ بأخلاقِه، كما حُكِيَ عن أَرِسْطُو أنه قالَ: أفلاطونُ إما إنسانٌ تَأَلَّهَ أو إِلَهٌ تَأَنَّسَ.

ثم إنَّ العقلَ والوَهْمَ قدْ يَتساعدانِ على تسليمِ بعضِ الْمُقدِّماتِ، ثم إذا آلَ الأَمْرُ إلى النتيجةِ ساعَدَ العقلُ عليها دونَ الوَهْمِ، فكأنَّ الوَهْمَ خَنَسَ؛ أي: رَجَعَ عن تسليمِ الْمُقَدِّمَةِ؛ فلهذا أَمَرَ اللهُ سبحانَه بالاستعاذةِ من شَرِّه، وقدْ وَرَدَ مِثْلُه في الحديثِ

ورَوَى أبو هُرَيْرَةَ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ قالَ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ».

وهذا آخِرُ دَرجاتِ النفسِ الكاملةِ الإنسانيَّةِ، فلا جَرَمَ وَقَعَ خَتْمُ الكتابِ الكريمِ والفُرقانِ العظيمِ عليهِ.

ونحنُ أيضاً نَخْتِمُ التفسيرَ بهذا التحقيقِ، واللهُ وَلِيُّ التوفيقِ، والهادي في العِلْمِ والعَمَلِ إلى سَوَاءِ الحَقِّ والطريقِ). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٦]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصلٌ: وهذه السورةُ مُشتمِلَةٌ على الاستعاذةِ من الشرِّ الذي هو سببُ الذنوبِ والمعاصي كلِّها، وهو الشرُّ الداخلُ في الإنسانِ الذي هو مَنشأُ العُقوباتِ في الدنيا والآخرةِ، فسورةُ الفلَقِ تَضمَّنَت الاستعاذةَ من الشرِّ الذي هو ظُلْمُ الغيرِ له بالسحرِ والحسَدِ، وهو شرٌّ من خارجٍ، وسورةُ الناسِ تَضمَّنَت الاستعاذةَ من الشرِّ الذي هو سببُ ظُلْمِ العبْدِ لنفسِه، وهو شرٌّ من داخلٍ. فالشرُّ الأوَّلُ لا يَدْخُلُ تحتَ التكليفِ، ولا يُطْلَبُ منه الكفُّ عنه، لأنه ليس من كَسْبِه، والشرُّ الثاني في سورةِ الناسِ يَدْخُلُ تحتَ التكليفِ، ويَتَعلَّقُ به النهيُ، فهذا شرُّ المَعائِبِ والأوَّلُ شرُّ المَصائبِ، والشرُّ كلُّه يَرجِعُ إلى العُيوبِ والمَصائبِ ولا ثالثَ لهما.

فسورةُ الفَلَقِ تَتَضَمَّنُ الاستعاذةَ من شرِّ المُصيباتِ، وسورةُ الناسِ تَتضمَّنُ الاستعاذةَ من العُيوبِ التي أَصْلُها الوَسوَسَةُ). [بدائع الفوائد: ٢٥٠]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ سُلَيْمَانَ بْنِ رَيَّانَ (ت: ٧٧٠هـ): (سُؤَالٌ: ما وَجْهُ تَكْرارِ الإعادَةِ فإنَّ السورَةَ المُتقدِّمَةَ شاملَةٌ لأَقْسَامِ التَّعَوُّذِ؟

جَوَابٌ: كانتِ الاستعاذَةُ في السورَةِ المُتَقَدِّمَةِ منَ المضارِّ البَدَنِيَّةِ، وهي تَعُمُّ الإنسانَ وغَيْرَهُ، والاسْتِعاذَةُ في هذهِ السُّورَةِ من الأضرارِ التي تُعرِّضُ النفوسَ البَشَرِيَّةَ وتَخُصُّها). [الروض الريان: ٣/٦٥٠]

قالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وقالَ الإمامُ أبو جَعْفَرِ بنُ الزُّبَيْرِ: وَجْهُ تَأَخُّرِهَا عَنْ شَقِيقَتِهَا عُمومُ الأُولَى وَخصوصُ الثانيةِ أَلا تَرَى عُمومَ قولِهِ: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ ﴾ وَإبْهَامَ ﴿مَا﴾ وَتَنْكِيرَ ﴿غَاسِقٍ﴾ و﴿حَاسِدٍ﴾، وَالعَهْدَ فيما اسْتُعِيذَ مِنْ شَرِّهِ في سورةِ الناسِ، وَتَعْرِيفَهُ وَنَعْتَهُ، فَبَدَأَ بالعمومِ ثمَّ أَتْبَعَ بالخصوصِ ليكونَ أَبْلَغَ في تحصيلِ ما قُصِدَت الاستعاذةُ منهُ، وَأَوْفَى بالمقصودِ، وَنَظِيرُ هذا في تقديمِ المَعْنَى الأَعَمِّ

ثمَّ إتْبَاعِهِ بالأخصِّ بِتَنَاوُلِ الدقائقِ وَالجلائلِ قَوْلُهُ سبحانَهُ وَتَعَالَى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في مَعْنَى الرَّحْمَنِ وَمَعْنَى الرحيمِ وَاحِدٌ لا في عمومِ الصفةِ الأُولَى وكَوْنِهَا للمبالغةِ، وَقدْ تعَرَّضَ لبيانِ ذلكَ المُفَسِّرُونَ، وَلذلكَ نَظَائِرُ. انْتَهَى). [نظم الدرر: ٨/٦١٢]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (لَمَّا جَاءَتْ سُورَةُ الفَلَقِ للاستعاذةِ مِنْ شَرِّ مَا خُلِقَ مِنْ جَمِيعِ المَضَارِّ البَدَنِيَّةِ وَغَيْرِهَا العَامَّةِ للإنسانِ وَغَيْرِهِ، وَذلكَ هوَ جملةُ الشرِّ الموجودِ في جميعِ الأكوانِ وَالأزمانِ، ثمَّ وَقَعَ فيهَا التَّخْصِيصُ بِشُرُورٍ بِأَعْيَانِهَا مِنَ الفاسِقِ وَالساحِرِ وَالحاسِدِ، فَكَانَت الاستعاذةُ فِيهَا عَامَّةً للمَصَائِبِ الخَارِجَةِ التي تَرْجِعُ إلى ظُلْمِ الغَيْرِ، وَالمَعَايِبِ الدَّاخِلَةِ التي تَرْجِعُ إلى ظُلْمِ النَّفْسِ وَلَكِنَّهَا فِي المَصَائِبِ أَظْهَرُ، وَخُتِمَت بالحَسَدِ، فَعُلِمَ أَنَّهُ أَضَرُّ المَصَائِبِ، وَكانَ أَصْلُ ما بَيْنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ مِنَ العَدَاوَةِ الحَسَدَ.

فَجاءَتْ سورةُ الناسِ مُتَضَمِّنَةً للاستعاذةِ مِنْ شَرٍّ خَاصٍّ، وَهوَ الوَسْوَاسُ، وَهُوَ أَخَصُّ مِنْ مُطْلَقِ الحاسِدِ، وَيَرْجِعُ إلى المَعَايِبِ الداخلةِ اللاحقةِ للنفوسِ البشريَّةِ التي أَصْلُهَا كُلُّهَا الوَسْوَسَةُ، وَهيَ سَبَبُ الذنوبِ وَالمَعَاصِي كُلِّهَا، وَهيَ مِنَ الجِنِّ أَمْكَنُ وَأَضَرُّ، وَالشَّرُّ كُلُّهُ يَرْجِعُ إلى المَصائِبِ وَالمَعَايِبِ، فقدْ تَضَمَّنَت السورةُ كالفلقِ استعاذةً وَمُسْتَعَاذاً بِهِ وَمُسْتَعَاذاً مِنْهُ وَأَمْراً بإيجَادِ ذلكَ، فالأمرُ: ﴿قُلۡ﴾ وَالاستعاذةُ ﴿أَعُوذُ﴾.

وَالمُسْتَعَاذُ بِهِ هوَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَكِنْ لَمَّا كَانَتْ صفةُ الربوبيَّةِ مِنْ صفاتِ كَمَالِهِ سُبْحَانَهُ أَلْيَقَ بالحمايةِ وَالإعانةِ وَالرعايةِ وَالخلقِ وَالتدبيرِ وَالتربيةِ وَالإصلاحِ المُتَضَمِّنِ للقدرةِ التامَّةِ وَالرحمةِ الواسعةِ، وَالإحسانِ الشاملِ وَالعلمِ الكاملِ قَالَ تعالَى: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾). [نظم الدرر: ٨/٦١١- ٦١٢]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ): (وَقُدِّمَتِ الفلَقُ على الناسِ وإنْ كانت أَقْصَرَ مِنها؛ لمناسبَةِ مَقْطَعِها في الوزانِ لِفَواصِلِ الإخلاصِ معَ مَقْطَعِ "تَبَّتْ"). [تناسق الدرر:١٨٨]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ): (ثم رأيتُ الإمامَ فخرَ الدينِ ذَكَرَ في تفسيرِهِ كلاماً لطيفاً في مناسباتِ هذه السورِ، ..... ثم إنَّه سبحانَه خَتَمَ كتابَه المُكرَّمَ بتلكَ الطريقةِ التي هي أشرفُ، فبَدَأَ بذكرِ صفاتِ اللهِ وشَرْحِ جلالِه في سورةِ الإخلاصِ، ثم أَتْبَعَه بذكرِ مراتِبِ مخلوقاتِه في الفَلَقِ، ثم خَتَمَ بذكرِ مراتِبِ النفسِ الإنسانيةِ في الناسِ، وعندَ ذلكَ خَتَمَ الكتابَ، فسُبْحَانَ مَن أَرْشَدَ العقولَ إلى معرفةِ هذه الأسرارِ الشريفةِ في كتابِه المُكرَّمِ. هذا كلامُ الإمامِ.

ثم قالَ في سورةِ الفلقِ: سَمِعْتُ بعضَ العارِفِينَ يَقُولُ: لَمَّا شَرَحَ اللهُ سبحانَه أمرَ الإلهيَّةِ في سورةِ الإخلاصِ، ذَكَرَ هاتيْنِ السورتينِ عَقِبَها في شرحِ مراتِبِ الخَلْقِ على ما قالَ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]. فعَالَمُ الأمرِ كلُّه خَيْرَاتٌ مَحْضَةٌ، بَرِيئَةٌ عن الشرورِ والآفاتِ، أما عالَمُ الخلقِ فهو الأجسامُ الكثيفةُ والجُثْمَانِيَّاتُ، فلا جَرَمَ قالَ في المَطْلَعِ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾.

ثم الأجسامُ إمَّا أَبَدِيَّةٌ، وكلُّها خَيْرَاتٌ مَحْضَةٌ؛ لأنَّها بريئَةٌ عن الاختلافاتِ والفُطُورِ على ما قالَ: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾ [الملك: ٣].

وإمَّا عُنْصُرِيَّةٌ، وهي:

إما جماداتٌ، فهي خاليةٌ عن جميعِ القُوَى النفسانيَّةِ، فالظُّلُماتُ فيها خَالِصَةٌ، والأنوارُ عنها زائِلَةٌ، وهو المرادُ من قولِه: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾.

وإما نباتٌ، والقوَّةُ العادِلَةُ هي التي تَزِيدُ في الطولِ والعُمْقِ معاً، فهذه القوةُ النباتِيَّةُ كأنَّها تَنْفُثُ في العُقْدَةِ.

وإمَّا حيوانٌ، وهو مَحَلُّ القُوَى التي تَمْنَعُ الرُّوحَ الإنسانيةَ عن الانْصِبابِ إلى عالَمِ الغيبِ والاشتغالِ بقُدُسِ جلالِ اللهِ، وهو المرادُ بقولِه: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

ثم إنَّه لَمْ يَبْقَ مِن السُّفْلِيَّاتِ بعدَ هذه المَرْتَبَةِ سُوى النفسِ الإنسانيةِ، وهي المُسْتَفِيدَةُ، فلا يكونُ مُسْتَفَاداً مِنها، فلا جَرَمَ قَطَعَ هذه السورةَ، وذَكَرَ بعدَها في سورةِ الناسِ مَرَاتِبَ ودرجاتِ النفسِ الإنسانيةِ. انتهى.

ولم يُبَيِّنِ المَرَاتِبَ المُشَارَ إليها، وقد بيَّنَها ابنُ الزملكانِيِّ في أسرارِه فقالَ:

إضافةُ ﴿رَبِّ﴾ إلى ﴿ٱلنَّاسِ﴾ تُؤْذِنُ بأنَّ المرادَ بالناسِ الأطفالُ؛ لأنَّ الربَّ مِن: رَبَّهُ يَرُبُّه، وهُمْ إلى التربيةِ أحوجُ. وإضافةُ ﴿مَلِكِ﴾ إلى ﴿ٱلنَّاسِ﴾ تُؤْذِنُ بإرادةِ الشبابِ به؛ إذ لَفْظُ ﴿مَلِكِ﴾ يُؤْذِنُ بالسياسةِ والعِزَّةِ، والشُّبَّانُ إليها أحوجُ.

وإضافةُ ﴿إِلَٰهِ﴾ إلى ﴿ٱلنَّاسِ﴾ تُؤْذِنُ بأن المرادَ به الشيوخُ؛ لأنَّ ذاتَه مُسْتَحِقَّةٌ للطاعةِ والعبادةِ، وهم أقْرَبُ.

وقولُه: ﴿يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ يُؤْذِنُ بأنَّ المُرَادَ بالنَّاسِ: العلماءُ والعُبَّادُ؛ لأنَّ الوَسْوَسَةَ غالباً عن الشُّبَهِ.

وقولُه: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ يُؤْذِنُ بأن المرادَ بالناسِ: الأشرارُ، وهم شياطينُ الإنسِ الذين يُوَسْوِسُونَ لَهُم. واللهُ تعالى أعْلَمُ). [تناسق الدرر:١٩٣- ١٩٥]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ): (مَطْلَعُهَا: ﴿ٱلنَّاسِ﴾، ومَقْطَعُهَا: ﴿ٱلنَّاسِ﴾). [مراصد المطالع:٨٣- ٨٤]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (ولَمَّا أمرَ اللهُ تَعَالَى نبيَّهُ بالاستعاذةِ مِمَّا تقدَّمَ أمرَهُ أنْ يستعيذَ مِن شرِّ الوَسْوَاسِ بقولِهِ تَعَالَى ﴿قُلْ﴾ أيْ: يا أشرفَ المُرسَلِينَ ﴿أَعُوذُ﴾ أيْ: أعْتَصِمُ وألتجِئُ ﴿بِرَبِّ﴾ أيْ: مالكِ وخالِقِ ﴿ٱلنَّاسِ﴾). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٥] (م)

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (شابَهَتْ فاتِحَتُها فاتِحَةَ سُورةِ الفَلَقِ إلاَّ أنَّ سُورةَ الفَلَقِ تَعَوُّذٌ مِن شُرُورِ المَخلوقاتِ مِن حَيَوانٍ وناسٍ، وسُورةَ الناسِ تَعَوُّذٌ مِن شُرُورِ مَخلوقاتٍ خَفِيَّةٍ، وهي الشياطينُ.

والقولُ في الأمْرِ بالقَوْلِ، وفي المَقولِ، وفي أنَّ الخِطابَ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ، والمقصودُ شُمولُه أُمَّتَه، كالقَوْلِ في نَظيرِه في سُورةِ الفَلَقِ سَواءٌ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣٣]

قَالَ عَبْدُ اللهِ الغمَارِيُّ: (تُناسِبُ سابِقَتَها في الاستعاذةِ، وخُصَّتْ بالاستعاذةِ مِن شَرِّ الوَسواسِ الخَنَّاسِ؛ لِعِظَمِ ضَرَرِه؛ ولِجَرَيَانِه من الإنسانِ مَجْرَى الدمِ، كما ثَبَتَ في الصَّحيحِ، نعوذُ باللهِ مِن شَرِّه، ونسألُه العِصْمَةَ مِن ضَرَرِه). [جواهر البيان:١٥٠]

قَالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (أمَّا الوِجهتانِ اللتانِ نَوَّهْنَا عنهما، فالأُولَى بينَ السورتَيْنِ، وهي مما أَوْرَدَهُ أبو حَيَّانَ؛ إذ في سُورَةِ الفلَقِ قالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ وربُّ الفلَقِ تُعَادِلُ قولَه: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]؛ لأنه ما مِن مَوجودٍ في هذا الكونِ إلاَّ وهو مَفلوقٌ عن غيرِه.

ففي الزرْعِ: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥].

وفي الزمنِ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وفي الحيواناتِ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١].

وفي الجَماداتِ يُشِيرُ إليه قوْلُهُ تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٠ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣٠- ٣١].

فرَبُّ الفلَقِ تُعَادِلُ ربَّ العالَمِينَ، فقابَلَها في الاستعاذةِ بعُمومِ المُستعاذِ منه مِن شَرِّ ما خَلَقَ.

ثم جاءَ ذِكْرُ الخَاصِّ بعْدَ العامِّ للاهتمامِ به، وهو مِن شَرِّ غاسِقٍ إذا وَقَبَ والنفَّاثاتِ في العُقَدِ وحاسِدٍ إذا حَسَدَ.

فالمُستعاذُ به صِفَةٌ واحدةٌ، والمُستعاذُ منه عُمومُ ما خَلَقَ جُملةً وتَفصيلاً، بينَما في السُّورَةِ الثانيةِ جاءَ بالمُستعاذِ به ثلاثَ صفاتٍ، هي صِفاتُ العَظَمَةِ للهِ تعالى: الربُّ والمَلِكُ والإلهُ.

فقابَلَ المُستعاذَ منه، وهو شيءٌ واحدٌ فقط، وهو الوَسواسُ الخَنَّاسُ، وهذا يَدُلُّ على شِدَّةِ خُطورةِ المُستعاذِ منه.

وهو كذلك؛ لأننا لو نَظَرْنا في واقِعِ الأمْرِ لوَجَدْنا مَبْعَثَ كلِّ فِتنةٍ ومُنْطَلَقَ كُلِّ شَرٍّ عاجِلاً أو آجِلاً لوَجَدْنَاهُ بسَبَبِ الوَسواسِ الخَنَّاسِ، وهو مُرْتَبِطٌ بتاريخِ وُجودِ الإنسانِ.

وأوَّلُ جِنايةٍ وَقَعَتْ على الإنسانِ الأوَّلِ، إنما هي مِن هذا الوَسواسِ الخَنَّاسِ، وذلك أنَّ اللهَ تعالى لَمَّا كَرَّمَ آدَمَ فخَلَقَه بيَدِهِ وأَسْجَدَ الملائكةَ له وأَسْكَنَه الجَنَّةَ هو وزَوْجُه لا يَجُوعُ فيها ولا يَعْرَى ولا يَظْمَأُ فيها ولا يَضْحَى، يَأكلانِ منها رَغَداً حيثُما شاءَا إلاَّ مِن الشجرةِ المَمنوعةِ، فوَسْوَسَ إليهما الشيطانُ حتَّى أَكلا مِنها ودَلاَّهُمَا بغُرورٍ، حتى أُهْبِطُوا منها جميعاً بعضُهم لبعْضٍ عَدُوٌّ.

وبَعْدَ سُكْنَاهُما الأَرْضَ أَتَى ابْنَيْهِمَا قابيلُ وهابيلُ فلاحَقَهُما أيضاً بالوَسوسةِ، حتَّى طَوَّعَتْ نفْسُ أحدِهما قَتْلَ أخِيهِ فأَصْبَحَ مِن النادمينَ.

وهكذا بسَائِرِ الإنسانِ في حياتِه بالوَسوسةِ حتى يُرْبِكَه في الدنيا، ويُهْلِكَهُ في الآخِرَةِ، ولقدِ اتَّخَذَ مِن المرأةِ جِسْراً لكلِّ ما يُريدُ، وها هو يُعيدُ الكَرَّةَ في نَزْعِ اللِّبَاسِ عن أَبَوَيْنَا في الجَنَّةِ، فَيَنْتَزِعُه عنهما في ظِلِّ بيتِ اللهِ الحرامِ في طوافِهم قَبْلَ البَعْثَةِ، ولا يَزالُ يُغْويهِ، وعن طريقِ المرأةِ في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ؛ لِيُخْرِجَه عن الاستقامةِ كما أَخْرَجَ أَبَوَيْهِ مِن الجَنَّةِ، ولا يَزالُ يُجْلِبُ على الإنسانِ بِخَيْلِه ورَجِلِه باراً بقَسَمِه بينَ يَدَيِ اللهِ بعِزَّتِه لَيُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ.

وإنَّ أَخْطَرَ أبوابِ الفَسادِ في المُجْتَمَعَاتِ لَهِيَ عن المالِ أو الدَّمِ أو العِرْضِ، كما في الحديثِ في حَجَّةِ الوَداعِ: «أَلا إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ؛ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا» إلى آخِرِه.

وهل وُجِدَتْ جِنايةٌ على واحِدٍ منها، إلاَّ مِن تَأثيرِ الوَسواسِ الخَنَّاسِ؟ اللَّهُمَّ لا، وهكذا في الآخِرَةِ.

وقد بَيَّنَ تعالَى المَوْقِفَ جَلِيًّا في مَقالةِ الشيطانِ البليغةِ الصريحةِ: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢] الآيةَ.

ولقَدْ عَلِمَ عَدُوُّ المُسْلِمِينَ أنَّ أَخْطَرَ سِلاحٍ على الإنسانِ هو الشَّكُّ، ولا طَريقَ إليه إلاَّ بالوَسوسةِ، فأَخَذَ عن إبليسَ مُهِمَّتَه وراحَ يُوَسْوِسُ للمسلِمِينَ في دِينِهم وفي دُنْيَاهُم، ويُشَكِّكُهم في قُدْرَتِهم على الحياةِ الكريمةِ مُسْتَقِلِّينَ عنه، ويُشَكِّكُهم في قُدرتِهم على التَّقَدُّمِ والاستقلالِ الحقيقيِّ، بل وفي استطاعتِهم على الإبداعِ والاختراعِ؛ لِيَظَلُّوا في فَلَكِه ودائرةِ نُفوذِه، فيَبْقَى المسلِمُونَ يَدُورُونَ في حَلْقَةٍ مُفْرَغَةٍ يُقَدِّمُونَ رِجْلاً ويُؤَخِّرُونَ أُخرَى.

والمُتَشَكِّكُ في نتيجةِ عَمَلٍ لا يُقْدِمُ عليه أبداً، بل ما يَبْنِيهِ اليومَ يَهْدِمُه غداً، وقد أَعْلَنَ عن هذه النتيجةِ الخطيرةِ رَئيسُ مؤتَمرِ المُسْتَشْرِقِينَ في الشرْقِ الأوسَطِ منذُ أكثَرَ مِن ثلاثينَ عاماً، حينَما انْعَقَدَ المؤتمرُ في بيروتَ لِعَرْضِ نتائجِ أعمالِهم ودِراسةِ أساليبِ تَبشيرِهم.

فتَشَكَّى المُؤْتَمِرُونَ مِن أنَّ لهم زُهاءَ أربعينَ سَنَةً مِن عَمَلِهم المُتَواصِلِ لم يَستطيعوا أنْ يُنَصِّرُوا مُسْلِماً واحداً، فقالَ رئيسُ المُؤْتَمَرِ: إذا لم نَسْتَطِعْ أنْ نُنَصِّرَ مُسْلِماً، ولكن استَطَعْنا أنْ نُوجِدَ ذَبْذَبَةً في الرأيِ فقد نَجَحْنَا في عَمَلِنا.

وهكذا مَنْهَجُ العدُوِّ؛ تَشكيكٌ في قضايا الإسلامِ لِيُوجِدَ ذَبذبةً في عَقيدةِ المُسْلِمينَ، فعنْ طريقِ المِيراثِ تارَةً، وعن طريقِ تَعَدُّدِ الزوجاتِ أُخْرَى، وعن دوافعِ القتالِ، وعن استرقاقِ الرَّقِيقِ، وعن وعن.

حتى وُجِدَ مِن أبناءِ المُسْلِمينَ مَن يَتَخَطَّى حُدودَ الشكِّ إلى التصديقِ، وأَخَذَ يَدْعُو إلى ما يَدْعُو إليه العَدُوُّ، وما ذاك كُلُّه إلاَّ حَصَادُ ونتائجُ الوَسواسِ الخَنَّاسِ.

فلا غَرْوَ إذَنْ أنْ تُجْمَعَ الصفاتُ الجَليلةُ الثلاثُ: ربُّ الناسِ، مَلِكُ الناسِ، إِلَهُ الناسِ.

هذه وِجهةُ النظَرِ الأُولَى بينَ سُورَتَيِ الفَلَقِ والناسِ). [تتمة أضواء البيان: ٣٦٤/٩- ٣٦٦]

التناسب بين فاتحة المصحف وخاتمته

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمِ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وكما رَجَعَ مَقْطَعُهَا على مَطْلَعِهَا، كذلكَ كانَ مِنَ المناسباتِ العظيمةِ مُنَاسَبَةُ مَعْنَاهَا للفاتحةِ لِيَرْجِعَ مَقْطَعُ القرآنِ على مَطْلَعِهِ وَيَلْتَحِمَ مَبْدَؤُهُ بِمَرْجِعِهِ على أَحْسَنِ وَجْهٍ، كَمَا تَقَدَّمَ بيانُ ذلكَ مِنْ سورةِ قريشٍ إلى هنا سُورَةً سُورَةً، فَنَظَرُ هذهِ السورةِ إلى الفاتحةِ وَالتِحَامُهَا بها مِنْ جهةِ أنَّ الفاتحةَ اشْتَمَلَتْ على ثلاثةِ أَسْمَاءٍ: اللهُ وَالرَّبُّ وَالمَلِكُ، وَزَادَتْ بِكَوْنِهَا أمَّ القرآنِ بالرحمنِ الرحيمِ لاشْتِمَالِهِمَا على جميعِ النِّعَمِ الظاهرةِ وَالباطنةِ التي تَضَمَّنَتْهَا صفةُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَسُورَةَ الناسِ على الربِّ وَالمَلِكِ وَالإِلَهِ الذي هوَ الأصلُ في اسمِ الجلالةِ، وَاخْتُصَّت الفاتحةُ بالاسمِ الذي لمْ يَقَعْ فيهِ شَرِكَةٌ أَصْلاً.

فَلَمَّا تَقَرَّرَ في جميعِ القرآنِ أَنَّهُ الإِلَهُ الحَقُّ، وَأَنَّهُ لا شَرِكَةَ لِغَيْرِهِ في الإِلَهِيَّةِ تَحِقُّ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ كما أَنَّهُ لا شَرِكَةَ في الاسمِ الأعظمِ الذي افْتُتِحَ بِهِ القرآنَ أَصْلاً بِحَقٍّ وَلا بِبَاطِلٍ، خَتَمَ القرآنَ الكريمَ بِهِ مُعَبِّراً عنهُ بالإِلَهِ لوضوحِ الأمرِ وَانتفاءِ اللَّبْسِ بالكلِّيَّةِ، وَصَارَ الاختتامُ مِمَّا كانَ بِهِ الافتتاحُ على الوجهِ الأَجْلَى وَالتَّرْتِيبِ الأَوْلَى، وَبَقِيَ الاسمانِ الآخَرَانِ على نَظْمِهِمَا، فَيَصِيرُ النَّظْمُ إذا أَلصقْتَ آخرَ الناسِ بأوَّلِ الفاتحةِ (إِلَهٌ، مَلِكٌ، رَبٌّ- اللهُ، رَبٌّ، رَحْمَنٌ، رَحِيمٌ، مَلِكٌ) إِعْلاماً بأنَّ مُسَمَّى الاسمِ الأَعْظَمِ هوَ الإِلَهُ الحَقُّ، وَهوَ المَلِكُ الأَعْظَمُ؛ لأَنَّهُ لهُ الإِبْدَاعُ وَحُسْنُ التربيةِ وَالرحمةُ العامَّةُ وَالخاصَّةُ.

وَحَاصِلُ سورةِ الناسِ الاستعاذةُ بهذا الربِّ الموصوفِ مِنْ وَسوسةِ الصدرِ المُثْمِرَةِ للمُرَاقَبَةِ كما أنَّ حَاصِلَ سُورَةِ الفاتحةِ فَرَاغُ السِّرِّ مِنَ الشَّوَاغِلِ المُقْتَضِي لقصرِ الهِمَمِ عَلَيْهِ سبحانَهُ وَتعالى، وَالبقاءُ في حَضْرَتِهِ الشَّمَّاءِ بِقَصرِ البقاءِ عَلَيْهِ وَالحُكْمِ بالفناءِ على ما سِوَاهُ، وَذلكَ هوَ أَعْلَى دَرَجَاتِ المُرَاقَبَةِ). [نظم الدرر: ٨/٦١٨]

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (وإذا كانَ الشيخُ رَحِمَهُ اللهُ قد نَبَّهَ على مُراعاةِ خاتِمَةِ المُصْحَفِ، فإنا لو رَجَعْنا إلى أوَّلِ المُصْحَفِ وآخرِه لوَجَدْنَا رَبْطاً بَديعاً؛ إذ تلك الصفاتُ الثلاثُ في سُورَةِ الناسِ مَوجودةٌ في سُورَةِ الفاتِحَةِ، فاتَّفَقَتِ الخاتِمَةُ معَ الفاتِحَةِ في هذا المعنى العظيمِ؛ إذ في الفاتِحَةِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ و(مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، فجاءَتْ صِفةُ الرُّبوبيَّةِ والمُلْكِ والأُلُوهِيَّةِ في لَفْظِ الجَلالَةِ.

وتكونُ الخاتِمَةُ الشريفةُ مِن بابِ عَوْدٍ على بَدْءٍ، وأنَّ القرآنَ كلَّه فيما بينَ ذلك شرْحٌ وبيانٌ لتقديرِ هذا المعنى الكبيرِ.

وسيأتي لذلك زيادةُ إيضاحٍ في النهايةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٥٨- ٣٥٩]

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (أمَّا الوجهةُ الثانيةُ وهي بينَ سُورَةِ الناسِ ونَسَقِ المُصْحَفِ الشريفِ بقَوْلِه تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ١- ٧].

وفي هذه البدايةِ الكريمةِ بَثُّ الطُّمأنينةِ في القلْبِ المُعبَّرِ عنها بالحَمْدِ؛ عُنوانِ الرِّضَا والسعادةِ والإقرارِ للهِ بالرُّبوبيَّةِ، ثم الإيمانُ بالبعْثِ والإقرارِ للهِ بِمِلْكِ يومِ الدِّينِ، ثم الالتزامُ بالعِبادةِ للهِ وَحْدَه والالتجاءُ إليه مُستعيناً به، مُستهدياً الصراطَ المستقيمَ، سائلاً صُحْبَةَ الذين أَنْعَمَ عليهم.

ثم يأتي بعدَها مباشَرَةً في أوَّلِ سُورَةِ البَقرةِ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢]؛ أي: إنَّ الهُدَى الذي تَنْشُدُه إلى الصراطِ المستقيمِ فهو في هذا الكتابِ لا رَيْبَ فيه، ثم بَيَّنَ المُتَّقِينَ الذينَ أَنْعَمَ اللهُ عليهم بقولِه: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة: ٣- ٤].

ومَرَّةً أُخْرَى للتأكيدِ أولئكَ لا سِواهُم على هُدًى مِن رَبِّكَ وأولئكَ هم المُفْلِحُونَ.

ثم تَتَرَسَّلُ السُّورَةُ في تقسيمِ الناسِ إلى الأقسامِ الثلاثةِ: مؤمنينَ وكافرينَ ومُذَبْذَبِينَ بينَ بينَ، وهم المُنافِقونَ.

ثم يأتي النداءُ الصريحُ، وهو أوَّلُ نداءٍ في المُصْحَفِ لعُمومِ الناسِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] ويُقيمُ البراهينَ على استحقاقِه للعبادةِ، وعلى إمكانِ البَعْثِ بقولِه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢١- ٢٢].

وبعدَ تقريرِ الأصْلِ، وهي العقيدةُ، تَمْضِي السُّورَةُ في ذِكْرِ فُروعِ الإسلامِ، فتَشْتَمِلُ على أركانِ الإسلامِ كلِّها وعلى كثيرٍ مِن مَسائلِ المُعَامَلاتِ والجِهادِ، وقَلَّ بابٌ مِن أبوابِ الفِقْهِ إلاَّ وله ذِكْرٌ في هذه السُّورَةِ، ويأتي ما بعدَها مُبَيِّناً لِمَا أُجْمِلَ فيها أو لِمَا يُذْكَرُ ضِمْنَها، وهكذا حتى يَنْتَهِيَ القرآنُ بكَمالِ الشريعةِ وتَمامِ الدِّينِ.

ولِمَا جاءَ في وَصْفِ المُتَّقِينَ المُهْتَدِينَ في أوَّلِ المُصْحَفِ أنهم يُؤْمِنُونَ بالغَيْبِ، ومنه الإيمانُ باليومِ الآخِرِ وما فيه مِن حِسابٍ وعِقابٍ وثوابٍ، أمورُ الغَيْبِ تَستلزِمُ اليَقِينَ لتَرَتُّبِ الجزاءِ عليه ثَواباً أو عِقاباً.

والثوابُ والعقابُ هما نَتيجةُ الفِعْلِ والترْكِ.

والفِعْلُ والتَّرْكُ: هما مَنَاطُ التكليفِ؛ لأنَّ الإنسانَ يَمْتَثِلُ الأمْرَ رَجاءَ الثوابِ، ويَكُفُّ عن مُتَعَلَّقِ النهْيِ مَخَافَةَ العِقابِ.

فلَكَأَنَّ نَسَقَ المُصْحَفِ الشريفِ يُشيرُ إلى ضَرورةِ ما يَجِبُ الانتباهُ إليه، مِن أنَّ القرآنَ بَدَأَ بالحَمْدِ ثَناءً على اللهِ بما أَنْعَمَ على الإنسانِ بإنزالِه، وإرسالِ الرسولِ صاحبِه به، ثم نَقَلَه مِن عالَمِ الدنيا إلى عالَمِ الآخِرَةِ، وهو الأَعْظَمُ قَدْراً وخَطَراً، ثم رَسَمَ له الطريقَ الذي سَلَكَه المُهْتَدُونَ أهْلُ الإنعامِ والرِّضَا، ثم أَوْقَفَه عليه لِيَسْلُكَ سبيلَهم.

وهكذا إلى أنْ جاءَ به بعْدَ كمالِ البيانِ والإرشادِ والهِدايةِ، جاءَ به إلى نِهايةِ هذا الصراطِ المستقيمِ، فاسْتَوْقَفَهُ ليقولَ له: إذا اطْمَأْنَنْتَ لهذا الدِّينِ، وآمَنْتَ باللهِ ربِّ العالَمِينَ، واعْتَقَدْتَ مَجيءَ يَوْمِ الدِّينِ، وعَرَفْتَ طريقَ المُهْتَدِينَ، ورأيتَ أقسامَ الناسِ الثلاثةَ: مُؤمنينَ وكافرينَ ومُنافقينَ، ونِهايةَ كلٍّ منهم، فالزَمْ هذا الكتابَ وسِرْ

على هذا الصراطِ، ورافِقْ أهلَ الإنعامِ، وجانِبِ المغضوبَ عليهم والضالِّينَ، واحْذَرْ مِن مَسْلَكِ المنافقينَ المُتشكِّكِينَ، وحاذِرْ كُلَّ الحَذَرِ مِن مُوجِبِ ذلك كلِّه، وهو الوَسْواسُ الخَنَّاسُ، أنْ يُشكِّكَ في مُتعلَّقاتِ الإيمانِ أو في استواءِ طَريقِكَ واستقامتِه، أو في عِصْمَةِ كتابِكَ وكمالِه، وكُنْ على يَقِينٍ مِمَّا أنتَ عليه، ولا تَنْسَ خَطَرَه على أبَوَيْكَ مِن قَبْلُ، إذ هما في الجَنَّةِ دارِ السلامِ ولم يَسْلَمَا منه ودلَّاهما بغُرُورٍ، فحاذِرْ منه ولُذْ بِي كلَّمَا ألَمَّ بكَ أو مَسَّكَ طائفٌ منه، وكُنْ كسلَفِكَ الصالحِ إذا مَسَّهُمْ طائفٌ مِن الشيطانِ تَذَكَّرُوا فإذا هُمْ مُبْصِرونَ.

وقد عَلِمْتَ عَداوتَه لكَ مِن بَعْدُ، وعداوتُه ناشئةٌ عن الحَسَدِ.

ولَكَأنَّ ارتباطَ السورتَيْنِ لَيُشِيرُ إلى مَنْشَأِ تلكَ العَداوةِ وارتباطِها بهذا التحذيرِ؛ إذ في الأُولَى: ومِن شَرِّ حاسِدٍ إذا حَسَدَ، فحَسَدَ الشيطانُ آدَمَ على إكرامِ اللهِ إيَّاه كما أَسْلَفْنَا.

والعدُوُّ الحاسِدُ لا يُرْضِيهِ إلاَّ زَوَالُ النِّعمةِ عن المحسودِ، ولَئِنْ كانَتْ توبةُ آدَمَ هي سَبيلَ نَجاتِه؛ كما في قَوْلِه تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة: ٣٧].

فنجاتُكَ أيضاً في كَلِمَاتٍ تَستعيذُ بها مِن عَدُوِّكَ برَبِّ الناسِ مَلِكِ الناسِ إلهِ الناسِ؛ لأنَّ الربَّ هو الذي يَرْحَمُ عِبادَه، ومَلِكَ الناسِ هو الذي يَحْمِيهم ويَحْفَظُهم ويَحْرُسُهم، وإلَهَ الناسِ الذي يَتَأَلَّهُونَ إليه ويَتَضرَّعُونَ ويَلُوذُونَ به سُبحانَه). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٦٦- ٣٦٨]

مقصد السورة

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (مَقْصُودُهَا الاعتصامُ بالإِلَهِ الحقِّ مِنْ شَرِّ الخلقِ الباطنِ، وَاسْمُهَا دالٌّ على ذلكَ؛ لأنَّ الإنسانَ مَطْبُوعٌ على الشَّرِّ، وَأَكْثَرُ شَرِّهِ بالمَكْرِ وَالخِدَاعِ، وَأَحْسَنُ مِنْ هذا أَنَّها للاستعاذةِ مِنَ الشَّرِّ البَاطِنِ المَأْنُوسِ بهِ المُسْتَرْوَحِ إليهِ، فَإِنَّ الوسوسةَ لا تَكُونُ إلاَّ بِمَا يُشْتَهَى، وَالناسُ مُشْتَقٌّ مِنَ الأَنَسِ فَإِنَّ أَصْلَهُ أُنَاسٌ، وَهوَ أيضاً اضْطِرَابُ الباطنِ المُشِيرُ إليهِ الاشتقاقُ مِنَ النَّوْسِ.

فَطَابَقَ حينئذٍ الاسمُ المُسَمَّى، وَمَقْصُودُ هذهِ السورةِ مَعْلُولٌ لمقصودِ الفاتحةِ الذي هوَ المُرَاقَبَةُ، وَهيَ شَامِلَةٌ لجميعِ عُلُومِ القرآنِ التي هيَ مُصَادَقَةُ اللهِ وَمُعَادَاةُ الشيطانِ بِبَرَاعَةِ الختامِ وَفَذْلَكَةِ النِّظَامِ، كَمَا أَنَّ الفاتحةَ شَامِلَةٌ لذلكَ؛ لأَنَّها بَرَاعَةُ الاستهلالِ وَرِعَايَةُ الجلالِ وَالجمالِ، فَقَدِ اتَّصَلَ الآخرُ بالأوَّلِ اتِّصَالَ العِلَّةِ بالمعلولِ وَالدليلِ بالمدلولِ وَالمثلِ بالمَمْثُولِ، وَاللهُ المَسْؤُولُ في تَيْسِيرِ السُّؤْلِ وَتَحْقِيقِ المَأْمُولِ، فَإِنَّهُ الجَوَادُ ذو الطَّوْلِ، وَبِهِ يُسْتَعَانُ، وَعليهِ التُّكْلانُ). [نظم الدرر: ٨/٦١١]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَحَاصِلُ سورةِ الناسِ الاستعاذةُ بهذا الربِّ الموصوفِ مِنْ وَسوسةِ الصدرِ المُثْمِرَةِ للمُرَاقَبَةِ). [نظم الدرر: ٨/٦١٧]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ): (فيها ذَمُّ الوَسْوَاسِ ونَدْبُ الاسْتِعَاذَةِ مِنْهُ، وإِنَّ للإِنْسِ شَيَاطِينَ يُسْتَعَاذُ مِن شَرِّهِمْ، كَمَا أَنَّ للجِنِّ شَيَاطِينَ يُسْتَعَاذُ مِنْهم). [الإكليل: ٣/١٣٦٠]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ التَّمِيمِيُّ (ت: ١٢٠٦ هـ): (السَّادِسَةُ وَالثَّلاثُونَ: الأَمْرُ بِالاسْتِعَاذَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ.

السَّابِعَةُ وَالثَّلاثُونَ: التَّنْبِيهُ عَلَى شِدَّةِ الحَاجَةِ إِلَى ذَلِكَ لِكَوْنِهِ أَفْرَدَ لَهُ سُورَةً وَخَتَمَ بِهَا الْمُصْحَفَ). [مجموع مؤلفاته/التفسير: ٢٧٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ التَّمِيمِيُّ (ت: ١٢٠٦ هـ): (وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾ فَقَدْ تَضَمَّنَتْ أَيْضًا ذِكْرَ ثَلاثَةٍ:

الأَوَّلُ: الاسْتِعَاذَةُ وَقَدْ تَقَدَّمَتْ.

الثَّانِي: الْمُسْتَعَاذُ بِهِ.

وَالثَّالِثُ: الْمُسْتَعَاذُ مِنْهُ.

فَأَمَّا الْمُسْتَعَاذُ بِهِ فَهُوَ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، رَبُّ النَّاسِ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَرَزَقَهُمْ وَدَبَّرَهُمْ، وَأَوْصَلَ إِلَيْهِمْ مَصَالِحَهُمْ، وَمَنَعَ عَنْهُمْ مَضَارَّهُمْ.

﴿مَلِكِ النَّاسِ ۝٢﴾ أَيِ: الْمُتَصَرِّفِ فِيهِمْ وَهُمْ عَبِيدُهُ وَمَمَالِيكُهُ، الْمُدَبِّرِ لَهُمْ كَمَا يَشَاءُ، الَّذِي لَهُ الْقُدْرَةُ وَالسُّلْطَانُ عَلَيْهِمْ، فَلَيْسَ لَهُمْ مَلِكٌ يَهْرُبُونَ إِلَيْهِ إِذَا دَهَمَهُمْ أَمْرٌ؛ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ، وَيَصِلُ وَيَقْطَعُ، وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ.

﴿إِلَهِ النَّاسِ ۝٣﴾ أَيِ: مَعْبُودِهِمُ الَّذِي لا مَعْبُودَ لَهُمْ غَيْرُهُ، فَلا يُدْعَى وَلا يُرْجَى وَلا يَخْلُقُ إِلاَّ هُوَ، فَخَلَقَهُمْ وَصَوَّرَهُمْ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ وَحَمَاهُمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَقَهَرَهُمْ وَأَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ، وَصَرَفَهُمْ كَمَا يَشَاءُ بِمُلْكِهِ، وَاسْتَعْبَدَهُمْ بِالهَيْبَةِ الجَامِعَةِ لِصِفَاتِ الكَمَالِ كُلِّهَا.

وَأَمَّا الْمُسْتَعَاذُ مِنْهُ فَهُوَ الوَسْوَاسُ؛ وَهُوَ الخَفِيُّ الإِلْقَاءِ فِي النَّفْسِ؛ إِمَّا بِصَوْتٍ خَفِيٍّ لا يَسْمَعُهُ إِلاَّ مَنْ أُلْقِيَ إِلَيْهِ، وَإِمَّا بِغَيْرِ صَوْتٍ كَمَا يُوَسْوِسُ الشَّيْطَانُ إِلَى العَبْدِ.

وَأَمَّا الخَنَّاسُ، فَهُوَ الَّذِي يَخْنُسُ وَيَتَأَخَّرُ وَيَخْتَفِي، وَأَصْلُ الخُنُوسِ: الرُّجُوعُ إِلَى وَرَاءُ، وَهَذَانِ وَصْفَانِ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ وَهُوَ الشَّيْطَانُ، وَذَلِكَ أَنَّ العَبْدَ إِذَا غَفَلَ جَثَمَ عَلَى قَلْبِهِ، وَبَذَلَ فِيهِ الوَسَاوِسَ الَّتِي هِيَ أَصْلُ الشَّرِّ؛ فَإِذَا ذَكَرَ العَبْدُ رَبَّهُ وَاسْتَعَاذَ بِهِ خَنَسَ.

قَالَ قَتَادَةُ: الخَنَّاسُ لَهُ خُرْطُومٌ كَخُرْطُومِ الكَلْبِ، فَإِذَا ذَكَرَ العَبْدُ رَبَّهُ خَنَسَ، وَيُقَالُ: رَأْسُهُ كَرَأْسِ الحَيَّةِ يَضَعُهُ عَلَى ثَمَرَةِ القَلْبِ يُمَنِّيهِ وَيُحَدِّثُهُ، فَإِذَا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ؛ وَجَاءَ بِنَاؤُهُ عَلَى الفَعَّالِ الَّذِي يَتَكَرَّرُ مِنْهُ، فَإِنَّهُ كُلَّمَا ذَكَرَ اللهَ انْخَنَسَ، وَإِذَا غَفَلَ عَادَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾ يَعْنِي أَنَّ الوَسْوَاسَ نَوْعَانِ: إِنْسٌ وَجِنٌّ، فَإِنَّ الوَسْوَسَةَ الإِلْقَاءُ الخَفِيُّ، لَكِنَّ إِلْقَاءَ الإِنْسِ بِوَاسِطَةِ الأُذُنِ، وَالجِنِّيُّ لا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا، وَنَظِيرُ اشْتِرَاكِهِمَا فِي الوَسْوَسَةِ اشْتِرَاكُهُمَا فِي الوَحْيِ الشَّيْطَانِيِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝١١٢﴾ [الأنعام: الآية ١١٢] وَاللهُ أَعْلَمُ). [مجموع مؤلفاته/التفسير: ٢٨٣- ٢٨٤]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (وَقَدْ أَرْشَدَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ إِلَى الاسْتِعَانَةِ بِهِ تَعَالَى شَأْنُهُ، كما أَرْشَدَ إِلَيْهَا فِي الفَاتِحَةِ للإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ مِلاكَ الأَمْرِ كُلِّهِ هُوَ التَّوَجُّهُ إِلَيْهِ وَحْدَهُ، والإِخْلاصُ له فِي القَوْلِ والعَمَلِ والالتِجَاءُ فِيمَا لا قُدْرَةَ لنا عَلَى دَفْعِهِ). [تفسير المراغي: ٣٠/٢٧٢]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ نَاصِرٍ السَّعْدِيُّ (ت: ١٣٧٦هـ): (وهذه السورةُ مُشْتَمِلَةٌ على الاستعاذةِ بربِّ الناسِ ومالِكِهم وإلهِهم مِن الشيطانِ، الذي هو أصلُ الشرورِ كلِّها ومادَّتُها، الذي مِن فِتْنَتِه وشَرِّه أنه يُوَسْوِسُ في صُدورِ الناسِ، فيُحَسِّنُ لهم الشرَّ، ويُرِيهِم إيَّاهُ في صورةٍ حَسَنَةٍ، ويُنَشِّطُ إرادتَهم لفعلِه، ويُثَبِّطُهُم عن الخيرِ، ويُريهِم إيَّاه في صورةٍ غيرِ صورتِه، وهو دائماً بهذهِ الحالِ؛ يُوَسْوِسُ ثمَّ يَخْنُسُ؛ أي: يَتَأَخَّرُ عن الوسوسةِ إذا ذَكَرَ العبدُ رَبَّه واسْتَعَانَ به على دَفْعِه.

فيَنْبَغِي له أنْ يَسْتَعِينَ ويَسْتَعِيذَ ويَعْتَصِمَ برُبوبيَّةِ اللهِ للناسِ كلِّهم، وإنَّ الخَلْقَ كلَّهم داخلونَ تحتَ الرُّبوبيَّةِ والمُلْكِ، فكلُّ دابَّةٍ هو آخذٌ بناصيتِها، وبأُلوهيَّتِه التي خَلَقَهم لأجلِها، فلا تَتِمُّ لهم إلاَّ بدفعِ شرِّ عَدُوِّهم الذي يُريدُ أنْ يَقْتَطِعَهم عنها ويَحُولَ بينَهم وبينَها، ويُريدُ أنْ يَجْعَلَهُم مِن حِزْبِه، لِيَكونُوا مِن أصحابِ السَّعِيرِ). [تيسير الكريم الرحمن: ٤/٢٠٠٢]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (أغراضُها: إرشادُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لأنْ يَتعوَّذَ باللهِ رَبِّه مِن شَرِّ الوَسواسِ الذي يُحاوِلُ إفسادَ عمَلِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وإفسادَ إرشادِه الناسَ، ويُلْقِي في نُفوسِ الناسِ الإعراضَ عن دَعوتِه، وفي هذا الأمرِ إيماءٌ إلى أنَّ اللهَ تعالى مُعِيذُه في ذلك، فعاصِمُه في نَفْسِه مِن تَسَلُّطِ وَسوسةِ الوَسْوَاسِ عليه، ومُتَمِّمٌ دَعوتَه حتى تَعُمَّ في الناسِ، ويَتْبَعُ ذلك تَعليمُ المسلمينَ التَّعَوُّذَ بذلك، فيَكونُ لهم مِن هذا التَّعَوُّذِ ما هو حَظُّهُم، ومِن قَابِلِيَّةِ التَّعَرُّضِ إلى الوَسْوَاسِ، ومِنَ السلامةِ منه بمِقدارِ مَراتِبِهم في الزُّلْفَى). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣٢]

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾، هذه هي المَرْتَبَةُ الثالثةُ في كَمالِ العُبُودِيَّةِ، وإفرادِ اللهِ تعالى بالأُلُوهِيَّةِ.

هذا هو مَحَلُّ الإحالةِ التي عَنَاهَا الشيخُ - رحمةُ اللهِ تعالى عَلَيْنَا وعليه - فيما يَظْهَرُ؛ لأنَّ العَبْدَ إذا أَقَرَّ بأنَّ اللهَ ربُّه وخالِقُه ومُنْعِمٌ عليه، أَوْجَدَه مِن العَدَمِ، ورَبَّاهُ بالنِّعَمِ، لا رَبَّ له سِواهُ، ثم تَدَرَّجَ بعِلْمِه ويَقِينِه إلى الإِقْرَارِ بأنَّ رَبَّه هو مَلِيكُه والمُتَصَرِّفُ في أمْرِه وَحدَه، وأنه لا يَمْلِكُ هو نفْسُه مع اللهِ شيئاً، ولا يَمْلِكُ له أحَدٌ مِن اللهِ شيئاً، وأنَّ كلَّ تَصَرُّفاتِ العالَمِ كلِّه بأَمْرِه؛ فلا يَصِلُ إليه خَيْرٌ إلاَّ بإِذْنِه، ولا يُصْرَفُ عنه ضَرَرٌ إلاَّ بأَمْرِه، وعَرَفَ في يقينٍ أنه عَبْدٌ مملوكٌ لِمَن بِيَدِه مَلكوتُ السماواتِ والأَرْضِ - تَوَصَّلَ بعِلْمِه هذا أنَّ مَن كانَتْ هذه صِفاتِه كانَ هو وَحْدَه المُسْتَحِقَّ لإِفرادِه بالعِبادةِ وبالأُلوهيَّةِ، لا إلهَ إلاَّ هو؛ فيكونُ في خاتِمَةِ المُصْحَفِ الشريفِ انتزاعُ الإقرارِ مِن العَبْدِ للهِ سُبحانَه بطَريقِ الإلزامِ بالمَعْنَى الذي أَرْسَلَ اللهُ به رُسُلَه، وأَنْزَلَ مِن أَجْلِه كُتُبَهُ، وهو أنْ يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ، وهو ما صَرَّحَ الشيخُ به في الإحالةِ السابقةِ). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٥٩]

القراءات

الإمالات

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ مُجَاهِدٍ (ت: ٣٢٤هـ): (قَوْلُهُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①﴾.
كُلُّهُمْ قَرَأَ: (النَّاسِ) غَيْرَ مُمَالَةٍ، إلاَّ مَا رَوَى الحُلْوَانِيُّ عَنْ أَبِي عُمَرَ الدُّورِيِّ عن الكِسَائِيِّ أَنَّ قِرَاءَتَهُ كانت بإمَالَةِ النُّونِ مِنَ (النَّاسِ) فِي مَوْضِعِ الخَفْضِ، وَلا يُمِيلُ فِي الرَّفْعِ والنَّصْبِ). [السبعة في القراءات:٧٠٣]

قَالَ الحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ):(لا خُلْفَ فيها إلاَّ ما رَوَاهُ الحُلْوَانِيُّ عن أبي عُمَرَ عن الكِسَائِيِّ: أنه أمالَ ﴿النَّاسِ﴾ في الخفضِ دونَ غَيْرِه). [الحجة:٣٧٨]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الأَزْهَرِيُّ (ت: ٣٧٠ هـ): (ورَوَى أبو عَمْرٍو الدُّورِيُّ عن الكِسائِيِّ، أنه كانَ يُمِيلُ النونَ مِن (النَّاسِ) في مَوْضِعِ الخَفْضِ ولا يُمِيلُها في مَوْضِعِ الرفْعِ والنصْبِ.
وسائرُ القُرَّاءِ فَخَّمُوا ﴿النَّاسِ﴾ في جميعِ الوُجُوهِ). [علل القراءات:٨١١]

قَالَ عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ الأَصْبَهَانِيُّ البَاقُولِيُّ (ت: ٥٤٣هـ): (وعن بَعْضِهِمْ تَخْصِيصُ ﴿النَّاسِ﴾ في هذه السورةِ دونَ سائرِ القرآنِ بالإمالةِ لتوالي حركاتِ الجرِّ على لفظةِ ﴿النَّاسِ﴾ قبلَها وبعدَها). [كشف المشكلات: ٢/١٤٩٨]

قَالَ عَبْدُ الحَقِّ بْنُ غَالِبِ بن عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (وكلُّهم قرَأَ: ﴿النَّاسِ﴾ غيرَ مُمَالَةٍ، ورَوَى الدُّورِيُّ عن الكِسَائِيِّ، أنه أَمَالَ النونَ مِن ﴿النَّاسِ﴾ في حالِ الخفضِ، ولا يُمِيلُ في الرفعِ والنصبِ). [المحرر الوجيز: ١٥/٦١٥]

قَالَ ابنُ الأَبْزَارِيِّ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ الغَافِقِيُّ (ت: ٥٦٥هـ): (وَرُوِيَ عَنِ اليَزِيدِيِّ عَنْهُ إِمَالَةُ (النَّاسِ) فِي مَوْضِعِ الخَفْضِ، وَقَدْ ذُكِرَ فِي بَابِ الإِمَالَةِ. وَلَيْسَ مِنْ مَذْهَبِهِ شَيْءٌ مِنَ التَّكْبِيرِ، لا فِي المُفَصَّلِ، وَلا فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ). [رواية أبي عمرو بن العلاء:٢١٥]

قَالَ نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ ابنُ أَبِي مَرْيَمَ (ت: ٥٦٥هـ): (﴿النَّاسِ﴾: - جَمِيعُ القُرَّاءِ فَتَحُوا النُّونَ مِنَ ﴿النَّاسِ﴾ إلاَّ مَا رُوِيَ عَنِ الدُّورِيِّ عَنِ (الكِسَائِيِّ) أَنَّهُ كَانَ يُمِيلُ ﴿النَّاسِ﴾ فِي مَوْضِعِ الجَرِّ.
وَالوَجْهُ فِي الإِمَالَةِ أَنَّهَا جَائِزَةٌ حَسَنَةٌ؛ لِكَسْرَةِ الإِعْرَابِ، وَقَدْ أَمَالُوا: النَّاسَ فِي مَوَاضِعَ لا يُوجِبُ القِيَاسُ إِمَالَتَهُ فِيهَا؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، لَمَّا كَثُرَ فِي كَلامِهِمْ، جُوِّزَتْ إِمَالَتُهُ لِلْكَثْرَةِ، وَذَلِكَ حَيْثُ لا كَسْرَةَ فِيهِ، فَلأَنْ تَجُوزُ إِمَالَتُهُ مَعَ وُجُودِ الكَسْرَةِ الجَالِبَةِ لَهَا أَوْلَى). [الموضح:١٤١٨] (م)

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (قولُه تعالى: ﴿النَّاسِ﴾ و: ﴿الْخَنَّاسِ ④﴾.
يُقْرَآنِ بالإمالةِ، وهي لُغَةٌ حكَاها الأَصْمَعِيُّ، ولا يَنْبَغِي أنْ يُؤْخَذَ بها في القرآنِ، ويُقْرَأُ (النَّاتِ) بالتاءِ مكانَ السِّينِ، وهي لُغَةٌ). [إعراب القراءات الشواذ: ٢/ ٧٦٣]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ خَلِيلٍ القبَاقِبِيُّ (ت: ٨٤٩هـ): (و﴿النَّاسِ﴾ ذُكِرَ إِمَالَتُهُ في الإِمَالَةِ). [إيضاح الرموز:٧٣٧]

قَالَ عُمَرُ بْنُ قَاسِمٍ النَّشَّارُ (ت: ٩٣٨هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ٱلنَّاسِ﴾ قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو بِإِمَالَةِ النَّاسِ مَحْضَةً بِخِلافِ عَنْهُ). [المكرر: ١٦٤]

قَالَ عُمَرُ بْنُ قَاسِمٍ النَّشَّارُ (ت: ٩٣٨هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ ... إلى آخرِها، قَرَأَ أَبو عَمْرٍو بخلافٍ عنه بالإمالَةِ مَحْضَةً، وَالبَاقُونَ بِالفَتْحِ). [البدور الزاهرة:٤٦٣]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ البَنَّاءُ الدِّمْيَاطِيُّ (ت: ١١١٧هـ): (وَأَمَالَ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ الخَمْسَ مَحْضَةً الدُّورِيُّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو مِنْ طَرِيقِ أَبِي الزَّعْرَاءِ عَنْهُ، وَهُوَ الَّذِي فِي التَّيْسِيرِ وَبِهِ كَانَ يَأْخُذُ الشَّاطِبِيُّ عَنْهُ، وَجْهًا وَاحِدًا، وَرَوَى فَتْحَهُ عَنْهُ سَائِرُ أَهْلِ الأَدَاءِ، قَالَ فِي النَّشْرِ: وَالوَجْهَانِ صَحِيحَانِ عِنْدَنَا مِنْ رِوَايَةِ الدُّورِيِّ، وَافَقَهُ اليَزِيدِيُّ. وَالبَاقُونَ بِالفَتْحِ). [إتحاف فضلاء البشر: ٦٣٩]

قَالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَاقِسِيُّ (ت: ١١١٨هـ): (المُمَالُ: ﴿أَدْرَىٰكَ﴾ الثلاثةُ لَهُمْ وبَصْرِيٌّ وشُعْبَةُ وابْنُ ذَكْوَانَ بِخُلْفٍ عَنْهُ، فلَهُ الإِضْجَاعُ وله الفَتْحُ ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾، و﴿أَغْنَىٰ﴾، و﴿سَيَصْلَىٰ﴾ لهم، والفتحُ لوَرْشٍ في ﴿سَيَصْلَىٰ﴾ مع تَفْخِيمِ اللامِ والتَّقْلِيلِ معَ التَّرْقِيقِ ﴿عَٰبِدُونَ﴾ معًا، و﴿عَابِدٌ﴾ لهشامٍ ﴿جَآءَ﴾ وابنُ ذَكْوَانَ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ الخَمْسَةُ لدُورِي). [غيث النفع:٦٦٣]

قَالَ عَبْدُ الفَتَّاحِ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ القَاضِي (ت: ١٤٠٣هـ): (المُمَالُ: (أَدْرَاكَ) الثَّلاثَةُ بالإمالةِ لشُعْبَةَ والأَخَوَيْنِ وخَلَفٍ والبَصْرِيِّ وابنِ ذَكْوَانَ بخُلْفٍ عنه، والوجْهُ الثاني له الفتحُ وبالتقليلِ لوَرْشٍ.

(ألهَاكُمُ، وأَغْنَى، وسَيَصْلَى) بالإمَالَةِ للأصحابِ والتقليلِ لوَرْشٍ بخُلفٍ عنه (عَابِدُونَ) معاً و(عَابِدٌ) لهشامٍ (جَاءَ) لابنِ ذَكْوَانَ وخَلَفٍ وحَمْزَةَ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ الخَمْسَةُ لدُورِى البَصْرِيِّ). [البدور الزاهرة: ٣٤٧]

ليس فيها خلاف في الفرش

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ):(لا خُلْفَ فيها إلاَّ ما رَوَاهُ الحُلْوَانِيُّ عن أبي عُمَرَ عن الكِسائِيِّ: أنه أمالَ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ في الخفضِ دونَ غَيْرِه). [الحجة:٣٧٨ (م)]

قَالَ الحَسَنُ بْنُ خَلَفِ ابنُ بلِّيمَةَ الهَوَّارِيُّ (ت: ٥١٤هـ): (لَيْسَ فِيهِمَا خلافٌ). [تلخيص العبارات:١٦٤]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ عَبدِ المُؤْمِنِ بْنِ الوَجِيهِ الوَاسِطِيُّ (ت: ٧٤٠هـ): (ولَيْسَ في سُورَةِ الفَلَقِ وَالنَّاسِ خِلافٌ سِوَى ما تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ في الأُصُولِ، فَاعْلَمْ ذَلِكَ). [الكنز:٧٢٦]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ ابْنُ الجزَرِيِّ (ت: ٨٣٣هـ): (وليسَ في الفَلَقِ والناسِ خلافٌ إلاَّ ما تَقَدَّمَ مِن الأصولِ في صَدْرِ الكتابِ). [تحبير التيسير:٦٢٠]

قَالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الضَّبَّاعُ (ت: ١٣٨٠هـ): (ولَيْسَ في (سُورَتَي الفَلَقِ وَالنَّاسِ) شَيْءٌ مِنَ المُخَالَفَةِ). [البهجة المرضية:١٢٧]

قلت: (وسيأتي ذكر بعض الاختلاف في الأصول، تراه في مواضعه إن شاء الله).

أوجه القراءة بين سورة الفلق وسورة الناس

قَالَ عُمَرُ بْنُ قَاسِمٍ النَّشَّارُ (ت: ٩٣٨هـ): (وَبَيْنَ الفَلَقِ وَالنَّاسِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ ثَلاثُمِائَةِ وَجْهٍ وَثَمَانِيَةٌ وَثَمَانُونَ وَجْهًا غَيْرُ الأَوْجُهِ الْمُنْدَرِجَةِ.

بَيَانُ ذَلِكَ:

(قَالُونُ) أَرْبَعَةٌ وعِشْرُونَ وَجْهًا.

(وَرْشٌ) اثْنَانِ وثَلاثُونَ وَجْهًا: مِنْهَا مَعَ البَسْمَلَةِ أَرْبَعَةٌ وعِشْرُونَ وَجْهًا، وَمَعَ عَدَمِهَا ثَمَانِيَةُ أَوْجُهٍ.

(البَزِّيُّ) مِائَتَا وَجْهٍ وثَمَانِيَةٌ وَثَمَانُونَ وَجْهًا: مِنْهَا التَّكْبِيرُ وَحْدَهُ مِائَةُ وَجْهٍ وَأَرْبَعَةٌ وأَرْبَعُونَ وَجْهًا، ويزِيَادَةِ التَّهْلِيلِ قَبْلَهُ كَذَلِكَ.

(قُنْبُلٌ) ثَلاثُمِائَةِ وَجْهٍ وَاثْنَا عَشَرَ وَجْهًا، منها معَ التكبيرِ وحده مِائَةُ وَجْهٍ وَأَرْبَعَةٌ وَأَرْبَعُونَ وَجْهًا، وهِيَ مُنْدَرِجَةٌ مَعَ البَزِّيِّ، وَمَعَ زِيَادَةِ التَّهْلِيلِ قَبْلَهُ كَذَلِكَ، وهِيَ مُنْدَرِجَةٌ أَيْضًا مَعَ البَزِّيِّ، وَمَعَ عَدَمِهِمَا أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ وَجْهًا، وَهِيَ مُنْدَرِجَةٌ مَعَ قَالُونَ.

(الدُّورِيُّ) اثْنَانِ وثَلاثُونَ وَجْهًا: مِنْهَا مَعَ البَسْمَلَةِ أَرْبَعَةٌ وعِشْرُونَ وَجْهًا، وَمَعَ عَدَمِهَا ثَمَانِيَةُ أَوْجُهٍ.

(السُّوسِيُّ) اثْنَانِ وثَلاثُونَ وَجْهًا: مِنْهَا مَعَ البَسْمَلَةِ أَرْبَعَةٌ وعِشْرُونَ وَجْهًا، وَهِيَ مُنْدَرِجَةٌ مَعَ قَالُونَ، وَمَعَ عَدَمِهَا ثَمَانِيَةُ أَوْجُهٍ.

(ابْنُ عَامِرٍ) اثْنَانِ وثَلاثُونَ وَجْهًا: مِنْهَا مَعَ البَسْمَلَةِ أَرْبَعَةٌ وعِشْرُونَ وَجْهًا، وَهِيَ مُنْدَرِجَةٌ مَعَ قَالُونَ، وَمَعَ عَدَمِهَا ثَمَانِيَةُ أَوْجُهٍ، وَهِيَ مُنْدَرِجَةٌ مَعَ السُّوسِيِّ.

(عَاصِمٌ) أَرْبَعَةٌ وعِشْرُونَ وَجْهًا، وهِيَ مُنْدَرِجَةٌ مَعَ قَالُونَ.

(خَلَفٌ) ثَمَانِيَةُ أَوْجُهٍ: مِنْهَا أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ مُنْدَرِجَةٌ مَعَ السُّوسِيِّ.

(خَلَّادٌ) أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ، وهِيَ مُنْدَرِجَةٌ مَعَ السُّوسِيِّ.

(الكِسَائِيُّ) أَرْبَعَةٌ وعِشْرُونَ وَجْهًا، وهِيَ مُنْدَرِجَةٌ مَعَ قَالُونَ). [المكرر: ١٦٤]

قَالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَاقِسِيُّ (ت: ١١١٨هـ): (فإنْ جَمَعْتَها معَ آخرِ الفلَقِ مِن قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ﴾ إلى قَوْلِه: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ والوَقْفُ عَلَى ﴿ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ و﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾.

وَصَفَهُ الجَعْبَرِيُّ بالتَّمامِ، وبَعْضُهُم استَحْسَنَهُ، ومَذْهَبُ الجُمْهُورِ وهو المُخْتَارُ أَنْ لا وَقْفَ إلا في آخرِهَا؛ لأَنَّهُمَا فَاصِلَتَانِ، فتَبْدَأُ بقطعِ الجميعِ وقطعِ الأوَّلِ ووَصْلِ الثَّانِي لِقَالُونَ ويَنْدَرِجُ معه قُنْبُلٌ والبَصْرِيُّ والشَّامِيُّ وعَاصِمٌ وعلِيٌّ، فتَعْطِفُ الدُّورِيَّ بإمَالَةِ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ إمالةً مَحْضَةً، ثم البَزِّيَّ بأَوْجُهِ التَّكْبِيرِ الأربعةِ ثُمَّ مع التَّهْلِيلِ ثمَّ معَ التَّهْلِيلِ والتَّحْمِيدِ، ثم تَأْتِي بوَصْلِ الجَمِيعِ لِقَالُونَ ويَنْدَرِجُ معه مَنْ تَقَدَّمَ، فَتَعْطِفُ الدُّورِيَّ بإمَالَةٍ، ثم البَزِّيَّ بأَوْجُهِ التَّكْبِيرِ الثلاثةِ ثُمَّ مَعَ التَّهْلِيلِ، ثم مَعَ التَّهْلِيلِ والتَّحْمِيدِ، ويَنْدَرِجُ معه قُنْبُلٌ.

ثم بالسَّكْتِ والوَصْلِ للدُّورِيِّ ويَنْدَرِجُ معه السُّوسِيُّ والشَّامِيُّ فيهما، وحَمْزَةُ في الوَصْلِ فَتَعْطِفُهُم بتَرْكِ إِمَالَةِ ﴿ٱلنَّاسِ﴾. ثُمَّ تَأْتِي بالنَّقْلِ في ﴿حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ لوَرْشٍ معَ السَّكْتِ والوَصْلِ وأَوْجُهِ البَسْمَلَةِ الثلاثةِ ثُمَّ بالسَّكْتِ لخَلَفٍ). [غيث النفع:٦٦٢- ٦٦٣]

أوجه القراءة بين سورة الناس وفاتحة الكتاب

قَالَ عُمَرُ بْنُ قَاسِمٍ النَّشَّارُ (ت: ٩٣٨هـ): ([الأَوْجُهُ التي بين النَّاسِ والفَاتِحَةِ] وبين (الناسِ) و(الفَاتِحَةِ) من قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ [الناس: ٦] إلى قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤] ألفُ وَجْهٍ ومائةُ وَجْهٍ وأَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ غيرُ الأوْجُهِ الْمُنْدَرِجَةِ.

بَيَانُ ذلك: قَالُونُ: أربعةٌ وثمانُونَ وَجْهًا.

وَرْشٌ: أربعةٌ وثمانُونَ وَجْهًا، وَهِي مُنْدَرِجَةٌ مع قَالُونَ.

البَزِّيُّ: سَبْعُمِائَةٍ وثمانيَةٌ وَسِتُّونَ وَجْهًا، منها مع التَّكْبِيرِ وَحْدَهُ ثلاثُمِائَةِ وَجْهٍ وأربعةٌ وَثَمَانُونَ وَجْهًا، وبزيادَةِ التَّهْلِيلِ قَبْلَه كذلك.

قُنْبُلٌ: ثمانُمِائةِ وجهٍ واثنانِ وخمسُونَ وَجْهًا، منها مع التَّكْبِيرِ وَحْدَهُ ثلاثُمِائَةِ وَجْهٍ وأَرْبَعَةٌ وَثَمَانُونَ وَجْهًا، وهي مُنْدَرِجَةٌ مع البَزِّيِّ، وبزيادةِ التَّهْلِيلِ قبله كذلك، وَهِي مُنْدَرِجَةٌ أيضا مع البَزِّيِّ، وَمع عدَمِهِمَا أَرْبَعَةٌ وَثَمَانُونَ وَجْهًا، وهي مُنْدَرِجَةٌ مع قَالُونَ.

الدُّورِيُّ: أَرْبَعَةٌ وَثَمَانُونَ وَجْهًا.

السُّوسِيُّ: أَرْبَعَةٌ وَثَمَانُونَ وَجْهًا.

ابنُ عامِرٍ: أَرْبَعَةٌ وَثَمَانُونَ وَجْهًا، وَهِي مُنْدَرِجَةٌ مع قَالُونَ.

عَاصِمٌ: أَرْبَعَةٌ وَثَمَانُونَ وَجْهًا.

حَمْزَةُ: أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ وَهِي مُنْدَرِجَةٌ مع قَالُونَ.

الكِسَائِيُّ: أربعَةٌ وَثَمَانُونَ مُنْدَرِجَةٌ مع عَاصِمٍ.

أَبُو جَعْفَرٍ: أربعَةٌ وَثَمَانُونَ وَجْهًا، مُنْدَرِجَةٌ مع قَالُونَ.

يَعْقُوبُ: أربعَةٌ وثمانُونَ وَجْهًا مُنْدَرِجَةٌ مع السُّوسِيِّ.

خَلَفٌ: أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ مُنْدَرِجَةٌ مع قَالُونَ). [البدور الزاهرة:٤٦٣- ٤٦٤]

قَالَ عُمَرُ بْنُ قَاسِمٍ النَّشَّارُ (ت: ٩٣٨هـ): (وَبَيْنَ النَّاسِ وَالفَاتِحَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤] ألفُ وَجْهٍ وَمِائَةُ وَجْهٍ وَأَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ غَيْرُ الأَوْجُهِ الْمُنْدَرِجَةِ .

بَيَانُ ذَلِكَ: (قَالُونُ) أَرْبَعَةٌ وثَمانُونَ وَجْهًا.

(وَرْشٌ) أَرْبَعَةٌ وثَمانُونَ وَجْهًا، وهِيَ مُنْدَرِجَةٌ مَعَ قَالُونَ .

(البَزِّيُّ) سَبْعُمِائَةِ وَجْهٍ وَثَمَانِيَةٌ وسِتُّونَ وَجْهًا: مِنْهَا مَعَ التَّكْبِيرِ وَحْدَهُ ثلاثُمِائَةِ وَجْهٍ وَأَرْبَعَةٌ وَثَمَانُونَ وَجْهًا، وَبِزِيَادَةِ التَّهْلِيلِ قَبْلَهُ كَذَلِكَ.

(قُنْبُلٌ) ثَمَانِمِائَةِ وَجْهٍ وَاثْنَانِ وخَمْسُونَ وَجْهًا: مِنْهَا مَعَ التَّكْبِيرِ وَحْدَهُ ثلاثُمِائَةِ وَجْهٍ وَأَرْبَعَةٌ وثَمَانُونَ وَجْهًا، وهِيَ مُنْدَرِجَةٌ مَعَ البَزِّيِّ، وبِزِيَادَةِ التَّهْلِيلِ قَبْلَهُ كَذَلِكَ، وهِيَ مُنْدَرِجَةٌ أَيْضًا مَعَ البَزِّيِّ، وَمَعَ عدَمِهِمَا أَرْبَعَةٌ وثَمَانُونَ وَجْهًا، وهِيَ مُنْدَرِجَةٌ مَعَ قَالُونَ.

(الدُّورِيُّ) أَرْبَعَةٌ وَثَمَانُونَ وَجْهًا.

(السُّوسِيُّ) أَرْبَعَةٌ وثَمَانُونَ وَجْهًا.

(حَمْزَةُ) أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ، وهِيَ مُنْدَرِجَةٌ مَعَ قَالُونَ.

(عَاصِمٌ) أَرْبَعَةٌ وثَمَانُونَ وَجْهًا.

(حَمْزَةُ) أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ، وهِيَ مُنْدَرِجَةٌ مَعَ قَالُونَ.

(الكِسَائِيُّ) أَرْبَعَةٌ وثَمَانُونَ وَجْهًا، وهِيَ مُنْدَرِجَةٌ مَعَ عَاصِمٍ.

ولا بُدَّ مِنَ الإِتْيَانِ بِالبَسْمَلَةِ لِمَنْ وَصَلَ بَيْنَ النَّاسِ والفَاتِحَةِ سَوَاءً كَانَ مِنْ مَذْهَبِهِ البَسْمَلَةُ أَوْ لَمْ يَكُنْ؛ لِأَنَّهَا فِي هَذَا المَحَلِّ - وَإِنْ وُصِلَتْ بِالنَّاسِ- فهِيَ مَبْدُوءٌ بِهَا حُكْمًا، انْتَهَى، واللهُ أَعلَمُ، وَللهِ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ.

فَهَذَا مَا يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى.

وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِمَخَارِجِ الحُرُوفِ وَصِفَاتِهَا، فَالكُتُبُ مَشْحُونَةٌ مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي كِتَابِ [القُطْرُ المِصْرِيُّ: فِي قِرَاءَةِ الإِمَامِ أَبِي عَمْرٍو البَصْرِيِّ] شَيْئًا مُخْتَصَرًا مِنْ ذَلِكَ، فَمَنْ أَرَادَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَفِيهِ مَا يُغْنِيهِ عَنِ النَّظَرِ فِي غَيْرِهِ، أُقِرُّ بِهَذَا مَعَ اعْتِرَافِي بِالتَّقْصِيرِ، وَجَمِيعُ مَا ذَكَرْتُهُ مِنْ كَلامِ الأَئِمَّةِ السَّالِفَةِ، رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ). [المكرر: ١٦٤- ١٦٥]

قَالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَاقِسِيُّ (ت: ١١١٨هـ): (وإذا خَتَمْتَ فتَقْرَأُ الفَاتِحَةَ وإِلَى ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ مِن أَوَّلِ البَقَرَةِ وهو خَمْسُ آياتٍ على العَدَدِ الكُوفيِّ؛ لأنهم يَعُدُّونَ ﴿الٓمٓ﴾ آيةً، وأَرْبَعٌ على غَيْرِه لِمَا وَرَدَ في ذلك مِن الأَخْبَارِ والآثارِ، كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى فتَجْمَعُ مِن قَوْلِه تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ إلى ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وقد تَقَدَّمَ أَنَّ الكُلَّ حَمْزَةَ وغَيْرَهُ يُبَسْمِلُونَ هنا، وليس لأحدٍ مِنْهُمْ وَصْلٌ ولا سَكْتٌ؛ لأنَّ الفَاتِحَةَ أَوَّلُ القُرْآنِ فالابتداءُ مَعَها حَاصِلٌ حَقِيقَةً أو حُكْمًا، فتَبْدَأُ بقَطْعِ الجميعِ، وقَطْعِ الأوَّلِ ووَصْلِ الثاني لِقَالُونَ وانْدَرَجَ معَهُ كُلُّ القرَّاءِ إلا البَزِّيَّ والدُّورِيَّ، فتَعْطِفُ البَزِّيَّ بوَجْهَيْنِ مِن أَوْجُهِ التَّكْبِيرِ الأَرْبَعَةِ، وهما قَطْعُ التَّكْبِيرِ عن ﴿ٱلنَّاسِ﴾ والوَقْفُ عليه وعلى البَسْمَلَةِ ثم القَطْعُ على آخِرِ السُّورَةِ، وعلى التَّكْبِيرِ ووَصْلِ البَسْمَلَةِ بأَوَّلِ السُّورَةِ ثُمَّ معَ التَّكْبِيرِ والتَّهْلِيلِ كذلك، ثم مع التَّهْلِيلِ والتَّحْمِيدِ؛ إذ ليس له بَيْنَ الناسِ والفَاتِحَةِ إلا خَمْسَةُ أَوْجُهٍ بإِسْقَاطِ الوَجْهَيْنِ اللذَيْنِ لأوَّلِ السُّورَةِ؛ لأنَّ أَوَّلَ الفَاتِحَةِ لا تَكْبِيرَ فيه، وهذانِ الوَجْهَانِ مِنَ الثلاثةِ المُحْتَمَلَةِ وهما هنا على تَقْدِيرِ أَنْ يَكُونَ لآخِرِ السُّورَةِ، وهما الأَوَّلُونَ مِنَ الأربعةِ المُتَكَرِّرَةِ

مِرارًا، ثم تأْتِي بوَصْلِ الجميع لِقَالُونَ ثم البَزِّي بأَوْجُهِ التَّكْبِيرِ الثلاثةِ المُتَقدِّمَةِ مِرارًا، ثم معَ التَّهْلِيلِ ثم مع التَّهْلِيلِ والتَّحْمِيدِ، ثم تَعْطِفُ الدُّورِيَّ بإمالَةِ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ معًا مع أَوْجُهِ البَسْمَلَةِ الثلاثةِ، ثم تَقْرَأُ الفَاتِحَةَ وتَجْمَعُ بَيْنَ الفَاتِحَةِ وأَوَّلِ البَقَرَةِ إِلَى ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. وتَقَدَّمَ حُكْمُ جَمِيعِ ذَلِكَ أَوَّلَ الكِتَابِ، ولا حَاجَةَ إلى إعادَتِهِ واللهُ المُوَفِّقُ). [غيث النفع:٦٦٥]

الاستفتاح بالبسملة

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ المُحِيطِ عِلْماً بِكُلِّ بَاطِنٍ كَإِحَاطَتِهِ بِكُلِّ ظَاهِرٍ. ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي عَمَّتْ نِعْمَتُهُ كُلَّ بَادٍ وَحَاضِرٍ. ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي خَصَّ أَوْلِيَاءَهُ بإِتْمَامِ النِّعْمَةِ عليهم في جميعِ أُمُورِهِمُ الأَوَّلِ منها وَالأَثْنَاءِ وَالآخِرِ). [نظم الدرر: ٨/٦١١]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَقدْ نَدَبَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى افتتاحِ القرآنِ بعدَ خَتْمِهِ كما أَشَارَ إليهِ اتِّصَالُ المَعْنَى بما بَيَّنْتُهُ وَسَمَّى ذلكَ الحَالَّ المُرْتَحِلَ، وَكَأَنَّ القارِئَ ذَكَرَ بالأمرِ بالاستعاذةِ إرادةَ افْتِتَاحِ قراءتِهِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: اسْتَعِذْ يا مَنْ خَتَمَ القرآنَ العظيمَ لِتَفْتَتِحَهُ، وَكَأَنَّهُ لَمَّا اسْتَعَاذَ بِمَا أُمِرَ بهِ في هذهِ السورةِ قيلَ لهُ: ثمَّ مَاذَا تَفْعَلُ؟ فَقَالَ: أَفْتَتِحُ.

أَوْ أَنَّهُ لَمَّا أُمِرَ بالاستعاذةِ قَالَ: مَاذَا أَفْعَلُ؟ فَقِيلَ: افْتَتِحْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الذي تَجِبُ مُرَاقَبَتُهُ عندَ خَوَاتِمِ الأمورِ وَفَوَاتِحِهَا؛ لأَنَّهُ لا يَكُونُ أَمْرٌ إلاَّ بهِ، أَوْ أنَّ البسملةَ مَقُولُ القولِ في ﴿قُلْ﴾ على بَدَلٍ مِنْ ﴿أَعُوذُ﴾ أَوْ بَدَلٍ مِنْ ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾.

وَكَأَنَّهُ أُمِرَ بالتَّعَوُّذِ وَالتسميةِ؛ أُمِرَ بالدفعِ وَالجَلْبِ، وَذلكَ لأَنَّهُ لَمَّا أُمِرَ بهذا التَّعَوُّذِ – وَكانَ قدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل: ٩٨]– عُلِمَ أنَّ المُرَادَ ابْتِدَاؤُهُ بالقرآنِ فَنِسْبَتُهَا إلى الفاتحةِ نِسْبَةُ المَعْلُولِ إلى عِلَّتِهِ.

فَكَأَنَّهُ قيلَ: اسْتَعِذْ بهذا الربِّ الأعظمِ الذي لا مَلِكَ وَلا إِلَهَ غَيْرُهُ؛ لأنَّ لهُ الحمدَ، وَهوَ الإحاطةُ بكلِّ شَيْءٍ، فهوَ القَادِرُ عَلَى كلِّ شَيْءٍ، فهوَ القاهِرُ لكلِّ شَيْءٍ، فهوَ المعادُ وَهوَ الملجأُ وَالمَفْزَعُ لا إِلَهَ إلاَّ هوَ، فإِنَّ الاسمَ هوَ الوَصْفُ وَالمُرَادُ بهِ الجِنْسُ.

فَمَعْنَى (بِسْمِ اللَّهِ) أيْ: بِوَصْفِهِ أَوْ بِأَوْصَافِهِ الحُسْنَى، وَالحمدُ هوَ الثناءُ بالوَصْفِ الجميلِ، فكأَنَّهُ قيلَ: أَعُوذُ بربِّ الناسِ بأوصافِهِ الحُسْنَى؛ لأنَّ لهُ الحَمْدَ، وَهوَ جميعُ الأوصافِ الحُسْنَى، فإنَّ البدءَ فيهِ يَحْتَاجُ إلى قدرةٍ، فلهُ القُدْرَةُ التَّامَّةُ، أَوْ إلى عِلْمٍ فالعِلْمُ صِفَتُهُ، أَوْ كَرَمٍ فكذلكَ.

وَالحاصلُ أَنَّهُ كأَنَّهُ قيلَ: تَعَوَّذْ بهِ مِنَ الشيطانِ بما لهُ مِنَ الاسمِ الذي لم يُسَامِهِ فيهِ أَحَدٌ لكونِهِ جَامِعاً لِجَمِيعِ الأسماءِ الحُسْنَى؛ أي: الصفاتِ التي لا يَشُوبُهَا نَقْصٌ خُصُوصاً صِفَةَ الرَّحْمَةِ العامَّةِ التي شَمِلَتْنِي أَكْنَافُهَا، وَأَقَامَنِي إِسْعَافُهَا.

ثمَّ الرحمةِ الخَاصَّةِ التي أَنَا أَجْدَرُ الناسِ باسْتِمْطَارِهَا لِمَا عِنْدِي مِنَ النَّقْصِ المانعِ لي مِنْهَا وَالْمُبْعِدِ لِمَنِ اتَّبَعَ الحُظُوظَ عنها، فَأَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْ أَهْلِهَا وَيَحْمِلَنِي في الدَّارَيْنِ بِوَصْلِهَا لأكونَ مِنْ أهلِ رِضَاهُ، فلا أَعْبُدُ إِلاَّ إِيَّاهُ.

وَلكَ أَنْ تُقرِّرَ الاتِّصَالَ وَالالتحامَ بِوَجْهٍ آخَرَ ظَاهِرِ الكمالِ بَدِيعِ النِّظَامِ، فَتَقُولَ: لَمَّا قَرُبَ التِقَاءُ نهايةِ الدائرةِ السُّورِيَّةِ آخِرِها بِأَوَّلِهَا وَمَفْصِلِهَا بِمَوصِلِهَا اشْتَدَّ تَشَاكُلُ الرَّأْسَيْنِ، فَكَانَت هذهِ السُّوَرُ الثلاثُ الأخيرةُ مُشَاكِلَةً للثلاثِ الأُولَى في المقاصدِ وكثرةِ الفضائلِ وَالفوائدِ:

- الإِخلاصُ بسورةِ التوحيدِ آلِ عِمْرَانَ، وَهوَ وَاحِدٌ.
- وَالفَلَقُ للبَقَرَةِ طِبَاقاً وَوِفَاقاً، فإِنَّ الكِتَابَ الذي هوَ مَقْصُودُ سورةِ البقرةِ خَيْرُ الأَمْرِ، فهيَ للعَوْنِ بِخَيْرِ الأَمْرِ، وَالفَلَقُ للعَوْذِ مِنْ شَرِّ الخلقِ المُحْصِي لِكُلِّ خَيْرٍ، وَفي البقرةِ: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧﴾ [البقرة: ٦٧]، ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] الآياتِ، ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩] الآيةَ.
- وَالناسُ للفاتحةِ، فَإِنَّهُ إذا فَرَغَ الصدرُ الذي هُوَ مَسْكَنُ القلبِ الذي هوَ مَرْكَبُ الروحِ الذي هوَ مَعْدِنُ العقلِ كَانَت المُرَاقَبَةُ، فكانَ ذلكَ بمنزلةِ تقديسِ النفسِ بالتوحيدِ وَالإِخلاصِ.

ثمَّ الاستعاذةِ مِنْ كلِّ شَرٍّ ظَاهِرٍ، وَمِن كلِّ سُوءٍ بَاطِنٍ لِلتَّأَهُّلِ لتلاوةِ سورةِ المراقبةِ بِمَا دَعَا إِليهِ الحالُ المُرْتَحِلُ وَمَا بَعْدَهَا مِنَ الكتابِ على غايةٍ مِنَ السدادِ وَالصوابِ.

وَكأَنَّهُ اكْتَفَى أَوَّلاً بالاستعاذةِ المعروفةِ كما يُكْتَفَى في أوائلِ الأمورِ بأيسرِ مَأْمُورٍ، فَلَمَّا خَتَمَ الخَتْمَةَ جُوزِيَ بِتَعَوُّذٍ مِنَ القرآنِ تَرْقِيَةً إِلى مَقَامِ الإِحسانِ فَاتَّصَلَ الآخرُ بالأَوَّلِ أيَّ اتِّصَالٍ بلا ارْتِيَابٍ، وَاتَّحَدَ به كلَّ اتِّحَادٍ، إِنَّ في ذلكَ لَذِكْرَى لأُولِي الألبابِ). [نظم الدرر: ٨/٦١٨- ٦١٩]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ المحيطِ بكلِّ باطنٍ كإحاطتِهِ بكلِّ ظاهرٍ.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الَّذي عمَّتْ نِعْمَتُهُ كلَّ بادٍ وحاضرٍ.

﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الَّذي خصَّ أهلَ ودِّهِ بإتمامِ النِّعْمةِ في جميعِ أمورِهِمِ الأَوَّلِ منها والأثناءِ والآخِرِ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٥]

قول الله تعالى: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣))

القراءات

القراءات في قوله تعالى: (قل أعوذ)

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ):((قُلَ اعُوذُ) بِنَقْلِ الحَرَكَةِ؛ وَرْشٌ (هَلُ انَبِّيكُمْ) (فَخُذَ ارْبَعَةً) و(إِذَ اوَى) وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ). [مختصر شواذ القراءات:١٨٣]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (قُرِئَ: (قُلْ اعُوذُ) بحذفِ الهمزةِ ونقلِ حركتِها إلى اللامِ. ونحوُه: (فَخُذْ ارْبَعَةً) [البقرة: ٢٦٠]). [الكشاف: ٤٦٨/٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَٰهِ النَّاسِ (٣)﴾ فيه مَسَائِلُ: المَسْأَلَةُ الأُولَى: قُرِئَ: (قُلْ اعُوذُ) بِحَذْفِ الهَمْزَةِ ونَقْلِ حَرَكَتِها إلى اللاَّمِ، ونَظِيرُه: (فَخُذْ ارْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ)). [التفسير الكبير: ١٨٠/٣٢]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ وقُرِئَ: في السُّورَتَينِ بِحَذْفِ الهمزةِ ونَقْلِ حَرَكَتِهما إلى اللامِ). [أنوار التنزيل: ١١٨١/٢]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)﴾.

قُرِئَ: (قُلَ عُوذُ) بِحَذْفِ الهَمْزَةِ وَنَقْلِ حَرَكَتِهَا إِلَى اللامِ، ونَظِيرُهُ: (فَخُذَ رْبَعَةً) [البَقَرَة: ٢٦٠]). [اللباب: ٥٧٦/٢٠]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (قَرَأَ الجمهورُ ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ بالهمزةِ، وقُرِئَ بِحَذْفِهَا وَنَقْلِ حركتِهَا إلى اللامِ). [فتح القدير: ٧٦٢/٥]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ﴾. قَرَأَ الجمهورُ بالهمزةِ، وَقُرِئَ بِحَذْفِهَا وَنَقْلِ حَرَكَتِهَا إِلى اللامِ). [فتح البيان: ٤٦٥/١٥]

قَالَ عَبْدُ الفَتَّاحِ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ القَاضِي (ت: ١٤٠٣هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ مِثْلَما في السورةِ قَبْلَها). [البدور الزاهرة: ٣٤٧]

القراءات في قوله تعالى: (الناس)

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ مُجَاهِدٍ (ت: ٣٢٤هـ): (قَوْلُهُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)﴾.

كُلُّهُمْ قَرَأَ: (النَّاسِ) غَيْرَ مُمَالَةٍ، إلاَّ مَا رَوَى الحُلْوَانِيُّ عَنْ أَبِي عُمَرَ الدُّورِيِّ عن الكِسَائِيِّ أَنَّ قِرَاءَتَهُ كانت بإِمَالَةِ النُّونِ مِنَ (النَّاسِ) فِي مَوْضِعِ الخَفْضِ، وَلا يُمِيلُ فِي الرَّفْعِ والنَّصْبِ). [السبعة في القراءات:٧٠٣]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (وَقَرَأَ الكِسَائِيُّ ﴿بِرَبِّ النَّاسِ (١)﴾ بالإِمَالَةِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٨]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ):((بِربِّ النَّاتِ) بِالتَّاءِ حَكَاهُ أَبُو عَمْرٍو أَنَّهَا لُغَةٌ لِقُضَاعَةَ). [مختصر شواذ القراءات:٨٤]

قالَ الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الغفَّارِ أبو عليٍّ الفارسيُّ (ت: ٣٧٧ هـ): (اختلفَ أهلُ النحوِ في الناسِ على أربعةِ أَوْجُهٍ: فقالَ قَوْمٌ: نوس، وقالَ آخرونَ: نيس، بالياءِ، واحْتَجُّوا بأنَّ الكِسائِيَّ قَرَأَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ بالإمالةِ). [المسائل الحلبيات: ١٦٩- ١٧٠] (م)

قالَ الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الغفَّارِ أبو عليٍّ الفَارِسِيُّ (ت: ٣٧٧ هـ): (فأمَّا مَنِ احْتَجَّ منْهُم بأنَّ العَيْنَ ياءٌ لقراءةِ مَنْ قرأَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ بإمالةِ الأَلِفِ، فَاحْتِجاجُهُ بذلكَ دليلٌ على ضَعْفِ بَصَرِهِ بالإمالةِ). [المسائل الحلبيات: ١٧٠- ١٧١] (م)

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الفَارِسِيُّ (ت: ٣٧٧هـ): (كُلُّهُمْ قَرَأَ: ﴿ٱلنَّاسِ﴾ غَيْرَ مُمَالَةٍ: إِلاَّ مَا رَوَى الحُلْوَانِيُّ عَنْ أَبِي عُمَرَ الدُّورِيِّ عَنِ الكِسَائِيِّ أَنَّ قِرَاءَتَهُ كَانَتْ بِإِمَالَةِ النُّونِ فِي (النَّاسِ) فِي مَوْضِعِ الخَفْضِ، وَلا يُمِيلُ فِي الرَّفْعِ وَالنَّصْبِ.

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: القَوْلُ فِي ذَلِكَ: أَنَّ إِمَالَةَ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ فِي الآيَةِ لا إِشْكَالَ فِي حُسْنِهِ وَجَوَازِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَكَانَ النَّاسِ، نَحْوُ: المَالِ وَالعَابِ، لَجَازَتْ إِمَالَةُ الأَلِفِ فِيهِ لِكَسْرَةِ الإِعْرَابِ، فَإِذَا كَانَ (النَّاسِ) كَانَ أَحْسَنَ؛ لأَنَّ هَذَا الحَرْفَ قَدْ أُمِيلَ فِي المَوْضِعِ الَّذِي لا يُوجِبُ القِيَاسُ إِمَالَتَهُ فِيهِ، كَمَا أُمِيلَ: الحَجَّاجُ، إِذَا كَانَ عَلَمًا؛ لأَنَّهُمَا كَثُرَا فِي الكَلامِ وَاسْتُجِيزَ ذَلِكَ فِيهِمَا لِلْكَثْرَةِ.

فَإِذَا أُمِيلَ (النَّاسُ) حَيْثُ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ يُوجِبُ الإِمَالَةَ لِلْكَثْرَةِ، فَأَنْ يُمَالَ لِكَسْرَةِ الإِعْرَابِ، أَجْدَرُ). [الحجة:٤٦٦- ٤٦٧]

قَالَ عَبْدُ المُنْعِمِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ غَلْبُونَ (ت: ٣٨٩هـ): (وَرَوَى أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ اليَزِيدِيِّ، وَأَبُو حَمْدُونَ جَمِيعًا عَنِ اليَزِيدِيِّ بِإِمَالَةِ النُّونِ مِنَ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ في مَوْضِعِ الخَفْضِ هاهنا، وفي جَمِيعِ القُرْآنِ فَإِذَا كَانَتِ السِّينُ مِنَ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ في مَوْضِعِ النَّصْبِ أَوِ الرَّفْعِ، فَلا خِلافَ بَيْنَ القُرَّاءِ في فَتْحِ النُّونِ.

وَكَذَلِكَ رَوَى نُصَيْرُ بْنُ يُوسُفَ عَنِ الكِسَائِيِّ، وَأَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ الحُلْوَانِيُّ عَنْ أَبِي عُمَرَ عَنِ الكِسَائِيِّ، أَنَّهُ يُمِيلُ النُّونَ في مَوْضِعِ الخَفْضِ، ولا يُمِيلُهَا في مَوْضِعِ النَّصْبِ وَالرَّفْعِ.

وَكَذَلِكَ رَوَى الأَعْشَى عنْ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ هذه التَّرْجَمَةَ هاهنا، وفي جَمِيعِ القُرْآنِ في مَوْضِعِ الخَفْضِ لا غَيْرَ.
والذي قَرَأْتُ بِهِ في قراءَةِ أَبِي بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ، وَأَبِي عَمْرٍو، وَالكِسَائِيِّ على سَائِرِ مَنْ قَرَأْتُ عَلَيْهِ في مَوْضِعِ الرَّفْعِ، وَالنَّصْبِ، وَالخَفْضِ بِفَتْحِ النُّونِ حَيْثُ وَقَعَ). [الاستكمال:٦٤١- ٦٤٢]

قَالَ عَبْدُ المُنْعِمِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ غَلْبُونَ (ت: ٣٨٩هـ): (قَرَأَ الأَعْشَى وقُتَيْبَةُ ونُصَيْرٌ بإمالَةِ كُلِّ ما في هذه السُّورَةِ مِنَ ﴿ٱلنَّاسِ﴾؛ لأَنَّهُ مَجْرورٌ، وفَتَحَهُ البَاقُونَ). [التذكرة:٦٥٥]

قَالَ نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ ابنُ أَبِي مَرْيَمَ (ت: ٥٦٥هـ): (﴿ٱلنَّاسِ﴾: جَمِيعُ القُرَّاءِ فَتَحُوا النُّونَ مِنَ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ إلاَّ مَا رُوِيَ عَنِ الدُّورِيِّ عَنِ (الكِسَائِيِّ) أَنَّهُ كَانَ يُمِيلُ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ فِي مَوْضِعِ الجَرِّ.

وَالوَجْهُ فِي الإِمَالَةِ أَنَّهَا جَائِزَةٌ حَسَنَةٌ؛ لِكَسْرَةِ الإِعْرَابِ، وَقَدْ أَمَالُوا: النَّاسَ فِي مَوَاضِعَ لا يُوجِبُ القِيَاسُ إِمَالَتَهُ فِيهَا؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، لَمَّا كَثُرَ فِي كَلامِهِمْ، جُوِّزَتْ إِمَالَتُهُ لِلْكَثْرَةِ، وَذَلِكَ حَيْثُ لا كَسْرَةَ فِيهِ، فَلأَنْ تَجُوزَ إِمَالَتُهُ مَعَ وُجُودِ الكَسْرَةِ الجَالِبَةِ لَهَا أَوْلَى.

ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الأَلِفَ وَإِنْ كَانَتْ أَلِفَ فُعَال فَإِنَّهَا شُبِّهَتْ بِأَلِفِ فَاعِلٍ، بِأَنْ قُلِبَتْ فِي التَّصْغِيرِ وَاوًا، فَقِيلَ: نُوَيْسٌ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُ المُكَبَّرِ أُنَاسًا، فَلَمَّا كَانَتْ مُشَبَّهَةً بِأَلِفِ فَاعِلٍ، أُجِيزَتْ فِيهَا الإِمَالَةُ، كَمَا تَجُوزُ فِي فَاعِلٍ). [الموضح:١٤١٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (وأيضًا أَجْمَعَ القُرَّاءُ عَلَى تَرْكِ الإِمَالَةِ في "الناسِ"، ورُوِيَ عن الكِسَائِيِّ الإِمَالَةُ في "النَّاسِ" إذا كَانَ في مَوْضِعِ الخَفْضِ). [التفسير الكبير: ٣٢/١٨٠]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (القِرَاءَاتُ: (النَّاسِ) وما بعدَها مُمالَةً، قُتَيْبَةُ ونُصَيْرٌ، والباقُونَ بالتفخيمِ). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٣]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (وأَجْمَعَ القُرَّاءُ عَلَى تِلْكَ الإِمَالَةِ في "النَّاسِ" إِذَا كَانَ في مَوْضِعِ الخَفْضِ). [اللباب: ٢٠/٥٧٦]

- **قلت:** (العبارة قلقة، ولعل في النقل عن الأصل تصحيفاً أيضاً).

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَقَرَأَ الجمهورُ بِتَرْكِ الإِمالةِ في الناسِ، وَقَرَأَ الكِسَائِيُّ بالإِمالةِ). [فتح القدير: ٥/٧٦٢]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وأمالَ الناسَ هنا أبو عمرٍو والدُّورِيُّ عن الكِسائيِّ وكذا في كلِّ مَوْضِعٍ وَقَعَ فيه مَجرورًا). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٥]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾. قَرَأَ الجمهورُ بِتَرْكِ الإِمالةِ في الناسِ، وَقُرِئَ بالإِمالةِ). [فتح البيان: ١٥/٤٦٥]

اتفاق القراء على قراءة (ملك الناس) بغير ألف

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الأَزْهَرِيُّ (ت: ٣٧٠ هـ): (اتَّفَقَ القُرَّاءُ على ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ بغيرِ ألِفٍ). [علل القراءات:٨١١]

قَالَ عُثْمَانُ بْنُ جِنِّي المَوْصِلِيُّ (ت: ٣٩٢هـ): (لم يَخْتَلِفِ الناسُ في ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ أَنَّها بغيرِ ألفٍ.

قالَ أبو الفتح: يَنْبَغِي أنْ يكونَ -واللَّهُ أعلمُ- إنما وَقَعَ الإجماعُ على ذلك؛ لأنه من جملةِ الثَّناءِ على اللَّهِ- سبحانَه - بالربوبيَّةِ والإلهيَّةِ، فكانَ معنى المُلْكِ أليَقَ بالربوبيَّةِ والإلهيَّةِ من معنى المِلْكِ؛ إذ كلُّ مَلِكٍ مَالِكٌ،

وليسَ كلُّ مالِكٍ مَلِكاً. فكما يُوَفَّقُ بينَ الألفاظِ في القوافِي والسُّجُوعِ والمقاطِعِ، فكذلكَ يَنْبَغِي أنْ يُوَفَّقَ أيضاً بينَ المعاني). [المحتسب:٣٧٥- ٣٧٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (المسألَةُ الخَامِسَةُ: لا يَجُوزُ ههنا مَالِكُ النَّاسِ، ويَجُوزُ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة: ٣] في سُورَةِ الفَاتِحَةِ، والفَرْقُ أَنَّ قَوْلَه: (رَبِّ النَّاسِ) أَفَادَ كَوْنَه مَالِكًا لَهُم فَلا بُدَّ وأَنْ يَكُونَ المَذْكُورُ عَقِيبَه هذا المَلِكَ لِيُفِيدَ أَنَّه مَالِكٌ، ومَعَ كَوْنِه مَالِكًا فهو مَلِكٌ، فإنْ قِيلَ: أَلَيْسَ قَالَ في سُورَةِ الفَاتِحَةِ: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١] ثُمَّ قالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ فيَلْزَمُ وُقُوعُ التَّكْرَارِ هناك؟ قُلْنَا: اللَّفْظُ دَلَّ عَلَى أَنَّه رَبُّ العَالَمِينَ وهي الأَشْيَاءُ المَوْجُودَةُ في الحَالِ، وعلَى أَنَّه مَالِكٌ لِيَوْمِ الدِّينِ أي: قَادِرٌ عليه فهناك الرَّبُّ مُضَافٌ إلى شَيْءٍ، والمَالِكُ إلى شَيْءٍ آخَرَ فَلَمْ يَلْزَمِ التَّكْرِيرُ، وأَمَّا ههنا لو ذَكَرَ المَالِكَ لكَانَ الرَّبُّ والمَالِكُ مُضَافَيْنِ إلى شَيْءٍ واحِدٍ، فيَلْزَمُ منه التَّكْرِيرُ فظَهَرَ الفَرْقُ، وأيضًا فجَوازُ القِرَاءَاتِ يَتْبَعُ النُّزولَ لا القِيَاسَ، وقَدْ قُرِئَ: (مَالِكِ) لكنْ في الشَّوَاذِّ). [التفسير الكبير: ٣٢/١٨١]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (قَالَ ابْنُ الخَطِيبِ: ولَمْ يُقْرَأْ في المَشْهُورِ هنا "مَالِكِ" بالألِفِ، كَمَا قُرِئَ به في الفاتحَةِ؛ لأَنَّ مَعْنَى المَالِكِ هُوَ الرَّبُّ، فَيَلْزَمُ التَّكْرَارُ.

وقُرِئَ به في الفَاتِحَةِ؛ لاخْتِلافِ المُضَافَيْنِ، فلا تَكْرَارَ). [اللباب: ٢٠/٥٧٧]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (أَجْمَعَ القُرَّاءُ في هذهِ السورةِ على إسقاطِ الألفِ مِنْ ﴿مَلِكِ﴾ بخلافِ الفاتِحَةِ كما مَضَى؛ لأنَّ المَلِكَ إِذَا أُضِيفَ إِلَى (اليَوْمِ) أَفْهَمَ اخْتِصَاصَهُ بِجَمِيعِ مَا فيهِ مِنْ جَوْهَرٍ وعَرَضٍ، وأَنَّهُ لا أَمْرَ لأحدٍ مَعَهُ، ولا مُشارَكَةَ في شيءٍ مِنْ ذلكَ، وهوَ مَعْنَى المُلْكِ – بالضَّمِّ، وأَمَّا إضافَةُ المَالِكِ إِلى الناسِ فإنَّها تَسْتَلْزِمُ أنْ يَكُونَ مَلِكَهُم.

فلوْ قُرِئَ بِهِ هُنَا لَنَقَصَ المَعْنَى، وَأَطْبَقُوا في آلِ عِمْرَانَ على إثباتِ الألفِ في المضافِ وَحَذْفِهَا مِنَ المضافِ إليهِ؛ لأنَّ المقصودَ بالسياقِ أَنَّهُ سبحانَهُ وَتعالى يُعْطِي المُلْكَ مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُهُ مَنْ يَشَاءُ، وَالمِلْكُ – بكسرِ الميمِ – أليَقُ بهذا المعنَى، وَأسرارُ كلامِ اللَّهِ سبحانَهُ وَتعالى أعظمُ مِنْ أنْ تُحِيطَ بها العقولُ، وَإِنَّمَا غَايَةُ أُولِي العلمِ الاستدلالُ بما ظَهَرَ منها على ما وَرَاءَهُ، وَإِنَّ بَادِيَهُ إِلَى الخَافِي يُشِيرُ). [نظم الدرر: ٨/٦١٤]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): ((فائدةٌ) قدْ أجمعَ جميعُ القُرَّاءِ في هذهِ السُّورةِ على إسقاطِ الألفِ مِن مالِكِ بخلافِ الفاتحةِ كما مضى؛ لأنَّ المالِكَ إذا أُضيفَ إلى اليومِ أَفْهَمَ اختصاصَهُ بجميعِ ما فيهِ مِن جوهرٍ وعَرَضٍ، وأنَّهُ لا أمْرَ لأحدٍ معهُ ولا مشاركةَ في شيءٍ مِنْ ذلكَ وهوَ معنى المُلْكِ بالضَّمِّ، وأما إضافةُ المالكِ إلى النَّاسِ فإنَّها لا تستلزِمُ أنْ يكونَ مَلِكَهمْ فلوْ قُرِئَ بِهِ هنا لَنَقصَ المُلْكُ بالضمِّ، وأطبقوا في آلِ عمرانَ على إثباتِ الألفِ في المضافِ وحذْفِها منَ المضافِ إليهِ منَ المقصودِ إليهِ؛ لأنَّ المقصودَ منَ السِّياقِ أنَّهُ سبحانَهُ يُعْطِي المُلْكَ مَن يشاءُ ويمنَعُهُ مَن يشاءُ، والمِلْكُ بكَسرِ الميمِ أليَقُ بهذَا المعنى، وأسرارُ كلامِ اللَّهِ تَعَالَى أعظمُ مِن أنْ تُحيطَ بها العقولُ، وإنما غايةُ أُولِي العلمِ الاستدلالُ بما ظَهَرَ منها). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٥- ٦١٦]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وَقدْ أَجْمَعَ جَمِيعُ القرَّاءِ في هذهِ السورةِ على إِسقاطِ الألفِ بخلافِ الفاتحةِ، فَاخْتَلَفُوا فيها كَمَا مَضَى). [فتح البيان: ١٥/٤٦٥]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (ولا يَجُوزُ هاهنا (مَالِكِ النَّاسِ) بإِثْبَاتِ الألِفِ بخلافِ (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) في سُورَةِ الفَاتِحَةِ (الآيَةُ: ٤) والفَرْقُ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿رَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ أَفَادَ كَوْنَهُ مَالِكًا لهم فلا بُدَّ وأَنْ يَكُونَ المَذْكُورُ عَقِبَهُ هَذَا المَلِكَ لِيُفِيدَ أَنَّهُ تَعَالَى مَالِكٌ ومَلِكٌ معًا، فإِنْ قِيلَ: أَلَيْسَ قَالَ تَعَالَى في سُورَةِ الفَاتِحَةِ: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الآيةُ: ٢] ثُمَّ قَالَ: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الآيةُ: ٤] فيَلْزَمُ وُقُوعُ التَّكْرَارِ هُنَاكَ قُلْنَا: اللَّفْظُ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ، وهِيَ الأَشْيَاءُ المَوْجُودَةُ في الحالِ، وعَلَى أَنَّهُ مَالِكٌ لِيَوْمِ الدِّينِ، فهُنَاكَ «الرَّبُّ» مُضَافٌ إلى شيْءٍ موْجودٍ الآنَ، و«المَالِكُ» مُضَافٌ إلى شيْءٍ يُوجَدُ في الآخرةِ، فَلَمْ يَلْزَمِ التَّكْرِيرُ، فظَهَرَ الفَرْقُ، وأَيْضًا فَإِنَّ جوَازَ القِراءَاتِ يَتْبَعُ النُّزُولَ لا القياسَ). [مراح لبيد: ٢/٦٨٣]

■ تنبيه

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (قولُه تعالى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾. يُقْرَأُ بألفٍ، وهو ضعيفٌ، وقَدْ ذُكِرَ في الفاتحةِ). [إعراب القراءات الشواذ: ٢/ ٧٦٢]

الاشتقاق

■ اشتقاق كلمة (الناس)

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ بنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت: ٦٦٠هـ): (واخْتُلِفَ في اشْتِقَاقِ (النَّاسِ) فقِيلَ مِنَ الأُنْسِ، وقِيلَ مِنَ النَّوْسِ؛ الَّذِي هو الحَرَكَةُ). [فوائد في مشكل القرآن:٢٦٣]

الصرف

■ تشديد الباء الثانية في قوله تعالى: (برب)

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿بِرَبِّ﴾ جرٌّ بالبَاءِ الزَّائِدَةِ. وَشُدِّدَتِ البَاءُ لأَنَّهُمَا بَاءَانِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٨] (م)

■ أصل كلمة (الناس)

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النحَّاسُ (ت: ٣٣٨هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ الأَصْلُ عندَ سِيبَوَيْهِ أُنَاسٌ، والأَلِفُ واللامُ بَدَلٌ من الهَمْزَةِ). [إعراب القرآن: ٥/٣١٥]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (وَقَرَأَ الكِسَائِيُّ ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ بالإمَالَةِ، وَإِنَّمَا أَمَالَ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ أَلِفَهُ مُنْقَلِبَةٌ مِنْ يَاءٍ وَالأَصْلُ: قُلْ أَعُوذُ بِربِّ النَّيسِ؛ فَصَارَتِ اليَاءُ أَلِفًا لِتَحَرُّكِهَا وانْفِتَاحِ مَا قَبْلَهَا.

وَسَمِعْتُ ابْنَ الأَنْبَارِيِّ يَقُولُ: الأَصْلُ فِي النَّاسِ النَّوَسُ.

وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ النَّسْيَ، مِنَ النِّسْيَانِ، فَقَلَبُوا لامَ الفِعْلِ إِلَى مَوْضِعِ عَيْنِهِ.

وَفِيهِ قَوْلٌ رَابِعٌ، قَالَ سِيبَوَيْهِ: الأَصْلُ في النَّاسِ الأُنَاسُ، فَتَرَكُوا الهَمْزَةَ تَخْفِيفًا وَأَدْغَمُوا اللاَّمَ في النُّونِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٨]

قالَ أبو عليٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ الفارسيُّ (ت: ٣٧٧ هـ): (اختلفَ أهلُ النحوِ في الناسِ على أربعةِ أَوْجُهٍ: فقالَ قَوْمٌ: نوس، وقالَ آخرونَ: نيس، بالياءِ، وَاحْتَجُّوا بأنَّ الكِسائِيَّ قَرَأَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ بالإمالةِ). [المسائل الحلبيات: ١٦٩- ١٧٠]

قالَ أبو عليٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ الفَارِسِيُّ (ت: ٣٧٧ هـ): (فأمَّا مَن احْتَجَّ منْهُم بأنَّ العَيْنَ ياءٌ لقراءةِ مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ بإمالةِ الأَلِفِ، فَاحْتِجَاجُهُ بذلكَ دليلٌ على ضَعْفِ بَصَرِهِ بالإمالةِ، وذلكَ أَنَّهُم قالُوا: مَرَرْتُ بِبَابِهِ، وَمَرَرْتُ بِمَالٍ، وَمِنْ أَهْلِ عادٍ، فَأَمَالُوا هَذِهِ الأَلِفَاتِ معَ أنها مُنْقَلِبَةٌ عن الواواتِ، ولا يَمْتَنِعُ مَن كانَ مِن لُغَتِهِ الإمالةُ في هذا النحوِ أنْ يقولَ: مَرَرْتُ بِكِتَابِهِ، ورأيتُ عِمَادًا، فَيُمِيلُونَ الألِفَ الزائدةَ للكسرةِ، كما يُمِيلُونَ المُنْقَلِبَةَ عن الياءِ والواوِ، فكيفَ صارتِ الإمالةُ فِيمَا ذَكَرَهُ دلالةً دونَ مَن خَالَفَهُ فقالَ: هِيَ مِن الواوِ، وهيَ زائدةٌ! والقولُ بأنَّ الألِفَ في ناسٍ مُنْقَلِبَةٌ عن ياءٍ أو واوٍ معَ ما قامَ على فسادِهِ في اللفظِ، فهوَ ضعيفٌ في المعنَى؛ لأنَّ النَّوْسَ: تَذَبْذُبُ الشيءِ وتَدَلِّيهِ، وَحَمْلُ الناسِ على هذا المعنى ليسَ بِسَهْلٍ ولا قَرِيبٍ، ومَنِ ادَّعَى أنَّ الانقلابَ في الأَلِفِ عن الياءِ كانَ مُمْتَنِعًا مِن مَعْنَى النسيانِ لأجلِ اللفظِ وإنْ كانَ المعنَى لا يَمْتَنِعُ). [المسائل الحلبيات: ١٧٠- ١٧١]

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الفَارِسِيُّ (ت: ٣٧٧هـ): (و(النَّاسُ) أَصْلُهُ: الأُنَاسُ، فَحُذِفَتِ الهَمْزَةُ الَّتِي هِيَ فَاءٌ، وَيَدُلُّكَ عَلَى ذَلِكَ الأَنَسُ وَالأُنَاسُ، فَأَمَّا قَوْلُهُمْ فِي تَحْقِيرِهِ: نُوَيْسٌ، فَإِنَّ الأَلِفَ لَمَّا كَانَتْ ثَانِيَةً زَائِدَةً أَشْبَهَتْ أَلِفَ فَاعِلٍ، فَكَمَا قُلِبَتْ وَاوًا لِشَبَهِهِ أَلِفَ فَاعِلٍ، كَذَلِكَ جَازَتِ الإِمَالَةُ فِيهِ فِي المَوَاضِعِ الَّتِي أُمِيلَ الاسْمُ فِيهِ لِذَلِكَ). [الحجة:٤٦٧]

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ أَصْلُ النَّاسِ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ أُنَاسٌ، وَالأَلِفُ وَاللامُ بَدَلٌ مِنَ الهَمْزَةِ.

قَالَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: النَّاسُ جَمْعٌ لا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، بِمَنْزِلَةِ الإِبِلِ وَالخَيْلِ وَالنَّعَمِ وَالبَقَرِ وَالغُزَاةِ وَالقُضَاةِ، لا وَاحِدَ لِهَذِهِ الجُمُوعِ مِنْ أَلفَاظِهَا، قَالَ: وَالإِنْسَانُ لَيْسَ بِوَاحِدِ النَّاسِ، وَالقَاضِي لَيْسَ بِوَاحِدِ القُضَاةِ، قَالَ: وَوَزْنُ النَّاسِ مِنَ الفعلِ فَعْلٌ، وَأَصْلُهُ نَسْيٌ مِنْ نَسِيتُ، فَأُخِّرَتِ العَيْنُ وَقُدِّمَتِ اللامُ فَصَارَ فِي الحُكْمِ نَيَسًا، فَصَارَتِ اليَاءُ أَلِفًا لِتَحَرُّكِهَا وَانْفِتَاحِ مَا قَبْلَهَا، قَالَ: وَقَالَ بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ: النَّاسُ أَصْلُهُ الأُنَاسُ، فَسُهِّلَتِ الهَمْزَةُ

وَأُبْدِلَ نُونٌ مِنْ لامِ التَّعْرِيفِ السَّاكِنَةِ، وَأُدْغِمَتْ فِي النُّونِ الَّتِي بَعْدَهَا، فَصَارَتْ نُونًا مُشَدَّدَةً كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٨]. يُرِيدُ: لَكِنْ أَنَا.

وَقَالَ: وَالفَرَّاءُ يُبْطِلُ هَذَا الجَوَابَ وَيَقُولُ: وَجَدْنَا العَرَبَ تَقُولُ فِي تَصْغِيرِهِ: نُوَيْسٌ، قَالَ الفَرَّاءُ: وَلَوْ كَانَ مَا قَالُوا صَحِيحًا لَقِيلَ فِي التَّصْغِيرِ: أُنَيْسٌ وأُنَيِّسٌ). [مشكل إعراب القرآن: ٢/ ٣٩٢]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (لقدْ ذَكَرْنا في أَوَّلِ سُورَةِ البَقَرَةِ أنَّ أصلَ ناسٍ عندَ سِيبَوَيْهِ أُنَاسٌ، فحُذِفَتْ فَاؤُه، وعندَ غَيْرِه لم يُحْذَفْ مِنه شيءٌ، وأصلُه: نَوْسٌ لقولِهِم في التصغيرِ: نُوَيْسٌ.

وقالَ قومٌ: أصلُه: نَيَسٌ، مَقْلُوبٌ عن نَسْيٍ، أخذوه مِن النِّسْيَانِ، وفيه بُعْدٌ). [التبيان: ٢/ ٤٨٥]

قَالَ حُسَيْنُ بنُ أَبِي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (ذَكَرْتُ في البقرةِ الاختلافَ في (الناسِ)، وأنَّ أصْلَه عندَ صاحبِ الكتابِ رَحِمَه اللَّهُ (أُنَاسٌ) بشهادةِ قولِه سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأعراف: ٨٢] فحذَفَ منه الهَمْزَةَ التي هي فَاؤُه، فبَقِيَ (نَاسٌ) وهو من قولِهم: آنَسْتُ الشيءَ أبْصَرْتُه، وكانَ القياسُ يَقْتَضِي أنْ يقعَ على كلِّ مُبْصِرٍ لكنَّهم قَصَرُوه على البَشَرِ من جهةِ عُرْفِهم.

وعندَ غَيْرِه: لم يُحْذَفْ منه شيءٌ، وأَصْلُه نَوْسٌ، وفي التصغيرِ نُوَيْسٌ وهو من النَّوْسِ وهو الحَرَكَةُ، وكانَ القياسُ أنْ يَقَعَ على كلِّ مُتَحَرِّكٍ غيرَ أنهم قَصَرُوه على البَشَرِ عُرْفًا.

وقالَ آخَرُونَ: هو من الأُنْسِ الذي هو ضِدُّ الوَحْشَةِ، لأنه يُؤْنَسُ به. وقالَ بعضُهم وهو على وَزْنِ فاعلٍ منه، وأصْلُه الناسِي بياءٍ في آخرِ الكلمةِ على فَاعِلٍ من نَسِيَ يَنْسَى فحَذَفَ الياءَ منه حَذْفًا. وقيلَ: هو على وَزْنِ فلع، وأصلُه نَيَسٌ مَقْلُوبٌ مِن نَسْيٍ، فقُلِبَتِ الياءُ أَلِفًا لتَحَرُّكِها وانفتاحِ ما قَبْلَها فبَقِيَ (نَاسٌ)، ولذلك أمَالَهُ بعضُ القُرَّاءِ في الأحوالِ الثلاثِ الرفعِ والنصبِ والجرِّ، والوجهُ ما ذهَبَ إليه صاحبُ الكتابِ ومُوافِقُوه، وقد مَضَى الكلامُ مُوَضَّحًا فيما سَلَفَ من الكتابِ). [الفريد: ٤/٧٥٣- ٧٥٤]

تصغير (الناس)

قلت: (مضى ذكر لهذه المسألة في كلام العلماء في المسألة السابقة)

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الفَارِسِيُّ (ت: ٣٧٧هـ): (و(النَّاسُ) أَصْلُهُ: الأُنَاسُ، فَحُذِفَتِ الهَمْزَةُ الَّتِي هِيَ فَاءٌ، وَيَدُلُّكَ عَلَى ذَلِكَ الأَنَسُ وَالأُنَاسُ، فَأَمَّا قَوْلُهُمْ فِي تَحْقِيرِهِ: نُوَيْسٌ، فَإِنَّ الأَلِفَ لَمَّا كَانَتْ ثَانِيَةً زَائِدَةً أَشْبَهَتْ أَلِفَ فَاعِلٍ، فَكَمَا قُلِبَتْ وَاوًا لِشَبَهِهِ أَلِفَ فَاعِلٍ، كَذَلِكَ جَازَتِ الإِمَالَةُ فِيهِ فِي المَوَاضِعِ الَّتِي أُمِيلَ الاسْمُ فِيهِ لِذَلِكَ). [الحجة:٤٦٧ (م)]

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (قَالَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: النَّاسُ جَمْعٌ لا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، بِمَنْزِلَةِ الإِبِلِ وَالخَيْلِ وَالنَّعَمِ وَالبَقَرِ وَالغُزَاةِ وَالقُضَاةِ، لا وَاحِدَ لِهَذِهِ الجُمُوعِ مِنْ أَلفَاظِهَا، قَالَ: وَالإِنْسَانُ لَيْسَ بِوَاحِدِ النَّاسِ، وَالقَاضِي لَيْسَ بِوَاحِدِ القُضَاةِ، قَالَ: وَوَزْنُ النَّاسِ مِنَ الفعل فَعْلٌ، وَأَصْلُهُ نَسْيٌ مِنْ نَسِيتُ، فَأُخِّرَتِ

العَيْنُ وَقُدِّمَتِ اللامُ فَصَارَ فِي الحُكْمِ نَيسًا، فَصَارَتِ اليَاءُ أَلِفًا لِتَحَرُّكِهَا وَانْفِتَاحِ مَا قَبْلَهَا، قَالَ: وَقَالَ بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ: النَّاسُ أَصْلُهُ الأُنَاسُ، فَسُهِّلَتِ الهَمْزَةُ وَأُبْدِلَ نُونٌ مِنْ لامِ التَّعْرِيفِ السَّاكِنَةِ، وَأُدْغِمَتْ فِي النُّونِ الَّتِي بَعْدَهَا، فَصَارَتْ نُونًا مُشَدَّدَةً كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٨]. يُرِيدُ: لَكِنْ أَنَا. وَقَالَ: وَالفَرَّاءُ يُبْطِلُ هَذَا الجَوَابَ وَيَقُولُ: وَجَدْنَا العَرَبَ تَقُولُ فِي تَصْغِيرِهِ: نُوَيْسٌ، قَالَ الفَرَّاءُ: وَلَوْ كَانَ مَا قَالُوا صَحِيحًا لَقِيلَ فِي التَّصْغِيرِ: أُنَيْسٌ وأُنَيِّسٌ). [مشكل إعراب القرآن: ٢/ ٣٩٢] (م)

قَالَ نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ ابنُ أَبِي مَرْيَمَ (ت: ٥٦٥هـ): (ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الأَلِفَ وَإِنْ كَانَتْ أَلِفَ فُعَالٍ فَإِنَّهَا شُبِّهَتْ بِأَلِفِ فَاعِلٍ، بِأَنْ قُلِبَتْ فِي التَّصْغِيرِ وَاوًا، فَقِيلَ: نُوَيْسٌ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُ المُكَبَّرِ أُنَاسًا، فَلَمَّا كَانَتْ مُشَبَّهَةً بِأَلِفِ فَاعِلٍ، أُجِيزَتْ فِيهَا الإِمَالَةُ، كَمَا تَجُوزُ فِي فَاعِلٍ). [الموضح:١٤١٨]

لغة إبدال السين تاء في (الناس)

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويه (ت: ٣٧٠هـ):(قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ: زَعَمَ أَهْلُ اللُّغَةِ فِي كُتُبِ القَلْبِ وَالإِبْدَالِ أَنَّ العَرَبَ تَقُولُ فِي النَّاسِ: النَّاتُ، وَقَوْمٌ أَكْيَاتٌ؛ أَيْ: أَكْيَاسٌ. قَالَ سِيبَوَيْهِ: تُبْدَلُ التَّاءُ مِنَ السِّينِ، وَالسِّينُ تَاءً؛ فَسِتَّةٌ أَصْلُهَا سِدْسَةٌ، فَأَبْدَلُوا مِنَ السِّينِ الثَّانِيَةِ تَاءً، وَمِنَ الدَّالِ تَاءً وَأَدْغَمُوا التَّاءَ فِي التَّاءِ، وَأَمَّا السِّينُ مِنَ التَّاءِ فَيَقُولُونَ: اسْتَخِذْ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ؛ يُرِيدُونَ اتَّخِذْ وَيُنْشَدُ:

يَا قَبَّحَ اللَّهُ بَنِي السّعْلاتِ عَمْرَو بْنَ يَرْبُوعٍ شِرَارَ النَّاتِ

لَيْسُوا أَعِفَّاء وَلا أَكْيَاتِ

وَالعَرَبُ تَقُولُ: الكَرَمُ مِنْ تُوسِ سَيِّدِنَا الأَمِيرِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، وَمِنْ سُوسِهِ). [مختصر شواذ القراءات:٨٤]

الناس جمع لا واحد له من لفظه

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويه (ت: ٣٧٠هـ): (وَالنَّاسُ يَكُونُ وَاحِدًا وَجَمْعًا؛ فَالوَاحِدُ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣] وَكَانَ الَّذِي قَالَ لَهُمْ رَجُلاً وَاحِدًا، وَقَوْلِهِ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩] يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ السَّلامُ. وَقَرَأَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسِ) يَعْنِي آدَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُهِدَ إِلَيْهِ فَنَسِيَ.

[وَقَوْلِهِ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ يَعْنِي مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، حَسَدَتْهُ اليَهُودُ عَلَى مَا أَبَاحَ اللهُ لَهُ مِنَ التَّزْوِيجِ]). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٨- ٢٣٩]

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (قَالَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: النَّاسُ جَمْعٌ لا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، بِمَنْزِلَةِ الإِبِلِ وَالخَيْلِ وَالنَّعَمِ وَالبَقَرِ وَالغُزَاةِ وَالقُضَاةِ، لا وَاحِدَ لِهَذِهِ الجُمُوعِ مِنْ أَلفَاظِهَا، قَالَ: وَالإِنْسَانُ لَيْسَ بِوَاحِدِ النَّاسِ، وَالقَاضِي لَيْسَ بِوَاحِدِ القُضَاةِ). [مشكل إعراب القرآن: ٢/ ٣٩٢]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (والناسُ: اسمُ جَمْعٍ للبَشَرِ جَميعِهم، أو طائفةٍ منهم، ولا يُطلَقُ على غيرِهم على التَّحْقِيقِ). [التحرير والتنوير: ٦٣٣/٣٠]

(إله)

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (وَ﴿إِلَـٰهِ﴾ وَزْنُهُ فِعَالٌ، فَاءُ الفِعْلِ هَمْزَةٌ مُبْدَلَةٌ مِنْ وَاوٍ، كَمَا يُقَالُ فِي وِعَاءٍ إِعَاءٌ، وَفِي وِشَاحٍ إِشَاحٌ.
وَكَانَ الأَصْلُ وِلاهٌ مِنْ تَأَلُّهِ الخَلْقِ إِلَيْهِ أَيْ: مِنْ فَقْرِهِمْ وَحَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ، ثُمَّ تَدْخُلُ الأَلِفُ واللاَّمُ للتَّعْظِيمِ والتَّعْرِيفِ، فَصَارَ الإِلَهَ تَعَالَى القَدِيمَ الَّذِي لَمْ يَزَلْ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٩]

الإعراب

(قل أعوذ برب الناس)

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ ﴿قُلْ﴾ [أَمْرٌ] مَوْقُوفٌ فِي قَوْلِ البَصْرِيِّينَ، وَمَجْزُومٌ فِي قَوْلِ الكُوفِيِّينَ ﴿أَعُوذُ﴾ فِعْلٌ مُضَارِعٌ. ﴿بِرَبِّ﴾ جَرٌّ بالبَاءِ الزَّائِدَةِ.
وَشُدِّدَتِ البَاءُ لأَنَّهُمَا بَاءَانِ. ﴿ٱلنَّاسِ﴾ جَرٌّ بالإِضَافَةِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٨]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿قُلْ﴾ مَوْقُوفٌ لأَنَّهُ أَمْرُ مُخَاطَبٍ. ﴿أَعُوذُ﴾ فِعْلٌ مُضَارِعٌ.
﴿بِرَبِّ﴾ جَرٌّ بالبَاءِ الزَّائِدَةِ. ﴿ٱلنَّاسِ﴾ جَرٌّ بالإِضَافَةِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٤٣] [نسخة رامفور]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ حَمْزَةَ بنِ نَصرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (قولُهُ تَعَالَى: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ أيْ: باللهِ رَبِّ الناسِ، فحَذَفَ الموصوفَ). [غرائب التفسير: ١٤١٥/٢ (م)]

(ملك الناس . إله الناس)

قالَ الأَخْفَشُ سَعِيدُ بْنُ مَسْعَدَةَ البَلْخِيُّ (ت: ٢١٥هـ): (وقولُه: ﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ بَدَلٌ مِن ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾). [معاني القرآن: ٥٥٠/٢]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النحَّاسُ (ت: ٣٣٨هـ): (﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ نعتٌ يقالُ: مَلِكٌ بَيِّنُ المُلْكِ، ومَالِكٌ بَيِّنُ المِلْكِ والمَلْكِ). [إعراب القرآن: ٣١٥/٥]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النحَّاسُ (ت: ٣٣٨هـ): (﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ نعتٌ أو بَدَلٌ). [إعراب القرآن: ٣١٥/٥]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿مَلِكِ﴾ بَدَلٌ مِنْ رَبِّ. ﴿ٱلنَّاسِ﴾ جَرٌّ بالإِضَافَةِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٨]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ بَدَلٌ مِنْ مَلِكِ النَّاسِ. ﴿ٱلنَّاسِ﴾ جَرٌّ بالإِضَافَةِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٩]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿مَلِكِ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿رَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ جَرٌّ بالإضَافَةِ.

﴿إِلَٰهِ﴾ بَدَلٌ مِنْهُ.

﴿ٱلنَّاسِ﴾ جَرٌّ بالإِضَافَةِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٤٣] [نسخة رامفور]

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (قَوْلُهُ: ﴿مَلِكِ﴾ [وَ﴿إِلَٰهِ﴾] بَدَلٌ مِنْ (رَبِّ) أَوْ نَعْتٌ لَهُ). [مشكل إعراب القرآن: ٢/ ٣٩٣]

قَالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (فإنْ قُلْتَ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ ما هما مِن ﴿رَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾؟

قلتُ: هما عطفُ بيانٍ؛ كقولِكَ: سِيرَةُ أبي حَفْصٍ عُمَرَ الفَارُوقِ. بُيِّنَ بـ ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾، ثُمَّ زِيدَ بَيَاناً بـ ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾؛ لأنه قَدْ يُقَالُ لغيرِه: ربُّ الناسِ. كقولِه: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. وقد يُقالُ: مَلِكُ الناسِ. وأمَّا إِلَهُ النَّاسِ فخاصٌّ، لا شِرْكَةَ فيه، فجُعِلَ غايةً للبَيَانِ). [الكشاف: ٤٦٨/٦]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (قولُه تعالى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ هُمَا عَطْفُ بيانٍ، كقَوْلِه: سِيرَةُ أَبِي حَفْصٍ عُمُرَ الفَارُوقِ). [التفسير الكبير: ١٨٠/٣٢]

قَالَ حُسَيْنُ بنُ أَبِي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (وقولُه: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ كلاهما نَعْتٌ للربِّ أو بَدَلٌ منه. الزَّمَخْشَرِيُّ: هما عَطْفُ بيانٍ له، كقولِكَ: سِيرَةُ أبي حَفْصٍ عُمَرَ الفاروقِ، وبُيِّنَ بـ ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ ثم زيدَ بَيَانًا بـ ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾؛ لأنَّه قد يُقالُ لغيرِه: ﴿رَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾، كقولِه: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] وقد يُقالُ: (مَالِكُ النَّاسِ)، وأَمَّا (إِلَهُ النَّاسِ) فخَاصٌّ لا شِرْكَةَ فيه، فجُعِلَ غايةً للبيانِ). [الفريد: ٧٥٤/٤]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ عَطْفَا بيانٍ له). [أنوار التنزيل: ١١٨١/٢]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (قولُه: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ عَطفُ بَيَانٍ لـ ﴿رَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾؛ لأَنَّه يُقالُ لغيرِه: رَبُّ الناسِ ومَلِكُ النَّاسِ. وأمَّا ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ فخَاصٌّ لا شِرْكَةَ فِيه). [مدارك التنزيل:٢٠١٥/٣]

قَالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (وقَوْلُه: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ عَطْفٌ ثَانٍ). [غرائب القرآن: ٢٢٤/٣٠]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ هذا عطفُ بيانٍ). [التسهيل: ٢٢٦]

قَالَ عَبْدُ البَاقِي بْنُ عَبدِ المَجِيدِ القُرَشِيُّ اليَمَانِيُّ (ت: ٧٤٣هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾: هما عَطْفَا بَيَانٍ، وزَادَ بـ (إِلَهِ) ما يَحْسِمُ به مادَّةَ الاشْتِراكِ، لأَنَّهُ قَدْ يُقَالُ لغَيْرِهِ: رَبُّ النَّاسِ، كقَوْلِهِ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وأمَّا (إِلَهُ النَّاسِ) فخَاصٌّ لا يَشْرَكُهُ فيه أَحَدٌ، فجُعِلَ غَايَةً للبَيَانِ). [الترجمان: ٢٣٥]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَالظاهِرُ أنَّ ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ صِفَتَانِ.

وَقالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: هُمَا عَطْفَا بَيَانٍ كَقَوْلِكَ: سيرةُ أبي حَفْصٍ عمرَ الفَارُوقِ، بُيِّنَ بـ ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ ثمَّ زِيدَ بَيَاناً بـ ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾؛ لأَنَّهُ قدْ يُقَالُ لغيرِهِ: رَبُّ الناسِ. كقولِهِ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وَقدْ يُقَالُ: مَلِكِ الناسِ، وَأَمَّا إِلَهُ الناسِ فَخَاصٌّ لا شَرِكَةَ فيهِ، فَجُعِلَ غايةً للبيانِ. انْتَهَى.

وَعَطْفُ البيانِ المشهورُ أَنَّهُ يكونُ بالجوامدِ، وَظاهِرُ قولِهِ أَنَّهُمَا عَطْفَا بيانٍ لواحدٍ وَلا أَنْقُلُ عَنِ النحاةِ شَيْئاً في عطفِ البيانِ هلْ يَجُوزُ أَنْ يَتَكَرَّرَ لِمَعْطُوفٍ عَلَيْهِ وَاحدٍ أَمْ لا يَجُوزُ؟). [البحر المحيط: ٧٦٤/٨]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَالظَّاهِرُ أَنَّ ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ صِفَتَانِ). [النهر الماد: ١٣٢٠]

قَالَ السَّمِينُ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الحَلَبِيُّ (ت: ٧٥٦هـ): (قولُهُ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾. يَجُوزُ أنْ يَكُونَا وَصْفَيْنِ لـ (رَبِّ النَّاسِ) وأنْ يَكُونَا بَدَلَيْنِ، وَأَنْ يَكُونَا عَطْفَ بَيَانٍ.

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: (فإِنْ قُلْتَ: مَلِكِ الناسِ، إلهِ الناسِ، ما هُمَا مَنْ ربِّ الناسِ؟ قُلْتُ: عَطْفُ بَيَانٍ كَقَوْلِكَ: سيرةُ أبي حفصٍ عُمَرَ الفَارُوقِ، بُيِّنَ بِمَلِكِ الناسِ، ثُمَّ زِيدَ بَيَاناً؛ لأَنَّهُ قَدْ يُقَالُ لِغَيْرِهِ: (رَبُّ النَّاسِ) كقولِهِ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. وَقدْ يُقَالُ: مَلِكُ الناسِ، وَأَمَّا إِلَهُ الناسِ فَخَاصٌّ لا شَرِكَةَ فيهِ، فَجُعِلَ غايةَ البيانِ) وَاعْتَرَضَ الشيخُ بأنَّ البيانَ بالجَوَامِدِ، وَيُجَابُ عنهُ بأنَّ هذا جَارٍ مَجْرَى الجوامدِ، وَقدْ تَقَدَّمَ في الرحمنِ الرحيمِ أَوِ الفاتحةِ تَقْرِيرُهُ). [الدر المصون: ١٦٢/١١]

قالَ جَلالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ المَحَلِّيُّ (ت: ٨٦٤هـ): (﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ بَدَلانِ أَوْ صِفَتَانِ أَوْ عَطْفَا بَيَانٍ، وَأَظْهَرَ المُضَافَ إليهِ فِيهِمَا زِيَادَةً للبَيَانِ). [تفسير الجلالين: ٦٠٤]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (قَوْلُهُ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَا وَصْفَيْنِ لـ "رَبِّ النَّاسِ" وأَنْ يَكُونَا بَدَلَيْنِ، وأَنْ يَكُونَا عَطْفَ بَيَانٍ). [اللباب: ٥٧٦/٢٠]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: فَإِنْ قُلْتَ: "مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ"؟ مَا هُمَا مِنْ "رَبِّ النَّاسِ"؟

قُلْتُ: هُمَا عَطْفُ بَيَانٍ كَقَوْلِكَ: سِيرَةُ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ الفَارُوقِ، بُيِّنَ بـ"مَلِكِ النَّاسِ" ثُمَّ زِيدَ بَيَانًا بـ"إِلَهِ النَّاسِ"؛ لأَنَّه قَدْ يُقَالُ لِغَيْرِهِ: "رَبُّ النَّاسِ" كقَوْلِهِ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التَّوْبَة: ٣١] وقَدْ يُقَالُ: "مَلِكُ النَّاسِ" وَأَمَّا "إِلَهُ النَّاسِ" فَخَاصٌّ لا شِرْكَةَ فيه، فَجُعِلَ غَايَةً لِلْبَيَانِ.

واعْتَرَضَ أَبُو حَيَّانَ: بِأَنَّ البَيَانَ يَكُونُ بالجَوَامِدِ، ويُجَابُ عَنْهُ بِأَنَّ هَذَا جَارٍ مَجْرَى الجَوَامِدِ وقَدْ تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ في "الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" أَوَّلَ الفَاتِحَةِ). [اللباب: ٢٠/٥٧٦- ٥٧٧]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الإِيجِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت: ٩٠٥ هـ): (﴿مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝٣﴾: عطْفَا بَيَانٍ لِرَبِّ الناسِ، وهو مِن قَبيلِ التَّرَقِّي في صفاتِ الكمالِ؛ فإنَّ المَلِكَ أعلى مِن الربِّ؛ لأنَّ كلَّ مَلِكٍ رَبٌّ ومالِكٌ، ولا ينعكِسُ كُلِّيًّا، ثم الإلهُ الذي هو أعلى وخاصٌّ للهِ جُعِلَ غايةً لِلْبَيَانِ). [جامع البيان: ٤/٥٤٧]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (عَطْفُ البَيَانِ، ذَكَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝٣﴾: أَنَّهُمَا عَطْفَا بَيَانٍ لِرَبِّ النَّاسِ.

وَقَالَ أَبُو حَيَّانَ: لا أَنْقُلُ عَنِ النُّحَاةِ شَيْئًا في عَطْفِ البَيَانِ، هَلْ يَجُوزُ أَنْ يُكَرَّرَ المَعْطُوفُ في عَلَمٍ وَاحِدٍ أَمْ لا يَجُوزُ ذَلِكَ؟). [الأشباه والنظائر ٢/ ٣٣٥]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): ((تنبيهٌ) يجوزُ في مَلِكِ النَّاسِ وإلهِ النَّاسِ أنْ يكونا وَصْفَيْنِ لربِّ النَّاسِ، وأنْ يكونا بَدَلَيْنِ، وأنْ يكونا عَطْفَ بيانٍ، واقْتصرَ عليهِ الزَّمخشريُّ، قَالَ: كقولِكَ سيرةُ أبي حفصٍ عمرَ الفاروقِ، بُيِّنَ بمَلِكِ النَّاسِ ثمَّ زِيدَ بيانًا بإلهِ النَّاسِ؛ لأَنَّهُ قدْ يُقَالُ لغيرِهِ ربُّ النَّاسِ كقولِهِ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] وقدْ يُقَالُ: مَلِكُ النَّاسِ، وأما إلهُ النَّاسِ فخاصٌّ لا شِرْكَةَ فيهِ فُجعَلَ غايةً لِلبَيانِ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٦]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ ۝٢﴾ عَطْفُ بَيَانٍ، جِيءَ بِهِ لِبَيَانِ أَنَّ تَرْبِيَتَهُ تَعَالَى إِيَّاهُمْ لَيْسَتْ بطريقِ تربيَةِ سَائِرِ المُلاَّكِ لِمَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ مَمَالِيكِهِمْ، بَلْ بطريقِ المُلْكِ الكَامِلِ والتَّصَرُّفِ الكُلِّيِّ وَالسُّلْطَانِ القَاهِرِ.

وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَهِ النَّاسِ ۝٣﴾). [إرشاد العقل السليم: ٧/٢١٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وقولُهُ: ﴿مَلِكِ النَّاسِ ۝٢﴾ عَطْفُ بيانٍ). [فتح القدير: ٥/٧٦٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (﴿إِلَهِ النَّاسِ ۝٣﴾ هوَ أيضاً عطفُ بيانٍ كالذي قَبْلَهُ). [فتح القدير: ٥/٧٦٢] (م)

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الألُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (﴿مَلِكِ النَّاسِ ۝٢﴾ عطفُ بيانٍ على ما اختارَه الزَّمَخشريُّ جِيءَ به لبيانِ أنَّ تَربيتَه تعالى إيَّاهمْ ليست بطريقِ تَربيةِ سائرِ المُلاَّكِ لِمَا تحتَ أيديهم مِن

مَماليكِهم، بل بطريقِ المُلْكِ الكاملِ والتصرُّفِ الكُلِّيِّ والسلطانِ القاهرِ، وكذا قولُه تعالى: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾). [روح المعاني: ٢٩/ ٢٨٥]

قالَ مُحمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وقولُهُ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾. عَطْفُ بَيَانٍ). [فتح البيان: ١٥/ ٤٦٥]

قالَ مُحمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾. هوَ أيضاً عطفُ بيانٍ). [فتح البيان: ١٥/ ٤٦٥]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ عَطْفُ بَيَانٍ). [مراح لبيد: ٢/ ٦٨٣]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ عَطْفُ بَيَانٍ). [مراح لبيد: ٢/ ٦٨٣]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (و﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ عطفُ بيانٍ مِن ﴿رَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾، وكذلك ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾). [التحرير والتنوير: ٣٠/ ٦٣٣]

التفسير

لمن الخطاب في السورة

قَالَ عَبْدُ الخَالِقِ بْنُ الحسَنِ ابنُ أَبِي رُوبَا (ت:٣٥٦ هـ): حدَّثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ ثابِتٍ الثَّورِيُّ عن أَبِيه عن الهُذَيْلِ بنِ حَبِيبٍ عنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ البلخيِّ (ت:١٥٠هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَعوَّذَ بِربِّ النَّاسِ). [تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٥٣٩]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحمَّدِ بْنِ وَهْبٍ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٣٠٨هـ): (عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عنهما، في قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ). [الواضح: ٢/ ٥٢٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لنبيِّه محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قلْ يا محمدُ أَسْتَجِيرُ ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾). [جامع البيان: ٢٤/ ٧٥٣]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعقُوبَ الفَيْرُوزَآبادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ الثِّقَةُ ابْنُ المَأْمُونِ الهَرَوِيُّ قالَ: أَخْبَرَنَا أَبِي، قالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ، قال: أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللهِ مَحْمُودُ بْنُ مُحمَّدٍ الرَّازِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَمَّارُ بْنُ عَبْدِ المَجِيدِ الهَرَوِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ السَّمَرْقَنْدِيُّ، عن مُحمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنِ الكَلْبِيِّ، عن أَبِي صَالحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ يَقُولُ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: أَمْتَنِعُ، وَيُقَالُ أَسْتَعِيذُ). [تنوير المقباس: ٦٠٤]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (﴿قُلْ﴾ أيْ: يا أشرفَ المُرسَلِين). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٥]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (﴿قُلْ﴾ يَا أَشْرَفَ المُرْسَلِينَ). [مراح لبيد: ٢/ ٦٨٣]

معنى (أعوذ)

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبٍ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٣٠٨هـ): (عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عنهما، في قَوْلِهِ عَزَّ وَجلَّ: ﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ ﴿أَعُوذُ﴾ أَمْتَنِعُ وأَعْتَصِمُ وأَسْتَجِيرُ). [الواضح: ٢/٥٢٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لنبيِّه محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قلْ يا محمدُ أَسْتَجِيرُ (بِرَبِّ النَّاسِ)). [جامع البيان: ٢٤/٧٥٣] (م)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزَآبادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ الثِّقَةُ ابْنُ المَأْمُونِ الهَرَوِيُّ قالَ: أَخْبَرَنَا أَبِي، قالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ، قالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللهِ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَمَّارُ بْنُ عَبْدِ المَجِيدِ الهَرَوِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ السَّمَرْقَنْدِيُّ، عن مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنِ الكَلْبِيِّ، عن أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ يَقُولُ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: أَمْتَنِعُ، وَيُقَالُ أَسْتَعِيذُ). [تنوير المقباس: ٦٠٤] (م)

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (أَعْتَصِمُ بهِ؛ أيْ: أَسْأَلُهُ أَنْ يَكُونَ عَاصِماً لِي مِنَ العَدُوِّ أَنْ يُوقِعَنِي في المَهَالِكِ). [نظم الدرر: ٨/٦١٢]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (﴿أَعُوذُ﴾ أيْ: أَعْتَصِمُ وأَلْتَجِئُ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/٦١٥]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①﴾، أيْ: أَلتَجِئُ بِمُصْلِحِ النَّاسِ والقَائِمِ بتَدْبِيرِهِ). [مراح لبيد: ٢/٦٨٣]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المصريُّ(ت: ١٣٢٣هـ): (قالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①﴾، أي: أَلجَأُ إليه، وأَسْتَعِينُ به). [تفسير جزء عم: ١٨٨]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①﴾؛ أيْ: أَلجَأُ إليهِ وأَستعينُ بِهِ). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٩]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (الإِيضَاحُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①﴾ أَمَرَ رَسُولَهُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِمَنْ يُرَبِّي النَّاسَ بِنِعَمِهِ، وَيُؤَدِّبُهُمْ بِنِقَمِهِ). [تفسير المراغي: ٣٠/٢٦٩]

(رب الناس)

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبٍ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٣٠٨هـ): (عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عنهما، في قَوْلِهِ عَزَّ وَجلَّ: ﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ ﴿أَعُوذُ﴾ أَمْتَنِعُ وأَعْتَصِمُ وأَسْتَجِيرُ ﴿بِرَبِّ النَّاسِ ①﴾ مُرَبِّيهِمْ وَمُدَبِّرِ أُمُورِهِمْ). [الواضح: ٢/٥٢٨]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (قولُه تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①﴾ يقولُ: أَستعيذُ باللهِ، وخالِقِ الناسِ. ويُقالُ: أَستعيذُ باللهِ الذي هو رازِقُ الخَلْقِ). [بحر العلوم: ٣/٥٢٨]

قالَ مَحْمُودُ بنُ حَمْزَةَ بنِ نَصْرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (قولُهُ تَعَالَى: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ أيْ: باللهِ رَبِّ الناسِ). [غرائب التفسير: ١٤١٥/٢]

قالَ مَحْمُودُ بنُ أَبِي الحَسَنِ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٥٥٥هـ): (﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾: حافِظِهِم ومَلِكِهِم يَمْلِكُ أمْرَهم، وإلَهِهِم لا يَحِقُّ لعِبَادَتِهِم غيرُه). [إيجاز البيان: ٣٤٢/٢]

قالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾: لَمَّا أَمَرَ بالاستعاذةِ مِنْ شَرِّهِمْ أَخْبَرَ أنَّهُ هوَ الذي يُعِيذُ مِنْهُمْ). [تفسير القرآن: ٥١٢/٣]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (قوله تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾. أي: مَالِكِهِمْ ومُصْلِحِ أُمُورِهِم). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٠/٢٠]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾: أيْ: مُرَبِّيهِم ومُصْلِحِهِم). [مدارك التنزيل:٢٠١٥/٣]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وربُّ النَّاسِ: الَّذِي يُرَبِّيهِمْ بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ، وَهُوَ رَبُّ العَالَمِينَ كُلِّهِمْ فَهُوَ الخَالِقُ لِلْجَمِيعِ وَلأَعْمَالِهِمْ). [مجموع الفتاوى:٥١٧/١٧]

قَالَ ابنُ المُلَقِّنِ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٨٠٤هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾. أي: مُرَبِّيهم بنِعَمِه ومُوجِدِهم مِن العَدَمِ). [تفسير غريب القرآن: ٦٠٥]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزَآبادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ الثِّقَةُ ابْنُ المَأْمُونِ الهَرَوِيُّ قالَ: أَخْبَرَنَا أَبِي، قالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ، قال: أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللهِ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَمَّارُ بْنُ عَبْدِ المَجِيدِ الهَرَوِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ السَّمَرْقَنْدِيُّ، عن مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنِ الكَلْبِيِّ، عن أَبِي صَالحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ بِسَيِّدِ الجِنِّ وَالإِنْسِ). [تنوير المقباس: ٦٠٤]

قالَ جَلالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ المَحَلِّيُّ (ت: ٨٦٤هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ خَالِقِهِم وَمَالِكِهِم). [تفسير الجلالين: ٦٠٤]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (ومعنى ﴿رَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ مَالِكُهُمْ، وَمُصْلِحُ أُمُورِهِمْ). [اللباب: ٥٧٦/٢٠]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (قَالَ المَلَّوِيُّ: وَالربُّ مَنْ لهُ مِلْكُ الرقِّ وَجَلْبُ الخيراتِ مِنَ السماءِ وَالأرضِ وَإِبْقَاؤُهَا، وَدَفْعُ الشُّرُورِ وَرَفْعُهَا، وَالنقلُ مِنَ النقصِ إِلى الكمالِ وَالتدبيرُ العامُّ العائِدُ بالحفظِ، وَالتتميمُ على المَرْبُوبِ، وَخَصَّ الإضافةَ بالمُزَلْزَلِينَ المُضْطَرِبِينَ في الأبدانِ والأَدْيانِ مِن الإنسِ والجانِّ، لِخُصُوصِ المُستعاذِ منه، وهو الأَضْرَارُ التي تَعْرِضُ للنفوسِ العاقلةِ وَتَخُصُّهَا بخلافِ ما في الفلقِ، فَإِنَّهُ المَضَارُّ البَدَنِيَّةُ التي تَعُمُّ الإنسانَ وَغَيْرَهُ). [نظم الدرر: ٦١٢/٨]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (﴿بِرَبِّ﴾ أيْ: مالكِ وخالقِ ﴿ٱلنَّاسِ﴾). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٥]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (قَالَ المَلَّوِيُّ: والرَّبُّ مَن لَهُ مُلْكُ الرِّقِّ، وجلْبُ الخيراتِ منَ السَّماءِ والأرضِ وإنقاذُها، ودفعُ الشُّرورِ ورفعُها، والنَّقلُ منَ النَّقصِ إلى الكمالِ والتَّدبيرِ العامِّ العائِدِ بالحفظِ والتَّتميمِ على المربوبِ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٥]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾ ؛ أَيْ: مَالِكِ أُمُورِهِمْ وَمُرَبِّيهِمْ بِإِفَاضَةِ مَا يُصْلِحُهُم وَدَفْعِ مَا يَضُرُّهُم). [إرشاد العقل السليم: ٧/ ٢١٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَمَعْنَى (رَبِّ النَّاسِ) مَالِكُ أَمْرِهِمْ وَمُصْلِحُ أَحْوَالِهِمْ). [فتح القدير: ٥/ ٧٦٢]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾ أي: مالِكِ أُمورِهم ومُرَبِّيهِم بإفاضةِ ما يُصْلِحُهم ودَفْعِ ما يَضُرُّهم). [روح المعاني: ٢٩/ ٢٨٥]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وَالْمَعْنَى: مَالِكِ أَمْرِهِمْ وَمُرَبِّيهِم وَمُصْلِح أَحْوَالِهِمْ). [فتح البيان: ١٥/ ٤٦٥]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾، أيْ: ألتَجِئُ بِمُصْلِحِ النَّاسِ والقَائِمِ بتَدْبِيرِهِ). [مراح لبيد: ٢/ ٦٨٣]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المصريُّ(ت: ١٣٢٣هـ): (ورَبُّ النَّاسِ الَّذي يُرَبِّيهم بالنِّعَمِ ويُؤَدِّبُهم بالنِّقَمِ). [تفسير جزء عم: ١٨٨]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (ورَبُّ الناسِ الذي يُرَبِّيهِمْ بِقُدْرَتِهِ ومَشيئَتِهِ وتدبيرِهِ، وهوَ ربُّ العالمينَ كلِّهم، والخالقُ للجميعِ). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٩]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (شَرْحُ المُفْرَدَاتِ: رَبِّ النَّاسِ: أَيْ مُرَبِّيهِمْ وَمُنَمِّيهِمْ وَمُرَاعِي شُؤُونِهِمْ). [تفسير المراغي: ٣٠/ ٢٦٩]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (الإِيضَاحُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾ أَمَرَ رَسُولَهُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِمَنْ يُرَبِّي النَّاسَ بِنِعَمِهِ، وَيُؤَدِّبُهُمْ بِنِقَمِهِ). [تفسير المراغي: ٣٠/ ٢٦٩] (م)

قالَ مُحَمَّدُ بنُ سُلَيْمَانَ الأَشْقَرُ (ت:١٤٣٠هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ①﴾ رَبُّ النَّاسِ هُوَ اللَّهُ خَالِقُهُمْ وَمُدَبِّرُ أَمْرِهِمْ وَمُصْلِحُ أَحْوَالِهِمْ). [زبدة التفسير: ٦٠٤]

(ملك الناس)

قَالَ عَبْدُ الخَالِقِ بْنُ الحَسَنِ ابنُ أَبِي رُوبَا (ت:٣٥٦ هـ): حدَّثَنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ ثابِتٍ الثَّورِيُّ عن أَبِيه عن الهُذَيْلِ بنِ حَبِيبٍ عنْ مُقَاتِلِ بنِ سُلَيْمَانَ البلخيِّ (ت:١٥٠هـ): (هُوَ ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ②﴾ يَمْلِكُهُمْ في بَرِّهِمْ وبَحْرِهِمْ، وفَاجِرَهُمْ وصالِحَهُمْ وطالِحَهُمْ). [تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٥٣٩]

قالَ الأَخْفَشُ سَعِيدُ بْنُ مَسْعَدَةَ البَلْخِيُّ (ت: ٢١٥هـ): (وقالَ: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ ﴾ تقولُ: مَلِكٌ بَيِّنُ المُلْكِ، الميمُ مضمومةٌ، وتقولُ: مالِكٌ بَيِّنُ المَلْكِ والمِلْكِ بفتحِ الميمِ وبكسرِها، وزَعَمُوا أنَّ ضمَّ الميمِ لغةٌ في هذا المعنى). [معاني القرآن: ٢/٥٥٠]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ ﴾ وهو مَلِكُ جميعِ الخَلْقِ؛ إِنْسِهم وجِنِّهم، وغيرِ ذلك؛ إعلاماً مِنه بذلك مَن كانَ يُعَظِّمُ الناسَ تَعظيمَ المؤمنين ربَّهم، أنَّه مَلِكُ مَن يُعَظِّمُه، وأن ذلك في مُلْكِهِ وسُلْطَانِهِ، تَجْرِي عليه قُدْرَتُه، وأنه أوْلَى بالتعظيمِ، وأحقُّ بالتعبُّدِ له مِمَّنْ يُعَظِّمُهُ، ويَتَعَبَّدُ له، مِن غيرِه مِن الناسِ). [جامع البيان: ٢٤/٧٥٣]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (ثم قالَ عزَّ وجلَّ: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ ﴾. يعني: خالِقَ الناسِ ومالِكَهُم، وله نَفاذُ الأمْرِ والمُلْكُ فيهم). [بحر العلوم: ٣/٥٢٨]

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ ﴾؛ لأنَّ في الناسِ مُلُوكاً، فذَكَرَ أنَّه مَلِكُهُم، وفي الناسِ مَن يَعْبُدُ غيرَه فذَكَرَ أنَّه إِلَهُهُمْ ومَعْبُودُهُمْ). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٨] (م)

قَالَ أبو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (ولَمَّا كانَ في الناسِ مُلوكٌ قالَ تعالى: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ ﴾). [زاد المسير: ٩/٢٧٧]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ ﴾: مَالِكِهِم ومُدَبِّرِ أُمورِهِم). [مدارك التنزيل:٣/٢٠١٥]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ ﴾ الَّذِي يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ فَإِنَّ المَلِكَ يَتَصَرَّفُ بالكَلامِ، وَالجَمَادُ لا مُلْكَ لَهُ؛ فَإِنَّهُ لا يَعْقِلُ الخِطَابَ لَكِنْ لَهُ مَالِكٌ، وَإِنَّمَا يَكُونُ المُلْكُ لِمَنْ يُفْهَمُ عَنْهُ، وَالحَيَوَانُ يَفْهَمُ بَعْضُهُ عَنْ بَعْضٍ كَمَا قَالَ: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾، ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ﴾ [النمل: ١٦، ١٨] فَلِهَذَا كَانَ لَهُ مَلِكٌ مِنْ جِنْسِهِ وَمِنْ غَيْرِ جِنْسِهِ كَمَا كَانَ سُلَيْمَانُ مَلِكَهُمْ). [مجموع الفتاوى:١٧/٥١٧]

قَالَ ابْنُ المُلَقِّنِ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٨٠٤هـ): (﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ ﴾: أي: قادِرٍ على تَدْبِيرِ مُلْكِهِم وأُمورِهم الحاكِمِ فيهم في الدنيا والآخرةِ). [تفسير غريب القرآن: ٦٠٥]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزَآبَادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ الثِّقَةُ ابْنُ المَأْمُونِ الهَرَوِيُّ قالَ: أَخْبَرَنَا أَبِي، قالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ، قال: أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللهِ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَمَّارُ بْنُ عَبْدِ المَجِيدِ الهَرَوِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ السَّمَرْقَنْدِيُّ، عن مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنِ الكَلْبِيِّ، عن أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ ﴾ مَالِكِ الجِنِّ وَالإِنْسِ). [تنوير المقباس: ٦٠٤]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ لأَنَّ في النَّاسِ مُلُوكًا فذَكَرَ أَنَّهُ مَلِكُهُمْ، وفي النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ غَيْرَهُ، فذَكَرَ أَنَّهُ إِلَهُهُمْ، وَمَعْبُودُهُمْ، وأنه الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُسْتَعَاذَ بِهِ وَيُلْجَأَ إِلَيْهِ دُونَ المُلُوكِ والعُظَمَاءِ). [اللباب: ٢٠/٥٧٦]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المصريُّ(ت: ١٣٢٣هـ): (﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ الَّذي يَحْكُمُهم ويَضْبِطُ أَعْمالَهم، ويُدَبِّرُ قُواهُم، ويَضَعُ لهم الشَّرائِعَ، ويُحَدِّدُ لهمُ الحُدودَ العامَّةَ التي لا يُباحُ لهمُ الخُروجُ عنها). [تفسير جزء عم: ١٨٨]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾؛ أي: الذي يُنْفِذُ فيهم أَمْرَهُ وحُكْمَهُ وقضاءَهُ ومَشيئَتَهُ دُونَ غيرِهِ). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٩]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ أَيْ مَالِكِهُمْ وَمُدَبِّرِ أُمُورِهِمْ، وَوَاضِعِ الشَّرَائِعِ والأَحْكَامِ الَّتِي فِيهَا سَعَادَتُهُمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ). [تفسير المراغي: ٣٠/٢٧٠]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ سُلَيْمَانَ الأَشْقَرُ (ت:١٤٣٠هـ): (﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾: لَهُ المُلْكُ الكَامِلُ وَالسلطانُ القاهِرُ). [زبدة التفسير: ٦٠٤]

(إله الناس)

قَالَ عَبْدُ الخَالِقِ بْنُ الحَسَنِ ابنُ أَبِي رُوبَا (ت:٣٥٦ هـ): حدَّثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ ثابِتٍ الثَّورِيُّ عن أَبِيه عن الهُذَيْلِ بنِ حَبِيبٍ عنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ البلخيِّ (ت:١٥٠هـ): (وهوَ ﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ كُلِّهِمْ). [تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٣٩]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبٍ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٣٠٨هـ): (﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ مَعْبُودِهِمُ الحَقِّ الإِنْسِ وَالجِنِّ). [الواضح: ٢/٥٢٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (وقولُه: ﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ يقولُ: مَعْبودِ الناسِ، الذي له العِبَادَةُ دونَ كلِّ شيءٍ سِوَاه). [جامع البيان: ٢٤/٧٥٣]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (ثم قالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾. يعني: خالِقَ الناسِ ومُعْطِيَهُم ومَانِعَهُم). [بحر العلوم: ٣/٥٢٨]

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾؛ لأَنَّ في الناسِ مُلُوكاً، فذَكَرَ أَنَّه مَلِكُهُم، وفي الناسِ مَن يَعْبُدُ غيرَه فذَكَرَ أَنَّه إِلَهُهُمْ ومَعْبُودُهُمْ). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٨]

قَالَ أبو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (ولَمَّا كانَ فيهم مَنْ يَعْبُدُ غيرَهُ قالَ تعالى: ﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾). [زاد المسير: ٩/٢٧٧- ٢٧٨]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وإنما قال: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾. لأنَّ في الناسِ مُلوكًا يَذْكُرُ أنَّه مَلِكُهُم. وفي الناسِ مَن يَعْبُدُ غَيْرَه، فذَكَرَ أنه إلَهُهُم ومَعْبُودُهُم، وأنَّه الذي يَجِبُ أنْ يُسْتَعَاذَ بِهِ ويُلْجَأَ إليه، دونَ الملوكِ والعُظَمَاءِ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٦١]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾: مَعْبُودِهم). [مدارك التنزيل:٣/٢٠١٥]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وَالإِلَهُ: هُوَ المَعْبُودُ الَّذِي هُوَ المَقْصُودُ بالإِرَادَاتِ وَالأَعْمَالِ كُلِّهَا كَمَا قَدْ بُسِطَ الكَلامُ عَلَى ذَلِكَ). [مجموع الفتاوى:١٧/٥١٧]

قَالَ ابْنُ المُلَقِّنِ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٨٠٤هـ): (﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾. أي: مَعْبُودِهم الذي لا يَسْتَحِقُّ العبادَةَ إلاَّ هو، المُنْفَرِدِ بأوصافِ الإلَهِيَّةِ). [تفسير غريب القرآن: ٦٠٥]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزَآبادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ الثِّقَةُ ابْنُ المَأْمُونِ الهَرَوِيُّ قالَ: أَخْبَرَنَا أَبِي، قالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ، قال: أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللهِ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَمَّارُ بْنُ عَبْدِ المَجِيدِ الهَرَوِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ السَّمَرْقَنْدِيُّ، عن مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنِ الكَلْبِيِّ، عن أَبِي صَالحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ خَالِقِ الجِنِّ وَالإِنْسِ). [تنوير المقباس: ٦٠٤]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ لأَنَّ في النَّاسِ مُلُوكًا فذَكَرَ أَنَّهُ مَلِكُهُمْ، وفي النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ غَيْرَهُ، فذَكَرَ أَنَّهُ إِلَهُهُمْ، وَمَعْبُودُهُمْ، وأنه الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُسْتَعَاذَ بِهِ وَيُلْجَأَ إِلَيْهِ دُونَ المُلُوكِ والعُظَمَاءِ). [اللباب: ٢٠/٥٧٦] (م)

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ إشارةٌ إلى أنَّهُ تَعَالَى كما انْفَرَدَ بِرُبُوبِيَّتِهِمْ ومِلْكِهِم لمْ يشْرَكْهُ في ذلكَ أحدٌ فكذلكَ هوَ وحدَهُ إلهُهُم لا يَشْرَكُه في أُلوهِيَّتِهِ أحدٌ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٥]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المصريُّ(ت: ١٣٢٣هـ): (﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ المُسْتَوْلِي على قُلُوبِهم بعظَمَتِهِ، فلا يُحِيطُونَ بكُنْهِ سُلْطَتِهِ وإِنَّمَا يَخْشَعونَ لها، يُحِيطُ بنَواحِي قُلُوبِهم، ولا يَدْرونَ من أيِّ جانِبٍ يَأتِيهم، فهو مَعْبودُهُمُ الحَقُّ، ومَلاذُهم إذا ضاقَ بهمُ الأَمْرُ، وإِنَّمَا خَصَّ هذهِ الصِّفَاتِ صِفاتِ الأُلوهِيَّةِ بالإضافَةِ إلى النَّاسِ معَ أنَّ اللهَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، ومَلِكُ كُلِّ شَيْءٍ، وإِلَهُ كُلِّ شَيْءٍ؛ لأنَّ النَّاسَ همُ الَّذينَ وَهَموا في صِفاتِهِ وضَلُّوا فيها عن حَقِيقَةِ مَعانِيها، فجَعَلوا لهم أَرْبابًا يَنْسُبونَ إليهم بَعْضَ النِّعَمِ أو كُلَّها، ويَلْجَئُونَ إليهم في اسْتِدْرارِها ولَقَّبُوهُم بالشُّفَعاءِ، وهمُ الَّذينَ تَخَيَّلوا لهم مُلُوكًا رَوْحانِيِّينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم همُ الَّذينَ يُدَبِّرونَ حَرَكاتِهِم، وهمُ الَّذينَ يَرْسُمونَ لهم حُدودَ أَعْمالِهِم بما يُأْثُرونَ عنهم من أَقْوالِهِم، فيُعْرِضونَ عن كِتابِ اللهِ إلى كُتُبِهم، ورُبَّما ضَيَّعوا الكُتُبَ الإِلَهِيَّةَ فمُحِيَ أَثَرُها اكْتِفاءً بما يَبْقَى في أَيْدِيهِم من مُبْتَدَعاتِ أولئكَ الرُّؤساءِ، ثُمَّ إِنَّهُم لذلك يَجِدُونَ في أَنْفُسِهِم خَشْيَةً لرُؤسائِهِم هؤلاءِ، ويُخَيِّلونَ لهم منها سُلْطَةً رَوْحِيَّةً، فيَخْنَعونَ لهم خُنوعَهم للسُّلْطانِ الإِلَهِيِّ،

ولذلك عُدُّوا آلِهَةً لهم، سَواءٌ لقَّبُوهم بهذا اللَّقَبِ أم لم يُلَقِّبوهم به، فالنَّاسُ همُ الَّذينَ اختَرعُوا بأوْهامِهم هؤلاءِ الأَرْبابَ والمُلوكَ والآلِهَةَ، فلذلكَ خَصَّهم بالذِّكْرِ، أمَّا ما يُقالُ عَنِ الجِنِّ من أَنَّهُم فَعلوا مِثْلَ النَّاسِ، فذلك مِمَّا لا يَظْهَرُ للنَّاسِ، ولهذا لم يَعْتَبِرْهم). [تفسير جزء عم: ١٨٨- ١٨٩]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾؛ أيْ: مَعبودِهم الحقِّ، ومَلاذِهِم إذا ضاقَ بهم الأَمْرُ، دُونَ كلِّ شيءٍ سِواهُ، والإلهُ المعبودُ الذي هوَ المقصودُ بالإراداتِ والأعمالِ كُلِّها). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٩]

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ أَيْ المُسْتَوْلِي عَلَى قُلُوبِهِمْ بِعَظَمَتِهِ، وَهُمْ لا يُحِيطُونَ بِكُنْهِ سُلْطَانِهِ، بَل يَخْضَعُونَ بِمَا يُحِيطُ مِنْهَا بِنَوَاحِي قُلُوبِهِمْ، ولا يَدْرُونَ مِنْ أَيِّ جَانِبٍ يَأْتِيهِمْ، ولا كَيْفَ يُسَلَّطُ عَلَيْهِمْ). [تفسير المراغي: ٣٠/٢٧٠]

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾؛ أيْ: مَأْلُوهِهِمْ ومَعْبودِهم، وهو ما خَلَقَهم إليه[1]؛ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٥٦]

قالَ عَطِيَّةُ مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ هذه هي المَرْتَبَةُ الثالثةُ في كَمالِ العُبُودِيَّةِ، وإفرادِ اللَّهِ تعالى بالأُلُوهِيَّةِ). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٥٩] (م)

قالَ مُحَمَّدُ بنُ سُلَيْمَانَ الأَشْقَرُ (ت:١٤٣٠هـ): (﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾؛ أَيْ: مَعْبُودِهِمْ؛ فَإِنَّ المَلِكَ قَدْ يَكُونُ إِلَهاً، وَقَدْ لا يَكُونُ، فَبَيَّنَ أَنَّ اسْمَ الإِلَهِ خَاصٌّ بِهِ، لا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ). [زبدة التفسير: ٦٠٤]

فائدة عطف صفة الملك والألوهية على الربوبية

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (فإنْ قُلْتَ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ ما هما مِن (رَبِّ النَّاسِ)؟ قلتُ: هما عطفُ بيانٍ؛ كقولِكَ: سِيرَةُ أبي حَفْصٍ عُمَرَ الفَارُوقِ. بُيِّنَ بـ ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾، ثُمَّ زِيدَ بَيَاناً بـ ﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾؛ لأنه قَدْ يُقَالُ لغيره: ربُّ الناسِ. كقولِه: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. وقد يُقالُ: مَلِكُ الناسِ. وأمَّا (إِلَهُ النَّاسِ) فخاصٌّ، لا شِرْكَةَ فيه، فجُعِلَ غايةً للبَيَانِ). [الكشاف: ٦/٤٦٨]

- **قلت:** (سبق نقل كلامه وكلام من نقل عنه في قسم الإعراب فراجعه إن شئت)

قالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (ولَمَّا كانَ (الربُّ) (المَلِكُ) مُتَقَارِبَيْنِ في المفهومِ، وكانَ الربُّ أَقْرَبَ في المفهومِ إلى اللُّطْفِ وَالتَّرْبِيَةِ وكانَ المَلِكُ للقَهْرِ وَالاستيلاءِ وَإِظْهَارِ العدلِ ألزَمَ، وكانَ الربُّ قدْ لا يَكُونُ مَلِكاً فلا يَكُونُ كاملَ التَّصَرُّفِ اقْتَضَت البلاغةُ تَقْدِيمَ الأوَّلِ وَإِتْبَاعَهُ الثانيَ، فَقَالَ تَعالَى: ﴿مَلِكِ

---

(١) لعل الصواب: (خلقهم له).

﴿ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ إشارةً إلى أنَّ لهُ كَمَالَ التَّصَرُّفِ وَنُفُوذَ القدرةِ وَتَمَامَ السلطانِ، وَإليهِ المَفْزَعَ، وَهُوَ المستعانُ وَالمُسْتَغَاثُ وَالمَلْجأُ وَالمَعَادُ). [نظم الدرر: ٦١٢/٨]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَلَمَّا كانَ المَلِكُ قدْ لا يَكُونُ إلهاً، وَكانت الإلهيَّةُ خَاصَّةً لا تَقْبَلُ شِرْكاً أَصْلاً بِخِلافِ غَيْرِهَا، أُنْهِيَ الأمرُ إليها وَجُعِلَتْ غَايَةَ البَيَانِ، فَقَالَ: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ إشارةً إلى أَنَّهُ كَمَا انْفَرَدَ بِرُبُوبِيَّتِهِمْ وَمُلْكِهِمْ لَمْ يَشْرَكْهُ في ذلكَ أَحَدٌ، فَكَذَلِكَ هوَ وَحْدَهُ إلَهُهُمْ لا يَشْرَكُهُ في إِلَهِيَّتِهِ أَحَدٌ، وَهذهِ دَائِماً طريقةُ القرآنِ يَحْتَجُّ عليهم بإقرارِهِم بتوحيدِهِم لهُ في الربوبيَّةِ وَالمُلْكِ على ما أَنْكَرُوهُ مِنْ توحيدِ الإلهيَّةِ وَالعبادةِ، فَمَنْ كانَ رَبَّهُم وَمَلِكَهُمْ فَهُم جَدِيرُونَ بأنْ لا يَتَأَلَّهُوا سِوَاهُ وَلا يَسْتَعِيذُوا بِغَيْرِهِ كما أَنَّ أَحَدَهُم إذا دَهَمَهُ أَمْرٌ اسْتَعَاذَ بِوَلِيِّهِ مِنْ أبناءِ جِنْسِهِ وَاسْتَغَاثَ بهِ، وَالإِلَهُ مَنْ ظَهَرَ بلطيفِ صنائِعِهِ التي أَفَادَهَا مَفْهُومُ الربِّ وَالمَلِكِ في قُلُوبِ العِبَادِ.

فَأَحَبُّوهُ وَاسْتَأْنَسُوا بهِ، وَلَجَؤُوا إليهِ في جميعِ أُمُورِهِمْ، وَبَطَنَ احْتِجَاباً بِكِبْرِيَائِهِ عَنْ أنْ يُحَاطَ بهِ أَوْ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ أَوْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ فَهَابَتْهُ العِبَادُ، وَدَعَاهُمُ الحُبُّ إلى الوَلَهِ شَوْقاً إلى لِقَائِهِ، وَزَجَرَتْهُمُ الهيبةُ فَجَزِعُوا خَوْفاً مِنْ طَرْدِهِ لَهُم عَنْ فِنَائِهِ، وَكَرَّرَ الاسمَ الظاهرَ دونَ أنْ يُضْمِرَ فَيَقُولَ مَثَلاً: (مَلِكِهِمْ، إِلَهِهِمْ).

تَحْقِيقاً لهذا المعنَى وَتَقْوِيَةً لَهُ بإعادةِ اسْمِهِمُ الدالِّ على شِدَّةِ الاضطرابِ المُقْتَضِي للحاجةِ عندَ كلِّ اسْمٍ مِنْ أسمائِهِ الدالِّ على الكمالِ المُقْتَضِي للغِنَى المُطْلَقِ وَدَلالةً على أَنَّهُ حَقِيقٌ بالإعادةِ قَادِرٌ عليها؛ لِبَيَانِ أَنَّهُ المُتَصَرِّفُ فيهم مِنْ جميعِ الجِهَاتِ وَبَيَاناً لشَرَفِ الإنسانِ وَمَزِيدُ الاعْتِمَادِ بِمَزِيدِ البيانِ، وَلِئَلاَّ يُظَنَّ أنَّ شَيْئاً مِنْ هذهِ الأسماءِ يَتَقَيَّدُ بِمَا أُضِيفَ إليهِ الذي قَبْلَهُ مِنْ ذلكَ الوَجْهِ؛ لأنَّ الضميرَ إذا أُعِيدَ كَانَ المرادُ بهِ عينَ ما عَادَ إليهِ، فَأُشِيرَ بالإظهارِ إلى أنَّ كُلَّ صِفَةٍ منها عامَّةٌ غَيْرُ مُقَيَّدَةٍ بِشَيْءٍ أَصْلاً، وَانْدَرَجَ في هذهِ الاستعاذةِ جَمِيعُ وُجُوهِ الاستعاذاتِ مِنْ جميعِ وُجُوهِ التربيةِ وَجَمِيعِ الوُجُوهِ المَنْسُوبَةِ إلى المُسْتَعِيذِ مِنْ جهةِ أَنَّهُ في قَهْرِ المُلْكِ، بالضَّمِّ، وَجَمِيعِ الوُجُوهِ المنسوبةِ إلى الإلهيَّةِ لِئَلاَّ يَقَعَ خَلَلٌ في وَجهٍ مِنْ تلكَ الوُجُوهِ تَنْزِيلاً لاختلافِ الصفاتِ مَنْزِلَةَ اخْتِلافِ الذاتِ إِشْعَاراً بِعِظَمِ الآفةِ المُسْتَعَاذِ مِنْهَا، وَلَمْ يَعْطِفْ بالواوِ لِمَا فيها مِنَ الإيذانِ بالمُغَايَرَةِ.

وَالمقصودُ الاستعاذةُ بِمَجْمُوعِ هذهِ الصفاتِ الواقعةِ على ذاتٍ وَاحدةٍ، حتَّى كأنَّها صِفَةٌ وَاحِدَةٌ، وَقَدَّمَ الرُّبُوبِيَّةَ لِعُمُومِهَا وَشُمُولِهَا لِكُلِّ مَرْبُوبٍ على حَدٍّ سَوَاءٍ، فلا فِعْلَ لأحدٍ إلاَّ وهوَ خَلَقَهُ سبحانَهُ وَتعالى، وَهوَ الباعِثُ عَلَيْهِ، وَأَخَّرَ الإلهيَّةَ لِخُصُوصِهَا؛ لأنَّ مَنْ لَمْ يَتَقَيَّدْ بِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، فَقَدْ أَخْرَجَ نَفْسَهُ مِنْ أنْ يَجْعَلَهُ إِلَهَهُ، وَإنْ كانَ في الحقيقةِ لا إِلَهَ سِوَاهُ.

وَوَسَّطَ صفةَ المُلْكِ؛ لأنَّ المَلِكَ هوَ المُتَصَرِّفُ بالأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَمُلْكُهُ لَهُم تَابِعٌ لِخَلْقِهِ إِيَّاهُم، فَمُلْكُهُ مِنْ كَمَالِ رُبُوبِيَّتِهِ وَكَوْنُهُ إِلَهَهُم الحَقَّ مِنْ كمالِ مُلْكِهِ، فَرُبُوبِيَّتُهُ تَسْتَلْزِمُ مُلْكَهُ وَتَقْتَضِيهِ، وَمُلْكُهُ يَسْتَلْزِمُ إِلَهِيَّتَهُ وَيَقْتَضِيهَا، وَقَدِ اشْتَمَلَتْ هذهِ الإضافاتُ الثلاثُ على جميعِ قواعدِ الإيمانِ، وَتَضَمَّنَتْ مَعَانِي أَسْمَائِهِ الحُسْنَى، فإنَّ الربَّ

هوَ القادرُ، الخالِقُ، إلى غيرِ ذلكَ مِمَّا يَتوقَّفُ الإصلاحُ وَالرحمةُ وَالقدرةُ التيَ هيَ معنَى الربوبيَّةِ عَلَيْهِ مِنْ أَوْصَافِ الجمالِ، وَالمَلِكُ هوَ الآمِرُ النَّاهِي المُعِزُّ المُذِلُّ إلى غيرِ ذلكَ مِنَ الأسماءِ العائدةِ إلى العظمةِ وَالجلالِ.

وَأَمَّا الإلَهُ فهوَ الجَامِعُ لِجَمِيعِ صفاتِ الكمالِ وَنُعُوتِ الجلالِ، فَيَدْخُلُ فيهِ جميعُ الأسماءِ الحُسْنَى، فَلِتَضَمُّنِهَا جَمِيعَ مَعَانِي الأسماءِ كانَ المُسْتَعِيذُ جَديراً بأنْ يَعُوذَ، وَقدْ وَقَعَ تَرْتِيبُهَا على الوجهِ الأكملِ الدالِّ على الوَحْدَانِيَّةِ؛ لأنَّ مَنْ رَأَى ما عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ الظاهرةِ وَالباطنةِ عَلِمَ أنَّ لهُ مُرَبِّياً، فإذا تَغَلْغَلَ في العُرُوجِ في دَرَجِ مَعَارِفِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلِمَ أَنَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الكلِّ، وَالكُلُّ إليهِ مُحْتَاجٌ، وَعَنْ أَمْرِهِ تَجْرِي أُمُورُهُم، فَيَعْلَمُ أَنَّهُ مَلِكُهُم، ثمَّ يَعْلَمُ بِانْفِرَادِهِ بِتَدْبِيرِهِمْ بَعْدَ إِبْدَاعِهِم أَنَّهُ المُسْتَحِقُّ للإلهيَّةِ بلا مُشَارِكٍ لَهُ فيها، فقدْ أَجْمَعَ القُرَّاءُ في هذهِ السورةِ على إسقاطِ الألفِ مِنْ ﴿مَلِكِ﴾ بخلافِ الفاتِحَةِ كما مَضَى؛ لأنَّ المَلِكَ إذَا أُضِيفَ إلى (اليَوْمِ) أَفْهَمَ اخْتِصَاصَهُ بِجَمِيعِ مَا فيهِ مِنْ جَوْهَرٍ وَعَرَضٍ، وَأَنَّهُ لا أَمْرَ لأحدٍ مَعَهُ، وَلا مُشَارَكَةَ في شيءٍ مِنْ ذلكَ، وَهوَ مَعْنَى المُلْكِ - بالضَّمِّ، وَأَمَّا إضافَةُ المَالِكِ إلى الناسِ فَإِنَّهَا تَسْتَلْزِمُ أنْ يَكُونَ مَلِكَهُم.

فلوْ قُرِئَ بِهِ هُنَا لَنَقَصَ المَعْنَى، وَأَطْبَقُوا في آلِ عِمْرَانَ على إثباتِ الألفِ في المضافِ وَحَذْفِهَا مِنَ المضافِ إليهِ؛ لأنَّ المقصودَ بالسياقِ أَنَّهُ سبحانَهُ وَتعالى يُعْطِي المُلْكَ مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُهُ مَنْ يَشَاءُ، وَالمِلْكُ - بكسرِ الميمِ - أَلْيَقُ بهذا المعنَى، وَأسرارُ كلامِ اللَّهِ سبحانَهُ وتعالى أعظمُ مِنْ أنْ تُحِيطَ بها العقولُ، وَإِنَّمَا غَايَةُ أُولِي العلمِ الاستدلالُ بما ظَهَرَ منها على ما وَرَاءَهُ، وَإِنَّ بَادِيَهُ إلى الخَافِي يُشِيرُ). [نظم الدرر: ٨/٦١٣- ٦١٤]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ إشارةٌ إلى أَنَّهُ لهُ كمالُ التَّصرُّفِ ونفوذُ القُدرةِ وتمامُ السُّلطانِ فإليهِ الفزعُ وهوَ المستغاثُ والملجأُ والمَنْجى والمعادُ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٥]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ عَطْفُ بَيَانٍ، جِيءَ بِهِ لِبَيَانِ أَنَّ تَرْبِيَتَهُ تَعَالَى إِيَّاهُمْ لَيْسَتْ بطريقِ تربيَةِ سَائِرِ المُلاَّكِ لِمَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ مَمَالِيكِهِمْ، بَلْ بطريقِ المُلْكِ الكامِلِ والتَّصرُّفِ الكُلِّيِّ وَالسُّلْطَانِ القَاهِرِ.

وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾؛ فَإِنَّهُ لبيانِ أَنَّ مُلْكَهُ تَعَالَى لَيْسَ بِمُجَرَّدِ الاستيلاءِ عَلَيْهِمْ والقيامِ بِتَدْبِيرِ أُمُورِهِمْ وَسِيَاسَتِهِم والتَّوَلِّي لِتَرْتِيبِ مَبَادِئِ حِفْظِهِم وَحِمَايَتِهِمْ كَمَا هُوَ قُصَارَى أَمْرِ المُلُوكِ، بَلْ هُوَ بطريقِ المعبودِيَّةِ المُؤَسَّسَةِ عَلَى الألوهيَّةِ المُقْتَضِيَةِ للقدرةِ التَّامَّةِ عَلَى التَّصَرُّفِ الكُلِّيِّ فِيهِمْ إحياءً وإماتةً وَإيجاداً وَإِعْدَاماً). [إرشاد العقل السليم: ٧/٢١٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَقولُهُ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ عَطْفُ بيانٍ جِيءَ بهِ لبيانِ أنَّ رَبِّيَّتَهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَتْ كَرَبِّيَّةِ سائرِ المُلاَّكِ؛ لِمَا تَحْتَ أَيْدِيهِم مِنْ مَمَالِيكِهِمْ، بلْ بطريقِ الملكِ الكاملِ وَالسلطانِ القاهرِ). [فتح القدير: ٥/٧٦٢]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ ﴾ عطفُ بيانٍ على ما اختارَه الزَّمَخشريُّ جيءَ به لبيانِ أنَّ تَربيتَه تعالى إيَّاهمْ ليست بطريقِ تَربيةِ سائرِ المُلاَّكِ لِمَا تحتَ أيديهم مِن مَماليكِهم، بل بطريقِ المُلْكِ الكاملِ والتصرُّفِ الكُلِّيِّ والسلطانِ القاهرِ، وكذا قولُه تعالى: ﴿ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ ﴾ فإنه لبيانِ أنَّ مُلْكَه تعالى ليس بِمُجَرَّدِ الاستيلاءِ عليهم والقيامِ بتدبيرِ أمورِ سياستِهم والتَّوَلِّي لترتيبِ مَبادئِ حِفْظِهم وحِمايتِه كما هو قُصَارَى أَمْرِ الملوكِ، بل هو بطريقِ المَعبوديَّةِ المؤسَّسَةِ على الأُلوهيَّةِ المُقتضيةِ للقُدرةِ التامَّةِ على التصرُّفِ الكُلِّيِّ فيهم إحياءً وإماتةً وإيجادًا وإعدامًا، وجُوِّزَت البَدَلِيَّةُ أيضًا، وأنتَ تَعلمُ أنه لا مانِعَ منه عَقلاً، ثم ما هنا وإن لم يكنْ جامِدًا فهو في حُكمِه، ولعلَّ الجَزالةَ دَعَتْ إلى اختيارِه). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٥]

قالَ مُحمَّد صِدِّيق حَسَن خان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وقولُهُ: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ ﴾. عَطْفُ بَيَانٍ جِيءَ بهِ لِبَيَانِ أنَّ رُتْبَتَهُ سُبْحَانَهُ لَيْستْ كَرُتْبَةِ سَائِرِ المُلاَّكِ لِمَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ مَمَالِيكِهِم، بلْ بطريقِ المُلْكِ الكاملِ والسلطانِ القاهرِ). [فتح البيان: ١٥/٤٦٥]

قالَ مُحمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ ﴾ عَطْفُ بَيَانٍ، جِيءَ بِهِ لِبَيَانِ أَنَّ تَرْبِيَتَهُ تَعَالَى إِيَّاهُمْ بِطَرِيقِ المُلْكِ الكَامِلِ والتَّصَرُّفِ الكُلِّيِّ لا بطَرِيقِ تَرْبِيَةِ سَائِرِ المُلاَّكِ لمَمَالِيكِهِمْ). [مراح لبيد: ٢/٦٨٣]

سبب تقديم ذكر الربوبية ثم الملك ثم الألوهية

قلت: (سبق في المسألة السابقة، ومسألة التناسب بين سورتي الفلق والناس تتطرق إلى هذه المسألة فراجعه).

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ اللهِ الخَطِيبُ الإِسْكَافِيُّ (ت: ٤٣١هـ): (للسَّائِلِ أَنْ يَسْأَلَ: عَنْ تَكْرِيرِ الناسِ في قَوْلِه في فَوَاصِلِ هذه السُّورَةِ في خَمْسَةِ مَوَاضِعَ، وهي سِتُّ آيَاتٍ قد خُتِمَتْ أَوَاخِرُ خَمْسٍ مِنْهَا بالناسِ، وواحدةٌ بالخَنَّاسِ.

الجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ: أَنْ يُقَالَ: إِنَّمَا اتَّصَفَ اللهُ تَعَالَى أَوَّلاً: (بِربِّ النَّاسِ) ثُمَّ: بِـ (مَلِكِ النَّاسِ)، ثُمَّ: بـ (إِلَهِ النَّاسِ)، لِحِكْمَةٍ دَعَتْ إِلَى ذَلِكَ، أَوْجَبَتْ تَقْدِيمَ الأوَّلِ وتَعْقِيبَهُ بالثَّانِي والثَّالِثِ عَلَى التَّرْتِيبِ الَّذِي جَاءَ؛ لأنَّ رَبَّ الشَّيْءِ هو القائمُ بإِصْلاحِهِ وتَدْبِيرِ أَمْرِه، فنَبَّهَ بِتَقْدِيمِهِ على ما تَرَتَّبَ مِن نِعَمِهِ على الإنسانِ لِمَا أَنْشَأَهُ ورَبَّاهُ، وهذه أُولَى أَحْوَالِهِ.

والثَّانِيَةُ: إِنْعَامُهُ عَلَيْهِ بالعَقْلِ الذي ثَبَتَتْ عَلَيْهِ مَلَكَتُهُ لَهُ، فعَلِمَ أَنَّهُ عَبْدٌ مَمْلُوكٌ، وأَنَّ الَّذِي بَلَغَ بِهِ تِلْكَ الحَالَ مِنْ حَدِّ الطُّفُولِيَّةِ هو الذي يَمْلِكُهُ وأَمْثَالَهُ، فجَعَلَ الوَصْفَ الثَّانِيَ: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ ﴾، ولَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ تَكْلِيفُ العِبَادَاتِ الَّتِي هِيَ حَقُّ اللهِ تَعَالَى عَلَى مَنْ عَرَّفَهُ نَفْسَهُ أَنَّهُ عَبْدٌ مَمْلُوكٌ، وعَرَّفَهُ أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَالِقُهُ، وتَلْزَمُهُ طاعَتُهُ لِيَلْتَزِمَ غايَةَ التَّذَلُّلِ لِمَنْ له أَكْبَرُ الإنعامِ والتَّطَوُّلِ جَعَلَ الوَصْفَ الثَّالِثَ: ﴿ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ ﴾ فصَارَ النَّاسُ الَّذِينَ أُضِيفَ إِلَيْهِمْ: (رَبٌّ) كأَنَّهُمْ غَيْرُ: ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾ الَّذِينَ أُضِيفَ إِلَيْهِمْ: ﴿ مَلِكِ ﴾ والَّذِينَ

أُضِيفَ إِلَيْهِمْ ﴿ مَلِكِ ﴾ غَيْرُ الَّذِينَ أُضِيفَ إِلَيْهِمْ ﴿ إِلَـٰهِ ﴾ وإذا أُرِيدَ بالثانِي غَيْرُ الأَوَّلِ، لم يَكُنْ تَكْرَارًا؛ بَلْ يَكُونُ كَأَنَّهُ قَالَ: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الأَجِنَّةِ والأَطْفَالِ، الَّذِينَ رَبَّهُمْ وَرَبَّاهُمْ وَقْتَ الإنشاءِ والتَّرْبِيَةِ، وحِينَ لم يَقْدِرْ آبَاؤُهُمْ لهم على التَّغْذِيَةِ، وبِمَنْ بَلَغَ بِالوَالِدَيْنِ حَدًّا عَرَفُوهُ فِيهِ بالمَلَكَةِ وأَنْفُسَهُمْ بالعُبُودِيَّةِ، ثُمَّ إِلَهِ المُكَلَّفِينَ المُعَرَّضِينَ لأَكْبَرِ النِّعَمِ، وهُمُ الذين بَلَغُوا وقَامُوا بأَدَاءِ ما كُلِّفُوا، فتَرْتِيبُ الصِّفَاتِ تَنْبِيهٌ على أَنَّ المُرَادَ بالنَّاسِ ذَوُو الأَحْوَالِ المخْتَلِفَةِ فِي الصِّغَرِ والتَّرَعْرُعِ والبُلُوغِ، فسَلِمَ على ذلك مِنَ التَّكْرَارِ، ويَتَضَمَّنُ هَذَا المعنى اللَّطِيفَ الَّذِي دَلَّ عليه تَرْتِيبُ الصِّفَاتِ تَعَالَى اللهُ وكَلامُه عَنِ المَعَابِ، وقَوْلُه: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ فَالمُرَادُ بالناسِ الأَوَّلِ: الأَبْرَارُ، وبالناسِ الثَّانِي: الأَشْرَارُ فكَأَنَ المعنَى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ الأَخْيَارِ مِنَ الجِنِّ، وأَشْرَارِ النَّاسِ، فَقَدْ صَارَ المَعْنِيُّ بِكُلِّ وَاحِدٍ عَلَى صِفَةٍ غَيْرِ الصِّفَةِ المَعْنِيِّ بِالآخَرِ[1]، فكَأَنَّهُ غَيْرُه، وإِنْ كَانَ الجِنْسُ قَدْ جَمَعَ هَذَا كُلَّهُ.

هَذَا آخِرُ ما تَكَلَّمْنَا عَلَيْهِ مِنَ الآياتِ الَّتِي يَقْصِدُ المُلْحِدُونَ التَّطَرُّقَ مِنْهَا إلى عَيْبِها). [درة التنزيل: ٣٧٤- ٣٧٥]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (المسألةُ الثالثةُ: قولُه تعالى: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ هُمَا عَطْفُ بيانٍ، كقَوْلِه: سِيرَةُ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ الفَارُوقِ، فوُصِفَ أَوَّلاً بأَنَّه رَبُّ الناسِ ثُمَّ الرَّبُّ قد يكونُ مَلِكًا، وقد لا يكونُ، كما يُقَالُ: رَبُّ الدَّارِ ورَبُّ المَتَاعِ، قَالَ تَعالَى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] فَلا جَرَمَ بَيَّنَهُ بقَوْلِه: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ ثُمَّ المَلِكُ قَدْ يَكُونُ إِلَهًا وقَدْ لا يَكُونُ، فَلا جَرَمَ بَيَّنَه بقَوْلِه: ﴿ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾؛ لأَنَّ الإلَهَ خَاصٌّ به، وهو سُبْحَانَه لا يُشْرِكُه فيه غَيْرُه.

وأيضًا بَدَأَ بذِكْرِ الرَّبِّ وهو اسْمٌ لِمَن قَامَ بتَدْبِيرِه وإِصْلاحِه، وهو مِن أَوَائِلِ نِعَمِهِ إلى أَنْ رَبَّاهُ وأَعْطَاهُ العَقْلَ فحِينَئِذٍ عَرَفَ بالدَّلِيلِ أَنَّه عَبْدٌ مَمْلُوكٌ وهو مِلْكُه، فثَنَّى بذِكْرِ المَلِكِ، ثُمَّ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ العِبَادَةَ لازِمَةٌ لَهُ وَاجِبَةٌ عليه، وعَرَفَ أَنَّ مَعْبُودَه مُسْتَحِقٌّ لتلك العِبَادَةِ عَرَفَ أَنَّه إِلَهٌ، فلهذا خَتَمَ به، وأيضًا أَوَّلُ مَا يَعْرِفُ العَبْدُ مِن رَبِّه كَوْنُه مُطِيعًا لِمَا عندَه مِن النِّعَمِ الظَّاهِرَةِ والباطِنَةِ، وهذا هو الرَّبُّ.

ثُمَّ لا يَزَالُ يَنْتَقِلُ مِن مَعْرِفَةِ هذه الصِّفَاتِ إلى مَعْرِفَةِ جَلالَتِه واسْتِغْنَائِه عن الخَلْقِ، فحِينَئِذٍ يَحْصُلُ العِلْمُ بكَوْنِه مَلِكًا؛ لأَنَّ المَلِكَ هو الذي يَفْتَقِرُ إليه غَيْرُه، ويَكُونُ هو غَنِيًّا مِن غَيْرِه، ثُمَّ إذا عَرَفَه العَبْدُ كذلك عَرَفَ أَنَّه فِي الجَلالَةِ والكِبْرِياءِ فَوْقَ وَصْفِ الوَاصِفِينَ وأَنَّه هو الذي وَلِهَت العُقُولُ عن عِزَّتِه وعَظَمَتِه، فحِينَئِذٍ يَعْرِفُه إِلَهًا). [التفسير الكبير: ٣٢/١٨٠- ١٨١]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ عَطْفَا بيانٍ له؛ فإِنَّ الربَّ قد لا يكونُ مَلِكًا، والمَلِكُ قد لا يكونُ إِلَهًا، وفي هذا النَّظْمِ دَلالَةٌ على أنه حقيقٌ بالإعاذةِ قادِرٌ عليها غيرُ

---

(١) لعل الصواب: (المعني بها الآخر).

ممنوعٍ عنها، وإشعارٌ على مَرَاتِبِ الناظِرِ في المَعارِفِ، فإنه يَعْلَمُ أوّلاً بما يَرى عليه من النِّعَمِ الظاهِرَةِ والباطِنَةِ أنَّ له ربًّا، ثُمَّ يَتَغَلْغَلُ في النظَرِ حتى يَتَحقَّقَ أنه غَنِيٌّ عن الكُلِّ، وذاتَ كلِّ شيءٍ له، ومَصَارِفَ أمْرِه منه، فهو المَلِكُ الحَقُّ، ثم يَسْتَدِلُّ به على أنه المُسْتَحِقُّ للعِبادَةِ لا غيرُ، وتَدَرُّجُ وُجوهِ الاستعاذةِ كما يُتَدَرَّجُ في الاستعاذةِ المُعتادةِ تَنزيلاً لاختلافِ الصِّفاتِ مَنْزِلَةَ اختلافِ الذاتِ إشعارًا بعِظَمِ الآفةِ المُستعاذِ منها). [أنوار التنزيل: ٢/١١٨١]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾: إِنَّمَا وَصَفَ نَفْسَهُ أَوَّلاً بِأَنَّهُ رَبُّ النَّاسِ؛ لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ يَكُونُ مَلِكاً، وَقَدْ لا يَكُونُ مَلِكاً، فَنَبَّهَ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ رَبُّهُمْ وَمَلِكُهُمْ؛ ثُمَّ إِنَّ المَلِكَ لا يَكُونُ إِلَهاً، فَنَبَّهَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ على أَنَّ الإِلَهِيَّةَ خَاصَّةٌ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يُشَارِكُهُ فيها أَحَدٌ). [لباب التأويل: ٤/٥٠٣]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (وقَوْلُه: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ عَطْفٌ ثانٍ؛ لأنَّ الربَّ قَدْ لا يَكونُ مَلِكاً كما يُقالُ: رَبُّ الدَّارِ. والمَلِكَ قَدْ لا يَكونُ إِلَهاً.

وفي هذا الترتيبِ لُطْفٌ آخَرُ؛ وذلك أنَّه قَدَّمَ أَوائِلَ نِعَمِه إلى أنْ تَمَّ ترتيبُه وحَصَلَ فيه العَقْلُ، فحينَئذٍ عُرِفَ بالدليلِ أنه عَبْدٌ مَملوكٌ، وهو مَلِكٌ تَفْتَقِرُ كلُّ الأشياءِ إليه، وهو غَنِيٌّ عنهم.

ثم عُلِمَ بالدلائلِ العَقليَّةِ والنقْليَّةِ أنَّ العبادةَ لازمةٌ له، وأنَّ مَعْبودَه يَستحِقُّ العبادَةَ.

ويُمكِنُ أنْ يُقالَ: أَوَّلُ مَا يَعْرِفُ العَبْدُ مِن رَبِّه هو كَوْنَه مَرْبوباً له، مُنْعِماً عليه بالنِّعَمِ الظاهرةِ والباطنةِ، ثم لا يَزالُ يَنْتَقِلُ مِن معرفةِ هذهِ الصفةِ إلى صفاتِ جَلالِه ونُعوتِ كِبْرِيائِهِ فيَعْرِفُ كونَه مَلِكاً قَيُّوماً، ثم إذا خَاضَ في بَحْرِ العِرْفانِ وغَرِقَ في تَيَّارِه؛ وَلِهَ عَقْلُه وَتَاهَ لُبُّه، فيَعْرِفُ أنه فَوْقَ وصفِ الواصفينَ فيُسَمِّيهِ إلَهاً، مِن وَلِهَ: إذا تَحَيَّرَ). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٤]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنُ جَمَاعَةَ الكِنَانِيُّ (ت: ٧٣٣هـ): (مسألةٌ: قولُه تعالى: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ بَدَأَ بـ(رَبِّ)، ثم بـ(مَلِكِ)، ثم بـ(إِلَهِ)، ما حِكْمةُ هذا الترتيبِ؟ وما فائدةُ إعادةِ (الناسِ) ظاهرًا معَ إمكانِ ضميرِه؟

جوابُه: أنَّ البَارِيَ تعالى رَبَّى الناسَ بنِعَمِه أَجِنَّةً وأَطْفالاً وشُبَّانًا، فقالَ: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾، فلَمَّا شَبُّوا عَرَفُوا أنَّهم عَبِيدٌ لَمِلكٍ قاهِرٍ لهم، وهو اللَّهُ سُبْحانَه وتعالى، فقالَ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾، فلَمَّا عَرَفُوا وُجُودَه ومُلْكَه سُبْحانَه كُلِّفُوا بعِبادَتِه وأَمْرِه ونَهْيِه، وانفرادِه بالأُلوهِيَّةِ والعبادةِ، فقالَ: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾، فـ(رَبٌّ) أخَصُّ الثَّلاثَةِ؛ لأنه يُقالُ في الباري تعالى وفي غَيْرِه، و(مَلِكٌ) أَعَمُّ منه وأخَصُّ من إِلَهٍ؛ لأنه يُقالُ: مَلِكُ العِراقِ ونَحْوِه، و(إِلَهٌ) أَعَمُّ الثلاثةِ، لأنه تعالى رَبُّهم ومَلِكُهم وإِلَهُهُم، ولا يُشارِكُه غيرُه في ذلكَ، فحَصَلَ التَّرَقِّي من صِفَةٍ إلى صِفَةٍ؛ لِمَا في الوَصْفِ الثاني من التعظيمِ، ما ليسَ في الأَوَّلِ، وفي الثالثِ ما ليسَ في الثاني). [كشف المعاني: ٤٣٤]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ ﴾ هذا عطْفُ بيانٍ، فإن قيلَ: لِمَ قَدَّمَ وَصْفَه تعالى (بِرَبِّ) ثم (بِمَلِكِ) ثم بـ (إِلَهِ)؟ فالجوابُ أنَّ هذا على الترتيبِ في الارتقاءِ إلى الأعلى وذلك أنَّ الربَّ قد يُطْلَقُ على كثيرٍ من الناسِ فيُقالُ: فُلانٌ ربُّ الدارِ. وشِبْهُ ذلك فبَدَأَ به لاشتراكِ معناه، وأمَّا المَلِكُ فلا يُوصَفُ به إلا أحَدٌ من الناسِ، وهم الملوكُ، ولا شَكَّ أنهم أعلى من سائرِ الناسِ، فلذلك جاءَ به بعدَ الربِّ، وأمَّا الإلهُ فهو أَعْلَى من المَلِكِ، ولذلك لا يَدَّعِي الملوكُ أنهم آلِهَةٌ، فإنما الإلهُ واحدٌ لا شريكَ له، ولا نَظيرَ فلذلك خَتَمَ به). [التسهيل: ٢٢٦- ٢٢٧]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (قَالَ ابْنُ الخَطِيبِ: وإِنَّمَا بَدَأَ بِذِكْرِ الرَّبِّ تَعَالَى، وهم اسمٌ لِمَنْ قَامَ بِتَدْبِيرِهِ، وإِصْلاحِهِ مِنْ أوائِلِ نِعَمِهِ إِلَى أن رَبَّاهُ، وأَعْطَاهُ العَقْلَ، فَحِينَئِذٍ عَرَفَ بِالدَّلِيلِ أَنَّهُ مَمْلُوكٌ وأَنَّهُ مَلِكٌ، فَثَنَّى بذِكْرِ المَلِكِ، ثُمَّ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ العِبَادَةَ لازِمَةٌ له، وعَرَفَ أَنَّهُ مَعْبُودٌ مُسْتَحِقٌّ لِلْعِبَادَةِ وعَرَّفَهُ أَنَّهُ إِلَهٌ فلهَذَا خَتَمَ بِهِ). [اللباب: ٥٧٧/٢٠]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (﴿ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ ﴾ هوَ أيضاً عطفُ بيانٍ كالذي قَبْلَهُ لبيانِ أنَّ رُبُوبِيَّتَهُ وَمُلْكَهُ قَدِ انْضَمَّ إليهِمَا المعبوديَّةُ المُؤَسَّسَةُ على الألوهيَّةِ المُقْتَضِيَةِ للقدرةِ التامَّةِ على التَّصرُّفِ الكليِّ بالاتحادِ وَالإعدامِ، وَأيضاً الربُّ قدْ يَكُونُ مَلِكاً، وَقدْ لا يَكُونُ مَلِكاً، كما يُقَالُ: رَبُّ الدارِ، وَرَبُّ المتاعِ، وَمِنهُ قولُهُ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]. فَبَيَّنَ أَنَّهُ مَلِكُ الناسِ ثمَّ المَلِكُ قدْ يكونُ إلهاً وَقدْ لا يكونُ، فَبَيَّنَ أَنَّهُ إلهٌ؛ لأنَّ اسمَ الإلهِ خاصٌّ بِهِ لا يُشارِكُهُ فيهِ أحدٌ، وَأيضاً بَدَأَ باسمِ الربِّ، وَهوَ اسمٌ لِمَنْ قَامَ بِتَدْبِيرِهِ وَإِصلاحِهِ مِنْ أوائلِ عمرِهِ إلى أنْ صارَ عَاقِلاً كَامِلاً، فَحِينَئِذٍ عَرَفَ بالدليلِ أَنَّهُ عَبْدٌ مَمْلُوكٌ، فَذَكَرَ أَنَّهُ مَلِكُ الناسِ.

ثمَّ لَمَّا عَلِمَ أنَّ العبادةَ لازمةٌ لهُ وَاجبةٌ عَلَيْهِ وَأَنَّهُ عَبْدٌ مَخْلُوقٌ وَأنَّ خَالِقَهُ إلهٌ معبودٌ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ إلهُ الناسِ). [فتح القدير: ٧٦٢/٥- ٧٦٣]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وذَكَرَ القاضي أنَّ في النَّظْمِ الجليلِ إشعارًا بِمَرَاتبِ الناظرِ المتوَجِّهِ لِمَعرفةِ خالقِه، فإنه يَعلمُ أوَّلاً بما يَرَى عليه مِن النعَمِ الظاهرةِ والباطنةِ أنَّ له ربًّا ثم يَتغلغلُ في النظرِ حتى يَتحقَّقَ أنه سُبحانَه غَنِيٌّ عن الكلِّ، وذاتَ كلِّ شيءٍ له، ومَصارِفَ أمْرِه منه، فهو المَلِكُ الحقُّ، ثم يَسْتَدِلُّ به على أنه المُستَحِقُّ للعبادةِ لا غيرُ، ويَندرجُ في وُجوهِ الاستعاذةِ المُعتادةِ تنزيلاً لاختلافِ الصفاتِ مَنزلةَ اختلافِ الذاتِ فإنَّ عادةَ مَن أَلَمَّ به هَمٌّ أن يَرفعَ أَمْرَه إلى سيِّدِه ومُرَبِّيهِ كوالدِه؛ فإن لم يَقْدِرْ على رَفْعِه رَفَعَه لِمَلِكِه وسُلطانِه، فإنْ لم يُزِلْ ظُلامتَه شكاهُ إلى مَلِكِ الملوكِ ومَن إليه المُشْتَكَى والمَفزَعُ، وفي ذلك إشارةٌ إلى عِظَمِ الآفةِ المستعاذِ منها، ولابنِ سِينَا ههنا كلامٌ تَتَحَرَّجُ منه الأقلامُ، كما لا يَخْفَى على مَن أَلَمَّ به، وكان له بالشريعةِ المُطَهَّرَةِ أَدْنَى إلمامٍ). [روح المعاني: ٢٨٦/٢٩]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ ﴾. هوَ أيضاً عطفُ بيانٍ لِبَيَانِ أنَّ رُبُوبِيَّتَهُ وَمُلْكَهُ قدِ انْضَمَّ إِليهما المعبوديَّةُ المُؤَسَّسَةُ على الألوهيَّةِ المُقْتَضِيَةِ للقدرةِ التامَّةِ على التَّصرُّفِ الكليِّ بالإِيجادِ وَالإِعدامِ.

وأيضاً الربُّ قدْ يكونُ مَلِكاً وَقدْ لا يكونُ مَلِكاً كما يُقَالُ: رَبُّ الدَّارِ، وَرَبُّ المَتَاعِ، وَمنهُ قولُهُ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]. فَبَيَّنَ أَنَّهُ مَلِكُ الناسِ، ثمَّ المَلِكُ قدْ يَكُونُ إِلَهاً وَقدْ لا يكونُ، فَبَيَّنَ أَنَّهُ إِلَهٌ؛ لأنَّ اسمَ الإِلَهِ خَاصٌّ بِهِ لا يُشارِكُهُ فيهِ أحدٌ.

وأيضاً بَدَأَ باسمِ الربِّ، وَهو اسمٌ لِمَنْ قَامَ بِتَدْبِيرِهِ وَإِصلاحِهِ مِنْ أوائلِ عمرِهِ إلى أنْ صَارَ عَاقِلاً كاملاً، فَحِينَئِذٍ عَرَفَ بالدليلِ أَنَّهُ عَبْدٌ مَمْلُوكٌ فَذَكَرَ أَنَّهُ ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ ﴾، ثُمَّ لَمَّا عَلِمَ أنَّ العبادةَ لازمةٌ لهُ وَاجبةٌ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ عبدٌ مخلوقٌ وَأنَّ خَالِقَهُ إِلهٌ معبودٌ، بَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ ﴾). [فتح البيان: ١٥/٤٦٥- ٤٦٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ ﴾ عَطْفُ بَيَانٍ جِيءَ بِهِ لِبَيَانِ أَنَّ مُلْكَهُ تَعَالَى بِطَرِيقِ المَعْبُودِيَّةِ المُؤَسَّسَةِ عَلَى الأُلُوهِيَّةِ المُقْتَضِيَةِ لِلْقُدْرَةِ التَّامَّةِ عَلَى التَّصرُّفِ الكُلِّيِّ فِيهِمْ إِحْيَاءً وإِمَاتَةً، وإيجادًا وإعدامًا، فوَصَفَ اللهُ أَوَّلاً بأنه رَبُّ النَّاسِ، ثُمَّ الربُّ قَدْ يَكُونُ مَلِكًا وقدْ لا، فَبَيَّنَ بِقَوْلِهِ: ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ ﴾، ثُمَّ المَلِكُ قَدْ يَكُونُ إِلَهًا وقَدْ لا، فَبَيَّنَ بِقَوْلِهِ ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ ﴾ لأنَّ الإِلَهَ خَاصٌّ بِاللَّهِ تَعَالَى لا يَشْرَكُهُ فيهِ غَيْرُهُ، وأَيْضًا: إنَّ أَوَّلَ مَا يَعْرِفُ العَبْدُ مِنْ مَعْبُودِهِ كَوْنَهُ مُعْطِيًا لِمَا عِنْدَهُ مِنَ النِّعَمِ الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ، وهَذَا هُوَ الرَّبُّ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ مِنْ مَعْرِفَةِ هَذِه الصِّفَةِ إلى مَعْرِفَةِ اسْتِغْنَائِهِ عَنِ الخَلْقِ، فَيَحْصُلُ العِلْمُ بكَوْنِهِ مَلِكًا، لأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَفْتَقِرُ إِليْهِ غَيْرُه ويَسْتَغْنِي عَنْ غَيْرِهِ، ثُمَّ عَرَفَ العَبْدُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي وَلَهَتِ العُقُولُ في عِزَّتِهِ وعَظَمَتِهِ، فيَعْرِفُ أَنَّهُ إِلَهٌ حَقِيقَةً). [مراح لبيد: ٢/٦٨٣]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (وإنما قَدَّمَ الرُّبُوبِيَّةَ، لِأَنَّهَا مِن أوائِلِ نِعَمِ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ، ثُمَّ ثَنَّى بِذِكْرِ المَالِكِيَّةِ لأنَّ العَبْدَ إنما يُدْرِكُ ذَلِكَ بَعْدَ أنْ يَصِيرَ عَاقِلاً مُفَكِّرًا، ثُمَّ ثَلَّثَ بِذِكْرِ الأُلُوهِيَّةِ، لأنَّ المَرْءَ بَعْدَ أنْ يُدْرِكَ وَيَعْقِلَ يَعْلَمُ أنه هُوَ المُسْتَوْجِبُ للخُضُوعِ والعِزَّةِ والمُسْتَحِقُّ للعِبَادَةِ). [تفسير المراغي: ٣٠/٢٧٠]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (وَقَدْ بَدَأَتِ السُّورَةُ بِرَبِّ النَّاسِ، وَمَنْ كَانَ مُرَبِّيَهُمْ فَهُوَ القَادِرُ عَلَى دَفْعِ إِغْوَاءِ الشَّيْطَانِ وَوَسْوَسَتِهِ). [تفسير المراغي: ٣٠/٢٧٢]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وقد رُتِّبَتْ أَوصافُ اللهِ بالنِّسبةِ إلى الناسِ تَرتيبًا مُدَرَّجًا؛ فإنَّ اللهَ خالِقُهم، ثم هم غَيرُ خارجِينَ عن حُكْمِه إذا شاءَ أنْ يَتصرَّفَ في شُؤُونِهم، ثم زِيدَ بَيَانًا بوَصْفِ إِلَهِيَّتِه لهم؛ لِيَتَبَيَّنَ أنَّ رُبُوبِيَّتَه لهم وحاكِمِيَّتَه فيهم ليستْ كرُبُوبِيَّةِ بعضِهم بعْضًا، وحاكِمِيَّةِ بعضِهم في بعْضٍ.

وفي هذا التَّرتيبِ إشعارٌ أَيْضًا بمَراتِبِ النظرِ في مَعرِفَةِ اللهِ تعالى، فإنَّ الناظِرَ يُعلِنُ بادِئَ ذي بَدْءٍ بأنَّ له رَبًّا بسببِ ما يَشعرُ به مِن وُجودِ نفْسِه، ونِعمةِ تَركيبِه، ثم يَتغلْغَلُ في النَّظَرِ، فيَشعُرُ بأنَّ ربَّه هو المَلِكُ الحقُّ الغَنِيُّ عن

الخَلْقِ، ثم يَعلَمُ أنه المُستَحِقُّ للعِبادَةِ، فهو إلهُ الناسِ كلِّهم). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣١- ٦٣٢]

قالَ عَطِيَّةُ مُحمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (قَوْلُه تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣﴾.

تَقدَّمَ للشيخِ- رحمةُ اللَّهِ تعالى عَلَيْنَا وعليه- الإحالةُ على هذه السُّورَةِ عندَ كلامِه على قَوْلِه تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢﴾ [هود: ٢] في سُورَةِ هودٍ، فقالَ على تلك الآيةِ: فيها الدَّلالةُ الواضحةُ على أنَّ الحِكمةَ العُظمَى التي أَنْزَلَ اللَّهُ القرآنَ مِن أَجْلِها هي أنْ يُعْبَدَ اللَّهُ تعالى وَحْدَه ولا يُشْرَكَ به في عِبادتِه شيءٌ.

وساقَ الآياتِ المماثِلَةَ لها ثم قالَ: وقد أَشَرْنا إلى هذا البَحْثِ في سُورةِ الفاتحةِ، وسَنَتَقَصَّى الكلامَ عليه إنْ شاءَ اللَّهُ تعالى في سُورَةِ الناسِ؛ لتَكونَ خاتِمَةُ هذا الكتابِ المبارَكِ حُسْنَى. اهـ.

وإنَّ في هذه الإحالةِ منه - رحمةُ اللَّهِ تعالى عَلَيْنَا وعليه- تَنبيهاً على المعاني التي اشْتَمَلَتْها هذه السُّورَةُ الكريمةُ، وتَوجيهاً لِمُراعاةِ تلك الخَاتِمَةِ.

كما أنَّ في تلك الإحالةِ تَحميلَ مَسؤوليَّةِ الاستقصاءِ، حيثُ لم يَكْتَفِ بما قَدَّمَه في سُورَةِ الفاتِحَةِ، ولا فيما قَدَّمَه في سُورَةِ هُودٍ، وجَعَلَ الاستقصاءَ في هذه السُّورَةِ، ومعنى الاستقصاءِ الاستيعابُ إلى أَقْصَى حَدٍّ.

وما أَظُنُّ أحَداً يَسْتَطِيعُ استقصاءَ ما يُريدُه غيرُه، ولا سِيَّمَا ما كانَ يُريدُه الشيخُ- رحمةُ اللَّهِ تعالى عَلَيْنَا وعليه- وما يَستطيعُه هو.

ولكنْ على ما قَدَّمْنا في البِدايةِ: أنه جُهْدُ المُقِلِّ ووُسْعُ الطاقةِ، فنَسْتَعِينُ اللَّهَ ونَسْتَهْدِيهِ، مُسْتَرْشِدِينَ بما قَدَّمَه الشيخُ- رحمةُ اللَّهِ تعالى عَلَيْنَا وعليه- في سورتَيِ الفاتِحَةِ وهُودٍ، ثم نُورِدُ وِجْهَةَ نَظَرٍ في السورتَيْنِ معاً؛ الفلَقِ والناسِ، ثم مِنهما وفي نَسَقِ المُصْحَفِ الشريفِ، آمِلٌ مِن اللَّهِ تعالى وراجٍ توفيقَه ومَعونتَه.

أمَّا الإحالةُ فالذي يَظْهَرُ أنَّ مُوجِبَها هو أنه في هذه السُّورَةِ الكريمةِ اجْتَمَعَتْ ثلاثُ صِفاتٍ للهِ تعالى مِن صِفاتِ العَظَمَةِ والكمالِ: (رَبِّ النَّاسِ)، (مَلِكِ النَّاسِ)، (إِلَهِ النَّاسِ)، ولَكَأَنَّهَا لأَوَّلِ وَهْلَةٍ تُشيرُ إلى الربِّ المَلِكِ هو الإلهُ الحقُّ الذي يَسْتَحِقُّ أنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ.

ولعلَّه ما يُرْشِدُ إليه مَضمونُ سُورَةِ الإخلاصِ قَبْلَها: ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾ وهذا هو مَنْطِقُ العقْلِ والقولِ الحقِّ؛ لأنَّ مُقْتَضَى المُلْكِ يَسْتَلزِمُ العُبُودِيَّةَ، والعُبوديَّةُ تَستلزِمُ التأليهَ والتوحيدَ في الأُلُوهِيَّةِ؛ لأنَّ العبْدَ المملوكَ تَجِبُ عليه الطاعةُ والسمْعُ لِمَالِكِه بِمُجَرَّدِ المُلْكِ، وإنْ كانَ مالِكُه عَبْداً مِثْلَه، فكيفَ بالعَبْدِ المملوكِ لرَبِّهِ وإلَهِه، وكيفَ بالمَالِكِ الإلهِ الواحدِ الأَحَدِ الفَرْدِ الصَّمَدِ؟

وقد جاءَتْ تلكَ الصفاتُ الثلاثُ: الربُّ، المَلِكُ، الإلَهُ، في أوَّلِ افتتاحيَّةِ أوَّلِ المُصْحَفِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٢- ٤]، والقراءةُ الأُخْرَى: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ).

وفي أوَّلِ سُورَةِ البقرةِ أوَّلُ نِداءٍ يُوَجَّهُ للناسِ بعِبادَةِ اللَّهِ تعالى وَحْدَه ؛ لأنه ربُّهم معَ بيانِ المُوجِباتِ لذلك في قَوْلِه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة: ٢١].

ثُمَّ بَيَّنَ المُوجِبَ لذلك بقولِه : ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ [البقرة: ٢١]

وقولِه : ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ ﴾ [البقرة: ٢٢].

وهذا كلُّه مِن آثارِ الرُّبوبيَّةِ واستحقاقِه تعالى على خَلْقِه العِبادةَ، ثم بَيَّنَ مُوجَبَ إفرادِه وَحْدَه بذلك بقولِه : ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾ [البقرة: ٢٢].

أي : كما أنه لا نِدَّ له في الخَلْقِ ولا في الرِّزْقِ ولا في شيءٍ مما ذُكِرَ، فلا تَجْعَلوا للهِ أنداداً أيضاً في عِبادةٍ، وأنتم تَعْلَمُونَ حَقيقةَ ذلك.

وعِبادتُه تعالى وَحْدَه ونَفْيُ الأندادِ، هو ما قالَ عنه الشيخُ رحمةُ اللَّهِ تعالى عَلَيْنا وعليه : معنى لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ نَفْياً وإثباتاً :

فالإثباتُ في قَوْلِه تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٣٦].

والنفيُ في قولِه : ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا ﴾ [البقرة: ٢٢].

وكونُ الربوبيَّةِ تَسْتَوْجِبُ العِبادةَ، جاءَ صَريحاً في قَوْلِه تعالى : ﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤ ﴾ [قريش: ٣- ٤].

فالموصولُ وَصِلَتُه في معنَى التعليلِ لِمُوجَبِ العِبادةِ، وسيأتي لذلك زيادةُ إيضاحٍ إنْ شاءَ اللَّهُ تعالى في نِهايةِ السُّورَةِ). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٥٢- ٣٥٤]

قالَ عَطيَّةُ مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (قَوْلُهُ تعالى : ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ ﴾ في مَجيءِ مَلِكِ الناسِ بعدَ رَبِّ الناسِ

[تتمة أضواء البيان: ٩/٣٥٥]

- تَدَرُّجٌ في التنبيهِ على تلك المعانِي العِظامِ، وانتقالٌ بالعِبادِ مِن مَبْدَأ الإيمانِ بالربِّ لِمَا شاهَدُوه مِن آثارِ الربوبيَّةِ في الخَلْقِ والرزْقِ، وجميعِ تلك الكائناتِ، كما تَقَدَّمَ في أوَّلِ نِداءٍ وُجِّهَ إليهم : ﴿ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ ﴾ [البقرة: ٢١- ٢٢].

كلُّ هذه الآثارِ التي لَمَسُوها وأَقَرُّوا بِمُوجَبِها، بأنَّ الذي أَوْجَدَها هو ربُّهم، ومِن ثَمَّ يَنْتَقِلُونَ إلى الدرجةِ الثانيةِ، وهي أنَّ ربَّه الذي هذه أفعالُه هو مَلِكُه وهو المُتَصَرِّفُ في تلك العَوالِمِ، ومَالِكٌ لأَمْرِه وجميعِ شُؤونِه، ومالِكٌ لأَمْرِ الدنيا والآخِرَةِ جميعاً.

فإذا وَصَلَ بإقرارِه إلى هذا الإدراكِ، أَقَرَّ له ضَرورةً له بالأُلُوهِيَّةِ، وهي المَرْتَبَةُ النهائيَّةُ). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٥٦]

مناسبة وصف الربوبية والملك والألوهية للاستعاذة

قلت: (راجع كلام البيضاوي في المسألة السابقة).

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ بنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت: ٦٦٠هـ): (الثَّانِي: أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ إِنَّما يُذْكَرُ مِنْها فِي كُلِّ مَوْضِعٍ ما يُنَاسِبُ سِياقَ ذلك المعْنَى فما وَجْهُ مُناسَبَةِ الرَّبِّ، والمَلِكِ، والإِلهِ للاسْتِعَاذَةِ؟). [فوائد في مشكل القرآن:٢٦١]

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ بنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت: ٦٦٠هـ): (وعَنِ الثَّانِي: أَنَّ هَذِه الأَسْماءَ مُناسِبَةٌ مِنْ جِهَةِ أَنَّ المُصْلِحَ والمَلِكَ والمَعْبُودَ يُناسِبُ أَنْ يَلْطُفَ بِمَنْ أَصْلَحَهُ أو مَلَكَهُ أو عَبَدَهُ فيَكْفِيهِ شَرَّ الأَشْرَارِ). [فوائد في مشكل القرآن:٢٦٢]

قال أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وَأَيْضًا فَإِنَّهُ ذَكَرَ فِي الآيَةِ ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ فَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ أَنْ يَسْتَعِيذَ النَّاسُ بِرَبِّهِمْ وَمَلِكِهِمْ وَإِلَهِهِمْ مِنْ شَرِّ مَا يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِهِمْ فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي يُطْلَبُ مِنْهُ الْخَيْرُ الَّذِي يَنْفَعُهُمْ وَيُطْلَبُ مِنْهُ دَفْعُ الشَّرِّ الَّذِي يَضُرُّهُمْ.

وَالوَسْوَاسُ أَصْلُ كُلِّ شَرٍّ يَضُرُّهُمْ؛ لأَنَّهُ مَبْدَأٌ لِلْكُفْرِ وَالفُسُوقِ وَالعِصْيَانِ وَعُقُوبَاتُ الرَّبِّ إِنَّمَا تَكُونُ عَلَى ذُنُوبِهِم، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لأَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَكُلُّ مَا يُصِيبُهُ نِعْمَةٌ فِي حَقِّهِ، وَإِذَا ابْتُلِيَ بِمَا يُؤْلِمُهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ دَرَجَتَهُ وَيَأْجُرُهُ إِذَا قُدِّرَ عَدَمُ الذُّنُوبِ مُطْلَقًا، لَكِن هَذَا لَيْسَ بِوَاقِعٍ مِنْهُم؛ فَإِنَّ كُلَّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَاطِئِينَ التَّوَّابُونَ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٧٢- ٧٣].

فَغَايَةُ الْمُؤْمِنِينَ الأَنْبِيَاءِ فَمَنْ دُونَهُمْ هِيَ التَّوْبَةُ:

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧﴾ [البقرة: ٣٧].
- وَقَالَ نُوحٌ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ۝٤٧﴾ [هود: ٤٧].
- وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٢٨﴾ [البقرة: ١٢٨].

وَقَالَ مُوسَى: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ۝١٥٥﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وَدُعَاءُ نَبِيِّنَا بِمِثْلِ ذَلِكَ كَثِيرٌ مَعْرُوفٌ.

فَكَانَ الوَسْوَاسُ مَبْدَأَ كُلِّ شَرٍّ فَإِنْ كَانُوا قَدِ اسْتَعَاذُوا بِرَبِّهِمْ وَمَلِكِهِمْ وَإِلَهِهِمْ مِنْ شَرِّهِ فَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ وَسْوَاسُ الجِنِّ وَالإِنْسِ، وَسَائِرُ شَرِّ الإِنْسِ إِنَّمَا يَقَعُ بِذُنُوبِهِمْ فَهُوَ جَزَاءٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ كَالشَّرِّ الَّذِي يَقَعُ مِنَ الجِنِّ بِغَيْرِ الوَسْوَاسِ، وَكَمَا يَحْصُلُ مِنَ العُقُوبَاتِ السَّمَاوِيَّةِ.

وَهُمْ لَمْ يَسْتَعِيذُوا هُنَا مِنْ شَرِّ المَخْلُوقَاتِ مُطْلَقًا كَمَا اسْتَعَاذُوا فِي سُورَةِ الفَلَقِ، بَلْ مِنَ الشَّرِّ الَّذِي يَكُونُ مَبْدَؤُهُ فِي نُفُوسِهِمْ.

وَإِنْ كَانَ ذِكْرُ رَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ يَسْتَعِيذُونَ بِهِ لِيُعِيذَهُمْ وَلِيُعِيذَ مِنْهُمْ وَهَذَا أَعَمُّ المَعْنَيَيْنِ فَذَلِكَ يَحْصُلُ بِإِعَاذَتِهِ مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ المُوَسْوِسِ فِي صُدُورِ النَّاسِ؛ فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي يُوَسْوِسُ بِظُلْمِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَبِإِغْوَاءِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَبِإِعَانَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ.

فَمَا حَصَلَ لإِنْسِيٍّ شَرٌّ مِنْ إِنْسِيٍّ إِلا كَانَ مَبْدَؤُهُ مِنَ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ وَإِلا فَمَا يَحْصُلُ مِنْ أَذَى بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الوَسْوَاسِ؟!

بَلْ كَانَ مِنَ الوَحْيِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مَلائِكَتَهُ كَانَ عَدْلاً كَإِقَامَةِ الحُدُودِ وَجِهَادِ الكُفَّارِ وَالاقْتِصَاصِ مِنَ الظَّالِمِينَ؛ فَهَذِهِ الأُمُورُ فِيهَا ضَرَرٌ وَأَذًى لِلظَّالِمِينَ مِنَ الإِنْسِ لَكِنْ هِيَ بِوَحْيِ اللَّهِ لا مِنَ الوَسْوَاسِ، وَهِيَ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ فِي حَقِّ عِبَادِهِ حَتَّى فِي حَقِّ المُعَاقَبِ فَإِنَّهُ إِذَا عُوقِبَ كَانَ ذَلِكَ كَفَّارَةً لَهُ إِنْ كَانَ مُؤْمِنًا وَإِلا كَانَ تَخْفِيفًا لِعَذَابِهِ فِي الآخِرَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَذَابِ مَنْ لَمْ يُعَاقَبْ فِي الدُّنْيَا.

وَلِهَذَا كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحْمَةً فِي حَقِّ العَالَمِينَ بِاعْتِبَارِ مَا حَصَلَ مِنَ الخَيْرِ العَامِّ بِهِ وَمَا حَصَلَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

- وَبِاعْتِبَارِ أَنَّهُ فِي نَفْسِهِ رَحْمَةٌ فَمَنْ قَبِلَهَا وَإِلا كَانَ هُوَ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ.
- وَبِاعْتِبَارِ أَنَّهُ قَمَعَ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ فَنَقَصَ شَرُّهُمْ وَعَجَزُوا عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ بِدُونِهِ، وَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ؛ فَكَانَ تَعْجِيلُ مَوْتِهِمْ خَيْرًا مِنْ طُولِ عُمْرِهِمْ فِي الكُفْرِ لَهُمْ وَلِلنَّاسِ.

فَكَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ بِكُلِّ اعْتِبَارٍ؛ فَلا يُسْتَعَاذُ مِنْهُ وَمِنْ أَمْثَالِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمُ المُؤْمِنِينَ، وَهُمْ مِنَ النَّاسِ، وَإِنْ كَانُوا يَفْعَلُونَ بِأَعْدَائِهِمْ مَا هُوَ أَذًى وَعُقُوبَةٌ وَأَلَمٌ لَهُمْ؛ فَلَمْ تَبْقَ الاسْتِعَاذَةُ مِنَ النَّاسِ إِلا مِمَّا يَأْتِي بِهِ الوَسْوَاسُ إِلَيْهِمْ؛ فَيُسْتَعَاذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ لِلْمُسْتَعِيذِ وَمِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ لِسَائِرِ النَّاسِ حَتَّى لا يَحْصُلَ مِنْهُمْ شَرٌّ لِلْمُسْتَعِيذِ؛ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ شَرٌّ إِلا مِنَ الوَسْوَاسِ كَانَتْ الاسْتِعَاذَةُ مِنْ شَرِّ الَّذِي يُوَسْوِسُ لَهُمْ تَحْصِيلاً لِلْمَقْصُودِ، وَكَانَ حَسْمًا لِلْمَادَّةِ وَأَقْرَبَ إِلَى العَدْلِ، وَكَانَ مُخْرِجًا لأَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَأَوْلِيَائِهِ أَنْ يُسْتَعَاذَ مِنْ شَرِّهِمْ وَأَنْ يُقْرَنُوا بِالوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ تَفْضِيلاً لِلْجِنِّ عَلَى الإِنْسِ، وَهَذَا لا يَقُولُهُ عَاقِلٌ.

فَإِنْ قِيلَ: فَإِنْ كَانَ أَصْلُ الشَّرِّ كُلِّهِ مِنَ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ فَلا حَاجَةَ إِلَى ذِكْرِ الاسْتِعَاذَةِ مِن وَسْوَاسِ النَّاسِ؛ فَإِنَّهُ تَابِعٌ لِوَسْوَاسِ الجِنِّ.

قِيلَ: بَلِ الوَسْوَسَةُ نَوْعَانِ: نَوْعٌ مِنَ الجِنِّ وَنَوْعٌ مِنَ نُفُوسِ الإِنْسِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦] فَالشَّرُّ مِنَ الجِهَتَيْنِ جَمِيعًا، وَالإِنْسُ لَهُمْ شَيَاطِينُ كَمَا لِلْجِنِّ شَيَاطِينُ). [مجموع الفتاوى:١٧/٥١٤- ٥١٧]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (وأمَّا سورةُ الناسِ فقد تَضَمَّنَتْ أيضًا: استعاذةً، ومُستعاذًا به، ومُستعاذًا منه، فالاستعاذةُ تَقَدَّمَتْ. وأمَّا المُستعاذُ به فهو اللهُ: ﴿رَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ فذكَرَ رُبوبيَّتَه للناسِ، ومُلْكَه إيَّاهم، وإلهيَّتَه لهم، ولا بُدَّ من مُناسبةٍ في ذِكرِ ذلك في الاستعاذةِ من الشيطانِ كما تَقَدَّمَ. فنَذْكُرُ أوَّلاً معنى هذه الإضافاتِ الثلاثِ، ثم وَجْهَ مُناسبتِها لهذه الاستعاذةِ.

الإضافةُ الأُولى: إضافةُ الرُّبوبيَّةِ المُتضمِّنَةِ لِخَلْقِهم وتدبيرِهم وتَربيَتِهم وإصلاحِهم، وجلْبِ مصالِحِهم، وما يَحتاجون إليه، ودَفْعِ الشرِّ عنهم وحِفْظِهم مِمَّا يُفْسِدُهم. هذا معنى رُبوبيَّتِه لهم، وذلك يَتضَمَّنُ قُدرتَه التامَّةَ ورَحْمتَه الواسعةَ، وإحسانَه، وعِلْمَه بتفاصيلِ أحوالِهم، وإجابةِ دَعَوَاتِهم، وكشْفِ كُرُبَاتِهم.

الإضافةُ الثانيةُ: إضافةُ المُلْكِ فهو مَلِكُهم المُتصرِّفُ فيهم، وهم عَبيدُه ومَمَاليكُه، وهو المُتَصرِّفُ لهم المُدبِّرُ لهم كما يَشاءُ، النافِذُ القُدرةِ فيهم، الذي له السلطانُ التامُّ عليهم، فهو مَلِكُهم الحقُّ الذي إليه مَفْزَعُهم عندَ الشدائدِ والنوائبِ، وهو مُستغاثُهم ومَعاذُهم ومَلجَؤهم، فلا صَلاحَ لهم ولا قِيامَ إلا به وبتدبيرِه، فليس لهم مَلِكٌ غيرُه يَهْرُبون إليه إذا دَهَمَهم العدوُّ، ويَسْتَصْرِخون به إذا نَزَلَ العدوُّ بسَاحتِهم.

الإضافةُ الثالثةُ: إضافةُ الإلَهيَّةِ فهو إلَهُهم الحقُّ، ومَعبودُهم الذي لا إلهَ لهم سواهُ، ولا مَعبودَ لهم غيرُه. فكما أنه وَحْدَه هو ربُّهم ومَلِيكُهم لم يَشْرَكْهُ في رُبوبيَّتِه ولا في مُلْكِه أحدٌ، فكذلك هو وَحْدَه إلَهُهم ومَعبودُهم فلا يَنْبَغِي أن يَجعلوا معه شَريكًا في إلَهيَّتِه، كما لا شريكَ معه في رُبوبيَّتِه ومُلْكِه.

وهذه طريقةُ القرآنِ يَحْتَجُّ عليهم بإقرارِهم بهذا التوحيدِ على ما أَنْكَرُوه من توحيدِ الإلَهيَّةِ والعِبادةِ.

وإذا كان وَحْدَه هو رَبَّنا ومَلِكنا وإلَهَنا، فلا مَفْزَعَ لنا في الشدائدِ سواهُ، ولا مَلجأَ لنا منه إلا إليه، ولا مَعبودَ لنا غيرُه، فلا يَنبغِي أن يُدْعَى ولا يُخافَ، ولا يُرْجَى ولا يُحَبَّ سواه، ولا يُذَلَّ لغيرِه ولا يُخْضَعَ لسواهُ، ولا يُتوكَّلَ إلا عليه؛ لأنَّ مَن تَرْجُوه وتَخافُه وتَدعُوه وتَتَوكَّلُ عليه: إمَّا أن يكونَ مُرَبِّيَكَ والقَيِّمَ بأمورِك ومُتولِّيَ شأنِك، وهو رَبُّك فلا ربَّ سواه، أو تكونَ مَملوكَه وعَبْدَه الحقَّ، فهو مَلِكُ الناسِ حقًّا وكُلُّهم عَبيدُه ومَماليكُه. أو يكونَ مَعبودَك وإلَهَكَ الذي لا تَستَغْنِي عنه طَرْفَةَ عَينٍ، بل حاجتُك إليه أَعْظَمُ من حاجَتِك إلى حياتِك ورُوحِك.

وهو الإلهُ الحَقُّ: إلهُ الناسِ الذي لا إلهَ لهم سِواهُ.

فمَن كان ربَّهُم ومَلِكَهم وإلَهَهم فهم جَديرون أن لا يَستعيذوا بغيرِه ولا يَستَنْصِروا بسواه، ولا يَلْجَؤوا إلى غيرِ حِمَاه، فهو كافِيهم، وحَسْبُهم وناصِرُهم ووَلِيُّهُم ومُتَوَلِّي أمورِهم جميعًا برُبُوبيَّتِه ومُلْكِه وإلَهيَّتِه لهم، فكيف لا يَلتجِئُ العَبْدُ عندَ النوازلِ ونُزولِ عَدُوِّه به إلى ربِّه ومالِكِه وإلَهِه فظَهَرَتْ مُناسَبَةُ هذه الإضافاتِ الثلاثِ للاستعاذةِ من أَعْدَى الأعداءِ وأَعْظَمِهم عداوةً وأَشَدِّهِم ضَرَرًا وأَبْلَغِهم كَيْدًا.

ثم إنه - سبحانَه - كَرَّرَ الاسمَ الظاهرَ، ولم يُوقِع المضمَرَ مَوْقِعَه: فيقولُ: ربِّ الناسِ ومَلِكِهم وإلَهِهم، تحقيقًا لهذا المعنى وتَقويةً له، فأعادَ ذِكْرَهم عندَ كلِّ اسمٍ من أسمائِه، ولم يَعطِفْ بالواوِ لِمَا فيها من الإيذانِ بالمُغايَرَةِ. والمقصودُ الاستعاذةُ بمجموعِ هذه الصفاتِ حتى كأنها صِفَةٌ واحدةٌ.

وقدَّمَ الربوبيَّةَ لعُمومِها وشُمولِها لكلِّ مربوبٍ، وأخَّرَ الإلهيَّةَ لِخُصوصِها؛ لأنه - سبحانَه - إنما هو إلهُ مَن عَبَدَه ووَحَّدَه واتَّخَذَه دونَ غيرِه إلَهًا، فمَن لم يَعْبُدْه ويُوَحِّدْه فليس بإلَهِه، وإن كان في الحقيقةِ لا إلهَ له سواه، ولكن تَرَكَ إلَهَه الحَقَّ واتَّخَذَ إلَهًا غيرَه.

ووَسَّطَ صِفَةَ المَلِكِ بينَ الرُّبوبيَّةِ والإلَهيَّةِ، لأنَّ المَلِكَ هو المتصرِّفُ بقولِه وأَمْرِه، فهو المُطاعُ إذا أَمَرَ، ومُلْكُه لهم تابعٌ لخَلْقِه إيَّاهم، فمُلْكُه من كمالِ رُبوبيَّتِه، وكونُه إلَهَهم الحقَّ من كَمالِ مُلْكِه، فرُبوبيَّتُه تَستلزِمُ مُلْكَه وتَقتضيه، ومُلْكُه يَستلزِمُ إلَهيَّتَه ويَقتضِيها فهو الربُّ الحقُّ المَلِكُ الحقُّ الإلهُ الحقُّ خَلَقَهم برُبوبيَّتِه وقَهَرَهم بمُلْكِه واستَعْبَدَهُم بإلَهيَّتِه.

فتأَمَّلْ هذه الجَلالةَ وهذه العَظَمَةَ التي تَضَمَّنَتها هذه الألفاظُ الثلاثةُ على أَبْدَعِ نظامٍ، وأَحْسَنِ سياقٍ: رَبِّ الناسِ، [ملكِ النَّاسِ] إلهِ الناسِ، وقَدِ اشْتَمَلَتْ هذه الإضافاتُ الثلاثُ على جميعِ قَواعدِ الإيمانِ وتَضَمَّنَتْ معانِيَ أسمائِه الحُسْنَى.

وأمَّا تَضَمُّنُها لمعاني أسمائِه الحُسنى فإنَّ الربَّ هو: القادرُ، الخالقُ، البارئُ، المصوِّرُ، الحيُّ، القيُّومُ، العليمُ، السميعُ، البصيرُ، المحسِنُ، المنعِمُ، الجَوَادُ، المعطِي، المانِعُ، الضارُّ، النافعُ، المقدِّمُ، المؤخِّرُ، الذي يُضِلُّ مَن يشاءُ ويَهدي مَن يَشاءُ، ويُسعِدُ مَن يَشاءُ، ويُشْقِي مَن يَشاءُ، ويُعِزُّ مَن يَشاءُ، ويُذِلُّ مَن يَشاءُ، إلى ذلك مِن معاني رُبوبيَّتِه التي له منها ما يَسْتَحِقُّه من الأسماءِ الحُسْنى.

وأمَّا المَلِكُ فهو الآمِرُ الناهي المُعِزُّ المذِلُّ، الذي يُصَرِّفُ أمورَ عِبادِه كما يُحِبُّ ويُقَلِّبُهم كما يَشاءُ، وله من معنى المَلِكِ ما يَستحِقُّه من الأسماءِ الحُسنَى: كالعزيزِ، الجَبَّارِ، المتكبِّرِ، الحكَمِ، العدْلِ، الخافضِ، الرافعِ، المعِزِّ، المذِلِّ، العظيمِ، الجليلِ، الكبيرِ، الحسيبِ، المَجيدِ، الوالي، المتعالي، مالِكِ المُلْكِ، المقسِطِ، الجامِعِ، إلى غَيْرِ ذلك من الأسماءِ العائدةِ إلى المَلِكِ.

وأمَّا الإلَهُ فهو الجامِعُ لجميعِ صِفاتِ الكمالِ ونعوتِ الجلالِ، فيَدْخُلُ في هذا الاسمِ جميعُ الأسماءِ الحُسنى، ولهذا كان القولُ الصحيحُ أنَّ اللهَ أصلُه الإلهُ، كما هو قولُ سِيبويهِ وجُمهورِ أصحابِه، إلا مَن شَذَّ منهم، وأنَّ اسمَ اللهِ تعالى هو الجامِعُ لجميعِ معاني الأسماءِ الحُسنَى والصفاتِ العُلَى؛ فقد تَضَمَّنَتْ هذه الأسماءُ الثلاثةُ جميعَ معاني أسمائِه الحُسْنَى؛ فكان المُستعيذُ بها جَديرًا بأن يُعاذَ ويُحْفَظَ ويُمْنَعَ من الوَسواسِ الخَنَّاسِ، ولا يُسَلَّطَ عليهم. وأسرارُ كلامِ اللهِ أَجَلُّ وأَعْظَمُ من أن تُدْرِكَها عقولُ البشَرِ، وإنما غايةُ أُولِي العلْمِ الاستدلالُ بما ظَهَرَ منها على ما وَراءَه، وإنَّ بادِيَه إلى الخافِي يَسيرٌ). [بدائع الفوائد: ٢/٢٤٧- ٢٤٩]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤هـ): (هذه ثلاثُ صفاتٍ مِن صفاتِ الربِّ عَزَّ وجَلَّ: الرُّبُوبِيَّةُ، والمُلْكُ، والإِلَهِيَّةُ، فهو رَبُّ كلِّ شَيْءٍ ومَلِيكه وإِلَهُهُ، فجميعُ الأشياءِ مَخلوقةٌ له مَملوكةٌ عَبِيدٌ لهُ، فأَمَرَ المستعيذَ أَنْ يَتعوَّذَ بالمُتَّصِفِ بهذهِ الصفاتِ مِن شرِّ الوَسْواسِ الخَنَّاسِ، وهو الشيطانُ المُوكَّلُ بالإنسانِ؛ فإنه ما مِن أحدٍ مِن بني آدمَ إلاَّ وله قَرِينٌ يُزَيِّنُ له الفَواحِشَ، ولا يَأْلُوهُ جَهْداً فِي الخَبَالِ. والمعصومُ مَن عَصَمَه اللَّهُ.
وقدْ ثَبَتَ فِي الصحيحِ أَنَّهُ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ». قالوا: وأنتَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قالَ: «نَعَمْ، إِلاَّ أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فأَسْلَمَ، فَلا يَأْمُرُنِي إِلاَّ بِخَيْرٍ»). [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩١١]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وقَدِ اشتملتْ هذهِ الإضافاتُ الثَّلاثُ على جميعِ قواعدِ الإيمانِ، وتضمَّنَتْ معانِيَ أسمائِهِ الحُسنى، فإنَّ الرَّبَّ هوَ القادرُ الخالقُ إلى غيرِ ذلكَ مما يتوقَّفُ الإصلاحُ والرَّحمةُ والقُدرةُ الَّذِي هوَ بمعنى الرُّبوبيَّةِ عليهِ مِن أوصافِ الجمالِ، والمَلِكَ هوَ الآمِرُ النَّاهي المعزُّ المذلُّ إلى غيرِ ذلكَ منَ الأسماءِ العائدةِ إلى العَظَمةِ والجلالِ، وأما الإلهُ فهوَ الجامعُ لجميعِ صفاتِ الكمالِ ونعوتِ الجلالِ، فيدخلُ فيهِ جميعُ الأسماءِ الحُسنى، ولِتضمُّنِها لجميعِ معاني الأسماءِ الحُسنى كانَ المستعيذُ جديرًا بأنْ يُعاذَ، وقدْ وَقعَ ترتيبُها على الوجهِ الأكملِ الدَّالِّ على الوحدانيَّةِ؛ لأنَّ مَن رأى ما عليهِ منَ النِّعمِ الظَّاهرةِ والباطنةِ عَلِمَ أنَّ لهُ مُرَبِّيًا، فإذا دَرَجَ في العُروجِ في دَرَجِ معارِفِهِ سبحانَهُ عَلِمَ أنَّهُ غنيٌّ عنِ الكلِّ والكُلُّ إليهِ محتاجٌ، وعنْ أمرِهِ تَعَالَى تجري أمورُهم فيعلَمُ أنَّهُ مَلِكُهُم، ثمَّ يعلَمُ بانفرادِهِ بتدبيرِهِم بعدَ إبداعِهم أنَّهُ المستحقُّ للإلهيَّةِ بلا مشاركٍ لهُ فيها). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٥]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّين القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (الثالثةُ في تَعْدَادِ الصفاتِ العُلْيَا هنا إشارةٌ إلى عِظَمِ المُستعاذِ منهُ، وأنَّ الآفةَ النَّفسانيَّةَ أعظمُ مِن المَضارِّ البَدَنِيَّةِ، حيثُ لم يُكرِّرْ ذلكَ المُستعاذَ بهِ في السُّورةِ قَبْلُ، وكَرَّرَهُ هنا إظهاراً للاهتمامِ في هذهِ دُونَ تلكَ. نَقَلَهُ الشِّهابُ). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٨١]

معنى الإعاذة من الشيطان الرجيم

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصلٌ: ومن ذلك قولُه – تعالى – : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ وقولُه: ﴿أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧- ٩٨] وقولُه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨]
ومن المَعلومِ أنَّ الإعاذةَ من الشيطانِ الرجيمِ ليستْ بإماتتِه، ولا تَعطيلِ آلاتِ كَيْدِه، وإنما هي بأن يَعْصِمَ المُسْتَعِيذَ مِن أذاهُ له، ويَحولَ بينَه وبينَ فِعْلِه الاختياريِّ له، فدَلَّ على أنَّ فِعْلَه مَقدورٌ له – سبحانَه – إنْ شاءَ سَلَّطَه على العَبْدِ، وإن شاءَ حالَ بينَه وبينَه، وهذا على أصولِ القَدَرِيَّةِ باطلٌ، فلا يُثبِتون حقيقةَ الإعاذةِ، وإن أَثْبَتُوا حقيقةَ الاستعاذةِ من العَبْدِ، وجَعَلوا الآيةَ رَدًّا على الجبريَّةِ، والجَبْرِيَّةُ أَثْبَتُوا حقيقةَ الإعاذةِ، ولم يُثْبِتُوا

حقيقةَ الاستعاذةِ من العَبْدِ، بل الاستعاذةُ فعْلُ الربِّ حقيقةً، كما أنَّ الإعاذةَ فِعْلُه، وقد ضَلَّ الطائفتان عن الصراطِ المستقيمِ، وأصابَتْ كلُّ طائفةٍ منهما فيما أَثْبَتَتْهُ من الحقِّ). [شفاء العليل: ٦٣]

وجه تخصيص الناس بالإضافة، والله رب كل شيء ومليكه

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ وإنما ذَكَرَ أنه رَبُّ الناسِ، وإنْ كانَ رَبًّا لجميعِ الخَلْقِ لأمرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: لأنَّ الناسَ مُعَظَّمُونَ، فأَعْلَمَ بذِكْرِهم أنَّه ربٌّ لهم وإنْ عُظِّمُوا.

الثاني: لأنَّه أمْرٌ بالاستعاذةِ مِن شَرِّهِم، فأَعْلَمَ بذِكْرِهم أنَّه هو الذي يُعِيذُ منهم). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٨]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (فإنْ قُلْتَ: لِمَ قيلَ: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ مُضَافاً إليهم خاصَّةً؟

قلتُ: لأنَّ الاستعاذةَ وَقَعَتْ مِن شرِّ المُوَسْوِسِ في صُدورِ الناسِ، فكأنه قيلَ: أعوذُ مِن شرِّ المُوسوسِ إلى الناسِ بربِّهِم الذي يَملِكُ عليهم أُمورَهم، وهو إلَهُهُم ومعبودُهم، كما يَسْتَغِيثُ بعضُ المَوالِي إذَا اعْتَرَاهُم خَطْبٌ بسيِّدِهم ومَخْدُومِهم ووالي أمرِهم). [الكشاف: ٦/٤٦٨]

قَالَ أبو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (فإنْ قيلَ: لِمَ خَصَّ الناسَ ها هنا بِأَنَّهُ رَبُّهم وهوَ رَبُّ كُلِّ شيءٍ؟ فَعَنْهُ جوابانِ:

أحدُهما: لأَنَّهُم مُعَظَّمُونَ مُتَمَيِّزُونَ على غيرِهم.

والثاني: لأَنَّهُ لَمَّا أَمَرَ بالاستعاذةِ مِنْ شَرِّهم أَعْلَمَ أَنَّهُ رَبُّهم؛ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ هوَ الذي يُعِيذُ مِنْ شَرِّهم). [زاد المسير: ٢٧٧/٩]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (المسألةُ الثانيةُ: أَنَّه تعالى رَبُّ جَمِيعِ المُحْدَثَاتِ، ولكنَّه هنا ذَكَرَ أَنَّه رَبُّ الناسِ علَى التَّخْصِيصِ، وذلك لوُجُوهٍ: أَحَدُها: أَنَّ الاسْتِعَاذَةَ وَقَعَتْ مِن شَرِّ المُوَسْوِسِ في صُدُورِ الناسِ، فكأنَّه قِيلَ: أَعُوذُ مِن شَرِّ المُوَسْوِسِ إلى النَّاسِ بِرَبِّهِم الذي يَمْلِكُ عليهم أُمُورَهم وهو إِلَهُهُم ومَعْبُودُهم كما يَسْتَغِيثُ بَعْضُ المَوَالِي إذَا اعْتَرَاهُم خَطْبٌ بسَيِّدِهِم ومُخَدُومِهِم ووالِي أَمْرِهِم. وثانيها: أَنَّ أَشْرَفَ المَخْلوقاتِ في العَالَمِ هم الناسُ، وثالِثُها: أنَّ المأمُورَ بالاستعاذةِ هو الإنْسَانُ، فإذا قَرَأَ الإنْسَانُ هذه صَارَ كأَنَّه يَقُولُ: يَا رَبِّ، يَا مَلِكِي، يا إِلَهِي). [التفسير الكبير: ٣٢/١٨٠]

قالَ زَيْنُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الرَّازِيُّ (ت: ٦٦٦هـ): (فإنْ قيلَ: كيف خَصَّ الناسَ بالذِّكْرِ في قولِه تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ وهو ربُّ كلِّ شيءٍ؟

قلنا: إنما خصَّهم بالذِّكْرِ تَشْرِيفًا لهم وتفضيلاً على غيرِهم؛ لأنهم أهلُ العَقْلِ والتَّمْييزِ.

الثاني: أنه لَمَّا أَمَرَ بالاستعاذةِ مِن شرِّهم ذَكَرَ معَ ذلك أنه ربُّهم لِيُعلِمَ أنه هو الذي يُعِيذُ من شَرِّهم.

الثالثُ: أنَّ الاستعاذةَ وَقَعَتْ من شرِّ المُوَسْوِسِ إلى الناسِ بربِّهم الذي هو إلهُهم ومعبودُهم، كما يَسْتَغِيثُ بعضُ العبيدِ إذا اعتراه خَطْبٌ بسيِّدِه ومَخْدُومِه ووليِّ أمرِه). [غرائب التنزيل: ٦٠٢]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وإنَّما ذَكَرَ أَنَّه رَبُّ الناسِ، وإِنْ كَانَ رَبًّا لِجَمِيعِ الخَلْقِ؛ لأمرَيْنِ: أَحَدُهُما: لأنَّ الناسَ مُعَظَّمُونَ؛ فأَعْلَمَ بِذِكْرِهِم أنَّه رَبٌّ لَهم وإِنْ عُظِّمُوا.

الثاني: لأنَّه أمَرَ بالاسْتِعَاذَةِ مِن شرِّهِم، فأَعْلَمَ بِذِكْرِهِم أنه هو الذي يُعِيذُ مِنهم). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٦٠-٢٦١]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (وإنَّما أُضِيفَ الرَّبُّ إلى الناسِ خاصَّةً، وإنْ كان رَبَّ كُلِّ مَخْلُوقٍ تَشريفًا لهُم، ولأنَّ الاسْتِعاذةَ وقَعَتْ مِن شرِّ المُوَسْوِسِ في صُدورِ النَّاسِ، فكأنَّه قِيلَ: أَعوذُ مِن شرِّ المُوَسْوِسِ إلى الناسِ بربِّهم الذي يَمْلِكُ عَلَيْهِم أُمورَهم وهو إلهُهم ومَعْبُودُهم). [مدارك التنزيل:٣/٢٠١٥]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾، إنَّما خُصِّصَ الناسُ بالذِّكْرِ، وإنْ كانَ رَبَّ جميعِ المُحْدَثاتِ؛ لأَنَّهُ لَمَّا أَمَرَ بِالاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَعُوذُ مِنْ شَرِّ المُوَسْوِسِ إلى الناسِ بِرَبِّهِم الذي يَمْلِكُ عَلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ، وَهُوَ إِلَهُهُمْ وَمَعْبُودُهُمْ؛ فَإِنَّهُ هُوَ الذي يُعِيذُهُمْ مِنْ شَرِّهِمْ.

وقيلَ: إنَّ أَشْرَفَ المَخْلُوقَاتِ هُم النَّاسُ؛ فَلِهَذَا خَصَّهُمْ بالذِّكْرِ). [لباب التأويل: ٤/٥٠٣]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحَلِيمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وَقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا خَصَّ النَّاسَ بِالذِّكْرِ؛ لأَنَّهُمْ مُسْتَعِيذُونَ، أَوْ لأَنَّهُمُ المُسْتَعَاذُ مِنْ شَرِّهِمْ ذَكَرَهُمَا أَبُو الفَرَجِ، وَلَيْسَ لَهُمَا وَجْهٌ؛ فَإِنَّ وَسْوَاسَ الجِنِّ أَعْظَمُ وَلَمْ يَذْكُرْهُ، بَلْ ذَكَرَ النَّاسَ لأَنَّهُمُ المُسْتَعِيذُونَ فَيَسْتَعِيذُونَ بِرَبِّهِمُ الَّذِي يَصُونُهُمْ وَبِمَلِكِهِمُ الَّذِي أَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ وَبِإِلَهِهِمُ الَّذِي يَعْبُدُونَهُ مِنْ شَرِّ الَّذِي يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عِبَادَتِهِ، وَيَسْتَعِيذُونَ أَيْضًا مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الَّذِي يَحْصُلُ فِي نُفُوسِ النَّاسِ مِنْهُمْ وَمِنَ الجِنَّةِ؛ فَإِنَّهُ أَصْلُ الشَّرِّ الَّذِي يَصْدُرُ مِنْهُمْ وَالَّذِي يُرَدُّ عَلَيْهِمْ). [مجموع الفتاوى:١٧/٥١٧- ٥١٨]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (التفسيرُ: إنَّه تعالى رَبُّ جميعِ المُحْدَثاتِ، ولكنَّه خَصَّ الناسَ ههنا بالذِّكْرِ للتشريفِ، ولأنَّ الاستعاذَةَ لأجلِهم، فكأنَّه قِيلَ: أَعُوذُ مِن شرِّ الوَسْواسِ إلى الناسِ بربِّهم الذي يَمْلِكُ عليهم أُمورَهم، وهو إِلَهُهم ومَعْبودُهم، كما يَسْتَغِيثُ بَعْضُ المَوالِي إذا دَهَمَهم أَمْرٌ بسَيِّدِهم ومَخدومِهم ووَلِيِّ أَمْرِهم). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٤]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنُ جَمَاعَةَ الكِنَانِيُّ (ت: ٧٣٣هـ): (مسألةٌ: قولُه تعالى: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ وهو رَبُّ كلِّ شَيْءٍ، فما وَجْهُ تخصيصِ الناسِ؟

جوابُه: أنَّ المُسْتعاذَ منه الوَسْوَسَةُ، وهي مَخْصوصةٌ بالناسِ، فناسَبَ استغاثَتَهم لسيِّدِهم وتسميتَهم لذلكَ). [كشف المعاني:٤٣٣]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيٍّ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ إن قيلَ: لِمَ أَضَافَ الربَّ إلى الناسِ خاصَّةً، وهو ربُّ كلِّ شيءٍ؟ فالجوابُ: أنَّ الاستعاذةَ وَقَعَتْ من شَرِّ المُوَسْوِسِ في صدورِ الناسِ فخَصَّهُمْ بالذكْرِ؛ لأنهم المُعَوَّذون بهذا التعويذِ والمقصودون هنا دونَ غيرِهم). [التسهيل: ٢٢٦]

قالَ أَبُو حيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَأُضِيفَ الربُّ إلى الناسِ؛ لأنَّ الاستعاذةَ مِنْ شَرِّ المُوَسْوِسِ في صدورِهِمُ، اسْتَعَاذُوا بِرَبِّهِمْ مَالِكِهِم وإِلَهِهِم كما يَسْتَعِيذُ العبدُ بمولاهُ إذا دَهَمَهُ أَمْرٌ). [البحر المحيط: ٧٦٤/٨]

قالَ أَبُو حيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَأُضِيفَ الرَّبُّ إِلَى النَّاسِ لأَنَّ الاسْتِعَاذَةَ مِنْ شَرِّ المُوَسْوِسِ فِي صُدُورِهِمْ، اسْتَعَاذُوا بِرَبِّهِمْ مَالِكِهِمْ وَإِلَهِهِمْ كَمَا يَسْتَعِيذُ العَبْدُ بِمَوْلاهُ إِذَا دَهَمَهُ أَمْرٌ). [النهر الماد: ١٣٢٠]

قَالَ السَّمِينُ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الحَلَبِيُّ (ت: ٧٥٦هـ): (وقالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: (فإنْ قُلْتَ: لِمَ قِيلَ: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ مُضَافاً إليهم خاصَّةً؟

قلتُ: لأنَّ الاستعاذةَ وَقَعَتْ مِنْ شرِّ المُوَسْوِسِ في صدورِ الناسِ، فكأنَّهُ قِيلَ: أَعُوذُ مِنْ شرِّ المُوَسْوِسِ إلى الناسِ بِرَبِّهِم الذي يَمْلِكُ أَمْرَهُمْ). [الدر المصون: ١١/١٦١- ١٦٢]

قالَ جَلالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ المَحَلِّيُّ (ت: ٨٦٤هـ): (﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ خَالِقِهِم وَمَالِكِهِم، خُصُّوا بالذِّكْرِ تَشْرِيفاً لهم ومُنَاسَبَةً للاستعاذةِ منْ شرِّ المُوَسْوِسِ في صُدُورِهِمْ). [تفسير الجلالين: ٦٠٤]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (وإِنَّمَا ذَكَرَ أَنَّهُ "رَبُّ النَّاسِ" وإن كَانَ رَبًّا لجميعِ الخَلْقِ لأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: لأَنَّ النَّاسَ مُعَظَّمُونَ، فَأَعْلَمَ بذِكْرِهِمْ أَنَّهُ رَبٌّ لَهُمْ وَإِنْ عَظُمُوا.

والثَّانِي لأَنَّهُ أَمَرَ بالاستعاذَةِ مِنْ شَرِّهِمْ، فَأَعْلَمَ بِذِكْرِهِمْ أنه هو الَّذِي يُعِيذُ مِنْهُمْ). [اللباب: ٥٧٦/٢٠]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (وقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قِيلَ: "بِرَبِّ النَّاسِ" مُضَافًا إليهم خَاصَّةً؟

قُلْتُ: لأَنَّ الاسْتِعَاذَةَ وَقَعَتْ مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ في صُدُورِ النَّاسِ، فكَأَنَّهُ قِيلَ: أَعُوذُ مِنْ شَرِّ المُوَسْوِسِ إِلَى النَّاسِ بِرَبِّهِمُ الَّذِي يَمْلِكُ عَلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ). [اللباب: ٥٧٧/٢٠]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الإِيجِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت: ٩٠٥ هـ): (﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾: أضافَ إلى الناسِ ههنا، لأنَّ وسوسةَ الصَّدْرِ المستعاذَ مِنه في تلكَ السُّورَةِ لا تكونُ إلا للإنسانِ، فكأنه قال: قلْ أعوذُ بِرَبِّي مِن شرِّ مُوَسْوِسِي). [جامع البيان: ٥٤٧/٤]

قال أحمدُ بنُ محمدِ بن أبي بكرٍ القَسْطَلاَّنيُّ (ت: ٩٢٣هـ): (فإنْ قُلْتَ: إِنَّهُ تَعَالَى رَبُّ جَمِيعِ العَالَمِينَ فَلِمَ خَصَّ النَّاسَ، أُجِيبُ لِشَرَفِهِمْ أَوْ لأنَّ المَأْمُورَ هو النَّاسُ). [إرشاد الساري: ٤٤٢/٧]

قَالَ زَكَرِيَّا بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٩٢٦هـ): (لماذا خصَّ (النَّاسَ) بالذِّكرِ في الثَّلاثَةِ الأُولَى؟). [فتح الرحمن:٤٩٩]

قَالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (﴿ٱلنَّاسِ﴾ وخصَّهمْ بالذِّكرِ وإنْ كانَ ربَّ جميعِ المُحْدثاتِ لأمْرَيْنِ: أحدُهُما أنَّ النَّاسَ يُعَظِّمُونَ فأَعْلَمَ بِذِكْرِهم أنَّهُ ربٌّ لهمْ وإنْ عَظُمُوا، الثَّاني أنَّهُ أمرَ بالاستعاذةِ مِن شَرِّهِم فأَعْلَمَ بذِكْرِهم أنَّهُ هوَ الَّذِي يُعِيذُ منهمْ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٥]

قَالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (وتَخْصِيصُ الإضافةِ بالناسِ مَعَ انتظامِ جَمِيعِ العَالَمِينَ فِي سِلْكِ رُبُوبِيَّتِهِ تَعَالَى وَمَلَكُوتِيَّتِهِ وأُلُوهِيَّتِهِ للإرشادِ إِلَى مِنْهَاجِ الاستعاذةِ المَرْضِيَّةِ عِنْدَهُ تَعَالَى الحَقِيقَةِ بالإعاذةِ؛ فَإِنَّ تَوَسُّلَ العائذِ بِرَبِّهِ وَانْتِسَابَهُ إِلَيْهِ تَعَالَى بالمَرْبُوبِيَّةِ والمَمْلُوكِيَّةِ وَالعُبُودِيَّةِ فِي ضِمْنِ جِنْسٍ هُوَ فَرْدٌ مِنْ أفرادِهِ مِنْ دَوَاعِي مَزِيدِ الرَّحْمَةِ والرَّأْفَةِ، وَأَمْرُهُ تَعَالَى بِذَلِكَ مِنْ دَلائِلِ الوَعْدِ الكريمِ بالإعاذةِ لا مَحَالَةَ، ولأنَّ المُسْتَعَاذَ مِنْهُ شَرُّ الشَّيْطَانِ المَعْرُوفِ بِعَدَاوَتِهِمْ.

فَفِي التَّنْصِيصِ عَلَى انْتِظَامِهِمْ فِي سِلْكِ عُبُودِيَّتِهِ تَعَالَى وَمَلَكُوتِهِ رَمْزٌ إِلَى إِنْجَائِهِمْ مِنْ مَلَكَةِ الشَّيْطَانِ وَتَسَلُّطِهِ عَلَيْهِمْ حَسْبَمَا يَنْطِقُ بِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الإسراء: ٦٥].

فَمَنْ جعَلَ مَدَارَ تخصيصِ الإضافةِ مُجَرَّدَ كَوْنِ الاستعاذةِ مِن المَضَارِّ المختصَّةِ بالنفوسِ البشريَّةِ فَقَدْ قَصَّرَ فِي توفيةِ المقامِ حَقَّهُ.

وَأَمَّا جَعْلُ المُسْتَعَاذِ مِنْهُ فِيمَا سَبَقَ المَضَارَّ البَدَنِيَّةَ فَقَدْ عَرَفْتَ حَالَهُ). [إرشاد العقل السليم: ٧/٢١٦]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿رَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ معَ أَنَّهُ رَبُّ جَمِيعِ مخلوقاتِهِ للدلالةِ على شَرَفِهِمْ، ولكونِ الاستعاذةِ وَقَعَتْ في شرِّ ما يُوَسْوِسُ في صدورِهِم). [فتح القدير: ٥/٧٦٢]

قَالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وتخصيصُ الإضافةِ إلى الناسِ مع انتظامِ جميعِ العالَمِ في سِلْكِ رُبوبيَّتِه تعالى ومَلَكوتِه وأُلوهيَّتِه على ما في الإرشادِ للإرشادِ إلى مِنهاجِ الاستعاذةِ الحَقِيقَةِ بالإعاذةِ، فإنَّ تَوَسُّلَ العائذِ بربِّه وانتسابَه إليه بالمَربوبيَّةِ والمملوكيَّةِ والعُبوديَّةِ في ضِمْنِ جنسٍ هو فَرْدٌ مِن أفرادِه مِن دَواعِي مَزِيدِ الرحمةِ والرأفةِ، وأَمْرُه تعالى بذلك مِن دلائلِ الوَعدِ الكريمِ بالإعاذةِ لا مَحالةَ، ولأن المُستعاذَ منه شَرُّ الشيطانِ المعروفِ بعَداوتِهم، ففي التنصيصِ على انتظامِهم في سِلْكِ عُبوديَّتِه تعالى ومَلَكوتِه رَمْزٌ إلى إنجائِهم مِن مِلْكَةِ الشيطانِ وتَسَلُّطِه عليهم حَسْبَما يَنْطِقُ به قولُه تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الإسراء: ٦٥]). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٥]

قَالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (واقْتَصَرَ بعضُ الأَجِلَّةِ في بيانِ وجهِ التخصيصِ على كونِ الاستعاذةِ هنا مِن شَرِّ ما يَخُصُّ النفوسَ البشريَّةَ وهي الوَسوسةُ، كما قالَ تعالى: (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ وبُحِثَ فيه بعدَ الإغماضِ عمَّا فيه مِن القصورِ في تَوفيةِ المَقامِ حقَّه بأنَّ شَرَّ المُوَسْوِسِ كما يَلْحَقُ النفوسَ يَلحقُ الأبدانَ أيضًا، وفيه شيءٌ سنُشيرُ إن شاءَ اللهُ تعالى إليه، واختارَ هذا الباحثُ في ذلك أنه لَمَّا كانتِ

الاستعاذةُ فيما سَبَقَ مِن شَرِّ كلِّ شيءٍ أُضيفَ الربُّ إلى كلِّ شيءٍ، أي بِناءً على عُمومِ الفَلَقِ، ولَمَّا كانتْ هنا مِن شَرِّ الوَسواسِ لم يُضَفْ إلى كلِّ شيءٍ، وكان النظرُ إلى السورةِ السابقةِ يَقتضِي الإضافةَ إلى الوَسواسِ، لكنه لم يُضَفْ إليه حَطًّا لدرجتِه عن إضافةِ الربِّ إليه، بل إلى المستعيذِ، وكان في هذا الحطِّ رَمزًا إلى الوعْدِ بالإعاذةِ، وهو الذي يَجعلُ لِمَا ذُكِرَ حَظًّا في أداءِ حقِّ المَقامِ). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٥- ٢٨٦]

قالَ مُحمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وَإِنَّمَا قَالَ: (ربِّ الناسِ) معَ أَنَّهُ رَبُّ جميعِ مخلوقاتِهِ للدلالةِ على شَرَفِهِمْ، ولكونِ الاستعاذةِ وَقَعَتْ مِنْ شرِّ ما يُوَسْوِسُ في صُدُورِهِمْ). [فتح البيان: ١٥/٤٦٥]

قالَ مُحمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (وذَكَرَ اللَّهُ أَنَّهُ رَبُّ النَّاسِ عَلَى التَّخْصِيصِ مَعَ أَنَّهُ رَبُّ جَمِيعِ المُحْدَثَاتِ، لأنَّ الاستِعاذَةَ وَقَعَتْ مِنْ شَرِّ المُوَسْوِسِ فِي صُدُورِ النَّاسِ، فكَأَنَّهُ قِيلَ: أَعُوذُ مِنْ شَرِّ المُوَسْوِسِ إِلَى النَّاسِ بِرَبِّهِمْ، وهو مَعْبُودُهُمْ). [مراح لبيد: ٢/٦٨٣]

قالَ مُحمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (قالَ ابنُ تَيْمِيَّةَ: إِنَّما خَصَّ الناسَ بالذِّكْرِ؛ لأَنَّهُم المُستعيذونَ، فيَستعيذونَ بربِّهم الذي يَصُونُهم، وبمَلِكِهم الذي أَمَرَهم ونَهَاهُم، وبإِلَهِهم الذي يَعْبُدُونَهُ مِنْ شَرِّ الذي يَحُولُ بينَهم وبينَ عِبادتِهِ، ويَستعيذونَ أيضاً مِنْ شرِّ الوَسواسِ الذي يَحْصُلُ في نُفوسِ الناسِ منهم، ومِن الجِنَّةِ؛ فإِنَّهُ أَصْلُ الشرِّ الذي يَصْدُرُ منهم والذي يُرَدُ عليهم.

وقالَ النَّاصِرُ: في التَّخْصِيصِ جَرْيٌ على عَادةِ الاستعطافِ؛ فإِنَّهُ مَعَهُ أَتَمُّ). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٨٠]

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (وإنما قَالَ: رَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ، وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَهُ كُلِّ شَيْءٍ؛ مِنْ قِبَلِ أَنَّ النَّاسَ هُمُ الَّذِينَ أَخْطَؤُوا فِي صِفَاتِهِ وَضَلُّوا فِيهَا عَنِ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ، فَجَعَلُوا لَهُمْ أَرْبَابًا يَنْسِبُونَ إِلَيْهِمْ بَعْضَ النِّعَمِ، وَيَلْجَؤُونَ إِلَيْهِمْ فِي دَفْعِ النِّقَمِ، وَيُلَقِّبُونَهُمْ بالشُّفَعَاءِ وَيَظُنُّونَ أنهم هُمُ الَّذِينَ يُدَبِّرُونَ حَرَكَاتِهِمْ وَيَرْسُمُونَ لهم حُدُودَ أَعْمَالِهِمْ.

وبِحَسْبِكَ أَنْ تَقْرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١] وقولَهُ: ﴿ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٠]؟

وَالخُلاصَةُ أنه سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يُنَبِّهَ النَّاسَ بأنه هُوَ رَبُّهُمْ، وهُمْ أُنَاسٌ مُفَكِّرُونَ، وَمَلِكُهُمْ وهُمْ كَذلكَ، وإِلَهُهُمْ وَهُمْ هكذا، فَبَاطِلٌ ما اخْتَرَعُوا لأَنْفُسِهِمْ مِنْ حَيْثُ هُمْ بَشَرٌ). [تفسير المراغي: ٣٠/٢٧٠]

قالَ مُحمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وعُرِّفَ (رَبِّ) بإضافتِه إلى (الناسِ) دُونَ غيرِهم مِنَ المَربوبينَ؛ لأنَّ الاستعاذةَ مِن شَرٍّ يُلْقِيهِ الشيطانُ في قُلوبِ الناسِ فيَضِلُّونَ ويُضِلُّونَ، فالشرُّ المُستعاذُ منه مَصَبُّهُ إلى الناسِ، فناسَبَ أنْ يُستحضَرَ المستعاذُ إليه بعُنوانِ أنَّه ربُّ مَن يُلْقُونَ الشرَّ ومَن يُلْقَى إليهم؛ ليَصْرِفَ هؤلاءِ ويَدفعَ عن الآخرينَ، كما يُقالُ لِمَوْلَى العَبْدِ: يا مَوْلَى فُلانٍ، كُفَّ عَنِّي عَبْدَكَ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣٣]

قالَ عَطِيَّةُ مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (وقد جاءَ هنا لَفْظُ: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ بإضافةِ الربِّ إلى الناسِ، بما يُشْعِرُ بالاختصاصِ، معَ أنَّه سُبحانَه رَبُّ العالَمِينَ ورَبُّ كلِّ شيءٍ، كما في أوَّلِ الفاتِحَةِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

وفي قولِه: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

فالإضافةُ هنا إلى بعْضِ أفرادِ العامِّ.

وقد أُضِيفَ إلى بعْضِ أفرادٍ أُخْرَى كالسماواتِ والأرْضِ وغيرِها مِن بعْضِ كلِّ شيءٍ؛ كقولِه: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الرعد: ١٦].

وقولِه: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمل: ٩].

وإلى البيتِ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣﴾ [قريش: ٣].

وإلى البلَدِ الحَرَامِ: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ [النمل: ٩١].

وإلى العَرْشِ: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ۝١١٦﴾ [المؤمنون: ١١٦].

وإلى الرسولِ: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٠٦].

وقولِه: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ [المدثر: ٣] إلى غيرِ ذلك.

ولكنْ يُلاحَظُ أنه معَ كلِّ إضافةٍ مِن ذلك ما يُفيدُ العمومَ، وأنه معَ إضافتِه لفَرْدٍ مِن أفرادِ العمومِ، فهو رَبُّ العالَمِينَ، ورَبُّ كلِّ شيءٍ، ففي إضافتِه إلى السماواتِ والأَرْضِ جاءَ معَها ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الرعد: ١٦].

وفي الإضافةِ إلى المَشْرِقِ والمَغْرِبِ جاءَ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ [المزمل: ٩].

وفي الإضافةِ إلى البيتِ جاءَ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾ [قريش: ٤]، وهو اللَّهُ سُبحانَه.

وفي الإضافةِ إلى البَلْدةِ جاءَ: ﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ [النمل: ٩١] وهو اللَّهُ تعالى.

وفي الإضافةِ إلى العَرْشِ جاءَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

وفي الإضافةِ إلى الرسولِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ جاءَ قولُه: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ [الضحى: ٣] وغيرُ ذلك مِن الإضافةِ إلى أيِّ فرْدٍ مِن أفرادِ العمومِ يَأتي معَها ما يُفيدُ العمومَ، وأنَّ اللَّهَ ربُّ العَالَمِينَ.

وهنا رَبُّ الناسِ جاءَ معَها: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾؛ لِيُفِيدَ العُمومَ أيضاً؛ لأنَّ إطلاقَ الربِّ قد يُشَارِكُ فيهِ السيِّدُ المُطاعُ، كما في قولِه: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وقولِ يُوسُفَ لصاحِبِه في السِّجْنِ: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢] أي: المَلِكِ على أظْهَرِ الأقوالِ، وقولِه: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ﴾ [يوسف: ٥٠] الآيةَ.

فجاءَ بالمَلِكِ والإِلَهِ للدَّلالةِ على العُمومِ، في معنى رَبِّ الناسِ، فهو سُبحانَه رَبُّ العالَمِينَ ورَبُّ كلِّ شيءٍ، ولكنَّ إضافتَه هنا إلى خُصوصِ الناسِ إشعارٌ بِمَزِيدِ اختصاصٍ، ورِعايةِ الربِّ سُبحانَه لعَبْدِه الذي دَعاهُ إليه ليَسْتَعِيذَ به مِن عَدُوِّهِ، كما أنَّ فيه تَقويَةَ رجاءِ العبْدِ في رَبِّه بأنه سُبحانَه برُبُوبِيَّتِه سيَحْمِي عَبْدَه لعُبودِيَّتِه ويُعِيذُه مِمَّا اسْتَعاذَ به منه.

ويُقَوِّي هذا الاختصاصَ إضافةُ الربِّ للرسولِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ في جميعِ أطْوارِه منذُ البَدْأَيْنِ: بَدْأِ الخِلْقةِ، وبَدْأِ الوَحْيِ، في قولِه: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) ﴾ [العلق: ١- ٢]. ثم في نَشْأتِه: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) ﴾ [الضحى: ٣] إلى قوله: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨) ﴾ [الضحى: ٦- ٨].

وجعلَ الرغْبَةَ إليه في السُّورةِ بعدَها: ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب (٨) ﴾ [الشرح: ٨] تَعدادَ النِّعَمِ عليه مِن شَرْحِ الصدْرِ ووَضْعِ الوِزْرِ ورَفْعِ الذِّكْرِ، ثم في المُنْتَهَى قولُه: ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨) ﴾ [العلق: ٨]). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٥٤- ٣٥٥]

قالَ عَطِيَّةُ مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (وفي إضافةِ المَلِكِ إلى الناسِ مِن إشعارِ الاختصاصِ، معَ أنَّه سُبحانَه مَلِكُ كلِّ شيءٍ، فيه ما في إضافةِ الربِّ للناسِ المُتَقَدِّمُ بَحْثُه، فهو سُبحانَه مالِكُ المُلْكِ؛ كما في قولِه: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقَوْلِه تعالى: ﴿ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ﴾ [التغابن: ١].

وقولِه: ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ١٠٧].

وقولِه: ﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ﴾ [الحشر: ٢٣].

فهو سُبحانَه وتعالَى المُتَفَرِّدُ بالمُلْكِ، لا شريكَ له في مُلْكِه؛ كما قالَ تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ [الإسراء: ١١١] فبَدأَ بالحَمْدِ أوَّلًا.

ومِثْلُه قولُه: ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [يس: ٨٣] بَدأَ بتسبيحِ نفْسِه وتَنزيهِه لعُمومِ المُلْكِ ومُطْلَقِ التصرُّفِ ونَفْيِ الشَّرِيكِ؛ لأنَّ مُلْكَهُ مُلْكُ تَصرُّفٍ وتَدبيرٍ معَ الكمالِ في الحَمْدِ والتقديسِ.

وكقولِه: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) ﴾ [الملك: ١].

وبهذه النصوصِ يُعْلَمُ كمالُ مُلْكِه تعالى، ونَقْصُ مُلْكِ ما سِواهُ مِن ملوكِ الدنيا، ونَعْلَمُ أنَّ مُلْكَهم بتَمليكِ اللَّهِ تعالى إيَّاهم؛ كما في قَوْلِه تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وقولِه: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

ومِن المعلومِ أنَّ مُلوكَ الدنيا مُلْكُهم مُلْكُ سِياسةٍ ورِعايةٍ، لا مُلْكُ تَمَلُّكٍ وتَصرُّفٍ، وكما في قَوْلِه تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ

﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ [البقرة: ٢٤٧].

والجَديرُ بالتنبيهِ عليه بهذه المُناسَبَةِ أنَّ بريطانيا تَحْتَرِمُ نِظامَ المَلَكِيَّةِ إلى هذا الوقْتِ الحاضِرِ، بدَافِعٍ مِن هذا المُعْتَقَدِ، وأنه لا مُلْكَ إلاَّ بتمليكِ اللَّهِ إيَّاهُ، وأنَّ ملوكَ الدنيا باصْطِفَاءٍ مِن اللَّهِ.

والآيةُ تُشيرُ إلى ما نَحْنُ بصَدَدِ بيانِه، مِن أنَّ مُلوكَ الدنيا لا يَمْلِكُونَ أمْرَ الرَّعِيَّةِ؛ لأنَّ طَالُوتَ مَلِكٌ، وليسَ مالِكاً لأموالِهم، بينَما مُلْكُ اللَّهِ تعالى مُلْكُ خَلْقٍ وإيجادٍ وتَصرُّفٍ؛ كما في قَوْلِه تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًاۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩- ٥٠].

و﴿عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ هنا مِن خَصَائِصِه سُبحانَه وتعالى، فيَتَصرَّفُ في مُلْكِه بعِلْمٍ وعن قُدرةٍ كاملتَيْنِ سُبحانَه، له مُلْكُ السماواتِ والأرْضِ، يُحْيِي ويُميتُ وهو على كُلِّ شيءٍ قَديرٌ.

وتَظهَرُ حقيقةُ ذلكَ إذا جاءَ اليومُ الحقُّ، فيَتَلاشَى كلُّ مُلْكٍ قَلَّ أو كَثُرَ، ويَذِلُّ كُلُّ مَلِكٍ كَبُرَ أو صَغُرَ، ولم يَبْقَ إلاَّ مُلْكُه تعالَى يومَ هُمْ بارِزونَ، لا يَخْفَى على اللَّهِ منهم شيءٌ، لِمَن المُلْكُ اليومَ؟ للهِ الواحدِ القَهَّارِ.

وفي سُورَةِ الفاتحةِ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٤].

والقراءةُ الأُخْرَى: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) [الفاتحة: ٤].

في القراءتيْنِ معاً إشعارٌ بالفرْقِ بينَ مُلْكِ اللَّهِ ومُلْكِ العِبادِ، كالفَرْقِ بينَ المُلْكِ المُطْلَقِ والمُلْكِ النِّسْبِيِّ؛ إذ المُلْكُ النِّسْبِيُّ لا يُمَلِّكُ، والمُلْكُ المُطْلَقُ، فهو المَلِكُ القُدُّوسُ، والذي بيدِه مَلكوتُ كلِّ شيءٍ وإليه تُرْجَعُ الخلائقُ كلُّهم.

ومَن كانَتْ هذه صفاتِه، فهو المُسْتَحِقُّ لِأَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ سُبحانَه، ولا يُشْرَكَ معه أحَدٌ، وهذا هو شِعارُ العبْدِ في الرُّكْنِ الخامسِ مِن أركانِ الإسلامِ، حينَ يُهِلُّ بالتَّلْبِيَةِ: إنَّ الحمْدَ والنِّعمةَ لكَ والمُلْكَ لا شَريكَ لكَ). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٥٦- ٣٥٨]

الحكمة من تكرير لفظ الناس، ومن زعم أنه غير مكرر

قَالَ مَحْمُودُ بنُ حَمْزَةَ بنِ نَصرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾﴾: ثُمَّ كَرَّرَ النَّاسَ خَمْسَ مَرَّاتٍ. قِيلَ: كَرَّرَ تَبْجِيلاً لَهُمْ عَلَى مَا سَبَقَ، وَقِيلَ: كَرَّرَ لانْفِصَالِ كُلِّ آيَةٍ مِنَ الأُخْرَى لِعَدَمِ حَرْفِ العَطْفِ.

وَقِيلَ المُرَادُ بِالأَوَّلِ الأَطْفَالُ، وَمَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ يَدُلُّ عَلَيْهِ وَبِالثَّانِي الشُّبَّانُ وَلَفْظُ المَلِكِ المُنْبِي عَلَى السِّيَاسَةِ يَدُلُّ عَلَيْهِ. وَبِالثَّالِثِ الشُّيُوخُ وَلَفْظُ الإِلَهِ المُنْبِي عَنِ العِبَادَةِ يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَبِالرَّابِعِ الصَّالِحُونَ الأَبْرَارُ، وَالشَّيْطَانُ مُولَعٌ بِإِغْوَائِهِمْ. وَبِالخَامِسِ المُفْسِدُونَ الأَشْرَارُ وَعَطْفُهُ عَلَى المُعَوَّذِ مِنْهُمْ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ). [البرهان: ٣٧١- ٣٧٢]

قالَ مَحْمُودُ بنُ حَمْزَةَ بنِ نَصْرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (وصَرَّحَ بذِكْرِ الناسِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، وكانَ القِيَاسُ أنْ يُصرِّحَ بالاسمِ مَرَّةً، ثم يُكَنِّيَ عنه، كغيرِها مِنَ الآياتِ وكغيرِه مِنَ الأسماءِ، لكنْ صَرَّحَ لانفصالِ كلِّ آيَةٍ مِنَ الأُخْرَى؛ لعَدَمِ حَرْفِ العَطْفِ، وقِيلَ: صَرَّحَ به تَعظيمًا له وتَكْرِمَةً.

وقيلَ: لأنَّ كلَّ واحِدٍ مِن ذلك غيرُ الآخَرِ؛ فإنَّ المرادَ بـ﴿رَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾: الأطفالُ، ولفْظُ الربِّ المُنْبِئُ عن التربيةِ يَدُلُّ عليه. وبقَوْلِهِ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ الشُّبَّانُ، ولفظُ المَلِكِ المُنْبِئُ عن السياسةِ يَدُلُّ عليه. وبقَوْلِهِ: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ الشُّيوخُ، ولَفْظُ الإلهِ المُنْبِئُ عن العِبَادَةِ والتَّأَلُّهِ يَدُلُّ عليه. والمرادُ بقَوْلِهِ: ﴿صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ الصالحونَ الأبرارُ، فإنَّ الشيطانَ مُولَعٌ بإغوائِهم. والمرادُ بقَوْلِهِ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ الطالحونَ الأشرارُ، وعَطْفُهُ على المُعَوَّذِ منهم يَدُلُّ عليه). [غرائب التفسير: ٢/١٤١٥]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (فإنْ قُلْتَ: فهَلاَّ اكْتَفَى بإظهارِ المضافِ إليه الذي هو ﴿ٱلنَّاسِ﴾ مَرَّةً واحدةً؟ قلتُ: لأنَّ عطفَ البيانِ للبيانِ، فكانَ مَظِنَّةً للإظهارِ دونَ الإضمارِ). [الكشاف: ٦/٤٦٨]

قَالَ عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ الأَصْبَهَانِيُّ البَاقُولِيُّ (ت: ٥٤٣هـ): (وليسَ قولُه: ﴿ٱلنَّاسِ﴾ تَكْرارًا؛ لأنَّ المرادَ بالأَوَّلِ الأَجِنَّةُ، ولهذا قالَ: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾، لأنه يُرَبِّيهِم. والمرادَ بالثاني الأطفالُ، ولهذا قالَ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ لِأَنْ يَمْلِكُهم. والمرادَ بالثالثِ البَالِغُونَ المُخاطَبُونَ بالعبادةِ، ولهذا قالَ: ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾، لأَنَّهم يَعْبُدونَه. والمرادَ بالرابعِ العُلَماءُ؛ لأنَّ الشيطانَ يُوَسوِسُ إليهم؛ ولا يُرِيدُ الجُهَّالَ؛ لأنَّ الجاهلَ يَضِلُّ بجَهْلِه، فإنما يُوقِعُ الوسوسةَ في قَلْبِ العالِمِ، كما قالَ: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [سورة طه: ١٢٠]). [كشف المشكلات: ٢/١٤٩٧]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (المسألةُ الرابعةُ: السببُ في تَكْرِيرِ لَفْظِ الناسِ أنَّه إنَّما تَكَرَّرَتْ هذه الصِّفَاتُ؛ لأنَّ عَطْفَ البَيَانِ يَحْتَاجُ إِلَى مَزِيدِ الإِظْهَارِ، ولأنَّ هذا التَّكْرِيرَ يَقْتَضِي مَزِيدَ شَرَفِ النَّاسِ؛ لأنَّه سُبْحانَه كأنَّه عَرَّفَ ذَاتَه بكَوْنِه رَبًّا للنَّاسِ، مَلِكًا للنَّاسِ، إِلَهًا للنَّاسِ، ولولا أَنَّ النَّاسَ أَشْرَفُ مَخْلُوقَاتِه وإِلاَّ لَمَا خَتَمَ كِتَابَه بتَعْرِيفِ ذَاتِه بكَوْنِه رَبًّا ومَلِكًا وإِلَهًا لَهُم). [التفسير الكبير: ٣٢/١٨١]

قَالَ حُسَيْنُ بْنُ أَبِي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (وقولُه: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ كلاهما نَعْتٌ للربِّ أو بَدَلٌ منه. الزَّمَخْشَرِيُّ: هما عَطْفُ بيانٍ له، كقولِكَ: سيرَةُ أبي حَفْصٍ عُمَرَ الفاروقِ، وبُيِّنَ بـ(مَلِكِ النَّاسِ) ثم زِيدَ بَيَانًا بـ(إِلَهِ النَّاسِ)؛ لأنَّه قد يُقالُ لغيرِه: ﴿رَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾، كقولِه: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] وقد يُقالُ: (مَالِكُ النَّاسِ)، وأَمَّا (إِلَهُ النَّاسِ) فخَاصٌّ لا شَرِكَةَ فيه، فجُعِلَ غايةً للبيانِ. فإن قُلْتَ: هَلاَّ اكْتَفَى بإظهارِ المضافِ إليه الذي هو النَّاسُ مَرَّةً وَاحِدَةً؟ قلتُ: لأنَّ عطفَ البيانِ للبيانِ، فكانَ مَظِنَّةً للإظهارِ دونَ الإضمارِ، انتهى كلامُه). [الفريد: ٤/٧٥٤]

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ بنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت: ٦٦٠هـ): (قَوْلُهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①﴾ فيه أَسْئِلَةٌ:

الأَوَّلُ: لِمَ أُقِيمَ الظَّاهِرُ مُقَامَ المُضْمَرِ في قَوْلِهِ: ﴿مَلِكِ النَّاسِ ②﴾ وما بَعْدَهُ، وكَانَ الأَصْلُ أَنْ يُقَالَ: مَلِكِهِمْ وإِلَهِهِمْ). [فوائد في مشكل القرآن:٢٦١]

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ بنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت: ٦٦٠هـ): (والجوابُ عَنِ الأوَّلِ: أَنَّ الظَّاهِرَ أُقِيمَ مُقَامَ المُضْمَرِ لوُجُوهٍ: الأَوَّلُ: أَنَّ رَبَّ النَّاسِ: المُرَادُ به المُصْلِحُ. ولا شَكَّ أَنَّ كُلَّ النَّاسِ لَمْ يَحْصُلْ لهم الصَّلاحُ، وهو عَامٌّ مَخْصُوصٌ، ومَلِكُ النَّاسِ عَامٌّ، فلو قَالَ: مَلِكِهِمْ، لم يَعُمَّ المَلِكُ تَدْبِيرَ سائِرِ النَّاسِ؛ لأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَكُونُ عائِدًا على الجَمَاعَةِ المُرَادِينَ مِنَ النَّصِّ الأَوَّلِ فقطْ، فأُتِيَ بالظَّاهِرِ لِيَعُمَّ سَائِرَ النَّاسِ، ولو قَالَ: إِلَهِهِمْ – والمُرادُ بالإلَهِ المعْبُودُ – لكَانَ يَلْزَمُ أَنَّ كُلَّ النَّاسِ عَبَدُوا اللهَ عَزَّ وجَلَّ؛ لأَنَّ ضَمِيرَ العَامِّ عَامٌّ، وهذا خَبَرٌ، لكِنَّ الأَمْرَ لَيْسَ كذلك، فأُتِيَ بالظَّاهِرِ لنَفْيِ هذا المَحْذُورِ.

أو نَقُولُ: الاسْتِعَاذَةُ في معْنَى الدُّعاءِ، وهو مَطْلُوبٌ فيه التَّعْظِيمُ والتَّفْخِيمُ، ومِنْ عادَتِهِم إذا عَظَّمُوا أَمْرًا أَقَامُوا الظَّاهِرَ فيه مُقَامَ المُضْمَرِ، كقَوْلِهِ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ③﴾ [القارعة: ٣] وكَانَ الأَصْلُ: وما أَدْرَاكَ ما هِيَ؟

وكقَوْلِ الشَّاعِرِ:

مَا لِي أَرَى المَوْتَ لا يَسْبِقُ المَوْتَ شَيْءٌ ....

وكَانَ الأَصْلُ: لا يَسْبِقُهُ شَيْءٌ.

أو نَقُولُ: أُقِيمَ الظَّاهِرُ مَقَامَ المُضْمَرِ لمُرَاعَاةِ الجِنَاسِ بَيْنَ ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④﴾ وما قَبْلَهُ). [فوائد في مشكل القرآن:٢٦١- ٢٦٢]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (وتكريرُ الناسِ لِمَا في الإظهارِ من مَزِيدِ البيانِ، والإشعارِ بشَرَفِ الإنسانِ). [أنوار التنزيل: ٢/١١٨١]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ بنِ الزُّبَيْرِ الغِرْنَاطِيُّ (ت: ٧٠٨هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①﴾ إلى آخرِ السُّورَةِ، يُسْأَلُ عَنْ تَكَرُّرِ النَّاسِ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③﴾ وما وجْهُ ذَلِكَ؟

والجَوَابُ: أَنَّ التَّبَعِيَّةَ في مَلِكِ النَّاسِ على عَطْفِ البَيَانِ ولا تَحْسُنُ فيه الإِضَافَةُ إلى الضَّمِيرِ؛ لأَنَّ ذلك يُؤَدِّي إلى تَعَرُّفِ الاسْمَيْنِ بِضَمِيرِ الأَوَّلِ الذي عَلَيْهِ حَمْلُهُمَا، فَكَأَنْ يَكُونُ الأَوَّلُ في حُكْمِ الأَعْرَفِ مِنَ اللَّفْظِ التَّابِعِ لهُ وذَلِكَ عَكْسُ ما عَلَيْهِ عَطْفُ البَيَانِ، أَمَّا إذَا أُضِيفَ التَّابِعُ لِمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ مَتْبُوعُهُ فَإِنَّهُ إِذْ ذاك لا يَكُونُ مُساوِيًا له، وذَلِكَ هو الجَارِي المُطَّرِدُ في هذا الضَّرْبِ مِنَ التَّوَابِعِ - أَعْنِي أَنْ يَكُونَ في الأَغْلَبِ الكَثِيرِ مُسَاوِيًا للأَوَّلِ أَوْ أَعْرَفَ- فَلِهَذَا جاءَ مُضَافًا إلى الظَّاهِرِ هنا، واللَّهُ أَعْلَمُ). [ملاك التأويل:]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (ولم يُكْتَفَ بإظْهارِ المُضافِ إليه مرَّةً واحدةً؛ لأنَّ قولَه: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ عطفُ بَيَانٍ لـ(رَبِّ النَّاسِ)؛ لأنَّه يُقالُ لغيرِه: ربُّ الناسِ ومَلِكُ النَّاسِ. وأمَّا (إِلَهُ النَّاسِ) فخَاصٌّ لا شِرْكَةَ فِيه، وعُطِفَ للبَيَانِ، فكأنَّه مَظِنَّةٌ للإظْهارِ دونَ الإضْمَارِ). [مدارك التنزيل:٣/٢٠١٥]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (وقِيلَ: أرادَ بالأوَّلِ: الأطفالَ؛ ومعنَى الرُّبُوبيَّةِ يَدُلُّ عَلَيه، وبالثاني: الشُّبَّانَ؛ ولَفظُ المَلِكِ المُنْبِئُ عن السِّياسةِ يَدُلُّ عَلَيْه، وبالثَّالثِ: الشُّيوخَ؛ ولَفْظُ الإلهِ المُنْبِئُ عنِ العبادَةِ يَدُلُّ عَلَيه، وبالرَّابعِ: الصَّالحِينَ؛ إذِ الشَّيطانُ مُولَعٌ بإغْوائِهم، وبالخامِسِ: المُفْسِدينَ؛ لِعَطْفِه على المُعَوَّذِ مِنْه). [مدارك التنزيل:٣/٢٠١٥]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (وَالسَّبَبُ فِي تَكْرِيرِ لَفظِ النَّاسِ يَقْتَضِي مَزِيدَ شَرَفِهِمْ عَلَى غَيْرِهِمْ). [لباب التأويل: ٤/٥٠٣]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (وتَكْرِيرُ لَفْظِ الناسِ في السورةِ للتشريفِ، كأنه عَرَّفَ ذاتَه في خَاتِمَةِ كِتابِه الكريمِ بكونِه رَبًّا ومَلِكاً وإلَهاً لَهُم؛ أو لأنَّ عَطْفَ البيانِ يَحْتاجُ إلى مَزِيدِ الكَشْفِ والتوضيحِ.

ولو قِيلَ: إنَّ الثانِيَ بَدَلُ الكلِّ مِن الأولِ، فالأحْسَنُ أَيْضاً وَضْعُ المُظْهَرِ مَقامَ المُضْمَرِ؛ كَيْلا يكونَ المقصودُ مُفْتَقِراً إلى ما لَيْسَ بمقصودٍ في الظاهرِ، معَ رِعايةِ فَواصِلِ الآيِ). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٤]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (وقيلَ: لا تَكْرارَ في السورةِ؛ لأنَّ المرادَ بالأولِ: الأطفالُ، ومعنَى الرُّبُوبيَّةِ يدُلُّ عليهِ؛ لشِدَّةِ احتياجِهم إلى التَّرْبِيَةِ، وبالثاني: الشُّبَّانُ، ولَفْظُ المَلِكِ المُنْبِئِ عن السياسةِ يدُلُّ عليهِ؛ لمَزِيدٍ مِن افتقارِهم إلى الزَّجْرِ؛ لقُوَّةِ دواعي الشَّهْوَةِ والغَضَبِ فيهم، معَ أنَّ العَقْلَ الصادِقَ لَمْ يَقْوَ بَعْدُ ولَمْ يَسْتَحْكِمْ، وبالثالثِ: الشُّيوخُ.

ولَفْظَةُ ﴿إِلَٰهِ﴾ المُنْبِئِ عن استحقاقِ العِبادَةِ له يدُلُّ عليهِ؛ لفُتورِ الدواعي المذكورةِ وَقْتَئِذٍ، فتَتَوَجَّهُ النفسُ إلى تَحْصيلِ ما يُزْلِفُه إلى اللَّهِ بتَدارُكِ ما فَاتَ.

والمرادُ بالرابعِ: الصالحونَ والأبرارُ، فإنَّ الشيطانَ مُولَعٌ بإغوائِهم.

وبالخامسِ: المفسدونَ والأشرارُ؛ لأنَّه بيانُ المُوسْوِسِ، فإنَّ الوَسواسَ الخَنَّاسَ قدْ يكونُ مِن الجِنَّةِ، وقدْ يكونُ مِن الناسِ، كما قالَ: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٤- ٢٢٥]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إبْرَاهِيمَ ابْنُ جَمَاعَةَ الكِنَانِيُّ (ت: ٧٣٣هـ): (وأمَّا تَكْرارُ ﴿ٱلنَّاسِ﴾؛ فإمَّا لمُشابَهَةِ رُءوسِ الآيِ لغيرِها من السورِ، أو لأنَّ الأوصافَ الثلاثةَ أتَى بها عَطْفَ بيانٍ؛ كقَوْلِكَ: (الفَارُوقُ أبو حَفْصٍ عُمَرُ)؛ لقَصْدِ البيانِ، فكانَ التصريحُ بلَفْظِ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ أصْرَحَ في البيانِ من الضمائرِ، وخُصَّ بذلكَ لأن غَيْرَهم لا يَدَّعِي الرُّبُوبِيَّةَ والمُلْكَ والأُلُوهِيَّةَ، فبَيَّنَ أنه إلَهُ مَن قد يُوصَفُ بذلكَ، فغَيْرُهم أَوْلَى بأنه إلَهُهُم). [كشف المعاني:٤٣٥]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (فإن قيلَ: لِمَ أَظْهَرَ المُضافَ إليه، وهو الناسُ، في المَرَّةِ الثانيةِ والثالثةِ، فهلاَّ أَضْمَرَه في المَرَّتَيْنِ لتقدُّمِ ذِكْرِه في قولِه: ﴿ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ① ﴾ أو هَلاَّ اكْتَفَى بإظهارِه في المَرَّةِ الثانيةِ؟ فالجوابُ: أنه لَمَّا كان عَطْفَ بيانٍ حَسُنَ فيه البيانُ، وهو الإظهارُ دونَ الإضمارِ وقَصَدَ أيضًا الاعتناءَ بالمُكَرَّرِ ذِكْرُه كقولِ الشاعِرِ:

لا أَرَى المـوتَ يَـسْبِقُ المـوتَ شَـيْءٌ يَغُـصُّ المـوتُ ذا الغِنَـى والفقـيرِ). [التسهيل: ٢٢٧]

قالَ أَبُو حيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَقالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: (فَإِنْ قُلْتَ): فَهَلاَّ اكْتُفِيَ بِإظهارِ المضافِ إليهِ الذي هوَ ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾ مَرَّةً وَاحِدَةً؟

(قُلْتُ): لأنَّ عَطْفَ البيانِ للبَيَانِ، فكانَ مَظِنَّةً للإظهارِ دونَ الإضمارِ. انْتَهَى). [البحر المحيط: ٨/٧٦٤]

قَالَ السَّمِينُ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الحَلَبِيُّ (ت: ٧٥٦هـ): (ثُمَّ قَالَ [أي الزمخشري]: (فإِنْ قُلْتَ: فَهَلاَّ اكْتُفِيَ بِإظهارِ المضافِ إليهِ مَرَّةً وَاحدةً؟ قُلْتُ: لأَنَّ عَطْفَ البيانِ للبيانِ، فكَانَ مَظِنَّةً للإِظْهَارِ)). [الدر المصون: ١١/١٦٢]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ سُلَيْمَانَ بْنِ رَيَّانَ (ت: ٧٧٠هـ): (سُؤَالٌ: ما الفائدةُ في تكريرِ ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾ ؟

جَوَابٌ: منْ وَجْهَيْنِ:

١. إنه مَضَى عن المُصنِّفِ بيانُ فائدَتِهِ في تكريرِ لفْظِ (المِيزَانِ) في سورةِ الرحمَنِ من أنَّ الميزانَ يُفْهَمُ منه معانٍ متعددةٌ، واستُعْمِلَ في كلِّ مَقامٍ بما يُناسِبُهُ.

٢. إنه أحالَ المصنفُ في (تلك) السورةِ بيانَ تلكَ الفائِدَةِ إلى لَفْظَةِ النَّاسِ في آخِرِ القرْآنِ). [الروض الريان: ٣/٦٥٠- ٦٥١]

قالَ جَلالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ المَحَلِّيُّ (ت: ٨٦٤هـ): (﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ② إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ③ ﴾ بَدَلانِ أوْ صِفَتَانِ أوْ عَطْفَا بَيَانٍ، وَأَظْهَرَ المُضَافَ إليهِ فِيهِمَا زِيَادَةً للبَيَانِ). [تفسير الجلالين: ٦٠٤]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: "فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلاَّ اكْتُفِيَ بِإِظْهَارِ المُضَافِ إِلَيْهِ الَّذِي هُوَ النَّاسُ مَرَّةً وَاحِدَةً؟ قُلْتُ: لأَنَّ عَطْفَ البَيَانِ لِلْبَيَانِ، فكَانَ مَظِنَّةً للإِظْهَارِ دُونَ الإِضمَارِ".
وكُرِّرَ لَفْظُ "النَّاسِ"؛ لأَنَّ عَطْفَ البَيَانِ يَحْتَاجُ إِلَى مَزِيدِ الإِظْهَارِ، ولأَنَّ التَّكْرَارَ يَقْتَضِي مَزِيدَ شَرَفِ النَّاسِ، وأَنَّهُمْ أَشْرَفُ مَخْلُوقَاتِهِ). [اللباب: ٢٠/٥٧٧]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١هـ): (مَطْلَعُهَا: ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾، وَمَقْطَعُهَا: ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾، وتَكَرَّرَ فِيهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ مُخْتَلِفَ المَعَانِي، وَقَدْ عُدَّ مِنَ الجِنَاسِ). [مراصد المطالع:٨٣- ٨٤]

قَالَ زَكَرِيَّا بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٩٢٦هـ): (لماذا ذَكَرَ لَفْظَ (النَّاسِ) فيها خَمْسَ مَرَّاتٍ؟). [فتح الرحمن:٤٩٩]

قَالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): ((تنبيهٌ) يجوزُ في مَلِكِ النَّاسِ وإلهِ النَّاسِ أنْ يكونا وَصْفَيْنِ لربِّ النَّاسِ، وأنْ يكونا بَدَلَيْنِ، وأنْ يكونا عَطْفَ بيانٍ، واقْتصرَ عليهِ الزَّمَخْشريُّ، قَالَ: كقولِكَ سيرةُ أبي حفصٍ عمرَ الفاروقِ، بُيِّنَ بمَلِكِ النَّاسِ ثمَّ زِيدَ بيانًا بإلهِ النَّاسِ؛ لأَنَّهُ قدْ يُقَالُ لغيرِهِ: ربُّ النَّاسِ كقولِهِ

تَعَالَى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] وقدْ يُقَالُ: مَلِكُ النَّاسِ، وأما إلهُ النَّاسِ فخاصٌّ لا شَرِكَةَ فيهِ فُجِعَلَ غايةً لِلبَيانِ.

(فإنْ قيلَ) هلاَّ اكتفى بإظهارِ المضافِ إليهِ الَّذِي هوَ الناسُ مرَّةً واحِدَةً.

(أجيبَ) بأنَّ عطفَ البيانِ للبيانِ فكانَ مَظِنَّةً للإظهارِ دونَ الإضمارِ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٦]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (وَتَكْرِيرُ الْمُضَافِ إِلَيْهِ لَمزِيدِ الكَشْفِ والتقريرِ والتشريفِ بالإضافةِ). [إرشاد العقل السليم: ٧/٢١٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وكَرَّرَ لَفْظَ الناسِ في الثلاثةِ المواضعِ ؛ لأنَّ عطفَ البيانِ يَحْتَاجُ إلى مزيَّةِ الإظهارِ، وَلأنَّ التكريرَ يَقْتَضِي مَزِيدَ شرفِ الناسِ). [فتح القدير: ٥/٧٦٣]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وتكريرُ المضافِ إليه لمزيدِ الكشفِ والتقريرِ والتشريفِ بالإضافةِ.

وقيلَ: لا تَكرارَ، فإنه يَجوزُ أن يُرادَ بالعامِّ بعضُ أفرادِه فالناسُ الأوَّلُ بمعنى الأجِنَّةِ والأطفالِ المحتاجينَ للتربيةِ، والثاني الكهولُ والشُّبَّانُ ؛ لأنهم المحتاجون لِمَن يَسوسُهم، والثالثُ الشيوخُ الْمُتَعَبِّدونَ المتوجِّهونَ للهِ تعالى، وهو على ما فيه يُبْعِدُه حديثُ إعادةِ الشيءِ مَعرِفةٌ وإن كان أَغْلَبِيًّا). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٦]

قالَ مُحمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وَقِيلَ: أَرَادَ بالأوَّلِ الأطفالَ، وَمعنَى الرُّبُوبِيَّةِ يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَبالثاني الشَّبَابَ وَلَفْظُ المَلِكِ الْمُنْبِئُ عَنِ السياسةِ يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَبالثالثِ الشيوخَ وَلَفْظُ الإلَهِ الْمُنْبِئُ عَنِ العبادةِ يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَبالرابعِ الصالحِينَ؛ إذِ الشيطانُ مُولَعٌ بإغْوَائِهِمْ، وَبالخامسِ الْمُفْسِدِينَ لِعَطْفِهِ على المعوذِ منهُ. ذَكَرَهُ النسفيُّ، وَلا وَجْهَ لهذا التخصيصِ وَإِنَّمَا هذا الكلامُ مِنْ لَطَائِفِ البيانِ). [فتح البيان: ١٥/٤٦٦]

قالَ مُحمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وَكَرَّرَ لفظَ الناسِ في الثلاثةِ المواضعِ ؛ لأنَّ عطفَ البيانِ يَحْتَاجُ إلى مَزِيَّةِ الإظهارِ وَالبيانِ، وَلأنَّ التكريرَ يَقْتَضِي مَزِيدَ شرفِ الناسِ). [فتح البيان: ١٥/٤٦٦]

قالَ مُحمَّد عَبْدُه المصريُّ(ت: ١٣٢٣هـ): (وإِنَّمَا كَرَّرَ ذِكْرَ النَّاسِ باللَّفْظِ الظَّاهِرِ دُونَ الضَّمِيرِ لتَقْرِيرِ الأَمْرِ فَضْلَ تَقْرِيرٍ، لشِدَّةِ تَعَلُّقِ الجُمْهورِ الأَعْظَمِ مِنَ النَّاسِ بخَيالاتِهم، وتَمَسُّكِهم بأَوْهامِهم وظَنِّهم أَنَّهُم لكَوْنِهم ناسًا - أي: بَشَرًا عُقلاءَ مُتَفكِّرِينَ - قد وَصَلوا فيما تَعَلَّقوا به إلى ما هو الصَّحِيحُ الْمُنْطَبِقُ على الواقِعِ، فأَرادَ أنْ يُنَبِّهَ بذِكْرِ اللَّفْظِ الدَّالِّ عليهم بجانِبِ كُلِّ صِفَةٍ إلى أنَّ اللهَ هو رَبُّهم، وهم أُناسٌ مُتَفكِّرونَ، ومَلِكُهم وهم كذلكَ، وإِلَهُهم وهم كذلك، وباطِلٌ ما اخْتَرَعوا لأَنْفُسِهم بعُقُولِهم من حيثُ هم بَشَرٌ، فإذا لم يَكُنْ للإنْسانِ رَبٌّ ولا مَلِكٌ ولا إِلَهٌ إلاَّ اللهُ فاسْتَعِذْ به وَحْدَهُ). [تفسير جزء عم: ١٨٩]

قالَ مُحمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (الثانِيَةُ: تكريرُ الْمُضافِ إليهِ، وهوَ (النَّاس) باللَّفْظِ الظاهرِ؛ لَمزِيدِ الكشفِ والتقريرِ والتشريفِ بالإضافةِ ؛ فإنَّ الإظهارَ أَنْسَبُ بالإيضاحِ المَسُوقِ لهُ عطفُ البيانِ، وأدلُّ على شَرَفِ الإنسانِ. وقيلَ: لا تَكْرَارَ ؛ لِجَوَازِ أنْ يُرادَ بالعامِّ بعضُ أفرادِهِ.

فـ(النَّاسُ) الأَوَّلُ بمعنى الأَجِنَّةِ والأطفالِ المُحتَاجينَ للتربيَةِ.

والثاني: الكُهُولُ والشُّبَّانُ؛ لأَنَّهُم محتاجونَ لِمَنْ يَسُوسُهم.

والثالثُ: الشيوخُ؛ لأَنَّهُم المُتَعَبِّدُونَ المتوَجِّهُونَ للَّهِ.

قالَ الشِّهَابُ: وفيهِ تَأَمُّلٌ). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٨١]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (و﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ ﴾ عطفُ بيانٍ مِن ﴿ رَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ ﴾، وكذلك ﴿ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ ﴾، فتكريرُ لفْظِ ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾ دونَ اكتفاءٍ بضَميرِه؛ لأنَّ عطْفَ البيانِ يَقتضِي الإظهارَ؛ ليَكونَ الاسمُ المُبيِّنُ - بكسْرِ الياءِ- مستَقِلاً بنَفْسِه؛ لأنَّ عطْفَ البيانِ بِمَنزِلَةِ علَمٍ للاسمِ المُبَيَّنِ؛ بالفتْحِ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣٣]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وتَكريرُ كَلِمَةِ (الناسِ) في هذه الآياتِ المَرَّتَيْنِ الأُولَيَيْنِ باعتبارِ معنًى واحدٍ إظهارٌ في مَقامِ الإضمارِ لقَصْدِ تأكيدِ رُبوبيَّةِ اللهِ تعالى ومُلْكِه وإِلَهيَّتِه للناسِ كلِّهم؛ كقولِه تعالى: ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ [الأنعام: ٨٧].

وأمَّا تَكريرُه المَرَّةَ الثالثةَ بقولِه: ﴿ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ ﴾، فهو إظهارٌ لأَجْلِ بُعْدِ المُعَادِ.

وأمَّا تَكريرُه المَرَّةَ الرابعةَ بقولِه: ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾؛ فلأنه بَيانٌ لأحَدِ صِنْفَيِ الذي يُوَسْوِسُ في صُدورِ الناسِ، وذلك غيرُ ماصدَقِ كَلِمَةِ ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾ في المَرَّاتِ السابِقَةِ.

واللهُ يَكْفِينَا شَرَّ الفَريقينِ، ويَنفَعُنَا بصالِحِ الثَّقَلَيْنِ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣٥- ٦٣٦]

فوائد ولطائف

قالَ أَبو الثَّنَاءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وربما يُقالُ: إنَّ في إضافةِ الربِّ إلى الناسِ في آخِرِ سورةٍ مِن كتابِه تَذكيرًا لأوَّلِ أَمْرٍ عَرَفُوه في عالَمِ الذرِّ، وأُخِذَ عليهم العهدُ بالإقرارِ به فيما بعدُ، كما أشارَ إليه قولُه تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآيةَ، فيكونُ في ذلك تَحريضٌ على الاستعاذةِ مِن شرِّ الوَسواسِ؛ لئلا يَتَدَنَّسَ أمرُ ذلك العهدِ، وفيه أيضًا رمزٌ إلى الوعدِ الكريمِ بالإعادةِ). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٦]

تفسير قول الله تعالى: ﴿مِن شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ (٤)﴾

القراءات

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (الوَسْوَاسُ الشَّيْطَانُ قِرَاءَةٌ بِالفَتْحِ وَبِالكَسْرِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٤٣] [نسخة رامفورا]

قَالَ عَبْدُ المُنْعِمِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ غَلْبُونَ (ت: ٣٨٩هـ): (وقرأَ نصيرٌ: (الخَنّاسِ) بإمالَةِ النُّونِ، وفتَحها البَاقُونَ). [التذكرة:٦٥٥]

الوقوف

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: ٤٤٤هـ): (الوَقْفُ على قَوْلِهِ: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ④﴾ كَافٍ، إذَا جُعِلَ ﴿ٱلَّذِى﴾ في مَوْضِعِ رَفْعٍ خَبَرًا لِمُبْتَدَأٍ مُضْمَرٍ، تَقْدِيرُهُ: هُوَ الَّذِي. أو جُعِلَ في مَوْضِعِ نَصْبٍ على الذَّمِّ بتقديرِ: أعْنِي. وهو رَأْسُ آيَةٍ في المَكِّيِّ والشَّامِيِّ. فإنْ جُعِلَ في مَوْضِعِ خَفْضٍ نَعْتًا لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الاسْمِ المَجْرُورِ لَمْ يَكْفِ الوَقْفُ قَبْلَهُ لتَعَلُّقِهِ بذلك. والتَّمَامُ آخِرُ السُّورَةِ). [المكتفى: ٢٤٥]

قَالَ زَكَرِيَّا بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٩٢٦هـ): (﴿ٱلْخَنَّاسِ ④﴾ كَافٍ لِمَنْ رَفَعَ مَا بَعْدَهُ خَبَرًا لِمُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَوْ نَصَبَهُ عَلَى الذَّمِّ بِتَقْدِيرِ أعْنِي ولَيْسَ بِوقْفٍ لِمَنْ جَرَّهُ نَعْتًا لِمَا قَبْلَهُ). [المقصد:١١٥]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (والوَقْفُ هُنَا كَافٍ لِمَنْ رَفَعَ مَا بَعْدَهُ أو نَصَبَهُ على الشَّتْمِ، ولا وَقْفَ هُنَا لِمَنْ جَعَلَ مَا بَعْدَهُ نَعْتًا لِلْوَسْوَاسِ). [مراح لبيد: ٢/٦٨٤]

المفردات

الوسواس

قَالَ غُلامُ ثَعْلَبٍ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ البَغْدَادِيُّ (ت: ٣٤٥هـ): (الوِسْوَاسُ: المَصْدَرُ، والوَسْوَاسُ: الاسمُ، على قِيَاسِ الزِّلْزَالِ وَالزَّلْزَالِ). [تفسير غريب القرآن: ٦١٣]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (والوَسْوَاسُ: إبْلِيسُ بفَتْحِ الوَاوِ، والوِسْوَاسُ بِكَسْرِ الوَاوِ مَصْدَرُ وَسْوَسَ يُوَسْوِسُ وِسْوَاسًا وَوَسْوَسَةً. والوَسْوَاسُ بِفَتْحِ الوَاوِ أَيْضًا صَوْتُ الحَلْيِ؛ وَأُنْشِدَ:

تَسْمَعُ لِلْحَلْيِ وَسْوَاسًا إذَا انْصَرَفَتْ ... كَمَا اسْتَعَانَ بِرِيحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ

). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٩]

قَالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ محمدُ بنُ الحُسَينِ الموسَوِيُّ (ت: ٤٠٦هـ): (وَقِيلَ: الوَسْوَاسُ بِالفَتْحِ الشَّيْطَانُ، وَالوِسْوَاسُ بِالكَسْرِ المَصْدَرُ). [تلخيص البيان: ٣٤١]

قَالَ قِوَامُ السُّنَّةِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَصْبَهَانِيُّ (ت: ٥٣٥هـ) (فيما نُسِبَ إليه): (الوَسْوَاسُ: الصَّوْتُ الخَفِيُّ، والوَسْوَاسُ: صَوْتُ الحُلِيِّ). [إعراب القرآن: ٥٦٦]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (و﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ بالفتحِ اسمٌ، وبالكسرِ المصدرُ). [التبيان: ٢/ ٤٨٥]

قَالَ حُسَيْنُ بنُ أَبِي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (وقولُه: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ اختُلِفَ في الوَسْوَاسِ، قيلَ: هو اسمٌ بمَعْنَى الوَسْوَسَةِ، كالزَّلْزَالِ بمعنَى الزَّلْزَلَةِ، وأمَّا المصدرُ فوِسْوَاسٌ بالكسرِ كالزِّلْزالِ). [الفريد: ٤/٧٥٤]

قَالَ حُسَيْنُ بنُ أَبِي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (والوَسْوَسَةُ: حديثُ النفسِ، وهو مَصْدَرُ قولِكَ: وَسْوَسَتْ إليهِ نَفْسُه وَسْوَسَةً ووِسْوَاسًا بكسرِ الواوِ). [الفريد: ٤/٧٥٤] (م)

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ بنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت: ٦٦٠هـ): (والوَسْوَاسُ: هو الصَّوْتُ الخَفِيُّ، سَوَاءٌ كَانَ في الصَّدْرِ أو غَيْرِهِ). [فوائد في مشكل القرآن:٢٦٣]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (قولُه تعالَى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ يعني: مِنْ شَرِّ الشيطانِ. والمعنَى: مِنْ شَرِّ ذِي الوَسْوَاسِ، فحَذَفَ المضافَ، قالَهُ الفَرَّاءُ، وهو (بفَتْحِ الواوِ) بمعنَى الاسْمِ، أي: المُوَسْوِسُ. و(بكَسْرِ الواوِ) المَصْدَرُ، يعني الوَسْوَسَةَ. وكذا الزَّلْزَالُ والزِّلْزَالُ.

والوَسْوَسَةُ: حديثُ النفْسِ؛ يُقالُ: وَسْوَسَتْ إليه نَفْسُه وَسْوَسَةً وَوِسْوَسَةً (بكسرِ الواوِ).

ويقالُ لهَمْسِ الصائِدِ والكلابِ وأصواتِ الحُلِيِّ: وَسْوَاسٌ. وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

فبَاتَ يُشْئِزُهُ ثَأْدٌ ويُسْهِرُهُ	تَذؤُّبُ الرِّيحِ والوَسْوَاسُ والهِضَبُ

وقالَ الأَعْشَى:

تَسْمَعُ للحَلْيِ وَسْوَاسًا إِذَا انْصَرَفَتْ	كَمَا اسْتَعَانَ بِريحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ

). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٦١]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ أي: الوَسوسةِ، كالزَّلزالِ بمعنى الزَّلْزَلَةِ، وأمَّا المَصْدَرُ فبالكسرِ كالزِّلزالِ، والمرادُ به المُوَسْوِسُ، وسُمِّيَ بفِعْلِه مُبالَغَةً). [أنوار التنزيل: ٢/١١٨١]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾: هُو اسمٌ بمعنَى الوَسْوَسَةِ، كَالزَّلزَالِ بمعنَى الزَّلزَلةِ، وأمَّا المَصْدَرُ فوِسواسٌ بالكَسْرِ كالزِّلزالِ، والمرادُ به: الشَّيطانُ، سُمِّي بالمَصدرِ كأنَّه وَسوسَةٌ في نفسِه؛ لأنَّها شُغْلُه الذِي هو عَاكِفٌ عَلَيه، أو أُرِيدَ: ذُو الوَسْوَاسِ، والوَسْوسةُ: الصَّوتُ الخَفِيُّ) [مدارك التنزيل:٣/٢٠١٥]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (وَالوَسْوَسَةُ: الهَمْزُ والصوتُ الخَفِيُّ). [لباب التأويل: ٤/٥٠٣]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحَليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وَالوَسْوَسَةُ مِنْ جِنْسِ الوَشْوَشَةِ بالشِّينِ المُعْجَمَةِ، يُقَالُ فُلانٌ يُوَشْوِشُ فُلانًا، وَقَدْ وَشْوَشَهُ إذَا حَدَّثَهُ سِرًّا فِي أُذُنِهِ، وَكَذَلِكَ الوَسْوَسَةُ، وَمِنْهُ وَسْوَسَةُ الحُلِيِّ لَكِنْ هُوَ بالسِّينِ المُهْمَلَةِ أَخَصُّ). [مجموع الفتاوى:١٧/٥١٧]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصلٌ: إذا عُرِفَ هذا فالوَسواسُ فَعْلالٌ من وَسوَسَ وأصْلُ الوَسوسةِ الحرَكَةُ أو الصوتُ الخَفِيُّ لا يُحَسُّ، فيُحْتَرَزُ منه، فالوَسواسُ الإلقاءُ الخَفِيُّ في النفسِ: إمَّا بصوتٍ خَفِيٍّ لا يَسْمَعُه إلا من ألقِي إليه، وإمَّا بغَيْرِ صوتٍ، كما يُوسْوِسُ الشيطانُ إلى العَبْدِ.

و من هذا وَسْوَسَةُ الحُلِيِّ، وهو حَرَكتُه الخَفِيَّةُ في الأُذُنِ، والظاهِرُ — واللهُ أعلَمُ - أنها سُمِّيَتْ وَسوسةً لقُرْبِها وشِدَّةِ مُجاورَتِها لِمَحَلِّ الوَسوسةِ من شياطينِ الإنْسِ وهو الأُذُنُ، فقِيلَ: وَسوسةُ الحُلِيِّ؛ لأنه صوتٌ مُجاوِرٌ للأُذُنِ كوَسوسةِ الكلامِ الذي يُلقِيهِ الشيطانُ في أُذُنِ مَن يُوسْوِسُ له. ولَمَّا كانت الوَسوسةُ كَلامًا يُكَرِّرُه الْمُوسْوِسُ ويُؤَكِّدُه عندَ مَن يُلقيه إليه كَرَّرُوا لَفْظَها بإزاءِ تكريرِ معناها، فقالُوا: وَسْوَسَ وَسْوَسَةً، فراعَوا تكريرَ اللفظِ لِيُفْهَمَ منه تكريرُ مُسَمَّاه.

ونظيرُ هذا ما تَقَدَّمَ من مُتابَعَتِهم حركةَ اللفظِ بإزاءِ مُتابَعَةِ حركةِ معناه: كالدَّوَرَانِ، والغَلَيَانِ، والنَّزَوَانِ وبابِه.

ونظيرُ ذلك: زَلْزَلَ، ودَكْدَكَ، وقَلْقَلَ، وكَبْكَبَ الشيءَ؛ لأنَّ الزلزلةَ حَرَكَةٌ مُتكَرِّرَةٌ، وكذلك الدَّكْدَكَةُ والقَلْقَلَةُ، وكذلك كَبْكَبَ الشيءَ، إذا كَبَّهُ في مكانٍ بعيدٍ، فهو يُكَبُّ فيه كَبًّا بعدَ كَبٍّ كقولِه تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ٩٤﴾ [الشعراء: ٩٤].

ومِثلُه رَضْرَضَهُ إذا كَرَّرَ رَضَّه مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ، ومِثلُه ذَرْذَرَه إذا ذَرَّهُ شيئًا بعدَ شيءٍ، ومِثلُه صَرْصَرَ البابُ إذا تَكَرَّرَ صَرِيرُه، ومِثْلُه مَطْمَطَ الكلامَ إذا مَطَّه شيئًا بعدَ شيءٍ، ومِثلُه كَفْكَفَ الشيءَ إذا كَرَّرَ كَفَّهُ، وهو كثيرٌ.

وقد عُلِمَ بهذا أنَّ مَن جعَلَ هذا الرُّباعيَّ بمعنى الثلاثيِّ الْمُضاعَفِ لم يُصِبْ؛ لأنَّ الثلاثيَّ لا يَدُلُّ على تَكرارٍ بِخِلافِ الرُّباعيِّ الْمُكَرَّرِ فإذا قُلْتَ: ذَرَّ الشيءَ وصَرَّ البابُ وكَفَّ الثوبَ، ورضَّ الحَبَّ، لم يَدُلَّ على تَكرارِ الفِعْلِ، بخلافِ ذَرْذَرَ، وصَرْصَرَ، ورَضْرَضَ ونحوِه، فتأَمَّلْه فإنه مُطابِقٌ للقاعدةِ العربيَّةِ، في الحَذْوِ بالألفاظِ حَذْوَ المعاني، وقد تَقَدَّمَ التنبيهُ على ذلك فلا وجهَ لإعادتِه.

وكذلك قولُهم: عَجَّ العِجْلُ، إذا صَوَّتَ فإنْ تابَعَ صوتَه، قالُوا: عَجْعَجَ، وكذلك: ثَجَّ الماءُ إذا صُبَّ، فإن تَكَرَّرَ ذلك قِيلَ ثَجْثَجَ، والمقصودُ أنَّ الْمُوسْوِسَ لَمَّا كان يُكَرِّرُ وَسوسَتَه ويُتابِعُها قِيلَ: وَسْوَسَ). [بدائع الفوائد: ٢/٢٥٠- ٢٥١]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّين القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (الرابعةُ: قالَ ابنُ تَيْمِيَّةَ: الوَسواسُ مِنْ جِنْسِ الحديثِ والكلامِ؛ ولهذا قالَ المُفسِّرونَ في قولِهِ: ﴿مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦]، قَالُوا: ما تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسُهُ.

وقدْ قالَ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لأُمَّتِي مَا تُحَدِّثُ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ أَوْ تَعْمَلْ بِهِ»، وهوَ نوعانِ: خبرٌ وإنشاءٌ. فالخبَرُ إمَّا عنْ ماضٍ وإمَّا عنْ مُستقبَلٍ. فالماضي يُذَكِّرُهُ بهِ، والمستقبَلُ يُحَدِّثُهُ بأنْ يَفعلَ هوَ أُموراً، أوْ أنَّ أُموراً ستكونُ بقَدَرِ اللَّهِ أوْ فِعْلِ غيرِهِ، فهذهِ الأمانيُّ والمواعيدُ الكاذبةُ. والإنشاءُ أمْرٌ ونَهْيٌ وإباحةٌ).
[محاسن التأويل: ٩/ ٥٨١]

الخناس

قالَ مَحْمُودُ بنُ حَمْزَةَ بنِ نَصْرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (قَوْلُه: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾: هو مِنَ الخُنُوسِ، وهو التَّأَخُّرُ). [غرائب التفسير: ٢/١٤١٥]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (يُقَالُ: خَنَسْتُهُ فَخَنَسَ، أي: أَخَّرْتُه فتَأَخَّرَ. وأَخْنَسْتُهُ أيضًا. ومِنه قولُ أبي العَلاءِ الحَضْرَمِيِّ - أَنْشَدَ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :

«وَإِنْ دَحَسُوا بِالشَّرِّ فَاعْفُ تَكَرُّمًا ... وَإِنْ خَنَسُوا عِنْدَ الحَدِيثِ فَلا تَسَلْ»

الدَّحْسُ: الإِفْسَادُ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٦٢]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾: الذِي عَادتُه أن يَخْنُسَ مَنسوبٌ إلى الخُنُوسِ، وهو التَّأَخُّرُ؛ كالعَوَّاجِ والبَتَّاتِ؛ لِمَا رُوِيَ عن سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ: إذَا ذَكَرَ الإنسانُ ربَّه خَنَسَ الشَّيطانُ ووَلَّى، وإذا غَفَلَ رَجَعَ ووَسْوَسَ إلَيْه) [مدارك التنزيل:٣/٢٠١٥]

قالَ ابنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصلٌ: وأمَّا الخَنَّاسُ: فهو فَعَّالٌ من خَنَسَ يَخْنُسُ إذا تَوارَى واختَفَى. ومنه قولُ أبي هُريرةَ: (لَقِيَنِي النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعْضِ طُرُقِ المدينةِ وأنا جُنُبٌ، فانْخَنَسْتُ منه). وحقيقةُ اللفظِ اختفاءٌ بعدَ ظهورٍ، فليست لِمُجَرَّدِ الاختفاءِ، ولهذا وُصِفَتْ بها الكواكبُ في قولِه تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥﴾ [التكوير: ١٥] قالَ قَتادةُ: هي النجومُ تَبْدُو بالليلِ، وتَخْنِسُ بالنهارِ، فتَخْتَفِي ولا تُرَى، وكذلك قالَ عليٌّ - رَضِيَ اللهُ عنه- : هي الكواكبُ تَخْنِسُ بالنهارِ فلا تُرَى.

وقالَت طائفةٌ: الخُنَّسُ هي الراجعةُ التي تَرْجِعُ كلَّ ليلةٍ إلى جِهَةِ المَشرقِ وهي السبعةُ السيَّارةُ، قالُوا: وأَصْلُ الخُنوسِ الرجوعُ إلى وراءُ، والخَنَّاسُ مأخوذٌ من هذين المَعْنَيَيْنِ فهو من الاختفاءِ والرجوعِ والتأخيرِ.

فإنَّ العَبْدَ إذا غَفَلَ عن ذِكْرِ اللهِ جَثَمَ على قلبِه الشيطانُ، وانْبَسَطَ عليه، وبَذَرَ فيه أنواعَ الوَسَاوِسِ التي هي أَصْلُ الذنوبِ كلِّها فإذا ذَكَرَ العبْدُ ربَّه، واستعاذَ به، انْخَنَسَ، وانْقَبَضَ: كما يَنْخَنِسُ الشيءُ ليَتَوارَى، وذلك الانخناسُ والانقباضُ هو أيضًا تَجَمُّعٌ ورُجوعٌ، وتأخُّرٌ عن القلْبِ إلى خارجٍ، فهو تَأَخُّرٌ ورجوعٌ معه اختفاءٌ، وخَنَسَ وانْخَنَسَ يَدُلُّ على الأمرين معًا قالَ قَتادةُ: الخَنَّاسُ له خُرطومٌ كخُرطومِ الكَلْبِ في صَدْرِ الإنسانِ، فإذا ذَكَرَ العبْدُ رَبَّهُ خَنَسَ.

ويُقالُ: رأسُه كرأسِ الحَيَّةِ، وهو واضِعٌ رأسَه على ثَمَرَةِ القلْبِ يُمَنِّيهِ ويُحَدِّثُه، فإذا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ، وإذا لم يَذْكُرْه عادَ وَوَضَعَ رأسَه يُوَسْوِسُ إليه ويُمَنِّيهِ، وجِيءَ من هذا الفعْلِ بوَزْنِ فَعَّالٍ، الذي للمبالَغَةِ دونَ الخانِسِ والمُنْخَنِسِ إيذانًا بشدَّةِ هروبِه ورُجوعِه وعِظَمِ نُفورِه عندَ ذِكْرِ اللهِ، وأنَّ ذلك دأْبُه ودَيْدَنُه، لا أنه يَعْرِضُ له ذلك عندَ ذِكْرِ اللهِ أحيانًا، بل إذا ذَكَرَ اللهَ هَرَبَ وانْخَنَسَ وتَأَخَّرَ، فإنَّ ذِكْرَ اللهِ هو مِقْمَعَتُه التي يُقْمَعُ بها، كما يُقْمَعُ المُفسِدُ والشِّرِّيرُ بالمَقامِعِ التي تَرْدَعُه من سِياطٍ وحديدٍ وعِصِيٍّ ونحوِها.

فذِكْرُ اللهِ يَقْمَعُ الشيطانَ ويُؤْلِمُه ويُؤْذِيهِ، كالسِّيَاطِ والمَقامِعِ التي تُؤْذِي مَن يُضْرَبُ بها، ولهذا يكونُ شيطانُ المؤمِنِ هَزِيلاً ضَئِيلاً مُضْنًى، مِمَّا يُعَذِّبُه المؤمِنُ ويَقْمَعُه به من ذِكْرِ اللهِ وطاعتِه.

وفي أَثَرٍ عَنْ بَعْضِ السلَفِ: إنَّ المؤمِنَ يُنْضِي شَيطانَه كما يُنْضِي الرجُلُ بَعيرَه في السفَرِ؛ لأنه كُلَّمَا اعْتَرَضَه صَبَّ عليه سِياطَ الذكْرِ والتوَجُّهِ والاستغفارِ والطاعةِ، فشَيطانُه معه في عذابٍ شديدٍ، وليس بمنزِلَةِ شيطانِ الفاجِرِ الذي هو معه في راحةٍ ودَعَةٍ، ولهذا يكونُ قويًّا عاتيًا شديدًا، فمَن لم يُعَذِّبْ شيطانَه في هذه الدارِ بذِكْرِ اللهِ تعالى وتوحيدِه واستغفارِه وطاعتِه عَذَّبَه شيطانُه في الآخرةِ بعذابِ النارِ، فلا بدَّ لكلِّ أحَدٍ أن يُعَذِّبَ شيطانَه أو يُعَذِّبَه شيطانُه.

وتأَمَّلْ كيف جاءَ بِناءُ الوَسواسِ مُكَرَّرًا لتَكريرِه الوَسوسةَ الواحدةَ مِرارًا، حتى يَعْزِمَ عليها العبْدُ، وجاءَ بِناءُ الخَنَّاسِ على وَزْنِ الفَعَّالِ الذي يَتَكَرَّرُ منه نوعُ الفعْلِ، لأنه كلَّمَا ذكَرَ اللهَ انْخَنَسَ، ثم إذا غَفَلَ العبْدُ عاوَدَه بالوَسوسةِ، فجاءَ بِناءُ اللفظَيْنِ مُطَابِقًا لِمَعْنَيَيْهِما). [بدائع الفوائد: ٢/٢٥٥- ٢٥٦]

معاني الحروف

معنى التعريف في {الوسواس}

قالَ مُحمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (والتعريفُ في ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ تعريفُ الجِنْسِ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣٣]

الصرف

الوسواس

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (والوَسْوَاسُ: إبْلِيسُ بفَتْحِ الوَاوِ، والوِسْوَاسُ بِكَسْرِ الوَاوِ مَصْدَرُ وَسْوَسَ يُوَسْوِسُ وِسْوَاسًا وَوَسْوَسَةً. والوَسْوَاسُ بِفَتْحِ الوَاوِ أَيْضًا صَوْتُ الحَلْيِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٩]

قال الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ محمدُ بنُ الحسينِ الموسويُّ(ت: ٤٠٦): (وَقِيلَ: الوَسْوَاسُ بِالفَتْحِ الشَّيْطَانُ، وَالوِسْوَاسُ بِالكَسْرِ المَصْدَرُ). [تلخيص البيان: ٣٤١] (م)

قالَ مَحْمُودُ بنُ حَمْزَةَ بنِ نَصرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (قَوْلُهُ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ هو مَصْدَرٌ كالزَّلزال). [غرائب التفسير: ٢/١٤١٥] (م)

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ اسمٌ بمعنى الوَسْوَسَةِ، كالزَّلْزَالِ بمعنى الزَّلْزَلَةِ، وأمَّا المصدرُ فوِسْوَاسٌ بالكسر كزِلْزَالٍ). [الكشاف: ٦/٤٦٨]

قالَ مُحمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (الوَسْوَاسُ اسْمٌ بِمَعْنَى الوَسْوَسَةِ، كالزَّلْزَالِ بِمَعْنَى الزَّلْزَلَةِ، وأَمَّا المَصْدَرُ فوِسْوَاسٌ بالكَسْرِ كزِلْزَالٍ). [التفسير الكبير: ٣٢/١٨١]

قالَ عَطِيَّةُ مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (قَوْلُهُ تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ كِلاهما صِيغَةُ مُبالَغَةٍ مِن الوَسوسةِ). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٥٩] (م)

الخناس

قال الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ محمدُ بنُ الحسينِ الموسويُّ (ت: ٤٠٦): (وَالخَنَّاسُ هُنَا صِفَةٌ لِلْوَسْوَاسِ وَالمُرَادُ بِهِ الَّذِي يَخْنُسُ فِي القَلْبِ وَيَسْكُنُ فِي الصَّدْرِ؛ أَيْ: يَسْتَتِرُ وَيَسْتَجِنُّ، يُقَالُ: خَنَسَ فُلانٌ عَنْ أَصْحَابِهِ يَخْنُسُ خُنَاسًا وَخُنُوسًا إِذَا تَغَيَّبَ عَنْهُمْ). [تلخيص البيان: ٣٤١]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (والخَنَّاسُ: الذي عادتُه أنْ يَخْنُسَ، منسوبٌ إلى الخُنُوسِ). [الكشاف: ٦/٤٦٩]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وقولُه تعالى: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ صيغةُ مبالَغةٍ أو نِسبةٍ). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٦] (م)

الإعراب

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿مِن شَرِّ﴾ جَرٌّ بِمِنْ. ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ جَرٌّ بالإِضَافَةِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٩]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ جَرٌّ، عَلامَةُ جَرِّهِ كَسْرَةُ آخِرِهِ، وَهُوَ نَعْتٌ للوَسْوَاسِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٤٠]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ جَرٌّ بِمِنْ، ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ نَعْتٌ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٤٣] [نسخة رامفور]

قالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ محمدُ بنُ الحُسَيْنِ الموسَوِيُّ (ت: ٤٠٦هـ): (وَالخَنَّاسُ هُنَا صِفَةٌ لِلْوَسْوَاسِ). [تلخيص البيان: ٣٤١]

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: ٤٤٤هـ): (الوَقْفُ على قَوْلِهِ: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ كَافٍ، إِذَا جُعِلَ ﴿ٱلَّذِى﴾ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ خَبَرًا لِمُبْتَدَأٍ مُضْمَرٍ، تَقْدِيرُهُ: هُوَ الَّذِي. أو جُعِلَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ على الذَّمِّ بتقدِيرِ: أَعْنِي. وهو رَأْسُ آيَةٍ فِي المَكِّيِّ والشَّامِيِّ. فإِنْ جُعِلَ فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ نَعْتًا لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الاسْمِ المَجْرُورِ لَمْ يَكْفِ الوَقْفُ قَبْلَهُ لتَعَلُّقِهِ بذلك). [المكتفى: ٢٤٥] (م)

قالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (و﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ بالفتح اسمٌ، وبالكسرِ المصدرُ، والتقديرُ: مِن شرِّ ذي الوَسواسِ، وقيلَ: سُمِّيَ الشَّيْطانُ بالفِعلِ مُبَالَغَةً، و﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ نعتٌ له). [التبيان: ٢/ ٤٨٥]

قَالَ زَكَرِيَّا بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٩٢٦هـ): (﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ كَافٍ لِمَنْ رَفَعَ مَا بعْدَهُ خَبَرًا لِمُبْتَدأٍ مَحْذُوفٍ، أَوْ نَصَبَهُ عَلَى الذَّمِّ بِتَقْدِيرِ أعْنِي ولَيْسَ بِوقْفٍ لِمَنْ جرَّهُ نَعْتًا لِمَا قَبْلَهُ). [المقصد: ١١٥]

البلاغة

الاستعارة المكنية

قال الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ محمدُ بنُ الحسينِ الموسويُّ (ت: ٤٠٦هـ): (وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ وَهَذِهِ اسْتِعَارَةٌ). [تلخيص البيان: ٣٤١]

حذف ما دل عليه الكلام

قالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ محمدُ بنُ الحُسَيْنِ الموسَوِيُّ (ت: ٤٠٦هـ): (وَقِيلَ أَيْضًا: إِنَّ الْمُرَادَ مِنْ شَرِّ ذِي الوَسْوَاسِ، وَهُوَ الشَّيْطَانُ أَوِ الإِنْسَانُ، فَحُذِفَ ذِي لِدَلالَةِ الكَلامِ عَلَيْهِ وَإِشَارَتِهِ إِلَيْهِ). [تلخيص البيان: ٣٤١]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (و﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ بالفتح اسمٌ، وبالكسرِ المصدرُ، والتقديرُ: مِن شرِّ ذي الوَسواسِ، وقيلَ: سُمِّيَ الشَّيْطانُ بالفِعلِ مُبالَغَةً). [التبيان: ٢/ ٤٨٥] (م)

قَالَ حُسَيْنُ بنُ أَبِي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (قيلَ: والمرادُ به الشيطانُ، سُمِّي بالمصدرِ مبالغةً، كأنه وَسْوَسَةٌ في نفسِه؛ لأنها صَنْعَتُه وشُغْلُه الذي هو عاكفٌ عليه، ولك أنْ تُقَدِّرَ في الكلامِ حذفَ مضافٍ، أي: من شَرِّ ذي الوسواسِ، كقولِكَ: رَجُلٌ صَوْمٌ وزُورٌ على الوجهين). [الفريد: ٤/٧٥٤]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (قولُه تعالَى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ يعنِي: مِنْ شَرِّ الشيطانِ. والمعنَى: مِنْ شَرِّ ذِي الوَسْوَاسِ، فحَذَفَ المضافَ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٦١] (م)

قَالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (وقَوْلُه: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾. المضافُ محذوفٌ؛ أي: من شَرِّ ذِي الوَسْواسِ). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٥] (م)

التناسب

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَلَمَّا أَكْمَلَ الاستعاذةَ مِنْ جميعِ وُجُوهِهَا التي مَدَارُهَا الإحسانُ أَوِ العظمةُ أَوِ القهرُ أَو الإذعانُ وَالتَّذَلُّلُ، ذَكَرَ الْمُسْتَعَاذَ منهُ فقَالَ: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾). [نظم الدرر: ٨/٦١٥]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَلَمَّا كانَ المَلِكُ الأعظمُ سبحانَهُ لم يُنْزِلْ داءً إلاَّ أَنْزَلَ لهُ دَوَاءً، وَكَانَ قدْ جعَلَ دواءَ الوسوسةِ ذِكْرَهُ سبحانَهُ وَتَعَالَى، فإِنَّهُ يَطْرُدُ الشيطانَ وَيُنِيرُ القلبَ وَيُصَفِّيهِ، وَصَفَ

سُبْحَانَهُ وَتعالى فِعْلَ الْمُوَسْوِسِ عِنْدَ استِعْمَالِ الدواءِ إعْلاماً بأَنَّهُ شَدِيدُ العداوةِ للإنسانِ لِيَشْتَدَّ حَذَرُهُ منه وَبُعْدُهُ عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤﴾). [نظم الدرر: ٦١٥/٨] (م)

التفسير

المراد بالوسواس الخناس

قَالَ عَبْدُ الخَالِقِ بْنُ الحَسَنِ ابنُ أَبِي رُوبَا (ت:٣٥٦ هـ): حدَّثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ ثابِتٍ الثَّورِيُّ عن أَبِيه عن الهُذَيْلِ بن حَبِيبٍ عنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ البلخيِّ (ت:١٥٠هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤﴾ وهوَ الشَّيْطَانُ في صُورَةِ خِنْزِيرٍ، مُعَلَّقٌ بالقَلْبِ في جَسَدِ ابْنِ آدَمَ، وهوَ يَجْرِي مَجْرَى الدَّمِ، سَلَّطَهُ اللَّهُ على ذلك مِنَ الإنْسانِ، فَذلك قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ فإذا انْتَهى ابْنُ آدمَ وَسوسَ في قَلْبِهِ حَتَّى يَتَبَلَّعَ قَلْبَهُ، والخَنَّاسُ الَّذِي إذا ذَكَرَ اللَّهَ ابْنُ آدَمَ خَنَسَ عن قَلْبِهِ، فذَهَبَ عَنْهُ، وَيَخْرُجُ عن جَسَدِهِ). [تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٩/٣]

قَالَ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ الفَرَّاءُ: (ت: ٢٠٧هـ): (قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤﴾ إبليسُ يُوَسْوِسُ في صدْرِ الإنسانِ، فإذا ذكَرَ الله عزَّ وجلَّ خنَس). [معاني القرآن: ٣٠٢/٣]

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى التَّيْمِيُّ (ت: ٢١٠هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ ثُمَّ يَخْنُس). [مجاز القرآن: ٣١٧/٢]

قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت: ٢١١هـ): (عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلۡوَسۡوَاسِ﴾ قَالَ: هُوَ الشَّيْطَانُ وَهُوَ الخَنَّاسُ أَيْضًا، إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ خَنَسَ قَالَ: فَهُوَ يُوَسْوِسُ وَيَخْنُسُ). [تفسير عبد الرزاق: ٤١٠/٢]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ يَحْيَى بْنِ المُبَارَكِ اليَزِيدِيُّ (ت: ٢٣٧هـ): (﴿ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤﴾: الذي يُوسْوِسُ ثم يَخْنُسُ، أي: يَتَوارَى). [غريب القرآن وتفسيره: ٤٤٧]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٢٧٦هـ): (الوَسْوَاسُ الخَنَّاسُ: إبليسُ يُوَسْوِسُ في الصدورِ والقلوبِ، فإذا ذُكِرَ اللَّهُ خَنَسَ؛ أي: أَقْصَرَ وكَفَّ). [تفسير غريب القرآن: ٥٤٣]

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٢٧٦هـ): (وَالخُنَّسُ: جَمْعُ خَانِسٍ، وهُوَ الْمُسِكُ، وفي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤﴾ وهو الذي يُوَسْوِسُ، فَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ خَنَسَ؛ أي: انْقَبَضَ وَكَفَّ). [غريب الحديث: ٧٠٥/٣- ٧٠٦]

قَالَ هُودُ بْنُ مُحَكَّمٍ الهوَّارِيُّ (ت: ق٣): (﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤﴾ ذَكَرَ بَعْضُهم قالَ: إنَّ الشيطانَ جاثِمٌ على قَلْبِ ابْنِ آدَمَ فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ). [تفسير كتاب الله العزيز: ٥٤٥/٤] (م)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحمدَ بنِ نَصْرٍ الرَّمْلِيُّ (ت: ٢٩٥هـ): (ثنا أَحمدُ بنُ محمَّدٍ القَوَّاسُ المَكِّيُّ قَالَ: ثنا مُسْلِمُ بنُ خالدٍ عنِ ابنِ أبي نَجيحٍ عن مُجَاهِدٍ في قَوْلِهِ عَزَّ وجلَّ: ﴿ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤﴾ قالَ: الشَّيْطانُ، إذَا ذُكِرَ اللَّهُ خَنَس) [جزء تفسير مسلم بن خالد الزنجي: ٦٩]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبٍ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٣٠٨هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ الشَّيْطَانِ بِصَوْتِهِ الخَفِيِّ ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ يُوَسْوِسُ فِي الصُّدُورِ، فَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ خَنَسَ وَكَفَّ). [الواضح: ٢/٥٢٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (وقولُه: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ يعني: من شرِّ الشيطانِ ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ الذي يَخْنُسُ مَرَّةً ويُوَسْوِسُ أُخرَى، وإنما يَخْنُسُ فيما ذُكِر عندَ ذِكْرِ العبدِ ربَّه.

ذِكْرُ مَن قالَ ذَلِكَ:

حَدَّثَنَا أبو كُرَيْبٍ، قالَ: ثَنَا يَحْيَى بنُ عيسى، عن سُفْيَانَ، عن حَكِيمِ بنِ جُبَيْرٍ، عن سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ، قالَ: ما مِن مولودٍ إلاَّ على قَلْبِهِ الوَسْوَاسُ، فإذا عَقَلَ فذَكَرَ الله خَنَسَ، وإذا غَفَلَ وَسْوَسَ، قالَ: فذلك قولُه: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾.

حَدَّثَنَا ابنُ حُمَيْدٍ، قالَ: ثَنَا جَرِيرٌ، عن منصورٍ، عن سعيدٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ، في قَوْلِهِ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ قالَ: الشيطانُ جاثِمٌ على قلبِ ابنِ آدَمَ، فإذا سَهَا وغَفَلَ وَسْوَسَ، وإذا ذَكَرَ الله خَنَسَ.

قالَ: ثَنَا مِهْرَانُ، عن عثمانَ بنِ الأسودِ، عن مُجَاهِدٍ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ قالَ: يَنْبَسِطُ، فإذا ذُكِرَ الله خَنَسَ وانْقَبَضَ، فإذا غَفَلَ انْبَسَطَ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ عَمْرٍو، قالَ: ثَنَا أبو عاصمٍ، قالَ: ثَنَا عيسَى؛ وحَدَّثَنِي الحَارِثُ، قالَ: ثَنَا الحسَنُ، قالَ: ثَنَا وَرْقَاءُ، جَمِيعاً عن ابنِ أبي نَجِيحٍ، عن مُجَاهِدٍ، في قَوْلِهِ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ قالَ: الشيطانُ يكونُ على قلبِ الإنسانِ، فإذا ذَكَرَ الله خَنَسَ.

حَدَّثَنَا ابنُ عبدِ الأعلى، قالَ: ثَنَا ابنُ ثَوْرٍ، عن مَعْمَرٍ، عن قَتَادَةَ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ قالَ: هو الشيطانُ، وهو الخنَّاسُ أيضاً، إذا ذَكَرَ العبدُ ربَّه خَنَسَ، وهو يُوَسْوِسُ ويَخْنُسُ.

حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قالَ: ثَنَا يَزِيدُ، قالَ: ثَنَا سعيدٌ، عن قَتَادَةَ: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ يعني: الشيطانَ، يُوَسْوِسُ في صدْرِ ابنِ آدَمَ، ويَخْنُسُ إذا ذَكَرَ الله.

حَدَّثَنَا ابنُ عبدِ الأعلى، قالَ: ثَنَا ابنُ ثَوْرٍ، عن أبيه، قالَ: ذُكِرَ لي أن الشيطانَ، أو قالَ: الوَسواسَ، يَنْفُثُ في قلبِ الإنسانِ عندَ الحُزْنِ وعندَ الفَرَحِ، وإذا ذَكَرَ الله خَنَسَ.

حَدَّثَنِي يُونُسُ، قالَ: أَخْبَرَنَا ابنُ وَهْبٍ، قالَ: قالَ ابنُ زَيْدٍ، في قَوْلِهِ: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ قالَ: الخناسُ الذي يُوَسْوِسُ مَرَّةً، ويَخْنُسُ مرَّةً مِن الجنِّ والإنسِ، وكانَ يُقالُ: شيطانُ الإنسِ أشدُّ على الناسِ من شيطانِ الجنِّ؛ شيطانُ الجنِّ يُوَسْوِسُ ولا تَراه، وهذا يُعايِنُكَ مُعايَنَةً.

ورُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه كانَ يقولُ في ذلك: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾: الذي يُوَسْوِسُ بالدعاءِ إلى طاعَتِهِ في صدورِ الناسِ، حتى يُسْتَجَابَ له إلى ما دعا إليه مِن طاعَتِه، فإذا اسْتُجِيبَ له إلى ذلك خَنَسَ.

ذِكْرُ الروايَةِ بذلك:

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ سَعْدٍ، قالَ: ثَنِي أَبِي، قالَ: ثَنِي عَمِّي، قالَ: ثَنِي أَبِي، عن أبيه، عن ابنِ عبَّاسٍ، في قَوْلِهِ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ قالَ: هو الشيطانُ يَأْمُرُهُ، فإذا أُطِيعَ خَنَسَ.

والصَّوابُ مِنَ القَوْلِ في ذلك عندي: أن يقالَ: إنَّ اللهَ تعالى ذِكْرُه أَمَرَ نبيَّه محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يَسْتَعِيذَ بِهِ مِن شرِّ شيطانٍ يُوَسْوِسُ مَرَّةً ويَخْنُسُ أُخْرَى، ولم يَخُصَّ وَسْوَسَتَه على نَوْعٍ مِن أنواعِها، ولا خُنُوسَه على وَجْهٍ دونَ وَجْهٍ، وقد يُوَسْوِسُ بالدعاءِ إلى مَعْصِيَةِ اللهِ، فإذا أُطِيعَ فيها خَنَسَ، وقد يُوَسْوِسُ بالنهيِ عن طاعةِ اللهِ، فإذا ذَكَرَ العبدُ أَمْرَ رَبِّهِ، فأطَاعَه فيه، وعصَى الشيطانَ خَنَسَ، فهو في كلِّ حالَتَيْهِ وَسْوَاسٌ خَنَّاسٌ، وهذه الصفَةُ صِفَتُه). [جامع البيان: ٢٤/٧٥٣- ٧٥٦]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النحَّاسُ (ت: ٣٣٨هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ هو الذي يُوَسْوِسُ الصُّدورَ كما قالَ الأَعْشَى:

تَسْمَعُ للحَلْيِ وَسْوَاسًا إذا انْصَرَفَتْ ... كَمَا اسْتَعَانَ بِريحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ

). [إعراب القرآن: ٥/٣١٦]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النحَّاسُ (ت: ٣٣٨هـ): ((الخَنَّاسِ) عن ابنِ عَبَّاسٍ روايتانِ، إحداهما أنه يُوَسْوِسُ ويَجْثِمُ على صَدْرِ الإنسانِ، فإذا ذَكَرَ اللَّهَ جلَّ وعزَّ يَخْنُسُ، والروايةُ الأُخْرَى أنه يُوَسْوِسُ فإذا أُطِيعَ انْخَنَسَ، والقولانِ مُتَّفِقَانِ). [إعراب القرآن: ٥/٣١٥- ٣١٦]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ الحَسَنِ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٣٥٢هـ): (ثَنَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: ثَنَا آدَمُ، قَالَ: ثَنَا حِبَّانُ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ قَالَ: الوَسْوَاسُ: الشَّيْطَانُ، يُولَدُ المَوْلُودُ والوَسْوَاسُ عَلَى قَلْبِهِ، فهو يَصْرِفُهُ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ؛ خَنَسَ، وإِذَا غَفَلَ جَثَمَ عَلَى قَلْبِهِ فوَسْوَسَ). [تفسير مجاهد: ٧٩٧]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ الحَسَنِ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٣٥٢هـ): (ثَنَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: ثَنَا آدَمُ، قَالَ: ثَنَا وَرْقَاءُ، عن ابنِ أبِي نَجِيحٍ، عن مُجَاهِدٍ، قَالَ: الوَسْوَاسُ: الشَّيْطَانُ، فَمُهُ عَلَى قَلْبِ الإنْسَانِ، فإذَا ذَكَر اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ؛ خَنَسَ، فذَلِكَ قولُه: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾). [تفسير مجاهد: ٧٩٧]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الكَرَجِيُّ القَصَّابُ (ت: ٣٦٠هـ): (والوَسْوَاسُ الخَنَّاسُ: الشيطانُ، يُوَسْوِسُ في صدورِ الناسِ، فإذا ذَكَرُوا اللَّهَ انْخَنَسَ، أي انْقَمَعَ حتى يَصِيرَ مثلَ الذُّبابِ). [نكت القرآن: ٤/ ٥٦٨]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالَوَيهِ (ت: ٣٧٠هـ): (والوَسْوَاسُ: إبْلِيسُ بفَتْحِ الواوِ، والوِسْوَاسُ بكَسْرِ الواوِ مَصْدَرُ وَسْوَسَ يُوَسْوِسُ وِسْوَاسًا ووَسْوَسَةً. والوَسْوَاسُ بفَتْحِ الواوِ أَيْضًا صَوْتُ الحَلْيِ؛ وَأُنْشِدَ:

تَسْمَعُ لِلْحَلْيِ وَسْوَاسًا إذَا انْصَرَفَتْ ... كَمَا اسْتَعَانَ برِيحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ

وَذَلِكَ أنَّ إبْلِيسَ لَعَنَهُ اللهُ يُوَسْوِسُ في قَلْبِ ابْنِ آدَمَ إذَا غَفَلَ، فَإذَا ذَكَرَ اللهَ تَعَالَى العَبْدُ خَنَسَ أيْ: تَأَخَّرَ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٩]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (الوَسْوَاسُ: الشَّيْطَانُ. قِرَاءَةً بِالفَتْحِ وَبِالكَسْرِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٤٣] [نسخة رامفورا] (م)

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾. يعني: مِن شَرِّ الوَسواسِ يعني: مِن شَرِّ الشَّيطانِ؛ لأني لا أَستطيعُ أنْ أَحفَظَ نَفسِي مِن شَرِّه؛ لأنه يَجري في نفْسِ الإنسانِ مَجْرَى الدَّمِ، ولا يَراهُ بَشَرٌ، واللهُ تعالى قادِرٌ على حِفْظِي مِن شَرِّه، ومِن وَسْوَسَتِه.

ثم وَصَفَ الشيطانَ فقالَ: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾.

قالَ مُجاهِدٌ: هو مُنبَسِطٌ على قَلْبِ الإنسانِ؛ إذا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ وانقَبَضَ، فإذا غَفَلَ انبَسَطَ على قَلْبِه. ويُقالُ: له خُنوسٌ كخُنوسِ القُنْفُذِ). [بحر العلوم: ٥٢٨/٣]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنُ أَبِي زَمَنِينَ (ت: ٣٩٩هـ): (قولُه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ ... إِلَى قَوْلِه: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾. قَالَ قَتَادَةُ: الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابنِ آدَمَ، فإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ). [تفسير القرآن العزيز: ١٧٥/٥] (م)

قال الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ محمدُ بنُ الحسينِ الموسويُّ (ت: ٤٠٦هـ): (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ وَهَذِهِ اسْتِعَارَةٌ، وَالْمُرَادُ بِالوَسْوَاسِ هُنَا الكَلامُ الخَفِيُّ الَّذِي يُلْقِيهِ الشَّيْطَانُ، أَوِ الإِنْسَانُ الشَّبِيهُ بِهِ فِي أَقْصَى أُذُنِ السَّامِعِ فَيَلْفِتُهُ عَنْ رَشَادٍ، وَيَصْرِفُهُ إِلَى ضَلالٍ. وَالوَسْوَسَةُ كَالهَمْهَمَةِ وَقَالَ رُؤْبَةُ:

وَسْوَسَ يَدْعُو مُخْلِصًا رَبَّ الفَلَقْ ....

وَالخَنَّاسُ هُنَا صِفَةٌ لِلْوَسْوَاسِ وَالْمُرَادُ بِهِ الَّذِي يَخْنُسُ فِي القَلْبِ وَيَسْكُنُ فِي الصَّدْرِ؛ أَيْ: يَسْتَتِرُ وَيَسْتَجِنُّ، يُقَالُ: خَنَسَ فُلانٌ عَنْ أَصْحَابِهِ يَخْنُسُ خُنَاسًا وَخُنُوسًا إِذَا تَغَيَّبَ عَنْهُمْ.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الوَسْوَاسَ هُنَا اسْمٌ لِلشَّيْطَانِ نَفْسِهِ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا سُمِّيَ بِفِعْلِهِ لِكَثْرَةِ وُقُوعِهِ مِنْهُ، وَشِيَاعِهِ عَنْهُ.

وَقِيلَ: الوَسْوَاسُ بِالفَتْحِ الشَّيْطَانُ، وَالوِسْوَاسُ بِالكَسْرِ المَصْدَرُ، وَجَاءَ فِي الخَبَرِ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يُوَسْوِسُ فِي العَبْدِ فَإِذَا ذَكَرَ العَبْدُ رَبَّهُ خَنَسَ وَقَبَعَ وَانْقَبَضَ.

وَقِيلَ أَيْضًا: إِنَّ الْمُرَادَ مِنْ شَرِّ ذِي الوَسْوَاسِ، وَهُوَ الشَّيْطَانُ أَوِ الإِنْسَانُ، فَحُذِفَ ذِي لِدَلالَةِ الكَلامِ عَلَيْهِ وَإِشَارَتِهِ إِلَيْهِ). [تلخيص البيان: ٣٤١]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾[1] يعني الشيطانَ، ويكونُ مَصْدراً واسْماً، ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ الرَّجَّاعِ، وهو الشيطانُ جاثِمٌ على قلبِ الإنسانِ، فإذا غفلَ وَسْوَسَ وإذا ذكَرَ اللهَ سبحانَه انْخَنَسَ). [الكشف والبيان: ٣٤١/١٠]

---

(١) هكذا في الأصل ولعل الصواب: (الوسواس).

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾: الشَّيْطَانِ ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾: مِثْلُهُ عندَ ذِكْرِ اللَّهِ، المُخْتَفِي). [العمدة في غريب القرآن: ٣٦١]

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (و﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾: إِبْلِيسُ). [تفسير المشكل من غريب القرآن: ٣٠٩]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ الخَنَّاسُ هو الشيطانُ، وفي تَسميتِه بذلك وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: لأنه كثيرُ الاختفاءِ، ومنه قولُه تَعَالَى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥﴾ [التكوير: ١٥] يعني: النجومِ؛ لاختفائِها بعدَ الظهورِ.

الثاني: لأنه يَرْجِعُ عن ذِكْرِ اللَّهِ، والخَنْسُ الرُّجوعُ، قالَ الراجزُ:

وصـــاحبٍ يَمْـــتَعِسُ امْتِعَاســـاً ... يَـــزْدادُ مِـــن خَنْـــسِهِ خُناسَـــا

وأمَّا الوَسْوَاسُ ههنا ففيه وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: أنه الشيطانُ؛ لأنه يُوَسْوِسُ للإنسانِ، وقد روَى ابنُ جُبَيْرٍ عن ابنِ عبَّاسٍ في قولِه: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ قالَ: الشيطانُ جاثِمٌ على قَلْبِ ابنِ آدمَ، فإذا سَهَا وغَفَلَ وَسْوَسَ، وإذا ذَكَرَ اللَّهَ تعالى خَنَسَ، فعلى هذا يكونُ في تأويلِ الخَنَّاسِ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: الراجعُ بالوَسوسةِ على الهَوَى.

الثاني: أنه الخارجُ بالوَسوسةِ في اليَقِينِ.

الوجهُ الثاني: أنه وَسواسُ الإنسانِ مِن نَفْسِه، وهي الوَسوسةُ التي يُحَدِّثُ بها نَفْسَه.

وقد رُوِيَ عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أنَّه قالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَجَاوَزَ لأُمَّتِي عَمَّا وَسْوَسَتْ بِهِ أَنْفُسُهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَتَكَلَّمْ بِهِ»). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٨- ٣٧٩]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ مُطَرِّفٍ الكِنَانِيُّ (ت: ٤٥٤هـ): (﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾: إِبْلِيسُ). [القرطين: ٢٢٢]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾: يَعْنِي: ذَا الوَسْوَاسِ، وهو الشَّيْطَانُ، ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾: وهو الذي يَخْنُسُ ويَرْجِعُ إذا ذُكِرَ اللهُ، والشَّيْطَانُ جاثِمٌ على قَلْبِ الإنسانِ، فإذا ذَكَرَ اللهَ تَنَحَّى وخَنَسَ، وإذا غَفَلَ التَقَمَ قَلْبَهُ فحَدَّثَهُ ومَنَّاهُ، وهو قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾). [الوجيز: ٢/١٢٤٣]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ الشَّيْطَانُ ذُو الوُسْوَاسِ. ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾. قَالَ مُجَاهِدٌ: إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ خَنَسَ وَانْقَبَضَ، وَإِذَا لَمْ يُذْكَرِ اللَّهُ انْبَسَطَ عَلَى القَلْبِ.

وَهَذَا مَعْنَى مَا أَخْبَرَنَاهُ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ الغَازِي، أنا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَمْدَانَ بْن عَلِيٍّ، أنا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْمُثَنَّى، نا مُحَمَّدُ بْنُ بُجَيْرٍ، نا عَدِيُّ بْنُ أَبِي عُمَارَةَ، نا زَيْدٌ النُّمَيْرِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ وَإِنْ نَسِيَ الْتَقَمَ قَلْبَهُ، فَذَلِكَ الوَسْوَاسُ الخَنَّاسُ»). [الوسيط: ٤/٥٧٥]

قالَ أَبُو المُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤)﴾ هو الشيطانُ، والمعنى: مِن شَرِّ الشيطانِ ذي الوَسواسِ، ويُقالُ: سُمِّيَ وَسواسًا؛ لأنه يَجْثُمُ، فإنْ ذَكَرَ العبدُ ربَّه خَنَسَ - أي تَأَخَّرَ - وإن لم يَذْكُرْ: وَسْوَسَ. وفي روايةٍ: التَقَمَ ووَسْوَسَ أي القَلْبَ. وفيه خبرٌ صحيحٌ على هذا المعنى). [تفسير القرآن: ٦/٣٠٨]

قالَ أَبُو المُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (وقولُه: ﴿الْخَنَّاسِ (٤)﴾ معناه ما قُلْنَا يعني: إذا ذَكَرَ العبدُ ربَّه وسبَّحَ رَجَعَ، أي: تَأَخَّرَ وخَنَسَ وتَنَحَّى). [تفسير القرآن: ٦/٣٠٨]

قالَ الحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤)﴾ يعني: الشيطانَ، يكونُ مَصدرًا واسْمًا.

قالَ الزَّجَّاجُ: يعني: الشيطانَ ذا الوَسْواسِ.

﴿الْخَنَّاسِ (٤)﴾: الرَّجَّاعِ وهو الشيطانُ جاثِمٌ على قلْبِ الإنسانِ، فإذا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ، وإذا غَفَلَ وَسْوَسَ.

وقالَ قَتادةُ: الخَنَّاسُ له خُرطومٌ كخُرطومِ الكلْبِ في صَدْرِ الإنسانِ، فإذا ذَكَرَ العَبْدُ رَبَّهَ خَنَسَ ويُقالُ: رأسُه كرأسِ الحَيَّةِ، واضِعٌ رأسَه على ثَمَرَةِ القَلْبِ يُمَنِّيهِ ويُحَدِّثُه، فإذا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ وإذا لم يَذْكُر رَجَعَ فوَضَعَ رأسَه فذلك: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥)﴾). [معالم التنزيل: ٧٢٧]

قالَ مَحْمُودُ بنُ حَمْزَةَ بنِ نَصْرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (قَوْلُهُ: ﴿الْوَسْوَاسِ﴾ هو مَصْدَرٌ كالزِّلزالِ، والوَسواسُ مِنَ الشيطانِ، وقيلَ - وهو الغَرِيبُ - : وَسواسُ الإنسانِ مِن نَفْسِه، وهي وَسوَسَتُه الذي يُحَدِّثُ بها نَفْسَه). [غرائب التفسير: ٢/١٤١٥]

قَالَ قِوَامُ السُّنَّةِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَصْبَهَانِيُّ (ت: ٥٣٥هـ) (فيما نُسِبَ إليه): (الوَسْوَاسُ: الصَّوْتُ الخَفِيُّ، والوَسْوَاسُ: صَوْتُ الحُلِيِّ... فإذا استَغْفَرَ العَبْدُ خَنَس). [إعراب القرآن: ٥٦٦]

قَالَ قِوَامُ السُّنَّةِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَصْبَهَانِيُّ (ت: ٥٣٥هـ) (فيما نُسِبَ إليه): (وقِيلَ في الوَسْوَاسِ ثلاثةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُها: أَنَّ المعْنَى مِنْ شَرِّ الوَسْوَسَةِ التِي...

والثَّانِي: أَنَّ المعْنَى مِنْ شَرِّ ذِي الوَسْوَاسِ وهُوَ الشَّيْطَانُ.

والثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ ﴿مِنَ الْجِنَّةِ﴾ بيَانًا أَنَّ مِنْهُم...). [إعراب القرآن: ٥٦٦]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (﴿الْوَسْوَاسِ﴾ اسمٌ بمعنى الوَسْوَسَةِ، كالزَّلْزَالِ بمعنى الزَّلْزَلَةِ.

وأمَّا المصدرُ فوِسْوَاسٌ بالكسرِ كزِلْزَالٍ.

والمرادُ به الشيطانُ، سُمِّيَ بالمصدرِ كأنه وَسْوَسَةٌ في نفسِه؛ لأنها صَنْعَتُه وشُغْلُه الذي هو عاكِفٌ عليه. أو أُرِيدَ ذو الوَسواسِ. والوَسْوَسَةُ: الصوتُ الخَفِيُّ، ومِنه: وَسْوَاسُ الحَلْيِ.

والخَنَّاسُ: الذي عادتُه أنْ يَخْنُسَ، منسوبٌ إلى الخُنُوسِ، وهو التأخُّرُ، كالعَوَّاجِ والبَتَّاتِ؛ لِمَا رُوِيَ عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ: إذَا ذَكَرَ الإنسانُ رَبَّه خَنَسَ الشيطانُ ووَلَّى، فإذا غَفَلَ وَسْوَسَ إليه). [الكشاف: ٦/٤٦٨- ٤٦٩]

قالَ عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): ((الوَسْوَاسُ) اسمٌ مِن أسماءِ الشيطانِ، وهو أيضًا: ما تُوَسْوِسُ به شَهَوَاتُ النفسِ وتُسَوِّلُه، وذلك هو الهوَى الذي نُهِيَ المرءُ عن اتِّباعِه وأُمِرَ بمَعْصِيَتِهِ، والغضبُ الذي وَصَّى رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطَرْحِهِ وتَرْكِهِ حِينَ قالَ له رَجلٌ: أَوْصِنِي. فقالَ: ((لا تَغْضَبْ)). قالَ: زِدْنِي. قالَ: ((لا تَغْضَبْ))). [المحرر الوجيز: ١٥/٦١٣- ٦١٤]

قالَ عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (وقولُه تعالى: ﴿الْخَنَّاسِ (٤)﴾ معناه: الراجعُ على عَقِبِهِ، المُسْتَتِرُ أحيانًا، وذلك في الشيطانِ مُتَمَكِّنٌ، إذا ذَكَرَ العبدُ اللَّهَ تعالى وتَعَوَّذَ، وتَذَكَّرَ فأَبْصَرَ، كما قالَ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١)﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وإذا فَرَضْنَا ذلكَ في الشَّهَوَاتِ والغضبِ ونحوِهما، فهو يَخْنُسُ بتَذَكُّرِ النفسِ اللوامَةِ ويلَمَّةِ المَلَكِ، وبأنَّ الحياءَ يَرْدَعُ والإيمانَ يَرْدَعُ بقوةٍ، فتَخْنِسُ تلك العوارضُ المتحركةُ، وتَنْقَمِعُ عندَ مَن أُعِينَ بتوفيقِ اللَّهِ، وقَدِ انْدَرَجَ هذان المعنيانِ مِن الوَسْوَاسِ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)﴾. أي: من الشياطينِ، ونفسِ الإنسانِ). [المحرر الوجيز: ١٥/٦١٤]

قالَ مَحْمُودُ بنُ أَبِي الحَسَنِ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٥٥٥هـ): (﴿الْوَسْوَاسِ﴾: حديثِ النَّفْسِ بالصَّوْتِ الخَفِيِّ، وهو المُوَسْوِسُ هنا، سُمِّيَ باسمِ المَصدَرِ. ﴿الْخَنَّاسِ (٤)﴾: الشيطانِ؛ لأنه يَخْنُسُ عندَ ذكرِ اللهِ). [إيجاز البيان: ٢/٣٤٢]

قَالَ أبو الفرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (وَ ﴿الْوَسْوَاسِ﴾: الشيطانِ، وهوَ ﴿الْخَنَّاسِ (٤)﴾ يُوَسْوِسُ في الصدورِ، فإذا ذُكِرَ اللَّهُ خَنَسَ؛ أيْ: كَفَّ وأَقْصَرَ. قالَ الزَّجَّاجُ: الوَسواسُ هنا ذُو الوَسواسِ). [زاد المسير: ٩/٢٧٨]

قَالَ أبو الفرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (﴿الْوَسْوَاسِ﴾: الشيطانُ. وهو الخَنَّاسُ يُوَسْوِسُ في الصُّدُورِ، فإذا ذُكِرَ اللهُ خَنَسَ، أي: كَفَّ). [تذكرة الأريب: ٣٢٤]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (قولُه تَعَالَى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤)﴾ الوَسْوَاسُ اسْمٌ بِمَعْنَى الوَسْوَسَةِ، كالزِّلْزَالِ بِمَعْنَى الزَّلْزَلَةِ، وأَمَّا المَصْدَرُ فوِسْوَاسٌ بالكَسْرِ كزِلْزَالٍ، والمُرَادُ به الشَّيْطَانُ، سُمِّيَ بالمَصْدَرِ، كأَنَّه وَسْوَسَةٌ في نَفْسِه؛ لأَنَّها صَنْعَتُه وشُغْلُه الذي هو عاكِفٌ عليه، نَظِيرُه قولُه: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦] والمُرَادُ ذُو الوَسْوَاسِ، وتَحْقِيقُ الكَلامِ في الوَسْوَسَةِ قَدْ تَقَدَّمَ في قولِه: ﴿فَوَسْوَسَ

﴿لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الأعراف: ٢٠].

وأَمَّا الخَنَّاسُ فهو الذي عَادَتُه أَنْ يَخْنُسَ، مَنْسُوبٌ إلى الخُنُوسِ وهو التَّأَخُّرُ كالعَوَّاجِ والنَّفَّاثَاتِ). [التفسير الكبير: ١٨١/٣٢]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (و﴿ٱلۡوَسۡوَاسِ﴾ بالفتح اسمٌ، وبالكسرِ المصدرُ، والتقديرُ: مِن شرِّ ذي الوَسواسِ، وقيلَ: سُمِّيَ الشَّيْطانُ بالفِعلِ مُبالَغَةً.

و﴿ٱلۡخَنَّاسِ ٤﴾ نعتٌ له). [التبيان: ٢/ ٤٨٥]

قَالَ حُسَيْنُ بنُ أَبِي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (وقوله: ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ﴾ اختُلِفَ في الوَسْوَاسِ، قيلَ: هو اسمٌ بمَعْنَى الوَسْوَسَةِ، كالزَّلْزَالِ بمعنَى الزَّلْزَلَةِ، وأمَّا المصدرُ فوِسْوَاسٌ بالكسرِ كالزِّلْزالِ.

والوَسْوَسَةُ: حديثُ النفسِ، وهو مَصْدَرُ قولِكَ: وَسْوَسَتْ إليهِ نَفْسُه وَسْوَسَةً ووِسْوَاسًا بكسرِ الواوِ، وقيلَ: وهما مَصْدَرانِ يعني الوَسْواسَ بفتحِ الواوِ وبكَسْرِها، والوجهُ الأولُ وعليه الأكثرُ.

قيلَ: والمرادُ به الشيطانُ، سُمِّي بالمصدرِ مبالغةً، كأنه وَسْوَسَةٌ في نفسِه؛ لأنها صَنْعَتُه وشُغْلُه الذي هو عاكفٌ عليه، ولك أنْ تُقَدِّرَ في الكلامِ حذفَ مضافٍ، أي: من شَرِّ ذي الوسواسِ، كقولِكَ: رَجُلٌ صَوْمٌ وزُورٌ على الوجهينِ.

و(الخَنَّاسُ) صِفَةٌ له، والخَنَّاسُ: الكثيرُ الاختفاءِ بعدَ الظهورِ، يُقالُ: خَنَسَ يَخْنُسُ إذا استتَرَ وتأخَّرَ، وفي الحديثِ: «الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ تَنَحَّى وخَنَسَ، وإِذَا سَهَا وغَفَلَ وَسْوَسَ إِلَيْهِ»). [الفريد: ٤/ ٧٥٤- ٧٥٥]

قَالَ ابنُ عَسَاكِرَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ خَضِرِ الغَسَّانِيُّ (ت:٦٣٦هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤﴾ هُوَ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ. وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وَالحَمْدُ لِلَّهِ). [التكملة والإتمام: ٢٢٣]

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (﴿ٱلۡوَسۡوَاسِ﴾: وَسْوَسَةُ الإنسانِ التي تُحَدِّثُ بها نَفْسُهُ، وَقَدْ تَجَاوَزَ اللَّهُ عنها، وَالشيطانُ جَاثِمٌ على قلبِ ابنِ آدمَ إذا سَهَا وَغَفَلَ وَسْوَسَ، وَإِذا ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى خَنَسَ. ﴿ٱلۡخَنَّاسِ ٤﴾: الشيطانُ لكثرةِ اخْتِفَائِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥﴾ [التكوير: ١٥]؛ أي: النُّجُومِ لاخْتِفَائِهَا، أَوْ لأَنَّهُ يَرْجِعُ بالوسوسةِ عَنِ الهُدَى، أَوْ يُخْرِجُ بالوسوسةِ عَنِ اليَقِينِ). [تفسير القرآن: ٣/ ٥١٢]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (قولُه تعالَى: ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤﴾ يعنِي: مِنْ شَرِّ الشيطانِ. والمعنَى: مِنْ شَرِّ ذِي الوَسْوَاسِ، فحَذَفَ المضافَ، قالَهُ الفرَّاءُ.

وهو (بِفَتْحِ الواوِ) بمعنَى الاسْمِ، أي: المُوَسْوِسُ. و(بكَسْرِ الواوِ) المَصْدَرُ، يعني الوَسْوَسَةَ.

وكذا الزَّلْزَالُ والزِّلْزَالُ.

والوَسْوَسَةُ: حديثُ النفْسِ. يُقالُ: وَسْوَسَتْ إليه نَفْسُه وَسْوَسَةً وَوِسْوَسَةً (بكسرِ الواوِ).

ويقالُ لهَمْسِ الصائِدِ والكلابِ وأصواتِ الحُلِيِّ: وَسْوَاسٌ.

وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ: فَبَاتَ يُشْئِزُهُ ثَأْدٌ ويُسْهِرُهُ ... تَذَؤُّبُ الرِّيحِ والوَسْوَاسُ والهِضَبُ

وقالَ الأَعْشَى: تَسْمَعُ للحَلْيِ وَسْوَاسًا إِذَا انْصَرَفَتْ كَمَا اسْتَعَانَ بِرِيحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ

وقِيلَ: إنَّ ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ ابنٌ لإبليسَ، جاءَ به إلى حوَّاءَ، ووَضَعَه بينَ يدَيْهَا وقالَ: اكْفُلِيه. فجاءَ آدمُ [عليه السلامُ] فقالَ: مَا هَذَا [يَا حوَّاءُ]؟! قَالَتْ: جَاءَ عَدُوُّنَا بِهَذَا وقَالَ لِي: اكْفُلِيهِ. فقالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكِ: لا تُطِيعِيهِ فِي شيءٍ؛ هو الَّذِي غَرَّنَا حتَّى وَقَعْنَا فِي المَعْصِيَةِ. وعَمَدَ إلى الوَلَدِ فقَطَّعَهُ أَرْبَعَةَ أرباعٍ، وعَلَّقَ كلَّ رُبُعٍ على شَجَرَةٍ؛ غيظًا له.

فجاءَ إِبْلِيسُ فَقَالَ: يَا حوَّاءُ، أَيْنَ ابْنِي؟ فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا صَنَعَ به آدمُ [عليه السلامُ]، فقالَ: يا خَنَّاسُ. فَحَيِيَ فأجابَه. فجاءَ بِهِ إلى حوَّاءَ وقالَ: اكْفُلِيهِ، فجاءَ آدمُ [عليه السلامُ] فحرَّقَه بالنارِ، وذَرَّ رَمَادَهُ فِي البَحْرِ.

فجاءَ إِبْلِيسُ - عليه اللَّعْنَةُ- فقالَ: يا حوَّاءُ، أَيْنَ ابْنِي؟ فأَخْبَرَتْهُ بِفِعْلِ آدمَ إيَّاه؛ فذَهَبَ إلى البحرِ، فقالَ: يا خنَّاسُ، فَحَيِيَ فأجابه. فجاءَ به إلى حوَّاءَ الثالِثَةَ، وقالَ: اكْفُلِيه. فَنَظَرَ إليه آدمُ، فذَبَحَهُ وشوَاهُ، وأَكَلاهُ جَمِيعًا.

فجاءَ إِبْلِيسُ فسأَلَهَا فَأَخْبَرَتْهُ [حوَّاءُ]، فَقَالَ: يَا خَنَّاسُ، فَحَيِيَ فَأَجَابَهُ [فَجَاءَ بِهِ] مِنْ جَوْفِ آدَمَ وَحوَّاءَ، فقالَ إِبْلِيسُ: هذا الذي أَرَدْتُ، وهذا مَسْكَنُكَ فِي صَدْرِ وَلَدِ آدَمَ.

فهو مُلْتَقِمٌ قَلْبَ ابنِ آدَمَ ما دامَ غافِلاً يُوَسْوِسُ، فإذَا ذَكَرَ اللهَ لَفَظَ قَلْبَه وانْخَنَسَ.

ذَكَرَ هذا الخَبَرَ التِّرْمِذِيُّ الحَكِيمُ فِي نَوَادِرِ الأُصُولِ بإِسْنَادٍ عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ. وَمَا أَظُنُّه يَصِحُّ، واللهُ تعالى أعلمُ.

ووُصِفَ بالخَنَّاسِ؛ لأَنَّه كَثِيرُ الاخْتِفَاءِ، ومِنه قولُه تعالَى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥﴾ [التكوير: ١٥] يعني: النُّجُومَ؛ لاخْتِفَائِهَا بعدَ ظُهُورِهَا.

وقِيلَ: لأنه يَخْنُسُ إِذَا ذَكَرَ العبدُ اللهَ، أي: يَتَأَخَّرُ.

وفي الخَبَرِ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا غَفَلَ وَسْوَسَ، وَإِذَا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ». أي: تأَخَّرَ وأَقْصَرَ.

وقالَ قَتادَةُ: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ الشيطانُ له خُرْطُومٌ كخُرْطُومِ الكَلْبِ في صَدْرِ الإنسانِ، فإِذَا غفَلَ الإنسانُ وَسْوَسَ له، وإِذَا ذَكَرَ العَبْدُ رَبَّهُ خَنَسَ. يُقَالُ: خَنَسْتُهُ فَخَنَسَ، أي: أَخَّرْتُهُ فتَأَخَّرَ. وأَخْنَسْتُهُ أيضًا. ومِنه قولُ أبي العَلاءِ الحَضْرَمِيِّ - أَنْشَدَ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :

وَإِنْ دَحَسُوا بِالشَّرِّ فَاعْفُ تكَرُّمًا وَإِنْ خَنَسُوا عِنْدَ الحَدِيثِ فَلا تَسَلْ

الدَّحْسُ: الإِفْسَادُ.

وعن أَنَسٍ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ، وَإِذَا نَسِيَ اللهَ التَقَمَ قَلْبَهُ فَوَسْوَسَ».

وقالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِذَا ذَكَرَ اللهَ العَبْدُ خَنَسَ مِنْ قَلْبِهِ فَذَهَبَ، وإِذَا غَفَلَ التَقَمَ قَلْبَه فحَدَّثَه ومَنَّاهُ.

وقالَ إبراهِيمُ التَّيْمِيُّ: أَوَّلُ مَا يَبْدُو الوَسْوَاسُ مِن قِبَلِ الوُضُوءِ.

وقِيلَ: سُمِّيَ خَنَّاسًا؛ لأنه يَرْجِعُ إِذَا غَفَلَ العَبْدُ عن ذِكْرِ اللهِ.

والخَنْسُ: الرجوعُ.

وقالَ الراجِزُ:

وصَاحِبٍ يَمْتَعِسُ امْتِعَاسَا ... يَزْدَادُ إنْ حَيَّيْتُهُ خُناسَا

وقد روَى ابنُ جُبَيْرٍ عن ابنِ عبَّاسٍ في قولِه تعالَى: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ وَجْهَيْنِ:

أحدُهما: أنَّه الراجِعُ بالوَسْوَسَةِ عن الهُدَى.

الثاني: أنه الخارِجُ بالوَسْوَسَةِ مِن اليَقِينِ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٦١- ٢٦٢]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وقِيلَ: معنَى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾. أي: الوَسْوَسَةِ التي تَكُونُ مِنَ الجِنَّةِ والناسِ، وهو حديثُ النفْسِ.

وقد ثَبَتَ عنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ بِهِ». رواهُ أبو هُرَيْرَةَ، أخْرَجَهُ مسلمٌ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٦٤]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وقالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِذَا ذَكَرَ اللهَ العَبْدُ خَنَسَ مِنْ قَلْبِهِ فَذَهَبَ، وإِذَا غَفَلَ التَقَمَ قَلْبَه فَحَدَّثَه ومَنَّاهُ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٦٢]

قَالَ ابنُ المُنيِّرِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ الإِسْكَنْدَرَانِيُّ (ت: ٦٨٣هـ): (

وقِيلَ للخَنَّاسِ رَأْسُ أفْعَى ... يَضَعُهَا على القُلوبِ وَضْعَا

وعِندَ ذِكْرِ اللهِ يَغْدُو خَانِسَا ... أي قَابِضًا لرأسِهِ وحَابِسَا

). [التيسير العجيب: ٢٣٥]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ أي: الوَسوسةِ، كالزَّلزالِ بمعنى الزَّلْزَلَةِ، وأمَّا المَصْدَرُ فبالكسْرِ كالزِّلزالِ، والمرادُ به المُوَسْوِسُ، وسُمِّيَ بفِعْلِه مُبالَغَةً.

﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ الذي عَادَتُه أن يَخْنُسَ، أي: يَتَأَخَّرَ إذا ذَكَرَ الإنسانُ رَبَّهُ). [أنوار التنزيل: ٢/١١٨١]

قالَ الدِّيرِينِيُّ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ سَعِيدٍ الدَّمِيرِيُّ (ت:٦٩٧هـ): (

وَصَاحِبُ الوَسْوَاسِ مَنْ يُوَسْوِسُ ... مِنَ الشَّيَاطِينِ وَطَورًا يَخْنُسُ

خُنُوسُهُ تَأَخُّرُ الوَسْوَاسِ ... بِالذِّكْرِ وَهْوَ غَالِبٌ لِلنَّاسِ

). [التيسير: ٣٥٢]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾: هُو اسمٌ بمعنَى الوَسْوَسَةِ، كَالزَّلْزَالِ بمعنَى الزَّلْزلَةِ، وأمَّا المَصْدَرُ فوِسواسٌ بالكَسْرِ كالزِّلزالِ، والمرادُ به: الشَّيطانُ، سُمِّيَ بالمَصدَرِ كأنَّه وَسوسَةٌ في نفسِه؛ لأنَّها شُغْلُه الذِي هو عاكِفٌ عليه، أو أُرِيدَ: ذُو الوَسْواسِ، والوَسْوسةُ: الصَّوتُ الخَفِيُّ.

﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾: الذِي عادَتُه أن يَخْنُسَ مَنسوبٌ إلى الخُنُوسِ، وهو التَّأَخُّرُ؛ كالعَوَّاجِ والبَتَّاتِ؛ لِمَا رُوِيَ عن سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ: إذَا ذَكَرَ الإنسانُ ربَّه خَنَسَ الشَّيطانُ ووَلَّى، وإذا غفَلَ رَجَعَ ووَسْوَسَ إلَيْه) [مدارك التنزيل:٣/٢٠١٤- ٢٠١٥]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾: يَعْنِي الشَّيْطَانَ ذَا الوَسْوَاسِ، وَالوَسْوَسَةُ: الهَمْزُ والصوتُ الخَفِيُّ.

﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾: يَعْنِي الرَّجَّاعَ، مِنَ الَّذِي عَادَتُهُ أَنْ يَخْنُسَ؛ أَيْ: يَتَأَخَّرَ. [الباب التأويل: ٤/٥٠٣]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (قَوْلُهُ: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ فِيهَا أَقْوَالٌ، وَلَمْ يَذْكُرِ ابْنُ الجَوْزِيِّ إلا قَوْلَيْنِ، وَلَمْ يَذْكُرِ الثَّالِثَ وَهُوَ الصَّحِيحُ، وَهُوَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ لِبَيَانِ الوَسْوَاسِ أَيِ الَّذِي يُوَسْوِسُ مِنَ الجِنَّةِ وَمِنَ النَّاسِ فِي صُدُورِ النَّاسِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ جعلَ لِكُلِّ نَبيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا، وَإِيحَاؤُهُمْ هُوَ وَسْوَسَتُهُمْ، وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ المُوَسْوِسِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَتِرًا عَنِ البَصَرِ؛ بَلْ قَدْ يُشَاهَدُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١﴾ [الأعراف: ٢٠- ٢١] وَهَذَا كَلامُ مَنْ يُعْرَفُ قَائِلُهُ لَيْسَ شَيْئًا يُلْقَى فِي القَلْبِ لا يُدْرَى مِمَّنْ هُوَ، وَإِبْلِيسُ قَدْ أُمِرَ بِالسُّجُودِ لآدَمَ فَأَبَى وَاسْتَكْبَرَ؛ فَلَمْ يَكُنْ مِمَّنْ لا يَعْرِفُهُ آدَمُ، وَهُوَ وَنَسْلُهُ يَرَوْنَ بَنِي آدَمَ مِنْ حَيْثُ لا يَرَوْنَهُمْ، وَأَمَّا آدَمُ فَقَدْ رَآهُ.

وَقَدْ يَرَى الشَّيَاطِينَ وَالجِنَّ كَثِيرٌ مِنَ الإِنْسِ لَكِنْ لَهُمْ مِنَ الاجْتِنَانِ وَالاسْتِتَارِ مَا لَيْسَ لِلإِنْسِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]، وَفِي التَّفْسِيرِ وَالسِّيرَةِ: أَنَّ الشَّيْطَانَ جَاءَهُمْ فِي صُورَةِ بَعْضِ النَّاسِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦﴾ [الحشر: ١٦].

وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ» قُلْت: أَوَلِلإِنْسِ شَيَاطِينُ؟! قَالَ: «نَعَمْ شَرٌّ مِنْ شَيَاطِينِ الجِنِّ».

وَأَيْضًا فَالنَّفْسُ لَهَا وَسْوَسَةٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦] فَهَذَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ لِنَفْسِهِ كَمَا يُقَالُ حَدِيثُ النَّفْسِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسُهَا مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ أَوْ تَعْمَلْ بِهِ» أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ.

فَالَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ: نُفُوسُهُمْ وَشَيَاطِينُ الجِنِّ وَشَيَاطِينُ الإِنْسِ.

وَالوَسْوَاسُ الخَنَّاسُ يَتَنَاوَلُ وَسْوَسَةَ الجِنَّةِ وَوَسْوَسَةَ الإِنْسِ وَإِلا أَيُّ مَعْنًى لِلاسْتِعَاذَةِ مِنْ وَسْوَسَةِ الجِنِّ فَقَطْ مَعَ أَنَّ وَسْوَسَةَ نَفْسِهِ وَشَيَاطِينِ الإِنْسِ هِيَ مِمَّا تَضُرُّهُ، وَقَدْ تَكُونُ أَضَرَّ عَلَيْهِ مِنْ وَسْوَسَةِ الجِنِّ.

وَأَمَّا قَوْلُ الفَرَّاءِ: أَنَّ المُرَادَ مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ: الطَّائِفَتَيْنِ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَأَنَّهُ سَمَّى الجِنَّ نَاسًا كَمَا سَمَّاهُمْ رِجَالاً وَسَمَّاهُمْ نَفَرًا؛ فَهَذَا ضَعِيفٌ؛ فَإِنَّ لَفْظَ النَّاسِ أَشْهَرُ وَأَظْهَرُ وَأَعْرَفُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى تَنْوِيعِهِ إِلَى الجِنِّ وَالإِنْسِ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَفْظَ النَّاسِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ.

وَأَيْضًا: فَكَوْنُهُ يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ الطَّائِفَتَيْنِ صِفَةُ تَوْضِيحٍ وَبَيَانٍ وَلَيْسَ وَسْوَسَةُ الجِنِّ مَعْرُوفَةً عِنْدَ النَّاسِ، وَإِنَّمَا يُعْرَفُ هَذَا بِخَبَرٍ، وَلا خَبَرَ هُنَا، ثُمَّ قَدْ قَالَ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ فَكَيْفَ يَكُونُ لَفْظُ النَّاسِ عَامًّا لِلْجِنَّةِ وَالنَّاسِ؟ وَكَيْفَ يَكُونُ قَسِيمُ الشَّيْءِ قِسْمًا مِنْهُ؟ فَهُوَ يَجْعَلُ النَّاسَ قَسِيمَ الجِنِّ وَيَجْعَلُ الجِنَّ نَوْعًا مِنَ النَّاسِ، وَهَذَا كَمَا يَقُولُ: أَكْرَمُ العَرَبِ مِنَ العَجَمِ وَالعَرَبِ!! فَهَلْ يَقُولُ هَذَا أَحَدٌ؟!!

وَإِذَا سَمَّاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى رِجَالاً لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ يُسَمَّوْنَ نَاسًا وَإِنْ قُدِّرَ أَنَّهُ يُقَالُ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الجِنِّ؛ فَذَاكَ مَعَ التَّقْيِيدِ كَمَا يُقَالُ إِنْسَانٌ مِنْ طِينٍ وَمَاءٍ دَافِقٍ، وَلا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَدْخُلُوا فِي لَفْظِ النَّاسِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١] فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ مَخْلُوقُونَ مِنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ مَعَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُخَاطِبُ الجِنَّ وَالإِنْسَ.

وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَبْعُوثٌ إِلَى الجِنْسَيْنِ لَكِنَّ لَفْظَ النَّاسِ لَمْ يَتَنَاوَلِ الجِنَّ، وَلَكِنْ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُ الزَّجَّاجِ: إِنَّ المَعْنَى ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ الَّذِي هُوَ الجِنَّةُ وَمِنْ شَرِّ النَّاسِ فِيهِ ضَعْفٌ، وَإِنْ كَانَ أَرْجَحَ مِنَ الأَوَّلِ؛ لأَنَّ شَرَّ الجِنِّ أَعْظَمُ مِنْ شَرِّ الإِنْسِ فَكَيْفَ يُطْلِقُ الاسْتِعَاذَةَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَلا يَسْتَعِيذُ إِلا مِنْ بَعْضِ الجِنِّ.

وَأَيْضًا فَالوَسْوَاسُ الخَنَّاسُ إِنْ لَمْ يَكُنْ إِلا مِنَ الجِنَّةِ فَلا حَاجَةَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ وَمِنَ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ فَلِمَاذَا يَخُصُّ الاسْتِعَاذَةَ مِنْ وَسْوَاسِ الجِنَّةِ دُونَ وَسْوَاسِ النَّاسِ.

وَأَيْضًا فَإِنَّهُ إِذَا تَقَدَّمَ المَعْطُوفُ اسْمًا كَانَ عَطْفُهُ عَلَى القَرِيبِ أَوْلَى كَمَا أَنَّ عَوْدَ الضَّمِيرِ إِلَى الأَقْرَبِ أَوْلَى إِلا إِذَا كَانَ هُنَاكَ دَلِيلٌ يَقْتَضِي العَطْفَ عَلَى البَعِيدِ فَعَطْفُ النَّاسِ هُنَا عَلَى الجِنَّةِ المَقْرُونِ بِهِ أَوْلَى مِنْ عَطْفِهِ عَلَى الوَسْوَاسِ.

وَيَكْفِي أَنَّ المُسْلِمِينَ كُلَّهُمْ يَقْرَءُونَ هَذِهِ السُّورَةَ مِنْ زَمَنِ نَبِيِّهِمْ وَلَمْ يُنْقَلْ هَذَانِ القَوْلانِ إِلا عَنْ بَعْضِ النُّحَاةِ وَالأَقْوَالُ المَأْثُورَةُ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ هَذَا بَلْ إِنَّمَا فِيهَا القَوْلُ الَّذِي نَصَرْنَاهُ كَمَا فِي تَفْسِيرِ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ قَالَ: إِنَّ فِي الجِنِّ شَيَاطِينَ وَإِنَّ فِي الإِنْسِ شَيَاطِينَ فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ؛ فَبَيَّنَ قَتَادَةُ أَنَّ المَعْنَى الاسْتِعَاذَةُ مِنْ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ.

وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ قَالَ: الخَنَّاسُ الَّذِي يُوَسْوِسُ مَرَّةً وَيَخْنُسُ مَرَّةً مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ فَبَيَّنَ ابْنُ زَيْدٍ أَنَّ الوَسْوَاسَ الخَنَّاسَ مِنَ الصِّنْفَيْنِ.

وَكَانَ يُقَالُ: شَيَاطِينُ الإِنْسِ أَشَدُّ عَلَى النَّاسِ مِنْ شَيَاطِينِ الجِنِّ: شَيْطَانُ الجِنِّ يُوَسْوِسُ وَلا تَرَاهُ وَهَذَا يُعَايِنُكَ مُعَايَنَةً. وَعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ قَالَ: إِنَّهُمَا وَسْوَاسَانِ فَوَسْوَاسٌ مِنَ الجِنَّةِ فَهُوَ ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ وَوَسْوَاسٌ مِنْ نَفْسِ الإِنْسَانِ فَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾، وَهَذَا القَوْلُ الثَّالِثُ وَإِنْ كَانَ يُشْبِهُ

قَوْلَ الزَّجَّاجِ فَهَذَا أَحْسَنُ مِنْهُ ؛ فَإِنَّهُ جَعَلَ مِنَ النَّاسِ الوَسْوَاسَ الَّذِي مِنْ نَفْسِ الإِنْسَانِ فَمَعْنَاهُ أَحْسَنُ، ذَكَرَ الثَّلاثَةَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ). [مجموع الفتاوى:١٧/٥٠٩- ٥١٣]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحَليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وَالوَسْوَسَةُ مِنْ جِنْسِ الوَشْوَشَةِ بالشِّينِ المُعْجَمَةِ، يُقَالُ فُلانٌ يُوَشْوِشُ فُلانًا، وَقَدْ وَشْوَشَهُ إِذَا حَدَّثَهُ سِرًّا فِي أُذُنِهِ، وَكَذَلِكَ الوَسْوَسَةُ، وَمِنْهُ وَسْوَسَةُ الحُلِيِّ لَكِنْ هُوَ بالسِّينِ المُهْمَلَةِ أَخَصُّ). [مجموع الفتاوى:١٧/٥١٧ (م)]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحَليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وَالوَسْوَاسُ مِنْ جِنْسِ الحَدِيثِ وَالكَلامِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ المُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦] قَالُوا: مَا تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسُهُ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسُهَا مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ أَوْ تَعْمَلْ بِهِ».

وَهُوَ نَوْعَانِ: خَبَرٌ وَإِنْشَاءٌ ؛ فَالخَبَرُ: إِمَّا عَنْ مَاضٍ وَإِمَّا عَنْ مُسْتَقْبَلٍ.

فَالمَاضِي يُذَكِّرُهُ بِهِ، وَالمُسْتَقْبَلُ يُحَدِّثُهُ بِأَنْ يَفْعَلَ هُوَ أُمُورًا أَوْ أَنَّ أُمُورًا سَتَكُونُ بِقَدَرِ اللَّهِ أَوْ فِعْلِ غَيْرِهِ ؛ فَهَذِهِ الأَمَانِيُّ وَالمَوَاعِيدُ الكَاذِبَةُ.

وَالإِنْشَاءُ: أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَإِبَاحَةٌ.

وَالشَّيْطَانُ تَارَةً يُحَدِّثُ وَسْوَاسَ الشَّرِّ وَتَارَةً يُنْسِي الخَيْرَ، وَكَانَ ذَلِكَ بِمَا يَشْغَلُهُ بِهِ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ.

قَالَ تَعَالَى فِي النِّسْيَانِ: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

وَقَالَ فَتَى مُوسَى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٤٢].

وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ فَإِذَا قُضِيَ التَّأْذِينُ أَقْبَلَ فَإِذَا ثُوِّبَ بالصَّلاةِ أَدْبَرَ فَإِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ المَرْءِ وَنَفْسِهِ فَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَذْكُرْ حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى» فَالشَّيْطَانُ ذَكَّرَهُ بِأُمُورٍ مَاضِيَةٍ حَدَّثَ بِهَا نَفْسَهُ مِمَّا كَانَتْ فِي نَفْسِهِ مِنْ أَفْعَالِهِ وَمِنْ غَيْرِ أَفْعَالِهِ ؛ فَبِتِلْكَ الأُمُورِ نَسِيَ المُصَلِّي كَمْ صَلَّى، وَلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى ؛ فَإِنَّ النِّسْيَانَ أَزَالَ مَا فِي النَّفْسِ مِنَ الذِّكْرِ وَشَغَلَهَا بِأَمْرٍ آخَرَ حَتَّى نَسِيَ الأَوَّلَ.

وَأَمَّا إِخْبَارُهُ بِمَا يَكُونُ فِي المُسْتَقْبَلِ مِنَ المَوَاعِيدِ وَالأَمَانِيِّ فَكَقَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم: ٢٢] وَفِي هَذِهِ الآيَةِ أَمْرُهُ وَوَعْدُهُ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء: ١١٩- ١٢١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾ [البقرة: ٢٦٨] فَفِي هَذِهِ أَيْضًا أَمْرُهُ وَوَعْدُهُ.

وَقَالَ مُوسَى لَمَّا قَتَلَ القِبْطِيَّ: ﴿هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ١٥﴾ [القصص: ١٥].

وَقَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ كَأَبِي بَكْرٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ فِيمَا يَقُولُونَهُ بِاجْتِهَادِهِمْ: إِنْ كَانَ صَوَابًا فَمِنَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ خَطَأً فَمِنِّي وَمِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَجَعَلُوا مَا يُلْقَى فِي النَّفْسِ مِنْ الاعْتِقَادَاتِ الَّتِي لَيْسَتْ مُطَابِقَةً مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهَا آثِمًا لأَنَّهُ اسْتَفْرَغَ وُسْعَهُ، كَمَا لا يَأْثَمُ بِالوَسْوَاسِ الَّذِي يَكُونُ فِي الصَّلاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَلا بِمَا يُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَهُ، وَقَدْ قَالَ المُؤْمِنُونَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: قَدْ فَعَلْت.

وَالنِّسْيَانُ لِلْحَقِّ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَالخَطَأُ مِنَ الشَّيْطَانِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨﴾ [الأنعام: ٦٨].

وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَامَ عَنْ صَلاةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا» وَلَمَّا نَامَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ عَنِ الصَّلاةِ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ قَالَ لأَصْحَابِهِ: «ارْتَحِلُوا فَإِنَّ هَذَا مَكَانٌ حَضَرَنَا فِيهِ شَيْطَانٌ» وَقَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ أَتَى بِلالاً فَجَعَلَ يُهَدِّئُهُ كَمَا يُهَدَّأُ الصَّبِيُّ حَتَّى نَامَ».

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَّلَ بِلالاً أَنْ يُوقِظَهُمْ عِنْدَ الفَجْرِ، وَالنَّوْمُ الَّذِي يَشْغَلُ عَمَّا أُمِرَ بِهِ وَالنُّعَاسُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَإِنْ كَانَ مَعْفُوًّا عَنْهُ؛ وَلِهَذَا قِيلَ: النُّعَاسُ فِي مَجْلِسِ الذِّكْرِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَكَذَلِكَ الاحْتِلامُ فِي المَنَامِ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَالنَّائِمُ لا قَلَمَ عَلَيْهِ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الرُّؤْيَا ثَلاثَةٌ: رُؤْيَا مِنَ اللَّهِ وَرُؤْيَا مِنَ الشَّيْطَانِ وَرُؤْيَا مَا يُحَدِّثُ بِهِ المَرْءُ نَفْسَهُ فِي اليَقَظَةِ فَيَرَاهُ فِي النَّوْمِ»

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ هَذَا مِنْ كَلامِ ابْنِ سِيرِين لَكِنَّ تَقْسِيمَ الرُّؤْيَا إِلَى نَوْعَيْنِ: نَوْعٌ مِنَ اللَّهِ وَنَوْعٌ مِنَ الشَّيْطَانِ صَحِيحٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلا رَيْبٍ.

فَهَذَانِ النَّوْعَانِ: مِنْ وَسْوَاسِ النَّفْسِ وَمِنْ وَسْوَاسِ الشَّيْطَانِ وَكِلاهُمَا مَعْفُوٌّ عَنْهُ؛ فَإِنَّ النَّائِمَ قَدْ رُفِعَ القَلَمُ عَنْهُ.

وَوَسْوَاسُ الشَّيْطَانِ يَغْشَى القَلْبَ كَطَيْفِ الخَيَالِ فَيُنْسِيهِ مَا كَانَ مَعَهُ مِنَ الإِيمَانِ حَتَّى يَعْمَى عَنِ الحَقِّ؛ فَيَقَعُ فِي البَاطِلِ فَإِذَا كَانَ مِنَ المُتَّقِينَ كَانَ كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١] فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَسَّهُمْ بِطَيْفٍ مِنْهُ يَغْشَى القَلْبَ، وَقَدْ يَكُونُ لَطِيفًا وَقَدْ يَكُونُ كَثِيفًا إِلا أَنَّهُ غِشَاوَةٌ عَلَى القَلْبِ تَمْنَعُهُ إِبْصَارَ الحَقِّ.

قَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ العَبْدَ إذَا أَذْنَبَ نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ؛ فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ فَذَلِكَ الران الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾».

لَكِنَّ طَيْفَ الشَّيْطَانِ غَيْرُ رَيْنِ الذُّنُوب، هَذَا جَزَاءٌ عَلَى الذَّنْب، وَالغَيْنُ أَلطَفُ مِنْ ذَلِكَ كَمَا فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي اليَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً»). [مجموع الفتاوى:١٧/٥١٩- ٥٢٢]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (وقَوْلُه: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾. المضافُ محذوفٌ؛ أي: من شَرِّ ذِي الوَسْواسِ، وهو اسمٌ بمعنَى الوَسْوَسَةِ؛ كالزِّلْزال بمعنَى الزَّلْزَلَةِ، وأمَّا المَصْدَرُ فوِسْوَاسٌ بالكَسْرِ.

ويَحْسُنُ أنْ يُقالَ: سُمِّيَ الشيطانُ بِهِ؛ لأنه كأنَّه وَسْوَسَةٌ في نَفْسِه، لأنَّه صَنْعَتُه وعَمَلُه الذي هو عَاكِفٌ عليه.

نظيرُه: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: ٤٦]). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٥]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (والخَنَّاسُ: هو الَّذِي مِن شَأْنِه أَنْ يَخْنُسَ؛ أي: يَتَأَخَّرَ، وَقَدْ مَرَّ في قَوْلِه تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾ [التكوير: ١٥- ١٦].

عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ: إذا ذَكَرَ الإنسانُ ربَّه خَنَسَ الشيطانُ وولَّى، وإذا غَفَلَ وَسْوَسَ إليهِ.

فكما أنَّ الشيطانَ يُوَسْوِسُ تَارَةً ويَخْنُسُ أخرَى، فكذلك شيطانُ الإنسِ يَرَى نَفْسَه كالناصِحِ المُشْفِقِ، فإنْ زَجَرَه السامِعُ انْخَنَسَ وتَرَكَ الوَسْوَسَةَ، وإنْ تَلَقَّى كلامَه بالقَبولِ بالَغَ فيهِ حتى نَالَ منه). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٥]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ ابْنُ جَمَاعَةَ الكِنَانِيُّ (ت: ٧٣٣هـ): (﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾: هُوَ: الشَّيْطَانُ يُوَسْوِسُ لابنِ آدَمَ إِذَا غَفَلَ، وَيَخْنُسُ إِذَا ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى). [غرر التبيان:٥٥٣]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ هو مُشْتَقٌّ من الوَسوسةِ وهي الكلامُ الخَفِيُّ، فيَحْتَمِلُ أن يكونَ الوَسواسُ بمعنى المُوَسْوِسِ فكأنه اسمُ فاعلٍ، وهذا يَظْهَرُ من قولِ ابنِ عَطِيَّةَ: الوَسْوَاسُ من أسماءِ الشيطانِ. ويَحْتَمِلُ أن يكونَ مَصْدَرًا وُصِفَ به الموسوسُ على وجهِ المبالَغَةِ كَعَدْلٍ وَصَوْمٍ أو على حذْفِ مضافٍ تقديرُه: ذي الوَسواسِ وقالَ الزَّمخشريُّ: إنما المَصدرُ وَسْوَاسٌ بالكُفْرِ). [التسهيل: ٢٢٧]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (﴿ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ معناه: الراجعُ على عَقِبِه المُستَمِرُّ أحيانًا، وذلك مُتمكِّنٌ في الشيطانِ؛ فإنه يُوَسْوِسُ فإذا ذَكَرَ العبدُ اللهَ وتَعَوَّذَ به منه تَباعَدَ عنه ثم رَجَعَ إليه عند الغَفْلَةِ عن الذكْرِ وهو يَخْنُسُ في تَباعُدِه ثم في رُجوعِه بعدَ ذلك). [التسهيل: ٢٢٧]

قالَ عَبْدُ البَاقِي بْنُ عَبدِ المَجِيدِ القُرَشِيُّ اليَمَانِيُّ (ت: ٧٤٣هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ اسمٌ بِمَعْنَى الوَسْوَسَةِ، كالزَّلْزَالِ بِمَعْنَى: الزَّلْزَلَةِ، وأَمَّا المَصْدَرُ فبالكَسْرِ، والمُرادُ بالوَسْوَاسِ: الشَّيْطانُ، سُمِّيَ بالمَصْدَرِ

كأَنَّهُ وَسْوسَةٌ في نفْسِهِ؛ لأَنَّها صَنْعَتُهُ الَّتِي هو عَلَيْها عاكِفٌ، والوَسْوَسَةُ: صَوْتٌ خَفِيٌّ، أو أُرِيدَ به ذو الوَسْوَاسِ، ويَجُوزُ أَنْ يُرادَ بالوَسْوَسَةِ: وَسْوَسَةُ الحُلِيِّ.

والخَنَّاسُ: الَّذِي من عادَتِهِ أَنْ يَخْنُسَ، مَنْسُوبٌ إلى الخُنُوسِ وهو الرُّجُوعُ). [الترجمان: ٢٣٥]

قالَ أَبُو حيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَالوَسْوَاسُ قالُوا: اسمٌ مِنْ أسماءِ الشيطانِ.

وَالوَسْوَاسُ أَيْضاً: ما يُوَسْوِسُ بِهِ شَهَوَاتِ النفسِ، وَهوَ الهَوَى المَنْهِيُّ عنهُ.

وَالخَنَّاسُ: الراجِعُ على عَقِبِهِ المُسْتَتِرُ أَحْيَاناً، وَذلكَ في الشيطانِ مُتَمَكِّنٌ، إذا ذَكَرَ العبدُ اللَّهَ تعالى تَأَخَّرَ، وَأَمَّا الشهواتُ فَتَخْنِسُ بالإيمانِ وَبلَمَّةِ المَلَكِ وَبالحياءِ، فهذانِ المَعْنَيَانِ يَنْدَرِجَانِ في ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾، وَيكونُ مَعْنَى ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ مِنَ الشياطينِ وَنفوسِ الناسِ، أَوْ يكونُ ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ أُريدَ بِهِ الشيطانُ وَالمُغْرِي المُزَيِّنُ مِنْ قُرَنَاءِ السَّوْءِ، فيكونُ ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ تَبْيِيناً لذلكَ ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾.

قَالَ تعالَى: ﴿عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وَقالَ قتادةُ: إِنَّ مِنَ الإِنسِ شَيَاطِينَ، وَمن الجنِّ شَيَاطِينَ، فَنَعُوذُ باللَّهِ مِنْهُمْ.

وَقال أبو ذرٍّ لِرَجُلٍ: هلْ تَعَوَّذْتَ مِنْ شياطينِ الإنسِ؟

وَقالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ اسمٌ بِمَعْنَى الوَسْوَسَةِ كالزِّلْزالِ بِمَعْنَى الزَّلْزَلَةِ، وَأَمَّا المصدرُ فَوِسْوَاسٌ بالكسرِ كزِلزالٍ، وَالمرادُ بِهِ الشيطانُ، سُمِّيَ بالمصدرِ كأَنَّهُ وَسْوَسَةٌ في نفسِهِ؛ لأَنَّها صَنْعَتُهُ وَشُغْلُهُ الذي هوَ عَاكِفٌ عَلَيْهِ، أَوْ أُرِيدَ ذو الوَسْوَاسِ.

وَقدْ تَكَلَّمْنَا معهُ في دَعْوَاهُ أنَّ الزَّلزالَ بالفتحِ اسمٌ، وَبالكسرِ مَصْدَرٌ في ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ [الزلزلة: ١]). [البحر المحيط: ٧٦٥/٨]

قالَ أَبُو حيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَالخَنَّاسُ: الرَّاجِعُ عَلَى عَقِبِهِ المُسْتَتِرُ أَحْيَانًا، وَذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ مُتَمَكِّنٌ إِذَا ذَكَرَ العَبْدُ اللَّهَ تَأَخَّرَ). [النهر الماد: ١٣٢٠]

قَالَ عَلِيُّ بْنُ عُثْمَانَ التُّرْكُمَانِيُّ (ت: ٧٥٠هـ): (﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ الشَّيْطَانُ يُوَسْوِسُ في الصُّدُورِ. وفي التَّفْسِيرِ: لَهُ رَأْسٌ كَالحَيَّةِ يَجْثِمُ عَلَى قَلْبِ العَبْدِ، فإذا ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى خَنَسَ، أي: تَأَخَّرَ وتَنَحَّى، وإذا تَرَكَ الذِّكْرَ رَجَعَ إلى القَلْبِ فوَسْوَسَ). [بهجة الأريب: ٢٥٧]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (وتَأَمَّلْ حِكْمَةَ القرآنِ وجَلالتَه كيف أَوْقَعَ الاستعاذةَ من شرِّ الشيطانِ الموصوفِ بأنه الوَسواسُ الخَنَّاسُ الذي يُوَسْوِسُ في صُدورِ الناسِ، ولم يَقُلْ: من شَرِّ وَسوستِه لتَعُمَّ الاستعاذةُ شرَّه جميعَه فإنَّ قولَه: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ يَعُمُّ كلَّ شرِّه ووَصَفَه بأعْظَمِ صِفاتِه وأَشَدِّها شَرًّا وأَقواها تأثيرًا وأَعَمِّها فَسادًا، وهي الوَسوسةُ التي هي مَبادئُ الإرادةِ، فإن القلْبَ يكونُ فارغًا من الشرِّ والمعصيةِ فيوسْوِسُ إليه ويُخْطِرُ الذنْبَ ببالِه، فيُصَوِّرُه لنفسِه، ويُمَنِّيه ويُشَهِّيه، فيصيرُ شَهوةً ويُزَيِّنُها له، ويُحَسِّنُها ويُخَيِّلُها له في خيالٍ تَميلُ نفسُه إليه، فيَصيرُ إرادةً، ثم لا يَزالُ يُمَثِّلُ ويُخيِّلُ ويُمَنِّي ويُشَهِّي ويُنْسِي

عِلْمَه بضَرَرِها، ويَطْوي عنه سوءَ عاقِبَتِها، فيَحولُ بينَه وبينَ مُطالَعَتِه، فلا يَرَى إلا صورةَ المعصيةِ والتذاذِه بها فقط، ويَنْسَى ما وراءَ ذلك، فتصيرُ الإرادةُ عزيمةً جازِمَةً، فيَشْتَدُّ الحِرْصُ عليها من القلْبِ، فيَبْعَثُ الجنودَ في الطلَبِ، فيَبْعَثُ الشيطانُ معهم مَدَدًا لهم وعوْنًا، فإن فَتَرُوا حرَّكَهُم وإن وَنَوْا أَزْعَجَهُم.

كما قالَ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: ٨٣] أي: تُزْعِجُهُم إلى المَعاصِي إزْعَاجًا، كُلَّمَا فَتَرُوا أو وَنَوْا أَزْعَجَتْهُم الشياطينُ وأَزَّتْهُم وأثارَتْهُم، فلا تَزالُ بالعبْدِ تَقودُه إلى الذنْبِ، وتَنْظِمُ شَمْلَ الاجتماعِ بألطَفِ حِيلةٍ وأَتَمِّ مَكيدةٍ، قد رَضِيَ لنفسِه بالقِيادةِ لفَجَرةِ بني آدمَ، وهو الذي اسْتَكْبَرَ وأبى أن يَسْجُدَ لأبيهم، فلا بتلك النَّخْوَةِ والكِبْرِ، ولا برضاهُ أن يَصيرَ قَوَّادًا لكلِّ مَن عَصَى اللهَ، كما قالَ بعضُهم:

عَجِبْتُ مِنْ إبليسَ في تِيهِهِ ... وقُبْحِ ما أَظْهَرَ مِنْ نَخْوَتِهْ

تاهَ على آدمَ في سَجْدَةٍ ... وصارَ قَوَّادًا لذُرِّيَّتِهْ

فأصْلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وبلاءٍ إنما هو الوَسوسةُ، فلهذا وَصَفَه بها لتكونَ الاستعاذةُ من شَرِّها، أهمَّ من كلِّ مُستعاذٍ منه، وإلا فشَرُّه بغيرِ الوَسوسةِ حاصلٌ أيضًا). [بدائع الفوائد: ٢/٢٥٧- ٢٥٨]

قالَ السَّمِينُ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الحَلَبِيُّ (ت: ٧٥٦هـ): (قولُهُ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾. قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: "اسمٌ بِمَعْنَى الوَسْوَسَةِ كالزَّلْزَالِ بِمَعْنَى الزَّلْزَلَةِ، وأَمَّا المصدرُ فوِسْوَاسٌ بالكسرِ كالزِّلزالِ، والمُرَادُ بِهِ الشيطانُ، سُمِّيَ بالمصدرِ كأَنَّهُ وَسْوَسَةٌ في نفسِهِ؛ لأنَّها صَنْعَتُهُ وَشُغْلُهُ، أَوْ أُرِيدَ ذو الوَسْوَاسِ". انْتَهَى، وَقدْ مَضَى الكلامُ معهُ في أنَّ المكسورَ مَصْدَرٌ، وَالمفتوحَ اسمٌ في الزَّلْزَلَةِ، فَلْيُرَاجَعْ.

قولُهُ: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾. أي: الرَّجَّاعِ؛ لأَنَّهُ إذا ذُكِرَ اللَّهُ تَعَالَى خَنَسَ، وَهوَ مثالُ مُبَالَغَةٍ مِنَ الخُنُوسِ، وَقدْ تَقَدَّمَ اشتقاقُ هذهِ المادَّةِ في سورةِ التكويرِ). [الدر المصون: ١١/١٦٢]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤هـ): (هذه ثلاثُ صفاتٍ مِن صفاتِ الربِّ عَزَّ وجَلَّ: الرُّبُوبِيَّةُ، والمُلْكُ، والإلهيَّةُ، فهو رَبُّ كلِّ شَيْءٍ ومَلِيكُه وإِلَهُهُ، فجميعُ الأشياءِ مَخلوقةٌ له مَملوكةٌ عَبِيدٌ لهُ، فأَمَرَ المستعيذَ أنْ يَتعوَّذَ بالمُتَّصِفِ بهذهِ الصفاتِ مِن شرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ، وهو الشيطانُ المُوَكَّلُ بالإنسانِ؛ فإنه ما مِن أحدٍ مِن بني آدَمَ إلاَّ وله قَرِينٌ يُزَيِّنُ له الفَواحِشَ، ولا يَأْلُوهُ جَهْداً فِي الخَبَالِ. والمعصومُ مَن عَصَمَه اللَّهُ.

وقدْ ثَبَتَ فِي الصحيحِ أنَّهُ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ». قالوا: وأنتَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قالَ: «نَعَمْ، إِلاَّ أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فأَسْلَمَ، فَلا يَأْمُرُنِي إِلاَّ بِخَيْرٍ»). [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩١١] (م)

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (وقالَ العَوْفِيُّ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قولِه: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾. قالَ: هو الشيطانُ يأمُرُ، فإذا أُطِيعَ خَنَسَ). [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩١٢]

قالَ حَيْدَرُ بْنُ عَلِيٍّ القَاشِيُّ (ت: ٧٧٦هـ): (ابْنُ عَبَّاس: الوَسْوَاسُ: إِذَا وُلِدَ خَنَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ ذَهَبَ وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ ثَبَتَ عَلَى قَلْبِهِ). [المعتمد في المنقول: ٢/٥٠٦]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ البَلَنْسِيُّ (ت: ٧٨٢هـ): ((عس) قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ﴾ هُو إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ، وقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، والحَمْدُ لِلَّهِ). [صلة الجمع:٧٦١]

قَالَ ابْنُ المُلَقِّنِ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٨٠٤هـ): (﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ﴾. أي: الشيطانِ الذي يُوسْوِسُ في صُدورِ الناسِ ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ﴾. أي: يَخْنُسُ ويَسْكُنُ إذا ذَكَرَ العبدُ رَبَّه). [تفسير غريب القرآن: ٦٠٥]

قَالَ ابنُ الهائِمِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِمَادٍ القَرَافِيُّ (ت: ٨١٥هـ): (﴿ٱلْوَسْوَاسِ ﴾: الشَّيْطَانُ، وهو ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ﴾، يعنِي الشَّيْطانَ الذي يُوَسْوِسُ في الصُّدُورِ، وجاءَ في التفسيرِ: أنَّ له رَأْسًا كرأسِ الحيَّةِ يَجْثُمُ على القلْبِ يُوَسْوِسُ فيهِ، فإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ عزَّ وجلَّ العبْدُ خَنَسَ، أيْ: تأخَّرَ وتَنَحَّى. وإِذَا تركَ ذِكْرَ اللَّهِ رجَعَ إلى القلْبِ فوسْوَسَ فيهِ). [التبيان: ٣٥٦]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزَآبَادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ الثِّقَةُ ابْنُ المَأْمُونِ الهَرَوِيُّ قالَ: أَخْبَرَنَا أَبِي، قالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ، قال: أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللهِ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَمَّارُ بْنُ عَبْدِ المَجِيدِ الهَرَوِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ السَّمَرْقَنْدِيُّ، عن مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنِ الكَلْبِيِّ، عن أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ﴾ يَعْنِي الشَّيْطَانَ ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى ﴾ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ خَنَسَ نَفْسَهُ وَسَتَرَهَا، وَإِذَا لَمْ يُذْكَرْ ﴿يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ ﴾). [تنوير المقباس: ٦٠٤]

قَالَ جَلَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ المَحَلِّيُّ (ت: ٨٦٤هـ): (﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ﴾ الشَّيْطَانِ سُمِّيَ بالحَدَثِ لِكَثْرَةِ ملابستِهِ لهُ.

﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ﴾ لأَنَّهُ يَخْنُسُ وَيَتَأَخَّرُ عن القلبِ كُلَّمَا ذُكِرَ اللَّهُ). [تفسير الجلالين: ٦٠٤]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبِيُّ (ت: ٨٧٥ هـ): (﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ﴾ الوَسْوَاسُ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الشَّيْطَانِ، وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ﴾. مَعْنَاهُ: الرَّاجِعُ عَلَى عَقِبِهِ المُسْتَتِرُ أَحْيَاناً، فَإِذَا ذَكَرَ العَبْدُ اللَّهَ تَعَالَى وَتَعَوَّذَ، تَذَكَّرَ فَأَبْصَرَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ ﴾ [الأعراف: ٢٠١] الآيَةَ). [الجواهر الحسان: ٥/٦٤٢]

قَالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (قَوْلُهُ: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ﴾، قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: "اسْمٌ بِمَعْنَى الوَسْوَسَةِ، كالزِّلْزَالِ بِمَعْنَى الزَّلْزَلَةِ، وَأَمَّا المَصْدَرُ: فَوِسْوَاسٌ -بِالكَسْرِ- "كَزِلْزَالٍ"، والمُرَادُ بِهِ الشَّيْطَانُ، سُمِّيَ بِالمَصْدَرِ كَأَنَّهُ وَسْوَسَةٌ في نَفْسِهِ؛ لأَنَّها صَنْعَتُهُ وشُغْلُهُ الَّذِي هُوَ عاكِفٌ عَلَيْهِ، وأُرِيدَ ذُو الوَسْوَاسِ". انْتَهَى، وقد مرَّ الكلامُ معه أَنَّ المَكْسُورَ مَصْدَرٌ، والمَفْتُوحَ اسْمٌ في "الزَّلْزَلَةِ"؛ فَلْيُرَاجَعْ.

والوَسْوَسَةُ: حَدِيثُ النَّفْسِ، يُقَالُ: وَسْوَسَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَسْوَسَةً وَوِسْوَسَةً -بكسرِ الواوِ-

قَالَ القُرْطُبِيُّ: ويُقَالُ لِهَمْسِ الصَّائِدِ، والكِلابِ، وَأَصْوَاتِ الحُلِيِّ: وَسْوَاسٌ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

فَبَاتَ يُشْئِزُهُ ثَأْدٌ وَيُسْهِرُهُ ... تَذَؤُّبُ الرِّيحِ وَالوَسْوَاسُ وَالهِضَبُ

وقَالَ الأعْشَى:

تَسْمَعُ لِلْحَلْيِ وَسْوَاسًا إِذَا انْصَرَفَتْ كَمَا اسْتَعَانَ بِرِيحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ

قَوْلُهُ: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ أي: الرَّجَّاع؛ لأَنَّه إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ -تَعَالَى- خَنَسَ، وهُوَ مِثَالُ مُبَالَغَةٍ مِنَ الخُنُوسِ. يُقَالُ: خَنَسَ أي تَأَخَّرَ، يُقَالُ: خَنَسْتُهُ فخَنَسَ، أي أَخَّرْتُهُ فتَأَخَّرَ، وأَخْنَسْتُهُ أَيْضًا. وتَقدَّمَ الكلامُ عَلَى هَذِهِ المَادَّةِ فِي سُورَةِ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾). [اللباب: ٢٠/٥٧٧- ٥٧٨]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (قَالَ القُرْطُبِيُّ: "وَوُصِفَ بِالْخَنَّاسِ؛ لأَنَّه كَثِيرُ الاخْتِفَاءِ، ومنه قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥﴾ [التَّكوير: ١٥] يَعْنِي النُّجومَ لاخْتِفائِهَا بَعْدَ ظُهُورِهَا"). [اللباب: ٢٠/٥٧٨]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (وقِيلَ: معْنَى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ أي: الوَسْوَسَةِ الَّتِي تَكُونُ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ، وهُوَ حَدِيثُ النَّفْسِ.
قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- تَجاوَزَ لأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ بِهِ»). [اللباب: ٢٠/٥٨٠] (م)

قالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾. هوَ اسمٌ بِمَعْنَى الوَسْوَسَةِ كالزلزالِ بمعنَى الزلزلةِ، والمُرادُ المُوَسْوِسُ سُمِّيَ بِفِعْلِهِ مُبَالَغَةً؛ لأَنَّهُ صِفَتُهُ التي هوَ غايةُ الضراوةِ عليها كما بُولِغَ في العادِلِ بِتَسْمِيَتِهِ العدلَ، والوسوسةُ الكلامُ الخَفِيُّ: إِلقاءُ المَعَانِي إلى القلبِ في خَفَاءٍ وتَكرِيرٍ، كما أنَّ الكلمةَ الدالَّةَ عَلَيْهَا (وَسْ) مُكَرَّرَةٌ، وأَصْلُهَا صَوْتُ الحُلِيِّ، وحديثُ النفسِ وهَمْسُ الكلابِ ضُوعِفَ لَفْظُهُ مُنَاسَبَةً لِمَعْنَاهُ؛ لأنَّ المُوَسْوِسَ يُكرِّرُ ما يَنْفُثُهُ في القلبِ ويُؤكِّدُهُ في خفاءٍ لِيُقْبَلَ، ومَصْدَرُهُ بالكَسْرِ كالزِّلْزَالِ كما قالَ تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾ [الأحزاب: ١١]، وكلُّ مُضاعَفٍ مِنَ الزلزلةِ والرَّضْرَضَةِ مَعْنَاهُ مُتَكَرِّرٌ). [نظم الدرر: ٨/٦١٤]

قالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (والمُوَسْوِسُ مِنَ الجِنِّ يَجْرِي مِنِ ابنِ آدمَ مَجْرَى الدمِ، كَمَا فِي الصحيحِ، فهوَ يُوَسْوِسُ بالذنبِ سِرًّا ليكونَ أَجْلَى، ولا يَزَالُ يُزَيِّنُهُ ويُثِيرُ الشَّهْوَةَ الدَّاعِيَةَ إليهِ حتَّى يُوَاقِعَهُ الإنسانُ، فإذا واقَعَهُ وَسْوَسَ لِغَيْرِهِ أنَّ فُلانًا فَعَلَ كذا حتَّى يَفْضَحَهُ بذلك، فإذا افْتَضَحَ ازْدَادَ جُرْأَةً على أمثالِ ذلكَ؛ لأَنَّهُ يَقُولُ: قدْ وَقَعَ ما كُنْتُ أَحْذَرُهُ مِنَ القَالَةِ، فلا يكونُ شَيْءٌ غيرُ الذي كانَ، وَشَرُّهُ التَّحْبِيبُ إلى الإنسانِ بما يَمِيلُ إليهِ طَبْعُهُ، حتَّى يُشَاكِلَهُ في رَذِيلَةِ الطبعِ وظُلمةِ النفسِ.
فَيَنْشَأُ مِنْ ذلكَ شرورٌ لازمةٌ ومُتَعَدِّيَةٌ أَضَرُّهَا الكِبْرُ والإعجابُ اللذانِ أَهْلَكَا الشيطانَ، فَيُوقِعُ الإنسانَ بها فِيمَا أَوْقَعَ نَفْسَهُ فيهِ، ويَنْشَأُ مِنَ الكِبْرِ الحِقْدُ، والحَسَدُ يَتَرَشَّحُ منهُ بَطَرُ الحقِّ وهوَ عدَمُ قَبُولِهِ، ومنهُ الكفرُ والفُسُوقُ والعصيانُ وغَمْصُ الناسِ، وهوَ احْتِقَارُهُم المعلومُ مِنْ قولِ الشيطانِ: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢].

وَمنهُ تَنْشَأُ الاستهانةُ بأولياءِ اللَّهِ تعالى بِتَرْكِ احْتِرَامِهِم وَمَنْعِ حُقُوقِهِم وَالاعتداءِ عليهم وَالظلمِ لهم، وَيَتَرَشَّحُ مِنَ الحقدِ الذي هوَ العداوةُ العظيمةُ إِمْسَاكُ الخيرِ وَالإحسانِ وَبَسْطُ اللسانِ وَاليدِ بِكُلِّ سُوءٍ وَإِيذاءٍ، وَيَتَرَشَّحُ مِنَ الحسدِ إِفْسَادُ ذاتِ البَيْنِ، كَمَا يُشِيرُ إِليهِ: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٠] الآيَةَ.

وَالكَذِبُ وَالمخادعةُ كَمَا عَرَّفَ بِهِ: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢١، ٢٢].

وَيَتَرَشَّحُ عَنِ الإِعجابِ التَّسَخُّطُ للقضاءِ وَالقدرِ كما آذَنَ بِهِ: ﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ [الإسراء: ٦١].

وَمقابلةُ الأمرِ بالعلمِ بما أَشْعَرَ بِهِ: ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ﴾ [الحجر: ٣٣].

وَاسْتِعْمَالُ القياسِ في مقابلةِ النصِّ بما هَدَى إِليهِ: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢] الآيَةَ.

وَاسْتِعْمَالُ التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ بِمَا أَفْهَمَهُ: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الحجر: ٣٣].

وَالإِدْلالُ وَهوَ الجُرْأَةُ على المُخَالَفَاتِ، فَيَنْشَأُ عَنْ ذلكَ شرورٌ مُتَعَدِّيَةٌ، وَهيَ السَّعْيُ في إِفسادِ العقائدِ وَالأخلاقِ وَالأعمالِ وَالأبدانِ وَالأرزاقِ، ثمَّ لا يَزَالُ يَتَحَبَّبُ إلى الإنسانِ بِمَا يَمِيلُ إِليهِ طَبْعُهُ مِنْ هذهِ الخبائِثِ، وَهوَ يُوَافِقُهُ فيها حتَّى تَصِيرَ لهُ أَخْلاقاً رَاسِخَةً، فَيَصِيرَ رَدِيءَ الطبعِ، فَلا يَنْفَعُ فيهِ العلاجُ، بلْ لا يَزِيدُهُ إِلاَّ خُبْثاً كَإِبليسَ وَمَن كانَ أَصْلُهُ طَيِّباً وَاكْتَسَبَ مَا يُخَالِفُهُ بِسَبَبٍ عَارِضٍ كانَ مُمْكِنَ الإِزالةِ بالعِلاجِ، كما وَقَعَ لآدمَ عَلَيْهِ الصلاةُ وَالسلامُ.

وَلَمَّا كانَ المَلِكُ الأعظمُ سبحانَهُ لم يُنْزِلْ داءً إلاَّ أَنْزَلَ لهُ دَوَاءً، وَكَانَ قدْ جَعَلَ دواءَ الوسوسةِ ذِكْرَهُ سبحانَهُ وَتَعَالَى، فإِنَّهُ يَطْرُدُ الشيطانَ وَيُنِيرُ القلبَ وَيُصَفِّيهِ، وَصَفَ سُبْحَانَهُ وَتعالى فِعْلَ المُوَسْوِسِ عِنْدَ اسْتِعْمَالِ الدواءِ إِعْلاماً بأَنَّهُ شَدِيدُ العداوةِ للإنسانِ لِيَشْتَدَّ حَذَرُهُ منهُ وَبُعْدُهُ عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾. أي: الذي عَادَتُهُ أنْ يَخْنُسَ؛ أيْ: يَتَوارَى وَيَتَأَخَّرَ وَيَخْتَفِيَ بَعْدَ ظُهُورِهِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، كُلَّمَا كانَ الذِّكْرُ خَنَسَ، وَكُلَّمَا بَطَلَ عَادَ إلى وسواسِهِ، فالذِّكْرُ كَالمَقَامِعِ التي تَقمَعُ المُفْسِدَ، فهوَ شَدِيدُ النُّفُورِ منهُ، وَلهذا يَكُونُ شَيْطَانُ المؤمنِ هَزِيلاً كَمَا وَرَدَ عَنْ بعضِ السَّلَفِ أنَّ المؤمنَ يُنضِي شَيْطَانَهُ كَمَا يُنضِي الرجلُ بَعِيرَهُ في السَّفَرِ.

قَالَ البَغَوِيُّ: لهُ خُرْطُومٌ كَخُرْطُومِ الكَلْبِ في صدرِ الإنسانِ، وَيُقَالُ: رَأْسُهُ كرأسِ الحَيَّةِ وَاضِعٌ رَأْسَهُ على يَمِينِ القلبِ، يُحَدِّثُهُ فإذا ذُكِرَ اللَّهُ خَنَسَ، وَإذا لَمْ يُذْكَرِ اللَّهُ رَجَعَ وَوَضَعَ رَأْسَهُ خَزَاهُ اللَّهُ تَعَالَى). [نظم الدرر: ٨/٦١٤- ٦١٥]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الإِيجِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت: ٩٠٥ هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾: أي: الوَسْوَسَةِ، كالزَّلْزَالِ بمعنى الزَّلْزَلَةِ، والمرادُ: الشيطانُ سُمِّيَ بالمصدرِ مبالغةً، أو المرادُ: ذي الوَسْوَاسِ.

﴿ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾: الذي عادَتُهُ الخَنْسُ، أي: التأخُّرُ والرجوعُ عِنْدَ ذِكْرِ اللهِ تعالَى). [جامع البيان: ٤/٥٤٧]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت:٩١١هـ): (﴿ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ هو الشيطانُ، كما أخرَجه ابنُ جَريرٍ عن ابنِ عبَّاسٍ رضِيَ اللَّهُ عنهما). [مفحمات الأقران:٢١٧]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ﴾ وهوَ اسمٌ بمعنى الوسواسةِ كالزَّلزالِ بمعنى الزَّلْزَلةِ، وأما المصدرُ فوِسْواسٌ بالكسرِ كزِلزالٍ، والمرادُ بهِ شيطانٌ سُمِّيَ بالمصدرِ كأنَّهُ وسوسَ في نفسِهِ؛ لأنَّها صنعتُهُ وشغلُهُ الَّذِي هوَ عاكفٌ عليهِ أوْ أُرِيدَ ذو الوَسواسِ.

والوسوسةُ الصَّوتُ الخفيُّ ويُقَالُ لِحِسِّ الصائدِ والكلابِ وأصواتِ الحُلِيِّ وسواسٌ، والشيطانُ يجري مِن ابنِ آدمَ مَجْرَى الدَّمِ كما في الصَّحيحِ، فهوَ الَّذِي يُوَسْوِسُ بالذَّنْبِ سِرًّا ليكونَ أحْلَى، ولا يزالُ يُزَيِّنُهُ ويثيرُ الشَّهوةَ الدَّاعِيةَ إليهِ حتى يُوقِعَ الإنسانَ، فإذا أوْقَعَهُ وسْوَسَ لغيرِهِ أنَّ فُلانًا فعلَ كذا حتى يَفْضَحَهُ بذلكَ فإذا افْتَضحَ ازدادَ جَراءةً على أمثالِ ذلكَ كأنَّهُ يقولُ قدْ وقعَ ما كنتُ أحذرُ مِن إيقاعِهِ فلا يكونُ شيءٌ غيرُ الَّذِي كانَ فيجترئُ على الذَّنْبِ.

ولما كانَ اللَّهُ تَعَالَى لمْ يُنزلْ داءً إلا أنزلَ لهُ دواءً غيرَ السَّامِ وهوَ الَموتُ، وكانَ قدْ جعلَ دَواءَ الوسوسةِ ذِكْرَهُ تَعَالَى؛ فإنَّهُ يَطْرُدُ الشَّيطانَ وينيرُ القلبَ وَيُصَفِّيهِ وصفَ سبحانهُ الُمَوَسْوِسَ عندَ استعمالِهِ الدواءَ بقولِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ أيِ: الَّذِي عادتُهُ أنْ يَخْنُسَ أنْ يَتَوارَى، ويتأخَّرَ ويختفيَ بعدَ ظُهُورِهِ مرَّةً مرَّةً كُلَّما كانَ الذِّكْرُ خَنَسَ، وكلَّما بطلَ عادَ إلى وَسْوَاسِهِ فالذِّكْرُ لهُ كالمقامعِ التي تقمعُ الُمفْسِدَ فهوَ شديدُ النُّفورِ منهُ، ولهَذَا كانَ شيطانُ المؤمنِ هَزِيلاً كما حُكِيَ عنْ بعضِ السَّلَفِ أنَّ المؤمنَ يُنضِي شيطانَهُ كما يُنضِي الرَّجُلُ بَعِيرَهُ في السَّفَرِ.

قَالَ قتادةُ: الخَنَّاسُ لهُ خرطومٌ كخرطومِ الكَلْبِ، وَقِيلَ كخرطومِ الخنزيرِ في صدرِ الإنسانِ فإذا ذَكَرَ العبدُ ربَّهُ خَنَسَ.

ويُقَالُ: رأسُهُ كرأسِ الحيَّةِ واضعٌ رأسَهُ على ثمرةِ القلبِ يَمَسُّهُ ويُحَدِّثُهُ فإذا ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى خَنَسَ ورجعَ ووضعَ رأسَهُ فذلكَ قولُهُ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ ﴾). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٦]

- **قلتُ:** (قولُه: (حُكِي عنْ بعضِ السَّلَفِ أنَّ المؤمنَ يُنضِي شيطانَهُ كما يُنضِي الرَّجُلُ بَعِيرَهُ في السَّفَرِ) رُوِيَ مرفُوعًا، قالَ الإِمَامُ أحمدُ فِي المسنَدِ: (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ عَنْ مُوسَى بْنِ وَرْدَانَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُنْضِي شَيَاطِينَهُ كَمَا يُنْضِي أَحَدُكُمْ بَعِيرَهُ فِي السَّفَرِ »).

قالَ الأَلبانِيُّ: وَهذا إِسنادٌ حَسَنٌ؛ لأنَّ ابنَ لَهِيعَةَ صَحيحُ الحَدِيثِ مِن رِوايةِ قُتَيبَةَ؛ كَمَا قَدَّمْتُ أَكثَرَ مِن مَرَّةٍ، وَمُوسَى بنُ وَرْدَانَ صَدُوقٌ؛ كَمَا قَالَ الذهبيُّ وَغيرُهُ).

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وَقِيلَ: معنى مِن شرِّ الوسواسِ الوسوسةُ التي تكونُ منَ الجِنَّةِ والنَّاسِ، وهوَ حديثُ النَّفْسِ قَالَ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعالَى تَجاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَها مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ بِهِ»). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٦]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ﴾: هُوَ اسْمٌ بِمَعْنَى الوَسْوَسَةِ، وَهِيَ الصَّوْتُ الخَفِيُّ كالزَّلْزَالِ بِمَعْنَى الزَّلْزَلَةِ، وَأَمَّا المَصْدَرُ فبالكَسْرِ، وَالمُرادُ الشَّيْطَانُ، سُمِّيَ بِفِعْلِهِ

مبالغةً، كأَنَّهُ نَفْسُ الوسوسةِ. ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾: الَّذِي عَادَتُهُ أَنْ يَخْنُسَ؛ أَيْ: يَتَأَخَّرَ إِذَا ذَكَرَ الإِنْسَانُ رَبَّهُ).
[إرشاد العقل السليم: ٧/٢١٦- ٢١٧]

قَالَ المُؤَذِّنُ عَبْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ سَلامَةَ الإِدْكَاوِيُّ (ت: ١١٨٤هـ): (ابْنُ عَسْكَرٍ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ هُو إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ، قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ. وَالحَمْدُ لِلَّهِ). [ترويح أولي الدماثة: ٢/٢٧٩]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ قَالَ الفراءُ: هوَ بِفَتْحِ الواوِ بمعنَى الاسمِ؛ أي: المُوَسْوِسُ، وَبكسرِهَا المصدرُ؛ أي: الوَسْوَسَةُ، كالزلزالِ بمعنَى الزلزلةِ. وَقيلَ: هوَ بالفتحِ اسمٌ بِمَعْنَى الوسوسةِ. وَالوسوسةُ هيَ حديثُ النفسِ، يُقَالُ: وَسْوَسَتْ إِليهِ نَفْسُهُ وَسْوَسَةً؛ أَيْ: حَدَّثَتْهُ حَدِيثاً، وَأَصْلُهَا الصوتُ الخفيُّ، وَمِنهُ قيلَ لأصواتِ الحُلِيِّ وَسْوَاسٌ، وَمِنهُ قولُ الأعشَى:

تَسْمَعُ لِلْحَلْيِ وَسْوَاساً إِذَا انْصَرَفَتْ ....

قالَ الزَّجَّاجُ: الوَسْوَاسُ هوَ الشيطانُ؛ أَيْ: ذِي الوسواسِ. وَيُقَالُ: إِنَّ الوسواسَ ابنٌ لإبليسَ. وَقدْ سَبَقَ تحقيقُ معنَى الوسوسةِ فِي تفسيرِ قولِهِ: [الأعراف: ٢٠] ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾.

وَمعنَى الخَنَّاسِ: كثيرُ الخَنْسِ، وَهوَ التَّأَخُّرُ، يُقَالُ: خَنسَ يَخْنِسُ؛ إذا تَأَخَّرَ، وَمنهُ قولُ العلاءِ بنِ الحَضْرَمِيِّ يَمْدَحُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فَإِنْ دَحسُوا بالشرِّ فَاعْفُ تَكَرُّماً وَإِنْ خَنَسُوا عندَ الحديثِ فلا تَسَلْ

قالَ مُجَاهِدٌ: إذا ذُكِرَ اللَّهُ خَنَسَ وَانْقَبَضَ، وَإِذا لمْ يُذْكَرِ انْبَسَطَ على القلبِ.

وَوُصِفَ بالخَنَّاسِ؛ لأَنَّهُ كثيرُ الاختفاءِ، وَمنهُ قولُهُ تعَالَى: [التكوير: ١٥] ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥﴾. يَعْنِي النجومَ لاختفائِهَا بعدَ ظهورِهَا كما تَقَدَّمَ. وَقيلَ: الخَنَّاسُ اسمٌ لابنِ إبليسَ كَمَا تَقَدَّمَ فِي الوسواسِ). [فتح القدير: ٥/٧٦٣]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (والوَسواسُ عندَ الزَّمخشريِّ اسمُ مَصدرٍ بمعنى الوَسوسةِ، والمصدَرُ بالكسرِ وهو صوتُ الحُلِيِّ والهَمْسُ الخفيُّ، ثم استُعْمِلَ في الخَطرةِ الرَّدِيَّةِ، وأُريدَ به ههنا الشيطانُ، سُمِّيَ بفِعلِه مُبالَغَةً كأنه نفسُ الوَسوسةِ، أو الكلامُ على حذفِ مُضافٍ أي: ذي الوَسواسِ.

وقالَ بعضُ أئِمَّةِ العربيَّةِ: إنَّ فَعْلَلَ ضَربانِ؛ صحيحٌ كدَحْرَجَ، وثُنائِيٌّ مُكَرَّرٌ كصَلْصَلَ، ولهما مَصدرانِ مُطَّرِدانِ فَعْلَلَة وفِعلالٌ بالكسرِ وهو أَقْيَسُ، والفتحُ شاذٌّ لكنه كَثُرَ في المُكرَّرِ كتَمْتَامٍ وفَأْفاةٍ، ويكونُ للمبالَغةِ كفَعلالٍ في الثلاثيِّ، كما قالوا وَطْوَاطٌ للضعيفِ وثَرثارٌ للمُكْثِرِ، والحقُّ أنه صِفَةٌ فلْيُحْمَلْ عليه ما في الآيةِ الكريمةِ مِن غيرِ حاجةٍ إلى التجوُّزِ أو حذْفِ المضافِ، وقد تَقَدَّمَ في سورةِ الزلزالِ ما يَتَعَلَّقُ بهذا المبحَثِ فتَذَكَّرْ، فما في العهدِ مِن قِدَمٍ.

والظاهرُ أنَّ المرادَ الاستعاذةُ مِن شَرِّ الوسواسِ مِن حيث هو وَسواسٌ ومآلُه إلى الاستعاذةِ مِن شَرِّ وَسوستِه، وقيلَ: المرادُ الاستعاذةُ مِن جميعِ شُرورِه، ولذا قيلَ: مِن شرِّ الوَسواسِ، ولم يَقُلْ مِن شَرِّ وَسوسةِ الوَسواسِ، قيلَ: وعليه يكونُ القولُ بأنَّ شَرَّهُ يَلْحَقُ البَدَنَ كما يَلْحَقُ النفسَ أَظْهَرُ منه على الظاهرِ، وعُدَّ مِن شَرِّه أنه كما

في صحيحِ البخاريِّ يَعْقِدُ على قافيةِ رأسِ العبدِ إذا نامَ ثلاثَ عُقَدٍ مُرادُه بذلك مَنْعُه مِن اليَقظةِ وفي عَدِّ هذا مِن الشرِّ البَدَنيِّ خَفاءٌ، وبعضُهم عَدَّ منه التَّخَبُّطَ إذا لَحِقَ عندَ أهلِ السنَّةِ أنه قد يكونُ مِن مَسِّه كما تَقَدَّمَ في مَوْضِعِه.

وقولُه تعالى: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ٤﴾ صيغةُ مبالَغةٍ أو نِسبةٍ أي: الذي عادَتُه أن يَخْنُسَ ويَتأخَّرَ إذا ذَكَرَ الإنسانُ ربَّه عزَّ وجلَّ). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٦]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾. قَالَ الفراءُ: هوَ بِفَتْحِ الواوِ بمعنَى الاسمِ؛ أي: المُوَسْوِسِ وبِكَسْرِهَا المَصْدَرُ؛ أي: الوَسْوَسَةُ كالزَّلْزَالِ بمعنى الزَّلْزَلَةِ، وقِيلَ: هوَ بالفتحِ اسمٌ لِمَعْنَى الوسوسةِ، والوسوسةُ هيَ حديثُ النفسِ، يُقَالُ: وَسْوَسَتْ إليهِ نفسُهُ وَسْوَسَةً؛ أيْ: حَدَّثَتْهُ حَدِيثاً، وأَصْلُهَا الصوتُ الخَفِيُّ، ومنهُ قيلَ لأصواتِ الحُلِيِّ وَسْوَاسٌ.

قالَ الزَّجَّاجُ: الوسواسُ هوَ الشيطانُ؛ أيْ: ذِي الوَسْوَاسِ، ويُقَالُ: إنَّ الوسواسَ ابنٌ لإبليسَ، وسُمِّيَ بالمصدرِ كأنَّهُ وَسْوَسَةٌ في نفسِهِ؛ لأنَّها شُغْلُهُ الذي هوَ عَاكِفٌ عَلَيْهِ، وقدْ سَبَقَ تَحْقِيقُ معنَى الوسوسةِ في تفسيرِ قولِهِ: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: ٢٠].

ومَعْنَى ﴿ٱلْخَنَّاسِ ٤﴾ كَثِيرُ الخَنْسِ وهو التَّأَخُّرُ، يُقَالُ: خَنَسَ إذا تَأَخَّرَ.

قَالَ مُجَاهِدٌ: إذا ذُكِرَ اللَّهُ خَنَسَ وانْقَبَضَ، وإذا لم يُذْكَرِ انْبَسَطَ على القلبِ.

ووُصِفَ بالخَنَّاسِ لأنَّهُ كَثِيرُ الاختفاءِ، ومنهُ قولُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ١٥﴾ [التكوير: ١٥]. يعني النجومَ لاختفائِهَا بعدَ ظُهُورِهَا كما تَقَدَّمَ.

وقِيلَ: الخَنَّاسُ اسمٌ لابنِ إبليسَ كما تَقَدَّمَ في الوسواسِ). [فتح البيان: ١٥/٤٦٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ بفَتْحِ الواوِ هو بمَعْنَى المُوَسْوِسِ وهُوَ الشَّيْطانُ.

﴿ٱلْخَنَّاسِ ٤﴾، أيِ: الَّذِي يَتَأَخَّرُ عِنْدَ ذِكْرِ الإنسانِ رَبَّهُ). [مراح لبيد: ٢/٦٨٤]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المصريُّ(ت: ١٣٢٣هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ أَصْلُ الوَسْوَسَةِ الصَّوْتُ الخَفِيُّ، وقد قِيلَ لأَصْواتِ الحُلِيِّ عندَ الحَرَكَةِ: وَسْوَسَةٌ، والوَسْواسُ ههنا صِفَةٌ كالثَّرْثارِ، أو اسْمُ مَصْدَرٍ اسْتُعْمِلَ اسْتِعْمالَ الصِّفَةِ، والمُرادُ منه الَّذي يُلْقِي الحَدِيثَ في النَّفْسِ حَدِيثَ السَّوْءِ). [تفسير جزء عم: ١٨٩]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المصريُّ(ت: ١٣٢٣هـ): (﴿ٱلْخَنَّاسِ ٤﴾ من خَنَسَ إذا رَجَعَ، وهذه الأحاديثُ النَّفْسِيَّةُ إذا سُلِّطَ عليها نَظَرُ العَقْلِ في العَواقِبِ خَفِيَتْ واضْمَحَلَّتْ وسَكَنَ المُوَسْوِسُ عن إلقائِها، وحَدِيثُ النَّفْسِ بالفَواحِشِ وضُروبِ الأَذَى بالنَّاسِ إذا ذُكِرَ دِينُ اللهِ وأُحْضِرَتِ النَّفْسُ مِثالَ شَرْعِهِ، ذَهَبَ ذلك الحَدِيثُ هَباءً، وخَنَسَ المُوَسْوِسُ، وكذلكَ إذا وَسْوَسَ لك أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، وبَعَثَكَ على فِعْلِ سُوءٍ، وذَكَرْتَ ذلكَ وذَكَّرْتَهُ به، رَأَيْتَهُ يَخْنُسُ ويُمْسِكُ عَنِ القَوْلِ إلى أنْ يَجِدَ فُرْصَةً أُخْرَى، فالمُوَسْوِسُ بالشَّرِّ كَثِيرُ الخُنُوسِ؛ لأَنَّهُ من ناحِيَةِ الباطِلِ لا

مَكِنَةَ له على مُقاوَمةِ لحقٍّ إذا صدَمَهُ، ولكنَّهُ يَذْهَبُ بالنَّفْسِ إلى أَسْوَأِ المَصايرِ إذا انْجرَّتْ معَ الوَسْوَسَةِ وانْساقَتْ بها إلى تَحْقِيقِ الخاطِرِ بالفِعْلِ، وإنَّمَا ذَكَرَ اللهُ لنا هذا الوَصْفَ ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ ليُنَبِّهَنا إلى مَكانِ المُوَسْوِسِ مِنَ الضَّعْفِ لنَلْتَمِسَ السَّبِيلَ إلى دَفْعِهِ معَ الاسْتِعانَةِ باللهِ عليه، وليَدُلَّنا على أنَّ ما أَصابَ النَّاسَ من قِبَلِهِ إنَّمَا كانَ من ضَعْفِ عَزائِمِهم وعَشَا بَصائِرِهم، ولو اسْتَعْمَلوا قُواهُم فيما جعَلَها اللهُ له ما نَجعَ الوَسْواسُ في نُفوسِهِم، ولا جَرَّهم إلى سُوءِ مَصيرِهم). [تفسير جزء عم: ١٨٩]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾؛ أي: الشيطانِ ذي الوَسوسةِ.
وقدْ زَعَمَ الزمخشريُّ ومَنْ تَبِعَهُ أنَّ الوَسواسَ مَصدرٌ أُرِيدَ بِهِ المُوَسْوِسُ أوْ بتقديرِ ذِي. وحقَّقَ غيرُ واحدٍ أنَّهُ صِفَةٌ كالثَّرْثَارِ، وأنَّ فِعْلالاً مَصدرُ فَعْلَلَ بالكسْرِ، والمفتوحَ شاذٌّ. وقدْ بَسَطَ الكلامَ في ذلكَ الإمامُ ابنُ القَيِّمِ في (بَدائِعُ الفوائدِ).

﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾؛ أي: الذي عادتُهُ أنْ يَخْنُسَ؛ أيْ: يَتَأَخَّرَ إذا ذَكَرَ الإنسانُ رَبَّهُ؛ لأنَّهُ لا يُوَسْوِسُ إلاَّ مع الغَفلةِ، وكُلَّمَا تَنَبَّهَ العبدُ فذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٩]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (الوَسْوَاسِ: أَيْ المُوَسْوِسِ الَّذِي يُلْقِي حَدِيثَ السُّوءِ فِي النَّفْسِ، والخَنَّاسِ: مِنَ الخُنُوسِ، وَهُوَ الرُّجُوعُ والاخْتِفَاءُ). [تفسير المراغي: ٣٠/٢٦٩]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ أيْ أَلْجأُ إليكَ رَبَّ الخَلْقِ وإلَهَهُم ومَعْبودَهُم أنْ تُنَجِّيَنَا مِن شَرِّ الشَّيْطَانِ المُوَسْوِسِ الكَثِيرِ الخُنُوسِ والاخْتِفَاءِ؛ لأنه يَأْتِي مِن نَاحِيَةِ البَاطِلِ، فلا يَسْتَطِيعُ مُقَاوَمَةَ الحَقِّ إِذَا صَدَمَهُ، ولكنه يَذْهَبُ بالنَّفْسِ إِلَى أسْوَأِ مَصِيرٍ، إِذَا انْجرَّتْ مَعَ وَسْوَسَتِهِ وانْسَاقَتْ معه إِلَى تَحْقِيقِ ما خطَرَ بالبَالِ.
وَهَذِهِ الأَحَادِيثُ النَّفْسِيَّةُ إِذَا سُلِّطَ عليها نَظَرُ العَقْلِ خَفِيَتْ واضْمَحَلَّتْ، وَلَكِنَّ المُوَسْوِسَ عِنْدَ إلقَائِهَا وَحَدِيثِ النَّفْسِ بالفَوَاحِشِ وَضُرُوبِ الأذَى للنَّاسِ، يَذْهَبُ هَبَاءً إِذَا تَنَبَّهَتِ النَّفْسُ لأَوَامِرِ الشَّرْعِ، وهكذا إِذَا وَسْوَسَ لك امْرُؤٌ وَبَعَثَكَ عَلَى فِعْلِ السُّوءِ ثُمَّ ذَكَّرْتَهُ بأوَامِرِ الدِّينِ، يَخْنُسُ وَيُمْسِكُ عَنِ القَوْلِ، إِلَى أنْ تَسْنَحَ له فُرْصَةٌ أُخْرَى). [تفسير المراغي: ٣٠/٢٧٠- ٢٧١]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (والوَسْوَاسُ: المتكلِّمُ بالوَسْوَسَةِ، وهي الكلامُ الخَفِيُّ، قالَ رُؤْبَةُ يَصِفُ صائِدًا في قُتْرَتِه:

❖ وَسْوَسَ يَدْعُو مُخْلِصًا رَبَّ الفَلَقِ ❖

فالوَسْوَاسُ: اسمُ فاعِلٍ، ويُطلَقُ الوَسواسُ بفَتْحِ الواوِ مَجازًا على ما يَخْطُرُ بنَفْسِ المَرْءِ مِنَ الخَواطِرِ التي يَتوَهَّمُها، مِثْلِ كلامٍ يُكلِّمُ به نَفْسَه، قالَ عُروةُ بنُ أُذَيْنَةَ:

وإذا وَجَدْتُ لها وَساوِسَ سَلْوَةٍ ... شَفَعَ الفؤادُ إلى الضَّميرِ فَسَلَّها

والتعريفُ في ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ تعريفُ الجِنسِ، وإطلاقُ ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ على مَعْنَيَيْهِ المَجازِيِّ والحقيقيِّ يَشملُ

الشياطينَ التي تُلْقِي في أنْفُسِ الناسِ الخواطِرَ الشِّرِّيرَةَ، قالَ تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [سورة طه: ١٢٠].
ويَشملُ الوَسْوَاسُ كلَّ مَن يَتكلَّمُ كلامًا خَفِيًّا مِنَ الناسِ، وهم أَصحابُ المَكايدِ والمُؤامراتِ المَقصودِ منها إلحاقُ الأذَى؛ مِنَ اغتيالِ نُفوسٍ، أو سَرِقَةِ أَموالٍ، أو إِغراءٍ بالضَّلالِ والإعراضِ عَنِ الهُدَى؛ لأنَّ شأنَ مُذاكَرَةِ هؤلاءِ بعضِهم مع بعضٍ أنْ تكونَ سِرًّا؛ لئَلاَّ يَطَّلِعَ عليها مَن يُريدونَ الإيقاعَ به، وهم الذين يَتَرَبَّصُونَ برَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الدوائِرَ ويُغْرُونَ الناسَ بأَذِيَّتِه.
والخَنَّاسُ: الشديدُ الخَنْسِ والكثيرُه، والمرادُ أنه صارَ عادةً له، والخَنْسُ والخُنُوسُ: الاختفاءُ، والشيطانُ يُلَقَّبُ بـ(الخَنَّاسِ)؛ لأنه يَتَّصِلُ بعقْلِ الإنسانِ وعَزْمِه مِن غيرِ شُعورٍ منه، فكَأَنَّهُ خَنَسَ فيه، وأَهْلُ المَكْرِ والكَيْدِ والتَّختُّلِ خَنَّاسونَ؛ لأنهم يَتحَيَّنُونَ غَفَلاتِ الناسِ، ويَتَستَّرُونَ بأنواعِ الحِيَلِ؛ لكَيْلا يَشْعُرَ الناسُ بهم.
فالتعريفُ في ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ على وَزْنِ تَعريفِ مَوْصُوفِه، ولأنَّ خَوَاطِرَ الشرِّ يَهُمُّ بها صاحِبُها، فيُطْرِقُ ويَتَرَدَّدُ ويَخافُ تَبِعَاتِها، وتَزْجُرُه النفْسُ اللَّوَّامَةُ، أو يَزَعُه وازِعُ الدِّينِ أو الحَيَاءِ، أو خَوْفُ العِقابِ عندَ اللهِ أو عندَ الناسِ، ثم تُعَاوِدُه حتى يَطْمَئِنَّ لها ويَرتاضَ بها، فيُصَمِّمَ على فِعْلِها فيَقْتَرِفَها، فكأنَّ الشيطانَ يَبْدُو له ثم يَختَفِي، ثم يَبْدُو ثم يَختَفِي، حتى يَتمكَّنَ مِن تَدْلِيَتِه بغُرورٍ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣٣- ٦٣٤]

قالَ عَطِيَّةُ مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (قَوْلُهُ تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ﴾، كِلاهما صِيغَةُ مُبالَغَةٍ مِن الوَسوسةِ والخَنْسِ بسُكونِ النونِ.
وتَقَدَّمَ للشيخِ - رحمةُ اللَّهِ تعالى عَلَيْنَا وعليه- بيانُ معنَى الوَسوسةِ والوَسواسِ لُغةً وشرعاً، أي: المرادُ عندَ كلامِه على قَوْلِه تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ ﴾ [طه: ١٢٠] الآيةَ.
وبَيَّنَ مُشْتَقَّاتِهما وأَصْلَ اشْتِقَاقِهما، وهو يَدُورُ على أنَّ الوَسوسةَ الحديثُ الخَفِيُّ، والخَنْسَ التأَخُّرُ، كما تَكَلَّمَ على ذلك في دَفْعِ إيهامِ الاضطرابِ حيثُ اجْتَمَعَ المَعنيانِ المتنافيانِ؛ لأنَّ الوَسواسَ: كثيرُ الوَسوسةِ لِيُضِلَّ بها الناسَ، والخَنَّاسَ: كثيرُ التأخُّرِ عن إضلالِ الناسِ.
وأجابَ بأنَّ لكُلِّ مَقامٍ مَقالاً، وأنَّه يُوَسْوِسُ عندَ غَفْلَةِ العَبْدِ عن ذِكْرِ رَبِّه، خانِسٌ عندَ ذِكْرِ العبْدِ رَبَّه تعالى؛ كما دَلَّ عليه قَوْلُهُ تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦ ﴾ [الزخرف: ٣٦] إلى آخرِه. اهـ).
[تتمة أضواء البيان: ٩/٣٥٩]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ سُلَيْمَانَ الأَشْقَرُ (ت:١٤٣٠هـ): (﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ﴾ الوَسْوَاسُ هُوَ الشَّيْطَانُ؛ أَيْ: ذِي الوَسْوَسَةِ ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾: كَثِيرِ الخَنْسِ، وَهُوَ التَّأَخُّرُ، إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ خَنَسَ الشَّيْطَانُ وَانْقَبَضَ، وَإِذَا لَمْ يُذْكَرِ اللَّهُ انْبَسَطَ عَلَى القَلْبِ). [زبدة التفسير: ٦٠٤]

■ من قال: إن شيطان الإنس أشد على الناس من شيطان الجن

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (حَدَّثَنِي يُونُسُ، قالَ: أَخْبَرَنَا ابنُ وَهْبٍ، قالَ: قالَ ابنُ زَيْدٍ، في قَوْلِهِ: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ قالَ: الخناسُ الذي يُوَسْوِسُ مَرَّةً، ويَخْنُسُ مرَّةً مِن الجنِّ والإنسِ، وكانَ يُقالُ: شيطانُ الإنسِ أشدُّ على الناسِ من شيطانِ الجنِّ؛ شيطانُ الجنِّ يُوَسْوِسُ ولا تَراه، وهذا يُعَايِنُكَ مُعَايَنَةً). [جامع البيان: ٢٤/٧٥٥]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (ورُوِيَ عن الحسَنِ البَصْرِيِّ في قولِه تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ قالَ: إنَّ مِنَ الناسِ شَياطينَ؛ فتَعَوَّذُوا باللهِ مِنَ الشياطينِ. يعني: شَياطينَ الجنِّ والإنْسِ. وقالَ: هما شَيطانانِ: فأمَّا شَيطانُ الجنِّ فيُوَسْوِسُ في صُدورِ الناسِ، وأمَّا شَيطانُ الإنْسِ فإنه عَلانِيَةً). [بحر العلوم: ٣/٥٢٨]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَقدْ يكونُ الشيطانُ إِنْسِيًّا مِنْ أزواجٍ وَأولادٍ وَمَعارِفَ، وَرُبَّمَا كَانَ أَضَرَّ مِنْ شيطانِ الجنِّ، فَدَوَاؤُهُ المقاطعةُ وَالمُجَانَبَةُ بِحَسَبِ القدرةِ، وَمَن أَرَادَ قَانُوناً عَظِيماً لِمَنْ يُصاحِبُ وَمَنْ يُجَانِبُ فَعَلَيْهِ بِآيَةِ الكهفِ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ۝٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].). [نظم الدرر: ٨/٦١٧]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَن ابْنِ زَيْدٍ قَالَ: الخَنَّاسُ الَّذِي يُوَسْوِسُ مَرَّةً وَيَخْنُسُ مَرَّةً مِن الجِنِّ وَالإِنْسِ، وكَانَ يُقَالُ: شَيْطَانُ الإنسِ أَشَدُّ عَلَى النَّاسِ مِنْ شَيْطَانِ الجِنِّ، شَيْطَانُ الجِنِّ يُوَسْوِسُ وَلا تَرَاهُ، وَهَذَا يُعَايِنُكَ مُعَايَنَةً). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٨]

■ إحالة

قلت: (جَمَعْتُ ما تيسَّرَ لِي مِن كَلامِ العُلَماءِ في شأنِ الوسوسةِ وطرُقِها وحِيَلِ الشيطان وكيفَ يعتصِمُ العبدُ من شرِّهِ ونحوَ ذلكَ منَ المسائلِ وصنَّفْتُها وجَعَلْتُها في جُزْءٍ مُلْحَقٍ بتفسيرِ المعوِّذتينِ، فانظرْ إليهِ إن شِئْتَ).

بيان المُسْتَشْكَل

قَالَ مُحَمَّدٌ الأَمِينُ الجكنيُّ الشَّنْقِيطِيُّ (ت: ١٣٩٣هـ): (قولُه تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾.

لا يَخْفَى ما بَيْنَ هذينِ الوصفينِ اللذَيْنِ وَصَفَ بهما هذا اللعينَ الخبيثَ مِن التنافي، لأنَّ الوَسْوَاسَ كثيرُ الوَسْوَسَةِ؛ لِيُضِلَّ بها الناسَ، والخَنَّاسَ كَثِيرُ التَّأَخُّرِ والرجوعِ عن إضلالِ الناسِ.

والجوابُ: أنَّ لكلِّ مقامٍ مَقالاً. فهو وَسْواسٌ عندَ غَفْلَةِ العبدِ عن ذِكْرِ ربِّه، خَنَّاسٌ عندَ ذِكْرِ العبدِ ربَّه تعالى. كما دَلَّ عليهِ قولُه تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦﴾ [الزخرف: ٣٦] الآيةَ.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [النحل: ٩٩] الآيةَ). [دفع إيهام الاضطراب:٢٣٥]

تنبيهات

الخلطة والعزلة

قالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ (ت: ٢٨٣هـ): (ثُمَّ قَالَ سَهْلٌ: مُخَالَطَةُ الوَلِيِّ بِالنَّاسِ ذُلٌّ، وتَفَرُّدُهُ عِزٌّ، وَمَا رَأَيْتُ أَوْلِيَاءَ اللهِ تَعَالَى إلا مُنْفَرِدِينَ، إنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ صَالِحٍ – رَحِمَهُ اللهُ – كَانَ رَجُلاً لَهُ سَابِقَةٌ جَلِيلَةٌ ومَوْهِبَةٌ جَزِيلَةٌ، وكَانَ يَفِرُّ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، حَتَّى يَأْتِيَ مَكَّةَ، فطَالَ بِهَا مُقَامُهُ، فقُلْتُ لَهُ: لَقَدْ طَالَ مُقَامُكَ بِهَا. فقَالَ: ولِمَ لا أُقِيمُ بِهَا، ولَمْ أَرَ بُقْعَةً يَنْزِلُ فِيهَا مِنَ الرَّحْمَةِ والبَرَكَةِ مِثْلَهَا، يَطُوفُ المَلائِكَةُ حَوْلَ البَيْتِ غُدُوًّا وعَشِيَّةً عَلَى صُوَرٍ شَتَّى، لا يَقْطَعُونَ ذَلِكَ، وإِنَّ فِيهَا عَجَائِبَ كَثِيرَةً، ولَوْ قُلْتُ كُلَّمَا رَأَيْتُ لَصَغُرَتْ عَنْهُ قُلُوبُ أَقْوَامٍ لَيْسُوا بمُؤْمِنِينَ. فقُلْتُ: أَسْأَلُكَ بِحَقِّ الحَقِّ أَنْ تُخْبِرَنِي بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ. فقَالَ: مَا مِنْ وَلِيٍّ لِلَّهِ تَعَالَى صَحَّتْ وِلايَتُهُ إلا وَهُوَ يَحْضُرُ فِي هَذِهِ البَلَدِ فِي كُلِّ لَيْلَةِ جُمُعَةٍ، ولَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يُقَالُ لَهُ مَالِكُ بْنُ القَاسِمِ الجبليُّ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – لَيْلَةَ هَهُنَا ورَأَيْتُ عَلَى يَدِهِ غَمَرًا فَقُلْتُ: إِنَّكَ لَقَرِيبُ العَهْدِ بِالأكْلِ. فقَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ؛ فإِنِّي مُنْذُ أُسْبُوعٍ لَمْ أَطْعَمْ شَيْئًا، ولَكِنِّي أَطْعَمْتُ وَالِدَتِي وأَسْرَعْتُ لأُدْرِكَ صَلاةَ الفَجْرِ هَهُنَا جَمَاعَةً. وبَيْنَ مَكَّةَ وبَيْنَ المَوْضِعِ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ سَبْعُمِائَةِ فَرْسَخٍ، فهَلْ أَنْتَ مُؤْمِنٌ بذَلِكَ؟ فقُلْتُ: بَلَى. فقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرَانِي مُؤْمِنًا مُؤْمِنًا). [تفسير التستري: ٢١١]

قالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ (ت: ٢٨٣هـ): (وقَالَ ابْنُ سَالِمٍ: كُنْتُ عِنْدَ سَهْلٍ – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى – فأَتَاهُ رَجُلانِ بَعْدَ صَلاةِ العَصْرِ، وجَعَلا يُحَدِّثَانِهِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَقَدْ أَبْطَآ عِنْدَهُ، ومَا أُرَاهُمَا يَرْجِعَانِ فِي هَذَا الوَقْتِ، وذَهَبْتُ إِلَى مَنْزِلِي لأُهَيِّئَ لَهُمَا عَشَاءً، فلَمَّا رَجَعْتُ إِلَيْهِ لَمْ أَرَ عِنْدَهُ أَحَدًا، فسَأَلتُ عَنْ حَالِهِمَا، فقَالَ: إِنَّ أَحَدَهُمَا يُصَلِّي المَغْرِبَ بِالمَشْرِقِ، والآخَرَ بِالمَغْرِبِ، وإِنَّمَا أَتَيَانِي زَائِرَيْنِ). [تفسير التستري: ٢١١]

قالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ (ت: ٢٨٣هـ): (ولَقَدْ دَخَلَ سَهْلٌ عَلَى رَجُلٍ مِنْ عُبَّادِ البَصْرَةِ، فرَأَى عِنْدَه بُلْبُلَةً فِي قَفَصٍ، فقَالَ: لِمَنْ هَذِهِ البُلْبُلَةُ؟ فقَالَ: لِهَذَا الصَّبِيِّ، كَانَ ابْنًا لَهُ. قَالَ: فأَخْرَجَ سَهْلٌ مِنْ كُمِّهِ دِينَارًا فقَالَ: بُنَيَّ أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ؛ الدِّينَارُ أَمِ البُلْبُلَةُ؟ فقَالَ: الدِّينارُ. فدَفَعَ إِلَيْهِ الدِّينَارَ وأَطْلَقَ البُلْبُلَةَ. قالَ: فقعَدَ البُلْبُلُ عَلَى حَائِطِ الدَّارِ حَتَّى خَرَجَ سَهْلٌ، فجَعَلَ يُرَفْرِفُ فَوْقَ رَأْسِهِ، حَتَّى دَخَلَ سَهْلٌ دَارَهُ، وكَانَ فِي دَارِهِ سِدْرَةٌ فسَكَنَتِ البُلْبُلَةُ السِّدْرَةَ، فَلَمْ تَزَلْ فِيهَا حَتَّى مَاتَ، فلَمَّا رَفَعُوا جِنَازَتَهُ جَعَلَتْ تُرَفْرِفُ فَوْقَ جِنَازَتِهِ وَالنَّاسُ يَبْكُونَ، حتَّى جَاؤُوا بِهَا إِلَى قَبْرِهِ، فوَقَفَتْ فِي نَاحِيَةٍ حَتَّى دُفِنَ وتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ قَبْرِهِ، فلَمْ تَزَلْ تَضْطَرِبُ عَلَى قَبْرِهِ حَتَّى مَاتَتْ، فدُفِنَتْ بجَنْبِهِ). [تفسير التستري: ٢١١]

- **قلت:** (خَيرُ الهَدْيِ هَدْيُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّمَ، وَمَنْ أَوْغَلَ فِي بعضِ الطُّرُقِ الصُّوفِيَّةِ رَأَى مِنَ التَّلبيسَاتِ الشَّيطَانِيَّةِ مَا يَظُنُّهُ حَقًّا وَفَتْحًا، وَهُوَ عِندَ التَّحقيقِ فِتنةٌ وَتضليلٌ؛ فَعَليكَ بَهَدْيِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّمَ فِي الخلطَةِ وَالعُزْلَةِ وَلا تَبْغِ بِهِ بَدَلاً، فإِنَّ الشَّيطَانَ إِلَى المتفرِّدِ أَقْرَبُ، وَأوصِيكَ بقراءَةِ رِسَالَةِ الفرْقِ بَينَ

العِبَادَاتِ البدعيَّةِ وَالعِبَادَاتِ الشَّرعِيَّةِ لِشَيخِ الإِسْلامِ ابنِ تَيميَّةَ – رَحِمَهُ اللهُ – فَقَدْ ذَكَرَ مِنْ أَحْوالِهِم وَضَلالاتِهِمْ فِي هَذا البَابِ عَجَبًا، وَهِيَ فِي المجلَّدِ العَاشِرِ مِن مَجْمُوعِ الفَتَاوَى).

قول الله تعالى: (الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ (٦))

القراءات

قالَ عليُّ بنُ سليمانَ بنِ أسعدَ الحَيْدَرَةُ التَّميميُّ (ت: ٥٩٩هـ): (والضَّرْبُ الثاني: إِدْغَامُ الأوَّلِ مِنَ الحَرْفَيْنِ المِثْلَيْنِ في الثاني إذا التقَيَا مِنْ آخرِ كلمةٍ وأَوَّلِ أُخْرَى كاللامِ واللامِ نَحْوُ: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨﴾ [النازعات: ١٨]. والواوِ والواوِ نَحْوُ: ﴿ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾ [الأنفال: ٧٢]. والنونِ والنونِ نحوُ: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ﴾ [هود: ٥٤]. والياءِ والياءِ نحوُ: ﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، و﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾. والميمِ والميمِ مثلُ: كَمْ مِنْ رَجُلٍ لَقِيَنِي. وَصُورَةُ هذا كالأوَّلِ (غم)). [كشف المشكل: ٦١٣]

الوقف والابتداء

الوقف على (الخناس)

قَالَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ (ت: ٤٤٤هـ): (الوَقْفُ على قَوْلِهِ: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ٤﴾ كَافٍ، إذَا جُعِلَ ﴿ٱلَّذِى﴾ في مَوْضِعِ رَفْعٍ خَبَرًا لِمُبْتَدَأٍ مُضْمَرٍ، تَقْدِيرُهُ: هُوَ الَّذِي. أو جُعِلَ في مَوْضِعِ نَصْبٍ على الذَّمِّ بتقديرِ: أعْنِي. وهو رَأْسُ آيَةٍ في المَكِّيِّ والشَّامِيِّ. فإنْ جُعِلَ في مَوْضِعِ خَفْضٍ نَعْتًا لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الاسْمِ المَجْرُورِ لَمْ يَكْفِ الوَقْفُ قَبْلَهُ لتَعَلُّقِهِ بذلك. والتَّمَامُ آخِرُ السُّورَةِ). [المكتفى: ٢٤٥]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾ يجوزُ في مَحلِّه الحركاتُ الثلاثُ؛ فالجرُّ على الصفةِ، والرفعُ والنصبُ على الشتْمِ، ويَحْسُنُ أنْ يَقِفَ القارئُ على ﴿ٱلْخَنَّاسِ ٤﴾ ويَبْتَدِئَ: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾ على أحدِ هذيْنِ الوجهيْنِ). [الكشاف: ٦/٤٦٩]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (قولُه تَعالَى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥﴾.

اعْلَمْ أَنَّ قوْلَه: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾ يَجُوزُ فِي مَحَلِّه الحَرَكاتُ الثَّلاثُ، فالجرُّ على الصِّفَةِ، والرَّفْعُ والنَّصْبُ على الشَّتْمِ، ويَحْسُنُ أَنْ يَقِفَ القَارِئُ عَلَى "الخَنَّاسِ" ويَبْتَدِئَ ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾، على أَحَدِ هَذَيْنِ الوَجْهَيْنِ). [التفسير الكبير: ٣٢/١٨١]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥﴾: في مَحَلِّ الجرِّ علَى الصِّفَةِ، أو الرَّفْعِ أو النَّصْبِ على الشَّتْمِ، وعلَى هَذَيْنِ الوَجْهَين يَحْسُنُ الوَقْفُ على ﴿ٱلْخَنَّاسِ ٤﴾). [مدارك التنزيل: ٣/٢٠١٦]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (ومَحَلُّ الوصول إمَّا الجَرُّ على الوصفِ وإمَّا الرفعُ والنصْبُ على الذمِّ والشتْمِ، ويَحْسُنُ أن يَقِفَ القارئُ على أَحَدِ هذينِ الوجهينِ على الخَنَّاسِ، وأمَّا على الأوَّلِ ففي الكَواشِيِّ أنه لا يَجوزُ الوَقفُ وتَعَقَّبَه الطِّيبِيُّ بأنَّ في عَدَمِ الجوازِ نَظَرًا للفاصلةِ، وفي الكشفِ أنه إذا كان صفةً فالحُسْنُ غيرُ مسلَّمٍ، اللهمَّ إلا على وجهٍ وهو أنَّ الوَقْفَ الحسَنَ شاملٌ لِمِثلِه في فاصلةٍ خاصَّةً). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٧]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (والجملة في مَحَلِّ الجرِّ على الصفةِ أوِ الرفعِ على تقديرِ مُبْتَدَأٍ، وَالنصبِ على الذمِّ، وَعلى هَذَيْنِ الوَجْهَيْنِ يَحْسُنُ الوقفُ على ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾). [فتح البيان: ١٥/٤٦٧]

الوقف على قوله تعالى: (والناس)

قَالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَاقِسِيُّ (ت: ١١١٨هـ): (﴿وَٱلنَّاسِ﴾ تامٌّ وفاصِلَةٌ وخِتَامُ القُرآنِ العَظِيمِ ومُنْتَهَى الحِزْبِ السِّتِّينَ بِلا خِلافٍ). [غيث النفع:٦٦٣]

قَالَ عَبْدُ الفَتَّاحِ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ القَاضِي (ت: ١٤٠٣هـ): (﴿وَٱلنَّاسِ﴾ آخِرُ السورةِ وآخِرُ الرُّبعِ وخِتَامُ القُرْآنِ العَظِيمِ). [البدور الزاهرة: ٣٤٧]

معاني الحروف

معنى (في) في قوله تعالى: (في صدور الناس)

قالَ عَطِيَّةُ مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (قَوْلُه تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾.

اخْتُلِفَ في الظرْفِ هنا، هل هو ظَرْفٌ للوَسواسِ حينَما يُوَسْوِسُ، فيكونُ موجوداً في الصُّدورِ ويُوَسْوِسُ للقلْبِ، أو هو ظَرْفٌ للوَسوسةِ ويكونُ المرادُ بالصُّدورِ القلوبَ؛ لكونِها حالَّةً في الصدورِ، مِن بابِ إطلاقِ المَحَلِّ وإرادةِ الحالِّ، على ما هو جارٍ في الأساليبِ البَلاغيَّةِ.

وعلى حَدِّ قَوْلِه تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧﴾ [العلق: ١٧] أطْلَقَ النَّادِيَ وأَرادَ مَن يَحُلُّ فيه مِن القَوم.

وتَقَدَّمَ للشيخ - رحمةُ اللهِ تعالى عَلَيْنا وعليه- بَحْثُ تَعْدِيَةِ الوَسْوَسةِ تارةً بـ(إلى) وتارةً باللامِ؛ ففي سُورَةِ الأعرافِ: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: ٢٠]، وفي طه: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [سورة طه: ١٢٠].

وحاصِلُ ما ذَكَرَه في الجَمْعِ بينَهما أحَدُ أَمْرينِ:

- إمَّا أنَّ حُروفَ الجَرِّ يَنُوبُ بعضُها عن بعْضٍ، وذَكَرَ شَواهِدَه.
- وإمَّا أنْ يكونَ وَسْوَسَ؛ أيْ: لأَجْلِه، ووَسْوَسَ إليه؛ أيْ: أَنْهَى إليه الوَسوسةَ، ولكن هنا قالَ: ﴿فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ ولم يَقُلْ: إلى صُدورِ الناسِ، فهل هُو مِن بابِ نِيابَةِ حُروفِ الجَرِّ بعضِها عن بعْضٍ أيضاً، أمْ هي ظرْفٌ مَحْضٌ؟

والظاهِرُ أنها ظَرْفٌ، ولكنْ هل الظرْفُ للوَسواسِ أو ظَرْفٌ للوَسْوَسَةِ نفْسِها؟
وبالنظَرِ إلى كلامِ المُفسِّرينَ فإنَّ كلامَ ابنِ جَريرٍ يَحْتَمِلُ اعتبارَ المَعْنَيَيْنِ بدُونِ تَعيينٍ.
وأمَّا القُرْطُبِيُّ والآلُوسِيُّ فصَرَّحَا بما ظَهَرَ لهما ووَصَلا إليه.
فقالَ القُرْطُبِيُّ: قالَ مُقَاتِلٌ: إنَّ الشيطانَ في صُورةِ خِنْزيرٍ يَجْرِي مِن ابنِ آدمَ مَجْرَى الدمِ في العُروقِ، سَلَّطَهُ اللَّهُ على ذلكَ. وذَكَرَ الحديثَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، فَضَيِّقُوا مَجَارِيَهُ».
وقالَ: إنَّ أبا ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيَّ قالَ: سألتُ ربِّي أنْ يُرِيَنِي الشيطانَ ومكَانَه مِن ابنِ آدَمَ فرأيتُه؛ يَدَاهُ في يَدَيْهِ، ورِجلاهُ في رِجْلَيْهِ، ومَشَاعِبُه في جَسَدِه، غيرَ أنَّ له خَطْماً كخَطْمِ الكلْبِ، فإذا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وإذا سَكَتَ عن ذِكْرِ اللهِ أَخَذَ بقلْبِه.
أمَّا الآلُوسِيُّ فقد صَرَّحَ بالتقسيمِ الذي أَوْرَدْنَاهُ فقالَ: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ قيلَ: أُريدَ قلوبُهم مَجازاً. وقالَ بعضُهم: إنَّ الشيطانَ يَدْخُلُ الصدْرَ الذي هو بِمَنْزِلَةِ الدِّهْلِيزِ، فيُلْقِي مِنه ما يُريدُ إلقاءَه إلى القلْبِ ويُوصِلُه إليه، ولا مانِعَ عقْلاً مِن دُخولِه في جَوْفِ إنسانٍ.
وساقَ الحديثَ أيضاً: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي» إلى آخرِه.
ومُرادُه بالمَجازِ ما قَدَّمْنَا مِن إطلاقِ المَحَلِّ وإرادةِ الحالِّ.
وذَكَرَ ابنُ كثيرٍ عن ابنِ عبَّاسٍ ومُجَاهِدٍ أنَّ الشيطانَ جَاثِمٌ على قَلْبِ ابنِ آدَمَ، فإذا سَهَا وغفَلَ وَسْوَسَ، وإذا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ.
والذي يَظْهَرُ واللَّهُ تعالى أعْلَمُ: أنَّ الصدْرَ ظَرْفٌ للوَسواسِ، وأنه يُوقِعُ الوَسوسةَ في القلْبِ، على ما قالَه ابنُ عبَّاسٍ ومُجَاهِدٌ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٥٩- ٣٦٠]

معنى (من) في قوله تعالى: (من الجنة والناس)

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَ ﴿مِنَ﴾ في ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ للتَّبْعِيضِ، أيْ: كَائِناً مِنَ الجِنَّةِ وَالناسِ، فهيَ في موضعِ الحالِ.
أيْ: ذلك المُوَسْوِسُ هوَ بعضُ الجِنَّةِ وَبعضُ الناسِ.
وَقالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَيَجوزُ أنْ يَكُونَ ﴿مِنَ﴾ مُتَعَلِّقاً بـ ﴿يُوَسْوِسُ﴾ وَمَعْنَاهُ ابْتِدَاءُ الغايةِ؛ أيْ: يُوَسْوِسُ في صُدُورِهِمْ مِنْ جهةِ الجِنَّةِ وَمِنْ جهةِ الناسِ. انْتَهَى). [البحر المحيط: ٨/٧٦٥]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَ ﴿مِنَ﴾ فِي ﴿ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ لِلتَّبْعِيضِ؛ أَيْ: كَائِنًا مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ، فَهِيَ فِي مَوْضِعِ الحَالِ؛ أَيْ: ذَلِكَ المُوَسْوِسُ هُوَ بَعْضُ الجِنَّةِ وَبَعْضُ النَّاسِ). [النهر الماد: ١٣٢٠]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بيانٌ للذي يُوَسْوِسُ على أنه ضَربانِ جِنِّيٌّ وإنسيٌّ، كما قالَ تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ أو مُتعلِّقٌ بيُوسوسُ، ومِن لابتداءِ الغايةِ أي: يُوَسوسُ في صدورِهم مِن جِهةِ الجنِّ مِثلُ أن يُلْقِيَ في قلبِ المرءِ مِن جِهَتِهم أنهم يَنفعون ويَضُرُّون، ومِن جِهةِ الناسِ مِثلُ أن يُلقِيَ في قلبِه مِن جِهةِ المنجِّمينَ والكُهَّانِ أنهم يَعلَمُونَ الغيبَ، وجُوِّزَ فيه الحاليَّةُ مِن ضميرِ يُوسْوِسُ والبَدَلِيَّةُ مِن قولِه تعالى: ﴿مِن شَرِّ﴾ بإعادةِ الجارِّ وتقديرِ المضافِ، والبَدَلِيَّةُ مِن الوَسواسِ على أنَّ مِن تَبعيضيَّةٌ). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٧]

قالَ مُحمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (و﴿مِن﴾ في قولِه: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بيانِيَّةٌ بيَّنت ﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ بأنه جِنْسٌ يَنْحَلُّ باعتبارِ إرادةِ حَقيقتِه ومَجازِه إلى صِنْفَيْنِ: صِنْفٍ مِنَ الجِنَّةِ وهو أصْلُه، وصِنْفٍ مِنَ الناسِ...

ولا يَستقِيمُ أنْ يَكونَ (مِن) بَيانًا للنَّاسِ؛ إذْ لا يُطلَقُ اسمُ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ على ما يَشمَلُ الجِنَّ، ومَن زَعَمَ ذلك فقَدْ أَبْعَدَ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣٥]

المفردات

الجنة

قالَ محمَّدُ بنُ القاسمِ بنِ بَشَّارٍ الأَنْبَارِيُّ: (ت: ٣٢٨ هـ): (والإنسُ مُؤَنَّثَةٌ، وكَذَلِكَ الجِنُّ. قالَ اللهُ (عَزَّ وجَلَّ): ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ﴾، وقالَ: ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ﴾ [سبأ: ١٤]، والجِنَّةُ يكونُ جَمْعًا، ويَكُونُ بمَعْنَى الجُنُونِ، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾، فهذا جَمْعٌ). [المذكر والمؤنث: ٢/ ١٤٠- ١٤١]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النحَّاسُ (ت: ٣٣٨هـ): (﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ يُقالُ: جِنِّيٌّ وجِنٌّ وجِنَّةٌ الهاءُ لتأنيثِ الجماعةِ، مثلُ حِجَارٌ وحِجَارَةٌ). [إعراب القرآن: ٥/٣١٧]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (وَالجِنَّةُ الجِنُّ، وَالجَنَّةُ البُسْتَانُ، والجُنَّةُ السُّتْرَةُ، والجَنَنُ القَبْرُ؛ لأَنَّهُ يَسْتُرُ مَا فِيهِ وَيَجُنُّهُ، والمِجَنُّ التُّرْسُ، والجَنِينُ الوَلَدُ في بَطْنِ أُمِّهِ، والجَنِينُ أَيْضًا المَدْفُونُ فِي القبْرِ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

وَلا شَـمْطَاءُ لَـمْ يَتْـرُكْ شَـقَاهَا ... لَهَـا مِـنْ تِـسْعَةٍ إِلاَّ جَنِينَـا

أَيْ: مَدْفُونًا فِي القَبْرِ.

والجَنَانُ القَلْبُ.

وَالجِنُّ سُمُّوا بِذَلِكَ لاسْتِتَارِهِمْ عَنِ النَّاسِ.

والجِنَّانُ ضَرْبٌ مِنَ الحَيَّاتِ إِذَا مَشَتْ رَفَعَتْ رُؤُوسَهَا.

وَجَمْعُ الجَانِّ جِنَّانٌ.

أَنْشَدَنَا ابْنُ عَرَفَةَ قَالَ أَنْشَدَنَا ثَعْلَبٌ عَنْ سَعْدَانَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ للْخَطَفَى جَدِّ جَرِيرٍ:

يَـرْفَعْنَ بِاللَّيْـلِ إِذَا مَـا أَسْـدَفَا ... أَعْنَـاقَ جِنَّـانٍ وَهَامًـا رُجَّفَـا

وَعَنَقًـا بَعْـدَ الكَـلالِ خَيْطَفَـا

الخَيْطَفُ السُّرْعَةُ، والخَيْطَفَى أَيْضًا السُّرْعَةُ، وَجَدُّ جَرِيرٍ هَذَا هُوَ القَائِلُ:

عَجِبْـتُ لِإِزْرَاءِ العَيِـيِّ بِنَفْسِهِ ... وَصَمْتِ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالقَوْلِ أَعْلَمَا

وَفِـي الصَّمْتِ سَتْرٌ لِلْعَيِـيِّ وَإِنَّمَا ... صَحِيفَةُ لُـبِّ المَـرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَـا

). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٤١]

قالَ محمدُ بنُ عليِّ بنِ محمدٍ الهَرَوِيُّ النَّحْوِيُّ (ت: ٤٣٣ هـ): ((وَالجِنَّةُ) بِالكسرِ: (الجِنُّ وَالجُنُونُ أَيْضًا)، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾؛ أي: مِنَ الجِنِّ، وَهُمْ نَقِيضُ الإِنْسِ). [إسفار الفصيح٢/ ٦٨٣]

قَالَ حُسَيْنُ بْنُ أَبِي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (و (الجِنَّةُ) جَمْعُ جِنِّيٍّ، كإنسٍ، والتاءُ للجمعِ كالتي في البُعولةِ والعمومةِ). [الفريد: ٤/٧٥٦]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (والجِنَّةُ: جَمْعُ جِنِّي، كَمَا يُقَالُ: إِنْسٌ وإِنْسِيٌّ. والهاءُ لتأنيثِ الجماعَةِ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٦٤]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (والجِنَّةُ جمعُ جني كما يُقالُ: إنسٌ وإنسيٌّ والهاءُ لتأنيثِ الجماعةِ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَواحِدُ الجِنَّةِ جِنِّيٌّ كما أَنَّ وَاحِدَ الإِنسِ إِنْسِيٌّ). [فتح القدير: ٥/٧٦٤]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وَواحِدُ الجِنَّةِ جِنِّيٌّ، كَمَا أَنَّ وَاحِدَ الإنسِ إِنْسِيٌّ). [فتح البيان: ١٥/٤٦٩]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (والجِنَّةُ: اسمُ جَمْعِ جِنِّيٍّ، بياءِ النَّسَبِ إلى نَوْعِ الجِنِّ، فالجِنِّيُّ الواحِدُ مِن نَوْعِ الجِنِّ، كما يُقالُ: إِنْسِيٌّ، للواحِدِ مِنَ الإِنْسِ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣٥]

الناس

قالَ محمدُ بنُ عليِّ بنِ محمدٍ الهَرَوِيُّ النَّحْوِيُّ (ت: ٤٣٣ هـ): (والناسُ: اسْمٌ وُضِعَ للجَمْعِ مِنْ وَلَدِ آدَمَ عليهِ السلامُ وَاسْتُعْمِلَ بِمَعْنَاهُ، ومنهُ قولُهُ تعالَى: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾، وَقَدِ اسْتُعْمِلَ أَيْضًا للواحدِ فَجَعَلُوهُ اسمَ جِنْسٍ يَدُلُّ على القليلِ والكثيرِ بلفظٍ واحدٍ، ومنهُ قولُهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. فَالناسُ الأَوَّلُ وَاحِدٌ مِنْ جماعةٍ، هكذا جاءَ في تفسيرِ هذهِ الآيةِ، وقيلَ: اشْتِقَاقُ

الناسِ مِنَ الأَنَسةِ، وهيَ الاستئناسُ؛ لأنَّ بَعْضَهُم يَأْنَسُ بِبَعْضٍ، ولا يَأْنَسُ بِغَيْرِهِمْ مِنَ الحَيَوانِ). [إسفار الفصيح: ١/ ٣١٤]

قَالَ أَبُو البَرَكَاتِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَنْبَارِيُّ (ت: ٥٧٧هـ): (وَالنَّاسُ: أَصْلُهُ (أُنَاسٌ) عِنْدَ أَكْثَرِ البَصْرِيِّينَ، حُذِفَتْ مِنْهُ الهَمْزَةُ تَخْفِيفًا لكثرةِ الاستعمالِ؛ لأنَّ الهَمْزَةَ مِنْ أَثْقَلِ الحُرُوفِ، وَلِهَذَا يَدْخُلُهَا الحَذْفُ تَارَةً، وَالتَّلْيِينُ تَارَةً، وَالإِبْدَالُ تَارَةً، وَالأَلِفُ وَاللامُ فِيهِ عِوَضٌ عَنِ الهَمْزَةِ، وَلِهَذَا لا يُقَالُ: الأُنَاسُ، إِلاَّ فِي شَاذٍّ لا يُعْتَدُّ بِهِ، كَمَا أَنْشَدَ أَبُو عُثْمَانَ:

إِنَّ الْمَنَايَا يَطَّلِعْ ـنَ عَلَى الأُنَاسِ الآمِنِينَا

اسْتِثْقَالاً لِلْجَمْعِ بَيْنَ العِوَضِ وَالْمُعَوَّضِ، وَأَصْلُهُ: (نوس) عِنْدَ أَبِي الحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ حَمْزَةَ الكِسَائِيِّ، وَأَبِي الحَسَنِ بْنِ كَيْسَانَ؛ لأَنَّهُ مِنْ (نَاسَ يَنُوسُ) فَانْقَلَبَتِ الوَاوُ أَلِفًا؛ لِتَحَرُّكِهَا وَانْفِتَاحِ مَا قَبْلَهَا، وَلِهَذَا قِيلَ فِي تَصْغِيرِهِ: (نُوَيْسٌ)، وَأَصْلُهُ عِنْدَ الكُوفِيِّينَ (نسي)؛ لأَنَّهُ مِنَ النِّسْيَانِ، فَقُلِبَتِ اللامُ إِلَى مَوْضِعِ العَيْنِ، فَصَارَ (نيس)، فَتَحَرَّكَتِ الياءُ وَانْفَتَحَ مَا قَبْلَهَا، فَقُلِبَتْ أَلِفًا، فَصَارَ (نَاسًا)، وَوَزْنُهُ (فَلْعٌ)، وَلِذَلِكَ جَازَتْ فِيهِ الإِمَالَةُ، وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ مُسْتَوْفًى فِي كِتَابِنَا الْمَوْسُومِ بِـ(الإِنْصَافِ فِي مَسَائِلِ الخِلافِ)، وَاللهُ أَعْلَمُ). [البيان: ٥٥٠]

قالَ القاسمُ بنُ الحسينِ بنِ أحمدَ الخَوَارِزْمِيُّ (ت: ٦١٧ هـ): (أَمَّا أَنْدِيَةٌ فَلأَنَّ مُفْرَدَهَا – وَإِنْ كانَ في نفسِهِ فَعَلاً – لَكِنَّهُ بالنظرِ إلى ما يُقَابِلُهُ وَهُوَ الجَفَافُ فَعَالٌ، وَمِنْ ثَمَّ كَسَّرُوهُ على أَفْعِلَةٍ، أَلا تَرَى إلى إِمَالَتِهِمْ ﴿ٱلنَّاسِ﴾؛ وَإِنْ لَمْ يُوجَدْ فيهِ للإمالةِ مُوجِبٌ نَظَرًا لَهَا إلى كسرةِ ﴿ٱلْجِنَّةِ﴾، مِن ذلك بَدَوِيٌّ –بالتحريكِ- لوقوعِهِ في مقابلةِ القَرَوِيِّ، وَقَالُوا: هَذِهِ عَدُوَّةُ اللهِ حَمْلاً على صَدِيقَةٍ). [التخمير ٣/ ٦٨]

الوسوسة

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (قالَ ابنُ تَيْمِيَّةَ: والوَسوسةُ مِنْ جِنْسِ الوَشْوَشَةِ بالشينِ المُعجَمَةِ، يُقَالُ:

فلانٌ يُوَسْوِسُ فُلاناً، وقدْ وَشْوَشَهُ، إذا حَدَّثَهُ سِرًّا في أُذُنِهِ، وكذلك الوَسوسةُ، ومنهُ وَسْوَسَةُ الحُلِيِّ، لكنْ هوَ بالسينِ الْمُهْمَلَةِ أَخَصُّ). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٩- ٥٨٠]

الإعراب

جملة (الذي يوسوس...)

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النحَّاسُ (ت: ٣٣٨هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ في مَوْضِعِ خفضٍ على النعتِ، ويَجوزُ الرَّفْعُ على إضمارِ مُبْتَدَأٍ). [إعراب القرآن: ٥/ ٣١٦]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ﴾ يجوزُ في مَحلِّه الحركاتُ الثلاثُ؛ فالجرُّ على الصفةِ، والرفعُ والنصبُ على الشتْمِ). [الكشاف: ٦/٤٦٩]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (قولُه تَعالَى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾.

اعْلَمْ أَنَّ قوْلَه: ﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ﴾ يَجُوزُ فِي مَحَلِّه الحَرَكاتُ الثَّلاثُ، فالجرُّ علَى الصِّفَةِ، والرَّفْعُ والنَّصْبُ على الشَّتْمِ). [التفسير الكبير: ٣٢/١٨١]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (و ﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ﴾ يَحْتَمِلُ الرفعَ والنصبَ والجرَّ). [التبيان: ٢/ ٤٨٥]

قَالَ حُسَيْنُ بنُ أَبِي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (وقولُه: ﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ﴾ يَجوزُ أنْ يَكونَ في مَوْضِعِ جرٍّ على النعتِ، وأنْ يَكونَ في موضعِ نصبٍ على الشَّتمِ، وأنْ يَكونَ قولُه: (والنَّاسِ) عَطْفًا على الجِنَّةِ. والتقديرُ: برَبِّ الناسِ جِنِّهم وإِنْسِهم، وجازَ تَبْيِينُ الناسِ بالجنِّ، لأَنَّهم يَتحرَّكُونَ في أُمورِهم ومُرَادَاتِهم كالناسِ، وأيضًا قد سُمُّوا في مَوْضِعٍ (رِجَالاً) وفي مَوْضِعٍ آخَرَ (قَوْمًا)، وأنْ يَكونَ بَيَانًا (للناسِ) الآخرِ في قولِه: ﴿فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ فيَكونُ في موضعِ الحالِ، أي: في صدورِ الناسِ كَائِنِينَ من الجِنَّةِ والناسِ، وأنْ يَكونَ بَدَلاً من قولِه: ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ﴾، فيكونُ قَوْلُه: (والناسِ) عَطْفًا على (الجِنَّةِ) وأيضًا والتقديرُ: أَعُوذُ به من شَرِّ الوسواسِ من شرِّ الجِنَّةِ والناسِ، وإنْ شِئْتَ قَدَّرْتَ حذفَ المضافِ، أي: من شَرِّ ذي الوسواسِ، وإن شئتَ لم تُقَدِّرْ على ما ذُكِرَ قُبيلُ، وأنْ يَكونَ بيانًا للذي يُوَسْوِسُ، فيكونُ في موضعِ الحالِ من المنويِّ في (يُوَسْوِسُ)، أي: كائنًا من الجِنَّةِ والناسِ، وأنْ يَكونَ لابتداءِ الغايةِ من صِلَةِ (يوسوس) أي: في صُدُورِهم من جِهَةِ الجِنِّ، ومن جِهَةِ الناسِ.

وقالَ أبو جَعْفَرٍ: سألتُ عَلِيَّ بنَ سُلَيْمَانَ الأخفشَ عن قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ فكيفَ يَعْطِفُونَه على (الجِنَّةِ) وهم لا يُوَسْوِسُونَ؟ فقالَ: إِنَّهم مَعْطُوفُونَ على الوَسْوَاسِ، والتقديرُ: قُلْ أَعُوذُ بربِّ الناسِ من شَرِّ الوسواسِ والناسِ. انتهَى كلامُه.

قُلْتُ: رَحِمَ اللَّهُ عَلِيَّ بنَ سُليمانَ الأخفشَ، نَظَرَ في معنًى وفاتَتْه المَعانِي والتقديراتُ المذكورةُ، إنْ قالَ ذلكَ مُعْتَقِدًا أنه لا يَجوزُ غيرُه). [الفريد: ٤/٧٥٥- ٧٥٦]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (ومَحَلُّ ﴿ٱلَّذِى﴾ الجَرُّ على الصِّفَةِ، أو النصْبُ أو الرَّفْعُ على الذَّمِّ). [أنوار التنزيل: ٢/١١٨١]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾: في مَحلِّ الجرِّ علَى الصِّفَةِ، أو الرَّفْعِ أو النَّصْبِ على الشَّتْمِ). [مدارك التنزيل:٣/٢٠١٦]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَيَجُوزُ في ﴿ٱلَّذِى﴾ الجرُّ على الصفةِ، وَالرفعُ وَالنصبُ على الشَّتْمِ). [البحر المحيط: ٧٦٥/٨]

قَالَ السَّمِينُ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الحَلَبِيُّ (ت: ٧٥٦هـ): (قولُهُ: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾. يَجُوزُ جَرُّهُ نَعْتاً وَبَدَلاً وَبَيَاناً لِجَرَيَانِهِ مَجْرَى الجوامدِ، وَنَصْبُهُ وَرفعُهُ على القطعِ). [الدر المصون: ١٦٢/١١]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾: يَجُوزُ جَرُّهُ نَعْتًا وَبَدَلا [وَبَيَانًا لِجَرَيَانِهِ مَجْرَى] الجَوَامِدِ، وَنَصْبُهُ وَرَفْعُهُ عَلَى القَطْعِ). [اللباب: ٥٧٨/٢٠]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): ((تنبيهٌ) يجوزُ في مَحَلِّ الَّذِي يُوَسْوِسُ الحَرَكاتُ الثَّلاثُ: الجَرُّ على الصِّفةِ، والرَّفعُ والنَّصْبُ على الشَّتْمِ، ويحسُنُ أنْ يقفَ القارئُ على الخَنَّاسِ ويبتدئَ الَّذِي يُوسْوِسُ على أحدِ هَذَيْنِ الوجهين). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٦]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ إِذَا غَفَلُوا عَنْ ذِكْرِهِ تَعَالَى، وَمَحَلُّ المَوْصُولِ إِمَّا الجَرُّ عَلَى الوَصْفِ، وَإِمَّا الرفعُ أَو النَّصْبُ عَلَى الذمِّ). [إرشاد العقل السليم: ٢١٧/٧]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ الموصولُ يَجُوزُ أنْ يَكُونَ في محلِّ جرٍّ نَعْتًا للوسواسِ، وَيَجُوزُ أنْ يكُونَ مَنْصُوباً على الذمِّ، وَيَجُوزُ أنْ يَكُونَ مَرْفُوعاً على تقديرِ مُبْتَدَأٍ). [فتح القدير: ٧٦٣/٥]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (ومَحَلُّ الوصولِ إمَّا الجَرُّ على الوصفِ وإمَّا الرفعُ والنصبُ على الذمِّ والشتْمِ، ويَحْسُنُ أن يَقِفَ القارئُ على أَحَدِ هذينِ الوجهينِ على الخَنَّاسِ، وأمَّا على الأوَّلِ ففي الكَوَاشِيِّ أنه لا يجوزُ الوَقفُ وتَعَقَّبَه الطِّيبِيُّ بأنَّ في عَدَمِ الجوازِ نَظَرًا للفاصلةِ، وفي الكشفِ أنه إذا كان صفةً فالحُسْنُ غيرُ مسلَّمٍ، اللهمَّ إلا على وجهٍ وهو أنَّ الوَقْفَ الحسَنَ شاملٌ لِمِثْلِه في فاصلةٍ خاصَّةً). [روح المعاني: ٢٨٧/٢٩]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (والجملةُ في مَحَلِّ الجرِّ على الصفةِ أَوِ الرفعِ على تقديرِ مُبْتَدَأٍ، وَالنصبِ على الذمِّ). [فتح البيان: ٤٦٧/١٥]

(الذي يوسوس في صدور الناس)

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿ٱلَّذِى﴾ نَعْتٌ للوَسْوَاسِ. ﴿يُوَسْوِسُ﴾ صِلَةُ الَّذِي. ﴿فِى صُدُورِ﴾ جَرٌّ بِفِي. ﴿ٱلنَّاسِ﴾ جَرٌّ بالإِضَافَةِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٤٠]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿ٱلَّذِى﴾ نَعْتٌ بَعْدَ نَعْتٍ.

﴿يُوَسْوِسُ﴾ صِلَةُ الَّذِي وَهُوَ فِعْلٌ مُسْتَقْبَلٌ. ﴿فِى﴾ حَرْفُ جَرٍّ.

﴿ صُدُورِ ﴾ جَرٌّ بِفِي. ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾ جَرٌّ بالإضَافَةِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٤٢- ٢٤٣] [نسخة رامفور]

(من الجنة والناس)

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النحَّاسُ (ت: ٣٣٨هـ): (وسألتُ عَلِيَّ بنَ سُلَيمانَ عن قولِه عزَّ وجَلَّ: (وَالنَّاسِ) فكيفَ يُعْطَفُونَ على (الجِنَّةِ) وهم لا يُوَسْوِسُونَ؟ فقالَ: هم مَعْطُوفونَ على الوَسْوَاسِ، والتقديرُ: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الناسِ من شَرِّ الوَسْوَاسِ وَالنَّاسِ. والذي قالَ حَسَنٌ، لأَنَّ التقديمَ والتأخيرَ في الواوِ جائِزٌ حَسَنٌ كَثِيرٌ كما قالَ:

جَمَعْتَ وَفُحْشًا غِيبَةً ونَمِيمَةً ... ثَلاثَ خِصَالٍ لَسْتَ عَنْهَا بِمُرْعَوِي

وقالَ حَسَّانُ:

وَمَا زَالَ فِي الإِسلامِ مِنَ آلِ هَاشِمٍ ... دَعَائِمُ عِزٍّ مَا تُرَامُ ومَفْخَرُ

وهم جَبَلُ الإِسلامِ والناسُ حَوْلَهُم ... رِضَامٌ إِلَى طَوْدٍ يَرُوقُ ويَقْهَرُ

بَهَالِيلُ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وَابْنُ أُمِّهِ ... عَلِيٌّ ومِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ

فبَدَأَ اللفظَ بجَعْفَرٍ ثم جاءَ بَعْدَه بعليٍّ، ثم جاءَ بعدَه بالنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ، وهو المُقَدَّمُ على الحقيقةِ. صَلَّى اللَّهُ عليه وعلى آلِهِ الطَّاهِرِينَ وسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا). [إعراب القرآن: ٥/٣١٧]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ ﴾ جَرٌّ بِمِنْ. ﴿ وَٱلنَّاسِ ﴾، نَسَقٌ عَلَيْهِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٤١]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (﴿ مِن ﴾ حَرْفُ جَرٍّ ﴿ ٱلْجِنَّةِ ﴾ جَرٌّ بِمِنْ ﴿ وَٱلنَّاسِ ﴾ عَطْفٌ على الجِنَّةِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٤٣] [نسخة رامفور]

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (قَوْلُهُ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ النَّاسِ خَفْضٌ عَطْفٌ عَلَى ﴿ ٱلْوَسْوَاسِ ﴾ أَيْ مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ وَالنَّاسِ، وَلا يَجُوزُ عَطْفُهُ عَلَى ﴿ ٱلْجِنَّةِ ﴾؛ لأَنَّ النَّاسَ لا يُوَسْوِسُونَ فِي صُدُورِ النَّاسِ، إِنَّمَا يُوَسْوِسُ الجِنُّ، فَلَمَّا اسْتَحَالَ المَعْنَى حَمَلْتُهُ عَلَى العَطْفِ عَلَى الوَسْوَاسِ). [مشكل إعراب القرآن: ٢/ ٣٩٣]

قَالَ قِوَامُ السُّنَّةِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَصْبَهَانِيُّ (ت: ٥٣٥هـ) (فيما نُسِبَ إليه): (وقَوْلُهُ ﴿ وَٱلنَّاسِ ﴾ مَعْطُوفٌ على ﴿ ٱلْوَسْوَاسِ ﴾). [إعراب القرآن: ٥٦٦]

قَالَ عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ الأَصْبَهَانِيُّ البَاقُولِيُّ (ت: ٥٤٣هـ): (قيلَ: قولُه: ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ ﴾ بَدَلٌ من ﴿ شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ﴾، أي: أَعُوذُ به من شَرِّ الجِنَّةِ والناسِ.

وقيلَ: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الناسِ من الجِنَّةِ والناسِ، فيكونُ تَبْيِينًا للناسِ. وجازَ تَبْيِينُ ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾ بـ ﴿ ٱلْجِنَّةِ ﴾ كما قالَ: ﴿ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [سورة الجن: ٦]

وقيلَ: مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ من الجِنَّةِ والناسِ. فـ ﴿ مِنَ ﴾ تَبْيينٌ لـ ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾، والتقديرُ: من شَرِّ ذِي الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ من الجِنَّةِ، أي: صاحبِ الوَسْوَاسِ الذي من الجِنَّةِ والناسِ، وإنْ شِئْتَ لم تَحْذِفِ المضافَ، ويكونُ التقديرُ: من شَرِّ الوَسْوَاسِ الواقعِ من الجِنَّةِ الذي يُوَسْوِسُه في صُدورِ الناسِ.

فيكونُ فاعلُ ﴿يُوَسْوِسُ﴾ ضَميرَ ﴿ٱلْجِنَّةِ﴾، وذَكَّرَ لأنَّ الجِنَّ والجِنَّةَ واحدٌ، وجازتِ الكنايةُ عنه وإنْ كانَ مُتأخِّرًا، لأنه في نِيَّةِ التقديمِ؛ فجرَى هذا مَجْرَى قولِه: ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة طه: ٦٧] وحذَفَ العائدَ من الصلةِ إلى الموصولِ كحذفِه من قولِه: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة الفرقان: ٤١] أي: بعثَه اللَّهُ). [كشف المشكلات: ٢/١٤٩٦- ١٤٩٧]

قَالَ أَبُو البَرَكَاتِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَنْبَارِيُّ (ت: ٥٧٧هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾.

(مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ) فِيهِ وَجْهَانِ:

أحدُهما: أَنْ يَكُونَ بَدَلاً مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ، وَتَقْدِيرُهُ: أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ.

وَالثَّاني: أَنْ يَكُونَ تَقْدِيرُهُ: مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ، وَتَقْدِيرُهُ: الكَائِنِ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، وَفِي (يُوَسْوِسُ) ضَمِيرُ (الجِنَّةِ)، وَذَكَّرَهُ لأَنَّهُ بِمَعْنَى (الجِنِّ)، وَكَنَى عَنْهُ مَعَ التَّأْخِيرِ؛ لأَنَّهُ فِي تَقْدِيرِ التَّقْدِيمِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾ [طه: ٦٧]؛ فَتَقَدَّمَ الضَّمِيرُ؛ لأَنَّ مُوسَى فِي تَقْدِيرِ التَّقْدِيمِ، وَالضميرَ فِي تَقْدِيرِ التَّأْخِيرِ، وَكَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

مَنْ يَلْقَ يَوْمًا عَلَى عِلاَّتِهِ هَرِمًا

وَتَقْدِيرُهُ: مَنْ يَلْقَ هَرِمًا يَوْمًا عَلَى عِلاَّتِهِ، فَقَدَّمَ الضَّمِيرَ؛ لأَنَّهُ فِي نِيَّةِ التَّأْخِيرِ، وَكَقَوْلِهِمْ: فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الحَكَمُ. فَقَدَّمَ الضَّمِيرُ؛ لأنَّ التقديرَ: الحَكَمُ يُؤْتَى فِي بَيْتِهِ، وَكَقَوْلِهِمْ: فِي أَكْفَانِهِ لُفَّ المَيِّتُ. وَتَقْدِيرُهُ: المَيِّتُ لُفَّ فِي أَكْفَانِهِ، وَنَظَائِرُهُ كَثِيرَةٌ، وَحُذِفَ العَائِدُ مِنَ الصِّلَةِ إِلَى المَوْصُولِ، كَمَا حُذِفَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ ﴾ [الفرقان: ٤١]؛ أَيْ: بَعَثَهُ). [البيان: ٥٤٩- ٥٥٠]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (قولُه تَعالَى: ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ ﴾ هو بدلٌ من ﴿شَرِّ﴾ بإعادةِ العامِلِ، أي: مِن شَرِّ الجِنَّةِ، وقيل: هو بدَلٌ من ذي الوَسْوَاسِ؛ لأن المُوَسْوِسَ من الجِنِّ.

وقيلَ: هو حالٌ من الضميرِ في ﴿يُوَسْوِسُ﴾ أي: يُوَسْوِسُ وهو مِنَ الجِنِّ.

وقيلَ: هو بَدَلٌ مِن ﴿ٱلنَّاسِ﴾ أي: في صدورِ الجِنَّةِ، وجعَلَ (مِنَ) تَبيينًا، وأَطْلَقَ على الجِنِّ اسْمَ الناسِ؛ لأنهم يَتَحَرَّكُونَ في مُرَادَاتِهِم، والجِنُّ والجِنَّةُ بمعنًى.

وقِيلَ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ حالٌ مِن الناسِ، أي: كائنينَ مِنَ القَبِيلَيْنِ.

وأمَّا ﴿ٱلنَّاسِ﴾ الأخيرُ فقيلَ: هو مَعطُوفٌ على ذي الوَسْوَاسِ، أي: مِن شَرِّ القَبِيلَيْنِ، وقِيلَ: هو معطوفٌ على ﴿ٱلْجِنَّةِ﴾). [التبيان: ٢/ ٤٨٥- ٤٨٦]

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ بنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت: ٦٦٠هـ): (الثَّالِثُ: أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ مَعْطُوفٌ على ماذا؟). [فوائد في مشكل القرآن:٢٦١]

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ بنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت: ٦٦٠هـ): (وعَنِ الثَّالِثِ: أَنَّهُم قَدْ جَوَّزُوا في إِعْرَابِهِ ثَلاثَةَ أَوْجُهٍ: أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا على ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ كأَنَّهُ قِيلَ: (ومِنْ شَرِّ النَّاسِ)، أو يَكُونَ مَعْطُوفًا على ﴿ٱلْجِنَّةِ﴾ بَيَانًا للوَسْوَاسِ، أو المُوَسْوِسِ، إِنْ عَبَّرَ بالمَصْدَرِ عَنِ الاسْمِ، وعلى المَذْهَبِ الأَوَّلِ يَكُونُ العَائِدُ على (الَّذِي) مَحْذُوفًا، تَقْدِيرُهُ: الَّذِي يُوَسْوِسُ، وعَلَى المَذْهَبِ الثَّانِي لَيْسَ مَحْذُوفًا). [فوائد في مشكل القرآن:٢٦٢- ٢٦٣]

البلاغة

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ قيلَ: أُريدَ قلوبُهم مَجازًا). [روح المعاني: ٢٩/ ٢٨٧]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وإطلاقُ فعْلِ ﴿يُوَسْوِسُ﴾ على هذا العمَلِ الشَّيْطانِيِّ مَجازٌ؛ إذ ليس للشيطانِ كلامٌ في باطِنِ الإنسانِ، وأمَّا إطلاقُه على تَسويلِ الإنسانِ لغيرِه عمَلَ السُّوءِ فهو حَقيقةٌ، وتَعَلُّقُ المَجرورِ مِن قولِه: ﴿فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ بفعْلِ ﴿يُوَسْوِسُ﴾ بالنِّسبةِ لوَسوَسَةِ الشَّيطانِ تَعلُّقٌ حقيقيٌّ، وأمَّا بالنِّسبةِ لوَسوَسَةِ الناسِ فهو مَجازٌ عَقلِيٌّ؛ لأنَّ وَسوسةَ الناسِ سَببٌ لِوُقوعِ أثرِها في الصُّدورِ، فكانَ في كُلٍّ مِن فِعْلِ ﴿يُوَسْوِسُ﴾ ومُتَعَلِّقِه استعمالُ اللَّفْظَيْنِ في الحقيقةِ والمَجازِ). [التحرير والتنوير: ٣٠/ ٦٣٤]

التناسب

قالَ ابنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصلٌ

وقولُه: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ صفةٌ ثالثةٌ للشيطانِ، فذكَرَ وَسْوَسَتَه أوَّلاً، ثم ذَكَرَ مَحلَّها ثانيًا، وأنها في صُدُورِ الناسِ.

وقد جَعَلَ اللهُ للشيطانِ دُخُولاً في جَوْفِ العَبْدِ، ونُفوذًا إلى قلبِه وصَدْرِه، فهو يَجْرِي منه مَجْرَى الدمِ، وقد وُكِّلَ بالعَبْدِ، فلا يُفَارِقُه إلى المَمَاتِ). [بدائع الفوائد: ٢/ ٢٥٦]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (ولَمَّا ذَكَرَ صفةَ المُسْتَعَاذِ منهُ ذَكَرَ إِبْرَازَهُ لِصِفَتِهِ بالفعلِ فَقَالَ: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾ أيْ: يُلْقِي المَعَانِيَ الضَّارَّةَ على وَجْهِ الخفاءِ والتكريرِ، بِحَيْثُ تَصِلُ مَفَاهِيمُهَا مِنْ غَيْرِ

سَمَاعٍ، وَأَشَارَ إلى كَثْرَةِ وَسْوَسَتِهِ بِذِكْرِ الصدرِ الذي هوَ ساحةُ القلبِ وَمَسْكَنُهُ، فَقَالَ: ﴿فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥﴾). [نظم الدرر: ٨/٦١٦]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَلَمَّا كانَ الذي يُعَلِّمُ الإنسانَ الشرَّ تَارَةً مِنَ الجِنِّ وَأُخْرَى مِنَ الإنسِ قَالَ مُبَيِّناً للوسواسِ تَحْذِيراً مِنْ شَيَاطِينِ الإنسِ كالتحذيرِ مِنْ شياطينِ الجنِّ مُقَدِّماً الأَهَمَّ الأَضَرَّ، وَيَجُوزُ أنْ يَكُونَ بَيَاناً لـ(النَّاسِ) ولا تَعَسُّفَ فيهِ لِمَا عُلِمَ مِنْ نَقْلِ القاموسِ.

﴿مِنَ الْجِنَّةِ﴾ أي: الجنِّ الذينَ في غايةِ الشرِّ وَالتَّمَرُّدِ وَالخَفَاءِ.

﴿وَالنَّاسِ﴾ أيْ: أهلِ الاضطرابِ وَالذبذبةِ، سَوَاءٌ كانوا مِنَ الإنسِ أوِ الجنِّ، فَيَكُونُ المعنَى أنَّ الجنَّ مُسَلَّطٌ بَعْضُهُم على بعضٍ كما هم مُسَلَّطُونَ على الإنسِ، فَيَدْخُلُ شيطانُ الجنِّ في الجِنِّيِّ كَمَا يَدْخُلُ في الإنْسِيِّ، وَيُوَسْوِسُ لهُ – قَالَهُ البَغَوِيُّ عَنِ الكَلْبِيِّ، وَقَالَ: ذُكِرَ عَنْ بعضِ العربِ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ قومٌ مِنَ الجنِّ فَوَقَفُوا، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: أُنَاسٌ مِنَ الجنِّ. قَالَ: وَهذا مَعْنَى قولِ الفراءِ). [نظم الدرر: ٨/٦١٦]

التفسير

المراد بالناس في قوله تعالى: (في صدور الناس)

قالَ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ الفَرَّاءُ: (ت: ٢٠٧هـ): (وقولُه عزَّ وجَلَّ: ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾.

فالناسُ ها هنا قد وَقعتْ على الجِنَّةِ وعلى الناسِ، كقولِك: يُوسوسُ في صُدورِ الناسِ: جِنَّتِهم وناسِهم، وقد قالَ بعضُ العرَبِ وهو يُحدِّثُ: جاءَ قومٌ مِنَ الجِنِّ فوقَفُوا، فقيلَ: مَن أنْتُم؟ فقالوا: أُناسٌ مِنَ الجِنِّ، وقد قالَ اللهُ جلَّ وعزَّ: ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١] فجعلَ النفرَ مِنَ الجِنِّ، كما جعَلَهم مِنَ الناسِ، فقال جلَّ وعزَّ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ٦] فسَمَّى الرجالَ مِنَ الجِنِّ والإنسِ، واللهُ أعلَمُ). [معاني القرآن: ٣/٣٠٢]

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ بنِ بَشِيرٍ الحَرْبِيُّ (ت: ٢٨٥هـ): (وَقَالَ: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾.

أَخْبَرَنَا سَلَمَةُ، عَنِ الفَرَّاءِ قَالَ: وَقَعَ النَّاسُ هَاهُنَا عَلَى الجِنَّةِ يَقُولُ: في صُدُورِ النَّاسِ جِنِّهِمْ وَنَاسِهِمْ، وَقَالَ بَعْضُ العَرَبِ - وَهُوَ يُحَدِّثُ- : فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ قَوْمٌ مِنَ الجِنِّ، فَقَالُوا: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَقَالُوا: نَاسٌ مِنَ الجِنِّ). [غريب الحديث: ٢/٤٢١]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبٍ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٣٠٨هـ): (﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥﴾ في صدُورِ الإِنْسِ وَالجنِّ). [الواضح: ٢/٥٢٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (وقولُه: ﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾. يعني بذلك: الشيطانَ الوَسْوَاسَ، الذي يُوَسْوِسُ في صدورِ الناسِ؛ جِنِّهُم وإِنْسِهِم.

فإن قالَ قائِلٌ: فالجنُّ ناسٌ، فيقالُ: الذي يُوَسْوِسُ في صدورِ الناسِ: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾. قِيلَ: قد سَمَّاهُم اللهُ في هذا المَوْضِعِ نَاساً، كما سَمَّاهُم في مَوْضِعٍ آخَرَ رِجالاً، فقالَ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الجن: ٦]. فجعَلَ الجنَّ رجالاً، وكذلك جعَلَ مِنْهم ناساً.

وقد ذُكِرَ عن بَعْضِ العربِ أنَّه قالَ وهو يُحدِّثُ، إذ جاءَ قومٌ مِن الجِنِّ فوقَفُوا، فقيلَ: مَن أنتم؟ فقالوا: ناسٌ مِن الجِنِّ. فجعَلَ مِنهم ناساً، فكذلك ما في التنزيلِ مِن ذلك). [جامع البيان: ٧٥٦/٢٤]

قالَ محمَّدُ بنُ القاسمِ بنِ بَشَّارٍ الأَنْبَارِيُّ (ت: ٣٢٨ هـ): (والناسُ حَرْفٌ مِنَ الأضدادِ، يقالُ: ناسٌ للناسِ، وناسٌ مِنَ الجِنِّ.

قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾؛ أي: الَّذِي يُوَسْوِسُ في صُدُورِ الناسِ جِنَّتِهِمْ وَنَاسِهِمْ، قالَ الفرَّاءُ: حَدَّثَ بعضُ العربِ قومًا فقالَ: جاءَ قومٌ من الجنِّ فوَقَفُوا، فَقِيلَ لهم: مَنْ أَنْتُمْ. فقالُوا: نَحْنُ نَاسٌ مِنَ الجِنِّ). [الأضداد: ٣٢٨]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النحَّاسُ (ت: ٣٣٨هـ): (وسألتُ عَلِيَّ بنَ سُلَيمانَ عن قولِه عزَّ وجلَّ: (وَالنَّاسِ) فكيفَ يُعْطَفُونَ على (الجِنَّةِ) وهم لا يُوَسْوِسُونَ؟ فقالَ: هم مَعْطُوفونَ على الوَسْوَاسِ، والتقديرُ: قُلْ أَعُوذُ بربِّ الناسِ من شَرِّ الوَسْوَاسِ وَالنَّاسِ. والذي قالَ حَسَنٌ، لأَنَّ التقديمَ والتأخيرَ في الواوِ جَائِزٌ حَسَنٌ كَثِيرٌ كما قالَ:

جَمَعْـتَ وَفُحْـشًا غِيبَـةً ونَمِيمَـةً ... ثَـلاثَ خِـصَالٍ لَـسْتَ عَنْهَـا بِمُرْعَـوِي

وقالَ حَسَّانُ:

وَمَـا زَالَ فِي الإِسـلامِ مِـن آلِ هَاشِـمٍ ... دَعَـائِمُ عِـزٍّ مَـا تُـرَامُ ومَفْخَـرُ
وهـم جَبَـلُ الإِسـلامِ والنـاسُ حَـوْلَهُم ... رِضَـامٌ إِلَـى طَـوْدٍ يَـرُوقُ ويَقْهَـرُ [لعله:يبهر]
بَهَالِيـلُ مِـنْهُمْ جَعْفَـرٌ وابْـنُ أُمِّـهِ ... عَلِـيٌّ ومِـنْهُمْ أَحْمَـدُ الُمتَخَيَّـرُ

فبَدَأَ اللفظَ بجَعْفَرٍ ثم جاءَ بَعْدَه بعليٍّ، ثم جاءَ بعدَه بالنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ، وهو الُمقَدَّمُ على الحقيقةِ. صَلَّى اللَّهُ عليه وعلى آلِهِ الطَّاهِرِينَ وسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا). [إعراب القرآن: ٣١٧/٥] (م)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الأَزْهَرِيُّ (ت: ٣٧٠ هـ): (والمعنى عندَ الفرَّاءِ في قَوْلِهِ: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾.

الذين هم جِنٌّ و﴿يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ يعني: الإِنْسَ.

وقالَ الزَّجَّاجُ: المعنى فيه: قُلْ يا مُحمدُ: أعوذُ بِرَبِّ الناسِ مِن شرِّ الوَسْوَاسِ، الذي يُوَسْوِسُ في صُدُورِ الناسِ مِن الجِنَّةِ؛ أي: مِن الذي هو مِن الجِنِّ.

قالَ: وقولُه: (وَالنَّاسِ) مَعْطُوفٌ على الوَسْوَاسِ، المعنى: مِن شَرِّ الوَسْوَاسِ، ومِن شرِّ الناسِ، كما يَسْتَعِيذُ الرجلُ باللهِ مِن شرِّ الجِنِّ والإنسِ، ودليلُ ذلك قوْلُه: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾). [علل القراءات:٨١١]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (وَالنَّاسُ هَاهُنَا الجِنُّ والإِنْسُ جَمِيعًا؛ فَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ كَمَا يُقَالُ: مَرَرْتُ بالنَّاسِ شَرِيفِهِمْ ووَضِيعِهِمْ، ومَرَرْتُ بالنَّاسِ هَاشِمِيِّهِمْ وقُرَشِيِّهِمْ.
وَذَلِكَ أَنَّ العَرَبَ تَقُولُ: نَاسٌ مِنَ الجِنِّ [وقَوْمٌ مِنَ الجِنِّ]، ونَفَرٌ مِنَ الجِنِّ، ورِجَالٌ مِنَ الجِنِّ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٤٠]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾. يعني: يَدخُلُ في صُدورِ الجِنِّ كما يَدخُلُ في صُدورِ الإِنْسِ، ويُوَسْوِسُ لهم. ويُقالُ: ﴿ٱلنَّاسِ﴾ في هذا المَوضِعِ يَصلُحُ للجِنِّ والإِنْسِ؛ فإذا أَرادَ به الجِنَّ فمَعناه يُوَسْوِسُ في صُدورِ المؤمنينَ الذين هُمْ جِنٌّ). [بحر العلوم: ٥٢٨/٣]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (﴿يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ يعني: الذين هم مِن بني آدَمَ، ويُقالُ: ﴿ٱلنَّاسِ﴾ مَعطوفٌ على الوَسْوَاسِ، ومعناه: مِن شَرِّ الوَسْوَاسِ، ومِن شَرِّ الناسِ. كما قالَ في آيةٍ أخرى: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]). [بحر العلوم: ٥٢٨/٣]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾. يعني: يَدخُلُ في صُدورِ الجِنِّ كما يَدخُلُ في صُدورِ الإِنْسِ، ويُوَسْوِسُ لهم.
ويُقالُ: ﴿ٱلنَّاسِ﴾ في هذا المَوضِعِ يَصلُحُ للجِنِّ والإِنْسِ؛ فإذا أَرادَ به الجِنَّ فمَعناه يُوَسْوِسُ في صُدورِ المؤمنينَ الذين هُمْ جِنٌّ). [بحر العلوم: ٥٢٨/٣]

قالَ أبو عَلِيٍّ الحسنُ بنُ أحمدَ الفارِسِيُّ (ت: ٣٧٧ هـ): (حَكَاهُ أحمدُ بنُ يحيَى في تَفْسيرِ قولِهِ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ أنَّ العربَ تقولُ: جاءَنِي ناسٌ مِنَ الجنِّ). [المسائل الحلبيات: ١٦٦]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ يعني وفي صُدورِ الجِنَّةِ؛ يُدْخِلُ في الجِنِّيِّ ما يُدْخِلُ في الإِنْسِيِّ، قالَه الكلبيُّ.
فإنْ قالَ قائلٌ: فالجِنُّ ناسٌ، فالجوابُ عنه: أنَّ اللهَ تعالى قد سَمَّاهم في هذا المَوْضِعِ ناساً كما سَمَّاهم رجالاً فقال عزَّ مِن قائلٍ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦] وقد ذُكِرَ عن بعضِ العَرَبِ أنه قالَ وهو يُحدِّثُ: جاءَ قومٌ مِنَ الجنِّ فوَقَفُوا فقِيلَ: مَن أَنتم؟ فقالوا: ناسٌ مِنَ الجنِّ. فجُعِلَ منهم ناسٌ، وهذا معنى قولِ الفَرَّاءِ وواصِلٍ: الوَسواسُ الحَرَكَةُ، ومنه وَسواسُ الحَلْيِ.
وحكَى لنا الأستاذُ أبو القاسمِ الحسنُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ بنِ جعفرٍ الحُنَيْنِيُّ عن أبي الهيثمِ الشَّجَرِيِّ: أنه حكى عن بعضِهم: أنه كان يُثْبِتُ الوَسواسَ مِنَ الناسِ مِنَ الإنسانِ للإنسانِ كالوَسوسةِ مِنَ الشيطانِ؛ فيَجعلُ الوَسواسَ مِن فعْلِ الجِنَّةِ والناسِ، ويَحتجُّ بخَبَرِ أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عنه أنه قالَ لرَجُلٍ: هل تَعوَّذْتَ باللهِ مِنَ

شياطينِ الإنسِ لقولِه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢].

والاختيارُ أنْ يكونَ الناسُ عَطْفًا على الوَسواسِ، والمعنى: مِن شَرِّ الوَسواسِ الذي هو مِنَ الجنِّ ومِن شَرِّ الناسِ). [الكشف والبيان: ١٠/٣٤١]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ هَذَا الشَّيْطَانَ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿مِنَ الْجِنَّةِ﴾: أَيِ: الشَّيْطَانِ الَّذِي هو مِنَ الجِنِّ، ﴿وَالنَّاسِ﴾: عَطفٌ على قَوْلِهِ: ﴿الْوَسْوَاسِ﴾، والمَعْنَى: مِنْ شَرِّ ذِي الوَسْوَاسِ، ومِنْ شَرِّ النَّاسِ، كَأَنَّهُ أُمِرَ أَنْ يَسْتَعِيذَهُ مِنْ شَرِّ الجِنِّ، ومِن شَرِّ النَّاسِ). [الوسيط: ٤/٥٧٥]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (وَعَطَفَ قَوْلَهُ: ﴿وَالنَّاسِ﴾ عَلَى الوَسْوَاسِ. المَعْنَى: مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ وَمِنْ شَرِّ النَّاسِ، كَأَنَّهُ أُمِرَ أَنْ يَسْتَعِيذَ مِنْ شَرِّ الجِنِّ وَالإِنْسِ). [الوسيط: ٤/٥٧٥]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (وقولُه: ﴿فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥﴾ أرادَ بالناسِ: ما ذُكِرَ مِن بعدُ، وهو الجِنَّةُ والناسُ، فسَمَّى الجِنَّ ناسًا، كما سَمَّاهم رِجَالاً، فقالَ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ٦].

وقد ذُكِرَ عن بعضِ العَرَبِ أنه قالَ وهو يُحَدِّثُ: جاءَ قومٌ من الجِنِّ فوَقَعُوا، فقيلَ: من أنتم؟ قالُوا: أُناسٌ من الجِنِّ. وهذا معنى قولِ الفَرَّاءِ.

قالَ بعضُهم: أَثْبَتَ أنَّ الوَسواسَ للإنسانِ من الإنسانِ كالوَسوسةِ للشيطانِ، فجَعَلَ "الوَسواسَ" من فِعْلِ الجِنَّةِ والناسِ جميعًا، كما قالَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] كأنه أَمَرَ أن يَستعيذَ من شَرِّ الجِنِّ والإِنْسِ جميعًا). [معالم التنزيل: ٧٢٧- ٧٢٨]

قَالَ قِوَامُ السُّنَّةِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَصْبَهَانِيُّ (ت: ٥٣٥هـ) (فيما نُسِبَ إليه): (وقَالَ الفَرَّاءُ: ﴿فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾ ﴿النَّاسِ﴾ وقَعَتْ هَاهُنَا على الجِنِّ والإنسِ، كقَوْلِكَ: يُوَسْوِسُ في صُدُورِ النَّاسِ جِنِّهِم وإِنْسِهِم، وحُكِيَ عَنْ بَعْضِ العَرَبِ قَالَ: جَاءَ قَوْمٌ مِنَ الجِنِّ فقِيلَ: مَنْ أَنْتم؟ فقَالُوا: أُنَاسٌ مِنَ الجِنِّ، والقَوْلُ الأَوَّلُ أَوْجَهُ.

قِيلَ: أَمَرَ أَنْ يُسْتَعَاذَ مِنْ شَرِّ الإِنْسِ والجِنِّ). [إعراب القرآن: ٥٦٦]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾ بَيَانٌ للذي يُوَسْوِسُ، على أَنَّ الشيطانَ ضَرْبَانِ: جِنِّيٌّ وإِنْسِيٌّ؛ كما قالَ: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وعن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قالَ لرجُلٍ: هل تَعَوَّذْتَ باللَّهِ مِن شيطانِ الإنسِ؟

ويجوزُ أنْ يكونَ ﴿مِنَ﴾ مُتَعَلِّقاً بـ ﴿يُوَسْوِسُ﴾، ومعناه: ابْتِدَاءُ الغايةِ؛ أي: يُوَسْوِسُ في صُدُورِهم مِن جِهَةِ الجِنِّ ومِن جِهَةِ الناسِ.

وقِيلَ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بيانٌ للناسِ، وإنَّ اسمَ الناسِ ينطلق على الجِنَّةِ، واستَدَلُّوا بـ (نَفرٍ) و(رِجَال) في سورةِ الجِنِّ.

وما أُحِقُّه لأنَّ الجنَّ سُمُّوا جِنًّا لاجْتِنَانِهِم، والناسَ ناساً لظُهُورِهم، مِن الإِيناسِ، وهو الإبصارُ، كما سُمُّوا بَشَراً، ولو كانَ يَقَعُ الناسُ على القَبِيلَيْنِ، وصَحَّ ذلك وثَبَتَ - لم يَكُنْ مناسِباً؛ لفَصاحةِ القرآنِ وبُعْدِهِ مِنَ التصنُّع.

وأَجْوَدُ مِنه أنْ يُرَادَ بالناسِ: الناسِي؛ كقولِه: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦]، وكما قُرِئَ: (مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسِ) [البقرة: ١٩٩]. ثُمَّ يُبَيَّنُ بالجِنَّةِ والناسِ؛ لأنَّ الثَّقَلَيْنِ هما النوعانِ الموصوفانِ بنِسْيَانِ حقِّ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ).
[الكشاف: ٦/٤٦٩] (م)

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (أَمَّا قَوْلُه تَعالَى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ ففيه وُجُوهٌ:

أَحَدُها: كأَنَّه يَقُولُ: الوَسْوَاسُ الخَنَّاسُ قَدْ يَكُونُ مِن الجِنَّةِ وقَدْ يَكُونُ مِن النَّاسِ كَمَا قَالَ: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] وكَمَا أَنَّ شَيْطانَ الجِنِّ قَدْ يُوَسْوِسُ تَارَةً ويَخْنُسُ أُخْرَى، فشَيْطَانُ الإنسِ يكونُ كذلك؛ وذلك لأَنَّه يَرَى نَفْسَه كالنَّاصِحِ المُشْفِقِ، فإِنْ زَجَرَه السامِعُ يَخْنُسُ ويَتْرُكُ الوَسْوَسَةَ، وإِنْ قَبِلَ السَّامِعُ كَلامَه بالَغَ فيه.

وثانيها: قالَ قومٌ: قولُه: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ قِسْمَانِ مُنْدَرِجانِ تَحْتَ قَوْلِه: ﴿فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ كأَنَّ القَدْرَ المُشْتَرَكَ بَيْنَ الجنِّ والإنسِ يُسَمَّى إنسانًا، والإنسانُ أيضًا يُسَمَّى إنسانًا فيكونُ لَفْظُ الإنسانِ وَاقِعًا على الجِنْسِ والنوعِ بالاشْتِراكِ، والدَّليلُ علَى أَنَّ لَفْظَ الإنسانِ يَنْدَرِجُ فيه الجنُّ والإنسُ ما رُوِيَ أَنَّه جاءَ نَفَرٌ مِن الجنِّ فقِيلَ لَهُم: مَن أَنْتُم؟ فقالُوا: أُنَاسٌ مِن الجنِّ، وأيضًا قد سَمَّاهُم اللَّهُ رِجَالاً في قولِه: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦] فجازَ أيضًا أَنْ يُسَمِّيَهم ههنا نَاسًا.

فمَعْنَى الآيةِ علَى هذا التَّقْدِيرِ أَنَّ هذا الوَسْوَاسَ الخَنَّاسَ شَدِيدُ الخَنْسِ لا يَقْتَصِرُ علَى إِضْلالِ الإنسِ، بل يُضِلُّ جِنْسَه وهم الجنُّ، فجَدِيرٌ أَنْ يَحْذَرَ العَاقِلُ شَرَّه.

وهذا القولُ ضَعِيفٌ؛ لأنَّ جَعْلَ الإنسانِ اسْمًا للجِنْسِ الذي يَنْدَرِجُ فيه الجنُّ والإنسُ بَعِيدٌ مِن اللُّغَةِ؛ لأَنَّ الجنَّ سُمُّوا جِنًّا لاجْتِنَانِهِم، والإنسانُ إنسانًا لظُهُورِه مِن الإِيناسِ وهو الإِبْصَارُ.

وقالَ صَاحِبُ الكَشَّافِ: مَن أَرَادَ تَقْرِيرَ هذا الوَجْهِ فالأَوْلَى أَنْ يَقُولَ: المُرَادُ مِن قولِه: ﴿يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ أي: فِي صُدُورِ النَّاسِي كقَوْلِه: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] وإِذَا كَانَ المرادُ مِن النَّاسِ النَّاسِي، فحِينَئِذٍ يُمْكِنُ تَقْسِيمُه إلى الجنِّ والإنسِ؛ لأَنَّهما هما النَّوعانِ المَوْصُوفانِ بنِسْيانِ حَقِّ اللَّهِ تعالَى،

وثالثُها: أَنْ يَكُونَ المُرَادُ أَعُوذُ بربِّ النَّاسِ مِن الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ ومِن الجِنَّةِ والناسِ كأنَّه اسْتَعاذَ بربِّه مِن ذلك الشَّيْطَانِ الواحِدِ، ثُمَّ اسْتَعاذَ بربِّه مِن الجَمِيعِ الجِنَّةِ والنَّاسِ). [التفسير الكبير: ٣٢/١٨٢]

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ بنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت: ٦٦٠هـ): (واخْتُلِفَ هَلِ النَّاسُ بإزاءِ الجِنِّ لكِنَّهُ غَلَبَ اسْتِعْمَالُهُ في أَحَدِ مُسَمَّيَاتِهِ، ولأَجْلِ الغَلَبَةِ أُفْرِدَ بالذِّكْرِ في السُّورَةِ، أو هو مَخْصُوصٌ بمَنْ غَلَبَ فيه اللَّفْظُ؟). [فوائد في مشكل القرآن:٢٦٣]

قَالَ زَيْنُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الرَّازِيُّ (ت: ٦٦٦هـ): (فإنْ قيلَ: هل قولُه تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بيانٌ للذي يُوَسْوِسُ على أنَّ الشيطانَ المُوَسْوِسَ ضَرْبانِ: جِنِّيٌّ وإنسيٌّ كما قالَ تعالى: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، أو بيانٌ للناسِ الذي أُضِيفَتِ الوسوسةُ إلى صُدُورِهِم، والناسُ المذكورُ آخرًا بمعنى الإنسِ؟

قلنا: قالَ بعضُ أَئِمَّةِ التفسيرِ: المرادُ المعنى الأوَّلُ، كأنه قالَ: مِن شرِّ الوَسْوَاسِ الجِنِّيِّ، ومن شرِّ الوَسْوَاسِ الإِنْسِيِّ، فهو استعاذةٌ باللهِ تعالَى من شرِّ المُوَسْوِسِينَ مِنَ الجِنْسَيْنِ، وهو اختيارُ الزَّجَّاجِ، وفي هذا الوجهِ إطلاقُ لفظِ الخنَّاسِ على الإنسيِّ، والنقلُ أنه اسمٌ للجِنِّيِّ.

قالَ بعضُهم: المرادُ المعنى الثاني، كأنه قالَ: من شرِّ الوَسواسِ الجنيِّ الذي يُوَسْوِسُ في صُدُورِ الناسِ جِنِّهِم وإِنسِهِم، فسَمَّى الجِنَّ نَاسًا كما سَمَّاهُم نَفَرًا ورجالاً في قولِهِ تعالى: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١] وقولِه تعالى: ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦] فهو استعاذةٌ باللهِ مِنْ شرِّ الوسواسِ الذي يُوَسْوِسُ في صُدُورِ الجنِّ كما يُوَسْوِسُ في صدورِ الإنسِ، وهو اختيارُ الفرَّاءِ، والمرادُ بالجِنَّةِ هنا الشَّياطِينُ مِنَ الجنِّ على الوجهِ الأوَّلِ، ومطلقُ الجِنِّ على الوجهِ الثاني؛ لأنَّ الشيطانَ مِنهم هو الذي يُوَسْوِسُ لا غيرُه، ومُطْلَقُهُم يُوَسْوَسُ إليه، واختارَ الزَّمَخْشَرِيُّ الوجهَ الأوَّلَ، وقالَ: ما أُحِقُّ أنَّ اسمَ الناسِ يَنْطَلِقُ على الجِنِّ؛ لأنَّ الجِنَّ سُمُّوا جِنًّا لاجْتِنَانِهِم؛ أي: لاسْتِتَارِهِم، والناسَ سُمُّوا ناسًا لِظُهُورِهِم مِنَ الإِيناسِ وهو الإبصارُ، كما سُمُّوا بَشَرًا بظُهُورِهِم مِنَ البَشَرَةِ، ولو صَحَّ هذا الإطلاقُ لم يَكُنْ هذا المُجْمَلُ مناسبًا لفصاحةِ القرآنِ، قالَ: وأجودُ مِنه أنْ يُرادَ بالناسِ الأوَّلِ الناسي كقولِه تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] وكما قُرِئَ: (مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسِي) ثم بَيَّنَ بالجِنَّةِ والناسِ؛ لأنَّ الثَّقَلَيْنِ هما الجِنسانِ المَوْصُوفانِ بنِسيانِ حُقُوقِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ). [غرائب التنزيل: ٦٠٢]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (قولُه تعالَى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ أَخْبَرَ أنَّ المُوَسْوِسَ قد يكونُ مِنَ الناسِ.

قالَ الحَسَنُ: هما شَيْطَانَانِ؛ أمَّا شيطانُ الجِنِّ فيُوَسْوِسُ في صدورِ الناسِ، وأمَّا شيطانُ الإنسِ فيأتِي عَلانِيَةً.

وقالَ قَتادَةُ: إنَّ مِن الجِنِّ شَيَاطِينَ، وإنَّ مِن الإنسِ شياطينَ؛ فتعوَّذْ باللهِ مِن شياطينِ الإنسِ والجنِّ.

ورُوِيَ عن أبي ذَرٍّ أنَّه قالَ لرجلٍ: هل تَعَوَّذْتَ باللهِ مِن شياطينِ الإنسِ؟ فقالَ: أَوَمِنَ الإنسِ شَيَاطِينُ؟ قالَ: نَعَمْ؛ لقولِه تعالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]... الآيةَ.

وذَهَبَ قَوْمٌ إلى أنَّ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ هنا يُرادُ بِهِ الجِنُّ. سُمُّوا ناسًا كمَا سُمُّوا رِجالاً في قولِهِ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجنُّ: ٦] - وقَوْمًا ونَفَرًا.

فعلى هذا يكونُ: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ عَطْفًا على ﴿ٱلْجِنَّةِ﴾، ويكونُ التَّكْرِيرُ لاختِلافِ اللَّفْظَيْنِ.

وذُكِرَ عن بَعْضِ العربِ أنه قالَ وهو يُحَدِّثُ: جاءَ قَوْمٌ مِن الجنِّ فَوَقَفُوا. فقِيلَ: مَن أنْتُم؟ فقالُوا: نَاسٌ مِنَ الجِنِّ.

وهو معنى قولِ الفَرَّاءِ.

وقِيلَ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ هو الشيطانُ. وقولُه: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ بيانٌ أنَّه مِنَ الجِنِّ، ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ معطوفٌ على ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾. والمعنَى: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ، الذي هو مِنَ الجِنَّةِ، ومِنْ شَرِّ النَّاسِ.

فعلى هذا أُمِرَ بأَنْ يَسْتَعِيذَ مِن شَرِّ الإنسِ والجِنِّ.

والجِنَّةُ: جَمْعُ جِنِّيٍّ، كمَا يُقَالُ: إِنْسٌ وإِنْسِيٌّ. والهاءُ لتأنيثِ الجماعَةِ.

وقِيلَ: إنَّ إبليسَ يُوَسْوِسُ في صدورِ الجِنِّ، كما يُوَسْوِسُ في صدورِ الناسِ.

فعلى هذا يكونُ ﴿فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ عامًّا في الجَميعِ. و﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بيانٌ لما يُوَسْوِسُ في صَدْرِهِ.

وقِيلَ: معنَى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾. أيِ: الوَسْوَسَةِ التي تَكُونُ مِنَ الجِنَّةِ والناسِ، وهو حديثُ النفْسِ.

وقد ثَبَتَ عنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ بِهِ». رواهُ أبو هُرَيْرَةَ، أَخْرَجَهُ مسلمٌ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٦٣- ٢٦٤]

قَالَ ابنُ المُنَيِّرِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ الإِسْكَنْدَرَانِيُّ (ت: ٦٨٣هـ): (

والجِنَّةُ الجِنُّ ولَفْظُ (الناسِ) قيلَ يَعُمُّ الكلَّ في الوَسْوَاسِ

وقيلَ لفظُ الناسِ مَعْطُوفٌ على كَلِمَةِ الوَسْوَاسِ فِيمَا نُقِلا

فالعَوْذُ إذْ ذاكَ مِنَ الوَسْوَاسِ ثُمَّ يَعُوذُ مِن شِرَارِ الناسِ

عاذَ مِنَ الجِنَّةِ والإنسِ مَعَا أعاذَنَا اللهُ ومَن قَدْ سَمِعَا

). [التيسير العجيب: ٢٣٥]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (وقالَ قَوْمٌ: "الناسُ" الرابعُ يُرادُ به الجنُّ والإنسُ جَميعاً، وهو اسْمٌ للقَدْرِ المُشْتَرَكِ بينَ النوعَيْنِ.

كما رُوِيَ أنه جاءَ نَفَرٌ مِن الجنِّ فقيلَ لهم: مَنْ أَنْتُمْ؟ فقالوا: نَاسٌ مِن الجِنِّ.

وقدْ سَمَّاهُمُ اللَّهُ رِجَالاً في قَوْلِه: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦].

و"الناسُ" الخامسُ هوا لَمخْصُوصُ بالبَشَرِ.

ومعنى الآيَةِ على هذا التقديرِ: أنَّ هذا الوَسْوَاسَ الخَنَّاسَ لا يَقْتَصِرُ على إضلالِ البَشَرِ، ولكنَّه يُوَسْوِسُ للنوعَيْنِ، فيكونُ قولُه: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بياناً للناسِ). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٥]

قالَ ابنُ القيِّمِ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصلٌ: وقولُه تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ اخْتَلَفَ المُفَسِّرون في هذا الجارِّ والمجرورِ بِمَ يَتعلَّقُ. فقالَ الفرَّاءُ وجماعةٌ: هو بيانٌ للناسِ المُوَسْوَسِ في صدورِهم. والمعنى: يُوَسْوِسُ في صدورِ الناسِ الذين هم من الجِنِّ والإنْسِ، أي: المُوَسْوَسُ في صدورِهم قِسمان؛ إنسٌ وجنٌّ، فالوَسواسُ يُوَسْوِسُ للجِنِّيِّ كما يُوَسْوِسُ للإنسيِّ.

وعلى هذا القولِ فيكونُ من الجِنَّةِ والناسِ نُصِبَ على الحالِ؛ لأنه مجرورٌ بعدَ مَعرفةٍ على قولِ البَصْرِيِّينَ، وعلى قولِ الكُوفِيِّينَ: نُصِبَ بالخروجِ من المعرفةِ. هذه عِبارتُهم، ومعناها أنه لَمَّا لم يَصْلُحْ أن يكونَ نَعْتًا للمَعرفةِ انْقَطَعَ عنها فكانَ مَوْضِعُه نَصْبًا، والبَصْرِيُّون يُقَدِّرُونه حالاً، أي: كائنَيْنِ من الجِنَّةِ والناسِ، وهذا القولُ ضَعيفٌ جِدًّا لوُجوهٍ:

أحدُها: أنه لم يَقُمْ دليلٌ على أنَّ الجِنِّيَّ يُوَسْوِسُ في صُدورِ الجِنِّ، ويُدخِلُ فيه ما يُدْخِلُ في الإنسيِّ، ويَجرِي منه مَجراه من الإنسيِّ، فأيُّ دليلٍ يَدُلُّ على هذا حتى يَصِحَّ حَمْلُ الآيةِ عليه.

الثاني: أنه فاسدٌ من جِهةِ اللفظِ أيضًا؛ فإنه قالَ: الذي يُوَسْوِسُ في صُدورِ الناسِ، فكيف يُبَيِّنُ الناسَ بالناسِ؛ فإنَّ مَعنى الكلامِ على قولِه يُوَسْوِسُ في صدورِ الناسِ الذين هم أو كائنِينَ من الجِنَّةِ والناسِ، أفَيَجوزُ أن يُقالَ: في صدورِ الناسِ الذين هم من الناسِ وغيرِهم، هذا ما لا يَجوزُ، ولا هو استعمالٌ فصيحٌ.

الثالثُ: أن يكونَ قد قَسَّمَ الناسَ إلى قِسمينِ: جِنَّةٍ وناسٍ، وهذا غيرُ صحيحٍ، فإنَّ الشيءَ لا يكونُ قَسيمَ نفسِه.

الرابعُ: أنَّ الجِنَّةَ لا يُطْلَقُ عليهم اسمُ الناسِ بوجهٍ لا أَصْلاً واشْتِقاقًا ولا استعمالاً، ولفْظُهما يَأْبى ذلك؛ فإنَّ الجِنَّ إنما سُمُّوا جِنًّا من الاجتنانِ، وهو الاستتارُ، فهم مُسْتَتِرون عن أَعْيُنِ البَشَرِ فسُمُّوا جِنًّا لذلك، من قولِهم: جَنَّه الليلُ وأَجَنَّه إذا سَتَرَه، وأَجَنَّ المَيِّتَ إذا سَتَرَه في الأَرْضِ، قالَ:

ولا تَبْكِ مَيْتًا بعدَ مَيْتٍ أَجَنَّهُ ... عليٌّ وعَبَّاسٌ وآلُ أبي بَكْرِ

يُريدُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنه الجَنينُ لاستتارِه في بَطْنِ أُمِّه، قالَ تعالى: ﴿وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾ [النجم: ٣٢] ومنه المِجَنُّ لاستتارِ المحارِبِ به من سلاحِ خَصْمِه، ومنه الجَنَّةُ لاستتارِ داخلِها بالأشجارِ، ومنه الجُنَّةُ بالضَّمِّ لِمَا يَقِي الإنسانَ من السهامِ والسلاحِ، ومنه المَجنونُ لاستتارِ عَقْلِه.

وأمَّا الناسُ فبَيْنَه وبينَ الإنسِ مناسَبَةٌ في اللفظِ والمعنى، وبينَهما اشتقاقٌ أوْسَطُ، وهو عَقْدُ تَقاليبِ الكلمةِ إلى معنًى واحدٍ.

والإنْسُ والإنسانُ مُشْتَقٌّ من الإيناسِ، وهو الرؤيةُ والإحساسُ.

ومنه قولُه: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩] أي: رآها، ومنه: ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدًا﴾ [النساء: ٦] أي: أَحْسَسْتُموه ورَأَيْتُموه، فالإنسانُ سُمِّيَ إنسانًا؛ لأنه يُؤْنَسُ، أي: يُرَى بالعينِ، والناسُ فيه قولان؛ أحدُهما: أنه مَقلوبٌ من أَنِسَ وهو بعيدٌ، والأصْلُ عدمُ القلْبِ، والثاني: وهو الصحيحُ أنه من النَّوْسِ وهو الحركةُ المتتابِعَةُ، فسُمِّيَ الناسُ نَاسًا للحركةِ الظاهرةِ والباطِنَةِ، كما سُمِّيَ الرجُلُ حارثًا وهَمَّامًا، وهما أَصْدَقُ

الأسماءِ، كما قالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنَّ كلَّ أَحَدٍ له هَمٌّ وإرادةٌ وهي، مَبْدَأٌ وحَرْثٌ وعَمَلٌ هو مُنْتَهًى، فكُلُّ أَحَدٍ حارِثٌ وهَمَّامٌ، والحرثُ والهَمُّ حَرَكَتا الظاهِرِ والباطِنِ، وهو حقيقةُ النَّوْسِ وأَصْلُ ناسٍ نوس تَحَرَّكَتِ الواوُ وقَبْلَها فَتْحَةٌ فصارَتْ أَلِفًا. هذان هما القولان المَشهوران في اشتقاقِ الناسِ.

وأمَّا قولُ بعضِهم: إنه من النِّسيانِ، وسُمِّي الإنسانُ إنسانًا لِنسيانِه. وكذلك الناسُ سُمُّوا ناسًا لِنسيانِهم، فليس هذا القولُ بشيءٍ، وأين النِّسيانُ الذي مادَّتُه [ن س ي] إلى الناسِ الذي مادَّتُه [ن وس] وكذلك أين هو من الإنْسِ الذي مادَّتُه [أ ن س].

وأمَّا إنسانٌ فهو فِعْلانٌ من [أ ن س] والألِفُ والنونُ في آخِرِه زائدتان لا يَجوزُ فيه غيرُ هذا البَتَّةَ؛ إذ ليس في كلامِهم أنس حتى يكونَ إنسانًا إفعالاً منه، ولا يَجوزُ أن يكونَ الألِفُ والنونُ في أوَّلِه زائدتين؛ إذ ليس في كلامِهم انْفَعَلَ، فيَتَعَيَّنُ أنه فِعلانٌ من الأنس، ولو كان مُشْتَقًّا من نَسِيَ لكان نِسيانًا لا إنسانًا.

فإن قلْتَ: فهَلاَّ جَعَلْتَه إفعلالاً، وأَصْلُه إنسيانٌ كليلةٍ إضحيانٍ، ثم حُذِفَت الياءُ تَخفيفًا فصارَ إنسانًا.

قلتُ: يأبى ذلك عَدَمُ إفعلال في كلامِهم، وحَذْفُ الياءِ بغيرِ سببٍ، ودَعْوَى ما لا نَظيرَ له، وذلك كلُّه فاسدٌ.

على أنَّ الناسَ قد قِيلَ: إن أَصْلَه الأُناسُ، فحُذِفَت الهمزةُ فقِيلَ الناسُ. واسْتُدِلَّ بقولِ الشاعِرِ:

إنَّ المَــنَـايَـا يَطـَّــلِـعْــ ـنَ على الأُناسِ الْغَافِلِينَا

ولا رَيْبَ أنَّ أُناسًا فُعالٌ، ولا يَجوزُ فيه غيرُ ذلك البَتَّةَ، فإنْ كان أَصْلُ ناسٍ أُناسًا فهو أقوى الأدِلَّةِ على أنه من أَنِسَ، ويكونُ الناسُ كالإنسانِ سواءً في الاشتقاقِ، ويكونُ وَزْنُ ناسٍ على هذا القولِ (عالٍ)؛ لأنَّ المحذوفَ فاؤُه، وعلى القولِ الأوَّلِ يكونُ وزنُه (فعل)؛ لأنه من النَّوْسِ.

وعلى القولِ الضعيفِ يكونُ وَزْنُه (فلع)؛ لأنه من نَسِيَ، فقُلِبَتْ لامُه إلى مَوْضِعِ العينِ، فصارَ ناسًا، ووَزْنُه فلعًا.

والمقصودُ أنَّ الناسَ اسمٌ لبني آدمَ فلا يَدْخُلُ الجنُّ في مُسمَّاهم فلا يَصِحُّ أن يكونَ من الجِنَّةِ والناسِ بيانًا لقولِه: ﴿فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾. وهذا واضحٌ لا خَفَاءَ فيه.

فإن قيلَ: لا مَحذورَ في ذلك، فقد أُطْلِقَ على الجِنِّ اسمُ الرِّجالِ، كما في قولِه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦] فإذا أُطْلِقَ عليهم اسمُ الرجالِ لم يَمْتَنِعْ أن يُطلَقَ عليهم اسمُ الناسِ.

قلتُ: هذا هو الذي غرَّ مَن قالَ: إنَّ الناسَ اسمٌ للجنِّ والإنسِ في هذه الآيةِ.

وجوابُ ذلك: أنَّ اسمَ الرجالِ إنما وَقَعَ عليهم وُقوعًا مُقَيَّدًا في مُقابَلَةِ ذِكْرِ الرجالِ من الإنْسِ، ولا يَلْزَمُ من هذا أن يَقَعَ اسمُ الناسِ والرجالِ عليهم مُطْلَقًا.

وأنت إذا قُلْتَ: إنسانٌ من حِجارةٍ أو رَجُلٌ من خَشَبٍ ونحوَ ذلك، لم يَلْزَمْ من ذلك وُقوعُ اسمِ الرجلِ والإنسانِ عندَ الإطلاقِ على الحَجَرِ والخَشَبِ.

وأيضًا فلا يَلْزَمُ من إطلاقِ اسمِ الرجُلِ على الجِنِّيِّ أن يُطْلَقَ عليه اسمُ الناسِ؛ وذلك لأنَّ الناسَ والجِنَّةَ مُتقابلانِ.

و كذلك الإنسُ والجِنُّ فاللهُ سُبحانَه يُقابِلُ بينَ اللفظينِ كقولِه: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأنعام: ١٣٠] وهو كثيرٌ في القرآنِ.

وكذلك قولُه: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ يقتضِي أنهما مُتقابلانِ فلا يَدْخُلُ أحدُهما في الآخَرِ بِخِلافِ الرجالِ والجِنِّ فإنهما لم يُستَعْمَلا متقابلينِ فلا يُقالُ: الجِنُّ والرجالُ، كما يقالُ: الجِنُّ والإنْسُ، وحينئذٍ فالآيةُ أَبْيَنُ حُجَّةٍ عليهم في أنَّ الجِنَّ لا يَدخُلونَ في لفظِ الناسِ؛ لأنه قابَلَ بينَ الجِنَّةِ والناسِ، فعُلِمَ أنَّ أحدَهما لا يَدْخُلُ في الآخَرِ.

فالصوابُ القولُ الثاني وهو أنَّ قولَه: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ بيانٌ للذي يُوَسْوِسُ، وأنهم نوعان إنسٌ وجِنٌّ، فالجِنِّيُّ يُوَسْوِسُ في صدورِ الإنْسِ، والإنسيُّ أيضًا يُوَسْوِسُ إلى الإنسيِّ، فالمُوَسْوِسُ نوعان: إنسٌ وجِنٌّ، فإنَّ الوَسوسةَ هي الإلقاءُ الخَفِيُّ في القَلْبِ وهذا مُشْتَرَكٌ بينَ الجِنِّ والإنْسِ، وإن كان إلقاءُ الإنسيِّ ووَسْوَسَتُه إنما هي بِواسِطَةِ الأُذُنِ، والجِنِّيُّ لا يَحتاجُ إلى تلك الواسِطَةِ؛ لأنه يَدخُلُ في ابنِ آدمَ ويَجري منه مَجرى الدَّمِ، على أنَّ الجِنِّيَّ قد يَتَمَثَّلُ له ويُوَسْوِسُ إليه في أُذُنِه كالإنسيِّ، كما في البخاريِّ، عن عُروةَ، عن عائشةَ، عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قالَ: «إِنَّ المَلَائِكَةَ تُحَدِّثُ فِي العَنَانِ - وَالعَنَانُ: الغَمَامُ- بِالأَمْرِ يَكُونُ فِي الأَرْضِ فَتَسْتَمِعُ الشَّيَاطِينُ الكَلِمَةَ فَتَقُرُّهَا فِي أُذُنِ الكَاهِنِ كَمَا تُقَرُّ القَارُورَةَ فَيَزِيدُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ» فهذه وَسوسةٌ وإلقاءٌ من الشيطانِ بواسِطَةِ الأُذُنِ.

ونظيرُ اشتراكِهما في هذه الوَسوسةِ اشتراكُهما في الوحيِ الشيطانيِّ، قالَ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

فالشيطانُ يُوحِي إلى الإنسيِّ باطِلَه ويُوحيهِ الإنسُ إلى إنسيٍّ مِثلِه فشياطينُ الإنْسِ والجِنِّ يَشتركان في الوَحْيِ الشيطانيِّ ويَشتركان في الوَسوسةِ.

وعلى هذا فتَزولُ تلك الإشكالاتُ والتَّعَسُّفاتُ التي ارْتَكَبَها أصحابُ القولِ الأوَّلِ. وتَدُلُّ الآيةُ على الاستعاذةِ من شَرِّ نَوْعَي الشياطينِ؛ شياطينِ الإنْسِ والجِنِّ.

وعلى القوْلِ الأوَّلِ إنما تَكونُ الاستعاذةُ من شَرِّ شياطينِ الجِنِّ فقط فتَأَمَّلْهُ، فإنه بَديعٌ جِدًّا). [بدائع الفوائد: ٢/٢٦٣-٢٦٦]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (وقولُه: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾﴾. هل يَخْتَصُّ هذا ببَنِي آدَمَ كما هو الظاهِرُ؟ أو يَعُمُّ بني آدَمَ والجِنَّ؟ فيه قولانِ، ويكونونَ قدْ دَخَلُوا في لفظِ الناسِ تَغْلِيباً.

وقالَ ابنُ جَريرٍ: وقَدِ استُعْمِلَ فيهم ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦]؛ فلا بدْعَ في إطْلاقِ الناسِ عليهم، وقولُه: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ هل هو تفصيلٌ لقولِه: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾؟ ثُمَّ بيَّنهم فقالَ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾.

وهذا يُقوِّي القولَ الثانيَ، وقيلَ: قولُه: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ تَفْسِيرٌ للذي يُوَسْوِسُ في صُدُورِ الناسِ مِن شَيَاطِينِ الإِنْسِ والجِنِّ، كما قالَ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]). [تفسير القرآن العظيم: ٣٩١٢/٨]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزَابادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (**أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ الثِّقَةُ ابْنُ المَأْمُونِ الهَرَوِيُّ قالَ: أَخْبَرَنَا أَبِي، قالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ، قال: أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللهِ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَمَّارُ بْنُ عَبْدِ المَجِيدِ الهَرَوِيُّ، قالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ السَّمَرْقَنْدِيُّ، عن مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنِ الكَلْبِيِّ، عن أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:** (﴿يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ فِي صُدُورِ الخَلْقِ). [تنوير المقباس: ٦٠٤]

قَالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (وَذَهَبَ قَوْمٌ: أَنَّ المُرَادَ بالناسِ هُنَا الجِنُّ، سُمُّوا بِذَلِكَ نَاسًا كَمَا سُمُّوا رِجَالا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجِنّ: ٦] وكَمَا سُمُّوا نَفرًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الأحْقافِ: ٢٩].

فعَلَى هَذَا يَكُونُ "وَالنَّاسِ" عَطْفًا عَلَى "الجِنَّةِ" وَيَكُونُ التَّكْرِيرُ لاخْتِلافِ اللَّفْظَيْنِ.

وقِيلَ: مَعْنَى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ أي: الوَسْوَسَةِ الَّتِي تَكُونُ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ، وهُوَ حَدِيثُ النَّفْسِ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- تَجَاوَزَ لأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ بِهِ»). [اللباب: ٥٨٠/٢٠]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (﴿فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ أي: المُضْطَرِبِينَ إذا غَفَلُوا عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ، فَإِنَّهَا دَهَالِيزُ القلوبِ، منها تَدْخُلُ الوَارِدَاتُ إليها، وَذلكَ كالقُوَّةِ الوَهْمِيَّةِ، فإنَّ العقلَ يُسَاعِدُ فِي المُقَدِّمَاتِ الحَقَّةِ المُنْتِجَةِ للأمرِ المقطوعِ بهِ، فإذا وَصَلَ الأمرُ إلى ذلكَ خَنَسَت الواهِمَةُ رَيْثَمَا يَفْتُرُ العَقْلُ عَنِ النَّتِيجَةِ فَتْرَةً مَا، فَتَأْخُذُ الوَاهِمَةُ فِي الوسوسةِ وَتَقْبَلُ مِنْهَا الطبيعةُ بما لَهَا بها مِنْ مجانسةِ الظلمةِ الوهميَّةِ وَالناس: قَالَ فِي القَامُوسِ: يَكُونُ مِنَ الإِنسِ وَمِن الجِنِّ، جَمْعُ إِنْسٍ أَصْلُهُ أُنَاسٌ جمعٌ عَزِيزٌ أُدْخِلَ عَلَيْهِ أل. انْتَهى.

وَلَعَلَّ إطلاقَهُ على هَذَيْنِ المُتَقَابِلَيْنِ بالنَّظَرِ إلى النَّوْسِ الذي أَصْلُهُ الاضطرابُ وَالتَّذَبْذُبُ فَيَكُونُ مَنْحُوتاً مِنَ الأَصْلَيْنِ: الأَنَسُ، وَالنَّوْسُ، وَمِن ثالثٍ وَهوَ النِّسْيَانُ). [نظم الدرر: ٦١٦/٨]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الإِيجِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت: ٩٠٥ هـ): (﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾: بيانُ (الَّذِي) أو الوَسْوَاسِ، قالَ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وعن بعضٍ: هو

بيانٌ للناسِ، والناسُ يَعُمُّهُما تَغْلِيبًا، أو يُطْلَقُ على الجنِّ أيضًا ناسٌ حقيقةً، أو لأنَّ المُرادَ مِنَ النَّاسِ الناسِي، ونِسيانُ حقِّ اللهِ يَعُمُّهما). [جامع البيان: ٤/٥٤٧- ٥٤٨]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (ويُقَالُ: رأسُهُ كرأسِ الحيَّةِ واضعٌ رأسَهُ على ثمرةِ القلبِ يَمَسُّهُ ويُحَدِّثُهُ فإذا ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى خَنَسَ ورجعَ ووضعَ رأسَهُ فذلكَ قولُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ﴾ أيْ: يُلقي المعاني الضارَّةَ على وجهِ الخفاءِ والتَّكرير.

﴿فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ أي: المُضْطَرِبِينَ إذا غَفَلُوا عنْ ذكرِ ربِّهم مِن غيرِ سماعٍ، وقَالَ مقاتلٌ: إنَّ الشَّيطانَ في صورةِ خنزيرٍ يُجْرِي إطاعتَهُ بكلامٍ خفيٍّ يَصِلُ مفهومُهُ إلى القَلبِ مِن غيرِ سماعِ صوتٍ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٦]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ﴾ أيِ: الجنِّ الَّذِين همْ في غايةِ الشَّرِّ والتمرُّدِ والخناسِ. ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ أيْ: أهلُ الاضطرابِ والذَّبْذَبَةِ بيانٌ للذي يُوسوِسُ على أنَّ الشَّيطانَ ضَرْبَانِ جِنِّيٌّ وإنسيٌّ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] ويجوزُ أنْ يكونَ بدلاً منَ الَّذِي يُوسوِسُ أيِ المُوَسْوَسُ منَ الجنِّ والإنسِ، وأنْ يكونَ حالاً منَ الضَّميرِ في يُوسوسُ أيْ: حالَ كونِهِ مِن هذينِ الجنسينِ، وَقِيلَ غيرُ ذلكَ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٦]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وذهبَ قومٌ إلى أنَّ المُرادَ بالنَّاسِ هنا الجنُّ سُمُّوا ناسًا كما سُمُّوا رجالاً في قولِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الجن: ٦] وكما سُمُّوا نفرًا في قولِهِ تَعَالَى: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الجن: ١] وكما سُمُّوا قومًا، نقلَ الفرَّاءُ عنْ بعضِ العربِ أنَّهُ قَالَ وهوَ يُحَدِّثُ: جاءَ قومٌ منَ الجنِّ فوقفوا فقيلَ: مَن أنتمْ؟ فقالوا: ناسٌ منَ الجنِّ، فعلى هَذَا يكونُ ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ عطفاً على الجِنَّةِ، ويكونُ التَّكريرُ لاختلافِ اللَّفظينِ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٦]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وَقِيلَ: إنَّ إبليسَ يُوسوسُ في صدورِ الجنِّ كما يوسوسُ في صدورِ النَّاسِ فعلى هَذَا يكونُ في صدورِ النَّاسِ عامًّا في الجميعِ، ومنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ بيانًا لِما يُوسوَسُ في صدورِهِم). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٦]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾: بَيَانٌ للَّذِي يُوَسْوِس عَلَى أَنَّهُ ضَرْبَانِ: جِنِّيٌّ وَإِنْسِيٌّ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]. أَوْ مُتَعَلِّقٌ بـ ﴿يُوَسۡوِسُ﴾؛ أَيْ: يُوَسْوِسُ فِي صَدْرِهِمْ مِنْ جِهَةِ الجِنِّ وَمِنْ جِهَةِ الإنسِ.

وَقَدْ جُوِّزَ أَنْ يَكُونَ بَيَاناً لِلنَّاسِ عَلَى أَنَّهُ يُطْلَقُ عَلَى الجِنِّ أَيْضاً حَسَبَ إطلاقِ النَّفَرِ والرِّجَالِ عَلَيْهِمْ، وَلا تَعْوِيلَ عَلَيْهِ، وَأَقْرَبُ مِنْهُ أَنْ يُرَادَ بالنَّاسِ النَّاسِي، وَيُجْعَلَ سُقُوطُ اليَاءِ كَسُقُوطِهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦]، ثُمَّ يُبَيِّنُ بالجِنَّةِ والنَّاسِ؛ فَإِنَّ كُلَّ فَرْدٍ مِنْ أفرادِ الفَرِيقَيْنِ مُبْتَلًى بِنِسْيَانِ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى إِلاَّ مَنْ تَدَارَكَهُ

شَوَافِعُ عِصْمَتِهِ وَتَنَاوَلَهُ واسِعُ رَحْمَتِهِ، عَصَمَنَا اللَّهُ تَعَالَى مِن الغَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِهِ، وَوَفَّقَنَا لأداءِ حُقُوقِ شُكْرِهِ). [إرشاد العقل السليم: ٢١٧/٧]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (ثمَّ بَيَّنَ سبحانَهُ الذي يُوَسْوِسُ بأَنَّهُ ضَرْبَانِ: جِنِّيٌّ، وَإِنْسِيٌّ، فَقَالَ: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾. أمَّا شيطانُ الجنِّ فَيُوَسْوِسُ في صدورِ الناسِ، وَأَمَّا شيطانُ الإنسِ فَوَسْوَسَتُهُ في صدورِ الناسِ أَنَّهُ يَرَى نفسَهُ كالناصحِ المُشْفِقِ فَيُوقِعُ في الصدرِ مِنْ كلامِهِ الذي أَخْرَجَهُ مخرجَ النصيحةِ ما يُوقِعُ الشيطانُ فيهِ بِوَسْوَسَتِهِ كما قَالَ سبحانَهُ: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقاً بِيُوَسْوِسُ أيْ: يُوَسْوِسُ في صدورِهِم مِنْ جهةِ الجِنَّةِ وَمن جهةِ الناسِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَيَاناً للناسِ.

قَالَ الرازيُّ: وَقالَ قومٌ: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾ قِسْمَانِ مُنْدَرِجَانِ تحتَ قولِهِ: ﴿فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥﴾؛ لأَنَّ القدرَ المُشْتَرِكَ بينَ الجنِّ وَالإنسِ يُسَمَّى إنساناً، وَالإنسانُ أيضاً يُسَمَّى إِنْسَاناً، فيكونُ لفظُ الإنسانِ وَاقِعاً على الجنسِ وَالنوعِ بالاشتراكِ.

وَالدليلُ على أنَّ لفظَ الإنسانِ يَنْدَرِجُ فيهِ لفظُ الإنسِ وَالجنِّ ما رُوِيَ أَنَّهُ جاءَ نفرٌ مِنَ الجنِّ فَقِيلَ لهم: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: ناسٌ مِنَ الجنِّ. وَأيضاً قدْ سَمَّاهُمُ اللَّهُ رِجَالاً في قولِهِ: [الجن: ٦] ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾. وَقيلَ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ المرادُ ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾ مِن ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤﴾ ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥﴾ و ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾. كَأَنَّهُ اسْتَعَاذَ رَبَّهُ مِنْ ذلكَ الشيطانِ الواحدِ، ثمَّ اسْتَعَاذَ بِرَبِّهِ مِنْ جميعِ الجِنَّةِ وَالناسِ.

وَقيلَ: المرادُ بالناسِ النَّاسِي، وَسَقَطَتِ الياءُ كَسُقُوطِهَا في قولِهِ: [القمر: ٦] ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾.

ثمَّ بُيِّنَ بالجِنَّةِ وَالنَّاسِ؛ لأنَّ كلَّ فردٍ مِنْ أفرادِ الفريقَيْنِ في الغالبِ مُبْتَلًى بالنسيانِ.

وَأَحْسَنُ مِنْ هذا أنْ يكونَ قولُهُ: ﴿وَالنَّاسِ﴾ مَعْطُوفاً على الوَسْوَاسِ؛ أيْ: مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ وَمِن شرِّ الناسِ، كأَنَّهُ أُمِرَ أنْ يَسْتَعِيذَ مِنْ شرِّ الجنِّ وَالإنسِ.

قَالَ الحسنُ: أَمَّا شَيْطَانُ الجنِّ فَيُوَسْوِسُ في صدورِ الناسِ، وَأَمَّا شيطانُ الإنسِ فَيَأْتِي عَلانِيَةً.

وَقالَ قتادةُ: إنَّ مِنَ الجنِّ شَيَاطِينَ وَإنَّ مِنَ الإنسِ شَيَاطِينَ، فَنَعُوذُ باللَّهِ مِنْ شياطينِ الجنِّ وَالإنسِ، وَقيلَ: إنَّ إبليسَ يُوَسْوِسُ في صدورِ الجنِّ كما يُوَسْوِسُ في صدورِ الإنسِ، وَواحدُ الجِنَّةِ جِنِّيٌّ كما أَنَّ وَاحِدَ الإنسِ إِنْسِيٌّ، وَالقولُ الأَوَّلُ هُوَ أَرْجَحُ هذهِ الأقوالِ وَإِنْ كانَ وَسْوَسَةُ الإنسِ في صدورِ الناسِ لا تَكُونُ إلاَّ بالمعنَى الذي قَدَّمْنَا، وَيكونُ هذا البيانُ تَذْكِيرَ الثَّقَلَيْنِ للإرشادِ إلى أنَّ مَنِ اسْتَعَاذَ باللَّهِ مِنْهُمَا ارْتَفَعَتْ عنهُ مِحَنُ الدنيا وَالآخرةِ). [فتح القدير: ٧٦٣/٥- ٧٦٤]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾ بيانٌ للذي يُوَسْوِسُ على أنه ضَربانِ جِنِّيٌّ وإنسيٌّ، كما قالَ تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] أو مُتَعَلِّقٌ

بيُوسوسُ، ومِن لابتداءِ الغايةِ أي: يُوَسوسُ في صدورِهم مِن جِهةِ الجنِّ مِثلَ أن يُلْقِيَ في قلبِ المرءِ مِن جِهتِهم أنهم يَنفعون ويَضُرُّون، ومِن جِهةِ الناسِ مِثلَ أن يُلقِيَ في قلبه مِن جِهةِ المنجِّمينَ والكُهَّانِ أنهم يَعلَمُونَ الغيبَ، وجُوِّزَ فيه الحاليَّةُ مِن ضميرِ يُوسْوِسُ والبَدَلِيَّةُ مِن قولِه تعالى: ﴿مِن شَرِّ﴾ بإعادةِ الجارِّ وتقديرِ المضافِ، والبَدَلِيَّةُ مِن الوَسواسِ على أنَّ مِن تَبعيضيَّةٌ.

وقالَ الفرَّاءُ وجماعةٌ: هو بيانٌ للناسِ بِناءً على أنه يُطْلَقُ على الجنِّ أيضًا فيُقالُ كما نُقِلَ عن الكلبيِّ: ناسٌ مِن الجنِّ، كما يقالُ: نَفَرٌ، ورجالٌ منهم، وفيه أنَّ المعروفَ عندَ الناسِ خِلافُه مع ما في ذلك مِن شَبَهٍ جَعْلِ قِسْمِ الشيءِ قَسِيمًا له، ومثلُه لا يُناسِبُ بلاغةَ القرآنِ وإن سُلِّمَ صِحَّتُه، وتُعُقِّبَ أيضًا بأنه يَلزَمُ عليه القولُ بأنَّ الشيطانَ يُوسوسُ في صدورِ الجنِّ كما يُوسوسُ في صدورِ الإنسِ ولم يَقُمْ دليلٌ عليه، ولا يَجوزُ جَعلُ الآيةِ دَليلاً لما يَخفَى، وأقربُ منه على ما قيلَ أن يُرادَ بالناسِ الناسِي بالياءِ مِثلُه في قراءةِ بعضِهم: (مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسِ) بالكسْرِ، ويُجْعَلُ سقوطُ الياءِ كسقوطِها في قولِه تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ ثم يُبيِّنُ بالجنَّةِ والناسِ، فإنَّ كلَّ فردٍ مِن أفرادِ الفريقينِ مُبْتَلًى بنسيانِ حقِّ اللهِ تعالى إلا مَن تَداركَه شَوافِعُ عِصْمَتِه، وتناوَلَه واسعُ رحمتِه جَعَلَنا اللهُ مِمَّن نالَ مِن عِصمتِه الحظَّ الأوْفَى، وكالَ له مَولاه مِن رحمتِه فأَوْفَى). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٧]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (ثُمَّ بَيَّنَ سبحانَهُ الذي يُوَسْوِسُ بأَنَّهُ ضَرْبَانِ جِنِّيٌّ وإِنْسِيٌّ فَقَالَ: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾.

أَمَّا شيطانُ الجنِّ فَيُوَسْوِسُ في صدورِ الناسِ، وَأَمَّا شيطانُ الإنسِ فَوَسْوَسَتُهُ في صدورِ الناسِ أَنَّهُ يَرَى نفسَهُ كالناصحِ المُشْفِقِ فَيُوقِعُ في الصدرِ مِنْ كلامِهِ الذي أَخْرَجَهُ مَخْرَجَ النصيحةِ ما يُوقِعُ الشيطانُ فيهِ بِوَسْوَسَتِهِ كما قَالَ سبحانَهُ: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]. وَيَجُوزُ أَنْ يكونَ مُتَعَلِّقاً بـ ﴿يُوَسْوِسُ﴾ أيْ: يُوَسْوِسُ في صدورِهِم مِنْ جهةِ الجِنَّةِ وَمن جهةِ الناسِ، وَيَجُوزُ أَنْ يكونَ بَيَاناً للناسِ.

قالَ الرَّازيُّ: وَقَالَ قَوْمٌ: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ قِسْمَانِ مُنْدَرِجَانِ تحتَ قولِهِ: ﴿فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾﴾. لأنَّ القدرَ المشتركَ بينَ الجنِّ وَالإنسِ سُمِّيَ إِنْسَاناً، وَالإنسانُ أيضًا سُمِّيَ إِنْسَاناً، فَيَكُونُ لفظُ الإنسانِ وَاقِعاً على الجنسِ وَالنوعِ بالاشتراكِ.

والدليلُ على أنَّ لفظَ الإنسانِ يَنْدَرِجُ فيهِ لفظُ الإنسِ وَالجنِّ ما رُوِيَ أَنَّهُ جاءَ نَفَرٌ مِنَ الجنِّ، فَقِيلَ لهم: مَنْ أَنْتُمْ؟ قالُوا: نَاسٌ مِنَ الجنِّ.

وَأيضاً قدْ سَمَّاهُم اللَّهُ تَعَالَى رِجَالاً في قولِهِ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ٦].

وَقِيلَ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ المرادُ أَعُوذُ بِرَبِّ الناسِ مِنَ الوسواسِ الخَنَّاسِ الذي يُوَسْوِسُ في صدورِ الناسِ وَمِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ، كأَنَّهُ اسْتَعَاذَ رَبَّهُ مِنْ ذلكَ الشيطانِ الواحدِ ثمَّ اسْتَعَاذَ بِرَبِّهِ مِنْ جميعِ الجِنَّةِ وَالناسِ.

وَقِيلَ: المرادُ بـ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ النَّاسِي، وَسَقَطَتِ الياءُ كَسُقُوطِهَا فِي قولِهِ: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القَمَرُ: ٦]. ثمَّ بَيَّنَ بـ ﴿ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾؛ لأنَّ كُلَّ فردٍ مِنْ أفرادِ الفَرِيقَيْنِ فِي الغالبِ مُبْتَلًى بالنسيانِ.

وأحسنُ مِنْ هَذَا أنْ يكونَ قولُهُ: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ مَعْطُوفاً على ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ أيْ: مِنْ شرِّ الوَسْوَاسِ وَمِنْ شَرِّ النَّاسِ، كأنَّهُ أُمِرَ أنْ يَسْتَعِيذَ مِنْ شَرِّ الجِنِّ وَالإنسِ، قَالَ الحسنُ: أمَّا شيطانُ الجنِّ فَيُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مُبَاشَرَةً، وأمَّا شيطانُ الإنسِ فَيَأْتِي عَلانِيَةً.

وقَالَ قَتَادَةُ: إنَّ مِنَ الجنِّ شَيَاطِينَ، وَإنَّ مِنَ الإنسِ شياطينَ، فَنَعُوذُ باللَّهِ مِنْ شياطينِ الجنِّ وَالإنسِ، وَقِيلَ: إنَّ إبليسَ يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ الإنسِ. وَوَاحِدُ الجِنَّةِ جِنِّيٌّ، كَمَا أَنَّ وَاحِدَ الإنسِ إنْسِيٌّ، وَالقولُ الأوَّلُ هُوَ أَرْجَحُ هَذِهِ الأقوالِ وَإنْ كانَ وَسْوَسَةُ الإنسِ فِي صُدُورِ النَّاسِ لا تَكُونُ إلاَّ بالمَعْنَى الذي قَدَّمْنَا، وَيَكُونُ هَذَا البَيَانُ تَذَكُّرَ الثَّقَلَيْنِ للإرشادِ إلى أنَّ مَنِ اسْتَعَاذَ باللَّهِ مِنْهُمَا ارْتَفَعَتْ عَنْهُ مِحَنُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ). [فتح البيان: ١٥/٤٦٧- ٤٦٩]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾، أيْ: فِي قُلُوبِ الغَافِلِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وسُقُوطُ اليَاءِ عَنِ النَّاسِ كَسُقُوطِهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القَمَرُ: ٦].

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بَيَانٌ للنَّاسِي عَنْ ذِكْرِ اللهِ فإنهما النَّوْعَانِ المَوْصُوفَانِ بِنِسْيَانِ حَقِّ اللهِ تَعَالَى، وعَلَى هَذَا لا يُحْتَاجُ إِلَى تَكَلُّفِ بَعْضِ العُلَمَاءِ مِنْ جَعْلِ قَوْلِهِ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ بَيَانًا لِلْوَسْوَاسِ، وجَعْلِ قَوْلِهِ: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ عَطْفًا عليه، فكَأَنَّهُ قِيلَ: مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ، وهو الجِنُّ ومِنْ شَرِّ النَّاسِ اهـ. ومن جَعْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ عَطفًا عَلَى ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ بتَقْدِيرِ حَرْفِ العَطْفِ. فالمَعْنَى: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنَ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ ومِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ، كَأَنَّهُ اسْتَعَاذَ بِرَبِّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الوَاحِدِ، ثُمَّ اسْتَعَاذَ بِرَبِّهِ مِنْ جَمِيعِ الجِنَّةِ والنَّاسِ). [مراح لبيد: ٢/٦٨٤]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المصريُّ(ت: ١٣٢٣هـ): (وقد وَصَفَ اللهُ الوَسْوَاسَ الخَنَّاسَ بقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ مِنَ الجِنَّةِ والناسِ بَيَانُ الذي يُوَسْوِسُ، أو بَيَانُ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ.

فالمُوَسْوِسونَ قِسْمانِ؛ قِسْمُ الجِنَّةِ، وهمُ الخَلْقُ المُسْتَتِرونَ الّذينَ لا نَعْرِفُهم، وإنَّمَا نَجِدُ في أَنْفُسِنا أَثَرًا يُنْسَبُ إليهم، ولِكُلِّ واحِدٍ مِنَ النَّاسِ شَيْطانٌ، وهي قُوَّةٌ نازِعَةٌ إلى الشَّرِّ يَحْدُثُ منها في نَفْسِهِ خَواطِرُ السُّوءِ، وإنَّمَا جَعَلَ الوَسْوَسَةَ في الصُّدُورِ على ما عُهِدَ في كَلامِ العَرَبِ من أنَّ الخَواطِرَ في القَلْبِ، والقَلْبُ مِمَّا حَواهُ الصَّدْرُ عندَهم.

وكَثِيرًا ما يُقالُ: إنَّ الشَّكَّ يَحُوكُ في صَدْرِهِ، وما الشَّكُّ إلاَّ في نَفْسِهِ وعَقْلِهِ، وأَفاعِيلُ العَقْلِ في المُخِّ، وإنْ كانَ يَظْهَرُ لها أَثَرٌ في حَرَكاتِ الدَّمِ وضَرَباتِ القَلْبِ وضِيقِ الصَّدْرِ أو انْبِساطِهِ، وكُلُّ ما أَوْرَدُوهُ في خُرْطومِ الشَّيْطانِ وخَطْمِهِ ومِنْقارِهِ وجُثُومِهِ على الصَّدْرِ أو القَلْبِ ونَحْوِ ذلك، فهو مِنَ التَّمْثِيلِ والتَّصْوِيرِ، وإلاَّ فلْيَجْعَلوا مِثْلَ

ذلك للقِسْمِ الثَّانِي مِنَ الوَسْواسِ أو المُوَسْوِسِينَ، وهمُ النَّاسُ، فإنَّ اللهَ نَسَبَ الوَسْوَسَةَ إليهم على السَّواءِ فقالَ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ فليكُنْ للنَّاسِ الَّذين يُوَسْوِسونَ في صُدورِ النَّاسِ خُرْطُومٌ وخَطْمٌ ومِنْقارٌ يَدْخُلُ في الصُّدُورِ ويُوضَعُ على أُذُنِ القَلْبِ، فإذا ذُكِرَ اللهُ خَنَسَ الخُرْطومُ كما ذَكَروهُ في الجِنَّةِ، ولكِنَّهم يُكْثِرونَ الوَصْفَ ويَخْتَرِعونَ ما يَشاءُونَ بأَوْهامِهم فيما لا يَراهُ النَّاسُ وإنْ كانوا لا يَعْقِلُونَهُ، ويَجْتَرِئونَ على الغَيْبِ فيَذْكُرونَ من شُئُونِهِ ما اسْتَأْثَرَ اللهُ بعِلْمِهِ، ثُمَّ لا يَكْفِيهم ذلك حتى يَخْتَرِعوا مِنَ الأَحادِيثِ ما يُسْنِدُ أَوْهامَهم ويَنْسُبونَ إلى السَّلَفِ ما يَظُنُّونَ أَنَّهُ يُقَوِّي مَزاعِمَهم، واللهُ يَشْهَدُ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ والسَّلَفَ الصَّالِحَ بَراءٌ مِمَّا يُنْسَبُ إليهم من ذلك كُلِّهِ، وإنَّمَا هو من اخْتِراعِ مَن لم يَرْضَ لنَفْسِهِ أنْ يَقْتَرِفَ جَرِيمَةً واحِدَةً جَرِيمَةَ الجُرْأَةِ على الغَيْبِ بوَهْمِهِ حتى يَضُمَّ إلى ذلك جَرِيمَةَ الكَذِبِ على رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وسَلَفِ الأُمَّةِ، أولئك الَّذين إذا انْجَرَّ القَوْلُ بهم إلى ما يَعْرِفُهُ النَّاسُ ويُمَكِّنُهم أنْ يُكَذِّبوهم فيه سَكَتوا سُكوتَ البُكْمِ، ولَجَئُوا إلى سِلاحِهم الَّذي يَشْرَعونَهُ في وُجوهِ الجُبَناءِ، وقالوا: هكذا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ، كأنَّ السُّنَّةَ عندهم مَذْهَبٌ جِسْمانِيٌّ مَحْضٌ لا شائِبَةَ مِنَ الرَّوْحانِيَّةِ فيه، وافْتَرَوْا على أَهْلِ السُّنَّةِ وهمُ السَّلَفُ ما لا يَعْرِفونَهُ، وماذا عليهم لو أَخَذُوا السُّنَّةَ والكِتابَ ونَظَروا إلى الدِّينِ جُمْلَةً وفَسَّروا بَعْضَ نُصُوصِهِ ببَعْضٍ كما هو الواجِبُ على المُسلِمِ الذي يُؤمِنُ بالكِتابِ كُلِّهِ، وليس مِنَ الذين يُؤمِنُونَ ببَعْضِ الكِتابِ ويَكْفُرونَ ببَعضٍ؟

نَعُوذُ باللهِ مِنَ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ الذي يُوَسْوِسُ في صدورِ الناسِ مِنَ الجِنَّةِ والناسِ. واللهُ أَعْلَمُ). [تفسيرُ جُزءِ عَمَّ: ١٨٩- ١٩٠]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (وقولُهُ تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بيانٌ للذي يُوَسْوِسُ، على أَنَّهُ ضَرْبانِ: ضَرْبٌ مِن الجِنَّةِ، وهم الخلْقُ المُسْتَتِرونَ الذينَ لا نَعرِفهم، وإنَّما نَجِدُ في أنْفُسِنا أثراً يُنْسَبُ إليهم، وضَرْبٌ مِن الإنسِ؛ كالمُضَلِّلِينَ مِنْ أفرادِ الإنسانِ، كما قالَ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، وإيحاؤُهم هوَ وَسْوَسَتُهم.

قالَ ابنُ تَيْمِيَّةَ: فإنْ قِيل: فإنْ كانَ أصلُ الشرِّ كُلِّهِ مِن الوَسواسِ الخَنَّاسِ، فلا حَاجَةَ إلى ذِكرِ الاستعاذةِ مِنْ وَسواسِ الناسِ؛ فإنَّهُ تابعٌ لوَسواسِ الجِنِّ.

قيلَ: بل الوَسوسةُ نَوْعَانِ: نوعٌ مِن الجِنِّ، ونوعٌ مِنْ نُفوسِ الإنْسِ، كما قالَ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦]، فالشرُّ مِن الجهتَيْنِ جَميعاً، والإنْسُ لهم شياطينُ كما للجِنِّ شياطينُ.

وقالَ أيضاً: الذي يُوسوسُ في صُدورِ الناسِ نفْسُهُ لنَفْسِهِ، وشياطينُ الجِنِّ وشياطينُ الإنْسِ، فليسَ مِنْ شَرْطِ المُوَسْوِسِ أنْ يكونَ مُسْتَتِراً عن البَصَرِ، بلْ قدْ يُشَاهَدُ). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٨٠]

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (وَقَدْ وَصَفَ اللهُ هَذَا الوَسْوَاسَ الخَنَّاسَ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ أَيْ إِنَّ هَذَا الوَسْوَاسَ الخَنَّاسَ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ البَشَرِ، قد يَكُونُ مِنَ الجِنَّةِ وَقَدْ يَكُونُ مِنَ النَّاسِ، كما جاء فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا

﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] فَشَيْطَانُ الجِنِّ قد يُوَسْوِسُ تَارَةً وَيَخْنُسُ أُخْرَى، وشَيْطَانُ الإنْسِ كذلك، فَكَثِيرًا ما يُرِيكَ أنه نَاصِحٌ شَفِيقٌ، فإذا زَجَرْتَهُ خَنَسَ وَتَرَكَ هَذِهِ الوَسْوَسَةَ، وَإِذَا أَصْغَيْتَ إِلَى كَلامِهِ اسْتَرْسَلَ واسْتَمَرَّ فِي حَدِيثِهِ وبَالَغَ فِيهِ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّمَ أنه قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا ما لم تَعْمَلْ أو تَتَكَلَّمْ بِهِ» رَوَاهُ أَبو هُرَيْرَةَ وَخَرَّجَهُ مُسْلِمٌ. [تفسير المراغي: ٣٠/٢٧١]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (قَالَ الأُسْتَاذُ الإمَامُ: المُوَسْوِسُونَ قِسْمَانِ:

(١) قِسْمُ الجِنَّةِ، وَهُم الخَلْقُ المُسْتَتِرُونَ الَّذِينَ لا نَعْرِفُهُمْ، وإنما نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا أَثَرًا يُنْسَبُ إِلَيْهِم، ولِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ شَيْطَانٌ، وَهِيَ قُوَّةٌ نَازِعَةٌ إِلَى الشَّرِّ ويَحْدُثُ مِنْهَا فِي نَفْسِهِ خَوَاطِرُ السُّوءِ.

(٢) قِسْمُ النَّاسِ، وَوَسْوَسَتُهُمْ ما نُشَاهِدُهُ وَنَرَاهُ بِأَعْيُنِنَا، وَنَسْمَعُهُ بِآذَانِنَا.

وما أَوْرَدُوهُ فِي خُرْطُومِ الشَّيْطَانِ وَخَطْمِهِ وَمِنْقَارِهِ وَجُثُومِهِ عَلَى الصَّدْرِ أو عَلَى القَلْبِ ونَحْوِ ذلك - فَهُوَ مِن قَبِيلِ التَّمْثِيلِ والتَّصْوِيرِ. اهـ مُلَخَّصًا). [تفسير المراغي: ٣٠/٢٧١-٢٧٢]

قَالَ عَطِيَّةُ مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (وفي لفْظِ الناسِ هنا المُضافِ إليه الصدورُ اختلافٌ في المُرادِ منه؛ فقِيلَ: الإنْسُ الظاهِرُ الاستعمال.

وقيلَ: الثَّقَلانِ؛ الإنْسُ والجِنُّ.

وإنَّ إطلاقَ الناسِ على الجِنْسِ مَسموعٌ كما حَكَاهُ القُرطبيُّ، قالَ عن بعْضِ العرَبِ: إنَّه كانَ يُحَدِّثُ فجاءَ قومٌ مِن الجِنِّ فوَقَفُوا فقِيلَ: مَن أنتم؟ فقالوا: ناسٌ مِن الجِنِّ. وهذا مَعْنَى قولِ الفرَّاءِ.

واسْتَدَلَّ صاحِبُ هذا القولِ بطَريقِ القِياسِ باستعمالِ لفْظِيْ: رجالٍ ونَفَرٍ في قَوْلِه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الجن: ٦]، وقوله: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

وعليه يكونُ الوَسْوَاسُ المُستعاذُ منه يُوَسْوِسُ في صُدورِ الجِنِّ والإنْسِ.

وقد ذَكَرَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ هذا الوَجْهَ: ولكنَّه رَدَّهُ وضَعَّفَه؛ لأنَّ لفْظَ الناسِ أظْهَرُ وأَشْهَرُ في الإنْسِ، وهو المعروفُ في استعمالِ القرآنِ، ولأنه على هذا يكونُ قَسيمُ الشيءِ قِسْماً منه؛ لأنه يَجْعَلُ الناسَ قَسِيمَ الجِنِّ ويَجْعَلُ الجِنَّ نَوْعاً مِن الناسِ. اهـ ملَخَّصاً.

وعلى كُلٍّ فإنَّ مَنْهَجَ الأضواءِ أنَّ ما كانَ مُحْتَمَلاً، وكانَ أكثَرُ استعمالاتِ القرآنِ لأحَدِ الاحتمالينِ؛ فإنَّ كَثرةَ استعمالِه إيَّاهُ تَكونُ مُرَجِّحاً، وجَميعُ استعمالاتِ القرآنِ للفْظِ (الناس) إنَّما هو في خُصوصِ الإنْسِ فقَطْ، ولم تُسْتَعْمَلْ ولا مَرَّةً واحدةً في حَقِّ الجِنِّ مع مُراعاةِ استعمالِها في هذه السُّورَةِ وَحْدَها خَمْسَ مَرَّاتٍ، حتَّى سُمِّيَت سُورَةَ الناسِ.

أمَّا القِياسُ على لَفْظَتَيْ رَجُلٍ ونَفَرٍ، فقَدْ رَدَّهُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ أيضاً بأنَّهما وَرَدَا مُقَيَّدَيْنِ: (رِجَالٍ مِنَ الجِنِّ)، ﴿نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

أمَّا على الإطلاقِ فلم يَرِدا، وهكذا لفظُ الناسِ فلا مانِعَ مِن استعمالِه مُقَيَّداً: نَاسٌ مِن الجِنِّ، أمَّا على الإطلاقِ فلا.

وعليه فحيثُ وَرَدَ لفْظُ الناسِ هنا مُطْلَقاً فلا يَصِحُّ حَمْلُه على الجِنِّ والإنْسِ معاً، بل يكونُ خاصًّا بالإنْسِ فقط، ويكونُ في صُدُورِ الناسِ؛ أيْ: في صُدُورِ الإنْسِ.

وقد ذَكَرَ أبو السُّعودِ مَعْنًى آخَرَ في لفْظِ النَّاسِ، وهو أنَّ الناسِيَ من النِّسيانِ، حُذِفَتِ الياءُ تَخفيفاً؛ لأنَّ الوَسواسَ لا يُوَسْوِسُ إلاَّ في حِينِ النِّسيانِ والغَفْلَةِ.

وعليه يكونُ حَذْفُ الياءِ كحَذْفِها مِن "الداعِ" في قولِه: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] ونحوِه.

ولكنْ يَبْقَى على هذا القولِ بيانُ مَن المُرادُ بالناسي، أهُوَ مِن الإنْسِ أمْ مِن الجِنِّ؟ فلم يَخْرُجْ عن الاحتماليْنِ السابقيْنِ، معَ أنَّ هذا القولَ مِن لَوازِمِ معنَى الوَسواسِ الخَنَّاسِ.

ويَرُدُّ على هذا القولِ: جَمْعُ الصُّدورِ وإفرادُ الناسِ، والجَمْعُ لا يُضافُ إلاَّ إلى جَمْعٍ؛ أي: جَمْعِ الصدورِ؛ لأنَّ الفرْدَ ليسَ له جَمْعٌ مِن الصدورِ، فيُقَابِلُ الجمْعَ بجَمْعٍ، أو يَكْتَفِي لِلْمُفْرَدِ بمُفْرَدٍ.

وقد جاءَ في إضافةِ الجَمْعِ إلى المُثَنَّى في قولِه: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤].

قالَ أبو حَيَّانَ وحَسَّنَه: إنَّ المُثَنَّى جَمْعٌ في المعنَى، والجَمْعُ في مِثْلِ هذا أكْثَرُ استعمالاً مِن المُثَنَّى والتثنيةِ دُونَ الجَمْعِ.

كما قالَ الشاعِرُ:

فتَخَالَسَا نَفْسَيْهِمَا بنَوَافِذٍ كنوافِذِ العُبُطِ التي لا تُرْقَعُ

وهذا كانَ القِياسَ؛ وذلك أنَّ المُعَبَّرَ عن المُثَنَّى بالمُثَنَّى، لكِنْ كَرِهُوا اجتماعَ تَثْنِيَتَيْنِ، فعَدَلُوا إلى الجَمْعِ بأنَّ التثنيةَ جَمْعٌ في المعنَى، والإفرادُ لا يَجوزُ عندَ أصحابِنا إلاَّ في الشِّعْرِ.

كقولِه:

❖ حَمَامَةَ بَطْنِ الوَادِيَيْنِ تَرَنَّمِي ❖

يُريدُ "بَطْنَي"، وغَلَّطَ ابنَ مالِكٍ في التسهيلِ؛ إذ قالَ: ونَختارُ الإفرادَ على لَفْظِ التَّثنيةِ. فتَراهُ غَلَّطَ ابنَ مالِكٍ في اختيارِه جَوازَ إضافةِ الجمْعِ إلى المُفْرَدِ، كما أنَّه قالَ: ولا يَجُوزُ ذلك إلاَّ في الشِّعْرِ، وأنَّه معَ المُثَنَّى لكَراهِيَةِ اجتماعِ التثنيتيْنِ، فظَهَرَ بُطلانُ قولِ أبي السُّعودِ.

أمَّا الراجِحُ في الوجهيْنِ في معنَى الناسِ المُتَقَدِّمِ ذِكْرُهما فهو الوجْهُ الأوَّلُ، وهو أنَّهم الإنْسُ، وأنَّ قَوْلَه تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بيانٌ لِمَنْ يَقومُ بالوَسوسةِ؛ أي: بيانٌ للوَسواسِ الخَنَّاسِ، وأنَّه مِن كلٍّ مِن وَسواسِ الجِنَّةِ ووَسواسِ الناسِ.

ويَظْهَرُ ذلك مِن أُمُورٍ:

منها: أنَّ الخِطَابَ للرسولِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ ولأُمَّتِه تَبَعاً له، فهو في حَقِّ الناسِ أظْهَرُ.

ومِنها: أنّنا لو جعَلْنَا "النَّاسِ" الأُولَى عامَّةً لِمَنْ يُوَسْوَسُ إليه كانَ ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ مَصْدَرَ الوَسوسةِ، فيكونُ مِن وَسواسِ الناسِ مَن يُوَسْوِسُ في صُدورِ الجِنِّ، وهذا بَعيدٌ.

ومنها: أنَّه لو كانَ لفظُ الناسِ يَشْمَلُ الجِنَّ والإنْسَ لَمَا احْتِيجَ إلى هذا التقسيمِ؛ الجِنَّةِ والناسِ، واكْتَفَى في الثانيةِ بما اكْتَفَى به في الأُولَى، وكانَ يكونُ الذي يُوَسْوِسُ في صُدورِ الناسِ مِن الناسِ، ولكنْ جاءَ بيانُ مَحَلِّ الوَسوسةِ: ﴿صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾، ثم جاءَ مَصدرُ الوَسوسةِ: ﴿ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾. واللَّهُ تعالى أعْلَمُ). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٦٣]

هل يُوسْوَسُ إلى الجِنِّ؟

قالَ هُودُ بْنُ مُحَكَّمٍ الهوَّارِيُّ (ت: ق٣): (قالَ بَعْضُهم: بَلَغَنَا أنَّ الشياطينَ تُوَسْوِسُ إلى الجِنِّ مِنْ غَيْرِ الشياطينِ كَمَا تُوَسْوِسُ إلى الناسِ). [تفسير كتاب الله العزيز: ٤/٥٤٥]

قالَ أبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾. يعني: يَدخُلُ في صُدورِ الجِنِّ كما يَدخُلُ في صُدورِ الإنْسِ، ويُوَسْوِسُ لهم. ويُقالُ: ﴿ٱلنَّاسِ﴾ في هذا المَوضِعِ يَصلُحُ للجِنِّ والإنْسِ؛ فإذا أرادَ به الجِنَّ فمَعناه يُوَسْوِسُ في صُدورِ المؤمنينَ الذين هُمْ جِنٌّ). [بحر العلوم: ٣/٥٢٨] (م)

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ يعني وفي صُدورِ الجِنَّةِ؛ يُدْخِلُ في الجِنِّيِّ ما يُدْخِلُ في الإنْسِيِّ، قالَه الكلبيُّ). [الكشف والبيان: ١٠/٣٤١]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ يعني: يُدْخِلُ في الجِنِّيِّ كما يُدْخِلُ في الإنْسِيِّ ويُوسوِسُ للجِنِّيِّ كما يُوَسْوِسُ للإنسيِّ، قالَه الكلبيُّ). [معالم التنزيل: ٧٢٧]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وقِيلَ: إنَّ إبليسَ يُوَسْوِسُ في صدورِ الجِنِّ، كما يُوَسْوِسُ في صدورِ الناسِ.

فعلى هذا يكونُ ﴿فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ عامًّا في الجَميعِ. و ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بيانٌ لما يُوَسْوَسُ في صَدْرِهِ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٦٤]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وَقِيلَ: إنَّ إبليسَ يُوسوسُ في صدورِ الجِنِّ كما يوسوسُ في صدورِ النَّاسِ فعلى هَذَا يكونُ في صدورِ النَّاسِ عامًّا في الجميعِ، ومنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ بيانًا لما يُوسوِسُ في صدورِهم). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَقِيلَ: إنَّ إبليسَ يُوَسْوِسُ في صدورِ الجنِّ كما يُوَسْوِسُ في صدورِ الإنسِ). [فتح القدير: ٥/٧٦٤]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ سُلَيْمَانَ الأَشْقَرُ (ت:١٤٣٠هـ): (وَقِيلَ: إِنَّ إِبْلِيسَ يُوَسْوِسُ فِي صدورِ الجِنِّ كَمَا يُوَسْوِسُ فِي صدورِ الإنسِ). [زبدة التفسير: ٦٠٤]

هل في الإنس شياطين؟

قالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت: ٢١١هـ): (عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)﴾ قَالَ: إِنَّ مِنَ النَّاسِ شَيَاطِينَ، وَمِنَ الجِنِّ شَيَاطِينَ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ)). [تفسير عبد الرزاق: ٢/٤١٠]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (ورُوِيَ عن الحسَنِ البَصْرِيِّ في قولِه تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)﴾ قالَ: إنَّ مِنَ الناسِ شَياطِينَ؛ فتَعَوَّذُوا باللهِ مِنَ الشياطينِ. يعني: شَياطينَ الجنِّ والإِنْسِ. وقالَ: هما شَيطانانِ: فأمَّا شَيطانُ الجنِّ فيُوَسْوِسُ في صُدورِ الناسِ، وأمَّا شَيطانُ الإنْسِ فإنه عَلانيَةٌ). [بحر العلوم: ٣/٥٢٨]

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (قالَ قَتَادَةُ: إنَّ مِن الإنسِ شَياطِينَ، وإنَّ مِن الجنِّ شياطِينَ، فنَعُوذُ باللَّهِ مِن شياطِينِ الإنْسِ والجِنِّ). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٩]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (قالَ بعضُهم: أَثْبَتَ أنَّ الوَسواسَ للإنسانِ من الإنسانِ كالوَسوسةِ للشيطانِ، فجَعَلَ "الوَسواسَ" من فِعْلِ الجِنَّةِ والناسِ جميعًا، كما قالَ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] كأنه أَمَرَ أن يَستعيذَ من شَرِّ الجنِّ والإنْسِ جميعًا). [معالم التنزيل: ٧٢٧- ٧٢٨]

قالَ عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (وقالَ قَتَادَةُ رَحِمَه اللَّهُ تعالى: إنَّ مِنَ الناسِ شياطينَ، ومِن الجنِّ شياطينَ، فتَعَوَّذُوا باللَّهِ عَزَّ وجَلَّ مِن شياطينِ الإنسِ والجِنِّ). [المحرر الوجيز: ١٥/٦١٥]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (قالَ الحَسَنُ: هما شَيْطَانَانِ؛ أمَّا شيطانُ الجِنِّ فيُوَسْوِسُ في صدورِ الناسِ، وأمَّا شيطانُ الإنسِ فيأتِي عَلانيَةً.

وقالَ قَتادَةُ: إنَّ مِن الجِنِّ شَيَاطِينَ، وإنَّ مِن الإنسِ شياطينَ؛ فتعوَّذْ باللهِ مِن شياطينِ الإنسِ والجِنِّ.

ورُوِيَ عن أبي ذَرٍّ أنَّه قالَ لرجلٍ: هل تَعوَّذْتَ باللهِ مِن شياطينِ الإنسِ؟ فقالَ: أَوَمِنَ الإنسِ شَيَاطِينُ؟ قالَ: نَعَمْ؛ لقولِه تعالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]... الآيةَ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٦٣]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (وكما قالَ الإمامُ أحمدُ: حدَّثَنا وَكِيعٌ، حدَّثَنا المَسْعُودِيُّ، حدَّثَنا أبو عُمَرَ الدِّمَشْقِيُّ، حدَّثَنا عُبَيْدُ بنُ الخَشْخَاشِ، عن أبي ذَرٍّ قالَ: أَتَيْتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ وهو في المَسْجِدِ، فجَلَسْتُ فقالَ: ((يَا أَبَا ذَرٍّ، هَلْ صَلَّيْتَ؟)). قُلْتُ: لا. قالَ: ((قُمْ فَصَلِّ)).

قالَ: فقُمْتُ فصَلَّيْتُ ثُمَّ جلَسْتُ. فقالَ: ((يا أَبَا ذَرٍّ، تَعَوَّذْ باللَّهِ مِن شَرِّ شَيَاطِينِ الإِنْسِ والجِنِّ)). قالَ: فقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ولِلإِنْسِ شَيَاطِينُ؟! قالَ: ((نَعَمْ)).

قالَ: فقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الصَّلاةُ؟ قالَ: «خَيْرُ مَوْضُوعٍ، مَنْ شَاءَ أَقَلَّ، وَمَنْ شَاءَ أَكْثَرَ». قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، فالصَّوْمُ؟ قالَ: «فَرْضٌ مُجْزِئٌ، وعندَ اللَّهِ مَزِيدٌ». قلتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، فالصَّدَقَةُ؟ قالَ: «أَضْعَافٌ مُضَاعَفَةٌ». قلتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، فأَيُّها أَفْضَلُ؟ قالَ: «جُهْدٌ مِن مُقِلٍّ أَوْ سِرٌّ إِلَى فَقِيرٍ». قلتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، أيُّ الأنبياءِ كانَ أَوَّلَ؟ قالَ: «آدَمُ».

قلتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، ونَبِيًّا كانَ؟

قالَ: «نَعَمْ، نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمِ المُرْسَلُونَ؟

قالَ: «ثَلاثُمائةٍ وبِضْعَةَ عَشَرَ، جَمًّا غَفِيراً».

وقالَ مَرَّةً: «خَمْسَةَ عَشَرَ».

قلتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّما أُنْزِلَ عَلَيْكَ أَعْظَمُ؟

قالَ: «آيَةُ الكُرْسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]».

ورواهُ النَّسائيُّ مِن حَدِيثِ أَبِي عُمَرَ الدِّمَشْقِيِّ، بهِ.

وقد أخْرَجَ هذا الحديثَ مُطَوَّلاً جِدًّا أبو حَاتِمِ بنُ حِبَّانَ في صَحِيحِه بطريقٍ آخَرَ ولفظٍ آخَرَ مُطَوَّلٍ جِدًّا، فاللَّهُ أَعْلَمُ). [تفسير القرآن العظيم: ٣٩١٢/٨- ٣٩١٣]

قَالَ ابْنُ المُلَقِّنِ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٨٠٤هـ): (والشيطانُ المُوَسْوِسُ قَدْ يَكونُ مِن الجِنِّ ويكونُ مِن شياطِينِ الإنسِ. وإخوانُ السَّوءِ هم يُوَسْوِسُونَ عن مُعايَنَةٍ ومُشافَهَةٍ، فهو أَقْوَى). [تفسير غريب القرآن: ٥٠٧]

قَالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (فَصْلٌ في شَيَاطِينِ الإِنْسِ والجِنِّ

قَالَ الحَسَنُ: همَا شَيْطَانَانِ لنا: أَمَّا شَيْطَانُ الجِنِّ، فَيُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الإِنْسِ فَيَأْتِي عَلانِيَةً.

وقَالَ قَتَادَةُ: إِنَّ مِنَ الجِنِّ شَيَاطِينَ، وإِنَّ مِنَ الإِنْسِ شَيَاطِينَ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَيَاطِينِ الجِنِّ وَالإِنْسِ.

وعن أَبِي ذَرٍّ: أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ: هَلْ تَعَوَّذْتَ بِاللَّهِ مِنْ شَيَاطِينِ الإِنْسِ؟

قَالَ: أَوَمِنَ الإِنْسِ شَيَاطِينُ؟ قَالَ: نَعَمْ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]). [اللباب: ٥٧٩/٢٠- ٥٨٠]

قَالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَابْنُ المُنْذِرِ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾. قَالَ: إِنَّ مِن النَّاسِ شَيَاطِينَ، فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَيَاطِينِ الإنسِ وَالجِنِّ). [الدر المنثور: ٨٠٩/١٥]

قَالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (قَالَ الحسنُ: هما شيطانانِ لنا أمَّا شيطانُ الجنِّ فيوسوسُ في صدورِ النَّاسِ وأما شيطانُ الإنسِ فيأتي علانيةً.

وقَالَ قتادةُ: إنَّ منَ الجنِّ شياطينَ وإنَّ منَ الإنسِ شياطينَ، فنعوذُ باللَّهِ مِن شياطينِ الجنِّ والإنسِ.

وعنْ أبي ذرٍّ قالَ لرجلٍ: هلْ تعوذْتَ باللَّهِ مِن شيطانِ الإنسِ فَقَالَ: أوَمِنَ الإنسِ شياطينُ؟

قَالَ: نعم، لقولِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] الآيةَ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٧]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَقالَ قتادةُ: إنَّ مِنَ الجنِّ شَيَاطِينَ وإنَّ مِنَ الإنسِ شَيَاطِينَ، فَنَعُوذُ باللَّهِ مِنْ شياطينِ الجنِّ والإنسِ). [فتح القدير: ٥/٧٦٤]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وقَالَ قَتَادَةُ: إنَّ مِنَ الجنِّ شَيَاطِينَ، وإنَّ مِنَ الإنسِ شياطينَ، فَنَعُوذُ باللَّهِ مِنْ شياطينِ الجنِّ والإنسِ، وقيلَ: إنَّ إبليسَ يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ الإنسِ). [فتح البيان: ١٥/٤٦٨]

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (وَقَدْ وَصَفَ اللهُ هَذَا الوَسْوَاسَ الخَنَّاسَ بِقَوْلِهِ:

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ أَيْ إنَّ هَذَا الوَسْوَاسَ الخَنَّاسَ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ البَشَرِ، قد يَكُونُ مِنَ الجِنَّةِ وَقَدْ يَكُونُ مِنَ النَّاسِ، كما جاء فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] فَشَيْطَانُ الجِنِّ قَد يُوَسْوِسُ تَارَةً وَيَخْنُسُ أُخْرَى، وشَيْطَانُ الإنْسِ كذلك، فَكَثِيرًا ما يُرِيكَ أنه نَاصِحٌ شَفِيقٌ، فإذا زَجَرْتَهُ خَنَسَ وتَرَكَ هَذِهِ الوَسْوَسَةَ، وإذَا أَصْغَيْتَ إلَى كَلامِهِ اسْتَرْسَلَ واسْتَمَرَّ فِي حَدِيثِهِ وبَالَغَ فِيهِ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّمَ أنه قَالَ: «إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجاوَزَ لأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا ما لم تَعْمَلْ أو تَتَكَلَّمْ بِهِ» رَوَاهُ أَبو هُرَيْرَةَ وَخَرَّجَهُ مُسْلِمٌ). [تفسير المراغي: ٣٠/٢٧١ (م)]

المراد بالصدور في قوله تعالى: (في صدور الناس)

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ مُطَرِّفٍ الكِنَانِيُّ (ت: ٤٥٤هـ): (﴿يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ وَالقُلُوبِ، فَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَنَسَ، أَيْ: أَقْصَرَ وَكَفَّ). [القرطين: ٢٢٢]

قَالَ أبو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (وقالَ ابنُ قُتيبةَ: الصُّدورُ ها هنا القلوبُ). [زاد المسير: ٩/٢٧٩]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (وإنَّما قالَ: ﴿فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ ولَمْ يَقُلْ: في قُلوبِهم؛ لأنَّ الشيطانَ لا تَسلُّطَ له على قَلْبِ المؤمنِ الذي هو بَيْنَ أُصْبَعَيْنِ مِن أَصابعِ الرحْمَنِ). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٥]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (فإن قيلَ: لِمَ قالَ: ﴿فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ ولم يَقُلْ: في قلوبِ الناسِ؟ فالجوابُ أنَّ ذلك إشارةٌ إلى عدَمِ تَمكُّنِ الوَسوسةِ، وأنها غيرُ حالَّةٍ في القلْبِ، بل هي مَحُومَةٌ في الصدرِ حولَ القلْبِ). [التسهيل: ٢٢٧]

قالَ ابنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصلٌ: وتَأَمَّلِ السرَّ في قولِه تعالى: ﴿يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ ولم يَقُلْ: في قلوبِهم، والصدْرُ هو ساحةُ القلْبِ وبَيتُه، فمنه تَدْخُلُ

الوَارداتُ إليه فتَجْتَمِعُ في الصدْرِ، ثم تَلِجُ في القلْبِ فهو بمنزِلَةِ الدِّهليزِ له، ومن القلْبِ تَخْرُجُ الأوامرُ والإراداتُ إلى الصدْرِ ثم تَتَفَوَّقُ على الجنودِ، ومَن فَهِمَ هذا فَهِمَ قولَه تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

فالشيطانُ يَدْخُلُ إلى ساحةِ القلْبِ وبيتِه فيُلْقِي ما يُريدُ إلقاءَه إلى القلْبِ فهو مُوَسْوِسٌ في الصدْرِ، ووَسوَسَتُه واصِلةٌ إلى القلْبِ، ولهذا قالَ تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [سورة طه: ١٢٠] ولم يَقُلْ: فيه؛ لأنَّ المعنى أنه ألقَى إليه ذلك وأَوْصَلَه فيه فدَخَلَ في قلبِه). [بدائع الفوائد: ٢/٢٦٢]

قالَ جَلالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ المَحَلِّيُّ (ت: ٨٦٤هـ): (﴿ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ قُلُوبِهُم إذا غَفَلُوا عنْ ذِكْرِ اللَّهِ). [تفسير الجلالين: ٦٠٤]

قَالَ زَكَرِيَّا بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٩٢٦هـ): (قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ ما المُرادُ بالصُّدُورِ؟). [فتح الرحمن:٤٩٩]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (﴿ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ قيلَ: أُريدَ قلوبُهم مَجازًا.

وقالَ بعضُهم: إنَّ الشيطانَ يَدْخُلُ الصدرَ الذي هو بمنزِلةِ الدِّهليزِ، فيُلقِي ما يُريدُ إلقاءَه إلى القلبِ ويُوَصِّلُه إليه). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٧]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الجَاوِيُّ (ت: ١٣١٦هـ): (﴿ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾، أيْ: في قُلُوبِ الغَافِلِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ). [مراح لبيد: ٢/٦٨٤]

قالَ مُحَمَّد عَبْدُه المصريُّ(ت: ١٣٢٣هـ): (وإِنَّمَا جَعَلَ الوَسْوَسَةَ في الصُّدُورِ على ما عُهِدَ في كَلامِ العَرَبِ من أنَّ الخَواطِرَ في القَلْبِ، والقَلْبُ مِمَّا حَواهُ الصَّدْرُ عندَهم.

وكَثِيرًا ما يُقالُ: إنَّ الشَّكَّ يَحُوكُ في صَدْرِهِ، وما الشَّكُّ إلاَّ في نَفْسِهِ وعَقْلِهِ، وأَفاعِيلُ العَقْلِ في المُخِّ، وإنْ كانَ يَظْهَرُ لها أَثَرٌ في حَرَكاتِ الدَّمِ وضَرَباتِ القَلْبِ وضِيقِ الصَّدْرِ أو انْبِساطِهِ). [تفسيرُ جُزءِ عَمَّ: ١٩٠]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (وقالَ الإمامُ: إنَّما جَعَلَ الوَسوسةَ في الصدورِ على ما عُهِدَ في كلامِ العربِ مِنْ أنَّ الخواطِرَ في القلْبِ، والقلْبُ مِمَّا حَوَاهُ الصدْرُ عندَهم، وكثيراً ما يُقالُ: إنَّ الشَّكَّ يَحُوكُ في صدْرِهِ، وما الشَّكُّ إلاَّ في نفْسِهِ وعَقْلِهِ، وأَفَاعِيلُ العقلِ في المُخِّ، وإنْ كانَ يَظهرُ لها أَثَرٌ في حركاتِ الدَّمِ وضَرباتِ القلبِ وضِيقِ الصدْرِ أو انْبِساطِهِ). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٨٠]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (وإنما جَعَلَ الوَسْوَسَةَ فِي الصُّدُورِ مِنْ قِبَلِ أَنَّهُ عُهِدَ فِي كَلامِ العَرَبِ أنَّ الخَوَاطِرَ فِي القَلْبِ، والقَلْبُ مِمَّا حَوَاهُ الصَّدْرُ عِنْدَهُمْ، ألا تَرَاهُمْ يَقُولُونَ: إنَّ الشَّكَّ يَحُوكُ فِي

صَدْرِكَ، وَيَجِيشُ فِي صَدْرِي كذا، ويَخْتَلِجُ ذَلِكَ بِخَاطِرِي؟ وَمَا الشَّكُّ إلا فِي نَفْسِهِ وعَقْلِهِ، وأَفَاعِيلُ العَقْلِ تَكُونُ فِي المُخِّ، ويَظْهَرُ لَهَا أَثَرٌ فِي حَرَكَاتِ الدَّمِ وضَرَبَاتِ القَلْبِ وضِيقِ الصَّدْرِ وانْبِسَاطِهِ). [تفسير المراغي: ٢٧١/٣٠]

معنى قوله تعالى: (يوسوس)

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ وَسوسَةُ الشيطانِ هي الدعاءُ إلى طَاعتِه بما يَصِلُ إلى القلْبِ مِن قَولٍ مُتخَيَّلٍ، أو يَقَعُ في النفْسِ مِن أمْرٍ مُتوهَّمٍ، ومنه المُوَسْوَسُ إذا غلَبَ عليه الوَسوسةُ؛ لِمَا يَعْتَرِيهِ مِن المَسَرَّةِ، وأصلُه الصوتُ الخَفِيُّ، قالَ الأعْشَى:

تَسْمَعُ للْحَلْيِ وَسْوَاساً إذَا انْصَرَفَتْ ... كما استعانَ بريحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ

). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٩]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (وَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذَا فَقَالَ: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾. أَيْ: بالكلامِ الخَفِيِّ الَّذِي يَصِلُ مَفْهُومُهُ إِلَى القَلْبِ مِنْ غَيْرِ سَمَاعٍ). [الوسيط: ٥٧٥/٤]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ بالكلامِ الخَفِيِّ الذي يَصِلُ مَفهومُه إلى القَلْبِ من غيرِ سَماعٍ). [معالم التنزيل: ٧٢٧]

قالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (﴿يُوَسْوِسُ﴾: يَدْعُو إلى طاعتِهِ بما يَصِلُ إلى القلبِ مِنْ قولٍ مُتَخَيَّلٍ، أَوْ يَقَعُ في النفسِ مِنْ أَمْرٍ مُتوهَّمٍ، وَأَصْلُهُ الصَّوْتُ الخَفِيُّ.

تَسْمَعُ للْحَلْيِ وَسْوَاساً ....). [تفسير القرآن: ٥١٢/٣]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (قولُه تعالَى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾.

قالَ مُقَاتِلٌ: إنَّ الشيطانَ في صورةِ خِنْزِيرٍ، يَجْرِي مِن ابنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ في العُرُوقِ، سَلَّطَه اللهُ على ذلك، فذلك قولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٣/٢٠]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (ووَسْوَسَتُه: هو الدعاءُ لطاعَتِهِ بكلامٍ خَفِيٍّ، يَصِلُ مفهومُه إلى القَلْبِ مِن غيرِ سَمَاعِ صَوْتٍ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٣/٢٠]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ إذا غَفَلُوا عن ذِكْرِ رَبِّهِمْ، وذلك كالقُوَّةِ الوَهْمِيَّةِ، فإنها تُسَاعِدُ العَقْلَ في المُقَدِّمَاتِ، فإذا آلَ الأمْرُ إلى النتيجةِ خَنَسَتْ، وأَخَذَتْ تُوَسْوِسُه وتُشَكِّكُه). [أنوار التنزيل: ١١٨١/٢]

قالَ ابنُ المُلَقِّنِ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٨٠٤هـ): (﴿يُوَسْوِسُ﴾. إذا غَفَلَ). [تفسير غريب القرآن: ٥٠٧]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (قَالَ القُرْطُبِيُّ: "وَوَسْوَسَتُهُ: هُوَ الدُّعَاءُ إِلَى طاعَتِهِ، حتى يَصِلَ بِهِ إِلَى القَلْبِ مِنْ غَيْرِ صَوْتٍ"). [اللباب: ٥٧٨/٢٠]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الإِيجِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت: ٩٠٥ هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾: إذا غَفَلُوا عن ذِكْرِ رَبِّهِم). [جامع البيان: ٤/٥٤٧]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾ أيْ: يُلقي المعاني الضارَّةَ على وجهِ الخفاءِ والتَّكريرِ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٦]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ إِذَا غَفَلُوا عَنْ ذِكْرِهِ تَعَالَى). [إرشاد العقل السليم: ٧/٢١٧]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَقدْ تَقَدَّمَ معنَى الوسوسةِ... وَوَسْوَسَتُهُ هيَ الدعاءُ إِلى طَاعَتِهِ بكلامٍ خَفِيٍّ يَصِلُ إِلى القلبِ مِنْ غيرِ سَمَاعِ صَوْتٍ). [فتح القدير: ٥/٧٦٣]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وَوَسْوَسَتُهُ هيَ الدعاءُ إِلى طاعتِهِ بكلامٍ خَفِيٍّ يَصِلُ إِلى القلبِ مِنْ غيرِ سماعِ صَوْتٍ). [فتح البيان: ١٥/٤٦٧]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّين القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾؛ أيْ: بالإلقَاءِ الخَفِيِّ في النفْسِ؛ إمَّا بصوتٍ خَفِيٍّ لا يَسمعُهُ إلاَّ مَنْ أُلقِيَ إليهِ، وإمَّا بغيرِ صَوتٍ.

قالَ ابنُ تَيْمِيَّةَ: والوَسوسةُ مِنْ جِنْسِ الوَشْوَشَةِ بالشينِ المُعجَمَةِ، يُقَالُ: فلانٌ يُوَسْوِسُ فُلاناً، وقدْ وَشْوَشَهُ، إذا حَدَّثَهُ سِرًّا في أُذُنِهِ، وكذلكَ الوَسوسةُ، ومنهُ وَسْوَسَةُ الحُلِيِّ، لكنْ هوَ بالسينِ المُهْمَلَةِ أَخَصُّ). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٩- ٥٨٠]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (ووُصِفَ ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ بـ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ لتَقْرِيبِ تَصويرِ الوَسْوَسَةِ؛ كي يَتَّقِيَهَا المَرْءُ إذا اعتَرَتْه لِخَفَائِها، وذلك بأنْ بُيِّنَ أنَّ مكانَ إلقاءِ الوَسْوَسَةِ هو صُدورُ الناسِ وبَواطِنُهم، فعَبَّرَ بها عن الإحساسِ النفْسِيِّ، كما قالَ تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ [الحج: ٤٦]، وقالَ تعالى: ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦].

وقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «الإِثْمُ مَا حَاكَ فِي الصَّدْرِ وَتَرَدَّدَ فِي القَلْبِ»، فغايَةُ الوَسواسِ مِن وَسوسَتِه بَثُّها في نفْسِ المَغرورِ، والمَشبوكِ في فَخِّهِ، فوَسوسةُ الشياطينِ اتصالاتُ جاذبِيَّةِ النُّفوسِ نحوَ داعِيَةِ الشياطينِ، وقد قَرَّبَها النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في آثارٍ كثيرةٍ بأنواعٍ مِنَ التقريبِ؛ منها: أنها كالخراطيمِ يَمُدُّها الشيطانُ إلى قلْبِ الإنسانِ، وشبَّهَها مَرَّةً بالنفْثِ، ومرَّةً بالإبساسِ، وفي الحديثِ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِن ابنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا»). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣٤]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ سُلَيْمَانَ الأَشْقَرُ (ت:١٤٣٠هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ وَسْوَسَتُهُ هِيَ الدُّعَاءُ إِلَى طَاعَتِهِ بِكَلامٍ خَفِيٍّ يَصِلُ إِلَى القَلْبِ مِنْ غَيْرِ سَمَاعِ صَوْتٍ). [زبدة التفسير: ٦٠٤]

■ دخول الشيطان في جوف الإنسان

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ قيلَ: أُريدَ قلوبُهم مَجازًا.

وقالَ بعضُهم: إنَّ الشيطانَ يَدْخُلُ الصدرَ الذي هو بمنزِلةِ الدِّهليزِ، فيُلقِي ما يُريدُ إلقاءَه إلى القلبِ ويُوَصِّلُه إليه، ولا مانِعَ عَقْلاً مِن دُخولِه في جَوفِ الإنسانِ، وقد وَرَدَ السمْعُ كما سَمِعْتَ فوَجَبَ قَبولُه والإيمانُ به، ومِن ذلك: «إنَّ الشَّيْطَانَ لَيَجْرِي مِن ابنِ آدمَ مَجْرَى الدمِ»، ومِن الناسِ مَن حَمَلَه على التمثيلِ وقالَ في الآيةِ: إنها لا تَقْتَضِي الدخولَ كما يُنادِي عليه البيانُ الآتي.

وقالَ ابنُ سينا: الوَسواسُ القوَّةُ التي تُوقِعُ الوَسوسةَ وهي القوَّةُ المُتَخَيِّلَةُ بحَسَبِ صَيْرُورتِها مُستعمَلَةٌ للنفسِ الحيوانيَّةِ، ثم إنَّ حَرَكَتَها تكونُ بالعكسِ، فإنَّ النفسَ وِجْهَتُها إلى المبادئِ المفارِقَةِ، فالقوَّةُ المتخيِّلَةُ إذا أَخَذَتْها إلا الاشتغالَ بالمادَّةِ وعلائقِها فتلك القوَّةُ تَخنِسُ، أي: تَتَحَرَّكُ بالعكْسِ، وتَجْذِبُ النفسَ الإنسانيَّةَ إلى العكسِ فلذلك تُسَمَّى خَنَّاسًا. ونحوُه ما قيلَ: إنه القُوَّةُ الوَهميَّةُ، فهي تُساعِدُ العقلَ في المُقَدِّماتِ، فإذا آلَ الأمرُ إلى النتيجةِ خَنَسَتْ وأَخَذَتْ تُوَسْوِسُه وتُشَكِّكُه، ولا يَخْفَى أنَّ تفسيرَ كلامِ اللهِ تعالى بأمثالِ ذلك مِن شَرِّ الوَسواسِ الخَنَّاسِ، والقاضي ذَكَرَ الأخيرَ على سبيلِ التنظيرِ لا على وجهِ التمثيلِ والتفسيرِ بناءً على حُسْنِ الظنِّ به). [روح المعاني: ٢٩/ ٢٨٧]

- **قلت**: (في هذه المسألة جملة من الأحاديث، كحديث إن الشيطان يجري مِن ابنِ آدم مجرى الدم وقد تقدم.

وقال الإمام أحمد: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِى صَالِحٍ عَنِ ابْنِ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- « إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَكْظِمْ مَا اسْتَطَاعَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ فِى فِيهِ ». وهذا الحديث روي بألفاظ:

الأول: ما تقدم ذكره.

والثاني: بلفظه دون قوله: « في فيه » أخرجه ابن أبي شيبة، ومسلم في صحيحه من طريق ابن أبي شيبة عن وكيع به.

والثالث: بلفظ: « إذا تثاوب أحدكم فليضع يده على فيه فإن الشيطان يدخل مع التثاوب ». رواه عبد الرزاق عن معمر عن سهيل به، وعنه الإمام أحمد.

الرابع: بلفظ: « إِذَا تَثَاوَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ » رواه أحمد ومسلم من طرق عن سهيل به.

الخامس: بلفظ: « إذا تثاءب أحدكم فليسد بيده فاه فإن الشيطان يدخل ». رواه ابن خزيمة من طريق عبد العزيز الدراوردي عن سهيل به).

مراتب الوسوسة

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبيُّ (ت: ٧٤١هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ وَسوسةُ الشيطانِ في صَدْرِ الإنسانِ بأنواعٍ كثيرةٍ منها إفسادُ الإيمانِ والتشكيكُ في العقائدِ، فإن لم يَقْدِرْ على ذلك أَمَرَه بالمعاصي، فإن لم يَقْدِرْ على ذلك ثَبَّطَهُ عن الطاعاتِ، فإن لم يَقْدِرْ على ذلك أَدْخَلَ عليه الرياءَ في الطاعاتِ لِيُحْبِطَها، فإن سَلِمَ من ذلك أَدْخَلَ عليه العُجْبَ بنفسِه واستكثارَ عملِه، ومن ذلك أنه يُوقِدُ في القَلْبِ نارَ الحسَدِ والحقْدِ والغَضَبِ حتى يَقودَ الإنسانَ إلى شَرِّ الأعمالِ وأَقْبَحِ الأحوالِ). [التسهيل: ٢٢٧]

معنى قوله تعالى: (من الجنة والناس)

قَالَ عَبْدُ الخَالِقِ بْنُ الحَسَنِ ابنُ أَبي رُوبَا (ت:٣٥٦ هـ): حدَّثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ ثابتٍ الثَّوريُّ عن أَبيه عن الهُذَيْلِ بنِ حبيبٍ عنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ البلخيِّ (ت:١٥٠هـ): (ثُمَّ أَمَرَهُ اللَّهُ أنْ يَتعَوَّذَ مِن شَرِّ ﴿ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ يَعْني الجِنَّ والإِنْس). [تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٣٩]

قالَ الأَخْفَشُ سَعِيدُ بْنُ مَسْعَدَةَ البَلْخِيُّ (ت: ٢١٥هـ): (وقولُه: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ يُريدُ: مِن شرِّ الوَسْوَاسِ مِن الجِنَّةِ والناسِ). [معاني القرآن: ٢/٥٥٠]

قالَ هُودُ بْنُ مُحكَّمٍ الهوَّارِيُّ (ت: ق٣): (قَولُه عزَّ وجلَّ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ أي: مِنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الجِنِّ والإِنسِ.

ذَكَرُوا أنَّ أَبَا ذَرٍّ قَامَ إلى الصلاةِ فقَالَ له رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، تَعَوَّذْ مِنْ شَيَاطِينِ الجِنِّ وَالإِنْسِ». فقالَ أَبو ذَرٍّ: يا رسولَ اللهِ، أَوَلِلإنسانِ شَيَاطِينُ كَشَيَاطِينِ الجِنِّ؟ قالَ: «نَعَمْ»). [تفسير كتاب الله العزيز: ٤/٥٤٥]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وَهْبٍ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٣٠٨هـ): (﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ مِنْ شَرِّ الجِنِّ وَالإِنْسِ، ويُقَالُ: مِنْ شرِّ لَبِيدِ بْنِ الأَعْصَمِ اليَهُودِيِّ وَأَصْحَابِهِ). [الواضح: ٢/٥٢٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنُ أَبِي زَمَنِينَ (ت: ٣٩٩هـ): (﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ قَالَ مُحَمَّدٌ: يَعْنِي: الَّذِي هو مِنَ الجِنِّ. قَوْلُه: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ قالَ يَحْيَى: ومِن شَرِّ شَيَاطِينِ الإِنْسِ). [تفسير القرآن العزيز: ٥/١٧٥]

قَالَ مَكِّيُّ بْنُ أبِي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (قَوْلُهُ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ النَّاس: خَفْضٌ عَطْفٌ عَلَى ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾، أَيْ مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ وَالنَّاسِ، وَلا يَجُوزُ عَطْفُهُ عَلَى ﴿ٱلْجِنَّةِ﴾؛ لأَنَّ النَّاسَ لا يُوَسْوِسُونَ فِي صُدُورِ النَّاسِ، إِنَّمَا يُوَسْوِسُ الجِنُّ، فَلَمَّا اسْتَحَالَ المَعْنَى حَمَلْتُهُ عَلَى العَطْفِ عَلَى الوَسْوَاسِ). [مشكل إعراب القرآن: ٢/ ٣٩٣]

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ أمَّا وَسواسُ الجِنَّةِ فهو وَسواسُ الشيطانِ على ما قَدَّمْنَاهُ، وأمَّا وَسواسُ الناسِ ففيه وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: أنَّها وَسْوَسَةُ الإنسانِ مِن نفْسِه. قَالَهُ ابنُ جُرَيْجٍ.

الثاني: أنه إغواءُ مَن يُغْوِيهِ مِن الناسِ.

قالَ قَتَادَةُ: إنَّ مِن الإنسِ شَياطِينَ، وإنَّ مِن الجِنِّ شياطِينَ، فنَعُوذُ باللَّهِ مِن شياطينِ الإنْسِ والجِنِّ). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٩]

قالَ أَبُو المُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (وقولُه: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ﴾ أي: مِن الجِنِّ.

وقولُه: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ أي: ومِن الناسِ. والمعنى: أنه أَمَرَه بالاستعاذةِ مِن شياطينِ الجِنِّ والإنْسِ، والشيطانُ كلُّ مُتمَرِّدٍ كان جِنِّيًّا أو إنْسِيًّا). [تفسير القرآن: ٦/ ٣٠٨]

قالَ مَحْمُودُ بنُ حَمْزَةَ بنِ نَصْرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (قَوْلُهُ: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾.

فيه أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ﴾: حالٌ مِنَ الوَسْوَاسِ، والمرادُ ذي الوَسْوَاسِ ثم وَصفَه بالخَنَّاسِ، ثم بالذي يُوَسْوِسُ في صُدورِ الناسِ، ثم قالَ: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ﴾، أيْ: كائنًا مِنَ الجِنَّةِ، وذو الحالِ الوَسواسِ أو الضميرِ الذي يُوَسْوِسُ، ثم عَطَفَ الناسَ على الوَسواسِ؛ أيْ: مِن شَرِّ الوَسواسِ والنَّاسِ.

الثاني: الجِنَّةُ متَعَلِّقٌ وحالٌ مِنَ الناسِ في قَوْلِهِ: ﴿صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾: أيْ: كائِنِينَ مِنَ الجِنَّةِ، وجَعَلَ مِنَ الجِنَّةِ ناسًا كما جَعَلَ منهم رجالاً في قَوْلِهِ: ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [القمر: ٦]: ثم عَطَفَه على الجِنَّةِ، فقالَ: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾: أي: في صُدورِ الناسِ جِنِّيِهِم وإنْسِيِّهِم، وعلى هذا يَجوزُ أنْ يكونَ ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ مُتَّصِلاً بالناسِ الأُولَى في قَوْلِهِ: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾: وهذا وَجْهٌ ثالثٌ.

الرابعُ: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بَدَلٌ مِن ﴿شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ﴾، أيْ: مِنْ شَرِّ الجِنَّةِ والناسِ.

الخامسُ: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ مُتعلِّقٌ بالوَسواسِ، أيِ: الوَسواسِ الواقِعِ مِنَ الجِنَّةِ والناسِ.

السابعُ: ﴿ٱلَّذِي﴾ مُبْتَدَأٌ، خَبَرُه ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ أي: الذي يُوَسْوِسُ يكونُ مِنَ الجِنَّةِ، ويكونُ مِنَ الناسِ.

الثامِنُ: مِن شَرِّ الوَسْوَاسِ الذي يُوَسْوِسُه في صُدورِ الناسِ، والتقديرُ: مِن شَرِّ الوَسْوَاسِ الواقِعِ مِنَ الجِنَّةِ الذي يُوَسْوِسُهُ في صُدورِ الناسِ، فحَذَفَ العائِدَ، وجازَ تَذكيرُ الجِنَّةِ؛ لأنه بمعنى الجِنِّ، ويكونُ عَطْفًا على الوَسْوَاسِ كالوَجْهِ الأَوَّلِ، واللهُ أَعلَمُ). [غرائب التفسير: ٢/ ١٤١٦]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بَيانٌ للذي يُوَسْوِسُ، على أنَّ الشيطانَ ضَرْبَانِ: جِنِّيٌّ وإنْسِيٌّ؛ كما قالَ: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وعن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قالَ لرجُلٍ: هل تَعَوَّذْتَ باللهِ مِن شيطانِ الإنسِ؟

ويجوزُ أنْ يكونَ ﴿مِنَ﴾ مُتعَلِّقاً بـ ﴿يُوَسْوِسُ﴾، ومعناه: ابْتِدَاءُ الغايةِ؛ أي: يُوَسْوِسُ في صُدُورِهم مِن جهَةِ الجِنِّ ومِن جِهَةِ الناسِ.

وقِيلَ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦﴾ بيانٌ للناسِ، وإنَّ اسمَ الناسِ ينطلق على الجِنَّةِ، واسْتَدَلُّوا بـ (نَفرٍ) و(رِجَال) في سورةِ الجِنِّ.

وما أُحِقُّهُ؛ لأنَّ الجِنَّ سُمُّوا جِنًّا لاجْتِنَانِهِم، والناسَ ناساً لظُهُورِهم، مِن الإِيناسِ، وهو الإبصارُ، كما سُمُّوا بَشَراً، ولو كانَ يَقَعُ الناسُ على القَبِيلَيْنِ، وصَحَّ ذلك وثَبَتَ ـ لم يَكُنْ مناسِباً؛ لفَصاحةِ القرآنِ وبُعْدِهِ مِنَ التصَنُّعِ.

وأَجْوَدُ مِنه أنْ يُرَادَ بالناسِ: الناسِي؛ كقولِه: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦]، وكما قُرِئَ: (مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسِ) [البقرة: ١٩٩]. ثُمَّ يُبَيَّنُ بالجِنَّةِ والناسِ؛ لأنَّ الثَّقَلَيْنِ هما النوعانِ الموصوفانِ بنِسْيَانِ حقِّ اللهِ عَزَّ وجَلَّ). [الكشاف: ٦/٤٦٩] (م)

قالَ عَبْدُ الحقِّ بنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦﴾. أي: من الشياطينِ، ونفسِ الإنسانِ). [المحرر الوجيز: ١٥/٦١٤]

قالَ عَبْدُ الحقِّ بنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (ويَظْهَرُ أيضًا أنْ يكونَ قولُه تعالى: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ يُرادُ به مَن يُوَسْوِسُ بخُدْعَةٍ مِن البشرِ، ويَدْعُو إلى الباطلِ، فهو في ذلك كالشيطانِ). [المحرر الوجيز: ١٥/٦١٤]

قَالَ أَبُو البَرَكَاتِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الأَنْبَارِيُّ (ت: ٥٧٧هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦﴾.

(مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ) فِيهِ وَجْهَانِ:

أحدُهُما: أَنْ يَكُونَ بَدَلاً مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ، وَتَقْدِيرُهُ: أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ.

وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ تَقْدِيرُهُ: مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ، وَتَقْدِيرُهُ: الكَائِنِ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، وَفِي (يُوَسْوِسُ) ضَمِيرُ (الجِنَّةِ)، وَذَكَّرَهُ لأَنَّهُ بِمَعْنَى (الجِنِّ)، وَكَنَى عَنْهُ مَعَ التَّأْخِيرِ؛ لأَنَّهُ فِي تَقْدِيرِ التَّقْدِيمِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ٦٧﴾ [طه: ٦٧]؛ فَتَقَدَّمَ الضَّمِيرُ؛ لأَنَّ مُوسَى فِي تَقْدِيرِ التَّقْدِيمِ، وَالضميرُ فِي تَقْدِيرِ التَّأْخِيرِ، وَكَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

مَنْ يَلْقَ يَوْمًا عَلَى عِلاَّتِهِ هَرِمًا

وَتَقْدِيرُهُ: مَنْ يَلْقَ هَرِمًا يَوْمًا عَلَى عِلاَّتِهِ، فَقُدِّمَ الضَّمِيرُ؛ لأَنَّهُ فِي نِيَّةِ التَّأْخِيرِ، وَكَقَوْلِهِمْ: فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الحَكَمُ. فَقُدِّمَ الضَّمِيرُ؛ لأَنَّ التقديرَ: الحَكَمُ يُؤْتَى فِي بَيْتِهِ، وَكَقَوْلِهِمْ: فِي أَكْفَانِهِ لُفَّ المَيِّتُ. وَتَقْدِيرُهُ: المَيِّتُ لُفَّ فِي أَكْفَانِهِ، وَنَظَائِرُهُ كَثِيرَةٌ، وَحُذِفَ العَائِدُ مِنَ الصِّلَةِ إِلَى المَوْصُولِ، كَمَا حُذِفَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ٤١﴾ [الفرقان: ٤١]؛ أَيْ: بَعَثَهُ). [البيان: ٥٤٩- ٥٥٠]

قَالَ أبو الفرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (قولُهُ تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾، الجِنَّةُ: الجِنُّ. وفي معنى الآيَةِ قولانِ:

أحدُهما: يُوَسْوِسُ في صُدورِ الناسِ جِنَّتِهِمْ وناسِهِم، فسَمَّى الجِنَّ ها هنا نَاسًا، كما سَمَّاهُمْ رِجالاً في قولِهِ تعالى: ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجنِّ: ٦]، وسَمَّاهُمْ نَفرًا بقولِهِ تعالى: ﴿ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجنِّ: ١]، هذا قولُ الفَرَّاءِ. وعلى هذا القولِ يكونُ الوَسواسُ مُوَسْوِسًا للجنِّ كما يُوَسْوِسُ للإنْسِ.

والثاني: أنَّ الوَسواسَ الذي يُوَسْوِسُ في صُدورِ الناسِ هوَ مِن الجِنَّةِ وهُمْ مِن الجنِّ، والمعنى: مِنْ شَرِّ الوَسواسِ الذي هوَ مِن الجنِّ.

ثمَّ عَطَفَ قولَهُ تعالى: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ على ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾، والمعنى: مِنْ شَرِّ الوَسواسِ، ومِنْ شَرِّ الناسِ، كأنَّهُ أَمَرَ أنْ يَستعيذَ مِن الجنِّ والإنسِ، هذا قولُ الزَّجَّاجِ). [زاد المسير: ٢٧٩/٩]

قَالَ أبو الفرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (و﴿ٱلْجِنَّةِ﴾: الجِنُّ. والمَعْنَى: مِن شرِّ الوَسْوَاسِ الذي هو مِنَ الجِنِّ، ثم عَطَفَ الناسَ على الوَسْواسِ، فالمَعْنَى: مِن شرِّ الوَسْوَاسِ، ومِن شرِّ الناسِ، كأنَّه أُمِرَ بالاسْتِعَاذَةِ مِن الإنسِ والجِنِّ). [تذكرة الأريب: ٣٢٤]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (قولُه تَعالَى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ هو بدلٌ مِن ﴿شَرِّ﴾ بإعادةِ العامِلِ، أي: مِن شَرِّ الجِنَّةِ، وقيل: هو بدَلٌ مِن ذي الوَسْوَاسِ؛ لأن المُوَسْوِسَ من الجِنِّ.

وقيلَ: هو حالٌ من الضميرِ في ﴿يُوَسْوِسُ﴾ أي: يُوَسْوِسُ وهو مِنَ الجِنِّ.

وقيلَ: هو بَدَلٌ مِن ﴿ٱلنَّاسِ﴾ أي: في صدورِ الجِنَّةِ.

وجعَلَ (مِنَ) تَبْيِينًا، وأَطْلَقَ على الجِنِّ اسْمَ الناسِ؛ لأنهم يَتَحَرَّكُونَ في مُرَادَاتِهِم.

والجِنُّ والجِنَّةُ بمعنًى.

وقِيلَ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ حالٌ مِن الناسِ، أي: كائنينَ مِنَ القَبِيلَيْنِ.

وأَمَّا ﴿ٱلنَّاسِ﴾ الأخيرُ فقيلَ: هو مَعطُوفٌ على ذي الوَسْوَاسِ، أي: مِن شَرِّ القَبِيلَيْنِ.

وقِيلَ: هو معطوفٌ على ﴿ٱلْجِنَّةِ﴾). [التبيان: ٢/ ٤٨٥- ٤٨٦] (م)

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ بنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت: ٦٦٠هـ): (والوَجْهُ الثَّالِثُ مِنَ الإعْرَابِ: أَنْ يَكُونَ بَيَانًا للنَّاسِ، كأَنَّهُ قَالَ: الَّذِي يُوَسْوِسُ في صَدْرِ القَبِيلَيْنِ، واسْمُ النَّاسِ عِنْدَ هذا مَوْضُوعٌ لهما في أَصْلِ الوَضْعِ وإِنَّما غَلَبَ اسْتِعْمَالُهُ في أَحَدِهِما). [فوائد في مشكل القرآن:٢٦٣]

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾: مِنْ وَسواسِ الشيطانِ كما ذَكَرْتُ، ﴿وَٱلنَّاسِ﴾: وَسْوَسَةِ الإنسانِ لنفسِهِ، أَوْ إِغْوَاءِ مَنْ يُغْوِيهِ مِن الناسِ). [تفسير القرآن: ٥١٣/٣]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (قولُه تعالَى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ أَخْبَرَ أنَّ المُوَسْوِسَ قد يكونُ مِنَ الناسِ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٦٤]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بيانٌ للوَسواسِ أو للذي أو مُتَعَلِّقٌ بيُوَسْوِسُ، أي: يُوَسْوِسُ في صُدورِهم من جِهَةِ الجِنَّةِ والناسِ، وقِيلَ: بيانٌ للناسِ على أنَّ المرادَ به ما يَعُمُّ الثَّقَلَيْنِ، وفيه تَعَسُّفٌ إلا أن يُرادَ به الناسي كقولِه تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] فإنَّ نِسيانَ حَقِّ اللهِ تعالى يَعُمُّ الثَّقَلَيْنِ). [أنوار التنزيل: ٢/١١٨١]

قالَ الدِّيرِينِيُّ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ سَعِيدٍ الدَّمِيرِيُّ (ت:٦٩٧هـ): (

ثُــمَّ الــشَّيَاطِينُ مِـــنَ الجِنْــسَيْنِ ... جِــنٌّ وَإِنْــسٌ فَاحْــذَرِ الــصِّنْفَيْنِ). [التيسير: ٣٥٢]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾: بَيانٌ لِلَّذِي يُوسِوِسُ على أنَّ الشيطانَ ضَرْبانِ: جِنِّيٌّ وإِنْسِيٌّ، كمَا قالَ: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وعَن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّه قال لرَجُلٍ: هلْ تَعَوَّذْتَ باللهِ مِن شَيْطَانِ الإِنْسِ؟). [مدارك التنزيل:٣/٢٠١٦]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾: يَعْنِي الجِنَّ، ﴿وَٱلنَّاسِ﴾، وفي معنى الآيَةِ وَجْهَانِ:

أحدُهما: أنَّ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ لفظٌ مُشْتَرَكٌ بينَ الجِنِّ والإنسِ، ويدُلُّ عليهِ قولُ بعضِ العربِ: جاءَ قومٌ من الجِنِّ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قالُوا: أُناسٌ من الجِنِّ. وَقَدْ سَمَّاهُم اللهُ تعالى رِجَالاً في قولِهِ: ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦].
فعَلَى هذا يكونُ معنى الآيَةِ أَنَّ الوَسْوَاسَ الخَنَّاسَ يُوَسْوِسُ للجِنِّ كَمَا يُوَسْوِسُ لِلإِنْسِ.

الوجهُ الثاني: أنَّ الوَسْوَاسَ الخَنَّاسَ قدْ يكونُ من الجِنَّةِ، وهم الجِنُّ، وقدْ يَكُونُ من الإنسِ، فَكَمَا أَنَّ شَيْطَانَ الجِنِّ قَدْ يُوَسْوِسُ للإنسانِ تَارَةً وَيَخْنُسُ أُخْرَى، فَكَذَلِكَ شَيْطَانُ الإنسِ قَدْ يُوَسْوِسُ للإنسانِ كالناصحِ لهُ، فإنْ قَبِلَ زادَ في الوسوسةِ، وإنْ كَرِهَ السامعُ ذلكَ انْخَنَسَ وانْقَبَضَ، فَكَأَنَّهُ تعالى أَمَرَ أَنْ يُسْتَعَاذَ بهِ مِنْ شَرِّ الجِنِّ والإنسِ جميعاً). [لباب التأويل: ٤/٥٠٣]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ القُمِّيُّ (ت: ٧٢٨هـ) : (وقالَ قَوْمٌ: "الناسُ" الرابِعُ يُرادُ به الجِنُّ والإِنسُ جَميعاً، وهو اسْمٌ للقَدْرِ المُشْتَرَكِ بينَ النوعيْنِ.

كما رُوِيَ أنه جاءَ نَفَرٌ مِن الجِنِّ فقيلَ لهم: مَنْ أَنْتُمْ؟ فقالوا: نَاسٌ مِن الجِنِّ.

وقدْ سَمَّاهُمُ اللهُ رِجَالاً في قَوْلِه: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦].

و"الناسُ" الخامسُ هو المَخْصُوصُ بالبَشَرِ.

ومعنى الآيةِ على هذا التقديرِ: أنَّ هذا الوَسْوَاسَ الخَنَّاسَ لا يَقْتَصِرُ على إضلالِ البَشَرِ، ولكنَّه يُوَسْوِسُ للنوعيْنِ، فيكونُ قولُه: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بياناً للناسِ.

وفي هذا القولِ نوعُ ضَعْفٍ ؛ لأنه بعدَ تَسْلِيمِ أنَّ لفظَ الناسِ يُطْلَقُ على القَدْرِ المُشْتَرَكِ يَسْتَلْزِمُ الاشْتِرَاكَ المُخِلَّ بالفَهْمِ.

وذكَرَ صاحبُ الكَشَّافِ أنه إنْ جُعِلَ قولُه: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بياناً للناسِ، فالأَوْلَى أنْ يُقالَ: "الناسِ" محذوفُ اللامِ. كقولِكَ: الدَّاعِ والقَاضِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وحينئذٍ يكونُ تَقْسِيمُه إلى الجنِّ والإنسِ صحيحاً ؛ لأنَّهما النوعانِ اللَّذَانِ يَنْسَيَانِ حَقَّ اللهِ تعالى.

وقيلَ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بَدَلٌ مِن ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾، كأنَّه استعاذَ بربِّه مِن ذلكَ الشيطانِ الواحِدِ، ثم عَمَّمَ فاستعاذَ به مِن جَميعِ الجِنَّةِ والناسِ). [غرائب القرآن: ٢٢٥/٣٠]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إبْرَاهِيمَ ابْنُ جَمَاعَةَ الكِنَانِيُّ (ت: ٧٣٣هـ): (﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾: كَقَوْلِهِ: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وَقِيلَ: هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِيُوَسْوِسُ أَيْ يُوَصِّلُ وَسْوَسَتَهُ مِنْ جِهَةِ الجِنِّ وَمِنْ جِهَةِ الإِنْسِ). [غرر التبيان:٥٥٣]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ هذا بيانٌ لِجِنْسِ الوَسواسِ وأنه يكونُ من الجِنِّ ومن الناسِ، ثم إن الموسوِسَ من الإِنْسِ يَحْتَمِلُ أن يُريدَ من يُوسوِسُ بخِدَعِه وأقوالِه الخبيثةِ فإنه شيطانٌ كما قالَ تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] أو يُريدُ به نفْسَ الإنسانِ إذ تَأْمُرُه بالسوءِ فإنها أَمَّارَةٌ بالسوءِ والأوَّلُ أَظْهَرُ، وقيلَ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ مَعطوفٌ على ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ كأنه قالَ: أَعوذُ من شَرِّ الوَسواسِ من الجِنَّةِ، ومن شَرِّ الناسِ، وليس الناسُ على هذا مِمَّنْ يُوسوِسُ، والأَوَّلُ أَظْهَرُ وأَشْهَرُ). [التسهيل: ٢٢٧]

قالَ عَبْدُ البَاقِي بْنُ عبدِ المَجيدِ القُرَشِيُّ اليَمَانِيُّ (ت: ٧٤٣هـ): (﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾: بيَانٌ لِلْمُوَسْوِسِ، وهما ضَرْبانِ: إنسِيٌّ وجِنِّيٌّ، كما قالَ تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]). [الترجمان: ٢٣٥]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (الوَسْوَاسُ قَالُوا: اسمٌ مِنْ أسماءِ الشيطانِ، وَالوَسْوَاسُ أَيْضاً: ما يُوَسْوِسُ بِهِ شَهَوَاتِ النفسِ، وَهوَ الهَوَى المَنْهِيُّ عنهُ.

وَالخَنَّاسُ: الراجعُ على عَقِبِهِ المُسْتَتِرُ أَحْيَاناً، وَذلكَ في الشيطانِ مُتَمَكِّنٌ، إذا ذَكَرَ العبدُ اللهَ تعالى تَأَخَّرَ، وَأَمَّا الشهواتُ فَتَخْنِسُ بالإيمانِ وَبلَمَّةِ المَلَكِ وَبالحياءِ ؛ فهذانِ المَعْنَيَانِ يَنْدَرِجَانِ في ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ ويَكونُ مَعْنَى ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ مِنَ الشياطينِ وَنفوسِ الناسِ، أَوْ يكونُ ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ أُرِيدَ بِهِ الشيطانُ وَالمُغْرِي المُزَيِّنُ مِنْ قُرَنَاءِ السَّوْءِ، فيكونُ ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ تَبْيِيناً لذلكَ ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾.

قَالَ تعالَى: ﴿عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وَقَالَ قتادةُ: إنَّ مِنَ الإنسِ شَيَاطِينَ، وَمن الجنِّ شَيَاطِينَ، فَنَعُوذُ باللهِ مِنْهُمْ.

وَقال أبو ذرٍّ لِرَجُلٍ: هلْ تَعَوَّذْتَ مِنْ شياطينِ الإنسِ؟). [البحر المحيط: ٧٦٤/٨- ٧٦٥]

قَالَ السَّمِينُ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ الحَلَبِيُّ (ت: ٧٥٦هـ): (قولُهُ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾. فيهِ أَوْجُهٌ.

أحدُهَا: أَنَّهُ بدلٌ مِنْ ﴿شَرِّ﴾ بإعادةِ العاملِ، أيْ: مِنْ شرِّ الجِنَّةِ.

الثاني: أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ ذِي الوَسْوَاسِ؛ لأنَّ المُوَسْوِسَ مِنَ الجنِّ الإنسِ.

الثالثُ: أَنَّهُ حالُ الضميرِ في ﴿يُوَسْوِسُ﴾ أيْ: يُوَسْوِسُ حالَ كونِهِ مِنْ هَذَيْنِ الجِنْسَيْنِ.

الرابعُ: أَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الناسِ وَجَعَلَ مِنْ تَبْيِيناً. وَأُطْلِقَ على الجنِّ اسمُ الناسِ؛ لأَنَّهُم يَتَحَرَّكُونَ في مُرَادَاتِهِمْ، قَالَهُ أبو البَقَاءِ إِلاَّ أنَّ الزَّمَخْشَرِيَّ أَبْطَلَ فَقَالَ بعدَ أنْ حَكَاهُ: "وَاسْتَدَلُّوا بـ (نَفَرٌ) و(رِجَالٌ) وَما أُحِقُّهُ؛ لأنَّ الجنَّ سُمُّوا جِنًّا لاجْتِنَانِهِم وَالناسُ نَاساً لِظُهُورِهِمْ، مِنَ الإيناسِ وَهوَ الإبصارُ، كَمَا سُمُّوا بَشَراً.

وَلَوْ كَانَ يَقَعُ الناسُ على القَبِيلَيْنِ وَصَحَّ وَثَبَتَ لَمْ يَكُنْ مُنَاسِباً لفصاحةِ القرآنِ وَبُعْدِهِ مِنَ التَّصَنُّعِ، وَأَجْوَدُ مِنْهُ أنْ يُرَادَ بالناسِ الناسِي كقولِهِ: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] وكما قُرِئَ: (مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسِي).

ثُمَّ بُيِّنَ بالجِنَّةِ وَالنَّاسِ؛ لأنَّ الثَّقَلَيْنِ هُمَا النوعانِ الموصوفانِ بِنِسْيَانِ حقِّ اللهِ تعالى " قُلْتُ: يَعْنِي: أَنَّهُ اجْتُزِئَ بالكسرةِ عَنِ الياءِ، وَالمرادُ اسمُ الفاعلِ، وَقدْ تَقَدَّمَ تحقيقُ هذا في البقرةِ، وَأَنْشَدْتُ عَلَيْهِ هناكَ شيئاً مِنَ الشواهدِ.

الخامسُ: أَنَّهُ بيانٌ للذي يُوَسْوِسُ، على أنَّ الشيطانَ ضَرْبَانِ: إِنْسِيٌّ وَجِنِّيٌّ، كَمَا قَالَ: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]. وَعنْ أبي ذرٍّ: أَنَّهُ قَالَ لرجلٍ: هل اسْتَعَذْتَ مِنْ شياطينِ الإنسِ؟

السادسُ: أَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بـ ﴿يُوَسْوِسُ﴾ و﴿مِنَ﴾ لابتداءِ الغايةِ، أيْ: يُوَسْوِسُ في صُدُورِهِم مِنْ جهةِ الجنِّ وَمنْ جهةِ الإنسِ.

السابعُ: أنَّ ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ عَطْفٌ على الوسواسِ، أيْ: مِنْ شرِّ الوسواسِ وَالناسِ. وَلا يَجُوزُ عَطْفُهُ على الجِنَّةِ؛ لأنَّ الناسَ لا يُوَسْوِسُونَ في صدورِ الناسِ، إِنَّمَا يُوَسْوِسُ الجنُّ، فَلَمَّا اسْتَحَالَ المَعْنَى حُمِلَ على العطفِ على الوسواسِ، قالَهُ مَكِّيٌّ، وَفيهِ بُعْدٌ كبيرٌ لِلَّبْسِ الحاصلِ، وَقدْ تَقَدَّمَ أنَّ الناسَ يُوَسْوِسُونَ أيضاً بِمَعْنًى يَلِيقُ بهم.

الثامنُ: أنَّ ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ حالٌ مِن ﴿ٱلنَّاسِ﴾، أيْ: كَائِنِينَ مِنَ القَبِيلَيْنِ، قالَهُ أبو البقاءِ، وَلم يُبَيِّنْ: أيُّ الناسِ المُتَقَدِّمُ أَنَّهُ صاحبُ الحالِ؟ وَعلى كلِّ تَقْدِيرٍ فلا يَصِحُّ مَعْنَى الحاليَّةِ [في شيءٍ منها] لا الأولُ وَلا ما بَعْدَهُ. ثُمَّ قالَ: " وَقِيلَ هوَ معطوفٌ على الجنَّةِ ". يُرِيدُ: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ الأخيرَ مَعْطُوفٌ على ﴿ٱلْجِنَّةِ﴾، وَهذا الكلامُ يَسْتَدْعِي تَقَدُّمَ شيءٍ قبلَهُ: وَهوَ أنْ يَكُونَ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ عَطْفاً على غيرِ الجِنَّةِ كما قَالَ بِهِ مَكِّيٌّ ثُمَّ يَقُولُ: " وَقِيلَ: وَهوَ مَعْطُوفٌ على الجِنَّةِ ". وَفي الجملةِ فهوَ كَلامٌ مُتَسَامَحٌ فيهِ [سَامَحَنَا اللهُ] وَإِيَّاهُ وَجَميعَ خَلْقِهِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ، وَخَتَمَ لنا منهُ بخيرٍ، وَخَتَمَ لنا رِضَاهُ عنَّا وَعنْ جميعِ المُسْلِمِينَ). [الدر المصون: ١١/١٦٢- ١٦٤]

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ سُلَيْمَانَ بْنِ رَيَّانَ (ت: ٧٧٠هـ): (سُؤَالٌ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ قيلَ: هو بَيَانٌ للشيطانِ المُوَسْوِسِ أنَّه جِنِّيٌّ وإِنْسِيٌّ، كقولِهِ تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، أو ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ بيانٌ له،

﴿وَٱلنَّاسِ﴾ عَطْفٌ على الوسوسَةِ، وعلى كلٍّ شَمَلَ شَرَّ لَبِيدٍ وبنَاتِهِ المذكورينَ، وَاعْتُرِضَ على الأَوَّلِ بأنَّ الناسَ لا يُوَسْوِسُونَ في صدورِ الناسِ إنَّمَا يُوَسْوِسُ في صُدُورِهِمُ الجِنُّ.

جَوَابٌ: إن الناسَ يُوسوسُونَ أيْضًا بمعْنًى يَلِيقُ بهم في الظاهِرِ، ثم تَصِلُ وَسْوَسَتُهُمْ إلى القلبِ، وتَثْبُتُ فيه بطريقٍ ما يُؤَدِّي إلى ذلكَ، واللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ). [الروض الريان: ٣/٦٥٠]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (وقولُه: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾. هل هو تفصيلٌ لقولِه: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾؟ ثُمَّ بَيَّنَهم فقالَ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾. وهذا يُقَوِّي القولَ الثانِيَ.

وقيلَ: قولُه: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾. تَفْسِيرٌ للذي يُوَسْوِسُ في صُدُورِ الناسِ مِن شَيَاطِينِ الإِنْسِ والجِنِّ، كما قالَ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]). [تفسير القرآن العظيم: ٣٩١٢/٨]

قَالَ ابْنُ المُلَقِّنِ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٨٠٤هـ): (ومعنَى قولِه ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾. أي: أَعُوذُ باللهِ مِن المُوَسْوِسِ مِن الجِنَّةِ، أي: الجِنِّ.

﴿وَٱلنَّاسِ﴾. أي: الإنسِ. واللهُ أعلمُ). [تفسير غريب القرآن: ٦٠٦]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الفَيْرُوزَآبادِيُّ (ت: ٨١٧ هـ): (أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ الثِّقَةُ ابْنُ المَأْمُونِ الهَرَوِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبِي، قالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ، قال: أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللهِ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَمَّارُ بْنُ عَبْدِ المَجِيدِ الهَرَوِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ السَّمَرْقَنْدِيُّ، عن مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنِ الكَلْبِيِّ، عن أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ يَقُولُ: يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ الجِنِّ كَمَا يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ). [تنوير المقباس: ٦٠٤]

قالَ جَلالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ المَحَلِّيُّ (ت: ٨٦٤هـ): (﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بَيَانٌ للشيطانِ المُوَسْوِسِ أَنَّهُ جِنِّيٌّ وَإِنْسِيٌّ، كقولِهِ تعالى: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] أَوْ من الجِنَّةِ بَيَانٌ لهُ، والناسِ عَطْفٌ على الوَسْوَاسِ، وعلى كُلٍّ يَشْتَمِلُ شَرَّ لَبِيدٍ وَبَنَاتِهِ المَذْكُورِينَ.

وَاعْتُرِضَ الأَوَّلُ بِأَنَّ الناسَ لا يُوَسْوِسُ في صُدُورِهِم الناسُ، إِنَّمَا يُوَسْوِسُ في صُدُورِهِم الجِنُّ.

وَأُجِيبَ بِأَنَّ الناسَ يُوَسْوِسُونَ أيضاً بِمَعْنًى يَلِيقُ بهم في الظاهِرِ، ثمَّ تَصِلُ وَسْوَسَتُهُمْ إلى القلبِ، وَتَثْبُتُ فيهِ بالطريقِ المُؤَدِّي إلى ذلكَ، واللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ). [تفسير الجلالين: ٦٠٤]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبِيُّ (ت: ٨٧٥ هـ): (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ يَعْنِي: الشَّيَاطِينِ، وَيَظْهَرُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ يُرَادُ بِهِ مَنْ يُوَسْوِسُ بِخُدْعَةٍ مِن الشَّرِّ وَيَدْعُو إِلَى الباطِلِ،

فَهُوَ فِي ذَلِكَ كالشيطانِ، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ نَصرِ الدَّاوُودِيُّ: وَعَن ابْنِ جُرَيْجٍ ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾. قَالَ: إِنَّهُمَا وَسْوَاسَانِ، فَوَسْوَاسٌ مِنَ الجِنَّةِ وَوَسْوَاسٌ مِنْ نَفْسِ الإِنْسَانِ - انْتَهَى). [الجواهر الحسان: ٥/٦٤٢]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (قَوْلُهُ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ فِيهِ أَوْجُهٌ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ "شَرِّ" بِإِعَادَةِ العامِلِ، أي: مِنْ شَرِّ الجِنَّةِ.

الثَّانِي: أنه بَدَلٌ مِنْ ذِي الوَسْوَاسِ؛ لأَنَّ المُوَسْوِسَ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي "يُوَسْوِسُ" حالَ كَوْنِهِ مِنْ هَذَيْنِ الجِنْسَيْنِ.

الرَّابِعُ: أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ وجَعَلَ "مِنْ" تَبْيِينًا، وأَطْلَقَ عَلَى الجِنِّ اسْمَ النَّاسِ؛ لأَنَّهُمْ يَتَحَرَّكُونَ فِي مُرَادَاتِهِمْ. قَالَه أَبُو البَقَاءِ، إلا أَنَّ الزَّمَخْشَرِيَّ أَبْطَلَهُ، فقَالَ بَعْدَ أَنْ حَكَاهُ: "وَاسْتَدَلُّوا بِنَفرٍ وَرِجَالٍ فِي سُورَةِ "الجِنِّ" ومَا أُحِقُّهُ لأَنَّ الجِنَّ سُمُّوا جِنًّا لاجْتِنَانِهِمْ، والناسُ نَاسًا لظُهُورِهِمْ مِنَ الإِينَاسِ، وهُوَ الإِبْصَارُ، كَمَا سُمُّوا بَشرًا، ولو كَانَ يَقَعُ النَّاسُ عَلَى القَبِيلَيْنِ، وصَحَّ ذَلِكَ وَثَبتَ، لَمْ يَكُنْ مُنَاسِبًا لِفَصَاحَةِ القُرْآنِ، وبُعْدِهِ عَنِ التَّصَنُّعِ، وأَجْوَدُ مِنْهُ أَنْ يُرَادَ بالنَّاسِ: النَّاسِي، كقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] ثُمَّ يُبَيَّنُ بِالجِنَّةِ وَالنَّاسِ؛ لأَنَّ الثَّقَلَيْنِ هُمَا النَّوْعَانِ المُوصَفَانِ بِنِسْيَانِ حَقِّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ".

الخامِسُ: أَنَّهُ بَيَانٌ لـ ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾ عَلَى أَنَّ الشَّيْطَانَ ضَرْبَانِ: جِنِّيٌّ، وَإِنْسِيٌّ كَمَا قَالَ: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وعَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ: هَلاَّ اسْتَعَذْتَ مِنْ شَيَاطِينِ الإِنْسِ.

السادِسُ: أَنْ يَتَعَلَّقَ بِـ"وَسْوَسَ" و"مِنْ" لابْتِدَاءِ الغايَةِ، أي: يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ جهةِ الإِنْسِ، ومن جِهَةِ الجِنِّ.

السَّابِعُ: أَنَّ "النَّاسَ" عَطْفٌ عَلَى "الوَسْوَاسِ" أي: مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ والنَّاسِ، ولا يَجُوزُ عَطْفُهُ عَلَى "الجِنَّةِ"؛ لأَنَّ النَّاسَ لا يُوَسْوِسُونَ فِي صُدُورِ النَّاسِ، إِنَّمَا يُوَسْوِسُ الجِنُّ، فَلَمَّا اسْتَحَالَ المَعْنَى حُمِلَ عَلَى العَطْفِ عَلَى الوَسْوَاسِ، قَالَه مَكِّيٌّ.

الثَّامِنُ: أَنَّ "مِنَ الجِنَّةِ" حَالٌ مِنَ "النَّاسِ" أي: كَائِنَيْنِ مِنَ القَبِيلَيْنِ، قَالَهُ أَبُو البَقَاءِ، ولم يُبَيِّنْ أيُّ النَّاسِ المُتَقَدِّمِ أَنَّهُ صَاحِبُ الحَالِ، وعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَلا يَصِحُّ مَعْنَى الحالِيَّةِ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، لا الأَوَّلِ، ولا مَا بَعْدَهُ، ثُمَّ قَالَ: "وقِيلَ: هُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى الجِنَّةِ" يُرِيدُ: "وَالنَّاسِ" الأَخِيرُ مَعْطُوفٌ عَلَى الجِنَّةِ، وهَذَا الكلامُ يَسْتَدْعِي تَقْدِيرَ شَيْءٍ قَبْلَهُ وهُوَ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ عَطْفًا عَلَى غَيْرِ الجِنَّةِ؛ وفِي الجُمْلَةِ فَهُوَ كلامٌ يُتَسَامَحُ فِيهِ). [اللباب: ٢٠/٥٧٨- ٥٧٩]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَلَمَّا كانَ الذي يُعَلِّمُ الإنسانَ الشرَّ تَارَةً مِنَ الجِنِّ وَأُخْرَى مِنَ الإِنسِ قَالَ مُبَيِّنًا للوسواسِ تَحْذِيراً مِنْ شَيَاطِينِ الإِنسِ كالتحذيرِ مِنْ شياطينِ الجِنِّ مُقَدِّماً الأَهَمَّ الأَضَرَّ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَيَاناً لـ(النَّاسِ) وَلا تَعَسُّفَ فيه لِمَا عُلِمَ مِنْ نَقْلِ القاموسِ.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ أي: الجِنِّ الذينَ في غايةِ الشرِّ وَالتَّمَرُّدِ وَالخَفَاءِ.

﴿وَٱلنَّاسِ﴾ أيْ: أهلِ الاضطرابِ والذبذبةِ، سَوَاءٌ كانوا مِنَ الإنسِ أوِ الجنِّ، فَيَكُونُ المعنَى أنَّ الجنَّ مُسَلَّطٌ بَعْضُهُم على بعضٍ كما هم مُسَلَّطُونَ على الإنسِ، فَيَدْخُلُ شيطانُ الجنِّ في الجِنِّيِّ كَمَا يَدْخُلُ في الإنْسِيِّ، وَيُوَسْوِسُ لهُ – قَالَهُ البَغَوِيُّ عَنِ الكَلْبِيِّ، وَقالَ: ذُكِرَ عَنْ بعضِ العربِ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ قومٌ مِنَ الجنِّ فوَقَفُوا، فقِيلَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: أُنَاسٌ مِنَ الجِنِّ. قَالَ: وَهذا مَعْنَى قولِ الفراءِ.

وَقَدْ خُتِمَت السورةُ بما بُدِئَتْ بهِ، وَالمَعْنَى الثانِي أَوْفَقُ يرِدِّ آخِرِهَا على أَوَّلِهَا، فإِنَّهُ يَكُونُ شَرْحاً للناسِ الذينَ أُضِيفَتْ لهُمُ الصفاتُ العُلَى، وَالخواطرُ الواردةُ على الإنسانِ قدْ تكونُ وَسْوَسَةً، وَقدْ تكونُ إلهاماً.

وَالإلهامُ تارةً يَكُونُ مِنَ اللهِ بلا واسطةٍ، وَتَارَةً يكونُ بِوَاسِطَةِ المَلَكِ، وَيَكُونُ كلٌّ مِنْهُمَا في القلبِ، وَالوسوسةُ تَارَةً مِنَ الشيطانِ وَأُخْرَى مِنَ النفسِ، وكِلاهُمَا يكونُ في الصدرِ، فإنْ كانَ الإنسانُ مُرَاقِباً دَفَعَ عَنْ نفسِهِ الضارَّ وَإِلاَّ هَجَمَت الوارِدَاتُ عَلَيْهِ وَتَمكَّنَتْ منهُ، وَيَتَمَيَّزُ خَيْرُ الخواطرِ مِنْ شَرِّهَا بِقَانُونِ الشرعِ، على أنَّ الأمرَ مُشْكِلٌ، فإِنَّ الشيطانَ يَجْتَهِدُ في التلبيسِ.

فإِنْ وَافَقَ الشرعَ فَلْيُنْظَرْ فإنْ كَانَ فِعْلُهُ ذلكَ الحينَ أَوْلَى مِنْ غيرِ تَفْويتٍ لِفَضِيلَةٍ أُخْرَى هيَ أَوْلَى منهُ بَادَرَ إليهِ، وَإِنْ كانَ الخَاطِرُ دُنْيَوِيًّا وَأَدَّى الفِكْرُ إلى أَنَّهُ نَافِعٌ مِنْ غَيْرِ مُخَالَفَةٍ للشرعِ زَادَ على شِدَّةِ تَأَمُّلِهِ الاستشارةَ لِمَنْ يَثِقُ بِدِينِهِ وَعَقْلِهِ، ثمَّ الاستخارةَ لاحتمالِ أنْ تَتَوَافَقَ عَلَيْهِ العقولُ وَيكونُ فيهِ خَلَلٌ لتقصيرٍ وَقَعَ في النظرِ، وَقدْ جَعَلَ بَعْضُهُم قانونَ الخاطرِ الرَّحْمَانِيِّ أَنْ يَنْشَرِحَ لهُ الصدرُ وَتَطْمَئِنَّ إليهِ النفسُ.

وَالشيطانيِّ وَالنفسيِّ أَنْ يَنْقَبِضَ عندَهُ الصدرُ وَتَقْلَقُ النفسُ بشهادةِ الحديثِ النَّبَوِيِّ في البرِّ وَالإثْمِ، وَيُعْرَفُ الشيطانيُّ بالحملِ على مُطْلَقِ المخالفةِ، فإِنَّ الشيطانَ لا غَرَضَ لهُ في مخالفةٍ بِعَيْنِهَا فَإِنْ حَصَلَ الذِّكْرُ زَالَ ذلكَ، وَالنَّفْسَانِيُّ مَلْزُومُ شيءٍ بِعَيْنِهِ، سَوَاءٌ كانَ نَفْعاً أَوْ ضُرًّا، وَلا يَنْصَرِفُ عنهُ بالذِّكْرِ.

وَقدْ يكونُ الشيطانُ إِنْسِيًّا مِنْ أزواجٍ وَأولادٍ وَمَعَارِفَ، وَرُبَّمَا كَانَ أَضَرَّ مِنْ شيطانِ الجنِّ، فَدَوَاؤُهُ المقاطعةُ وَالمُجَانَبَةُ بِحَسَبِ القدرةِ، وَمَن أَرَادَ قَانُوناً عَظِيماً لِمَنْ يُصاحِبُ وَمَنْ يُجَانِبُ فَعَلَيْهِ بآيةِ الكهفِ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨]). [نظم الدرر: ٨/٦١٦- ٦١٧]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الإِيجِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت: ٩٠٥ هـ): (﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾: بيانُ (الَّذِي) أو الوَسْوَاسِ، قالَ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وعن بعضٍ: هو بيانٌ للناسِ، والناسُ يَعُمُّهُما تغْلِيبًا، أو يُطْلَقُ على الجنِّ أيضًا ناسٌ حقيقةً، أو لأنَّ المُرادَ مِنَ النَّاسِ الناسِي، ونسيانُ حقِّ اللهِ يَعُمُّهما). [جامع البيان: ٤/٥٤٧- ٥٤٨]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ عَن ابْنِ جُرَيْجٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾. قالَ: هُمَا وَسْوَاسَانِ ؛ فَوَسْوَاسٌ مِن الجِنَّةِ وَهُوَ الجِنُّ، وَوَسْوَاسُ نَفسِ الإِنْسَانِ، فَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٩]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ﴾ أي: الجنِّ الَّذِين هم في غايةِ الشَّرِّ والتمرُّدِ والخَناس.

﴿وَٱلنَّاسِ﴾ أيْ: أهلِ الاضطرابِ والذَّبْذَبَةِ بيانٌ للذي يُوسوسُ على أنَّ الشَّيطانَ ضَرْبَانِ جِنِّيٌّ وإنسيٌّ كما قَالَ تَعالَى ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] ويجوزُ أنْ يكونَ بدلاً منَ الَّذِي يُوسوسُ أيِ المُوَسْوِسُ منَ الجنِّ والإنسِ، وأنْ يكونَ حالاً منَ الضَّميرِ في يُوسوسُ أيْ: حالَ كونِهِ مِن هذينِ الجنسينِ، وَقِيلَ غيرُ ذلكَ، قَالَ الحسنُ: هما شيطانانِ لنا أمَّا شيطانُ الجنِّ فيوسوسُ في صدورِ النَّاسِ وأما شيطانُ الإنسِ فيأتي علانيةً). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٥- ٦١٦]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾: بَيَانٌ للَّذِي يُوَسْوِسُ عَلَى أَنَّهُ ضَرْبَانِ: جِنِّيٌّ وَإِنْسِيٌّ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، أَوْ مُتَعَلِّقٌ بِـ ﴿يُوَسۡوِسُ﴾ ؛ أَيْ: يُوَسْوِسُ فِي صَدْرِهِمْ مِنْ جِهَةِ الجِنِّ وَمِنْ جِهَةِ الإِنسِ.

وَقَدْ جُوِّزَ أَنْ يَكُونَ بَيَاناً لِلنَّاسِ عَلَى أَنَّهُ يُطْلَقُ عَلَى الجِنِّ أَيْضاً حَسَبَ إِطلاقِ النَّفَرِ والرِّجَالِ عَلَيْهِمْ، وَلا تَعْوِيلَ عَلَيْهِ، وَأَقْرَبُ مِنْهُ أَنْ يُرَادَ بالنَّاسِ النَّاسِي، وَيُجْعَلَ سُقُوطُ اليَاءِ كَسُقُوطِهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦]، ثُمَّ يُبَيِّنُ بالجِنَّةِ والنَّاسِ؛ فَإِنَّ كُلَّ فَرْدٍ مِنْ أفرادِ الفَرِيقَيْنِ مُبْتَلًى بِنِسْيَانِ حَقِّ اللهِ تَعَالَى إِلاَّ مَنْ تَدَارَكَهُ شَوَافِعُ عِصْمَتِهِ وَتَنَاوَلَهُ وَاسِعُ رَحْمَتِهِ، عَصَمَنَا اللهُ تَعَالَى مِن الغَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِهِ، وَوَفَّقَنَا لأداءِ حُقُوقِ شُكْرِهِ). [إرشاد العقل السليم: ٧/٢١٧] (م)

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (وَقَدْ وَصَفَ اللهُ هَذَا الوَسْوَاسَ الخَنَّاسَ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ أَيْ إِنَّ هَذَا الوَسْوَاسَ الخَنَّاسَ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ البَشَرِ، قد يَكُونُ مِنَ الجِنَّةِ وَقَدْ يَكُونُ مِنَ النَّاسِ، كما جاء فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] فَشَيْطَانُ الجِنِّ قد يُوَسْوِسُ تَارَةً وَيَخْنُسُ أُخْرَى، وشَيْطَانُ الإِنْسِ كذلك، فَكَثِيرًا ما يُرِيكَ أنه نَاصِحٌ شَفِيقٌ، فإذا زَجَرْتَهُ خَنَسَ وَتَرَكَ هَذِهِ الوَسْوَسَةَ، وَإِذَا أَصْغَيْتَ إِلَى كَلامِهِ اسْتَرْسَلَ واسْتَمَرَّ فِي حَدِيثِهِ وبَالَغَ فِيهِ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّمَ أنه قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ تجَاوَزَ لأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا ما لم تَعْمَلْ أو تَتَكَلَّمْ بِهِ» رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَخَرَّجَهُ مُسْلِمٌ). [تفسير المراغي: ٣٠/٢٧١]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ نَاصِرٍ السَّعْدِيُّ (ت: ١٣٧٦هـ): (والوَسْوَاسُ كما يكونُ مِن الجِنِّ يكونُ مِن الإنسِ ؛ ولهذا قالَ: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾). [تيسير الكريم الرحمن: ٤/٢٠٠٢]

قالَ مُحمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (و﴿مِنَ﴾ في قولِه: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ بَيَانِيَّةٌ بَيَّنَت ﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ بأنه جِنْسٌ يَنْحَلُّ باعتبارِ إرادةِ حَقيقتِه ومَجازِه إلى صِنفَيْن: صِنْفٍ مِنَ الجِنَّةِ وهو أصْلُه، وصِنْفٍ مِنَ الناسِ، وما هو إلاَّ تَبَعٌ ووَلِيٌّ للصِّنْفِ الأَوَّلِ، وجَمَعَ اللهُ هَذينِ الصِّنفينِ في قولِه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا﴾ [الأنعام: ١١٢].

ووَجهُ الحاجةِ إلى هذا البيانِ خَفاءُ ما يَنْجَرُّ مِن وَسوسةِ نَوْعِ الإنسانِ؛ لأنَّ الأُمَمَ اعتادُوا أنْ يُحذِّرَهم المُصلِحونَ مِن وَسوسةِ الشيطانِ، وربما لا يَخْطُرُ بالبالِ أنَّ مِنَ الوَسواسِ ما هو شَرٌّ مِنْ وَسواسِ الشياطينِ، وهو وَسوسةُ أهْلِ نوعِهم، وهو أشَدُّ خطَرًا، وهم بالتَّعوُّذِ منهم أجْدَرُ؛ لأنهم منهم أَقْرَبُ، وهو عليهم أخْطَرُ، وأنهم في وسائلِ الضَّرِّ أَدْخَلُ وأقْدَرُ.

ولا يَستقِيمُ أنْ يَكونَ (مِن) بيانًا للنَّاسِ؛ إذْ لا يُطلَقُ اسمُ ﴿ٱلنَّاسِ﴾ على ما يَشمَلُ الجِنَّ، ومَن زَعَمَ ذلك فقَدْ أَبْعَدَ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣٥]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ سُلَيْمانَ الأَشْقَرُ (ت:١٤٣٠هـ): (ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ الَّذِي يُوَسْوِسُ بِأَنَّهُ ضَرْبَانِ: جِنِّيٌّ وَإِنْسِيٌّ، فَقَالَ: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾؛ أَمَّا شَيْطَانُ الجِنِّ فَيُوَسْوِسُ فِي صُدورِ النَّاسِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الإنسِ فَوَسْوَسَتُهُ فِي صُدُورِ النَّاسِ أَنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ كالناصحِ المُشْفِقِ، فَيُوقِعُ فِي الصَّدْرِ مِنْ كلامِهِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مَخْرَجَ النَّصِيحَةِ مَا يُوقِعُ الشَّيْطَانُ الجِنِّيُّ فِيهِ بِوَسْوَسَتِهِ). [زبدة التفسير: ٦٠٤]

الحكمة من تقديم الجنة على الناس

قالَ مُحمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وقُدِّمَ ﴿ٱلۡجِنَّةِ﴾ على ﴿ٱلنَّاسِ﴾ هنا؛ لأنهم أَصْلُ الوَسْواسِ كما عَلِمْتَ بخِلافِ تَقديمِ الإنْسِ على الجِنِّ في قولِه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]؛ لأنَّ خُبثاءَ الناسِ أشَدُّ مُخالَطَةً للأنبياءِ مِنَ الشياطينِ؛ لأنَّ اللهَ عصَمَ أنبياءَه مِن تَسلُّطِ الشياطينِ على نُفوسِهم، قالَ تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝٤٢﴾ [الحجر: ٤٢]، فإنَّ اللهَ أَرادَ إبلاغَ وَحْيِه لأَنْبيائِه، فزَكَّى نُفُوسَهم مِن خُبْثِ وَسوسةِ الشياطينِ، ولم يَعْصِمْهم مِن لَحاقِ ضَرِّ الناسِ بهم والكَيْدِ لهم؛ لضَعْفِ خَطَرِه، قالَ تعالى: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠]، ولكنَّه ضَمِنَ لرُسُلِه النَّجاةَ مِن كلِّ ما يَقطَعُ إبلاغَ الرسالةِ إلى أنْ يَتِمَّ مُرادُ اللهِ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٣٥]

المراد بالجنة

قالَ الأَخْفَشُ سَعِيدُ بْنُ مَسْعَدَةَ البَلْخِيُّ (ت: ٢١٥هـ): (والجِنَّةُ هم الجِنُّ). [معاني القرآن: ٢/٥٥٠]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٢٧٦هـ): (والجِنَّةُ: الجِنُّ). [تفسير غريب القرآن: ٥٤٣]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنُ أَبِي زَمَنِينَ (ت: ٣٩٩هـ): (﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ قَالَ مُحَمَّدٌ: يَعْنِي: الَّذِي هو مِنَ الجِنِّ). [تفسير القرآن العزيز: ٥/١٧٥]

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾: الجِنِّ). [العمدة في غريب القرآن: ٣٦١]

قَالَ مَكِّيُّ بنُ أبي طَالِبٍ القَيْسِيُّ (ت: ٤٣٧هـ): (و﴿ٱلْجِنَّةِ﴾: الجِنُّ). [تفسير المشكل من غريب القرآن: ٣٠٩]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ مُطَرِّفٍ الكِنَانِيُّ (ت: ٤٥٤هـ): ((وَالجِنَّةُ): الجِنُّ). [القرطين: ٢٢٢]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾. وَهُم الشَّيَاطِينُ). [الوسيط: ٤/٥٧٥]

قالَ أَبُو المُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (وقولُه: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ أي: مِن الجِنِّ). [تفسير القرآن: ٦/٣٠٨]

قَالَ أبو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (قولُه تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾، الجِنَّةُ: الجِنُّ). [زاد المسير: ٩/٢٧٩]

قَالَ أبو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (و﴿ٱلْجِنَّةِ﴾: الجِنُّ). [تذكرة الأريب: ٣٢٤]

قَالَ أَبُو البَقَاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الحُسَيْنِ العُكْبَرِيُّ (ت: ٦١٦هـ): (والجِنُّ والجِنَّةُ بمعنًى). [التبيان: ٢/ ٤٨٦]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾: يَعْنِي الجِنَّ). [لباب التأويل: ٤/٥٠٣]

قَالَ ابنُ المُلَقِّنِ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٨٠٤هـ): (الجِنَّةِ، أي: الجِنِّ). [تفسير غريب القرآن: ٦٠٦]

قَالَ ابنُ الهائِمِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِمَادٍ القَرَافِيُّ (ت: ٨١٥هـ): (﴿ٱلْجِنَّةِ﴾، أي: الجِنِّ). [التبيان: ٣٥٦]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ أيِ: الجنِّ الَّذِين هم في غايةِ الشَّرِّ والتمرُّدِ والخناسِ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٥- ٦١٦]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (وَالجِنَّةِ: وَاحِدُهُمْ جِنِّيٌّ، كَإِنْسٍ وَإِنْسِيٍّ). [تفسير المراغي: ٣٠/٢٦٩]

أحكام الآية

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ التَّمِيمِيُّ (ت: ١٢٠٦ هـ): (الثَّانِيَةُ وَالخَمْسُونَ: النَّهْيُ عَنِ الوَسْوَسَةِ فِي صُدُورِ النَّاسِ). [مجموع مؤلفاته/التفسير: ٢٧٩]

بيان المستشكل

كيف يوسوس الناس في صدور الناس؟!

قَالَ زَكَرِيَّا بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٩٢٦هـ): (كَيْفَ يُوَسْوِسُ النَّاسُ في صُدُورِ النَّاسِ؟). [فتح الرحمن:٤٩٩]

قَالَ عَبْدُ العَزِيزِ بنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت: ٦٦٠هـ): (سُؤَالٌ: كَيْفَ بَيَّنَ الَّذِي يُوَسْوِسُ في الصَّدْرُ (بالنَّاسِ)،

مَعَ أَنَّ النَّاسَ لا يَصِلُونَ إلى الصَّدْرِ؟

جَوَابُهُ: قَالُوا اسْتَعَاذَ مِنْ شَرِّ نَفْسِه، فإِنَّها تُوَسْوِسُ في صَدْرِه كالشَّيْطَانِ). [فوائد في مشكل القرآن:٢٦٣]

قلتُ: (هَذا الجَوابُ فِيهِ هَضْمٌ للمَعنى وَقَصْرٌ لَهُ عَلَى بعضِهِ، فَالوَسْوَسَةُ تَكُونُ مِن شَيطَانِ الإنسِ وَمِن شَيطَانِ الجِنِّ وَمِن نَفْسِ الإِنسَانِ، والصَّدْرِ هو مَحَلُّ الوَسْوَسَةِ).

فوائد

النسناس

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: ذَهَبَ النَّاسُ وَبَقِيَ النَّسْنَاسُ؛ فَقِيلَ لَهُ: مَا النَّسْنَاسُ؟

قَالَ: الَّذِينَ يُشْبِهُونَ النَّاسَ وَلَيْسُوا بِنَاسٍ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٤٣] [نسخة رامفور]

الفرق بين الجن والشياطين

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: الجِنُّ هُمْ وَلَدُ الجَانِّ وَلَيْس بِالشَّيْطَانِ، والشَّيَاطِينُ هُمْ وَلَدُ إِبْلِيسَ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٤٣] [نسخة رامفور]

الحِنُّ بالحاء المهملة

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (وَالحِنُّ بالحَاءِ كِلابُ الجِنِّ، وَقِيلَ سَفِلَةُ الجِنِّ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٤٣] [نسخة رامفور]

الجِنَّان

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (وَالجِنَّانُ الحَيَّاتُ إذَا مَشَتْ رَفَعَتْ رُؤُوسَهَا، قَالَ الشَّاعِرُ:

يَـــرْفَعْنَ بِاللَّيْـــلِ إِذَا مَـــا أَسْـــدَفَا ... أَعْنَـــاقَ جِنَّـــانٍ وَهَامًـــا رُجَّفَـــا

وَعَنَقًـــا بَعْـــدَ الكَـــلالِ أَخْطَفَـــا

إِذَا مَا أَسْدَفَ إِذَا أَظْلَمَ. السُّدْفَةُ الظُّلْمَةُ وَالضَّوْءُ، مِنَ الأَضْدَادِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٤٣] [نسخة رامفور]

قلت: (وقال المتنخِّلُ الهُذَلِيُّ:

وَخَـــرْقٍ تَعْـــزِفُ الجِنَّـــانُ فيـــهِ ... بَعِيـــدِ الجَـــوفِ أَغْبَـــرَ ذِي انخِطَـــاطِ

أَجَـــزْتُ بِفِتْيَـــةٍ بِـــيضٍ صِـــبَاحٍ ... لَهُـــمْ عَـــدْوٌ عَلَـــى ظَهْـــرِ الـــبَلاطِ).

أسئلة

قَالَ زَكَرِيَّا بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٩٢٦هـ): (قَوْلُهُ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ ما المُرادُ بهذه الآيةِ؟). [فتح الرحمن:٤٩٩]

قلتُ: (راجِعْ أَقْوَالَ العُلَمَاءِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ).

❖❖❖

تم تفسيرُ سُورَةِ النَّاسِ
وَللهِ الحمدُ وَالمِنَّةُ

مَسائل مُلحَقة بتفسيرِ المعوِّذتين

اعلَمْ وَفَّقَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى أَنِّي لَمَّا جَمَعْتُ كلامَ العُلَمَاءِ فِي تَفْسِيرِ المعوِّذَتينِ، وصنَّفْتُهُ على العُلُومِ والمسَائِلِ وَجَدْتُ فِي كَلامِهِمْ استطرَاداً كثيراً واجتهاداً في تبيينِ معاني الآياتِ ودلائلِها وهداياتِهَا حتَّى أفضَى بهم الحديثُ إلى مسائلَ ليستْ من صَمِيمِ مَسَائلِ التَّفسيرِ وإن كانَ لبعضِها صلةٌ بما يعينُ على فهمِ معَانِي الآياتِ والاهتدَاءِ بهدَاياتِها.

وَقَدْ حصَّلتُ من أقاويلهم شيئاً كثيراً جليلَ القدرِ عظيمَ النَّفعِ وَفِي بَعضِهِ مَا تَدْعُو الحَاجَةُ إِلَى التنبيهِ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ خَطَأ وَمُخَالَفَةٍ؛ فصنَّفْتُها علَى مسائل تقريباً لها وتيسيراً علَى قارئِي الكتابِ من الباحثِينَ وَالدارِسِينَ.

ثُمَّ لَمَّا رَأيتُ اختِلافَ أَقْوالِهم لاختِلافِ أفهَامِهِم ومَشَارِبهم ذَكَرْتُ مِنَ الأَدِلَّةِ وَالآثَارِ وَأَقْوالِ الأَئِمَّةِ ما أَرْجُو أَن يُقَوِّمَ مَسارَ البَحْثِ فِي تِلْكَ المسائِلِ، وَيُعِينَ عَلَى مَعْرِفَةِ الحَقِّ فِيهَا، وَيُتَمِّمَ الفَائِدَةَ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى، وَلَعَلَّهُ يَكُونُ نَوَاةً لِعَمَلٍ مَوْسُوعِيٍّ فِي تِلْكَ المَوضُوعَاتِ المهمَّةِ الَّتِي تَحْتَاجُ الأُمَّةُ إِلَى بَيَانِهَا، وَيَحْتَاجُ طُلَّابُ العِلْمِ إِلَى تَقْرِيبِ مَسَائِلِهَا وَدَلائِلِهَا وَإِيضَاحِ غَامِضِهَا وَمُشْكِلِهَا، وَتَزْيِيفِ مَا أَحْدَثَهُ بَعْضُ الجَهَلَةِ وَلَبَّسُوا بِهِ عَلَى النَّاسِ، ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١٤].

وَكَانَتْ تِلْكَ المسَائِلُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ:

الصِّنفُ الأَوَّل: مَسَائِلُ في الرُّقى.

الصِّنفُ الثَّانِي: مَسَائِلُ فِي السِّحْرِ.

الصِّنفُ الثَّالثُ: مَسَائِلُ فِي الحَسَدِ.

الصِّنفُ الرَّابعُ: مَسَائِلُ فِي الوَسْوَسَةِ.

وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ وَالقَبُولَ ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١].

مَسائِل فِي الرُّقَى وَمَا يُلْحَقُ بِهَا

مَعْنَى الرُّقْيَةِ

قالَ أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ الأَزْهَرِيُّ (ت: ٣٧٠هـ): (يُقَالُ: رَقَى الرَّاقِي رُقْيَةً ورَقْيًا، إذا عَوَّذَ ونَفَثَ فِي عُوذَتِهِ، وَصَاحِبُهَا رقَّاء، وَالمَرْقِيُّ يَسْتَرْقِي، وَهُمُ الرَّاقُونَ، وَقَالَ النَّابغَةُ: تَنَاذَرَها الرَّاقُونَ مِن سُوءِ سُمِّهَا). [تهذيب اللغة: رقى]

قلتُ: (وبنحْوِ مَا قَالَ أبو مَنْصُورٍ قَالَ جَمَاعَةٌ مِن أَهْلِ العِلْمِ بلِسَانِ العَرَبِ، وَمَا اسْتَشْهَدَ بِهِ هُو مِنْ أَبْيَاتٍ للنَّابغَةِ مِنْهَا:

فبِتُّ كأني سَاوَرَتْني ضَئِيلةٌ ... مِن الرُّقْشِ في أنيابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ

يُسَهَّدُ مِن لَيلِ التّمامِ سَليمُها ... لِحَلْيِ النساءِ في يَدَيْهِ قَعَاقِعُ

تَنَاذَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سُمِّهَا ... تُطَلِّقُهُ طَورًا وطَورًا تُراجِعُ

وقالَ سَلَمَةُ بنُ الخُرْشُبِ الأَنْمَارِيُّ يَمْدَحُ فَرَسَهُ:

تُعَوَّذُ بالرُّقَى مِن غيرِ خَبْلٍ ... وتُعْقَدُ في قَلائِدِهَا التَّمِيمُ

وقال عَلْقَمَةُ بنُ عَبْدَةَ التَّمِيميُّ:

وقد أغتَدي والطَّيرُ في وُكُناتِها ... وماءُ النَّدى يجري على كلِّ مِذنَبِ

بِمُنجَرِدٍ قَيدِ الأوابِدِ لاحَهُ ... طِرادُ الهَوادي كلَّ شأوٍ مُغرِّبِ

بغَوجٍ لَبانُهُ يُتَمُّ بَريمُهُ ... على نَفْثِ راقٍ خَشيَةَ العينِ مُجلِبِ

قالَ الخَليلُ: (الغَوْجُ: الوَاسِعُ جِلْدِ الصَّدْر، والبَريمُ خَيْط يُعْقَدُ عَلَيْهِ عُوذَةٌ، ويُتَمُّ بَريمُهُ أَيْ يُطَالُ إطَالَةً لِسعَةِ صَدْرِه).

وَقَالَ أَبُو مَنصُورٍ الأَزْهَرِيُّ: (والمُجلِبُ: الَّذِي يَجْعَلُ العُوذَةَ فِي جِلْبٍ ثُمَّ يُخَاطُ عَلَى الفَرَسِ).

قلتُ: اختُلِفَ فِي تَفْسِيرِ المُجْلِبِ فِي هَذَا البَيْتِ عَلَى أَقْوالٍ هَذَا أَحَدُهَا.

وَلِتَأْثِيرِ الرُّقْيَةِ عَلَى الرُّوحِ شَبَّهَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ كَلامَ بَعْضِ مَن يُحِبُّ بالرُّقْيَةِ كَمَا قَالَ سُوَيدُ بنُ كَاهِلٍ اليَشْكُرِيُّ:

فَدَعَانِي حُبُّ سَلْمَى بَعْدَ مَا ... ذَهَبَ الجِدَّةُ مِنِّي والرَّيَعْ

خَبَّلَتْني ثُمَّ لَمَّا تَشفِني ... فَفُؤادي كلَّ أَوْبٍ ما اجتَمَعْ

ودَعَتْنِي برُقَاهَا إنَّهَا ... تُنزِلُ الأَعْصَمَ مِن رَأْسِ اليَفَعْ

تُسْمِعُ الحُدَّاثَ قولاً حَسَنًا ... لو أَرادُوا غَيرَهُ لم يُسْتَمَعْ

الأَعْصَمُ هو الثَّورُ الوَحْشِيُّ الَّذِي فِي يَدَيْهِ بَيَاضٌ، مَنَازِلُهُ فِي المرتَفَعَاتِ، سَرِيعُ الجَرْيِ شَدِيدُ الحَذَرِ، يَقُولُ: إنَّ حَدِيثَها كَالرُّقْيَةِ للنَّفسِ مِن حُسْنِه وقُوَّةِ تَأْثِيرِهِ واسْتِمَالَتِهَا بِهِ مَن تُحَدِّثُهُ فلا يَمْلِكُ إلا أن يَمِيلَ إِلَيهَا، حَتَّى لَو أَنَّهَا حدَّثَتِ الثَّوْرَ الأَعْصَمَ المعروفَ بشدَّةِ حَذَرِهِ ونُفُورِهِ مِنَ الإِنسِ لَنَزَلَ مِن أَعْلَى الجبَلِ؛ فَكَيْفَ لا أَسْتَجِيبُ لَهَا وَلا يَسْتَمِيلُنِي حَدِيثُهَا.

قالَ الخليلُ بنُ أَحْمَدَ: (الرَّاقُونَ إِذَا رَقَوا الحَيَّةَ لِيَأْخُذُوها فَفَرَغَ أَحَدُهُم مِن رُقْيَتِهِ قَالَ لها: أُسْ فَتَخْضَعُ وتَلِينُ).

فالرُّقْيَةُ لَهَا مَعْنًى مَعْهُودٌ فِي لِسَانِ العَرَبِ يُعْرَفُ مِمَّا أُثِرَ عَنْهُم، وَهُو نَوْعٌ مِن الكَلامِ مِنْهُ مَا لَهُ تَأْثِيرٌ عَلَى الأَرْوَاحِ وَالأَبْدَانِ يُسْتَعْمَلُ لأَغْرَاضٍ مَعْرُوفَةٍ كَالاستِشْفَاءِ وَدَفْعِ العَيْنِ وَمَسِّ الجِنِّ وَتَروِيضِ الحَيَوانِ، وَقَدْ يَكُونُ مَعَهُ نَفْثٌ وَقَدْ يَخْلُو مِنَ النَّفْثِ، وَقَدْ يَكُونُ فِي عُقَدٍ وَتَمَائِمَ وَقَدْ يَكُونُ بِغَيْرِ ذَلِكَ.

وَأَكْثَرُ الرُّقَى الَّتِي كَانَت تَسْتَعْمِلُهَا العَرَبُ فِيهَا شِرْكٌ وَاسْتِغَاثَةٌ بالشَّيَاطِينِ، وَبَعْضُهَا خُرَافَاتٌ وَأَوْهَامٌ، وَمِنْهَا مَا يَخْلُو مِنَ الشِّرْكِ وَعُرِفَ معناه، وَهُوَ مَا أُذِنَ فِيهِ).

النفث

قالَ الخَلِيلُ بنُ أَحْمَدَ الفَرَاهِيدِيُّ(ت:١٧٠هـ): (النَّفْث: نَفْثُكَ فِي العُقَدِ ونحوِهَا يُقَالُ: نَفَثَ يَنْفُثُ نَفْثًا وَمِن ذَلِكَ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: ٤] يَعنِي السَّوَاحِرَ). [العين:٨/٢٣٠]

قالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ ابنُ دُرَيْدٍ الأَزْدِيُّ (ت:٣٢١هـ): (نَفَث الراقي ريقَه، وهو أقلُّ من التَّفل، والساحرة تَنْفث، وهو النَّفخ دون التَّفل، وكذلك فُسِّر في التنزيل في قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: ٤]. والحيَّة تَنْفُث السُّمَّ، إذا نَكَزَتْ بفيها، ومن أمثالهم: (لا بدَّ للمصدور أن يَنْفِث). والنُّفَاثة: الشَّظِيَّة تبقى من المِسواك في في الرجل فينفثُها). [جمهرة اللغة: نفث]

قالَ أَحْمَدُ بنُ فَارِسِ بنِ زَكَرِيَّا الرَّازِيُّ (ت:٣٩٥هـ): ((نفث) النون والفاء والثاء أصلٌ صحيح يدلُّ على خروج شيء من فمٍ أو غيره بأدنى جَرْس.

منه نَفَثَ الرَّاقِي رِيقَه، وهو أقلُّ من التَّفل، والساحرة تَنْفُثُ السَّمَّ، (ولا بدَّ للمصدور أن يَنْفُث) مَثَل، و(لو سألني نُفَاثَةَ سِوَاكٍ ما أعطيته)، وهو ما بقي في أسنانه فنفثَه، ودمٌ نفيثٌ: نَفَثَهُ الجُرحُ، أي أظهرَه). [معجم المقاييس:٥/٤٥٧]

قَالَ يوسفُ بنُ عبدِ اللهِ ابنُ عبدِ البرِّ النَّمَرِيُّ (ت: ٤٦٣هـ): (وَالتَّفْلُ: مَا فِيهِ بُصَاقٌ يَرْمِيهِ الرَّاقِي بريحِ فَمِهِ، وَقِيلَ: التَّفْلُ البُصَاقُ نَفْسُهُ، وَالنَّفْثُ مَا لا بُصَاقَ فِيهِ). [الاستذكار:٢٧/٢٨- ٣١]

قَالَ سُلَيمانُ بنُ خَلَفٍ البَاجِيُّ(ت:٤٧٤هـ): (وَقَوْلُهَا: (وَيَنْفُثُ) سُنَّةٌ فِي نَفْثِ الرَّاقِي، قَالَ عِيسَى بْنُ دِينَارٍ: النَّفْثُ شِبْهُ البُزَاقِ وَلا يُلْقِي شَيْئًا، وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى الأَعْشَى عَنْ أَبِي عُيَيْنَةَ عَنْ زُفَرَ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنْ نَفْثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَقَالَتْ: (كَانَ يَنْفُثُ كَمَا يَنْفُثُ آكِلُ الزَّبِيبِ).

وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ كَانَ يُلْقِي اليَسِيرَ مِنَ الرِّيقِ ؛ فَأَمَّا التَّفْلُ فَإِنَّهُ يَكُونُ مَعَهُ إِلْقَاءُ الرِّيقِ ، رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم مَرُّوا بِمَاءٍ لُدِغَ سَيِّدُ أَهْلِهِ فَرَقَاهُ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فَكَانَ يَقْرَأُ بِأُمِّ القُرْآنِ وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتْفُلُ فَبَرَأَ). [المنتقى:]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (النَّفْث بالفم: شبيه بالنَّفْخ ويقال: نَفَث الراقى رِيقهُ وهو أقلُّ من التَّفْل ونَفَثَت الساحرة تَنْفُثُ رِيقها في العُقَد والحية تَنْفُثُ السُّمَّ ومنه لا بد للمَصْدُور أن ينفُث.

وعن أبي زيد: يقال: أراد فلان أن يُقِرَّ بحقّى فنَفَثَ في ذُؤابَتِه إنسان حتى أفسده.

ومنه حديثه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: أنه كان إذا مرض يقرأُ على نفسه بالمعوِّذات ويَنْفُث). [الفائق في غريب الحديث:]

قلت: (وَيُطْلَقُ النَّفْثُ وَيُرَادُ بِهِ مَا كَانَ مَصْحُوبًا برُقْيَةٍ، وَمِنْهُ قَوْلُ يَزِيدَ بنِ سِنَان :

تَرَكْتُ الرُّمْحَ يَبْرُقُ فِي صَلاهُ ... كَأَنَّ سِنَانَهُ خُرْطُومُ نَسْرِ

فَإِن يَبْرَأْ فَلَمْ أَنْفُثْ عَلَيْهِ ... وَإِن يَهْلِكْ فَذَلِكَ كَانَ قَدْرِي

وَيُرْوَى لِعَنْتَرَةَ :

فَإِن يَبْرَأْ فَلَمْ أَنْفُثْ عَلَيْهِ ... وَإِن يُفْقَدْ فَحُقَّ لَهُ الفُقُودُ).

النهي عن الرقى في أول الإسلام

حديث جابر بن عبد الله

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الرُّقَى ، وَكَانَ عِنْدَ آلِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ رُقْيَةٌ يَرْقُونَ بِهَا مِنَ العَقْرَبِ ، قَالَ : فَأَتَوُا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَعَرَضُوهَا عَلَيْهِ ، وَقَالُوا : إِنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الرُّقَى ، فَقَالَ : « مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ »). [مصنف ابن أبي شيبة:٧/٣٩٢]

قالَ مُسْلِمُ بنُ الحَجَّاجِ القُشَيْرِيُّ النَّيسابُورِيُّ (ت:٢٦١هـ): (حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرُّقَى ؛ فَجَاءَ آلُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ كَانَتْ عِنْدَنَا رُقْيَةٌ نَرْقِي بِهَا مِنَ العَقْرَبِ ، وَإِنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الرُّقَى.

قَالَ: فَعَرَضُوهَا عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ: « مَا أَرَى بَأْسًا مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ »). [صحيح مسلم: ٧/١٨]

حديث آخر لجابر بن عبد الله

قال مُسْلِمُ بنُ الحجَّاجِ القُشَيريُّ النَّيسابُورِيُّ (ت:٢٦١هـ): (حَدَّثَنِي عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ العَمِّيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ وَأَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: رَخَّصَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لآلِ حَزْمٍ فِي رُقْيَةِ الحَيَّةِ، وَقَالَ لأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ: «مَا لِي أَرَى أَجْسَامَ بَنِي أَخِي ضَارِعَةً؟ تُصِيبُهُمُ الحَاجَةُ؟»

قَالَتْ: لا، وَلَكِنِ العَيْنَ تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ.

قَالَ: «ارْقِيهِمْ»

قَالَتْ: فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: «ارْقِيهِمْ»). [صحيح مسلم:٧/١٨]

حديث آخر لجابر بن عبد الله

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ وَهْبِ بنِ مُسْلِمٍ المصْرِيُّ (ت:١٩٧هـ): (أَخْبَرَنِي ابنُ لَهِيعَةَ عَنْ أَبي الزُّبَيرِ عَن جَابِرٍ أَنَّ عَمْرَو بن حَزْمٍ دُعِيَ لامْرَأَةٍ بالمدِينَةِ لَدَغَتْهَا حَيَّةٌ لِيَرْقِيَهَا فَأَبى؛ فَأُخْبِرَ بذَلِكَ النَّبيُّ عَلَيْهِ السَّلامُ فَدَعَاهُ؛ فَقَالَ عَمْرٌو: إِنَّكَ تَزْجُرُ عَنِ الرُّقى؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: «اقْرَأْهَا عَلَيَّ» فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: «لا بَأْسَ بهَا إِنَّمَا هِيَ مَوَاثِيقُ فَارْقِ بهَا»). [الجامع: باب في الرقية]

حديث عبد الله بن مسعود

قالَ أبو يَعْلَى أَحْمَدُ بنُ عَلِيِّ بنِ المُثَنَّى المَوْصِلِيُّ(ت:٣٠٧هـ): (حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ خَازِمٍ حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عن عَمْرِو بنِ مُرَّةَ عن يَحْيَى بنِ الجَزَّارِ عَنِ ابنِ أَخِي زَيْنَبَ عَن زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ»). [مسند أبي يعلى:]

- **قلت:** (هذَا الحديثُ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبو دَاوُدَ وابنُ ماجَهْ وَأبو يَعْلَى وابنُ حِبَّانَ وَالبَيْهَقِيُّ وَالبَغَوِيُّ كلهم من طرق عن الأَعْمَشِ عَنْ عَمْرِو بنِ مُرَّةَ عَن يَحْيَى بنِ الجَزَّارِ عَنِ ابنِ أَخِي زَيْنَبَ عَن زَيْنَبَ عَن عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به.

وَرَوَاهُ الحَاكِمُ فِي المسْتَدْرَكِ مِن طَرِيقِ مُحَمَّدِ بنِ مَسْلَمَةَ الكُوفِيُّ عَنِ الأَعْمَشِ عَن عَمْرِو بنِ مُرَّةَ عَن يَحْيَى بنِ الجَزَّارِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُتْبَةَ بنِ مَسْعُودٍ عَن زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ وَذَكَرَ القِصَّةَ.

ورواه ابْنُ حِبَّانَ والطَّبَرَانِيُّ فِي المعْجَمِ الكَبِيرِ والحَاكِمُ وَاللَّفْظُ لَهُ من طَرِيقِ العَلاءِ بنِ المسَيَّبِ عَن فُضَيلِ بنِ عَمْرٍو عَن يَحْيَى بنِ الجَزَّارِ قَالَ: دَخَلَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى امْرَأَةٍ فَرَأَى عَلَيْهَا حِرزًا مِنَ الحُمْرَةِ فَقَطَعَهُ قَطْعًا عَنِيفًا ثُمَّ قَالَ: (إِنَّ آلَ عَبْدِ اللهِ عَنِ الشِّرْكِ أَغْنِيَاءُ)، وَقَالَ: (كَانَ مِمَّا حَفِظْنَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ والتِّوَلَةَ مِنَ الشِّرْكِ).

ورواهُ الحَاكِمُ والطَّبَرَانِيُّ في الأَوْسَطِ مِن طَرِيقِ إِسْرَائِيلَ عَن مَيْسَرَةَ بنِ حَبِيبٍ عَنِ المِنْهَالِ بنِ عَمْرٍو عَن قَيْسِ بنِ السَّكَنِ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: كَانَ مِمَّا حَفِظْنَا عَن رَسُولِ اللهِ أَنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ مِنَ الشِّرْكِ؛ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ وَمَا التِّوَلَةُ؟ قَالَ: التَّهْيِيجُ). قالَ الطَّبَرَانِيُّ: لَمْ يَرْوِ هَذَا الحَدِيثَ عَن مَيْسَرَةَ إِلا إِسْرَائِيلُ.

وَالحَدِيثُ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ).

■ طريق آخر

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ السَّدُوسِيُّ، ثَنَا عَاصِمُ بْنُ عَلِيٍّ، ثَنَا المَسْعُودِيُّ، عَنِ المِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ الله: أَنَّهُ رَأَى فِي عُنُقِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ سَيْرًا فِيهِ تَمَائِمُ فَمَدَّهُ مَدًّا شَدِيدًا حَتَّى قَطَعَ السَّيْرَ، وَقَالَ: إِنَّ آلَ عَبْدِ اللهِ لأَغْنِيَاءُ عَنِ الشِّرْكِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ التِّوَلَةَ وَالتَّمَائِمَ وَالرُّقَى لَشِرْكٌ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: إِنَّ إِحدَانَا لَيَشْتَكِي رَأْسُهَا فَتسْتَرْقِي، فَإِذَا اسْتَرْقَتْ ظُنَّ أَنَّ ذَلِكَ قَدْ نَفَعَهَا، فَقَالَ عَبْدُ الله: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدُكُمْ فَيَخُشُّ فِي رَأْسِهَا فَإِذَا اسْتَرْقَتْ خَنَسَ، فَإِذَا لَمْ تَسْتَرْقِ نَخَسَ، فَلَوْ أَنَّ إِحْدَاكُنَّ تَدْعُو بِمَاء فَتَنْضَحُهُ فِي رَأْسِهَا وَوَجْهِهَا، ثُمَّ تَقُولُ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ثُمَّ تَقْرَأُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١] وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١] نَفَعَهَا ذَلِكَ إِنْ شَاءَ الله). [المُعْجَمُ الكَبِيرُ: ٩/١٩٣- ١٩٤]

- **قلت**: (فِيهِ المسعُودِيُّ ضَعِيفٌ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: (فيخُشُّ فِي رأسِها) هكَذا في الأصلِ، وَيَخُشُّ أي: يَدْخُل.

قالَ ابنُ دُرَيدٍ: (خَشَّ فِي الشيءِ يَخُشُّ خَشًّا، إذا دَخَلَ فِيهِ، وانخشَّ انخشاشًا)، وذكر نحوه ابن سِيدَه الأندلسي في المحكم والمخصص وابن منظور في لِسَانِ العَرَبِ.

فَإِنْ كَانَ هذَا اللفظُ مَحفُوظًا فهذا مَعْنَاهُ، وإلا فَهُو تَصْحِيفٌ، وَصَوابُهُ: (فَيَنْخَسُ) كَمَا وَرَدَ فِي الرِّوَايَاتِ الأُخْرَى).

قالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الجَصَّاصُ (ت: ٣٧٠هـ): (وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ العَلاءِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الجَزَّارِ، عَنِ ابْنِ أَخِي زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ». قَالَتْ: قُلْت: لِمَ تَقُولُ هَذَا، وَاللهِ لَقَدْ كَانَتْ عَيْنِي تَقْذِفُ، فَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى فُلانٍ اليَهُودِيِّ يَرْقِينِي، فَإِذَا رَقَانِي سَكَنَتْ!

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: إِنَّمَا ذَلِكِ عَمَلُ الشَّيْطَانِ، كَانَ يَنْخُسُهَا بِيَدِهِ، فَإِذَا رَقَاهُمَا كَفَّ عَنْهُمَا، إِنَّمَا يَكْفِيكِ أَنْ تَقُولِي كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَذْهِبِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لا شِفَاءَ إلا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا»). [أحكام القرآن: ٣/٦٤٨]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الواحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (أَخْبَرَنَا أَبُو مَنْصُورِ بْنُ طَاهِرٍ التَّمِيمِيُّ، أنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ زِيَادٍ الدَّقَّاقُ، نا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ البُوشَنْجِيُّ، نا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ نُفَيْلٍ، نا زُهَيْرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، نا عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ الْمُلائِيُّ، عَنِ الْمِنْهَالِ، عَنْ سِيرِينَ أُمِّ أَبِي عُبَيْدَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ وَفِي عُنُقِهَا سِيرٌ أَوْ خَيْطٌ مَعْقُودٌ مِنْ مَرَضٍ بِهَا، وَعِنْدَهَا نِسْوَةٌ فَاجْتَذَبَهُ حَتَّى اخْتَنَقَتْ، فَقَطَعَهُ فَنَبَذَهُ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ أَصْبَحَ ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ غَنِيًّا عَنْ أَنْ يَكُونَ فِي بَيْتِهِ شِرْكٌ، فَقَالَ بَعْضُهُنَّ: أَوَشِرْكٌ هَذَا؟ قَالَ: نَعَم، الرُّقَى وَالتَّمَائِمُ وَالتُّوَلَةُ شِرْكٌ.

فَقَالَ بَعْضُهُنَّ: وَمَا التُّوَلَةُ؟ قَالَ: مَا تَحَبَّبْنَ بِهِ إِلَى أَزْوَاجِكُنَّ. فَقَالَ بَعْضُهُنَّ: إِنَّ إِحْدَانَا يَأْخُذُهَا الضَّرَبَانُ فِي عَيْنِهَا، فَإِذَا اسْتَرْقَتْ سَكَنَ. فَقَالَ: ذَاكَ الشَّيْطَانُ عَدُوُّ اللهِ، يَنْزِعُ فِي عَيْنِ إِحْدَاكُنَّ، فَإِذَا اسْتَرْقَتْ كَفَّ، وَلَوْ أَنَّهُ إِذَا أَحَسَّتْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ أَخَذَتْ كَفًّا مِنْ مَاءٍ فَنَضَحَتْهُ فِي عَيْنِهَا، وَقَرَأَتْ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١] وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١]. سَكَنَ أَوْ ذَهَبَ). [الوسيط: ٤/٥٧٥]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ الكَرِيمِ الأَشْمُونِيُّ (ت: ق١١هـ): (وقالَ: «التَّمَائِمُ وَالرُّقَى وَالتِّوَلَةُ شِرْكٌ، يَكْفِيكَ أَنْ تَقْرَأَ الْمُعَوِّذَتَيْنِ» والتِّوَلَةُ بِكَسْرِ التَّاءِ وَفَتْحِهَا ما يُشْبِهُ السِّحْرَ). [منار الهدى:٣١١]

تنبيه

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (قالَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ: إنَّ الرُّقَى والتمائمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ، إنما يَكفِيكَ أنْ تقولَ: أَذْهِبِ البَاسَ رَبَّ الناسِ، واشْفِ أنتَ الشافِي، لا شِفاءَ إلاَّ شِفَاؤُكَ، شِفاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا). [الكشف والبيان: ١٠/٣٤١]

- **قلت:** (هكذا في تفسيره، والصواب: عبد الله بن مسعود).

معنى التَّمَائِم

قالَ أَحْمَدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ البَيهَقِيُّ (ت:٤٥٨هـ): (وَالتَّمِيمَةُ يُقَالُ إِنَّهَا خَرَزَةٌ كَانُوا يَتَعَلَّقُونَهَا يُرَوْنَ أَنَّهَا تَدْفَعُ عَنْهُمُ الآفَاتِ وَيُقَالُ قِلادَةٌ تُعَلَّقُ فِيهَا العُوَذُ). [السنن الكبرى:٩/٣٥٠]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عليٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (وَالتَّمَائِم جَمْع تَمِيمَة وَهِيَ خَرَز أَوْ قِلادَة تُعَلَّق فِي الرَّأْس، كَانُوا فِي الجَاهِلِيَّة يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ذَلِكَ يَدْفَع الآفَاتِ). [فتح الباري:١٠/١٩٥]

- **قلت:** (هذا تعريف موجز، وتتمة الكلام على التمائم تجده في أواخر هذا الباب)

معنى التِّوَلَة

قالَ أبو عُبَيْدٍ القَاسِمُ بنُ سلاَّمٍ الهَرَوِيُّ (ت:٢٢٤هـ): (فِي حَدِيثِ عبدِ اللهِ رَحِمَهُ اللهُ: «إِن التَّمَائِمَ وَالرُّقَى وَالتِّوَلَةَ مِنَ الشِّرْكِ»

قالَ الأَصْمَعِيُّ: هِي التِّوَلَةُ بكَسْرِ التَّاءِ، وَهُوَ الَّذِي يُحَبِّبُ المرأَةَ إِلَى زَوجِهَا.

قالَ أَبو عُبَيْدٍ: وَلَمْ أَسْمَعْ عَلَى هَذا المِثَالِ فِي الكَلامِ إلاَّ حَرْفًا واحِدًا، يقال: هذا شيء طِيَبَة يعني الشيء الطيب. تَمَّمَ: رَقَى، وَإِنَّمَا أَرادَ بالرُّقَى وَالتَّمَائِمِ عِنِدِي مَا كَانَ بغَيرِ لِسَانِ العَرَبِيَّةِ مِمَّا لا يُدرى مَا هُو، فَأَمَّا الَّذِي يُحَبِّبُ المرأة إِلَى زَوجِهَا فَهُوَ عِندَنَا مِنَ السِّحْرِ). [غريب الحديث:٤/٥٠]

قالَ أَحْمَدُ بنُ الحُسَينِ بنِ عَلِيٍّ البَيهَقِيُّ (ت:٤٥٨هـ): (قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: أَمَّا التِّوَلَةُ فَهِيَ بِكَسْرِ التَّاءِ وَهُوَ الَّذِي يُحَبِّبُ المَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا وَهُوَ مِنَ السِّحْرِ وَذَلِكَ لا يَجُوزُ). [السنن الكبرى:٩/٣٥٠]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عَلِيٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (وَالتِّوَلَةُ بِكَسْرِ المُثَنَّاة وَفَتْحِ الوَاوِ وَاللامِ مُخَفَّفًا: شَيْءٌ كَانَتِ المَرْأَة تَجْلِب بِهِ مَحَبَّة زَوْجهَا، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ السِّحْرِ). [فتح الباري:١٠/١٩٥]

حديث آخر لعبد الله بن مسعود

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الرُّكَيْنِ عَنِ القَاسِمِ بْنِ حَسَّانَ عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَرْمَلَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ عَشْرَ خِلالٍ تَخَتُّمَ الذَّهَبِ وَجَرَّ الإِزَارِ وَالصُّفْرَةَ يَعْنِي الخَلُوقَ وَتَغْيِيرَ الشَّيْبِ - قَالَ جَرِيرٌ إِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ نَتْفَهُ - وَعَزْلَ المَاءِ عَنْ مَحِلِّهِ وَالرُّقَى إِلَّا بِالمُعَوِّذَاتِ وَفَسَادَ الصَّبِيِّ غَيْرَ مُحَرِّمِهِ وَعَقْدَ التَّمَائِمِ وَالتَّبَرُّجَ بِالزِّينَةِ لِغَيْرِ مَحِلِّهَا وَالضَّرْبَ بِالكِعَابِ). [مسند الإمام أحمد:]

- **قلتُ:** (رَوَاهُ أبو داودَ الطيالسيُّ وابنُ أبي شيبةَ وأحمدُ وأبو داودَ السجستانيُّ والنسائيُّ وأبو يعلَى وَالطحاويُّ وَابنُ حِبَّانَ وَالحاكمُ والبيهقيُّ كلُّهُم مِن طُرُقٍ عَن الرُّكَينِ بنِ الرَّبيعِ عَنِ القَاسِمِ بنِ حَسَّانَ عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ الرَّحْمنِ بنِ حَرْمَلَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ بِهِ.

قالَ أَبو داودَ السِّجِسْتَانِيُّ: (انفرَدَ بإسنادِ هَذا الحديثِ أَهْلُ البَصْرَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ).

وقال العقيليُّ: (حَدَّثَنِي آدَمُ بنُ مُوسَى قَالَ: سَمِعْتُ البُخَارِيَّ قَالَ: عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ حَرْمَلَةَ عَن ابنِ مَسْعُودٍ، رَوَى عَنْهُ القَاسِمِ بنُ حسانَ، وَلا يَصِحُّ حَدِيثُهُ). وَالحديثُ ضَعَّفَهُ الألبانيُّ).

قالَ أَحْمَدُ بنُ عَلِيٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (أخرجَ أحمدُ وأبو داودَ والنسائيُّ وصحَّحَهُ ابنُ حِبَّانَ وَالحَاكِمُ مِن رِوَايَةِ عَبدِ الرَّحْمَنِ بن حَرْمَلَةَ عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَكْرَهُ عَشْرَ خِصَالٍ؛ فَذَكَرَ فِيهَا الرُّقَى إلا بالمعَوِّذَاتِ.

وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ حَرْمَلَةَ، قَالَ البُخَارِيُّ: لا يَصِحُّ حَدِيثُهُ، وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: لا يُحْتَجُّ بِهَذَا الخَبَرِ لِجَهَالَةِ رَاوِيهِ. وَعَلَى تَقْدِيرِ صِحَّتِهِ فَهُوَ مَنْسُوخٌ بالإِذْنِ فِي الرُّقْيَةِ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ). [فتح الباري:١٠/١٩٥]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ والحاكمُ وصَحَّحَهُ عَن ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَكْرَهُ عَشْرَ خِصَالٍ: الصُّفْرَةَ - يَعْنِي الخَلُوقَ

- وتَغْيِيرَ الشَّيْبِ، وَجَرَّ الإزَارِ، والتَّخَتُّمَ بالذَّهَبِ، وعَقْدَ التَّمَائِمِ والرُّقَى إلاَّ بالمُعَوِّذَاتِ، والضَّرْبَ بالكِعَابِ، وَالتَّبَرُّجَ بالزِّينَةِ لِغَيْرِ بَعْلِهَا، وعزْلَ المَاءِ لِغَيْرِ مَحِلِّهِ، وَفَسَادَ الصَّبِيِّ؛ غَيْرَ مُحَرِّمِهِ). [الدر المنثور: ١٥/٧٨٧- ٧٨٨]

قالَ جلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ البَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الإِيمَانِ عَن ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ الرُّقَى إلاَّ بالمُعَوِّذَاتِ). [الدر المنثور: ١٥/٧٨٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ أبو داودَ وَالنسائيُّ وَالحاكمُ وَصَحَّحَهُ عَنِ ابنِ مسعودٍ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ يَكْرَهُ عَشْرَ خِصَالٍ، وَمنها أَنَّهُ كانَ يَكْرَهُ الرُّقَى إِلاَّ بالْمُعَوِّذَتَيْنِ). [فتح القدير: ٥/٧٥٦]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وعن ابنِ مسعودٍ أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَكْرَهُ عَشْرَ خِصَالٍ، وَمنها أَنَّهُ كانَ يَكْرَهُ الرُّقَى إِلاَّ بالْمُعَوِّذَتَيْنِ. أَخْرَجَهُ أبو داودَ وَالنَّسَائِيُّ وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ). [فتح البيان: ١٥/٤٥٤]

حديث المغيرة بن شعبة

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ عَقَّارِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ اكْتَوَى أَوِ اسْتَرْقَى فَقَدْ بَرِئَ مِنَ التَّوَكُّلِ») [مسند الإمام أحمد:]

- **قلت:** (رواه الحميدي وأحمد والترمذي وابن ماجه والنسائي وابن حبان والحاكم والبيهقي والبغوي كلهم من طرق عن مجاهد عن عقَّارِ بنِ المغيرةِ عَن أبيهِ، وَلَفظُ النَّسَائِيِّ: «مَا تَوَكَّلَ مَنِ اكْتَوَى أَوِ اسْتَرْقَى»
وَعَقَّارُ بنُ المغيرةِ قالَ عَنْهُ العِجْلِيُّ: كُوفِي تَابعِيٌّ ثِقَةٌ، وبقِيَّةُ رِجَالِهِ أَئِمَّةٌ مَعْرُوفُونَ).

حديث خالدة بنت أنس

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبِي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ؛ أَنَّ خَالِدَةَ بِنْتَ أَنَسٍ أُمَّ بَنِي حَزْمٍ السَّاعِدِي جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ الرُّقَى، فَأَمَرَهَا بِهَا). [مصنف ابن أبي شيبة:٧/٣٩٤]

- **قلت:** (رواه ابن أبي شيبة وابن ماجه والطبراني وأبو نعيم الأصبهاني كلهم من حديث عبد الله بن إدريس عن محمد بن عمارة عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن جدة أبيه خالدة بنت أنس.
عبد الله بن إدريس ثقة فقيه عابد أخرج له الشيخان، ومحمد بن عمارة بن عمرو بن حزم وثقه يحيى بن معين وقال أبو حاتم: صالح ليس بذاك القوي، وذكره ابن حبان في الثقات.
وابن عمه أبو بكر بن محمد قاضي المدينة في زمان عمر بن عبد العزيز إمام معروف توفي سنة مائة وعشر للهجرة.
ولم أظفر بتاريخ وفاة جدة أبيه، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه، وأظنه لأجل هذا الانقطاع).

بلاغ الزهري

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ وَهْبِ بنِ مُسْلِمٍ المصْرِيُّ (ت:١٩٧هـ): (أَخْبَرَنِي يُونسُ بْنُ يزيدَ عَن ابنِ شِهَابٍ قَالَ: بَلَغَنَا عَنِ الرِّجَالِ مِن أَهلِ العِلمِ أَنَّهُم كَانوا يَقُولُونَ: إنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الرُّقَى حِينَ قَدِمَ المدِينَةَ، وَكَانَتِ الرُّقَى فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِيهَا كَثِيرٌ مِن كَلامِ الشِّرْكِ؛ فَانتَهَى النَّاسُ عَنهَا حِينَ نَهَاهُم رَسُولُ اللهِ عليهِ السَّلامُ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ لُدِغَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلامُ بِنَشْبَةِ حَرْبَة أَوْ بضرب، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: « هَلْ مِن رَاقٍ؟ »

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ كَانَ آلُ حَزْمٍ يَرْقُونَ بِرُقْيَةٍ مِنَ الحَيَّةِ؛ فَلَمَّا نَهَيْتَ عَنِ الرُّقَى تَرَكُوهَا.

قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « ادْعُوا لِي عُمَارَةَ بنَ حَزْمٍ » وَلَمْ يَكُن لَهُ وَلَدٌ، وَقَد شَهِدَ بَدْرًا، فَدُعِيَ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: « اعْرِضْ عَلَيَّ رُقْيَتَكَ »، فَعَرَضَهَا عَلَيْهِ فَلَمْ يَرَ بِهَا بَأْسًا، فَأَذِنَ أَن يَرْقِيَهَا).

[الجامع: باب في الرقية] [(بنَشْبَةِ حَرْبَة أَوْ بضرب) لعله تصحيف من (بنهشة حية أو بعقرب) هيئة المراجعة]

ورود الرخصة في بعض الرقى

الرخصة في الرقية من العين والحُمَةِ والنملة

حديث عائشة

قالَ مُحمَّدُ بنُ إسْمَاعِيلَ البُخَارِيُّ (ت: ٢٥٦هـ): (حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الشَّيْبَانِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الأَسْوَدِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنِ الرُّقْيَةِ مِنَ الحُمَةِ؛ فَقَالَتْ: رَخَّصَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرُّقْيَةَ مِنْ كُلِّ ذِي حُمَةٍ). [صحيح البخاري:]

- **قلت**: (رواه إسحاق بن راهويه وابن أبي شيبة وأحمد والبخاري ومسلم وغيرهم من طرق عن سليمان الشيباني عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة اختصره بعضهم كما صنع البخاري ولفظه عند مسلم: (فَقَالَتْ: رَخَّصَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الأَنْصَارِ فِي الرُّقْيَةِ مِنْ كُلِّ ذِي حُمَةٍ) ورواه بهذا اللفظ أيضًا الإمام أحمد من هذا الطريق ومن طريق هشيم عن المغيرة عن إبراهيم عن الأسود بن يزيد عن عائشة).

حديث عمران بن الحصين وبريدة الأسلمي

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ يَعْنِي ابْنَ مِغْوَلٍ عَنْ حُصَيْنٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا رُقْيَةَ إِلاَّ مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ»). [مسند الإمام أحمد:]

- **قلت**: (رَوَاهُ أحمدُ وأبو داودَ والطَّبرانيُّ والبيهقيُّ كلُّهُم مِن طَرِيقِ مَالكِ بنِ مِغولٍ عن حُصينٍ عَن الشَّعبيِّ عَن عِمْرانَ مَرْفُوعًا.

وَرَوَاهُ البُخَارِيُّ مِن طَرِيقِ عِمْرَانَ بنِ مَيسرةَ عَن ابنِ فُضَيلٍ عَن حُصينٍ عَن عِمرانَ موقُوفًا.
وَرَواهُ الترمذِيُّ مِن طَرِيق ابنِ أَبِي عُمَرَ عَن سُفْيانَ عَن حُصينٍ عَن الشَّعبيِّ عَن عِمرانَ مرفُوعًا.
وَرَوَاهُ البَيهقِيُّ أَيضًا مِن طَرِيقِ إِسمَاعِيل بنِ زَكريَّا عَن حصينٍ عن الشَّعبيِّ عَن عِمرانَ مرفُوعًا.
وَرَواهُ الطَّبرانِيُّ مِن طَرِيقِ عُثمانَ بنِ عُمَرَ عَن شُعْبَةَ عَن حُصَينٍ عَن الشَّعبيِّ عَن عِمرانَ مَرفُوعًا.
وَرَواهُ ابنُ أبي شَيبَةَ عَن أبي أُسامَةَ عَن مُجالِدِ بنِ سَعِيدٍ عَن الشَّعبيِّ عَن بعضِ أَصْحَابِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسلَّمَ مَرْفُوعًا.
وَرَواهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وابنُ حِبَّانَ وَالبَيْهَقِيُّ وغيرُهم مِن حَدِيثِ هُشَيْمٍ أَخْبَرَنَا حُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ البَارِحَةَ؟
قُلْتُ: أَنَا، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلاةٍ وَلَكِنِّي لُدِغتُ.
قَالَ: فَمَاذَا صَنَعْتَ؟
قُلْتُ: اسْتَرْقَيْتُ.
قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟
قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ.
فَقَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمُ الشَّعْبِيُّ؟
قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ الأَسْلَمِيِّ أَنَّهُ قَالَ: لا رُقْيَةَ إِلاَّ مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ). هكذا موقوفًا على بريدة.
وَرَوَاهُ ابنُ ماجَهْ مِن طَرِيقِ إِسْحَاقَ بنِ سُلَيمَانَ عَن أَبي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ عَن حُصَينٍ عَن الشَّعْبِيِّ عَن بُرَيدَةَ مَرْفُوعًا).
قالَ أَبو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الجَصَّاصُ (ت: ٣٧٠هـ): (وَرَوَى الشَّعْبِيُّ عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا رُقْيَةَ إلا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمى» وَعَنْ أَنسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ). [أحكام القرآن: ٦٤٨/٣]

معنى الحُمَة

قالَ الخَلِيلُ بنُ أَحْمَدَ الفَرَاهِيدِيُّ(ت:١٧٠هـ): (الحُمَةُ سمُّ كُلِّ شيءٍ يَلْدَغ أو يَلْسَعُ). [العين:]
قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٢٧٦هـ): (والحُمَة: السُّمُّ للعقرب وأشباهها، ولم يرد بالحُمَةِ: الإبرَة؛ إنَّمَا الحُمَةُ السُّمُّ). [غريب الحديث: ٢/]
قـالَ أَبـو بَكـرٍ مُحَمَّـدُ بـنُ الحَسَـنِ ابـنُ دُرَيْـدٍ الأَزْدِيُّ (ت:٣٢١هـ): (الحُمَةُ، مُخَفَّفَةً: حَرَارَةُ السُّمِّ هَكَذَا يَقُولُ الأَصْمَعِيُّ، وَلَيست كَمَا تُسَمِّي العَامَّةُ حُمَةَ العقرب إبرتها.
وَسَأَلْتُ أَبَا حَاتِمٍ عَنِ الحُمَة فَقَالَ: سَأَلْتُ الأَصْمَعِيَّ عَن ذَلِكَ فَقَالَ: هِيَ فَوْعَةُ السُّمِّ، أَيْ حَرارَتُه وَفَورَتُهُ هَذا لَفْظُهُ.
قالَ أَبو بَكْرٍ: وَيُقَالُ أَيضًا: فَوْعَةُ الطِّيب: حِدَّتُهُ). [جمهرة اللغة:]
قالَ أَبُو سُلَيْمَانَ حَمْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الخَطَّابِيُّ (ت:٣٨٨هـ): (قالَ أَبو حَاتِم: قُلتُ لِلأَصْمَعِيِّ: مَا الحُمَةُ؟

قال: فَوْعَةُ السُّمِّ). [غريب الحديث:]

قالَ أَحْمَدُ بنُ الحسَينِ بنِ علِيٍّ البَيهَقيُّ (ت:٤٥٨هـ): (الحُمَةُ سُمُّ ذَوَاتِ السُّمُومِ). [السنن الكبرى:٣٤٨/٩]

قالَ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بنُ شَرَفٍ النَّوَوِيُّ (ت:٦٧٦هـ): (أَمَّا الحُمَةُ فَهِيَ بِضَمِّ الحَاءِ المهمَلَةِ وَتَخْفِيفِ الميمِ، وَهِيَ سُمُّ العَقْرَبِ وَشِبْهِهَا، وَقِيلَ: فَوْعَةُ السُّمِّ). [شرح صحيح مسلم:]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عليٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (أو «حُمَةٍ» بضَمِّ المهمَلَةِ وَتَخفِيفِ الميمِ.

قَالَ ثَعْلَبٌ وغيرُهُ: هِيَ سُمُّ العَقْرَبِ.

وَقَالَ القزَّاز: قِيلَ هيَ شَوْكَةُ العقرَبِ، وكَذا قَالَ ابنُ سيدَه إنها الإبرَةُ الَّتي تَضْرِبُ بهَا العقرَبُ وَالزُّنبُورُ.

وَقَالَ الخَطَّابيُّ: الحُمَةَ كلُّ هَامَّةٍ ذَاتِ سُمٍّ مِنْ حَيَّةٍ أَوْ عَقْرَبٍ.

وَقَدْ أَخرجَ أَبو داودَ مِن حَدِيثِ سَهْلِ بنِ حُنَيْفٍ مَرفُوعًا «لا رُقْيَةَ إلا مِن نَفْسٍ أَوْ حُمَةٍ أَوْ لَدْغَةٍ» فَغَايَرَ بينهُمَا؛ فَيحْتَمِل أَن يُخَرَّجَ عَلَى أَنَّ الحُمَةَ خَاصَّةٌ بالعَقْرَبِ؛ فَيَكُونَ ذِكْرُ اللَّدْغَةِ بَعْدَهَا مِن العَامِّ بَعْدَ الخَاصِّ). [فتح الباري: ١٥٦/١٠]

حديث أنس بن مالك

قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الحجَّاجِ بنِ مُسْلِمٍ القُشَيْرِيُّ النَّيْسابُورِيُّ (ت: ٢٦١هـ): (حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ عَنْ سُفْيَانَ ح وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنَا حَسَنٌ - وَهُوَ ابْنُ صَالِحٍ - كِلاهُمَا عَنْ عَاصِمٍ عَنْ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: رَخَّصَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرُّقْيَةِ مِنَ العَيْنِ وَالحُمَةِ وَالنَّمْلَةِ.

وَفِي حَدِيثِ سُفْيَانَ يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الحَارِثِ). [صحيح مسلم:]

- **قلت:** (رواه ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم والبزار والنسائي وابن حبان والبغوي كلهم من طريق عاصم الأحول عن يوسف بن عبد الله عن أنس).

أثر ابن سيرين

قالَ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت:٢١١هـ): (عَن مَعْمَرٍ عَنْ أَيُّوبَ عَن ابنِ سِيرِينَ قَالَ: نُهِيَ عَنِ الرُّقَى إلاَّ أَنَّهُ أُرْخِصَ فِي ثَلاثٍ: فِي رُقْيَةِ النَّمْلَةِ وَالحُمَةِ يعني العقرب، وَالنَّفْسِ يعني العين). [مصنف عبد الرزاق:١١/١٧]

قالَ أَحْمَدُ بنُ مَرْوَانَ بنِ مُحمَّدٍ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٣٣٣هـ): (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ نَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الكَابُلِيُّ نَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ أَنَّهُ نَهى عَنِ الرُّقَى إلاَّ فِي ثَلاثٍ: رُقْيَةِ النَّمْلَةِ، وَالحُمَةِ، وَالنَّفْسِ). [المجالسة:٣/٩١]

▪ رقية النملة

حديث الشفاء بنت عبد الله

قال أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ عَنِ الشِّفَاءِ بِنْتِ عَبْدِ اللهِ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا عِنْدَ حَفْصَةَ فَقَالَ لِي: «أَلا تُعَلِّمِينَ هَذِهِ رُقْيَةَ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتِيهَا الكِتَابَةَ»). [مسند الإمام أحمد:]

- **قلت:** (رواه إسحاق بن راهويه وابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود وابن أبي عاصم والنسائي والطحاوي والطبراني وأبو نعيم الأصبهاني والبيهقي كلهم من طريق عبد العزيز بن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز عن صالح بن كيسان عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن سليمان بن أبي حثمة عن الشفاء بنت عبد الله.

ورواه أبو عبيد وأحمد والطحاوي والحاكم وأبو نعيم في الطب كلهم من طرق عن محمد بن المنكدر عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الشفاء بذلك.

ورواه ابن وهب وعبد الرزاق عن الزهري بلاغًا).

طريق آخر

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ الحَاكِمُ النَّيْسابوريُّ (ت: ٤٠٥هـ): (حَدَّثَنَا أَبو العَبَّاسِ محمدُ بنُ يعقوبَ ثنا العبَّاسُ بنُ محمدٍ الدُّوريُّ ثنا يَعقوبُ بنُ إبراهيمَ بنِ سَعدٍ ثنا أَبي عَن صَالحِ بنِ كَيسانَ ثنا إسماعِيلُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ سَعْدٍ أَنَّ أَبَا بَكْرِ بنُ سُلَيمَانَ بنِ أَبِي حَثْمَةَ القُرَشِيَّ حَدَّثَهُ: أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصارِ خَرَجَتْ بِهِ نَمْلَةٌ فَدُلَّ أَنَّ الشِّفَاءَ بنتَ عَبدِ اللهِ تَرْقِي مِنَ النَّمْلَةِ فَجاءَهَا فَسَأَلَهَا أَن تَرْقِيَهُ فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا رَقَيْتُ مُنذُ أَسْلَمْتُ فَذَهَبَ الأَنْصَارِيُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي قَالَتِ الشِّفَاءُ فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشِّفَاءَ فَقَالَ: «اعْرِضِي عَلَيَّ» فَعرضتها عَلَيْهِ فقَالَ: «ارْقِيهِ وَعَلِّمِيهَا حَفْصَةَ كَمَا عَلَّمْتِيهَا الكِتَابَ».

هَذَا حَدِيثٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَقَدْ سَمِعَهُ أَبو بَكْرِ بنُ سُليمَانَ مِن جَدَّتِهِ). [المستدرك: ٥٧٦]

طريق آخر ولفظ آخر (ضعيف)

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ الحَاكِمُ النَّيْسابوريُّ (ت: ٤٠٥هـ): (حَدَّثَنَا بالحديثِ عَلَى وَجْهِهِ أَبو عمرٍو مُحَمَّدُ بنُ جَعفرِ بنِ مُحمَّدِ بنِ مطرٍ الزَّاهِدُ العَدْلُ إِمْلاءً سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلاثِينَ وَثَلاثِمائة حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بنُ مُحَمَّدٍ الوَاسِطِيُّ ثَنَا إِبْرَاهِيمُ بنُ عَبْدِ اللهِ أَبُو إِسْحَاقَ الهَرَوِيُّ حَدَّثَنِي عُثْمَانُ بنُ عُمَرَ بنِ عُثْمَانَ بنِ سُلَيمَانَ بنِ أَبِي حَثْمَةَ القُرَشِيُّ العَدَوِيُّ حَدَّثَنِي أَبِي عَن جَدِّي عُثْمَانَ بنِ سُلَيمَانَ عَن أَبِيهِ عَن أُمِّهِ الشِّفَاءِ بنتِ عَبدِ اللهِ: أَنَّهَا كَانت تَرْقِي بِرُقًى فِي الجَاهِلِيَّةِ وَأَنَّهَا لَمَّا هَاجَرَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أَرْقِي بِرُقًى فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَن أَعْرِضَهَا عَلَيْكَ؛ فَقَالَ: «اعْرِضِيهَا» فَعَرَضَتْهَا عَلَيْهِ، وَكَانَتْ مِنْهَا رُقْيَةُ النَّمْلَةِ؛

فَقَالَ: « ارْقِي بهَا وَعَلِّمِيهَا حَفْصَةَ » بسمِ اللهِ صلوب حِينَ يَعُودُ مِن أَفْوَاهِهَا وَلا تَضُرُّ أَحَدًا، اللهُمَّ اكْشِفِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ، قال: تَرْقِي بهَا عَلَى عُودِ كُرْكُمٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَتَضَعُهُ مكَانًا نَظِيفًا، ثُمَّ تَدْلُكُهُ عَلَى حَجَرٍ، وَتطْلِيهِ عَلى النورَةِ). [المستدرك: ٧٧/٥] [تطليه على النورة، هكذا ولعلها: على النملة (هيئة المراجعة)]

- قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ عَدِيٍّ بنِ عَبْدِ اللهِ الجُرْجَانِيُّ (ت:٣٦٥هـ): (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ حدَّثنا عثمانُ بنُ سَعِيدٍ قالَ: قلتُ لِيَحيى بنِ مَعينٍ: فَعُثْمَانُ بنُ عمرَ بنِ عثمانَ بنِ سليمانَ بنِ أَبِي حَثْمَةَ كَيفَ حالُهُ؟ قالَ: لا أَعْرِفُهُ. وَهذَا الَّذِي قالَ يَحيَى إِنَّهُ لا يَعْرِفُهُ فَهُوَ كَمَا قَالَ لأَنَّهُ مَجْهُولٌ). [الكامل:١٧٥/٥]

- قالَ مُحَمَّدٌ ناصِرُ الدِّينِ الأَلْبَانِيُّ (ت:١٤٢٠هـ): ((كُرْكُم) هو الزَّعفرانُ، وَقِيلَ: العُصْفُرُ، وَقِيلَ: شَجَرٌ كَالوَرْسِ، وَهُوَ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ، (صلوب) كَذَا وَلَمْ أَعْرِفْ لَهُ مَعْنَى، وَلَعَلَّهُ - إِن سَلِمَ مِنَ التَّحْرِيفِ - لَفظٌ عِبْرِيٌّ. واللهُ أَعْلَمُ). [السلسلة الصحيحة: ٣٤٥/١]

قالَ أَبُو نُعَيمٍ أَحْمَدُ بنُ عَبدِ اللهِ الأَصْبَهَانِيُّ(ت:٤٣٠هـ): (حدَّثَنَا أَبُو عَمْرِو بنُ حَمْدَانَ ثَنَا الحَسَنُ بنُ سُفْيَانَ ثَنَا إِبْرَاهِيمُ بنُ عَبْدِ اللهِ الهَرَوِيُّ ثَنَا عُثْمَانُ بنُ عُمَرَ بنِ عُثْمَانَ بنِ سُلَيمَانَ بنِ أَبِي حَثْمَةَ العَدَوِيُّ حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ عُثْمَانَ عَن أَبِيهِ عَن الشِّفَاءِ أَنَّهَا كَانَت تَرْقِي فِي الجَاهِلِيَّةِ وَأَنَّهَا لَمَّا هَاجَرَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَت قَدْ بَايَعَتْهُ بمكَّةَ قَبْلَ أَن يَخْرُجَ، فَقَدِمَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَت: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أَرْقِي برُقًى فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَعْرِضَهَا عَلَيْكَ، فَقَالَ: «اعْرِضِيهَا» فَعَرَضَتْهَا عَلَيْهِ، وكَانَتْ مِنهَا رُقْيَةُ النَّمْلَةِ؛ فَقَالَ: « ارْقِي بهَا وَعَلِّمِيهَا حَفْصَةَ » بسم اللهِ صلق صلب جبر تعوذا من أَفْوَاهِهَا وَلا تَضُرُّ أَحَدًا، اللهمَّ اكْشِفِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ.

قالَ: وَتَرْقِي بهَا عَلَى عُودِ كُرْكُمٍ سَبْعَ مِرارٍ، وَتَضَعُهُ مكَانًا نَظِيفًا، ثُمَّ تَدْلُكُهُ عَلَى حَجَرٍ بخل خمر ثقِيفٍ وَتَطْلِيهِ عَلَى النَّمْلَةِ). [معرفة الصحابة:]

- قلت: (وقع في هذه الرواية تصحيف وتحريف ومخالفة للرواية التي أخرجها الحاكم ومدارهما على عثمان بن عمر وهو مجهول فالخبر ضعيف، وذكر ابن حجر في الإصابة أن ابن منده خرج هذا الخبر من طريق عثمان بن عمر أيضا).

معنى النَّمْلَةِ

قالَ الخَلِيلُ بنُ أَحْمَدَ الفَرَاهِيدِيُّ(ت:١٧٠هـ): (النَّمْلُ: قُرُوحٌ تَخْرُجُ فِي الجَنْبِ). [العين: ن م ل]

قالَ أَبُو عُبَيْدٍ القَاسِمُ بنُ سَلاَّمٍ الهَرَوِيُّ (ت:٢٢٤هـ): (قَالَ الأَصْمَعِيُّ: هِيَ قُرُوحٌ تَخْرُجُ فِي الجَنْبِ وَغَيْرِهِ). [غريب الحديث:٢١٨/١]

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٢٧٦هـ): (النَّمْلَةُ قُرُوحٌ تخرج في الجَنْبِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلَّم للشِّفَاءِ: « عَلِّمِي حَفْصَةَ رُقْيَةَ النَّمْلَةِ ».

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

ولا عَيْبَ فِينَا غَيْرَ عِرْقٍ لِمَعْشَرٍ ... كِرَامٍ وَأَنَّا لا نَخُطُّ عَلَى النَّمْلِ

يريد أنَّا لَسْنَا بمجُوسٍ نَنْكِحُ الأَخَوَاتِ، وكَانُوا يَقُولُونَ: إنَّ وَلَدَ الرَّجُلِ مِن أُخْتِهِ إِذَا خطَّ عَلَى هَذِهِ القُرُوحِ بَرَأَ صَاحِبُهَا). [غريب الحديث: ٢/]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (وَأَمَّا قولُ الحُطَيْئَةِ: (هُوَ مَأْكَلَةُ عِيَالِي، وَنَمْلَةٌ عَلَى لِسَانِي)؛ فَإِنَّهُ يَعْنِي بالنَّمْلَةِ الدَّاءَ، وَأَصْلُهَا قُرُوحٌ تَخْرُجُ فِي جَنبِ الرَّجُلِ، يُقَالُ مِنه: بفُلانٍ نَمْلَةٌ، إِذَا كَانَ ذَلِكَ بِهِ، وَمِنهُ الخَبَرُ عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ للشِّفَاءِ: «عَلِّمِي حَفصَةَ رُقْيَةَ النَّمْلَةِ»، يَعْنِي رُقْيَةَ هَذِهِ القُرُوحِ). [تهذيب الآثار:]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مَرْوَانَ بنِ مُحَمَّدٍ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٣٣٣هـ): (فَالنَّمْلَةُ قُرُوحٌ تَخْرُجُ فِي الجَنْبِ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: سَمِعْتُ ابْنَ قُتَيْبَةَ يَقُولُ وَذَكَرَ هَذَا الحَدِيثَ؛ فَقَالَ: مِنْهُ حَدِيثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِلشِّفَاءِ: «عَلِّمِي حَفْصَةَ رُقْيَةَ النَّمْلَةِ».

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَلا عَيْبَ فِينَا غَيْرَ عِرْقٍ لِمَعْشَرٍ ... كِرَامٍ وَأَنَّا لا نَخُطُّ عَلَى النَّمْلِ

يُرِيدُ: أَنَّا لَسْنَا بِالمَجُوسِ، وَذَلِكَ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ وَلَدَ الرَّجُلِ مِنْ أُخْتِهِ إِذَا خطَّ عَلَى هَذِهِ القُرُوحِ بَرَأَ صَاحِبُهَا). [المجالسة:٣/٩١]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الحَاكِمُ النَّيْسابوريُّ (ت: ٤٠٥هـ): (أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ أَنبَأَ عَلِيُّ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ ثَنا أَبُو عُبَيْدٍ قَالَ الأَصْمَعِيُّ: النَّمْلَةُ هِيَ قُروحٌ تَخْرُجُ فِي الجنبِ وَغَيْرِهِ). [المستدرك: ٥/٧٧]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (النَّمْلَةُ بالفَتْحِ: قُرُوحٌ تَخْرُجُ فِي الجَنْبِ). [الفائق في غريب الحديث: نمل]

قالَ ابنُ الأثيرِ المبارَكُ بنُ مُحَمَّدٍ الجزَرِيُّ(ت:٦٠٦هـ): (النَّمْلَةُ: قُرُوحٌ تَخْرُجُ فِي الجَنْبِ). [النهاية في غريب الحديث:]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ علِيٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (وَلِأَبِي دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ الشِّفَاءِ بِنْت عَبْد الله أَنَّ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا: «أَلا تُعَلِّمِينَ هَذِهِ - يَعْنِي حَفْصَة - رُقْيَةَ النَّمْلَةِ».

وَالنَّمْلَةُ قُرُوحٌ تَخْرُجُ فِي الجَنْبِ وَغَيْرِهِ مِنَ الجَسَدِ). [فتح الباري:١٠/١٩٥]

ذكر رقية أخرى للنملة اشتهرت في كتب أهل اللغة

قالَ الخَلِيلُ بنُ أَحْمَدَ الفَرَاهِيدِيُّ(ت:١٧٠هـ): (النَّمْلُ: قُرُوحٌ تَخْرُجُ فِي الجَنْبِ، وَرُقْيَتُهَا أَن يُقَالَ: العَرُوسُ تَحْتَفِلُ وَتَقْتَالُ وَتَكْتَحِلُ غَيْرَ أَن لا تَعْصِي الرَّجُلَ). [العين: ن م ل]

قالَ أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ الأَزْهَرِيُّ (ت: ٣٧٠هـ): (وَجَاءَ فِي حَدِيثِ رُقيةِ النَّمْلَةِ: (العَرُوسُ تَقْتَالُ وتَحْتَفِلُ وكُلَّ شَيْءٍ تَفْتَعِل، غَيْرَ أَنَّها لا تَعْصِي الرَّجُلَ) ومعنى تَقْتَال: أي تَحْتَكِمُ عَلَى زَوْجِهَا، وَتَحْتَفِلُ: أي تَتَزَيَّنُ وَتَحْتَشِدُ لِلزِّينَةِ). [تهذيب اللغة:٢/٢٩]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): ([نمل] النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلشفَاءِ: عَلِّمِي حَفْصَةَ رُقْيَةَ النَّمْلَةِ وَرُقْيَتُهَا: العَرُوسُ تَحْتَفِلُ وتَقْتَالُ وتَكْتَحِلُ وكُلَّ شَيءٍ تَفْتَعِلُ غَيْرَ أَن لا تُعَاصِي الرَّجُلَ). [الفائق في غريب الحديث: نمل]

قَالَ أبو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (وَقَالَ أَبُو عُبَيدٍ: هِيَ قُرُوحٌ تَخْرُجُ بالجنبِ وَغَيْرِهِ.

قالَ: وَيُحْكَى عَن عُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ فِي رُقْيَةِ النَّمْلَةِ: العَرُوسُ تَحْتَفِلُ وَتَقْنَأُ وَتَكْتَحِلُ وَكلَّ شَيْءٍ تَفْتَعِلُ غَيْرَ أَن لا تَعْصِيَ الرَّجُلَ، تَقْنَأُ: تَتَزَيَّنُ) [كشف المشكل من حديث الصحيحين:]

قالَ مُرْتَضَى الزَّبِيدِيُّ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ الحُسَيْنِيُّ (ت: ١٢٠٥هـ): (قالَ أَبُو عُبَيْدٍ: سَمِعْتُ الهَيْثَمَ بنَ عَدِيٍّ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ العَزِيزِ بنَ عُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ يَقُولُ فِي رُقْيَةِ النَّمْلَةِ: العَرُوسُ تَحْتَفِلُ وَتَقْتَالُ وَتَكْتَحِلُ وَكُلَّ شَيْءٍ تَفْتَعِلُ غَيْرَ أَن لا تَعْصِيَ الرَّجُلَ). [تاج العروس:٣٠/٢٩٧]

- **قلت:** (عبد العزيز بن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز هو الذي روى جماعةٌ من الأئمة حديثَه عن صالح بن كيسان عن أبي بكر بن سليمان عن الشفاء بنت عبد الله في إذن النبي صلى الله عليه وسلم لها برقية النملة وأمره إياها بتعليم حفصة.

لكن هذه الرقية لم أجدها في كتاب أبي عبيد، وقد ذكر قول الأصمعي في معنى النملة كما تقدم ولم يذكر هذه الرقية، وقد روى عنه الحاكم تفسيره لمعنى النملة بالإسناد الذي يروي به كتاب غريب الحديث لأبي عبيد من طريق محمد بن الحسن عن علي بن عبد العزيز البغوي عن أبي عبيد، فقد يكون في النسخ اختلاف قديم أو أن الزبيدي نقل عن غير كتاب الغريب، وقد بحثت في كتاب الأموال لأبي عبيد وكتاب الأمثال وكتاب الإيمان ولم أظفر بأصل ما نقله عنه.

وأعجب من ذلك قول المناوي في التيسير: (النملة: ورقيتها العروس تحتفل وتختضب وتكتحل وكل شيء تفتعل غير أن لا تعاصي الرجل، أبو عبيد في كتاب الغريب عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة).

وعلى ذلك فالهيثم بن عدي هو أبو عبد الرحمن الطائي متروك الحديث، قال يحيى بن معين: كان يكذب ليس بثقة، وقال أبو داود: كذاب، وقال النسائي وغيره: متروك الحديث، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار).

تأويل وجوابه

قالَ ابنُ الأثيرِ المباركُ بنُ مُحَمَّدٍ الجزَرِيُّ(ت:٦٠٦هـ): (النَّمْلَةُ: قُرُوحٌ تَخْرُجُ فِي الجَنْبِ.

(س ه) وَمِنْهُ الحديث قال لِلشَّفَّاء: «عَلِّمي حَفْصةَ رُقْيةَ النَّملة»

قِيلَ: إنَّ هَذا مِن لُغَزِ الكَلامِ ومُزَاحِهِ كَقَوْلِهِ للعَجُوزِ: «لا تَدْخُلُ العُجزُ الجنة».

وَذَلِكَ أَنَّ رُقْيةَ النَّمْلَةِ شَيْءٌ كَانت تَسْتَعْمِلُهُ النِّسَاءُ يَعلَمُ كُلُّ مَن سَمِعَهُ أَنَّه كَلامٌ لا يَضُرُّ ولا يَنْفَع.

ورُقْيَةُ النَّمْلَةِ الَّتِي كَانَت تُعرَف بَيْنَهُنَّ أن يُقَال: العَرُوسُ تَحْتَفِل وتَخْتَضِب وتَكْتَحِل وكُلَّ شَيْءٍ تَفْتَعِلُ غيرَ ألاَّ تَعْصِيَ الرجُلَ.

ويُرْوَى عِوضَ تَحْتَفِل [تَنْتَعِل] وعِوَض تَخْتَضِبُ [تَقْتال] فأرادَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا المَقالِ تأْنِيبَ حَفْصَةَ لأَنَّهُ أَلقَى إِلَيْهَا سِرًّا فأفْشَتْه). [النهاية في غريب الحديث:]

قال مُحَمَّدُ بنُ مُوسَى بنِ عِيسَى الدَّمِيرِيُّ (ت:٨٠٨هـ): (رَوَى أبو دَاودَ والحَاكِمُ وصَحَّحَهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ للشفاءِ بنتِ عَبْدِ اللهِ: «عَلِّمِي حَفْصَةَ رُقْيَةَ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتِهَا الكِتَابَةَ».

وفي صحيحِ مسلمٍ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليهِ وسلَّم أَرْخَصَ فِي الرُّقْيَةِ مِنَ النَّمْلَةِ، وَالنَّمْلَةُ قروحٌ تَخْرُجُ فِي الجَنبِ مِنَ البَدَنِ، وَرُقْيَتُهَا شَيءٌ كَانت تَسْتَعْمِلُهُ النِّسَاءُ، يَعْلَمُ كُلُّ مَن سَمِعَهُ أَنَّهُ كَلامٌ لا يَضُرُّ ولا يَنْفَعُ، وَهُوَ أَن يُقَالَ: العَرُوسُ تَحْتَفِلُ وَتَخْتَضِبُ وَتَكْتَحِلُ، وَكُلَّ شَيءٍ تَفْتَعِلُ، غَيْرَ أَن لا تَعْصِيَ الرَّجُلَ.

أَرَادَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذَا المَقَالِ تَأْنِيبَ حَفْصَةَ، لأَنَّهُ أَلْقَى إِلَيْهَا سِرًّا فَأَفْشَتْهُ؛ فَكَانَ هَذَا مِن لَغْوِ الكَلامِ وَمُزَاحِهِ كَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعَجُوزِ: «لا تَدْخُلِ الجَنَّةَ عَجُوزٌ»). [حياة الحيوان:باب النون]

قال مُحَمَّدٌ ناصِرُ الدِّينِ الأَلْبَانِيُّ (ت:١٤٢٠هـ): (**(رقية النملة)** قالَ الشَّوكَانِيُّ في تَفسيرِهَا: (هِيَ كَلامٌ كَانت نِسَاءُ العَرَبِ تَستعمِلُهُ، يَعلمُ كُلُّ مَن سَمِعَهُ أَنَّهُ كَلامٌ لا يَضرُّ ولا ينفعُ، وَرُقْيَةُ النَّملةِ الَّتي كَانت تُعْرَفُ بينهنَّ أَن يُقَالَ: العَرُوسُ تَحْتَفِلُ وَتَخْتَضِبُ، وَتَكْتَحِلُ، وَكُلَّ شَيْءٍ تَفْتَعِلُ، غيرَ أَن لا تَعْصِيَ الرَّجُلَ).

كَذَا قَالَ، وَلا أَدْرِي مَا مُسْتَنَدُهُ فِي ذَلِكَ، ولا سِيَّمَا وَقَدْ بَنَى عَليهِ قَولَهُ الآتِي تَعلِيقًا على قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «أَلا تُعَلِّمِينَ هَذِهِ...»: (فَأَرَادَ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ بهَذَا المقالِ تأنيبَ حفصةَ وَالتَّأْدِيبَ لَهَا تعريضًا، لأَنَّهُ أَلقَى إِليهَا سِرًّا فَأَفْشَتْهُ عَلَى ما شَهِدَ بِهِ التَّنزِيلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ [التحريم: ٣] الآيَة).

وَلَيْتَ شِعْرِي مَا علاقَةُ الحديثِ بالتأنيبِ لإفشاءِ السرِّ، وَهو يقولُ: «كَمَا عَلَّمْتِهَا الكِتَابَ» فَهَلْ يَصِحُّ تَشْبِيهُ تَعليمِ رُقيةٍ لا فَائِدَةَ مِنهَا بتَعْلِيمِ الكِتابةِ؟!

وَأيضًا فالحديثُ صريحٌ في أمرِهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّمَ للشفاءِ بتَرْقِيَةِ الرَّجُلِ الأنصاريِّ مِنَ النَّمْلَةِ وأَمْرِهِ إِيَّاهَا بأَن تُعَلِّمَهَا لِحَفْصَةَ، فَهلْ يُعْقَلُ بأَن يأمُرَ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ بهذِهِ التَّرْقِيَةِ لَو كانَ باللفْظِ الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّوْكَانِيُّ بدُونِ أَيِّ سَنَدٍ وَهُوَ بلا شَكٍّ كَمَا قالَ: كَلامٌ لا يَضُرُّ وَلا يَنْفَعُ؛ فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْمَى مِنْ أَن يَأْمُرَ بمِثلِ هَذِهِ التَّرْقِيَة، وَلَئِن كَانَ لَفْظُ رِوايةِ أَبِي دَاوِدَ يَحْتَمِلُ تَأْوِيلَ الحدِيثِ عَلَى التَّأنيبِ المزْعُوم، فَإِنَّ لَفظَ الحَاكِمِ هَذَا الَّذِي صَدَّرْنَا بِهِ هَذَا البَحْثَ لا يَحْتَمِلُهُ إطلاقًا، بَل هُو دَلِيلٌ صَرِيحٌ عَلَى بُطْلانِ ذَلِكَ التَّأْوِيلِ بُطْلانًا بَيِّنًا كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ لا يَخْفَى، وَكَأَنَّهُ لِذَلِكَ صَدَّرَ ابنُ الأَثِيرِ في "النهاية" تفسيرَ الشَّوكَانِيِّ المذكورِ لِرُقْيَةِ النَّمْلَةِ وَعَنْهُ نَقَلَهُ الشَّوْكَانِيُّ، صَدَّرَهُ بقَوْلِهِ: (قِيلَ) مُشيرًا بذَلِكَ إِلَى ضَعْفِ ذَلِكَ التَّفْسِيرِ وَمَا بَنَاهُ عَلَيْهِ مِن تَأويلِ قولِهِ: «أَلا تعلمين...»). [السلسلة الصحيحة: ١/٣٤٤- ٣٤٥]

رقية أخرى لا تجوز

قالَ مُحَمَّدُ بنُ مُوسَى بنِ عِيسَى الدَّمِيرِيُّ (ت:٨٠٨هـ): (وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ الكُتُبِ بِخَطِّ بَعْضِ الأَئِمَّةِ الحُفَّاظِ: أَنَّ رُقْيَةَ النَّمْلَةِ أَن يَصُومَ رَاقِيهَا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ مُتَوالِيَةٍ، ثُمَّ يَرْقِيهَا بُكْرَةَ كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الثَّلاثَةِ، عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَيَقُولُ: اقسطري وانبرجي فقد نوه بنوه بربطش ديبقت اشف أيها الجرب بألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ويكون في إصبعه زيت طيب، يمسح به عليها ويتفل على الموضع عقب الرقية قبل المسح بالزيت فافهم).
[حياة الحيوان:باب النون]

- **قلتُ**: (هَذِهِ الرُّقْيَةُ جَمَعَتِ البِدْعَةَ وَالشِّرْكَ وَالتَّلْبِيسَ، وَالعِيَاذُ بِاللهِ).

ورود الإذن العام في الرقى ما لم يكن فيها شرك

حديث عوف بن مالك الأشجعي

قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الحَجَّاجِ بنِ مُسْلِمٍ القُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٢٦١هـ): (حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ قَالَ: كُنَّا نَرْقِي فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ؟

فَقَالَ: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ لا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ»). [صحيح مسلم:]

- **قلت**: (رواه عبد الله بن وهب والبخاري في التاريخ الكبير ومسلم في صحيحه وأبو داود والبزار والطحاوي والطبراني وابن حبان وأبو نعيم الأصبهاني والبيهقي كلهم من طرق عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه).

حديث عمير مولى آبي اللحم

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا رِبْعِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخُو إِسْمَاعِيلَ ابْنِ عُلَيَّةَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ خَيْرًا قَالَ: وَكَانَ يَفْضُلُ عَلَى إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ المُهَاجِرِ، عَنْ عُمَيْرٍ مَوْلَى آبِي اللَّحْمِ قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ سَادَتِي خَيْبَرَ؛ فَأَمَرَ بِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقُلِّدْتُ سَيْفًا؛ فَإِذَا أَنَا أَجُرُّهُ.

قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ عَبْدٌ مَمْلُوكٌ.

قَالَ: فَأَمَرَ لِي بِشَيْءٍ مِنْ خُرْثِيِّ المَتَاعِ.

قَالَ: وَعَرَضْتُ عَلَيْهِ رُقْيَةً كُنْتُ أَرْقِي بِهَا المَجَانِينَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: «اطْرَحْ مِنْهَا كَذَا وَكَذَا، وَارْقِ بِمَا بَقِيَ».

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ: وَأَدْرَكْتُهُ وَهُوَ يَرْقِي بِهَا المَجَانِينَ). [مسند الإمام أحمد:٣٦/٢٧٢]

قلتُ: (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَأَبُو يَعْلَى مِن طُرُقٍ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ زَيدٍ عَنْ عُمَيرٍ مَوْلَى آبي اللَّحْمِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَالحَدِيثُ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ).

■ حديث الشفاء بنت عبد الله

قالَ أَبُو حاتمٍ مُحَمَّدُ بنُ حِبَّانَ بنِ أَحْمَدَ البُسْتِيُّ (ت:٣٥٤هـ): (أَخبرَنا عِمرانُ بنُ مُوسَى بنِ مُجَاشِعٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ العَلاءِ بنِ كُرَيبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بنُ سُلَيمَانَ عَنِ الجَرَّاحِ بنِ الضَّحَّاكِ عَن كُرَيبٍ الكِنْدِيِّ قَالَ: أَخَذَ بيدِي عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ فانطلَقْنَا إِلَى شَيْخٍ مِن قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ: ابنُ أَبِي حَثْمَةَ يُصَلِّي إِلَى أُسْطُوانَةٍ فَجلَسْنَا إِلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى عَلِيًّا انصرَفَ إِلَيْهِ فَقَال لَهُ عَلِيٌّ: حَدِّثْنَا حَدِيثَ أُمِّكَ فِي الرُّقْيَةِ قَالَ: حَدَّثَتْنِي أُمِّي أَنَّهَا كَانت تَرْقِي فِي الجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلامُ قَالَتْ: لا أَرْقِي حَتَّى أَستَأْذِنَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَتْهُ فاستَأْذَنَتْهُ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارْقِي مَا لَمْ يَكُن فِيهَا شِرْكٌ»). [صحيح ابن حبان: ٤٥٨/١٣]

- **قلتُ**: (رَوَاهُ ابنُ حِبَّانَ وَالطَّبَرانِيُّ فِي الكَبِيرِ وَالحَاكِمُ مِن طُرُقٍ عَن إِسْحَاقَ بنِ سُلَيْمَانَ عَنِ الجَرَّاحِ بنِ الضَّحَّاكِ عَن كُرَيْبٍ الكِنْدِيِّ بِهِ.

وَالجَرَّاحُ قَالَ عَنْهُ البُخَارِيُّ: مُقَارِبُ الحَدِيثِ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: صَالِحُ الحَدِيثِ لا بَأْسَ بِهِ).

■ حديث جابر بن عبد الله

- تقدم ذكره

فقه أحاديث هذا الباب

قالَ أَحْمَدُ بنُ عليٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (فِي صَحِيح مُسْلِم مِنْ حَدِيث عَوْف بْن مَالِك قَالَ: كُنَّا نَرْقِي فِي الجَاهِلِيَّة، فَقُلْنَا: يَا رَسُول الله كَيْف تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لا بَأْس بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْك».

وَلَهُ مِنْ حَدِيث جَابِر: نَهَى رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرُّقَى، فَجَاءَ آل عَمْرو بْن حَزْم فَقَالُوا: يَا رَسُول الله إِنَّهُ كَانَتْ عِنْدنَا رُقْيَةٌ نَرْقِي بِهَا مِنَ العَقْرَب.

قَالَ: فَعَرَضُوا عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: «مَا أَرَى بَأْسًا، مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَع أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ».

وَقَدْ تَمَسَّكَ قَوْم بِهَذَا العُمُوم فَأَجَازُوا كُلَّ رُقْيَة جُرِّبَتْ مَنْفَعَتهَا وَلَوْ لَمْ يُعْقَل مَعْنَاهَا، لَكِنْ دَلَّ حَدِيث عَوْف أَنَّهُ مَهْمَا كَانَ مِنَ الرُّقَى يُؤَدِّي إِلَى الشِّرْك يُمْنَع، وَمَا لا يُعْقَل مَعْنَاهُ لا يُؤْمَن أَنْ يُؤَدِّي إِلَى الشِّرْك فَيُمنَعُ احْتِيَاطًا، وَالشَّرْط الآخِر لا بُدّ مِنْهُ). [فتح الباري:١٩٥/١٠]

قال زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين المُنَاوِيُّ (ت: ١٠٣١هـ): (وَقَدْ تَمَسَّكَ نَاسٌ بِهَذَا العُمُومِ فَأَجَازُوا كُلَّ رُقْيَةٍ جُرِّبَتْ مَنفَعَتُهَا، وَإِن لَمْ يُعْقَلْ مَعْنَاهَا، لَكِنْ دَلَّ حَدِيثُ عَوْفٍ المَاضِي أَنَّ مَا يُؤَدِّي إِلَى شِرْكٍ يُمْنَعُ، وَمَا لا يُعْرَفُ مَعْنَاهُ لا يُؤْمَنُ أَن يُؤَدِّي إِلَيْهِ، فَيُمْنَعُ احْتِيَاطًا). [فيض القدير:٧١/٦]

قالَ مُحَمَّدٌ ناصِرُ الدِّينِ الأَلْبَانِيُّ (ت:١٤٢٠هـ): (وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَسْمَحْ لآلِ عَمْرِو بنِ حَزْمٍ بِأَن يَرْقُوا إِلا بَعْدَ أَنِ اطَّلَعَ عَلَى صِفَةِ الرُّقْيَةِ وَرَآهَا مِمَّا لا بَأْسَ بِهِ، بَلْ إِنَّ الحَدِيث بِرِوَايَتِهِ الثَّانِيَةِ مِن طَرِيق

أَبي سُفْيَانَ نَصٌّ فِي المَنْعِ مِمَّا لا يُعْرَفُ مِنَ الرُّقَى ، لأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى نَهْيًا عَامًّا أَوَّلَ الأَمْرِ ، ثُمَّ رَخَّصَ فِيمَا تَبَيَّنَ أَنَّهُ لا بَأْسَ بِهِ مِنَ الرُّقَى ، وَمَا لا يُعْقَلُ مَعْنَاهُ مِنْهَا لا سَبِيلَ إِلَى الحُكْمِ عَلَيْهَا بِأَنَّهُ لا بَأْسَ بِهَا ؛ فَتَبْقَى فِي عُمُومِ المَنْعِ. فَتَأَمَّلْ). [السلسلة الصحيحة:١/ ٣٤٥]

رقية جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم

حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ عَمْرٍو قَالَ حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الهَادِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَائِشَةَ كَانَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم- إِذَا اشْتَكَى رَقَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ). [مسند الإمام أحمد: ٢٨/ ٥٣١- ٥٣٢]

قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الحجَّاجِ بنِ مُسْلِمٍ القُشَيْرِيُّ النَّيْسابُورِيُّ (ت: ٢٦١هـ): (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ المَكِّيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ الدَّرَاوَرْدِيُّ عَنْ يَزِيدَ - وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُسَامَةَ بْنِ الهَادِ - عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم- أَنَّهَا قَالَتْ كَانَ إِذَا اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم- رَقَاهُ جِبْرِيلُ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ يُبْرِيكَ وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ وَشَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ). [صَحِيحُ مُسْلِمٍ: ٢١٨٥]

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

قالَ مُسْلِمُ بْنُ الحَجَّاجِ بنِ مسلمٍ القُشَيْرِيُّ (ت: ٢٦١هـ): (حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ هِلالٍ الصَّوَّافُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَارِثِ حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ صُهَيْبٍ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟

فَقَالَ: « نَعَمْ ».

قَالَ: «بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ»). [صَحِيحُ مُسْلِمٍ: ٥٨٢٩]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (أَخْبَرَنَا إسماعيلُ بنُ عبدِ القاهرِ ، أَخْبَرَنَا عبدُ الغافِرِ بنُ مُحَمَّدٍ ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بنُ عيسى الجلوديُّ ، حَدَّثَنَا إبراهيمُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ سُفيانَ ، حَدَّثَنَا مسلمُ بنُ الحجاجِ ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بنُ هِلالٍ الصَّوَّافُ ، حَدَّثَنَا عبدُ الوارثِ حَدَّثَنَا عبدُ العزيزِ بنُ صُهَيْبٍ ، عن أبي نَضْرَةَ ، عن أبي سعيدٍ : أَنَّ جِبريلَ عليه السلامُ أَتَى النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالَ : «يا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟»

قالَ : «نعم».

فقالَ: «بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ من كلِّ شيءٍ يُؤذيكَ من شَرِّ كُلِّ نفْسٍ أو عينِ حاسدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، واللهُ يَشفيكَ». [معالم التنزيل: ٧٢٤]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): ((م) عنْ أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أنَّ جبْرِيلَ أَتَى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ: يا محمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ قالَ: «نَعَمْ»، قالَ: «بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ»). [لباب التأويل: ٤/٥٠٠]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (قالُوا: وقد ثَبَتَ في الصحيحِ عن أبي سَعيدٍ الخُدريِّ أنَّ جبريلَ أتى النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالَ: يا مُحمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فقالَ: «نَعَمْ». فقالَ: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِن كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِن شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أو عَينِ حاسِدٍ، اللهُ يَشفِيكَ بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ» فعَوَّذَه جبريلُ من شَرِّ كلِّ نفْسٍ وعَينِ حاسدٍ). [بدائع الفوائد: ٢/١٩٨] (م)

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَهْ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَكَى فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: «بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ كُلِّ كَاهِنٍ وَحَاسِدٍ، وَاللهُ يَشْفِيكَ»). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٣]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وعنْ أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ أنَّ جبريلَ عليهِ السلامُ أتى النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يا محمَّدُ اشتكيتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِن كلِّ شيءٍ يؤذِيكَ، ومِن شرِّ كلِّ نَفْسٍ أوْ عينِ حاسدٍ واللهُ يَشفِيكَ بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٢]

مسألة

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (وفي الحديثِ الآخرِ: أنَّ جِبْرِيلَ جاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ، فقالَ: اشْتَكَيْتَ يَامُحَمَّدُ؟ فقالَ: «نَعَمْ». فقالَ: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِن كُلِّ داءٍ يُؤْذِيكَ، ومِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ وعَيْنٍ اللهُ يَشْفِيكَ.

ولعلَّ هذا كانَ مِن شَكْواهُ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ حينَ سُحِرَ، ثمَّ عافَاهُ اللهُ تعالى وشَفاهُ، ورَدَّ كَيْدَ السَّحَرَةِ الحُسَّادِ مِن اليَهُودِ في رُءُوسِهِم، وجَعَلَ تَدْمِيرَهم في تَدْبِيرِهم وفَضَحَهم، ولكنْ معَ هذا لم يُعاتِبْهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيْهِ وسلَّمَ يَوْمًا مِن الدَّهْرِ، بل كَفَى اللهُ وشَفَى وعَافَى). [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩٠٨]

قلت: (لم أر في الأحاديث الصحاح ما يصرح بأن جبريل رقى النبي صلى الله عليه وسلم لما سُحِرَ، وقد سبق الحديث عن ذلك في سبب نزول المعوذتين، وبتأمل الأحاديث السابقة نعلم أن جبريل قد رقى النبي صلى الله عليه وسلم مرارًا).

حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبِي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الحُبَابِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ ثَوْبَانَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُمَيْرُ بْنُ هَانِئٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جُنَادَةَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ يَقُولُ: سَمِعْت عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ يُحَدِّثُ عَن رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّ جِبْرِيلَ رَقَاهُ وَهُوَ يُوعَكُ فَقَالَ: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيك مِنْ كُلِّ دَاءٍ يُؤْذِيك مِنْ كُلِّ حَاسِدٍ إذَا حَسَدَ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ، وَاسْمُ اللهِ يَشْفِيك). [مصنف ابن أبي شيبة:٣١٤/١٠]

قالَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الحُبَابِ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ ثَوْبَانَ عَنْ عُمَيْرِ بْنِ هَانِئٍ أَنَّهُ سَمِعَ جُنَادَةَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ الكِنْدِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ عُبَادَةَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَاهُ وَهُوَ يُرْعَدُ فَقَالَ: « بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ حَسَدِ حَاسِدٍ وَكُلِّ عَيْنٍ وَاسْمُ اللهِ يَشْفِيكَ »). [مسند الإمام أحمد: ٢٣٤٣١]

قلت: (وقد رواه الحاكم في المستدرك من طريق الإمام أحمد وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم، وزيد بن الحباب لم يرو له البخاري شيئًا، وقد روى الشيخان من حديث عمير عن جنادة عن عبادة).

طريق آخر

قالَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ سَلْمَانَ - رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ - عَنْ جُنَادَةَ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - أَعُودُهُ وَبِهِ مِنَ الوَجَعِ مَا يَعْلَمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِشِدَّةٍ ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِ مِنَ العَشِيِّ وَقَدْ بَرِئَ أَحْسَنَ بُرْءٍ فَقُلْتُ لَهُ دَخَلْتُ عَلَيْكَ غُدْوَةً وَبِكَ مِنَ الوَجَعِ مَا يَعْلَمُ اللهُ بِشِدَّةٍ وَدَخَلْتُ عَلَيْكَ العَشِيَّةَ وَقَدْ بَرِئْتَ!

فَقَالَ: « يَا ابْنَ الصَّامِتِ إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ رَقَانِى بِرُقْيَةٍ بَرِئْتُ أَلا أُعَلِّمُكَهَا ».

قُلْتُ: بَلَى.

قَالَ: « بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ حَسَدِ كُلِّ حَاسِدٍ وَعَيْنٍ بِاسْمِ اللهِ يَشْفِيكَ»). [مسند الإمام أحمد: ٢٣٤٣٠]

قالَ حَيْدَرُ بْنُ عَلِيٍّ القَاشِيُّ (ت: ٧٧٦هـ): (عَنْ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ عَنْ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِت قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِهِ مِنَ الوَجَعِ مَا يَعْلَمُ اللهُ شِدَّتَهُ، ثُمَّ دَخَلْتُ مِنَ العَشِيِّ وَقَدْ بَرَأَ أَحْسَنَ بُرْءٍ فَقَالَ: «يَا ابْنَ الصَّامِتِ، إِنَّ جِبْرِيلَ رَقَانِي بِرُقْيَةٍ بَرِئْتُ، وَهِيَ: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ حَسَدِ كُلِّ حَاسِدٍ وَعَيْنٍ، بِاسْمِ اللهِ يَشْفِيكَ»). [المعتمد في المنقول: ٥٠٩/٢]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَهْ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَاهُ وَهُوَ يُوعَكُ فَقَالَ: «بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ حَسَدِ حَاسِدٍ وَكُلِّ عَيْنٍ، اسْمُ اللهِ يَشْفِيكَ»). [الدر المنثور: ٨٠٣/١٥]

■ حديث أبي هريرة رضي الله عنه

قالَ عبدُ اللهِ بنُ مُحمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَن سُفْيَانَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ، عَن زِيَادِ بْنِ ثُوَيْبٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: دَخلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا أَشْتَكِي، فَقَالَ: أَلا أَرْقِيك بِرُقْيَةٍ عَلَّمَنِيهَا جِبْرِيلُ: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيك، وَاللهُ يَشْفِيك مِنْ كُلِّ أَرَبٍ يُؤْذِيك، وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إذَا حَسَدَ). [مصنف ابن أبي شيبة:٣١٤/١٠]

قالَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا وَكِيعٌ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ عَنْ زِيَادِ بْنِ ثُوَيْبٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم- وَأَنَا أَشْتَكِي - وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي حَدِيثِهِ يَعُودُنِي - فَقَالَ « أَلا أُعَلِّمُكَ ». قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ « أَلا أَرْقِيكَ بِرُقْيَةٍ رَقَانِي بِهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ ». قُلْتُ بَلَى بِأَبِي وَأُمِّي. قَالَ « بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ وَاللهُ يَشْفِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ يُؤْذِيكَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) ». وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ « مِنْ كُلِّ دَاءٍ فِيكَ »). [مسند الإمام أحمد: ١٠٠٠٩]

قال ابنُ ماجه محمدُ بنُ يزيدَ القزويني (ت:٢٧٣هـ): (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَحَفْصُ بْنُ عُمَرَ قَالا حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ عَنْ زِيَادِ بْنِ ثُوَيْبٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ جَاءَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم- يَعُودُنِى فَقَالَ لِي: « أَلا أَرْقِيكَ بِرُقْيَةٍ جَاءَنِى بِهَا جِبْرَائِيلُ ».
قُلْتُ بِأَبِي وَأُمِّي بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ « بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ وَاللهُ يَشْفِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ فِيكَ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ». ثَلاثَ مَرَّاتٍ). [سنن ابن ماجه:٣٦٥٣]

قالَ أحْمَدُ بنُ شُعَيبٍ النَّسائِيُّ(ت:٣٠٣هـ): (أخبرَنا مُحمَّدُ بنُ بشَّارٍ قالَ: حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ قال: حدَّثَنا سُفيانُ عن عَاصِمٍ عن زيادِ بنِ ثُويبٍ عَنْ أبي هُريرَةَ قالَ: جاءَ النَّبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ثمَّ ذَكَرَ كلِمَةً مَعْنَاهَا يَعُودُني فَقَالَ: « أَلا أَرْقِيكَ بِرُقْيَةٍ رَقَانِي بها جِبْرِيلُ »
قُلتُ: بَلَى بِأبي وَأُمِّي قال: « بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ وَاللهُ يَشْفِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ فِيكَ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ »). [السنن الكبرى:]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ الحَاكِمُ النَّيْسابوريُّ (ت: ٤٠٥هـ): (حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَمْشَاذَ المُعَدَّلُ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ المُغِيرَةِ البَكْرِيُّ، ثنا القَاسِمُ بْنُ الحَكَمِ، ثنا سُفْيَانُ، عن عَاصِمٍ، عن زِيَادِ بْنِ ثُوَيْبٍ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي فَقَالَ: «أَلا أَرْقِيكَ بِرُقْيَةٍ رَقَانِي بِهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ؟». فَقُلْتُ: بَلَى بِأَبِي وَأُمِّي.
قَالَ: «بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، وَاللهُ يَشْفِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ فِيكَ، مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ»
فَرُقِيَ بِهَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ). [المستدرك: ٥٤١/٢]

قالَ حَيْدَرُ بْنُ عَلِيٍّ القَاشِيُّ (ت: ٧٧٦هـ): (عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَابْنِ مَاجَهْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي فَقَالَ لِي: «أَلا أَرْقِيكَ بِرُقْيَةٍ جَاءَنِي بِهَا جِبْرِيلُ؟» قُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي بَلَى، قَالَ: «بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ وَاللهُ يَشْفِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ فِيكَ، مِنَ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ» ثَلاثَ مَرَّاتٍ) [المعتمد في المنقول: ٢/٥٠٨]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابنُ سَعْدٍ وابنُ مَاجَهْ والحَاكِمُ وَابْنُ مَرْدُويَهْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قال: جاء النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُني، فَقَالَ: «أَلا أَرْقِيكَ بِرُقْيَةٍ رَقَانِي بِهَا جِبْرِيلُ». فقُلْتُ: بَلَى، بِأَبِي وَأُمِّي. قَالَ: «بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ وَاللهُ يَشْفِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ فِيكَ، ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٤، ٥]». فَرَقَى بِهَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ). [الدر المنثور: ١٥/٨٠١- ٨٠٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ سعدٍ وَابنُ مَاجَه وَالحاكمُ وَابنُ مَرْدُويَه عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جاءَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي فَقَالَ: «أَلا أَرْقِيكَ بِرُقْيَةٍ رَقَانِي بِهَا جِبْرِيلُ؟» فَقُلْتُ: بَلَى بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي. قَالَ: «بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ وَاللهُ يَشْفِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ فِيكَ، ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٤، ٥]». فَرَقَى بها ثلاثَ مَرَّاتٍ). [فتح القدير: ٥/٧٦١]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وأَخْرَجَ النسائيُّ وَابنُ مَرْدُويَهْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ».

وعنهُ قَالَ: جاءَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّدُنِي فَقَالَ: «أَلا أَرْقِيكَ بِرُقْيَةٍ رَقَانِي بِهَا جِبْرِيلُ؟» فَقُلْتُ: بَلَى بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي. قَالَ: «بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، وَاللهُ يَشْفِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ فِيكَ، ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٤، ٥]» فَرَقَى بها ثلاثَ مَرَّاتٍ. أَخْرَجَهُ ابنُ مَاجَهْ وَابنُ سَعْدٍ وَالحَاكِمُ وَغَيْرُهُمْ). [فتح البيان: ١٥/٤٦١]

قالَ مُحَمَّدٌ ناصِرُ الدِّينِ الأَلْبَانِيُّ (ت:١٤٢٠هـ): (« ألا أرقيكَ برقيةٍ رَقاني بها جبريلُ عليهِ السَّلامُ! باسمِ اللهِ أرقيك، وَاللهُ يشفيك من كلِّ داءٍ فيك، من شر النفاثات في العقد، ومن شر حاسد إذا حسد » فرقى بها ثلاث مرات).

ضعيف: أخرجه ابن ماجه (٣٥٢٤)، والحاكم (٢/ ٥٤١)، وأحمد (٢/ ٤٤٦) عن عاصم عن زياد بن ثويب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء النبي - صلى الله عليه وسلم - يعودني، فقال: ... فذكره.

سكت عنه الحاكم والذهبي، وهو ضعيف الإسناد؛ زياد هذا مجهول؛ قال ابن أبي حاتم (١/ ٢/ ٥٢٦): "روى عنه عاصم بن عبيد الله". ولم يزد، وأما ابن حبان فذكره في "الثقات" !

وعاصم بن عبيد الله ضعيف.

والحديث رواه النسائي أيضًا في "عمل اليوم والليلة" (٥٥٢/ ١٠٠٣)، ثم أخرج هو (٥٥٨/ ١٠٢١)، والبخاري في "التاريخ" (٣/ ٢٩٢)، وابن حبان (٣٤٣/ ١٤١٧- موارد)، وأحمد (٦/ ٣٣٢) من طريق أزهر بن سعيد الحزاري عن عبد الرحمن بن السائب ابن أخي ميمونة قالت لي: ألا أرقيك برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: بلى. قالت: "بِاسْمِ الله أرقيك..." إلخ، دون قول: "من شر النفاثات..." إلخ، وزاد: "أذهب الباس رب الناس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت".

قلت: ورجاله ثقات، غير أن عبد الرحمن لم يوثقه غير ابن حبان (٥/ ٩٣)، ولم يذكر له راويًا غير أزهر هذا، وكذلك فعل البخاري وابن أبي حاتم، ولذلك قال الذهبي في "الميزان": "تفرد عنه أزهر بن سعيد الحزاري".

قلت: فهو في عداد المجهولين.

وأما قول الحافظ في "التهذيب": "ذكره ابن حبان في "الثقات". قلت: وقال: روى عنه سعيد المقبري والحارث بن أبي ذباب"!

فهذا القول منه خطأ على ابن حبان؛ لأنه إنما قال ذلك في ترجمة (عبد الرحمن بن مهران) (٥/ ١٠٦). فالظاهر أنه نشأ ذلك من انتقال بصره من ترجمة إلى أخرى). [السلسلة الضعيفة:٣٦٨/٧]

■ حديث ابن عمر رضي الله عنهما

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَهْ عَن ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَ وَجَعًا فِي رَأْسِهِ فَأَبْطَأَ عَلَى أَصْحَابِهِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَا الَّذِي بَطَّأَ بِكَ عَنَّا؟ فَقَالَ: «وَجَعٌ وَجَدْتُهُ فِي رَأْسِي، فَهَبَطَ عَلَيَّ جِبْرِيلُ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ - أَوْ يُصِيبُكَ - وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ مُعْلَنٍ أَوْ مُسَرٍّ، وَمِنْ شَرِّ الجِنِّ وَالإِنْسِ، ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٤، ٥]». قَالَ: «فَبَرَأْتُ»). [الدر المنثور: ٨٠٢/١٥]

■ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حدَّثَنَا عمرُو بنُ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ بنِ العَلاءِ بنِ زِبْرِيقَ الحِمْصِيُّ حدَّثني جدِّي إبراهيمُ بنُ العَلاء ثَنا عبَّادُ بنُ يوسُفَ عن أبي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ عن الرَّبيع بن أنسٍ عن أنس بنِ مَالكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: صَنَعَتْ يَهُودُ لِرَسُولِ اللهِ شَيْئًا تُرِيدُ شَرًّا فَأَصَابَهُ مِن ذَلِكَ وَجَعٌ شَدِيدٌ فَأَتَاهُ جِبرِيلُ عَلَيهِ السَّلامُ بالمعَوِّذَتينِ فَعَوَّذَهُ بهمَا وقَالَ: بِاسْمِ اللهِ أرقِيكَ مِن كلِّ شَيءٍ يُؤذِيكَ مِن كُلِّ عَينٍ وَنَفْسٍ حَاسِدٍ اللهُ يَشْفِيكَ فَخرَجَ النَّبيُّ إِلَى أَصْحَابِهِ). [كِتابُ الدعاء:١٠٩٥]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَهْ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: صَنَعَتِ اليَهُودُ بالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فَأَصَابَهُ مِنْهُ وَجَعٌ شَدِيدٌ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَمٌّ بِهِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ فَعَوَّذَهُ بهما، ثُمَّ قَالَ: «بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ يُؤْذِيكَ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ وَنَفْسٍ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ. بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ»). [الدر المنثور: ١٥/٧٩٥]

■ أثر معمر بن راشد

قالَ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت:٢١١هـ): (قالَ مَعْمَرٌ: الرُّقيةُ الَّتي رَقَى بهَا جبرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ: بِاسْمِ اللهِ أرقِيكَ، واللهُ يشفيكَ، مِن كلِّ شيءٍ يؤذيكَ، وَمِن كُلِّ عَينٍ وَحَاسِدٍ، بِاسْمِ اللهِ أرقِيكَ). [مصنف عبد الرزاق:١١/١٩]

■ أثر جعفر بن محمد

قالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الجَصَّاصُ (ت: ٣٧٠هـ): (وَرُوِيَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: "جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَقَاهُ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ"). [أحكام القرآن: ٣/٦٤٨]

رقية النبي صلى الله عليه وسلم نَفْسَهُ

■ حديث أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما

قالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ الأَصْبَحِيُّ (ت: ١٧٩هـ): (عن ابنِ شِهَابٍ، عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عن عائشةَ، أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ على نفسِهِ بالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ. قالَتْ: فلَمَّا اشْتَدَّ وَجعُه كُنْتُ أنا أَقْرَأُ عليه وأَمْسَحُ عليه بِيَمِينِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا). [الموطأ: ٢/٩٤٢- ٩٤٣]

- **قَالَ يوسفُ بنُ عبدِ اللهِ بن محمدٍ ابنُ عبدِ البَرِّ النَّمَرِيُّ (ت: ٤٦٣هـ)**: (مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، قَالَتْ: فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ، كُنْتُ أَنَا أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ عَلَيْهِ بِيَمِينِهِ، رَجَاءَ بَرَكَتِهَا.

هَكَذَا رَوَى هَذَا الحَدِيثَ جَمَاعَةٌ، رَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّأِ وَغَيْرِ الْمُوَطَّأِ بِإِسْنَادِهِ.

وَبَعْضُهُمْ قَالَ: وَ"يَتْفُلُ" فِي مَكَانِ "يَنْفُثُ".

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ فِيهِ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص: ١] وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ.

وَقَدْ ذَكَرْنَا كَثِيرًا مِنْ طُرُقِهِ وَأَلْفَاظِهِ فِي التَّمْهِيدِ.

وَرَوَاهُ وَكِيعٌ، عَنْ مَالِكٍ فَاخْتَصَرَهُ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ، قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْفُثُ فِي الرُّقْيَةِ، وَلَيْسَ فِي الحَدِيثِ أَكْثَرُ مِنْ مَعْنَى النَّفْثِ وَالتَّفْلِ، وَتَعْيِينِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ.

وَالتَّفْلُ: مَا فِيهِ بُصَاقٌ يَرْمِيهِ الرَّاقِي بِرِيحِ فَمِهِ.

وَقِيلَ: التَّفْلُ الْبُصَاقُ نَفْسُهُ، وَالنَّفْثُ مَا لا بُصَاقَ فِيهِ.

وحدَّثَنِي خَلَفُ بْنُ قَاسِمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي يُوسُفُ بْنُ القَاسِمِ بْنِ يُوسُفَ المَيَانَجِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ السَّرَّاجُ.

وحدَّثَنِي خَلَفُ بْنُ قَاسِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي الحَسَنُ بْنُ الخَضِرِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبٍ النَّسَائِيُّ، قَالا: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَاهُويَهْ، قَالَ: حَدَّثَنِي وَكِيعٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْفُثُ فِي الرُّقْيَةِ.

وَكَذَلِكَ رَوَاهُ زَيْدُ بْنُ أَبِي الزَّرْقَاءِ، عَنْ مَالِكٍ بِإِسْنَادِهِ بِلَفْظِ وَكِيعٍ، ذَكَرْنَاهُ فِي التَّمْهِيدِ). [الاستذكار:٢٧/٣٠-٣١]

- **قَالَ سُلَيْمَانُ بنُ خَلَفٍ البَاجِيُّ(ت:٤٧٤هـ)**: ((فَصْلٌ) وَقَوْلُهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ تُرِيدُ ضَعُفَ عَنِ القِرَاءَةِ، أَوْ عَنِ القِرَاءَةِ فِي يَدَيْهِ قَالَتْ عَائِشَةُ فَكُنْت أَنَا أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَرَوَى مَعْمَرٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ فَلَمَّا أُثْقِلَ كُنْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ بِهِنَّ وَفِي رِوَايَةِ يُونُس فَلَمَّا اشْتَكَى أَمَرَنِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ قَالَتْ وَكُنْت أَمْسَحُ بِيَمِينِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا إِشَارَةً إِلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَتَنَاوَلُ ذَلِكَ مِنْهُ لِضَعْفِهِ عَنِ الانْفِرَادِ بِذَلِكَ وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ). [المنتقى:]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إسْمَاعِيلَ البُخَارِيُّ (ت: ٢٥٦هـ): (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا). [صحيح البخاري: كتاب التفسير/ باب فضل المعوذات]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبٍ النَّسَائِيُّ (ت: ٣٠٣هـ): (أَخْبَرَنَا قُتيبة بنُ سعيدٍ، عَنْ مالكٍ، عَنِ ابنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عائشةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشتكى، يقرأُ عَلَى نفسِهِ بالمُعوِّذاتِ، وينْفُثُ، فلمَّا اشتدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أقرأُ عَلَيْهِ وأمسحُ عَلَيْهِ بيدِهِ رجاءَ بركتِهَا). [ذيل تفسير النسائي: ٢/٦٢٧-٦٢٨]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (أَخْبَرَنَا أبو الحَسَنِ السَّرَخْسِيُّ، أَخْبَرَنَا زاهرُ بنُ أحمدَ، أَخْبَرَنَا أبو إسحاقَ الهاشميُّ، أَخْبَرَنَا أبو مُصعَبٍ، عن مالِكٍ، عن ابنِ شِهابٍ، عن عُروةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا اشْتَكَى يَقْرَأُ على نفسِه بالمُعَوِّذَاتِ ويَنْفُثُ، فلمَّا اشْتَدَّ وَجَعُه كنتُ أَقرأُ عليه وأَمْسَحُ عنه بيدِه رجاءَ برَكَتِهما). [معالم التنزيل: ٧٢٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنُ العَرَبِيِّ (ت: ٥٤٣هـ): (وَفِي الصَّحِيحِ وَاللفْظُ لِلْبُخَارِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي المَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ)، قَالَتْ عَائِشَةُ: (فَلَمَّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ بِهِنَّ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا).

قُلْتُ لِلزُّهْرِيِّ: كَيْفَ يَنْفُثُ؟ قَالَ: يَنْفُثُ عَلَى يَدَيْهِ وَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ.

وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: قَالَ مَالِكٌ: هُمَا مِن القُرْآنِ. وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ فِي كِتَابِ الْمُشْكِلَيْنِ). [أحكام القرآن: ٤/١٩٩٧]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): (مَا جَاءَ فِي الرُّقْيَةِ بهما مِنَ المَرَضِ

(طا، خ، ق، س): عن عائشة أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ إذا اشتَكى يَقرأُ على نفْسِه بالمُعَوِّذاتِ، وينفُثُ، فلمَّا اشتدَّ وَجَعُه كُنْتُ أقرَأُ عليه، وأَمسَحُ عليه بيَدِه رَجاءَ برَكَتِها). [لمحات الأنوار: ٣/١١٧٣]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((م): وعنها قالتْ: كان رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَرِضَ أحَدٌ مِن أهْلِ بَيْتِه نَفَثَ عليه بالمُعَوِّذاتِ، فلمَّا مَرِضَ مرَضَه الذي ماتَ فيه جَعَلْتُ أنْفُثُ عليه وأمسَحُ بيَدِ نفْسِه؛ لأنها كانتْ أعظَمَ برَكَةً مِن يَدِي). [لمحات الأنوار: ٣/١١٧٣- ١١٧٤]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((خ): عن عُروةَ عن عائشةَ قالتْ: كان رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا مَرِضَ يَقرأُ على نفْسِه بالمُعَوِّذاتِ وينْفُثُ). [لمحات الأنوار: ٣/١١٧٤]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((عد): وعنه عنها أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا اشتكَى قَرَأَ على نفْسِه بالمُعَوِّذاتِ وتَفَلَ أو نَفَثَ). [لمحات الأنوار: ٣/١١٧٤]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وفي صحيحِ البُخَارِيِّ ومُسْلِمٍ عن عائِشَةَ، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ إِذَا اشْتَكَى قَرَأَ عَلَى نَفْسِهِ بالمُعَوِّذَتَيْنِ وينْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ، وأَمْسَحُ عنه بيدِهِ؛ رَجاءَ بَرَكَتِهَا.

النَّفْثُ: النفخُ لَيْسَ معَه رِيقٌ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٣]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (عنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها، أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَأَمْسَحُ عَنْهُ بِيَدَيْهِ رَجاءَ بَرَكَتِهِمَا. أَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي المُوَطَّأِ. وَلَهُمَا بِمَعْنَاهُ). [لباب التأويل: ٤/٥٠٤]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (وقالَ الإمامُ مالِكٌ: عَنِ ابْنِ شِهابٍ، عن عُرْوَةَ، عن عَائِشَةَ، أنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ كانَ إذا اشْتَكى يَقْرَأُ علَى نَفْسِه بالمُعَوِّذَتَيْنِ ويَنْفُثُ، فلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُه كُنْتُ أَقْرَأُ عليهِ وأَمْسَحُ بيَدِهِ عليهِ رَجاءَ برَكَتِها.

ورواهُ البُخارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ يُوسُفَ، ومُسلِمٌ عن يَحْيَى بنِ يَحْيَى، وأبو دَاوُدَ عن القَعْنَبِيِّ، والنَّسائِيُّ عن قُتَيْبَةَ. ومِن حديثِ ابنِ القاسِمِ وعِيسَى بنِ يُونُسَ وابنُ مَاجَهْ مِن حديثِ مَعْنٍ وبِشْرِ بنِ عُمَرَ، ثَمانِيَتُهم عن مَالِكٍ، بِهِ). [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩٠٦]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ الأَنْبارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى قَرَأَ عَلَى نَفْسِهِ المُعَوِّذَتَيْنِ وَتَفَلَ، أَوْ نَفَثَ). [الدر المنثور: ١٥/٧٩١]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وعنْ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها قالتْ: كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلمَ إذا أَوَى إلى فِراشِهِ كلَّ ليلةٍ جمعَ كفيْهِ فنفثَ فيهما وقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ١﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ [الناس: ١] ثمَّ مسحَ بهما ما استطاعَ مِن جسدِهِ يبدأُ بهما رأسَهُ ووجهَهُ وما أقبلَ مِن جسدِهِ يصنعُ ذلكَ ثلاثَ مرَّاتٍ، وعنها أيضًا أنَّ رسولَ

اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ إذا اشتكى يقرأُ على نفسِهِ بالمعوِّذتينِ وينفثُ فلمَّا اشتدَ وجعُهُ كنتُ أقرأُهُما عليهِ وأمسحُ عنهُ بيدِهِ رجاءَ بركَتِها). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وأَخْرَجَ مَالِكٌ في المُوَطَّأِ عَنِ ابنِ شهابٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عائشة أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ إذا اشْتَكَى يَقْرَأُ على نفسِهِ بالمعوذَتَيْنِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ عَلَيْهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهِمَا. وَأَخْرَجَهُ البخاريُّ وَمسلمٌ في صَحِيحِهِمَا مِنْ طريقِ مالِكٍ بالإِسنادِ المذكورِ). [فتح القدير: ٥/٧٥٦]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وعنْ عائشةَ قَالَتْ: (إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ إذا اشْتَكَى يَقْرَأُ على نفسِهِ بالمعوذَتَيْنِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ عَلَيْهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا). أَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي المُوَطَّأِ، وَهوَ في الصَّحِيحَيْنِ مِنْ طريقِ مَالِكٍ). [فتح البيان: ١٥/٤٥٥]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ سُلَيْمَانَ الأَشْقَرُ (ت:١٤٣٠هـ): (وَأَخْرَجَ مَالِكٌ فِي المُوَطَّأِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِي عَلَيْهِ؛ رَجَاءَ بَرَكَتِهِمَا). [زبدة التفسير: ٦٠٤]

■ حديث آخر عن عائشة

قالَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثنا يَحْيَى بنُ غَيْلانَ، قالَ: حَدَّثنا المُفَضَّلُ، قالَ: حَدَّثني عُقَيْلُ بنُ خَالِدٍ الأَيْليُّ، عن ابنِ شهابٍ، عن عُروةَ بنِ الزُّبيرِ، عن عائشةَ، أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كانَ إذا أَتَى إلى فِرَاشِه في كُلِّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فيهما، وقرأَ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①﴾ [الناس: ١]، ثُمَّ مسَحَ بهما ما استطاعَ من جَسَدِه، يَبْدَأُ بهما على رأسِه ووجهِه وما أقبلَ من جَسَدِه، يفعَلُ ذلكَ ثلاثَ مَرَّاتٍ). [مسند الإمام أحمد: ٤١/٣٤٧]

قالَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثنا أبو عبدِ الرحمنِ، حَدَّثنا سَعِيدٌ – يعني ابنَ أبي أَيُّوبَ – حَدَّثني عُقَيْلٌ، عن ابنِ شِهَابٍ، عن عُرْوةَ بنِ الزُّبَيرِ، عن عائشةَ قالَتْ: كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذا أرادَ النومَ جَمَعَ يديهِ فَيَنْفُثُ فيهما، ثُمَّ يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①﴾ [الناس: ١]، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَه ورأسَه وسائرَ جَسدِه.

قالَ عُقَيلٌ: ورأيتُ ابنَ شِهَابٍ يَفْعَلُ ذلكَ). [مسند الإمام أحمد: ٤٢/١١٦]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيُّ (ت: ٢٥٦هـ): (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا الْمُفَضَّلُ بْنُ فَضَالَةَ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾ [الفلق: ١]،

و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ [الناس: ١] ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ). [صحيح البخاري: كتاب التفسير/ باب فضل المعوذات]

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبِ بنِ عَلِيٍّ النَّسَائِيُّ (ت: ٣٠٣هـ): (أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُفَضَّلُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص: ١]، وَ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ [الفلق: ١] وَ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ [الناس: ١] ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ ومَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ). [عمل اليوم والليلة: ٤٦٢]

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حَدَّثَنَا مُوسَى بنُ هَارُونَ ومُحَمَّدُ بْنُ العَبَّاسِ المُؤَدِّبُ، قالا: ثنا قُتَيْبَةُ بنُ سَعِيدٍ، ثنا مُفَضَّلُ بْنُ فَضَالَةَ، عن عُقَيلٍ، عنِ ابْنِ شِهَابٍ، عن عُرْوَةَ، عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ كانَ إذا أَوَى إلى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، فَقَرَأ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ [الناس: ١]، ثُمَّ يَنْفُثُ فِيهِمَا، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا على رَأْسِهِ ووَجْهِهِ ومَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثلاثَ مَرَّاتٍ). [كِتابُ الدعاء: ٢/ ٩١٧]

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا الغَلابِيُّ، ثنا العَبَّاسُ بْنُ بَكَّارٍ الضَّبِّيُّ، ثنا أَبُو بَكْرٍ الهُذَلِيُّ، عن الزُّهْرِيِّ، عن عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها قالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ إذا أَخَذَ مَضْجَعَهُ نَفَثَ فِي يَدَيْهِ يَقْرَأُ فِيهِمَا بِالْمُعَوِّذَاتِ ويَمْسَحُ بِهِمَا جَسَدَهُ). [كِتابُ الدعاء: ٢/ ٩١٧]

قالَ أَبُو المُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (وقد ورَدَ في الأخبارِ المعروفةِ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أَرادَ أن يَنامَ قَرأَ سورةَ الإخلاصِ والمُعَوِّذَتَيْنِ، ويَنْفُثُ في كَفَّيْهِ، ثم يَمْسَحُ بكَفَّيْهِ ما استطاعَ مِن جَسَدِه، ويَبدأُ بوَجْهِه ورأسِه). [تفسير القرآن: ٦/ ٣٠٨]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (أَخْبَرَنَا أبو مُحَمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الصَّمَدِ الجُوزْجانيُّ، أَخْبَرَنَا أبو القاسِمِ عليُّ بنُ أحمدَ الخُزاعيُّ، أَخْبَرَنَا أبو سعيدٍ الهَيْثَمُ بنُ كُلَيْبٍ الشاشيُّ، أَخْبَرَنَا أبو عيسى التِّرمذيُّ، حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا المُفَضَّلُ بنُ فَضالةَ، عن عُقيلٍ، عن الزُّهْرِيِّ، عن عُروةَ، عن عائشةَ قالَتْ: كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أَوَى إلى فِراشِه كلَّ ليلةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ فنَفَثَ فيهما، فقرَأَ فيهما: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص: ١] و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ [الناس: ١] ثم يَمْسَحُ بهما ما استطاعَ من جَسَدِه، يَبْدَأُ بهما على رَأْسِه ووَجْهِه وما أَقْبَلَ من جَسَدِه. يَفْعَلُ ذلك ثلاثَ مَرَّاتٍ). [معالم التنزيل: ٧٢٨]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها، أن النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ كانَ إذا أَوَى إلى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فقرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص: ١]،

و﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ ﴾ [الفلق: ١]، و﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ ﴾ [الناس: ١] ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا على رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ ومَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذلك ثَلاثَ مَرَّاتٍ). [مَصَابِيحُ السُّنَّةِ: ٢/١١٦]

قالَ عَبْدُ الحقِّ بنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (وقالَتْ عائشةُ رَضِيَ اللهُ عنها: كانَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أوَى إلى فِراشِه جَمَعَ كَفَّيْهِ ونَفَثَ فِيهما وقرَأَ: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ [الإخلاص: ١] والمُعَوِّذَتَيْنِ، ثمَّ مَسَحَ بهما ما استَطاعَ مِن جَسَدِهِ، يَبْدَأُ برأسِه ووجْهِه، ثمَّ ما أَقْبَلَ مِن جسدِه، يَفْعَلُ ذَلك ثَلاثًا). [المحرر الوجيز: ١٥/٦١٥]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): (ما جاءَ في قِراءَتِهِنَّ عنْدَ النَّوْمِ

(خ، ت): عن عائشةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ إذا أَوَى إلى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيلةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثم نَفَثَ فِيهمَا، فقرَأَ ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ [الإخلاص: ١] و﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ ﴾ [الفلق: ١] و﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ ﴾ [الناس: ١] ثم يَمْسَحُ بهما ما استطاعَ مِن جَسَدِهِ يَبدأُ بهما على رأْسِه ووَجْهِه وما أقبَلَ مِن جسَدِه، يَفعلُ ذلك ثلاثَ مَرَّاتٍ.

قالَ أَبُو عِيسَى: هذا حديثٌ حسَنٌ غريبٌ صحيحٌ). [لمحات الأنوار: ٣/١١٥٢]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): (مَا جَاءَ فِي قِراءَتِهِما عندَ النَّوْمِ

(زي): عن عائشةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها قالتْ: كانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أَرادَ النَّوْمَ جَمَعَ يَدَيْهِ فنَفَثَ فيهما بـ ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ ﴾ [الفلق: ١] و﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ ﴾ [الناس: ١] ثم مَسَحَ بهما رأْسَه وجَسَدَه. قَالَ عُقَيْلٌ: رأيتُ ابنَ شِهابٍ يَصنَعُ ذلك). [لمحات الأنوار: ٣/١١٧٦- ١١٧٧]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): ((ق) عنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تعالى عنها، أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ إذا أَوى إلى فِرَاشِهِ كُلَّ ليلةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ يَنْفُثُ فِيهِمَا فَيَقْرَأُ: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ [الإخلاص: ١] وَ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ ﴾ [الفلق: ١] وَ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ ﴾ [الناس: ١]، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثلاثَ مَرَّاتٍ). [لباب التأويل: ٤/٥٠٣- ٥٠٤]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أَوى إلى فراشِهِ جَمَعَ كَفَّيْهِ وَنَفَثَ فيهما وَقَرَأَ: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ [الإخلاص: ١] وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، ثمَّ مَسَحَ بهما ما اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ؛ يَبْدَأُ بِرَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَما أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذلكَ ثَلاثًا). [البحر المحيط: ٨/٧٦٥]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وكَانَ عَلَيْهِ السَّلامُ إِذَا آوَى إِلَى فِرَاشِهِ جَمَعَ كَفَّيْهِ وَنَفَثَ فِيهِمَا وقَرَأَ: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ [الإخلاص: ١] والْمُعَوِّذَتَيْنِ، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِرَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وما أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثًا). [النهر الماد: ١٣٢٠]

قالَ مُحمَّدُ بنُ أحْمَدَ بنِ عُثْمَانَ الذَّهَبِيُّ (ت: ٧٤٨هـ): (أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ التَّمِيمِيُّ، وأَحْمَدُ بْنُ هِبَةِ اللهِ بْنِ تَاجِ الأُمَنَاءِ قِرَاءَةً، عَنْ عَبْدِ المُعِزِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَنْبَأَنَا أَبو الفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، أَنْبَأَنَا حَكَمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، أَنْبَأَنَا الخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ السِّجْزِيُّ، حَدَّثَنَا محمدُ بنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا المُفَضَّلُ، عن عُقَيْلٍ، عنِ ابْنِ شِهَابٍ، عن عُرْوَةَ، عن عائشة، أَنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: (كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ، جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١]. ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، بَدَأَ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، ومَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ). أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ عَنْ قُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ مِثْلَهُ). [سِيَرُ أَعْلامِ النُّبَلاءِ: ٣٤٨/٥- ٣٤٩].

قالَ مُحمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ الذَّهَبِيُّ (ت: ٧٤٨ هـ): (أخبَرنا مُحمَّدُ بنُ عَبْدِ السلامِ التَّميمِيُّ، وأحمدُ بنُ هِبَةِ اللهِ بنِ تاجِ الأُمَناءِ قِراءةً، عن عبدِ المُعِزِّ بنِ مُحمَّدٍ، أنْبَأَنا أبو الفَضْلِ مُحمَّدُ بنُ إسماعيلَ، أنْبَأَنا مُحَلِّمُ بنُ إسماعيلَ، أنبأنا الخَلِيلُ بنُ أحمدَ السِّجْزِيُّ، حَدَّثَنا مُحمَّدُ بنُ إسحاقَ، حَدَّثَنا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنا المُفَضَّلُ، عن عُقَيْلٍ، عن ابنِ شِهَابٍ، عن عُرْوَةَ، عن عَائِشةَ، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ كانَ إذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ ليلةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١] ثم مَسَحَ بهما ما استطاعَ من جَسَدِه، بدَأَ بهما على رأسِه ووَجْهِه، وما أقبلَ من جَسَدِه، يَفْعَلُ ذلكَ ثلاثَ مَرَّاتٍ. أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ عن قُتَيْبَةَ بنِ سَعِيدٍ مِثْلَه.

وقدْ وقَعَ لنا جُمْلَةٌ صالحةٌ من عالِي حديثِ الزُّهْرِيِّ). [سير أعلام النبلاء: ٣٤٩/٥]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (وفي الصحيحين عن عائشةَ: أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا آوى إلى فِراشِه نَفَثَ في كَفَّيْه بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، والمُعَوِّذَتَيْنِ جَمِيعًا ثم يَمْسَحُ بهما وَجْهَهُ وما بَلَغَتْ يَدَاه من جَسَدِه قالَتْ عائشةُ: فلَمَّا اشْتَكَى كان يَأْمُرُنِي أنْ أَفْعَلَ ذلك به). [بدائع الفوائد: ١٩٨/٢- ١٩٩] (م)

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (حَدِيثٌ آخَرُ في الاسْتِشْفَاءِ بِهِنَّ.

قالَ البُخاريُّ: حدَّثنا قُتَيْبَةُ، حدَّثنا المُفَضَّلُ، عن عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عن عُرْوَةَ، عن عَائِشَةَ أنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ كانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِه كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثم نَفَثَ فِيهِمَا فقَرَأَ فِيهِما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١]، ثم يَمْسَحُ بهما ما اسْتطاعَ مِن جَسَدِه، يَبْدَأُ بهما على رَأْسِه ووَجْهِه وما أَقْبَلَ مِن جَسَدِه، يَفْعَلُ ذلك ثلاثَ مَّراتٍ.

وهكذا رواهُ أهلُ السُّنَنِ مِن حديثِ عُقَيْلٍ بهِ). [تفسير القرآن العظيم: ٣٩٠٠/٨]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (وتقدَّمَ حديثُ عائِشَةَ، أنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ علَيْهِ وسلَّمَ كانَ يَقرَأُ بِهِنَّ، ويَنْفُثُ في كَفَّيْهِ ويَمْسَحُ بِهِمَا رَأْسَه ووَجْهَهُ وما أَقْبَلَ مِن جَسَدِه). [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩٠٥]

قالَ حَيْدَرُ بْنُ عَلِيٍّ القَاشِيُّ (ت: ٧٧٦هـ): (عَنِ الجَمَاعَةِ - إلا النَّسَائِيَّ وَالدَّارِمِيَّ- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ نَفَثَ فِي يَدَيْهِ وَقَرَأَ الْمُعَوِّذَاتِ و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] وَمَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ وَجَسَدَهُ، فَلَمَّا اشْتَكَى كَانَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ. وَفِي رِوَايَةٍ نَحْوَهُ، وَفِيهَا: يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ) [المعتمد في المنقول: ٢/٥٠٨]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رَجَبٍ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٧٩٥ هـ): (وقَدْ ثَبَتَ في صحيحِ البُخاريِّ، عن عَائشةَ: أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ إذَا أوَى إلَى فِراشِهِ قَرَأَها مَعَ الْمُعَوِّذَتَيْنِ، ومَسَحَ ما اسْتَطاعَ مِنْ جَسَدِهِ). [تفسير سورة الإخلاص] (م)

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبِيُّ (ت: ٨٧٥ هـ): (وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]. وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]. وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١]. ثُمَّ مَسَحَ بهما مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بهما مِنْ رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا). [الجواهر الحسان: ٥/٦٤٢]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، والبخاريُّ، وَأَبُو دَاوُدَ، والتِّرْمِذِيُّ، والنَّسَائِيُّ، وابْنُ مَاجَهْ عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فراشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [النَّاس: ١]، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ). [الدر المنثور: ١٥/٧٧٠]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وعنْ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها قالتْ: كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلمَ إذا أوَى إلى فِرَاشِهِ كلَّ ليلةٍ جمعَ كفيْهِ فنفثَ فيهما وقرأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١] ثمَّ مسحَ بهما ما استطاعَ مِن جسدِهِ يبدأُ بهما رأسَهُ ووجهَهُ وما أقبلَ مِن جسدِهِ يصنعُ ذلكَ ثلاثَ مرَّاتٍ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/٦١٦] (م)

قَالَ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ الكَرِيمِ الأَشْمُونِيُّ (ت: ق١١هـ): (وقَدْ كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أوَى إلى فراشِهِ جمعَ كَفَّيْهِ ونَفَثَ فيهمَا وقرأَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] والْمُعَوِّذَتَيْنِ ثمَّ مسحَ بهما ما استطاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ برأسِهِ ووجهِهِ وما أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يفعلُ ذلكَ ثلاثًا). [منار الهدى: ٣١١]

قالَ أبو الثَّنَاءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الألُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وأَخْرَجَ البخاريُّ وأبو داوُدَ والنَّسائيُّ وابنُ ماجهْ، عن عائشةَ، أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ كان إذا أوَى إلى فِراشِه كلَّ ليلةٍ جمَعَ كَفَّيْهِ ثم نَفَثَ فيهما فقرَأَ

فيهما ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①﴾ [الناس: ١] ثم يَمسَحُ بهما ما استطاعَ مِن جَسَدِه يَبْدَأُ بهما على رأسِه وعلى وَجْهِه وما أَقْبَلَ مِن جَسَدِه يَفعلُ ذلك ثلاثَ مَرَّاتٍ). [روح المعاني: ٢٧٩/٢٩]

مسألة: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يسترقي عائشة؟

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (وفي الصحيحين عن عائشةَ: (أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا آوَى إلى فِراشِه نَفَثَ في كَفَّيْهِ بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص: ١]، والمُعَوِّذَتَيْنِ جَمِيعًا ثم يَمْسَحُ بهما وَجْهَهُ وما بَلَغَتْ يَدَاه من جَسدِه قالَتْ عائشةُ: فلَمَّا اشْتَكَى كان يَأْمُرُنِي أنْ أَفْعَلَ ذلك به).

قلتُ: هكذا رواه يُونُسُ، عن الزُّهْرِيِّ، عن عروةَ، عن عائشةَ، ذكَرَه البخاريُّ، ورواه مالِكٌ، عن الزُّهْرِيِّ، عن عُرْوَةَ عنها «أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا اشْتَكَى يَقرأُ على نفسِه بالمُعَوِّذاتِ ويَنْفُثُ، فلما اشْتَدَّ وَجَعُه كنتُ أَقْرَأُ عليه وأَمْسَحُ عليه بِيَدِه، رَجاءَ بَرَكَتِها» وكذلك: قالَ مَعْمَرٌ، عن الزُّهْرِيِّ، عن عُروةَ عنها «أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يَنْفُثُ على نفسِه في مَرَضِه الذي قُبِضَ فيه بالمُعَوِّذاتِ، فلما ثَقُلَ كنتُ أنا أَنْفُثُ عليه بِهِنَّ وأَمْسَحُ بيدِه نفسَه لِبَرَكَتِها» فسأَلْتُ ابنَ شِهابٍ كيف كان يَنْفُثُ؟ قالَ: يَنْفُثُ على يَدَيْهِ ثم يَمْسَحُ بهما وَجْهَه. ذكَرَه البخاريُّ أيْضًا، وهذا هو الصوابُ، أنَّ عائشةَ كانت تَفعَلُ ذلك، والنبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يَأْمُرْها، ولم يَمْنَعْها من ذلك.

وأمَّا أن يكونَ اسْتَرْقَى وطَلَبَ منها أن تَرْقِيَه فلا، ولعلَّ بعضَ الرُّواةِ راوه بالمعنى، فظَنَّ أنها لَمَّا فَعَلَتْ ذلك وأَقَرَّهَا على رُقْيَتِه أن يكون مُسْتَرْقِيًا، فليس أحدُهما بمعنى الآخَرِ، ولعلَّ الذي كان يَأمرُها به إنما هو المَسْحُ على نفسِه بيدِه، فيكونُ هو الرَّاقِيَ لنفسِه، ويَدُه لَمَّا ضَعُفَتْ عن التَّنَقُّلِ على سائرِ بدَنِه أَمَرَها أن تَنْقُلَها على بدنِه، ويكونُ هذا غيرَ قِراءتِها هي عليه ومَسْحِها على يديه، فكانت تَفْعَلُ هذا وهذا.

والذي أَمَرَها به إنما هو تَنَقُّلُ يَدِه لا رُقْيَتُه، واللهُ أعلَمُ). [بدائع الفوائد: ١٩٨/٢- ١٩٩]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): (مَا جَاءَ فِي الرُّقْيَةِ بهما مِنَ المَرَضِ

(طا، خ، ق، س): عن عائشةَ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ إذا اشتَكَى يَقرأُ على نفسِه بالمُعَوِّذَاتِ، ويَنفُثُ، فلَمَّا اشتَدَّ وَجَعُه كُنْتُ أقرَأُ عليه، وأَمسَحُ عليه بيَدِه رَجاءَ برَكَتِها). [لمحات الأنوار: ١١٧٣/٣]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((م): وعنها قالتْ: كان رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا مَرِضَ أحَدٌ مِن أهْلِ بَيْتِه نَفَثَ عليه بالمُعَوِّذَاتِ، فلمَّا مَرِضَ مرَضَه الذي ماتَ فيه جَعَلْتُ أَنْفُثُ عليه وأمسَحُ بيَدِ نفْسِه؛ لأنها كانتْ أعظَمَ برَكَةً مِن يَدِي). [لمحات الأنوار: ١١٧٣/٣- ١١٧٤]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((خ): عن عُروةَ عن عائشةَ قالتْ: كان رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا مَرِضَ يَقرأُ على نفْسِه بالمُعَوِّذَاتِ ويَنْفُثُ). [لمحات الأنوار: ١١٧٤/٣]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): ((عد): وعنه عنها أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا اشتكَى قرَأَ على نفْسِه بالمُعَوِّذَاتِ وتَفَلَ أو نفَثَ). [لمحات الأنوار: ١١٧٤/٣]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ الذَّهَبِيُّ (ت: ٧٤٨ هـ): (عن عَائِشَة رَضِيَ اللهُ عنها قالتْ: (كانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ إذا مَرِضَ أحَدٌ من أهْلِه نَفَثَ عليه بالمُعوِّذاتِ)). [الطب النبوي: ٢٨٢]

■ حديث أم المؤمنين ميمونة

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ أَزْهَرَ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ السَّائِبِ ابْنِ أَخِي مَيْمُونَةَ الهِلالِيَّةِ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ مَيْمُونَةَ قَالَتْ لَهُ: يَا ابْنَ أَخِي أَلا أَرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

قُلْتُ: بَلَى.

قَالَتْ: «بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ وَاللهُ يَشْفِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ فِيكَ أَذْهِبِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ»). [مسند الإمام أحمد:]

- **قلت:** (رواه أحمد والنسائي والطحاوي والطبراني وابن حبان، كلهم من طرق عن معاوية بن صالح عن أزهر عن ابن السائب عن ميمونة رضي الله عنها به، وقال ابن حبان: الصواب أزهر بن سعد لا سعيد).

■ حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

قالَ ابنُ ماجَهْ مُحَمَّدُ بنُ يزيدَ القَزْوِينِيُّ(ت: ٢٧٣هـ): (حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ عَبَّادٍ عَنِ الجُرَيْرِيِّ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم- يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الجَانِّ وَأَعْيُنِ الإِنْسِ فَلَمَّا نَزَلَتِ المُعَوِّذَتَانِ أَخَذَهُمَا وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ). [سنن ابن ماجه:كتاب الطب/باب من استرقى من العين]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عِيسَى بنِ سَوْرَةَ التِّرْمِذِيُّ (ت: ٢٧٩هـ): (حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ يُونُسَ الكُوفِيُّ حَدَّثَنَا القَاسِمُ بْنُ مَالِكٍ المُزَنِيُّ عَنِ الجُرَيْرِيِّ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ وَعَيْنِ الإِنْسَانِ حَتَّى نَزَلَتِ المُعَوِّذَتَانِ فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا.

قَالَ أَبُو عِيسَى وَفِي البَابِ عَنْ أَنَسٍ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ). [جامع الترمذي: ١٢٢/٥]

قالَ أحمدُ بنُ شُعَيبِ بنِ عَلِيٍّ النَّسائِيُّ (ت: ٣٠٣هـ): (حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ يُونُسَ قال ثَنَا القَاسِمُ بْنُ مَالِكٍ عَنِ الجُرَيْرِيِّ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ عينِ الإنسَانِ وعَينِ الجَانِّ حتَّى نَزَلَتِ المعوِّذَتانِ فلمَّا نَزَلَتا أَخَذَ بهِنَّ وترَكَ مَا سِواهُنَّ). [السنن الكبرى:٤٤٢/٤]

قالَ أحمدُ بنُ شُعَيبِ بنِ عَلِيٍّ النَّسائِيُّ (ت: ٣٠٣هـ): (أخبرنا هلالُ بن العَلاءِ قالَ حدَّثنا سعيدُ بنُ سُليمانَ قالَ حدَّثَنا عبَّادٌ عنِ الجُرَيْرِيِّ عنْ أبي نَضْرَةَ عن أبي سَعِيدٍ قال: كانَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يتعوَّذُ من عينِ الجانِّ وعينِ الإنسِ فلمَّا نزَلَتِ المعوذتانِ أخذَ بهمَا وتَرَكَ ما سِوَى ذلكَ). [السنن الكبرى:٤٥٨/٤]

- **قلت**: (أبو نضرة هو المنذر بن مالك العبدي، والجُرَيْريُّ هو أبو مسعود سعيد بن إياس البصريُّ محدث أهل البصرة في زمانه، وهما من رجال الصحيحين، والحديث صححه الألباني في عدة مواضع من كتبه)

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (وفي التِّرْمِذِيِّ أيضًا من حديثِ الجَريريِّ، عن أبي هُريرةَ، عن أبي سعيدٍ قالَ: (كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتعوَّذُ من الجَانِّ وعينِ الإنسانِ حتى نَزَلَتِ المُعَوِّذَتَانِ، فلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَهما وتَرَكَ ما سِواهما).

قالَ: وفي البابِ عن أَنَسٍ، وهذا حديثٌ غريبٌ). [بدائع الفوائد: ١٩٨/٢]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (وتقدَّمَ في آخرِ سُورَةِ (ن) مِن حديثِ أبي نَضْرَةَ، عن أبي سعيدٍ، أنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ كانَ يَتعوَّذُ مِن أَعْيُنِ الجَانِّ وعَيْنِ الإِنْسَانِ، فلمَّا نَزَلَتِ المُعَوِّذَتانِ أَخَذَ بِهِمَا وتَرَكَ مَا سِوَاهُما. رواهُ التِّرْمِذيُّ والنَّسائِيُّ وابنُ ماجَهْ، وقالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ). [تفسير القرآن العظيم: ٣٩٠٦/٨]

قالَ حَيْدَرُ بْنُ عَلِيٍّ القَاشِيُّ (ت: ٧٧٦هـ): (عَنِ التِّرْمِذِيِّ وَابْنِ مَاجَهْ وَالنَّسَائِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الجَانِّ وَعَيْنِ الإِنْسِ، فَلَمَّا نَزَلَتِ المُعَوِّذَتَانِ أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ) [المعتمد في المنقول: ٥٠٨/٢]

قالَ أَحْمَدُ بنُ علِيٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (وَقَدْ أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ وَعَيْنِ الإِنْسَانِ حَتَّى نَزَلَتِ المُعَوِّذَاتُ فَأَخَذَ بهَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهَا.

وَهَذَا لا يَدُلُّ عَلَى المنعِ مِنَ التَّعَوُّذِ بغَيْرِ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ، بَلْ يَدُلُّ عَلَى الأَوْلَوِيَّةِ وَلا سِيَّمَا مَعَ ثُبُوتِ التَّعَوُّذِ بغَيْرِهِمَا، وَإِنَّمَا اجْتَزَأَ بهِمَا لِمَا اشْتَمَلَتَا عَلَيْهِ مِن جَوَامِعِ الاسْتِعَاذَةِ مِن كُلِّ مَكْرُوهٍ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً). [فتح الباري:١٩٥/١٠]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وحَسَّنَهُ والنَّسائِيُّ وَابْنُ مَرْدُويَهْ والبَيْهَقِيُّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الجَانِّ وَمِنْ عَيْنِ الإنسِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ سُورَةُ المُعَوِّذَتَيْنِ أَخَذَهُما وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ). [الدر المنثور: ٧٨٧/١٥]

- **قلت**: (هكذا قال: (سورة المعوذتين) والذي في السنن (المعوذتان) ولم أجد هذا اللفظ في شيء من روايات هذا الحديث، إلا أن يكون في تفسير ابن مردويه.

وهو مخالف لما في صحيح مسلم وغيره من حديث عقبة بن عامر من تسميتهما سورتين.

وقد تبعه على هذا الشوكاني وصديق حسن خان).

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ وَابنُ مَرْدُويه وَالبيهقيُّ عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ عينِ الجانِّ، وَمن عَيْنِ الإنسِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ سورةُ المعوذتَيْنِ أَخَذَ بهما وَتَرَكَ مَا سِوَى ذلك). [فتح القدير: ٧٥٦/٥]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ الشَّوْكانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): ((وكَانَ يَتَعوَّذُ مِنَ الجَانِّ وَعَيْنِ الإِنْسَانِ، حَتَّى نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ ما سِوَاهُمَا) ت، س.

الحَديثُ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ والنَّسَائِيُّ، كَما قالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ، وَهوَ مِنْ حَديثِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: (كَانَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَتَعوَّذُ مِنَ الجَانِّ وَعَيْنِ الإِنْسَانِ، حَتَّى نَزَلَتِ المُعوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا).

قالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ غَريبٌ، وَأَخْرَجَهُ ابنُ مَاجَهْ مِنْ حَديثِهِ أيضًا.

وَفِي الحَديثِ دَليلٌ عَلَى أنَّ الاسْتِعاذَةَ بِهاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ أَوْلَى مِنَ الاسْتِعاذَةِ بِغَيْرِهِما، لَكِنْ لا فِي مُطْلَقِ الاسْتِعاذَةِ بَلْ فِي التَّعَوُّذِ مِنَ الجانِّ وَعَيْنِ الإِنْسان). [تُحْفَةُ الذَّاكِرينَ: ٣٣٠- ٣٣٢]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وأَخْرَجَ الترمذيُّ وَحَسَّنَهُ وابنُ مَرْدُوَيَهْ وَالبَيْهَقِيُّ عَنْ أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ قالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعوَّذُ مِنْ عينِ الجانِّ وَمن عينِ الإنسِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ سورةُ المعوذتَيْنِ أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ ما سِوَى ذلكَ). [فتح البيان: ١٥/٤٥٤]

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (روَى ابنُ كَثِيرٍ حديثَ أبي سَعيدٍ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: كانَ يَتَعوَّذُ مِنْ أَعْيُنِ الجِنِّ والإِنْسِ، فلَمَّا نَزَلَتِ المُعَوِّذَتَانِ أَخَذَ بهما وترَكَ ما سِواهُما. رَواه التِّرْمِذِيُّ والنَّسائِيُّ وابنُ ماجَهْ، وقالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صحيحٌ). [تتمة أضواء البيان: ٩/٧٠]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ سُلَيْمَانَ الأَشْقَرُ (ت:١٤٣٠هـ): (أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ والبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعوَّذُ مِن عَيْنِ الجَانِّ، وَمِنْ عَيْنِ الإنسِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ سُورَتَا المُعَوِّذَتَيْنِ أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ). [زبدة التفسير: ٦٠٤]

■ ما جاء في رقية النبي صلى الله عليه وسلم نفسه بالمعوذتين لما سُحر

قلت: (سبق الحديث عن هذه المسألة في سبب نزول المعوذتين فراجعه إن شئت).

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ الغَافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): (مَا جَاءَ فِي تَعَوُّذِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقِرَاءَتِه بهما على نفْسِه حِينَ سَحَرَتْهُ اليَهودُ.

(حـ): عن حَفْصِ بنِ مَيْسَرَةَ أنَّ يَهوديَّةً سَحَرَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأَتاهُ جِبْرِيلُ عليه السَّلامُ فقالَ: يا مُحَمَّدُ، إنَّ يَهودِيَّةً سَحَرَتْكَ، وجَعَلَتْهُ في بِئْرِ بُضَاعَةَ، فأرْسِلْ رَجُلينِ مِن أخَصِّ أهْلِكَ وأصحابِكَ يَستَخْرِجانِهِ، فبَعَثَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكرٍ وعُمَرَ، فاسْتَخْرَجاهُ، فقالَ جبريلُ عليه السلامُ: اقرأْ يا مُحمَّدُ، قَالَ: «وَمَا أَقْرَأُ»؟ قَالَ: اقرأْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١] فحُلَّتْ عُقدةٌ مِنَ السِّحرِ، ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق: ٢] فحُلَّتْ عُقْدَةٌ ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ [الفلق: ٣] فحُلَّتْ عُقدةٌ ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: ٤] فحُلَّتْ عُقدةٌ ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٥] فحُلَّتْ

عُقدةٌ. ثم قَالَ: اقْرأْ. قَالَ «وَمَا أَقْرَأُ؟» قَالَ: اقرأْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ [الناس: ١] فحُلَّتْ عُقدةٌ ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦﴾ [الفلق: ٦] فحُلَّتِ العُقَدُ كُلُّها، وبَرِئَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان اضْطَجَعَ ثمانِيَ عَشْرَةَ ليلةً، فقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،: «مَا تُعُوِّذَ بِمِثْلِهِمَا».

(قُلتُ): خَرَّجَه أبو محمَّدٍ عبدُ الرحمنِ بنُ أبي حاتمٍ الرَّازِيُّ في كتابِ الدُّعاءِ عن يُونُسَ بنِ عبدِ الأَعْلَى قَالَ: نا ابنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَني حفْصُ بنُ مَيْسَرةَ، عن أبي سُفيانَ أنَّ يهوديَّةً سَحَرَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلمَّا مَضَى ثمانِيَ عَشْرَةَ ليلةً أتاهُ جبريلُ عليه السلامُ فقالَ: يا محمَّدُ، إنَّ يهوديَّةً سَحَرَتْكَ، وجعلَتْ لكَ سِحْرًا في بني بَيَاضَةَ، فأَرْسِلْ مِن أَخَصِّ أهلِكَ وأصحابِكَ رجُلينِ يَستخرِجانِ السِّحْرَ، فبعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكْرٍ وعُمَرَ، فاستخْرَجَا ذلك السِّحْرَ، ونزلَ جبريلُ فقالَ: يا محمَّدُ اقْرأْ. قَالَ: «وَمَا أَقْرَأُ؟» قَالَ: اقْرأْ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ١﴾ [الفلق: ١] الحديثَ بِمِثْلِ ما تَقَدَّمَ). [لمحات الأنوار: ٣/١١٧٤- ١١٧٦]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (رُوِيَ أنه عَلَيهِ السلامُ سُحِرَ؛ فمَرِضَ، فجاءَه مَلَكَانِ وهو نائِمٌ، فَقالَ أَحدُهُما لِصَاحِبِه: ما بَالُه؟ فقال: طُبَّ. قال: ومَنْ طَبَّه؟ قال: لَبِيدُ بنُ أَعْصَمَ اليهوديُّ. قال: وبِمَ طَبَّه؟ قال: بِمُشْطٍ ومُشَاطَةٍ في جُفِّ طَلْعَةٍ تحتَ رَاعُوفَةٍ في بِئرِ ذِي أَرْوانَ. فانْتَبَهَ صلَّى اللهُ عَلَيْه وسلَّمَ فبعَثَ زُبَيْرًا وعَلِيًّا وعمَّارًا رضِيَ اللهُ عَنْهُم، فنَزَحُوا ماءَ البِئرِ، وأخرَجوا الجُفَّ، فإذَا فيه مُشاطَةُ رَأسِه وأَسنانٌ مِن مُشْطِه، وإذَا فيه وَتَرٌ مُعقَّدٌ فِيه إحدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً مَغْرُوزةً بالإِبَرِ، فنَزَلَتْ هاتانِ السُّورتَانِ، فكُلَّمَا قرأَ جبريلُ آيةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، حتَّى قام صلَّى اللهُ عَلَيْه وسلَّمَ عندَ انْحلالِ العُقْدَةِ الأخيرةِ كأنَّمَا نُشِطَ من عِقالٍ، وجعَلَ جِبريلُ يَقولُ: بِاسْمِ اللهِ أرْقِيكَ واللهُ يَشْفِيكَ من كلِّ داءٍ يُؤْذِيكَ.

ولهذَا جُوِّزَ الاسْتِرقاءُ بما كانَ مِن كِتابِ اللهِ، وكلامِ رسولِه عليه السَّلامُ، لا بِمَا كان بالسُّرْيَانِيَّةِ والعِبْرانيَّةِ والهِنْدِيَّةِ؛ فإنَّه لا يَحِلُّ اعْتِقادُه والاعتمادُ عَلَيه). [مدارك التنزيل:٣/٢٠١٦]

قالَ ابْنُ المُلَقِّنِ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٨٠٤هـ): (كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قدْ سَحَره لَبِيدُ بنُ الأَعْصَمِ في إحدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً؛ فنَزَلَتِ المُعَوِّذَتانِ إحْدَى عَشْرَةَ آيةً، فقَرَأَها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فشُفِيَ من السِّحْرِ). [تفسير غريب القرآن: ٦٠٣]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: سَحَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ فَاشْتَكَى، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ وَقَالَ: إِنَّ رَجُلاً مِنَ اليَهُودِ سَحَرَكَ، وَالسِّحْرُ فِي بِئْرِ فُلانٍ. فَأَرْسَلَ عَلِيًّا، فَجَاءَ بِهِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَحُلَّ العُقَدَ وَيَقْرَأَ آيَةً، فَجَعَلَ يَقْرَأُ وَيَحُلُّ حَتَّى قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ). [الدر المنثور: ١٥/٧٩٢- ٧٩٣]

قال أحمدُ بنُ محمدِ بن أبي بكرٍ القَسْطَلاَّنيُّ (ت: ٩٢٣هـ): (قَالَ فِي شَرْحِ المِشْكَاةِ: لَمَّا سُحِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَشْفَى بِالمُعَوِّذَتَيْنِ؛ لأَنَّهُمَا مِنَ الجَوَامِعِ فِي هَذَا البَابِ). [إرشاد الساري: ٧/٤٤١]

رقية النبي صلى الله عليه وسلم غيره

حديث عائشة رضي الله عنها

قالَ مُحمَّدُ بنُ إسْمَاعِيلَ البُخَاريُّ (ت: ٢٥٦هـ): (حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي رَجَاءٍ حَدَّثَنَا النَّضْرُ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرْقِي يَقُولُ امْسَحِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ بِيَدِكَ الشِّفَاءُ لا كَاشِفَ لَهُ إلا أَنْتَ). [صحيح البخاري: كتاب الطب/باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم]

حديث آخر لعائشة رضي الله عنها

قالَ مُحمَّدُ بنُ إسْمَاعِيلَ البُخَاريُّ (ت: ٢٥٦هـ): (حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ رَبِّهِ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ عَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ لِلْمَرِيضِ: «بِاسْمِ اللهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا بِرِيقَةِ بَعْضِنَا يُشْفَى سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا».

- حَدَّثَنِي صَدَقَةُ بْنُ الفَضْلِ أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي الرُّقْيَةِ: «تُرْبَةُ أَرْضِنَا وَرِيقَةُ بَعْضِنَا يُشْفَى سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا»). [صحيح البخاري: كتاب الطب/باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم]

- **قلت:** (رواه الحميدي وابن أبي شيبة والبخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجهْ والنسائي وأبو يعلى وابن حبان والحاكم وغيرهم من طرق عن سفيان بن عيينة عن عبد ربه بن سعيد عن عمرة عن عائشة).

قالَ يَحْيَى بنُ شَرَفٍ النَّوَوِيُّ(ت:٦٧٦هـ): (قالَ جُمْهورُ العلماءِ: المرادُ بأرضِنَا هُنَا جُمْلَةُ الأرضِ، وَقِيلَ: أرضُ المدينةِ خاصَّةً لبركَتِهَا، والرِّيقَةُ أقلُّ مِنَ الرِّيقِ.

وَمَعْنَى الحَدِيثِ: أَنَّهُ يأخُذُ مِن ريقِ نفسِهِ علَى أصبعِهِ السَّبَّابَةِ ثمَّ يضعُهَا علَى التُّرابِ فيعلَقُ بهَا مِنهُ شيءٌ فيمسَحُ بِهِ علَى الموضعِ الجَريحِ أوِ العَليلِ ويقُولُ هذَا الكَلامَ فِي حَالِ المسحِ، وَاللهُ أَعْلَمُ). [شرح صحيح مسلم:]

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه

قالَ مُحمَّدُ بنُ إسْمَاعِيلَ البُخَاريُّ (ت: ٢٥٦هـ): (حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَارِثِ عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَثَابِتٌ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ فَقَالَ ثَابِتٌ: يَا أَبَا حَمْزَةَ اشْتَكَيْتُ.

فَقَالَ أَنَسٌ: أَلا أَرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ: بَلَى.

قَالَ: اللهُمَّ رَبَّ النَّاسِ مُذْهِبَ البَاسِ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لا شَافِيَ إلا أَنْتَ شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا). [صحيح البخاري: كتاب الطب/باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم]

■ حديث أبي ليلى بن أبي يسار الأنصاري

قال ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني(ت:٢٧٣هـ): (حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ حَيَّانَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى أَنْبَأَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ حَدَّثَنَا أَبُو جَنَابٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ أَبِيهِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ إِنَّ لِي أَخًا وَجِعًا قَالَ مَا وَجَعُ أَخِيكَ قَالَ بِهِ لَمَمٌ قَالَ اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهِ قَالَ فَذَهَبَ فَجَاءَ بِهِ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَسَمِعْتُهُ عَوَّذَهُ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ وَأَرْبَعِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ البَقَرَةِ وَآيَتَيْنِ مِنْ وَسَطِهَا ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] وَآيَةِ الكُرْسِيِّ وَثَلاثِ آيَاتٍ مِنْ خَاتِمَتِهَا وَآيَةٍ مِنْ آلِ عِمْرَانَ أَحْسِبُهُ قَالَ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] وَآيَةٍ مِنَ الأَعْرَافِ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ﴾ [الأعراف: ٥٤] الآيَةَ وَآيَةٍ مِنَ المُؤْمِنِينَ ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ [المؤمنون: ١١٧] وَآيَةٍ مِنَ الجِنِّ ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ [الجن: ٣] وَعَشْرِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الصَّافَّاتِ وَثَلاثِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ الحَشْرِ وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١] وَالمُعَوِّذَتَيْنِ فَقَامَ الأَعْرَابِيُّ قَدْ بَرَأَ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ). [سنن ابن ماجه:]

- **قلت**: (قال البوصيري في مصباح الزجاجة: (هذا إسناد فيه أبو جناب الكلبي وهو ضعيف ومدلس، واسمه يحيى بن أبي حية رواه الحاكم في المستدرك من طريق أبي جناب عن عبد الله بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب به وقال هذا حديث محفوظ صحيح)

وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه).

قالَ أبو يَعْلَى أَحْمَدُ بنُ عَلِيِّ بنِ المُثَنَّى المَوْصِلِيُّ(ت:٣٠٧هـ): (حدَّثنا زَحْمُويَهْ حدَّثنا صالحٌ حدَّثنا أبو جَنَاب يحيى بن أبي حيَّةَ عن عبدِ الرحمنِ بن أبي ليلى عن رجلٍ عن أبيه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن أخي وجع فقال: ما وجع أخيك؟ قال: به لمم، قال: فابعث إلي به، قال: فجاءه فجلس بين يديه، قال: فقرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب وأربع آيات من أول سورة البقرة وآيتين من وسطها: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٣، ١٦٤] حتى فرغ من الآية وآية الكرسي، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة وآية من أول آل عمران ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] إلى آخر الآية وآية من سورة الأعراف ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ٥٤] وآية من سورة المؤمنين ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٦] وآية من سورة الجن ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ [الجن: ٣] وعشر آيات من سورة الصف من أولها وثلاث آيات من آخر سورة الحشر و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١] والمعوذتين). [مسند أبي يعلى:]

قالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ المُعَلَّى الدِّمَشْقِيُّ، ثنا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْرُوقٍ الكِنْدِيُّ، ثنا أبو جَنَابٍ الكَلْبِيُّ، عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ

عنه قال: إنِّي لَجَالِسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: إنَّ لِي أَخًا وَجِعًا، فقالَ: وَمَا وَجَعُ أَخِيكَ؟ قالَ: بِهِ لَمَمٌ. قالَ: اذهَبْ فَأْتِنِي به. قالَ: فَسَمِعْتُهُ عَوَّذَهُ بِفَاتِحَةِ القُرْآنِ وأَرْبَعِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ البَقَرَةِ وآيَتَيْنِ مِنْ وَسَطِهَا: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٣، ١٦٤] الآيتَيْنِ، وآيَةِ الكُرْسِيِّ، وثلاثِ آياتِ خاتِمَةِ البَقَرَةِ وآيَةٍ مِنْ آلِ عِمْرانَ ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] إلى آخِرِ الآيةِ، وآيَةٍ مِنَ الأعرافِ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ٥٤] إلى آخِرِ الآيَةِ، وآيَةٍ مِنْ سُورَةِ المُؤْمِنِينَ ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٦] إلى آخِرِ الآيَةِ، وآيَةٍ مِنْ سُورَةِ الجِنِّ: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ [الجن: ٣] وعَشْرِ آياتٍ مِنْ أَوَّلِ الصَّافَّاتِ آخِرُهُنَّ: ﴿طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾ [الصافات: ١١] وآخِرِ سُورَةِ الحَشْرِ، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١] والمُعَوِّذَتَيْنِ، فَأَتَى الأعرابِيُّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ فقالَ: قَدْ بَرَأَ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ). [كتابُ الدعاء: ٢/١٣٠٥]

■ حديث ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري

قالَ أَبو داودَ سُلَيمانُ بنُ الأَشْعَثِ السِّجِسْتانِيُّ (ت:٢٧٥هـ): (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ وابْنُ السَّرْحِ، قَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، وقَالَ ابْنُ السَّرْحِ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنْ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَقَالَ ابْنُ صَالِحٍ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ أَحْمَدُ: وَهُوَ مَرِيضٌ؛ فَقَالَ: «اكْشِفِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ عَنْ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ» ثُمَّ أَخَذَ تُرَابًا مِنْ بَطْحَانَ فَجَعَلَهُ فِي قَدَحٍ ثُمَّ نَفَثَ عَلَيْهِ بِمَاءٍ وَصَبَّهُ عَلَيْهِ.
قَالَ أَبُو دَاوُد: قَالَ ابْنُ السَّرْحِ: يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الصَّوَابُ). [سنن أبي داود:]

قلت: (انظر تخريجه في الكلام على القراءة في الماء).

■ حديث علي بن أبي طالب

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ عَلِيٍّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ زَوَّجَهُ فاطمة دَعَا بِمَاءٍ فَمَجَّهُ ثُمَّ أَدْخَلَهُ مَعَهُ فَرَشَّهُ فِي جَنْبِهِ وَبَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَعَوَّذَهُ بِـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١] والمُعَوِّذَتَيْنِ). [الدر المنثور: ١٥/٧٦٢- ٧٦٣]

قلت: (رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق العباس بن جعفر بن زيد بن طلق عن أبيه عن جده عن علي رضي الله عنه، والعباس غير معروف، قال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول: هو مجهول، وذكره ابن حبان في الثقات على طريقته، ورأيت اسمه في التاريخ الكبير للبخاري العباس بن جعفر بن زيد بن طلق بن زيد، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً.

والذي يظهر أن نزول المعوذتين كان بعد زواج علي وفاطمة بزمن).

الإذن بالرقية وأخذ الأجرة عليها

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

قالَ مُحمَّدُ بنُ إسْمَاعِيلَ البُخَارِيُّ (ت: ٢٥٦هـ): (حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ أَبِي بِشْرٍ عَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَهْطًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْطَلَقُوا فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا حَتَّى نَزَلُوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ فَاسْتَضَافُوهُمْ ؛ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ ؛ فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الحَيِّ ؛ فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ قَدْ نَزَلُوا بِكُمْ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ ؛ فَأَتَوْهُمْ ؛ فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ فَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ ؛ فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ شَيْءٌ؟

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ وَاللهِ إِنِّي لَرَاقٍ، وَلَكِنْ وَاللهِ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا ؛ فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلاً ؛ فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الغَنَمِ ؛ فَانْطَلَقَ فَجَعَلَ يَتْفُلُ وَيَقْرَأُ: الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ؛ حَتَّى لَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ ؛ فَانْطَلَقَ يَمْشِي مَا بِهِ قَلَبَةٌ.

قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْسِمُوا.

فَقَالَ الَّذِي رَقَى: لا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ ؛ فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرُوا لَهُ ؛ فَقَالَ: «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ»). [صحيح البخاري: كتاب الطب/باب النفث في الرقية]

حديث خارجة بن الصلت عن عمه

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي السَّفَرِ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ خَارِجَةَ بْنِ الصَّلْتِ عَنْ عَمِّهِ قَالَ: أَقْبَلْنَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَأَتَيْنَا عَلَى حَيٍّ مِنَ العَرَبِ ؛ فَقَالُوا: أُنْبِئْنَا أَنَّكُمْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ بِخَيْرٍ ؛ فَهَلْ عِنْدَكُمْ دَوَاءٌ أَوْ رُقْيَةٌ؟ فَإِنَّ عِنْدَنَا مَعْتُوهًا فِي القُيُودِ.

قَالَ: فَقُلْنَا: نَعَمْ.

قَالَ: فَجَاءُوا بِالْمَعْتُوهِ فِي القُيُودِ قَالَ: فَقَرَأْتُ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً أَجْمَعُ بُزَاقِي ثُمَّ أَتْفُلُ.

قَالَ: فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ.

قَالَ: فَأَعْطَوْنِي جُعْلاً ؛ فَقُلْتُ: لا حَتَّى أَسْأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: «كُلْ لَعَمْرِي مَنْ أَكَلَ بِرُقْيَةِ بَاطِلٍ لَقَدْ أَكَلْتَ بِرُقْيَةِ حَقٍّ»). [مسند الإمام أحمد:]

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ زَكَرِيَّا وَوَكِيعٌ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا عَنْ يَحْيَى فِي حَدِيثِهِ حَدَّثَنِي عَامِرٌ عَنْ خَارِجَةَ بْنِ الصَّلْتِ قَالَ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ عَنْ عَمِّهِ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ أَقْبَلَ رَاجِعًا مِنْ عِنْدِهِ، فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ عِنْدَهُمْ رَجُلٌ مَجْنُونٌ مُوثَقٌ بِالحَدِيدِ؛ فَقَالَ أَهْلُهُ: إِنَّا قَدْ حُدِّثْنَا أَنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا قَدْ جَاءَ بِخَيْرٍ؛ فَهَلْ عِنْدَهُ شَيْءٌ يُدَاوِيهِ؟ قَالَ: فَرَقَيْتُهُ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ.
قَالَ وَكِيعٌ: ثَلاثَةَ أَيَّامٍ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ؛ فَبَرَأَ فَأَعْطَوْنِي مِائَةَ شَاةٍ؛ فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَأَخْبَرْتُهُ؛ فَقَالَ: «خُذْهَا؛ فَلَعَمْرِي مَنْ أَكَلَ بِرُقْيَةِ بَاطِلٍ لَقَدْ أَكَلْتَ بِرُقْيَةِ حَقٍّ»). [مسند الإمام أحمد:]

- **قلتُ:** (هَذَا الحَدِيثُ رَوَاهُ أبو دَاودَ الطَّيَالِسِيُّ وابنُ أَبِي شَيبَةَ وَأَحْمَدُ وَأَبُو دَاودَ السِّجِسْتَانِيُّ وَالنَّسَائِيُّ والطَّحَاوِيُّ فِي شَرْحِ مَعَانِي الآثَارِ، وَابنُ السُّنِّيِّ فِي عَمَلِ اليَومِ وَالليلَةِ، وَابنُ حِبَّانَ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ، وَالدَّارَقُطْنِيُّ، والحَاكِمُ، وَأَبُو نُعَيمٍ الأَصْبَهَانِيُّ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ، وَالبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الإِيمَانِ، كُلُّهُمْ مِن طُرُقٍ عَنْ عَامِرِ بنِ شَرَاحِيلَ الشَّعْبِيِّ عَنْ خَارِجَةَ بنِ الصَّلْتِ عَنْ عَمِّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
وَاخْتُلِفَ فِي اسْمِ عَمِّهِ عَلَى أَقْوَالٍ ذكرها عِزُّ الدِّينِ ابنُ الأَثِيرِ الجَزَرِيُّ فِي أَسَدِ الغَابَةِ:
وَالمشْهُورُ عِندَ المحدِّثِينَ أَنَّهُ عِلاقَةُ بنُ صُحَارٍ، ذَكَرَهُ ابنُ أَبِي خَيْثَمَةَ عَن أَبِي عُبَيْدٍ القَاسِمِ بن سَلاَّمٍ، وَجزَمَ بِهِ ابنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَثِقَاتِهِ، وَذَكَرَهُ الطَّبَرَانِيُّ وَأَبُو نُعَيمٍ الأَصْبَهَانِيُّ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ، وَابنُ عُبْدِ البَرِّ فِي الاسْتِيعَابِ، وَابنُ بَشْكُوَالَ فِي غَوَامِضِ الأَسْمَاءِ، وَالمزِّيُّ فِي تَهْذِيبِ الكَمَالِ وَابنُ حجَرَ فِي التَّقْرِيبِ وَالعَيْنِي فِي مَغَانِي الأَخْيَارِ، وَاعْتَمَدَهُ ابنُ الأَثِيرِ فِي جَامِعِ الأُصُولِ.
وَالحَدِيثُ لَهُ شَاهِدٌ مُرْسَلٌ عِندَ أَبِي عُبَيدٍ فِي فَضَائِلِ القُرآنِ وَابنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ مِن طَرِيقِ إِسْمَاعِيلَ بنِ أَبِي خَالِدٍ عَن قَيْسِ بنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي رَقَيْتُ فُلانًا، وَكَانَ بِهِ جُنُونٌ، فَأُعْطِيتُ قَطِيعًا مِنْ غَنَمٍ، وَإِنَّمَا رَقَيْتُهُ بِالقُرْآنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَخَذَ بِرُقْيَةِ بَاطِلٍ، فَقَدْ أَخَذْتَ بِرُقْيَةِ حَقٍّ»).

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الكَرِيمِ ابنُ الأَثِيرِ الجَزَرِيُّ (ت:٦٣٠هـ): (العَلاءُ، وَقِيلَ: عُلاثَةُ بِن صُحَارٍ السَّلِيطِيُّ مِن بَنِي سَلِيطٍ، وَاسْمُهُ كَعْبُ بنُ الحَارِثِ بنِ يَربُوعٍ التَّمِيمِيُّ السَّلِيْطِيُّ وَهُوَ عَمُّ خَارِجَةَ بنِ الصَّلْتِ، ذَكَرَهُ ابنُ شَاهِينَ فَقَالَ: قَالَ ابنُ أَبِي خَيثمة: أُخبِرْتُ بِاسْمِهِ عَن أَبِي عُبَيْدٍ القَاسِمِ بن سَلاَّمٍ.
وَقَالَ المستَغْفِرِيُّ: عَلاقَةُ بنُ شِجَارٍ قَالَهُ عَلِيُّ بنُ المَدِينِيُّ، يَعْنِي السَّلِيْطِيَّ الَّذِي رَوَى عَنْهُ الحَسَنُ، قَالَ: وَيُقَالُ: ابنُ صُحَارٍ.
وَحكَاهُ أيضًا عَنِ ابنِ أَبِي خَيثَمَةَ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ.
قَالَ: وَقَالَ خَلِيفَةُ: اسْمُ عَمِّ خَارِجَةَ: عَبْدُ اللهِ بنُ عُثَيْرِ بن عَبْدِ قَيْسِ بنِ خفَافٍ مِن بَنِي عَمْرِو بنِ حَنْظَلَةَ مِنَ البَرَاجِمِ.
وَحكَى عَن خَلِيفَةَ قَالَ: عُلاثَةُ بنُ شِجَارٍ بِخَطِّ أَبِي يَعْلَى النَّسَفِي، قَالَ: وَقَالَ البَرْدَعِيُّ: ابنُ شِجَارٍ بالتَّخْفِيفِ). [أسد الغابة:]

رقية المسلم للكافر

قلت: (فيها حديث أبي سعيد وعم خارجة بن الصلت، وقد تقدما قريبا).

رقية الكافر للمسلم

رقية اليهودية لعائشة رضي الله عنها

قالَ مَالِكُ بنُ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ الأَصْبَحِيُّ (ت:١٧٩هـ): (عَن يَحْيَى بنِ سَعِيدٍ عَن عَمْرَةَ بنتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ تَشْتَكِي وَيَهُودِيَّةٌ تَرْقِيهَا ؛ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ارْقِيهَا بكِتَابِ اللهِ). [الموطأ:]

- **قلت**: (رواه مالك وابن أبي شيبة وابن جرير والبيهقي كلهم من طرق عن يحيى بن سعيد عن عمرة به

ورواه ابن حبان من طريق أبي أحمد الزبيري عن سفيان الثوري عن يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها وامرأة تعالجها أو ترقيها فقال: «عالجيها بكتاب الله»).

والأظهر أنهما خبران).

قالَ أَحْمَدُ بنُ الحُسَينِ بنِ عَلِيٍّ البَيهَقِيُّ (ت:٤٥٨هـ): (أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدِ بنُ أَبِي عَمْرٍو ثَنَا أَبُو العَبَّاسِ الأَصَمُّ أَنبأ الرَّبِيعُ قَالَ: سَأَلْتُ الشَّافِعِيَّ عَنِ الرُّقْيَةِ ؛ فَقَالَ: لا بَأْسَ أَنْ يَرْقِيَ الرَّجُلُ بكِتَابِ اللهِ وَمَا يُعْرَفُ مِن ذِكْرِ اللهِ.

فَقُلْتُ: أَيَرْقِي أَهْلُ الكِتَابِ المسْلِمِينَ ؛ فَقَالَ: نَعَمْ إِذَا رَقَوا بمَا يُعْرَفُ مِن كِتَابِ اللهِ وَذِكْرِ اللهِ.

فَقُلْتُ: وَمَا الحُجَّةُ فِي ذَلِكَ.

فَقَالَ: غَيْرُ حُجَّةٍ، وَأَمَّا رِوَايَةُ صَاحِبِنَا وَصَاحِبِكَ فَإِنَّ مَالِكًا أَخْبَرَنَا عَن يَحْيَى بنِ سَعِيدٍ عَن عَمْرَةَ بنتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ تَشْتَكِي وَيَهُودِيَّةٌ تَرْقِيهَا، قَالَ: ارْقِيهَا بكِتَابِ اللهِ). [السنن الكبرى:٩/٣٤٧]

- **قلت**: (وتتمة الحديث بين الشافعي والربيع ما ذكر في الأم (٢٢٨/٧) قال الربيع: فَقُلْت لِلشَّافِعِيِّ فَإِنَّا نَكْرَهُ رُقْيَةَ أَهْلِ الكِتَابِ.

فقال: وَلِمَ وَأَنْتُمْ تَرْوُونَ هذا عن أبي بَكْرٍ وَلا أَعْلَمُكُمْ تَرْوُونَ عن غَيْرِهِ من أَصْحَابِ النبي صلى اللهُ عليه وسلم خِلافَهُ؟ وقد أَحَلَّ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ طَعَامَ أَهْلِ الكِتَابِ وَنِسَاءَهُمْ وَأَحْسِبُ الرُّقْيَةَ إذَا رَقَوْا بِكِتَابِ اللهِ مِثْلَ هذا أو أَخَفَّ).

قَالَ يوسفُ بنُ عبدِ اللهِ ابنُ عبدِ البَرِّ النَّمَرِيُّ (ت: ٤٦٣هـ): (كَانَ مَالِكٌ يَكْرَهُ رُقْيَةَ أَهْلِ الكِتَابِ، وَذَلِكَ وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْلَمُ بأَنَّهُ لا يَدْرِي أَيَرْقُونَ بكِتَابِ اللهِ تَعَالَى أَوْ بمَا يُضَاهِي السِّحْرَ مِنَ الرُّقَى المكْرُوهَةِ). [الاستذكار:]

قالَ أَحْمَدُ بنُ علِيٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (وَقَالَ المَازِرِيُّ: اخْتُلِفَ فِي اسْتِرْقَاءِ أَهْلِ الكِتَابِ فَأَجَازَهَا قَوْمٌ وَكَرِهَهَا مَالِكٌ لِئَلاَّ يَكُونَ مِمَّا بَدَّلُوهُ.

وَأَجَابَ مَنْ أَجَازَ بِأَنَّ مِثْلَ هَذَا يَبْعُد أَنْ يَقُولُوهُ، وَهُوَ كَالطِّبِّ سَوَاءٌ كَانَ غَيْر الحَاذِق لا يُحْسِن أَنْ يَقُول، وَالحَاذِقُ يَأْنَفُ أَنْ يُبَدِّلَ حِرْصًا عَلَى اسْتِمْرَار وَصْفه بِالحِذْق لِتَرْوِيج صِنَاعَته.

وَالحَقُّ أَنَّهُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلافِ الأَشْخَاصِ وَالأَحْوَالِ). [فتح الباري:١٠/١٩٦]

قالَ مُحَمَّدٌ ناصِرُ الدِّينِ الأَلْبَانِيُّ (ت:١٤٢٠هـ): (روى يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن أن أبا بكر الصديق دخل على عائشة وهي تشتكي ويهودية ترقيها ؛ فقال أبو بكر : (ارقيها بكتاب الله). أخرجه مالك في الموطأ (٣/١٢١) وابن أبي شيبة (٨/٥٠/٣٦٦٣) والخرائطي في مكارم الأخلاق (٢/٩٧٧/١١٠٥) والبيهقي (٩/٣٤٩) من طرق عنه.

قلت : وهذا إسناد رواته ثقات لكنه منقطع ؛ فإن عمرة هذه لم تدرك أبا بكر رضي الله عنه ؛ فإنها وُلِدَت بعد وفاته بثلاث عشرة سنة.

نعم في رواية للبيهقي من طريق محمد بن يوسف قال : ذكر سفيان عن يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل أبو بكر وعندها يهودية.. إلخ. كذا قال : (عن عائشة)، فوصله عنها ، وأظن أنه من محمد بن يوسف ، وهو الفريابي ، وهو ثقة فاضل ملازم لسفيان - وهو الثوري - ومع ذلك فقد تكلم ابن عدي وغيره في بعض حديثه عنه ؛ فأخشى أن يكون وصله لهذا الإسناد مما تكلموا فيه ؛ فيكون شاذا لمخالفته لتلك الطرق التي أرسلته ، أو يكون الخطأ ممن دونه ؛ فإنهم دونه في الرواية.

بعد هذا البيان والتحقيق لا أرى من الصواب قول ابن عبد البر في " التمهيد " (٥ / ٢٧٨) جازما بنسبته إلى الصديق : (وقد جاء عن أبي بكر الصديق كراهية الرقية بغير كتاب الله ، وعلى ذلك العلماء ، وأباح لليهودية أن ترقي عائشة بكتاب الله !).

ثم إنه من غير المعقول أن يطلب الصديق من يهودية أن ترقي عائشة ، كما لا يعقل أن يطلب منها الدعاء لها ، والرقية من الدعاء بلا شك ، فإن الله عز وجل يقول : ﴿وَمَا دُعَآؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝٥٠﴾ [غافر : ٥٠].

و يزداد الأمر نكارة إذا لوحظ أن المقصود بـ " كتاب الله " القرآن الكريم ، فإنها لا تؤمن به ولا بأدعيته. وإن كان المقصود التوراة ، فذلك مما لا يصدر من الصديق ، لأنه يعلم يقينا أن اليهود قد حرفوا فيه ، وغيروا وبدلوا).

[السلسلة الصحيحة: ٦/١١٦١]

- **قلت:** (الرقية لا تقتصر على الدعاء ، فإنه يكون فيها دعاء وغيره من الكلام المعروف تأثيره على الروح والبدن والحيوان ، وإذا كانت كذلك وقد أجاز النبي صلى الله عليه وسلم بعض رقى العرب فلا مانع من رقية الكافر للمسلم إذا كان يرقي برقية لا شرك فيها ولا شبهة شرك وكان ممن يؤتمن.

وأما إعلاله الخبر بهذه العلة فغريب ؛ فإن عمرة معروفة بالأخذ عن عائشة وقد حكت عنها هذه القصة فهي محمولة على سماعها لها منها ولا مخالف لها في ذلك ، ولا يصار إلى الإعلال بهذه العلة عند عدم وجود مخالف ثقة حتى يرجح بين الروايتين.

وقد احتج بها الشافعي وحملها مالك على الاتصال ، وإن كان قَدِ اختلف قوله في رقية الكافر للمسلم ؛ فليس منزعه عدم ثبوت الخبر وإنما أراد بذلك سد الذريعة المفضية إلى ما لا يجوز من تلك الرقى فإن توسع الناس في

ذلك مظنة لأن يرقيهم من يكون في رقاه شرك، أما إذا تحقق من سلامة تلك الرقى بأن عرضت على عالم فلم ير فيها بأسًا فالصحيح جوازها.

وأما قول أبي بكر: (ارقيها بكتاب الله) فمعناه بما أذن الله به، كما في الحديث الصحيح: (ما بال أقوام يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله) وكلام أبي بكر موافق لسنة النبي صلى الله عليه وسلم أي: ارقيها بما يجوز في حكم الله، وإن كان الخطاب للراقية فهو كذلك خطاب لعائشة لتمنعها من رقيتها بما لا يجوز، وقد كانت عالمة فقيهة، فليس في الخبر ما يشكل ولله الحمد.

ثم وجدت هذا التفسير لابن حبان –رحمه الله– قال: (قوله صلى الله عليه وسلم: (عالجيها بكتاب الله)

أراد: عالجيها بما يبيحه كتاب الله لأن القوم كانوا يرقون في الجاهلية بأشياء فيها شرك فزجرهم بهذه اللفظة عن الرقى إلا بما يبيحه كتاب الله دون ما يكون شركًا).

■ رقية اليهودي لزينب امرأة ابن مسعود

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيبانيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ الجَزَّارِ عَنِ ابْنِ أَخِي زَيْنَبَ عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ قَالَتْ: كَانَ عَبْدُ اللهِ إِذَا جَاءَ مِنْ حَاجَةٍ فَانْتَهَى إِلَى البَابِ تَنَحْنَحَ وَبَزَقَ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَهْجُمَ مِنَّا عَلَى شَيْءٍ يَكْرَهُهُ.

قَالَتْ: وَإِنَّهُ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَتَنَحْنَحَ، قَالَتْ: وَعِنْدِي عَجُوزٌ تَرْقِينِي مِنَ الحُمْرَةِ؛ فَأَدْخَلْتُهَا تَحْتَ السَّرِيرِ فَدَخَلَ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِي فَرَأَى فِي عُنُقِي خَيْطًا، قَالَ: مَا هَذَا الخَيْطُ؟

قَالَتْ قُلْتُ: خَيْطٌ رُقِيَ لِي فِيهِ.

قَالَتْ: فَأَخَذَهُ فَقَطَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ آلَ عَبْدِ اللهِ لأَغْنِيَاءُ عَنِ الشِّرْكِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ ».

قَالَتْ فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَقُولُ هَذَا وَقَدْ كَانَتْ عَيْنِي تَقْذِفُ؛ فَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى فُلانٍ اليَهُودِيِّ يَرْقِيهَا وَكَانَ إِذَا رَقَاهَا سَكَنَتْ؟

قَالَ: إِنَّمَا ذَلِكِ عَمَلُ الشَّيْطَانِ، كَانَ يَنْخَسُهَا بِيَدِهِ فَإِذَا رَقَيْتِهَا كَفَّ عَنْهَا، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكِ أَنْ تَقُولِي كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَذْهِبْ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا »). [مسند الإمام أحمد:]

- **قلت**: (رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي والبغوي كلهم من طريق الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى بن الجزار عن ابن أخي زينب به، على اختلاف يسير في حكاية القصة وبعضهم يختصرها، وله طرق أخرى سبق ذكرها).

الرقية من العين

العين حق

حديث أبي هريرة رضي الله عنه

قالَ مُحمَّدُ بنُ إسْمَاعِيلَ البُخَاريُّ (ت: ٢٥٦هـ): (حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ هَمَّامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « العَيْنُ حَقٌّ » وَنَهَى عَنِ الوَشْمِ). [صحيح البخاري: كتاب الطب/باب العين حق]

حديث ابن عباس رضي الله عنهما

قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الحجَّاجِ بنِ مُسْلِمٍ القُشَيْرِيُّ النَّيْسابُورِيُّ (ت: ٢٦١هـ): (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ وَأَحْمَدُ بْنُ خِرَاشٍ قَالَ عَبْدُ اللهِ أَخْبَرَنَا وقَالَ الآخَرَانِ حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْراهِيمَ قَالَ حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « العَيْنُ حَقٌّ وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ القَدَرَ سَبَقَتْهُ العَيْنُ وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا »). [صحيح مسلم: ١٣/٧]

الاسترقاء من العين

حديث عائشة رضي الله عنها

قالَ مُحمَّدُ بنُ إسْمَاعِيلَ البُخَاريُّ (ت: ٢٥٦هـ): (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ قَالَ حَدَّثَنِي مَعْبَدُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ شَدَّادٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ أَمَرَ أَنْ يُسْتَرْقَى مِنَ العَيْنِ). [صحيح البخاري: كتاب الطب/باب رقية العين]

قالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الجَصَّاصُ (ت: ٣٧٠هـ): (وَقَالَتْ عَائِشَةُ: "أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَسْتَرْقِيَ مِنَ العَيْنِ"). [أحكام القرآن: ٦٤٨/٣]

حديث أم سلمة رضي الله عنها

قالَ مُحمَّدُ بنُ إسْمَاعِيلَ البُخَاريُّ (ت: ٢٥٦هـ): (حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ وَهْبِ بْنِ عَطِيَّةَ الدِّمَشْقِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الوَلِيدِ الزُّبَيْدِيُّ أَخْبَرَنَا الزُّهْرِيُّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ زَيْنَبَ ابْنَةِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى فِي بَيْتِهَا جَارِيَةً فِي وَجْهِهَا سَفْعَةٌ فَقَالَ: «اسْتَرْقُوا لَهَا فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ».

تَابَعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَالِمٍ عَنِ الزُّبَيْدِيِّ وَقَالَ عُقَيْلٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). [صحيح البخاري: كتاب الطب/باب رقية العين]

■ أقوال العلماء في الرقية من العين

قالَ ابنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بنُ أبي بَكْرٍ الدِّمَشْقِيُّ (ت:٧٥١هـ): (ومن الرُّقَى التى تردُّ العَيْن ما ذُكر عن أبي عبد الله السَّاجى، أنه كان في بعض أسفاره للحج أو الغزو على ناقة فارِهَةٍ، وكان في الرفقة رجل عائن، قلَّما نظر إلى شَيْءٍ إلا أتلفه، قيل لأبي عبد الله: احفَظْ ناقتكَ مِنَ العائِن، فقال: ليس له إلى ناقتى سبيل، فأُخْبِرَ العائِنُ بقوله، فتحيَّنَ غَيبة أبي عبد الله، فجاء إلى رَحْله، فنَظر إلى الناقة، فاضطربتْ وسقطت، فجاء أبو عبد الله، فأُخْبِرَ أنَّ العائِنَ قد عانها، وهي كما ترى، فقال: دُلُّونى عليه. فدُلَّ، فوقف عليه، وقال: باسمِ اللهِ، حَبْسٌ حابسٌ، وحَجَرٌ يابِسٌ، وشِهابٌ قابِسٌ، ردَّت عين العائن عليه، وعلى أحبِّ الناس إليه، ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤﴾ [الملك: ٣، ٤] فخرجتْ حدَقَتا العائنِ، وقامت الناقةُ لا بأسَ بها.

فصل: في هَدْيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العلاج العام لكل شكوى بالرُّقية الإلهية

روى أبو داود في "سننه": من حديث أبي الدرداء، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « مَن اشتكى منكم شَيْئًا، أو اشتكاهُ أخٌ له فلْيقُلْ: ربَّنا اللهَ الذي في السَّماء، تقدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ في السَّماء والأرضِ كما رَحْمَتُك في السَّماءِ، فاجعل رحمتكَ في الأرض، واغفر لنا حُوبَنا وخطايانا أنتَ ربُّ الطَّيِّبين، أَنْزِلْ رحمةً من رحمتك، وشفاءً من شفائك على هذا الوجَع، فيَبْرأ بإذْنِ اللهِ ».

وفي "صحيح مسلم" عن أبي سعيد الخُدْرى، أنَّ جبريلَ عليه السلام أتى النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا محمدُ؛ اشتكيْتَ؟ فقال: « نعم ».

فقال جبريلُ عليه السلام: « بِاسْمِ اللهِ أَرقيكَ مِن كُلِّ شَيْءٍ يُؤذيكَ، مِن شَرِّ كُلِّ نفْسٍ أو عَيْن حاسدٍ اللهُ يَشفيكَ، بِاسْمِ اللهِ أرقيكَ ».

فإن قيل: فما تقولون في الحديث الذي رواه أبو داود: « لا رُقيةَ إلا من عَيْنٍ، أو حُمَةٍ »، والحُمَةُ: ذوات السُّموم كلها؟

فالجواب: أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُرِدْ به نفيَ جواز الرُّقية في غيرها، بل المرادُ به: لا رُقية أولى وأنفعُ منها في العَيْن والحُمَة، ويدل عليه سياقُ الحديث، فإنَّ سهل بن حُنيف قال له لما أصابته العَيْن: أوَفِي الرُّقَى خير؟ فقال: « لا رُقيةَ إلا في نَفْسٍ أو حُمَةٍ ».

ويدل عليه سائرُ أحاديثِ الرُّقَى العامة والخاصة، وقد روى أبو داود من حديث أنس قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لا رُقْيَةَ إلا مِن عَيْنٍ، أو حُمَةٍ، أو دَمٍ يَرْقأُ ».

وفي صحيح مسلم عنه أيضًا: رخَّص رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الرُّقية من العَيْن والحُمَةِ والنَّمْلَةِ). [زاد المعاد:٤/١٧٢- ١٧٤]

الرقية من العقرب

حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ لَيْلَةٍ يُصَلِّي، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ فَلَدَغَتْهُ عَقْرَبٌ، فَتَنَاوَلَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِنَعْلِهِ فَقَتَلَهَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: « لَعَنَ اللهُ الْعَقْرَبَ، لا تَدَعُ مُصَلِّيًا، وَلا غَيْرَهُ » أَوْ نَبِيًّا، وَلا غَيْرَهُ، ثُمَّ دَعَا بِمِلْحٍ وَمَاءٍ فَجَعَلَهُ فِي إِنَاءٍ، ثُمَّ جَعَلَ يَصُبُّهُ عَلَى إِصْبَعِهِ حَيْثُ لَدَغَتْهُ، وَيَمْسَحُهَا وَيُعَوِّذُهَا بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ). [مصنف ابن أبي شيبة :٧/٣٩٨]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الواحِدِ الغافِقِيُّ (ت: ٦١٩هـ): (مَا جَاءَ فِي تَعويذِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهما نفْسَه في لَدْغَةِ العَقْرَب.

(ش): عن محمَّدِ بنِ عليٍّ قال: بينما رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذاتَ لَيلةٍ يُصلِّي، فوضَعَ يَدَه على الأرضِ فلدَغَتْهُ عقربٌ فتناولَها رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنَعْلِه فقتَلَها، فلمَّا انصرفَ قالَ: «لَعَنَ اللهُ العَقْرَبَ، ما تدَعُ مُصلِّيًا ولا غَيْرَه، أَوْ نَبِيًّا ولا غَيْرَه». ثم دعا بماءٍ وملْحٍ فجعَلَه في إناءٍ، ثم جعلَ يَصُبُّه حيثُ لدغَتْه، ويَمْسَحُها ويُعَوِّذُها بالمُعَوِّذَتَيْنِ). [لمحات الأنوار: ٣/١١٧٧- ١١٧٨]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَهْ والبَيْهَقِيُّ فِي (شُعَبِ الإيمان) عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ يُصَلِّي فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى الأَرْضِ، لَدَغَتْهُ عَقْرَبٌ فَتَنَاوَلَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَعْلِهِ فَقَتَلَهَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «لَعَنَ اللهُ العَقْرَبَ؛ مَا تَدَعُ مُصَلِّيًا وَلا غَيْرَهُ أَوْ نَبِيًّا وغَيْرَهُ». ثُمَّ دَعَا بِمِلْحٍ وَمَاءٍ فَجَعَلَهُ فِي إناءٍ، ثُمَّ جَعَلَ يَصُبُّهُ عَلَى إِصْبَعِهِ حَيْثُ لَدَغَتْهُ وَيَمْسَحُهَا وَيُعَوِّذُهَا بالمُعَوِّذَتَيْنِ. وَفِي لَفْظٍ: فَجَعَلَ يَمْسَحُ عَلَيْهَا وَيَقْرَأُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١]). [الدر المنثور: ١٥/٧٧١]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ الطبرانيُّ في الصغيرِ عَنْ عَلِيٍّ بن أبي طالبٍ قَالَ: لَدَغَتِ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقْرَبٌ وَهوَ يُصَلِّي، فَلَمَّا فرَغَ قَالَ: « لَعَنَ اللهُ العَقْرَبَ لا تَدَعُ مُصَلِّيًا وَلا غَيْرَهُ». ثمَّ دَعَا بماءٍ وَمِلْحٍ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ عليها وَيَقْرَأُ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١]). [فتح القدير: ٥/٧٥٧]

■ رقية آل الأسود بن يزيد من العقرب

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبِي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ مُغِيرَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: كَانَ لآلِ الأَسْوَدِ رُقْيَةٌ يَرْقُونَ بِهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ مِنَ الحُمَةِ، قَالَ: فَعَرَضَهَا الأَسْوَدُ عَلَى عَائِشَةَ، قَالَ: فَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يَرْقُوا بِهَا، قَالَ: وَقَالَتْ عَائِشَةُ: لا رُقْيَةَ إِلاَّ مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ). [مصنف ابن أبي شيبة:٧/٣٩٢]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبِي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنِ القَعْقَاعِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: رُقْيَةُ العَقْرَبِ: شجة قرنية ملحة بحر قفطا.

- حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنِ القَعْقَاعِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الأَسْوَدِ قَالَ: عَرَضْتُهَا عَلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: هَذِهِ مَوَاثِيقُ). [مصنف ابن أبي شيبة:٧/٣٩٩]

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حدَّثنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ البَراء قالَ: حدَّثنا المُعَافَى بنُ سُليمانَ قالَ: حدَّثنا مُوسَى بنُ أعينَ عَنْ زيدِ بنِ بكرٍ بنِ خُنَيسٍ عَنْ إسماعيلَ بنِ مسلمٍ عَنْ أبي مَعْشَرٍ عن إبراهيمَ عن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ قال: ذُكِرَ عندَ النَّبي صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ رُقْيَةً مِنَ الحُمَةِ؛ فقال: « اعرِضُوهَا عَلَيَّ »؛ فعَرَضُوهَا عليه: (باسمِ اللهِ شَجة قرنية ملحة بحر قفطا؛ فقال: « هَذهِ مواثيقُ أَخَذَهَا سُليمَانُ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ عَلَى الهَوامِّ لا أرَى بها بَأسًا »

قال: فَلُدِغَ رجلٌ وهو مع علقمة فرقاه بها فكأنما نشط من عقال.

لم يرو هذا الحديث عن أبي معشر إلا إسماعيل بن مسلم ولا عن إسماعيل إلا زيد بن بكر تفرد به موسى بن أعين). [المعجم الأوسط: ٥/٢٦٦]

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حدثنا مطلب بن شعيب نا عبد الله بن صالح نا الليث عن الحسن بن أبي الحسن البصري عن زيد بن عبد الله قال عرضنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية من الحمة فأذن لنا بها وقال إنما هي مواثيق والرقية باسم الله شجة قرنية ملحة بحر قفطا لا يروى هذا الحديث عن زيد بن عبد الله إلا بهذا الإسناد تفرد به الليث). [المعجم الأوسط: ٨/٢٩٧]

قالَ أَبُو نُعَيمٍ أَحْمَدُ بنُ عَبدِ اللهِ الأَصْبَهَانِيُّ(ت:٤٣٠هـ): (حدثنا سليمان بن أحمد في الأوسط، ثنا مطلب بن شعيب، ثنا عبد الله بن صالح، ثنا الليث بن سعد، حدثني إسحاق بن رافع، عن سعد بن معاذ الأنصاري، عن الحسن بن أبي الحسن البصري، عن زيد بن عبد الله ح، قال: وحدثناه عن عبد الله بن جعفر البغدادي، بمصر، ثنا يحيى بن أيوب، ثنا يحيى بن بكير، ثنا الليث بن سعد، عن إسحاق بن رافع، عن سعد بن معاذ الأنصاري، عن الحسن بن أبي الحسن، عن زيد بن عبد الله، قال: عرضنا على النبي صلى الله عليه وسلم رقية من الحية، فأذن لنا بها وقال: « إنما هي مواثيق »، والرقية: « باسم الله شجة ملحة بحر قرنية قطفاء »، لفظهما سواء ورواه فراس بن يحيى، عن الشعبي، عن زيد بن عبد الله الأنصاري). [معرفة الصحابة:]

قالَ ابنُ السُّنِّيِّ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْحَاقَ الدِّينَوَرِيُّ (ت:٣٦٤ هـ): (حدثنا محمد بن محمد بن سليمان، ثنا عبد السلام بن عبد الحميد، ثنا موسى بن أعين، عن زيد بن بكر، عن إسماعيل بن مسلم، عن أبي معشر، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رقية الحمة، فقال: « اعرضها »، فعرضتها عليه: باسم الله شجة قرنية ملحة بحر قفطا. فقال: « هذه مواثيق أخذها سليمان بن داود عليهما السلام، ولا أرى بها بأسا ». فلدغ رجل وهو مع علقمة، فرقاه بها، فكأنما نشط من عقال). [عمل اليوم والليلة:]

قالَ ابنُ السُّنِّيِّ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْحَاقَ الدِّينَوَرِيُّ (ت:٣٦٤ هـ): (أخبرنا علي بن محمد بن عامر، حدثنا عمرو بن أحمد بن شريح، ثنا يحيى بن بكير، ثنا الليث بن سعد، عن إسحاق بن رافع، عن سعد بن معاذ الأنصاري، عن الحسن بن أبي الحسن البصري، عن زيد بن عبد الله، أنه قال: عرضنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية الحمة، فأذن لنا فيها، وقال: « إنما هي مواثيق » والرقية: باسم الله شجة ملحة قرنيه بحري قفطى). [عمل اليوم والليلة:]

■ حديث أبي هريرة رضي الله عنه

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ، عَنْ حَجَّاجٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ طَارِقِ بْنِ أَبِي مُخَاشِنٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِرَجُلٍ لَدَغَتْهُ عَقْرَبٌ، فَقَالَ: « أَمَا إِنَّهُ لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يُلْدَغْ، أَوْ لَمْ يَضُرَّهُ »). [مصنف ابن أبي شيبة: ٧/٣٩٩]

■ هدي النبي صلى الله عليه وسلم في علاج لدغة العقرب

قالَ ابنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بنُ أبي بَكْرٍ الدِّمَشْقِيُّ (ت:٧٥١هـ): (فصل في هَدْيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في علاج لدغة العقرب بالرُّقْيَة.

روى ابن أبي شَيْبَةَ في مسنده من حديث عبد الله بن مسعود قال: بينا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصلِّى، إذ سجد فَلَدَغَتْه عقربٌ في أُصبعه، فانصرفَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: « لَعَنَ اللهُ العَقْرَبَ ما تَدَعُ نبيًّا ولا غَيْرَه »، قال: ثُمَّ دعا بإناءٍ فيه ماء ومِلح، فَجَعَلَ يَضَعُ موضِعَ اللَّدغة في الماء والمِلح، ويقرأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] والمُعَوِّذَتَيْن حتى سكنتْ.

ففي هذا الحديث العلاجُ بالدواء المركَّب مِنَ الأمرين: الطبيعىِّ والإلهيِّ، فإنَّ في سورة الإخلاص مِن كمال التوحيد العِلمى الاعتقادى، وإثبات الأحَدِيَّة للهِ، المستلزمة نفيَ كُلِّ شركة عنه، وإثباتِ الصَّمديَّةِ المستلزمةِ لإثبات كُلِّ كمال له مع كونِ الخلائق تَصمُدُ إليه في حوائجها، أى: تقصِدُه الخليقةُ، وتتوجه إليه، عُلويُّها وسُفليُّها، ونفيَ الوالد والولد، والكُفْءِ عنه المتضمن لنفي الأصل، والفرع والنظير، والمماثل مما اختصَّت به وصارت تعدِلُ ثُلُثَ القرآن، ففي اسمه **(الصمد)** إثباتُ كل الكمال، وفي نفي الكُفْءِ التنزيهُ عن الشبيه والمثال.

وفي **(الأحد)** نفيُ كُلِّ شريك لذى الجلال، وهذه الأُصول الثلاثة هي مجامعُ التوحيد.
وفي المعوِّذتين الاستعاذةُ مِن كل مكروه جملةً وتفصيلاً، فإنَّ الاستعاذَة مِن شَرِّ ما خلق تَعُمُّ كُلَّ شَرٍّ يُستعاذ منه، سواء أكان في الأجسام أو الأرواح، والاستعاذَة مِن شَرِّ الغاسق وهو اللَّيل، وآيتِهِ وهو القمر إذا غاب، تتضمن الاستعاذةَ مِن شَرِّ ما ينتشِرُ فيه من الأرواح الخبيثة التى كان نورُ النهار يحولُ بينها وبين الانتشار، فلما أظلم الليل عليها وغاب القمرُ، انتشرت وعاثت.
والاستعاذة مِن شَرِّ النفاثات في العُقد تتضمن الاستعاذة من شَرِّ السواحر وسِحرهن.
والاستعاذة مِن شَرِّ الحاسد تتضمن الاستعاذَة مِن النفوس الخبيثة المؤذية بحسدها ونظرها.
والسورةُ الثانية: تتضمن الاستعاذة مِن شَرِّ شياطين الإنس والجن، فقد جمعت السورتان الاستعاذة من كُلِّ شَرٍّ، ولهما شأنٌ عظيم في الاحتراس والتحصن من الشرور قبل وقوعها، ولهذا أوصى النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُقبةَ بن عامر بقراءتهما عَقِبَ كُلِّ صلاةٍ، ذكره الترمذيُّ في "جامعه" وفي هذا سِرٌّ عظيم في استدفاع الشرورِ من الصلاة إلى الصلاة.
وقال: «ما تَعَوَّذ المتعوِّذون بمثلهما».
وقد ذُكر أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُحِرَ في إحدى عشرةَ عُقدة، وأنَّ جبريلَ نزل عليه بهما، فجعَلَ كلَّما قرأ آية منهما انحلَّتْ عُقدة، حتى انحلَّتِ العُقَد كُلُّها، وكأنما أُنْشِطَ من عِقَال.
وأما العلاج الطبيعى فيه، فإنَّ في المِلح نفعًا لكثير من السُّموم، ولا سِيَّما لدغة العقرب، قال صاحب "القانون": يُضمَّد به مع بذر الكتان للسع العقرب، وذكره غيرُه أيضًا. وفي المِلح من القوة الجاذبة المحِّلة ما يَجذِبُ السُّموم ويُحللها، ولَمَّا كان في لسعها قوةٌ نارية تحتاج إلى تبريد وجذب وإخراج جمع بين الماءِ المبرد لنار اللَّسعة، والمِلح الذي فيه جذبٌ وإخراج، وهذا أتم ما يكون من العلاج وأيسره وأسهله، وفيه تنبيه على أنَّ علاج هذا الداء بالتبريد والجذب والإخراج. والله أعلم.
وقد روى مسلم في "صحيحه" عن أبي هُريرة قال: جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسول الله؛ ما لقيتُ مِنْ عقربٍ لَدَغَتْني البارحةَ فقال: «أما لو قُلْتَ حِينَ أمْسَيْتَ: أعُوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ، لم تَضُرَّك».
واعلم أنَّ الأدوية الطبيعية الإلهية تنفعُ مِن الداء بعد حصوله، وتَمنَعُ من وقوعه، وإن وقع لم يقع وقوعًا مضرًّا، وإن كان مؤذيًا، والأدوية الطبيعية إنما تنفعُ، بعد حصول الداء، فالتعوُّذاتُ والأذكار، إما أن تمنعَ وقوعَ هذه الأسباب، وإما أن تحولَ بينها وبين كمالِ تأثيرها بحسب كمال التعوذ وقوته وضعفه، فالرُّقَى والعُوَذ تُسْتَعمل لحفظ الصحة، ولإزالة المرض، أما الأول: فكما في "الصحيحين" من حديث عائشة كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أوى إلى فراشِهِ نَفَثَ في كَفَّيْهِ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] والمُعَوِّذَتَيْن. ثم يمسحُ بهما وجهه، وما بلغت يدُه من جسده".

وكما في حديث عُوذة أبي الدرداء المرفوع: «اللهُمَّ أنت رَبِّي لا إله إلا أنت عليكَ تَوكَّلْتُ وأنتَ رَبُّ العَرْشِ العظيم»، وقد تقدَّم وفيه: «مَن قالها أوَّل نهارِهِ لم تُصِبْهُ مُصيبة حتى يُمسيَ، ومَن قالها آخر نهارِهِ لم تُصِبْه مُصيبةٌ حتى يُصْبح».

وكما في الصحيحين: «مَن قَرَأَ الآيَتَيْنِ مِن آخرِ سُورةِ البقرةِ في لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ».

وكما في صحيح مسلم عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن نَزَلَ مَنْزِلاً فقال: أَعُوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِن شرِّ ما خَلَقَ، لم يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِن مَنْزِلهِ ذلِكَ».

وكما في سنن أبي داود أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في السفر يقول بالليل: «يا أرضُ؛ رَبِّي وربُّكِ اللهُ، أَعُوذُ باللهِ مِن شَرِّكِ وشَرِّ ما فِيكِ، وشَرِّ ما يَدُبُّ عليكِ، أعوذُ باللهِ مِن أسَدٍ وأسْوَدٍ، ومِن الحَيَّةِ والعقربِ، ومِن ساكنِ البَلَدِ، ومن والدٍ وما وَلَدَ».

وأما الثاني: فكما تقدَّم من الرُّقية بالفاتحة، والرُّقية للعقرب وغيرها مما يأتي). [زاد المعاد:٤/١٨٢- ١٨٤]

الرقية من المس

دخول الجني في جسد الإنسي

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحَليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وُجُودُ الجِنِّ ثَابِتٌ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَاتِّفَاقِ سَلَفِ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا، وَكَذَلِكَ دُخُولُ الجِنِّيِّ فِي بَدَنِ الإِنْسَانِ ثَابِتٌ بِاتِّفَاقِ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِن ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ».

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الإِمَامِ أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ قُلْت لأَبِي: إنَّ أَقْوَامًا يَقُولُونَ: إنَّ الجِنِّيَّ لا يَدْخُلُ فِي بَدَنِ المَصْرُوعِ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ يَكْذِبُونَ هَذَا يَتَكَلَّمُ عَلَى لِسَانِهِ.

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ أَمْرٌ مَشْهُورٌ فَإِنَّهُ يُصْرَعُ الرَّجُلُ فَيَتَكَلَّمُ بِلِسَانٍ لا يُعْرِفُ مَعْنَاهُ وَيُضْرَبُ عَلَى بَدَنِهِ ضَرْبًا عَظِيمًا لَوْ ضُرِبَ بِهِ جَمَلٌ لأَثَّرَ بِهِ أَثَرًا عَظِيمًا، وَالمَصْرُوعُ مَعَ هَذَا لا يُحِسُّ بِالضَّرْبِ وَلا بِالكَلامِ الَّذِي يَقُولُهُ، وَقَدْ يَجُرُّ المَصْرُوعَ وَغَيْرَ المَصْرُوعِ وَيَجُرُّ البِسَاطَ الَّذِي يَجْلِسُ عَلَيْهِ وَيُحَوِّلُ آلاتٍ وَيَنْقُلُ مِنْ مَكَانٍ إلَى مَكَانٍ وَيُجْرِي غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الأُمُورِ مَنْ شَاهَدَهَا أَفَادَتْهُ عِلْمًا ضَرُورِيًّا بِأَنَّ النَّاطِقَ عَلَى لِسَانِ الإِنْسِيِّ، وَالمُحَرِّكَ لِهَذِهِ الأَجْسَامِ جِنْسٌ آخَرُ غَيْرُ الإِنْسَانِ.

وَلَيْسَ فِي أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ مَنْ يُنْكِرُ دُخُولَ الجِنِّيِّ فِي بَدَنِ المَصْرُوعِ وَغَيْرِهِ وَمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَادَّعَى أَنَّ الشَّرْعَ يُكَذِّبُ ذَلِكَ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى الشَّرْعِ، وَلَيْسَ فِي الأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ مَا يَنْفِي ذَلِكَ). [مجموع الفتاوى:٢٤/٢٧٧- ٢٧٩]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحَليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (أَنْكَرَ طَائِفَةٌ مِنَ المُعْتَزِلَةِ كالجبائي وَأَبِي بَكْرٍ وَغَيْرِهِمَا دُخُولَ الجِنِّ فِي بَدَنِ المَصْرُوعِ وَلَمْ يُنْكِرُوا وُجُودَ الجِنِّ إذْ لَمْ يَكُنْ ظُهُورُ هَذَا فِي المَنْقُولِ عَنِ الرَّسُولِ كَظُهُورِ هَذَا

وَإِنْ كَانُوا مُخْطِئِينَ فِي ذَلِكَ. وَلِهَذَا ذَكَرَ الأَشْعَرِيُّ فِي مَقَالاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الجِنِّيَّ يَدْخُلُ فِي بَدَنِ المَصْرُوعِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ: قُلْت لأَبِي: إِنَّ قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّ الجِنِّيَّ لا يَدْخُلُ فِي بَدَنِ الإِنْسِيِّ. فَقَالَ: يَا بُنَيَّ يَكْذِبُونَ هُوَ ذَا يَتَكَلَّمُ عَلَى لِسَانِهِ. وَهَذَا مَبْسُوطٌ فِي مَوْضِعِهِ.

وَالمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ جَمِيعَ طَوَائِفِ المُسْلِمِينَ يُقِرُّونَ بِوُجُودِ الجِنِّ وَكَذَلِكَ جُمْهُورُ الكُفَّارِ كَعَامَّةِ أَهْلِ الكِتَابِ وَكَذَلِكَ عَامَّةُ مُشْرِكِي العَرَبِ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَوْلادِ الهذيل وَالهِنْدِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَوْلادِ حَامٍ وَكَذَلِكَ جُمْهُورُ الكَنْعَانِيِّينَ واليونانيين وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَوْلادِ يافث.

فَجَمَاهِيرُ الطَّوَائِفِ تُقِرُّ بِوُجُودِ الجِنِّ بَلْ يُقِرُّونَ بِمَا يَسْتَجْلِبُونَ بِهِ مُعَاوَنَةَ الجِنِّ مِنَ العَزَائِمِ وَالطَّلاسِمِ سَوَاءٌ أَكَانَ ذَلِكَ سَائِغًا عِنْدَ أَهْلِ الإِيمَانِ أَوْ كَانَ شِرْكًا فَإِنَّ المُشْرِكِينَ يَقْرَءُونَ مِنَ العَزَائِمِ وَالطَّلاسِمِ وَالرُّقَى مَا فِيهِ عِبَادَةٌ لِلْجِنِّ وَتَعْظِيمٌ لَهُمْ وَعَامَّةُ مَا بِأَيْدِي النَّاسِ مِنَ العَزَائِمِ وَالطَّلاسِمِ وَالرُّقَى الَّتِي لا تُفْقَهُ بِالعَرَبِيَّةِ فِيهَا مَا هُوَ شِرْكٌ بِالجِنِّ. وَلِهَذَا نَهَى عُلَمَاءُ المُسْلِمِينَ عَنِ الرُّقَى الَّتِي لا يُفْقَهُ مَعْنَاهَا؛ لأَنَّهَا مَظِنَّةُ الشِّرْكِ وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْ الرَّاقِي أَنَّهَا شِرْكٌ). [مجموع الفتاوى:١٩/١٣]

القراءة على الدابة

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكِبَ بَغْلَةً فَحَادَتْ بِهِ، فَحَبَسَهَا وَأَمَرَ رَجُلاً أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهَا ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق: ١، ٢]. فَسَكَنَتْ وَمَضَتْ). [الدر المنثور: ١٥/٧٩٠- ٧٩١]

حديث أبي هريرة رضي الله عنه

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَهْدَى النَّجَاشِيُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَغْلَةً شَهْبَاءَ، فَكَانَ فِيهَا صعوبةٌ، فَقَالَ للزبير: «ارْكَبْهَا وَذَلِّلْهَا».

فَكَأَنَّ الزُّبَيْرَ اتَّقَى، فَقَالَ لَهُ: «ارْكَبْهَا وَاقْرَأِ القُرْآنَ».

قَالَ: مَا أَقْرَأُ؟

قَالَ: «اقْرَأْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا قُمْتَ تُصَلِّي بِمِثْلِهَا»). [الدر المنثور: ١٥/٧٩١]

تأثير الرقى

حديث حكيم بن حزام

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حَدَّثَنَا أَبُو مُسْلِمٍ الكَشِّيُّ ثَنَا إِبرَاهِيمُ بنُ حُمَيْدٍ الطَّوِيلُ ثَنَا صَالِحُ بنُ أَبِي الأَخْضَرِ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ حَكِيمِ بنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! رُقًى كُنَّا نَسْتَرْقِي بِهَا وَأَدْوِيَةٌ كُنَّا نَتَدَاوَى بِهَا، هَلْ تَرُدُّ مِن قَدَرِ اللهِ؟ فَقَالَ: «هِيَ مِن قَدَرِ اللهِ»). [المعجم الكبير:٣/١٩٢]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ الحَاكِمُ النَّيْسابوريُّ (ت: ٤٠٥هـ): (أَخبرَنا أبو بَكْرِ بنُ إِسْحَاقَ أَنبأَ أَبُو مُسْلِمٍ ثَنَا إِبرَاهِيمُ بنُ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ ثَنَا صَالِحُ بنُ أَبِي الأَخْضَرِ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ حَكِيمِ بنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! رُقًى كُنَّا نَسْتَرْقِي بِهَا وَأَدْوِيَةٌ كُنَّا نَتَدَاوَى بِهَا، هَلْ تَرُدُّ مِن قَدَرِ اللهِ؟ فَقَالَ: «هِيَ مِن قَدَرِ اللهِ»). [المستدرك:٤/٤٤٦]

حديث يعمر السَّعدي

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ عِيسَى بنِ سَوْرَةَ التِّرْمِذيُّ (ت: ٢٧٩هـ): (حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي خِزَامَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْتَ رُقًى نَسْتَرْقِيهَا، وَدَوَاءً نَتَدَاوَى بِهِ، وَتُقَاةً نَتَّقِيهَا، هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ شَيْئًا؟

قَالَ: «هِيَ مِنْ قَدَرِ اللهِ».

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ ابْنِ أَبِي خِزَامَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ كِلْتَا الرِّوَايَتَيْنِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَنْ أَبِي خِزَامَةَ عَنْ أَبِيهِ، وقَالَ بَعْضُهُمْ: عَنِ ابْنِ أَبِي خِزَامَةَ عَنْ أَبِيهِ، وَقَدْ رَوَى غَيْرُ ابْنِ عُيَيْنَةَ هَذَا الحَدِيثَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي خِزَامَةَ عَنْ أَبِيهِ، وَهَذَا أَصَحُّ وَلا نَعْرِفُ لأَبِي خِزَامَةَ غَيْرَ هَذَا الحَدِيثِ). [جامع الترمذي:]

- **قلتُ:** (ورواه ابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان بن عيينة عن الزهري به).

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حَدَّثَنَا إدريسُ بنُ جَعْفَرٍ العَطَّارُ ثَنَا عُثْمَانُ بنُ عُمَرَ ثَنَا يُونُسُ بنُ يَزِيدَ الأَيلِيُّ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي خِزَامَةَ عَنِ الحَارِثِ بنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْتَ رُقًى نَسْتَرقِي بِهَا وَأَدْوِيَةً نَتَدَاوَى بِهَا، تَرُدُّ مِن قَدَرِ اللهِ؟ قَالَ: «هِيَ مِن قَدَرِ اللهِ».

هَكَذَا رَوَاهُ عُثْمَانُ بنُ عُمَرَ عَن يُونُسَ، وَخَالَفَهُ النَّاسُ فَرَوَوْهُ عَن يُونُسَ كَمَا رَوَاهُ النَّاسُ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي خِزَامَةَ). [المعجم الكبير:٦/٤٧]

قلت: (قَالَ يَحْيَى بنُ مَعِينٍ: حدَّثَ عُثْمَانُ بنُ عُمَرَ عَن يُونُسَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي خِزَامَةَ عَنِ الحَارِثِ بنِ سَعْدٍ أَخْطَأَ فِيهِ؛ إِنَّمَا هُوَ عَنْ أَبِي خِزَامَةَ أَحَدِ بَنِي الحَارِثِ بنِ سَعْدٍ.

وَقَالَ يَحْيَى بنُ مَعِينٍ: الصَّوَابُ فِيهِ عَنْ أَبِي خِزَامَةَ عَنْ أَبِيهِ).

حديث كعب بن مالك

قالَ أَبُو حَاتِمٍ مُحَمَّدُ بنُ حِبَّانَ بنِ أَحْمَدَ البُسْتِيُّ (ت:٣٥٤هـ): (أَخْبَرَنَا يَحْيَى بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَمْرٍو بالفُسْطَاطِ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بنُ إِبْرَاهِيمَ بنِ العَلاءِ الزُّبَيديُّ، حدَّثنا عمرُو بنُ الحارثِ، حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ سَالمٍ، عَنِ الزُّبيديِّ مُحَمَّدِ بنِ الوَلِيدِ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بنُ كَعْبِ بنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْت دَوَاءً نَتَدَاوَى بِهِ، وَرُقًى نَسْتَرْقِي بهَا، وَأَشْيَاءَ نَفْعَلُهَا، هَلْ تَرُدُّ مِن قَدَرِ اللهِ؟

قالَ: «يَا كَعْبُ، بَلْ هِيَ مِن قَدَرِ اللهِ»). [صحيح ابن حبان:١٣/٤٦٥]

فقه الحديث

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحَليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (فِي السُّنَنِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَرَأَيْت أَدْوِيَةً نَتَدَاوَى بهَا، وَرُقًى نَسْتَرْقِيهَا، وَتُقَاةً نَتَّقِيهَا، هَلْ تَرُدُّ مِن قَدَرِ اللهِ شَيْئًا؟

فَقَالَ: «هِيَ مِن قَدَرِ اللهِ».

بيَّنَ أنَّ الأسبابَ التي تُدْفَعُ بهَا المكَارهُ هِي مِن قَدَرِ اللهِ لَيسَ القَدَرُ مُجَرَّدَ دَفْعِ المكرُوهِ بلا سَبَبٍ.

وَكَذلكَ قولُ مَنْ قالَ إنَّ الدُّعاءَ لا يؤثِّرُ شيئًا وَالتَّوكُّلُ لا يُؤَثِّرُ شَيئًا هُوَ مِن هَذَا الجنسِ، لَكِنَّ إنكارَ مَا أُمِرَ بهِ مِنَ الأعمالِ كُفْرٌ ظَاهِرٌ، بخلافِ تَأثيرِ التَّوكُّلِ، وَلكنَّ الأصلَ وَاحدٌ، وهو النَّظَرُ إِلَى المقدورِ مُجَرَّدًا عَن أسبابِهِ وَلَوازِمِهِ.

وَمِن هَذَا البَابِ أَنَّ المقتولَ يَمُوتُ بأَجَلِهِ عندَ عامَّةِ المسلمينَ إلا فِرْقَةً مِنَ القَدَرِيَّةِ قَالوا: إنَّ القاتلَ قَطَعَ أَجَلَهُ، ثمَّ تَكلَّمَ الجمهورُ: لَوْ لَمْ يُقْتَلْ؟

فقالَ: بعضُهُم كانَ يمُوتُ؛ لأَنَّ الأَجَلَ قَدْ فَرَغَ.

وَقالَ بعضُهُم: لا يَمُوتُ لانتفاءِ السَّبَبِ.

وَكِلا القَوْلَينِ قَدْ قَالَه مَن ينتسِبُ إِلَى السُّنَّةِ، وَكِلاهُمَا خَطَأٌ؛ فَإِنَّ القَدَرَ سَبَقَ بأَنَّهُ يَمُوتُ بهَذَا السَّبَبِ لا بغَيرِهِ؛ فَإِذَا قُدِّرَ انتفاءُ هذَا السَّبَبِ كَانَ فَرْضَ خِلافِ مَا فِي المقدورِ، وَلَوْ كانَ المقدورُ أَنَّهُ لا يَمُوتُ بهَذَا السَّبَبِ أَمْكَنَ أَنْ يكونَ المقدَّرُ أنَّهُ يَمُوتُ بغَيرِهِ، وَأَمكنَ أَن يكونَ المقدَّرُ أَنَّه لا يَمُوتُ؛ فالجزمُ بأحَدِهِمَا جَهْلٌ.

فَمَا تَعَدَّدَتْ أَسبابُه لَم يُجْزَم بعدَمِهِ عندَ عَدَمِ بعضِهَا، وَلَو لَمْ يُجزَم بثُبُوتِهِ إِن لَمْ يُعْرَف لَه سَبَبٌ آخَرُ، بخلافِ مَا لَيسَ لَهُ إِلا سبَبٌ واحِدٌ مثلَ دُخُولِ النَّارِ فَإِنَّه لا يَدْخُلُهَا إلا مَن عَصَى؛ فَإِذَا قُدِّرَ أَنَّه لَمْ يَعْصِ لَمْ يَدْخُلْهَا). [جامع الرسائل/رسالة في تحقيق التوكل: ١/٩٤]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحَليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (فِي الحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ أَنَّهُ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ: أَرَأَيْت أَدْوِيَةً نَتَدَاوَى بِهَا، وَرُقًى نسترقي بِهَا، وَتُقَاةً نَتَّقِيهَا، هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ شَيْئًا؟

فَقَالَ: «هِيَ مِنْ قَدَرِ اللهِ».

وَذَلِكَ لأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ يَعْلَمُ الأَشْيَاءَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَكَذَلِكَ يَكْتُبُهَا ؛ فَإِذَا كَانَ قَدْ عَلِمَ أَنَّهَا تَكُونُ بِأَسْبَابٍ مِنْ عَمَلٍ وَغَيْرِهِ، وَقَضَى أَنَّهَا تَكُونُ كَذَلِكَ، وَقَدَّرَ ذَلِكَ ؛ لَمْ يَجُزْ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ تِلْكَ الأُمُورَ تَكُونُ بِدُونِ الأَسْبَابِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ أَسْبَابًا، وَهَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِ الحَوَادِثِ.

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا عَلِمَ اللهُ وَكَتَبَ أَنَّهُ سَيُولَدُ لِهَذَيْنِ وَلَدٌ، وَجَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ ذَلِكَ مُعَلَّقًا بِاجْتِمَاعِ الأَبَوَيْنِ عَلَى النِّكَاحِ وَإِنْزَالِ المَاءِ المَهِينِ الَّذِي يَنْعَقِدُ مِنْهُ الوَلَدُ؛ فَلا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وُجُودُ الوَلَدِ بِدُونِ السَّبَبِ الَّذِي عُلِّقَ بِهِ وُجُودُ الوَلَدِ.

وَالأَسْبَابُ وَإِنْ كَانَتْ نَوْعَيْنِ: مُعْتَادَةً وَغَرِيبَةً:

- فَالْمُعْتَادَةُ: كَوِلادَةِ الآدَمِيِّ مِنْ أَبَوَيْنِ.
- وَالغَرِيبَةُ: كَوِلادَةِ الإِنْسَانِ مِنْ أُمٍّ فَقَطْ كَمَا وُلِدَ عِيسَى، أَوْ مِنْ أَبٍ فَقَطْ كَمَا وُلِدَتْ حَوَّاءُ، أَوْ مِنْ غَيْرِ أَبَوَيْنِ كَمَا خُلِقَ آدَمُ أَبُو البَشَرِ مِنْ طِينٍ.

فَجَمِيعُ الأَسْبَابِ قَدْ تَقَدَّمَ عِلْمُ اللهِ بِهَا، وَكِتَابَتُهُ لَهَا وَتَقْدِيرُهُ إِيَّاهَا، وَقَضَاؤُهُ بِهَا، كَمَا تَقَدَّمَ رَبْطُ ذَلِكَ بِالْمُسَبَّبَاتِ، كَذَلِكَ أَيْضًا الأَسْبَابُ الَّتِي بِهَا يُخْلَقُ النَّبَاتُ مِنْ إِنْزَالِ المَطَرِ وَغَيْرِهِ). [مجموع الفتاوى: ٨/٢٧٦]

كلام لابن القيم في تأثير الرقى

قالَ ابنُ القيِّمِ مُحمَّدُ بنُ أبي بَكْرٍ الدِّمَشْقيُّ (ت:٧٥١هـ): (وقد روى ابن ماجه في سُنَنِهِ من حديث عليٍّ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ الدَّوَاءِ القُرآنُ» ومن المعلوم أنَّ بعض الكلام له خواصٌّ ومنافعُ مُجرَّبة، فما الظنُّ بكلام ربِّ العالمين، الذي فَضْلُهُ على كل كلامٍ كفضلِ اللهِ على خلقه الذي هو الشفاءُ التام، والعِصْمَةُ النافعة، والنورُ الهادي، والرحمة العامة، الذي لو أُنزِلَ على جبل لتَصَدَّعَ من عظمته وجلالته. قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢] و(مِن) ههنا لبيان الجنس لا للتبعيض، هذا أصحُّ القولين، كقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح: ٢٩]، وكُلُّهُمْ مِن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فما الظنُّ بفاتحة الكتاب التي لم يُنزل في القرآن، ولا في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزَّبور مِثلُها، المتضمنة لجميع معاني كتب الله، المشتملة على ذكر أُصول أسماء الرب تعالى ومجامعها، وهي: الله، والرَّب، والرحمن، وإثبات المعاد، وذكرِ التوحيدين: توحيدِ الربوبية، وتوحيدِ الإلهية، وذكر الافتقار إلى الربِّ سُبحانه في طلبِ الإعانة وطلب الهداية، وتخصيصه سبحانه بذلك، وذكر أفضل الدعاء على الإطلاق وأنفعِهِ وأفرَضِه، وما العبادُ أحوج شَيْءٍ إليه، وهو الهدايةُ إلى صِراطه المستقيم، المتضمن كمالَ معرفته وتوحيده وعبادته بفعل ما أمرَ به، واجتنابِ ما نَهى عنه، والاستقامة عليه إلى الممات، ويتضمن ذِكْرَ أصنافِ الخلائق وانقسامهم إلى مُنْعمٍ عليه بمعرفة الحق، والعمل به، ومحبته، وإيثاره، ومغضوب عليه بعدُوله عن الحق بعد معرفته له، وضال بعدم معرفته له. وهؤلاء أقسامُ الخليقة مع تضمنها لإثبات القَدَر، والشرع،

والأسماء، والصفات، والمعاد، والنبوات، وتزكيةِ النفوس، وإصلاح القلوب، وذكر عدل الله وإحسانه، والرَّدِّ على جميع أهل البدع والباطل، كما ذكرنا ذلك في كتابنا الكبير مدارج السالكين في شرحها.

وحقيقٌ بسورةٍ هذا بعضُ شأنها، أن يُستشفى بها من الأدواء، ويُرقَى بها اللديغُ.

وبالجملة فما تضمنته الفاتحةُ مِن إخلاص العبودية والثناء على اللهِ، وتفويضِ الأمر كُلِّه إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، وسؤاله مجامع النِّعَم كُلِّها، وهي الهداية التى تجلبُ النِّعَم، وتدفعُ النِّقَم، من أعظم الأدوية الشافية الكافية.

وقد قيل: إنَّ موضع الرُّقْيَة منها: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، ولا ريبَ أنَّ هاتين الكلمتين من أقوى أجزاء هذا الدواء، فإنَّ فيهما من عموم التفويض والتوكل، والالتجاء والاستعانة، والافتقارِ والطلبِ، والجمع بين أعلى الغايات، وهي عبادةُ الربِّ وحده، وأشرف الوسائل وهي الاستعانةُ به على عبادته ما ليس في غيرها، ولقد مرَّ بي وقت بمكة سَقِمْتُ فيه، وفَقَدْتُ الطبيبَ والدواء، فكنت أتعالج بها، آخذ شربةً من ماء زمزم، وأقرؤها عليها مرارًا، ثم أشربه، فوجدتُ بذلك البرءَ التام، ثم صِرتُ أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غايةَ الانتفاع). [زاد المعاد:٤/١٧٣- ١٧٤]

قالَ ابنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بنُ أبي بَكْرٍ الدِّمَشْقِيُّ (ت:٧٥١هـ): (وفي تأثير الرُّقَى بالفاتحة وغيرها في علاج ذواتِ السُّموم سِرٌّ بديعٌ، فإنَّ ذواتِ السمومِ أثَّرت بكيفيَّات نفوسِها الخبيثةِ، كمَا تقدَّم، وسِلاحُها حُمَاتُها التى تلدَغُ بها، وهي لا تلدغُ حتَّى تغضَبَ، فإذا غَضِبَت، ثارَ فيها السُّمُّ، فتقذِفُهُ بآلَتِهَا، وقد جعل اللهُ سبحانه لكل داءٍ دواءً، ولكل شَيْءٍ ضِدًّا، ونفس الراقي تفعلُ في نفس المَرْقِيِّ، فيقعُ بين نفسيهما فِعلٌ وانفعالٌ، كما يقع بين الداء والدواء، فتقوى نفسُ الراقي وقُوَّته بالرُّقية على ذلك الداء، فيدفعُه بإذن اللهِ، ومدارُ تأثير الأدوية والأدواء على الفعل والانفعال، وهو كما يقع بين الداء والدواء الطبيعيين، يقع بين الداء والدواء الروحانيين، والروحاني والطبيعي، وفي النَّفْث والتَّفل استعانة بتلك الرطوبة والهواء، والنَّفَس المباشر للرُّقية، والذِكْر والدعاء، فإنَّ الرُّقية تخرُج مِن قلب الراقي وفمه، فإذا صاحبها شيءٌ من أجزاء باطنه من الرِّيق والهواء والنَّفَس، كانت أتمَّ تأثيرًا، وأقوى فعلاً ونفوذًا، ويحصُل بالازدواج بينهما كيفيةٌ مؤثرة شبيهةٌ بالكيفية الحادثة عند تركيب الأدوية.

وبالجملة.. فنفْسُ الراقي تُقابل تلك النفوس الخبيثة، وتزيدُ بكيفية نفسه، وتستعين بالرُّقية وبالنفثِ على إزالة ذلك الأثر، وكلَّما كانت كيفيةُ نَفَس الراقي أقوى، كانت الرُّقيةُ أتمَّ، واستعانتُهُ بنفْثه كاستعانة تلك النفوسِ الرديئة بلسعها.

وفي النفث سِرٌّ آخر، فإنه مما تستعين به الأرواح الطيبة والخبيثة، ولهذا تفعلُه السَّحَرةُ كما يفعلَهُ أهلُ الإيمان. قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: ٤]، وذلك لأن النفْس تتكيَّفُ بكيفية الغضب والمحاربة، وتُرسِلُ أنفاسَها سِهامًا لها، وتمدُّها بالنفث والتفْل الذي معه شيء مِن الرِّيق مصاحب لكيفية مؤثرة، والسواحِرُ تستعين بالنفث استعانةً بيِّنةً، وإن لم تتصل بجسم المسحور، بل تنفثُ على العُقدة وتعقِدها، وتتكلم بالسِّحْر،

فيعمل ذلك في المسحور بتوسط الأرواح السُّفلية الخبيثة، فتقابِلُها الرُّوحُ الزكية الطيبة بكيفيَّة الدفع والتكلم بالرُّقية، وتستعينُ بالنفث، فأيُّهما قَوِيَ كان الحكمُ له، ومقابلةُ الأرواح بعضها لبعض، ومحاربتُها وآلتها مِن جنس مقابلة الأجسام، ومحاربتها وآلتها سواء، بل الأصلُ في المحاربة والتقابلِ للأرواح والأجسام آلتها وجندها، ولكن مَن غلب عليه الحِسُّ لا يشعرُ بتأثيرات الأرواح وأفعالِهَا وانفعالاتِهَا لاستيلاء سُلطان الحِسِّ عليه، وبُعْدِهِ من عالَم الأرواح، وأحكامها، وأفعالها.

والمقصود أنَّ الرُّوح إذا كانت قوية وتكيَّفتْ بمعاني الفاتحة، واستعانت بالنفث والتفْل، قابلت ذلك الأثر الذي حصل من النفوس الخبيثة، فأزالته.. والله أعلم). [زاد المعاد:٤/١٧٨- ١٨٠]

قالَ ابنُ القيِّمِ مُحَمَّدُ بنُ أبي بَكْرٍ الدِّمَشْقِيُّ (ت:٧٥١هـ) في سِياقِ كَلامِهِ عَنِ الفَاتِحَةِ: (وأما تضمُّنُها لشفاءِ الأبدانِ فنذكرُ منهُ ما جَاءتْ بِهِ السُّنةُ وما شَهِدَتْ بِهِ قواعِدُ الطبِّ وَدَلَّتْ عَلَيْهِ التَّجرِبَةُ.

فَأَمَّا ما دلَّت عليهِ السُّنّةُ ففِي الصحيحِ من حديثِ أبي المتوكِّلِ النَّاجِي عَن أبي سَعِيدٍ الخدريِّ أنَّ ناسًا من أَصحابِ النبيِّ مرُّوا بحيٍّ منَ العربِ فلمْ يَقْرُوهم ولم يُضَيِّفُوهُمْ؛ فَلُدِغَ سيِّدُ الحيِّ فأتَوْهُم؛ فَقَالُوا: هلْ عندكم من رُقْيَةٍ؟ أو هلْ فيكم مِن رَاقٍ؟

فقالُوا: نَعَمْ، ولَكِنَّكُم لَمْ تَقْرُونا فلا نَفْعَلُ حتَّى تَجْعَلُوا لنا جُعْلاً؛ فَجَعَلُوا لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ قَطِيعًا مِنَ الغنمِ فجعلَ رجلٌ مِنَّا يَقْرَأُ عليهِ بفاتِحَةِ الكِتَابِ؛ فَقَامَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ قَلَبَةٌ؛ فقلنا: لا تَعْجَلُوا حتَّى نأتي النبيَّ؛ فأَتَيْنَاهُ فَذَكَرْنَا لَهُ ذَلِكَ؛ فَقَالَ: «مَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ كُلُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بسَهْمٍ».

فَقد تضمَّنَ هذَا الحديثُ حصولَ شِفَاءِ هذَا اللديغِ بقراءَةِ الفاتِحَةِ عليهِ؛ فَأَغْنَتْهُ عَنِ الدَّواءِ، ورُبَّمَا بلَغَت مِن شِفَائِهِ مَا لَمْ يبلغْهُ الدواءُ، هذَا معَ كونِ المحلِّ غيرَ قابلٍ؛ إمَّا لِكَونِ هؤلاءِ الحيِّ غيْرَ مُسْلِمِينَ أَوْ أهلَ بخلٍ ولُؤْمٍ؛ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ المحلُّ قابلاً.

فَصْلٌ

وَأَمَّا شهادَةُ قَواعِدِ الطبِّ بذلكَ؛ فاعْلَمْ أنَّ اللدغَةَ تَكُونُ مِن ذَوَاتِ الحُمَاتِ وَالسُّمُومِ، وَهِي ذَوَاتُ الأَنفُسِ الخبِيثَةِ الَّتي تتكيَّفُ بكيفيَّةٍ غضَبيَّةٍ تُثِيرُ فِيهَا سُمِّيَّةً نارِيَّةً يَحْصُلُ بها اللَّدْغُ، وَهِي مُتَفَاوِتَةٌ بِحَسَبِ تفَاوُتِ خُبْثِ تِلْكَ النُّفُوسِ وَقُوَّتِها وَكَيْفِيَّتِهَا؛ فَإِذَا تَكَيَّفَتْ أَنْفُسُهَا الخَبِيثَةُ بِتِلْكَ الكَيفيَّةِ الغَضَبيَّةِ أَحْدَثَ لَهَا ذَلِكَ طَبِيعَةً سُمِّيَّةً تَجِدُ رَاحَةً وَلَذَّةً فِي إِلقَائِهَا إِلَى المحلِّ القَابلِ كَمَا يَجِدُ الشِّرِّيرُ مِنَ النَّاسِ رَاحَةً وَلَذَّةً فِي إِيصَالِ شَرِّهِ إِلَى مَن يُوصِلُهُ إِلَيهِ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لا يَهنأُ لَهُ عَيشٌ فِي يَوْمٍ لا يُؤْذِي فِيهِ أَحَدًا مِن بَنِي جِنسِهِ وَيَجِدُ فِي نَفْسِهِ تَأَذِّيًا بِحَمْلِ تلكَ السُّمِّيَّةِ وَالشَّرِّ الَّذِي فِيهِ حتَّى يُفرِّغَه في غَيرِهِ فَيَبْرُدُ عِندَ ذَلِكَ أنينُهُ وَتسكنُ نفسُه ويصيبُه في ذلكَ نظيرُ ما يصيبُ مَن اشتدَّت شَهوتُهُ إِلَى الجِمَاعِ فيسوءُ خلقُهُ وتثقل نفسُه حتَّى يقضِيَ وَطَرَهُ، هذَا فِي قوَّةِ الشَّهوةِ، وَذَاكَ فِي قوَّةِ الغَضَبِ.

وَقَدْ أقامَ اللهُ تعالَى بحكمتهِ السُّلطانَ وازِعًا لِهَذِه النفوسِ الغضبيَّةِ ؛ فَلَوْلا هُو لَفَسَدَتِ الأرضُ وَخَرَجَتْ، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥١] وَأباحَ اللهُ بلُطْفِهِ ورحْمَتِهِ لهذِهِ النُّفُوسِ مِنَ الأزواجِ وَمُلْكِ اليَمِينِ مَا يَكْسِرُ حِدَّتَها.

والمقصودُ أنَّ هذهِ النفوسُ الغضبيَّةُ إذَا اتَّصلَت بالمحلِّ القابلِ أثَّرت فيهِ، ومنهَا مَا يؤثِّرُ فِي المحلِّ بمجرَّدِ مُقَابَلَتِهِ لَهُ وَإن لَمْ يَمسَّهُ ؛ فَمِنهَا مَا يَطْمِسُ البَصرَ وَيُسْقِطُ الحَبَلَ.

وَمِن هَذَا نَظَرُ العَائِنِ فإنَّهُ إذَا وقعَ بصرهُ على المَعِينِ حدَثَت فِي نَفْسِهِ كيفيَّةٌ سُمِّيَّةٌ أثَّرتْ فِي المَعِينِ بحسَبِ عَدَمِ استعدَادِهِ، وكَوْنِهِ أعْزَلَ مِن السِّلاحِ، وبحسَبِ قوَّةِ تلكَ النفسِ.

وكَثِيرٌ مِن هذهِ النُّفُوسِ يؤثِّرُ في المعينِ إذَا وُصِفَ لَهُ فتتكيَّفُ نفسُه وتقابلُه على البُعْدِ فيتأثَّرُ بهِ، وَمُنكِرُ هذَا لَيْسَ مَعْدُودًا مِن بَنِي آدَمَ إلاَّ بالصُّورَةِ والشَّكْلِ.

فَإِذَا قابَلَتِ النَّفسُ الزَّكِيَّةُ العُلْوِيَّةُ الشَّرِيفَةُ الَّتي فِيهَا غَضَبٌ وَحَمِيَّةٌ للحقِّ هَذِه النفوسَ الخبيثةَ السُّمِّيَّةَ، وَتَكيَّفَت بحقَائِقِ الفَاتِحَةِ وأسرارِهَا ومعَانيها، وَمَا تضمَّنتهُ مِنَ التَّوحِيدِ وَالتوكُّلِ وَالثَّنَاءِ عَلَى اللهِ، وَذِكْرِ أُصُولِ أَسْمَائِهِ الحُسْنَى، وَذِكْرِ اسْمِهِ الَّذِي مَا ذُكِرَ عَلَى شَرٍّ إلا أَزَالَهُ وَمَحَقَهُ، وَلا عَلَى خَيْرٍ إلا نَمَّاهُ وَزَادَهُ دَفَعَتْ هَذِهِ النَّفْسُ بما تكيَّفَت بهِ مِن ذَلِكَ أَثَرَ تِلكَ النفسِ الخبيثَةِ الشَّيطانيةِ ؛ فَحَصَلَ البُرْءُ ؛ فَإِنَّ مَبْنَى الشِّفَاءِ وَالبُرْءِ عَلَى دَفْعِ الضِّدِّ بضِدِّهِ، وَحِفْظِ الشَّيءِ بمثلِهِ ؛ فَالصِّحَّةُ تُحفَظُ بالمِثْلِ، وَالمرَضُ يُدْفَعُ بالضِّدِّ، أَسْبَابٌ رَبطَهَا بمسَبَّبَاتِهَا الحَكِيمُ العَلِيمُ خَلْقًا وَأَمْرًا.

وَلا يَتِمُّ هذَا إلاَّ بقوَّةٍ مِنَ النَّفْسِ الفَاعِلَةِ، وَقَبُولٍ مِنَ الطَّبيعَةِ المنفَعِلَةِ ؛ فَلَو لَمْ تَنفَعِلْ نَفْسُ الملدُوغِ لِقَبُولِ الرُّقْيَةِ، وَلَمْ تَقْوَ نَفْسُ الرَّاقِي عَلَى التَّأْثِيرِ لَمْ يَحْصُلِ البُرْءُ.

فَهُنَا أُمُورٌ ثَلاثَةٌ :

- مُوافقَةُ الدَّوَاءِ للدَّاءِ.
- وَبَذْلُ الطَّبِيبِ لَهُ.
- وَقَبُولُ طَبِيعَةِ العَلِيلِ.

فَمَتَى تَخَلَّفَ وَاحِدٌ مِنهَا لَمْ يَحْصُلِ الشِّفَاءُ، وَإِذَا اجْتَمَعَتْ حَصَلَ الشِّفَاءُ وَلا بُدَّ بإِذْنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَمَنْ عرَفَ هَذَا كَمَا يَنبغِي تَبَيَّنَ لَهُ أَسْرَارُ الرُّقَى، وَمَيَّزَ بَينَ النَّافِعِ مِنْهَا وَغيرِهِ، وَرَقَى الدَّاءَ بمَا يُنَاسِبُهُ مِنَ الرُّقَى، وَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ الرُّقْيَةَ براقِيهَا وَقَبُولِ المحَلِّ، كَمَا أَنَّ السَّيفَ بضَارِبِهِ مَعَ قَبُولِ المحلِّ للقَطْعِ.

وَهَذِهِ إِشَارَةٌ مُطْلِعَةٌ عَلَى مَا وَرَاءَهَا لِمَن دَقَّ نَظَرُهُ وَحَسُنَ تَأَمُّلُهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا شَهَادَةُ التجارِبِ بذَلِكَ فَهِيَ أكثرُ مِنْ أَنْ تُذكَرَ، وَذَلِكَ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وقد جرَّبتُ أَنَا مِن ذَلِكَ فِي نَفْسِي وَفِي غَيْرِي أُمورًا عَجِيبَةً وَلا سِيَّمَا مُدَّةَ المقامِ بمكَّةَ فَإِنَّهُ كَانَ يَعْرِضُ لِي آلامٌ مُزْعِجَةٌ بحيثُ تكادُ تقطعُ الحركةَ

مِنِّي، وَذَلِكَ فِي أثناءِ الطَّوَافِ وَغيرِهِ؛ فَأُبَادِرُ إِلَى قِراءَةِ الفَاتِحَةِ وَأَمْسَحُ بهَا عَلَى مَحَلِّ الأَلَمِ فَكَأَنَّهُ حَصَاةٌ تَسْقُطُ، جَرَّبتُ ذلكَ مِرارًا عدِيدَةً، وكنتُ آخذُ قدحًا مِن ماءِ زَمْزَمَ فَأقرأُ عَليهِ الفَاتِحَة مِرارًا فأشربُهُ فَأجِدُ بِهِ مِنَ النَّفعِ وَالقُوَّةِ مَا لَمْ أَعْهَد مِثلَهُ فِي الدَّوَاءِ، وَالأَمْرُ أعظمُ مِن ذلكَ، وَلكِن بحسَبِ قُوَّةِ الإِيمَانِ وَصِحَّةِ اليَقِينِ، وَاللهُ المستعَانُ). [مدارج السالكين:١/٥٦- ٥٨]

شروط جواز الرقية

قالَ مُحَمَّدُ بنُ الحسَنِ بنِ فَرْقَدٍ الشَّيْبَانِيُّ (ت:١٨٩هـ): (لا بَأْسَ بالرُّقَى بما كَانَ فِي القُرْآنِ وَمَا كَانَ مِن ذِكْرِ اللهِ؛ فَأَمَّا مَا كَانَ لا يُعْرَفُ مِن كَلامٍ فَلا يَنْبَغِي أَنْ يُرْقَى بِهِ). [الموطأ برواية محمد بن الحسن:٣/٣٣٧]

قالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الجَصَّاصُ (ت: ٣٧٠هـ): (فَالرُّقْيَةُ المَنْهِيُّ عَنْهَا هِيَ رُقْيَةُ الجَاهِلِيَّةِ لِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ، وَأَمَّا الرُّقْيَةُ بِالقُرْآنِ وَبِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى فَإِنَّهَا جَائِزَةٌ، وَقَدْ أَمَرَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَدَبَ إِلَيْهَا، وَكَذَلِكَ قَالَ أَصْحَابُنَا فِي التَّبَرُّكِ بِالرُّقْيَةِ بِذِكْرِ اللهِ). [أحكام القرآن: ٣/٦٤٨- ٦٤٩]

قالَ أَبُو سُلَيْمَانَ حَمْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الخَطَّابِيُّ (ت:٣٨٨هـ): (فَأَمَّا الرُّقَى فَالمَنْهِيُّ عَنْهُ هُوَ مَا كَانَ مِنْهَا بغَيْرِ لِسَانِ العَرَبِ فَلا يُدْرَى مَا هُوَ وَلَعَلَّهُ قَدْ يُدْخِلُهُ سِحْرًا أوكُفْرًا، فَأَمَّا إِذَا كَانَ مَفْهُومَ المعْنَى وَكَانَ فِيهِ ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ مُسْتَحَبٌّ مُتَبَرَّكٌ بِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ). [معالم السنن:]

قالَ أَبُو حَاتِمٍ مُحَمَّدُ بنُ حِبَّانَ بنِ أَحْمَدَ البُسْتِيُّ (ت:٣٥٤هـ): (العِلَّةُ في الزَّجْرِ عَنِ الاكْتِواءِ وَالاسْتِرْقَاءِ هِيَ أَنَّ أَهْلَ الجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَسْتَعْمِلونَهَا وَيَرَوْنَ البُرْءَ مِنْهُمَا مِن غَيرِ صُنْعِ البَارِي جَلَّ وَعَلا فِيهِ؛ فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ العِلَّةُ مَوجودةً كَانَ الزَّجْرُ عَنْهمَا قَائِمًا، وَإِذَا استَعْمَلَهُمَا المرْءُ وَجَعَلَهُمَا سَبَبَينِ لِلبُرْءِ الَّذِي يَكُونُ مِن قَضَاءِ اللهِ أَن يَرى ذَلِكَ مِنْهُمَا كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا). [صحيح ابن حبان:١٣/٤٤٨]

قالَ أَحْمَدُ بنُ الحُسَينِ بنِ عَلِيٍّ البَيهَقِيُّ (ت:٤٥٨هـ): (وَأَمَّا الرُّقَى وَالتَّمَائِمُ فَإِنَّمَا أَرَادَ عَبْدُ اللهِ مَا كَانَ بِغَيْرِ لِسَانِ العَرَبِيَّةِ مِمَّا لا يُدْرَى مَا هُوَ). [السنن الكبرى:٩/٣٥٠]

قالَ أَحْمَدُ بنُ الحُسَينِ بنِ عَلِيٍّ البَيهَقِيُّ (ت:٤٥٨هـ): (وَفِيمَا ذَكَرْنَا دَلالَةٌ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا نَهَى عَنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ شِرْكٌ أَو استُعْمِلَ شَيْءٌ مِن ذَلِكَ عَلَى الوَجْهِ الَّذِي كَانُوا يَسْتَعْمِلُونَهُ فِي الجَاهِلِيَّةِ مِنْ إِضَافَةِ الشِّفَاءِ إِلَيْهِ دَونَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ). [معرفة السنن والآثار:]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (المسألةُ الثانِيَةُ: اخْتَلَفُوا في أَنَّه هل يَجُوزُ الاسْتِعَانَةُ بالرُّقَى والعُوَذِ أم لا؟

منهم من قالَ: إِنَّه يَجُوزُ واحْتَجُّوا بوُجُوهٍ:

أحدُها: مَا رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم اشْتَكَى فَرَقَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ، فقالَ: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِن كلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، واللهُ يَشْفِيكَ.

وثانيها: قالَ ابنُ عَبَّاسٍ: كان رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُعَلِّمُنا مِن الأَوْجَاعِ كلِّها والحُمَّى هذا الدُّعاءَ: «بِسْمِ اللهِ الكَرِيمِ، أَعُوذُ باللهِ العَظِيمِ مِنْ شَرِّ كُلِّ عِرْقٍ نَعَّارٍ، ومِن شَرِّ حَرِّ النَّارِ».

وثالِثُها: قَالَ عَلَيْهِ السَّلامُ: «مَنْ دَخَلَ علَى مَرِيضٍ لَمْ يَحْضُرْه أَجَلُه، فقالَ: أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ شُفِي».

ورابِعُها: عن عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ قالَ: كان رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا دَخَل علَى مَرِيضٍ قالَ: «أَذْهِبِ البَأْسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لا شَافِيَ إلا أَنْتَ».

وخامِسُها: عن ابنِ عَبَّاسٍ قالَ: كان رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُعَوِّذُ الحَسَنَ والحُسَيْنَ يقولُ: «أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ شَيْطَانٍ وهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ» ويَقُولُ: «هَكَذَا كَانَ أَبِي إِبْرَاهِيمُ يُعَوِّذُ ابْنَيْهِ إِسْمَاعِيلَ وإِسْحَاقَ».

وسادِسُها: قالَ عُثْمَانُ بنُ أَبِي العَاصِ الثَّقَفِيُّ: قَدِمْتُ علَى رَسُولِ اللهِ وَبِي وَجَعٌ قَدْ كانَ يُبْطِلُنِي، فقالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «اجْعَلْ يَدَكَ اليُمْنَى عَلَيْهِ، وَقُلْ باسْمِ اللهِ أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ سَبْعَ مَرَّاتٍ» ففَعَلْتُ ذلك فشَفَانِي اللهُ.

وسابِعُها: رُوِيَ أَنَّه عَلَيْهِ السَّلامُ كان إذا سَافَرَ فنَزَلَ مَنْزِلًا يقولُ: «يَا أَرْضُ، رَبِّي ورَبُّكِ اللهُ أَعُوذُ باللهِ مِنْ شَرِّكِ وشَرِّ ما فِيكِ وَشَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْكِ وَشَرِّ مَا يَدِبُّ عَلَيْكِ، وأَعُوذُ باللهِ مِن أَسَدٍ وأَسْوَدٍ وحَيَّةٍ وعَقْرَبٍ، ومِنْ شَرِّ سَاكِنِي البَلَدِ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ».

وثامِنُها: قالَتْ عَائِشَةُ: كان رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، إذا اشْتَكَى شَيْئًا مِن جَسَدِه قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] والمُعَوِّذَتَيْنِ في كَفِّهِ اليُمْنَى ومَسَحَ بِهَا المَكَانَ الذي يَشْتَكِي.

ومِن الناسِ مَن منَعَ مِن الرُّقَى، لِمَا رُوِيَ عن جَابِرٍ، قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن الرُّقَى

- وقالَ عَلَيْهِ السَّلامُ: «إِنَّ للهِ عِبَادًا لا يَكْتَوُونَ ولا يَسْتَرْقُونَ وعلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ».
- وقالَ عَلَيْهِ السَّلامُ: «لَمْ يَتَوَكَّلْ علَى اللهِ مَنِ اكْتَوَى وَاسْتَرْقَى».

وأُجِيبَ عنه بأَنَّه يَحْتَمِلُ أَنْ يكونَ النَّهْيُ عن الرُّقَى المَجْهُولَةِ التي لا تُعْرَفُ حَقَائِقُها، فأَمَّا مَا كانَ لَهُ أَصْلٌ مَوْثُوقٌ فَلا نَهْيَ عنه). [التفسير الكبير: ٣٢/١٧٣- ١٧٤]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (رُوِيَ أنه عَلَيهِ السلامُ سُحِرَ؛ فمَرِضَ... فنزَلَتْ هاتانِ السُّورتَانِ، فكُلَّمَا قرَأَ جِبريلُ آيةً انْحلَّتْ عُقْدَةٌ، حتَّى قام صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ عندَ انْحلالِ العُقْدَةِ الأخيرةِ كأَنَّمَا نُشِطَ من عِقالٍ، وجعَلَ جبريلُ يَقولُ: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ واللهُ يَشْفِيكَ من كلِّ داءٍ يُؤْذِيكَ.

ولهذا جُوِّزَ الاسْتِرقاءُ بما كانَ مِن كِتابِ اللهِ، وكلامِ رسولِه عليه السَّلامُ، لا بِمَا كان بالسُّرْيانيَّةِ والعِبْرانيَّةِ والهِنْدِيَّةِ؛ فإنَّه لا يَحِلُّ اعْتِقادُه والاعتمادُ عَلَيه). [مدارك التنزيل: ٣/٢٠١٦]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (وأمَّا الرُّقَى والتعاويذُ فقد اتَّفَقَ الإجماعُ على جَوازِ ذلكَ إذا كانَ بآياتٍ مِن القرآنِ، أوْ إذا كانَتْ وَرَدَتْ في الحديثِ، وَيَدُلُّ على صِحَّتِهِ الأحاديثُ الواردةُ في ذلكَ؛ منها حديثُ أبي سَعِيدٍ المُتَقَدِّمُ أنَّ جِبْرِيلَ رَقَى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ.

ومنها ما رُوِيَ عنْ عُبَيْدِ بنِ رِفَاعَةَ الزُّرَقِيِّ أنَّ أسماءَ بنْتَ عُمَيْسٍ قالَتْ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ وَلَدَ جَعْفَرٍ تُسْرِعُ إليهم العَيْنُ، أَفَأَسْتَرْقِي لَهُمْ؟ قالَ: «نَعمْ؛ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ القَدَرِ لَسَبَقَتْهُ العَيْنُ»، أخرجَهُ التِّرْمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ صَحِيحٌ.

وعنْ أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يَتَعَوَّذُ ويقولُ: «أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الجَانِّ وَعَيْنِ الإِنْسَانِ»، فلَمَّا نَزَلَتِ المُعَوِّذَتَانِ أَخَذَ بهما وتَرَكَ ما سِواهُمَا، أخرجَهُ التِّرْمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

فهذهِ الأحاديثُ تدُلُّ على جوازِ الرُّقْيَةِ، وإنَّما المَنْهِيُّ عنهُ منها ما كانَ فيهِ كُفْرٌ أوْ شِرْكٌ أوْ ما لا يُعْرَفُ مَعْنَاهُ مِمَّا لَيْسَ بِعَرَبِيٍّ لجوازِ أنْ يكونَ فيهِ كُفْرٌ، واللهُ أعلمُ). [لباب التأويل: ٥٠١/٤]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (ومِن الناسِ مَن لم يُرَخِّصْ فِي الرُّقَى؛ لِرِوايةِ جابرٍ: نَهَى النبيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ عن الرُّقَى وقالَ: «إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لا يَكْتَوُونَ، وَلا يَسْتَرْقُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ».

وأُجِيبَ بأنَّ النهْيَ واردٌ على الرُّقَى المجهولةِ التي لا يُفْهَمُ معناها). [غرائب القرآن: ٢٢٦/٣٠]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وَأَمَّا مُعَالَجَةُ المَصْرُوعِ بِالرُّقَى وَالتَّعَوُّذَاتِ فَهَذَا عَلَى وَجْهَيْنِ: فَإِنْ كَانَتِ الرُّقَى وَالتَّعَاوِيذُ مِمَّا يُعْرَفُ مَعْنَاهَا وَمِمَّا يَجُوزُ فِي دِينِ الإِسْلامِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا الرَّجُلُ دَاعِيًا اللهَ ذَاكِرًا لَهُ وَمُخَاطِبًا لِخَلْقِهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُرْقَى بِهَا المَصْرُوعُ وَيُعَوَّذَ فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَذِنَ فِي الرُّقَى مَا لَمْ تَكُنْ شِرْكًا، وَقَالَ: « مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ».

وَإِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ كَلِمَاتٌ مُحَرَّمَةٌ مِثْلُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا شِرْكٌ أَوْ كَانَتْ مَجْهُولَةَ المَعْنَى يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا كُفْرٌ فَلَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يَرْقِيَ بِهَا وَلا يُعَزِّمَ وَلا يُقْسِمَ وَإِنْ كَانَ الجِنِّيُّ قَدْ يَنْصَرِفُ عَنِ المَصْرُوعِ بِهَا فَإِنَّ مَا حَرَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ضَرَرُهُ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِ كَالسِّيمِيا وَغَيْرِهَا مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ فَإِنَّ السَّاحِرَ السيماوي وَإِنْ كَانَ يَنَالُ بِذَلِكَ بَعْضَ أَغْرَاضِهِ كَمَا يَنَالُ السَّارِقُ بِالسَّرِقَةِ بَعْضَ أَغْرَاضِهِ وَكَمَا يَنَالُ الكَاذِبُ بِكَذِبِهِ وَبِالخِيَانَةِ بَعْضَ أَغْرَاضِهِ وَكَمَا يَنَالُ المُشْرِكُ بِشِرْكِهِ وَكُفْرِهِ بَعْضَ أَغْرَاضِهِ وَهَؤُلاءِ وَإِنْ نَالُوا بَعْضَ أَغْرَاضِهِمْ بِهَذِهِ المُحَرَّمَاتِ فَإِنَّهَا تُعْقِبُهُمْ مِنَ الضَّرَرِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ أَعْظَمَ مِمَّا حَصَّلُوهُ مِنْ أَغْرَاضِهِمْ. فَإِنَّ اللهَ بَعَثَ الرُّسُلَ بِتَحْصِيلِ المَصَالِحِ وَتَكْمِيلِهَا وَتَعْطِيلِ المَفَاسِدِ وَتَقْلِيلِهَا فَكُلُّ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ فَمَصْلَحَتُهُ رَاجِحَةٌ عَلَى مَفْسَدَتِهِ وَمَنْفَعَتُهُ رَاجِحَةٌ عَلَى المَضَرَّةِ وَإِنْ كَرِهَتْهُ النُّفُوسُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] الآيَةَ.

فَأَمَرَ بِالجِهَادِ وَهُوَ مَكْرُوهٌ لِلنُّفُوسِ لَكِنَّ مَصْلَحَتَهُ وَمَنْفَعَتَهُ رَاجِحَةٌ عَلَى مَا يَحْصُلُ لِلنُّفُوسِ مِنْ أَلَمِهِ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَشْرَبُ الدَّوَاءَ الكَرِيهَ لِتَحْصُلَ لَهُ العَافِيَةُ فَإِنَّ مَصْلَحَةَ حُصُولِ العَافِيَةِ لَهُ رَاجِحَةٌ عَلَى أَلَمِ شُرْبِ الدَّوَاءِ). [مجموع الفتاوى:٢٤/٢٧٧- ٢٧٩]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وَعَامَّةُ مَا بِأَيْدِي النَّاسِ مِنَ العَزَائِمِ وَالطَّلاسِمِ وَالرُّقَى الَّتِي لا تُفْقَهُ بِالعَرَبِيَّةِ فِيهَا مَا هُوَ شِرْكٌ بِالجِنِّ.

وَلِهَذَا نَهَى عُلَمَاءُ المُسْلِمِينَ عَنِ الرُّقَى الَّتِي لا يُفْقَهُ مَعْنَاهَا؛ لأَنَّهَا مَظِنَّةُ الشِّرْكِ وَإِنْ لَمْ يَعْرِفِ الرَّاقِي أَنَّهَا شِرْكٌ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأشجعي قَالَ: كُنَّا نَرْقِي فِي الجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ لا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ».

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَيْضًا عَنْ جَابِرٍ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرُّقَى فَجَاءَ آلُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ كَانَتْ عِنْدَنَا رُقْيَةٌ نَرْقِي بِهَا مِنَ العَقْرَبِ وَإِنَّك نَهَيْت عَنِ الرُّقَى قَالَ: فَعَرَضُوهَا عَلَيْهِ فَقَالَ: «مَا أَرَى بَأْسًا مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ»). [مجموع الفتاوى:١٩/١٣]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ تَكُنْ شِرْكًا» فَنَهَى عَنِ الرُّقَى الَّتِي فِيهَا شِرْكٌ كَالَّتِي فِيهَا اسْتِعَاذَةٌ بِالجِنِّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦].

وَلِهَذَا نَهَى العُلَمَاءُ عَنِ التَّعَازِيمِ وَالأَقْسَامِ الَّتِي يَسْتَعْمِلُهَا بَعْضُ النَّاسِ فِي حَقِّ المَصْرُوعِ وَغَيْرِهِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ الشِّرْكَ؛ بَلْ نَهَوْا عَنْ كُلِّ مَا لا يُعْرَفُ مَعْنَاهُ مِنْ ذَلِكَ خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ شِرْكٌ بِخِلافِ مَا كَانَ مِنَ الرُّقَى المَشْرُوعَةِ فَإِنَّهُ جَائِزٌ). [مجموع الفتاوى:١/٣٣٦]

قالَ ابنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بنُ أبي بَكْرٍ الدِّمَشْقِيُّ (ت:٧٥١هـ): (وَفِي الصَّحِيحِينِ عَن عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ كَانَ يَأْمُرُهَا أَن تَسْتَرْقِيَ مِنَ العَيْنِ.

- وَفِي الصَّحِيحِينِ عَن أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِجَارِيَةٍ فِي بَيتِ أُمِّ سَلَمَةَ رَأَى بوَجْهِهَا سُفْعَةً؛ فَقَالَ: «بِهَا نَظْرَةٌ فاسْتَرْقُوا لَهَا» يَعْنِي بوَجْهِهَا صُفْرَةٌ.

- وفي صحيحِ مسلمٍ عَن جَابرٍ قَالَ: رَخَّصَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّمَ لآلِ حَزْمٍ فِي رُقْيَةِ الحَيَّةِ.

- وَقَالَ لأَسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ: «مَا لِي أَرَى أَجْسَامَ بَنِي أَخِي ضَارِعَةً؟ أَتُصِيبُهُمُ الحَاجَةُ؟» قَالَتْ: لا، وَلَكِنَّ العَيْنَ تُسْرِعُ إِلَيهِمْ.

قالَ: «ارْقِيهِمْ» قالَ: فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: «ارْقِيهِمْ».

- وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَيضًا عَن جَابرٍ قَالَ: لَدَغَتْ رَجُلاً مِنَّا عَقْرَبٌ وَنَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالَ رجلٌ: يا رسولَ اللهِ أَرقِي؟ قالَ: «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنكُمْ أَن يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»

- وَأَمَّا مَا رَوَاهُ مُسلمٌ فِي صَحِيحِهِ مِن حَدِيثِ جَابرٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّم نَهَى عَنِ الرُّقَى.

فهذا لا يُعارضُ هذهِ الأحَاديثَ فإنَّهُ إنَّمَا نَهَى عَنِ الرُّقَى الَّتِي تتضَمَّنُ الشِّرْكَ وَتعظيمَ غيرِ اللهِ سُبحانَهُ كَغَالِبِ رُقَى أَهْلِ الشِّرْكِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا مَا رَوَاهُ مُسلمٌ فِي صَحِيحِهِ مِن حَدِيثِ عَوفِ بنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ قَالَ: كُنَّا نَرْقِي فِي الجَاهِلِيَّةِ؛ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فقَالَ: «اعْرِضُوا عليَّ رُقَاكُمْ، لا بَأْسَ بالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فيه شرك».

وَفِي حَدِيث النَّهْي أَيْضًا مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ؛ فَإِنَّ جَابِرًا قَالَ: نَهَى رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرُّقَى، فَجَاءَ آلُ عَمْرو بْن حَزْم إِلَى رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا رَسُول الله، إِنَّهُ كَانَتْ عِنْدنَا رُقْيَة نَرْقِي بِهَا مِنَ العَقْرَب، وَإِنَّك نَهَيْت عَنِ الرُّقَى، قَالَ: «فَاعْرِضُوهَا عَلَيَّ» فَعَرَضُوهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا أَرَى بِهَا بَأْسًا، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَع أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ» رَوَاهُ مُسْلِم.

وَهَذَا المَسْلَك فِي هَذِهِ الأَحَادِيث وَأَمْثَالِهَا: فِيمَا يَكُون المَنْهِيُّ عَنْهُ نَوْعًا، وَالمَأْذُون فِيهِ نَوْعًا آخَر، وَكِلاهُمَا دَاخِل تَحْت اسْمٍ وَاحِد مَنْ تَفَطَّنَ لَهُ زَالَ عَنْهُ اضْطِرَاب كَثِير، يَظُنُّهُ مَنْ لَمْ يُحِطْ عِلْمًا بِحَقِيقَةِ المَنْهِيُّ عَنْهُ مِنْ ذَلِك الجِنْس، وَالمَأْذُون فِيهِ مُتَعَارِضًا، ثُمَّ يَسْلُك مَسْلَك النَّسْخ، أَوْ تَضْعِيف أَحَد الأَحَادِيث.

وَأَمَّا هَذِهِ الطَّرِيقَة فَلا يَحْتَاج صَاحِبُهَا إِلَى رُكُوبِ طَرِيقِ النَّسْخ، وَلا تَعَسُّفِ أَنْوَاعِ العِلَل، وَقَدْ يَظْهَرُ فِي كَثِير مِنَ المَوَاضِع، مِثْل هَذَا المَوْضِع، وَقَدْ يَدِقُّ وَيَلْطُف فَيَقَع الاخْتِلاف بَيْن أَهْل العِلْم، وَالله يُسْعِد بِإِصَابَةِ الحَقِّ مَنْ يَشَاء، وَذَلِكَ فَضْله يُؤْتِيه مَنْ يَشَاء وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيم). [تهذيب سنن أبي داود: ٢/٢٥١- ٢٥٢]

قال أَحْمَدُ بنُ عليٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانيُّ (ت:٨٥٢هـ): (وَقَالَ ابْن التِّين: الرُّقَى بِالمُعَوِّذَاتِ وَغَيْرهَا مِنْ أَسْمَاء الله هُوَ الطِّبُّ الرُّوحَانِيُّ، إِذَا كَانَ عَلَى لِسَان الأَبْرَار مِنَ الخَلْق حَصَلَ الشِّفَاء بِإِذْنِ الله تَعَالَى، فَلَمَّا عَزَّ هَذَا النَّوْع فَزِعَ النَّاس إِلَى الطِّبِّ الجُسْمَانِيِّ وَتِلْكَ الرُّقَى المَنْهِيُّ عَنْهَا الَّتِي يَسْتَعْمِلهَا المُعَزِّم وَغَيْره مِمَّنْ يَدَّعِي تَسْخِير الجِنّ لَهُ فَيَأْتِي بِأُمُورٍ مُشْتَبِهَة مُرَكَّبَة مِنْ حَقٍّ وَبَاطِل يَجْمَع إِلَى ذِكْر الله وَأَسْمَائِهِ مَا يَشُوبهُ مِنْ ذِكْر الشَّيَاطِين وَالِاسْتِعَانَة بِهِمْ وَالتَّعَوُّذ بِمَرَدَتِهِمْ، وَيُقَال: إِنَّ الحَيَّة لِعَدَاوَتِهَا لِلْإِنْسَان بِالطَّبْع تُصَادِق الشَّيَاطِين لِكَوْنِهِمْ أَعْدَاء بَنِي آدَم، فَإِذَا عَزَّمَ عَلَى الحَيَّة بِأَسْمَاءِ الشَّيَاطِين أَجَابَتْ وَخَرَجَتْ مِنْ مَكَانهَا، وَكَذَا اللَّدِيغ إِذَا رُقِيَ بِتِلْكَ الأَسْمَاء سَالَتْ سُمُومهَا مِنْ بَدَن الإِنْسَان، فَلِذَلِكَ كُرِه مِنَ الرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ بِذِكْرِ الله وَأَسْمَائِهِ خَاصَّة وَبِاللِّسَانِ العَرَبِيِّ الَّذِي يُعْرَفُ مَعْنَاهُ لِيَكُونَ بَرِيئًا مِنَ الشِّرْك، وَعَلَى كَرَاهَة الرُّقَى بِغَيْرِ كِتَاب الله عُلَمَاء الأُمَّة). [فتح الباري:١٠/١٩٦]

قال أَحْمَدُ بنُ عليٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانيُّ (ت:٨٥٢هـ): (وَقَدْ أَجْمَعَ العُلَمَاء عَلَى جَوَاز الرُّقَى عِنْد اجْتِمَاع ثَلاثَةِ شُرُوط:

- أَنْ يَكُون بِكَلامِ الله تَعَالَى أَوْ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاته.
- وَبِاللِّسَانِ العَرَبِيِّ أَوْ بِمَا يُعْرَف مَعْنَاهُ مِنْ غَيْرِهِ.
- وَأَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّ الرُّقْيَة لا تُؤَثِّرُ بِذَاتِهَا بَلْ بِذَاتِ الله تَعَالَى.

وَاخْتَلَفُوا فِي كَوْنهَا شَرْطًا، وَالرَّاجِح أَنَّهُ لا بُدَّ مِن اعْتِبَار الشُّرُوط المَذْكُورَة؛ فَفِي صَحِيح مُسْلِم مِنْ حَدِيث عَوْف بْن مَالِك قَالَ: كُنَّا نَرْقِي فِي الجَاهِلِيَّة، فَقُلْنَا: يَا رَسُول الله كَيْف تَرَى فِي ذَلِكَ؟

فَقَالَ: «اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لا بَأْس بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْك».

وَلَهُ مِنْ حَدِيث جَابِر: نَهَى رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرُّقَى، فَجَاءَ آل عَمْرو بْن حَزْم فَقَالُوا: يَا رَسُول الله إِنَّهُ كَانَتْ عِنْدنَا رُقْيَةٌ نَرْقِي بِهَا مِنَ العَقْرَب.

قَالَ: فَعَرَضُوا عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: «مَا أَرَى بَأْسًا، مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَع أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ».

وَقَدْ تَمَسَّكَ قَوْم بِهَذَا العُمُوم فَأَجَازُوا كُلَّ رُقْيَة جُرِّبَتْ مَنْفَعَتهَا وَلَوْ لَمْ يُعْقَل مَعْنَاهَا، لَكِنْ دَلَّ حَدِيث عَوْف أَنَّهُ مَهْمَا كَانَ مِنَ الرُّقَى يُؤَدِّي إِلَى الشِّرْك يُمْنَع، وَمَا لا يُعْقَل مَعْنَاهُ لا يُؤْمَن أَنْ يُؤَدِّي إِلَى الشِّرْك فَيُمنَعُ احْتِيَاطًا، وَالشَّرْط الآخِر لا بُدَّ مِنْهُ.

وَقَالَ قَوْمٌ: لا تَجُوز الرُّقْيَة إِلاَّ مِنَ العَيْنِ وَاللدْغَةِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي (بَاب مَنِ اكْتَوَى) مِنْ حَدِيث عِمْرَان بْن حُصَيْنٍ: (لا رُقْيَةَ إِلاَّ مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ)

وَأُجِيبَ بِأَنَّ مَعْنَى الحَصْرِ فِيهِ أَنَّهُمَا أَصْلاَ كُلِّ مَا يَحْتَاج إِلَى الرُّقْيَة، فَيَلْتَحِق بِالعَيْنِ جَوَاز رُقْيَة مَنْ بِهِ خَبَل أَوْ مَسٌّ وَنَحْوُ ذَلِكَ لاشْتِرَاكِهَا فِي كَوْنهَا تَنْشَأُ عَنْ أَحْوَال شَيْطَانِيَّة مِنْ إِنْسِيٍّ أَوْ جِنِّيٍّ، وَيَلْتَحِق بِالسُّمِّ كُلُّ مَا عَرَضَ لِلْبَدَنِ مِنْ قَرْحٍ وَنَحْوِه مِنَ المَوَادِّ السُّمِّيَّة.

وَقَدْ وَقَعَ عِنْد أَبِي دَاوُدَ فِي حَدِيث أَنَس مِثْل حَدِيث عِمْرَان وَزَادَ «أَوْ دَمٍ»، وَفِي مُسْلِم مِنْ طَرِيق يُوسُف بْن عَبْد الله بْن الحَارِث عَنْ أَنَس قَالَ: رَخَّصَ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرُّقَى مِنَ العَيْن وَالحُمَة وَالنَّمْلَة، وَفِي حَدِيث آخَر: «وَالأُذُن».

وَلأَبِي دَاوُدَ مِنْ حَدِيث الشِّفَاء بِنْت عَبْد الله أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا: «أَلا تُعَلِّمِينَ هَذِهِ - يَعْنِي حَفْصَة - رُقْيَة النَّمْلَةِ».

وَالنَّمْلَةُ قُرُوحٌ تَخْرُج فِي الجَنْب وَغَيْره مِنَ الجَسَد.

وَقِيلَ المُرَاد بِالحَصْرِ مَعْنَى الأَفْضَل، أَيْ لا رُقْيَةَ أَنْفَعُ كَمَا قِيلَ: لا سَيْفَ إِلاَّ ذُو الفقَار.

وَقَالَ قَوْمٌ: المَنْهِيُّ عَنْهُ مِنَ الرُّقَى مَا يَكُون قَبْل وُقُوع البَلاءِ، وَالمَأْذُون فِيهِ مَا كَانَ بَعْد وُقُوعه، ذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ وَالبَيْهَقِيُّ وَغَيْرهمَا، وَفِيهِ نَظَر.

وَكَأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ الخَبَرِ الَّذِي قُرِنَتْ فِيهِ التَّمَائِم بِالرُّقَى؛ فَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَابْن مَاجَهْ وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ مِنْ طَرِيق ابْن أَخِي زَيْنَب امْرَأَة ابْن مَسْعُود عَنْهَا عَنِ ابْن مَسْعُود رَفَعَهُ: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِم وَالتِّوَلَة شِرْك». وَفِي الحَدِيث قِصَّة). [فتح الباري:١٠/١٩٥]

قال أَحْمَدُ بنُ عليٍّ ابنُ حجرٍ العسْقلانيُّ (ت:٨٥٢هـ): (وَقَالَ القُرْطُبِيُّ: الرُّقَى ثَلاثَة أَقْسَام:

أَحَدُهَا: مَا كَانَ يُرْقَى بِهِ فِي الجَاهِلِيَّة مِمَّا لا يُعْقَل مَعْنَاهُ فَيَجِب اجْتِنَابه لِئَلَّا يَكُون فِيهِ شِرْك أَوْ يُؤَدِّي إِلَى الشِّرْك.

الثَّانِي: مَا كَانَ بِكَلامِ الله أَوْ بِأَسْمَائِهِ فَيَجُوز؛ فَإِنْ كَانَ مَأْثُورًا فَيُسْتَحَبُّ.

الثَّالِثُ: مَا كَانَ بِأَسْمَاءِ غَيْرِ الله مِنْ مَلَك أَوْ صَالِح أَوْ مُعَظَّم مِنَ الْمَخْلُوقَات كَالعَرْشِ، قَالَ: فَهَذَا لَيْسَ مِنَ الوَاجِب اجْتِنَابه وَلا مِنَ الْمَشْرُوع الَّذِي يَتَضَمَّنُ الالتِجَاءَ إِلَى الله وَالتَّبَرُّك بِأَسْمَائِهِ؛ فَيَكُون تَرْكُهُ أَوْلَى إلاَّ أَنْ يَتضَمَّن تَعْظِيم الْمُرْقَى بِهِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُجْتَنَب كَالحَلِفِ بِغَيْرِ الله تَعَالَى). [فتح الباري:١٠/١٩٦]

- **قلتُ:** (لَمْ أَجِدْ هَذَا الكَلامَ فِي تَفْسِيرِ القُرْطُبِيِّ وَلا فِي كِتَابِ التَّذْكِرَةِ لَهُ؛ فَلَعَلَّهُ فِي كِتَابٍ آخَرَ، وَمَا ذَكَرَهُ فِي القِسْمِ الثَّالِثِ مُتَعَقَّبٌ لأَنَّهُ مِنَ الشِّرْكِ المنهِيِّ عَنْهُ؛ فَكَيْفَ لا يَكُونُ مِنَ الوَاجِبِ اجتنابُهُ؟!!).

قال مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (قَوْلُهُ: (لا بَأْسَ بالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الشِّرْكِ) المحرَّم، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الرُّقَى وَالتَّطَبُّبِ بِمَا لا ضَرَرَ فِيهِ وَلا مَنْعَ مِن جِهَةِ الشَّرْعِ وَإِن كَانَ بِغَيْرِ أَسْمَاءِ اللهِ وَكَلامِهِ لَكِنْ إِذَا كَانَ مَفْهُومًا لأَنَّ مَا لا يُفْهَمُ لا يُؤْمَنُ أَن يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الشِّرْكِ). [نيل الأوطار:]

■ الرقية بغير العربية

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ وَهْبِ بنِ مُسْلِمٍ المصْرِيُّ (ت:١٩٧هـ): (حَدَّثَنِي عُمَرُ بنُ مُحَمَّدٍ وَعَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ وَمَالِكُ بنُ أَنَسٍ وَيُونُسُ بنُ يَزِيدَ أَنَّ نَافِعًا أَخْبَرَهُمْ أَنَّ عبدَ اللهِ بنَ عُمَرَ اكْتَوى مِن اللَّقْوَةِ، وَرُقِيَ مِنَ العَقْرَبِ.

وَأَخْبَرَنِي غَيرُهُمْ عَن نَافِعٍ أَنَّ ابنَ عُمَرَ استرقَى مِنَ العَقْرَبِ بِرُقْيَةٍ فَارِسِيَّةٍ). [جامع ابن وهب:]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أَبِي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ، عَنِ الحَسَنِ بْنِ عُبيدِ اللهِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الأَسْوَدِ، قَالَ: كَانَ يَرْقِي بِالحِمْيَرِيَّةِ). [مصنف ابن أبي شيبة:٧/٣٩٩]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (كُرِهَتِ الرُّقَى العَجَمِيَّةُ كَالعِبرَانِيَّةِ أَوِ السُّرْيَانِيَّةِ أو غيرِهَا خَوفًا أَن يكونَ فِيهَا مَعَانٍ لا تَجُوزُ). [اقتضاء الصراط المستقيم:]

■ ما يستنكر من الرقى

■ ما روي عن طاوس بن كيسان مرسلاً ومقطوعًا

قالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت: ٢١١هـ): (عَن مَعْمَرٍ عَن ابنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَقْرَبُ الرُّقَى إِلَى الشِّرْكِ رُقْيَةُ الحَيَّةِ وَالمجْنُون»). [مصنف عبد الرزاق:١١/١٨]

قالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت: ٢١١هـ): (عَنْ مَعْمَرٍ، عَن ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَقْرَبُ الرُّقَى إِلَى الشِّرْكِ رُقْيَةُ الحَيَّةِ، وَرُقْيَةُ المَجْنُونِ). [تفسير عبد الرزاق: ٢/٤٠٩]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (قالَ: ثَنَا ابنُ ثَوْرٍ، عن مَعْمَرٍ، عن ابنِ طاوسٍ، عن أبيه، قالَ: ما مِنْ شَيْءٍ أقرَبُ إلى الشركِ مِن رُقْيَةِ الحيةِ والمَجانِينِ). [جامع البيان: ٢٤/٧٤٩- ٧٥١]

- **قلت:** (فِي حَدِيثِ عُمَيرٍ مَوْلَى آبي اللحمِ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّم أَمَرَهُ أَن يَطْرَحَ بَعْضَ مَا فِي رُقْيَتِهِ الَّتِي يَرْقِي بهَا المجَانِينَ).

أثر ابن عباس

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ سَعْدٍ، قالَ: ثَني أَبِي، قالَ: ثَني عَمِّي، قالَ: ثَني أَبِي، عن أبيه، عن ابنِ عبَّاسٍ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: ٤] قالَ: ما خَالَطَ السِّحْرَ مِنَ الرُّقَى). [جامع البيان: ٢٤/٧٤٩]

أثر قتادة

قالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت: ٢١١هـ): (قَالَ مَعْمَرٌ: تَلا قَتَادَةُ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: ٤] قَالَ: إِيَّاكُمْ وَمَا خَالَطَ السِّحْرَ مِنْ هَذِهِ الرُّقَى). [تفسير عبد الرزاق: ٢/٤٠٨] (م)

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (حَدَّثَنَا ابنُ عبدِ الأعلى، قالَ: ثَنَا ابنُ ثَوْرٍ، عن مَعْمَرٍ، قالَ: تلا قَتَادَةُ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: ٤] قالَ: إِيَّاكُمْ وما خَالَطَ السِّحْرَ مِن هذه الرُّقَى). [جامع البيان: ٢٤/٧٤٩]

أثر الحسن البصري

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (حَدَّثَنَا بِشْرٌ، قالَ: ثَنَا يَزِيدُ، قالَ: ثَنَا سعيدٌ، عن قَتَادَةَ، قالَ: كان الحسنُ يقولُ إذا جَازَ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: ٤] قالَ: إياكُم وما خَالَطَ السِّحْرَ). [جامع البيان: ٢٤/٧٥١]

فضل ترك الاسترقاء توكلاً على الله عز وجل

حديث ابن عباس رضي الله عنهما

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيُّ (ت: ٢٥٦هـ): (حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلانِ وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي؛ فَقِيلَ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ.

ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ؛ فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ!

فَقِيلَ لِي: انْظُرْ، هَكَذَا وَهَكَذَا؛ فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ

فَقِيلَ: هَؤُلاءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ»

فَتَفَرَّقَ النَّاسُ، وَلَمْ يُبَيَّنْ لَهُمْ؛ فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَالُوا: أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا فِي الشِّرْكِ وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنْ هَؤُلاءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لا يَتَطَيَّرُونَ وَلا يَسْتَرْقُونَ وَلا يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»

فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «نَعَمْ».

فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؛ فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ»). [صحيح البخاري: كتاب الطب/باب من لم يرق]

- **قالَ ابنُ القيِّمِ مُحمَّدُ بنُ أبي بَكْرٍ الدِّمَشْقِيُّ (ت:٧٥١هـ)**: (وَليسَ عندَ البُخَارِيِّ (لا يَرقُونَ) قالَ شيخُنَا: وَهُوَ الصَّوابُ وهذهِ اللَّفظةُ وقعَتْ مُقحَمَةً في الحديثِ وهيَ غَلَطٌ من بعضِ الرُّواةِ؛ فإنَّ النَّبي جَعَلَ الوَصْفَ الَّذِي يستحقُّ بهِ هؤلاءِ دُخولَ الجَنَّةِ بغيرِ حِسَابٍ هُو تَحْقِيقَ التَّوحيدِ وتجريدُهُ؛ فلا يَسألونَ غيرَهم أنْ يرقِيَهم ولا يَتَطَيَّرُونَ وعَلَى ربِّهِمْ يتوكَّلونَ، والطِّيَرَةُ نوعٌ منَ الشِّرْكِ، وَيتوكَّلونَ علَى اللهِ وحدَهُ لا عَلَى غيرِه، وتركُهُمُ الاستِرْقَاءَ والتطَيُّرَ هو من تَمامِ التَّوكُّلِ علَى اللهِ كَمَا في الحَدِيثِ: «الطِّيَرَةُ الشِّرْكُ» قالَ ابنُ مَسْعُودٍ: (وَمَا مِنَّا إلا مَن تَطَيَّرَ، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بالتَّوكُّلِ)؛ فَالتَّوكُّلُ يُنافِي التَّطَيُّرَ، وأمَّا رُقْيَةُ العَينِ فَهِيَ إِحسَانٌ مِنَ الرَّاقِي، قَد رَقَى رَسُولَ اللهِ جِبريلُ، وأَذِنَ فِي الرُّقَى وقالَ: لا بَأْسَ بها مَا لَمْ يَكُن فِيهَا شِرْكٌ، واستأذَنُوه فِيهَا فَقَالَ: «مَنِ استطَاعَ مِنكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنفَعْهُ» وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا نَفْعٌ وإحسَانٌ، وذَلِكَ مُسْتَحَبٌّ مَطلوبٌ للهِ ورسولِهِ؛ فالرَّاقِي مُحْسِنٌ، والمسترْقِي سائلٌ راجٍ نفعَ الغيرِ، والتَّوَكُّلُ يُنَافِي ذَلِكَ.

فَإن قِيلَ: فَعَائشةُ قَدْ رَقَت رَسُولَ اللهِ، وَجِبرِيلُ قَدْ رَقَاهُ.

قِيلَ: أَجَلْ، وَلِكنْ هُوَ لَمْ يَسترْقِ، وَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَقُلْ: (وَلا يَرْقِيهِمْ رَاقٍ) وَإِنَّمَا قَالَ: لا يَطْلُبونَ مِن أَحَدٍ أَن يَرقِيَهُمْ). [حادي الأرواح:]

- **قلت**: (حَدِيثُ «الطِّيَرَةُ الشِّرْكُ» رَوَاهُ بهَذَا اللَّفظِ أبو يَعْلَى الموصِليُّ في مُسنَدِهِ مِن حَدِيثِ إسرائيلَ عن منصورٍ عَن سَلَمَةَ بنِ كُهَيلٍ عَن عِيسَى بنِ عَاصِمٍ الأسَدِيُّ عَن زِرِّ بنِ حُبَيشٍ عَن عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ مَرفُوعًا.

وَقَدْ رَوَاهُ أبو دَاودَ الطَّيالِسِيُّ وابنُ أبي شَيبَةَ وأحمدُ والبخَارِيُّ في الأدَبِ المفرَدِ وأبو دَاودَ وابنُ ماجَهْ والحَاكِمُ وابنُ حِبَّانَ والبيهَقِيُّ فِي شُعَبِ الإيمانِ وغيرُهُم بلَفْظِ: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ» كلُّهُمْ إمَّا من طَرِيقِ سُفيانَ الثَّورِيِّ عن سَلَمَةَ بنِ كُهَيلٍ بهِ، وإمَّا مِن طَرِيقِ شُعْبَةَ عَن سَلَمَةَ بنِ كُهَيلٍ بهِ، إلا أنَّ بعضَهُمْ يَروِيهِ بالإفرَادِ، وبعضُهُمْ يَروِيهِ بالتَّثنِيةِ - أي تكرير الجملة مرتين، وَبَعضُهُم يَروِيهِ بالتَّثْلِيثِ.

وَرَوَاهُ أيضًا أحْمَدُ والتِّرمِذِيُّ والبَزَّارُ وابنُ الجَعْدِ والطَّحَاوِيُّ والبَغَوِيُّ بلفظِ: «الطِّيَرَةُ مِنَ الشِّرْكِ»).

قالَ ابنُ القيِّمِ مُحمَّدُ بنُ أبي بَكْرٍ الدِّمَشْقِيُّ (ت:٧٥١هـ): (وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في وصف السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب أنهم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون، زاد مسلم وحده (ولا يرقون)

فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: هذه الزيادة وَهْمٌ من الراوي لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: (ولا يرقون) لأن الراقي محسن إلى أخيه، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم - وقد سئل عن الرقى- فقال: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه».

وقال: « لا بأس بالرُّقى ما لم تكن شركًا » والفرق بين الراقي والمسترقي أن المسترقي سائل مسقط ملتفت إلى غير الله بقلبه والراقي محسن نافع.

قلت: والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجعل ترك الإحسان المأذون فيه سببا للسبق إلى الجنان، وهذا بخلاف ترك الاسترقاء فإنه توكل على الله ورغبة عن سؤال غيره ورضاء بما قضاه، وهذا شيء، وهذا شيء.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: « لا عدوى ولا طيرة، وأحبُّ الفألَ الصالح » ونحوه من حديث أنس، وهذا يحتمل أن يكون نفيا، وأن يكون نهيًا أي: لا تطيروا، ولكن قوله في الحديث: « ولا عدوى ولا صفر ولا هامة » يدل على أن المرادَ النفيُ وإبطالُ هذه الأمورِ التى كانت الجاهلية تعانيها، والنفيُ في هذا أبلغُ من النهيِ لأن النفيَ يدل على بطلانِ ذلكَ وعدم تأثيرِهِ والنهي إنما يدل على المنع منه.

وقد روى ابن ماجه في سننه من حديث سفيان عن سلمة عن عيسى بن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الطيرة شرك »، وما منا ولكن الله يذهبه بالتوكل).

وهذه اللفظة: وما منا إلى آخره مدرجة في الحديث ليست من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، كذلك قاله بعض الحفاظ، وهو الصواب؛ فإنَّ الطيرةَ نوعٌ من الشركِ كما هو في أثر مرفوع: «من ردته الطيرة فقد قارف الشرك » وفي أثر « من أرجعته الطيرة من حاجة فقد أشرك »

قالوا: وما كفارة ذلك؟

قال: «أن يقول أحدكم: اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك »). [مفتاح دار السعادة:٢/٢٣٤]

- **قلت:** (الأثر الأخير رواه ابن السني من طريق ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن ابن هبيرة السبائي عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا.

وقال ابن وهب في جامعه: (حدثني ابن لهيعة عن عياش بن عباس عن أبي الحصين عن فضالة بن عبيد الأنصاري صاحب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « من ردته الطيرة فقد قارف الشرك »).

قال: (وأخبرنيه الليث بن سعد عن عياش بن عباس عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن فضالة بن عبيد مثله).

قال: (وأخبرني ابن لهيعة عن عبيد الله بن هبيرة عن أبي عبد الرحمن المعافري عن عبد الله بن عمرو بن العاص بنحو ذلك).

قال الألباني: (فهذه أسانيد ثلاثة فالأول منها والثالث صحيح، رجالهما كلهم ثقات، وأبو الحصين اسمه الهيثم بن شفي المصري، وظاهرها الوقف ولكن الثالث قد أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٨٧) من طريق ابن وهب به مرفوعًا، وزاد: (قالوا: وما كفارة ذلك يا رسول الله؟

قال: يقول أحدهم: « اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك».

و كذلك أخرجه أحمد (٢/٢٢٠) حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة به.

قال الهيثمي في المجمع (١٠٥/٥): (رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات).

قلت: الضعف الذي في حديث ابن لهيعة إنما هو في غير رواية العبادلة عنه وإلا فحديثهم عنه صحيح كما حققه أهل العلم في ترجمته، ومنهم عبد الله بن وهب وقد رواه عنه كما رأيت وذلك من فوائد هذا الكتاب، والحمد لله الذي به تتم الصالحات). ا.هـ كلام الألباني.

وروى البزار من حديث شييم بن بيتان عن شيبان بن أمية عن رويفع بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من ردته الطيرة عن شيء فقد قارف الشرك »

قال البزار: شييم بن بيتان غير مشهور، وقال أبو حاتم الرازي: هذا حديث منكر).

حكم النفث مع الرقية، وحكم التفل والنفخ

ثبوت النفث مع الرقية عن النبي صلى الله عليه وسلم

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَنْفُثُ فِي الرُّقْيَةِ.

- حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، قَالَ: حدَّثَنَا عُثْمَان بْنُ حَكِيمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ، عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَفَعَتِ امْرَأَةٌ إِلَيْهِ صَبِيًّا، فَجَعَلَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاسِطَةِ الرَّحْلِ، ثُمَّ فَغَرَ فَاهُ، فَنَفَثَ فِيهِ.

- حَدَّثَنَا حَفْصٌ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الأَشْعَثِ، قَالَ: ذُهِبَ بِي إِلَى عَائِشَةَ وَفِي عَيْنَيَّ سُوءٌ، فَرَقَتْنِي وَنَفَثَتْ.

- حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، قَالَ: سَأَلْتُ مُحَمَّدًا عَنِ الرُّقْيَةِ يُنْفَثُ فِيهَا؟ فَقَالَ: لا أَعْلَمُ بِهَا بَأْسًا). [مصنف ابن أبي شيبة:٤٠١/٧]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ، قَالَ: دَبَبْتُ إِلَى قِدْرٍ لَنَا فَاحْتَرَقَتْ يَدِي، فَأَتَتْ بِي أُمِّي إِلَى شَيْخٍ بِالبَطْحَاءِ، فَقَالَتْ: هَذَا مُحَمَّدٌ، قَدِ احْتَرَقَتْ يَدُهُ، فَجَعَلَ يَنْفُثُ عَلَيْهَا وَيَتَكَلَّمُ بِكَلامٍ لا أَحْفَظُهُ، فَلَمَّا كَانَ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ، قُلْتُ: مَنِ الشَّيْخُ الَّذِي ذَهَبْتِ بِي إِلَيْهِ؟ قَالَتْ: رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم). [مصنف ابن أبي شيبة:٤٠١/٧]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيُّ (ت: ٢٥٦هـ): (حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى أَخْبَرَنَا هِشَامٌ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي المَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالمُعَوِّذَاتِ فَلَمَّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ بِهِنَّ وَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا فَسَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ كَيْفَ يَنْفِثُ قَالَ كَانَ يَنْفِثُ عَلَى يَدَيْهِ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ). [صحيح البخاري: كتاب الطب/باب الرقى بالقرآن والمعوذات]

ذكر من كره النفث من السلف

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا أَبو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ إبْرَاهِيمَ، قَالَ: كَانُوا يَرْقُونَ، وَيَكْرَهُونَ النَّفْثَ فِي الرُّقَى). [مصنف ابن أبي شيبة:٧/٣٩٩]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا عَرْعَرَةُ بْنُ البِرِنْدِ، عَنْ أَبِي الهَزْهَازِ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الضَّحَّاكِ وَهُوَ وَجِعٌ، فَقُلْتُ: أَلا أُعَوِّذُك يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: بَلَى، وَلا تَنْفُثْ، قَالَ: فَعَوَّذْته بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ). [مصنف ابن أبي شيبة:٧/٤٠٠]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ أَيُّوبَ، قَالَ: قَالَ عِكْرِمَةُ: أَكْرَهُ أَنْ أَقُولَ فِي الرُّقْيَةِ، بِاسْمِ اللهِ، أُفْ). [مصنف ابن أبي شيبة:٧/٤٠٠]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا أَبو قَطَنٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنِ الحَكَمِ، وَحَمَّادٍ؛ أَنَّهُمَا كَرِهَا التَّفْلَ فِي الرَّقَى). [مصنف ابن أبي شيبة:٧/٤٠١]

قالَ يوسفُ بنُ عبدِ اللهِ ابنُ عبدِ البرِّ النَّمَرِيُّ (ت: ٤٦٣هـ): (قَدْ كَرِهَ التَّفْلَ وَالنَّفْثَ فِي الرُّقْيَةِ جَمَاعَةٌ، مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ، وَالضَّحَّاكُ، وَعِكْرِمَةُ، وَالحَكَمُ، وَحَمَّادٌ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: كَانُوا يَكْرَهُونَ النَّفْثَ فِي الرُّقَى.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ لأَبِي الهَزْهَازِ: ارْقِ، وَلا تَنْفُثْ.

وَقَالَ شُعْبَةُ، عَنِ الحَكَمِ، وَحَمَّادٍ أَنَّهُمَا كَرِهَا التَّفْلَ فِي الرُّقَى.

وَلا حُجَّةَ مَعَ مَنْ كَرِهَ ذَلِكَ، إِذْ قَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَفَثَ فِي الرُّقَى.

وَقَدْ رَقَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ وَهُوَ صَبِيٌّ، وَكَانَ قَدِ احْتَرَقَتْ يَدُهُ فَجَعَلَ يَنْفُثُ عَلَيْهَا، وَتَفَلَ فِي عَيْنَيْ حَبِيبِ بْنِ فُدَيْكٍ، وَهُمَا مُبْيَضَّتَانِ لا يُبْصِرُ بِهِمَا شَيْئًا، فَنَفَثَ فِي عَيْنَيْهِ، فَبَرَأَ.

وَفِي حَدِيثِ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ: نَفَثَ عَلَى صَبِيٍّ رَفَعَتْهُ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ.

وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَرْقِي وَتَنْفُثُ.

وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: مَا أَعْلَمُ بِهِ بَأْسًا.

وَكَانَ الأَسْوَدُ يَكْرَهُ النَّفْثَ فِي الرُّقْيَةِ وَلا يَرَى بِالنَّفْخِ بَأْسًا.

وَرَوَى الْمُقْرِي عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ أَبو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ النَّوْمَ جَمَعَ يَدَيْهِ وَنَفَثَ فِيهِمَا وَقَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [النَّاس: ١] ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَسَائِرَ جَسَدِهِ.

قَالَ سَعِيدٌ وَقَالَ عُقَيْلٌ: رَأَيْتُ ابْنَ شِهَابٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ). [الاستذكار:٢٧/٢٨- ٢٩]

■ أقوال العلماء

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (واخْتَلَفُوا في النَّفْثِ أيضًا، فرُوِيَ عن عَائِشَةَ أَنَّها قَالَتْ: كان رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَنْفُثُ على نَفْسِه إذا اشْتَكَى بالمُعَوِّذَاتِ ويَمْسَحُ بيَدِهِ، فلَمَّا اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وجَعَهُ الذي تُوُفِّيَ فيه طَفِقْتُ أَنْفُثُ عليه بالمُعَوِّذَاتِ التي كان يَنْفُثُ بِهَا على نَفْسِهِ، وعنه عَلَيْهِ السَّلامُ: «أَنَّه كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ نَفَثَ فِي يَدَيْهِ وقَرَأَ فِيهِمَا بالمُعَوِّذَاتِ، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ».

ومنهم مَن أَنْكَرَ النَّفْثَ، قالَ عِكْرِمَةُ: لا يَنْبَغِي للرَّاقِي أَنْ يَنْفُثَ ولا يَمْسَحَ ولا يَعْقِدَ. وعن إِبْرَاهِيمَ قَالَ: كَانُوا يَكْرَهُونَ النَّفْثَ فِي الرُّقَى، وقالَ بَعْضُهم: دَخَلْتُ على الضَّحَّاكِ وهو وَجِيعٌ، فَقُلْتُ: أَلا أُعَوِّذُكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؟ قالَ: بَلَى ولَكِنْ لا تَنْفُثْ، فعَوَّذْتُهُ بالمُعَوِّذَتَيْنِ. قَالَ الحَلِيمِيُّ: الذي رُوِيَ عَن عِكْرِمَةَ أَنَّه يَنْبَغِي للرَّاقِي أَنْ لا يَنْفُثَ ولا يَمْسَحَ ولا يَعْقِدَ فكأَنَّه ذَهَب فيه إلى أَنَّ اللهَ تعالى جَعَلَ النَّفْثَ في العُقَدِ مِمَّا يُسْتَعاذُ منه، فوَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَنْهِيًّا عنه إلا أَنَّ هذا ضَعِيفٌ؛ لأنَّ النَّفْثَ في العُقَدِ إِنَّما يَكونُ مَذْمُومًا إذا كان سِحْرًا مُضِرًّا بالأَرْواحِ والأَبْدَانِ، فأَمَّا إذا كان هذا النَّفْثُ لإِصْلاحِ الأَرْواحِ والأَبْدَانِ وَجَبَ أَنْ لا يَكُونَ حَرَامًا). [التفسير الكبير: ٣٢/١٧٤]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (واخْتُلِفَ في النَّفْثِ عندَ الرُّقَى؛ فمَنَعَه قَوْمٌ، وأَجَازَه آخَرُون.

قالَ عِكْرِمَةُ: لا يَنْبَغِي للرَّاقِي أَنْ يَنْفُثَ، ولا يَمْسَحَ ولا يَعْقِدَ.

قالَ إبراهيمُ: كانُوا يَكْرَهُونَ النَّفْثَ في الرُّقَى.

وقالَ بعضُهم: دَخَلْتُ على الضحَّاكِ وهو وَجِعٌ، فقُلْتُ: أَلا أُعَوِّذُكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؟ قالَ: بَلَى، ولَكِنْ لا تَنْفُثْ. فعَوَّذْتُه بالمُعَوِّذَتَيْنِ.

وقالَ ابنُ جُرَيْجٍ: قُلْتُ لِعَطَاءٍ: القُرْآنُ يُنْفَخُ بِهِ أو يُنْفَثُ؟ قالَ: لا شَيْءَ مِن ذلك ولَكِنْ تَقْرَؤُهُ هكَذا. ثم قالَ بعدُ: انْفُثْ إِنْ شِئْتَ.

وسُئِلَ مُحَمَّدُ بنُ سيرينَ عنِ الرُّقْيَةِ يُنْفَثُ فِيها، فقالَ: لا أعلَمُ بها بَأْسًا، وإِذَا اخْتَلَفُوا فالحاكِمُ بينَهُمُ السُّنَّةُ.

رَوَتْ عائشةُ أن النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ يَنْفُثُ في الرُّقْيَةِ. روَاه الأئمَّةُ، وقد ذكَرْنَاه أوَّلَ السورةِ وفي (سُبْحَانَ).

وعن مُحَمَّدِ بنِ حَاطِبٍ أنَّ يَدَهُ احْتَرَقَتْ فَأَتَتْ بِهِ أُمُّهُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجَعَلَ يَنْفُثُ عليها ويَتَكَلَّمُ بكلامٍ، زَعَمَ أنَّه لم يَحْفَظْه.

وقالَ محمدُ بنُ الأَشْعَثِ: ذُهِبَ بي إلى عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وفي عَيْنِي سُوءٌ، فَرَقَتْنِي ونَفَثَتْ.

وأمَّا ما رُوِيَ عن عِكْرِمَةَ مِنْ قَوْلِهِ: لا يَنْبَغِي للرَّاقِي أنْ يَنْفُثَ، فكأنَّه ذَهَبَ فيه إلى أنَّ اللهَ تعالى جعَلَ النَّفْثَ في العُقَدِ مما يُسْتَعَاذُ بِهِ، فلا يَكُونُ بنَفْسِهِ عُوذَةً.

وليس هذا هكذا؛ لأنَّ النَّفْثَ في العُقَدِ إذا كانَ مذمومًا لم يَجِبْ أَنْ يَكونَ النَّفْثُ بِلا عُقَدٍ مَذمومًا. ولأنَّ النَّفْثَ في العُقَدِ إنما أُرِيدَ به السِّحْرُ المُضِرُّ بالأرواحِ، وهذا النفْثُ لاسْتِصْلاحِ الأبدانِ، فلا يُقَاسُ ما يَنْفَعُ بِمَا يَضُرُّ.

وأمَّا كراهَةُ عِكْرِمَةَ المَسْحَ فخِلافُ السنَّةِ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٨]

قالَ يَحْيَى بنُ شَرَفٍ النَّوَوِيُّ(ت:٦٧٦هـ): (قوْلُها (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى الله عليهِ وسَلَّم إذا مَرِضَ أَحَدٌ من أهلهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بالمعوِّذات) هي بكسر الواو ، النَّفْثُ نَفْخٌ لَطِيفٌ بلاريقٍ فيهِ استِحْبَابُ النفث في الرُّقيةِ ، وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى جَوازِهِ واسْتَحَبَّه الجمهورُ مِنَ الصَّحابةِ والتَّابعينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ.

قال القاضي : وَأَنْكَرَ جَماعَةٌ النَّفْثَ والتَّفْلَ فِي الرُّقى وَأَجَازُوا فِيهَا النَّفْخَ بلا رِيقٍ ، وهَذَا المَذْهَبُ.

والفَرْقُ إنَّمَا يَجِيءُ عَلَى قَوْلٍ ضَعِيفٍ.

قيل : إنَّ النَّفْثَ مَعَهُ رِيقٌ.

قالَ : وَقَدِ اخْتَلَفَ العُلَماءُ فِي النَّفْثِ وَالتَّفْلِ فَقِيلَ : هُمَا بمعْنًى وَلا يَكُونَانِ إلا بريقٍ ، قالَ أبو عُبَيْدٍ : يُشْتَرَطُ فِي التَّفْلِ رِيقٌ يَسِيرٌ، وَلايَكُونُ فِي النَّفْثِ، وَقِيلَ عَكْسُهُ.

قَالَ : وَسُئِلَتْ عَائِشَةُ عَن نَفْثِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرُّقْيَةِ ؛ فَقَالَتْ : كَمَا يَنْفُثُ آكِلُ الزَّبِيبِ لا رِيقَ مَعَهُ.

قال : وَلا اعْتِبَارَ بِمَا يَخْرُجُ عَلَيْهِ مِن بلَّةٍ وَلا يَقْصِدُ ذَلِكَ.

وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ الَّذِي رَقَى بفَاتِحَةِ الكِتَابِ فَجَعَلَ يَجْمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتْفُلُ ، واللهُ أعلمُ.

قالَ القَاضِي : وَفَائِدَةُ التَّفْلِ التَّبَرُّكُ بِتِلْكَ الرُّطُوبَةِ وَالهَوَاءِ وَالنَّفَسِ المبَاشِرَةِ للرُّقْيَةِ وَالذِّكْرِ الحَسَنِ ، لَكِن قَالَ : كَمَا يُتَبَرَّكُ بِغُسَالَةِ مَا يُكْتَبُ مِنَ الذِّكْرِ وَالأَسْمَاءِ الحُسْنَى ، وَكَانَ مَالِكٌ يَنْفُثُ إذَا رَقَى نَفْسَهُ ، وَكَانَ يَكْرَهُ الرُّقْيَةَ بالحَدِيدَةِ وَالمِلْحِ وَالَّذِي يَعْقِدِ ، وَالَّذِي يَكْتُبُ خَاتَمَ سُلَيْمانَ ، وَالعَقْدُ عِنْدَهُ أَشَدُّ كَرَاهَةً لِمَا فِي ذَلِكَ مِن مُشَابَهَةِ السِّحْرِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَفِي هَذَا الحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ الرُّقْيَةِ بالقُرْآنِ وَبالأَذْكَارِ ، وَإِنَّمَا رَقَى بالمعَوِّذَاتِ لأَنَّهُنَّ جَامِعَاتٌ للاستعَاذَةِ مِنْ كُلِّ المكْرُوهَاتِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً ؛ فَفِيهَا الاسْتِعَاذَةُ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ فَيَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ ، وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ وَمِنَ السَّوَاحِرِ وَمِن شَرِّ الحَاسِدِينَ ، وَمن شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ). [المنهاج:١٤/١٧٩- ١٨٢]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (واختلفُوا في جوازِ النفثِ في الرُّقَى والتعاويذِ الشرعيَّةِ المُسْتَحَبَّةِ ، فجَوَّزَهُ الجمهورُ مِن الصحابةِ والتابعينَ ومَنْ بَعْدَهم ، ويدُلُّ عليهِ حديثُ عَائِشَةَ قالتْ : كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عليهِ بالمُعَوِّذَاتِ ، الحديثَ.

وَأَنْكَرَ جَمَاعَةٌ التَّفْلَ والنَّفْثَ في الرُّقى ، وَأَجَازُوا النَّفْخَ بِلا رِيقٍ.

قالَ عِكْرِمَةُ : لا يَنْبَغِي للرَّاقِي أنْ يَنْفُثَ ولا يَمْسَحَ وَلا يَعْقِدَ.

وقيلَ : النَّفْثُ فِي العُقَدِ إنَّما يكونُ مَذْمُومًا إذا كانَ سِحْرًا مُضِرًّا بِالأَرْوَاحِ والأَبْدَانِ ، وَإذَا كانَ النَّفْثُ لإِصْلاحِ الأَرْوَاحِ وَالأَبْدَانِ وَجَبَ أَنْ لا يَكُونَ مَذْمُومًا وَلا مَكْرُوهًا ، بَلْ هُوَ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ). [لباب التأويل: ٤/٥٠٢]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (واخْتَلَفُوا في النَّفْثِ أيضًا؛ فرُوِيَ عن عائشةَ أنَّها قالَتْ: كانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ يَنْفُثُ على نَفْسِهِ إذا اشْتَكَى بالْمُعَوِّذَاتِ ويَمْسَحُ بيدِه، فلمَّا اشْتَكَى رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ وَجَعَه الذي تُوُفِّيَ فيهِ طَفِقْتُ أنْفُثُ عليهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ بالْمُعَوِّذَاتِ التي كانَ يَنْفُثُ بها على نَفْسِه.

وعنه صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ أنه كانَ إذا أخَذَ مَضْجَعَه نَفَثَ في يَدَيْهِ وقَرَأَ فيهما بالْمُعَوِّذَاتِ ثُمَّ مَسَحَ بهما جَسَدَه.

ومنهم مَن أَنْكَرَ النَّفْثَ.

عن عِكْرِمَةَ: لا يَنْبَغِي للراقي أنْ يَنْفُثَ ولا يَمْسَحَ ولا يَعْقِدَ.

وعن إبراهيمَ: كانوا يَكْرَهونَ النَّفْثَ في الرُّقَى.

وقالَ بعضُهم: دَخَلْتُ على الضحَّاكِ وهو وَجِعٌ فقُلْتُ: ألا أُعَوِّذُكَ يا أبا محمدٍ؟ قالَ: بَلَى، ولكنْ لا تَنْفُثْ. فعَوَّذْتُه بالْمُعَوِّذَتَيْنِ.

قالَ بعضُ العُلَماءِ: لعلَّهم كَرِهوا النَّفْثَ؛ لأنَّ اللهَ تعالى جَعَلَ النفْثَ مِمَّا يُستعاذُ منه، فوَجَبَ أنْ يكونَ مَنْهِيًّا عنه.

وقالَ بعضُهم: النَّفْثُ في العُقَدِ المنهيُّ عنه هو الذي يكونُ سِحْرًا مُضِرًّا بالأرواحِ والأبْدَانِ، وأمَّا الذي يكونُ لإصلاحِ الأرواحِ والأبدانِ فيَجِبُ ألاَّ يكونَ حَرَامًا). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٦]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ مُفْلِحِ بنِ مُحَمَّدٍ الحَنْبَلِيُّ (ت:٧٦٣هـ): (وَيُكْرَهُ التَّفْل بِالرِّيقِ وَالنَّفْخُ بِلا رِيقٍ، وَقِيلَ فِي كَرَاهَةِ النَّفْثِ فِي الرُّقْيَةِ وَإِبَاحَتِهِ مَعَ الرِّيقِ وَعَدَمِهِ رِوَايَتَانِ.

وَذَكَرَ السَّامرِّيُّ أَنَّ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ كَرِهَ التَّفْلَ فِي الرُّقَى، وَإِنَّهُ لا بَأْسَ بِالنَّفْخِ.

قَالَ ابْنُ مَنْصُورٍ لأَبِي عَبْدِ اللهِ: يُكْرَهُ التَّفْلُ فِي الرُّقْيَةِ؟

قَالَ: أَلَيْسَ يُقَال إذَا رَقَى نَفَخَ وَلَمْ يَتْفُلْ؟

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ كَمَا قَالَ.

وَجَزَمَ بَعْضُ مُتَأَخِّرِي الأَصْحَابِ بِاسْتِحْبَابِ النَّفْخِ وَالتَّفْلِ؛ لأَنَّهُ إذَا قَوِيَتْ كَيْفِيَّةُ نَفْسِ الرَّاقِي كَانَتِ الرُّقْيَةُ أَتَمَّ تَأْثِيرًا وَأَقْوَى فِعْلاً، وَلِهَذَا تَسْتَعِينُ بِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ وَالخَبِيثَةُ فَيَفْعَلُهُ المُؤْمِنُ وَالسَّاحِرُ.

وَفِي شَرْحِ مُسْلِمٍ أَنَّ الجُمْهُورَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ اسْتَحَبُّوا النَّفْثَ.

قَالَ القَاضِي عِيَاضٌ: وَكَانَ مَالِكٌ يَنْفُثُ إذَا رَقَى نَفْسَهُ، وَكَانَ يَكْرَهُ الرُّقْيَةَ بِالحَدِيدِ وَالمِلْحِ وَالَّذِي يَكْتُبُ خَاتَمَ سُلَيْمَانَ.

وَالعَقْدُ عِنْدَنَا أَشَدُّ كَرَاهَةً لِمَا فِيهِ مِنْ مُشَابَهَةِ السِّحْرِ انْتَهَى كَلامُهُ). [الآداب الشرعية:٣/]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عليٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (قَوْلُهُ: (بَابُ النَّفْثِ) بِفَتْحِ النُّونِ وَسُكونِ الفَاءِ بعدَها مُثَلَّثَةٌ (فِي الرُّقْيَةِ) فِي هَذِهِ التَّرْجَمَةِ إِشَارَةٌ إِلَى الرَّدِّ عَلَى مَن كَرِهَ النَّفْثَ مُطْلَقًا كَالأَسْوَدِ بنِ يَزِيدَ أَحَدِ التَّابِعِينَ

تَمَسُّكًا بقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الفلق: ٤]، وعَلَى مَن كرِهَ النَّفْثَ عِند قِراءَةِ القُرْآنِ خَاصَّةً كإبراهِيمَ النَّخعِيِّ، أَخْرَجَ ذلِكَ ابْنُ أَبي شَيْبَةَ وغَيْرُهُ فأَمَّا الأَسْوَدُ فلا حُجَّةَ لَهُ فِي ذَلِكَ لأَنَّ المذْمُومَ مَا كَانَ مِن نَفْثِ السَّحَرَةِ وأَهْلِ البَاطِلِ، ولا يَلْزَمُ مِنْهُ ذَمُّ النَّفْثِ مُطْلَقًا ولا سِيَّمَا بَعْدَ ثُبُوتِهِ فِي الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، وأَمَّا النَّخعِيُّ فالحُجَّةُ عَلَيْهِ مَا ثَبَتَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ثَالِثِ أَحادِيثِ البَابِ؛ فَقَدْ قَصُّوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القِصَّةَ وفِيهَا: أَنَّهُ قَرَأَ بفَاتِحَةِ الكِتَابِ وتَفَلَ، ولَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ ذَلِكَ حُجَّةً، وكَذَا الحَدِيثُ الثَّانِي فَهُوَ وَاضِحٌ مِن قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ النَّفْثِ مِرارًا أَوْ مَنْ قَالَ إِنَّهُ لا رِيقَ فِيهِ وتَصْوِيبُ أَنَّ فِيهِ رِيقًا خَفِيفًا وذَكَرَ فِيهِ ثَلاثَةَ أَحادِيثَ). [فتح الباري:]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (واخْتُلِفَ في النَّفْثِ عِنْدَ الرُّقَى: فَمَنَعَهُ قَوْمٌ، وأَجَازَهُ آخَرُونَ.

قَالَ عِكْرِمَةُ: لا يَنْبَغِي لِلرَّاقِي أَنْ يَنْفُثَ، ولا يَمْسَحَ، ولا يَعْقِدَ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: كَانُوا يَكْرَهُونَ النَّفْثَ مِنَ الرَّاقِي، والصَّحِيحُ الجَوازُ؛ لأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْفُثُ فِي الرُّقْيَةِ.

ورَوَى مُحَمَّدُ بْنُ حَاطِبٍ أَنَّ يَدَهُ احْتَرَقَتْ، فَأَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجَعَلَ يَنْفُثُ عَلَيْهَا، ويَتَكَلَّمُ بِكَلامٍ، وزَعَمَ أَنَّهُ لَمْ يَحْفَظْهُ.

ورُوِيَ أَنَّ قَوْمًا لُدِغَ فِيهِمْ رَجُلٌ، فَأَتَوْا أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَالُوا: هَلْ فِيكُمْ مِنْ رَاقٍ؟ فقَالُوا: لا حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا شَيْئًا، فجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنَ الغَنَمِ، فَجَعَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يقْرَأُ فَاتِحَةَ الكِتَابِ ويَرْقِي ويَتْفُلُ حَتَّى بَرِئَ، فَأَخَذُوهَا، فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرُوا ذَلِكَ له، فَقَالَ: «ومَا يُدْرِيكُمْ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ خُذُوا واضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا».

وأَمَّا مَا رُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ فكَأَنَّهُ ذَهَبَ فيه إِلَى أَنَّ النَّفْثَ فِي العُقَدِ مِمَّا يُسْتَعَاذُ بِهِ بِخِلافِ النَّفْثِ بلا عُقَدٍ). [اللباب: ٢٠/٥٧٤]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): ((تنبيهٌ) اختُلِفَ في النَّفثِ في الرُّقَى فجوَّزَهُ الجمهورُ منَ الصَّحابةِ والتَّابعين ومنْ بعدَهُمْ ويدلُّ عليهِ حديثُ عائشةَ قالتْ: كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا مَرِضَ أحدٌ منْ أهلِهِ نفثَ عليهِ بالمُعوِّذَتَيْنِ، وروى محمدُ بنُ حاطبٍ أنَّ يدَهُ احترقَتْ فأَتى النَّبيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجعلَ ينفُثُ عليها ويتكلَّمُ بكلامٍ زَعمَ أنَّهُ لمْ يَحْفَظْهُ، ورُوِيَ أنَّ قومًا لُدِغَ رجلٌ منهمْ فأتوا أصحابَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالوا: هلْ فيكمْ مِن راقٍ؟ قالوا: لا حتى تجعلوا لنا شَيْئًا فجعلوا لهمْ قطيعًا منَ الغَنمِ فجعلَ رَجلٌ منهمْ يقرأُ فاتحةَ الكتابِ ويَرقِي ويتْفُلُ حتى بَرِئَ فأخذوهُ فلمَّا رجعوا ذكروا ذلكَ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ، خُذُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ». وأنكرَ جماعةٌ النَّفْثَ والتَّفْلَ في الرُّقَى وأجازوا النَّفْخَ بلا رِيقٍ، وقَالَ عكرمةُ: لا ينبغي للرَّاقِي أنْ يَنفُثَ ولا يمسحَ ولا يعقِدَ، وَقِيلَ إنَّ النَّفْثَ في العُقَدِ

إنما يكونُ مذمومًا إذا كانَ سِحْرًا مُضِرًّا بالأرواح والأبدانِ، وإذا كانَ النَّفْثُ لإصلاحِ الأرواح والأبدانِ فلا يضُرُّ وليسَ بمذمومٍ ولا مكروهٍ بلْ هوَ مندوبٌ إليهِ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٣- ٦١٤]

قالَ مُحمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (واخْتَلَفُوا في جَوازِ النفخ في الرُّقَى وَالتَّعاوِيذِ الشَّرْعِيَّةِ، فَجوَّزَهُ الجمهورُ مِنَ الصحابةِ وَالتابعينَ وَمَن بَعْدَهُمْ، يَدُلُّ عَلَيْهِ حديثُ عائشةَ قَالَتْ: (كانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إِذا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بالمُعَوِّذَاتِ). الحديثَ.

وأَنْكَرَ جماعةٌ التَّفْلَ وَالنَّفْثَ في الرُّقَى وَأَجَازُوا النَّفْخَ بلا رِيقٍ، قَالَ عِكْرِمَةُ: لا يَنْبَغِي للرَّاقِي أَنْ يَنْفُثَ وَلا يَمْسَحَ وَلا يَعْقِدَ.

قالَ النسفيُّ: جُوِّزَ الاسْتِرْقَاءُ بما كَانَ مِنْ كتابِ اللهِ وَكلامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لا بِمَا كَانَ بالسُّرْيَانِيَّةِ وَالعبرانيَّةِ وَالهنديَّةِ، فإِنَّهُ لا يَحِلُّ اعْتِقَادُهُ وَلا اعْتِمَادٌ عَلَيْهِ). [فتح البيان: ١٥/ ٤٦١]

صفة النفث

قَالَ سُلَيمَانُ بنُ خَلَفٍ البَاجِيُّ(ت:٤٧٤هـ): (وَصِفَةُ النَّفْثِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى الأَعْشَى: أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَصْحَابِ مَالِكٍ عَنْ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ رَآهُ يَنْفُثُ الرُّقْيَةَ عَلَى بَعْضِ يَدَيْهِ، أَوْ أَصَابِعِهِ وَقَالَ مَعْمَرٌ: سَأَلْت الزُّهْرِيَّ كَيْفَ يَنْفُثُ؟ فَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَنْفُثُ عَلَى يَدَيْهِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَقَدْ رَوَاهُ يُونُس مُسْنَدًا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ نَفَثَ فِي كَفَّيْهِ بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] وبالمُعَوِّذَتَيْنِ جَمِيعًا، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ وَمَا بَلَغَتْ يَدَاهُ مِنْ جَسَدِهِ). [المنتقى:]

هل يكون النفث قبل القراءة أو بعدها أو معها؟

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثنا أبو عبدِ الرحمنِ، حَدَّثنا سَعِيدٌ – يعني: ابنَ أبي أَيُّوبَ – حَدَّثني عُقَيْلٌ، عن ابنِ شِهَابٍ، عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيرِ، عن عائشةَ قالَتْ: كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذا أرادَ النومَ جمَعَ يديهِ فيَنْفُثُ فيهما، ثُمَّ يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١]، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَه ورأسَه وسائرَ جَسدِه.

قالَ عُقَيلٌ: ورأيتُ ابنَ شِهَابٍ يَفْعَلُ ذلكَ). [مسند الإمام أحمد: ٤٢/ ١١٦]

قالَ مُحمَّدُ بنُ إسمَاعِيلَ البُخَارِيُّ (ت: ٢٥٦هـ): (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا الْمُفَضَّلُ بْنُ فَضَالَةَ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا؛ فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]

و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①﴾ [الناس: ١] ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ). [صحيح البخاري: كتاب التفسير/ باب فضل المعوذات]

قالَ مُحمَّدُ بنُ إسْمَاعِيلَ البُخَارِيُّ (ت: ٢٥٦هـ): (حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى أَخْبَرَنَا هِشَامٌ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْمَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ؛ فَلَمَّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ بِهِنَّ وَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا.

فَسَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ: كَيْفَ يَنْفِثُ؟

قَالَ: كَانَ يَنْفِثُ عَلَى يَدَيْهِ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ). [صحيح البخاري: كتاب الطب/باب الرقى بالقرآن والمعوذات]

- **قال محمدُ بنُ عبدِ الهادي السِّنْديُّ (ت: ١١٣٦هـ):** (يَحْتَمِلُ أَنَّ الفاءَ في فَقَرَأَ لِبَيَانِ كَيْفِيَّةِ النَّفْثِ، أي: يَقْرَأُ فِيهِمَا ثُمَّ يَنْفُثُ بِاعْتِبَارِ أَنَّ القِرَاءَةَ مِنْ كَيْفِيَّاتِ النَّفْثِ، ويَحْتَمِلُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ قَوْلَهُ: ثُمَّ نَفَثَ، وقَوْلَهُ: فَقَرَأَ؛ كِلاهُمَا مَعْطُوفَانِ على جَمَعَ، فَيُعْتَبَرُ فِي النَّفْثِ التَّرَاخِي عَنِ الجَمْعِ، وفي القِرَاءَةِ التَّعْقِيبُ بلا مُهْلَةٍ عَنِ الجَمْعِ، وعِنْدَ ذَلِكَ يَظْهَرُ وُقُوعُ القِرَاءَةِ قَبْلَ النَّفْثِ فتَأَمَّلْ - والله تَعَالَى أَعْلَمُ-). [حاشية السندي على البخاري: ٣/٢٣٠]

كيف يقرأ المريض على نفسه؟

قَالَ سُليمانُ بنُ خَلَفٍ البَاجِيُّ(ت:٤٧٤هـ): (قَوْلُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى أَلَمًا؛ يُرِيدُ إِذَا مَرِضَ، يُقَالُ: اشْتَكَى فُلانٌ إِذَا أَصَابَهُ شَكْوَى مَرَضٍ؛ فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَقِرَاءَةُ الْمَرِيضِ عَلَى نَفْسِهِ تَكُونُ عَلَى وُجُوهٍ:

- أَنْ يَقْرَأَ وَيُشِيرَ بِقِرَاءَتِهِ إِلَى جَسَدِهِ وَرُبَّمَا كَانَتْ إِشَارَتُهُ بِإِمْرَارِهِ يَدَهُ عَلَى مَوْضِعِ الأَلَمِ، أَوْ إِلَى أَعْضَائِهِ إِنْ كَانَ جَمِيعُ جَسَدِهِ أَلِمًا.
- وَيَكُونُ بِأَنْ يَجْمَعَ يَدَيْهِ فَيَقْرَأَ فِيهِمَا ثُمَّ يَمْسَحَ بِهِمَا عَلَى مَوْضِعِ الأَلَمِ). [المنتقى:]

المسح على المريض

حديث عائشة رضي الله عنها

قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الحجَّاجِ بنِ مُسْلِمٍ القُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٢٦١هـ): (حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا وقَالَ زُهَيْرٌ وَاللَّفْظُ لَهُ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِي الضُّحَى عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اشْتَكَى مِنَّا إِنْسَانٌ مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ ثُمَّ قَالَ: «أَذْهِبْ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لا شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا»). [صحيح مسلم: ٢١٩١]

- **قَالَ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بنُ شَرَفٍ النَّوَوِيُّ(ت:٦٧٦هـ):** (قولُهَا: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اشْتَكَى مِنَّا إِنْسَانٌ مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ ثُمَّ قَالَ: «أَذْهِبْ البَاسَ...» إلى آخِرِهِ، فِيهِ استحبابُ مَسْحِ المريضِ باليمينِ، وَالدُّعَاءِ لَهُ، وَقَدْ جَاءَتْ فِيهِ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ صَحِيحَةٌ، جَمَعْتُهَا فِي كِتَابِ الأَذْكَارِ، وَهَذَا المذكورُ هُنَا مِنْ أَحْسَنِهَا،

وَمَعْنَى (لا يُغَادِرُ سَقَمًا) أَيْ لا يَتْرُكُ، وَالسُّقْمُ بِضَمِّ السِّينِ وَإِسْكَانِ الْقَافِ وَبِفَتْحِهِمَا لُغَتَانِ). [شرح صحيح مسلم: ١٤/١٨٠]

■ حديث طلق بن علي

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُلازِمُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ بَدْرٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ طَلْقٍ عَنْ أَبِيهِ طَلْقِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: لَدَغَتْنِي عَقْرَبٌ عِنْدَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَقَانِي وَمَسَحَهَا). [مسند الإمام أحمد: ٢٦/٢٢٥]

- **قلت:** (رَوَاهُ أحمدُ وابنُ السُّنِّيِّ والطحاوي وابنُ حِبَّانَ والطبراني وَالحاكِمُ وَالخطيبُ البغدادِيُّ، كُلُّهُم مِن طُرُقٍ عَن مُلازِمِ بنِ عَمْرٍو عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ بَدْرٍ عَن قَيْسِ بنِ طَلْقٍ عَنْ أَبِيهِ.

وَرَوَاهُ ابنُ قَانِعٍ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ مِن طَرِيقِ مُسَدَّدٍ عَن مُحَمَّدِ بنِ جَابِرٍ عَن عبدِ اللهِ بنِ بَدْرٍ عَن طَلْقِ بنِ عَلِيٍّ قَالَ: (كُنْتُ أَخْلِطُ الطِّينَ بالمدينةِ فَلَدَغَتْنِي عقْرَبٌ فَأَتَيْتُ النَّبيَّ فَعَوَّذَنِي فَبَرَأْتُ) فَأَسْقَطَ قَيْسًا.

وَقَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ: حدَّثنا يُونُس بن مُحمد حدَّثنا أَيُّوب عن قَيْس عن أبيه قال جِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَأَصْحَابُهُ يَبْنُونَ المَسْجِدَ، قَالَ فَكَأَنَّهُ لَمْ يُعْجِبْهُ عَمَلُهُمْ، قَالَ فَأَخَذْتُ المِسْحَاةَ، فَخَلَطْتُ بِهَا الطِّينَ، فَكَأَنَّهُ أَعْجَبَهُ أَخْذِي المِسْحَاةَ وَعَمَلِي فَقَالَ: «دَعُوا الحَنَفِيَّ وَالطِّينَ، فَإِنَّهُ أَضْبَطَكُمْ لِلطِّينِ».

قُلْتُ: فَلَعَلَّهُ لُدِغَ فِي تِلْكَ الحَادِثَةِ، فَتَكُونُ قَبْلَ نُزُولِ المُعَوِّذَتَيْنِ).

■ حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبِي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلِمَةَ عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: اشْتَكَيْتُ فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا أَقُولُ: إِنْ كَانَ أَجَلِي قَدْ حَضَرَ فَأَرِحْنِي، وَإِنْ كَانَ مُتَأَخِّرًا فَاشْفِنِي - أَوْ عَافِنِي - ، وَإِنْ كَانَ بَلاءً فَصَبِّرْنِي، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «كَيْفَ قُلْتَ؟»

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ.

قَالَ: فَمَسَحَنِي بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْفِهِ» أَوْ «عَافِهِ» فَمَا اشْتَكَيْتُ ذَلِكَ الوَجَعَ بَعْدُ). [مصنف ابن أبي شيبة:٧/٤٠٤]

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ شَاكِيًا فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَجَلِي قَدْ حَضَرَ فَأَرِحْنِي، وَإِنْ كَانَ مُتَأَخِّرًا فَارْفَعْنِي، وَإِنْ كَانَ بَلاءً فَصَبِّرْنِي.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» فَأَعَادَ عَلَيْهِ مَا قَالَ.

قَالَ: فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَافِهِ» أَوِ «اللَّهُمَّ اشْفِهِ» شَكَّ شُعْبَةُ.

قَالَ: فَمَا اشْتَكَيْتُ وَجَعِي ذَاكَ بَعْدُ). [مسند الإمام أحمد: ٢/٣١٥]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (قالَ عليٌّ رَضِيَ اللهُ عنه: اشْتَكَيْتُ، فدَخَلَ عليَّ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا أقولُ: اللَّهُمَّ إنْ كانَ أَجَلِي قد حضَرَ فَأَرِحْنِي، وإنْ كَانَ مُتَأَخِّرًا فاشْفِنِي وعَافِنِي، وإنْ كانَ بَلاءً فَصَبِّرْنِي. فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ قُلْتَ؟».

فقُلْتُ لَه: فمَسَحَنِي بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْفِهِ». فمَا عَادَ ذلك الوَجَعُ بَعْدُ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٨- ٢٥٩]

القراءة في الماء

حديث ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري

قالَ أَبُو دَاودَ سُلَيمَانُ بنُ الأشْعَثِ السِّجِسْتَانِيُّ (ت:٢٧٥هـ): (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ وابْنُ السَّرْحِ، قَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، وقَالَ ابْنُ السَّرْحِ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى عَنْ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَقَالَ ابْنُ صَالِحٍ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ أَحْمَدُ: وَهُوَ مَرِيضٌ؛ فَقَالَ: « اكْشِفِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ عَنْ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ » ثُمَّ أَخَذَ تُرَابًا مِنْ بَطْحَانَ فَجَعَلَهُ فِي قَدَحٍ ثُمَّ نَفَثَ عَلَيْهِ بِمَاءٍ وَصَبَّهُ عَلَيْهِ.

قَالَ أَبُو دَاوُد: قَالَ ابْنُ السَّرْحِ: يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَهُوَ الصَّوَابُ). [سنن أبي داود:]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، أَنَّ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ اشْتَكَى فَأَتَاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَرَقَاهُ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَنَفَثَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، اكْشِفِ البَاسَ عَنْ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ». ثُمَّ أَخَذَ تُرَابًا مِنْ وَادِيهِمْ ذَلِكَ - يَعْنِي بُطحَانَ - فَأَلْقَاهُ فِي مَاءٍ فَسَقَاهُ). [الدر المنثور: ١٥/٧٨٩- ٧٩٠]

قلت: (الحديث رواه البخاري في التاريخ الكبير، وأبو داود في سننه، والنسائي في السنن الكبرى وعمل اليوم والليلة، والفسوي في المعرفة، وابن حبان في صحيحه، والطبراني في المعجم الكبير وكتاب الدعاء، والبيهقي في الدعوات، وابن عساكر في تاريخ دمشق، كلهم من طرق عن عمرو بن يحيى المازني عن يوسف بن محمد به، من غير ذكر المعوذات ومن غير ذكر السقي وإنما صبه عليه كما في رواية أبي داود، وإنما ورد السقي عند البخاري في التاريخ على الشك، ولم أقف على رواية ابن سعد.

ويوسف بن محمد مجهول الحال، والحديث ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ثم قال: واعلم (أننا إنما أوردنا هذا الحديث لما في آخره من جعل البطحان (وهو الحصا الصغار) في القدح إلخ، فإنه غريب منكر، وأما الدعاء (اكشف الباس رب الناس)، فهو ثابت من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ: كان يعود بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ويقول: «اللهم رب الناس، أذهب الباس، واشفه أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما» أخرجه الشيخان وغيرهما، وله فيهما وفي " المسند " طرق) ا.هـ.

قلت: (بطحان) اسم وادٍ معروف في المدينة، وهو الذي ورد ذكره في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه الذي في الصحيحين، وفيه أنه قال: كنت أنا وأصحابي الذين قدموا معي في السفينة نزولاً في بقيع بطحان.

وفي مسند الإمام أحمد وغيره من حديث أبي حدرد الأسلمي رضي الله عنه مرفوعًا: «لو كنتم تغرفون من بطحان ما زدتم».

وحديث ثابت بن قيس احتج به ابن حبان وغيره، وله شاهد موقوف على عائشة في القراءة في الماء رواه ابن أبي شيبة، وأما ذكر التربة فيشهد له ما في الصحيحين من حديث عائشة في الرقية مرفوعًا: «تربة أرضنا بريقة بعضنا...» الحديث).

■ أثر عائشة رضي الله عنها

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ، عَنْ عَائِشَةَ؛ أَنَّهَا كَانَتْ لا تَرَى بَأْسًا أَنْ يُعَوَّذَ فِي المَاءِ، ثُمَّ يُصَبَّ عَلَى المَرِيضِ). [مصنف ابن أبي شيبة: ٧/٣٨٧]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ (ت:٢٩٠هـ): (رَأيتُ أَبِي يَكتبُ التَّعَاويذَ للَّذِي يَفزَع وللحمَّى لأَهْلِهِ وقرَابَاتِهِ، ويكتبُ للمَرْأَةِ إذَا عَسُرَ عَليهَا الوِلادَةُ فِي جَامٍ أو شَيْءٍ نَظِيفٍ، وَيَكْتُبُ حَدِيثَ ابنِ عبَّاسٍ، إلا أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ عِندَ وُقوعِ البَلاءِ، وَلَمْ أَرَهُ يَفْعَلُ هذَا قَبْلَ وُقُوعِ البَلاءِ، وَرَأَيْتُهُ يُعَوِّذُ فِي الماءِ وَيَشْرَبُهُ المرِيضُ، وَيُصَبُّ عَلَى رَأْسِهِ مِنْهِ.

وَرَأَيْتُ أَبِي يَأْخُذُ شَعْرَةً مِن شَعْرِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُهَا عَلَى فِيهِ يُقَبِّلُهَا، وَأَحْسَبُ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُهُ يَضَعُهَا عَلَى رَأْسِهِ أَوْ عَينِهِ فَغَمَسَهَا فِي المَاءِ ثُمَّ شَرِبَهُ يَسْتَشْفِي بِهِ.

وَرَأَيْتُهُ قَدْ أَخَذَ قَصْعَةَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بهَا إِلَيْهِ أَبُو يَعْقُوبَ بنُ سُلَيْمَانَ بنِ جَعْفَرٍ فَغَسَلَهَا فِي جُبِّ مَاءٍ ثُمَّ شَرِبَ فِيهَا.

وَرَأَيْتُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ يَشْرَبُ مِن مَاءِ زَمْزَمَ يَسْتَشْفِي بِهِ وَيَمْسَحُ بِهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ). [مسائل عبد الله بن الإمام أحمد:]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (وَرُوِيَ عَن عَائِشَةَ أَنَّهَا كَانت لا تَرى بأسًا أَن يُعَوَّذَ فِي المَاءِ، ثُمَّ يُعَالَجُ بِهِ المرِيضُ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: لا بَأْسَ أَنْ يَكْتُبَ القُرْآنَ وَيغسِلَهُ، وَيَسْقِيَهُ المرِيضَ، وَمِثْلُهُ عَن أَبِي قِلابَةَ.

وَكَرِهَهُ النَّخَعِيُّ وابنُ سِيرِينَ.

وَرُوِيَ عَنِ ابنِ عبَّاسٍ أَنَّهُ أَمَرَ أَنْ يَكْتُبَ لامرَأَةٍ تعسَّرَ عَلَيْهَا وِلادَتُها آيتين مِنَ القُرآنِ وَكَلِماتٍ، ثُمَّ يُغسل وَتسقَى.

وَقَالَ أَيُّوبُ: رَأَيتُ أَبَا قِلابَةَ كَتَبَ كِتَابًا مِنَ القُرآنِ ثُمَّ غَسَلَهُ بماءٍ وَسَقَاهُ رَجُلاً كَانَ بِهِ وَجَعٌ، يَعْنِي الجُنُونَ). [شرح السنة: ١٢/١٦٦]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ مُفْلِحِ بنِ مُحَمَّدٍ الحَنْبَلِيُّ (ت:٧٦٣هـ): (قَالَ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةِ مُهَنَّا فِي الرَّجُلِ يَكْتُبُ القُرْآنَ فِي إِنَاءٍ ثُمَّ يَسْقِيهِ لِلْمَرِيضِ، قَالَ: لا بَأْسَ.

قَالَ مُهَنَّا: قُلْتُ لَهُ: فَيَغْتَسِلُ بِهِ؟

قَالَ: مَا سَمِعْتُ فِيهِ بِشَيْءٍ.

قَالَ الخَلَّالُ: إِنَّمَا كُرِهَ الغُسْلُ بِهِ لأَنَّ العَادَةَ أَنَّ مَاءَ الغُسْلِ يَجْرِي فِي البَلالِيعِ وَالحُشُوشِ؛ فَوَجَبَ أَنْ يُنَزَّهَ مَاءُ القُرْآنِ مِنْ ذَلِكَ، وَلا يُكْرَهُ شُرْبُهُ لِمَا فِيهِ مِنَ الاسْتِشْفَاءِ.

وَقَالَ صَالِحٌ: رُبَّمَا اعْتَلَلْتُ فَيَأْخُذُ أَبِي قَدَحًا فِيهِ مَاءٌ فَيَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ لِي: اشْرَبْ مِنْهُ، وَاغْسِلْ وَجْهَكَ وَيَدَيْكَ.

وَنَقَلَ عَبْدُ اللهِ أَنَّهُ رَأَى أَبَاهُ يُعَوِّذُ فِي المَاءِ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ وَيَشْرَبُهُ وَيَصُبُّ عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ: وَرَأَيْتُهُ قَدْ أَخَذَ قَصْعَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَسَلَهَا فِي جُبِّ المَاءِ ثُمَّ شَرِبَ فِيهَا، وَرَأَيْتُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ يَشْرَبُ مَاءَ زَمْزَمَ فَيَسْتَشْفِي بِهِ وَيَمْسَحُ بِهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ.

وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ مُوسَى: إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللهِ كَانَ يُؤْتَى بِالكُوزِ وَنَحْنُ بِالمَسْجِدِ فَيَقْرَأُ عَلَيْهِ وَيُعَوِّذُ). [الآداب الشرعية:٣/]

قالَ عَبْدُ العَزِيزِ بنُ عَبْدِ اللهِ ابنُ بَازٍ (ت:١٤٢٠هـ): (وَلا حَرَجَ فِي القراءةِ في الماءِ وَالزَّيتِ فِي عِلاجِ المريضِ وَالمسحُورِ والمجنونِ، وَلَكِنَّ القِرَاءَةَ على المريضِ بالنَّفثِ عَلَيهِ أَولَى وَأَفضلُ وأكملُ، وقد خرَّج أبو داودَ رَحِمَهُ اللهُ بإسنادٍ حَسَنٍ أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ قرَأَ لِثَابتِ بنِ قَيسِ بنِ شَمَّاسٍ فِي مَاءٍ وَصَبَّهُ عَلَيْهِ.

وَقد قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: « لا بَأسَ بالرُّقَى مَا لَمْ تَكُن شِرْكًا » وَهَذَا الحديثُ الصَّحيحُ يَعُمُّ الرُّقيةَ للمريضِ علَى نفسِهِ وَفِي الماءِ وَالزَّيتِ وَنحوِهِمَا، وَاللهُ وَلِيُّ التَّوفِيقِ). [مجموع فتاوى ابن باز:٩/٤٠٩]

حكم تعليق التمائم

حديث أبي هريرة

قالَ أَحْمَدُ بنُ شُعَيْبٍ النَّسَائِيُّ (ت:٣٠٣هـ): (أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ مَيْسَرَةَ المِنْقَرِيُّ عَنِ الحَسَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ »). [سنن النسائي:]

- **قلت:** (هذا الحديث رواه النسائي وابن عدي والطبراني في الأوسط كلهم من طريق عباد بن ميسرة المنقري عن الحسن عن أبي هريرة به.

وسماع الحسن من أبي هريرة مختلف فيه، والصحيح أنه سمع منه أحاديث فقد صح عنه التصريح بالسماع.

وعباد ضعفه أحمد، وقال يحيى بن معين: لا بأس به، وقال ابن عدي: هو ممن يكتب حديثه.

وقد روى عبد الرزاق عن أبان عن الحسن نحوه مرسلاً ولفظه: « مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً فِيهَا رُقْيَةٌ فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ كفَرَ، وَمَنْ عَلَّقَ عُلْقَةً وُكِلَ إِلَيْهَا »

وأبان هو ابن أبي عياش متروك الحديث

قال ابن حجر: حكى الخليلي في الإرشاد بسند صحيح أن أحمد قال ليحيى بن معين وهو يكتب عن عبد الرزاق عن معمر عن أبان نسخة: تكتب هذه وأنت تعلم أن أبان كذاب؟

فقال: يرحمك الله يا أبا عبدالله أكتبها وأحفظها حتى إذا جاء كذاب يرويها عن معمر عن ثابت عن أنس أقول له كذبت إنما هو أبان). (م)

■ حديث أبي بشير الأنصاري

قالَ مَالِكُ بنُ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ الأَصْبَحِيُّ (ت:١٧٩هـ): (عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ أَبي بَكْرٍ عَنْ عَبَّادِ بنِ تَمِيمٍ أَنَّ أَبَا بَشِيرٍ الأَنْصَارِيَّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، قَالَ: فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولاً؛ قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَبي بَكْرٍ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: وَالنَّاسُ فِي مَقِيلِهِمْ: «لا تَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلادَةٌ مِن وَتَرٍ أَوْ قِلادَةٌ إلاَّ قُطِعَتْ». [الموطأ:٢/٩٣٧]

- **قالَ يَحْيَى بنُ يَحْيَى اللَّيْثِيُّ (ت:٢٣٤هـ)**: (سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: أَرَى ذَلِكَ مِنَ العَيْنِ). [الموطأ:٢/٩٣٧]

- **قلت**: (هذا الحديث رواه مالك بن أنس وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن أبي عاصم والطحاوي وابن حبان والطبراني والبيهقي والبغوي كلهم من طريق مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن عباد بن تميم عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه).

قالَ أَحْمَدُ بنُ عليٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (قَوْلُهُ: « فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلادَةٌ مِن وَتَرٍ أَوْ قِلادَةٌ » كَذَا هُنَا بلَفْظِ (أَوْ) وهِي للشَّكِّ أَوْ للتَّنْوِيعِ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبي دَاوُدَ عَنِ القَعْنَبيِّ بلَفْظِ: « وَلا قِلادَةٌ » وَهُوَ مِن عَطْفِ العَامِّ عَلَى الخَاصِّ وبهَذَا جَزَمَ المهَلَّبُ، وَيُؤَيِّدُ الأَوَّلَ مَا رُوِيَ عَن مَالِكٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ القِلادَةِ فَقَالَ: مَا سَمِعْتُ بكَرَاهَتِهَا إِلاَّ فِي الوَتَرِ). [فتح الباري:٦/١٤١]

■ حديث عبد الله بن عكيم

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي لَيْلَى عَنْ أَخِيهِ عِيسَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ وَهُوَ مَرِيضٌ نَعُودُهُ فَقِيلَ لَهُ: لَوْ تَعَلَّقْتَ شَيْئًا.

فَقَالَ: أَتَعَلَّقُ شَيْئًا وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ »). [مسند الإمام أحمد:٣١/٧٧- ٧٨]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عِيسَى بنِ سَوْرَةَ التِّرْمِذِيُّ (ت: ٢٧٩هـ): (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَدُّويَهْ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ عِيسَى أَخِيهِ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ أَبِي مَعْبَدٍ الجُهَنِيِّ أَعُودُهُ وَبِهِ حُمْرَةٌ فَقُلْنَا: أَلا تُعَلِّقُ شَيْئًا.

قَالَ: المَوْتُ أَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ».

قَالَ أَبو عِيسَى : وَحَدِيثُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عُكَيْمٍ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : كَتَبَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى نَحْوَهُ بِمَعْنَاهُ.

قَالَ أَبو عِيسَى : وَفِي البَاب عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ). [جامع الترمذي:]

قلت: (هذا الحديث رواه أحمد والترمذي وابن السني والنسائي وابن قانع، كلهم من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أخيه عيسى عن عبد الله بن عكيم رضي الله عنه.

وله شاهد مرسل عن الحسن البصري رواه ابن وهب في جامعه.

ويشهد له أيضًا حديث أبي هريرة المتقدم).

قالَ سُلَيمَانُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الوَهَّابِ (ت:١٢٣٣هـ): (قولُهُ : « مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ » التَّعَلُّقُ يَكونُ بالقلبِ، ويَكونُ بالفعلِ، ويَكونُ بِهِما جميعًا، أي : مَنْ تَعَلَّقَ شيئًا بقلبِهِ، أو تَعَلَّقَهُ بقلبِهِ وفعلِهِ (وُكِلَ إليهِ) أي : وكَلَهُ اللهُ إلى ذلك الشَّيءِ الَّذي تَعَلَّقَهُ، فمَن تَعَلَّقَتْ نفسُهُ باللهِ، وأَنْزَلَ حوائجَهُ باللهِ، والتَجأَ إِلَيْهِ، وفوَّضَ أَمْرَهُ كُلَّهُ إليهِ، كَفَاهُ كُلَّ مُؤْنَةٍ، وقرَّبَ إليهِ كلَّ بعيدٍ، ويَسَّرَ له كلَّ عَسِيرٍ، ومَن تَعَلَّقَ بغيرِهِ أو سَكَنَ إلى علمِهِ وعقلِهِ ودَوَائِهِ وتَمائِمِهِ، واعْتَمَدَ عَلَى حولِهِ وقُوَّتِهِ، وكَلَهُ اللهُ إلى ذلك وخَذَلَهُ، وهذا معروفٌ بالنُّصوصِ والتَّجارِبِ.

قالَ اللهُ تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطَّلاق : ٣].

وقالَ الإمامُ أحمدُ : حَدَّثَنا هاشِمُ بنُ القاسِمِ، ثنا أَبو سَعِيدٍ المُؤَدِّبُ، ثنا مَن سَمِعَ عَطاءً الخُراسَانِيَّ، قالَ : لَقِيْتُ وَهْبَ بنَ مُنَبِّهٍ وهو يَطُوفُ بالبيتِ، فقُلْتُ له : حَدِّثْني حديثًا أَحْفَظُهُ عنكَ في مَقامِي هذا وأَوْجِزْ.

قالَ : نَعَمْ ؛ أَوْحَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى داودَ : «يا داودُ، أَمَا وعِزَّتي وعَظَمَتِي لا يَعْتَصِمُ بِي عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِي دُونَ خَلْقِي، أَعْرِفُ ذَلِكَ مِن نِيَّتِهِ، فَتَكِيدُهُ السَّمَاواتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، إِلاَّ جَعَلْتُ لَهُ مِن بَيْنِهِنَّ مَخْرَجًا، أَمَا وَعِزَّتِي وَعَظَمَتِي لا يَعْتَصِمُ عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِي بِمَخْلُوقٍ دُونِي أَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْ نِيَّتِهِ، إِلاَّ قَطَعْتُ أَسْبَابَ السَّمَاءِ مِن يَدِهِ، وأَسخْتُ الأَرضَ من تحتِ قدميهِ، ثُمَّ لا أبالي بأيِّ وادٍ هلَكَ»). [تيسير العزيز الحميد: باب ما جاء في الرقى]

■ حديث عقبة بن عامر

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الوَارِثِ حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي مَنْصُورٍ عَنْ دُخَيْنٍ الحَجْرِيِّ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجُهَنِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَهْطٌ فَبَايَعَ تِسْعَةً وَأَمْسَكَ عَنْ وَاحِدٍ ؛ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ بَايَعْتَ تِسْعَةً وَتَرَكْتَ هَذَا.

قَالَ: « إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً »؛ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا؛ فَبَايَعَهُ، وَقَالَ: « مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ »). [مسند الإمام أحمد:٢٨/٦٣٦- ٦٣٧]

- **قالَ مُحَمَّدٌ ناصِرُ الدِّينِ الأَلْبَانِيُّ (ت:١٤٢٠هـ)**: (أخرجه الإمام أحمد (٤/١٥٦) والحارث بن أبي أسامة في "مسنده" (١٥٥من زوائده) ومن طريقه أبو الحسن محمد بن محمد البزاز البغدادي في "جزء من حديثه" (١٧١-١٧٢) عن عبد العزيز بن منصور حدثنا يزيد بن أبي منصور عن دخين الحجري عن عقبة بن عامر الجهني: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل إليه رهط، فبايع تسعة، وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وتركت هذا؟ قال: إن عليه تميمة، فأدخل يده فقطعها، فبايعه وقال ". فذكره.

قلت: وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال مسلم غير دخين وهو ابن عامر الحجري أبو ليلى المصري وثقه يعقوب بن سفيان وابن حبان وصحح له الحاكم (٤/٣٨٤).

وقد أخرجه (٤ / ٢١٩) من طريق أخرى عن يزيد بن أبي منصور.

وللحديث طريق أخرى، يرويه مشرح بن هاعان عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من علق تميمة فلا أتم الله له، ومن علق ودعة، فلا ودع الله له)).

ولكن إسناده إلى مشرح ضعيف فيه جهالة، ولذلك أوردته في الكتاب الآخر (١٢٦٦)). [السلسلة الصحيحة:]

■ أثر عبد الله بن مسعود

قالَ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت:٢١١هـ): (عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ عَبدِ العَزِيزِ الجزَرِيِّ عَن زِيَادِ بنِ أَبِي مَرْيَمَ أَوْ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ - شَكَّ مَعْمَر – قَالَ: رَأَى ابنُ مَسْعُودٍ فِي عُنُقِ امْرَأَتِهِ خَرَزًا قَدْ تَعَلَّقَتْهُ مِنَ الحُمْرَةِ فَقَطَعَهُ وَقَالَ: إِنَّ آلَ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ لأَغْنِيَاءُ عَنِ الشِّرْكِ). [مصنف عبد الرزاق:١١/٢٠٨]

قلت: (سبق ذكر خبر عبد الله بن مسعود مع أهله وسبب تحديثه بحديث: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك)).

■ أثر عمران بن الحصين

قالَ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت:٢١١هـ): (عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الحَسَنِ أَنَّ عِمْرَانَ بنَ الحُصَينِ نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ فِي يَدِهِ فَتْخٌ مِن صُفْرٍ؛ فَقَالَ: مَا هَذَا فِي يَدِكَ؟

قال: صَنَعْتُهُ مِنَ الوَاهِنَةِ؛ فَقَالَ عِمْرَانُ: فَإِنَّهُ لا يَزِيدُكَ إِلاَّ وَهْنًا). [مصنف عبد الرزاق:١١/٢٠٩]

■ مرسل أبي قلابة الجرمي

قالَ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت:٢١١هـ): (عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قِلابَةَ قَالَ: قَطَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّمِيمَةَ مِن قِلادَةِ الصَّبِيِّ - يَعْنِي الفَضْلَ بنَ عَبَّاسٍ – قَالَ: وَهِيَ الَّتِي تُخْرَزُ فِي عُنُقِ الصَّبِيِّ مِنَ العَيْنِ). [مصنف عبد الرزاق:١١/٢٠٨]

تعليق التمائم من القرآن والأدعية الصالحة

أثر عبد الله بن عمرو بن العاص

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا عَبْدَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي نَوْمِهِ فَلْيَقُلْ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَسُوءِ عِقَابِهِ، وَمِنْ شَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ وَمَا يَحْضُرُونِ».

فَكَانَ عَبْدُ اللهِ يُعَلِّمُهَا وَلَدَهُ مَنْ أَدْرَكَ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَمْ يُدْرِكْ، كَتَبَهَا وَعَلَّقَهَا عَلَيْهِ). [مصنف ابن أبي شيبة: ٧/٣٩٩]

- **قلتُ**: (رواهُ ابنُ أبي شيبةَ وأحمدُ وأبو داودَ والتِّرمذيُّ وأبو بكرٍ الإسْماعِيليُّ وابنُ السُّنيِّ والحاكمُ والبيهقيُّ فِي الآدَابِ وابنُ عبدِ البرِّ فِي التَّمهيدِ، كُلُّهُم من طُرُقٍ عن مُحَمَّدِ بنِ إسحَاقَ بنِ يَسَارٍ عَن عَمرِو بنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَن جَدِّهِ، وابنُ إِسْحَاقَ مُدَلِّسٌ وقَدْ عَنْعَنَ.

قالَ الألبانيُّ: (لكنَّ ابنَ إسحاقَ مدلِّسٌ، وقدْ عَنْعَنَهُ فِي جميعِ الطُّرُقِ عنهُ، وَهذهِ الزِّيَادَةُ مُنكَرَةٌ عِنْدِي لِتَفرُّدِهِ بهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ).

أثر سعيد بن المسيب

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي عِصْمَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ عَنِ التَّعْوِيذِ؟ فَقَالَ: لا بَأْسَ بِهِ إِذَا كَانَ فِي أَدِيمٍ). [مصنف ابن أبي شيبة: ٧/٣٩٩]

أثر عطاء بن أبي رباح

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ عَطَاءٍ؛ فِي الْحَائِضِ يَكُونُ عَلَيْهَا التَّعْوِيذُ، قَالَ: إِنْ كَانَ فِي أَدِيمٍ، فَلْتَنْزِعْهُ، وَإِنْ كَانَ فِي قَصَبَةِ فِضَّةٍ، فَإِنْ شَاءَتْ وَضَعَتْهُ، وَإِنْ شَاءَتْ لَمْ تَضَعْهُ). [مصنف ابن أبي شيبة: ٧/٣٩٩]

أثر مجاهد بن جبر

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ ثُوَيْرٍ، قَالَ: كَانَ مُجَاهِدٌ يَكْتُبُ لِلنَّاسِ التَّعْوِيذَ فَيُعَلِّقُهُ عَلَيْهِمْ). [مصنف ابن أبي شيبة: ٧/٣٩٩]

أثر محمد بن علي بن الحسين

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ، عَنْ حَسَنٍ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّهُ كَانَ لا يَرَى بَأْسًا أَنْ يَكْتُبَ الْقُرْآنَ فِي أَدِيمٍ، ثُمَّ يُعَلِّقُهُ). [مصنف ابن أبي شيبة: ٧/٣٩٩]

قالَ ابنُ القيِّمِ محمَّدُ بنُ أبي بَكْرٍ الدِّمَشْقيُّ (ت:٧٥١هـ): (قالَ المروزيُّ: وَقرَأَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ - وَأَنَا أَسْمَعُ - أَبُو المنذرِ عَمْرُو بنُ مُجَمِّعٍ، حدَّثَنا يونسُ بنُ حبَّانَ، قالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بنَ عَلِيٍّ أَنْ أُعَلِّقَ التَّعْوِيذَ، فَقَالَ: إن كَانَ مِن كِتَابِ اللهِ أو كَلامٍ عَن نَبيِّ اللهِ فَعَلِّقْهُ، واسْتَشْفِ بِهِ مَا اسْتَطَعْتَ.

قلتُ: أَكْتُبُ هَذِهِ مِنْ حُمَّى الرِّبْعِ: باسْمِ اللهِ، وَباللهِ، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ... إِلى آخِرِه؟

قالَ: إِي نَعَمْ.

وَذَكَرَ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَغَيْرِهَا أَنَّهَمْ سَهَّلُوا فِي ذَلِكَ.

قالَ حَرْبٌ: وَلَمْ يُشَدِّدْ فِيهِ أَحْمَدُ بنُ حَنبَلٍ.

قالَ أَحْمَدُ: وَكَانَ ابنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُهُ كَرَاهَةً شَدِيدَةً جِدًّا.

وَقالَ أَحْمَدُ وَقَدْ سُئِلَ عَنِ التَّمَائِمِ تُعَلَّقُ بَعْدَ نُزُولِ البَلاءِ، قَالَ: أَرْجُو أَن لا يَكُونَ بِهِ بَأْسٌ). [زاد المعاد:٤/٣٥٨]

■ أثر محمد بن سيرين

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ؛ أَنَّهُ كَانَ لا يَرَى بَأْسًا بِالشَّيْءِ مِنَ القُرْآنِ). [مصنف ابن أبي شيبة:٧/٣٩٩]

■ أقوال العلماء

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (واختَلَفوا في التَّعليقِ، فرُوِيَ أنَّه عَلَيْهِ السَّلامُ قالَ: «مَنْ عَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ» وعن ابنِ مَسْعُودٍ: أنَّه رأَى على أُمِّ وَلَدِه تَميمةً مَرْبوطَةً بعَضُدِها، فجَذَبَها جَذْبًا عَنيفًا فقطَعَها، ومنهم مَن جَوَّزَه، سُئِلَ الباقِرُ عَلَيْهِ السَّلامُ عن التَّعْويذِ يُعَلَّقُ على الصِّبْيانِ فرَخَّصَ فيه). [التفسير الكبير: ٣٢/١٧٤]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (ورَوَى النَّسَائِيُّ عن أبي هُرَيْرَةَ، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا، فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٨]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (رَوَى النَّسائِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا، فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»). [اللباب: ٢٠/٥٧٣]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (واخْتُلِفَ في التعليقِ، فرُوِيَ أنه صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ: «مَنْ عَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ».

وعن ابنِ مسعودٍ: أنَّه رأَى على أمِّ وَلَدِه تَميمَةً مَرْبوطةً بعَضُدِها، فجَذَبَها جَذْبًا عَنيفًا فقطَعَها.

ومنهم مَن جَوَّزَه، سُئِلَ الباقِرُ رَضِيَ اللهُ عنه عن التَّعْويذِ يُعَلَّقُ على الصِّبْيانِ، فرَخَّصَ فيهِ). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٦]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ مُفْلِحِ بنِ مُحَمَّدٍ الحَنْبَلِيُّ (ت:٧٦٣هـ): (فَصْلٌ فِيمَا يَجُوزُ مِنَ التَّمَائِمِ وَالتَّعَاوِيذِ وَالكِتَابَةِ لِلْمَرَضِ وَاللَّدْغِ وَالعَيْنِ وَنَحْوِهِ، (تُكْرَهُ التَّمَائِمُ وَنَحْوُهَا) كَذَا قِيلَ تُكْرَهُ، وَالصَّوَابُ مَا يَأْتِي مِنْ تَحْرِيمِهِ لِمَنْ لَمْ يُرْقَ عَلَيْهِ قُرْآنٌ أَوْ ذِكْرٌ أَوْ دُعَاءٌ وَإِلاَّ احْتَمَلَ وَجْهَيْنِ.

وَيَأْتِي أَنَّ الجَوَازَ قَوْلُ القَاضِي وَأَنَّ المَنْعَ ظَاهِرُ الخَبَرِ وَالأَثَرِ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللهُ.

وَتُبَاحُ قِلادَةٌ فِيهَا قُرْآنٌ أَوْ ذِكْرٌ غَيْرُهُ وَتَعْلِيقُ مَا هُمَا فِيهِ نُصَّ عَلَيْهِ.

وَكَذَا التَّعَاوِيذُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُكْتَبَ القُرْآنُ أَوْ ذِكْرٌ غَيْرُهُ فِي إنَاءٍ خَالٍ بِالعَرَبِيِّ ثُمَّ يُسْقَى مِنْهُ المَرِيضُ وَالمُطَلَّقَةُ.

وَأَنْ يُكْتَبَ لِلْحُمَّى وَالنَّمْلَةِ وَالعَقْرَبِ وَالحَيَّةِ وَالصُّدَاعِ وَالعَيْنِ مَا يَجُوزُ، وَيُرْقَى مِنْ ذَلِكَ بِقُرْآنٍ، وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِنْ دُعَاءٍ وَذِكْرٍ. وَيُكْرَهُ بِغَيْرِ العَرَبِيَّةِ.

وَتَحْرُمُ الرُّقَى وَالتَّعَوُّذُ بِطلسَمٍ وَعَزِيمَةٍ.

قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ فِي الفُنُونِ: قَالَ المَأْمُونُ وَهُوَ صَاحِبُ الزِّيجِ المَأْمُونِيُّ: لَوْ صَحَّ الكِيمْيَاءُ مَا احْتَجْنَا إلَى الخَرَاجِ، وَلَوْ صَحَّ الطِّلَّسْمُ مَا احْتَجْنَا إلَى الأَجْنَادِ وَالحَرَسِ، وَلَوْ صَحَّتِ النُّجُومُ مَا احْتَجْنَا إلَى البَرِيدِ). [الآداب الشرعية:٣/]

قالَ مُحَمَّدٌ ناصِرُ الدِّينِ الأَلْبَانِيُّ (ت:١٤٢٠هـ): (التميمة: خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم؛ فأبطلها الإسلام كما في " النهاية " لابن الأثير.

قلت: ولا تزال هذه الضلالة فاشية بين البدو والفلاحين وبعض المدنيين ومثلها الخرزات التي يضعها بعض السائقين أمامهم في السيارة يعلقونها على المرآة !

وبعضهم يعلق نعلا في مقدمة السيارة أو في مؤخرتها ! وغيرهم يعلقون نعل فرس في واجهة الدار أو الدكان ! كل ذلك لدفع العين زعموا، وغير ذلك مما عم وطم بسبب الجهل بالتوحيد، وما ينافيه من الشركيات والوثنيات التي ما بعثت الرسل وأنزلت الكتب إلا من أجل إبطالها والقضاء عليها، فإلى الله المشتكى من جهل المسلمين اليوم، وبعدهم عن الدين.

ولم يقف الأمر ببعضهم عند مجرد المخالفة، بل تعداه إلى التقرب بها إلى الله تعالى ! فهذا الشيخ الجزولي صاحب " دلائل الخيرات " يقول في الحزب السابع في يوم الأحد (ص ١١١ طبع بولاق): " اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، ما سجعت الحمائم، وحمت الحوائم وسرحت البهائم، ونفعت التمائم " !

وتأويل الشارح لـ " الدلائل " بأن " التمائم جمع تميمة وهي الورقة التي يكتب فيها شيء من الأسماء أو الآيات وتعلق على الرأس مثلا للتبرك ".

فمما لا يصح لأن التمائم عند الإطلاق إنما هي الخرزات كما سبق عن ابن الأثير، على أنه لو سلم بهذا التأويل فلا دليل في الشرع على أن التميمة بهذا المعنى تنفع، ولذلك جاء عن بعض السلف كراهة ذلك كما بينته في تعليقي على (الكلم الطيب) (ص ٤٤ - ٤٥ طبع المكتب الإسلامي). [السلسلة الصحيحة:]

التعويذ

صفة التعويذ

حديث عائشة رضي الله عنها

قالَ مُحمَّدُ بنُ إسْمَاعِيلَ البُخَاريُّ (ت: ٢٥٦هـ): (حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا يَحْيَى حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ عَنْ مُسْلِمٍ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ يَمْسَحُ بِيَدِهِ اليُمْنَى وَيَقُولُ اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ البَاسَ اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي لا شِفَاءَ إِلا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا.

قَالَ سُفْيَانُ حَدَّثْتُ بِهِ مَنْصُورًا فَحَدَّثَنِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ نَحْوَهُ). [صحيح البخاري: كتاب الطب/باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم]

حديث ابن عباس رضي الله عنهما

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنْ مَنْصُورٍ عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَيَقُولُ « أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَةِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ ». ثُمَّ يَقُولُ « هَكَذَا كَانَ أَبِي إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ يُعَوِّذُ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ »). [مسند الإمام أحمد: ٤٢/ ١١٦]

- **قلت:** (والحديث رواه ابن أبي شيبة والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان وغيرهم من طرق عن منصور بن المعتمر عن المنهال بن عمرو به).

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (ورَوَى سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كان يُعَوِّذُ حَسَنًا وحُسَيْنًا فيقولُ: «أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ» ونحنُ نَستعيذُ باللهِ مما عوَّذَ ونَستَمِدُّه جَميلَ ما عوَّدَ). [النكت والعيون: ٦/ ٣٨٠]

قالَ أَبُو المُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (ورُوِيَ أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُعَوِّذُ بهما الحسَنَ والحسينَ - رَضِيَ اللهُ عنهما -). [تفسير القرآن: ٦/ ٣٠٨]

كتابة الرقية

أثر ابن عباس

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبِي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنِ الحَكَمِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: إِذَا عَسِرَ عَلَى المَرْأَةِ وَلَدُهَا، فَيَكْتُبُ هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ وَالكَلِمَاتِ فِي صَحْفَةٍ، ثُمَّ تُغْسَلُ فَتُسْقَى مِنْهَا: بِاسْمِ اللهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَلِيمُ الكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ

السَّبْعِ ورَبِّ العَرْشِ العَظِيمِ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾ [النازعات: ٤٦]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٣٥﴾ [الأحقاف: ٣٥]). [مصنف ابن أبي شيبة:٧/٣٨٧]

- **قلت:** (فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يضعف).

■ أثر عطاء بن أبي رباح

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا حَجَّاجٌ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَنْ رَأَى سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ يَكْتُبُ التَّعْوِيذَ لِمَنْ أَتَاهُ، قَالَ حَجَّاجٌ: وَسَأَلْتُ عَطَاءً؟ فَقَالَ: مَا سَمِعْنَا بِكَرَاهِيَتِهِ إلاَّ مِنْ قِبَلِكُمْ أَهْلَ العِرَاقِ). [مصنف ابن أبي شيبة:٧/٣٨٦]

■ أثر مجاهد وأبي قلابة الجرمي

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي قِلاَبَةَ (ح) وَلَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ؛ أَنَّهُمَا لَمْ يَرَيَا بَأْسًا أَنْ يَكْتُبَ آيَةً مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ يُسْقَاهُ صَاحِبُ الفَزَعِ). [مصنف ابن أبي شيبة:٧/٣٨٧]

■ أثر إبراهيم النخعي

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ عَوْنٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ؛ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ كَانَ بِالكُوفَةِ يَكْتُبُ مِن الفَزَعِ آيَاتٍ مِنَ القُرْآنِ، فَيُسْقَاهُ المَرِيضُ؟ فكَرِهَ ذَلِكَ). [مصنف ابن أبي شيبة:٧/٣٨٧]

■ أقوال العلماء

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ (ت:٢٩٠هـ): (رَأيتُ أَبِي يَكتبُ التَّعَاويذَ للَّذِي يَفزَعُ وللحمَّى لأَهْلِهِ وقرابَاتِهِ، ويكتبُ للمرْأَةِ إذَا عَسُرَ عليهَا الوِلادَةُ فِي جَامٍ أو شَيْءٍ نَظِيفٍ، ويَكْتُبُ حَدِيثَ ابنِ عبَّاسٍ، إلا أنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ عِندَ وُقُوعِ البَلاءِ، ولَمْ أرَهُ يَفْعَلُ هذا قَبْلَ وُقُوعِ البَلاءِ، ورَأَيْتُهُ يُعَوِّذُ فِي المَاءِ ويَشْرَبُهُ المرِيضُ، ويُصبُّ عَلَى رَأسِهِ مِنْهِ.

ورَأَيْتُ أَبِي يَأْخُذُ شَعْرَةً مِن شَعْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُهَا عَلَى فِيهِ يُقبِّلُهَا، وَأَحْسَبُ أنِّي قَدْ رَأَيتُهُ يَضَعُهَا عَلَى رَأْسِهِ أَوْ عَينِهِ فغَمَسَهَا فِي المَاءِ ثُمَّ شَرِبَهُ يَسْتَشْفِي بِهِ.

ورَأَيْتُهُ قَدْ أَخَذَ قَصْعَةَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بهَا إِلَيْهِ أَبُو يَعْقُوبَ بنُ سُلَيْمَانَ بنِ جعْفَرٍ فَغَسَلَهَا فِي جُبِّ مَاءٍ ثُمَّ شَرِبَ فِيهَا.

ورَأَيْتُهُ غَيْرَ مَرَّةٍ يَشْرَبُ مِن مَاءِ زَمْزَمَ يَسْتَشْفِي بِهِ وَيَمْسَحُ بِهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ). [مسائل عبد الله بن الإمام أحمد:]

كتاب لمن تعسرت ولادتها

قالَ ابنُ القيِّمِ مُحمَّدُ بنُ أبي بَكْرٍ الدِّمَشْقِيُّ (ت:٧٥١هـ): (كتاب لعسر الولادة: قال الخلال: حدثني عبد الله بن أحمد: قال رأيت أبي يكتب للمرأة إذا عسر عليها ولادتها في جام أبيض، أو شيء نظيف، يكتب حديث ابن عباس رضي الله عنه: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٦].

قال الخلال: أنبانا أبو بكر المروزي، أن أبا عبد الله جاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله! تكتب لامرأة قد عسر عليها ولدها منذ يومين؟

فقال: قل له: يجيء بجام واسع، وزعفران.

ورأيته يكتب لغير واحد.

ويُذكر عن عِكرمةَ، عن ابن عباس، قال: مَرَّ عيسى صلَّى الله على نبيِّنا وعليه وسَلَّم على بقرة قَدِ اعتَرَضَ ولدُها في بطنها، فقالت: يا كلمةَ الله؛ ادعُ الله لي أن يُخَلِّصَني مما أنا فيه. فقال: يا خالقَ النفسِ مِنَ النفسِ، ويا مخلِّصَ النفسِ مِنَ النفسِ، ويا مُخْرِجَ النفسِ مِنَ النفسِ، خَلِّصْهَا. قال: فرمتْ بولدها، فإذا هي قائمة تَشُمُّه.

قال: فإذا عَسُرَ عَلى المرأة ولدُها، فاكتبْه لها.

وكل ما تقدم من الرقى، فإن كتابته نافعة.

ورخص جماعة من السلف في كتابة بعض القرآن وشربه، وجعل ذلك من الشفاء الذي جعل الله فيه.

كتاب آخر لذلك: يكتب في إناء نظيف: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾﴾ [الانشقاق: ١- ٤]، وتشرب منه الحامل، ويرش على بطنها). [زاد المعاد:٤/٣٥٨]

قالَ مُحمَّدُ بنُ مُفلِحِ بنِ مُحمَّدٍ الحَنْبَلِيُّ (ت:٧٦٣هـ): (قَالَ أَحْمَدُ: يُكْتَبُ لِلْمَرْأَةِ إذَا عَسُرَ عَلَيْهَا وَلَدُهَا فِي جَامٍ أَبْيَضَ أَوْ شَيْءٍ نَظِيفٍ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ الحَلِيمُ الكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ العَظِيمِ، الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٦] ثُمَّ تُسْقَى مِنْهُ وَيُنْضَحُ مَا بَقِيَ عَلَى صَدْرِهَا.

وَرَوَى أَحْمَدُ هَذَا الكَلامَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَرَفَعَهُ ابْنُ السُّنِّيِّ فِي عَمَلِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ.

وَرَوَى ابْنُ مَرْوَانَ فِي المُجَالَسَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ عِيسَى مَرَّ بِبَقَرَةٍ قَدِ اعْتَرَضَ وَلَدُهَا فِي بَطْنِهَا فَقَالَتْ: يَا رُوحَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَنِي.

فَقَالَ اللَّهُمَّ: يَا مُخْرِجَ النَّفْسِ، وَيَا خَالِقَ النَّفْسِ مِنَ النَّفْسِ خَلِّصْهَا فَخُلِّصَتْ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَمَنْ قَالَهُ عَلَى امْرَأَةٍ خَلَّصَهَا اللهُ تَعَالَى). [الآداب الشرعية:٣/]

كتاب لِلْحُمَّى

قالَ ابنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بنُ أبي بَكْرٍ الدِّمَشْقِيُّ (ت:٧٥١هـ): (كِتَابٌ لِلحُمَّى: قالَ المرْوَزِيُّ: بَلَغَ أَبَا عَبْدِ اللهِ أَنِّي حُمِمْتُ، فكَتَبَ لِي مِنَ الحُمَّى رُقْعَةً فِيهَا: بسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، باسْمِ اللهِ، وَباللهِ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩- ٧٠]، اللهُمَّ ربَّ جبرائيلَ، وَميكَائِيلَ، وَإِسْرَافيلَ، اشفِ صَاحِبَ هَذَا الكِتَابِ بِحَوْلِك وقُوَّتِكَ وجَبَرُوتِكَ إِلَهَ الحَقِّ آمِينَ). [زاد المعاد:٤/ ٣٥٨]

قالَ ابنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بنُ أبي بَكْرٍ الدِّمَشْقِيُّ (ت:٧٥١هـ): (قال الخلال: وحدثنا عبد الله بن أحمد، قال: رأيت أبي يكتب التعويذ للذي يفزع، وللحمى بعد وقوع البلاء). [زاد المعاد:٤/ ٣٥٨]

كتاب للرعاف

قالَ ابنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بنُ أبي بَكْرٍ الدِّمَشْقِيُّ (ت:٧٥١هـ): (كتاب للرعاف: كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يكتب على جبهته: ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [هود: ٤٤]. وسمعته يقول: كتبتها لغير واحد فبرأ، فقال: ولا يجوز كتابتها بدم الراعف، كما يفعله الجهال، فإن الدم نجس، فلا يجوز أن يكتب به كلام الله تعالى). [زاد المعاد:٤/ ٣٥٨]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ مُفْلِحِ بنِ مُحَمَّدٍ الحَنْبَلِيُّ (ت:٧٦٣هـ): (وكَانَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ رَحِمَهُ اللهُ يَكْتُبُ عَلَى جَبْهَةِ الرَّاعِفِ: ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [هود: ٤٤].

قَالَ: وَلا يَجُوزُ كِتَابَتُهَا بِدَمٍ كَمَا يَفْعَلُهُ الجُهَّالُ؛ فَإِنَّ الدَّمَ نَجِسٌ فَلا يَجُوزُ أَنْ يُكْتَبَ بِهِ كَلامُ اللهِ). [الآداب الشرعية:٣/]

كتاب للفزع والاستيحاش

قالَ مُحَمَّدُ بنُ مُفْلِحِ بنِ مُحَمَّدٍ الحَنْبَلِيُّ (ت:٧٦٣هـ): (قَالَ المَرُّوذِيُّ: شَكَتِ امْرَأَةٌ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ أَنَّهَا مُسْتَوْحِشَةٌ فِي بَيْتٍ وَحْدَهَا؛ فَكَتَبَ لَهَا رُقْعَةً بِخَطِّهِ: بِاسْمِ اللهِ، وَفَاتِحَةَ الكِتَابِ، وَالمُعَوِّذَتَيْنِ، وَآيَةَ الكُرْسِيِّ.

وَقَالَ: كَتَبَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مِنَ الحُمَّى: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِاسْمِ اللهِ وَبِاللهِ، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩، ٧٠] اللهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ اشْفِ صَاحِبَ هَذَا الكِتَابِ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ وَجَبَرُوتِكَ إِلَهَ الحَقِّ آمِينَ.

وَرَوَى أَحْمَدُ أَنَّ يُونُسَ بْنَ حبابٍ كَانَ يَكْتُبُ هَذَا مِنْ حُمَّى الرِّبْعِ). [الآداب الشرعية:٣/]

العزائم

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وَأَهْلُ العَزَائِمِ وَالأَقْسَامِ يُقْسِمُونَ عَلَى بَعْضِهِمْ لِيُعِينَهُمْ عَلَى بَعْضٍ تَارَةً يَبَرُّونَ قَسَمَهُ وَكَثِيرًا لا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الجِنِّيُّ مُعَظَّمًا عِنْدَهُمْ وَلَيْسَ لِلْمُعَزِّمِ وَعَزِيمَتِهِ مِنَ الحُرْمَةِ مَا يَقْتَضِي إِعَانَتَهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذ كَانَ المُعَزِّمُ قَدْ يَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الَّذِي يُحَلِّفُ غَيْرَهُ وَيُقْسِمُ عَلَيْهِ بِمَنْ يُعَظِّمُهُ، وَهَذَا تَخْتَلِفُ أَحْوَالُهُ فَمَنْ أَقْسَمَ عَلَى النَّاسِ لِيُؤْذُوا مَنْ هُوَ عَظِيمٌ عِنْدَهُمْ لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ.

وَقَدْ يَكُونُ ذَاكَ مَنِيعًا فَأَحْوَالُهُمْ شَبِيهَةٌ بِأَحْوَالِ الإِنْسِ لَكِنَّ الإِنْسَ أَعْقَلُ وَأَصْدَقُ وَأَعْدَلُ وَأَوْفَى بِالعَهْدِ؛ وَالجِنُّ أَجْهَلُ وَأَكْذَبُ وَأَظْلَمُ وَأَغْدَرُ.

وَالمَقْصُودُ أَنَّ أَرْبَابَ العَزَائِمِ مَعَ كَوْنِ عَزَائِمِهِمْ تَشْتَمِلُ عَلَى شِرْكٍ وَكُفْرٍ لا تَجُوزُ العَزِيمَةُ وَالقَسَمُ بِهِ فَهُمْ كَثِيرًا مَا يَعْجِزُونَ عَنْ دَفْعِ الجِنِّيِّ وَكَثِيرًا مَا تَسْخَرُ مِنْهُمُ الجِنُّ إِذَا طَلَبُوا مِنْهُمْ قَتْلَ الجِنِّيِّ الصَّارِعِ لِلْإِنْسِ أَوْ حَبْسَهُ فَيُخَيِّلُوا إِلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَتَلُوهُ أَوْ حَبَسُوهُ وَيَكُونُ ذَلِكَ تَخْيِيلاً وَكَذِبًا، هَذَا إِذَا كَانَ الَّذِي يَرَى مَا يُخَيِّلُونَهُ صَادِقًا فِي الرُّؤْيَةِ؛ فَإِنَّ عَامَّةَ مَا يَعْرِفُونَهُ لِمَنْ يُرِيدُونَ تَعْرِيفَهُ إِمَّا بِالمُكَاشَفَةِ وَالمُخَاطَبَةِ إِنْ كَانَ مِنْ جِنْسِ عِبَادِ المُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الكِتَابِ وَمُبْتَدِعَةِ المُسْلِمِينَ الَّذِينَ تُضِلُّهُمُ الجِنُّ وَالشَّيَاطِينُ، وَأَمَّا مَا يُظْهِرُونَهُ لأَهْلِ العَزَائِمِ وَالأَقْسَامِ أَنَّهُمْ يُمَثِّلُونَ مَا يُرِيدُونَ تَعْرِيفَهُ؛ فَإِذَا رَأَى المِثَالَ أَخْبَرَ عَنْ ذَلِكَ وَقَدْ يَعْرِفُ أَنَّهُ مِثَالٌ وَقَدْ يُوهِمُونَهُ أَنَّهُ نَفْسُ المَرْئِيِّ، وَإِذَا أَرَادُوا سَمَاعَ كَلامِ مَنْ يُنَادِيهِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ مِثْلَ مَنْ يَسْتَغِيثُ بِبَعْضِ العِبَادِ الضَّالِّينَ مِنَ المُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الكِتَابِ وَأَهْلِ الجَهْلِ مِنْ عُبَّادِ المُسْلِمِينَ إِذَا اسْتَغَاثَ بِهِ بَعْضُ مُحِبِّيهِ فَقَالَ: يَا سَيِّدِي فُلانُ فَإِنَّ الجِنِّيَّ يُخَاطِبُهُ بِمِثْلِ صَوْتِ ذَلِكَ الإِنْسِيِّ فَإِذَا رَدَّ الشَّيْخُ عَلَيْهِ الخِطَابَ أَجَابَ ذَلِكَ الإِنْسِيُّ بِمِثْلِ ذَلِكَ الصَّوْتِ وَهَذَا وَقَعَ لِعَدَدٍ كَثِيرٍ أَعْرِفُ مِنْهُمْ طَائِفَةً). [مجموع الفتاوى:١٩/٤٩- ٥٠]

مَسائِلُ فِي السِّحرِ

معنى السِّحر

قالَ الخَلِيلُ بنُ أَحْمَدَ الفَرَاهِيدِيُّ (ت:١٧٠هـ): (السِّحْرُ: كُلُّ مَا كَانَ مِنَ الشَّيطَانِ فيهِ مَعُونَةٌ.

وَالسِّحْرُ: الأُخْذَةُ التي تَأخُذُ العينَ.

وَالسِّحْرُ: البَيانُ فِي الفِطْنَةِ.

والسَّحْرُ: فِعْلُ السِّحْرِ.

وَالسَّحَّارَةُ: شَيءٌ يَلْعَبُ بِهِ الصِّبيانُ إذا مُدَّ خَرَجَ على لَوْنٍ، وَإذا مُدَّ مِن جَانِبٍ آخَرَ خَرَجَ على لونٍ آخَرَ مُخَالِفٍ لِلأوَّلِ، وَمَا أَشْبَهَها فَهُوَ سَحَّارَةٌ). [العين: سحر]

قالَ أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ الأَزْهَرِيُّ (ت: ٣٧٠هـ): (قالَ اللَّيثُ: (السِّحْرُ: عَمَلٌ يُقْرَّبُ فيهِ إِلَى الشَّيطَانِ وَبِمعونةٍ منهُ)، كلُّ ذلكَ الأمرِ كَيْنُونَتُهُ السِّحْرُ.

وَمِنَ السِّحْرِ الأُخْذَةُ الَّتي تَأخُذُ العَينَ حَتَّى تَظُنَّ أنَّ الأمرَ كَمَا تَرَى، وَلَيسَ الأَصْلُ عَلَى مَا تَرَى.

وَفِي الحديثِ أنَّ قيسَ بنَ عاصِمٍ المِنْقَرِيَّ والزِّبرقانَ بن بدرٍ وَعمرَو بنَ الأهتمِ قَدِموا علَى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَ النبيُّ عَمْراً عنِ الزِّبْرقانِ فأثنى عليهِ خيراً، فلم يَرْضَ الزِّبْرقانُ بذلكَ، وَقالَ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ لَيَعْلَمُ أني أفضلُ مِمَّا قالَ، وَلَكِنَّهُ حَسَدَ مَكَانِي مِنكَ؛ فأثنى عَلَيْهِ عَمْرٌو شَرًّا، ثمَّ قالَ: وَاللهِ مَا كَذَبْتُ عليهِ فِي الأُولَى وَلا فِي الآخِرَةِ، وَلَكِنَّهُ أرضانِي فقلتُ بالرِّضا، ثمَّ أسْخَطَنِي فقلتُ بالسُّخْطِ، فقالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْراً».

قالَ أبو عُبيدٍ: كَأَنَّ المعنَى - واللهُ أَعْلَمُ - أنهُ يَبْلُغُ مِن بَيَانِهِ أَنَّهُ يَمْدَحُ الإِنسَانَ فَيُصَدَّقُ فِيهِ حَتَّى يَصْرِفَ القُلوبَ إِلَى قَوْلِهِ، ثمَّ يَذُمُّه فَيُصَدَّقُ فيهِ حتَّى يَصْرِفَ القُلُوبَ إِلَى قَولِهِ الآخَرِ؛ فَكأنهُ قد سَحَرَ السَّامِعِينَ بذلِكَ.

قلتُ: وأصلُ السِّحْرِ صَرْفُ الشَّيءِ عَنْ حَقِيقَتِهِ إِلَى غَيرِهِ.

وَقالَ الفَرَّاءُ فِي قَولِ اللهِ: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٩] مَعْنَاهُ: فأَنَّى تُصرَفون، ومثله: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ٩٥﴾ [الأنعام: ٩٥]، أُفِكَ وسُحِرَ سَواءٌ.

وَأخبرني المُنذريُّ عنِ ابنِ فَهْمٍ عَن مُحَمَّدِ بنِ سَلَّامٍ عَن يُونسَ فِي قولِهِ: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٩] قالَ: تُصْرَفُون.

قالَ يونسُ: تقولُ العربُ للرَّجُلِ: مَا سَحَرَكَ عَن وَجْهِ كَذا وَكَذا، أَي مَا صَرَفَكَ عنه.

وَقالَ شِمْرٌ: قالَ ابنُ عَائِشَةَ: العَرَبُ إِنَّمَا سَمَّتِ السِّحْرَ سِحراً لأنه يُزيلُ الصِّحَّةَ إِلَى المرَضِ، وَإِنَّمَا يُقَالُ: سَحَرَهُ أَي أَزَالَهُ عَنِ البُغْضِ إِلَى الحُبِّ، وقال ابن الكُمَيْت:

وَقَادَ إليها الحُبَّ فانْقادَ صَعْبُه ... بحبٍّ من السِّحْرِ الحَلالِ التَّحَبُّبُ

يُرِيدُ أنَّ غَلَبَةَ حُبِّهَا كَالسِّحْرِ وَلَيْسَ بِهِ، لأنه حُبٌّ حَلالٌ، وَالحَلالُ لا يَكُونُ سِحْرًا، لأنَّ السِّحْرَ فِيهِ كَالخِدْاعِ).
[تهذيب اللغة: سحر]

■ تنبيه

قال أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الجَصَّاصُ (ت: ٣٧٠هـ): (الواجبُ أن نقدِّمَ القولَ فِي السِّحْرِ لخفائِهِ على كثيرٍ من أهلِ العلمِ فضلاً عنِ العامَّةِ، ثمَّ نعقبه بالكلامِ فِي حُكمِه في مقتضَى الآيةِ فِي المعَانِي وَالأحكام.
فنقول: إنَّ أهلَ اللغةِ يذكرونَ أنَّ أَصْلَهُ في اللُّغَةِ لِمَا لَطُفَ وَخَفِيَ سَبَبُهُ). [أحكام القرآن: ١/٥٠]

- **قلت:** (تَوَصَّلَ الجصَّاصُ بهذا التعريفِ إلى إنكارِ حقيقةِ السِّحْرِ على طريقةِ المعتزلةِ، وانظرْ تتمةَ كلامِه فِي مَسْألة: إنكارِ المعتزلةِ للسِّحرِ، وَقَرِيبٌ منهُ قولُ الجوهَرِيِّ صَاحِبِ الصَّحَاح: (وكلُّ ما لَطُفَ مَأْخَذُهُ ودَقَّ فهو سِحْرٌ).

وَقدِ اشتهَرَ تعريفُ الجصَّاصِ بَعْدَ أن ذكرَهُ ابنُ الجوزِيُّ وَغيرُهُ، وأورَدَهُ الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ فِي الفَتحِ ثمَّ تداوَلَهُ بعضُ الشُّرَّاحِ حتَّى راجَ هذا التعريفُ عِندَ بعضِ أهلِ السُّنَّةِ وَأورَدُوهُ فِي بَعْضِ كُتُبهم.

وَهذا التعريفُ لا يُسلَّم؛ فإنَّ لفظَ السِّحْرِ يطلقُ في اللغةِ عَلَى مَعَانٍ مَعْرُوفَةٍ كَمَا ذَكَرَ الخَلِيلُ، وَمِنهَا السِّحْرُ المعرُوفُ الذي هو عُقَدٌ وَرُقًى، وَلا يُحْتَاجُ فِي تَعْرِيفِهِ إلا لِبَيَانِ حَقِيقَتِهِ، وَلِذلكَ لَمَّا أتى الصَّاحِبُ بنُ عَبَّادٍ فِي كِتَابِهِ المحيطُ في اللغَةِ عَلَى مَادَّةِ سَحَرَ قالَ: (السِّحْرُ مَعْرُوفٌ) وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذلِكَ، وَقَالَ ابنُ السِّكِّيتِ فِي إِصْلاحِ المنطِقِ: (السِّحْرُ: الَّذِي يُسْحَرُ بِهِ) وَلَمْ يَزِدْ فِي شَرْحِهِ عَلَى ذلِكَ.

وَعُلَمَاءُ اللغَةِ المتقدِّمينَ لا يزِيدُونَ في بَيَانِ مَعْنَى السِّحْرِ علَى ما تَعْرِفُه العَرَبُ مِن حَقِيقَتِهِ، بَلْ لِوُضُوحِ مَعْنَاهُ يُفَسِّرُونَ بِهِ الألفاظَ الغَرِيبَةَ الَّتِي يُرَادُ بهَا مَعْنَاهُ كالأُخْذَةِ وَالجِبْتِ وَالعِضَهِ وَغَيرِهَا.

وَهَذا التَّعْرِيفُ لا يَسْتَقِيمُ طَرْدًا وَلا عَكْسًا، وَإِن كَانَ قَدْ يَصْدُقُ عَلَى بَعْضِ أَنْوَاعِ السِّحْرِ؛ فَمَا أَكْثَرَ مَا يَلْطُفُ ويخفَى سببُه ولا يُسَمَّى سِحْرًا، فَكَم مِن أنواعِ الحِيَلِ الخَفِيَّةِ وَالمَكْرِ وَالاختلاسِ وَالغِيلَةِ وَالسَّرِقَاتِ الخَفِيَّةِ وَالتَّعرِيضَاتِ وَنَحْوِهَا لا تُسَمَّى سِحرًا، وَفِي المقَابِلِ فَإِنَّ خفاءَ السِّحْرِ أَمْرٌ نِسْبِيٌّ وَلَيْس عَدَمُ خَفَائِهِ بمخرجِهِ عَنِ اسْمِ السِّحْرِ، وَفِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ مَرْفُوعًا: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فقَدْ سَحَرَ».

وَقَدْ أَحسَنَ من عرَّفَهُ مِنَ الفُقَهَاءِ بِأَنَّهُ عُقَدٌ وَرُقًى وَعَزَائِمُ يُتَوَصَّلُ بهَا إِلَى صَرْفٍ وَعَطْفٍ، فَإِنَّهُ قَصَدَ إِلَى بَيَانِ حَقِيقَةِ السِّحْرِ وَأَثرِهِ وَمَا يَكُونُ بِهِ، وَهُوَ مُوافِقٌ لِمَا ذَكَرَهُ أَئِمَّةُ اللغةِ المتقدِّمونَ، بَلْ هُوَ عَيْنُ مَعْنَاهُ فِي لِسَانِ العَرَبِ إذ هُو مَعْهُودٌ لَدَيهِم مشتهِرٌ مَعْروفٌ بأنه عُقَدٌ وَرُقًى، وَلِذلكَ شَواهِد كثيرةٌ تدلُّ على هذا المعنَى، قَالَ المعافَى بنُ زكَرِيَّا: (وَمِنَ العِضَهِ السِّحْرُ، مَا أنشدَنيهِ عُبَيدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ جعفرَ الأزدِيُّ، قالَ: أنشدَنا أحمدُ بنُ يَحْيَى:

أَعُوذُ بربِّي مِنَ النَّافِثَا ... تِ في عُقَدِ العَاضِهِ المُعْضِهِ

وَقَالَ: يَعْنِي بهمَا السَّاحِرَ).
أَحْمَدُ بنُ يَحْيَى هو ثَعْلَبٌ إِمَامُ أَهْلِ اللُّغَةِ، وَقَالَ عُمَرُ بنُ أَبي رَبِيعَةَ:

وَكَـــأَنَّني أُسْـــقَى إذا ذُكِـــرَتْ صـفوَ المـدامِ علـى رُقَـى الـسِّحْرِ

وَقَالَ جَرِيرٌ الخَطَفَى يَهْجُو رَجُلًا بأنَّ بَنَاتِهِ سَحَّارَاتٌ:

نَهَيْـتُ بَنَـاتِ المستَنِيرِ عَـنِ الرُّقَـى وَعَـن مَـشْيِهِنَّ الليـلَ بَـيْنَ المـزَارِعِ

وقَالَ الزُّبَيرُ بنُ بَكَّارٍ فِي (جَمْهَرةِ نَسَبِ قُرَيشٍ): حَدَّثني مُحَمَّدُ بنُ رَاشِدٍ قَالَ: اخْتُلِفَ مَا بَين أَبِي بَكْرِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ مُصْعَبٍ، وَبينَ أَخِيهِ مُصْعَبِ بنِ عبدِ اللهِ، فَدَخَلْتُ يَومًا على مُصْعَبِ بنِ عبدِ اللهِ، فَوَجَدتُهُ يَقُولُ:

أيَــزْعُمُ أقـــوامٌ رمَـــوْهُ بظِنَّـــةٍ بـأن سـوفَ تـأتيني عقاربُـهُ تَـسْرِي

وودّ رجــالٌ لــو تمــادَتْ بنــا الخُطَـى إلى الغَــيِّ أو تُلْقَــى علانيــةً تَجْـرِي

أبــتْ رَحِـــمٌ أطّـــتْ لَنَـــا مُرْجَحِنَّـــةٌ أماني العِدَى وَالكَاشِحَ الحَسِكَ الصَّدْرِ

فقُـلْ لوُشَـاةِ النّـاسِ لـن تُـذْهِبَ الرُّقَـى ولا نافثـاتُ الـسِّحْرِ وُدَّ أبـي بَكْـرِ

وَشَواهِدُ إثباتِ أَنَّ السِّحْرَ عُقَدٌ وَرُقًى مِن كَلامِ العَرَبِ كَثِيرةٌ، وَفِيمَا ذَكَرْتُ كِفَايَةٌ لِلتَّنبيهِ عَلَى المرادِ، وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ على أَنَّ لَهُ حَقِيقَةً وَتَأثِيراً، وَأَنَّهُ مُحَرَّمٌ لا يَجُوزُ، وَسَيَأتِي بَيَانُ ذَلِكَ إن شَاءَ اللهُ تَعَالَى).

قالَ الحُسَينُ بنُ مُحَمَّدٍ الرَّاغِبُ الأَصْفَهَانِيُّ (ت: ق٥ هـ): (سَحَرَ: السَّحْرُ طَرَفُ الحلقُومِ وَالرِّئَةُ، وَقِيلَ: انتَفَخَ سَحْرُهُ، وبعيرٌ سَحِرٌ عَظِيمُ السَّحْرِ، وَالسُّحَارَةُ مَا يُنزَعُ مِنَ السَّحْرِ عِندَ الذَّبحِ فيُرْمَى بِهِ، وَجُعِلَ بنَاؤُه بناءَ النُّفَايَةِ وَالسُّقَاطَةِ، وَقِيلَ: مِنهُ اشتقَّ السِّحر، وَهو إصابةُ السّحر.

وَالسِّحْرُ يُقَالُ على مَعَانٍ:

الأَوَّلُ: الخِدَاعُ وَتَخْيِيلاتٌ لا حَقِيقَةَ لَهَا نحو مَا يَفْعَلُهُ المشَعْبِذُ بصَرْفِ الأبصَارِ عمَّا يفعله لِخِفَّةِ يدٍ، وَمَا يَفْعَلُهُ النَّمَّامُ بقولٍ مُزَخْرَفٍ عَائِقٍ للأسْمَاعِ، وَعَلَى ذلِكَ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ﴾ [الأعراف: ١١٦]، وَقَالَ: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ﴾ [طه: ٦٦]، وَبهذا النَّظَرِ سَمَّوا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ سَاحِرًا فقَالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الزخرف: ٤٩].

وَالثَّانِي: استِجلابُ مُعَاوَنَةِ الشَّيْطَانِ بضَرْبٍ مِنَ التَّقرُّبِ إليهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٢٢٢﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢] وَعَلَى ذلِكَ قولُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وَالثَّالِثُ: مَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ الأَغْتَامُ، وَهُوَ اسْمٌ لِفِعْلٍ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ مِن قُوَّتِهِ يُغَيِّرُ الصُّوَرَ وَالطَّبَائِعَ؛ فَيَجْعَلُ الإنسَانَ حِمارًا، وَلا حَقِيقَةَ لِذَلِكَ عِندَ المحَصِّلِينَ.

وَقَدْ تُصُوِّرَ مِنَ السِّحْرِ تَارَةً حُسْنُه فقِيلَ: إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحرًا، وَتَارَةً دِقَّةُ فِعْلِهِ حَتَّى قَالَتِ الأَطِبَّاءُ: الطَّبِيعَةُ سَاحِرَةٌ، وَسَمَّوا الغِذَاءَ سِحرًا مِن حيثُ إنه يَدِقُّ وَيَلْطُفُ تَأْثِيرُهُ، قالَ تَعَالَى: ﴿بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ١٥﴾ [الحجر: ١٥] أي مَصْرُوفُونَ عَن مَعْرِفَتِنَا بالسِّحْرِ.

وَعَلَى ذلِكَ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ١٥٣﴾ [الشعراء: ١٥٣] قِيلَ: مِمَّن جُعِلَ لَهُ سَحْرٌ تَنبيهًا أَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى الغِذَاءِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧]. وَنَبَّهَ أَنَّهُ بَشَرٌ كَمَا قَالَ: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [الشعراء: ١٥٤] وَقِيلَ: مَعْنَاهُ مِمَّن جُعِلَ لَهُ سِحْرٌ يَتَوَصَّلُ بلُطْفِهِ وَدِقَّتِهِ إِلَى مَا يَأْتِي بِهِ وَيَدَّعِيهِ.

وَعَلَى الوَجْهَينِ حُمِلَ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ٤٧﴾ [الإسراء: ٤٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ١٠١﴾ [الإسراء: ١٠١]، وَعَلَى المعنَى الثاني دَلَّ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ٧﴾ [الأنعام: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ١١٦﴾ [الأعراف: ١١٦]، وَقَالَ: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ٧٧﴾ [يونس: ٧٧] وَقَال: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ٣٨﴾ [الشعراء: ٣٨]، ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ [الشعراء: ٤٦]). [مفردات القرآن:٢٢٥]

قَالَ أبو الفرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (قالَ بعضُ أهلِ العلمِ: السِّحْرُ: اسمٌ لِمَا لَطُفَ وَخَفِيَ سَبَبُهُ، وَالسِّحْرُ أنواعٌ، فَمِنْهُ شَعْبَذَةٌ؛ كَإِيهَامِ سَحَرَةِ فِرعَونَ أَنَّ العِصِيَّ حَيَّاتٌ، وَمِنْهُ عُقَدٌ وَنَفْثٌ وَرُقًى وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَرُبَّمَا أَثَّرَ فِي الماءِ وَالهَوَاءِ.

وَقَالَ ابنُ عَقِيلٍ مِنْ أَصْحَابِنَا: وَلا يُنكَرُ أَنْ يُحدِثَ اللهُ شَيْئًا عَقِيبَ شَيْءٍ مِنْ غَيرِ تَوَلُّدٍ مِن ذلكَ الشَّيْءِ، كَمَا يُحْدِثُ الشفاءَ عِندَ التداوي، وَالجَرَبَ وَالجُذامَ عِندَ مُقَارَبَةِ أَصْحَابِ ذلكَ باطِّرَادِ العَادَةِ لا مِن طَرِيقِ العَدْوَى.

وَقَد نقصَ قومٌ مِن رُتبَةِ السِّحْرِ فَقَالَتِ المعتزلَةُ: لَيسَ السِّحْرُ إلا الشعبَذَةَ وَالدَّهْشَةَ. وَالنَّقلُ الصَّحيحُ يُكَذِّبُهُم؛ فإنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ سُحِرَ حتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أنه يَأتِي أهلَهُ فَيَغْتَسِلُ.

وَقد رفعَهُ قومٌ فجعلُوه زائدًا علَى المعجزاتِ، وَربما تَوهَّمَ جَاهِلٌ أَنَّ السَّاحِرَ يقلِبُ الصُّوَرَ فَيَجْعَلُ المرأةَ طَائِرًا وَنَحْوَ ذلِكَ). [نزهة الأعين النواظر: ٣٥٤]

هل للسحر حقيقة؟

قالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ إبْرَاهِيمَ الإِسْمَاعِيلِيُّ (ت:٣٧١هـ) في اعْتِقَادِ أَئِمَّةِ الحَدِيثِ: (وَيُؤْمِنُونَ بأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الشَّيَاطِينَ تُوَسْوِسُ للآدَمِيِّينَ وَيَخْدَعُونَهُمْ وَيَغُرُّونَهُمْ، وَأَنَّ الشَّيْطَانَ يَتَخَبَّطُ الإِنْسَانَ، وَأَنَّ فِي الدُّنْيَا سِحْرًا وَسَحَرَةً، وَأَنَّ السِّحْرَ وَاسْتِعْمَالَهُ كُفْرٌ مِنْ فَاعِلِهِ مُعْتَقِدًا لَهُ نَافِعًا ضَارًّا بغَيرِ إِذْنِ اللهِ). [اعتقاد أئمة الحديث]

قالَ هِبَةُ اللهِ بنُ الحَسَنِ بن مَنصُورٍ اللالَكَائِيُّ (٤١٨ هـ): (سِيَاقُ مَا رُوِيَ فِي أَنَّ السِّحْرَ لَهُ حَقِيقَةٌ، قالَ اللهُ عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وَقَالَ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ [يونس: ٨٠]، وقال: ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ١١٦﴾ [الأعراف: ١١٦]، وَعَنْ عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَجُنْدَبَ وَعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ أَنَّهُمْ أَمَرُوا بِقَتْلِ السَّاحِرِ). [شرح أصول اعتقاد أهل السنة:٥/ ٣٦٤]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الفَضْلِ التَّيْمِيُّ الأَصْبَهَانِيُّ (ت:٥٣٥هـ): (فَصْلٌ فِي بَيَانِ أَنَّ السِّحْرَ لَهُ حَقِيقَةٌ قالَ اللهُ عزَّ وجَلَّ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] وَقَالَ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ [يونس: ٨٠]. وَقَالَ: ﴿وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ١١٦﴾ [الأعراف: ١١٦].

وَعَنْ عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَجُنْدَبَ وَعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ أَمَرُوا بقَتْلِ السَّاحِرِ). [الحجة في بيان المحجة:٥١٩/١]

قالَ مُحْيِي الدِّين يَحْيَى بنُ شَرَفٍ النَّوَوِيُّ (ت:٦٧٦هـ): (قَالَ الإِمَامُ المَازِرِيُّ رَحِمَهُ اللَّه: مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَجُمْهُورِ عُلَمَاءِ الأمَّةِ عَلَى إِثْبَاتِ السِّحْرِ، وَأَنَّ لَهُ حَقِيقَةً كَحَقِيقَةِ غَيْرِه مِنَ الأَشْيَاءِ الثَّابِتَةِ، خِلافًا لِمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَنَفَى حَقِيقَتَه، وَأَضَافَ مَا يَقَعُ مِنْهُ إِلَى خَيَالاتٍ بَاطِلَة لا حَقَائِقَ لَهَا، وَقَدْ ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِه، وَذَكَرَ أَنَّهُ مِمَّا يُتَعَلَّمُ، وَذَكَرَ مَا فِيهِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ مِمَّا يُكَفَّرُ بِهِ، وَأَنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ المَرْءِ وَزَوْجِه، وَهَذَا كُلُّه لا يُمْكِنُ فِيمَا لا حَقِيقَةَ لَهُ، وَهَذَا الحَدِيثُ [يريدُ حديثَ عائشةَ] أَيْضًا مُصَرَّحٌ بِإِثْبَاتِهِ، وَأَنَّهُ أَشْيَاءُ دُفِنَتْ وَأُخْرِجَتْ، وَهَذَا كُلُّه يُبْطِلُ مَا قَالُوهُ، فَإِحَالَةُ كَوْنِه مِنَ الحَقَائِقِ مُحَالٌ، وَلا يُسْتَنْكَرُ فِي العَقْلِ أَنَّ اللَّه سُبْحَانَه وَتَعَالَى يَخْرِقُ العَادَةَ عِنْدَ النُّطْقِ بِكَلامٍ مُلَفَّقٍ، أَوْ تَرْكِيبِ أَجْسَامٍ، أَوِ المَزْجِ بَيْنَ قُوًى عَلَى تَرْتِيبٍ لا يَعْرِفُهُ إِلا السَّاحِرُ.

وَإِذَا شَاهَدَ الإِنْسَانُ بَعْضَ الأَجْسَامِ مِنْهَا قَاتِلَةٌ كَالسُّمُومِ، وَمِنْهَا مُسْقِمَةٌ كَالأَدْوِيَةِ الحَادَّةِ، وَمِنْهَا مُضِرَّةٌ كَالأَدْوِيَةِ المُضَادَّة لِلْمَرَضِ لَمْ يَسْتَبْعِدْ عَقْلُه أَنْ يَنْفَرِدَ السَّاحِرُ بِعِلْمِ قُوًى قَتَّالَةٍ، أَوْ كَلامٍ مُهْلِكٍ، أَوْ مُؤَدٍّ إِلَى التَّفْرِقَةِ). [شرح صحيح مسلم: ٣٩٦/١٤]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (فَصْلٌ: وقبلَ الشُّروعِ في التفسيرِ نذْكُرُ معنى الحديثِ، وما قِيلَ فيهِ، وما قِيلَ في السِّحْرِ، وما قِيلَ في الرُّقَى

قَوْلُهَا في الحديثِ: إنَّ النبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ سُحِرَ حتَّى كانَ يُخَيَّلُ إليهِ أَنَّهُ يَصْنَعُ الشيءَ ولم يَصْنَعْهُ.

قال الإمامُ المَازِرِيُّ: مَذْهَبُ أهلِ السُّنَّةِ وجمهورِ علماءِ الأُمَّةِ على إِثْبَاتِ السِّحْرِ، وأنَّ لهُ حقيقةً كحقيقةِ غيرِهِ من الأشياءِ الثابتةِ، خِلافاً لمَنْ أنكرَ ذلكَ ونَفَى حَقِيقَتَهُ، وأضافَ ما يَقَعُ منهُ إلى خَيَالاتٍ باطِلَةٍ لا حقائِقَ لها، وقدْ ذكرَهُ اللَّهُ في كتابِهِ، وذكرَ أنَّهُ مِمَّا يُتَعَلَّمُ، وذكرَ ما فيهِ إشارةً إلى أنَّهُ مِمَّا يُكَفَّرُ بِهِ، وأنَّهُ يُفَرِّقُ بينَ المرءِ وزَوْجِهِ، وهذا كُلُّهُ لا يُمْكِنُ أنْ يكونَ مِمَّا لا حقيقةَ لهُ.

وهذا الحديثُ الصحيحُ مُصرَّحٌ بإِثْبَاتِهِ، ولا يُسْتَنْكَرُ في العقلِ أنَّ اللَّهَ تعالى يَخْرِقُ العادةَ عندَ النُّطْقِ بكلامٍ مُلَفَّقٍ أوْ تَرْكِيبِ أجْسَامٍ أو المَزْجِ بينَ قُوًى لا يَعْرِفُهَا إلاَّ الساحرُ، وأنَّهُ لا فاعلَ إلاَّ اللَّهُ تعالى، وما يَقَعُ مِنْ ذلكَ فهوَ عادَةٌ أَجْرَاهَا اللَّهُ تعالى على يَدِ مَنْ يشاءُ مِنْ عِبَادِهِ). [لباب التأويل: ٥٠٠/٤]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ نَاصِرٍ السَّعْدِيُّ (ت: ١٣٧٦هـ): (فهذه السورةُ تَضَمَّنَتْ الاستعاذةَ مِن جميعِ أنواعِ الشرورِ عُمُوماً وخُصوصاً، ودَلَّتْ على أنَّ السِّحرَ له حقيقةٌ، يُخْشَى مِن ضَرَرِهِ، ويُسْتَعَاذُ باللَّهِ مِنه ومِن أهلِه). [تيسير الكريم الرحمن: ٢٠٠١/٤]

إنكار المعتزلة للسحر

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النحَّاسُ (ت: ٣٣٨هـ): (﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الفلق: ٤] جَمْعُ نَفَّاثَةٍ وفي المُكَسَّرِ نَوَافِثُ يقالُ: إِنَّهُنَّ نِساءٌ سَوَاحِرُ كُنَّ في عهدِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ أُمِرَ بالاستعاذةِ مِنْهُنَّ لأَنَّهُنَّ يُوهِمْنَ أنهن يَنْفَعْنَ أو يَضْرُرْنَ فرُبَّما لَحِقَ الإنسانُ في دينِه ما يَأْثَمُ به. فأمَّا السِّحْرُ فباطِلٌ). [إعراب القرآن: ٥/٣١٤]

قالَ أَبو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الجَصَّاصُ (ت: ٣٧٠هـ): (قالَ الله تعالَى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ [البقرة: ١٠٢] ... إلى آخرِ القصةِ.

قالَ أبو بكرٍ: الواجبُ أن نقدِّمَ القولَ فِي السِّحْرِ لخفائِهِ على كثيرٍ من أهلِ العلمِ فضلاً عنِ العامَّةِ، ثمَّ نُعقِّبُه بالكلامِ فِي حُكمِه في مقتضَى الآيةِ فِي المعَانِي وَالأحكام.

فنقولُ: إنَّ أهلَ اللغةِ يذكُرونَ أنَّ أَصْلَهُ في اللُّغةِ لِمَا لَطُفَ وَخَفِيَ سَبَبُهُ، وَالسَّحْرُ عندَهُم بالفتحِ هُو الغِذَاءُ وَلُطْفُ مَجَارِيهِ، قالَ لبيد:

أرانا مُوضِعِينَ لأَمْرِ غَيْبٍ ... وَنُسْحَرُ بالطَّعامِ وَبالشرابِ

قِيلَ فيه وجهانِ: نُعَلَّلُ وَنُخْدَعُ كالمسحورِ وَالمخدُوعِ، وَالآخَرُ نُغْذَى.

وأيَّ الوجهين كان فمعناه الخَفَاءُ.

وقال آخَرُ:

فإنْ تسألينا فيمَ نحن فإننا ... عصافيرُ من هذا الأنامِ المُسَحَّرِ

وهذا البيتُ يَحْتَمِلُ من المعنى ما احتملَه الأوَّلُ أيضا؛ أنه أراد بالمسحَّرِ أنه ذو سَحْرٍ، وَالسَّحْرُ الرئةُ وما يتعلق بالحلقومِ، وهذا يرجعُ إلى معنى الخفاءِ، ومنه قولُ عائشةَ: تُوفِّيَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بين سَحْرِي وَنَحْرِي، وقولُه تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الشعراء: ١٥٣] يعني مِن المخلوقِ الذي يُطْعَمُ وَيُسْقَى، ويدُلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [الشعراء: ١٨٦] وكقولِهِ تعالَى: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

وَيحْتَمِلُ أنه ذو سَحْرٍ مثلُنا، وإنما يذكُر السحرَ في مثلِ هذه المواضِعِ لِضَعْفِ هذه الأجسادِ وَلَطَافَتِهَا وَرِقَّتِهَا، وبها معَ ذلكَ قِوامُ الإِنسَانِ؛ فمن كان بهذه الصِّفَةِ فهو ضَعيفٌ مُحتاجٌ.

وَهذا هو معنى السِّحْرِ في اللغة، ثم نُقِلَ هذا الاسمُ إلى كلِّ أمرٍ خَفِيَ سببُه وَتُخُيِّلَ عَلَى غيرِ حَقيقتِه، وَيَجري مَجرَى التمويهِ وَالخداعِ.

وَمَتى أُطلِقَ ولم يُقَيَّدْ أفادَ ذمَّ فاعِلِه، وَقد أُجْرِيَ مقيَّدًا فيما يُمتدحُ وَيُحمَدُ، رُوِيَ «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا»

- حدثنا عبد الباقي، قال: حدثنا إبراهيمُ الحرَّانيُّ، قال: حدثنا سليمانُ بنُ حربٍ، قال: حدثنا حمادُ بنُ زيدٍ، عن محمدِ بنِ الزبيرِ قال: قدِمَ على رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم الزِّبرقانُ بن بدرٍ وَعمرُو بنُ الأهتمِ

وَقيسُ بنُ عاصِمٍ، فقالَ لِعمْرٍو: «خبِّرني عَن الزِّبرقَان»؛ فقالَ: مُطَاعٌ في نادِيهِ، شَديدُ العَارِضَةِ، مَانِعٌ لِمَا وَرَاءَ ظهرِهِ. فقالَ الزبرقانُ: هو واللهِ يَعْلَمُ أنِّي أفضلُ منه. فقالَ عمرٌو: إنه زَمِر المروءَةِ، ضَيِّقُ العَطَنِ، أَحْمَقُ الأَبِ، لَئِيمُ الخَالِ. يَا رَسُولَ اللهِ صَدَقْتُ فِيهِمَا، أَرْضَانِي فقُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ، وَأَسْخَطَنِي فَقُلْتُ أَسْوَأَ مَا عَلِمْتُ؛ فَقَالَ عَليهِ السَّلامُ: «إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا».

- وَحدَّثنا إبراهيمُ الحرَّانيُّ، قالَ: حدَّثنا مُصعَبُ بنُ عبدِ اللهِ، قالَ: حدَّثنا مالكُ بنُ أَنَسٍ، عن زيدِ بنِ أَسْلَمَ، عَن ابنِ عُمَرَ، قالَ: قَدِمَ رجلانِ فخطَب أحدُهما فعَجِبَ الناسُ لذلكَ فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّمَ: «إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا».

قالَ: وَحدَّثنا مُحمَّدُ بنُ بكرٍ، قالَ: حدَّثنا أبو دَاودَ، قالَ: حدَّثنا مُحمَّدُ بنُ يَحيَى بنِ فارسٍ، قالَ: حدَّثنا سَعيدُ بنُ مُحمَّدٍ، قالَ: حدَّثنا أبو تُمَيْلَةَ، قالَ: حدَّثنا أبو جَعْفَرٍ النحْويُّ عبدُ اللهِ بنُ ثابتٍ، قالَ: حدَّثني صَخْرُ بنُ عبدِ اللهِ بن بُرَيدَةَ، عَن أبيهِ، عن جدِّهِ قالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا، وَإنَّ مِنَ العِلْمِ جَهْلاً، وَإنَّ مِنَ الشِّعْرِ حُكْمًا، وَإنَّ مِنَ القَوْلِ عِيَالاً».

قالَ صَعْصَعَةُ بنُ صُوحانَ: صَدَقَ نبيُّ اللهِ، أَمَّا قولُهُ: «إنَ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا» فالرَّجُلُ يكونُ عليهِ الحقُّ، وهو أَلْحَنُ بالحُجَجِ من صاحبِ الحقِّ؛ فيَسْحَرُ القومَ ببيانِهِ فيَذهَبُ بالحقِّ.

وَأمَّا قولُه: «وَإنَّ مِنَ العِلْمِ جَهْلاً» فيتكلَّفُ العالمُ إلى علمِهِ مَا لا يعلَمُهُ فيجهِّلُهُ ذلكَ.

وَأمَّا قولُه: «إنَّ مِنَ الشِّعْرِ حُكْمًا» فهي هذه الأمثالُ والمواعظُ التي يتَّعِظُ بها الناسُ.

وَأمَّا قولُه: «إنَّ مِنَ القَوْلِ عِيَالاً» فعَرْضُك كلامَك وَحديثَكَ على مَن ليس من شأنهِ ولا يُريدُهُ.

فسمَّى النبيُّ عليهِ السَّلامُ بعضَ البيانِ سِحْرًا لأن صاحبَه يَبْيِنَ أنْ يُنبئَ عن حقٍّ؛ فيوضحُهُ ويُجلِّيهِ بحسنِ بيانِهِ بعدَ أن كَانَ خفيًّا؛ فهذا مِنَ السِّحْرِ الحلالِ الذي أقرَّ النبيُّ عليهِ السَّلامُ عمرَو بنَ الأهتمِ عَلَيْهِ، وَلَمْ يسخَطْهُ منهُ.

وَرُوِيَ أنَّ رَجُلاً تكلَّم بكَلامٍ بليغٍ عندَ عُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ؛ فَقَالَ عُمَرُ: هذا وَاللهِ السِّحْرُ الحَلالُ.

وَبَيْنَ أن يصوِّرَ الباطلَ فِي صُورَةِ الحقِّ ببيانِهِ، وَيَخْدَعَ السَّامِعِينَ بتَمْوِيهِهِ.

وَمَتى أُطلِقَ فهو اسمٌ لكلِّ أمرٍ مُمَوَّهٍ باطلٍ لا حقيقةَ لَه وَلا ثباتَ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦] يعني مَوَّهُوا عليهِم حتى ظنوا أنَّ حبالَهم وعصيَّهم تسعَى، وَقال: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦﴾ [طه: ٦٦]. فأخبرَ أن ما ظنوه سعيًا منهَا لم يكُن سعيًا، وإنما كَان تخييلاً، وَقد قيلَ: إنها كانت عصيًّا مجوَّفة قد مُلِئَت زئبقًا، وَكذلكَ الحبالُ كانت معمولةً من أَدَمٍ محشوَّةً زئبقًا، وقد حَفَرُوا قبلَ ذلك تحتَ المواضِعِ أسرَابًا وجعلُوا آزاجًا وملئوها نارًا؛ فلمَّا طُرِحَت عليهِ وَحَمِيَ الزِّئبقُ حرَّكَهَا لأنَّ من شأنِ الزئبقِ إذا أَصَابتهُ النَّارُ أن يطيرَ؛ فأخبرَ اللهُ أنَّ ذلكَ كانَ مموَّهًا على غيرِ حقيقةٍ.

وَالعَرَبُ تقولُ لِضَرْبٍ من الحَلْيِ: مسحورٌ أي مموَّهٌ على مَن رَآه مسحورةٌ بهِ عينُهُ.

فمَا كانَ مِنَ البيانِ على حقٍّ ويوضحُه فهو من السِّحْرِ الحلالِ، ومَا كَانَ منه مقصُودًا بهِ إلى تمويهٍ وخَدِيعَةٍ وتصويرِ باطِلٍ فِي صُورَةِ الحقِّ فهوَ مِنَ السِّحْرِ المذمُومِ.

فإن قيل: إذا كان موضوعُ السحرِ التمويهَ والإخفاءَ؛ فكيف يجوزُ أن يسمَّى ما يوضحُ الحقَّ وينبئ عنه سِحْرًا، وهو إنما أظهرَ بذلك ما خَفِيَ، ولم يقصدْ به إلى إخفاءِ ما ظَهَرَ، وإظهارِ غيرِ حَقيقتِهِ.

قيلَ له: سُمِّيَ ذلكَ سِحْرًا من حيثُ كانَ الأغلبُ فِي ظنِّ السامعِ أنه لَوْ وَرَدَ عليهِ المعنَى بلفظٍ مُستنكرٍ غيرِ مبينٍ لما صادَف منهُ قبولاً ولا أصغَى إليه، وَمَتَى سَمِعَ المعنَى بعبارَةٍ مقبولةٍ عَذْبَةٍ لا فَسَادَ فيهَا وَلا استنكارَ، وقد تأتَّى له بلفظِهِ وَحُسْنِ بَيَانِهِ بما لا يتأتَّى لهُ الغبيُّ الذي لا بيَانَ لَهُ أصغَى إليهِ وَسَمِعَهُ وَقَبِلَهُ؛ فسمَّى استمالَتَهُ للقلوبِ بهذا الضربِ مِنَ البيانِ سِحْرًا، كَمَا يَسْتَمِيلُ السَّاحِرُ قلوبَ الحاضرينَ إلَى مَا مَوَّهَ به ولبَّسَه؛ فمن هذا الوجهِ سُمِّيَ البيانُ سِحْرًا لا من الوجهِ الذي ظننتَ.

ويجوزُ أن يكونَ إنما سُمِّيَ البيانُ سِحْرًا لأنَّ المقتدِرَ على البيانِ ربما قبَّحَ ببيانِهِ بعضَ ما هو حَسَنٌ، وَحَسَّنَ عندَه بعضَ ما هُو قَبيحٌ؛ فسمَّاه لذلك سِحْرًا، كما سَمَّى ما مَوَّهَ بهِ صاحبُهُ وَأظهرَ على غيرِ حقيقَتِهِ سِحْرًا.

قالَ أبو بكرٍ رَحِمَهُ اللهُ: وَاسمُ السِّحْرِ إنما أُطْلِقَ عَلَى البَيَانِ مَجَازًا لا حَقِيقَةً، وَالحقيقةُ مَا وَصَفنَا، وَلِذلِكَ صَارَ عِندَ الإِطلاقِ يَتَنَاوَلُ كُلَّ أَمْرٍ مُمَوَّهٍ قد قُصِدَ بِهِ الخديعةُ وَالتلبيسُ وَإِظهارُ مَا لا حَقِيقَةَ لَهُ وَلا ثَبَاتَ). [أحكام القرآن: ١/ ٥٠]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت: ٥٣٨هـ): (النَّفَّاثَاتُ: النساءُ أو النفُوسُ أو الجماعاتُ السواحِرُ اللاَّتِي يَعْقِدْنَ عُقَداً في خُيُوطٍ ويَنْفُثْنَ عليها، ويَرْقِينَ.

والنَّفْثُ: النَّفْخُ معَ رِيقٍ، ولا تأثيرَ لذلك، اللَّهُمَّ إلاَّ إذا كانَ ثَمَّ إطعامُ شيءٍ ضارٍّ، أو سَقْيُهُ أو إشمامُه، أو مُبَاشَرَةُ المَسْحورِ به على بعضِ الوجوهِ، ولكنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ قد يَفْعَلُ عندَ ذلك فِعلاً على سبيلِ الامتحانِ الذي يَتَمَيَّزُ به الثبتُ على الحَقِّ مِن الحَشْوِيَّةِ والجَهَلَةِ مِن العوامِّ، فيَنْسِبُهُ الحَشْوِيَّةُ والرَّعَاعُ إليهنَّ، وإلى نَفْثِهِنَّ، والثابتونَ بالقولِ الثابتِ لا يَلْتَفِتُونَ إلى ذلك، ولا يَعْبَؤُونَ به.

فإنْ قُلْتَ: فما مَعْنَى الاستعاذةِ مِن شَرِّهِنَّ؟

قلتُ: فيها ثلاثةُ أوجهٍ:

أحدُها: أنْ يُسْتَعَاذَ مِن عَمَلِهِنَّ الذي هو صَنْعَةُ السِّحْرِ، ومِن إثمِهِنَّ في ذلك.

والثاني: أنْ يُسْتَعَاذَ مِن فِتْنَتِهِنَّ الناسَ بسِحْرِهِنَّ، وما يَخْدَعْنَهُم به مِن باطِلِهِنَّ.

والثالثُ: أنْ يُسْتَعَاذَ مِمَّا يُصِيبُ اللَّهُ به مِن الشرِّ عندَ نَفْثِهِنَّ.

ويَجوزُ أنْ يُرَادَ بهنَّ النساءُ الكَيَّادَاتُ، مِن قولِه: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف: ٢٨]؛ تشبيهاً لكَيْدِهِنَّ بالسحرِ والنفْثِ في العُقَدِ.

أو اللاتي يَفْتِنَّ الرجالَ بتَعَرُّضِهِنَّ لهم ومحاسِنِهِنَّ كأنَّهُنَّ يَسْحَرْنَهُم بذلك). [الكشاف: ٦/ ٤٦٥- ٤٦٦]

قال صَالِحُ بْنُ غُرْمِ اللهِ الغَامِدِيُّ (م): (قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: ٤]

قال الزَّمَخْشَرِيُّ: ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ [الفلق: ٤] النِّساءُ: أو النُّفوسُ، أو الجماعاتُ السَّواحِرُ اللاَّتِي يَعْقِدْنَ عُقَدًا في خُيُوطٍ ويَنْفُثْنَ عليها ويَرْقِينَ، والنَّفْثُ: النَّفْخُ مع رِيقٍ، ولا تَأْثِيرَ لذلك، اللَّهُمَّ إلاَّ إذا كان ثَمَّ إطْعامُ شَيْءٍ ضَارٍّ، أو سَقْيِهِ، أو إشْمامِهِ، أو مُباشَرَةِ المَسْحُورِ به على بَعْضِ الوُجوهِ، ولكِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ قد يَفْعَلُ عند ذلك فِعْلاً على سَبِيلِ الامْتِحانِ الَّذِي يَتَمَيَّزُ به الثَّبتُ على الحَقِّ مِنَ الحَشْوِيَّةِ والجَهلَةِ مِنَ العَوامِّ، فَيَنْسِبُهُ الحَشْوِيَّةُ والرَّعاعُ إلَيْهِنَّ وإلى نَفْثِهِنَّ، والثَّابِتونَ بالقَوْلِ الثَّابِتِ لا يَلْتَفِتونَ إلى ذلك ولا يَعْبَؤُونَ به).

قال ابْنُ المُنَيِّرِ: (وقد تَقَدَّمَ أنَّ قاعِدَةَ القَدَرِيَّةِ إنْكارُ حَقِيقَةِ السِّحْرِ، على أنَّ الكِتابَ والسُّنَّةَ قد وَرَدا بوُقوعِهِ، والأَمْرِ بالتَّعَوُّذِ منه، وقد سُحِرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ في مُشْطٍ ومُشاطَةٍ، في جُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، والحَدِيثُ مَشْهورٌ، وإنَّما الزَّمَخْشَرِيُّ اسْتَفَزَّهُ الهَوَى حتى أَنْكَرَ ما عَرَفَ، وما به إلاَّ أنْ يَتَّبِعَ اعْتِزالَهُ، ويُغَطِّيَ بكَفِّهِ وَجْهَ الغَزالَةِ).

التَّعْلِيقُ:

والأَمْرُ كما ذَكَرَ ابْنُ المُنَيِّرِ، وقد سَبَقَ بَيانُ بُطْلانِ مَذْهَبِ الزَّمَخْشَرِيِّ هذا في غَيْرِ هذا المَوْضِعِ.

عادَ كَلامُ الزَّمَخْشَرِيِّ، قال: (فإنْ قُلْتَ: فما مَعْنَى الاسْتِعاذَةِ مِن شَرِّهِنَّ؟ قُلْتُ: فيها ثَلاثَةُ أَوْجُهٍ: أَحَدُها: أنْ يُسْتَعاذَ مِن عَمَلِهِنَّ الَّذِي هو صَنْعَةُ السِّحْرِ، ومِن إثْمِهِنَّ في ذلك.

والثَّانِي: أنْ يُسْتَعاذَ مِن فِتْنَتِهِنَّ النَّاسَ بسِحْرِهِنَّ، وما يَخْدَعْنَهم به مِن باطِلِهِنَّ.

والثَّالِثُ: أنْ يُسْتَعاذَ مِمَّا يُصِيبُ اللهُ به مِنَ الشَّرِّ عند نَفْثِهِنَّ، ويَجوزُ أنْ يُرادَ بِهِنَّ النِّساءُ الكَيَّاداتُ من قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝٢٨﴾ [يوسف: ٢٨] تَشْبِيهًا لكَيْدِهِنَّ بالسِّحْرِ والنَّفْثِ في العُقَدِ.....)

قال ابْنُ المُنَيِّرِ: (وهذا مِنَ الطِّرازِ الأَوَّلِ فَعَدِّ عَنْهُ جانِبًا، ولو فَسَّرَ غَيْرُهُ النَّفَّاثاتِ في العُقَدِ بالمتخيلاتِ مِنَ النِّساءِ، ولَسْنَ ساحِراتٍ، حتى يَتِمَّ إنْكارُ وُجودِ السِّحْرِ لعَدَّهُ مِن بِدَعِ التَّفاسِيرِ).

التَّعْلِيقُ:

والَّذِي عليه أَهْلُ التَّحْقِيقِ أنَّ المُرَادَ بالنَّفَّاثاتِ هنا الأَرْواحُ والأَنْفُسُ الشِّرِّيرَةُ، لا النِّساءُ النَّفَّاثاتُ؛ لأنَّ السِّحْرَ يَكونُ مِنَ الذُّكورِ والإناثِ.

والسِّحْرُ إنَّما هو من جِهَةِ الأَنْفُسِ الخَبِيثَةِ والأَرْواحِ الشِّرِّيرَةِ، وسُلْطانُهُ إنَّما يَظْهَرُ منها، فلهذا ذُكِرَتِ النَّفَّاثاتُ هنا بلَفْظِ التَّأْنِيثِ دُونَ التَّذْكِيرِ.

والنَّفْثُ فِعْلُ السَّاحِرِ، فإذا تَكَيَّفَتْ نَفْسُهُ بالخُبْثِ والشَّرِّ الَّذِي يُرِيدُهُ بالمَسْحورِ، واسْتَعانَ عليه بالأَرْواحِ الخَبِيثَةِ، نَفَخَ في العُقَدِ الَّتِي يَعْقِدُها نَفْخًا معه رِيقٌ، فيَخْرُجُ مِن نَفْسِهِ الخَبِيثَةِ نَفَسٌ مُمازِجٌ للشَّرِّ والأَذَى، مُقْتَرِنٌ بالرِّيقِ المُمازِجِ لذلك، يُساعِدُهُ في ذلك الرُّوحُ الشَّيْطانِيَّةُ على أَذَى المَسْحورِ، فيَقَعُ فيه السِّحْرُ بإذْنِ اللهِ الكَوْنِيِّ القَدَرِيِّ لا الأَمْرِ الشَّرْعِيِّ الدِّينِيِّ.

وهَذِهِ الآيَةُ مِن أَدِلَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ على أنَّ السِّحْرَ له تَأْثِيرٌ وحَقِيقَةٌ، وقد جَرَى بَيانُ وَجْهِ ذلك في غَيْرِ هذا المَوْضِعِ، واللهُ أَعْلَمُ). [المسائل الاعتزالية في تفسير الكشاف: ٢/١١٢٣- ١١٢٥]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (المسألةُ الثالثةُ: أَنْكَرَت المُعْتَزِلَةُ تَأْثِيرَ السِّحْرِ، وقَدْ تَقَدَّمَتْ هذه المَسْأَلَةُ، ثُمَّ قالُوا: سَبَبُ الاسْتِعَاذَةِ مِن شَرِّهِنَّ لثَلاثَةِ أَوْجُهٍ؛ أحَدُها: أَنْ يُسْتَعَاذَ مِن إِثْمِ عَمَلِهِنَّ في السِّحْرِ، والثاني: أَنْ يُسْتَعاذَ مِن فِتْنَتِهِنَّ النَّاسَ بسِحْرِهِنَّ. والثَالِثُ: أَنْ يُسْتَعاذَ مِن إِطْعَامِهِنَّ الأَطْعِمَةَ الرَّدِيئَةَ المُورِثَةَ للجُنُونِ والموتِ). [التفسير الكبير: ٣٢/١٧٩] (م)

ما مقدار تأثير السحر؟

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (وفي ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: ٤] ثلاثةُ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: أنَّه إيهامٌ للأَذَى وتَخَيُّلٌ للمَرَضِ مِن غيرِ أنْ يَكُونَ له تأثيرٌ في الأَذَى والمَرَضِ، إلاَّ استشعارٌ رُبَّما أَحْزَنَ، أو طعامٌ ضارٌّ رُبَّما نَفَذَ بحِيلةٍ خَفِيَّةٍ.

الثاني: أنَّه قد يُؤْذِي بمَرَضٍ لعارِضٍ يَنْفَصِلُ فيَتَّصِلُ بالمسحورِ فيُؤَثِّرُ فيهِ كتأثيرِ العينِ، وكما يَنْفَصِلُ مِن فَمِ المُتَثَائِبِ ما يُحْدِثُ في المقابِلِ له مِثْلَه.

الثالثُ: أنه قد يكونُ ذلك بمَعونةٍ مِن خَدَمِ الجِنِّ يَمْتَحِنُ اللَّهُ بعْضَ عِبادِهِ). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٦]

قالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (وَأَثَرُهُ تَخْيِيلٌ لـلأَذَى وَالمَـرَضِ، أَوْ يُمْـرِضُ وَيُـؤْذِي لعارِضٍ يَنْفَصِلُ فَيَتَّصِلُ بالمسحورِ، فَيُؤَثِّرُ فيهِ كَتَأْثِيرِ العَيْنِ، وكما يَنْفَصِلُ مِنْ فَمِ المُتَثَائِبِ ما يُحْدِثُ في المُقَابِلِ لـهُ مِثْلَهُ، أَوْ قدْ يَكُونُ ذلكَ بمَعُونَةٍ مِنْ خَدَمِ الجِنِّ يَمْتَحِنُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ بعضَ عِبَادِهِ). [تفسير القرآن: ٣/٥١٠- ٥١١]

قالَ مُحْيِي الدِّين يَحْيَى بنُ شَرَفٍ النَّوَوِيُّ (ت:٦٧٦هـ): (قَالَ المَازِرِيُّ: وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي القَدْرِ الَّذِي يَقَعُ بِهِ السِّحْرِ، وَلَهُمْ فِيهِ اضْطِرَابٌ، فَقَالَ بَعْضُهم: لا يَزِيدُ تَأْثِيرُه عَلَى قَدْرِ التَّفْرِقَةِ بَيْن المَرْءِ وَزَوْجِه؛ لأنَّ اللَّه تَعَالَى إِنَّمَا ذَكَرَ ذَلِكَ تَعْظِيمًا لِمَا يَكُونُ عِنْدَه، وَتَهْوِيلاً بِهِ فِي حَقِّنَا، فَلَوْ وَقَعَ بِهِ أَعْظَمُ مِنْهُ لَذَكَرَهُ؛ لأنَّ المَثَلَ لا يُضْرَبُ عِنْدَ المُبَالَغَةِ إلا بِأَعْلَى أَحْوَالِ المَذْكُورِ.

قَالَ: وَمَذْهَبُ الأَشْعَرِيَّةِ أَنَّهُ يَجُوز أَنْ يَقَعَ بِهِ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ.

قَالَ: وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ عَقْلاً لأَنَّهُ لا فَاعِلَ إلا اللَّهُ تَعَالَى، وَمَا يَقَعُ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ عَادَةٌ أَجْرَاهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَلا تَفْتَرِقُ الأَفْعَالُ فِي ذَلِكَ، وَلَيْس بَعْضُهَا بِأَوْلَى مِنْ بَعْضٍ، وَلَوْ وَرَدَ الشَّرْعُ بِقُصُورِهِ عَنْ مَرْتَبَةٍ لَوَجَبَ المَصِيرُ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ لا يُوجَدُ شَرْعٌ قَاطِعٌ يُوجِبُ الاقْتِصَارَ عَلَى مَا قَالَهُ القَائِلُ الأَوَّلُ، وَذِكْرُ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ فِي الآيَةِ لَيْسَ بِنَصٍّ فِي مَنْعِ الزِّيَادَةِ، وَإِنَّمَا النَّظَرُ فِي أَنَّهُ ظَاهِرٌ أَمْ لا؟). [شرح صحيح مسلم: ١٤/٣٩٧]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (فإنَّ السحرَ يُؤَثِّرُ بإذنِ اللَّهِ تعالى المَرَضَ ويَصِلُ إلى أنْ يَقْتُلَ، فإذا أقرَّ السَّاحِرُ أنَّهُ قتَلَ بسِحْرِهِ وهو مِمَّا يَقْتُلُ غالباً قُتِلَ بذلكَ عندَ الشَّافِعِيِّ، ولا يُنافِي قولَهُ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. كَمَا مَضَى بيانُهُ في المائدةِ). [نظم الدرر: ٦٠٦/٨]

سحر الحيوان

قالَ عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (و(النَّفْثُ): شِبْهُ النَّفْخِ، دونَ تَفْلِ ريقٍ، وهذا النفثُ هو على عُقَدٍ تُعْقَدُ في خُيُوطٍ ونَحْوِها على اسمِ المسحورِ فيُؤْذَى بذلكَ، وهذا الشأنُ في زمانِنا موجودٌ شائعٌ في صحراءِ المغربِ، وحَدَّثَنِي ثِقَةٌ أنه رأى عندَ بعضِهم خيطًا أحمرَ قد عُقِدَتْ فيه عُقَدٌ على فُصْلانٍ، فمُنِعَتْ بذلك رَضَاعَ أُمَّهاتِها، فكانَ إذا حَلَّ عُقْدَةً جَرَى ذلك الفَصِيلُ إلى أُمِّهِ في الحِينِ فرَضَعَ. أعاذَنا اللَّهُ تعالى مِن شرِّ السحرِ، بقُدْرَتِه). [المحرر الوجيز: ٦١٠/١٥]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (وحكَى ابنُ عَطِيَّةَ أنه حَدَّثَه ثِقَةٌ أنه رأى عندَ بعضِ الناسِ بصْحَراءِ المغربِ خَيْطًا أَحْمَرَ قد عُقِدَتْ فيه عُقَدٌ على فُصلانٍ، وهي أولادُ الإبلِ، فمَنَعَها بذلك رَضاعَ أمَّهاتِها، فكان إذا حَلَّ عُقدةً جَرَى ذلك الفَصيلُ إلى أُمِّهِ فرَضَعَ في الحينِ). [التسهيل: ٢٢٥]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وَقالَ ابنُ عَطِيَّةَ: وَهذا النفثُ هوَ على عُقَدٍ تُعْقَدُ في خيوطٍ وَنَحْوِهَا على اسمِ المسحورِ فَيُؤْذَى بذلكَ، وَهذا الشأنُ في زَمَانِنَا موجودٌ شائعٌ في صَحْراءِ المغربِ، وَحَدَّثَنِي ثِقَةٌ أَنَّهُ رَأَى عندَ بعضِهِم خَيْطاً أَحْمَرَ، قدْ عُقِدَتْ فيهِ عُقَدٌ على فُصْلانٍ، فَمُنِعَتْ مِنْ رضاعِ أُمَّهَاتِهَا بذلكَ، فكانَ إذا حَلَّ عُقْدَةً جَرَى ذلكَ الفَصيلُ إلى أُمِّهِ في الحينِ فَرَضَعَ. انْتَهَى). [البحر المحيط: ٧٦٣/٨]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبِيُّ (ت: ٨٧٥ هـ): (قَالَ (ع): وَهَذَا الشأنُ فِي زَمَانِنَا مَوْجُودٌ شَائِعٌ فِي صحراءِ المَغْرِبِ، وَحَدَّثَنِي ثِقَةٌ أَنَّهُ رَأَى عِنْدَ بَعْضِهِمْ خَيْطاً أَحْمَرَ قَدْ عُقِدَتْ فِيهِ عُقَدٌ عَلَى فُصلانٍ، فَمُنِعَتْ بِذَلِكَ رَضَاعَ أُمَّهَاتِهَا، فَكَانَ إِذَا حَلَّ عُقْدَةً جَرَى ذَلِكَ الفَصِيلُ إِلَى أُمِّهِ فِي الحِينِ فَرَضَعَ أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْ شَرِّ السِّحْرِ والسَّحَرَةِ). [الجواهر الحسان: ٦٤١/٥]

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (تنبيهٌ: يَقَعُ تأثيرُ السِّحْرِ على الحيوانِ كما يَقَعُ على الإنسانِ.

قالَ أبو حَيَّانَ: أخْبَرَنِي مَن رأَى في بعْضِ الصَّحْراءِ عندَ البَعْضِ خَيْطاً أحْمَرَ، قد عُقِدَتْ فيه عُقَدٌ على فُصْلانٍ - أي: جَمْع فَصِيلٍ - فمُنِعَتْ مِن رَضاعِ أُمَّهاتِها بذلك، فكانَ إذا حَلَّ عُقْدَةً جَرَى ذلك الفَصِيلُ إلى أُمِّه في الحِينِ فرَضَعَ. اهـ.

كما يَقَعُ الحَسَدُ أيضاً على الحيوانِ، بل وعلى الجَمادِ؛ أي: عينُ العائنِ تُؤَثِّرُ في الحيوانِ والجَمادِ والنباتِ، كما تُؤَثِّرُ في الإنسانِ، على ما سَيأتي إنْ شاءَ اللَّهُ). [تتمة أضواء البيان: ٣٤٢/٩]

الفرق بين خوارق السحرة وآيات الأنبياء وكرامات الأولياء

قالَ مُحْيِي الدِّين يَحْيَى بنُ شَرَفٍ النَّوويُّ (ت:٦٧٦هـ): (قَالَ المَازِرِيُّ: فَإِنْ قِيلَ: إِذَا جَوَّزَتِ الأَشْعَرِيَّةُ خَرْقَ العَادَةِ عَلَى يَدِ السَّاحِرِ، فَبِمَاذَا يَتَمَيَّزُ عَنِ النَّبِيِّ؟ فَالجَوَابُ أَنَّ العَادَةَ تَنْخَرِقُ عَلَى يَدِ النَّبِيِّ وَالوَلِيِّ وَالسَّاحِرِ، لَكِنَّ النَّبِيَّ يَتَحَدَّى بِهَا الخَلْقَ، وَيَسْتَعْجِزُهُمْ عَنْ مِثْلِهَا، وَيُخْبِرُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى بِخَرْقِ العَادَةِ بِهَا لِتَصْدِيقِهِ، فَلَوْ كَانَ كَاذِبًا لَمْ تَنْخَرِقِ العَادَةُ عَلَى يَدَيْهِ، وَلَوْ خَرَقَهَا اللَّهُ عَلَى يَدِ كَاذِبٍ لَخَرَقَهَا عَلَى يَدِ المُعَارِضِينَ لِلأَنْبِيَاءِ.

وَأَمَّا الوَلِيُّ وَالسَّاحِرُ فَلا يَتَحَدَّيَانِ الخَلْقَ، وَلا يَسْتَدِلانِ عَلَى نُبُوَّةٍ، وَلَوِ ادَّعَيَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لَمْ تَنْخَرِقِ العَادَةُ لَهَا.

وَأَمَّا الفَرْقُ بَيْنَ الوَلِيِّ وَالسَّاحِرِ فَمِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: وَهُوَ المَشْهُورُ، إِجْمَاعُ المُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ السِّحْرَ لا يَظْهَرُ إِلا عَلَى فَاسِقٍ، وَالكَرَامَةَ لا تَظْهَرُ عَلَى فَاسِقٍ، وَإِنَّمَا تَظْهَرُ عَلَى وَلِيٍّ، وَبِهَذَا جَزَمَ إِمَامُ الحَرَمَيْنِ وَأَبُو سَعْدٍ المُتَوَلِّي وَغَيْرُهُمَا.

وَالثَّانِي: أَنَّ السِّحْرَ قَدْ يَكُونُ نَاشِئًا بِفِعْلِهَا وَبِمَزْجِهَا وَمُعَانَاةٍ وَعِلاجٍ، وَالكَرَامَةُ لا تَفْتَقِرُ إِلَى ذَلِكَ. وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الأَوْقَاتِ يَقَعُ ذَلِكَ اتِّفَاقًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَدْعِيَه أَوْ يَشْعُرَ بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ). [شرح صحيح مسلم: ١٤/٣٩٧- ٣٩٨]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ الحَلِيمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وَمِنَ النَّاسِ مَن فرَّقَ بينَ مُعجزاتِ الأنبياءِ وكَرَاماتِ الأَولياءِ بفروقٍ ضَعيفةٍ، مثلُ قولِهم: الكَرامةُ يُخْفِيهَا صَاحبُهَا، أَو: الكَرَامَةُ لا يُتَحَدَّى بها، وَمِنَ الكَرَامَاتِ مَا أَظْهرَهَا أَصحابُها كإِظْهَارِ العَلاءِ بنِ الحَضْرَمِيِّ المشيَ على الماءِ وإِظْهارِ عُمَرَ مخاطبةَ سَارِيةَ عَلَى المنبرِ وَإِظهارِ أبي مُسلمٍ لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ أَنَّهَا صارَتْ عَلَيهِ بَرْدًا وَسَلامًا، وهذا بخلافِ من يَدْخُلُهَا بالشَّياطِينِ فإنَّه قَدْ يُطْفِئُها إلا أَنَّها لا تَصِيرُ عَلَيهِ بردًا وَسَلامًا، وَإِطْفَاءُ النَّارِ مَقْدُورٌ للإنسِ والجنِّ.

ومنها مَا يتحدَّى بهَا صَاحبُهَا أَنَّ دِينَ الإِسْلامِ حَقٌّ كَمَا فَعَلَ خَالدُ بنُ الوَليدِ لَمَّا شَرِبَ السُّمَّ وَكالغُلامِ الَّذِي أَتَى الرَّاهِبَ وَتَرَكَ السَّاحِرَ، وأَمَرَ بِقَتْلِ نَفْسِهِ بسَهْمِهِ باسْمِ رَبِّهِ، وَكَانَ قَبلَ ذَلِكَ قَدْ خُرِقَتْ لَهُ العَادَةُ فَلَمْ يَتمكَّنُوا من قَتْلِهِ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ؛ فَيُقَالُ: المَراتِبُ ثَلاثَةٌ: آياتُ الأنبياءِ، ثُمَّ كَرامَاتُ الصَّالحينَ، ثُمَّ خَوارِقُ الكُفَّارِ وَالفُجَّارِ كَالسَّحَرَةِ وَالكُهَّانِ وَمَا يَحْصُلُ لِبَعْضِ المشركينَ وَأَهْلِ الكِتَابِ والضُّلَّالِ مِنَ المسْلِمينَ، أَمَّا الصَّالِحُونَ الَّذين يَدْعُونَ إِلَى طَرِيقِ الأَنبياءِ - لا يَخْرُجُونَ عَنْهَا- فَتِلكَ خَوارِقُهُمْ مِن مُعْجِزَاتِ الأَنْبِيَاءِ؛ فَإِنَّهُم يَقُولُونَ: نَحْنُ إِنَّمَا حَصَلَ لَنَا هَذَا باتِّبَاعِ الأَنبياءِ، وَلَو لَمْ نَتَّبِعْهُم لَمْ يَحصُلْ لَنا هَذَا؛ فَهَؤُلاءِ إِذَا قُدِّرَ أَنَّهُ جَرَى عَلَى يَدِ أَحدِهِمْ مَا هُوَ مِن جِنسِ مَا جَرَى لِلأَنبياءِ كَمَا صَارَتِ النَّارُ بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى أَبي مُسْلِمٍ كَمَا صَارَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَكَمَا يُكْثِرُ اللهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ لِكَثِيرٍ مِنَ الصَّالِحينَ كَمَا جَرَى فِي بَعْضِ المَواطِنِ لِلنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَوْ إِحْيَاءِ اللهِ مَيِّتًا لِبَعْضِ الصَّالِحينَ كَمَا أَحْيَاهُ لِلأَنبياءِ، وَهِيَ أَيْضًا مِن مُعْجِزَاتِهِم بمنزلَةِ مَا تَقَدَّمَهُم مِنَ الإِرْهَاصِ، وَمَعَ هَذَا فَالأَوْلياءُ دُونَ الأَنبياءِ والمُرْسَلينَ فَلا تَبْلُغُ كَرَامَاتُ أَحَدٍ قطُّ مِثْلَ مُعْجِزَاتِ المُرْسَلينَ، كَمَا أَنَّهُمْ لا يَبْلُغُونَ فِي الفَضيلَةِ وَالثَّوَابِ إِلَى دَرَجَاتِهِم وَلَكِنَّهُم قَدْ يُشَارِكُونَهُم فِي بَعْضِهَا كَمَا قَدْ يُشَارِكُونَهُم فِي بَعْضِ أَعْمَالِهِمْ.

وكَرامَاتُ الصَّالِحينَ تَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ الدِّينِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، لا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الوَلِيَّ مَعْصُومٌ، ولا عَلَى أَنَّهُ تَجِبُ طَاعَتُهُ فِي كُلِّ مَا يَقُولُهُ.

وَمِنْ هُنَا ضَلَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِنَ النَّصَارَى وغيرِهِم؛ فَإِنَّ الحَوارِيِّينَ وغيرَهُم كَانَتْ لَهُمْ كَرَامَاتٌ كَمَا تَكُونُ الكَرَامَاتُ لِصَالِحِي هذِهِ الأُمَّةِ فَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ عِصْمَتَهُم كَمَا يَسْتَلْزِمُ عِصْمَةَ الأَنْبِياءِ؛ فَصَارُوا يُوجِبُونَ مُوَافَقَتَهُم فِي كُلِّ مَا يَقُولُونَ، وَهَذَا غَلَطٌ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ وَجَبَ قَبُولُ كُلِّ مَا يَقُولُ لِكَونِهِ نَبِيًّا ادَّعَى النُّبُوَّةَ، وَدَلَّتِ المعجِزَةُ عَلَى صِدْقِهِ، وَالنَّبِيُّ مَعْصُومٌ.

وَهُنَا المعجِزَةُ مَا دَلَّتْ عَلَى النُّبُوَّةِ بَلْ عَلَى مُتَابَعَةِ النَّبِيِّ وَصِحَّةِ دِينِ النَّبِيِّ؛ فَلا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ هَذَا التَّابِعُ مَعْصُومًا. وَلَكِنَّ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى الفُرْقَانِ الفَرْقُ بينَ الأَنبياءِ وَأَتْبَاعِهِم وَبينَ مَنْ خَالَفَهُمْ مِن الكُفَّارِ وَالفُجَّارِ كَالسَّحَرَةِ وَالكُهَّانِ وَغَيْرِهِمْ حَتَّى يَظْهَرَ الفَرْقُ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ وَبَيْنَ مَا يَكُونُ دَلِيلاً عَلَى صِدْقِ صَاحِبِهِ كَمُدَّعِي النُّبُوَّةِ وَبينَ مَا لا يَكُونُ دَلِيلاً عَلَى صِدْقِ صَاحِبِهِ؛ فَإِنَّ الدَّلِيلَ لا يَكُونُ دَلِيلاً حَتَّى يَكُونَ مُسْتَلْزِمًا لِلْمَدْلُولِ مَتَى وُجِدَ وُجِدَ المدْلُولُ، وَإِلا فَإِذَا وُجِدَ تَارَةً مَعَ وُجُودِ المدْلُولِ وَتَارَةً مَعَ عَدَمِهِ فَلَيْس بدَلِيلٍ؛ فَآيَاتُ الأَنبياءِ وَبَراهِينُهُم لا تُوجَدُ إِلاَّ مَعَ النُّبَوَّةِ، وَلا تُوجَدُ مَعَ مَا يُنَاقِضُ النُّبُوَّةَ، وَمُدَّعِي النُّبُوَّةِ إِمَّا صَادِقٌ وَإِمَّا كَاذِبٌ، وَالكَذِبُ يُنَاقِضُ النُّبُوَّةَ؛ فَلا يَجُوزُ أَنْ يُوجَدَ مَعَ المنَاقِضِ لَهَا مِثْلُ مَا يُوجَدُ مَعَهَا، وَلَيْسَ هُنَا شَيْءٌ مُخَالِفٌ لَهَا وَلا مُنَاقِضٌ؛ فَإِنَّ الكُفْرَ وَالسِّحْرَ وَالكَهَانَةَ كُلُّ ذَلِكَ يُنَاقِضُ النُّبُوَّةَ، لا يَجْتَمِعُ هُوَ وَالنُّبُوَّةُ.

وَالنَّاس رَجُلانِ: رَجُلٌ مُوافِقٌ لَهُمْ، وَرجُلٌ مُخَالِفٌ لَهُم، فَالمخَالِفُ مناقِضٌ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَيُقَالُ: جِنْسُ آياتِ الأَنبياءِ خَارِجَةٌ عَنْ مَقْدُورِ البَشَرِ، بَلْ وَعَنْ مَقْدُورِ جِنسِ الحيَوانِ، وَأَمَّا خَوارِقُ مُخَالِفِيهِمْ كَالسَّحَرَةِ وَالكُهَّانِ فَإِنَّهَا مِن جنسِ أَفْعَالِ الحَيوَانِ مِنَ الإِنسِ وَغيرِهِ مِنَ الحَيوَانِ وَالجِنِّ، مِثْلُ قَتْلِ السَّاحِرِ وَتَمْرِيضِهِ لِغيرِهِ؛ فَهَذَا أَمْرٌ مَقْدُورٌ مَعْرُوفٌ لِلنَّاسِ بالسِّحْرِ وَغيرِ السِّحْرِ، وَكَذَلِكَ رُكُوبُ المِكْنَسَةِ أَو الخَابِيَةِ وَغيرِ ذَلِكَ حَتَّى تَطِيرَ بِهِ، وَطَيَرَانُهُ فِي الهوَاءِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ هَذَا فِعْلٌ مَقْدُورٌ لِلْحَيوَانِ، فَإِنَّ الطَّيْرَ يَفْعَلُ ذَلِكَ وَالجِنَّ تَفْعَلُ ذَلِكَ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ أَنَّ العِفْرِيتَ قَالَ لِسُلَيمَانَ: أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَقَامِكَ، وَهَذَا تَصَرُّفٌ فِي أَعْرَاضِ الحَيِّ؛ فَإِنَّ المَوْتَ وَالمرَضَ وَالحركَةَ أَعْرَاضٌ، وَالحَيوَانُ يَقْبَلُ فِي العَادَةِ مِثْلَ هَذِهِ الأَعْرَاضِ، لَيْسَ فِي هَذَا قَلْبُ جِنْسٍ إِلَى جِنْسٍ، وَلا فِي هَذَا مَا يَخْتَصُّ الرَّبُّ بالقُدْرَةِ عَلَيْهِ وَلا مَا تَخْتَصُّ بِهِ المَلائِكَةُ، وَكَذَلِكَ إِحْضَارُ مَا يُحْضَرُ مِن طَعَامٍ أَوْ نَفَقَةٍ أَوْ ثِيَابٍ أَوْ غَيرِ ذَلِكَ مِنَ الغَيْبِ، وَهذَا إِنَّما هُوَ نَقْلُ مَالٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَهَذَا تَفْعَلُهُ الإِنْسُ وَالجِنُّ لَكِنِ الجِنُّ تَفْعَلُهُ وَالنَّاسُ لا يُبْصِرُونَ ذَلِكَ، وَهذَا بِخِلافِ كَوْنِ الماءِ القَلِيلِ نَفْسِهِ يَفِيضُ حَتَّى يَصِيرَ كَثِيرًا بِأَنْ يَنْبُعَ مِن بَينِ الأَصَابِعِ مِنْ غَيرِ زِيَادَةٍ يُزَادُهَا؛ فَهَذَا لا يَقْدِرُ عَلَيهِ إِنْسِيٌّ وَلا جِنِّيٌّ. [النبوات:٤- ٥]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ الحَلِيمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وَالآيَاتُ الخَارِقَةُ جِنسَانِ: جِنْسٌ فِي نَوْعِ العِلْمِ، وَجِنْسٌ فِي نَوْعِ القُدْرَةِ؛ فَمَا اخْتَصَّ بِهِ النَّبِيُّ مِنَ العِلْمِ خَارِجٌ عَن قُدْرَةِ الإِنْسِ وَالجِنِّ، ومَا اخْتَصَّ بِهِ مِنَ المقْدُورَاتِ خَارِجٌ عَنْ قُدْرَةِ الإِنْسِ وَالجِنِّ). [النبوات:٦]

قال أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ الحَلِيمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وكَوْنُ الآيَةِ خَارِقَةً للعَادَةِ أَوْ غَيرَ خَارِقَةٍ هُوَ وَصفٌ لَم يَصِفْهُ القُرْآنُ وَالحَدِيثُ وَلا السَّلَفُ، وَقَدْ بَيَّنَّا فِي غَيرِ هَذَا المَوْضِعِ أَنَّ هَذَا وَصفٌ لا يَنضَبِطُ، وَهُوَ عَدِيمُ التَّأْثِيرِ؛ فَإِنَّ نَفْسَ النُّبوَّةِ مُعْتَادَةٌ لِلأَنبِياءِ خَارِقَةٌ للعَادَةِ بالنِّسْبَةِ إِلَى غَيرِهِمْ، إِنَّ كَوْنَ الشَّخْصِ يُخْبِرُهُ اللهُ بالغَيْبِ خَبرًا مَعْصُومًا هَذَا مُخْتَصٌّ بهِم ولَيْسَ هَذَا مَوْجُودًا لِغَيرِهِمْ، فَضْلاً عَنْ كَوْنِهِ مُعْتَادًا؛ فَآيَةُ النَّبيِّ لا بُدَّ أَنْ تَكُونَ خَارِقَةً للعَادَةِ، بِمَعْنَى أَنَّهَا لَيْستْ مُعْتَادَةً لِلآدَمِيِّينَ، وَذَلِكَ لأَنَّهَا حِينَئِذٍ لا تَكُونُ مُخْتَصَّةً بالنَّبيِّ، بَلْ مُشْتَركَةً، وبِهَذَا احْتَجُّوا عَلَى أَنَّهُ لا بُدَّ أَنْ تَكُونَ خَارِقَةً لِلْعَادَةِ، لَكِنْ لَيْسَ فِي هَذَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ خَارِقٍ آيَةٌ، فَالكَهَانَةُ وَالسِّحْرُ هُو مُعْتَادٌ للسَّحَرَةِ وَالكُهَّانِ، وَهُوَ خَارِقٌ بالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِمْ، كَمَا أَنَّ مَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ الطِّبِّ وَالنُّجُومِ وَالفِقْهِ وَالنَّحْوِ هُوَ مُعْتَادٌ لِنُظَرَائِهِمْ، وَهُوَ خَارِقٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِمْ، وَلِهَذَا إِذَا أَخْبَرَ الحَاسِبُ بِوَقْتِ الكُسُوفِ وَالخُسُوفِ تَعَجَّبَ النَّاسُ إِذَا كَانُوا لا يَعْرِفُونَ طَرِيقَهُ). [النبوات:١٣]

قالَ عَلِيُّ بنُ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي العِزِّ الحَنَفِيُّ (ت:٧٩٢هـ): (وَالطَّرِيقَةُ المَشْهُورَةُ عِنْدَ أَهْلِ الكَلامِ وَالنَّظَرِ، تَقْرِيرُ نُبُوَّةِ الأَنْبِيَاءِ بِالْمُعْجِزَاتِ، لَكِنْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ لا يَعْرِفُ نُبُوَّةَ الأَنْبِيَاءِ إِلا بِالْمُعْجِزَاتِ، وَقَرَّرُوا ذَلِكَ بِطُرُقٍ مُضْطَرِبَةٍ، وَالتَزَمَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِنْكَارَ خَرْقِ العَادَاتِ لِغَيْرِ الأَنْبِيَاءِ، حَتَّى أَنْكَرُوا كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ وَالسِّحْرَ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَلا رَيْبَ أَنَّ الْمُعْجِزَاتِ دَلِيلٌ صَحِيحٌ، لَكِنَّ الدَّلِيلَ غَيْرُ مَحْصُورٍ فِي الْمُعْجِزَاتِ، فَإِنَّ النُّبُوَّةَ إِنَّمَا يَدَّعِيهَا أَصْدَقُ الصَّادِقِينَ أَوْ أَكْذَبُ الكَاذِبِينَ، وَلا يَلْتَبِسُ هَذَا بِهَذَا إِلا عَلَى أَجْهَلِ الجَاهِلِينَ. بَلْ قَرَائِنُ أَحْوَالِهِمَا تُعْرِبُ عَنْهُمَا، وَتُعَرِّفُ بِهِمَا، وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَ الصَّادِقِ وَالكَاذِبِ لَهُ طُرُقٌ كَثِيرَةٌ فِيمَا دُونَ دَعْوَى النُّبُوَّةِ، فَكَيْفَ بِدَعْوَى النُّبُوَّةِ؟!

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ حَسَّانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ ... كَانَتْ بَدِيهَتُهُ تَأْتِيكَ بِالخَبَرِ

وَمَا مِنْ أَحَدٍ ادَّعَى النُّبُوَّةَ مِنَ الكَذَّابِينَ إِلا وَقَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ مِنَ الجَهْلِ وَالكَذِبِ وَالفُجُورِ وَاسْتِحْوَاذِ الشَّيَاطِينِ عَلَيْهِ - مَا ظَهَرَ لِمَنْ لَهُ أَدْنَى تَمْيِيزٍ؛ فَإِنَّ الرَّسُولَ لا بُدَّ أَنْ يُخْبِرَ النَّاسَ بِأُمُورٍ وَيَأْمُرَهُمْ بِأُمُورٍ، وَلا بُدَّ أَنْ يَفْعَلَ أُمُورًا [يُبَيِّنُ بِهَا صِدْقَهُ]. وَالكَاذِبُ يَظْهَرُ فِي نَفْسِ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيُخْبِرُ عَنْهُ وَمَا يَفْعَلُهُ مَا يَبِينُ بِهِ كَذِبُهُ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ، وَالصَّادِقُ ضِدُّهُ، بَلْ كُلُّ شَخْصَيْنِ ادَّعَيَا أَمْرًا: أَحَدُهُمَا صَادِقٌ وَالآخَرُ كَاذِبٌ لا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ صِدْقُ هَذَا وَكَذِبُ هَذَا، وَلَوْ بَعْدَ مُدَّةٍ، إِذِ الصِّدْقُ مُسْتَلْزِمٌ لِلْبِرِّ، وَالكَذِبُ مُسْتَلْزِمٌ لِلْفُجُورِ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ؛ فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا».

ولِهذَا قالَ تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٢١- ٢٢٦].

فَالكُهَّانُ وَنحوُهُمْ، وإِنْ كانُوا أَحْيَانًا يُخْبِرُونَ بِشَيْءٍ مِنَ الغَيْبيَّاتِ، وَيكُونُ صِدْقًا، فَمَعَهُمْ مِنَ الكَذِبِ وَالفُجُورِ مَا يُبيِّنُ أَنَّ الَّذِي يُخْبِرُونَ بِهِ لَيسَ عَنْ مَلَكٍ، وَلَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، وَلِهذَا لَمَّا قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابْنِ صَيَّادٍ: قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا، فقَالَ: هُوَ الدُّخُّ. قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ ».

يَعْنِي: إِنَّمَا أَنْتَ كَاهِنٌ.

وَقَدْ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ. وَقَالَ: أَرَى عَرْشًا عَلَى المَاءِ، وَذَلِكَ هُوَ عَرْشُ الشَّيْطَانِ. وَبيَّنَ أَنَّ الشُّعَرَاءَ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ، وَالغَاوِي: الَّذِي يَتَّبِعُ هَوَاهُ وَشَهْوَتَهُ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مُضِرًّا لَهُ فِي العَاقِبَةِ.

فَمَنْ عَرَفَ الرَّسُولَ وَصِدْقَهُ وَوَفَاءَهُ وَمُطَابَقَةَ قَوْلِهِ لِعَمَلِهِ - عَلِمَ عِلْمًا يَقِينًا أَنَّهُ لَيْسَ بِشَاعِرٍ وَلا كَاهِنٍ.

وَالنَّاسُ يُمَيِّزُونَ بَيْنَ الصَّادِقِ وَالكَاذِبِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الأَدِلَّةِ، حَتَّى فِي المُدَّعِي لِلصِّنَاعَاتِ وَالمَقَالاتِ، كَمَنْ يَدَّعِي الفِلاحَةَ وَالنِّسَاجَةَ وَالكِتَابَةَ، وَعِلْمَ النَّحْوِ وَالطِّبِّ وَالفِقْهِ وَغَيْرَ ذَلِكَ.

وَالنُّبُوَّةُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى عُلُومٍ وَأَعْمَالٍ لا بُدَّ أَنْ يَتَّصِفَ الرَّسُولُ بِهَا، وَهِيَ أَشْرَفُ العُلُومِ وَأَشْرَفُ الأَعْمَالِ. فَكَيْفَ يَشْتَبِهُ الصَّادِقُ فِيهَا بِالكَاذِبِ؟ وَلا رَيْبَ أَنَّ المُحَقِّقِينَ عَلَى أَنَّ خَبَرَ الوَاحِدِ وَالاثْنَيْنِ وَالثَّلاثَةِ: قَدْ يَقْتَرِنُ بِهِ مِنَ القَرَائِنِ مَا يَحْصُلُ مَعَهُ العِلْمُ الضَّرُورِيُّ، كَمَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ رِضَى الرَّجُلِ وَحُبَّهُ وَبُغْضَهُ وَفَرَحَهُ وَحُزْنَهُ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا فِي نَفْسِهِ، بِأُمُورٍ تَظْهَرُ عَلَى وَجْهِهِ، قَدْ لا يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عَنْهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ [محمد: ٣٠].

وَقَدْ قِيلَ: مَا أَسَرَّ أَحَدٌ سَرِيرَةً إِلا أَظْهَرَهَا اللَّهُ عَلَى صَفَحَاتِ وَجْهِهِ وَفَلَتَاتِ لِسَانِهِ.

فَإِذَا كَانَ صِدْقُ المُخْبِرِ وَكَذِبُهُ يُعْلَمُ بِمَا يَقْتَرِنُ مِنَ القَرَائِنِ، فَكَيْفَ بِدَعْوَى المُدَّعِي أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، كَيْفَ يَخْفَى صِدْقُ هَذَا مِنْ كَذِبِهِ؟ وَكَيْفَ لا يَتَمَيَّزُ الصَّادِقُ فِي ذَلِكَ مِنَ الكَاذِبِ بِوُجُوهٍ مِنَ الأَدِلَّةِ؟

وَلِهَذَا لَمَّا كَانَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَعْلَمُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ الصَّادِقُ البَارُّ، قَالَ لَهَا لَمَّا جَاءَهُ الوَحْيُ:

« إِنِّي قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي ». فَقَالَتْ: كَلاَّ وَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ.

فَهُوَ لَمْ يَخَفْ مِنْ تَعَمُّدِ الكَذِبِ، فَهُوَ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ يَكْذِبْ، وَإِنَّمَا خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَرَضَ لَهُ عَارِضُ سُوءٍ، وَهُوَ المَقَامُ الثَّانِي، فَذَكَرَتْ خَدِيجَةُ مَا يَنْفِي هَذَا، وَهُوَ مَا كَانَ مَجْبُولاً عَلَيْهِ مِنَ

مَكَارِمِ الأَخْلاقِ وَمَحَاسِنِ الشِّيَمِ، وَقَدْ عُلِمَ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ أَنَّ مَنْ جَبَلَهُ عَلَى الأَخْلاقِ المَحْمُودَةِ وَنَزَّهَهُ عَنِ الأَخْلاقِ المَذْمُومَةِ فَإِنَّهُ لا يُخْزِيهِ.

وَكَذَلِكَ قَالَ النَّجَاشِيُّ لَمَّا اسْتَخْبَرَهُمْ عَمَّا يُخْبِرُ بِهِ وَاسْتَقْرَأَهُمُ القُرْآنَ فَقَرَؤُوا عَلَيْهِ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ. وَكَذَلِكَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ، لَمَّا أَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا رَآهُ، وَكَانَ وَرَقَةُ قَدْ تَنَصَّرَ، وَكَانَ يَكْتُبُ الإِنْجِيلَ بِالعَرَبِيَّةِ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيْ عَمِّ، اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ مَا يَقُولُ، فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا رَأَى فَقَالَ: هَذَا هُوَ النَّامُوسُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى). [شرح الطحاوية:١/١٧٩]

كيف يتم السحر؟

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (وقَلَّمَا يَتَأَتَّى السحْرُ بدُونِ نوعِ عِبادةٍ للشيطانِ وتَقَرُّبٍ إليه: إمَّا بِذَبْحٍ باسمِه، أو بِذَبْحٍ يَقْصِدُه به هو، فيكونُ ذَبْحًا لغيرِ اللهِ، وبغيرِ ذلك من أنواعِ الشرْكِ والفُسوقِ، والساحرُ وإن لم يُسَمِّ هذه عِبادةً للشيطانِ فهو عِبادةٌ له، وإن سَمَّاه بما سَمَّاهُ به، فإنَّ الشرْكَ والكُفْرَ هو شِرْكٌ وكُفْرٌ لِحَقيقتِه ومعناه لا لاسمِه ولفْظِه، فمَن سَجَدَ لمخلوقٍ وقالَ: ليس هذا بسجودٍ له، هذا خُضوعٌ، وتقبيلُ الأرضِ بالجَبْهَةِ كما أُقَبِّلُها بالنِّعَمِ، أو هذا إكرامٌ؛ لم يَخْرُجْ بهذه الألفاظِ عن كونِه سُجُودًا لغيرِ اللهِ فلْيُسَمِّه بما شاءَ.

وكذلك مَن ذَبحَ للشيطانِ ودَعاهُ واستعاذَ به وتَقَرَّبَ إليه بما يُحِبُّ فقد عَبَدَه، وإن لم يُسَمِّ ذلك عِبادةً، بل يُسَمِّيهِ استخدامًا ما، وصَدَقَ هو استخدامٌ من الشيطانِ له فيَصيرُ من خَدَمِ الشيطانِ وعَابِدِيهِ، وبذلك يَخْدُمُه الشيطانُ، لكنَّ خِدْمَةَ الشيطانِ له ليست خِدْمَةَ عِبادةٍ، فإنَّ الشيطانَ لا يَخْضَعُ له ويَعْبُدُه كما يَفعَلُ هو به.

والمقصودُ أنَّ هذا عِبادةٌ منه للشيطانِ، وإنما سَمَّاه استخدامًا؛ قالَ تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠﴾ [يس: ٦٠] وقالَ تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١] فهؤلاءِ وأَشباهُهم عُبَّادُ الجِنِّ والشياطينِ، وهم أولياؤُهم في الدنيا والآخِرَةِ، ولَبِئْسَ المَوْلَى ولَبِئْسَ العَشِيرُ، فهذا أَحَدُ النوعينِ.

والنوعُ الثاني: مَن يُعينُه الشيطانُ وإن لم يَسْتَعِنْ به، وهو الحاسِدُ لأنه نائبُه وخَليفتُه؛ لأنَّ كِلَيْهِما عَدُوٌّ نِعَمِ اللهِ ومُنَغِّصُها على عِبادِه). [بدائع الفوائد: ٢/٢٣٥- ٢٣٦]

الترهيب من عمل السحر وتعلمه

قلت: (فِي التَّرْهِيبِ مِن تَعلُّمِ السِّحْرِ وعَملِهِ آياتٌ عَظِيمَةٌ فِيهَا أَبلَغُ الزَّجْرِ عَن هَذَا العَملِ القَبيحِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: ١٠٢]. وقال: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٩]، وقال: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يونس: ٧٧]).

حديث أبي هريرة

قالَ مُحمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيُّ (ت:٢٥٦هـ): (حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي الغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟

قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاتِ»). [صحيح البخاري/ كتاب الوصايا]

قالَ مُحيي الدِّين يَحيَى بنُ شَرَفٍ النَّوَوِيُّ (ت:٦٧٦هـ): (وَأَمَّا الموبقَاتُ فَهِيَ المُهْلِكَاتُ، يُقَالُ: وَبَقَ الرَّجُلُ - بفَتْحِ البَاءِ- يَبِقُ - بكَسْرِهَا- ووُبِقَ - بضَمِّ الوَاوِ وكَسْرِ البَاءِ- يُوبَقُ، إذَا هَلَكَ، وَأَوْبَقَ غَيْرَهُ أَيْ أَهْلَكَهُ). [شرح صحيح مسلم:]

- **قلت:** (هذا الحديثُ رواه البخاريُّ ومسلمٌ وأبو داود والنَّسائيُّ وأبو عوانة والطحاويُّ وابنُ حِبانَ وابنُ أبي عاصمٍ في كتابِ الجهادِ والبيهقيُّ، كلُّهم من طُرُقٍ عن سليمانَ بنِ بلالٍ عن ثورِ بنِ زيدٍ عن أبي الغيثِ عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه به).

حديث آخر لأبي هريرة

قال أحمدُ بنُ شُعيبٍ النَّسائيُّ (ت:٣٠٣هـ): (أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ مَيْسَرَةَ المِنْقَرِيُّ، عَنِ الحَسَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»). [السنن الكبرى: برقم ٣٥٤٢]

قلت: (هذا الحديثُ رواه النسائيُّ فِي السُّنَنِ الكُبرَى وَالصُّغرَى وَابنُ عديٍّ والطبرانيُّ في الأوسطِ كلُّهم من طريقِ عبادِ بنِ ميسرةَ المِنْقَريِّ عن الحسنِ عن أبي هريرةَ به.

وَسماعُ الحسنِ من أبي هريرةَ مختلفٌ فيه، والصَّحيحُ أنه سمع منه أحاديثَ فقد صحَّ عنه التصريحُ بالسماعِ.

وعبادٌ ضعَّفه أحمدُ، وقالَ يَحيى بنُ مَعينٍ: لا بأسَ به، وقال ابنُ عَدِيٍّ: هو ممن يُكتَبُ حديثُه.

وَقَدْ رَوَى عبدُ الرزاقِ عن أبانٍ عن الحسنِ نحوَه مرسلاً، ولفظُه: « مَنْ عَقَد عُقْدَةً فِيهَا رُقْيَةٌ فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ عَلَّقَ عُلْقَةً وُكِلَ إِلَيْهَا » .

وأبانُ هو ابنُ أبي عياشٍ، متروكُ الحديثِ.

قال ابنُ حجرٍ: حكى الخليليُّ في الإرشادِ بسندٍ صحيحٍ أن أحمدَ قالَ ليحيى بنِ مَعينٍ وهو يكتُبُ عن عبدِ الرزاقِ عن معمرٍ عن أبانٍ نسخةً: تكتُبُ هذه وأنت تعلَمُ أن أبانَ كذابٌ؟

فقال: يرحمُكَ اللهُ يا أبا عبدِ اللهِ، أكتبُها وأحفظُها حتى إذا جاء كذابٌ يرويها عن معمرٍ عن ثابتٍ عن أنسٍ أقولُ له: كذبت إنما هو أبانُ).

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (وقد رَوَى الحَسَنُ عن أبي هُريرةَ عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أنه قال: ((مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ)). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٥- ٣٧٦]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وروَى النَّسَائِيُّ عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا، فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ))). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٨] (م)

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا، فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ))). [اللباب: ٢٠/٥٧٣]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ النسائيُّ وَابْنُ مَرْدُويَهْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، فَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ)). [الدر المنثور: ١٥/٨٠١]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ وَابنُ مَرْدُويَه عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ))). [فتح القدير: ٥/٧٦٠]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وَأَخْرَجَ النسائيُّ وَابنُ مَرْدُوَيْهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ))). [فتح البيان: ١٥/٤٦١] (م)

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْن عَاشُور (ت: ١٣٩٣هـ): (والعُقَدُ: جَمْعُ عُقْدَةٍ، وهي ربْطٌ في خَيْطٍ أو وَتَرٍ يَزعُمُ السحَرَةُ أنَّ سِحْرَ المَسحورِ يَستَمِرُّ ما دامَتْ تلك العُقدةُ مَعقودةً، ولذلك يَخافونَ مِن حَلِّها، فيَدْفِنُونَها أو يُخَبِّئُونَها في مَحَلٍّ لا يُهتَدَى إليه). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٨]

مرسل صفوان بن سليم

قالَ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت:٢١١هـ): (عَنْ إبراهيمَ، عن صَفْوانَ بنِ سُليمٍ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ تَعَلَّمَ شَيْئًا مِنَ السِّحْرِ قَلِيلاً أَوْ كَثِيرًا كَانَ آخِرَ عَهْدِهِ مِنَ اللهِ »). [مصنف عبد الرزاق:١/١٧٩]

عقوبة الساحر

حديث جندب بن كعب

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عِيسَى بنِ سَوْرَةَ التِّرْمِذِيُّ (ت: ٢٧٩هـ): (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنِ الحَسَنِ، عَنْ جُنْدُبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ ».
قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ لا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إِلا مِنْ هَذَا الوَجْهِ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ مُسْلِمٍ المَكِّيُّ يُضَعَّفُ فِي الحَدِيثِ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ مُسْلِمٍ العَبْدِيُّ البَصْرِيُّ قَالَ وَكِيعٌ: هُوَ ثِقَةٌ. وَيُرْوَى عَنِ الحَسَنِ أَيْضًا، وَالصَّحِيحُ عَنْ جُنْدُبٍ مَوْقُوفٌ، وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَيْرِهِمْ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ. وقَالَ الشَّافِعِيُّ: إِنَّمَا يُقْتَلُ السَّاحِرُ إِذَا كَانَ يَعْمَلُ فِي سِحْرِهِ مَا يَبْلُغُ بِهِ الكُفْرَ، فَإِذَا عَمِلَ عَمَلاً دُونَ الكُفْرِ فَلَمْ نَرَ عَلَيْهِ قَتْلاً). [سنن الترمذي: ٥/٣٨٣]

- **قلت**: (هذا الحديثُ رواه التِّرمذيُّ والدارَقطنيُّ وأبو نُعيمٍ الأصبهانيُّ وابنُ أبي عاصمٍ والحاكِمُ والبيهقيُّ وغيرُهم من طُرُقٍ عن إسماعيلَ بنِ مسلمٍ عن الحسنِ عن جُنْدُبِ الخيرِ مرفوعاً به.
قال الترمذيُّ في العِلَلِ: (سألتُ محمداً - يعني البُخاريَّ - عن هذا الحديثِ فقال: هذا لا شيءَ، وإنما رواه إسماعيلُ بنُ مسلمٍ، وضعَّف إسماعيلَ بنَ مسلمٍ المكيَّ جدًّا).
قلتُ: وقد رواه عبدُ الرزاقِ عن إسماعيلَ عن الحسنِ مرسلاً.
وقد صحَّ عن جندبٍ أنه قتَل ساحراً في الكُوفةِ، وسيأتي خبرُه إن شاء اللهُ).

قتل جندب بن كعب ساحراً لدى الوليد بن عقبة

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أَبِي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرِّبٍ؛ أَنَّ جُنْدَبًا قَتَلَ سَاحِرًا، أَوْ أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَهُ). [مصنف ابن أبي شيبة:١٠/١٣٥]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ الحَاكِمُ النَّيسابُورِيُّ (ت: ٤٠٥هـ): (أخبرَنا أبو عبدِ الرَّحمنِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أبي الوزيرِ التَّاجرُ، أنبأَ أبو حاتمٍ محمَّدُ بنُ إدريسَ الحَنْظَلِيُّ بالرِّيِّ، ثنَا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ الأنصاريُّ، ثنَا الأشعثُ بنُ عبدِ الملكِ، عن الحسنِ، أنَّ أميراً من أمراءِ الكوفةِ دعا ساحراً يلعَبُ بينَ يدي النَّاسِ فبُلِّغَ جندبٌ، فأقبلَ بسيفِهِ واشتملَ عليهِ، فلمَّا رآهُ ضربَهُ بسيفِهِ، فتفرَّقَ النَّاسُ عنه، فقالَ: أيُّها النَّاسُ، لن تُراعُوا، إنَّما أردتُ السَّاحرَ. فأخذَهُ الأميرُ فحبسَهُ، فبلغَ ذلك عثمانَ فقالَ: بئسَ ما صنعَا، لم يكنْ ينبغِي لهذا وهو إمامٌ يُؤتَمُّ بهِ يدعُو ساحراً يلعَبُ بينَ يديهِ، ولا ينبغِي لهذا أنْ يعاتِبَ أميرَهُ بالسَّيفِ). [المستدرك: ٤/٤٠١]

- **قلت**: (قال الألبانيُّ في السلسلةِ الضعيفةِ (٦٤٢/٣): (أخرجه الدارقطنيُّ وعنه البيهقيُّ وابنُ عساكرَ في تاريخِ دِمَشقَ (١/١٩/٤ و٢) من طرقٍ عن هُشيمٍ به، وهذا إسنادٌ صحيحٌ موقوفٌ، صرح فيه هُشيمٌ بالتحديثِ.

وله طريقٌ أخرى عند البيهقيِّ عن ابنِ وهبٍ: أخبرني ابنُ لَهيعةَ عن أبي الأسودِ، أن الوليدَ بنَ عُقبةَ كان بالعراقِ يلعَبُ بين يديه ساحرٌ، وكان يضرِبُ رأسَ الرجلِ، ثم يَصيحُ به فيقومُ خارجًا، فيرتدُّ إليه رأسُه، فقال الناسُ: سبحانَ اللهِ، يُحيي الموتى ! ورآه رجلٌ من صالحِ المهاجرينَ، فنظر إليه، فلما كان من الغدِ، اشتمل على سيفِهِ فذهب يلعَبُ لعبَه ذلك، فاخترط الرجلُ سيفَه فضرب عُنُقَه، فقال : إن كان صادقًا فَلْيُحْي نفسَه ! وأمر به الوليدُ ديناراً صاحبَ السجنِ - وكان رجلا صالحا- فسجنه، فأعجبه نَحْوُ الرجلِ، فقال : أتستطيعُ أن تهرُبَ؟ قال: نعم، قال: فاخرُجْ لا يسألُني اللهُ عنك أبداً".

قلتُ: وهذا إسنادٌ صحيحٌ إن كان أبو الأسودِ أدرك القصةَ فإنه تابعيٌّ صغيرٌ، واسمُه محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ نوفلٍ يتيمُ عُروةَ). اهـ باختصارٍ).

ما رُوي عن عمر بن الخطاب في قتل السحَرَة

حديث بَجالة بن عبدة العنبري

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ (ت:٢٠٤هـ): (أخبرنا سُفْيَانُ عن عَمْرِو بن دِينَارٍ أَنَّهُ سمع بَجَالَةَ يقول: كَتَبَ عُمَرُ أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ ؛ فَقَتَلْنَا ثَلاثَ سَوَاحِرَ). [الأم:٢٥٥/١]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أَبي شَيبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرٍو، سَمِعَ بَجَالَةَ يَقُولُ : كُنْتُ كَاتِبًا لِجَزْءِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَأَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ. قَالَ : فَقَتَلْنَا ثَلاثَ سَوَاحِرَ). [مصنف ابن أبي شيبة:١٣٦/١٠]

قالَ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت:٢١١هـ): (عنِ ابنِ جُرَيْجٍ قالَ: أخبرَنِي عَمْرُو بنُ دينارٍ أَنَّ عُمَرَ بنَ الخطَّابِ كَتَبَ إِلَى جَزْءِ بنِ مُعَاوِيةَ عَمِّ الأحنفِ بنِ قيسٍ وكَانَ عَامِلاً لِعُمَرَ أَنِ اقْتُلْ كُلَّ سَاحِرٍ، وَكَانَ بَجَالَةُ كَاتِبَ جَزْءٍ. قَالَ بَجَالةُ: فَأَرْسَلنَا فَوجَدْنَا ثَلاثَ سَواحِرَ فَضَرَبْنَا أَعْنَاقَهُنَّ). [مصنف عبد الرزاق:١٧٩/١٠]

قالَ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت:٢١١هـ): (عن مَعْمَرٍ وابنِ عُيينةَ عنْ عَمْرِو بنِ دِينارٍ قَالَ: سَمِعْتُ بَجالةَ يُحَدِّثُ أَبا الشَّعْثَاءِ وَعَمْرَو بنَ أَوْسٍ عِنْدَ صُفَّةِ زَمْزَمَ فِي إِمارةِ مُصعبِ بنِ الزُّبيرِ، قَالَ: كُنْتُ كَاتِبًا لِجَزْءٍ عَمِّ الأَحنفِ بنِ قَيْسٍ، فَأَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةٍ: اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَ كُلِّ ذِي مَحْرَمٍ مِنَ المجوسِ وَانْهَهُمْ عَنِ الزَّمْزَمَةِ. فَقَتَلْنَا ثَلاثَ سَواحِرَ.

قال: وَصَنَعَ طَعَامًا كَثِيرًا وَأَعْرَضَ السَّيْفَ ثُمَّ دَعَا المجوسَ، فَأَلْقَوا قَدْرَ بَغْلٍ أَوْ بَغْلَينِ مِنَ ورِقِ أَخِلَّةٍ كَانُوا يَأْكُلُونَ بِهَا، وَأَكَلُوا بغَيرِ زَمْزَمَةٍ.

قال: وَلَمْ يَكُنْ عُمَرُ أَخَذَ مِنَ المجوسِ الجِزْيَةَ حَتَّى شَهِدَ عَبْدُ الرَّحمنِ بنُ عَوفٍ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَهَا مِن مجوسِ أَهْلِ هَجَرَ). [مصنف عبد الرزاق:١/١٧٩]

- **قلت:** (قال ابن الأثير: (الزَّمزمةُ: كلامٌ يقولونه عند أكْلِهم بصَوتٍ خَفِيٍّ).

وقالَ أيضاً: (وفي حديث عُمرَ والمجوسِ (فألْقَوْا وِقرَ بَغْلٍ أو بَغْلَيْنِ من الوَرِق) الوِقْرُ بكسرِ الواوِ: الحِمْلُ، وأكثرُ ما يُستَعْمَلُ في حِمْلِ البَغْلِ والحِمارِ، يريدُ حِملَ بَغْلٍ أو بَغْلينِ أخِلَّةً من الفِضَّةِ كانوا يأكُلون بها الطَّعامَ فأعطَوْها لِيُمكَّنوا من عَادَتِهِمْ في الزَّمْزَمَةِ)).

أثر آخر عن عمر

قالَ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت:٢١١هـ): (عن عبدِ الرَّحمنِ، عَن المُثَنَّى، عَن عمرِو بنِ شُعَيْبٍ، عَنِ ابنِ المُسَيَّبِ، أَنَّ عُمَرَ بنَ الخطَّابِ أَخَذَ سَاحِراً فَدَفَنَهُ إِلَى صَدْرِهِ ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى مَاتَ). [مصنف عبد الرزاق:١/١٨٢]

أثر حفصة وابن عمر

قالَ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت:٢١١هـ): (عَنْ عَبْدِ اللهِ أو عُبَيدِ اللهِ بنِ عُمرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابنِ عُمَرَ، أَنَّ جَارِيَةً لِحَفْصَةَ سَحَرَتْهَا وَاعْتَرَفَتْ بذَلِكَ، فَأَمَرَتْ بها عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ زَيْدٍ فَقَتَلَهَا، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا عُثْمَانُ، فَقَالَ ابنُ عُمَرَ: مَا تُنْكِرُ عَلَى أُمِّ المؤْمِنِينَ مِن امْرَأَةٍ سَحَرَتْ وَاعْتَرَفَتْ؟ فَسَكَتَ عُثْمَانُ). [مصنف عبد الرزاق:١/١٧٩]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أَبي شَيبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، عَن نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ جَارِيَةً لِحَفْصَةَ سَحَرَتْهَا، وَوَجَدُوا سِحْرَهَا، وَاعْتَرَفَتْ، فَأَمَرَت عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ زَيْدٍ فَقَتَلَهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُثْمَانَ فَأَنْكَرَهُ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، فَأَتَاهُ ابْنُ عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهَا سَحَرَتْهَا، وَوَجَدُوا سِحْرَهَا، وَاعْتَرَفَتْ بِهِ، فَكَأَنَّ عُثْمَانَ إِنَّمَا أَنْكَرَ ذَلِكَ لأَنَّهَا قُتِلَتْ بِغَيْرِ إِذْنِهِ). [مصنف ابن أبي شيبة:١٠/١٣٥]

أثر قيس بن سعد بن عبادة

قالَ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت:٢١١هـ): (عنِ ابنِ عُيينةَ، عن عمرِو بنِ دِينَارٍ، عَن سَالِمِ بنِ أَبي الجَعْدِ، أَنَّ سَعْدَ بنَ قَيْسٍ - أَوْ قَيْسَ بنَ سَعْدٍ- قَتَلَ سَاحِرًا). [مصنف عبد الرزاق:١/١٧٩]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أَبي شَيبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ عبادٍ؛ أَنَّهُ قَتَلَ سَاحِرًا). [مصنف ابن أبي شيبة:١٠/١٣٥]

- **قلتُ:** (هكَذَا فِي الأَصْلِ وَهُوَ خَطَأٌ، وَصَوابُه قَيْسُ بنُ سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ، قَالَ ابنُ عبدِ البَرِّ فِي الاستِذْكَارِ: رَوَى ابنُ عُيَيْنَةَ عَن سَالِمِ بنِ الجَعْدِ عَنِ ابنِ دِينَارٍ أَنَّ قَيْسَ بنَ سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ كَانَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرَ؛ فَكَانَ سِرُّهُ يَفْشُو، فَشَقَّ ذَلكَ عليهِ، وَقالَ: مَا هَذا؟

فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَاهُنا رَجُلاً ساحِرًا. فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَسَأَلَه فَقَالَ: إِنَّا لا نَعْلَمُ مَا فِي الكِتَابِ حَتَّى يُفْتَحَ، فَإِذَا فُتِحَ عَلِمْنَا مَا فِيهِ؛ فَأَمَرَ بِهِ قَيْسٌ فَقُتِلَ).

■ أثر عمر بن عبد العزيز

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أَبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ يَحْيَى، أَنَّ عَامِلَ عمانَ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ فِي سَاحِرَةٍ أَخَذَهَا، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: إِنِ اعْتَرَفَتْ، أَوْ قَامَتْ عَلَيْهَا البَيِّنَةُ، فَاقْتُلْهَا). [مصنف ابن أبي شيبة:١٠/١٣٥]

■ أثر سعيد بن المسيب

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أَبي شَيبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا الثَّقَفِيُّ، عَنِ الْمُثَنَّى، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ؛ فِي السَّاحِرِ إِذَا اعْتَرَفَ قُتِلَ). [مصنف ابن أبي شيبة:١٠/١٣٦]

■ أثر الحسن البصري

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أَبي شَيبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَشْعَثُ، عَنِ الحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: يُقْتَلُ السُّحَّارُ، وَلا يُسْتَتَابُونَ). [مصنف ابن أبي شيبة:١٠/١٣٥]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أَبي شَيبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ عَمْرٍو، عَنِ الحَسَنِ فِي السَّاحِرِ، قَالَ: يُقْتَلُ). [مصنف ابن أبي شيبة:١٠/١٣٥]

■ أثر سنان بن سلمة

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أَبي شَيبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ زَيْدٍ أَبِي الْمُعَلَّى، قَالَ: حدَّثَنِي شُرْطِيٌّ لِسِنَانِ بْنِ سَلَمَةَ؛ أَنَّ سِنَانًا أُتِيَ بِسَاحِرَةٍ، فَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى فِي البَحْرِ). [مصنف ابن أبي شيبة:١٠/١٣٥]

- **قلتُ**: (سِنَانُ بنُ سَلَمَةَ بنِ المحبِّقِ الهُذَلِيُّ، وُلِدَ يَوْمَ حُنَينٍ، وَسَمَّاهُ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ، وكَانَ مِنَ الأَبْطَالِ، تَوَلَّى إِمْرَةَ البَحْرَينِ، واسْتَعْمَلَهُ زِيَادٌ عَلى غَزْوِ الهِنْدِ زَمَنَ مُعَاوِيَةَ).

■ هل يُقتل سَحَرة أهل الذمة؟

قالَ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت:٢١١هـ): (أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابنِ الْمُسَيَّبِ وَعُرْوَةَ بنِ الزُّبَيرِ، أَنَّ يَهُودَ بَنِي زُرَيْقٍ سَحَرُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يُذْكَرْ أَنَّهُ قَتَلَ مِنْهُمْ أَحَداً). [مصنف عبد الرزاق:١/٣٦٩]

قالَ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت:٢١١هـ): (أخبرَنا ابنُ جُرَيجٍ، عَنْ إسماعِيلَ ويعقوبَ وغيرِهِمَا، قَالُوا: لا يُقْتَلُ سَاحِرُهُمْ، وَهُو أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ صُنِعَ بِهِ بَعْضُ ذَلِكَ فَلَمْ يَقْتُلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبَهُ، وكَانَ مِنْ أَهْلِ العَهْدِ.

وخَبَرُ جَزْءِ بنِ مُعَاوِيَةَ فِي كِتَابِ عُمَرَ إِلَيْهِ أَنْ يَقْتُلَ كُلَّ سَاحِرٍ.

وَخَبَرُ جُنْدَبٍ حِينَ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: يَضْرِبُ ضَرْبَةً يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ). [مصنف عبد الرزاق:١/٣٦٩]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيُّ (ت:٢٥٦هـ): (بابٌ: هَلْ يُعْفَى عَنِ الذِّمِّيِّ إِذَا سَحَرَ؟ وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، سُئِلَ: أَعَلَى مَنْ سَحَرَ مِنْ أَهْلِ العَهْدِ قَتْلٌ؟ قَالَ بَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلَّمَ قَدْ صُنِعَ لَهُ ذَلِكَ، فَلَمْ يَقْتُلْ مَنْ صَنَعَهُ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ). [صحيح البخاري/كتاب الجزية]

■ أقوال العلماء

قالَ مَالِكُ بنُ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ الأَصْبَحِيُّ (ت:١٧٩هـ): (السَّاحِرُ الَّذِي يَعْمَلُ السِّحْرَ وَلَمْ يَعْمَلْ ذَلِكَ لَهُ غَيْرُهُ هُوَ مَثَلُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] فَأَرَى أَنْ يُقْتَلَ، ذَلِكَ إِذَا عَمِلَ ذَلِكَ هُوَ نَفْسُهُ). [الموطأ: ٢/٨٧٢]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ (ت:٢٠٤هـ): (وَالسِّحْرُ اسْمٌ جَامِعٌ لِمَعَانٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَيُقَالُ لِلسَّاحِرِ: صِفِ السِّحْرَ الذي تَسْحَرُ بِهِ؛ فَإِنْ كانَ ما يَسْحَرُ بِهِ كَلامَ كُفْرٍ صَرِيحٍ اسْتُتِيبَ منه، فَإِنْ تَابَ وَإِلاَّ قُتِلَ وَأُخِذَ مَالُهُ فَيْئًا.

وَإِنْ كان ما يَسْحَرُ بِهِ كَلامًا لا يَكُونُ كُفْرًا، وكانَ غيرَ مَعْرُوفٍ، ولم يَضُرَّ بِهِ أَحَدًا نُهِيَ عَنْهُ، فَإِنْ عَادَ عُزِّرَ.

وَإِنْ كانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَضُرُّ بِهِ أَحدًا من غَيْرِ قَتْلٍ فَعَمَدَ أَنْ يَعْمَلَهُ عُزِّرَ.

وَإِنْ كان يَعْمَلُ عَمَلاً إذا عَمِلَهُ قُتِلَ المَعْمُولُ بِهِ، وقال: عَمَدْتُ قَتْلَهُ قُتِلَ بِهِ قَوَدًا، إلاَّ أَنْ يَشَاءَ أَوْلِيَاؤُهُ أَنْ يَأْخُذُوا دِيَتَهُ حَالَّةً في مَالِهِ.

وَإِنْ قال: إِنَّمَا أَعْمَلُ بهذا لأَقْتُلَ، فَيُخْطِئُ القَتْلَ وَيُصِيبُ، وقد مَاتَ مِمَّا عَمِلْتُ بِهِ؛ فَفِيهِ الدِّيَةُ وَلا قَوَدَ.

وَإِنْ قال: قد سَحَرْتُهُ سِحْرًا مَرِضَ منه ولم يَمُتْ منه، أَقْسَمَ أَوْلِيَاؤُهُ لَمَاتَ من ذلك العَمَلِ، وَكَانَتْ لهم الدِّيَةُ، وَلا قَوَدَ لهم.

وَلا يُغْنَمُ مَالُ السَّاحِرِ إلا في أَنْ يَكُونَ السِّحْرُ كُفْرًا مُصَرَّحًا.

وَأَمْرُ عُمَرَ أَنْ يُقْتَلَ السُّحَّارُ عِنْدَنَا وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ إنْ كان السِّحْرُ كما وَصَفْنَا شِرْكًا، وَكَذَلِكَ أَمْرُ حَفْصَةَ، وَأَمَّا بَيْعُ عَائِشَةَ الجَارِيَةَ ولم تَأْمُرْ بِقَتْلِهَا فَيُشْبِهُ أَنْ تَكُونَ لم تَعْرِفْ ما السِّحْرُ فَبَاعَتْهَا لأَنَّ لها بَيْعَهَا عِنْدَنَا، وَإِنْ لم تَسْحَرْهَا، وَلَوْ أَقَرَّتْ عِنْدَ عَائِشَةَ أَنَّ السِّحْرَ شِرْكٌ ما تَرَكَتْ قَتْلَهَا إنْ لم تَتُبْ أو دَفَعَتْهَا إِلَى الإِمَامِ لِيَقْتُلَهَا إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَحَدِيثُ عَائِشَةَ عن النبيِّ صلى اللَّهُ عليه وسلم على أَحَدِ هذه المَعَانِي عِنْدَنَا، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ). [الأم:١/٢٥٥- ٢٥٦]

قالَ إسْمَاعِيلُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الفَضْلِ التَّيْمِيُّ الأَصْبَهَانِيُّ (ت:٥٣٥هـ): (ويَلْزَمُ السَّاحِرَ مِنَ العُقوبَةِ مَا يَلْزَمُ سَائِرَ الجُنَاةِ بِجِنَايَاتِهِمْ). [الحجة في بيان المحجة: ١/٥١٩]

قالَ مُحْيِي الدِّينِ يَحْيَى بنُ شَرَفٍ النَّوَوِيُّ (ت:٦٧٦هـ): (وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَسْأَلَةِ مِنْ فُرُوعِ الفِقْهِ فَعَمَلُ السِّحْرِ حَرَامٌ، وَهُوَ مِنَ الكَبَائِرِ بِالإِجْمَاعِ، وَقَدْ سَبَقَ فِي كِتَابِ الإِيمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَدَّهُ مِنَ السَّبْعِ الْمُوبِقَاتِ، وَسَبَقَ هُنَاكَ شَرْحُه، وَمُخْتَصَرُ ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ كُفْرًا، وَقَدْ لا يَكُونُ كُفْرًا، بَلْ مَعْصِيَتُه كَبِيرَةٌ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ قَوْلٌ أَوْ فِعْلٌ يَقْتَضِي الكُفْرَ كَفَرَ، وَإِلاَّ فَلا.

وَأَمَّا تَعَلُّمُه وَتَعْلِيمُه فَحَرَامٌ، فَإِنْ تَضَمَّنَ مَا يَقْتَضِي الكُفْرَ كَفَرَ، وَإِلا فَلا.

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا يَقْتَضِي الكُفْرَ عُزِّرَ، وَاسْتُتِيبَ مِنْهُ، وَلا يُقْتَلُ عِنْدَنَا، فَإِنْ تَابَ قُبِلَتْ تَوْبَتُه.

وَقَالَ مَالِكٌ: السَّاحِرُ كَافِرٌ، يُقْتَلُ بِالسِّحْرِ، وَلا يُسْتَتَابُ، وَلا تُقْبَلُ تَوْبَتُه، بَلْ يَتَحَتَّمُ قَتْلُه.

وَالْمَسْأَلَةُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الخِلافِ فِي قَبُولِ تَوْبَةِ الزِّنْدِيقِ؛ لأَنَّ السَّاحِرَ عِنْدَه كَافِرٌ كَمَا ذَكَرْنَا، وَعِنْدَنَا لَيْسَ بِكَافِرٍ، وَعِنْدَنَا تُقْبَلُ تَوْبَةُ الْمُنَافِقِ وَالزِّنْدِيقِ.

قَالَ القَاضِي عِيَاضٌ: وَبِقَوْلِ مَالِكٍ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ. قَالَ أَصْحَابُنَا: فَإِذَا قَتَلَ السَّاحِرُ بِسِحْرِهِ إِنْسَانًا، وَاعْتَرَفَ أَنَّهُ مَاتَ بِسِحْرِهِ وَأَنَّهُ يَقْتُلُ غَالِبًا لَزِمَهُ القِصَاصُ.

وَإِنْ قَالَ: مَاتَ بِهِ، وَلَكِنَّهُ قَدْ يَقْتُلُ، وَقَدْ لا، فَلا قِصَاصَ، وَتَجِبُ الدِّيَةُ وَالكَفَّارَةُ، وَتَكُونُ الدِّيَةُ فِي مَالِه لا عَلَى عَاقِلَتِه؛ لأَنَّ العَاقِلَةَ لا تَحَمَّلُ مَا ثَبَتَ بِاعْتِرَافِ الجَانِي.

قَالَ أَصْحَابُنَا: وَلا يُتَصَوَّرُ القَتْلُ بِالسِّحْرِ بِالبَيِّنَةِ، وَإِنَّمَا يُتَصَوَّرُ بِاعْتِرَافِ السَّاحِرِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ). [شرح صحيح مسلم: ١٤/٣٩٦]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (فإنَّ السحرَ يُؤَثِّرُ بإذنِ اللَّهِ تعالى الْمَرَضَ وَيَصِلُ إلى أنْ يَقْتُلَ، فَإِذَا أَقَرَّ السَّاحِرُ أَنَّهُ قَتَلَ بِسِحْرِهِ وهو مِمَّا يَقْتُلُ غَالِباً قُتِلَ بذلكَ عندَ الشَّافِعِيِّ). [نظم الدرر: ٨/٦٠٦]

قالَ عَطِيَّةُ مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (وقدْ تَقَدَّمَ للشيخِ - رحمةُ اللَّهِ تعالى عَلَيْنَا وعليهِ - مَبْحَثُ السِّحْرِ وأقسامِهِ وأحكامِهِ وكلِّ ما يَتَعَلَّقُ به، عندَ الكلامِ على قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾ [طه: ٦٩] مِن سُورَةِ طه، ما عدا مَسألةً واحدةً، وهي حُكْمُ ما لو قَتَلَ أو أَتْلَفَ شَيئاً بسِحْرِهِ، فما يكونُ حُكْمُه؟ ونُورِدُها مُوجَزَةً:

مَسألةٌ: ذَكَرَ ابنُ قُدَامَةَ في (المُغْنِي) رَحِمَه اللَّهُ النوعَ السادسَ مِن أنواعِ القتْلِ: أنْ يَقْتُلَه بسِحرٍ يَقْتُلُ غالباً، فيَلْزَمُه القَوَدُ. وإنْ كانَ مِمَّا لا يَقْتُلُ غالباً ففيه الدِّيَةُ. اهـ.

وذَكَرَ النوويُّ في (المِنْهَاجِ شَرْحِ مُغْنِي المُحْتَاجِ) للشافعيَّةِ التنبيهَ على أنه يُقْتَلُ كذلك.

وذَكَرَ مِثْلَه ابنُ حَجَرٍ في (الفتْحِ): أنَّ الساحِرَ يُقْتَلُ إذا قَتَلَ بسِحْرِه). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٤٢]

الرد على من أنكر السحر

قالَ إِسْمَاعِيلُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الفَضْلِ التَّيْمِيُّ الأَصْبَهَانِيُّ (ت:٥٣٥هـ): (وَقَدْ أَنْكَرَ قَوْمٌ السِّحْرَ وَأَبْطَلُوا حَقِيقَتَهُ، وَأَكْثَرُ الأُمَمِ مِنَ العَرَبِ وَالفُرْسِ وَالهِنْدِ عَلَى إِثْبَاتِ السِّحْرِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] وَقَالَ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الفلق: ٤]). [الحجة في بيان المحجة: ١/٥٢١]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (قَولُ جُمْهورِ المُفَسِّرِينَ أَنَّ لَبِيدَ بنَ أَعْصَمَ اليَهُودِيَّ سَحَرَ النَّبِيَّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم فِي إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، وفِي وَتَرٍ دَسَّهُ فِي بِئْرٍ يُقالَ لَها: ذَرْوانُ. فَمَرِضَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم واشْتَدَّ عليه ذلك ثَلاثَ لَيالٍ، فنَزَلَتِ المُعَوِّذَتانِ لذلك، وأَخْبَرَه جِبْرِيلُ بِمَوْضِعِ السِّحْرِ، فأَرْسَلَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلامُ وطَلْحَةَ وجَاءَا به، وقالَ جِبْرِيلُ للنبيِّ: حُلَّ عُقْدَةً واقْرَأْ آيةً. فَفَعَلَ، وكان كُلَّما قَرَأَ آيةً انْحَلَّتْ عُقْدةٌ، فكان يَجِدُ بَعْضَ الخِفَّةِ والرَّاحَةِ.

واعْلَمْ أنَّ المُعْتَزِلَةَ أَنْكَرُوا ذلك بأَسْرِهِم، قالَ القاضِي: هذه الرِّوايةُ باطِلَةٌ، وكيف يُمْكِنُ القَوْلُ بصِحَّتِها، واللَّهُ تعالى يقولُ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] وقالَ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٩] ولأنَّ تَجْوِيزَه يُفْضِي إلى القَدْحِ في النُّبُوَّةِ، ولأنَّه لو صَحَّ ذلك لكَانَ مِن الواجِبِ أنْ يَصِلوا إلى الضَّرَرِ لجميعِ الأنبياءِ والصَّالِحِينَ، ولَقَدرُوا على تَحْصِيلِ المُلْكِ العَظِيمِ لأنْفُسِهِم، وكلُّ ذلك باطِلٌ، ولأنَّ الكُفَّارَ كانوا يُعَيِّرُونَه بأنَّه مَسْحُورٌ، فلو وَقَعَتْ هذه الواقِعَةُ لكانَ الكُفَّارُ صَادِقِينَ في تلك الدَّعوةِ، ولَحَصَلَ فيه عَلَيْهِ السَّلامُ ذلك العَيْبُ، ومَعْلُومٌ أَنَّ ذلك غَيْرُ جائِزٍ.

قالَ الأَصْحَابُ: هذه القِصَّةُ قَدْ صَحَّتْ عندَ جُمْهُورِ أَهْلِ النَّقْلِ، والوُجُوهُ المَذْكُورَةُ قَدْ سَبَقَ الكَلامُ عَلَيْهَا في سورةِ البَقَرَةِ، أَمَّا قولُه: الكُفَّارُ كانوا يَعِيبُونَ الرَّسُولَ عَلَيْهِ السَّلامُ بأَنَّه مَسْحُورٌ، فلو وَقَعَ ذلك لكَانَ الكُفَّارُ صَادِقِينَ في ذلك القولِ. فجوابُه: أَنَّ الكُفَّارَ كانوا يُرِيدُونَ بكونِه مَسْحوراً أَنَّه مَجْنُونٌ أُزِيلَ عَقْلُه بواسِطَةِ السِّحْرِ، فلذلك تَرَكَ دِينَهُم، فأَمَّا أَنْ يَكونُ مَسْحُورًا بأَلَمٍ يَجِدُه في بَدَنِه فذلك مِمَّا لا يُنْكِرُه أَحَدٌ، وبالجُمْلَةِ فاللَّهُ تعالى ما كانَ يُسَلِّطُ عليه لا شَيْطانًا ولا إِنْسِيًّا ولا جِنِّيًّا يُؤْذِيهِ في دينِه وشَرْعِه ونُبُوَّتِه، فأَمَّا في الإِضْرارِ ببَدَنِه فلا يَبْعُدُ، وتَمامُ الكَلامِ في هذه المسألةِ قَدْ تَقَدَّمَ في سورةِ البَقَرةِ ولْنَرْجِعْ إلى التَّفْسِيرِ). [التفسير الكبير: ٣٢/١٧٢]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (وهو دليلٌ على بُطلانِ قولِ المُعْتَزِلةِ في إنكارِ تَحقُّقِ السِّحْرِ وظُهورِ أَثَرِه). [مدارك التنزيل: ٣/٢٠١٣]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصلٌ: وقد دَلَّ قولُه: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الفلق: ٤] وحديثُ عائشةَ المذكورُ على تأثيرِ السحرِ، وأنَّ له حقيقةً.

وقد أَنْكَرَ ذلك طائفةٌ من أهلِ الكلامِ من المُعتزِلةِ وغيرِهم وقالُوا: إنه لا تَأثيرَ للسحرِ البَتَّةَ، لا في مَرَضٍ ولا قَتْلٍ ولا حَلٍّ ولا عَقْدٍ، قالُوا: وإنما ذلك تَخييلٌ لأَعْيُنِ الناظرينَ لا حقيقةَ له سِوَى ذلك، وهذا خِلافُ ما تَواتَرَتْ به

الآثارُ عن الصحابةِ والسلَفِ، واتَّفَقَ عليه الفُقهاءُ وأَهْلُ التفسيرِ والحديثِ وأربابُ القلوبِ من أهْلِ التصوُّفِ، وما يَعرِفُه عامَّةُ العُقَلاءِ.

والسحْرُ الذي يُؤَثِّرُ مَرَضًا وثِقَلاً وحَلاً وعَقْدًا وحُبًّا وبُغْضًا ونَزيفًا وغيرَ ذلك من الآثارِ الموجودةِ تَعرِفُه عامَّةُ الناسِ، وكثيرٌ منهم قد عَلِمَه ذَوْقًا بما أُصِيبَ به منه، وقولُه تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفلق: ٤] دليلٌ على أنَّ هذا النَّفْثَ يَضُرُّ المسحورَ في حالِ غَيْبَتِه عنه، ولو كان الضَّررُ لا يَحْصُلُ إلا بمباشَرَةِ البدَنِ ظاهرًا، كما يقولُه هؤلاءِ لم يكنْ للنَّفْثِ ولا للنَّفَّاثاتِ شرٌّ يُستعاذُ منه.

وأيضًا فإذا جَازَ على الساحِرِ أن يَسْحَرَ جميعَ أَعْيُنِ الناظرينَ مع كَثرتِهم حتى يَرَوْا الشيءَ بِخِلافِ ما هو به، مع أنَّ هذا تغيُّرٌ في إحساسِهم، فما الذي يُحيلُ تأثيرَه في تغييرِ بعضِ أَعراضِهم وقُواهُم وطِباعِهم، وما الفَرْقُ بينَ التغييرِ الواقعِ في الرؤيةِ والتغييرِ في صِفَةٍ أخرى من صِفاتِ النفْسِ والبَدَنِ؟!

فإذا غَيَّرَ إحساسَه حتى صارَ يَرَى الساكِنَ متحَرِّكًا، والمُتَّصِلَ مُنْفَصِلاً والمَيِّتَ حيًّا، فما المُحيلُ لأنْ يُغيِّرَ صفاتِ نفسِه حتى يَجْعَلَ المحبوبَ إليه بَغيضًا والبغيضَ إليه مَحبوبًا، وغيرَ ذلك من التأثيرات.

وقد قالَ تعالى عن سَحَرَةِ فِرعونَ: إنهم ﴿ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١١٦] فَبَيَّنَ سبحانَه أن أَعْيُنَهُم سُحِرَتْ، وذلك إمَّا أن يكونَ لتغييرٍ حَصَلَ في المَرْئِيِّ، وهو الحِبالُ والعِصِيُّ، مثلُ أن يكونَ السحَرَةُ استعانَتْ بأرواحٍ حَرَّكَتْها وهي الشياطينُ، فَظَنُّوا أنها تَحرَّكَتْ بأَنْفُسِها، وهذا كما إذا جَرَّ من لا يَراه حَصِيرًا أو بُساطًا، فتَرَى الحَصيرَ والبُساطَ يَنْجَرُّ ولا تَرَى الجارَّ له مع أنه هو الذي يَجُرُّه، فهكذا حالُ الحِبالِ والعِصِيِّ التَبَسَتْها الشياطينُ فقَلَبَتْها كتَقَلُّبِ الحَيَّةِ، فظَنَّ الرائي أنها تَقَلَّبَتْ بأَنْفُسِها، والشياطينُ هم الذين يَقْلِبونَها، وإمَّا أن يكونَ التغييرُ حَدَثَ في الرائي حتى رأى الحِبالَ والعِصِيَّ تتحرَّكُ وهي ساكنةٌ في أَنْفُسِها.

ولا رَيبَ أنَّ الساحِرَ يَفعَلُ هذا وهذا، فتارةً يَتَصَرَّفُ في نفْسِ الرائي وإحساسِه حتى يَرَى الشيءَ بِخِلافِ ما هو به، وتارةً يَتَصَرَّفُ في المَرْئِيِّ باستعانتِه بالأرواحِ الشيطانيَّةِ حتى يَتَصَرَّفَ فيها.

وأمَّا ما يقولُه المُنكِرون من أنهم فَعَلوا في الحِبالِ والعِصِيِّ ما أَوْجَبَ حَرَكَتَها ومَشْيَها، مثلَ الزِّئْبَقِ وغيرِه حتى سَعَتْ فهذا باطِلٌ من وُجوهٍ كثيرةٍ.

فإنه لو كان كذلك لم يكنْ هذا خَيَالاً بل حَرَكَةً حقيقيَّةً، ولم يكنْ ذلك سِحْرًا لأعْيُنِ الناسِ، ولا يُسَمَّى ذلك سِحْرًا بل صناعةً من الصناعاتِ المُشْتَرَكَةِ، وقد قالَ تعالى: ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ [طه: ٦٦]، ولو كانتْ تَحرَّكَتْ بنوعِ حيلةٍ كما يَقولُه المُنكرونَ لم يكنْ هذا من السحْرِ في شيءٍ، ومِثلُ هذا لا يَخْفَى، وأيضًا لو كان ذلك بحِيلةٍ كما قالَ هؤلاءِ لكان طريقُ إبطالِها إخراجَ ما فيها من الزِّئْبَقِ، وبيانَ ذلك المُحالِ، ولم يَحْتَجْ إلى إلقاءِ العَصَا لابتلاعِها.

وأيضًا فمِثْلُ هذه الحِيلةِ لا يُحتاجُ فيها إلى الاستعانةِ بالسحَرَةِ، بل يَكْفِي فيها حُذَّاقُ الصُّنَّاعِ، ولا يُحتاجُ في ذلك إلى تَعظيمِ فِرعونَ للسحَرَةِ وخُضوعِه لهم ووَعْدِهم بالتقريبِ والجزاءِ.

وأيضًا فإنه لا يُقالُ في ذلك: إنه لكبيرُكُم الذي عَلَّمَكُم السحْرَ، فإنَّ الصناعاتِ يَشْتَرِكُ الناسُ في تَعَلُّمِها وتعليمِها، وبالجُمْلَةِ فبُطلانُ هذا أَظْهَرُ من أن يُتَكَلَّفَ رَدُّه، فلْنَرْجِعْ إلى المقصودِ). [بدائع الفوائد: ٢/٢٢٧- ٢٢٨]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصلٌ: فقد عَرَفْتَ بعضَ ما اشْتَمَلَتْ عليه هذه السورةُ من القواعدِ النافعةِ الهامَّةِ، التي لا غِنَى للعبْدِ عنها في دِينِه ودُنياه.

ودَلَّتْ على أنَّ نفوسَ الحاسدينَ وأَعْيُنَهُم لها تأثيرٌ، وعلى أنَّ الأرواحَ الشيطانيَّةَ لها تأثيرٌ بواسِطَةِ السحْرِ والنَّفْثِ في العُقَدِ.

وقد افْتَرَقَ العالَمُ في هذه المَقامِ أَرْبَعَ فِرَقٍ.

ففِرقةٌ أَنْكَرَتْ تأثيرَ هذا وهذا، وهم فِرقتان:

فِرقةٌ اعْتَرَفَتْ بوُجودِ النفوسِ الناطقةِ والجِنِّ، وأَنْكَرَتْ تأثيرَهما البَتَّةَ، وهذا قولُ طائفةٍ من المتكلِّمينَ مِمَّنْ أَنْكَرَ الأسبابَ والقُوَى والتأثيراتِ.

وفرقةٌ أَنْكَرَتْ وجودَهما بالكُلِّيَّةِ وقالَتْ: لا وُجودَ لنفْسِ الآدَمِيِّ سوى هذا الهيكَلِ المحسوسِ وصِفاتِه وأعراضِه فقط، ولا وُجودَ للْجِنِّ والشياطينِ سوى أعراضٍ قائمةٍ به، وهذا قولُ كثيرٍ من مَلاحِدَةِ الطبائعيِّينَ وغيرِهم من المَلاحِدَةِ المنتسِبِينَ إلى الإسلامِ، وهو قولُ شُذوذٍ من أهلِ الكلامِ الذين ذَمَّهُمُ السلَفُ، وشَهِدُوا عليهم بالبِدْعَةِ والضلالةِ.

الفِرْقَةُ الثانيةُ: أَنْكَرَتْ وُجودَ النفْسِ الإنسانيَّةِ المُفارِقَةِ للبَدَنِ، وأَقَرَّتْ بوجودِ الجِنِّ والشياطينِ، وهذا قولُ كثيرٍ من المتكلِّمينَ من المُعتزِلَةِ وغيرِهم.

الفِرقةُ الثالثةُ: بالعكْسِ أقَرَّتْ بوجودِ النفْسِ الناطِقَةِ المُفارِقَةِ للبَدَنِ، وأَنْكَرَتْ وُجودَ الجنِّ والشياطينِ، وزَعَمَتْ أنها غيرُ خارجةٍ عن قُوَى النفْسِ وصِفاتِها، وهذا قولُ كثيرٍ من الفلاسفةِ الإسلاميِّينَ وغيرِهم، وهؤلاءِ يقولون: إنَّ مَا يُوجَدُ في العالَمِ من التأثيراتِ الغريبةِ والحوادثِ الخارقةِ، فهي من تأثيراتِ النفْسِ، ويَجعلونَ السحْرَ والكَهانةَ كلَّه من تأثيرِ النفْسِ وحدَها، بغيرِ وَاسِطَةِ شيطانٍ مُنْفَصِلٍ، وابنُ سِينَا وأَتباعُه على هذا القولِ، حتى إنهم يَجعلونَ مُعْجِزَاتِ الرسُلِ من هذا البابِ، ويقولون: إنما هي من تأثيراتِ النفْسِ في هَيُولَى العالَمِ، وهؤلاءِ كُفَّارٌ بإجماعِ المِلَلِ ليسوا من أَتباعِ الرُّسُلِ جُمْلَةً.

الفِرْقَةُ الرابعةُ: وهم أَتْباعُ الرسُلِ وأَهْلُ الحَقِّ أَقَرُّوا بوجودِ النفْسِ الناطقةِ المفارِقَةِ للبَدَنِ، وأَقَرُّوا بوجودِ الجِنِّ والشياطينِ، وأَثْبَتُوا ما أَثْبَتَه اللهُ تعالى من صِفاتِهما وشَرِّهما، واسْتَعَاذُوا باللهِ منه، وعَلِمُوا أنه لا يُعيذُهم منه ولا يُجيرُهم إلا اللهُ، فهؤلاءِ أَهْلُ الحقِّ، ومَن عَدَاهُم مُفْرِطٌ في الباطلِ أو معه باطلٌ وحَقٌّ، واللهُ يَهْدِي مَن يَشاءُ إلى صراطٍ مُستقيمٍ). [بدائع الفوائد: ٢/٢٤٦- ٢٤٧]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وبعضُهم أَنْكَرَ أصلَ السحرِ ونَفَى حقيقتَه وأَضافَ ما يَقَعُ منه إلى خَيالاتٍ باطلةٍ لا حقائقَ لها، ومَذهبُ أهلِ السنَّةِ وعُلماءِ الأُمَّةِ على إثباتِه، وأنَّ له حقيقةً كحقيقةِ غيرِه مِن الأشياءِ لدَلالةِ الكتابِ والسنَّةِ على ذلك، ولا يُستنكَرُ في العقلِ أنَّ اللهَ تعالى يَخْرِقُ العادةَ عندَ النطقِ بكلامٍ مُلَفَّقٍ أو تركيبِ أجسامٍ مخصوصةٍ والمَزْجِ بينَ قُوًى على ترتيبٍ لا يَعرفُه إلا الساحرُ، وإذا شاهدَ الإنسانُ بعضَ الأجسامِ منها قاتلةٌ كالسمومِ ومنها مُسقِمَةٌ كالأدويةِ المضادَّةِ للمَرَضِ لم يَستبعِدْ عقلُه أنْ ينفرِدَ الساحرُ بعِلمِ قُوًى قَتَّالةٍ أو كلامٍ مُهلِكٍ أو مُؤَدٍّ إلى التفرقةِ، ومع ذلك لا يَخلُو مِن تأثيرٍ نَفسانيٍّ، ثم إنَّ القائلينَ به اخْتَلَفوا في القَدْرِ الذي يَقعُ به، فقالَ بعضُهم: لا يَزيدُ تأثيرُه على قُدرةِ التفرِقَةِ بينَ المرءِ وزوجِه؛ لأنَّ اللهَ تعالى إنما ذَكَرَ ذلك تَعظيمًا لِمَا يكونُ عندَه وتَهويلاً له، فلو وَقَعَ به أعظمُ منه لذَكَرَه؛ لأنَّ المَثَلَ لا يُضربُ عندَ المبالَغةِ إلا بأعلى أحوالِ المذكورِ، ومَذهبُ الأشاعرةِ أنه يَجوزُ أن يَقعَ به أكثرُ مِن ذلك وهو الصحيحُ عَقلاً؛ لأنه لا فاعلَ إلا اللهُ، وما يَقعُ مِن ذلك فهو عَادةٌ أَجراها اللهُ تعالى ولا تَفترِقُ الأفعالُ في ذلك، وليس بعضُها بأَوْلَى مِن بعضٍ، ولو وردَ الشرعُ بقُصورِه عن مَرتبةٍ لوَجَبَ المَصيرُ إليه، ولكن لا يُوجدُ شَرْعٌ قاطعٌ يُوجِبُ الاقتصارَ على ما قالَه القائلُ الأوَّلُ، وذِكْرُ التَّفرِقَةِ بينَ الزوجينِ في الآيةِ ليس بنَصٍّ في مَنْعِ الزيادةِ وإنما النظَرُ في أنه ظاهِرٌ أمْ لا، والفرقُ بينَ الساحرِ وبينَ النبيِّ والوليِّ على قولِ الأشاعرةِ بأنه يَجوزُ خَرْقُ العادةِ على يدِ الساحرِ مُبَيَّنٌ في الكُتُبِ الكلاميَّةِ وغيرِها مِن شُروحِ الصِّحاحِ). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٣- ٢٨٤]

حادثة سحرِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم

حديث عائشة رضي الله عنها

طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها

قالَ أَحْمَدُ بنُ محمَّدِ بنِ حَنبلٍ الشَّيبَانِيُّ (ت:٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى اللهُ عليه وسلَّمَ- يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى اللهُ عليه وسلم- يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ. قَالَتْ: حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ - أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ- دَعَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى اللهُ عليه وسلم- ثُمَّ دَعَا ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، شَعَرْتُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، جَاءَنِي رَجُلانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ - أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي - : مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟

قَالَ: مَطْبُوبٌ.

قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟

قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ.

قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟

قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ.

قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟

قَالَ: فِي بِئْرِ أَرْوَانَ ».

قَالَتْ: فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى اللهُ عليه وسلَّمَ- فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: « يَا عَائِشَةُ، لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَهلاَّ أَحْرَقْتَهُ!

قَالَ: « لا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا ».

قَالَتْ: فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ). [مسند الإمام أحمد: ٤٠/٣٤٣]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيُّ (ت:٢٥٦هـ): (حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ - رضِي اللهُ عنها - قَالَتْ: سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ - صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى اللهُ عليه وسلَّمَ - يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهْوَ عِنْدِي لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا ثُمَّ قَالَ: « يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، أَتَانِي رَجُلانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: مَطْبُوبٌ.

قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ. قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ.

قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ ».

فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى اللهُ عليه وسلَّمَ - فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَجَاءَ فَقَالَ: « يَا عَائِشَةُ، كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، وَكَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلا اسْتَخْرَجْتَهُ؟

قَالَ: « قَدْ عَافَانِي اللَّهُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا ». فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ.

تَابَعَهُ أَبُو أُسَامَةَ وَأَبُو ضَمْرَةَ وَابْنُ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ هِشَامٍ.

وَقَالَ اللَّيْثُ وَابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ هِشَامٍ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَةٍ. يُقَالُ: المُشَاطَةُ: مَا يَخْرُجُ مِنَ الشَّعَرِ إِذَا مُشِطَ، وَالمُشَاقَةُ مِنْ مُشَاقَةِ الكَتَّانِ). [صحيح البخاري: كتاب الطب/ باب السحر]

قالَ مُسْلِمُ بنُ الحجَّاجِ القُشَيرِيُّ النَّيسابُورِيُّ (ت:٢٦١هـ): (حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: ، سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى اللهُ عليه وسلَّمَ- يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ . قَالَتْ: حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى اللهُ عليه وسلَّمَ- يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى اللهُ عليه وسلم- ثُمَّ دَعَا ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ قَالَ: « يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، جَاءَنِي رَجُلانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ

عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ - أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي - مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ. قَالَ في أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: في مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ. قَالَ وَجُبِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ. قَالَ فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: في بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ ».

قَالَتْ: فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلّم- في أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ: « يَا عَائِشَةُ، وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ». قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلا أَحْرَقْتَهُ؟ قَالَ: « لا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، فَأَمَرْتُ بِهَا فَدُفِنَتْ ».

- حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سُحِرَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى الله عليه وسلَّمَ. وَسَاقَ أَبُو كُرَيْبٍ الحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ نَحْوَ حَدِيثِ ابْنِ نُمَيْرٍ وَقَالَ فِيهِ: فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صلَّى الله عليه وسلَّمَ- إِلَى البِئْرِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَعَلَيْهَا نَخْلٌ. وَقَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَخْرِجْهُ. وَلَمْ يَقُلْ: أَفَلا أَحْرَقْتَهُ. وَلَمْ يَذْكُرْ: « فَأَمَرْتُ بِهَا فَدُفِنَتْ ».). [صحيح مسلم/ باب السحر]

قال ابنُ ماجَهْ محمدُ بنُ يَزيدَ القَزْوِينِيُّ (ت: ٢٧٣هـ): (حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَحَرَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلَّم يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، حَتَّى كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَلا يَفْعَلُهُ. قَالَتْ: حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ دَعَا ثُمَّ دَعَا ثُمَّ قَالَ: « يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، جَاءَنِي رَجُلانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ - أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي - : مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ. قَالَ: في أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: في مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ. قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: في بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ ». قَالَتْ: فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلَّم في أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: « وَاللَّهِ يَا عَائِشَةُ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ». قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلا أَحْرَقْتَهُ؟ قَالَ: « لا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا ». فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ). [سنن ابن ماجه/ كتاب الطب/ باب السحر]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن مُحَمَّدِ بنِ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنا أَبُو عَمْرٍو مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ الحِيرِيُّ، أخبَرَنا أحمدُ بنُ عليٍّ المَوْصِلِيُّ، أخبَرَنا مُجاهدُ بنُ موسى، أخبَرَنا أبو أُسامَةَ، عن هِشَامِ بنِ عُرْوَةَ، عن أَبِيهِ، عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سُحِرَ النَّبِيُّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم حَتَّى إِنَّهُ لَيُتَخَيَّلُ إليه أنَّه فَعَلَ الشَّيْءَ وما فَعَلَ، حتى إذا كانَ ذاتَ يَوْمٍ وهو عِنْدِي دَعَا اللَّهَ ودَعَا، ثُمَّ قَالَ: «أَشَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟». قُلْتُ: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَتَانِي مَلَكَانِ»، وذَكَرَ القِصَّةَ بطُولِهَا. رواه البُخَارِيُّ عن عُبَيْدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ، عن أبي أُسَامَةَ، ولِهذا الحَدِيثِ طَرِيقٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ). [أسباب النزول: ٥٥٣- ٥٥٤]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (أَخْبَرَنَا أبو حامِدٍ أحمَدُ بنُ عبدِ اللهِ الصالحيُّ، أَخْبَرَنَا أبو سعيدٍ مُحَمَّدُ بنُ موسى الصَّيْرَفِيُّ، حَدَّثَنَا أبو العباسِ مُحَمَّدُ بنُ يعقوبَ الأصَمُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ [عبدِ الحكَمِ]، أَخْبَرَنَا أنَسُ بنُ عِياضٍ، عن [هِشامٍ]، عن أبيه، عن عائشةَ، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طُبَّ، حتى إنه ليُخَيَّلُ إليه أنه قد صَنَعَ شيئًا وما صنَعَه، وأنه دعا ربَّهُ، ثم قال: «أَشَعَرْتِ أنَّ اللهَ تعالى أَفْتَانِي فيما اسْتَفْتَيْتُه فيه؟»، فقالَتْ عائشةُ: وما ذاك يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «جاءني رَجلانِ، فجَلَسَ أحدُهما عندَ رأسِي، والآخَرُ عندَ رِجْلَيَّ، فقالَ أحدُهما لصاحبِه: ما وَجَعُ الرجلِ؟ قالَ الآخَرُ: هو مَطبوبٌ. قالَ: مَن طَبَّهُ؟ قالَ: لَبيدُ بنُ الأَعْصَمِ. قالَ: في ماذا؟ قالَ: في مُشطٍ ومُشاطَةٍ وجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ. قالَ: فأَيْنَ هو؟ قالَ: في ذَرْوانَ» - وذَرْوانُ بئرٌ في بني زُرَيْقٍ- قالَتْ عائشةُ: فأتاها رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم رجَعَ إلى عائشةَ فقالَ: «واللهِ لكأَنَّ ماءَها نُقاعَةُ الحِنَّاءِ، ولكأنَّ نَخْلَهَا رُؤوسُ الشياطينِ»، قالَتْ: فقلتُ له: يا رسولَ اللهِ، هلا أَخْرَجْتَه؟ قالَ: «أَمَّا أَنَا فقَدْ شَفَانِي اللهُ، فكَرِهْتُ أن أُثِيرَ على الناسِ به شَرًّا».

ورُوِيَ أنه كان تَحْتَ صخرةٍ في البئرِ فرَفَعُوا الصخرةَ وأَخْرَجُوا جُفَّ الطَّلْعَةِ، فإذا فيه مُشاطةُ رأسِه وأسنانُ مُشْطِه). [معالم التنزيل: ٧٢٣- ٧٢٤]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الفَضْلِ التَّيْمِيُّ الأَصْبَهَانِيُّ (ت:٥٣٥هـ): (أخبرنا أحمدُ بنُ عليٍّ المقرئُ، أنا هبةُ اللهِ بنُ الحسنِ، أنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ العبسقي، أنا محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ عبدِ اللهِ، نا أبو عُبيدِ اللهِ المَخْزُوميُّ، نا سفيانُ بنُ عُيينةَ، عن هشامِ بنِ عُروةَ، عن أبيه، عن عائشةَ رضِيَ اللهُ عنها قالت: كان رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ أصابه شيءٌ حتى كان يرَى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، فانتبه من نومه فقال: « يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ، أَتَانِي آتِيَانِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ. قَالَ: فِيمَ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَةٍ. قَالَ: وَأَيْنَ؟ قَالَ: فِي جُفِّ طَلْعَةٍ تَحْتَ رَاعُوفَةِ بِئْرِ ذَرْوَانَ ».

قال: فأتى النبيُّ صلى الله عليه وسلم البئرَ فاستخرجه، وقال النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ: « هَذِهِ الْبِئْرُ الَّتِي رَأَيْتُهَا كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ، وَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ».

قالت عائشةُ: فقلتُ له تعني ألا تَنْشِرُ؟

قال: « أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللهُ وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ ». يعني شرًّا

قالت: ونزلت: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ حتى ختَم السورةَ). [الحجة في بيان المحجة:١/٥١٩]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (الثَّانِيَةُ: ثَبَتَ في الصحيحيْنِ مِن حديثِ عائشةَ، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَحَرَهُ يَهُودِيٌّ مِن يهودِ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقالُ لَه: لَبِيدُ بنُ الأَعْصَمِ، حتَّى يُخَيَّلَ إِلَيْه أنَّه كانَ يَفْعَلُ الشيْءَ ولا يَفْعَلُه، فمَكَثَ كذلك ما شاءَ اللهُ أنْ يَمْكُثَ - في غيرِ الصحيحِ: سَنَةً - ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُه فِيهِ، أَتَانِي مَلَكَانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ

[الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ]: مَا شَأْنُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ وَمَنْ طَبَّهُ؟ قالَ: لَبِيدُ بنُ الأَعْصَمِ. قَالَ فِي مَاذَا؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ ومُشاطةٍ وجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، تَحْتَ رَاعُوفَةٍ فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ». فجاءَ البِئْرَ واستَخْرَجَه. انْتَهَى الصحيحُ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٣]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): ((ق) عنْ عَائِشَةَ، أنَّ النبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ سُحِرَ حتَّى كانَ يُخَيَّلُ إليهِ أنَّهُ يَصنَعُ الشيْءَ ولَمْ يَصْنَعْهُ.

وفي روايَةٍ: أنَّهُ يُخَيَّلُ إليهِ فِعْلُ الشيءِ وما فَعَلَهُ، حتَّى إذا كانَ يَوْمٌ وهوَ عندِي دَعَا اللَّهَ وَدَعَاهُ، ثمَّ قالَ: «أَشَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟».

قُلْتُ: وما ذاكَ يا رسولَ اللَّهِ؟

قال: «قَدْ جَاءَنِي رَجُلانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ اليَهُودِيُّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ. قَالَ: فِيمَ ذَا؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ»، ومِنَ الرُّوَاةِ مَنْ قالَ: «فِي بِئْرِ بَنِي زُرَيْقٍ».

فذَهَبَ النبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ في أُنَاسٍ مِنْ أصحابِهِ إلى البِئْرِ فنَظَرَ إليها وعليْهَا نَخْلٌ، ثُمَّ رَجَعَ إلى عَائِشَةَ فقالَ: «وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ»، قُلْتُ: يا رسولَ اللَّهِ، فأَخْرِجْهُ. قَالَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ وَشَفَانِي، وَخِفْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا». وفي روايَةٍ للبُخَارِيِّ أنَّهُ كانَ يَرَى أنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ ولا يَأْتِيهِنَّ.

قالَ سُفْيَانُ: وهذا أَشَدُّ ما يَكُونُ مِن السِّحْرِ إذا كانَ كَذَلِكَ). [لباب التأويل: ٤/٤٩٩- ٥٠٠]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (في الصحيحِ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عائشةَ: أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طُبَّ حتى إنه لَيُخَيَّلُ إليه أنه صَنَعَ شيئًا وما صَنَعَه، وأنه دَعَا رَبَّه ثم قالَ: «أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ». فقالَتْ عائشةُ: وما ذاك يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «جَاءَنِي رَجُلانِ فجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ الآخَرُ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ. قالَ: فِي ماذا؟ قالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعِ ذَكَرٍ. قالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قالَ: فِي ذَرْوَانَ بِئْرٍ فِي بَنِي زُرَيْقٍ». قالَتْ عائشةُ رَضِيَ اللهُ عنها: فأتاها رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم رَجَعَ إلى عائشةَ فقالَ: «وَاللهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ». قالَ: فقُلْتُ له: يا رسولَ اللهِ، هَلا أَخْرَجْتَه؟ قالَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللهُ وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا». فأَمَرَ بها فدُفِنَتْ.

قالَ البُخاريُّ: وقالَ الليثُ وابنُ عُيَيْنَةَ عن هِشامٍ: في مُشْطٍ ومُشاقةٍ. ويُقالُ: إنَّ المُشاطَةَ ما يَخرُجُ من الشعْرِ إذا مُشِطَ، والمُشاقةُ من مُشاقةِ الكتَّانِ. قلتُ: هكذا في هذه الروايةِ أنه لم يُخرِجْه اكتفاءً بمُعافاةِ اللهِ له وشِفائِه إيَّاه). [بدائع الفوائد: ٢/٢٢٢]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (وقد رَوى البُخاريُّ من حديثِ ابنِ عُيَيْنَةَ، قال: أوَّلُ مَن حدَّثنا به ابنُ جُرَيْجٍ يقولُ: حدَّثني آلُ عُروةَ، عن عُروةَ، فسأَلْتُ هِشامًا عنه فحدَّثنا عن أبيهِ، عن عائشةَ: كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُحِرَ حتى كان يَرى أنه يأتي النِّساءَ ولا يأتيهنَّ. قالَ سفيانُ: وهذا أشَدُّ ما يكونُ من السِّحْرِ إذا كان كذا، فقالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَعَلِمْتِ أَنَّ اللهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ أَتَانِي رَجُلانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي والآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي للآخَرِ: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: مَن طَبَّهُ؟ قالَ: لَبِيدُ بْنُ الأعْصَمِ، رَجُلٌ من بني زُرَيْقٍ حَلِيفُ اليَهُودِ، وكَانَ مُنَافِقًا. قالَ: وفِيمَ؟ قالَ: في مُشْطٍ ومُشَاقَةٍ. قَالَ: وأَيْنَ؟ قالَ: في جُفِّ طَلْعِ ذكَرٍ، تَحْتَ رَعُوفَةٍ فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ. قَالَ: فَأَتَى البِئْرَ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ، فَقَالَ: هَذِهِ البِئْرُ الَّتِي أُرِيتُهَا، وكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، وكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشياطينِ». قالَ: فَاسْتُخْرِجَ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَفَلا، أي: تَنَشَّرْتَ؟ قالَ: «أَمَّا اللهُ فَقَدْ شَفَانِي، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا». ففي هذا الحديثِ أنه اسْتَخْرَجَه، وتَرْجَمَ البخاريُّ عليه: بابٌ هل يَسْتَخْرِجُ السِّحْرَ.

وقالَ قَتادةُ: قلتُ لسَعيدِ بنِ المُسَيَّبِ: رجُلٌ به طِبٌّ، ويُؤَخَّذُ عن امرأتِه، أيُحَلُّ عنه ويُنَشَّرُ؟ قالَ: لا بأسَ به، إنما يُريدون به الإصلاحَ، فأمَّا ما يَنْفَعُ الناسَ فلم يُنْهَ عنه). [بدائع الفوائد: ٢/٢٢٢- ٢٢٣] (م)

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ ابْنُ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (وقالَ البخاريُّ في كتابِ الطِّبِّ مِن صَحيحِه: حدَّثنا عَبْدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ، قالَ: سَمِعْتُ سُفْيانَ بنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ: أَوَّلُ مَن حدَّثنا بِهِ ابنُ جُرَيْجٍ، يقولُ: حدَّثني آلُ عُرْوَةَ، عن عُرْوَةَ، فسأَلْتُ هِشاماً عَنْهُ فحدَّثنا عن أبيهِ، عن عائشةَ قالتْ: كانَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ سُحِرَ حَتَّى كانَ يُرَى أَنَّه يَأْتِي النِّسَاءَ ولا يَأْتِيهِنَّ - قالَ سفيانُ: وهذا أشَدُّ ما يَكُونُ مِن السِّحْرِ إِذَا كانَ كَذَا- فقالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَعَلِمْتِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ أَتَانِي رَجُلانِ، فقعَدَ أَحَدُهما عِنْدَ رَأْسِي، والآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فقالَ الذي عِنْدَ رَأْسِي للآخَرِ: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قالَ: مَطْبُوبٌ. قالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قالَ: لَبِيدُ بنُ أَعْصَمَ - رَجُلٌ مِن بَنِي زُرَيقٍ حليفٌ ليَهُودَ، كانَ مُنافِقاً- قالَ: وفِيمَ؟ قالَ: فِي مُشْطٍ ومُشَاقَةٍ. قالَ: وأَيْنَ؟ قالَ: فِي جُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، تَحْتَ رَاعُوفَةٍ في بِئْرِ ذَرْوَانَ».

قالتْ: فأَتَى النَّبِيُّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ البِئْرَ حَتَّى اسْتَخْرَجَه. فقالَ: «هذهِ البِئْرُ التي أُرِيتُها، وكأنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، وكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ». قالَ: فاسْتُخْرِجَ. قالتْ: فقُلْتُ: أَفَلا تَنَشَّرْتَ؟ فقالَ: «أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ شَفَانِي، وأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا».

وأَسْنَدَهُ مِن حديثِ عِيسَى بنِ يُونُسَ وأَبِي ضَمْرَةَ أَنَسِ بنِ عِيَاضٍ وأبي أُسَامَةَ ويَحْيَى القَطَّانِ، وفيه: قالتْ: حَتَّى كانَ يُخَيَّلُ إِليهِ أَنَّه فَعَلَ الشَّيْءَ ولَمْ يَفْعَلْهُ. وعندَه: فأَمَر بالبِئْرِ فدُفِنَتْ.

وذُكِرَ أَنَّه رَواهُ عن هِشامٍ أيضاً ابنُ أَبِي الزِّنادِ والليثُ بنُ سَعْدٍ. وقدْ رواهُ مسلمٌ مِن حديثِ أبي أُسامةَ حَمَّادِ بنِ أُسامَةَ وعَبْدِ اللَّهِ بنِ نُمَيْرٍ. ورواهُ أحمدُ عن عَفَّانَ، عن وَهْبٍ، عن هشامٍ، به.

ورواهُ الإمامُ أحمدُ أيضاً، عن إبراهيمَ بنِ خَالِدٍ، عن مَعْمَرٍ، عن هِشَامٍ، عن أبيهِ، عن عَائِشَةَ قالتْ: لَبِثَ النَّبِيُّ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ يُرَى أنَّه يَأْتِي ولا يَأْتِي، فأَتَاهُ مَلَكَانِ؛ فجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِه، والآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فقالَ أَحَدُهما للآخَرِ: مَا بَالُه؟ قالَ: مَطْبُوبٌ. قالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قالَ: لَبِيدُ بنُ الأَعْصَمِ... وذكَر تمامَ الحديثِ). [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩٠٩]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَرَوَى البخاريُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها قَالَتْ: سُحِرَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إليهِ أَنَّهُ فَعَلَ شَيْئاً وَما فَعَلَهُ، حتَّى إذا كانَ ذاتَ يَوْمٍ وَهوَ عِنْدِي دَعَا اللَّهَ وَدَعَاهُ، ثُمَّ قالَ: «أَشَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟» قُلْتُ: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَتَانِي مَلَكَانِ» فَذَكَرَهُ). [نظم الدرر: ٨/٦٠٨]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وعنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها أنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طُبَّ - أيْ سُحِرَ- حتى كأنَّهُ يُخَيَّلُ إليهِ أنَّهُ صنعَ شيئًا وما صنَعَهُ، وأنَّهُ دَعَا رَبَّهُ ثمَّ قَالَ: «أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ». فقالتْ عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عنها: وما ذاكَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «جَاءَنِي رَجُلانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ الآخَرُ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ. قَالَ: فِي مَاذَا؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ. قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي ذَرْوَانَ». وذَرْوانُ: بئرٌ في بني زُرَيْقٍ. قالتْ عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عنها: فأتاها رَسولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمَّ رجعَ إلى عائشةَ، فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ». قالتْ: فقلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، هلْ أَخْرَجْتَهُ؟ قَالَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا»). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٢]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (روى البخاريُّ ومسلمٌ وابنُ ماجهْ عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ تعالى عنها قالتْ: سُحِرَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ حتى إنه لَيُخَيَّلُ إليه أنه فَعَلَ الشيءَ ولم يكنْ فَعَلَه، حتى إذا كانَ ذاتَ يومٍ - أو ذاتَ ليلةٍ- دعا اللهَ، ثم دَعَا، ثم دعا، ثم قالَ: «أَشَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟». قلتُ: وما ذاكَ يا رسولَ اللهِ؟ فقالَ: «جَاءَنِي رَجُلانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ - أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي- : مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأعْصَمِ. قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ؟ قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ». قالتْ: فَأَتاها رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ في أُناسٍ مِن أصحابِه ثم قالَ: «يَا عَائِشَةُ، وَاللهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ». قالتْ: فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، أفلا أَحْرَقْتَه؟ قالَ: «لا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللهُ تَعَالَى، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، فَأَمَرْتُ بِهَا فَدُفِنَتْ». وهذانِ المَلَكانِ على ما يَدُلُّ على روايةِ ابنِ مَرْدُويهْ مِن طريقِ عِكرِمةَ عن ابنِ عبَّاسٍ هما جِبريلُ وميكائيلُ عليهما السلامُ). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٢]

تنبيه:

قالَ أحمدُ بنُ عَلِيٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (قَوْلُهُ: "وَفِي ذَلِكَ نَزَلَتِ الْمُعَوِّذَتَانِ"، انْتَهَى، وَهَذَا ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي "تَفْسِيرِهِ" مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ تَعْلِيقًا، وَمِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ أَيْضًا تَعْلِيقًا، وَطَرِيقُ عَائِشَةَ صَحِيحٌ؛ أَخْرَجَهُ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ فِي تَفْسِيرِهِ، رِوَايَةُ أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْهُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ "وَنَزَلَتْ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾"). [التلخيص الحبير:٤/١١٠]

- **قال الألباني**: (وهذه فائدةٌ هامةٌ من الحافظِ رحِمه اللهُ تعالى، لم ترِدْ في كتابه (فتح الباري)، وهي شاهدٌ قويٌّ لحديثِ الترجمةِ. واللهُ أعلمُ). [السلسلة الصحيحة:٦/٦١٦]

- **قلتُ**: (هذه الزيادةُ رواها اللالكائيُّ في شرحِ السنةِ، وأبو القاسمِ الأصبهانيُّ في كتابِ الحُجَّةِ في بيانِ المَحجةِ، كلاهما من طريقِ أحمدَ بنِ إبراهيمَ العبسقي، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ عبدِ اللهِ، عن أبي عبيدِ اللهِ المَخْزُوميِّ، عن سفيانَ بنِ عُيينةَ، عن هشامِ بنِ عروةَ، عن أبيه، عن عائشةَ. فذكر الحديثَ بنحوِ روايةِ الجماعةِ، وزاد في آخرِه:

قالت: ونزلت ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ حتى ختم السورةَ).

وقد سبق إعلالُها بالتفردِ ومخالفتِها لما رواه الأئمةُ عن سفيانَ، وما رواه الأئمةُ عن هشامِ بنِ عروةَ، وقد سبَقَ بحثُ هذه المسألةِ عند الكلامِ عن سببِ نزولِ المعوذتيْنِ، فراجِعْه).

حديث عَمْرة بنت عبد الرحمن عن عائشة، وهو ضعيف جدًّا

قَالَ أحمدُ بنُ الحسينِ بنِ عليٍّ البَيْهَقِيُّ (ت: ٤٥٨ هـ): (أخبرنا أبو الحسينِ عليُّ بنُ محمدٍ المقرئُ، قالَ: أخبرَنَا الحسَنُ بنُ محمَّدِ بنِ إسحاقَ، قالَ: حدَّثَنَا يوسُفُ بنُ يعقُوبَ، قالَ: حدَّثَنَا سَلَمَةُ بنُ حَيَّانَ، قالَ: حَدَّثَنَا يزيدُ بنُ هارونَ، قالَ: أخبَرَنَا مُحَمَّدُ بنُ عُبَيدِ اللهِ، عَنْ أبي بكرِ بنِ محَمَّدٍ، عَنْ عَمْرَةَ، عنْ عَائِشَةَ قالَت:

كَانَ لِرسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدِمُهُ، يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ، وكان تُعجبُه خِدمتُه، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ يَهُودُ حَتَّى سَحَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذُوبُ وَلا يَدْرِي مَا وَجَعُهُ.

فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ نَائِمٌ إِذْ أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ والآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِهِ للذي عِنْدَ رِجْلَيْهِ: مَا وَجَعُهُ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ. قَالَ: بِمَ طَبَّهُ؟ قَالَ: بِمُشْطٍ ومُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ بِذِي أَرْوَانَ، وَهِيَ تَحْتَ رَاعُوفَةِ البِئْرِ.

فاسْتيقظَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، فدَعَا عائشَةَ؛ فقالَ: «يا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجلَّ قَدْ أَنْبَأَنِي بِوَجَعِي؟».

فَلَمَّا أَصْبَحَ غدَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغدَا مَعَهُ أَصْحَابُهُ إِلَى البِئْرِ، فإذَا ماؤُهَا كأَنَّهُ نَقوعُ الحِنَّاءِ، وإذَا نخلُهَا الَّذِي يشْرَبُ مِنْ مائِها قدِ التوى سَعَفُهُ كأَنَّهُ رُؤوسُ الشَّياطِينِ.

قالَ: فَنَزَلَ رَجُلٌ فَاسْتَخْرَجَ جُفَّ طَلْعَةٍ مِنْ تَحْتِ الرَّاعُوفَةِ، فَإِذَا فِيهَا مُشْطُ رسول اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وَمِنْ مُرَاطَةِ رَأْسِهِ، وإذا تِمْثَالٌ مِنْ شَمْعٍ تِمْثَالُ رسول اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا فيها إِبَرٌ مَغْرُوزَةٌ، وَإِذَا وَتَرٌ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليهِ السلامُ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ. فقالَ: يا مُحَمَّدُ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]، وَحَلَّ عُقْدَةً ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق: ٢] وحَلَّ عُقْدَةً. حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، [ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١] وَحَلَّ عُقْدَهُ، حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا]، وَحَلَّ العُقَدَ كُلَّهَا.

وَجَعَلَ لا يَنْزِعُ إِبْرَةً إِلاَّ وجدَ لها أَلَمًا، ثُمَّ يَجِدُ بَعْدَ ذلكَ رَاحَةً، فقيلَ: يا رسولَ اللهِ، لَوْ قَتَلْتَ اليَهُودِيَّ؟ فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ: «قَدْ عَافَانِي اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ - وَمَا وَرَاءَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ أَشَدُّ». قالَ: فَأَخْرَجَهُ.

قدْ رُوِّينَا فِي هذا عن الكَلْبِيِّ، عن أبي صالحٍ، عن ابنِ عَبَّاسٍ بِبَعْضِ معناهُ، وَرُوِّيناهُ في الحديثِ الصحيحِ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ، عن أَبِيهِ، عنْ عَائِشَةَ في أبوابِ دَعَوَاتِهِ دونَ ذِكْرِ المُعَوِّذَتَيْنِ). [دلائل النبوة: ٧/ ٩٤]

قالَ جلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُوَيْهِ والبَيْهَقِيُّ فِي الدلائلِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ لرسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غلامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدِمُهُ، يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ يَهُودُ حَتَّى سَحَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذُوبُ وَلا يَدْرِي مَا وَجَعُهُ.

فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ نَائِمٌ إِذْ أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِهِ لِلذي عِنْدَ رِجْلَيْهِ: مَا وَجَعُهُ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ. قَالَ: بِمَ طَبَّهُ؟ قَالَ: بِمُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ بِذِي أَرْوَانَ، وَهِيَ تَحْتَ رَاعُوفَةِ البِئْرِ.

فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَا وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ إِلَى البِئْرِ، فَنَزَلَ رَجُلٌ فَاسْتَخْرَجَ جُفَّ طَلْعَةٍ مِنْ تَحْتِ الرَّاعُوفَةِ، فَإِذَا فِيهَا مُشْطُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ مُشَاطَةِ رَأْسِهِ، وَإِذَا تِمْثَالٌ مِنْ شَمْعٍ؛ تِمْثَالُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِذَا فِيهَا إِبَرٌ مَغْرُوزَةٌ، وَإِذَا وَتَرٌ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً.

فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]. وَحَلَّ عُقْدَةً، ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق: ٢]، وَحَلَّ عُقْدَةً. حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، وَحَلَّ العُقَدَ كُلَّهَا، وَجَعَلَ لا يَنْزِعُ إِبْرَةً إِلاَّ وَجَدَ لَهَا أَلَماً، ثُمَّ يَجِدُ بَعْدَ ذَلِكَ رَاحَةً، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ قَتَلْتَ اليَهُودِيَّ. فَقَالَ: «قَدْ عَافَانِي اللَّهُ وَمَا وَرَاءَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَشَدُّ». فَأَخْرَجَهُ). [الدر المنثور: ١٥/ ٧٩٣- ٧٩٤]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (ومِن حديثِها في الدلائلِ للبيهقيِّ بعدَ ذِكْرِ حديثِ المَلَكَيْنِ: فلمَّا أَصْبَحَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ غدَا ومعه أصحابُه إلى البئرِ، فدَخَلَ رَجُلٌ فاستخرجَ

جُفَّ طَلعةٍ مِن تحتِ الراعوثةِ، فإذا فيها مُشطُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ، ومِن مُشاطةِ رأسِه، وإذا تِمثالٌ مِن شمْعٍ، تِمثالُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ، وإذا فيها إبَرٌ مَغروزةٌ، وإذا وَتَرٌ فيه إحدى عشْرةَ عُقدةً، فأتاهُ جِبريلُ عليه السلامُ بالمُعَوِّذَتَيْنِ، فقالَ: يا محمدُ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]، وحَلَّ عُقدةً، ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق: ٢]، وحلَّ عُقدةً. حتى فَرَغَ منهما وحَلَّ العُقَدَ كلَّها، وجعَلَ لا يَنْزِعُ إبرةً إلا وَجَدَ لها أَلَمًا، ثم يَجِدُ بعدَ ذلك راحةً، فقيلَ: يا رسولَ اللهِ، لو قَتَلْتَ اليهوديَّ؟ قالَ: قَدْ عَافَانِي اللهُ تَعَالَى، وَمَا يَرَاهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ أَشَدُّ".). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٢- ٢٨٣]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وفي روايةٍ: أنَّ الذي تَوَلَّى السحرَ لَبيدُ بنُ الأعصمِ وبناتُه، فَمَرِضَ النبيُّ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ، فنَزَلَ جبريلُ بالمُعَوِّذَتَيْنِ وأَخبرَه بِمَوْضِعِ السحرِ وبِمَنْ سَحَرَه وبِمَ سَحَرَه، فأَرْسَلَ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ تعالى وجهَه والزُّبيرَ وعَمَّارًا، فنَزَحُوا ماءَ البئرِ وهو كنُقاعةِ الحِنَّاءِ، ثم رَفَعوا رَاعُوثَةَ البئرِ فأَخْرَجوا أَسنانَ المُشطِ ومعها وَتَرٌ قد عُقِدَ فيه إحدى عشْرةَ عُقدةً مُغَرَّزَةً بالإبَرِ، فجاؤوا بها النبيَّ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ، فجَعَلَ يَقرَأُ المُعَوِّذَتَيْنِ عليها، فكان كُلَّمَا يَقرأُ آيةً انْحَلَّتْ عُقدةٌ، ووَجَدَ عليه الصلاةُ والسلامُ خِفَّةً، حتى انْحَلَّتِ العُقدةُ الأخيرةُ عندَ تَمامِ السورتينِ، فقامَ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ كأنما أُنْشِطَ مِن عِقالٍ. الخبرُ والروايةُ الأُولَى أَصَحُّ مِن هذه). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٣]

قلتُ: (وهذا الحديث ضعيفٌ جدًّا؛ فيه محمدُ بنُ عبيدِ اللهِ العَرْزَمِيُّ، متروكُ الحديثِ، وفي بعضِ ألفاظِه نَكارةٌ شديدةٌ).

حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه

طريق أبي معاوية عن الأعمش عن يزيد بن حيَّان عن زيد بن أرقم

قالَ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ ابنُ أبي شَيبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنا أبو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأعمَشِ، عَن يَزيدَ بنِ حَيَّانَ، عَن زَيدِ بنِ أَرْقَمَ قَالَ: سَحَرَ النبيَّ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ منَ اليهودِ، فَاشْتَكَى النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لِذلكَ أياماً، فَأَتاهُ جبرِيلُ فَقَالَ: إنَّ رَجُلاً منَ اليهودِ سَحَرَكَ، عَقَدَ لكَ عُقَداً، فَأَرسَلَ إليهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عليًّا فاستخرَجَها فجاءَ بهَا، فجَعَل كلَّمَا حلَّ عُقْدَةً وجَدَ لِذلكَ خِفَّةً، فقامَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم كأَنَّمَا نُشِطَ من عِقَالٍ، فمَا ذكَرَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ذلكَ اليهوديَّ ولا رَآه في وَجهِهِ قَطُّ).
[مصنف ابن أبي شيبة:٥/٤٣٥] (م)

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حنبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ (ت:٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: سَحَرَ النَّبِيَّ - صلى اللهُ عليه وسلم- رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ.
قَالَ: فَاشْتَكَى لِذَلِكَ أَيَّاماً.
قَالَ: فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: إِنَّ رَجُلاً مِنَ الْيَهُودِ سَحَرَكَ، عَقَدَ لَكَ عُقَداً عُقَداً فِي بِئْرِ كَذَا وَكَذَا، فَأَرْسِلْ إِلَيْهَا مَنْ يَجِيءُ بِهَا. فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى اللهُ عليه وسلَّمَ- عَلِيًّا فَاسْتَخْرَجَهَا فَجَاءَ بِهَا فَحَلَّلَهَا.

قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَمَا ذَكَرَ لِذَلِكَ اليَهُودِيِّ وَلا رَآهُ فِي وَجْهِهِ قَطُّ حَتَّى مَاتَ). [مسند الإمام أحمد:١٤/٣٢]

قالَ أَحْمَدُ بنُ شُعَيْبٍ النَّسَائِيُّ (ت:٣٠٣هـ): (أَخْبَرَنَا هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنِ ابْنِ حَيَّانَ - يَعْنِي يَزِيدَ - عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: سَحَرَ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم- رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، فَاشْتَكَى لِذَلِكَ أَيَّامًا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ: إِنَّ رَجُلاً مِنَ اليَهُودِ سَحَرَكَ، عَقَدَ لَكَ عُقَدًا فِي بِئْرِ كَذَا وَكَذَا. فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلَّمَ- فَاسْتَخْرَجُوهَا، فَجِيءَ بِهَا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ لِذَلِكَ اليَهُودِيِّ وَلا رَآهُ فِي وَجْهِهِ قَطُّ). [سنن النسائي الكبرى: ٣٠٨/٢]

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بن غَنَّامٍ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ ابنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ يَزِيدِ بن حَيَّانَ، عَنْ زَيْدِ بن أَرْقَمَ قَالَ: سَحَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، فَاشْتَكَى لِذَلِكَ أَيَّامًا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ رَجُلاً مِنَ اليَهُودِ سَحَرَكَ، عَقَدَ لَكَ عُقَدًا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَاسْتَخْرَجَهَا، فَجَاءَ بِهَا، فَجَعَلَ كُلَّمَا حَلَّ عُقْدَةً وَجَدَ لِذَلِكَ خِفَّةً، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَمَا ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ اليَهُودِيَّ وَلا رَآهُ فِي وَجْهِهِ قَطُّ). [المعجم الكبير:١٢/١٠٠]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (ورَوى الأَعْمَشُ، عن يَزيدَ بنِ حَيَّانَ، عن زَيدِ بنِ أَرقَمَ قالَ: سَحَرَ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ رجُلٌ مِنَ اليَهودِ؛ عَقَدَ له عُقَدًا، فاشتَكَى لذلك أيَّامًا، فأَتاهُ جِبريلُ عليه السلامُ فقالَ له: إنَّ رجلاً مِنَ اليَهودِ سَحَرَكَ. فبَعَثَ عليًّا رَضِيَ اللهُ عنه واستَخْرَجَها، فجعَلَ كلَّمَا حَلَّ عُقدةً وَجَدَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ لذلك خِفَّةً، حتى حَلَّها كلَّها، فقامَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كأنما نُشِطَ مِن عِقالٍ. فما ذكَرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ذلك لليَهودِ). [بحر العلوم: ٥٢٧/٣]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (أَخْبَرَنَا المُطَهَّرُ بنُ عليٍّ الفارِسيُّ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بن إبراهيمَ الصالحانيُّ، حَدَّثَنَا عبدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بن جعفرٍ أبو الشيخِ الحافظُ، أَخْبَرَنَا ابنُ أبي عاصمٍ، حَدَّثَنَا أبو بكرٍ ابنُ أبي شَيبةَ، حَدَّثَنَا أبو مُعاويةَ، عن الأعمَشِ، عن يَزيدَ بنِ حَيَّانَ، عَنْ زَيْدِ بنِ أَرْقَمَ قالَ: سَحَرَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجُلٌ من اليهودِ. قالَ: فاشْتَكى لذلك أيَّامًا. قالَ: فأَتاهُ جِبريلُ فقالَ: إنَّ رَجُلاً من اليهودِ سَحَرَكَ وعَقَدَ لك عُقَدًا، فأَرْسَلَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا فاستَخْرَجَها فجاءَ بها، فجَعَلَ كُلَّما حَلَّ عُقْدةً وَجَدَ لذلك خِفَّةً، فقامَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنما نُشِطَ من عِقالٍ، فما ذَكَرَ ذلك لليهودِ ولا رَأَوْهُ في وَجْهِهِ قطُّ). [معالم التنزيل: ٧٢٤]

زيادة أحمد بن يونس في حديث الأعمش

قالَ عَبْدُ بنُ حُمَيْدٍ الكِسِّيُّ (ت:٢٤٩هـ): (حدَّثَنِي أَحْمَدُ بنُ يونسَ، ثَنا أبو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأعمشِ، عَن يَزيدَ بنِ حَيَّانَ، عَن زيدِ بنِ أرقمَ قالَ: سَحَرَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنَ اليهودِ.

قَالَ: فاشتكى فأتاه جبريلُ فنزَلَ عَلَيهِ بالمعوِّذَتينِ، وقالَ: (إِنَّ رَجُلاً مِنَ اليَهُودِ سَحَرَكَ، وَالسِّحْرُ فِي بئرِ فُلانٍ).

قال: فَأَرْسَلَ عَلِيًّا فَجاءَ بِهِ.

قالَ: فَأَمَرَهُ أَن يَحُلَّ العُقَدَ، وَتُقْرَأَ آيةٌ، فَجعَلَ يَقْرَأُ وَيَحُلُّ حَتَّى قَامَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّمَا أُنشِطَ مِن عِقَالٍ.

قالَ: فَمَا ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ لِذَلِكَ اليهوديِّ شَيْئًا مِمَّا صَنَعَ بِهِ؟

قالَ: وَلا أَرَاهُ فِي وَجْهِهِ »). [مسند عبد بن حميد:١/١١٦]

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ سَلامَةَ الطَّحَاوِيُّ (ت: ٣٢١هـ): (حدَّثَنَا فَهْدٌ، حدَّثنا أَحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ يُونسَ، حدَّثَنَا أَبو مُعاوِيَةَ، عَنِ الأَعمشِ، عَن يَزيدَ بنِ حَيَّانَ، عَن زَيدِ بنِ أَرْقَمَ، قَالَ: سَحَرَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّمَ رَجُلٌ مِنَ اليَهودِ، فاشتكى، فأَتاه جبريلُ صلواتُ اللهِ عَلَيهِ بالمعوِّذتينِ، وَقالَ: إِنَّ رَجُلاً مِنَ اليَهودِ سَحَرَكَ، وَالسِّحرُ فِي بئرِ فُلانٍ، فَأَرسلَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عنهُ، فَجاءَ بهِ، فَأَمرَه أَن يَحُلَّ العُقَدَ، وَيَقْرَأَ آيَةً، فَجعَلَ يَقْرَأُ وَيَحلُّ، حَتَّى قامَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّمَ كَأَنَّمَا أُنشِطَ مِن عِقَالٍ، فَمَا ذَكَرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ لِذلِكَ اليَهودِيِّ شَيْئًا مِمَّا صَنَعَ، وَلا رَآهُ فِي وَجْهِهِ). [مشكل الآثار:١٥/١٨٠]

طريق جرير عن الأعمش عن ثمامة بن عقبة عن زيد بن أرقم

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حدَّثنا مُحَمَّدُ بنُ إِسحاقَ بنِ رَاهَوَيْهِ، ثنا أَبي ح وَحدَّثنا مُحَمَّدُ بنُ عثمانَ بنِ أبي شَيْبَةَ، ثَنا أَبي ح وَحدَّثنا الحسينُ بنُ إِسحاقَ التُّسْتَرِيُّ، ثَنا عثمان بنُ أبي شَيبةَ ح وَحدَّثنا أبو خَليفةَ، ثنَا عَلِيُّ بنُ المدينيِّ، قالوا: ثنَا جَرِيرٌ، عَنِ الأعمشِ، عَن ثُمامَةَ بنِ عُقبَةَ، عَن زيدِ بنِ أَرقمَ قالَ: كَانَ رَجُلٌ يدخُلُ عَلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّمَ، فَعقَدَ لَهُ عُقَدًا، فَوَضَعَهُ فِي بئرِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصارِ؛ فَأَتَاهُ مَلَكَانِ يَعُودَانِهِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِندَ رَأسِهِ وَالآخَرُ عِندَ رِجْلَيهِ؛ فقالَ أَحدُهمَا: أَتدري ما وَجَعُهُ؟

قالَ: فُلانٌ الَّذِي يَدخُلُ عَليهِ عَقَدَ لَهُ عُقَدًا فَألقَاهُ فِي بئرِ فُلانٍ الأَنصارِيِّ، فَلَوْ أُرسِلَ رَجُلٌ وَأَخَذَ العُقَدَ لَوَجَدَ الماءَ قَدِ اصْفَرَّ.

قالَ: فَبَعَثَ رَجُلاً فأَخَذَ العُقَدَ فحلَّها فبرأَ.

وَكانَ الرَّجُلُ بعدَ ذلكَ يَدخُلُ عَلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ؛ فلَم يَذكُرْ لهُ شيئًا مِنهُ، وَلَمْ يُعَاتِبْهُ عَلَيهِ السَّلامُ). [المعجم الكبير: ٥٠١١]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ الحَاكِمُ النَّيسَابُورِيُّ (ت: ٤٠٥هـ): (حدَّثنا الأستاذُ أبو الوليدِ، ثنا أبو عبدِ اللهِ البُوشَنْجِيُّ، ثنا أحمدُ بنُ حنبلٍ، ثنا جريرٌ، عن الأعمشِ، عن ثُمامةَ بنِ عُقبةَ المُحَلِّمِيُّ، عن زيدِ بنِ أرقمَ قال:

(كانَ رجُلٌ يدخُلُ علَى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمْ، فسَحَرَهُ رَجُلٌ، فعقَدَ لَهُ عُقَدًا، فوضَعَه وطَرَحَه في بئرِ رجلٍ منَ الأنصَارِ، فأتَاهُ مَلَكَانِ يعودَانِه، فقعَدَ أحدُهما عندَ رأسِهِ وقعَدَ الآخرُ عندَ رِجلَيهِ؛ فقالَ أحدُهُمَا: أتدْرِي ما وَجَعُه؟

قال: فلانٌ الذي كانَ يدخُلُ عليهِ عقَدَ لَهُ عُقَدًا، فألقَاه في بئرِ فلانٍ الأنصارِيِّ، فلوْ أرسلَ إليهِ رجلاً فأخذَ منه العُقَدَ لوجَدَ الماءَ قَدِ اصفرَّ. قال: وأخذَ العُقَدَ فحلَّها فيها.

قال: فكان الرجلُ بعدُ يدخُلُ علَى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فلَمْ يذكُرْ لهُ شيئًا منهُ ولمْ يُعَاتِبْهُ)

هذا حديثٌ صحيحٌ على شرطِ الشيخينِ ولم يُخرِّجاه). [المستدرك: ٤/٤٠١]

- **قلتُ:** (حديثُ زيدِ بنِ أرقمَ رُوِيَ من طُرُقٍ مدارُها على الأعمش:

الطريقُ الأوَّل: طريقُ جريرٍ عن الأعمشِ عن ثُمامةَ بنِ عُقبةَ، عن زيدِ بنِ أرقمَ، وقد أخرجه الطبرانيُّ في معجمِه الكبيرِ من طريقِ إسحاقَ بنِ رَاهَوَيْهِ وعثمانَ بنِ أبي شيبةَ وعليِّ بنِ المَدِينيِّ، ثلاثتُهم عن جَريرٍ به، وأخرجه الحاكمُ في مستدرَكِه من طريقِ أحمدَ بنِ حنبلٍ عن جَريرٍ به، وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرطِ الشيخينِ ولم يخرجاه.

وليس فيه ذِكْرُ نُزولِ المعوِّذتيْنِ، وهو أقربُ إلى روايةِ هشامِ بنِ عُروةَ.

الطريقُ الثاني: طريقُ شيبانَ، عن الأعمشِ، عن ثُمامةَ، عن زيدِ بنِ أرقمَ، بمثلِ روايةِ جريرٍ، أخرجه الطبرانيُّ في الكبيرِ.

الطريقُ الثالثُ: طريقُ سفيانَ الثوريِّ، عن الأعمشِ، عن ثُمامةَ عن زيدِ بنِ أرقمَ، أخرجه ابنُ سَعْدٍ في الطبقاتِ، والبزارُ في مسندِه، وفي إسنادِه عندهما موسى بنُ مسعودٍ، وهو أبو حذيفةَ النَّهديُّ، وليس فيه ذِكْرُ نزولِ المعوذتين.

الطريقُ الرابعُ: طريقُ أبي معاويةَ، عن الأعمشِ، عن يزيدَ بنِ حَيَّانَ، عن زيدِ بنِ أرقمَ، واختُلفَ فيه فرواه ابنُ أبي شيبةَ وأحمدُ والنَّسائيُّ والطبرانيُّ وأبو الشيخِ الأصبهانيُّ والبَغَوِيُّ من طُرُقٍ عن أبي معاويةَ عن الأعمشِ به، وليس فيه ذِكْرُ نزولِ المعوِّذتين.

ورواه عَبدُ بنُ حُميدٍ والطَّحاويُّ في مُشكِلِ الآثارِ، كلاهما من طريقِ أحمدَ بنِ يونسَ، عن أبي معاويةَ، عن الأعمشِ، عن يَزيدَ بنِ حَيَّانَ، عن زيدِ بنِ أرقمَ، وذكر فيه نُزولَ المعوذتين.

فهذه الزيادةُ تفرَّدَ بها أحمدُ بنُ يونسَ، وهو إمامٌ ثقةٌ، قال عنه أحمدُ بنُ حنبلٍ: شيخُ الإسلامِ، لكنه خُولفُ في هذه الزيادةِ؛ فقد روى الحديثَ عن أبي مُعاويةَ أحمدُ وابنُ أبي شيبةَ وهنَّادُ بنُ السَّرِيِّ دونَ ذِكْرِ هذه الزيادةِ.

فمَن صحح روايتَه ذهب إلى القولِ بموجبها واعتبرها من بابِ زيادةِ الثقةِ كما فعل الألبانيُّ، ومَن اعتبرها مخالفةً حكم عليها بالشذوذِ لمخالفةِ أحمدَ بنِ يونسَ بقيةَ الرواةِ عن أبي معاويةَ، ثم مخالفةِ هذه الزيادةِ لطرقِ الحديثِ الأخرى).

■ مَن ذكر حديث زيد بن أرقم من المفسرين

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (عنْ زَيْدِ بنِ أَرْقَمَ قالَ: سَحَرَ رجُلٌ مِن اليهودِ النبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، فاشْتَكَى ذلكَ أيَّاماً، فأَتَاهُ جِبْرِيلُ فقالَ: إنَّ رَجُلاً من اليهودِ سَحَرَكَ، وعَقَدَ لكَ عُقَداً في بِئْرِ كذا.

فأرسَلَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ عَلِيًّا فاسْتَخْرَجَهَا، فجاءَ بها فَحَلَّهَا، فجعَلَ كُلَّمَا حَلَّ عُقْدَةً وَجَدَ لِذَلِكَ خِفَّةً، فقامَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ كأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فما ذَكَرَ ذلكَ للِيَهُودِيِّ، ولا رَآهُ في وَجْهِهِ قَطُّ. أخرجَهُ النَّسَائِيُّ). [لباب التأويل: ٤/٥٠٠]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ ابْنُ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (قالَ الإمامُ أحمدُ: حدَّثَنَا أبو مُعاوِيَةَ، حدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عن يَزِيدَ بنِ حَيَّانَ، عن زَيْدِ بنِ أَرْقَمَ قالَ: سَحَرَ النَّبِيَّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ رَجُلٌ مِن اليَهودِ، فاشْتَكَى لذلك أَيَّاماً. قالَ: فجاءَهُ جِبْرِيلُ، فقالَ: إنَّ رَجُلاً مِنَ اليَهُودِ سَحَرَكَ، وعَقَدَ لَكَ عُقَداً فِي بِئْرِ كَذَا وكذا، فأَرْسِلْ مَنْ يَجِيءُ بِهَا. فبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ عَلِيًّا رضِيَ اللَّهُ عنهُ، فاسْتَخْرَجَها، فجاءَهُ بها فحَلَّلها. قالَ: فقامَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ كأنَّما نُشِطَ مِن عِقالٍ، فمَا ذَكَرَ ذلك للِيَهُودِيِّ، ولا رَآهُ فِي وَجْهِهِ قَطُّ حتَّى ماتَ.

ورواهُ النَّسائِيُّ، عن هَنَّادٍ، عن أبي مُعاوِيَةَ مُحَمَّدِ بنِ خازِمٍ الضَّرِيرِ). [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩٠]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (ورَوَى النَّسائيُّ في (المحاربةِ) مِنْ سُنَنِهِ، وأبو بكرِ بنُ أبي شَيْبَةَ وأحمدُ بنُ مَنِيعٍ وعبدُ بنُ حُمَيْدٍ وأبو يَعْلَى المَوْصِلِيُّ في مَسَانِيدِهِمْ والبَغَوِيُّ في تَفْسِيرِهِ، كُلُّهُم عَنْ زيدِ بنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كانَ رَجُلٌ يَدْخُلُ على النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَ لَهُ، فَسَحَرَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنَ اليهودِ.

فَاشْتَكَى لذلكَ أَيَّاماً، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصلاةُ والسلامُ فَقَالَ: إِنَّ رَجُلاً مِنَ اليَهُودِ سَحَرَكَ، عَقَدَ لَكَ عُقَداً في بِئْرِ كذا وكذا، أَوْ قَالَ: فَطَرَحَهُ في بئرِ رَجُلٍ مِنَ الأنصارِ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَخْرَجُوهَا، فَجِيءَ بها فَحَلَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا حَلَّ عُقْدَةً وَجَدَ لذلكَ خِفَّةً، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَمَا ذَكَرَ ذلكَ لِذَلِكَ اليهوديِّ ولا رَآهُ في وَجْهِهِ قَطُّ.

وَفي رِوَايَةٍ: فَأَتَاهُ مَلَكَانِ يُعَوِّذَانِهِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عندَ رأسِهِ والآخرُ عندَ رِجْلِهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَتَدْرِي ما وَجَعُهُ؟ قَالَ: كَأَنَّ الذي يَدْخُلُ عَلَيْهِ عَقَدَ لهُ وَأَلْقَاهُ في بِئْرٍ. فَأَرْسَلَ إليهِ رَجُلاً - وفي رِوَايَةٍ: عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَأَخَذَ العُقَدَ، فَوَجَدَ الماءَ قدِ اصفَرَّ. قالَ: فَأَخَذَ العُقَدَ فَحَلَّهَا فَبَرِئَ، فَكَانَ الرجلُ بعدَ ذلكَ يَدْخُلُ على النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلمْ يَذْكُرْ لهُ شَيْئاً، ولم يُعَاتِبْهُ فيهِ. وهذا الفَضْلُ لِمَنْفَعَةِ المُعَوِّذَتَيْنِ كَمَا مَنَحَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكذا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَى سَائِرِ أُمَّتِهِ). [نظم الدرر: ٨/٦٠٨- ٦٠٩]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وعنْ زيدِ بنِ أَرْقَمَ قَالَ: سَحَرَ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليه سلم رجلٌ منَ اليهودِ، فاشتكى ذلكَ أيامًا، فأتاهُ جبريلُ عليهِ السلامُ فَقَالَ: إنَّ رجلاً منَ اليَهودِ سَحَرَكَ وعقدَ لكَ عُقَدًا في بئرِ كذا وكذا، فأرسل رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليًّا فاستخرَجَها فجاءَ بها فجعلَ كُلَّما حلَّ عُقدةً وجدَ لذلكَ خِفَّةً، فقامَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنَّما نُشِطَ منْ عِقالٍ.

قَالَ: [فما ذكرَ ذلكَ لليَهوديِّ ولا رؤي في وجهِهِ قطُّ].

ورُوِيَ أنَّهُ كانَ تحتَ صخرةٍ في البِئرِ فرَفَعوا الصَّخْرَةَ وأخرجوا جُفَّ الطَّلْعَةِ، فإذا فيها مُشَاطَةٌ مِن رأسِهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسنانُ مُشْطِهِ. وعنْ مُقاتِلٍ والكلبيِّ: كانَ ذلكَ في وَتَرٍ عُقِدَ عليهِ إحدى عشرة عُقدةً، وَقِيلَ: كانتْ مغروزةً بالإبرةِ، فأنزلَ اللَّهُ هاتينِ السُّورتينِ، وهما إحدى عشْرةَ آيةً، سورةُ الفَلَقِ خَمسُ آياتٍ، وسُورةُ النَّاسِ ستُّ آياتٍ، كلمَّا قرأَ آيةً انحلَّتْ عقدةٌ حتى انحلَّتِ العُقَدُ كُلُّها، فقامَ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنما نُشِطَ منْ عِقَالٍ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ في مسندِهِ عَنْ زيدِ بنِ أَرْقَمَ، قَالَ: سَحَرَ النبيَّ رَجُلٌ مِنَ اليهودِ، فَاشْتَكَى، فَأَتَاهُ جبريلُ فَنَزَلَ عَلَيْهِ بالمُعَوِّذَتَيْنِ وَقالَ: إِنَّ رَجُلاً مِنَ اليهودِ سَحَرَكَ، وَالسِّحْرُ في بئرِ فلانٍ. فَأَرْسَلَ عَلِيًّا فَجَاءَ بِهِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَحُلَّ العُقَدَ وَيَقْرَأَ آيةً وَيَحُلَّ، حتَّى قَامَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ.

وَأَخْرَجَهُ ابنُ مَرْدُوَيْهِ وَالبيهقيُّ مِنْ حديثِ عائشةَ مُطَوَّلاً، وَكذلكَ أَخْرَجَهُ مِنْ حديثِ ابْنِ عَبَّاسٍ). [فتح القدير: ٥/٥٦٧]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وعنْ زيدِ بنِ أَرْقَمَ قَالَ: سَحَرَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلٌ مِنَ اليهودِ، فَاشْتَكَى، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ بالمُعَوِّذَتَيْنِ وَقَالَ: إِنَّ رَجُلاً مِنَ اليهودِ سَحَرَكَ، وَالسِّحْرُ في بِئْرِ فلانٍ. فَأَرْسَلَ عَلِيًّا، فَجَاءَ بِهِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَحُلَّ العُقَدَ وَيَقْرَأَ بِآيَةٍ وَيَحُلَّ، حتَّى قامَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ. أَخْرَجَهُ عبدُ بنُ حُمَيْدٍ في مسندِهِ، وَأَخْرَجَهُ ابنُ مَرْدُوَيْهِ مِنْ حديثِ عائشةَ مُطَوَّلاً، وَكذلكَ مِنْ حديثِ ابنِ عَبَّاسٍ). [فتح البيان: ١٥/٤٥٥]

■ تخريج حديث زيد بن أرقم

قال محمد ناصر الدين الأَلْبَانِيُّ: (٢٧٦١ - (كانَ رجلٌ [مِنَ اليهودِ] يدخُلُ على النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم، [وكان يأمَنُه]، فعقَد له عُقَداً، فوضعه في بئرِ رجلٍ من الأنصارِ، [فاشتكى لذلك أياماً، (وفي حديث عائشة: ستةَ أشهرٍ)]، فأتاه ملكانِ يعُودانِه، فقعَد أحدُهما عند رأسِه، والآخَرُ عند رجليْه، فقال أحدُهما: أتدري ما وجَعُه؟

قال: فلانٌ الذي [كان] يدخُلُ عليه عقَدَ له عُقَداً، فألقاه في بئرِ فلانٍ الأنصاريِّ، فلو أرسل [إليه] رجلاً، وأخذ [منه] العُقَد لوجَد الماءَ قَدِ اصفرَّ. [فأتاه جبريلُ فنزل عليه بـ (المعوِّذتينِ)، وقال: إن رجلاً

من اليهودِ سحَرَك، والسِّحْرُ في بئرِ فلانٍ، قال:] فبعث رجلاً (وفي طريقٍ أخرى: فبعث عليًّا رضِيَ اللهُ عنه) [فوجد الماء قَدِ اصفرَّ] فأخذ العُقَدَ [فجاء بها]، [فأمره أن يُحلَّ العُقَدَ ويقرأَ آيةً]، فحلَّها، [فجعَل يقرأُ ويُحُلُّ]، [فجعل كلما حل عُقدةً وجد لذلك خِفَّةً] فبرَأَ، (وفي الطريقِ الأخرى: فقام رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ كأنما نُشِطَ من عِقالٍ)، وكان الرجلُ بعد ذلك يدخُلُ على النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم فلم يَذكُرْ له شيئاً منه، ولم يُعاتِبْه [قطُّ حتى مات]).

هذا من حديثِ زيدِ بنِ أرقمَ رضِيَ اللهُ عنه، وله عنه طريقانِ مدارُهما على الأعمشِ رحِمه اللهُ تعالى.

الأولُ: عنه عن ثُمامةَ بنِ عُقبةَ، عن زيدِ رضِيَ اللهُ عنه؛ أخرجه الطبرانيُّ في "المعجمِ الكبيرِ" (٥ / ٢٠١ / ٥٠١١) والسِّياقُ له، والحاكِمُ (٤/٣٦٠ - ٣٦١) والزيادةُ الرابعةُ والخامسةُ والسادسةُ له، كلاهما من طريقِ جريرٍ عن الأعمشِ به.

وقال الحاكمُ: (صحيحٌ على شرطِ الشيخينِ) وردَّه الذَّهَبِيُّ بقولِه: (قلتُ: لم يُخرِّجا لثُمامةَ شيئاً، وهو صدوقٌ).

قلتُ: بل هو ثقةٌ كما قال الذهبيُّ نفسُه في الكاشفِ، تبعاً لابنِ مَعينٍ والنَّسائيِّ، وكذا قال الحافظُ في (التقريبِ)، فالسندُ صحيحٌ.

و قد تابعه شيبانُ عن الأعمشِ به؛ أخرجه الطبرانيُّ (٥٠١٢) وقال: (خالَفَهُما أبو معاويةَ في إسنادِه).

قلتُ: يُشيرُ إلى الطريقِ الآتي، وقد تابعهما سفيانُ الثوريُّ عن الأعمشِ به؛ أخرجه ابنُ سعدٍ في (الطبقاتِ) (١٩٩/٢) والزيادةُ الثانيةُ له.

الطريقُ الثاني: يرويه أبو معاويةَ عن الأعمشِ، عن يزيدَ بنِ حَيَّان، عن زيدِ بنِ أرقمَ به؛ أخرجه النَّسائيُّ في (السنن: ١٧٢/٢) وابنُ أبي شَيبةَ في (المصنفِ: ٢٩/٨- ٣٥٦٩/٣٠) وأحمدُ (٣٦٧/٤) وعبدُ بنُ حميدٍ في (المُنتخَبِ من المُسندِ: ق٤٠/ ١ - ٢) والطبرانيُّ أيضاً (٢٠٢/٥/ ٥٠١٣ و٥٠١٦).

قلتُ: وهذا إسنادٌ صحيحٌ كما قال الحافظُ العراقيُّ في (تخريجِ الإحياءِ: ٣٣٦/٢) وهو على شرطِ مسلمٍ؛ فإنَّ رجالَه رجالُ الشيخينِ غيرَ يزيدَ بنِ حَيَّان فهو من رجالِ مسلمٍ، وأبو معاويةَ هو محمدُ بن خازمٍ الضريرُ، قال الحافظُ في (التقريبِ): (ثقةٌ، أحفظُ الناسِ لحديثِ الأعمشِ).

قلتُ: وهذا مما يمنعُنا من الحكمِ على إسنادِه بالشذوذِ لمخالفتِه للثقاتِ الثلاثةِ المتقدمينَ، فالظاهرُ أنَّ للأعمشِ فيه شيخينِ عن زيدِ بنِ أرقمَ، واللهُ أعلمُ.

ثم إنَّ سائرَ الزياداتِ لابنِ أبي شيبةَ وأحمدَ، إلا زيادةَ قراءةِ آيةٍ فهي لعَبدِ بنِ حُميدٍ، وكذا زيادةُ نزولِ جبريلَ بـ (المعوِّذتينِ)، وسندُها صحيحٌ أيضاً. ولها شاهدٌ من حديثِ عَمرةَ عن عائشةَ، قالت: كان لرسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ غلامٌ يهوديٌّ يخدُمه، يقالُ له: لَبيدُ بنُ أَعصَم، وكانت تُعجِبُه خِدمتُه، فلم تزَلْ به يهودُ حتى سَحَرَ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم، فكان صلى اللهُ عليه وسلم يذوبُ ولا يدري ما وَجَعُه، فبينما رسولُ اللهِ صلى اللهُ

عليه وسلم ذاتَ ليلةٍ نائمٌ إذ أتاه مَلَكانِ، فجلس أحدُهما عندَ رأسِه، والآخَرُ عند رجليْه، فقال الذي عندَ رأسِه للذي عند رِجليه: ما وَجَعُه؟

قال: مطبوبٌ. فقال: مَن طَبَّهُ؟ قال: لَبيدُ بنُ أَعصمَ. قال: بِمَ طَبَّه؟ قال: بمُشْطٍ ومُشَاطَةٍ وجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ بـ (ذي أروى)، وهي تحتَ راعوفةِ البئرِ؛ فاستيقظ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم، فدعا عائشةَ فقال: يا عائشةُ، أَشَعَرْتِ أنَّ اللهَ قد أفتاني بوجعي؟ فلما أصبح غدَا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ، وغدا أصحابُه معه إلى البئرِ، وإذا ماؤُها كأنه نَقيعُ الحِنَّاءِ، وإذا نخلُها الذي يَشرَبُ من مائِها قَدِ الْتَوَى سَعَفُه كأنه رُؤوسُ الشياطينِ.

قال: فنزل رجلٌ فاستخرج جُفَّ طَلعةٍ من تحتِ الراعوفةِ، فإذا فيها مُشطُ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ ومِن مُشاطةِ رأسِه، وإذا تِمثالٌ من شَمْعٍ؛ تمثالُ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم، وإذا فيها إِبَرٌ مَغْرُوزَةٌ، وإذا وَتَرٌ فيه إحدى عشْرةَ عُقْدَةً، فأتاه جبريل بـ (المعوِّذتين) فقال: يا محمدُ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١] وحَلَّ عُقدةً، ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق: ٢] وحلَّ عُقدةً، حتى فرغ منها، وحل العُقَدَ كلَّها، وجعل لا ينزعُ إبرةً إلا وجد لها ألمًا ثم يجِدُ بعد ذلك راحةً.

فقيل: يا رسولَ اللهِ، لو قتلتَ اليهوديَّ؟

فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: قد عافاني اللهُ عزَّ وجلَّ، وما وراءَه من عذابِ اللهِ أشدُّ. قال: فأخرجه).

رواه البيهقيُّ في (دلائلِ النُّبوَّةِ) (٢/٢/٢٢٦/١- ٢و٩٢/٧- ٩٤ط) من طريقِ سَلَمَة بن حَبَّانَ: حدثنا يزيدُ بنُ هارونَ، أخبرنا محمدُ بنُ عُبيدِ اللهِ، عن أبي بكرِ بنِ محمدٍ، عن عَمرةَ به.

قلتُ: وهذا إسنادٌ ضعيفٌ جدًّا، محمدُ بنُ عُبيدِ اللهِ هو العَرْزَمِيُّ، وهو متروكٌ، وسَلَمَةُ بن حَبَّان - وهو بفتح الحاءِ - روى عنه جَمْعٌ من الثقاتِ، وذكره ابنُ حِبَّان في ثِقاتِه (٢٨٧/٨) فالعلةُ من العرزميِّ.

وإن مما يُوهِنُ حديثَه هذا أنه قد جاء مختصراً من طريق هشامِ بنِ عُروةَ عن أبيه عن عائشةَ مرفوعًا نحوَه، دونَ ذِكْرِ التمثالِ وما بعدَه. أخرجه البُخاريُّ (٣٢٦٨ و٥٧٦٣ و٥٧٦٥ و٥٧٦٦ و٦٣٩١) ومسلمٌ (٧ / ١٤) وابنُ أبي شيبةَ (٨ / ٣٠ / ٣٥٧٠) ومن طريقِه ابنُ ماجَهْ (٣٥٩٠ - الأَعْظَمِيّ) وأحمدُ (٦ / ٥٠ و٥٧ و٦٣ و٩٦) والحُميديُّ (٢٥٩) وابنُ سعدٍ (٢ / ١٩٦) وأبو يعلى (٣ / ١٩٤) والبيهقيُّ (٢ / ٢ / ١٥٧ / ٢) من طُرُقٍ عن هشامٍ به. وزيادةُ ستةِ أشهرٍ المذكورةُ في حديثِ الترجمةِ، هي عند أحمدَ في روايةٍ، وسندُها صحيحٌ، وصححها الحافظُ في " الفتح " (١٠ / ٢٢٦).

وبالجملةِ، فحديثُ العَرْزَمِيِّ وما فيه من الزياداتِ منكرٌ جدًّا، إلا ما وافقَ حديثَ هشامٍ عن عُروةَ، وحديثَ الترجمةِ، ومن ذلك نزولُ (المعوذتين)، فقد ذكره الرافعيُّ في كتابِه، فقال الحافظُ في تلخيصِه (٤٠/٤): (وهذا ذكره الثعلبيُّ في تفسيرِه من حديثِ ابنِ عباسٍ تعليقاً، ومن حديثِ عائشةَ أيضاً تعليقاً.

طريقُ عائشةَ صحيحٌ، أخرجه سفيانُ بنُ عُيينةَ في تفسيرِه روايةَ أبي عبيدِ اللهِ عنه، عن هشامِ بنِ عُروةَ، عن أبيه، عن عائشةَ. فذكر الحديثَ، وفيه: ونزلت ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١].

وهذه فائدةٌ هامةٌ من الحافظِ رحِمه اللهُ تعالى، لم تردْ في كتابِه (فتح الباري)، وهي شاهدٌ قويٌّ لحديثِ الترجمةِ. واللهُ أعلمُ. ومن المفيدِ أن نذكُرَ أن بعضَ المبتدِعةِ قديماً وحديثاً قد أنكروا هذا الحديثَ الصحيحَ، بشُبُهاتٍ هي أوهى من بيتِ العنكبوتِ، وقد ردَّ عليهم العلماءُ في شُروحِهم، فليَرْجِعْ إليها مَن شاء. وقد أخطأ المعلقُ على "الدلائل" خطأً فاحشاً في عزوِه روايةَ البيهقيِّ إلى الشيخينِ وغيرِهما، دونَ أن يُنبِّهَ إلى ما فيه من المنكراتِ المخالفةِ لروايتيهما!). [السلسلة الصحيحة:٦/٦١٦]

حديث ابن عبّاس رضِي الله عنه

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (روَى أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ اشْتَكَى شَكْوَى شديدةً، فبَيْنَا هو بينَ النائمِ واليَقْظَانِ إذا مَلَكانِ أَحَدُهُمَا عندَ رأسِه، والآخَرُ عندَ رِجلَيْهِ، فقالَ أَحَدُهُمَا: ما شَكواهُ؟ فقالَ الآخَرُ: مَطْبُوبٌ، - أي: مَسحورٌ، والطِّبُّ: السِّحْرُ - قالَ: ومَن طَبَّهُ؟ قالَ: لَبِيدُ بنُ الأعصمِ اليهوديُّ، فطَرَحَه في بِئْرِ ذَرْوانَ تحتَ صَخرةٍ فيها، فبَعَثَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ عمَّارَ بنَ ياسرٍ فاستخْرَجَ السحْرَ منها.

ويُرْوَى أنَّ فيهِ إحدى عَشْرَةَ عُقدةً، فأمَرَ بحَلِّ العُقَدِ، فكانَ كلَّمَا حَلَّ عُقدةً وَجَدَ راحةً، حتى حُلَّتِ العُقَدُ كلُّها، فكأنَّما أُنْشِطَ مِن عِقالٍ؛ فنَزَلَتْ عليهِ المُعَوِّذَتَانِ، وهما إِحْدَى عَشْرةَ آيةً بعَدَدِ العُقَدِ، وأُمِرَ أنْ يَتَعَوَّذَ بهما). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٦]

قَالَ أحمدُ بنُ الحسينِ بنِ عليٍّ البَيْهَقِيُّ (ت: ٤٥٨ هـ): (أخبرنا أبو عبدِ اللهِ الحافظُ، وأبو سعيدِ بنُ أبي عمرٍو، قالا: حدثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ، حدثنا يحيى بنُ أبي طالبٍ، أنبأنا عبدُ الوهَّابِ بنُ عَطَاءٍ، أنبأنا محمدُ بنُ السائبِ، عن أبي صالحٍ، عنِ ابنِ عباسٍ قال: مرِضَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم مرضًا شديدًا، فأتاه ملكانِ فقعدا أحدُهما عندَ رأسِه والآخَرُ عندَ رِجليْه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسِه: ما ترى؟ قال: طُبَّ.

قال: وما طَبُّهُ؟ قال: سُحِرَ، قال: وما سَحَرَهُ؟ قال: لَبيدُ بنُ أعصمَ اليهوديُّ، قال: أين هو؟ قال: في بئرِ آلِ فلانٍ تحتَ صخرةٍ في رَكِيَّةٍ، فأتوا الرَّكِيَّ فانْزَحُوا ماءَها وارفَعُوا الصخرةَ، ثم خذوا الكَرَبَةَ فأَحْرِقُوها. فلما أصبح رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بعَث عمَّارَ بنَ ياسرٍ في نَفَرٍ فأتوُا الرَّكِيَّ فإذا ماؤُها مثلُ ماءِ الحِنَّاءِ، فنزحوا الماءَ ثم رفعوا الصخرةَ وأخرجوا الْكَرَبَةَ فأحرقوها، فإذا فيها وَتَرٌ فيه إحدى عشْرةَ عُقْدَةً، فأنزلت عليه هاتانِ السورتانِ، فجعَلَ كلما قرأ آيةً انحلَّتْ عُقدةٌ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١]). الاعتمادُ على الحديثِ الأولِ). [دلائل النبوة: جماع أبواب دعوات نبينا صلى الله عليه وسلم]

- **قلتُ:** (قولُ البيهقيِّ: (الاعتمادُ على الحديثِ الأولِ) يريدُ به حديثَ هشامِ بنِ عروةَ عن أبيه عن عائشةَ).

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (ك، وأَخْرَجَ البَيْهَقِيُّ فِي دَلائِلِ النُّبُوَّةِ مِن طَرِيقِ الكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عنِ ابنِ عَبَّاسٍ قالَ: مَرِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَضًا شَدِيدًا، فأَتَاهُ مَلَكَانِ، فَقَعَدَ أَحَدُهما عندَ رأسِهِ، والآخرُ عندَ رِجْلَيهِ، فقالَ الذي عندَ رِجْلَيْهِ للذي عندَ رأسِهِ: ما تَرَى؟ قَالَ: طُبَّ. قَالَ: وما طُبَّ؟ قَالَ: سُحِرَ. قَالَ: ومَنْ سَحَرَهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بنُ الأَعْصَمِ اليَهُودِيُّ. قَالَ: أَيْنَ هو؟ قَالَ: في بِئْرِ آلِ فُلانٍ تَحْتَ صَخْرَةٍ في رَكِيَّةٍ، فَأْتُوا الرَّكِيَّةَ فانْزَحُوا ماءَهَا، وارْفَعُوا الصَّخْرَةَ، ثُمَّ خُذُوا الرَّكِيَّةَ، وأَحْرِقُوهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ بَعَثَ عَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ في نَفَرٍ، فأَتَوُا الرَّكِيَّةَ، فإِذَا ماؤُها مِثْلُ ماءِ الحِنَّاءِ، فنَزَحُوا الماءَ ثُمَّ رَفَعُوا الصَّخْرَةَ، وأَخْرَجُوا الرَّكِيَّةَ وأَحْرَقُوها، فإذا فيها وَتَرٌ، فيه إحدى عَشْرَةَ عُقْدَةً، وأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ هَاتَانِ السُّورَتانِ، فجَعَلَ كُلَّمَا قَرَأَ آيةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١].

لأَصْلِه شَاهِدٌ فِي الصَّحِيحِ بدُونِ نُزُولِ السُّورَتَيْنِ، ولَهُ شَاهِدٌ بنُزُولِهِمَا). [لباب النقول: ٢٧٠]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَهْ مِنْ طَرِيقِ عِكْرِمَةَ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ لَبِيدَ بْنَ الأَعْصَمِ اليهوديَّ سَحَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَعَلَ فِيهِ تِمْثَالاً فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فَأَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ وَجَعٌ شَدِيدٌ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ومِيكَائِيلُ يَعُودَانِهِ، فَقَالَ مِيكائيلُ: يَا جِبْرِيلُ، إِنَّ صَاحِبَكَ شَاكٍ؟ قَالَ: أَجَلْ. قالَ: أَصَابَهُ لَبِيدُ بْنُ الأعصمِ اليَهُودِيُّ، وَهُوَ فِي بِئْرِ مَيْمُونٍ فِي كَرَبَةٍ تَحْتَ صخرةٍ فِي المَاءِ.
قَالَ: فَمَا دَوَاءُ ذَلِكَ؟ قَالَ: تُنْزَحُ البِئْرُ، ثُمَّ تُقْلَبُ الصخرةُ فَتُؤْخَذُ الكَرَبَةُ فِيهَا تِمْثَالٌ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فَتُحرَقُ، فَإِنَّهُ يَبْرَأُ بإذنِ اللَّهِ. فَأَرْسَلَ إِلَى رَهْطٍ فِيهِمْ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَنَزَحَ المَاءَ فَوَجَدُوهُ قَدْ صَارَ كَأَنَّهُ مَاءُ الحِنَّاءِ، ثُمَّ قُلِبَتِ الصخرةُ فإِذَا كَرَبَةٌ فِيهَا تِمثالٌ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]: الصُّبْحِ. فَانْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق: ٢]: مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ. فَانْحَلَّتْ عقدةٌ، ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ [الفلق: ٣]: اللَّيْلِ وَمَا يَجِيءُ بِهِ النَّهارُ، ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: ٤] السَّحَّارَاتِ المُؤْذِيَاتِ فَانْحَلَّتْ عقدةٌ، ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٥]). [الدر المنثور: ١٥/٧٩٤- ٧٩٥]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: «أَمَا شَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَخْبَرَنِي بِدَائِي؟». ثُمَّ بَعَثَ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ وعَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ، فَنَزَحُوا مَاءَ تِلْكَ البِئْرِ كأنَّه نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، ثم رَفَعُوا الصخْرَةَ، وهي الراعُوفَةُ - صَخْرَةٌ تُتْرَكُ أَسْفَلَ البِئْرِ يَقُومُ عليها المائِحُ- وأَخْرَجُوا الجُفَّ، فإِذَا مُشَاطَةُ رَأْسِ إِنسانٍ، وأَسْنَانٌ مِنْ مُشْطٍ، وَإِذَا وَتَرٌ مَعْقُودٌ فيه إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً مُغَرَّزَةً بالإِبَرِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ، وهما إِحْدَى عَشْرَةَ آيةً على عددِ تِلكَ العُقَدِ، وأَمَرَ أَنْ يُتَعَوَّذَ بِهِما؛ فجَعَلَ كُلَّمَا قَرَأَ آيَةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَوَجَدَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِفَّةً، حتَّى انْحَلَّتِ العُقْدَةُ الأخيرةُ، فكأنَّما أُنْشِطَ مِن عِقَالٍ. وقالَ: لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٣]

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه

قالَ جلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وأَخْرَجَ أبو نُعَيْمٍ في الدَّلائِلِ مِن طَرِيقِ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ، عن الرَّبِيعِ بنِ أَنَسٍ، عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: صَنَعَتِ اليَهُودُ لرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ شَيْئاً، فأَصَابَهُ مِن ذَلِكَ وَجَعٌ شَدِيدٌ، فدَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُه، فظَنُّوا أنَّه لما به، فأَتَاهُ جِبْرِيلُ بالمُعَوِّذَتَيْنِ، فعَوَّذَهُ بِهِمَا، فخَرَجَ إلى أَصْحَابِه صَحِيحاً). [لباب النقول: ٢٧٠]

قلتُ: (لم أجِدْه فيما طُبِعَ من دلائلِ النبوةِ لأبي نعيمٍ ولا أعرِفُ الإسنادَ إلى أبي جعفرٍ الرازيِّ، وعلى ذلك فأبو جعفرٍ الرازيُّ لا يُحتملُ تفرُّدُه بمثلِ هذا الأمرِ لسوءِ حفظِه، واسمُه: عيسى بنُ عبدِ اللهِ بنِ ماهانَ، قال عنه الحافظُ في التقريبِ: (صدوقٌ سيئُ الحفظِ)، وقد طعَنَ عددٌ من الأئمةِ الحفاظِ في حفظِه كالإمامِ أحمدَ وابنِ معينٍ في أحدِ قوليهما فيه، والنَّسائيُّ وابنُ خِراشٍ والساجيُّ وعمرُو بنُ عليٍّ وابنُ حِبَّانَ والعِجْلِيُّ، وجرحُهم فيه مفسَّرٌ، فيُقدَّمُ على توثيقِ مَن وثَّقه من الأئمةِ).

مَن أدخل حديث ابن عباس وعائشة بعضهما في بعض

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (ذِكْرُ القِصَّةِ: قالَ ابنُ عَبَّاسٍ وعائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، دَخَلَ حديثُ بعضِهما في بعضٍ: كانَ غلامٌ مِن اليهودِ يَخْدُمُ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدَبَّتْ إليه اليهودُ فلم يَزالُوا به حتى أَخَذَ مُشَاطَةَ رأسِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعِدَّةَ أسنانٍ مِن مُشْطِهِ، فأَعْطَاهَا اليهودَ، فسَحَرُوه فيها، وكانَ الذي تَوَلَّى ذلك رجلٌ مِنهم يقالُ له: لَبِيدُ بنُ أَعْصَمَ، ثمَّ دَسَّهَا في بِئْرٍ لبني زُرَيْقٍ يُقالُ له: ذَرْوَانَ، فمَرِضَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانْتَثَرَ شعَرُ رأسِه، ولَبِثَ ستَّةَ أشهرٍ يَرَى أنه يأتي النساءَ ولا يَأْتِيهِنَّ، وجعَلَ يَذُوبُ ولا يَدْرِي ما عَرَاه، فَبَيْنَا هو نائمٌ إذ أتاه مَلَكَانِ، فقعَدَ أحدُهما عندَ رأسِه والآخَرُ عندَ رِجْلَيْهِ، فقالَ الذي عندَ رِجْلَيْهِ للذي عندَ رأسِه: ما بالُ الرجلِ؟ قالَ: طُبَّ. قالَ: وما طُبَّ؟ قالَ: سُحِرَ. قالَ: ومَن سَحَرَه؟ قالَ: لَبِيدُ بنُ أَعْصَمَ اليَهُودِيُّ. قالَ: وبِمَ طَبَّه؟ قالَ: بمُشْطٍ ومُشاطَةٍ. قالَ: وأينَ هو؟ قالَ: في جُفِّ طَلْعَةٍ، تَحْتَ رَاعُوثَةٍ في بِئْرِ ذَرْوَانَ.

والجُفُّ: قِشْرُ الطَّلْعِ، والرَّاعُوثَةُ حجَرٌ في أسفلِ البئرِ ناتِئٌ يقومُ عليه الماتِحُ. فانْتَبَه رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مذعوراً وقالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَمَا شَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَنِي بِدَائِي؟». ثُمَّ بعَثَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليًّا والزُّبَيْرَ وعمَّارَ بنَ ياسرٍ فنَزَحُوا ماءَ تِلكَ البِئْرِ كأنه نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، ثمَّ رَفَعُوا الصخرةَ وأَخْرَجُوا الجُفَّ، فإذا فيه مُشاطةُ رأسِه وأسنانٌ مِن مُشْطِه، وإذا فيه وَتَرٌ معقودٌ فيه اثْنَتَا عَشْرَةَ عُقْدَةً مَغْرُوزَةً بالإبَرِ، فأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هاتيْنِ السورتيْنِ، فجعَلَ كُلَّمَا يَقْرَأُ آيةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، ووجَدَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِفَّةً حينَ انْحَلَّتِ العقدةُ الأخيرةُ، فقامَ كأنما أُنْشِطَ مِن عِقالٍ، وجعَلَ جِبْرِيلُ عليه السلامُ يقولُ: «بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ؛ مِنْ حَاسِدٍ وَعَيْنٍ، وَاللَّهُ يَشْفِيكَ».

قالَ: فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، أفلا نَأْخُذُ الخَبِيثَ فنَقْتُلَه؟ فقالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا».

قالَتْ عائشةُ: ما غَضِبَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غضباً يَنْتَقِمُ مِن أحدٍ لنفسِه قطُّ، إلاَّ أنْ يكونَ شيئاً هو للهِ سُبْحَانَهُ، فيَغْضَبُ للهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ويَنْتَقِمُ). [الكشف والبيان: ١٠/٣٣٨- ٣٣٩]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (قَالَ المُفَسِّرونَ: كَانَ غُلامٌ مِنَ اليَهُودِ يَخْدِمُ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، فأَتَتْ إليه اليَهُودُ، ولَمْ يَزَالُوا به حَتَّى أَخَذَ مُشَاطَةَ النَّبِيِّ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وعِدَّةَ أَسْنَانٍ مِن مُشْطِهِ، فأَعْطَاهَا اليَهُودَ، فسَحَرُوهُ فِيهَا، وكَانَ الذي تَوَلَّى ذَلِكَ لَبِيدُ بنُ أَعْصَمَ اليَهُودِيُّ، ثُمَّ دَسَّهَا فِي بِئْرٍ لبَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهَا: ذَرْوانُ، فمَرِضَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم، وانْتَثَرَ شَعَرُ رَأْسِه، ويَرَى أَنَّه يَأْتِي نِسَاءَهُ ولا يَأْتِيهِنَّ، وجعَلَ يَدُورُ ولا يَدْرِي مَا عَرَاهُ، فبَيْنَمَا هو نَائِمٌ ذاتَ يَوْمٍ أَتَاهُ مَلَكَانِ، فقَعَدَ أَحَدُهُمَا عندَ رأسِه والآخرُ عندَ رِجْلَيْهِ، فقَالَ الذي عِنْدَ رَأْسِه: ما بَالُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: طُبَّ. قَالَ: ومَا طُبَّ؟، قَالَ: سُحِرَ. قالَ: ومَنْ سَحَرَهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بنُ أَعْصَمَ اليَهُودِيُّ. قَالَ: وبِمَ طَبَّهُ؟ قَالَ: بمُشْطٍ ومُشَاطَةٍ. قالَ: وأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي جُفِّ طَلْعَةٍ تَحتَ رَاعُوفَةٍ فِي بِئْرِ ذَرْوانَ - والجُفُّ: قِشْرُ الطَّلْعِ، والرَّاعُوفَةُ حَجَرٌ في أَسْفَلِ البِئْرِ، يَقُومُ عَلَيْهِ المائِحُ - فانْتَبَهَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، مَا شَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَنِي بدَائِي؟»، ثُمَّ بَعثَ عَلِيًّا والزُّبَيْرَ وعَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ، فنَزَحُوا مَاءَ تِلْكَ البِئْرِ، كأَنَّه نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، ثُمَّ رَفَعُوا الصَّخْرَةَ وأَخْرَجُوا الجُفَّ، فإِذَا هو مُشَاطَةُ رَأْسِه وأَسْنانُ مُشْطِه، وإِذَا وَتَرٌ مُعَقَّدٌ، فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً مَغْرُوزَةً بالإِبَرِ؛ فأَنْزَلَ اللَّهُ تعالَى سُورتَي المُعَوِّذَتَيْنِ، فجَعَلَ كُلَّمَا قَرَأَ آيَةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، ووَجَدَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم خِفَّةً حَتَّى انْحَلَّتِ العُقْدَةُ الأَخِيرَةُ، فقَامَ كأَنَّما نُشِطَ مِن عِقالٍ، وجعَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السلامُ يَقولُ: بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِن كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، ومِن حَاسِدٍ وعينٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، فقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أولا نَأْخُذُ الخَبِيثَ فنَقْتُلَه؟ فقَالَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا»). [أسباب النزول: ٥٥١- ٥٥٣]

قالَ الحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ [الفلق: ١]. قالَ ابنُ عَبَّاسٍ وعائشةُ رَضِيَ اللهُ عنهما: كان غلامٌ من اليهودِ يَخْدُمُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، [فدَبَّتْ] إليه اليهودُ، فلم يزالُوا به حتى أَخَذَ مُشاطةَ رأْسِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعِدَّةَ أسنانٍ من مُشْطِه، فأعطاها اليهودَ فسَحَرُوه فيها، وتَوَلَّى ذلك لَبيدُ بنُ الأعصَمِ، رجلٌ من يَهودَ، فنَزَلَتِ السورتانِ فيه). [معالم التنزيل: ٧٢٣]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وذَكَرَ القُشَيْرِيُّ في تفسيرِهِ أنَّه وَرَدَ في الصِّحَاحِ: أنَّ غُلامًا مِنَ اليهودِ كانَ يَخْدِمُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدَسَّتْ إليه اليهودُ، ولم يَزَالُوا بِهِ حتَّى أَخَذَ مُشَاطَةَ رَأْسِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والمُشَاطَةُ (بِضمِّ الميمِ): ما يَسْقُطُ مِنَ الشَّعْرِ عِندَ المَشْطِ.

وأَخَذَ عِدَّةً مِن أسنانِ مُشْطِهِ، فَأَعْطَاهَا اليهودَ، فسَحَرُوهُ فِيها، وكانَ الذي تَوَلَّى ذلك لَبِيدُ بنُ الأَعْصَمِ اليهوديُّ. وذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ عن ابنِ عبَّاسٍ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٤]

قَالَ أبو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (فذَكَرَ أهلُ التفسيرِ في نُزُولِهِما أنَّ غُلامًا مِن اليهودِ كانَ يَخْدُمُ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، فلَمْ يَزَلْ بِهِ اليهودُ حتَّى أَخَذَ مُشَاطَةَ رَأْسِ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وعِدَّةَ أَسْنَانٍ مِنْ مُشْطِهِ، فأَعْطَاهَا اليهودَ، فسَحَرُوهُ فيها. وكان الذي تَوَلَّى ذلكَ لَبِيدُ بنُ أَعْصَمَ اليهوديُّ، ثمَّ دَسَّهَا في بِئْرٍ لِبَنِي زُرَيْقٍ يُقالُ لها: بِئْرُ ذَرْوَانَ، ويُقالُ: ذِي أَرْوَانَ.

فمَرِضَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وانْتَشَرَ شَعْرُ رَأْسِهِ، وكانَ يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي النساءَ وما يَأْتِيهِنَّ، ويُخَيَّلُ إليهِ أَنَّهُ يَفعَلُ الشيءَ وما يَفعَلُهُ. فبَيْنَا هوَ ذاتَ يومٍ نائمٌ أَتاهُ مَلَكَانِ، فقَعَدَ أحدُهما عندَ رأسِهِ والآخَرُ عندَ رِجْلَيْهِ، فقالَ أحدُهما للآخَرِ: ما بالُ الرجُلِ؟ قالَ: طُبَّ، قالَ: وما طُبَّ؟ قالَ: سُحِرَ، قالَ: ومَنْ سَحَرَهُ؟ قالَ لَبِيدُ بنُ أَعصمَ. قالَ: وبِمَ طَبَّهُ؟ قالَ: بِمُشْطٍ ومُشَاطَةٍ. قالَ: وأينَ هوَ؟ قالَ: في جُفِّ طَلْعَةٍ تَحتَ رَاعُوفَةٍ في بِئْرِ ذَرْوَانَ - والجُفُّ: قِشْرُ الطَّلْعِ، والرَّاعُوفَةُ: صَخرةٌ تُتْرَكُ في أسفلِ البئرِ إذا حُفِرَتْ، فإذا أَرادُوا تَنْقِيَةَ البئرِ جَلَسَ المُنَقِّي عليها. فانْتَبَهَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فقالَ: يَا عَائِشَةُ، أَمَا شَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَنِي بِدَائِي. ثمَّ بَعَثَ عليًّا والزُّبيرَ وعَمَّارَ بنَ ياسرٍ، فنَزَحُوا ماءَ تلكَ البئرِ، ثمَّ رَفَعُوا الصخرةَ وأَخْرَجُوا الجُفَّ، وإذا فيهِ مُشَاطَةُ رَأْسِهِ وأَسنانُ مُشْطِهِ، وإذا وَتَرٌ معقودٌ فيهِ إحدى عَشْرَةَ عُقدةً مَغروزةً بالإبرةِ. فأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى المُعَوِّذَتَيْنِ، فجَعَلَ كُلَّمَا قرأَ آيَةً انْحَلَّتْ عُقدةٌ، ووَجَدَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ خِفَّةً حينَ انْحَلَّت العُقدةُ الأخيرةُ، وجَعَلَ جبريلُ عليهِ السلام يقولُ: باسمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كلِّ شيءٍ يُؤذيكَ، ومِنْ حاسدٍ وعينٍ واللَّهُ يَشفيكَ. فقالُوا: يا رسولَ اللَّهِ، أَفلا نَأْخُذُ الخبيثَ فَنَقْتُلَهُ؟ فقالَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا».

وقدْ أَخْرَجَ البخاريُّ ومسلمٌ في (الصحيحَيْنِ) مِنْ حديثِ عائشةَ حديثَ سِحْرِ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وقدْ بَيَّنَّا معنى أَعُوذُ في أوَّلِ كِتابِنا). [زاد المسير: ٩/٢٧٠- ٢٧٢]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: «أَمَا شَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَخْبَرَنِي بِدَائِي؟». ثُمَّ بَعَثَ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ وعَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ، فَنَزَحُوا مَاءَ تِلْكَ البِئْرِ كأنَّه نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، ثم رَفَعُوا الصخْرَةَ وهي الراعُوفَةُ - صَخْرَةٌ تُتْرَكُ أسْفَلَ البِئْرِ يَقُومُ عليها المائِحُ- وأَخْرَجُوا الجُفَّ، فإذَا مُشَاطَةُ رَأْسِ إنسانٍ، وأَسْنَانٌ مِنْ مُشْطٍ، وَإِذَا وَتَرٌ مَعْقُودٌ فيه إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً مُغَرَّزَةً بِالإِبَرِ، فأَنْزَلَ الله تعالى هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ، وهما إِحْدَى عَشْرَةَ آيةً على عددِ تِلكَ العُقَدِ، وأمَرَ أنَّ يُتَعَوَّذَ بِهِما؛ فجَعَلَ كُلَّمَا قَرَأَ آيَةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَوَجَدَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِفَّةً، حتَّى انْحَلَّتِ العُقْدَةُ الأخيرةُ، فكأنَّما أُنْشِطَ مِن عِقَالٍ، وقالَ: لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ.

وجَعَلَ جِبْرِيلُ يَرْقِي رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقولُ: (بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ وَعَيْنٍ، وَاللهُ يَشْفِيكَ).

فقالُوا: يا رسولَ اللهِ، أَلا نَقْتُلُ الخَبِيثَ؟ فقالَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِيَ اللهُ، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا»). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٣- ٢٥٤]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١] قالَ ابنُ عبَّاسٍ وعَائِشَةُ: كانَ غُلامٌ مِن اليهودِ يَخْدِمُ النبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، فَدَبَّتْ إليهِ اليهودُ، فلم يَزَالُوا بهِ حتَّى أخَذَ مِنْ مُشَاطَةِ رأْسِ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ وعِدَّةً مِنْ أَسْنَانِ مُشْطِهِ، فأعطاها اليهودَ، فَسَحَرُوهُ فيها، وتوَلَّى ذلك لَبِيدُ بنُ الأَعْصَمِ رجلٌ مِن اليهودِ، فَنَزَلَتِ السُّورتانِ فيهِ). [لباب التأويل: ٤/٤٩٩]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (وقالَ ابنُ عَبَّاسٍ وعائشةُ: كان غُلامٌ من اليهودِ يَخْدُمُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدَنَتْ إليه اليهودُ، فلم يَزَالُوا حتى أَخَذَ مُشاطَةَ رأسِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعِدَّةَ أسنانٍ من مُشْطِه، فأَعطاها اليهودَ، فسَحَرُوه فيها، وتَوَلَّى ذلك لَبيدُ بنُ الأعْصَمِ؛ رجلٌ من اليهودِ، فنَزَلَتْ هاتان السورتانِ فيه.

قالَ البَغَوِيُّ: وقيلَ: كانت مَغْرُوزَةً بالدُّبُرِ، فأَنْزَلَ اللهُ - عَزَّ وجَلَّ - هاتين السورتين، وهما إحدى عَشْرَةَ آيةً، سورةُ الفَلَقِ خَمْسُ آياتٍ وسورةُ الناسِ سِتُّ آياتٍ، فكُلَّمَا قرأَ آيةً انْحَلَّتْ عُقدةٌ حتى انْحَلَّتِ العُقَدُ كلُّها فقامَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنما أُنْشِطَ من عِقالٍ.

قالَ: ورُوِيَ أنه لَبِثَ فيه سِتَّةَ أَشْهُرٍ، واشْتَدَّ عليه ثلاثةَ أيَّامٍ، فنَزَلَت الْمُعَوِّذتانِ). [بدائع الفوائد: ٢/٢٢٤]

- **قلت:** (قوله: (مغروزة بالدبر) تصحيف صوابه: بالإبر).

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ ابْنُ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (وقالَ الأستاذُ الْمُفَسِّرُ الثَّعْلَبِيُّ في تَفْسِيرِه: قالَ ابنُ عَبَّاسٍ وعَائِشَةُ رضِيَ اللَّهُ عنهُما: كانَ غلامٌ مِن اليهودِ يَخْدِمُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ، فدَبَّتْ إليهِ اليهودُ، فلمْ يَزَالُوا بهِ حتَّى أَخَذَ مُشَاطَةَ رَأْسِ النَّبِيِّ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ وعِدَّةَ أَسْنَانٍ مِن مُشْطِه، فأعطاها اليَهودَ فسَحَرُوهُ فِيهَا، وكانَ الذي تَوَلَّى ذلك رَجُلٌ مِنهم يُقالُ له: لَبِيدُ بنُ أَعْصَمَ، ثم دَسَّهَا في بِئْرٍ لبَنِي زُرَيقٍ، يقالُ لها: ذَرْوَانُ.

فمَرِضَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ، وانْتَثَرَ شَعَرُ رَأْسِهِ، ولَبِثَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ يُرَى أَنَّه يَأتِي النِّسَاءَ ولا يَأْتِيهِنَّ، وجعَلَ يَذُوبُ ولا يَدْرِي مَا عَرَاهُ، فبَيْنَما هو نَائِمٌ إِذْ أَتَاهُ مَلَكَانِ؛ فجَلَسَ أَحَدُهما عندَ رَأْسِهِ والآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فقالَ الذي عندَ رِجْلَيْهِ للذي عِنْدَ رَأْسِهِ: ما بَالُ الرَّجُلِ؟ قالَ: طُبَّ. قالَ: وما طُبَّ؟ قالَ: سُحِرَ. قالَ: ومَنْ سَحَرَهُ؟ قالَ: لَبِيدُ بنُ الأَعْصَمِ اليَهُودِيُّ. قالَ: وبِمَ طَبَّهُ؟ قالَ: بمُشْطٍ ومُشَاطَةٍ. قالَ: وأينَ هو؟ قالَ: في جُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ تَحتَ رَاعُوفَةٍ في بِئْرِ ذَرْوَانَ - والجُفُّ: قِشْرُ الطَّلْعِ. والرَّاعُوفَةُ: حَجَرٌ فِي أَسْفَلِ البِئْرِ نَاتِئٌ يَقُومُ عليهِ الْمَاتِحُ- فانْتَبَهَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ مَذْعُوراً وقالَ: «يَاعَائِشَةُ، أَمَا شَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَنِي بِدَائِي؟».

ثمَّ بَعَثَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ عَلِيًّا والزُّبَيْرَ وعَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ، فنَزَحُوا ماءَ البِئْرِ، كأَنَّه نُقاعَةُ الحِنَّاءِ، ثم رَفَعُوا الصَّخْرَةَ وأَخْرَجوا الجُفَّ، فإذا فيهِ مُشاطَةُ رَأْسِه وأَسْنَانٌ مِن مُشْطِه، وإذا فيه وَتَرٌ مَعْقُودٌ فيهِ اثْنَتا عَشْرَةَ عُقْدَةً مَغْرُوزَةً بالإِبَرِ؛ فأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى السُّورَتَيْنِ.

فجعَلَ كلَّمَا قرأَ آيةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، ووجَدَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ خِفَّةً حينَ انْحَلَّتِ العُقْدَةُ الأَخِيرَةُ، فقامَ كأَنَّما نُشِطَ مِن عِقَالٍ، وجعَلَ جِبْرِيلُ عليهِ السلامُ يَقُولُ: بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِن كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِن حَاسِدٍ وعَيْنٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ. فقالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، أفلا نَأْخُذُ الخَبِيثَ نَقْتُلُه؟ فقالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ: «أَمَّا أَنا فقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا».

هكذا أَوْرَدَهُ بِلا إِسْنَادٍ، وفيهِ غَرَابَةٌ، وفي بَعْضِه نَكَارَةٌ شَدِيدَةٌ، ولبَعْضِه شَوَاهِدُ مِمَّا تَقَدَّمَ، واللَّهُ سبحانَه وتعالى أَعْلَمُ). [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩٠٩- ٣٩١٠]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وعَائِشَةُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: لَمَّا كَانَ غُلامٌ مِنَ اليَهُودِ يَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَّبَتْ إِلَيْهِ اليَهُودُ، فلم يَزَالُوا حتى أَخَذُوا مُشَاطَةً مِنْ أَثَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِدَّةً مِنْ أَسْنَانِ مُشْطِهِ، فَأَعْطَاهُ اليَهُودَ؛ لِيَسْحَرُوهُ بها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَوَلَّى ذَلِكَ ابْنُ الأَعْصَمِ، رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ). [اللباب: ٢٠/٥٧٤]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَسَبَبُ نُزُولِ المُعَوِّذَتَيْنِ على ما نَقَلَ الوَاحِدِيُّ عَنِ المُفَسِّرِينَ رَحْمَةُ اللَّهِ عليهم أَجْمَعِينَ وَالبَغَوِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عنهم، أَنَّ غُلاماً مِنَ اليهودِ كانَ يَخْدِمُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَبَّتْ إليهِ اليَهُودُ فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حتَّى أَخَذَ مُشَاطَةَ رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِدَّةَ أَسْنَانٍ مِنْ مُشْطِهِ، فَأَعْطَاهَا اليهودَ فَسَحَرُوهُ فِيهَا، وَتَوَلَّى ذلكَ لَبِيدُ بنُ الأَعْصَمِ اليَهُودِيُّ، فَمَرِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَانْتَشَرَ شَعَرُ رَأْسِهِ، وَيُرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ وَلا يَأْتِيهِنَّ، يَذُوبُ وَلا يَدْرِي ما عَرَاهُ.

فَبَيْنَا هوَ نَائِمٌ ذاتَ يومٍ أَتَاهُ مَلَكَانِ، فقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ، وَالآخرُ عندَ رِجْلَيْهِ، فَقَالَ الذي عِنْدَ رِجْلَيْهِ للذي عندَ رأسِهِ: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: طُبَّ، قَالَ: وَمَا طُبَّ؟ قَالَ: سُحِرَ. قَالَ: وَمَنْ سَحَرَ؟ قَالَ: لَبِيدُ بنُ الأعصمِ اليَهُودِيُّ، قَالَ: وَبِمَ طَبَّهُ؟ قَالَ: بِمُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ. قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي جُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ تَحْتَ رَاعُوفَةٍ فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ، بِئْرٍ فِي بَنِي زُرَيْقٍ – وَالجُفُّ: قِشْرُ الطَّلْعِ، وَالرَّاعُوفَةُ: حَجَرٌ فِي أَسْفَلِ البِئْرِ، يَقُومُ عَلَيْهِ المَائِحُ– فَانْتَبَهَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقالَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها: «يَا عَائِشَةُ، أَمَا شَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَنِي بِدَائِي؟».
ثمَّ بَعَثَ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ وَعَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهم، فَنَزَحُوا البئرَ كَأَنَّهُ نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، ثُمَّ نَزَعُوا الصخرةَ وَأَخْرَجُوا الجُفَّ، فإذا فيهِ مُشَاطَةُ رَأْسِهِ وَأَسْنَانُ مُشْطِهِ، وَإذا وَتَرٌ مُعَقَّدٌ فيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً مَغْرُوزَةً بالإِبَرِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سبحانَهُ وَتعالى سُورَتَي المُعَوِّذَتَيْنِ، وَهُمَا إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً: الفلقُ خَمْسٌ، وَالناسُ سِتٌّ، فَجَعَلَ كُلَّمَا قَرَأَ آيةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ وَوَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِفَّةً، حتَّى انْحَلَّت العقدةُ الأخيرةُ، فَقَامَ كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، وَجَعَلَ جبرائيلُ عَلَيْهِ الصلاةُ وَالسلامُ يَقُولُ: (بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، وَمِنْ حَاسِدٍ وَعَيْنٍ، واللَّهُ يَشْفِيكَ). فقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلا نَأْخُذُهُ فَنَقْتُلَهُ؟ فَقَالَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا».

وَفي روايةٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى البئرَ بِنَفْسِهِ، ثمَّ رَجَعَ إِلى عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَكَأَنَّ ماءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، لَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤُوسَ الشَّيَاطِينِ». فَقُلْتُ لهُ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، هلاَّ أَخْرَجْتَهُ؟) فَقَالَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا». وَيُجْمَعُ بِأَنَّهُ أَتَاهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَفْسِهِ الشريفةِ، فَلَمْ يُخْرِجْهُ، ثمَّ إِنَّهُ وَجَدَ بَعْضَ الأَلَمِ، فَأَرْسَلَ إِليهِ فَأَخْرَجَهُ، فزَالَ الأَلَمُ كُلُّهُ). [نظم الدرر: ٨/٦٠٧- ٦٠٨]

قالَ أَبُو السُّعُودِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ العِمَادِيُّ الحَنَفِيُّ (ت: ٩٨٢هـ): (وَتَخْصِيصُهُ بالذِّكْرِ لِمَا رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ وعائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُ كَانَ غُلامٌ مِن اليَهُودِ يَخْدِمُ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، وَكَانَ عِنْدَهُ أَسْنَانٌ مِنْ مُشْطِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، فَأَعْطَاهَا لليهودِ فَسَحَرُوهُ عَلَيْهِ السَّلامُ فِيهَا، وَتَوَلاَّهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ اليَهُودِيُّ وَبَنَاتُهُ، وَهُنَّ النَّافِثَاتُ فِي العُقَدِ، فَدَفَنَهَا فِي بِئْرِ أَرِيسٍ.

فَمَرِضَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ بالمُعَوِّذَتَيْنِ، وَأَخْبَرَهُ بِمَوْضِعِ السِّحْرِ وَبِمَنْ سَحَرَهُ وَبِمَا سَحَرَهُ، فَأَرْسَلَ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ والزُّبَيْرَ وَعَمَّاراً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَنَزَحُوا مَاءَ البِئْرِ، فَكَأَنَّهُ نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، ثُمَّ رَفَعُوا راعُوثَةَ البِئْرِ، وَهِيَ الصخرةُ الَّتِي تُوضَعُ فِي أسفلِ البِئْرِ، فَأَخْرَجُوا مِنْ تحتِهَا الأسنانَ وَمَعَهَا وَتَرٌ قَدْ عُقِدَ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً مُغَرَّزَةً بالإِبَرِ.

فَجَاؤُوا بِهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ المُعَوِّذَتَيْنِ عَلَيْهَا، فَكَانَ كُلَّمَا قَرَأَ آيَةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَوَجَدَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ خِفَّةً، حَتَّى انْحَلَّتِ العُقْدَةُ الأَخِيرَةُ عِنْدَ تَمَامِ السُّورَتَيْنِ، فَقَامَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ كَأَنَّمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلا نَقْتُلُ الخَبِيثَ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا». قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا غَضِبَ النَّبِيُّ غَضَباً يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ قَطُّ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ شَيْئاً هُوَ لِلَّهِ تَعَالَى فَيَغْضَبُ لِلَّهِ وَيَنْتَقِمُ). [إرشاد العقل السليم: ٧/٢١٥]

قَالَ عَبْدُ الفَتَّاحِ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ القَاضِي (ت: ١٤٠٣هـ): (رَوَى الثَّعْلَبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ، عنِ ابنِ عَبَّاسٍ وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ كانَ غُلامٌ مِنَ اليَهُودِ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَسَّتْ إِلَيْهِ اليَهُودُ، فَمَا زَالُوا بِهِ حَتَّى أَخَذَ مُشَاطَةَ رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهِيَ ما يَتَسَاقَطُ مِن شَعْرِ الرَّأْسِ عِنْدَ مُشْطِهِ- وَعِدَّةً مِنْ أَسْنَانِ مُشْطِهِ، فَأَعْطَاهَا اليَهُودَ فَسَحَرُوهُ فِيهَا، وكانَ الَّذِي تَوَلَّى ذلكَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بنُ أَعْصَمَ، ثُمَّ دَسَّهَا فِي بِئْرٍ، فَمَرِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَبِثَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ حَتَّى كانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى إِتْيَانِ النِّسَاءِ، وَلَكِنْ إِذَا أَرَادَ المُبَاشَرَةَ لا يَسْتَطِيعُ، فَبَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ إِذْ أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيْهِ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِهِ: ما بَالُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: هُوَ مَطْبُوبٌ (مَسْحُورٌ). قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ أَيْ: وَمَنْ سَحَرَهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بنُ أَعْصَمَ اليَهُودِيُّ. قَالَ: وَبِمَ طَبَّهُ؟ قَالَ: بِمُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ. قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ كَذَا، تَحْتَ الصَّخْرَةِ الَّتِي يُوقَفُ عَلَيْهَا وَيُسْتَقَى مِنَ البِئْرِ. فَانْتَبَهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَذْعُورًا وَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَمَا شَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَنِي بِدَائِي؟». ثُمَّ بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ وَعَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ إِلَى البِئْرِ، فَرَفَعُوا الصَّخْرَةَ، فَإِذَا تَحْتَهَا مُشَاطَةُ رَأْسِ النَّبِيِّ وَبَعْضُ أَسْنَانٍ مِنْ

مُشْطِهِ، وَإِذَا وَتَرٌ مَعْقُودٌ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً مَغْرُوزَةً بِالإِبَرِ، فَأَتَوْا به النَّبِيَّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ السُّورَتَيْنِ المُعَوِّذَتَيْنِ، وَهُمَا إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً، عَلَى عَدَدِ تلك العُقَدِ، وأَمَرَ الرَّسُولَ أَنْ يَتَعَوَّذَ بِهِمَا، فَجعَلَ كُلَّمَا قَرَأَ آيَةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَوَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِفَّةً إِذَا حُلَّتْ هَذِهِ العُقْدَةُ، حتَّى إذا حُلَّتِ العُقْدَةُ الأَخِيرَةُ قامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، وَجَعَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرْقِي رَسُولَ اللَّهِ فَيَقُولُ: بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ حَاسِدٍ وَعَيْنٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ.

أَخْرَجَهُ ابنُ مَرْدَوَيْهِ وَالبَيْهَقِيُّ). [أسباب النزول: ٢٥٢- ٢٥٣]

مرسَل سعيد بن المسيَّب وعروة بن الزبير

قالَ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت:٢١١هـ): (عَن مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَن ابنِ المسَيَّبِ وعُروةَ بنِ الزُّبَيرِ، أَنَّ يَهُودَ بَنِي زُرَيقٍ سَحَرُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فَجعَلُوه فِي بئرٍ حَتَّى كَادَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يُنكِرُ بَصرَهُ، ثمَّ دَلَّه اللهُ عَلَى مَا صَنَعُوا؛ فَأَرْسَلَ إِلَى البئرِ فانتُزِعت العُقَدُ الَّتِي فِيهَا السِّحْرُ.

قالَ الزُّهْرِيُّ: فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِيمَا بَلَغَنَا: سَحَرَنِي يَهُودُ بَنِي زُرَيْقٍ). [مصنف عبد الرزاق:١١/١٣]

مرسَل يحيى بن يَعمر

قالَ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت:٢١١هـ): (عَن معمرٍ، عَن عَطَاءٍ الخُراسَانِيِّ، عَن يحيَى بنِ يَعْمَرَ قَالَ: حُبِسَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عَن عائشةَ سنةً، فبينا هُو نائِمٌ أَتاه مَلَكَانِ؛ فَقعَدَ أحدُهما عندَ رأسِهِ والآخَرُ عندَ رِجلَيهِ؛ فقَالَ أحدُهُمَا لصَاحِبِهِ: سُحِرَ مُحَمَّدٌ؟ فقَالَ الآخَرُ: أَجَلْ، وَسِحْرُهُ في بئرِ أبي فُلان. فَلَمَّا أَصبحَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بذَلِكَ السِّحْرِ فَأُخرِجَ مِنَ تِلكَ البئرِ.

قالَ عبدُ الرَّزَّاق: قالَ مَعْمَرٌ في الرَّجلِ يجمع السِّحْرَ يغتَسِلُ بِهِ إِذَا قَرَأَ عَلَيهِ القُرآنَ فَلا بَأْسَ بِهِ). [مصنف عبد الرزاق:١١/١٤] (م)

مسائل في حادثة سحر النبي صلى الله عليه وسلم

الرد على من أنكر حادثة سحر النبي صلى الله عليه وسلم

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (وأَنْكَرَه آخَرونَ ومَنَعُوا منه في رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، وإِنْ صَحَّ في غيرِه؛ لِمَا في استمرارِه عليه مِن خَبَلِ العقْلِ، وأَنَّ اللَّهَ تعالى قد أَنْكَرَ على مَن قالَ في رسولِه حيثُ يقولُ: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٤٧﴾ [الإسراء: ٤٧]). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٦]

قالَ مَحْمُودُ بْنُ حَمْزَةَ بنِ نَصْرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (وفي سِحرِ النبيِّ عليه السلامُ قَوْلانِ: قالَ بَعْضُهم: سَحَرَه لَبِيدٌ بِمَا سَحَرَه، وتَقدَّمَ ذِكْرُه، وعليه جُمهورُ المُفَسِّرِينَ.

وأَنكرَ بعضُهم وقالَ: إنَّ اللهَ أنكَرَ على مَن قالَ هذا في صِفَةِ النبيِّ، حيث قالَ: ﴿وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨﴾ [الفرقان: ٨]). [غرائب التفسير: ٢/١٤١٢]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ أَحْمَدَ السُّهَيْلِيُّ (ت: ٥٨١هـ): (وَقَدْ طَعَنَتِ الْمُعْتَزِلَةُ فِي هَذَا الحَدِيثِ وَطَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ وَقَالُوا: لا يَجُوزُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ أَنْ يُسْحَرُوا، وَلَوْ جَازَ أَنْ يُسْحَرُوا، لَجَازَ أَنْ يُجَنُّوا، وَنُزِعَ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المَائِدَة:٦٧].

وَالحَدِيثُ ثَابِتٌ خَرَّجَهُ أَهْلُ الصَّحِيحِ، وَلا مَطْعَنَ فِيهِ مِنْ جِهَةِ النَّقْلِ، وَلا مِنْ جِهَةِ العَقْلِ؛ لأَنَّ العِصْمَةَ إِنَّمَا وَجَبَتْ لَهُمْ فِي عُقُولِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ، وَأَمَّا أَبْدَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ يُبْتَلَوْنَ فِيهَا، وَيُخْلَصُ إِلَيْهِمْ بِالجِرَاحَةِ وَالضَّرْبِ وَالسُّمُومِ وَالقَتْلِ، وَالأُخْذَةُ الَّتِي أُخِذَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الفَنِّ، إِنَّمَا كَانَتْ فِي بَعْضِ جَوَارِحِهِ دُونَ بَعْضٍ.

أَمَّا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المَائِدَة:٦٧] فَإِنَّهُ قَدْ رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ يُحْرَسُ فِي الغَزْوِ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ، فَأَمَرَ حُرَّاسَهُ أَنْ يَنْصَرِفُوا عَنْهُ، وَقَالَ: «لا حَاجَةَ لِي بِكُمْ فَقَدْ عَصَمَنِي اللهُ مِنَ النَّاسِ». أَوْ كَمَا قَالَ). [الروض الأنف:٢/٣٧٢]

قالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (وَمَنَعَ آخَرُونَ مِنْ تأثيرِ السحرِ في الرسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ جازَ في غيرِهِ؛ لِمَا في استمرارِهِ مِنْ خَبَلِ العقلِ، وَلإنكارِ اللَّهِ تَعالَى على مَنْ قَالَ: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الإسراء: ٤٧]). [تفسير القرآن: ٣/٥١١]

قالَ مُحيِي الدِّين يَحيَى بنُ شَرفٍ النَّوَوِيُّ (ت:٦٧٦هـ): (قَالَ الإِمَامُ المَازِرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ أَنْكَرَ بَعْضُ المُبْتَدِعَةِ هَذَا الحَدِيثَ[1] بِسَبَبٍ آخَرَ[2]، فَزَعَمَ أَنَّهُ يَحُطُّ مَنْصِبَ النُّبُوَّةِ، وَيُشَكِّكُ فِيهَا، وَأَنَّ تَجْوِيزَه يَمْنَعُ الثِّقَةَ بِالشَّرْعِ، هَذَا الَّذِي ادَّعَاهُ هَؤُلاءِ المُبْتَدِعَةُ بَاطِلٌ؛ لأَنَّ الدَّلائِلَ القَطْعِيَّةَ قَدْ قَامَتْ عَلَى صِدْقِه وَصِحَّتِه وَعِصْمَتِه فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّبْلِيغِ، وَالمُعْجِزَةُ شَاهِدَةٌ بِذَلِكَ، وَتَجْوِيزُ مَا قَامَ الدَّلِيلُ بِخِلافِهِ بَاطِلٌ.

فَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِبَعْضِ أُمُورِ الدُّنْيَا الَّتِي لَمْ يُبْعَثْ بِسَبَبِهَا، وَلا كَانَ مُفَضَّلاً مِنْ أَجْلِهَا، وَهُوَ مِمَّا يَعْرِضُ لِلْبَشَرِ فَغَيْرُ بَعِيدٍ أَنْ يُخَيَّلَ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا مَا لا حَقِيقَةَ لَهُ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّمَا كَانَ يَتَخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ وَطِئَ زَوْجَاتِه وَلَيْسَ بِوَاطِئٍ، وَقَدْ يَتَخَيَّلُ الإِنْسَانُ مِثْلَ هَذَا فِي المَنَامِ، فَلا يَبْعُدُ تَخَيُّلُه فِي اليَقَظَةِ، وَلا حَقِيقَةَ لَهُ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ فَعَلَهُ وَمَا فَعَلَهُ، وَلَكِنْ لا يَعْتَقِدُ صِحَّةَ مَا يَتَخَيَّلُهُ، فَتَكُونُ اعْتِقَادَاتُه عَلَى السَّدَادِ. قَالَ القَاضِي عِيَاضٌ: وَقَدْ جَاءَتْ رِوَايَاتُ هَذَا الحَدِيثِ مُبَيِّنَةً أَنَّ السِّحْرَ إِنَّمَا تَسَلَّطَ عَلَى جَسَدِه وَظَوَاهِرِ جَوَارِحِه، لا عَلَى عَقْلِه وَقَلْبِه وَاعْتِقَادِه، وَيَكُونُ مَعْنَى قَوْلِه فِي الحَدِيثِ: (حَتَّى يَظُنَّ أَنَّهُ يَأْتِي أَهْلَه وَلا يَأْتِيهِنَّ) وَيُرْوَى: (يُخَيَّلُ إِلَيْهِ) أَيْ يَظْهَرُ لَهُ مِنْ نَشَاطِه وَمُتَقَدِّمِ عَادَتِه القُدْرَةُ عَلَيْهِنَّ، فَإِذَا دَنَا مِنْهُنَّ أَخَذَتْهُ أُخْذَةُ السِّحْرِ فَلَمْ يَأْتِهِنَّ، وَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ ذَلِكَ كَمَا يُعْتَرَى المَسْحُورُ.

---

(١) يريد حديث عائشة رضي الله عنها في حادثة سحرِ النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) يريد بغير سبب إنكار السحر أصلاً.

وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي الرِّوَايَاتِ مِنْ أَنَّهُ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ فِعْلُ شَيْءٍ ثُمَّ لا يَفْعَلُهُ وَنَحْوِهِ فَمَحْمُولٌ عَلَى التَّخَيُّلِ بِالبَصَرِ، لا لِخَلَلٍ تَطَرَّقَ إِلَى العَقْلِ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مَا يَدْخُلُ لَبْسًا عَلَى الرِّسَالَةِ، وَلا طَعْنًا لأَهْلِ الضَّلالَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ). [شرح صحيح مسلم: ١٤/٣٩٧]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): ((فَصْلٌ)

وقدْ أنكرَ بعضُ المُبْتَدِعَةِ حديثَ عَائِشَةَ المُتَّفَقَ عليهِ، وزعَمَ أنَّهُ يَحُطُّ مَنْصِبَ النُّبُوَّةِ ويُشَكِّكُ فيها، وأنَّ تَجْوِيزَهُ يَمْنَعُ الثِّقَةَ بالشَّرْعِ.

ورُدَّ على هذا المُبْتَدِعِ بأنَّ الذي ادَّعَاهُ باطِلٌ؛ لأنَّ الدلائِلَ القطعِيَّةَ والنقلِيَّةَ قدْ قامَتْ على صِدْقِهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، وعِصْمَتِهِ فيما يَتَعَلَّقُ بالتبليغِ، والمُعْجِزَةُ شاهدةٌ بذلكَ، وتَجْوِيزُ ما قامَ الدليلُ بخلافِهِ باطِلٌ.

وأمَّا ما يَتَعَلَّقُ ببعضِ أُمُورِ الدُّنْيَا، وهوَ ما يَعْرِضُ للبشرِ، فَغَيْرُ بَعِيدٍ أنْ يُخَيَّلَ إليهِ مِنْ أمُورِ الدُّنيا ما لا حَقِيقَةَ لَهُ.

وقدْ قِيلَ: إنَّهُ كانَ يُخَيَّلُ إليهِ أنَّهُ وَطِئَ زَوْجَاتِهِ، وليسَ وَاطِئاً، وهذا مِثْلُ ما يَتَخَيَّلُهُ الإنسانُ في المَنَامِ، فلا يَبْعُدُ أنْ يَتَخَيَّلَهُ في اليقظةِ، ولا حَقِيقَةَ لَهُ. وقيلَ: إنَّهُ يُخَيَّلُ إليهِ أنَّهُ فَعَلَهُ وما فعلَهُ، ولكنْ لا يَعْتَقِدُ ما تَخَيَّلَهُ، فتكونُ اعتقاداتُهُ على السَّدَادِ.

قالَ القاضي: وقدْ جاءَتْ بعضُ رواياتِ هذا الحديثِ مُبَيِّنَةً أنَّ السحرَ إنَّما سُلِّطَ على بَدَنِهِ وظواهرِ جوارحِهِ لا على قلبِهِ وعقلِهِ واعتقادِهِ، وليسَ في ذلكَ ما يُوجِبُ لَبْساً على الرسالةِ، ولا طَعْناً لأهلِ الزَّيْغِ والضلالةِ.

وقولُهُ: «مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ»؛ أيْ: مسحورٌ. قولُهُ: وَجُفُّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، يُرْوَى بالبَاءِ، ويُرْوَى بالفاءِ، وهوَ وِعَاءُ طَلْعِ النخلِ). [لباب التأويل: ٤/٥٠٠- ٥٠١]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (طَعَنَتِ المُعْتَزِلَةُ في هذهِ الروايةِ بأنَّها تُوجِبُ تَسَلُّطَ الكفارِ والأشرارِ على الأنبياءِ.

وأيضاً لو صَحَّتْ لصَحَّ قولُهم: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٤٧﴾ [الإسراء: ٤٧].

والجوابُ: أنَّ التسليطَ الكُلِّيَّ بحيثُ يَمْنَعُه عن تبليغِ الرسالةِ- لا يَجوزُ، ولكنْ لا نُسَلِّمُ أنَّ بعضَ الإضرارِ في بدنِه لا يَجوزُ، لا سِيَّمَا وقدْ تَدارَكَهُ تعالى بفضْلِه، وخصوصاً إذا كانَ فيه لُطْفٌ لغيرِه من أُمَّتِه، حتى يَفْعَلُوا في مِثْلِ تلك الواقعةِ كما فَعَلَ.

ولهذا اسْتَدَلَّ أكثرُ العلماءِ على أنَّه يَجوزُ الاستعانةُ بالرُّقَى والعَوْذِ، ويُؤَيِّدُه ما رُوِيَ أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ قالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، وَاللَّهُ يَشْفِيكَ».

وعن ابنِ عَبَّاسٍ: كانَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ يُعَوِّذُ الحَسَنَ والحُسَيْنَ رضِيَ اللَّهُ عنهما بقولِه: «أُعِيذُكُمَا بكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وهَامَّةٍ، ومِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ»، ويقولُ: «هَكَذَا كَانَ أَبِي إِبْرَاهِيمُ يَقُولُ لابْنَيْهِ؛ إِسْمَاعِيلَ وإِسْحَاقَ».

وعنه: كانَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ يُعَلِّمُنا مِن الحُمَّى والأوجاعِ كُلِّها: «بِسْمِ اللَّهِ الكَرِيمِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ العَظِيمِ، مِنْ شَرِّ كُلِّ عِرْقٍ نَعَّارٍ، وَمِنْ شَرِّ حَرِّ النَّارِ».

وعن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عنه: كانَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ إذا دَخَلَ على مَرِيضٍ قالَ: «أَذْهِبِ البَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لا شَافِيَ إِلاَّ أَنْتَ».

ورُوِيَ أنَّه صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ كانَ إذا سَافَرَ فنَزَلَ مَنْزِلاً يَقُولُ: «يَا أَرْضُ، رَبِّي وَرَبُّكِ اللَّهُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكِ، ومِنْ شَرِّ مَا فِيكِ، وَشَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْكِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَدُبُّ عَلَيْكِ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ أَسَدٍ وَأَسْوَدٍ، وَحَيَّةٍ وَعَقْرَبٍ، وَمِنْ شَرِّ سَاكِنِ البَلَدِ، وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ»

وعن عائِشَةَ: كانَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ إذا اشْتَكَى شَيْئاً مِن جَسَدِه قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] والمُعَوِّذَتَيْنِ في كَفِّه اليُمْنَى، ومَسَحَ بها المكانَ الذي يَشْتَكِي.

ورُوِيَ أنَّه صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ دخَلَ على عُثمانَ بنِ مَظْعُونٍ فعَوَّذَهُ بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، وبهاتَيْنِ السورتَيْنِ، ثم قالَ: «تَعَوَّذْ بِهِنَّ؛ فَمَا تَعَوَّذْتُ بِخَيْرٍ مِنْهَا».

وأمَّا قولُ الكُفَّارِ: إنَّه مَسْحورٌ. فإنَّما أرادوا به الجُنونَ والسِّحْرَ الذي أَثَّرَ في عَقْلِه ودامَ مَعَه؛ فلذلك وَقَعَ الإنكارُ عليهم). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٥- ٢٢٦]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (وقد اعْتاصَ على كثيرٍ من أهْلِ الكلامِ وغيرِهم وأَنْكَرُوه أَشَدَّ الإنكارِ، وقابَلُوه بالتكذيبِ، وصنَّفَ بعضُهم فيه مُصَنَّفًا مُفْرَدًا حَمَلَ فيه على هِشامٍ، وكان غايةُ ما أَحْسَنَ القولَ فيه أنْ قالَ: غَلِطَ واشْتَبَه عليه الأمْرُ، ولم يكن من هذا شيءٌ. قال: لأنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَجوزُ أنْ يُسْحَرَ، فإنه يكونُ تَصديقًا لقولِ الكُفَّارِ: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٤٧﴾ [الفرقان: ٨].

قالُوا: وهذا كما قالَ فِرعونُ لموسى: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۝١٠١﴾ [الإسراء: ١٠١] وقالَ قومُ صالحٍ له: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ۝١٥٣﴾ [الشعراء: ١٥٣] وقالَ قومُ شُعَيْبٍ له: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ۝١٥٣﴾ [الشعراء: ١٨٥].

قالُوا: فالأنبياءُ لا يَجوزُ عليهم أن يُسْحَروا، فإنَّ ذلك يُنافي حِمايةَ اللهِ لهم وعِصمتَهم من الشياطين.

وهذا الذي قالَه هؤلاءِ مَردودٌ عندَ أهْلِ العلْمِ؛ فإنَّ هِشامًا من أَوْثَقِ الناسِ وأَعْلَمِهم، ولم يَقْدَحْ فيه أَحَدٌ من الأئمَّةِ بما يُوجِبُ رَدَّ حديثِه، فما للمُتَكَلِّمين وما لهذا الشأنِ؟ وقد رواهُ غيرُ هِشامٍ عن عائشةَ.

وقد اتَّفَقَ أصحابُ الصحيحينِ على تَصحيحِ هذا الحديثِ، ولم يَتكَلَّمْ فيه أحَدٌ من أهْلِ الحديثِ بكَلِمَةٍ واحدةٍ، والقِصَّةُ مَشهورةٌ عندَ أهْلِ التفسيرِ والسُّنَنِ والحديثِ والتاريخِ والفُقَهاءِ، وهؤلاءِ أَعْلَمُ بأحوالِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأيَّامِه من المُتَكَلِّمِينَ، قالَ أبو بكرِ بنُ أبي شَيْبَةَ: حدَّثَنا أبو مُعاويةَ، عن الأعمشِ، عن يَزيدَ بنِ حَيَّانَ، عن زيدِ بنِ أَرْقَمَ قالَ: سَحَرَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ من اليهودِ، فاشْتَكَى لذلك أيَّامًا. قالَ: فأَتاه جِبريلُ فقالَ: إنَّ رَجُلاً من اليهودِ سَحَرَك، وعَقَدَ لذلك عُقَدًا. فأَرْسَلَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عليًّا فاسْتَخْرَجَها فجاءَ بها، فَجَعَلَ كُلَّمَا حَلَّ عُقدةً وَجَدَ لذلك خِفَّةً، فقامَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنما أُنْشِطَ من عِقَالٍ، فما ذَكَرَ ذلك لليهوديِّ ولا رآهُ في وَجْهِه قطُّ.

وقالَ ابنُ عَبَّاسٍ وعائشةُ: كان غُلامٌ من اليهودِ يَخْدُمُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدَنَتْ إليه اليهودُ فلم يَزالُوا حتى أَخَذَ مُشاطَةَ رأسِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعِدَّةَ أسنانٍ من مُشْطِه فأعطاها اليهودَ، فسَحَرُوه فيها، وتَوَلَّى ذلك لَبِيدُ بنُ الأعْصَمِ؛ رجلٌ من اليهودِ، فنَزَلَتْ هاتان السورتانِ فيه.

قالَ البَغَوِيُّ: وقيلَ: كانت مَغْرُوزَةً بالدُّبُرِ، فأَنْزَلَ اللهُ - عَزَّ وجَلَّ - هاتين السورتين، وهما إحدى عَشْرَةَ آيةً، سورةُ الفَلَقِ خَمْسُ آياتٍ وسورةُ الناسِ سِتُّ آياتٍ، فكُلَّمَا قرأ آيةً انْحَلَّتْ عُقدةٌ حتى انْحَلَّتِ العُقَدُ كلُّها، فقامَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنما أُنْشِطَ من عِقالٍ. قالَ: ورُوِيَ أنه لَبِثَ فيه سِتَّةَ أشْهُرٍ واشْتَدَّ عليه ثلاثةَ أيَّامٍ، فنَزَلَت المُعَوِّذتان.

قالُوا: والسحْرُ الذي أَصابَه كان مَرَضًا من الأمراضِ عَارِضًا شَفاهُ اللهُ منه، ولا نَقْصَ في ذلك ولا عَيْبَ بوجْهٍ ما، فإنَّ المَرَضَ يَجوزُ على الأنبياءِ، وكذلك الإغماءُ، فقد أُغْمِيَ عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مَرَضِه، ووَقَعَ حين انْفَكَّتْ قدَمُه وجُحِشَ شِقُّه، وهذا من البلاءِ الذي يَزِيدُه اللهُ به رِفعةً في دَرجاتِه ونَيْلِ كَرامتِه، وأَشَدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ، فابْتُلُوا من أُمَمِهِمْ بما ابْتُلوا به من القَتْلِ والضرْبِ والشتْمِ والحَبْسِ، فليس ببِدَعٍ أن يُبْتَلَى النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بَعْضِ أعدائِه بنوعٍ من السِّحْرِ كما ابْتُلِيَ بالذي رَماهُ فشَجَّهُ، وابْتُلِيَ بالذي أَلْقَى على ظَهْرِه السَّلا وهو ساجِدٌ وغيرِ ذلك، فلا نَقْصَ عليهم ولا عَارَ في ذلك، بل هذا من كَمالِهم وعُلُوِّ درجاتِهم عندَ اللهِ.

قالُوا: وقد ثَبتَ في الصحيحِ عن أبي سَعيدٍ الخُدريِّ أنَّ جِبريلَ أتى النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالَ: يا مُحَمَّدُ، اشْتَكَيْتَ؟ فقالَ: «نَعَمْ». فقالَ: باسمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِن كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِن شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أو عَينِ حاسِدٍ، اللهُ يَشفِيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ» فعَوَّذَه جبريلُ من شَرِّ كلِّ نفْسٍ وعَينِ حاسدٍ لَمَّا اشْتَكَى، فدَلَّ على أنَّ هذا التَّعَوُّذَ مُزِيلٌ لشِكايتِه صلى اللهُ عليه وسلَّمَ، وإلا فلا يُعَوِّذُه من شيءٍ وشِكَايَتُه من غيرِه.

قالُوا: وأمَّا الآياتُ التي اسْتَدْلَلْتُم بها لا حُجَّة لكم فيها، أمَّا قولُه تعالى عن الكُفَّارِ أنهم قالُوا: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الإسراء: ٤٧] وقولُ قوم صالِحٍ له: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الشعراء: ١٥٣] فقيلَ: المُرادُ به مَن له سَحْرٌ، وهي الرِّئَةُ، أي أنه بَشَرٌ مِثْلُهم يَأكُلُ ويَشْرَبُ ليس بِمَلَكٍ، ليس المرادُ به السِّحْرَ، وهذا جَوابٌ غيرُ مُرْضٍ، وهو في غايةِ البُعْدِ؛ فإنَّ الكفَّارَ لم يكونوا يُعَبِّرُون عن البَشَرِ بمسحورٍ، ولا يُعْرَفُ هذا في لُغَةٍ من اللغاتِ، وحيث أَرادُوا هذا المعنى أَتَوْا بصريحِ لفظِ البَشَرِ فقالُوا: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [يس: ١٥] ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: ٤٧]، ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ [الإسراء: ٩٤] وأمَّا المَسحورُ فلم يُريدوا به ذا السَّحْرِ، وهي الرِّئَةُ، وأيُّ مُناسبَةٍ لذِكْرِ الرئةِ في هذا المَوضعِ؟

ثم كيف يقولُ فِرعونُ لموسى: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾ [الإسراء: ١٠١]؟!

أَفَتَراه ما عَلِمَ أنَّ له سَحْرًا وأنه بَشَرٌ؟!

ثم كيف يُجيبُه موسى بقولِه: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء: ١٠٢]؟!

ولو أرادَ بالمسحورِ أنه بَشَرٌ لصدَّقَه موسى، وقالَ: نَعَمْ أنا بَشَرٌ أَرْسَلَني اللهُ إليك كما قالَت الرُّسُلُ لقومِهم، لَمَّا قالُوا لهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠] فقالُوا: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم: ١١] ولم يُنْكِروا ذلك، فهذا الجوابُ في غايةِ الضَّعْفِ.

وأَجابَتْ طائفةٌ، منهم ابنُ جَريرٍ وغيرُه: بأن المَسحورَ هنا هو مُعلَّمُ السحْرِ الذي قد عَلَّمَه إيَّاه غيرُه، فالمسحورُ عندَه بمعنى ساحرٍ أي: عالِمٌ بالسحْرِ، وهذا جَيِّدٌ إن ساعَدَتْ عليه اللغةُ، وهو أنَّ مَن عُلِّمَ السحْرَ يُقالُ له: مَسحورٌ، ولا يَكادُ هذا يُعْرَفُ في الاستعمالِ ولا في اللغةِ، وإنما المَسحورُ مَنْ سَحَرَه غيرُه، كالمَطبوبِ والمضروبِ والمقتولِ وبابِه، وأمَّا مَن عُلِّمَ السحْرَ فإنه يُقالُ له: ساحرٌ بمعنى أنه عالِمٌ بالسحْرِ، وإن لم يَسْحَرْ غيرَه؛ كما قالَ قومُ فِرعونَ لموسى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [الأعراف: ١٠٩] ففِرعونُ قَذَفَه بكونِه مَسحورًا، وقَوْمُه قَذَفُوه بكونِه ساحرًا.

فالصوابُ هو الجَوابُ الثالثُ، وهو جوابُ صاحبِ الكَشَّافِ وغيرِه: أنَّ المسحورَ على بابِه، وهو مَن سُحِرَ حتى جُنَّ فقالُوا: مَسحورٌ مِثلُ مَجنونٍ؛ زائلِ العَقلِ لا يَعْقِلُ ما يَقولُ، فإنَّ المسحورَ الذي لا يُتَّبَعُ هو الذي فَسَدَ عقلُه، بحيث لا يَدْرِي ما يقولُ فهو كالمجنونِ؛ ولهذا قالُوا فيه: ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾﴾ [الدخان: ١٤] فأمَّا مَن أُصيبَ في بَدَنِه بمَرَضٍ من الأمراضِ يُصابُ به الناسُ، فإنه لا يَمْنَعُ ذلك من اتِّباعِه، وأعداءُ الرُّسُلِ لم يَقْذِفُوهُمْ بأمراضِ الأبدانِ وإنما قَذَفُوهم بما يُحَذِّرُون به سُفَهاءَهم من أَتْبَاعِهم، وهو أنهم قد سُحِرُوا حتى صاروا لا يَعلمون ما يَقولون بمَنْزِلَةِ المَجانينِ، ولهذا قالَ تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفرقان: ٩] مَثَّلُوكَ بالشَّاعِرِ مَرَّةً والساحِرِ أخرى والمجنونِ مَرَّةً والمسحورِ أخرى، فضَلُّوا في جَميعِ ذلك ضَلالَ مَن يَطْلُبُ في تِيهِهِ وتَحَيُّرِه طَرِيقًا يَسْلُكُه فلا يَقْدِرُ عليه، فإنَّ أيَّ طريقٍ أَخَذَها فهي طريقُ ضَلالٍ وحَيْرَةٍ، فهو مُتَحَيِّرٌ في أَمْرِه لا يَهْتَدِي سَبيلاً ولا يَقْدِرُ على سُلوكِها، فهكذا حالُ أعداءِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معه حتى ضَرَبُوا له أَمْثَالاً بَرَّأَهُ اللهُ منها، وهو أَبْعَدُ خَلْقِ اللهِ منها، وقد عَلِمَ كلُّ عاقلٍ أنها كَذِبٌ وافتراءٌ وبُهتانٌ.

وأمَّا قولُكم: إنَّ سِحْرَ الأنبياءِ يُنافِي حِمايةَ اللهِ لهم فإنه - سُبحانَه - كما يَحميهم ويَصُونُهم ويَحفظُهم ويَتَوَلاهم، فيَبْتَليهم بما شاءَ من أَذَى الكُفَّارِ لهم ليَسْتَوْجِبوا كَمالَ كَرامتِه، ولِيَتَسَلَّى بهم مَن بعدَهم من أُمَمِهم وخُلفائِهم إذا أُوذُوا من الناسِ، فرَأَوْا ما جَرَى على الرُّسُلِ والأنبياءِ صَبَروا ورَضُوا وتَأَسَّوْا بهم، ولِتَمْتَلِئَ صاعُ الكفَّارِ فيَسْتَوْجبون ما أُعِدَّ لهم من النَّكَالِ العاجِلِ والعُقوبةِ الآجِلَةِ، فيَمْحَقُهم بسببِ بَغْيِهم وعَداوَتِهم، فيُعَجِّلُ تطهيرَ الأرْضِ منهم، فهذا من بعضِ حِكْمَتِه تعالى في ابتلاءِ أنبيائِه ورُسُلِه بإيذاءِ قومِهم، وله الحِكْمَةُ البالغةُ والنعمَةُ السابِغَةُ، لا إلهَ غيرُه ولا ربَّ سواهُ). [بدائع الفوائد: ٢/٢٢٣- ٢٢٦]

قالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ البَيْضَاوِيُّ (ت: ٦٩١هـ): (وتخصيصه لِمَا رُوِيَ أنَّ يَهُودِيًّا سَحَر النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إحدى عشْرةَ عُقْدَةً في وَتَرٍ دَسَّهُ في بِئْرٍ، فَمَرِضِ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونَزَلَت المُعَوِّذَتَانِ، وأَخْبَرَه جِبريلُ عليه الصلاةُ والسلامُ بِمَوْضِعِ السِّحْرِ، فأَرْسَلَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ تعالى عنه فجاءَ به، فَقَرَأَهُما عليه، فكانَ كُلَّمَا قرأَ آيةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، ووَجَدَ بعضَ الخِفَّةِ، ولا يُوجِبُ ذلك صِدْقَ الكَفَرَةِ في أنه مَسحورٌ؛ لأنهم أَرَادُوا به أنه مَجنونٌ بوَاسِطَةِ السِّحْرِ). [أنوار التنزيل: ٢/١١٨٠]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَلا يُوجِبُ ذلكَ صِدْقَ الكفرةِ في وَصْفِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأَنَّهُ مَسْحُورٌ، فَإِنَّهُمْ ما أَرَادُوا إلاَّ الجنونَ أَوْ ما يُشْبِهُهُ مِنْ فَسَادِ العقلِ وَاختلالِهِ وَالمبالغةِ في أنَّ كلَّ ما يَقُولُهُ لا حَقِيقَةَ لهُ كما أَنَّ مَا يَنْشَأُ عَنِ المسحورِ يَكُونُ مُخْتَلِطاً لا تُعْرَفُ حَقِيقَتُهُ). [نظم الدرر: ٨/٦٠٦]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وقالَ الإمامُ المازِرِيُّ: قد أَنْكَرَ ذلك الحديثَ المُبْتَدِعَةُ مِن حيث إنه يَحُطُّ مَنْصِبَ النبوَّةِ ويُشَكِّكُ فيها، وإنَّ تَجْوِيزَه يَمْنَعُ الثقةَ بالشرْعِ، وأُجيبَ بأنَّ الحديثَ صحيحٌ وهو غيرُ مُراغِمٍ للنصِّ، ولا يَلْزَمُ عليه حَطُّ مَنصِبِ النُّبُوَّةِ والتشكيكُ فيها؛ لأنَّ الكُفَّارَ أَرَادُوا بقولِهم: مَسحورٌ أنه مَجنونٌ، وحاشاهُ، ولو سُلِّمَ إرادةُ ظاهِرِه فهو كان قبلَ هذه القِصَّةِ، أو مُرادُهم أنَّ السحرَ أَثَّرَ فيه وأنَّ ما يأتيهِ مِن الوحيِ مِن تَخَيُّلاتِ السحْرِ، وهو كَذِبٌ أيضًا؛ لأنَّ اللهَ عَصَمَه فيما يَتَعَلَّقُ بالرسالةِ، وأَمَّا ما يَتعلَّقُ ببعضِ أمورِ الدنيا التي لم يُبعَثْ عليه الصلاةُ والسلامُ بسَبَبِها وهي مما يَعْرِضُ للبشرِ فغيرُ بعيدٍ أنْ يُخَيَّلَ إليه مِن ذلك ما لا حقيقةَ له، وقد قيلَ: إنه إنما هو كانَ خُيِّلَ أنه وَطِئَ زَوجاتِه وليس بواطِئٍ، وقد يَتَخَيَّلُ الإنسانُ مِثلَ هذا في المَنامِ فلا يَبْعُدُ تَخَيُّلُه في اليَقظةِ. وقيلَ: إنه يُخَيَّلُ أنه فَعَلَه وما فَعَلَه، ولكن لا يَعتقدُ صِحَّةَ ما تَخَيَّلَه، فتكونُ اعتقاداتُه عليه الصلاةُ والسلامُ على السدادِ. وقالَ القاضي عِياضٌ: قد جاءتْ رِواياتُ حديثِ عائشةَ مُبَيِّنَةً أنَّ السحرَ إنما تَسَلَّطَ على جَسَدِه الشريفِ صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسَلَّمَ وظواهِرِ جَوارِحِه، لا على عَقْلِه عليه الصلاةُ والسلامُ وقَلْبِه واعتقادِه، ويكونُ معنى ما في بعضِ الرواياتِ: حتى يَظُنَّ أنه يأتي أهلَه ولا يأتيهنَّ، وفي بعضٍ: أنه يُخَيَّلُ إليه أنه إلخ، أنه يَظْهَرُ له مِن نَشاطِه ومُتَقَدِّمِ عادتِه القُدرةُ عليهنَّ فإذا دنا منهنَّ أَخَذَتْه أُخذةُ السحْرِ فلم يَأْتِهِنَّ ولم يَتَمَكَّنْ مِن ذلك كما يُعترَى المسحورُ، وكلُّ ما جاءَ في الرواياتِ مِن أنه عليه الصلاةُ والسلامُ يُخَيَّلُ إليه فعْلُ شيءٍ ولم يَفعلْه ونحوِه فمَحمولٌ على التخَيُّلِ بالبصرِ، لا لِخَلَلٍ تَطَرَّقَ إلى العقلِ، وليس في ذلك ما يُدْخِلُ لَبسًا على الرسالةِ ولا طَعْنًا لأهلِ الضلالةِ. انتهى). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٣]

قالَ مُحمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (قالَ الراغبُ: تَأْثِيرُ السحرِ في النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكنْ مِنْ حيثُ إِنَّهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّمَا كانَ في بَدَنِهِ، حيثُ إِنَّهُ إِنْسَانٌ أَوْ بَشَرٌ كما كانَ يَأْكُلُ وَيَتَغَوَّطُ وَيَغْضَبُ وَيَشْتَهِي وَيَمْرَضُ، فَتَأْثِيرُهُ فيهِ مِنْ حيثُ هوَ بشرٌ لا مِنْ حيثُ هوَ نَبِيٌّ.

وإِنَّمَا يَكُونُ ذلكَ قَادِحاً في النُّبُوَّةِ لَوْ وُجِدَ للسحرِ تَأْثِيرٌ في أمرٍ يَرْجِعُ للنُّبُوَّةِ، كما أَنَّ جُرْحَهُ وَكَسْرَ ثَنِيَّتِهِ يَوْمَ أُحُدٍ لَمْ يَقْدَحْ فيما ضَمِنَ اللَّهُ لهُ مِنْ عصمتِهِ في قولِهِ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. وكَمَا لا اعْتِدَادَ بِمَا يَقَعُ

في الإسلامِ مِنْ غَلَبَةِ بعضِ المشركينَ على بعضِ النواحي فِيمَا ذُكِرَ مِنَ كَمَالِ الإسلامِ في قولِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

قالَ القاضي: وَلا يُوجِبُ ذلكَ صِدْقَ الكَفَرَةِ في أَنَّهُ مَسْحُورٌ؛ لأَنَّهُم أَرَادُوا بِهِ أَنَّهُ مَجْنُونٌ بواسطةِ السُّحراءِ.

ومَذْهَبُ أهلِ السُّنَّةِ أنَّ السحرَ حَقٌّ ولَهُ حقيقةٌ، ويكونُ بالقولِ والفعلِ، ويُؤلِمُ ويُمرِضُ ويَقْتُلُ ويُفرِّقُ بينَ الزوجَيْنِ، وتَمَامُ الكلامِ على هذا في حاشيةِ سليمان الجَمَل فَارْجِعْ إليهِ). [فتح البيان: ١٥/٤٥٥]

قالَ مُحمَّد عَبْدُه المِصْرِيُّ (ت: ١٣٢٣ هـ): (وقد رَوَوْا ههنا أَحاديثَ في أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ سَحَرَهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، وأَثَّرَ سِحْرُهُ فيه حتى كانَ يُخَيَّلُ له أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وهو لا يَفْعَلُهُ، أو يَأْتِي شَيْئًا وهو لا يَأْتِيهِ، وأنَّ اللهَ أَنْبَأَهُ بذلك، وأُخْرِجَتْ مَوادُّ السِّحْرِ من بِئْرٍ، وعُوفِيَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ مِمَّا كانَ نَزَلَ به من ذلكَ، ونَزَلَتْ هذه السُّورَةُ، ولا يَخْفَى أنَّ تَأْثِيرَ السِّحْرِ في نَفْسِهِ عليه السَّلامُ حتى يَصِلَ به الأَمْرُ إلى أنْ يَظُنَّ أَنَّهُ يَفْعَلُ شَيْئًا وهو لا يَفْعَلُهُ، لَيْسَ من قَبِيلِ تَأْثِيرِ الأَمْرَاضِ في الأَبْدانِ، ولا من قَبِيلِ عُروضِ السَّهْوِ والنِّسْيانِ في بَعْضِ الأُمُورِ العادِيَّةِ، بل هو ماسٌّ بالعَقْلِ آخِذٌ بالرُّوحِ، وهو مِمَّا يُصَدِّقُ قَوْلَ المُشْرِكِينَ فيه: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٤٧﴾ [الإسراء: ٤٧] ولَيْسَ المَسْحورُ عندَهم إلا مَن خُولِطَ في عَقْلِهِ، وخُيِّلَ له أنَّ شَيْئًا يَقَعُ وهو لا يَقَعُ، فيُخَيَّلُ إليه أَنَّهُ يُوحَى إليه ولا يُوحَى إليه، وقد قالَ كَثِيرٌ مِنَ المُقَلِّدِينَ الَّذينَ لا يَعْقِلونَ ما هي النُّبُوَّةُ ولا ما يَجِبُ لها: إنَّ الخَبَرَ بتَأْثِيرِ السِّحْرِ في النَّفْسِ الشَّرِيفَةِ قد صَحَّ، فيَلْزَمُ الاعْتِقادُ به... (ضبب على هذا الموضع في المطبوع) بصِحَّةِ السِّحْرِ

فانْظُرْ كيف يَنْقَلِبُ الدِّينُ الصَّحِيحُ والحَقُّ الصَّرِيحُ في نَظَرِ المُقَلِّدِ بِدْعَةً، نَعوذُ باللهِ، يَحْتَجُّ بالقُرْآنِ على ثُبُوتِ السِّحْرِ، ويُعْرِضُ عَنِ القُرْآنِ في نَفْيِهِ السِّحْرَ عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وعَدَّهُ مِنِ افْتِراءِ المُشْرِكِينَ عليه، ويُئَوِّلُ في هذه ولا يُئَوِّلُ في تلك، معَ أنَّ الَّذي قَصَدَهُ المُشْرِكونَ ظاهِرٌ، لأَنَّهُم كانوا يَقولونَ: إنَّ الشَّيْطانَ يُلابِسُهُ عليه السَّلامُ، ومُلابَسَةُ الشَّيْطانِ تُعْرَفُ بالسِّحْرِ عندَهم وضَرْبٌ من ضُروبِهِ، وهو بعَيْنِهِ أَثَرُ السِّحْرِ الَّذي نُسِبَ إلى لَبِيدٍ، فإنَّهُ قد خالَطَ عَقْلَهُ وإدْراكَهُ في زَعْمِهِم.

والَّذي يَجِبُ اعْتِقادُهُ أنَّ القُرْآنَ مَقْطوعٌ به، وأَنَّهُ كِتابُ اللهِ بالتَّواتُرِ عَنِ المَعْصومِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، فهو الَّذي يَجِبُ الاعْتِقادُ بما يُثْبِتُهُ، وعَدَمُ الاعْتِقادِ بما يَنْفِيهِ، وقد جاءَ بنَفْيِ السِّحْرِ عنه عليه السَّلامُ؛ حيثُ نَسَبَ القَوْلَ بإثْباتِ حُصُولِ السِّحْرِ له إلى المُشْرِكِينَ أَعْدائِهِ، ووَبَّخَهم على زَعْمِهم هذا، فإذَنْ هو لَيْسَ بمَسْحورٍ قَطْعًا، وأمَّا الحَدِيثُ فعلى فَرْضِ صِحَّتِهِ هو آحادٌ، والآحادُ لا يُؤْخَذُ بها في بابِ العَقائِدِ، وعِصْمَةُ النَّبِيِّ من تَأْثِيرِ السِّحْرِ في عَقْلِهِ عَقِيدَةٌ مِنَ العَقائِدِ لا يُؤْخَذُ في نَفيها عنه إلا باليَقِينِ، ولا يَجوزُ أنْ يُؤْخَذَ فيها بالظَّنِّ، والمَظْنُونُ على أنَّ الحَدِيثَ الَّذي يَصِلُ إلينا من طَرِيقِ الآحادِ إنَّمَا يَحْصُلُ الظَّنُّ عندَ مَن صَحَّ عنده، أمَّا مَن قامَتْ له الأَدِلَّةُ على أَنَّهُ غَيْرُ صَحِيحٍ، فلا تَقومُ به عليه حُجَّةٌ، وعلى أيِّ حالٍ فلنا بل علينا أنْ نُفَوِّضَ الأَمْرَ في الحَدِيثِ ولا نُحَكِّمَهُ في عَقِيدَتِنا، ونَأْخُذَ بنَصِّ الكِتابِ، وبدَلِيلِ العَقْلِ، فإنَّهُ إذا خُولِطَ النَّبِيُّ في عَقْلِهِ كما زَعَموا، جازَ عليه أنْ يُظَنَّ أَنَّهُ

بَلَّغَ شَيْئًا وهو لم يُبَلِّغْهُ، أو أَنَّ شَيْئًا نَزَلَ عليه وهو لم يَنْزِلْ عليه، والأَمْرُ ظاهِرٌ لا يَحْتاجُ إلى بيانٍ، ثُمَّ إنَّ نَفْيَ السِّحْرِ عنه لا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ السِّحْرِ مُطْلَقًا، فرُبَّما جازَ أنْ يُصِيبَ السِّحْرُ غَيْرَهُ بالجُنونِ نَفْسِهِ، ولكِنْ مِنَ المُحالِ أنْ يُصِيبَهُ؛ لأنَّ اللهَ عَصَمَهُ منه، ما أَضَرَّ المُحِبَّ الجاهِلَ، وما أَشَدَّ خَطَرَهُ على من يَظُنُّ أَنَّهُ يُحِبُّهُ! نَعوذُ باللهِ مِنَ الخِذْلانِ، على أنَّ نافِيَ السِّحْرِ بالمَرَّةِ لا يَجوزُ أنْ يُعَدَّ مُبْتَدِعًا؛ لأنَّ اللهَ تعالى ذَكَرَ ما يَعْتَقِدُ به المُؤْمِنونَ في قَوْلِهِ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾... [البقرة: ٢٨٥] الآيَةَ، وفي غَيْرِها مِنَ الآياتِ، ووَرَدَتِ الأَوامِرُ بما يَجِبُ على المُسْلِمِ أنْ يُؤْمِنَ به، حتى يَكونَ مُسْلِمًا، ولم يَأْتِ في شَيْءٍ من ذلك ذِكْرُ السِّحْرِ على أَنَّهُ مِمَّا يَجِبُ الإيمانُ بثُبُوتِهِ أو وُقُوعِهِ على الوَجْهِ الَّذي يَعْتَقِدُ به الوَثَنِيُّونَ في كُلِّ مِلَّةٍ، بل الَّذي وَرَدَ في الصَّحِيحِ هو أنَّ تَعَلُّمَ السِّحْرِ كُفْرٌ، فقد طُلِبَ منَّا أنْ لا نَنْظُرَ بالمَرَّةِ فيما يُعْرَفُ عندَ النَّاسِ بالسِّحْرِ ويُسَمَّى باسْمِهِ، وجاءَ ذِكْرُ السِّحْرِ في القُرآنِ في مَواضِعَ مُخْتَلِفَةٍ، ولَيْسَ مِنَ الواجِبِ أنْ نَفْهَمَ منه ما يَفْهَمُ هؤلاءِ العُمْيانُ، فإنَّ السِّحْرَ في اللُّغَةِ مَعْناهُ صَرْفُ الشَّيْءِ عن حَقِيقَتِهِ، قالَ الفَرَّاءُ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ۝٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٩] أي: أَنَّى تُؤْفَكونَ وتُصْرَفونَ. سِحْرُهُ وإفْكُهُ بمَعْنًى واحِدٍ، وماذا علينا لو فَهِمْنا مِنَ السِّحْرِ الَّذي يُفَرِّقُ بَيْنَ المَرْءِ وزَوْجِهِ تلك الطُّرُقَ الخَبِيثَةَ الدَّقِيقَةَ الَّتي تَصْرِفُ الزَّوْجَ عن زَوْجَتِهِ، والزَّوْجَةَ عَن زَوْجِها، وهل يَبْعُدُ أنْ يَكونَ مِثْلُ هذه الطُّرُقِ مِمَّا يُتَعَلَّمُ وتُطْلَبُ له الأَساتِذَةُ، ونحن نَرَى أنَّ كُتُبًا أُلِّفَتْ ودُروسًا تُلْقَى لتَعْلِيمِ أَساليبِ التَّفْريقِ بَيْنَ النَّاسِ لمن يُريدُ أنْ يَكونَ من عُمَّالِ السِّياسَةِ في بَعْضِ الحُكُوماتِ، وقد يَكونُ ذِكْرُ المَرْءِ وزَوْجِهِ من قَبِيلِ التَّمْثِيلِ وإظْهارِ الأَمْرِ في أَقْبَحِ صُورَةٍ، أي: بَلَغَ من أَمْرِ ما يَتَعَلَّمُونَهُ من ضُروبِ الحِيَلِ وطُرُقِ الإفْسادِ أنْ يَتَمَكَّنوا به مِنَ التَّفْريقِ بَيْنَ المَرْءِ وزَوْجِهِ، وسِياقُ الآيَةِ لا يَأْباهُ، وذِكْرُ الشَّياطِينِ لا يَمْنَعُنا من ذلك بعدَ أنْ سَمَّى اللهُ خُبَثاءَ الإنْسِ المُنافِقِينَ بالشَّياطِينِ، قالَ: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤]، وقالَ: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وسِحْرُ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ كانَ ضَرْبًا مِنَ الحِيلَةِ، ولذلك قالَ: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۝٦٦﴾ [طه: ٦٦]، وما قالَ: إنَّها تَسْعَى بسِحْرِهم.

قالَ يُونُسُ: تَقولُ العَرَبُ: ما سَحَرَكَ عن وَجْهِ كذا، أي: ما صَرَفَكَ عنه، ولو كانَ هؤلاءِ يَقْدِرونَ الكِتابَ قَدْرَهُ ويَعْرِفونَ مِنَ اللُّغَةِ ما يَكْفِي لعاقِلٍ أنْ يَتَكَلَّمَ، ما هَذَروا هذا الهَذْرَ، ولا وَصَموا الإسْلامَ بهذه الوَصْمَةِ، وكيف يَصِحُّ أنْ تَكونَ هذه السُّورَةُ نَزَلَتْ في سِحْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ معَ أَنَّها مَكِّيَّةٌ في قَوْلِ عَطاءٍ والحَسَنِ وجابِرٍ، وفي رِوايَةِ ابْنِ كُرَيْبٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وما يَزْعُمونَهُ مِنَ السِّحْرِ إنَّمَا وَقَعَ في المَدِينَةِ، لكِنْ مَن تَعَوَّدَ القَوْلَ بالمُحالِ لا يُمْكِنُ الكَلامُ معه بحالٍ، نَعوذُ باللهِ مِنَ الخَبالِ). [تفسير جزء عم: ١٨٥- ١٨٧]

- **قلت**: (أسرفَ في ردِّ الأحاديثِ الصحيحةِ، وأساء فهمَها، وأساء القولَ في كلامِ أهلِ العلمِ، وما تقدم من الأحاديثِ والآثارِ وكلامِ أهلِ العلمِ كافٍ في الردِّ عليه، وفي كلامِه مغالطاتٌ يطولُ المقامُ ببحثِها، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ).

قالَ مُحمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (تنبيهٌ: قالَ الشِّهابُ: نقلَ في (التَّأْويلاتِ) عنْ أبي بكرٍ الأصمِّ أنَّهُ قالَ: إنَّ حديثَ سِحْرِهِ صلواتُ اللَّهِ عليهِ المَرْويَّ هنا، مَتروكٌ لما يَلْزَمُهُ مِنْ صِدْقِ قولِ الكفرةِ أنَّهُ مَسحورٌ، وهوَ مخالِفٌ لنَصِّ القرآنِ حيثُ أَكْذَبَهم اللَّهُ فيهِ.

ونَقَلَ الرازيُّ عن القاضي أنَّهُ قالَ: هذهِ الروايَةُ باطلةٌ، وكيفَ يُمْكِنُ القولُ بصِحَّتِها، واللَّهُ تعالى يقولُ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المَائِدَة: ٦٧]، وقالَ: ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾ [طه: ٦٩]، ولأنَّ تجويزَهُ يُفْضي إلى القَدْحِ في النُّبوَّةِ، ولأنَّهُ لوْ صَحَّ ذلك لكانَ مِن الواجبِ أنْ يَصِلُوا إلى ضَرَرِ جميعِ الأنبياءِ والصالحينَ، ولَقَدَرُوا على تَحصيلِ المُلْكِ العظيمِ لأنفسِهم، وكُلُّ ذلكَ باطلٌ، ولكانَ الكُفَّارُ يُعَيِّرُونَهُ بأنَّهُ مَسحورٌ، فَلَوْ وَقَعَتْ هذهِ الواقعةُ لكانَ الكُفَّارُ صادقينَ في تلكَ الدعوةِ، ولَحَصَلَ فيهِ عليهِ السلامُ ذلكَ العَيْبُ، ومعلومٌ أنَّ ذلكَ غيرُ جائزٍ. انْتَهَى.

ولا غَرابةَ في أنْ لا يَقْبَلَ هذا الخبرَ لِمَا بَرْهَنَ عليهِ، وإنْ كانَ مُخَرَّجاً في الصِّحاحِ؛ وذلكَ لأنَّهُ ليسَ كُلُّ مُخَرَّجٍ فيها سالِماً مِن النَّقْدِ، سَنَداً أوْ معنًى، كما يَعرِفُهُ الرَّاسِخُونَ، على أنَّ المُناقَشَةَ في خبرِ الآحادِ مَعروفةٌ مِنْ عهْدِ الصحابةِ.

قالَ الإمامُ الغزالِيُّ في (المُسْتَصْفَى): ما مِنْ أَحَدٍ مِن الصحابةِ إلاَّ وقدْ رَدَّ خبرَ الواحدِ كرَدِّ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ خبرَ أبي سِنَانٍ الأشجعيِّ في قِصَّةِ (بَرْوَعَ بِنْتِ واشِقٍ) وقدْ ظَهَرَ منهُ أنَّهُ كانَ يَحْلِفُ على الحديثِ، وكَرَدِّ عائشةَ خبرَ ابنِ عمرَ في تَعذيبِ المَيِّتِ ببُكَاءِ أهْلِهِ عليهِ، وظَهَرَ مِنْ عُمَرَ نَهيُهُ لأبي مُوسَى وأبي هُريرةَ عن الحديثِ عن الرسولِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، وأَمْثَالُ ذلكَ مِمَّا ذُكِرَ.

أَوْرَدَ ذلكَ الغزاليُّ في مَباحثِ (خَبَرُ الآحادِ في شُبَهِ المُخَالِفينَ فيهِ)، وذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ في (مَباحثِ الإجْمَاعِ) إجماعَ الصحابةِ على تَجويزِ الخِلافِ للآحادِ؛ لأَدِلَّةٍ ظاهرةٍ قامَتْ عندَهم.

وقالَ الإمامُ ابنُ تَيْمِيَّةَ في (المُسَوَّدَةِ): الصَّوابُ أنَّ مَنْ رَدَّ الخبرَ الصحيحَ كما كانتِ الصحابةُ تَرُدُّهُ؛ لاعتقادِ غَلَطِ الناقلِ أوْ كَذِبِهِ، لاعتقادِ الرَّادِّ أنَّ الدَّليلَ قدْ دَلَّ على أنَّ الرسولَ لا يقولُ هذا، فإنَّ هذا لا يُكَفَّرُ ولا يُفَسَّقُ، وإنْ لم يَكُنِ اعتقادُهُ مُطَابِقاً، فقدْ رَدَّ غيرُ واحدٍ مِن الصحابةِ غيرَ واحدٍ مِن الأخبارِ التي هيَ صحيحةٌ عندَ أهلِ الحديثِ، انْتَهَى.

وقالَ العلاَّمَةُ الفَنَارِيُّ في فُصولِ البدائعِ: (ولا يُضَلَّلُ جاحِدُ الآحادِ).

والمسألةُ معروفةٌ في الأُصولِ، وإنَّما تَوسَّعْتُ في نُقُولِها؛ لأنِّي رَأَيْتُ مِنْ مُتَعَصِّبَةِ أهلِ الرأيِ مَنْ أَكْبَرَ رَدَّ خَبَرٍ رَوَاهُ مثلُ البخاريِّ، وضَلَّلَ مُنْكِرَهُ، فعَلِمْتُ أنَّ هذا مِن الجَهْلِ بفَنِّ الأُصولِ، لا بلْ بأُصولِ مَذْهَبِهِ، كما رَأَيْتَ عن الفَنَارِيِّ.

ثمَّ قُلْتُ: العهدُ بأهلِ الرَّأْيِ أنْ لا يُقيمُوا للبُخَارِيِّ وَزْناً، وقدْ رَدُّوا المِئِينَ مِنْ مَرْوِيَّاتِهِ بالتأويلِ والنسْخِ، فمَتَى صادَقُوهُ حتَّى يُضَلِّلُوا مَنْ رَدَّ خَبَراً فيهِ؟ وقدْ بَرْهَنَ على مُدَّعَاهُ، وقامَ يُدَافِعُ عنْ رسولِ اللَّهِ ومُصْطَفَاهُ.

وبعدُ، فالبحثُ في هذا الحديثِ شَهيرٌ قديماً وحديثاً، وقدْ أَوْسَعَ المَقالَ فيهِ شُرَّاحُ الصحيحِ، وابنُ قُتيبةَ في شَرْحِ تَأْوِيلِ مُختَلِفِ الحديثِ، والرازيُّ. والحقُّ لا يَخْفَى على طالِبِهِ، واللَّهُ أَعْلَمُ). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٧٨]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (قَالَ الأُسْتَاذُ الإِمَامُ ما خُلاصَتُهُ: قَدْ رَوَوْا هَاهُنَا أحَادِيثَ فِي أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّمَ سَحَرَهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، وَأَثَّرَ سِحْرُهُ فِيهِ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أنه يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَهُوَ لا يَفْعَلُهُ، أو يَأْتِي شَيْئًا وَهُوَ لا يَأْتِيهِ، وأنَّ اللهَ أَنْبَأَهُ بِذَلِكَ، وَأُخْرِجَتْ مَوَادُّ السِّحْرِ مِن بِئْرٍ، وَعُوفِيَ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّمَ مِمَّا كَانَ نَزَلَ بِهِ مِن ذَلِكَ ونَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ.

ولا يَخْفَى أنَّ تَأْثِيرَ السِّحْرِ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مَاسٌّ بِالعَقْلِ آخِذٌ بالرُّوحِ، فَهُوَ مِمَّا يُصَدِّقُ قَوْلُ المُشْرِكِينَ فِيهِ: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الإسراء: ٤٧].

والذَّي يَجِبُ عَلَيْنَا اعْتِقَادُهُ أنَّ القُرْآنَ المُتَواتِرَ جَاء بِنَفْيِ السِّحْرِ عنه عَلَيه الصَّلاةُ والسَّلامُ، حَيْثُ نَسَبَ القَوْلَ بِإِثْبَاتِ حُصُولِهِ له إِلَى المُشْرِكِينَ وَوَبَّخَهُمْ عَلَى ذلك.

والحَدِيثُ - عَلَى فَرْضِ صِحَّتِهِ- مِن أحَادِيثِ الآحَادِ الَّتِي لا يُؤْخَذُ بها فِي العَقَائِدِ، وَعِصْمَةُ الأَنْبِيَاءِ عَقِيدَةٌ لا يُؤْخَذُ فِيهَا إلا باليَقِينِ، وَنَفْيُ السِّحْرِ عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّمَ، لا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ السِّحْرِ مُطْلَقًا، فَرُبَّمَا جَازَ أنْ يُصِيبَ السِّحْرُ غَيْرَهُ بِالجُنُونِ، وَلَكِنْ مِنَ المُحَالِ أنْ يُصِيبَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّمَ، لأنَّ اللهَ عَصَمَهُ مِنْه.

إلا أنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ عَطَاءٍ وَالحَسَنِ وَجَابِرٍ، وَمَا يَزْعُمُونَهُ مِنَ السِّحْرِ إنما وَقَعَ بِالمَدِينَةِ، فَهَذَا مِمَّا يُضَعِّفُ الاحْتِجَاجَ بِالحَدِيثِ، وَيُضَعِّفُ التَّسْلِيمَ بِصِحَّتِهِ.

وَعَلَى الجُمْلَةِ فَعَلَيْنَا أنْ نَأْخُذَ بِنَصِّ الكِتَابِ، وَنُفَوِّضَ الأَمْرَ فِي الحَدِيثِ ولا نُحَكِّمُهُ فِي عَقِيدَتِنَا. اهـ). [تفسير المراغي: ٣٠/ ٢٦٨]

- **قلت:** (وهذا تفويضٌ مذمومٌ، وتعامٍ مقيتٌ عن قبولِ الخبرِ الصحيحِ، وقد أصاب في قوله بعصمةِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم من الجنونِ بسببِ السحرِ أو غيرِه، وهذا أمرٌ لا خلافَ فيه بينَ أهلِ العلمِ، وليس في تلك الحادثةِ ما يقدَحُ في عصمةِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم).

■ من الذي سحَرَ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم؟

قالَ مُحْيِي الدِّين يَحْيَى بنُ شَرَفٍ النَّوَوِيُّ (ت:٦٧٦هـ): (قَوْلُه: (سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهُودِيٌّ، حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ) قَوْلُه: (مِنْ يَهُود بَنِي زُرَيْق) بِتَقْدِيمِ الزَّاي). [شرح صحيح مسلم: ١٤/ ٣٩٦]

قال أحمدُ بنُ عليٍّ ابنُ حَجَرٍ العسْقَلانيُّ (ت:٨٥٢هـ): (**قَوْلُه: (سَحَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ)** بِزَايٍ قَبْلَ الرَّاءِ مُصَغَّرٌ. **قَوْلُه: (يُقَالُ لَهُ: لَبِيدٌ)** بِفَتْحِ اللامِ وَكَسْرِ المُوَحَّدَةِ، بَعْدَهَا تَحْتَانِيَّةٌ سَاكِنَةٌ ثُمَّ مُهْمَلَةٌ، **(ابْنُ الأَعْصَمِ)** بِوَزْنِ أَحْمَرَ بِمُهْمَلَتَيْنِ.

وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ " سَحَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ " وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ عُيَيْنَةَ الآتِيَةِ قَرِيبًا " رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ حَلِيفُ الْيَهُودِ، وَكَانَ مُنَافِقًا ".
وَيُجْمَعُ بَيْنَهُمَا بِأَنَّ مَنْ أَطْلَقَ أَنَّهُ يَهُودِيٌّ نَظَرَ إِلَى مَا فِي نَفْسِ الأَمْرِ، وَمَنْ أَطْلَقَ عَلَيْهِ مُنَافِقًا نَظَرَ إِلَى ظَاهِرِ أَمْرِهِ.
وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَسْلَمَ نِفَاقًا، وَهُوَ وَاضِحٌ، وَقَدْ حَكَى عِيَاضٌ فِي " الشِّفَاءِ " أَنَّهُ كَانَ أَسْلَمَ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قِيلَ لَهُ: يَهُودِيٌّ لِكَوْنِهِ كَانَ مِنْ حُلَفَائِهِمْ، لا أَنَّهُ كَانَ عَلَى دِينِهِمْ.
وَبَنُو زُرَيْقٍ بَطْنٌ مِنَ الأَنْصَارِ مَشْهُورٌ مِنَ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ بَيْنَ كَثِيرٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَبَيْنَ كَثِيرٍ مِنَ الْيَهُودِ قَبْلَ الإِسْلامِ حِلْفٌ وَإِخَاءٌ وَوُدٌّ، فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلامُ وَدَخَلَ الأَنْصَارُ فِيهِ تَبَرَّءُوا مِنْهُمْ). [فتح الباري:١٠/]

■ متى سُحِرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم؟

قال أحمدُ بنُ عليٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (وَقَدْ بَيَّنَ الْوَاقِدِيُّ السَّنَةَ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا السِّحْرُ، أَخْرَجَهُ عَنْهُ ابْنُ سَعْدٍ بِسَنَدٍ لَهُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْحَكَمِ مُرْسَلٍ، قَالَ: " لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي ذِي الْحِجَّةِ وَدَخَلَ الْمُحَرَّمُ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ جَاءَتْ رُؤَسَاءُ الْيَهُودِ إِلَى لَبِيدِ بْنِ الأَعْصَمِ - وَكَانَ حَلِيفًا فِي بَنِي زُرَيْقٍ، وَكَانَ سَاحِرًا - فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا الأَعْصَمِ، أَنْتَ أَسْحَرُنَا، وَقَدْ سَحَرْنَا مُحَمَّدًا فَلَمْ نَصْنَعْ شَيْئًا، وَنَحْنُ نَجْعَلُ لَكَ جُعْلاً عَلَى أَنْ تَسْحَرَهُ لَنَا سِحْرًا يَنْكَؤُهُ. فَجَعَلُوا لَهُ ثَلاثَةَ دَنَانِيرَ"). [فتح الباري:١٠/٢٣٧]

■ كم كانت مدّة سحْرِ النبي صلى الله عليه وسلم؟

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (ورُوِيَ أنه لَبِثَ فيه سِتَّةَ أشْهُرٍ واشْتَدَّ عليه ثلاث لَيالٍ، فنَزَلَتِ المُعَوِّذتان). [معالم التنزيل: ٧٢٤]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ أَحْمَدَ السُّهَيْلِيُّ (ت: ٥٨١هـ): (وَهَذَا الْحَدِيثُ مَشْهُورٌ عِنْدَ النَّاسِ، ثَابِتٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ فِي الْكُتُبِ الْمَشْهُورَةِ كَمْ لَبِثَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ السِّحْرِ، حَتَّى شُفِيَ مِنْهُ، ثُمَّ وَقَعْتُ عَلَى الْبَيَانِ فِي جَامِعِ مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ.
رَوَى مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: سُحِرَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سَنَةً يُخَيَّلُ إلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الْفِعْلَ وَهُوَ لا يَفْعَلُهُ). [الروض الأنف:٢/٣٧٢]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (ورُوِيَ أَنَّهُ لَبِثَ سِتَّةَ أشْهُرٍ، واشتَدَّ عليهِ ذلكَ ثلاثَ ليالٍ، فنَزَلَتِ المُعَوِّذَتَانِ). [لباب التأويل: ٤/٥٠٠]

قال أحمدُ بنُ عليٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي ضَمْرَةَ عِنْدَ الإِسْمَاعِيلِيِّ " فَأَقَامَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً " وَفِي رِوَايَةِ وُهَيْبٍ عَنْ هِشَامٍ عِنْدَ أَحْمَدَ " سِتَّةَ أَشْهُرٍ " وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بِأَنْ تَكُونَ السِّتَّةُ أَشْهُرٍ مِنِ ابْتِدَاءِ تَغَيُّرِ مِزَاجِهِ وَالأَرْبَعِينَ يَوْمًا مِنِ اسْتِحْكَامِهِ.

وَقَالَ السُّهَيْلِيُّ: لَمْ أَقِفْ فِي شَيْءٍ مِنَ الأحَادِيثِ المَشْهُورَةِ عَلَى قَدْرِ المُدَّةِ الَّتِي مَكَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا فِي السِّحْرِ حَتَّى ظَفِرْتُ بِهِ فِي " جَامِع مَعْمَرٍ " عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ لَبِث سِتَّةَ أَشْهُرٍ، كَذَا قَالَ، وَقَدْ وَجَدْنَاهُ مَوْصُولاً بِإِسْنَادِ الصَّحِيحِ فَهُوَ المُعْتَمَدُ). [فتح الباري:١٠/٢٣٧]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (ورُوِيَ أَنَّهُ لَبِثَ فيهِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، واشتدَّ عليهِ ثَلاثَ لَيالٍ فنَزلَتِ المُعوِّذَتانِ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٢]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (قِيلَ: وكانتْ مُدَّةُ سِحْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعِينَ يَوْماً، وَقِيلَ: سِتَّةَ أَشْهُرٍ. وَقِيلَ: عاماً. قَالَ الحافظُ ابنُ حَجَرٍ: وَهوَ المُعْتَمَدُ). [فتح البيان: ١٥/٤٥٥]

■ كيف كان تأثير السحر على النبي صلى الله عليه وسلم

قالَ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت:٢١١هـ): (وحُبِسَ رسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنْ عَائشَةَ خَاصَّةً، حتَّى أنكرَ بصرَهُ). [مصنف عبد الرزاق:١١/١٣]

قالَ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت:٢١١هـ): (عَن معمرٍ، عَن عَطَاءٍ الخُراسَانِيِّ، عَن يحيَى بنِ يَعْمَرَ قَالَ: حُبِسَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عَن عائشةَ سنةً، فبينا هُو نائِمٌ أتَاه مَلَكَانِ؛ فقَعَدَ أحدُهما عندَ رأسِهِ والآخَرُ عندَ رِجلَيهِ؛ فقَالَ أحدُهُمَا لصَاحِبِه: سُحِرَ مُحَمَّدٌ؟ فقَالَ الآخَرُ: أجَلْ، وَسِحْرُهُ في بئرِ أبي فُلان. فلَمَّا أَصبحَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بذَلِكَ السِّحْرِ فَأُخرِجَ مِنَ تِلكَ البئرِ.

قالَ عبدُ الرَّزَّاق: قالَ مَعْمَرٌ في الرَّجلِ يجمع السِّحْرَ يغتَسِلُ بِهِ إذَا قَرَأَ عَلَيهِ القُرآنَ فَلا بَأْسَ بِهِ). [مصنف عبد الرزاق:١١/١٤] (م)

قالَ مَحْمُودُ بنُ حَمْزَةَ بنِ نَصْرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (وفي كَيفِيَّةِ ذلك أقوالٌ:

أحَدُها: أنه إيهامُ الأَذى وتَخيُّلُ المَرضِ، ولا تأْثيرَ له.

والثاني: أنه يُؤَثِّرُ كما تُؤَثِّرُ العينُ في المَعْيُونِ.

والثالثُ: أنه بِمَعُونَةِ الجِنِّ). [غرائب التفسير:٢/١٤١٢]

قال أحمدُ بنُ عليٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (قَوْلُه: (حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ)

قَالَ المَازِرِيُّ: أَنْكَرَ المُبْتَدِعَةُ هَذَا الحَدِيثَ وَزَعَمُوا أَنَّهُ يَحُطُّ مَنْصِبَ النُّبُوَّةِ، وَيُشَكِّكُ فِيهَا، قَالُوا: وَكُلُّ مَا أَدَّى إِلَى ذَلِكَ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَزَعَمُوا أَنَّ تَجْوِيزَ هَذَا يَعْدِمُ الثِّقَةَ بِمَا شَرَعَهُ مِنَ الشَّرَائِعِ؛ إِذْ يُحْتَمَلُ عَلَى هَذَا أَنْ يُخَيَّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَرَى جِبْرِيلَ وَلَيْسَ هُوَ ثَمَّ، وَأَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ بِشَيْءٍ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ. قَالَ المَازِرِيُّ: وَهَذَا كُلُّه مَرْدُودٌ؛ لأَنَّ الدَّلِيلَ قَدْ قَامَ عَلَى صِدْقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يُبَلِّغُهُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَى عِصْمَتِهِ فِي التَّبْلِيغِ، وَالمُعْجِزَاتُ شَاهِدَاتٌ بِتَصْدِيقِهِ، فَتَجْوِيزُ مَا قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى خِلافِهِ بَاطِلٌ. وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِبَعْضِ الأمُورِ الدُّنْيَا الَّتِي

لَمْ يُبْعَثْ لأَجْلِهَا وَلا كَانَتِ الرِّسَالَةُ مِنْ أَجْلِهَا فَهُوَ فِي ذَلِكَ عُرْضَةٌ لِمَا يَعْتَرِضُ الْبَشَرَ كَالأَمْرَاضِ، فَغَيْرُ بَعِيدٍ أَنْ يُخَيَّلَ إِلَيْهِ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا مَا لا حَقِيقَةَ لَهُ مَعَ عِصْمَتِهِ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ فِي أُمُورِ الدِّينِ.

قَالَ: وَقَدْ قَالَ بَعْضُ النَّاسِ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْحَدِيثِ أَنَّهُ كَانَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ وَطِئَ زَوْجَاتِهِ وَلَمْ يَكُنْ وَطِأَهُنَّ، وَهَذَا كَثِيرًا مَا يَقَعُ تَخَيُّلُه لِلْإِنْسَانِ فِي الْمَنَامِ فَلا يَبْعُدُ أَنْ يُخَيَّلَ إِلَيْهِ فِي الْيَقَظَةِ.

قُلْتُ: وَهَذَا قَدْ وَرَدَ صَرِيحًا فِي رِوَايَةِ ابْنِ عُيَيْنَةَ فِي الْبَابِ الَّذِي يَلِي هَذَا، وَلَفْظُه (حَتَّى كَانَ يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ وَلا يَأْتِيهِنَّ)، وَفِي رِوَايَةِ الْحُمَيْدِيِّ (أَنَّهُ يَأْتِي أَهْلَه وَلا يَأْتِيهِمْ)

قَالَ الدَّاوُدِيُّ: " يُرَى " بِضَمِّ أَوَّلِه، أَيْ يَظُنُّ، وَقَالَ ابْنُ التِّينِ: ضُبِطَتْ " يَرَى " بِفَتْحِ أَوَّلِهِ.

قُلْتُ: وَهُوَ مِنَ الرَّأْيِ لا مِنَ الرُّؤْيَةِ، فَيَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى الظَّنِّ.

وَفِي مُرْسَلِ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ عِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ (سُحِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَائِشَةَ حَتَّى أَنْكَرَ بَصَرَه) وَعِنْدَه فِي مُرْسَلِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ (حَتَّى كَادَ يُنْكِرُ بَصَرَه).

قَالَ عِيَاضٌ: فَظَهَرَ بِهَذَا أَنَّ السِّحْرَ إِنَّمَا تَسَلَّطَ عَلَى جَسَدِه وَظَوَاهِرِ جَوَارِحِه، لا عَلَى تَمْيِيزِه وَمُعْتَقَدِه.

قُلْتُ: وَوَقَعَ فِي مُرْسَلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ: فَقَالَتْ أُخْتُ لَبِيدِ بْنِ الأَعْصَمِ: (إِنْ يَكُنْ نَبِيًّا فَسَيُخْبَرُ، وَإِلا فَسَيُذْهِلُهُ هَذَا السِّحْرُ حَتَّى يَذْهَبَ عَقْلُه).

قُلْتُ: فَوَقَعَ الشِّقُّ الأَوَّلُ كَمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: لا يَلْزَمُ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ فَعَلَ الشَّيْءَ وَلَمْ يَكُنْ فَعَلَهُ أَنْ يُجْزَمَ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ. وَإِنَّمَا يَكُونُ مِنْ جِنْسِ الْخَاطِرِ يَخْطِرُ وَلا يَثْبُتُ، فَلا يَبْقَى عَلَى هَذَا لِلْمُلْحِدِ حُجَّةٌ.

وَقَالَ عِيَاضٌ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالتَّخْيِيلِ الْمَذْكُورِ أَنَّهُ يَظْهَرُ لَهُ مِنْ نَشَاطِهِ مَا أَلِفَهُ مِنْ سَابِقِ عَادَتِهِ مِنَ الاقْتِدَارِ عَلَى الوَطْءِ، فَإِذَا دَنَا مِنَ الْمَرْأَةِ فَتَرَ عَنْ ذَلِكَ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْمَعْقُودِ، وَيَكُونُ قَوْلُه فِي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى: " حَتَّى كَادَ يُنْكِرُ بَصَرَه " أَيْ صَارَ كَالَّذِي أَنْكَرَ بَصَرَه بِحَيْثُ إِنَّهُ إِذَا رَأَى الشَّيْءَ يُخَيَّلُ أَنَّهُ عَلَى غَيْرِ صِفَتِه، فَإِذَا تَأَمَّلَهُ عَرَفَ حَقِيقَتَه.

وَيُؤَيِّدُ جَمِيعَ مَا تَقَدَّمَ أَنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ عَنْهُ فِي خَبَرٍ مِنَ الأَخْبَارِ أَنَّهُ قَالَ قَوْلاً فَكَانَ بِخِلافِ مَا أَخْبَرَ بِهِ.

وَقَالَ الْمُهَلَّبُ: صَوْنُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّيَاطِينِ لا يَمْنَعُ إِرَادَتَهِمْ كَيْدَهُ، فَقَدْ مَضَى فِي الصَّحِيحِ أَنَّ شَيْطَانًا أَرَادَ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيْهِ صَلاتَه، فَأَمْكَنَهُ اللَّهُ مِنْهُ، فَكَذَلِكَ السِّحْرُ مَا نَالَهُ مِنْ ضَرَرِه مَا يُدْخِلُ نَقْصًا عَلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّبْلِيغِ، بَلْ هُوَ مِنْ جِنْسِ مَا كَانَ يَنَالُهُ مِنْ ضَرَرِ سَائِرِ الأَمْرَاضِ مِنْ ضَعْفٍ عَنِ الكَلامِ، أَوْ عَجْزٍ عَنْ بَعْضِ الفِعْلِ، أَوْ حُدُوثِ تَخَيُّلٍ لا يَسْتَمِرُّ، بَلْ يَزُولُ وَيُبْطِلُ اللَّهُ كَيْدَ الشَّيَاطِينِ.

وَاسْتَدَلَّ ابْنُ الْقَصَّارِ عَلَى أَنَّ الَّذِي أَصَابَهُ كَانَ مِنْ جِنْسِ الْمَرَضِ بِقَوْلِهِ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ: «فَأَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ»، وَفِي الاسْتِدْلالِ بِذَلِكَ نَظَرٌ، لَكِنْ يُؤَيِّدُ الْمُدَّعَى أَنَّ فِي رِوَايَةِ عَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ فِي الدَّلائِلِ:

(فَكَانَ يَدُورُ وَلا يَدْرِي مَا وَجَعُه)، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ: (مَرِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُخِذَ عَنِ النِّسَاءِ وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَهَبَطَ عَلَيْهِ مَلَكَانِ...) الحَدِيث). [فتح الباري:١٠/٢٣٧]

قالَ أحمدُ بنُ عليٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (ذَكَرَ حَدِيثَ عَائِشَةَ فِي قِصَّةِ سِحْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ سَبَقَ شَرْحُه مُسْتَوْفًى قَرِيبًا. وَقَوْلُه فِيهِ: " قَالَ سُفْيَانُ: وَهَذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ السِّحْرِ " سُفْيَانُ هُوَ ابْنُ عُيَيْنَةَ، وَهُوَ مَوْصُولٌ بِالسَّنَدِ المَذْكُورِ. وَلَمْ أَقِفْ عَلَى كَلامِ سُفْيَانَ هَذَا فِي مُسْنَدِ الحُمَيْدِيِّ وَلا ابنِ أَبِي عُمَرَ وَلا غَيْرِهِمَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ). [فتح الباري:١٠/٢٤٥]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (ورُوِيَ أَنَّهُ كانَ يُخَيَّلُ لهُ أَنَّهُ يَطَأُ زَوْجَاتِهِ وليس بواطِئٍ، قَالَ سُفيانُ: وهَذَا أَشَدُّ ما يكونُ منَ السِّحْرِ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٢]

■ قِصة شِفاء النبيِّ صلى الله عليه وسلم من السحر

■ دعاء النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلَّم

قالَ مُحْيِي الدِّين يَحْيَى بنُ شَرَفٍ النَّوَوِيُّ (ت:٦٧٦هـ): (قَوْلُه: (حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ - أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ- دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ دَعَا) هَذَا دَلِيلٌ لاسْتِحْبَابِ الدُّعَاءِ عِنْدَ حُصُولِ الأُمُورِ المَكْرُوهَاتِ، وَتَكْرِيرِه، وَحُسْنِ الالتِجَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى). [شرح صحيح مسلم: ١٤/ ٣٩٨]

قال أحمدُ بنُ عليٍّ ابنُ حَجَرٍ العسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): **(قَوْلُه: (حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ)**
شَكٌّ مِنَ الرَّاوِي، وَأَظُنُّهُ مِنَ البُخَارِيِّ؛ لأَنَّهُ أَخْرَجَهُ فِي صِفَةِ إِبْلِيسَ مِنْ بَدْءِ الخَلْقِ فَقَالَ: " حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ " وَلَمْ يَشُكَّ، ثُمَّ ظَهَرَ لِي أَنَّ الشَّكَّ فِيهِ مِنْ عِيسَى بْنِ يُونُسَ، وَأَنَّ إِسْحَاقَ بْنَ رَاهَوَيهِ أَخْرَجَهُ فِي مُسْنَدِه عَنْهُ عَلَى الشَّكِّ، وَمِنْ طَرِيقِه أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ، فَيُحْمَلُ الجَزْمُ المَاضِي عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُوسَى شَيْخَ البُخَارِيِّ حَدَّثَهُ بِهِ تَارَةً بِالجَزْمِ وَتَارَةً بِالشَّكِّ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا سَأَذْكُرُهُ مِنْ الاخْتِلافِ عَنْهُ، وَهَذَا مِنْ نَوَادِرِ مَا وَقَعَ فِي البُخَارِيِّ أَنْ يُخْرِجَ الحَدِيثَ تَامًّا بِإِسْنَادٍ وَاحِدٍ بِلَفْظَيْنِ.

وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي أُسَامَةَ الآتِيَةِ قَرِيبًا " ذَاتَ يَوْمٍ " بِغَيْرِ شَكٍّ " وَذَاتَ " بِالنَّصْبِ وَيَجُوزُ الرَّفْعُ، ثُمَّ قِيلَ: إِنَّهَا مُقْحَمَةٌ، وَقِيلَ: بَلْ هِيَ مِنْ إِضَافَةِ الشَّيْءِ لِنَفْسِهِ عَلَى رَأْيِ مَنْ يُجِيزُهُ.

قَوْلُه: (وَهُوَ عِنْدِي لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا)

كَذَا وَقَعَ، وَفِي الرِّوَايَةِ المَاضِيَةِ فِي بَدْءِ الخَلْقِ: (حَتَّى كَانَ ذَات يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا) وَكَذَا عَلَّقَهُ المُصَنِّفُ لِعِيسَى بْنِ يُونُسَ فِي الدَّعَوَاتِ، وَمِثْلُه فِي رِوَايَةِ اللَّيْثِ.

قَالَ الكِرْمَانِيُّ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الاسْتِدْرَاكُ مِنْ قَوْلِهَا: (عِنْدِي) أَيْ لَمْ يَكُنْ مُشْتَغِلاً بِي، بَلِ اشْتَغَلَ بِالدُّعَاءِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ التَّخَيُّلِ، أَيْ كَانَ السِّحْرُ أَضَرَّهُ فِي بَدَنِه لا فِي عَقْلِه وَفَهْمِه بِحَيْثُ إِنَّهُ تَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ وَدَعَا عَلَى الوَضْعِ الصَّحِيحِ وَالقَانُونِ المُسْتَقِيم.

وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ نُمَيْرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ: (فَدَعَا، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ دَعَا) وَهَذَا هُوَ الْمَعْهُودُ مِنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُكَرِّرُ الدُّعَاءَ ثَلاثًا.
وَفِي رِوَايَةِ وُهَيْبٍ عِنْدَ أَحْمَدَ وَابْنِ سَعْدٍ: (فَرَأَيْتُه يَدْعُو).
قَالَ النَّوَوِيُّ: فِيهِ اسْتِحْبَابُ الدُّعَاءِ عِنْدَ حُصُولِ الأُمُورِ الْمَكْرُوهَاتِ وَتَكْرِيرِه الالتِجَاءَ إِلَى اللَّه تَعَالَى فِي دَفْعِ ذَلِكَ.
قُلْتُ: سَلَكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ القِصَّةِ مَسْلَكَي التَّفْوِيضِ وَتَعَاطِي الأَسْبَابِ، فَفِي أَوَّلِ الأَمْرِ فَوَّضَ وَسَلَّمَ لأَمْرِ رَبِّه فَاحْتَسَبَ الأَجْرَ فِي صَبْرِه عَلَى بَلائِهِ، ثُمَّ لَمَّا تَمَادَى ذَلِكَ وَخَشِيَ مِنْ تَمَادِيهِ أَنْ يُضْعِفَهُ عَنْ فُنُونِ عِبَادَتِه جَنَحَ إِلَى التَّدَاوِي ثُمَّ إِلَى الدُّعَاءِ، وَكُلٌّ مِنَ الْمَقَامَيْنِ غَايَةٌ فِي الكَمَالِ.

قَوْلُه: (أَشَعَرْتِ)

أَيْ عَلِمْتِ؟ وَهِيَ رِوَايَةُ ابْنِ عُيَيْنَةَ كَمَا فِي البَابِ الَّذِي بَعْده.

قَوْلُه: (أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُه)

فِي رِوَايَةِ الحُمَيْدِيِّ: «أَفْتَانِي فِي أَمْرٍ اسْتَفْتَيْتُه فِيهِ» أَيْ أَجَابَنِي فِيمَا دَعَوْتُه، فَأَطْلَقَ عَلَى الدُّعَاءِ اسْتِفْتَاءً؛ لأَنَّ الدَّاعِيَ طَالِبٌ وَالْمُجِيبَ مُفْتٍ، أَوِ الْمَعْنَى أَجَابَنِي بِمَا سَأَلْتُه عَنْهُ؛ لأَنَّ دُعَاءَهُ كَانَ أَنْ يُطْلِعَهُ اللَّه عَلَى حَقِيقَةِ مَا هُوَ فِيهِ لِمَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ مِنَ الأَمْرِ.
وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ عَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ «إِنَّ اللَّهَ أَنْبَأَنِي بِمَرَضِي» أَيْ أَخْبَرَنِي). [فتح الباري:١٠/٢٣٨- ٢٣٩]

نزول الملكين لإخباره صلى الله عليه وسلم بالسحر وموضعه

قال مُحْيِي الدِّينِ يَحْيَى بنُ شَرَفٍ النَّوَوِيُّ (ت:٦٧٦هـ): (قَوْلُه: «مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ») الْمَطْبُوبُ: الْمَسْحُورُ، يُقَالُ: طُبَّ الرَّجُلُ إِذَا سُحِرَ، فَكَنَّوْا بِالطِّبِّ عَنِ السِّحْرِ، كَمَا كَنَّوْا بِالسَّلِيمِ عَنِ اللَّدِيغِ. قَالَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: الطِّبُّ مِنَ الأَضْدَادِ، يُقَالُ لِعِلاجِ الدَّاءِ: طِبٌّ، وَلِلسِّحْرِ طِبٌّ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الأَدْوَاءِ، وَرَجُلٌ طَبِيبٌ أَيْ حَاذِقٌ، سُمِّيَ طَبِيبًا لِحِذْقِهِ وَفِطْنَتِه). [شرح صحيح مسلم: ١٤/ ٣٩٨]

قال أحمدُ بنُ عليٍّ ابنُ حَجَرٍ العسْقَلانيُّ (ت:٨٥٢هـ): (قَوْلُه (أَتَانِي رَجُلانِ)

وَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي أُسَامَةَ: (قُلْت: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: «أَتَانِي رَجُلانِ»)
وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ مَعْمَرٍ عِنْدَ أَحْمَدَ، وَمُرَجَّى بْنُ رَجَاءٍ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ، كِلاهُمَا عَنْ هِشَام: «أَتَانِي مَلَكَانِ»، وَسَمَّاهُمَا ابْنُ سَعْدٍ فِي رِوَايَةٍ مُنْقَطِعَةٍ: جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ، وَكُنْتُ ذَكَرْتُ فِي الْمُقَدِّمَةِ ذَلِكَ احْتِمَالاً.

قَوْلُه: (فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ)

لَمْ يَقَعْ لِي أَيُّهمَا قَعَدَ عِنْد رَأْسِه، لَكِنَّنِي أَظُنُّهُ جِبْرِيلَ لِخُصُوصِيَّتِهِ بِهِ عَلَيْهِمَا السَّلامُ.
ثُمَّ وَجَدْتُ فِي (السِّيرَةِ) لِلدِّمْيَاطِيِّ الجَزْمُ بِأَنَّهُ جِبْرِيلُ، قَالَ: (لأَنَّهُ أَفْضَلُ)، ثُمَّ وَجَدْتُ فِي حَدِيثِ زَيْدِ بنِ أَرْقَمَ عِنْدَ النَّسَائِيِّ وَابْنِ سَعْدٍ وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ (سَحَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، فَاشْتَكَى لِذَلِكَ أَيَّامًا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ رَجُلاً مِنَ اليَهُودِ سَحَرَكَ، عَقَدَ لَكَ عُقَدًا فِي بِئْرِ كَذَا).

فَدَلَّ مَجْمُوعُ الطُّرُقِ عَلَى أَنَّ المَسْئُولَ هُوَ جِبْرِيلُ وَالسَّائِلَ مِيكَائِيلُ.

قَوْلُه: (فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ)

فِي رِوَايَةِ ابْنِ عُيَيْنَةَ الآتِيَةِ بَعْدَ بَابٍ: «فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلآخَرِ» وَفِي رِوَايَةِ الحُمَيْدِيِّ: «فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي» وَكَأَنَّهَا أَصْوَبُ، وَكَذَا هُوَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ البَيْهَقِيِّ. وَوَقَعَ بِالشَّكِّ فِي رِوَايَةِ ابْنِ نُمَيْرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ.

قَوْلُه: (مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟) كَذَا لِلأَكْثَرِ، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عُيَيْنَةَ «مَا بَالُ الرَّجُلِ؟» وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ البَيْهَقِيِّ: «مَا تَرَى»، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ فِي المَنَامِ، إِذْ لَوْ جَاءَا إِلَيْهِ فِي اليَقَظَةِ لَخَاطَبَاهُ وَسَأَلاهُ.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ كَانَ بِصِفَةِ النَّائِمِ وَهُوَ يَقْظَانُ، فَتَخَاطَبَا وَهُوَ يَسْمَعُ.

وَأَطْلَقَ فِي رِوَايَةِ عَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهُ كَانَ نَائِمًا، وَكَذَا فِي رِوَايَةِ ابْنِ عُيَيْنَةَ عِنْدَ الإِسْمَاعِيلِيِّ (فَانْتَبَهَ مِنْ نَوْمِه ذَاتَ يَوْمٍ) وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى مَا ذَكَرْتُ، وَعَلَى تَقْدِيرِ حَمْلِهَا عَلَى الحَقِيقَةِ فَرُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ.

وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ جِدًّا (فَهَبَطَ عَلَيْهِ مَلَكَانِ وَهُوَ بَيْنَ النَّائِمِ وَاليَقْظَانِ).

قَوْلُه: (فَقَالَ: مَطْبُوبٌ) أَيْ مَسْحُورٌ، يُقَالُ: طُبَّ الرَّجُلُ بِالضَّمِّ إِذَا سُحِرَ، يُقَالُ: كَنَّوْا عَنِ السِّحْرِ بِالطِّبِّ تَفَاؤُلاً، كَمَا قَالُوا لِلَّدِيغِ: سَلِيمٌ، وَقَالَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: الطِّبُّ مِنَ الأَضْدَادِ، يُقَالُ لِعِلاجِ الدَّاءِ: طِبٌّ، وَالسِّحْرُ مِنَ الدَّاءِ، وَيُقَالُ لَهُ: طِبٌّ.

وَأَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ مِنْ مُرْسَلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: (احْتَجَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَأْسِه بِقَرْنٍ حِينَ طُبَّ).

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: يَعْنِي سُحِرَ.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ: بَنَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأَمْرَ أَوَّلاً عَلَى أَنَّهُ مَرِضَ، وَأَنَّهُ عَنْ مَادَّةٍ مَالَتْ إِلَى الدِّمَاغِ وَغَلَبَتْ عَلَى البَطْنِ المُقَدَّمِ مِنْهُ، فَغَيَّرَتْ مِزَاجَه، فَرَأَى اسْتِعْمَالَ الحِجَامَةِ لِذَلِكَ مُنَاسِبًا، فَلَمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ سُحِرَ عَدَلَ إِلَى العِلاجِ المُنَاسِبِ لَهُ وَهُوَ اسْتِخْرَاجُه.

قَالَ: وَيَحْتَمِلُ أَنَّ مَادَّةَ السِّحْرِ انْتَهَتْ إِلَى إِحْدَى قُوَى الرَّأْسِ، حَتَّى صَارَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مَا ذُكِرَ، فَإِنَّ السِّحْرَ قَدْ يَكُونُ مِنْ تَأْثِيرِ الأَرْوَاحِ الخَبِيثَةِ، وَقَدْ يَكُونُ مِنِ انْفِعَالِ الطَّبِيعَةِ، وَهُوَ أَشَدُّ السِّحْرِ، وَاسْتِعْمَالُ الحَجْمِ لِهَذَا الثَّانِي نَافِعٌ لأَنَّهُ إِذَا هَيَّجَ الأَخْلاطَ وَظَهَرَ أَثَرُه فِي عُضْوٍ كَانَ اسْتِفْرَاغُ المَادَّةِ الخَبِيثَةِ نَافِعًا فِي ذَلِكَ.

وَقَالَ القُرْطُبِيُّ: إِنَّمَا قِيلَ لِلسِّحْرِ: طِبٌّ لأَنَّ أَصْلَ الطِّبِّ الحِذْقُ بِالشَّيْءِ وَالتَّفَطُّنُ لَهُ، فَلَمَّا كَانَ كُلٌّ مِنْ عِلاجِ المَرَضِ وَالسِّحْرِ إِنَّمَا يَتَأَتَّى عَنْ فِطْنَةٍ وَحِذْقٍ أُطْلِقَ عَلَى كُلٍّ مِنْهُمَا هَذَا الاسْمُ). [فتح الباري:١٠/٢٣٩]

قالَ أَبُو سُلَيْمَانَ حَمْدُ بنُ مُحَمَّدٍ الخَطَّابيُّ البُسْتِيُّ (ت:٣٨٨هـ): (قالَ الأَصْمَعِيُّ: بئرُ ذي أَرْوَانَ معروفةٌ، وهي التي دُفِنَ فيها عُقَدُ السِّحْرِ للنبيِّ صلّى اللهُ عليه وسلّمَ. وبعضُهُم يقولُ: ذَرْوَانُ، وهو غَلَطٌ). [إصلاح غلط المحدثين:]

معنى مطبوب

قال أبو عُبَيْدٍ القَاسِمُ بنُ سلاَّمٍ الهَرَوِيُّ (ت:٢٢٤هـ): (قوله : (طُبَّ) يعني سُحِرَ ، يقالُ مِنْهُ : رَجُلٌ مَطْبُوبٌ.
وَنَرَى أَنَّهُ إِنَّمَا قِيلَ لَهُ : مَطْبُوبٌ لأَنَّهُ كَنَى بالطِّبِّ عَنِ السِّحْرِ كَمَا كَنَوا عَنِ اللَّدِيغِ فَقَالُوا : (سَلِيمٌ) تَطَيُّرًا إِلَى السَّلامَةِ مِنَ اللَّدْغِ ، وكَمَا كَنَوا عَنِ الفَلاةِ وَهِيَ المَهْلَكَةُ الَّتِي لا مَاءَ فِيهَا). [غريب الحديث:٢/٤٣]

فِيمَ سحر النبي صلى الله عليه وسلم؟ وأين وضع السحر؟

قال مُحْيِي الدِّينِ يَحْيَى بنُ شَرَفٍ النَّوَوِيُّ (ت:٦٧٦هـ): (قَوْلُه : (فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُبِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ)
أَمَّا (المُشَاطَةُ) فَبِضَمِّ المِيمِ ، وَهِيَ الشَّعْرُ الَّذِي يَسْقُطُ مِنَ الرَّأْسِ أَوِ اللِّحْيَةِ عِنْدَ تَسْرِيحِه.
وَأَمَّا (المُشْطُ) فَفِيهِ لُغَاتٌ : مُشْطٌ وَمُشُطٌ بِضَمِّ المِيم فِيهِمَا وَإِسْكَان الشِّين وَضَمِّهَا ، وَمِشْطٌ بِكَسْرِ المِيم وَإِسْكَان الشِّين ، وَمِمْشَطٌ ، وَيُقَالُ لَهُ : (مَشْطَأٌ) بِالهَمْزِ وَتَرْكِه ، وَمَشْطَاءُ مَمْدُودٌ ، وممكد ، وَمُرَجِّلٌ ، وَقَيلَمٌ بِفَتْحِ القَافِ ، حَكَاهُنَّ أَبُو عُمَرَ الزَّاهِدُ.
وَأَمَّا قَوْلُه : (وجُبّ) هَكَذَا فِي أَكْثَرِ نُسَخِ بِلادِنَا (جُبّ) بِالجِيمِ وَبِالبَاءِ المُوَحَّدَةِ ، وَفِي بَعْضِهَا (جُفّ) بِالجِيمِ وَالفَاءِ ، وَهُمَا بِمَعْنًى ، وَهُوَ وِعَاءُ طَلْعِ النَّخْلِ ، وَهُوَ الغِشَاءُ الَّذِي يَكُونُ عَلَيْهِ ، وَيُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالأُنْثَى ، فَلِهَذَا قَيَّدَهُ فِي الحَدِيثِ بِقَوْلِهِ : (طَلْعَةِ ذَكَرٍ) وَهُوَ بِإِضَافَةِ طَلْعَة إِلَى ذَكَر. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
وَوَقَعَ فِي البُخَارِيّ مِنْ رِوَايَة ابْن عُيَيْنَةَ : (وَمُشَاقَةٍ) بِالقَافِ بَدَلَ مُشَاطَةٍ ، وَهِيَ المُشَاطَةُ أَيْضًا ، وَقِيلَ : مُشَاقَةُ الكَتَّانِ.
قَوْلُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ» هَكَذَا هُوَ فِي جَمِيعِ نُسَخِ مُسْلِمٍ : (ذِي أَرْوَانَ) وَكَذَا وَقَعَ فِي بَعْضِ رِوَايَاتِ البُخَارِيِّ. وَفِي مُعْظَمِهَا : (ذَرْوَانَ) وَكِلاهُمَا صَحِيحٌ ، وَالأَوَّلُ أَجْوَدُ وَأَصَحُّ. وَادَّعَى ابْنُ قُتَيْبَةَ أَنَّهُ الصَّوَابُ ، وَهُوَ قَوْلُ الأَصْمَعِيِّ ، وَهُوَ بِئْرٌ بِالمَدِينَةِ فِي بُسْتَانِ بَنِي زُرَيْقٍ.
قَوْلُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ)
النُّقَاعَةُ بِضَمِّ النُّونِ المَاءُ الَّذِي يُنْقَعُ فِيهِ الحِنَّاءُ ، وَالحِنَّاءُ مَمْدُودٌ). [شرح صحيح مسلم: ١٤/٣٩٨]

قَالَ ابْنُ المُلَقِّنِ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٨٠٤هـ): (كانَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قدْ سَحَرَه لَبِيدُ بنُ الأَعْصَمِ في إِحدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً ؛ فنَزَلَتِ المُعَوِّذَتانِ إِحْدَى عَشْرَةَ آيةً ، فقَرأَها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فشُفِيَ من السِّحْرِ). [تفسير غريب القرآن: ٦٠٣] (م)

قال أحمدُ بنُ عليٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (قَوْلُه : (فِي جُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ تَحْتَ رَعُوفَةٍ)
فِي رِوَايَةِ الكُشْمِيهَنِيِّ " رَاعُوفَةٍ " بِزِيَادَةِ أَلِفٍ بَعْدَ الرَّاءِ ، وَهُوَ كَذَلِكَ لأَكْثَرِ الرُّوَاةِ ، عَكَسَ ابْنِ التِّينِ ، وَزَعَمَ أَنَّ رَاعُوفَةٍ لِلأَصِيلِيِّ فَقَطْ ، وَهُوَ المَشْهُورُ فِي اللُّغَةِ ، وَفِي لُغَةٍ أُخْرَى " أَرْعُوفَة " ، وَوَقَعَ كَذَلِكَ فِي مُرْسَلِ عُمَرَ بْنِ الحَكَمِ ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ مَعْمَرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ : " تَحْتَ رَعُوثَة " بِمُثَلَّثَةٍ بَدَلَ الفَاءِ/ وَهِيَ لُغَة أُخْرَى مَعْرُوفَةٌ ، وَوَقَعَ فِي النِّهَايَةِ لابْنِ الأَثِيرِ أَنَّ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى " زَعُوبَة " بِزَايٍ وَمُوَحَّدَةٍ وَقَالَ : هِيَ بِمَعْنَى

راعُوفَة ا ه. وَالرَّاعُوفَةُ حَجَرٌ يُوضَعُ عَلَى رَأْسِ البِئْرِ لا يُسْتَطَاعُ قَلْعُه، يَقُومُ عَلَيْهِ الْمُسْتَقِي. وَقَدْ يَكُونُ فِي أَسْفَلِ البِئْرِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: هِيَ صَخْرَةٌ تُنْزَلُ فِي أَسْفَلِ البِئْرِ إِذَا حُفِرَتْ يَجْلِسُ عَلَيْهَا الَّذِي يُنَظِّفُ البِئْرَ، وَهُوَ حَجَرٌ يُوجَدُ صُلْبًا لا يُسْتَطَاعُ نَزْعُه فَيُتْرَكُ، وَاخْتُلِفَ فِي اشْتِقَاقِهَا فَقِيلَ: لِتَقَدُّمِهَا وَبُرُوزِهَا، يُقَالُ: جَاءَ فُلانٌ يَرْعُفُ الخَيْلَ، أَيْ يَتَقَدَّمُهَا؛ وَذَكَرَ الأَزْهَرِيُّ فِي تَهْذِيبِه عَنْ شِمْرٍ قَالَ: رَاعُوفَةُ البِئْرِ: النَّظَافَةُ، هِيَ مِثْلُ عَيْنٍ عَلَى قَدْرِ حَجَرِ العَقْرَبِ فِي أَعْلَى الرَّكِيَّةِ فَيُجَاوِزُ فِي الحَفْرِ خَمْسَ قِيَمٍ وَأَكْثَرَ، فَرُبَّمَا وَجَدُوا مَاءً كَثِيرًا، قَالَ شِمْرٌ: فَمَنْ ذَهَبَ بِالرَّاعُوفَةِ إِلَى النَّظَافَةِ فَكَأَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ رُعَافِ الأَنْفِ، وَمَنْ ذَهَبَ بِالرَّاعُوفَةِ إِلَى الحَجَرِ الَّذِي يَتَقَدَّمُ طَيَّ البِئْرِ فَهُوَ مِنْ رَعَفَ الرَّجُل إِذَا سَبَقَ. قُلْتُ: وَتَنْزِيلُ الرَّاعُوفَةِ عَلَى الأَخِيرِ وَاضِحٌ بِخِلافِ الأَوَّل، وَاللَّهُ أَعْلَمُ). [فتح الباري:١٠/٢٤٥]

قال أحمدُ بنُ عليٍّ ابنُ حَجَرٍ العسقَلانيُّ (ت:٨٥٢هـ): (قَوْلُه: (فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ)

أَمَّا الْمُشْطُ فَهُوَ بِضَمِّ المِيمِ، وَيَجُوزُ كَسْرُهَا، أَثْبَتَهُ أَبُو عُبَيْدٍ وَأَنْكَرَهُ أَبُو زَيْدٍ، وَبِالسُّكُونِ فِيهِمَا، وَقَدْ يُضَمُّ ثَانِيه مَعَ ضَمِّ أَوَّلِه فَقَطْ، وَهُوَ الآلَةُ الْمَعْرُوفَةُ الَّتِي يُسَرَّحُ بِهَا شَعْرُ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ؛ وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ.

وَيُطْلَقُ الْمُشْطُ بِالاشْتِرَاكِ عَلَى أَشْيَاءَ أُخْرَى: مِنْهَا العَظْمُ العَرِيضُ فِي الكَتِفِ، وَسُلامِيَّاتُ ظَهْرِ القَدَمِ، وَنَبْتٌ صَغِيرٌ يُقَالُ لَهُ: مُشْطُ الذِّئْبِ.

قَالَ القُرْطُبِيُّ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الَّذِي سُحِرَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدُ هَذِهِ الأَرْبَعِ.

قُلْتُ: وَفَاتَهُ آلَةٌ لَهَا أَسْنَانٌ وَفِيهَا هِرَاوَةٌ يُقْبَضُ عَلَيْهَا وَيُغَطَّى بِهَا الإِنَاءُ.

قَالَ ابْنُ سِيدَهْ فِي (الْمُحْكَمِ): (إِنَّهَا تُسَمَّى الْمُشْطَ). وَالْمُشْطُ أَيْضًا سِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ البَعِيرِ تَكُونُ فِي العَيْنِ وَالفَخِذِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَالْمُرَادُ بِالْمُشْطِ هُنَا هُوَ الأَوَّلُ، فَقَدْ وَقَعَ فِي رِوَايَةِ عَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ: (فَإِذَا فِيهَا مُشْطُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ مُرَاطَةِ رَأْسِه) وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: (مِنْ شَعْرِ رَأْسِه وَمِنْ أَسْنَانِ مُشْطِه) وَفِي مُرْسَلِ عُمَرَ بْنِ الحَكَمِ: (فَعَمَدَ إِلَى مُشْطٍ وَمَا مُشِطَ مِنَ الرَّأْسِ مِنْ شَعْرٍ فَعَقَدَ بِذَلِكَ عُقَدًا).

قَوْلُه: (وَمُشَاطَةٍ) سَيَأْتِي بَيَانُ الاخْتِلافِ هَلْ هِيَ بِالطَّاءِ أَوِ القَافِ فِي آخِرِ الكَلامِ عَلَى هَذَا الحَدِيثِ حَيْثُ بَيَّنَهُ الْمُصَنِّفُ.

قَوْلُه: (وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ)

قَالَ عِيَاضٌ: وَقَعَ لِلْجُرْجَانِيِّ - يَعْنِي فِي البُخَارِيِّ - وَالعُذْرِيِّ - يَعْنِي فِي مُسْلِمٍ - بِالفَاءِ. وَلِغَيْرِهِمَا بِالْمُوَحَّدَةِ. قُلْتُ: أَمَّا رِوَايَةُ عِيسَى بْنِ يُونُسَ هُنَا فَوَقَعَ لِلْكُشْمِيهَنِيِّ بِالفَاءِ وَلِغَيْرِه بِالْمُوَحَّدَةِ، وَأَمَّا رِوَايَتُهُ فِي بَدْءِ الخَلْقِ فَالجَمِيعُ بِالفَاءِ، وَكَذَا فِي رِوَايَةِ ابْنِ عُيَيْنَةَ لِلْجَمِيعِ، وَلِلْمُسْتَمْلِي فِي رِوَايَةِ أَبِي أُسَامَةَ بِالْمُوَحَّدَةِ، وَلِلْكُشْمِيهَنِيِّ بِالفَاءِ، قَالَ القُرْطُبِيُّ: رِوَايَتُنَا - يَعْنِي فِي مُسْلِمٍ - بِالفَاءِ، وَقَالَ النَّوَوِيُّ: فِي أَكْثَرِ نُسَخِ بِلادِنَا بِالبَاءِ، يَعْنِي فِي مُسْلِمٍ، وَفِي بَعْضِهَا بِالفَاءِ، وَهُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ الغِشَاءُ الَّذِي يَكُونُ عَلَى الطَّلْعِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالأُنْثَى، فَلِهَذَا قَيَّدَهُ بِالذَّكَرِ فِي قَوْلِه: " طَلْعَةِ ذَكَرٍ " وَهُوَ بِالإِضَافَةِ انْتَهَى. وَوَقَعَ فِي رِوَايَتِنَا هُنَا

بِالتَّنْوِينِ فِيهِمَا عَلَى أَنَّ لَفظَ " ذَكَرٍ " صِفَةٌ لِجُفٍّ، وَذَكَرَ القُرْطُبِيُّ أَنَّ الَّذِي بِالفَاءِ هُوَ وِعَاءُ الطَّلْعِ، وَهُوَ لِلْغِشَاءِ الَّذِي يَكُونُ عَلَيْهِ، وَبِالْمُوَحَّدَةِ دَاخِلُ الطَّلْعَةِ إِذَا خَرَجَ مِنْهَا الكُفُرَّى؛ قَالَهُ شِمْرٌ. قَالَ: وَيُقَالُ أَيْضًا لِدَاخِلِ الرَّكِيَّةِ مِنْ أَسْفَلِهَا إِلَى أَعْلاهَا: جُفٌّ، وَقِيلَ: هُوَ مِنَ القَطْعِ، يَعْنِي مَا قُطِعَ مِنْ قُشُورِهَا. وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ: الجُفُّ بِالفَاءِ شَيْءٌ يُنْقَرُ مِنْ جُذُوعِ النَّخْلِ.

قَوْلُه: (قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: هُوَ فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ)

زَادَ ابْنُ عُيَيْنَةَ وَغَيْرُه: " تَحْتَ رَاعُوفَة " وَسَيَأْتِي شَرْحُهَا بَعْدَ بَابٍ، وَذَرْوَانُ بِفَتْحِ الْمُعْجَمَةِ وَسُكُونِ الرَّاءِ، وَحَكَى ابْنُ التِّينِ فَتْحَهَا، وَأَنَّهُ قَرَأَهُ كَذَلِكَ. قَالَ: وَلَكِنَّهُ بِالسُّكُونِ أَشْبَهُ، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ نُمَيْرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ: " فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ "، وَيَأْتِي فِي رِوَايَةِ أَبِي ضَمْرَةَ فِي الدَّعَوَاتِ مِثْلُه، وَفِي نُسْخَةِ الصَّغَانِيِّ لَكِنْ بِغَيْرِ لَفْظِ بِئْرٍ، وَلِغَيْرِهِ: " فِي ذَرْوَانَ "، وَذَرْوَانُ بِئْرٌ فِي بَنِي زُرَيْقٍ، فَعَلَى هَذَا فَقَوْلُه: (بِئْر ذَرْوَان) مِنْ إِضَافَةِ الشَّيْءِ لِنَفْسِهِ، وَيُجْمَعُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ رِوَايَةِ ابْنِ نُمَيْرٍ بِأَنَّ الأَصْلَ (بِئْر ذِي أَرْوَان) ثُمَّ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ سُهِّلَتِ الهَمْزَةُ فَصَارَتْ (ذَرْوَان) وَيُؤَيِّدُه أَنَّ أَبَا عُبَيْدٍ البَكْرِيَّ صَوَّبَ أَنَّ اسْمَ البِئْرِ (أَرْوَان) بِالهَمْزِ، وَأَنَّ مَنْ قَالَ: (ذَرْوَان) أَخْطَأَ.

وَقَدْ ظَهَرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِخَطَأٍ عَلَى مَا وَجَّهْتُه، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ عَنْ وُهَيْبٍ، وَكَذَا فِي رِوَايَتِه عَنِ ابْنِ نُمَيْرٍ: " بِئْر أَرْوَان " كَمَا قَالَ البَكْرِيُّ، فَكَأَنَّ رِوَايَةَ الأَصِيلِيِّ كَانَتْ مِثْلَهَا، فَسَقَطَتْ مِنْهَا الرَّاءُ، وَوَقَعَ عِنْدَ الأَصِيلِيِّ فِيمَا حَكَاهُ عِيَاضٌ: (فِي بِئْرِ ذِي أَوَان) بِغَيْرِ رَاءٍ. قَالَ عِيَاضٌ: هُوَ وَهْمٌ؛ فَإِنَّ هَذَا مَوْضِعٌ آخَرُ عَلَى سَاعَةٍ مِنَ المَدِينَةِ، وَهُوَ الَّذِي بُنِيَ فِيهِ مَسْجِدُ الضِّرَارِ.

قَوْلُه: (فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِه)

وَقَعَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ: (فَبَعَثَ إِلَى عَلِيٍّ وَعَمَّارٍ فَأَمَرَهُمَا أَنْ يَأْتِيَا البِئْرَ) وَعِنْدَهُ فِي مُرْسَلِ عُمَرَ بْنِ الحَكَمِ: (فَدَعَا جُبَيْرَ بْنَ إِيَاسٍ الزُّرَقِيَّ وَهُوَ مِمَّنْ شَهِدَ عَلَى مَوْضِعِه فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ فَاسْتَخْرَجَهُ)

قَالَ: وَيُقَالُ: الَّذِي اسْتَخْرَجَهُ قَيْسُ بْنُ مِحْصَنٍ الزُّرَقِيُّ، وَيُجْمَعُ بِأَنَّهُ أَعَانَ جُبَيْرًا عَلَى ذَلِكَ، وَبَاشَرَهُ بِنَفْسِهِ فَنُسِبَ إِلَيْهِ، وَعِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ أَيْضًا أَنَّ الحَارِثَ بْنَ قَيْسٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلا يَهُوَّرُ البِئْرُ.

فَيُمْكِنُ تَفْسِيرُ مَنْ أُبْهِمَ بِهَؤُلاءِ أَوْ بَعْضِهِمْ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَّهَهُمْ أَوَّلاً ثُمَّ تَوَجَّهَ فَشَاهَدَهَا بِنَفْسِهِ.

قَوْلُه: (فَجَاءَ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ)

فِي رِوَايَةِ وُهَيْبٍ: " فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ: يَا عَائِشَةُ "، وَنَحْوُه فِي رِوَايَةِ أَبِي أُسَامَةَ وَلَفْظُه " فَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى البِئْرِ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَ "، وَفِي رِوَايَةِ عَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ: " فَنَزَلَ رَجُلٌ فَاسْتَخْرَجَهُ "، وَفِيهِ مِنَ الزِّيَادَةِ أَنَّهُ " وَجَدَ فِي الطَّلْعَةِ تِمْثَالاً مِنْ شَمْعٍ، تِمْثَالَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِذَا فِيهِ إِبَرٌ مَغْرُوزَةٌ، وَإِذَا وَتَرٌ فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ، فَكُلَّمَا قَرَأَ آيَةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَكُلَّمَا نَزَعَ إِبْرَةً وَجَدَ لَهَا أَلَمًا، ثُمَّ يَجِدُ بَعْدَهَا رَاحَةً "، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ نَحْوُه كَمَا تَقَدَّمَ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ، وَفِي

حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ الَّذِي أَشَرْتُ إِلَيْهِ عِنْدَ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ وَغَيْرِه: " فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَنَزَلَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ "، وَفِيهِ: " فَأَمَرَهُ أَنْ يَحُلَّ العُقَدَ وَيَقْرَأَ آيَةً، فَجَعَلَ يَقْرَأُ وَيَحُلُّ حَتَّى قَامَ كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ ". وَعِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ مِنْ طَرِيقِ عُمَرَ مَوْلَى غُفْرَةَ مُعْضَلاً: " فَاسْتَخْرَجَ السِّحْرَ مِنَ الجُفِّ مِنْ تَحْتِ البِئْرِ ثُمَّ نَزَعَهُ فَحَلَّهُ فَكُشِفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ".

قَوْلُه: (كَأَنَّ مَاءَهَا) فِي رِوَايَةِ ابْنِ نُمَيْرٍ: " وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا " أَيِ البِئْرِ **(نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ)** بِضَمِّ النُّونِ وَتَخْفِيفِ القَافِ، وَالحِنَّاءُ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ بِالْمَدِّ، أَيْ أَنَّ لَوْنَ مَاءِ البِئْرِ لَوْنُ الْمَاءِ الَّذِي يُنْقَعُ فِيهِ الحِنَّاءُ.

قَالَ ابْنُ التِّينِ: يَعْنِي أَحْمَرَ. وَقَالَ الدَّاوُدِيُّ: الْمُرَادُ الْمَاءُ الَّذِي يَكُونُ مِنْ غُسَالَةِ الإِنَاءِ الَّذِي تُعْجَنُ فِيهِ الحِنَّاءُ.

قُلْتُ: وَوَقَعَ فِي حَدِيث زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ: " فَوَجَدَ الْمَاءَ وَقَدِ اخْضَرَّ "، وَهَذَا يُقَوِّي قَوْلَ الدَّاوُدِيِّ. قَالَ القُرْطُبِيُّ: كَأَنَّ مَاءَ البِئْرِ قَدْ تَغَيَّرَ إِمَّا لِرَدَاءَتِهِ بِطُولِ إِقَامَتِه، وَإِمَّا لِمَا خَالَطَهُ مِنَ الأَشْيَاءِ الَّتِي أُلْقِيَتْ فِي البِئْرِ.

قُلْتُ: وَيَرُدُّ الأَوَّلَ أَنَّ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ فِي مُرْسَلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ الحَارِثَ بْنَ قَيْسٍ هَوَّرَ البِئْرَ الْمَذْكُورَةَ، وَكَانَ يَسْتَعْذِبُ مِنْهَا، وَحَفَرَ بِئْرًا أُخْرَى، فَأَعَانَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَفْرِهَا.

قَوْلُه: (وَكَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ)

كَذَا هُنَا، وَفِي الرِّوَايَةِ الَّتِي فِي بَدْءِ الخَلْقِ " نَخْلُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ "، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عُيَيْنَةَ وَأَكْثَرِ الرُّوَاةِ عَنْ هِشَامٍ: " كَأَنَّ نَخْلَهَا " بِغَيْرِ ذِكْرِ " رُءُوس " أَوَّلاً، وَالتَّشْبِيهُ إِنَّمَا وَقَعَ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ، فَلِذَلِكَ أَفْصَحَ بِهِ فِي رِوَايَةِ البَابِ، وَهُوَ مُقَدَّرٌ فِي غَيْرِهَا. وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ عَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ: " فَإِذَا نَخْلُهَا الَّذِي يَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا قَدِ الْتَوَى سَعَفُه كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ "، وَقَدْ وَقَعَ تَشْبِيهُ طَلْعِ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ فِي القُرْآنِ بِرُءُوسِ الشَّيَاطِينِ، قَالَ الفَرَّاءُ وَغَيْرُه: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ شَبَّهَ طَلْعَهَا فِي قُبْحِه بِرُءُوسِ الشَّيَاطِينِ لأَنَّهَا مَوْصُوفَةٌ بِالقُبْحِ، وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي اللِّسَانِ أَنَّ مَنْ قَالَ. فُلانٌ شَيْطَانٌ أَرَادَ أَنَّهُ خَبِيثٌ أَوْ قَبِيحٌ، وَإِذَا قَبَّحُوا مُذَكَّرًا قَالُوا: شَيْطَانٌ، أَوْ مُؤَنَّثًا قَالُوا: غُولٌ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالشَّيَاطِينِ الحَيَّاتِ، وَالعَرَبُ تُسَمِّي بَعْضَ الحَيَّاتِ شَيْطَانًا وَهُوَ ثُعْبَانٌ قَبِيحُ الوَجْهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: نَبَاتٌ قَبِيحٌ، قِيلَ: إِنَّهُ يُوجَدُ بِاليَمَنِ). [فتح الباري: ١٠/٢٣٩- ٢٤١]

قالَ أحمدُ بنُ عليٍّ ابنُ حجَرٍ العسْقَلانيُّ (ت:٨٥٢هـ): (تَنْبِيهٌ: ذَكَرَ السُّهَيْلِيُّ: أَنَّ عُقَدَ السِّحْرِ كَانَتْ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فَنَاسَبَ أَنْ يَكُونَ عَدَدُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً، فَانْحَلَّتْ بِكُلِّ آيَةٍ عُقْدَةٌ.

قُلْتُ: أَخْرَجَ البَيْهَقِيُّ فِي الدَّلائِلِ مَعْنَى ذَلِكَ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ فِي القِصَّةِ الَّتِي ذَكَرَ فيها أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُحِرَ، وَفِي آخِرِ الحَدِيثِ: (أَنَّهُمْ وَجَدُوا وَتَرًا فِيهِ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، وَأُنْزِلَتْ سُورَةُ الفَلَقِ وَالنَّاسِ، فَجَعَلَ كُلَّمَا قَرَأَ آيَةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ).

وَعِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ بِسَنَدٍ مُنْقَطِعٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ عَلِيًّا وَعَمَّارًا فَوَجَدَا طَلْعَةً فِيهَا إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً"، فَذَكَرَ نَحْوَهُ). [التلخيص الحبير:٤/١١٠]

قَالَ المُؤَذِّنُ عَبْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ اللهِ بن سَلامَةَ الإِدْكَاوِيُّ (ت: ١١٨٤هـ): (والإِشَارَةُ بالنَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ: إلى بَنَاتِ لَبِيدِ بْنِ الأَعْصَمِ اليَهُودِيِّ، وهُنَّ اللَّوَاتِي سَحَرْنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وعَقَدْنَ لَهُ إِحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعالى إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً، وهِيَ المُعَوِّذَتَانِ، فَشُفِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ). [ترويح أولي الدماثة: ٢/٢٧٨]

■ هل استخرج النبيُّ صلى الله عليه وسلم السِّحرَ؟

قالَ عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ أَحْمَدَ السُّهَيْلِيُّ (ت: ٥٨١هـ): (فِقْهُ حَدِيثِ السِّحْرِ: وَأَمَّا مَا فِيهِ مِنَ الفِقْهِ فَإِنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ لَهُ: (هَلاَّ تَنَشَّرْتَ؟) فَقَالَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا». وَهُوَ حَدِيثٌ مُشْكِلٌ فِي ظَاهِرِهِ، وَإِنَّمَا جَاءَ الإِشْكَالُ فِيهِ مِنْ قِبَلِ الرُّوَاةِ؛ فَإِنَّهُمْ جَعَلُوا جَوَابَيْنِ لِكَلامَيْنِ كَلامًا وَاحِدًا، وَذَلِكَ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ لَهُ أَيْضًا: هَلَّا اسْتَخْرَجْتَه. أَيْ هَلاَّ اسْتَخْرَجْتَ السِّحْرَ مِنَ الجُفِّ وَالمُشَاطَةِ حَتَّى يُنْظَرَ إِلَيْهِ، فَلِذَلِكَ قَالَ: «وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا»

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: كَرِهَ أَنْ يُخْرِجَهُ فَيَتَعَلَّمَ مِنْهُ بَعْضُ النَّاسِ؛ فَذَلِكَ هُوَ الشَّرُّ الَّذِي كَرِهَهُ.

قَالَ المُؤَلِّفُ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الشَّرُّ غَيْرَ هَذَا، وَذَلِكَ أَنَّ السَّاحِرَ كَانَ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، فَلَوْ أَظْهَرَ سِحْرَهُ لِلنَّاسِ وَأَرَاهُمْ إِيَّاهُ لَأَوْشَكَ أَنْ يُرِيدَ طَائِفَةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ قَتْلَهُ وَيَتَعَصَّبَ لَهُ آخَرُونَ مِنْ عَشِيرَتِهِ، فَيَثُورَ شَرٌّ كَمَا ثَارَ فِي حَدِيثِ الإِفْكِ مِنَ الشَّرِّ مَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ.

وَقَوْلُ عَائِشَةَ: (هَلاَّ اسْتَخْرَجْتَه؟) هُوَ فِي حَدِيثَيْنِ رَوَاهُمَا البُخَارِيُّ جَمِيعًا.

وَأَمَّا جَوَابُهُ لَهَا فِي حَدِيثِ (هَلاَّ تَنَشَّرْتَ؟) بِقَوْلِهِ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ»

وَجَوَابُهُ لَهَا حِينَ قَالَتْ: (هَلاَّ اسْتَخْرَجْتَه؟) بِأَنْ قَالَ: «أَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا»

فَلَمَّا جَمَعَ الرَّاوِي بَيْنَ الجَوَابَيْنِ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ اسْتَغْلَقَ الكَلامُ، وَإِذَا نَظَرْتَ الأَحَادِيثَ مُتَفَرِّقَةً تَبَيَّنَتْ.

وَعَلَى هَذَا النَّحْوِ شَرَحَ هَذَا الحَدِيثَ ابْنُ بَطَّالٍ). [الروض الأنف:٢/٣٧٢]

قالَ مُحْيِي الدِّينِ يَحْيَى بنُ شَرَفٍ النَّوَوِيُّ (ت:٦٧٦هـ): (قَوْلُهَا: (فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلا أَحْرَقْتَه؟)

وَفِي الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخْرِجْهُ) كِلاهُمَا صَحِيحٌ، فَطَلَبَتْ أَنَّهُ يُخْرِجُهُ، ثُمَّ يُحْرِقُهُ، وَالمُرَادُ إِخْرَاجُ السِّحْرِ، فَدَفَنَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخْبَرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ عَافَاهُ، وَأَنَّهُ يَخَافُ مِنْ إِخْرَاجِهِ وَإِحْرَاقِهِ وَإِشَاعَةِ هَذَا ضَرَرًا وَشَرًّا عَلَى المُسْلِمِينَ مِنْ تَذَكُّرِ السِّحْرِ، أَوْ تَعَلُّمِه، وَشُيُوعِه، وَالحَدِيثِ فِيهِ، أَوْ إِيذَاءِ فَاعِلِه، فَيَحْمِلُهُ ذَلِكَ أَوْ يَحْمِلُ بَعْضَ أَهْلِهِ وَمُحِبِّيهِ وَالمُتَعَصِّبِينَ لَهُ مِنَ المُنَافِقِينَ وَغَيْرِهِمْ عَلَى سِحْرِ النَّاسِ وَأَذَاهُمْ وَانْتِصَابِهِمْ لِمُنَاكَدَةِ المُسْلِمِينَ بِذَلِكَ.

هَذَا مِنْ بَابِ تَرْكِ مَصْلَحَةٍ لِخَوْفِ مَفْسَدَةٍ أَعْظَمَ مِنْهَا، وَهُوَ مِنْ أَهَمِّ قَوَاعِدِ الإِسْلامِ، وَقَدْ سَبَقَتِ المَسْأَلَةُ مَرَّاتٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ). [شرح صحيح مسلم: ١٤/٣٩٨]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (في الصحيحِ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ، عن أبيه، عن عائشةَ: أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طُبَّ حتى إنه لَيُخَيَّلُ إليه أنه صنَعَ شيئًا وما صَنَعَه، وأنه دَعَا رَبَّه ثم قالَ: «أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُه فِيه؟». فقالَتْ عائشةُ: وما ذاك يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «جاءَني رَجلانِ فجَلَسَ أحدُهما عندَ رأسِي والآخَرُ عندَ رِجْلَيَّ، فقالَ أحدُهما لصاحبِه: ما وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قالَ الآخَرُ: مَطبوبٌ. قالَ: مَن طَبَّه؟ قالَ: لَبيدُ بنُ الأعصَمِ. قالَ: في ماذا؟ قالَ: في مُشْطٍ ومُشَاطَةٍ وجُفِّ طَلْعِ ذَكَرٍ. قالَ: فأينَ هو؟ قالَ: في ذَرْوَانَ؛ بئرٍ في بَنِي زُرَيْقٍ». قالَتْ عائشةُ رَضِيَ اللهُ عنها: فأتاها رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم رَجَعَ إلى عائشةَ فقالَ: «واللهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، ولَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ». قالَ: فقُلْتُ له: يا رسولَ اللهِ، هلا أخْرَجْتَه؟ قالَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللهُ وكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا». فأمَرَ بها فدُفِنَتْ.

قالَ البخاريُّ: وقالَ الليثُ وابنُ عُيَيْنَةَ، عن هِشامٍ: في مُشْطٍ ومُشاقَةٍ، ويُقالُ: إنَّ المُشاطَةَ ما يَخرُجُ من الشعْرِ إذا مُشِطَ، والمُشاقَةُ من مُشاقَةِ الكَتَّانِ. قلتُ: هكذا في هذه الروايةِ أنه لم يُخْرِجْه اكتفاءً بمُعافاةِ اللهِ له وشِفائِه إيَّاه.

وقد رَوَى البُخاريُّ من حديثِ ابنِ عُيَيْنَةَ قالَ: أَوَّلُ مَن حَدَّثنا به ابنُ جُرَيْجٍ، يَقولُ: حَدَّثَني آلُ عُروةَ، عن عُروةَ، فسَأَلْتُ هِشامًا عنه فحَدَّثَنا عن أبيهِ، عن عائشةَ: كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُحِرَ حتى كان يُرَى أنه يأتي النِّساءَ ولا يَأتيهنَّ. قالَ سفيانُ: وهذا أَشَدُّ ما يكونُ من السِّحْرِ إذا كان كذا، فقالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَعَلِمْتِ أَنَّ اللهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ أَتَانِي رَجُلانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي والآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي للآخَرِ: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: مَن طَبَّهُ؟ قالَ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ؛ رَجُلٌ من بني زُرَيْقٍ حَلِيفُ اليَهُودِ، وكَانَ مُنَافِقًا. قالَ: وفِيمَ؟ قالَ: في مُشْطٍ ومُشَاقَةٍ. قَالَ: وأَيْنَ؟ قالَ: في جُفِّ طَلْعِ ذَكَرٍ، تَحْتَ رَعُوفَةٍ فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ». قالَ: فَأَتَى البِئْرَ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ فَقَالَ: «هَذِهِ البِئْرُ الَّتِي أُرِيتُهَا، وكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، وكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشياطينِ». قَالَ: فَاسْتُخْرِجَ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَفَلا، أي: تَنَشَّرْتَ؟ قالَ: «أَمَّا اللهُ فَقَدْ شَفَانِي، وأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا». ففي هذا الحديثِ أنه استَخْرَجَه وتَرْجَمَ البخاريُّ عليه: بابٌ: هل يَسْتَخْرِجُ السِّحْرَ.

وقالَ قَتادةُ: قلتُ لسعيدِ بنِ المُسَيَّبِ: رجُلٌ به طِبٌّ، ويُؤَخَّذُ عن امرأتِه، أَيُحَلُّ عنه ويُنَشَّرُ؟ قالَ: لا بأسَ به إنما يُريدون به الإصلاحَ، فأمَّا ما يَنْفَعُ الناسَ فلم يُنْهَ عنه.

فهذانِ الحديثانِ قد يُظَنُّ في الظاهِرِ تَعارُضُهما، فإنَّ حديثَ عيسى عن هِشامٍ عن أبيه الأوَّلَ فيه: أنه لم يَسْتَخْرِجْه، وحديثَ ابنِ جُرَيْجٍ عن هِشامٍ فيه أنه اسْتَخْرَجَه، ولا تَنافِيَ بينَهما؛ فإنه اسْتَخْرَجَه من البئرِ حتى رآه وعَلِمَه، ثم دَفَنَه بعدَ أن شُفِيَ، وقولُ عائشةَ: هَلا استَخْرَجْتَه. أي هَلا أَخْرَجْتَه للناسِ حتى يَرَوْه ويُعايِنُوه، فأَخْبَرَها بالمانِعِ له من ذلك، وهو أنَّ المسلمينَ لم يكونوا لِيَسْكُتُوا عن ذلك، فيَقَعُ الإنكارُ ويَغْضَبُ للساحِرِ قومُه

فيَحْدُثُ الشرُّ، وقد حصَلَ المقصودُ بالشفاءِ والمُعافاةِ، فأَمَرَ بها فَدُفِنَتْ، ولم يَسْتَخْرِجْها للناسِ، فالاستخراجُ الواقِعُ غيرُ الذي سأَلَتْ عنه عائشةُ، والذي يَدُلُّ عليه أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما جاءَ إلى البئْرِ لِيَسْتَخْرِجَها منه ولم يَجِئْ إليه لِيَنْظُرَ إليها ثم يَنْصرِفَ، إذ لا غَرَضَ له في ذلك، واللهُ أَعْلَمُ. وهذا الحديثُ ثابتٌ عندَ أَهْلِ العِلْمِ بالحديثِ، مُتَلقًّى بالقَبولِ بينَهم، لا يَختلفون في صِحَّتِه). [بدائع الفوائد: ٢/٢٢٢- ٢٢٣]

قَالَ ابْنُ الْمُلَقِّنِ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ الأَنْصَارِيُّ (ت: ٨٠٤هـ): (وفي الحديثِ: «إِنَّ اللهَ أَطْلَعَ نَبِيَّهُ عَلَى العُقَدِ الَّتِي سَحَرَهُ بِهَا لَبِيدٌ، فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ مِنْ بِئْرٍ فإذَا مُشْطٌ ومُشَاطَةٌ»). [تفسير غريب القرآن: ٦٠٤]

قال أحمدُ بنُ عليٍّ ابنُ حجَرٍ العسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (قَوْلُه: (فَأَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البِئْرَ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ. إِلَى أَنْ قَالَ: فَاسْتُخْرِجَ)

كَذَا وَقَعَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، وَفِي رِوَايَةِ عِيسَى بْنِ يُونُسَ: " قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلا اسْتَخْرَجْتَه؟ ". وَفِي رِوَايَةِ وُهَيْبٍ: " قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخْرِجْهُ لِلنَّاسِ ". وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ نُمَيْرٍ: " أَفَلا أَخْرَجْتَه؟ قَالَ: لا ". وَكَذَا فِي رِوَايَةِ أَبِي أُسَامَةَ الَّتِي بَعْدَ هَذَا البَابِ. قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: ذَكَرَ الْمُهَلَّبُ أَنَّ الرُّوَاةَ اخْتَلَفُوا عَلَى هِشَامٍ فِي إِخْرَاجِ السِّحْرِ المَذْكُورِ، فَأَثْبَتَه سُفْيَانُ وَجَعَلَ سُؤَالَ عَائِشَةَ عَنِ النُّشْرَةِ، وَنَفَاهُ عِيسَى بْنُ يُونُس وَجَعَلَ سُؤَالَهَا عَنْ الاسْتِخْرَاجِ، وَلَمْ يَذْكُرِ الجَوَابَ، وَصَرَّحَ بِهِ أُسَامَةُ، قَالَ: وَالنَّظَرُ يَقْتَضِي تَرْجِيحَ رِوَايَةِ سُفْيَانَ لِتَقَدُّمِهِ فِي الضَّبْطِ، وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ النُّشْرَةَ لَمْ يَقَعْ فِي رِوَايَةِ أَبِي أُسَامَةَ، وَالزِّيَادَةُ مِنْ سُفْيَانَ مَقْبُولَةٌ؛ لأَنَّهُ أَثْبَتُهُمْ، وَلا سِيَّمَا أَنَّهُ كَرَّرَ اسْتِخْرَاجَ السِّحْرِ فِي رِوَايَتِه مَرَّتَيْنِ، فَيَبْعُدُ مِنَ الوَهْمِ، وَزَادَ ذِكْرَ النُّشْرَةِ وَجَعَلَ جَوَابَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهَا بِلا بَدَلاً عَنْ الاسْتِخْرَاجِ.

قَالَ: وَيَحْتَمِلُ وَجْهًا آخَرَ، فَذَكَرَ مَا مُحَصَّلُه: أَنَّ الاسْتِخْرَاجَ الْمَنْفِيَّ فِي رِوَايَةِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرُ الاسْتِخْرَاجِ الْمُثْبَتِ فِي رِوَايَةِ سُفْيَانَ، فَالْمُثْبَتُ هُوَ اسْتِخْرَاجُ الجُفِّ، وَالْمَنْفِيُّ اسْتِخْرَاجُ مَا حَوَاهُ.

قَالَ: وَكَأَنَّ السِّرَّ فِي ذَلِكَ أَنْ لا يَرَاهُ النَّاسُ فَيَتَعَلَّمَهُ مَنْ أَرَادَ اسْتِعْمَالَ السِّحْرِ.

قُلْتُ: وَقَعَ فِي رِوَايَةِ عَمْرَةَ: " فَاسْتَخْرَجَ جُفَّ طَلْعَةٍ مِنْ تَحْتِ رَاعُوفَةٍ "، وَفِي حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ: " فَأَخْرَجُوهُ فَرَمَوْا بِهِ "، وَفِي مُرْسَلِ عُمَرَ بْنِ الحَكَمِ أَنَّ الَّذِي اسْتَخْرَجَ السِّحْرَ قَيْسُ بْنُ مِحْصَنٍ، كُلُّ هَذَا لا يُخَالِفُ الحَمْلَ المَذْكُورَ، لَكِنْ فِي آخِرِ رِوَايَةِ عَمْرَةَ وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُمْ وَجَدُوا وَتَرًا فِيهِ عُقَدٌ، وَأَنَّهَا انْحَلَّتْ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ، فَفِيهِ إِشْعَارٌ بِاسْتِكْشَافِ مَا كَانَ دَاخِلَ الجُفِّ، فَلَوْ كَانَ ثَابِتًا لَقُدِحَ فِي الجَمْعِ المَذْكُورِ، لَكِنْ لا يَخْلُو إِسْنَادُ كُلٍّ مِنْهُمَا مِنَ الضَّعْفِ.

(تَنْبِيهٌ):

وَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي أُسَامَةَ مُخَالَفَةٌ فِي لَفْظَةٍ أُخْرَى: فَرِوَايَةُ البُخَارِيِّ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْهُ: "أَفَلا أَخْرَجْتَه؟". وَهَكَذَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي أُسَامَةَ، وَوَقَعَ عِنْدَ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي كُرَيْبٍ عَنْ أَبِي أُسَامَةَ: " أَفَلا أَحْرَقْتَه؟ " بِحَاءٍ مُهْمَلَةٍ وَقَافٍ، وَقَالَ النَّوَوِيُّ: كِلا الرِّوَايَتَيْنِ صَحِيحٌ، كَأَنَّهَا طَلَبَتْ أَنَّهُ يُخْرِجُهُ ثُمَّ يُحَرِّقُهُ.

قُلْتُ: لَكِنْ لَمْ يَقَعَا مَعًا فِي رِوَايَةٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنَّمَا وقَعَتِ اللَّفْظَةُ مَكَانَ اللَّفْظَةِ، وَانْفَرَدَ أَبُو كُرَيْبٍ بِالرِّوَايَةِ الَّتِي بِالْمُهْمَلَةِ وَالقَافِ، فَالجَارِي عَلَى القَوَاعِدِ أَنَّ رِوَايَته شَاذَّةٌ.

وَأَغْرَبَ القُرْطُبِيُّ فَجَعَلَ الضَّمِيرَ فِي أَحْرَقْته لِلَبِيدِ بْنِ أَعْصَمَ. قَالَ: وَاسْتَفْهَمَتْهُ عَائِشَةُ عَنْ ذَلِكَ عُقُوبَةً لَهُ عَلَى مَا صَنَعَ مِنَ السِّحْرِ، فَأَجَابَهَا بِالامْتِنَاعِ. وَنَبَّهَ عَلَى سَبَبِه وَهُوَ خَوْفُ وُقُوعِ شَرٍّ بَيْنَهمْ وَبَيْنَ اليَهُودِ لأَجْلِ العَهْدِ، فَلَوْ قَتَلَهُ لَثَارَتْ فِتْنَةٌ. كَذَا قَالَ. وَلا أَدْرِي مَا وَجْهُ تَعَيُّنِ قَتْلِه بِالإِحْرَاقِ، وَإِنْ لَوْ سُلِّمَ أَنَّ الرِّوَايَةَ ثَابِتَةٌ وَأَنَّ الضَّمِيرَ لَهُ.

قَوْلُه: (قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَفَلا، أَيْ تَنَشَّرْتَ)

وَقَعَ فِي رِوَايَةِ الحُمَيْدِيِّ: " فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَهَلا؟ قَالَ سُفْيَانُ: بِمَعْنَى تَنَشَّرْتَ. فَبَيَّنَ الَّذِي فَسَّرَ الْمُرَادَ بِقَوْلِهَا: " أَفَلا "، كَأَنَّهُ لَمْ يَسْتَحْضِرِ اللَّفْظَةَ فَذَكَرَهُ بِالْمَعْنَى، وَظَاهِرُ هَذِهِ اللَّفْظَةِ أَنَّهُ مِنَ النُّشْرَةِ. وَكَذَا وَقَعَ فِي رِوَايَةِ مَعْمَرٍ عَنْ هِشَامٍ عِنْدَ أَحْمَدَ: " فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لَوْ أَنَّكَ " تَعْنِي تُنَشَّرُ. وَهُوَ مُقْتَضَى صَنِيعِ الْمُصَنِّفِ حَيْثُ ذَكَرَ النُّشْرَةَ فِي التَّرْجَمَةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ النَّشْرِ بِمَعْنَى الإِخْرَاجِ فَيُوَافِقُ رِوَايَةَ مَنْ رَوَاهُ بِلَفْظِ " فَهَلا أَخْرَجْتَهُ "، وَلِكَوْنِ لَفْظِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ: " هَلا اسْتَخْرَجْتَ؟ "، وَحُذِفَ الْمَفْعُولُ لِلْعِلْمِ بِهِ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالْمَخْرَجِ مَا حَوَاهُ الجُفُّ لا الجُفُّ نَفْسُه، فَيَتَأَيَّدُ الجَمْعُ الْمُقَدَّمُ ذِكْرُه.

(تَكْمِيلٌ): قَالَ ابْنُ القَيِّمِ: مِنْ أَنْفَعِ الأَدْوِيَةِ وَأَقْوَى مَا يُوجَدُ مِنَ النُّشْرَةِ مُقَاوَمَةُ السِّحْرِ الَّذِي هُوَ مِنْ تَأْثِيرَاتِ الأَرْوَاحِ الخَبِيثَةِ بِالأَدْوِيَةِ الإِلَهِيَّةِ مِنَ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالقِرَاءَةِ، فَالقَلْبُ إِذَا كَانَ مُمْتَلِئًا مِنَ اللَّهِ مَعْمُورًا بِذِكْرِهِ وَلَهُ وِرْدٌ مِنَ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوَجُّهِ لا يُخِلُّ بِهِ كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ مِنْ إِصَابَةِ السِّحْرِ لَهُ. قَالَ: وَسُلْطَانُ تَأْثِيرِ السِّحْرِ هُوَ فِي القُلُوبِ الضَّعِيفَةِ، وَلِهَذَا غَالِبُ مَا يُؤَثِّرُ فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَالجُهَّالِ؛ لأَنَّ الأَرْوَاحَ الخَبِيثَةَ إِنَّمَا تَنْشَطُ عَلَى أَرْوَاحٍ تَلْقَاهَا مُسْتَعِدَّةً لِمَا يُنَاسِبُهَا. انْتَهَى مُلَخَّصًا. وَيُعَكِّرُ عَلَيْهِ حَدِيثُ البَابِ، وَجَوَازُ السِّحْرِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ عَظِيمِ مَقَامِه وَصِدْقِ تَوَجُّهِه وَمُلازَمَةِ وِرْدِه، وَلَكِنْ يُمْكِنُ الانْفِصَالُ عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِي ذَكَرَهُ مَحْمُولٌ عَلَى الغَالِبِ، وَأَنَّ مَا وَقَعَ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبَيَانِ تَجْوِيزِ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ). [فتح الباري:١٠/٢٤٥- ٢٤٧]

قالَ أحمدُ بنُ عليٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (قَوْلُه: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلا اسْتَخْرَجْتَهُ؟).

فِي رِوَايَةِ أَبِي أُسَامَةَ: " فَقَالَ: لا ". وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ اسْتَخْرَجَهُ، وَأَنَّ سُؤَالَ عَائِشَةَ إِنَّمَا وَقَعَ عَنِ النُّشْرَةِ فَأَجَابَهَا بِلا، وَسَيَأْتِي بَسْطُ القَوْلِ فِيهِ بَعْدَ بَابٍ.

قَوْلُه: (فَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا)

فِي رِوَايَةِ الكُشْمِيهَنِيِّ: " سُوءًا " وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي أُسَامَةَ: " أَنْ أُثَوِّرَ " بِفَتْحِ الْمُثَلَّثَةِ وَتَشْدِيدِ الوَاوِ، وَهُمَا بِمَعْنًى. وَالْمُرَادُ بِالنَّاسِ التَّعْمِيمُ فِي الْمَوْجُودِينَ. قَالَ النَّوَوِيُّ: خَشِيَ مِنْ إِخْرَاجِه وَإِشَاعَتِه ضَرَرًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ تَذَكُّرِ السِّحْرِ وَتَعَلُّمِه وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ وَهُوَ مِنْ بَابِ تَرْكِ الْمَصْلَحَةِ خَوْفَ الْمَفْسَدَةِ. وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ نُمَيْرٍ: "عَلَى أُمَّتِي"، وَهُوَ قَابِلٌ أَيْضًا لِلتَّعْمِيمِ؛ لأَنَّ الأُمَّةَ تُطْلَقُ عَلَى أُمَّةِ الإِجَابَةِ وَأُمَّةِ الدَّعْوَةِ عَلَى مَا هُوَ أَعَمُّ، وَهُوَ يَرُدُّ عَلَى مَنْ

زَعَمَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّاسِ هُنَا لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ ؛ لأَنَّهُ كَانَ مُنَافِقًا فَأَرَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لا يُثِيرَ عَلَيْهِ شَرًّا ؛ لأَنَّهُ كَانَ يُؤْثِرُ الإِغْضَاءَ عَمَّنْ يُظْهِرُ الإِسْلامَ وَلَوْ صَدَرَ مِنْهُ مَا صَدَرَ، وَقَدْ وَقَعَ أَيْضًا فِي رِوَايَةِ ابْنِ عُيَيْنَةَ : " وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا ".

نَعَمْ وَقَعَ فِي حَدِيثِ عَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ : "فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ قَتَلْتَه؟ قَالَ : مَا وَرَاءَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَشَدُّ". وَفِي رِوَايَةِ عَمْرَةَ : "فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاعْتَرَفَ، فَعَفَا عَنْهُ". وَفِي حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ : "فَمَا ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِذَلِكَ الْيَهُودِيِّ شَيْئًا مِمَّا صَنَعَ بِهِ، وَلا رَآهُ فِي وَجْهِه". وَفِي مُرْسَلِ عُمَرَ ابْنِ الْحَكَمِ : " فَقَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ : حُبُّ الدَّنَانِيرِ ". وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي كِتَابِ الْجِزْيَةِ قَوْلُ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَقْتُلْهُ، وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ مِنْ مُرْسَلِ عِكْرِمَةَ أَيْضًا أَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْهُ، وَنُقِلَ عَنِ الْوَاقِدِيِّ أَنَّ ذَلِكَ أَصَحُّ مِنْ رِوَايَةِ مَنْ قَالَ : إِنَّهُ قَتَلَهُ، وَمِنْ ثَمَّ حَكَى عِيَاضٌ فِي " الشِّفَاءِ " قَوْلَيْنِ : هَلْ قُتِلَ، أَمْ لَمْ يُقْتَلْ؟ وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ : لا حُجَّةَ عَلَى مَالِكٍ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ ؛ لأَنَّ تَرْكَ قَتْلِ لَبِيدِ بْنِ الأَعْصَمِ كَانَ لِخَشْيَةِ أَنْ يُثِيرَ بِسَبَبِ قَتْلِه فِتْنَةً، أَوْ لِئَلا يُنَفِّرَ النَّاسَ عَنِ الدُّخُولِ فِي الإِسْلامِ، وَهُوَ مِنْ جِنْسِ مَا رَاعَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَنْعِ قَتْلِ الْمُنَافِقِينَ حَيْثُ قَالَ : " لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ ".

قَوْلُه : (فَأَمَرَ بِهَا) أَيْ بِالبِئْرِ **(فَدُفِنَتْ)**

وَهَكَذَا وَقَعَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ نُمَيْرٍ وَغَيْرِه عَنْ هِشَامٍ، وَأَوْرَدَهُ مُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ أَبِي أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَقِبَ رِوَايَةِ ابْنِ نُمَيْرٍ، وَقَالَ : " لَمْ يَقُلْ أَبُو أُسَامَةَ فِي رِوَايَتِه : فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ ". قُلْتُ : وَكَأَنَّ شَيْخَه لَمْ يَذْكُرْهَا حِينَ حَدَّثَهُ، وَإِلا فَقَدْ أَوْرَدَهَا الْبُخَارِيُّ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ أَبِي أُسَامَةَ، كَمَا فِي الْبَابِ بَعْدَه، وَقَالَ فِي آخِرِه : " فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ "، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ فِي مُرْسَلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ " أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ قَيْسٍ هَوَّرَهَا ".

قَوْلُه : (تَابَعَهُ أَبُو أُسَامَةَ) هُوَ حَمَّادُ بْنُ أُسَامَةَ، وَتَأْتِي رِوَايَتُه مَوْصُولَةً بَعْدَ بَابَيْنِ.

قَوْلُه : (وَأَبُو ضَمْرَةَ) هُوَ أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ، وَسَتَأْتِي رِوَايَتُه مَوْصُولَةً فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ.

قَوْلُه : (وَابْنُ أَبِي الزِّنَادِ) هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ذَكْوَانَ، وَلَمْ أَعْرِفْ مَنْ وَصَلَهَا بَعْدُ.

قَوْلُه : (وَقَالَ اللَّيْثُ وَابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ هِشَامٍ : فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ)

كَذَا لأَبِي ذَرٍّ، وَلِغَيْرِهِ : " وَمُشَاقَةٍ "، وَهُوَ الصَّوَابُ، وَإِلا لاتَّحَدَتِ الرِّوَايَاتُ، وَرِوَايَةُ اللَّيْثِ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا فِي بَدْءِ الْخَلْقِ، وَرِوَايَةُ ابْنِ عُيَيْنَةَ تَأْتِي مَوْصُولَةً بَعْدَ بَابٍ. وَذَكَرَ الْمِزِّيُّ فِي " الأَطْرَافِ " تَبَعًا لِخَلَفٍ أَنَّ الْبُخَارِيَّ أَخْرَجَهُ فِي الطِّبِّ عَنِ الْحُمَيْدِيِّ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، وَطَرِيقُ الْحُمَيْدِيِّ مَا هِيَ فِي الطِّبِّ فِي شَيْءٍ مِنَ النُّسَخِ الَّتِي وَقَفْتُ عَلَيْهَا، وَقَدْ أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي " الْمُسْتَخْرَجِ " مِنْ طَرِيقِ الْحُمَيْدِيِّ وَقَالَ بَعْدَه : " أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ "، لَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ، وَكَذَا لَمْ يَذْكُرْ أَبُو مَسْعُودٍ فِي أَطْرَافِه الْحُمَيْدِيَّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَوْلُه: (وَيُقَال الْمُشَاطَة مَا يَخْرُج مِنَ الشَّعْر إِذَا مُشِطَ) هَذَا لا اخْتِلاف فِيهِ بَيْن أَهْل اللُّغَة، قَالَ ابْن قُتَيْبَة: الْمُشَاطَة مَا يَخْرُج مِنَ الشَّعْر الَّذِي سَقَطَ مِنَ الرَّأْس إِذَا سُرِّحَ بِالْمُشْطِ، وَكَذَا مِنَ اللِّحْيَة.

قَوْلُه: (وَالْمُشَاطَةُ مِنْ مُشَاطَةِ الْكَتَّانِ) كَذَا لأَبِي ذَرٍّ كَأَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ اللَّفْظَ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الشَّعْرِ إِذَا مُشِطَ وَبَيْنَ الكَتَّانِ إِذَا سُرِّحَ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ غَيْرِ أَبِي ذَرٍّ: "وَالْمُشَاقَةُ"، وَهُوَ أَشْبَهُ، وَقِيلَ: الْمُشَاقَةُ هِيَ الْمُشَاطَةُ بِعَيْنِهَا، وَالقَافُ تُبْدَلُ مِنَ الطَّاءِ لِقُرْبِ الْمَخْرَجِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ). [فتح الباري:٢٤١- ٢٤٢]

ما صنع النبي صلى الله عليه وسلم بمن سحره؟

قالَ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت:٢١١هـ): (عن مَعْمَرٍ، عن الزهريِّ، عن ابنِ المسيَّبِ وعروةَ بنِ الزُّبيرِ، أنَّ يهودَ بني زُرَيقٍ سَحَرُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، ولَمْ يُذْكَرْ أنَّه قَتَلَ مِنْهُم أَحَدًا). [مصنف عبد الرزاق:٦/٦٥]

قالَ عبدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ ابنُ أبي شَيبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنا أبو مُعَاويةَ، عَنِ الأعمَشِ، عَن يزيدَ بنِ حَيَّان، عَن زَيدِ بنِ أَرْقَمَ قَالَ: سَحَرَ النبيَّ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ منَ اليهودِ، فَاشْتَكَى النَّبِيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لِذلكَ أياماً، فَأَتَاهُ جبريلُ فَقَالَ: إنَّ رَجُلاً منَ اليهودِ سَحَرَكَ، عَقَدَ لكَ عُقَداً، فأرسلَ إليها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عليًّا، فاستخرَجَها، فجاءَ بها، فجعَلَ كُلَّمَا حَلَّ عُقْدَةً وجَدَ لذلكَ خِفَّةً، فقامَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم كأنَّمَا نُشِطَ من عِقَالٍ، فمَا ذكَرَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ذلكَ اليهوديَّ ولا رَآه في وَجهِهِ قَطُّ).
[مصنف ابن أبي شيبة:٥/٤٣٥] (م)

قالَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حنبلٍ الشَّيْبَانِيُّ (ت:٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: سَحَرَ النَّبِيَّ - صلى اللهُ عليه وسلم- رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ. قَالَ: فَاشْتَكَى لِذَلِكَ أَيَّاماً. قَالَ فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ: إِنَّ رَجُلاً مِنَ الْيَهُودِ سَحَرَكَ، عَقَدَ لَكَ عُقَداً عُقَداً فِي بِئْرِ كَذَا وَكَذَا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مَنْ يَجِيءُ بِهَا. فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى اللهُ عليه وسلم- عَلِيًّا فَاسْتَخْرَجَهَا، فَجَاءَ بِهَا فَحَلَّلَهَا. قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى اللهُ عليه وسلَّمَ- كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَمَا ذَكَرَ لِذَلِكَ الْيَهُودِيِّ وَلا رَآهُ فِي وَجْهِهِ قَطُّ حَتَّى مَاتَ). [مسند الإمام أحمد:٣٢/١٤]

قالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ (ت: ٢٨٣هـ): (فكَانَ لَبِيدٌ بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فمَا رَأَى فِي وَجْهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، وَلا ذَاكَرَهُ ذَلِكَ). [تفسير التستري: ٢١٠]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (قالَ: فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، أفلا نَأْخُذُ الخَبيثَ فنَقْتُلُه؟ فقالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا».

قالَتْ عائشةُ: ما غَضِبَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غضباً يَنْتَقِمُ مِن أحدٍ لنفسِه قطُّ، إلاَّ أنْ يكونَ شيئاً هو للهِ سُبْحَانَهُ، فيَغْضَبُ للهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ويَنْتَقِمُ). [الكشف والبيان: ١٠/٣٣٨- ٣٣٩]

■ هل رَقَى جبريلُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بالمعوِّذتين من السحر؟

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (ذِكْرُ القِصَّةِ: قالَ ابنُ عَبَّاسٍ وعائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، دَخَلَ حديثُ بعضِهِما في بعضٍ: كانَ غلامٌ مِن اليهودِ يَخْدُمُ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدَبَّتْ إليه اليهودُ، فلم يَزَالُوا به حتى أَخَذَ مُشَاطَةَ رأسِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعِدَّةَ أسنانٍ مِن مُشْطِهِ، فأَعْطَاهَا اليهودَ، فسَحَرُوه فيها، وكانَ الذي تَوَلَّى ذلك رجلٌ مِنهم يقالُ له: لَبِيدُ بنُ أَعْصَمَ، ثمَّ دَسَّهَا في بِئْرٍ لبني زُرَيْقٍ يقالُ له: ذَرْوَانُ، فمَرِضَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانْتَثَرَ شعَرُ رأسِهِ، ولَبِثَ سِتَّةَ أشهرٍ يَرَى أنه يأتي النساءَ ولا يَأْتِيهِنَّ، وجعَلَ يَذُوبُ ولا يَدْرِي ما عَرَاه، فَبَيْنَا هو نائمٌ إذ أتاه مَلَكَانِ، فقعَدَ أحدُهما عندَ رأسِهِ والآخَرُ عندَ رِجْلَيْهِ، فقالَ الذي عندَ رِجْلَيْهِ للذي عندَ رأسِه: ما بالُ الرجلِ؟ قالَ: طُبَّ. قالَ: وما طُبَّ؟ قالَ: سُحِرَ. قالَ: ومَن سَحَرَه؟ قالَ: لَبِيدُ بنُ أَعْصَمَ اليَهُودِيُّ. قالَ: وبِمَ طَبَّه؟ قالَ: بمُشْطٍ ومُشَاطَةٍ. قالَ: وأينَ هو؟ قالَ: في جُفِّ طَلْعَةٍ، تَحْتَ رَاعُوثَةٍ في بِئْرِ ذَرْوَانَ - والجُفُّ: قِشْرُ الطَّلْعِ، والرَّاعُوثَةُ حَجَرٌ في أسفلِ البئرِ ناتِئٌ يقومُ عليه الماتِحُ - فانْتَبَه رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مذعوراً وقالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَمَا شَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَنِي بِدَائِي؟».

ثُمَّ بعَثَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليًّا والزُّبَيْرَ وعمَّارَ بنَ ياسرٍ، فنَزَحُوا ماءَ تِلكَ البِئْرِ كأنه نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، ثمَّ رَفَعُوا الصخرةَ وأَخْرَجُوا الجُفَّ، فإذا فيه مُشاطةُ رأسِهِ وأسنانٌ مِن مُشْطِه، وإذا فيه وَتَرٌ معقودٌ فيه اثْنَتَا عَشْرَةَ عُقْدَةً مَغْرُوزَةً بالإِبَرِ، فأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هاتيْنِ السورتيْنِ، فجعَلَ كُلَّمَا يَقْرَأُ آيةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، ووَجَدَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِفَّةً حينَ انْحَلَّتِ العقدةُ الأخيرةُ، فقامَ كأنما أُنْشِطَ مِن عِقالٍ، وجعَلَ جِبْرِيلُ عليه السلامُ يقولُ: «بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ؛ مِنْ حَاسِدٍ وَعَيْنٍ، وَاللَّهُ يَشْفِيكَ».

قالَ: فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، أفلا نَأْخُذُ الخَبِيثَ فنَقْتُلُه؟ فقالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا».

قالَتْ عائشةُ: ما غَضِبَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غضباً يَنْتَقِمُ مِن أحدٍ لنفسِه قَطُّ، إلاَّ أنْ يكونَ شيئاً هو للهِ سُبْحَانَهُ، فيَغْضَبُ للهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ويَنْتَقِمُ). [الكشف والبيان: ١٠/٣٣٨- ٣٣٩]

قلت: (أدخلَ الثعلبيُّ عدةَ أحاديثَ بعضَها في بعضٍ وتبِعه على ذلك عددٌ من المفسرين، وسبق إيرادُ أقوالِهم بما يُغني عن إعادتِه، قال ابنُ كثيرٍ متعقباً الثعلبيَّ: (هكذا أَوْرَدَهُ بِلا إِسْنَادٍ، وفيهِ غَرَابَةٌ وفي بَعْضِه نَكَارَةٌ شَدِيدَةٌ، ولبَعْضِه شَوَاهِدُ مِمَّا تَقَدَّمَ، واللَّهُ سبحانَه وتعالى أَعْلَمُ).

قلت: ومن ذلك جعلُه رقيةَ جبريلٍ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم في سياقِ هذه القصةِ، وقد سبق الكلامُ على ضعفِ هذه الزيادةِ).

قالَ مَحْمُودُ بنُ حَمْزَةَ بنِ نَصْرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (سببُ نُزولِ السُّورَتَيْنِ: أنَّ غُلامًا كانَ يَخْدُمُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فدَسَّتْ إليه اليَهُودُ، ولم يَزالُوا به حتى أخَذَ مُشَاطَةَ رَأْسِه عليه السلامُ وعِدَّةَ أسنانٍ مِن

مُشْطٍ، فأعطاها اليهودَ، فسَحَرُوهُ فيها... فأَنزَلَ اللهُ هاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ إحدى عَشْرَةَ آيةً على عَدِّ العُقَدِ، فجَعَلُوا كُلَّمَا حَلُّوا عُقدَةً وجَدَ عليه السلامُ خِفَّةً حتى حَلُّوا العُقَدَ، فقامَ كأنما نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، وجَعَلَ جبريلُ عليه السلامُ يقولُ: باسمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِن كُلِّ شيءٍ يُؤْذِيكَ، ومِن حاسِدٍ وعينٍ، واللهُ يَشْفِيكَ). [غرائب التفسير: ٢/١٤١١-١٤١٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنُ العَرَبِيِّ (ت: ٥٤٣هـ): (سُورَةُ الفَلَقِ وَالنَّاسِ فِيهِمَا ثَلاثُ مَسَائِلَ:

المَسْأَلَةُ الأولَى: فِي سَبَبِ نُزُولِهِمَا:

رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُحِرَ حَتَّى كَانَ يُخَيَّلَ إلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَلا يَفْعَلُهُ، فَمَكَثَ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ أَتَانِي مَلَكَانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، قَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ: مَا شَأْنُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ. فَقَالَ: فِي مَاذَا؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، فِي جُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، تَحْتَ رَاعُوفَةٍ فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ». فَجَاءَ البِئْرَ وَاسْتَخْرَجَهُ. انْتَهَى الصَّحِيحُ.

زَادَ غَيْرُهُ: «فَوَجَدَ فِيهَا إحْدَى عَشْرَةَ عُقْدَةً، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ إحْدَى عَشرَةَ آيَةً، فَجَعَلَ كُلَّمَا قَرَأَ آيَةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، حَتَّى انْحَلَّتِ العُقَدُ، وَقَامَ كَأَنَّمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ». أَفَادَنِيهَا شَيْخُنَا الزَّاهِدُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ بَدْرَانَ الصُّوفِيُّ). [أحكام القرآن: ٤/١٩٩٦] (م)

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (رُوِيَ أنه عَلَيهِ السلامُ سُحِرَ فمَرِضَ... فنَزَلَتْ هاتانِ السُّورَتَانِ، فكُلَّمَا قرأَ جِبريلُ آيةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، حتَّى قام صلَّى اللَّهُ عَلَيْه وسلَّمَ عندَ انْحلالِ العُقْدَةِ الأخيرةِ كأَنَّمَا نُشِطَ من عِقالٍ، وجعَلَ جبريلُ يَقولُ: باسمِ اللهِ أرْقِيكَ، واللهُ يَشْفِيكَ، من كلِّ داءٍ يُؤْذِيكَ). [مدارك التنزيل:٣/٢٠١٦] (م)

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخَازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (فأَنْزَلَ اللَّهُ هاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ، وهما إحدى عَشْرةَ آيَةً؛ سورةُ الفَلَقِ خمسُ آياتٍ، وسورةُ الناسِ ستُّ آياتٍ، فكانَ كُلَّمَا قرأَ آيَةً انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، حتَّى انحلَّتِ العُقَدُ كلُّها، فقامَ النبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ كأنَّما نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ). [لباب التأويل: ٤/٥٠٠]

■ هدي النبي صلى الله عليه وسلم في التداوي من السحر

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصل: في هَدْيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في علاجِ السِّحرِ الذي سحرَتْه اليهودُ به.

قد أنكر هذا طائفةٌ من الناسِ، وقالوا: لا يجوزُ هذا عليه، وظنوه نقصاً وعيباً، وليس الأمرُ كما زَعَموا، بل هو من جنسِ ما كانَ يَعتَريه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأسقامِ والأوجاعِ، وهو مرضٌ من الأمراضِ، وإصابتُه به كإصابتِه بالسُّمِّ، لا فرقَ بينهما. وقد ثبت في "الصحيحينِ" عن عائشةَ رضِيَ اللهُ عنها، أنها قالت: "سُحِرَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى إنْ كانَ لَيُخَيَّلُ إليه أنه يأتي نِساءَه، ولم يأتِهِنَّ"، وذلك أشدُّ ما يكونُ مِن السِّحرِ.

قال القاضي عِياضٌ: والسِّحرُ مرضٌ من الأمراضِ، وعارضٌ من العللِ يجوزُ عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنواعِ الأمراضِ ممَّا لا يُنكَرُ، ولا يَقْدَحُ في نُبوَّتِه، وأمَّا كونُه يُخَيَّلُ إليه أنه فعل الشيءَ ولم يفعلْه، فليسَ في هذا ما يُدْخِلُ عليه داخلةً في شيءٍ من صِدقِه، لقيامِ الدليلِ والإجماعِ على عِصمتِه من هذا، وإنَّما هذا فيما يجوزُ طُرُوُّه عليه في أمر دنياه التى لم يُبعثْ لسببِها، ولا فُضِّلَ مِن أجلها، وهو فيها عُرضةٌ للآفاتِ كسائرِ البَشَرِ، فغيرُ بعيدٍ أنه يُخيَّلَ إليه من أُمورِها ما لا حقيقةَ له، ثم يَنْجَلِي عنه كما كانَ.

والمقصودُ: ذِكرُ هَدْيِه في علاجِ هذا المرضِ، وقد رُوِيَ عنه فيه نوعان:

أحدُهما وهو أبلغُهما: استخراجُه وإبطالُه، كما صحَّ عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سأل ربَّه سبحانَه في ذلك؛ فدُلَّ عليه، فاستَخْرَجه من بئرٍ، فكان في مُشْطٍ ومُشَاطَةٍ، وجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، فلمَّا استَخْرَجَه ذهَب ما به، حتى كأنَّما أُنْشِطَ من عِقالٍ، فهذا من أبلغ ما يُعالَجُ به المَطْبُوبُ، وهذا بمنزلةِ إزالةِ المادةِ الخبيثةِ وقلْعِها مِن الجسدِ بالاستفراغ.

والنوعُ الثاني: الاستفراغُ في المحلِّ الذي يَصِلُ إليه أذى السِّحر، فإنَّ للسِّحرِ تأثيراً في الطبيعةِ، وهَيَجانِ أخلاطِها، وتشويشِ مِزاجِها، فإذا ظهرَ أثرُهُ في عُضوٍ، وأمكنَ استفراغُ المادةِ الرديئةِ من ذلك العضوِ، نَفَع جدًّا.

وقد ذكرَ أبو عُبيدٍ في كتابِ "غريبِ الحديثِ" له بإسنادِه، عن عبد الرحمنِ بنِ أبي لَيْلَى، أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احْتَجمَ على رأسِه بقَرْنٍ حينَ طُبَّ، قال أبو عُبيدٍ: معنى طُبَّ: أي: سُحِرَ.

وقد أشكَلَ هذا على مَن قَلَّ عِلمُه، وقال: ما للحجامةِ والسِّحرِ؟ وما الرابطةُ بينَ هذا الداءِ وهذا الدواءِ؟ ولو وَجد هذا القائلُ "أبقْرَاطَ"، أو "ابنَ سِينا" أو غيرَهما قد نَصَّ على هذا العلاجِ، لَتَلقَّاه بالقبولِ والتسليمِ، وقال: قد نَصَّ عليه مَن لا يُشَكُّ في معرفتِه وفضلِه.

فاعلمْ أنَّ مادةَ السِّحرِ الذي أُصيبَ به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتهت إلى رأسِه إلى إحدى قُواه التي فيه بحيثُ كانَ يُخيَّلُ إليه أنه يفعَلُ الشيءَ ولم يفعلْه، وهذا تصرُّفٌ من الساحرِ في الطبيعةِ والمادةِ الدمويةِ بحيثُ غلبَتْ تلك المادةُ على البطنِ المقدَّمِ منه، فغيَّرتْ مِزاجَه عن طبيعتِه الأصليةِ.

والسِّحر: هو مركَّبٌ من تأثيراتِ الأرواحِ الخبيثةِ، وانفعالِ القُوَى الطبيعيةِ عنها، وهو سحرُ التمريحاتِ، وهو أشدُّ ما يكون من السِّحر، ولا سيَّما في الموضعِ الذي انتهى السِّحرُ إليه، واستعمالُ الحجامةِ على ذلك المكانِ الذي تضررتْ أفعالُه بالسِّحر من أنفعِ المعالجةِ إذا استُعْمِلَتْ على القانونِ الذي ينبغي.

قال "أبقْرَاطُ": الأشياءُ التي يَنبغى أنْ تُستَفْرَغَ يجِبُ أَنْ تُستفرغَ من المواضعِ التى هي إليها أميلُ بالأشياءِ التي تصلُحُ لاستفراغِها.

وقالت طائفةٌ من الناسِ: إنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أُصيب بهذا الداءِ، وكان يُخيَّلُ إليه أنه فعل الشيءَ ولم يفعلْه، ظَنَّ أن ذلك عن مادةٍ دمويةٍ أو غيرِها مالت إلى جهةِ الدماغِ، وغلبَتْ على البطنِ المقدَّمِ منه، فأزالت مِزاجَه عن الحالةِ الطبيعيةِ له، وكان استعمالُ الحجامةِ إذ ذاك مِن أبلغِ الأدويةِ، وأنفعِ المعالجةِ،

فاحتجم، وكان ذلك قبل أن يُوحى إليه أنَّ ذلك من السِّحرِ، فلما جاءه الوحيُ من الله تعالى، وأخبره أنه قد سُحِرَ، عدلَ إلى العلاجِ الحقيقيِّ وهو استخراجُ السِّحر وإبطالُه، فسأل اللهَ سبحانَه، فدلَّه على مكانِه، فاستخرجه، فقام كأنما أُنْشِطَ من عِقالٍ، وكان غايةُ هذا السِّحرِ فيه إنما هو في جسدِه، وظاهِرِ جوارحِه، لا على عقلِه وقلبِه، ولذلك لم يكُنْ يعتَقِدُ صحةَ ما يُخيَّلُ إليه من إتيانِ النساءِ، بل يعلَمُ أنه خيالٌ لا حقيقةَ له، ومثلُ هذا قد يَحدُثُ من بعضِ الأمراضِ.. والله أعلمُ.

فصل: ومن أنفع علاجاتِ السِّحرِ الأدويةُ الإلهيةُ، بل هي أدويتُه النافعةُ بالذاتِ، فإنه من تأثيراتِ الأرواحِ الخبيثةِ السُّفْليةِ، ودفعُ تأثيرِها يكونُ بما يُعارِضُها ويُقاومُها من الأذكارِ، والآياتِ، والدعواتِ التى تُبْطِلُ فعلَها وتأثيرَها، وكلما كانتْ أقوَى وأشدَّ، كانت أبلغَ في النُّشْرةِ، وذلك بمنزلةِ الْتِقَاءِ جيشينِ معَ كلٍّ واحدٍ منهما عُدَّتُه وسلاحُه، فأيُّهما غلَبَ الآخَرَ، قَهَرَهُ، وكان الحكمُ له، فالقلبُ إذا كانَ مُمتلئاً من اللهِ، مغموراً بذِكْرِه، وله من التوجُّهاتِ والدعواتِ والأذكارِ والتعوُّذاتِ وِرْدٌ لا يُخِلُّ به يُطابِقُ فيه قلبُه لسانَه، كان هذا مِن أعظمِ الأسبابِ التى تمنَعُ إصابةَ السِّحرِ له، ومن أعظمِ العلاجاتِ له بعدَما يُصيبُه.

وعندَ السَّحَرَةِ: أنَّ سِحرَهم إنما يَتِمُّ تأثيرُه في القلوبِ الضعيفةِ المنفعِلةِ، والنفوسِ الشهوانيَّةِ التي هى معلَّقةٌ بالسُّفلياتِ، ولهذا فإن غالِبَ ما يؤثِّرُ في النساءِ، والصبيانِ، والجُهَّالِ، وأهلِ البوادي، ومَن ضَعُفَ حظُّه من الدينِ والتوكُّلِ والتوحيدِ، ومَن لا نصيبَ له من الأورادِ الإلهيةِ والدعواتِ والتعوُّذاتِ النبويةِ.

وبالجملةِ فسلطانُ تأثيرِه في القُلوبِ الضعيفةِ المنفعلةِ التي يكونُ مَيلُها إلى السُّفلياتِ.

قالوا: والمسحورُ هو الذي يُعينُ على نفسِه، فإنَّا نجِدُ قلبَه متعلقاً بشيءٍ، كثيرَ الالتفاتِ إليه، فيَتسلَّطُ على قلبه بما فيه مِن الميلِ والالتفاتِ، والأرواحُ الخبيثةُ إنما تَتسلَّطُ على أرواحٍ تلقاها مستعِدَّةً لتسلُّطِها عليها بميلِها إلى ما يناسبُ تلك الأرواحَ الخبيثةَ، وبفراغِها من القوةِ الإلهيةِ، وعدمِ أخذِها للعُدَّةِ التي تُحاربُها بها، فتجدُها فارغةً لا عُدَّةَ معَها، وفيها مَيلٌ إلى ما يُناسبُها؛ فتتسلَّطُ عليها، ويتمكَّنُ تأثيرُها فيها بالسِّحرِ وغيرِه.. واللهُ أعلمُ). [زاد المعاد:٤/١٢٤- ١٢٦]

احتجامه صلى الله عليه وسلم حين سُحِرَ

قالَ أَبو عُبَيْدٍ القَاسِمُ بنُ سلاَّمٍ الهَرَوِيُّ (ت:٢٢٤هـ): (فِي حَدِيثِ النبيِّ عَلَيهِ السَّلامُ أَنَّه احتجَمَ عَلَى رَأسِهِ بقَرْنٍ حِينَ طُبَّ.

القَرْنُ لَيسَ هُو بالمنزلِ الَّذِي يُذْكَرُ، إِنَّمَا هُوَ شَبيهُ المِحْجَمةِ). [غريب الحديث:٢/٤٣]

قالَ مُحمَّدُ بنُ سَعْدِ بنِ مَنِيعٍ الزُّهْرِيُّ (ت:٢٣٠هـ): (أَخبرَنا هِشَامٌ أَبو الوَلِيدِ الطَّيالِسِيُّ، أَخبرَنا أَبو عَوَانَةَ، عَنْ حُصَينٍ، عَن عَبدِ الرَّحمنِ بنِ أَبي لَيْلَى قَالَ: طُبَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَحَجَمَهُ بقَرْنٍ عَلَى ذُؤَابَتَيهِ). [الطبقات الكبرى: ٢/٢٠١]

قلتُ: (رواه الطبرانيُّ في المعجمِ الكبيرِ مسنداً دونَ ذِكْرِ السحرِ، ورجالُه ثِقاتٌ).

ما وقع لبعض الصحابة من السحر

قصة سحر عائشة رضي الله عنها

قالَ مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ بنِ فَرْقَدٍ الشَّيْبَانِيُّ (ت:١٨٩هـ): (أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، أَخْبَرَنَا أبو الرِّجَالِ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الرحمنِ، عن أُمِّهِ عَمْرَةَ بنتِ عبدِ الرَّحمنِ، أَنَّ عائشة زوجَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ كانَتْ أَعتقَتْ جارية لها عَن دُبُرٍ مِنْهَا، ثُمَّ إِنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بَعْدَ ذَلِكَ اشْتَكَتْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَشْتَكِي، ثُمَّ إِنَّهُ دَخلَ عَلَيْهَا رَجُلٌ سِنْدِيٌّ فَقَالَ لَهَا: أَنْتِ مَطْبُوبَةٌ. فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: وَيْلَكَ، مَنْ طَبَّنِي؟

قال: امرأةٌ من نَعْتِها كذا وكذا. فوصفَها، وقال: إِنَّ فِي حَجْرِهَا الآنَ صبيٌّ قَدْ بَالَ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: ادْعُوا لي فُلانَةَ - جارية كانَتْ تَخْدِمُهَا- فوجَدُوها في بيت جيرانٍ لَهم في حَجْرِها صَبيٌّ. قالت: الآنَ حتَّى أَغْسِلَ بولَ هذا الصَّبيِّ. فَغسَلَتْهُ ثُمَّ جاءَتْ، فَقَالَتْ لها عَائِشَةُ: أَسَحَرْتِنِي؟

قَالتْ: نَعَم.

قَالَتْ: لم؟

قَالَتْ: أَحْبَبْتُ العِتْقَ.

قَالَتْ: فَوَاللهِ لا تُعتقِينَ أبدًا.

ثمَّ أَمَرتْ عائشةُ ابنَ أُختِها أنْ يَبيعَها مِنَ الأعرابِ مِمَّن يُسِيءُ ملكَتَها. قَالَتْ: ثُمَّ ابْتعْ لِي بثَمنِهَا رَقَبَةً، ثُمَّ أَعْتِقْهَا.

فقالتْ عَمْرَةُ: فلبِثَتْ عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مَا شَاءَ اللهُ مِنَ الزَّمَانِ، ثُمَّ إِنَّهَا رَأَتْ فِي المَنامِ أَنِ اغْتَسِلِي مِن آبارٍ ثَلاثَةٍ يَمُدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا؛ فَإِنَّكِ تُشْفَيْنَ.

فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ إِسماعيلُ بنُ أبي بكرٍ وعبدُ الرَّحمنِ بنُ سَعْدِ بنِ زُرارَةَ، فَذَكَرَتْ لَهُمْ عَائِشَةُ الذي رأَتْ، فانطَلَقَا إِلَى قَنَاةٍ فوَجَدا آبارًا ثَلاثَةً يَمُدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَاسْتَقَوْا مِن كلِّ بئرٍ مِنْهَا ثَلاثَ شُجُبٍ حَتَّى مَلَؤُوا الشُّجُبَ مِن جَمِيعِهَا، ثُمَّ أَتَوْا بذَلِكَ الماءِ إِلَى عَائِشَةَ فَاغْتَسَلَتْ فِيهِ فَشُفِيَتْ.

قال مُحَمَّدٌ: أَمَّا نَحْنُ فَلا نرى أَنْ يُباعَ المدبَّرُ، وَهُوَ قَولُ زَيدِ بنِ ثابتٍ، وَعبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ، وَبِهِ نَأْخُذُ، وَهُوَ قَوْلُ أَبي حَنِيفَةَ وَالعَامَّةِ مِنْ فُقَهَائِنَا). [الموطأ برواية محمد بن الحسن]

- قُلْتُ: (ورَدَ هَذَا الْخَبَرُ فِي رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ لِلْمُوَطَّإِ، وَرِوَايَةِ أَبِي مُصْعَبٍ الزُّهْرِيِّ، وَخَلَتْ مِنْهُ رِوَايَةُ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى اللَّيْثِيِّ الَّتِي هِيَ أَشْهَرُ نُسَخِ الْمُوَطَّإِ.

وَرَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَأَحْمَدُ وَالدَّارَقُطْنِيُّ وَالْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ، كُلُّهُمْ مِنْ طَرِيقِ أَبِي الرِّجَالِ بِهِ. وَلَمْ يَذْكُرُوا فِيهِ أَنَّ السِّنْدِيَّ دَخَلَ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا ذَهَبَ بَنُو أَخِيهَا إِلَيْهِ، فَسَأَلُوهُ كَمَا يُسْأَلُ الطَّبِيبُ، لِمَا ذُكِرَ أَنَّهُ يَتَطَبَّبُ؛ فَلَمَّا أَخْبَرَ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ لَمْ تُسَارِعْ إِلَى تَصْدِيقِهِ، وَإِنَّمَا تَحَرَّتْ وَسَأَلَتِ الْجَارِيَةَ، فَلَمَّا اعْتَرَفَتِ الْجَارِيَةُ عَاقَبَتْهَا بِمَا عَاقَبَتْهَا بِهِ.

فَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ أَنَّهُ لَوْ بَلَغَ إِنْسَانًا نَحْوُ مَا بَلَغَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَيَنْبَغِي عَلَيْهِ أَلَّا يَتَسَرَّعَ فِي التَّصْدِيقِ،

بَلْ يَسْأَلُ وَيَتَحَرَّى ؛ لِئَلَّا يَأْخُذَ بَرِيئًا بِغَيْرِ ذَنْبٍ.

وَلَيْسَ فِي هَذَا الْخَبَرِ حُجَّةٌ لِمَنْ أَجَازَ الذَّهَابَ إِلَى السَّحَرَةِ وَسُؤَالَهُمْ حَلَّ السِّحْرِ ؛ فَإِنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمْ تَطْلُبْ مِنْهُ حَلَّ السِّحْرِ، وَلَا سَأَلَتْهُ عَنْ مَوْضِعِهِ، وَلَمْ تَسْتَوْصِفْ مِنْهُ دَوَاءً لِمَرَضِهَا، بَلْ بَقِيَتْ شَاكِيَةً إِلَى أَنْ رَأَتْ رُؤْيَا كَانَ فِيهَا إِرْشَادُهَا إِلَى سَبَبِ شِفَائِهَا).

قالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت:٢١١هـ): (عَنِ ابنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ يَحْيَى بنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي الرِّجَالِ، عَنْ عَمْرَةَ قَالَتْ: مَرِضَتْ عَائِشَةُ فَطَالَ مَرَضُهَا ؛ فَذَهَبَ بَنُو أَخِيهَا إِلَى رَجُلٍ فَذَكَرُوا مَرَضَهَا ؛ فَقَالَ: إِنَّكُم لَتُخبرُونِي خَبرَ امْرَأَةٍ مَطْبُوبَةٍ.

قالَ: فَذَهَبُوا يَنْظُرونَ، فَإِذَا جَارِيَةٌ لَهَا سَحَرَتْهَا، وَكَانَتْ قَدْ دَبَّرَتْهَا، فَسَأَلَتْهَا فَقَالت: مَا أَرَدْتِ مِنِّي؟

فَقَالَتْ: أَرَدْتُ أَنْ تَمُوتِي حَتَّى أَعْتِقَ.

قَالَتْ: فَإِنَّ للهِ عَلَيَّ أَنْ تُبَاعِي مِنْ أَشَدِّ العَرَبِ مَلَكَةً. فَبَاعَتْهَا وَأَمَرَتْ بِثَمَنِهَا أَنْ يُجْعَلَ فِي غَيرِهَا). [مصنف عبد الرزاق:١٠/١٨٣]

قالَ أَحْمَدُ بنُ محمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ (ت:٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنِ ابْنِ أَخِي عَمْرَةَ - يَعْنِي هَذَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ - عَنْ عَمْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخِفُّ الرَّكْعَتَيْنِ حَتَّى أَقُولُ: قَرَأَ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ أَمْ لا؟).

- حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنِ ابْنِ أَخِي عَمْرَةَ، وَلا أَدْرِي هَذَا أَوْ غَيْرَه، عَنْ عَمْرَةَ قَالَتْ: اشْتَكَتْ عَائِشَةُ فَطَالَ شَكْوَاهَا، فَقَدِمَ إِنْسَانٌ المَدِينَةَ يَتَطَبَّبُ، فَذَهَبَ بَنُو أَخِيهَا يَسْأَلُونَهُ عَنْ وَجَعِهَا، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّكُمْ تَنْعَتُونَ نَعْتَ امْرَأَةٍ مَطْبُوبَةٍ.

قَالَ: هَذِهِ امْرَأَةٌ مَسْحُورَةٌ سَحَرَتْهَا جَارِيَةٌ لَهَا.

قَالَتْ: نَعَمْ، أَرَدْتُ أَنْ تَمُوتِي فَأُعْتِقَ. قَالَ: وَكَانَتْ مُدَبَّرَةً. قَالَتْ: بِيعُوهَا فِي أَشَدِّ العَرَبِ مَلَكَةً وَاجْعَلُوا ثَمَنَهَا فِي مِثْلِهَا). [مسند الإمام أحمد: ٤٠/١٥٤]

قالَ عَلِيُّ بنُ عُمَرَ بنِ أَحْمَدَ الدَّارَقُطْنِيُّ (ت:٣٨٥هـ): (نا أَبُو مُحَمَّدِ بنُ صَاعِدٍ، نا مُحَمَّدُ بنُ المُثَنَّى، نا عَبْدُ الوَهَّابِ الثَّقفِيُّ، قالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ سَعِيدٍ يَقُولُ: أَخْبَرنِي ابنُ عَمْرَةَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ حَارِثَةَ - وهو أبو الرِّجَالِ - عَنْ عَمْرَةَ، أنَّ عائشةَ أصابَها مَرَضٌ، وأنَّ بعضَ بَنِي أَخيهَا ذكَرُوا شَكْوَاهَا لِرَجُلٍ مِنَ الزُّطِّ يَتَطَبَّبُ، وَأَنَّهُ قَالَ لَهم: (إِنَّكم لَتذكُرونَ امرأةً مَسْحُورَةً سَحَرَتْهَا جَارِيَةٌ لَها، في حَجْرِ الجَارِيَةِ الآنَ صَبِيٌّ قَدْ بالَ فِي حَجْرِهَا). فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِعَائِشَةَ، فقَالَت: ادْعُوا لِي فُلانَةَ. لِجَارِيَةٍ لَهَا، فَقَالُوا: فِي حَجْرِهَا فُلانٌ - صَبِيٌّ لَهُم - قد بَالَ فِي حَجْرِهَا، فَقَالَتْ: ائتُونِي بهَا، فَأُتِيَتْ بهَا، فَقَالَتْ: سَحَرْتِينِي؟

قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَتْ: لِمَهْ؟ قَالَتْ: أَرَدْتُ أَنْ أَعْتِقَ. وَكَانَتْ عَائِشَةُ أَعْتَقَتْهَا عَنْ دُبرٍ مِنْهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ للهِ عَلَيَّ أَنْ لا تَعْتِقِي أَبَدًا، انظُرُوا أَسْوَأَ العَرَبِ مَلَكَةً فَبِيعُوهَا مِنْهُم. واشْتَرَتْ بِثَمَنِهَا جَارِيَةً فَأَعْتَقَتْهَا). [سنن الدارقطني:٤ /١٤٠]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ الحَاكِمُ النَّيْسابُورِيُّ (ت:٤٠٥هـ): (أخبرَنَا أَبو عَبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ يَعقوبَ بنِ يوسُفَ

الحافظُ، حدَّثَنِي أبي، ثنَا قُتيبةُ بنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنا عبدُ الوَهَّابِ بنُ عبدِ المجيدِ، قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بنُ سَعِيدٍ يَقُولُ: أَخْبَرنِي مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ حارِثَةَ، عَن عَمْرَةَ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَصابَها مَرَضٌ، وأنَّ بعضَ بني أَخِيهَا ذَكَروا شَكْوَاها لرجلٍ منَ الزُّطِّ يَتطَبَّبُ، وأنَّه قالَ لَهُمْ: إنَّهُمْ لَيَذْكُرُونَ امْرَأَةً مَسْحُورَةً سَحَرَتْهَا جارِيَةٌ في حَجْرِهَا صَبيٌّ، في حَجْرِ الجارِيَةِ الآنَ صَبِيٌّ قَدْ بَالَ في حَجْرِهَا.

فقالتْ: إِيتوني بهَا. فأُتِيَ بها، فقالتْ عائشةُ: سَحرتِينِي؟

قالتْ: نعمْ. قالت: لِمَ؟

قالَتْ: أَرَدْتُ أَنْ أُعتِقَ. وكَانتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَدْ أَعْتَقَتْهَا عَن دُبُرٍ مِنْهَا، فَقَالَتْ: إنَّ للهِ عليَّ أنْ لا تعتقِينَ أَبَدًا، انظُروا شَرَّ البُيوتِ مَلَكَةً فَبيعُوهَا مِنْهُم، ثُمَّ اشْتَرُوا بثَمَنِهَا رَقَبَةً فأَعْتِقُوها). [المستدرك: ٤/٢٤٤]

قالَ أَحْمَدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ البَيهَقِيُّ (ت:٤٥٨هـ): (أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ الحَارِثِ الفَقِيهُ، قَالا: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ الحَافِظُ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ صَاعِدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي ابْنُ عَمْرَةَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَارِثَةَ، وَهُوَ أَبُو الرِّجَالِ، عَنْ عَمْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَصَابَهَا مَرَضٌ، وَإِنَّ بَعْضَ بَنِي أَخِيهَا ذَكَرُوا شَكْوَاهَا لِرَجُلٍ مِنَ الزُّطِّ يَتَطَبَّبُ، وَإِنَّهُ قَالَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ لَتَذْكُرُونَ امْرَأَةً مَسْحُورَةً سَحَرَتْهَا جَارِيَةٌ لَهَا، فِي حَجْرِ الجَارِيَةِ الآنَ صَبِيٌّ قَدْ بَالَ فِي حَجْرِهَا. فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَتِ: ادْعُوا لِي فُلانَةَ - لِجَارِيَةٍ لَهَا - قَالُوا: فِي حَجْرِهَا فُلانٌ - صَبِيٌّ لَهُمْ - قَدْ بَالَ فِي حَجْرِهَا، فَقَالَتِ: ائْتُونِي بِهَا، فَأُتِيَتْ بِهَا، فَقَالَتْ: سَحَرْتِنِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَتْ: لِمَهْ؟ قَالَتْ: أَرَدْتُ أَنْ أُعْتَقَ. وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَعْتَقَتْهَا عَنْ دُبُرٍ مِنْهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ لِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ لا تُعْتَقِي أَبَدًا، انْظُرُوا أَسْوَأَ العَرَبِ مَلَكَةً فَبِيعُوهَا مِنْهُمْ. وَاشْتَرَتْ بِثَمَنِهَا جَارِيَةً فَأَعْتَقَتْهَا). [السنن الكبرى: ٨/١٣٧]

قصة سحر حفصة رضي الله عنها

قالَ مَالِكُ بنُ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ الأَصْبَحِيُّ (ت:١٧٩هـ): (عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زُرَارَةَ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ حَفْصَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَلَتْ جَارِيَةً لَهَا سَحَرَتْهَا، وَقَدْ كَانَتْ دَبَّرَتْهَا فَأَمَرَتْ بِهَا فَقُتِلَتْ). [الموطأ: ٢/٨٧٢]

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حَدَثَنَا أَبو عَاصِمٍ الصُّورِيُّ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ، ثَنَا سُلَيْمَانُ بنُ عَبدِ الرَّحْمَنِ، ثنا إِسْمَاعِيلُ بنُ عَيَّاشٍ، عَنْ عُبَيدِ اللهِ بنِ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابنِ عُمَرَ، أَنَّ جَارِيَةً لِحَفْصَةَ زَوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ سَحَرَتْهَا، فَاعْتَرَفَتْ بِهِ عَلَى نَفْسِهَا، فَأَمَرَتْ حَفْصَةُ عَبدَ الرَّحْمَنِ بنَ زَيدٍ فَقَتَلَهَا، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيهَا عُثْمَانُ، فَأَتَاهُ عَبْدُ اللهِ فَقَالَ: إِنَّهَا سَحَرَتْهَا وَاعْتَرَفَتْ بِهِ، وَكَانَ عُثْمَانُ أَنْكَرَ عَلَيْهَا مَا فَعَلَتْ دُونَ السُّلْطَانِ). [المعجم الكبير: ٢٣/١٨٧]

قالَ أَحْمَدُ بنُ الحُسَيْنِ بن عَلِيٍّ البَيْهَقِيُّ (ت:٤٥٨هـ): (أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ السُّكَّرِيُّ بِبَغْدَادَ، أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَّارُ، حَدَّثَنَا سَعْدَانُ بْنُ نَصْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سَحَرَتْهَا جَارِيَةٌ لَهَا، فَأَقَرَّتْ بِالسِّحْرِ، وَأَخْرَجَتْهُ، فَقَتَلَتْهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَغَضِبَ، فَأَتَاهُ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: جَارِيَتُهَا سَحَرَتْهَا، أَقَرَّتْ بِالسِّحْرِ وَأَخْرَجَتْهُ. قَالَ: فَكَفَّ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ). [السنن الكبرى:٨/١٣٦]

الحل والنُّشْرَة

معنى النُّشْرَة

قالَ أَبُو سُلَيْمَانَ حَمْدُ بنُ مُحَمَّدٍ الخَطَّابيُّ البُسْتِيُّ (ت:٣٨٨هـ): (النُّشْرَةُ: ضَرْبٌ مِنَ الرُّقْيَةِ وَالعِلاجِ يُعَالَجُ بِهِ مَنْ كَانَ يُظَنُّ بِهِ مَسُّ الجِنِّ. وَقِيلَ: سُمِّيَتْ نُشْرَةً لأَنَّهُ يُنَشَّرُ بِهَا عَنْهُ، أَيْ: يُحَلُّ عَنْهُ مَا خَامَرَهُ مِنَ الدَّاءِ.
وَحَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ الكَرَّانِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بنُ شَبِيبٍ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بنُ يَحْيَى المِنْقَرِيُّ، حَدَّثَنَا الأَصْمَعِيُّ، حَدَّثَنَا الحَكَمُ بنُ عَطِيَّةَ، عَنِ الحَسَنِ قَالَ: النُّشْرَةُ مِنَ السِّحْرِ. قَالَ: وَأَنْشَدَنَا الأَصْمَعِيُّ مِنْ قَولِ جَرِيرٍ:

أَدْعُوكَ دَعْوَةَ مَلْهُوفٍ كَأَنَّ بِهِ ... مَسًّا مِنَ الجِنِّ أَوْ رِيحًا مِنَ النُّشَرِ

). [معالم السنن: ٤/ ٢٢٠]

قالَ أَحْمَدُ بنُ الحُسَيْنِ بن عَلِيٍّ البَيهَقِيُّ (ت:٤٥٨هـ): (بابُ النُّشْرَةِ، قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: النُّشْرَةُ ضَرْبٌ مِنَ الرُّقْيَةِ وَالعِلاجِ، يُعَالَجُ بِهِ مَنْ كَانَ يُظَنُّ مَسَّ الجِنِّ.
وَقِيلَ: سُمِّيَتْ نُشْرَةً لأَنَّهُ يُنَشِّرُهَا عَنْهُ، أَيْ يَحُلُّ عَنْهُ مَا خَامَرَهُ مِنَ الدَّاءِ). [السنن الكبرى:٩/٣٥١]

قالَ ابنُ الأثيرِ المبارَكُ بنُ مُحَمَّدٍ الجَزَرِيُّ (ت:٦٠٦هـ): (**(نشر)** (س) فيه [أنه سُئل عن النُّشْرةِ فقال: هو من عملِ الشيطانِ] النُّشْرة بالضم: ضرْبٌ من الرُّقْيةِ والعِلاجِ يُعالَجُ به مَن كان يُظَنُّ أنَّ به مَسًّا من الجِنِّ، سُميت نُشْرةً لأنه يُنَشَّرُ بها عنه ما خامَره من الداءِ، أي يُكْشَفُ ويُزالُ. وقال الحسنُ: النُّشْرةُ من السِّحرِ.
وقد نَشَّرْتُ عنه تَنشيرًا
ومنه الحديثُ [فلعلَّ طَبًّا أصابَه ثم نَشَّرَه بقُلْ أعوذُ بربِّ الناسِ] أي رَقاهُ
والحديث الآخر [هلا تَنَشَّرْتَ]). [النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٥٤]

قال رُؤْبَةُ بنُ العَجَّاجِ:

كأنّــه إذ راحَ مــسلوسَ الــشَّمَقْ
نُــشِّرَ عنــه أو أســيراً قــد عَتَــقْ
منـــسرحاً إلا ذعاليـــبَ الخِــرَقْ

قلتُ: (النُّشْرةُ تَقعُ على معانٍ يَختلِفُ حُكْمُها باختلافِ المرادِ بها، وهي على أقسامٍ:

القسمُ الأولُ: الرُّقَى التي يُرقى بها المسحورُ والمعيونُ، وهذه حُكْمُها حكمُ الرُّقَى، ما جاز منها فهو جائزٌ، وما كان فيه شِركٌ أو ما لا يُعلمُ معناه فمنهيٌّ عنه.

القسمُ الثاني: التداوي بالأدويةِ المباحةِ المأمونِ ضررُها، فهذا لا بأسَ به.

القسمُ الثالثُ: الجمعُ بينَ الرقيةِ الشرعيةِ والأدويةِ المباحةِ كما في نُشْرَةِ وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ، فهذا جائزٌ أيضاً.

وقد جمعَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ لِمَا لَدَغَتْه العقربُ الرقيةَ والدواءَ، وقد تقدمَ الحديثُ في ذلك في بابِ الرُّقَى.

القسمُ الرابعُ: ما كان يفعلُه بعضُ العربِ من ضروبِ التداوي من السحرِ والعينِ ومسِّ الجنِّ، ولهم في ذلك أخبارٌ مأثورةٌ عنهم، يأتي بيانُ بعضِها في أنواعِ النُّشْرَةِ.

منها: أن بعضَهم كان يجمَعُ أعواداً يابسةً ثم يُلقي عليها فأساً ذا رأسينِ، ثم يُوقدُ فيها حتى إذا حمِيَ الفأسُ بالَ عليه، فيزعُمونَ أنَّ المسحورَ إذا فعَلَ ذلك حلَّ عنه السحرُ.

ومنها: أن بعضَهم يجمَعُ من زَهْرِ البساتينِ والوادي زمنَ الربيعِ، ثم يطرَحُه في ماءٍ ويَغليه ثم يترُكه حتى يفتُرَ ثم يغتسِلُ به.

ومنها: أن يَقرأَ في ماءٍ ثم يترُكُ تحتَ السماءِ مدةً ثم يشرَبُ منه المسحورُ ويغتسلُ منه.

ولهم في ذلك طُرُقٌ كثيرةٌ.

فهذا القسمُ مما وقع فيه الخلافُ بينَ أهلِ العلمِ لاختلافِ طرائقِ تلك النُّشَرِ، فمنها جائزٌ، وهو ما أُمِنَ فيه من الوقوعِ في الشركِ وتناولِ محرَّمٍ.

وكثيرٌ منها من عملِ الشيطانِ مما أثَروه عن بعضِ الكُهَّانِ والسَّحَرَةِ في حلِّ السحرِ، فهذا يُنْهَى عنه، وكذلك يُنهى عن غرائبِ النُّشَرِ التي لا يُدرى ما هي ولا يُعْرَفُ أثرُها.

والآثارُ الواردةُ عن السلفِ في الخلافِ في النُّشرةِ هي في هذا القسمِ، وهو ما كانت تفعلُه العربُ من النُّشَرِ.

القسمُ الخامسُ: حلُّ السحرِ بالسحرِ، فهذا محرمٌ لا شكَّ في تحريمِه، ومَن أفتى بجوازه من متأخري الفقهاءِ من أتباعِ بعضِ المذاهبِ فقد غلِطَ غلطاً فاحشاً، وأساء فهمَ كلامِ السلفِ في هذا البابِ؛ إذ جعَلَ خلافَهم في النشرةِ العربيةِ خلافاً في مسألةِ حلِّ السحرِ بالسحرِ، وأين هذا من ذاك؟!

وما كان اللهُ لِيُصلِحَ عملَ المفسدينَ، ولا ليهديَ كيدَ الخائنينَ، وما كان اللهُ ليُحوجَ أولياءَه إلى أعدائِه.

فإن قلتَ: فقد يحتاجون إلى التداوي عند طبيبٍ كافرٍ.

قلتُ: شتَّانَ بينَ الحالتينِ، فالطبيبُ الكافرُ الذي يُوثَقُ به في صَنعتِه إنما أُبيحَ استطبابُه لِمَا عُرِفَ من عِلْمِه وأمانتِه، وإلا فلو تخلَّفَ أحدُهما لم يَجُزِ التداوي عنده.

وأما الساحرُ فلا أمانةَ له ولا علمَ لديه، سؤالُه سؤالُ كاهنٍ، وسيرتُه سيرةُ شِرِّيرٍ، ومَكْرُه غيرُ مأمونٍ.

فالساحرُ مكَّارٌ شرِّيرٌ، أفَّاكٌ أثيمٌ، عدوٌّ للهِ، عبدٌ للشياطينِ، يخدُمُهم ويتقرَّبُ إليهم ويُسارِعُ فيما يُحبُّونَه من الشرِّ والفسادِ، مقاصدُه شيطانيةٌ خبيثةٌ، ونفسُه شريرةٌ حقودةٌ، أفيُرْجَى من ورائِه خيرٌ؟!

يفرَحُ بما يصيبُ الناسَ من شرٍّ وبلاءٍ وفتنةٍ، ويحزَنُ لما يصيبُهم من الخيرِ والرحمةِ والأُلفةِ.

وقد كتَبَ اللهُ عليه أنه لا يُفلِحُ، ولو كان فيه خيرٌ في حلِّ السحرِ عن المسحورينَ لكانَ في هذا نوعُ فلاحٍ فيه.

وقد قال اللهُ تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢] فالسحرُ لا نفعَ فيه.

وقد حدثني بعضُ مَن ذهَبَ إلى السَّحَرَةِ ليحلُّوا عنه السحرَ أنه ما استفادَ إلا ضياعَ وقتِه وذَهابَ أموالِه في التردُّدِ عليهم وتلبيةِ طلباتِهم، حتى إذا خسِرَ كلَّ شيءٍ عادَ بخيبتِه وحَسَرَاتِه.

وقد سمِعتُ من بعضِ مَن تابَ من السحرةِ عجائبَ في مكرِهم بمَن يأتيهم ليطلُبَ منهم حلَّ السحرِ، وأنهم يضرونهم بأكثرَ مما يرجون نفعَهم.

ومِن مكرِهم أنهم يقولون لمن يأتيهم كذباً وزوراً: سحرك فلانٌ أو فلانةُ، فيقطعون ما أمر اللهُ به أن يوصلَ ويُفسدون في الأرضِ.

فكم من رحِمٍ قُطِعَتْ، ووشائجَ مُزِّقَتْ بسبب كذبِهم وإفكِهم.

ومِن مكرِهم: أنهم يَحتالون جهدَهم لإيقاعِ العبدِ في الشركِ وقطيعةِ الرحِمِ والظلمِ.

ومن مكرِهم: تحيُّلُهم لفعلِ الفواحشِ بمَن يأتيهم من النساءِ، ولهم في ذلك قصصٌ معروفةٌ اعترف بها بعضُهم واستفاضت بها المعرفةُ عن آخرينَ.

ومن مكرِهم: أنهم يَجتهدون في إصابةِ مَن يأتيهم بالوَهْنِ وقطعِ سُبُلِ ما ينفعُه ويُقوِّيه، ومن ذلك إضعافُ ثقتِه بمَن حولَه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، حتى يظَلَّ أسيراً لهم يَغُرُّونه ويُمَنُّونَه حتى ينسلِخَ من دينِه، والعياذُ باللهِ.

وبالجملةِ فمفاسدُ إتيانِهم كثيرةٌ وشرورُهم مستطيرةٌ، وقَى اللهُ المسلمين شرَّهم وردَّ كيدَهم في نحورِهم.

فلا ينبغي أنْ يرتابَ مؤمنٌ في حُرمةِ إتيانِهم لحلِّ السحرِ أو غيرِه، ويكفيك أن تتأمَّلَ مقاصدَ الشريعةِ لتعلمَ أن القولَ بإتيانِهم مناقضٌ لها من جميعِ الوجوهِ.

ولكن مَن عمِيت بصيرتُه واحتار قلبُه وأيسَ من رحمةِ ربِّه طلَبَ الرحمةَ والشفاءَ من عدوِّه، نسأل اللهَ السلامةَ والعافيةَ).

▪ أنواع النشرة

قالَ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت:٢١١هـ): (وقال الشَّعْبِيُّ: لا بأسَ بالنُّشرةِ العربيةِ التي لا تضرُّ إذا وُطِئَتْ.

والنشرةُ العربيةُ: أن يَخرُجَ الانسانُ في موضعِ عِضاهٍ، فيأخُذُه عن يمينِه وشمالِه من كلِّ ثمرٍ، يدُقُّه ويقرأُ فيه ثم يغتسِلُ به.

وفي كُتُبِ وَهْبٍ: أن تُؤخذَ سبعُ ورقاتٍ من سِدْرٍ أخضرَ فيدُقُّه بينَ حجرينِ، ثم يضرِبُه في الماءِ، ويقرأُ فيه آيةَ الكُرسيِّ وذواتِ قُلْ، ثم يحسو منه ثلاثَ حَسَوَاتٍ، ويغتسِلُ به، فإنه يُذْهِبُ عنه كل ما به إن شاء اللهُ، وهو جيدٌ للرجلِ إذا حُبِسَ من أهلِه). [مصنف عبد الرزاق:١١/١٣]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبِي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا عَثَّامُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الأَسْوَدِ، عَنْ عائِشَةَ قَالَتْ: مَنْ أَصَابَهُ نُشْرَةٌ، أَوْ سُمٌّ، أَوْ سِحْرٌ، فَلْيَأْتِ الفُرَاتَ، فَلْيَسْتَقْبِلِ الجِرْيَةَ، فَيَغْتَمِسُ فِيهِ سَبْعَ مَرَّاتٍ). [مصنف ابن أبي شيبة: ٧/٣٨٧]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبِي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا يَزِيدُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ عَوْنٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الأَسْوَدِ؛ أَنَّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ سُئِلَتْ عَنِ النُّشَرِ؟ فَقَالَتْ: مَا تَصْنَعُونَ بِهَذَا؟ هَذَا الفُرَاتُ إِلَى جَانِبِكُمْ، يَسْتَنْقِعُ فِيهِ أَحَدُكُمْ سَبْعًا يَسْتَقْبِلُ الجِرْيَةَ). [مصنف ابن أبي شيبة: ٧/٣٨٦]

قالَ نَصْرُ بنُ مَرْزُوقٍ العُتَقِيُّ المِصْرِيُّ (ت:٢٦٢هـ): (حَدَّثَنَا يَحْيَى بنُ حَسَّانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ دِينَارٍ، عَنْ عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الأَسْوَدِ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النُّشْرَةِ، فَقَالَتْ: (مَا تَصْنَعُونَ بِالنُّشْرَةِ والفُرَاتُ إِلَى جَانِبِكُمْ، يَنْغَمِسُ فِيهِ أَحَدُكُمْ سَبْعَ انْغِمَاسَاتٍ إِلَى جَانِبِ الجِرْيَةِ). [كما في التمهيد لابن عبد البر: ٦/٢٤٥]

قالَ أَحْمَدُ بنُ مَرْوَانَ بنِ مُحَمَّدٍ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٣٣٣هـ): (سَمِعْتُ ابْنَ قُتَيْبَةَ يَقُولُ: ذَكَرُوا امْرَأَةً فِي البَادِيَةِ بِالحِجَازِ أَنَّهَا تَرْقِي بِرُقْيَةٍ عَجِيبَةٍ شَافِيَةٍ، وَكَانَ النَّاسُ يَأْتُونَهَا فَوْجًا فَوْجًا، فَأَتَيْتُهَا، وَإِذَا هِيَ امْرَأَةٌ فَصِيحَةٌ جِدًّا وَبَيْنَ يَدَيْهَا رَجُلٌ تَرْقِيهِ مِنَ العَيْنِ، فَقَالَتْ: أُعِيذُكَ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، الَّتِي لا تَجُوزُ عَلَيْهَا هَامَّةٌ، مِنْ شَرِّ الجِنِّ وَشَرِّ الإِنْسِ عَامَّةً، وَشَرِّ نَظْرَةٍ لامَّةٍ، أُعِيذُكَ بِمُطْلِعِ الشَّمْسِ مِنْ شَرِّ ذِي مَشْيٍ هَمْسٍ، وَشَرِّ ذِي نَظَرٍ خَلْسٍ، وَشَرِّ ذِي قَوْلٍ دَسٍّ، وَشَرِّ الحَاسِدِينَ وَالحَاسِدَاتِ وَالنَّافِسِينَ وَالنَّافِسَاتِ وَالكَائِدِينَ وَالكَائِدَاتِ، نَشَّرْتُ عَنْكَ بِنُشْرَةِ نَشَّارٍ؛ عَنْ رَأْسِكَ ذِي الأَشْعَارِ، وَعَنْ عَيْنَيْكَ ذَوَاتِ الأَشْفَارِ، وَعَنْ فِيكَ ذِي المَحَارِ، وَظَهْرِكَ ذِي الفَقَارِ، وَبَطْنِكَ ذِي الأَسْرَارِ، وَفَرْجِكَ ذِي الأَسْتَارِ، وَيَدَيْكَ ذَوَاتِ الأَظْفَارِ، وَرِجْلَيْكَ ذَوَاتِ الآثَارِ، وَذَيْلِكَ ذِي الغُبَارِ، وَكَانَ اللهُ لَكَ جَارٌ.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ القُتَبِيُّ: المَشْيُ الهَمْسُ: الوَطْءُ الخَفِيُّ، وَالصَّوْتُ الخَفِيُّ أَيْضًا. وَالنَّظَرُ الخَلْسُ: هُوَ الَّذِي يُخْتَلَسُ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ. وَالقَوْلُ الدَّسُّ: هُوَ الَّذِي يُدَسُّ وَيُحْتَالُ فِيهِ حَتَّى يَدْفَعَ القَبِيحَ. وَالنَّافِسُونَ وَالنَّافِسَاتُ: هُمُ العَائِنُونَ. وَالمَحَارُ: هُوَ جَمْعُ مَحَارَةٍ، الحَنَكُ [الأَعْلَى]. وَالفَقَارُ: خَرَزُ الظَّهْرِ، وَاحِدَتُهَا فَقَارَةٌ. وَبَطْنُكَ ذِي الأَسْرَارِ؛ يَعْنِي: التَّكَسُّرَ فِي البَطْنِ، وَأَسْرَارُ الجَبْهَةِ: الخُطُوطُ أَيْضًا، وَكَذَلِكَ أَسْرَارُ الرَّاحَةِ). [المجالسة:٣/٩١-٩٢]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عَلِيٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (وَقَدْ أَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ مِنْ طَرِيقِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: (لا بَأْسَ بِالنُّشْرَةِ العَرَبِيَّةِ الَّتِي إِذَا وُطِئَتْ لا تَضُرُّهُ، وَهِيَ أَنْ يَخْرُجَ الإِنْسَانُ فِي مَوْضِعِ عِضَاهٍ فَيَأْخُذَ عَنْ يَمِينِه وَعَنْ شِمَالِه مِنْ كُلٍّ ثُمَّ يَدُقُّهُ وَيَقْرَأَ فِيهِ ثُمَّ يَغْتَسِلَ بِهِ.

وَذَكَرَ ابْنُ بَطَّالٍ أَنَّ فِي كُتُبِ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنْ يَأْخُذَ سَبْعَ وَرَقَاتٍ مِنْ سِدْرٍ أَخْضَرَ فَيَدُقُّهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ، ثُمَّ يَضْرِبُهُ بِالْمَاءِ وَيَقْرَأُ فِيهِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَالْقَوَاقِلَ، ثُمَّ يَحْسُو مِنْهُ ثَلَاثَ حَسَوَاتٍ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ بِهِ، فَإِنَّهُ يُذْهِبُ عَنْهُ كُلَّ مَا بِهِ، وَهُوَ جَيِّدٌ لِلرَّجُلِ إِذَا حُبِسَ عَنْ أَهْلِهِ.

وَمِمَّنْ صَرَّحَ بِجَوَازِ النُّشْرَةِ الْمُزَنِيُّ صَاحِبُ الشَّافِعِيِّ وَأَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ وَغَيْرُهُمَا، ثُمَّ وَقَفْتُ عَلَى صِفَةِ النُّشْرَةِ فِي كِتَابِ الطِّبِّ النَّبَوِيِّ لِجَعْفَرٍ الْمُسْتَغْفِرِيِّ. قَالَ: وَجَدْتُ فِي خَطِّ نَصُوحِ بْنِ وَاصِلٍ عَلَى ظَهْرِ جُزْءٍ مِنْ تَفْسِيرِ قُتَيْبَةَ بْنِ أَحْمَدَ الْبُخَارِيِّ، قَالَ: قَالَ قَتَادَةُ لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ أُخِذَ عَنِ امْرَأَتِهِ، أَيَحِلُّ لَهُ أَنْ يُنَشَّرَ؟ قَالَ: لَا بَأْسَ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ بِهِ الإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ.

قَالَ نَصُوحٌ: فَسَأَلَنِي حَمَّادُ بْنُ شَاكِرٍ: مَا الْحَلُّ وَمَا النُّشْرَةُ؟ فَلَمْ أَعْرِفْهُمَا.

فَقَالَ: هُوَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى مُجَامَعَةِ أَهْلِهِ وَأَطَاقَ مَا سِوَاهَا، فَإِنَّ الْمُبْتَلَى بِذَلِكَ يَأْخُذُ حُزْمَةَ قُضْبَانٍ وَفَأْسًا ذَا قِطَارَيْنِ وَيَضَعُهُ فِي وَسَطِ تِلْكَ الْحُزْمَةِ، ثُمَّ يُؤَجِّجُ نَارًا فِي تِلْكَ الْحُزْمَةِ حَتَّى إِذَا مَا حَمِيَ الْفَأْسُ اسْتَخْرَجَهُ مِنَ النَّارِ وَبَالَ عَلَى حَرِّهِ فَإِنَّهُ يَبْرَأُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَأَمَّا النُّشْرَةُ فَإِنَّهُ يَجْمَعُ أَيَّامَ الرَّبِيعِ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ مِنْ وَرْدِ الْمَفَازَةِ وَوَرْدِ الْبَسَاتِينِ، ثُمَّ يُلْقِيهَا فِي إِنَاءٍ نَظِيفٍ وَيَجْعَلُ فِيهِمَا مَاءً عَذْبًا، ثُمَّ يَغْلِي ذَلِكَ الْوَرْدَ فِي الْمَاءِ غَلْيًا يَسِيرًا، ثُمَّ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا فَتَرَ الْمَاءُ أَفَاضَهُ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ يَبْرَأُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

قَالَ حَاشِدٌ: تَعَلَّمْتُ هَاتَيْنِ الْفَائِدَتَيْنِ بِالشَّامِ.

قُلْتُ: وَحَاشِدٌ هَذَا مِنْ رُوَاةِ الصَّحِيحِ عَنِ الْبُخَارِيِّ، وَقَدْ أَغْفَلَ الْمُسْتَغْفِرِيُّ أَنَّ أَثَرَ قَتَادَةَ هَذَا عَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، وَأَنَّهُ وَصَلَهُ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ، وَلَوِ اطَّلَعَ عَلَى ذَلِكَ مَا اكْتَفَى بِعَزْوِهِ إِلَى تَفْسِيرِ قُتَيْبَةَ بْنِ أَحْمَدَ بِغَيْرِ إِسْنَادٍ، وَأَغْفَلَ أَيْضًا أَثَرَ الشَّعْبِيِّ فِي صِفَتِهِ وَهُوَ أَعْلَى مَا اتَّصَلَ بِنَا مِنْ ذَلِكَ). [فتح الباري: ١٠/٢٤٤- ٢٤٥]

■ حديث جابر بن عبد الله مرفوعاً وموقوفاً

قَالَ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت:٢١١هـ): (أَخْبَرَنَا عَقِيلُ بنُ مَعْقِلٍ، عَنْ هَمَّامِ بنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: سُئِلَ جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ عَنِ النَّشرِ، فَقَالَ: مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ). [مصنف عبد الرزاق:١١/١٣]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ محمَّدِ بنِ حنبلٍ الشَّيبانِيُّ (ت:٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا عَقِيلُ بْنُ مَعْقِلٍ، سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ يُحَدِّثُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النُّشْرَةِ فَقَالَ: «مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»). [مسند الإمام أحمد: ٢٢/٤٠]

قَالَ أَبُو دَاودَ سُلَيمانُ بنُ الأَشْعَثِ السِّجِسْتانِيُّ (ت:٢٧٥هـ): (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا عَقِيلُ بْنُ مَعْقِلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ يُحَدِّثُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النُّشْرَةِ فَقَالَ: «هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»). [سنن أبي داوود: برقم ٣٨٦٨]

قالَ أَبُو حاتَمٍ مُحَمَّدُ بنُ حِبَّانَ بنِ أحمدَ البُسْتِيُّ (ت: ٣٥٤هـ): (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ إِسْحَاقَ الثَّقفيُّ، ثَنَا شَعْثَمُ بنُ أُصَيْلٍ البِيورْدِيُّ، ثَنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، ثَنَا عَقِيلُ بْنُ مَعْقِلٍ، قالَ: سَمِعْتُ وَهْبَ بنَ مُنَبِّهٍ، عَن جابرِ بنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِي النُّشْرَةِ قَالَ: «عَمَلُ الشَّيطَانِ»). [الثقات: ٨/٣١٥]

قالَ أَحْمَدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ البَيْهَقِيُّ (ت:٤٥٨هـ): (أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الرُّوذْبَارِيُّ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا عَقِيلُ بْنُ مَعْقِلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ يُحَدِّثُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ عَنِ النُّشْرَةِ فَقَالَ: «هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ».

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ مُرْسَلاً، وَهُوَ مَعَ إِرْسَالِهِ أَصَحُّ، وَالقَوْلُ فِيمَا يُكْرَهُ مِنَ النُّشْرَةِ وَفِيمَا لا يُكْرَهُ كَالقَوْلِ فِي الرُّقْيَةِ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ). [السنن الكبرى: ٩/٣٥١]

قالَ أَحْمَدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ البَيهَقِيُّ (ت:٤٥٨هـ): (وَرُوِيَ عن جَابرٍ مرفوعًا أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ فَقَالَ: «هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ».

والنُّشْرَةُ ضَرْبٌ مِنَ الرُّقْيَةِ وَالعِلاجِ يُعَالَجُ بِهِ مَنْ كَانَ يُظَنُّ بِهِ مَسٌّ مِنَ الجِنِّ، وَكُلُّ ذَلِكَ إِذَا كَانَتِ الرُّقْيَةُ بغيرِ كِتَابِ اللهِ وَذِكْرِهِ، فَإِذَا كَانَتْ بما يَجُوزُ فَلا بَأْسَ بِهَا عَلَى وَجْهِ التَّبَرُّكِ بذِكْرِ اللهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ). [السنن الصغرى:]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عَلِيٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (وَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ فِي المَرَاسِيلِ عَنِ الحَسَنِ رَفَعَهُ: «النُّشْرَةُ مِنْ عَمَلِ الشَّيطَانِ»، وَوَصَلَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ جَابِرٍ). [فتح الباري:]

قالَ مُحَمَّد ناصِرِ الدِّينِ الأَلْبَانِيُّ (ت:١٤٢٠هـ): (أخرجه أحمدُ في المسندِ (٣/٢٩٤) وعنه أبو داودَ في السننِ (٣٨٦٨) ومن طريقِه البيهقيُّ (٩/٣٥١): حدثنا عبدُ الرزاقِ، حدثنا عقيلُ بنُ معقلٍ، قال: سمعتُ وهبَ بنَ مُنَبِّهٍ يُحَدِّثُ عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ، قال: سُئِلَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم عن النُّشْرَةِ، فقال: «هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ».

قلتُ: وهذا إسنادٌ صحيحٌ، رجالُه ثقاتُ رجالِ الشيخينِ غيرَ عَقيلِ بنِ مَعْقِلٍ، وهو ابنُ مُنَبِّهٍ اليَمَانِي، وهو ثقةٌ اتفاقًا، فقولُ الحافظِ فيه: (صدوقٌ)، وبناءً عليه اقتصر في الفتحِ (١٠/٢٣٣) على تحسينِ إسنادِه في هذا الحديثِ، فهو تقصيرٌ لا وجهَ له عندي، ومن المحتمَلِ أن يكونَ تأثرَ الحافظُ بأمرينِ:

الأولُ: أن الحديثَ في مصنفِ عبدِ الرزاقِ (١١/١٣/١٩٧٦٢) موقوفٌ هكذا: أخبرنا عقيلُ بنُ معقلٍ عن همامِ (كذا) بنِ مُنَبِّهٍ، قال: سئلَ جابرُ بنُ عبدِ اللهِ عن النَّشْرِ، فقال: من عملِ الشيطانِ.

قلت: كذا وقعَ فيه موقوفًا، وقال: (همامُ بنُ منبهٍ) مكانَ (وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ)، وهما أخوانِ، روى عنهما عَقيلٌ، وأنا أظُنُّ أن هذا خطأٌ كالوقفِ، وأظنُّ أنه من الراوي عن عبدِ الرزاقِ، وهو أبو يعقوبَ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ عبادٍ الدَّبَرِيُّ الراوي لِقِسْمٍ كبيرٍ من (كتابِ الجامعِ) من المُصَنَّفِ (انظر (١٠/٣٧٩) من المصنفِ) وهو متكلَّمٌ فيه، فلا يؤثرُ مثلُه أبدًا في روايةِ أحمدَ عن عبدِ الرزاقِ مرفوعًا.

والآخرُ: أن البيهقيَّ غمز من صحتِه فقال عقِبَه: (ورُوي عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم مرسلاً، وهو أصحُّ)، يشيرُ إلى ما أخرجه ابنُ أبي شيبةَ في المصنفِ (٣٥٦٧/٢٩/٨) والبزارُ (٣/٣٩٣- ٣٩٤) من طريقِ شُعبةَ، عن أبي رجاءٍ قال: سألتُ الحسنَ عن النَّشْرِ، فذكر لي عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم، قال: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ».

قلت: وهذا مرسلٌ صحيحُ الإسنادِ، وقد رواه أبو داودَ في المراسيلِ، وإليه عزاه الحافظُ، ولعله رواه من طريقِ ابنِ أبي شيبةَ، فإن المراسيلَ المطبوعةَ محذوفةُ الأسانيدِ، وقد جاء فيها قولُ أبي داودَ عقِبَ الحديثِ (ص ٤٨): (أسند ولا يصحُّ) ولستُ أدري واللهِ وَجْهَ هذا النفي، وقد قدمناه بروايةِ شيخِه الإمامِ أحمدَ بإسنادِه الصحيح، وهو عنه؟ [1].

ثم روَى ابنُ أبي شيبةَ والخَطَّابيُّ في معالِمِ السننِ (٣٥٣/٥) من طريقٍ أخرى عن الحسنِ، قال: (النُّشرةُ من السحرِ) وإسنادُه حسنٌ.

والنُّشْرَةُ: الرقيةُ.

قال الخَطَّابِيُّ: (النشرةُ: ضربٌ من الرقيةِ والعلاجِ يُعالَجُ به من كان يُظَنُّ به مسُّ الجنِّ).

قلت: يعني الرقى غيرَ المشروعةِ، وهي ما ليسَ من القرآنِ والسنةِ الصحيحةِ، وهي التي جاء إطلاقُ لفظِ الشركِ عليها في غيرِ ما حديثٍ، وقد تقدمَ بعضُها، فانْظُرْ مثلاً: (٣٣١ و١٠٦٦)، وقد يكونُ الشركُ مُضْمَرًا في بعضِ الكلماتِ المجهولةِ المعنى، أو مرموزًا له بأحرفٍ مقطعةٍ، كما يُرى في بعضِ الحُجُبِ الصادرةِ من بعضِ الدجاجلةِ.

وعلى الرُّقَى المشروعةِ يُحْمَلُ ما علَّقَه البخاريُّ عن قتادةَ، قال: قلت لسعيدِ بنِ المسيَّبِ: رجلٌ به طِبٌّ (أي سِحرٌ) أو يُؤَخَّذُ عن امرأتِه، أيُحَلُّ عنه أو يُنَشَّرُ؟ قال: لا بأسَ به، إنما يريدون به الإصلاحَ، فأما ما ينفَعُ فلم يُنْهَ عنه. ووصَلَه الحافظُ في الفتحِ (٢٣٣/١٠) من روايةِ الأثرمِ وغيرِه من طُرُقٍ عن قتادةَ عنه.

وروايةُ قتادةَ أخرجها ابنُ أبي شيبةَ (٢٨/٨) بسندٍ صحيحٍ عنه مختصرًا.

هذا ولا خلافَ عندي بينَ الأثرينِ؛ فأثرُ الحسنِ يُحمَلُ على الاستعانةِ بالجنِّ والشياطينِ والوسائلِ المرضيةِ لهم كالذبحِ لهم ونحوِه، وهو المرادُ بالحديثِ، وأثرُ سعيدٍ على الاستعانةِ بالرقى والتعاويذِ المشروعةِ بالكتابِ والسنَّةِ. وإلى هذا مالَ البيهقيُّ في السُّنَنِ، وهو المرادُ بما ذكره الحافظُ عن الإمامِ أحمدَ أنه سُئِلَ عمَّن يُطْلِقُ السحرَ عن المسحورِ؟

فقال: (لا بأسَ به).

وأما قولُ الحافظِ: (ويختلفُ الحكمُ بالقصدِ، فمَن قصَدَ بها خيرًا، وإلا فهو شرٌّ).

---

(١) قال الألباني: (ثم طبعت المراسيل بأسانيدها، فإذا هو فيه (٣١٩ / ٤٥٣) من طريق أخرى عن شعبة به، وليس فيه ما استشكلته من قوله: (أسند ولا يصح)؛ فالظاهر أنه كان حاشية من بعضهم طبع خطأً في الصلب كما هو خطأ في العلم).

قلت: هذا لا يكفي في التفريقِ؛ لأنه قد يَجتمعُ قصدُ الخيرِ مع كونِ الوسيلةِ إليه شرًّا، كما قيل في المرأةِ الفاجرةِ: ليتها لم تزنِ ولم تتصدقْ.

ومن هذا القَبيلِ معالجةُ بعضِ المتظاهرينَ بالصلاحِ للناسِ بما يُسَمُّونَه بـ(الطبِّ الرُّوحانيِّ)، سواءً كان ذلك على الطريقةِ القديمةِ من اتصالِه بقرينةٍ من الجنِّ، كما كانوا عليه في الجاهليةِ، أو بطريقةِ ما يُسمَّى اليومَ باستحضارِ الأرواحِ، ونحوُه عندي التنويمُ المغناطيسيُّ، فإن ذلك كلَّه من الوسائلِ التي لا تُشرَعُ؛ لأن مرجعَها إلى الاستعانةِ بالجنِّ التي كانت من أسبابِ ضلالِ المشركينَ؛ كما جاء في القرآنِ الكريمِ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦] أي خوفًا وإثمًا.

وادعاءُ بعضِ المُبْتَلَيْنِ بالاستعانةِ بهم أنهم إنما يستعينون بالصالحينَ منهم دعوى كاذبةٌ؛ لأنهم مما لا يمكنُ - عادةً - مخالطتُهم ومعاشرتُهم التي تكشفُ عن صلاحِهم أو طلاحِهم، ونحن نعلمُ بالتجربةِ أن كثيرًا ممن تصاحبُهم أشدَّ المصاحبةِ من الإنسِ يتبينُ لك أنهم لا يصلحون، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] هذا في الإنسِ الظاهرِ، فما بالك بالجنِّ الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]). [السلسلة الصحيحة: ٦/٦١١]

■ حديث أنس بن مالك

قال مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ الحاكِمُ النَّيسابُورِيُّ (ت: ٤٠٥هـ): (حَدَّثَنِي أَبو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ بَالُويَهْ، ثَنَا مُحَمَّدُ بنُ غَالِبٍ، ثَنَا أَبُو مُسْلِمِ بنُ أَبِي شُعَيبٍ الحرَّانيُّ، ثَنَا مِسْكِينُ بنُ بُكَيْرٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ، عَنِ الحَسَنِ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بنَ مَالِكٍ عَنِ النُّشْرَةِ فَقَالَ: ذَكَروا عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ). هَذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَأَبو رَجَاءٍ هُوَ مَطَرٌ الوَرَّاقُ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ). [المستدرك:]

قال أَحْمَدُ بنُ عَمْرِو بنِ عَبْدِ الخَالِقِ البَزَّارُ (ت:٢٩٢هـ): (حَدَّثنا الحسَنُ بنُ أَحْمَدَ بنِ أَبي شُعَيبٍ الحرَّانِيُّ، حَدَّثنا مِسْكِينُ بنُ بُكَيرٍ، حَدَّثنا شُعْبَةُ، عَن أَبي رَجَاءٍ، عَن الحسَنِ قالَ: سُئِلَ أَنسٌ عَنِ النُّشْرَةِ فقالَ: ذُكِرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْهَا قالَ: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»). [مسند البزار: ٢/٣٠٥]

قال ابنُ أَبي حَاتمٍ عبدُ الرَّحمنِ بنُ مُحمَّدٍ الرَّازيُّ (ت:٣٢٧هـ): (وَسَأَلْتُ أَبِي عَنْ حَدِيثٍ رَوَاهُ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي شُعَيْبٍ الحَرَّانِيُّ عَنْ مِسْكِينِ بْنِ بُكَيْرٍ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ أَبِي رَجَاءٍ عَنِ الحَسَنِ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسًا عَنِ النُّشْرَةِ، فَقَالَ: ذَكَرُوا عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ.

فَقَالَ أَبِي: هَذَا خَطَأٌ، إِنَّمَا هُوَ أَبُو رَجَاءٍ، قَالَ: سَأَلْتُ الحَسَنَ عَنِ النُّشْرَةِ فَقَالَ: ذَكَرُوا عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ... فَهَذَا مِنْ كَلامِ الحَسَنِ وَقِيلِهِ). [علل الحديث:]

قال أَبو نُعَيْمٍ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ اللهِ الأَصْبَهَانِيُّ (ت:٤٣٠هـ): (حَدَّثَنَا أَبو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ المُقرِئُ، ثَنا الحسَينُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عُبَيدٍ العِجْلِيُّ، ثَنَا الحسَنُ بنُ أَحْمَدَ بنِ أَبي شُعَيبٍ، ثَنَا مِسْكِينُ بنُ بُكَيرٍ، ثَنَا شُعْبَةُ، عَن

أَبي رَجَاءٍ، عَنِ الحَسَنِ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بنَ مَالِكٍ عَنِ النُّشْرَةِ فَقَالَ: ذَكَرُوا عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ). أَبُو رَجَاءٍ اسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ، بَصْرِيٌّ، تَفَرَّدَ مِسْكِينُ بْنُ بُكَيرٍ بِرَفْعِهِ عَنْ شُعْبَةَ، وَرَوَاهُ غُنْدَرٌ وَغَيْرُهُ عَنْ شُعْبَةَ مُرْسَلاً). [حلية الأولياء: ٧/ ١٦٥]

■ مرسل الحسن البصري

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ وَأَبُو أُسَامَةَ عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبي رَجَاءٍ، قَالَ: سَأَلْتُ الحَسَنَ عَنِ النَّشْرِ؟ فَذَكَرَ لِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ). [مصنف ابن أبي شيبة: ٧/ ٣٨٧]

قالَ أَبُو دَاودَ سُلَيمانُ بنُ الأَشْعَثِ السِّجِسْتَانِيُّ (ت:٢٧٥هـ): (حدَّثنا عَلِيُّ بنُ الجَعْدِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَن أَبي رَجَاءٍ قالَ: سَأَلْتُ الحسَنَ عَنِ النُّشْرَةِ فَقَالَ: ذُكِرَ لِي عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّهَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»). [المراسيل:]

■ أثر الحسن البصري

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ، عَنِ الحَكَمِ بْنِ عَطِيَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ الحَسَنَ وَسُئِلَ عَنِ النَّشْرِ؛ فَقَالَ: سِحْرٌ). [مصنف ابن أبي شيبة:٧/ ٣٨٧]

■ أثر سعيد بن المسيب

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ شُعْبَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا قَتَادَةُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ سَأَلْتُهُ عَنِ النُّشْرَةِ فَأَمَرَنِي بِهَا، قُلْتُ: أَرْوِيهَا عَنْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ). [مصنف ابن أبي شيبة:٧/ ٣٨٦]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ هِشَامٍ، عَنْ قَتَادَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: رَجُلٌ طُبَّ بِسِحْرٍ، يُحَلَّ عَنْهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ). [مصنف ابن أبي شيبة:٧/ ٣٩٠]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيُّ (ت:٢٥٦هـ): (بَابٌ: هَلْ يَسْتَخْرِجُ السِّحْرَ؟

وَقَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ أَوْ يُؤَخَّذُ عَنِ امْرَأَتِهِ أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنَشَّرُ؟

قَالَ: لا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الإِصْلاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ). [صحيح البخاري:]

- **قالَ أحمدُ بنُ عَلِيٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت: ٨٥٢هـ):** (قَوْلُهُ: (يُؤَخَّذُ) بِفَتْحِ الهَمْزَةِ، وَقَدْ تُسَهَّلُ، وَتَشْدِيدِ الخَاءِ. (عَنِ امْرَأَتِهِ) أَيْ يُحْبَسُ عَن جِماعِهَا، مِنَ الأُخْذَةِ بِضَمِّ الهَمْزَةِ، وَهِيَ رُقْيَةُ السَّاحِرِ، وَأَصْلُهُ مِنَ الرَّبْطِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلأَسِيرِ أَخِيذٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: فَلَمَّا أُخِذَ. أَيْ صُرِعَ). [فتح الباري:١٠/ ٧٦]

قالَ يُوسُفُ بنُ عَبدِ اللهِ ابنُ عَبْدِ البَرِّ النَّمَرِيُّ (ت:٤٦٣هـ): (قالَ الأثرمُ: حدَّثنَا حَفْصُ بنُ عمرَ النَّمَرِيُّ، قالَ: حدَّثنا هِشَامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَن سَعيدِ بنِ المسَيَّبِ، في الرَّجُلِ يُؤَخَّذُ عَنِ امْرَأَتِهِ فيلْتَمِسُ مَن يُداوِيهِ، قَالَ: (إِنَّما نَهى اللهُ عَمَّا يَضرُّ ولَم يَنْهَ عَمَّا يَنْفعُ).

قوله: (يُؤَخَّذُ عَنِ امْرَأَتِهِ) أي النِّساءِ، قالَ: والأُخْذَةُ: رُقْيَةٌ تأْخُذُ العَيْنَ). [التمهيد: ٦/٢٤٤]

- **قالَ أَحْمَدُ بنُ عَلِيٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ):** (قَوْلُهُ: **(بَابٌ هَل يَسْتَخرِجُ السحرَ؟ وَقَالَ قَتَادَةُ: قلتُ لسَعِيدِ بنِ المسيَّبِ: رجلٌ بِهِ طِبٌّ أو يُؤَخَّذُ عَن امْرَأَتِه، أَيُحَلُّ عنهُ أو يُنَشَّرُ؟ قَالَ: لا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ الإِصْلاحَ، فَأَما مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَلم يُنْهَ عَنهُ)**

قَالَ أَبو جَعْفَرِ بنُ جريرٍ فِي تَهْذِيبِ الآثَارِ لَهُ: ثَنَا حُميدُ بنُ مَسْعدَةَ، ثَنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ، ثَنَا سعيدٌ، عَن قَتَادَةَ، عَن سعيدِ بنِ المسيَّبِ، أنه كَانَ لا يرَى بَأْسًا إذا كَانَ الرجلُ بِهِ سِحرٌ أَنْ يَمْشِيَ إِلَى مَن يُطْلِقُ ذَلِك عَنهُ. قَالَ: هُوَ صَلاحٌ. قَالَ: وكَانَ الحسنُ يكْرَهُ ذَلِك، ويَقُولُ: لا يَعلَمُ ذَلِك إلا سَاحرٌ. قَالَ: فَقَالَ سعيدُ بنُ المسيَّبِ: لا بَأْسَ بالنُّشْرَةِ، إِنَّمَا نُهِيَ عَمَّا يَضرُّ ولم يُنْهَ عَمَّا ينفعُ. إِسْنَادُه صَحِيحٌ.

قَالَ أَبو عمرَ ابنُ عبدِ البَرِّ فِي التَّمْهِيدِ: ثَنَا عبدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ المُؤمنِ، ثَنَا عبدُ الحميدِ بنُ أَحْمدَ الوَرَّاقُ، ثَنَا الخَضِرُ بنُ دَاوُدَ، ثَنَا أَبو بكرٍ الأَثْرَمُ، ثَنَا حَفْصُ بْنُ عمرَ المُقرئُ، ثَنَا هِشَامٌ، عَن قَتَادَةَ، عَن سعيدِ بنِ المسيَّبِ، فِي الرجلِ يُؤَخَّذُ عَنِ امْرَأَتِه فيَلْتَمِسُ مَن يُدَاوِيهِ.

قَالَ: إِنَّمَا نهى اللهُ عَمَّا يَضرُّ ولم يَنْهَ عَمَّا يَنفعُ.

هَكَذَا ذكَرَه الأَثْرَمُ فِي السُّنَنِ، وإِسْنَادُه صَحِيحٌ أَيْضًا.

وَقَالَ أَيْضًا: ثَنَا مُوسَى بنُ إِسْمَاعِيلَ، ثَنَا أبانٌ، عَن قَتَادَةَ، عَن سعيدِ بنِ المسيَّبِ فِي الرجلِ يُؤَخَّذُ عَنِ امْرَأَتِه فيُنَشَّرُ عَنهُ، قَالَ: لا بَأْسَ، إِنَّمَا تُرِيدُونَ بذلك الإِصْلاحَ.

وَقَالَ سعيدُ بنُ مَنْصُورٍ: ثَنَا أَبو عوَانَةَ، عَن قَتَادَةَ: سَأَلْتُ سعيدَ بنَ المسيَّبِ عَنِ النُّشْرَةِ فلم يَرَ بهَا بَأْسًا.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الحَرْبِيُّ فِي غرِيبِه: ثَنَا مُوسَى، ثَنَا هِشَامٌ، عَن قَتَادَةَ، عَن سعيدٍ، قلتُ: رجلٌ طُبَّ، أَيُحَلُّ عَنهُ؟ قَالَ: إِنِ استَطَعْتَ أَن تَنْفَعَ أَخَاكَ فافْعَلْ). [تغليق التعليق: ٥/٤٨- ٤٩]

- **قالَ أَحْمَدُ بنُ عَلِيٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ):** (قَوْلُه: (بَابٌ: هَلْ يَسْتَخْرِجُ السِّحْرَ)؟ كَذَا أَوْرَدَ التَّرْجَمَةَ بالاسْتِفْهَامِ؛ إِشَارَةً إِلَى الاخْتِلافِ، وَصَدَّرَ بِمَا نَقَلَهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ مِنَ الجَوَازِ إِشَارَةً إِلَى تَرْجِيحِه.

قَوْلُه: (وَقَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ. إلخ)

وَصلَهُ أَبو بَكْرٍ الأَثْرَمُ فِي كِتَابِ السُّنَنِ مِنْ طَرِيقِ أَبَانِ العَطَّارِ عَنْ قَتَادَةَ، وَمِثْلُه مِنْ طَرِيقِ هِشَامٍ الدَّسْتُوائِيِّ عَنْ قَتَادَةَ بِلَفْظِ: (يَلْتَمِسُ مَنْ يُدَاوِيهِ. فَقَالَ: إِنَّمَا نَهَى اللَّهُ عَمَّا يَضُرُّ وَلَمْ يَنْهَ عَمَّا يَنْفَعُ) وَأَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي التَّهْذِيبِ مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بْنِ زُرَيْعٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ، أَنَّهُ كَانَ لا يَرَى بَأْسًا إِذَا كَانَ بِالرَّجُلِ سِحْرٌ أَنْ يَمْشِيَ إِلَى مَنْ يُطْلِقُ عَنْهُ، فَقَالَ: هُوَ صَلاحٌ. قَالَ قَتَادَةُ: وَكَانَ الحَسَنُ يَكْرَهُ ذَلِكَ، يَقُولُ: لا يَعْلَمُ ذَلِكَ إِلا سَاحِرٌ.

قَالَ: فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: إِنَّمَا نَهَى اللَّهُ عَمَّا يَضُرُّ وَلَمْ يَنْهَ عَمَّا يَنْفَعُ). [فتح الباري: ١٠/٢٤٤]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عَلِيٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (قَوْلُه: (بِهِ طِبٌّ) بِكَسْرِ الطَّاءِ أَيْ سِحْرٌ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَوْجِيهُه.

قَوْلُه: (أَوْ يُؤَخَّذ) بِفَتْحِ الوَاوِ الْمَهْمُوزَةِ وَتَشْدِيدِ الخَاءِ الْمُعْجَمَةِ، وَبَعْدَهَا مُعْجَمَةٌ، أَيْ يُحْبَسُ عَنِ امْرَأَتِه وَلا يَصِلُ إِلَى جِمَاعِهَا؟ وَالأُخْذَةُ: بِضَمِّ الهَمْزَةِ هِيَ الكَلامُ الَّذِي يَقُولُهُ السَّاحِرُ، وَقِيلَ: خَرَزَةٌ يُرْقَى عَلَيْهَا، أَوْ هِيَ الرُّقْيَةُ نَفْسُهَا.

قَوْلُه: (أَوْ يُحَلّ عَنْهُ) بِضَمِّ أَوَّلِه وَفَتْحِ الْمُهْمَلَةِ.

قَوْلُه: (أَوْ يُنَشَّر) بِتَشْدِيدِ الْمُعْجَمَةِ مِنَ النُّشْرَةِ بِالضَّمِّ، وَهِيَ ضَرْبٌ مِنَ العِلاجِ يُعَالَجُ بِهِ مَنْ يُظَنُّ أَنَّ بِهِ سِحْرًا أَوْ مَسًّا مِنَ الجِنِّ، قِيلَ لَهَا ذَلِكَ لأَنَّهُ يُكْشَفُ بِهَا عَنْهُ مَا خَالَطَهُ مِنَ الدَّاءِ، وَيُوَافِقُ قَوْلَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ مَا تَقَدَّمَ فِي بَابِ الرُّقْيَةِ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ مَرْفُوعًا: (مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ).

وَيُؤَيِّدُ مَشْرُوعِيَّةَ النُّشْرَةِ مَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ (العَيْنُ حَقٌّ) فِي قِصَّةِ اغْتِسَالِ العَائِنِ). [فتح الباري: ١٠/٢٤٤]

▪ أثر عطاء بن أبي رَباح ويحيى بن سعيد الأنصاري

قالَ يُوسُفُ بنُ عَبدِ اللهِ ابنُ عَبْدِ البَرِّ النَّمَرِيُّ (ت:٤٦٣هـ): (أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ، حَدَّثَنَا سُحْنُونٌ، حَدَّثَنَا ابنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بنُ عَمْرٍو، عَنِ ابنِ جُرَيْجٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَطَاءَ بنَ أَبِي رَبَاحٍ عَنِ النُّشْرَةِ؛ فكَرِهَ نُشْرَةَ الأَطِبَّاءِ وَقَالَ: لا أَدْرِي مَا يَصْنَعُونَ فِيهَا، وَأَمَّا شَيْءٌ تَصْنَعُهُ أَنْتَ فَلا بَأْسَ بِهِ.

قَالَ ابنُ وَهْبٍ: وَأَخْبَرَنِي يَحْيَى بنُ أَيُّوبَ أَنَّهُ سَمِعَ يَحْيَى بنَ سَعِيدٍ يَقُولُ: لَيْسَ بِالنُّشْرَةِ الَّتِي يُجْمَعُ فِيهَا مِنَ الشَّجَرِ وَالطِّيبِ وَيَغْتَسِلُ بِهِ الإِنْسَانُ بَأْسٌ). [التمهيد: ٦/٢٤٦]

▪ أثر عطاء الخُراساني

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ، أَنَّهُ كَانَ لا يَرَى بَأْسًا أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤَخَّذُ عَنْ أَهْلِهِ وَالْمَسْحُورُ مَنْ يُطْلِقُ عَنْهُ.

- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَطَاءً الخُرَاسَانِيَّ عَنِ الْمُؤَخَّذِ وَالْمَسْحُورِ، يَأْتِي مَنْ يُطْلِقُ عَنْهُ؟ قَالَ: لا بَأْسَ بِذَلِكَ إِذَا اضْطُرَّ إِلَيْهِ). [مصنف ابن أبي شيبة: ٧/٣٩٠]

▪ أقوال العُلماء في حُكم النُّشرة

قالَ عَلِيُّ بنُ خَلَفٍ ابنُ بَطَّالٍ البَكْرِيُّ القُرْطُبِيُّ (ت:٤٤٩هـ): (وَقَوْلُهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هَلاَّ تَنَشَّرْتَ؟) يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ النُّشْرَةِ كَمَا قَالَ الشَّعْبِيُّ، وَأَنَّهَا كَانَتْ مَعْرُوفَةً عِنْدَهُمْ لِمُدَاوَاةِ السِّحْرِ وَشِبْهِهِ،

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلامُ: «أَمَّا اللهُ فَقَدْ شَفَانِي» وَتَرْكُهُ الإِنْكَارَ عَلَى عَائِشَةَ عَلَى جَوَازِ اسْتِعْمَالِهِ لَهَا لَوْ لَمْ يَشْفِهِ؛ فَلا مَعْنَى لِقَوْلِ مَنْ أَنْكَرَ النُّشْرَةَ). [شرح صحيح البخاري: ٩/٤٤٦]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ أَحْمَدَ السُّهَيْلِيُّ (ت: ٥٨١هـ): (وَأَمَّا الفِقْهُ الّذِي أَشَرْنَا إلَيْهِ فَهُوَ إبَاحَةُ النُّشْرَةِ مِنْ قَوْلِ عَائِشَةَ: هَلّا تَنَشَّرْتَ. وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهَا قَوْلَهَا.

وَذَكَرَ البُخَارِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ لِلَّذِي يُؤَخَّذُ عَنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: لا بَأْسَ، لَمْ يُنْهَ عَنِ الصَّلاحِ، إنَّمَا نُهِيَ عَنِ الفَسَادِ، وَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ كَرِهَ النُّشْرَةَ عَلَى العُمُومِ، وَنَزَعَ بِحَدِيثٍ خَرَّجَهُ أَبُو دَاوُدَ مَرْفُوعًا: أَنَّ النُّشْرَةَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وَهَذَا - وَاللّهُ أَعْلَمُ - فِي النُّشْرَةِ الّتِي فِيهَا الخَوَاتِمُ وَالعَزَائِمُ وَمَا لا يُفْهَمُ مِنَ الأَسْمَاءِ العَجَمِيَّةِ، وَلَوْلا الإِطَالَةُ المُخْرِجَةُ لَنَا عَنْ غَرَضِنَا لَقَدَّرْنَا الرُّخْصَةَ بِالآثَارِ. وَهَذَا القَدْرُ كَافٍ وَاللّهُ المُسْتَعَانُ). [الروض الأنف:٢/٣٧٣]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ مُفلِحٍ المَقْدِسِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت:٧٦٢هـ): (فَصْلٌ فِي النُّشْرَةِ، وَهُوَ مَاءٌ يُرْقَى وَيُتْرَكُ تَحْتَ السَّمَاءِ وَيُغْسَلُ بِهِ المَرِيضُ).

قَالَ جَعْفَرٌ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: يُكْرَهُ هَذَا كُلُّهُ. وَرَوَى أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو دَاوُدَ فِي المَرَاسِيلِ عَنِ الحَسَنِ مَرْفُوعًا أَنَّهَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ.

قَالَ القَاضِي أَبُو يَعْلَى: وَرَأَيْتُ فِي مَسَائِلِ الفَضْلِ بْنِ زِيَادٍ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، ثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا عَقِيلُ بْنُ مَعْقِلٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ فَقَالَ: «هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ». إسْنَادٌ جَيِّدٌ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ فِي المُسْنَدِ وَأَبُو دَاوُدَ.

وَفِي تَرْجَمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الذُّهْلِيِّ: ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، ثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ إبْرَاهِيمَ بْنِ مَعْقِلٍ، عَنْ وَهْبٍ، وَذَكَرَهُ كَمَا سَبَقَ. إبْرَاهِيمُ هُوَ ابْنُ عَقِيلِ بْنِ مَعْقِلٍ، ثِقَةٌ، لَعَلَّهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ وَهْبٍ. رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ الخَطِيبُ.

وَقَالَ بَعْضُهُم: النُّشْرَةُ مَشْهُورَةٌ عِنْدَ أَهْلِ التَّعْزِيمِ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لأَنَّهَا تُنَشِّرُ عَنْ صَاحِبِهَا؛ أَيْ: تُجْلِي عَنْهُ. وَأَجَازَهَا الطَّبَرِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَقَالَ ابْنُ الجَوْزِيِّ فِي جَامِعِ المَسَانِيدِ: (النُّشْرَةُ: حَلُّ السِّحْرِ عَنِ المَسْحُورِ، وَلا يَكَادُ يَقْدِرُ عَلَيْهِ إلا مَنْ يَعْرِفُ السِّحْرَ، وَقَدْ قَالَ الحَسَنُ: لا يُطْلِقُ السِّحْرَ إلا سَاحِرٌ، إلا أَنَّهُ لا يَجُوزُ ذَلِكَ. وَسُئِلَ سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ عَنْ حَلِّ العُقَدِ وَالنُّشَرِ فَقَالَ: لا بَأْسَ بِهِ، وَسُئِلَ أَحْمَدُ عَمَّنْ يُطْلِقُ السِّحْرَ عَنِ المَسْحُورِ فَقَالَ: لا بَأْسَ بِهِ) انْتَهَى كَلامُهُ.

وَرَوَى أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ إبْرَاهِيمَ، قَالَ: كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ، وَالرُّقَى، وَالنُّشَرَ). [الآداب الشرعية:]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عَلِيٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (قَالَ ابْنُ الجَوْزِيِّ: النُّشْرَةُ: حَلُّ السِّحْرِ عَنِ المَسْحُورِ، وَلا يَكَادُ يَقْدِرُ عَلَيْهِ إلا مَنْ يَعْرِفُ السِّحْرَ.

وَقَدْ سُئِلَ أَحْمَدُ عَمَّنْ يُطْلِقُ السِّحْرَ عَنِ المَسْحُورِ فَقَالَ: لا بَأْسَ بِهِ. وَهَذَا هُوَ المُعْتَمَدُ.

وَيُجابُ عَنِ الحَدِيثِ وَالأثرِ بِأَنَّ قَوْلَه : (النُّشْرَةُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) إِشَارَةٌ إِلَى أَصْلِهَا، وَيَخْتَلِفُ الحُكْمُ بِالقَصْدِ، فَمَنْ قَصدَ بِهَا خَيْرًا كَانَ خَيْرًا وَإِلا فَهُوَ شَرٌّ.

ثُمَّ الحَصْرُ المَنْقُولُ عَنِ الحَسَنِ لَيسَ عَلَى ظَاهِرِه ؛ لأَنَّهُ قَدْ يَنْحَلُّ بِالرُّقَى وَالأدْعِيَةِ وَالتَّعْوِيذِ، وَلَكِنْ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ النُّشْرَةُ نَوْعَيْنِ). [فتح الباري: ١٠/٢٤٤]

تحريم إتيان الكُهَّان

قلت: (سَبَبُ إِيرَادِ هَذِهِ المسْأَلَةِ أَنَّ بَعْضَ مَنِ ابْتُلِيَ بالسِّحْرِ قَدْ تَدْعُوهُ نَفْسُهُ لإِتْيَانِ الكُهَّانِ وَسُؤَالِهِمْ عَمَّن سَحَرَهُ وَمَوْضِعِ السِّحْرِ وَغَرَضِهِ.

وَقَدْ تَبَيَّنَ مِن وَقَائِعِ الأَحْوَالِ أَنَّ الكُهَّانَ إِخْوانُ الشَّيَاطِينِ، يَكْذِبُونَ وَيَمْكُرُونَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونُ، وَلا يَزِيدُونَ مَن يَأْتِيهِمْ إلا خَبَالاً، وَلا يُسْتَفَادُ مِنْهُمْ هُدًى وَلا شِفَاءٌ، وَكَمْ مِن مَخْذُولٍ أَتَاهُمْ فَلَمْ يَسْتَفِدْ إلاَّ حَيْرَةً وَضَلالاً، وَفَسَادًا فِي أَحْوَالِهِ ازْدَادَ بِهِ إِلَى شَقَائِهِ شَقَاءً، وَلَوْ أَنَّهُ تَوكَّلَ عَلَى اللهِ لَكَفَاهُ، وَلَوِ اسْتَهْدَاهُ لَهَدَاهُ، وَلَكِنَّ المخْذُولَ مَنْ خَذَلَهُ اللهُ، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝١٠٣﴾ [البقرة: ١٠٣].

فَالحَذَرَ الحَذَرَ.. مَا ابْتَلاكَ اللهُ تَعَالَى لِتَلْجَأَ إِلَى أَعْدَائِهِ، وَتطْلُبَ مِنْهُمْ مَا يُحِبُّ أَنْ تَسْأَلَهُ إِيَّاهُ، وَإِنَّمَا ابْتَلاكَ لِتَلْجَأَ إِلَيْهِ، وَتُؤْمِنَ بِهِ وَتَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، وَتَتُوبَ إِلَيْهِ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي سَلَّطَ عَلَيْكَ البَلاءَ بِسَبَبِهِ ؛ فَإِذَا فَقِهْتَ ذَلِكَ عَرَفْتَ المَخْرَجَ مِنْ بَلائِكَ، وَإِنَّمَا يَتَخَبَّطُ فِي الظُّلُمَاتِ مَن لَمْ يَكُنْ عَلَى نُورٍ مِن رَبِّهِ).

حديث عائشة بنت أبي بكر

قالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت: ٢١١هـ): (أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ هِشَامِ بنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ عَنِ الكُهَّانِ ؛ فَقَالَ: «لَيْسُوا بِشَيءٍ».

فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ يُخْبِرُونَا بِأَشْيَاءَ تَكُونُ حَقًّا.

قال: «تِلْكَ كَلِمَةُ حَقٍّ يَخْطَفُهَا الجِنِّيُّ فَيَقْذِفُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ فَيَزِيدُ فِيهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ»). [مصنف عبد الرزاق:١١/٢٠٨]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيُّ (ت:٢٥٦هـ): (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلامٍ، أَخْبَرَنَا مَخْلَدُ بْنُ يَزِيدَ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عُرْوَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ عُرْوَةَ يَقُولُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الكُهَّانِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تِلْكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ يَخْطَفُهَا الجِنِّيُّ فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ»). [صحيح البخاري:]

- **قلت:** (هذا الحديثُ رواه ابنُ وَهْبٍ وعبدُ الرزاقِ وأحمدُ والبخاريُّ ومسلمٌ والطحاويُّ وابنُ مَنْدَهْ وابنُ حِبَّانَ كلُّهم من طرقٍ عن عروةَ بنِ الزُّبيرِ به).

■ حديث آخر عن عائشة

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيُّ (ت:٢٥٦هـ): (حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ المَلاَئِكَةَ تَنْزِلُ فِي العَنَانِ - وَهُوَ السَّحَابُ - فَتَذْكُرُ الأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إِلَى الكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ»). [صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق/ باب ذكر الملائكة]

- **قلت:** (هذا الحديثُ رواه ابنُ وهبٍ والبخاريُّ وابنُ مندَهْ من طرقٍ عن محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ الأسديِّ يتيمِ عروةَ عن عروةَ بنِ الزبيرِ عن عائشةَ مرفوعاً).

■ حديث معاوية بن الحكم

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ حَجَّاجٍ الصَّوَّافِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ هِلَالِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالاً يَأْتُونَ الكُهَّانَ، قَالَ: «فَلا تَأْتِهِمْ»). [مصنف ابن أبي شيبة: ٣٩١/٧]

- **قلتُ:** (هذا الحديثُ له مخرجانِ مشهورانِ:

أحدُهما: من طريقِ هلالِ بنِ أبي ميمونةَ عن عطاءِ بنِ يسارٍ، عن معاويةَ بنِ الحكمِ رضي اللهُ عنه، رواه أبو داودَ الطيالسيُّ وابنُ أبي شَيبةَ وعبدُ الرزَّاقِ وأحمدُ ومسلمٌ وأبو عوانةَ وابنُ الجارُودِ وأبو داودَ السِّجِسْتَانِيُّ والنَّسائيُّ والطبرانيُّ في الكبيرِ والبيهقيُّ والبَغَوِيُّ في شرحِ السنَّةِ، رواه بعضُهم مطولاً في حديثِ معاويةَ المشهورِ في تكلمِه في الصلاةِ وذكرِ الطيرةِ والكَهانةِ والخَطِّ، ورواه بعضُهم مقتصراً على ذكرِ الكُهَّانِ كما فعلَ ابنُ أبي شيبةَ.

والمخرجُ الآخرُ: من طريقِ الزهريِّ عن أبي سلمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ، عن معاويةَ بنِ الحكمِ، رواه أبو داودَ الطيالسيُّ وعبدُ الرزاقِ وأحمدُ ومسلمٌ وابنُ أبي عاصمٍ والطبرانيُّ في الكبيرِ، وأبو نُعيمٍ في معرفةِ الصحابةِ والبيهقيُّ.

وله طرقٌ أخرى عن أبي سلمةَ).

■ حديث صفية بنت أبي عُبيد عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

قالَ مُسْلِمُ بنُ الحَجَّاجِ القُشَيْرِيُّ النَّيسابُورِيُّ (ت:٢٦١هـ): (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى العَنَزِيُّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى - يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ - عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ صَفِيَّةَ، عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»). [صحيح مسلم:]

■ حديث عِمران بن الحُصين

قالَ أَحْمَدُ بنُ عَمْرِو بنِ عَبْدِ الخَالِقِ البَزَّارُ (ت:٢٩٢هـ): (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حَمْزَةَ العَطَّارُ، عَنِ الحَسَنِ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ، أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ، أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ، أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ».

وَهَذَا الحَدِيثُ قَدْ رُوِيَ بَعْضُ كَلامِهِ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، فَأَمَّا بِجَمِيعِ كَلامِهِ وَلَفْظِهِ فَلا نَعْلَمُهُ يُرْوَى إِلاَّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، وَلا نَعْلَمُ لَهُ طَرِيقاً عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ إِلاَّ هَذَا الطَّرِيقَ، وَأَبُو حَمْزَةَ العَطَّارُ بَصْرِيٌّ لا بَأْسَ بِهِ). [مسند البزار: ١٦٩ الزوائد]

- **قلت**: (ورواه الدُّولابيُّ والطبرانيُّ في الكبيرِ من حديثِ أبي حمزةَ العطارِ عن الحسنِ، عن عمرانَ بن الحُصينِ، دونَ قولِه: (ومَن عقَد..) إلخ. والحديثُ صححه الألبانيُّ في السلسلةِ الصحيحةِ).

■ حديث ابن عباس

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حَدَّثَنَا العَبَّاسُ بنُ حَمَّادِ بنِ فَضَالَةَ الصَّيرَفِيُّ، قالَ: نا يَحْيَى بنُ الفَضْلِ الخِرَقِيُّ، قَالَ: نا أَبُو عَامِرٍ العَقَدِيُّ، قالَ: نا زَمْعَةُ بنُ صَالِحٍ، عَن سَلَمَةَ بنِ وَهْرَامَ، عَن عِكْرِمَةَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَسَحَّرَ أو تُسُحِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أو تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ»). [المعجم الأوسط: ٣٩٣/٤]

- **قلت**: (رواه البزارُ وأبو يعلى والطبرانيُّ من طرقٍ عن أبي عامرٍ العَقَدِيِّ، عن زَمعةَ بنِ صالحٍ، عن سلمةَ بنِ وهرامَ به، وزمعةُ وسلمةُ ضعيفانِ، وقد صحح الألبانيُّ هذا الحديثَ لغيرِه).

■ حديث جابر بن عبد الله

قالَ عَلِيُّ بنُ أَبي بَكْرِ بنِ سُلَيمانَ الهَيْثَمِيُّ (ت:٨٠٧هـ): (عَنْ جَابِرِ بنِ عَبدِ اللهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ. رَوَاهُ البَزَّارُ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، خَلَا عُقْبَةَ بنِ سِنَانٍ، وَهُوَ ضَعِيفٌ). [مجمع الزوائد:٢٠٢/٥]

- **قَالَ مُحَمَّد نَاصِرِ الدِّينِ الأَلْبَانِيُّ (ت:١٤٢٠هـ)**: (**(مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَه بما يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنزلَ عَلَى مُحمَّدٍ)**. أخرجه البزارُ في " مسندِه " (٣/ ٤٠٠/ ٣٠٤٥): حدثنا عقبةُ بنُ سنانٍ: ثنا غسانُ بنُ مُضَرَ، ثنا سعيدُ بنُ يزيدَ، عن أبي نضْرَةَ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ، عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم... فذكَرَه. وقال: "لا نعلمُه يُرْوَى عن جابرٍ إلا من هذا الوجهِ، ولم نسمَعْ أحداً يحدثُ به عن غَسَّانَ إلا عقبةُ".

قلت: قال الحافظُ في "مختصرِ الزوائدِ" (١/ ٦٤٧/ ١١٧١): "قال الشيخُ - يعني الهيثميَّ - : وهو ثقةٌ".

قلت: وهذا هو الصوابُ، خلافاً لقولِ الهيثميِّ الآخرِ في "مَجمعِ الزوائدِ" (١١٧/٥): (رواه البزارُ، ورجالُه رجالُ الصحيحِ، خلا عقبةَ بنَ سِنانٍ، وهو ضعيفٌ). وقد كنتُ شككتُ في هذا التضعيفِ في "غايةِ المَرام" (٢٨٥/١٧٤) لأسبابٍ كنت ذكرتُها هناك، فمن شاءَ راجَعها، وخلاصتُها أنه لا وجهَ لهذا التضعيفِ؛ لأنه ليسَ فيمن يسمى بـ (عقبةَ بنَ سنانٍ) مضعفٌ؛ فإنهم ثلاثة، أحدُهم: مجهولُ الحالِ، وهو أعلى من هذا طبقةً، والآخرانِ: ثقتانِ، أحدُهما: (عقبةُ بنُ سِنانِ بنِ عُقبةَ الهَدَادِيُّ البصريُّ) روى عن غسانَ بنِ مُضَرَ؛ فهو هذا، وقد قال فيه أبو حاتمٍ: " صدوقٌ ".

وبقيةُ رجالِ الإسنادِ ثقاتٌ رجالُ الشيخينِ؛ غيرَ غسَّانَ بنِ مُضَرَ؛ وهو ثقةٌ من شيوخِ النسائيِّ. وقد وهِم الهيثميُّ في عدمِ استثنائِه إياه مع عقبةَ بنِ سنانٍ، في قولِه المتقدمِ. فالإسنادُ جيدٌ؛ كما قال المنذريُّ في "الترغيبِ" (٧/٥٢/٤)، وتبِعه الحافظُ في " الفتحِ " (٢١٧/١٠).

وللحديثِ شواهدُ كثيرةٌ يزدادُ بها قوةً، خرجتُ بعضَها في (إرواءِ الغليلِ: ٦٨/٧- ٧٠)، و(غايةِ المرامِ: ٧٢ - ٢٨٤/١٧٣)، و(آدابِ الزفافِ: ١٠٥- ١٠٧).

(فائدةٌ): قال ابنُ الأثيرِ في (النهايةِ): (الكاهنُ: الذي يَتعاطى الخبَرَ عن الكائناتِ في مستقبلِ الزمانِ ويدَّعي معرفةَ الأسرارِ، وقد كان في العربِ كهنةٌ كشِقٍّ وسَطِيحٍ وغيرِهما، فمنهم من كانَ يزعُمُ أن له تابعاً من الجنِّ ورَئِيًّا يُلقي إليه الأخبارَ، ومنهم من يزعُم أنه يعرِفُ الأمورَ بمقدماتِ أسبابٍ يستدلُّ بها على مواقعِها من كلامِ من يسألُه، أو من فِعلِه، أو حالِه، وهذا يخصُّونه بالعرَّافِ، كالذي يدَّعي معرفةَ الشيءِ المسروقِ، ومكانَ الضالةِ ونحوَهما. والحديثُ الذي فيه: "من أتَى كاهنًا..." قد يَشتمِلُ على إتيانِ الكاهنِ، والعرافِ، والمنجِّمِ ".

قلت: فإذا عرفتَ هذا؛ فمن (الكَهَانةِ) ما كان يُعرفُ بـ (التنويمِ المغناطيسيِّ)، ثم بـ (استحضارِ الأرواحِ)، وما عليه اليومَ كثيرٌ من الناسِ - وفيهم بعضُ المسلمينَ الطيبين- ممن اتخذوا ذلك مهنةً يعتاشون منها، ألا وهو القراءةُ على المسوسِ من الجنيِّ، ومكالمتُهم إيَّاه، وأنه يحدثُهم عن سببِ تلبسِه بالإنسيِّ؛ حبًّا به أو بغضاً! وقد يزعُمون أنهم يسألونه عن دينِه، فإذا أخبرهم بأنه مسلم صدقوه في كلِّ ما ينبئُهم به! وذلك منتهى الغفلةِ والضلالِ؛ أن يصدقَه وهو لا يعرفُه ولا يراه، فكن حذراً منهم أيها الأخُ المسلمُ! ولا تأتِهم ولا تصدِّقْهم " وإلا صدَقَ فيك هذا الحديثُ الصحيحُ وما في معناه). [السلسلة الصحيحة:]

■ أثر عبد الله بن مسعود

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، وَوَكِيعٌ، قَالا: حدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ هُبَيْرَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: مَنْ مَشَى إِلَى سَاحِرٍ، أَوْ كَاهِنٍ، أَوْ عَرَّافٍ فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ). [مصنف ابن أبي شيبة: ٣٩٢/٧]

قالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت: ٢١١هـ): (عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ هُبَيْرَةَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: (مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَسَأَلَهُ وَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ).

عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ عَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ مِثْلَ ذَلِكَ). [تفسير عبد الرزاق: ٢/٤٠٨]

- **قلت**: (ورواه ابنُ وهبٍ وأبو داودَ الطيالسيُّ والبزارُ وأبو يعلى والدارقطنيُّ في العِلَلِ والبيهقيُّ كلُّهم من طرقٍ عن هُبيرةَ بن يَريمَ الشِّبَامِيِّ، عن ابن مسعودٍ موقوفاً، وهُبيرة مختلفٌ فيه، وقال الحافظُ ابنُ حَجَرٍ في التقريبِ: لا بأسَ به.

ورواه الطبرانيُّ في الكبيرِ من طريقِ عبدِ العزيزِ بنِ مسلمٍ عن الأعمشِ عن إبراهيمَ عن علقمةَ عن عبدِ اللهِ به.

ورواه في الأوسطِ من طريقِ سعيدِ بنِ عامرٍ عن شعبةَ عن سلمةَ بنِ كُهيلٍ عن أبي الزعراءِ عن ابنِ مسعودٍ به.

ورواه عبدُ الرزاقِ من حديثِ معمرٍ عن قتادةَ عن ابنِ مسعودٍ وفيه انقطاعٌ.

ورواه البزارُ من طريقِ أبي معاويةَ عن الأعمشِ عن إبراهيمَ عن همامِ بنِ الحارثِ عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ بلفظِ: (من أتى كاهناً أو ساحراً فصدقه بما يقولُ فقد كفَرَ بما أُنزلَ على محمدٍ)

وفي البابِ عن أبي هريرةَ وأنسٍ وواثلةَ بنِ الأسقعِ).

بيان كذِب الكُهَّان

حديث عائشة

- **قلتُ**: (تقدم ذِكرُه قريباً).

حديث ابن عباس عن رجل من الأنصار

قالَ مُسْلِمُ بنُ الحَجَّاجِ القُشَيْرِيُّ النَّيسابُورِيُّ (ت:٢٦١هـ): (حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ حَسَنٌ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، وَقَالَ عَبْدٌ: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الأَنْصَارِ أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ: وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّهَا لا يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ - إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ. قَالَ: فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ وَيُرْمَوْنَ بِهِ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ»).

الأُخْذَة

معنى الأُخْذَةِ

قالَ الخَلِيلُ بنُ أَحْمَدَ الفَرَاهِيدِيُّ البَصْرِيُّ (ت: ١٧٠هـ): (السِّحْرُ: كلُّ ما كان من الشيطانِ فيه مَعُونةٌ. والسِّحْرُ: الأُخْذَةُ التي تأخُذُ العَيْنَ، والسِّحْرُ: البَيانُ في الفِطنةِ. والسَّحْرُ: فعلُ السِّحْرِ). [العين:٣/١٣٥]

قالَ المُفَضَّلُ بنُ سَلَمَةَ بنِ عَاصِمٍ الضَّبِّيُّ (ت:٢٩١هـ): (قَوْلُهُمْ: (أَخَذَتْه الأُخْذَةُ) قَالَ الفَرَّاءُ: الأُخْذَةُ: السِّحْرُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: فِي يَدِهِ أُخْذَةٌ، أي حِيلَةٌ يَسْحَرُ بهَا). [الفاخر:٤٨]

- **قلت:** (المُفَضَّلُ هذا من نُحاةِ الكوفةِ وعلمائِها، والدُه راويةُ الفرَّاءِ، وهو غيرُ المفضلِ بنِ محمدٍ الضَّبِّيِّ صاحبِ المُفَضَّلِيَّات).

قالَ أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ الأَزْهَرِيُّ (ت: ٣٧٠هـ): (ومن السِّحْرِ: الأُخْذَةُ التي تأخُذُ العَيْنَ حتَّى تَظُنَّ أنَّ الأمرَ كَمَا تَرَى وليسَ الأصلُ عَلَى مَا تَرَى). [تهذيب اللغة: ٢/٢٩]

قالَ أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ الأَزْهَرِيُّ (ت: ٣٧٠هـ): (والتَّأخيذُ: أنْ تحتالَ المرأةُ بِحِيَلٍ مِنَ السِّحْرِ تَمْنَعُ بهَا زَوْجَهَا مِن جِماعِ غيرِها، يقالُ: إنَّ لِفُلانَةَ أُخْذَةٌ تُؤَخِّذُ بهَا الرِّجَالَ عَنِ النِّسَاءِ، وَقَدْ أَخَّذَتْهُ السَّاحِرَةُ تُؤَخِّذُهُ تَأْخِيذًا). [تهذيب اللغة: ٣/١٤]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بنُ حَمَّادٍ الجَوْهَرِيُّ (ت:٣٩٣هـ): (والأُخْذَةُ بالضمِّ: رُقْيَةٌ كالسِّحرِ، أو خَرَزَةٌ تُؤَخِّذُ بها النساءُ الرجالَ، من التَّأْخيذِ). [الصحاح: ٢/٥٥٩]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ مُكْرَمِ بنِ مَنظُورٍ الأَفْرِيقِيُّ (ت:٧١١هـ): (وقالَ اللِّحيانِيُّ: قالَ بَعْضُ نِسَاءِ الأَعْرَابِ فِي تَأْخِيذِ الرِّجَالِ: أَخَّذتُه في دُبَّاء مُمَلأٍ من الماء مُعَلَّقٍ بتِرْشاء فلا يَزَلْ في تِمْشاء وعينُه في تِبْكاء

ثمَّ فَسَّرَهُ فقال: التِّرشاءُ: الحَبْلُ، والتِّمْشاء: المَشيُ، والتِّبْكاء: البُكاء.

وكانَ حُكْمُ هذا أنْ يقولَ: تَمْشاء وتَبْكاء لأنهما من المصادرِ المبنيَّةِ للتَّكثيرِ كالتَّهْذار في الهَذْرِ والتَّلْعاب في اللَّعب وغير ذلك منَ المصادرِ الَّتي حكَاها سيبويه، وَهذِهِ الأُخْذَة قَدْ يَجُوزُ أَنْ تكونَ كُلُّهَا شِعْرًا، فإذَا كانَ كَذلك فَهُوَ مِن مَنْهوكِ المنسَرِحِ، وبَيْتُهُ: صَبْراً بني عَبْدِ الدَّارْ). [لسان العرب:١٤/٨٢]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عَلِيٍّ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ (ت:٨٥٢هـ): (قَوْلُه: (أَوْ يُؤَخَّذُ) بِفَتْحِ الواوِ المَهْمُوزةِ وَتَشْدِيدِ الخَاءِ المُعْجَمَةِ وَبَعْدَهَا مُعْجَمَةٌ، أَيْ: يُحْبَسُ عَنِ امْرَأَتِهِ وَلا يَصِلُ إِلَى جِمَاعِهَا.

وَالأُخْذَةُ بِضَمِّ الهَمْزَةِ هِيَ الكَلامُ الَّذِي يَقُولُهُ السَّاحِرُ، وَقِيلَ: خَرَزَةٌ يُرْقَى عَلَيْهَا، أَوْ هِيَ الرُّقْيَةُ نَفْسُهَا). [فتح الباري:]

قالَ مُرْتَضَى الزَّبِيدِيُّ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ الحُسَيْنِيُّ (ت:١٢٠٥هـ): (والأُخْذَةُ بالضمِّ: رُقْيَةٌ تأْخُذُ العَيْنَ ونَحْوَها كالسِّحْرِ تَحْبِسُ بها السَّواحِرُ أزواجَهُنَّ عن غيرِهنَّ من النساءِ، والعامَّةُ تُسَمِّيهِ الرِّبَاطَ والعَقْدَ، وكان نساءُ

الجاهليَّةِ يَفْعَلْنَه، ورَجُلٌ مُؤَخَّذٌ عن النساءِ: مَحْبُوسٌ وفي الحديثِ: (جاءَتِ امرأَةٌ إِلى عائِشَةَ رضِيَ الله عنها فقالَت: أُقَيِّدُ جَمَلي؟ وفي أُخْرَى: أُؤَخِّذُ جَمَلِي؟ قالت: نَعمْ. فلم تَفْطِنْ لها حتى فُطِّنَتْ، فأَمَرَتْ بإِخْرَاجِها. كَنَّتْ بالجَمَلِ عن زَوْجِها، ولم تَعلمْ عائشةُ رضِيَ الله عنها، فلذلك أَذِنَتْ لها فيه.

والتَّأْخِيذُ: أَن تَحتالَ المرأَةُ بِحِيَلٍ في مَنْعِ زَوْجِها عن جِماعِ غَيْرِهَا، وذلك نَوْعٌ مِن السِّحْرِ، أَو هي خَرَزَةٌ يُؤَخِّذُ بها النساءُ الرِّجالَ، وقد أَخَّذَتْه الساحرة تأْخيذاً وآخَذَتْه: رَقَتْه.

وقالتْ أُخْتُ صُبْحِ العادِيِّ تَبكِي أَخاهَا صُبْحًا، وقَدْ قَتلَه رَجُلٌ سِيقَ إِليه على سَرِيرٍ لأَنها كانَتْ أَخَذَتْ عنه القائمَ والقاعِدَ والساعِيَ والماشيَ والراكِبَ: (أَخَذْتُ عَنْك الراكبَ والساعيَ والماشيَ والقاعدَ والقائمَ ولم آخُذْ عنك النائمَ).

وفي صُبْحٍ هذا يَقول لَبِيدٌ:

ولَقَدْ رَأَى صُبْحٌ سَوادَ خَلِيلِهِ ... مَا بَيْنَ قَائِمِ سَيْفِهِ والمِحْمَلِ

عَنَى بِخَلِيله كَبِدَه لأَنه يُرْوَى أَنَّ الأَسَدَ بقَرَ بَطْنَه وهو حَيٌّ فنَظَر إِلى سَوَادِ كَبِدِه. كذا في اللسان). [تاج العروس: أخذ]

■

قالَ عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ أَحْمَدَ السُّهَيْليُّ (ت: ٥٨١هـ): (فِي الخَبَرِ أَنَّ القَاسِمَ بْنَ مُحَمَّد بْن الحَنَفِيَّةِ، كَانَ مُؤَخَّذًا عَنْ مَسْجِدِ النّبِيِّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْخُلَهُ). [الروض الأنف:٢/٣٧١]

حكم التأخيذ

■ أثر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

قالَ عبدُ الرَّزَّاقِ بنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت:٢١١هـ): (أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنِ ابنِ سِيرِينَ قَالَ: سُئِلَ ابنُ عُمَرَ عَنِ الأُخْذَةِ فَقَالَ: مَا أَرَاهُ إِلا سِحْرًا.

قَال: فقيل: فَإِنَّها تَأْخُذُ الغَائِطَ وَالبَوْلَ، قَالَ: لفاف). [مصنف عبد الرزاق:١١/٢٠٨]

قالَ يَحْيَى بنُ مَعِينِ بنِ بِسْطَامٍ الغَطَفَانِيُّ (ت:٢٣٣هـ): (حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَنبأَ مَعْمَرٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنِ ابنِ سِيرِينَ قَالَ: سُئِلَ ابنُ عُمَرَ عَنِ الأُخْذَةِ فَقَالَ: مَا أَرَاهَا إِلا سِحْرًا.

قالَ: قِيلَ: إِنَّها تَأْخُذُ الغَائِطَ وَالبَوْلَ. قَالَ: مَهْ مَهْ). [جزء يحيى بن معين:١٢٢]

قالَ نَصْرُ بنُ مَرْزُوقٍ العُتَقِيُّ المِصْرِيُّ (ت:٢٦٢هـ): (حَدَّثَنَا يَحْيَى بنُ حَسَّانَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ دِينَارٍ، عَن مُحَمَّدِ بنِ سَيْفٍ أَبِي رَجَاءٍ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بنَ سِيرِينَ يُحَدِّثُ عَنِ ابنِ عُمَرَ، قَالَ: الأُخْذَةُ هِيَ السِّحْرُ). [كما في التمهيد لابن عبد البر: ٦/٢٤٥]

■ أثر جابر بن عبد الله

قالَ نَصْرُ بنُ مَرْزُوقٍ العُتَقِيُّ المِصْرِيُّ (ت:٢٦٢هـ): (حَدَّثَنَا يَحيَى بنُ حَسَّانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بنُ لَهِيعَةَ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ المَكِّيِّ قَالَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بنَ عَبْدِ اللهِ عَنِ الرَّجُلِ يَأْبَقُ لَهُ العَبْدُ أيُؤَخِّذُ؟
قَالَ: نَعَمْ. أَوْ قَالَ: لا بَأْسَ بِهِ). [كما في التمهيد لابن عبد البر: ٦/٢٤٥]

■ أثر الحسن البصري

قالَ نَصْرُ بنُ مَرْزُوقٍ العُتَقِيُّ المِصْرِيُّ (ت:٢٦٢هـ): (حَدَّثَنَا يَحيَى بنُ حَسَّانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ مُحَمَّدِ بنِ سَيْفٍ، قَالَ: سَأَلْتُ الحَسَنَ عَنِ الأُخْذَةِ فَفَزِعَ وَقَالَ: لَعَلَّكَ صَنَعْتَ مِن ذَلِكَ شَيْئًا؟
قُلْتُ: لا). [كما في التمهيد لابن عبد البر: ٦/٢٤٥]

■ أثر سعيد بن المسيب

قالَ نَصْرُ بنُ مَرْزُوقٍ العُتَقِيُّ المِصْرِيُّ (ت:٢٦٢هـ): (حَدَّثَنَا يَحيَى بنُ حَسَّانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بنُ بلالٍ، عَن يَحْيَى بنِ سَعِيدٍ، عَنِ ابنِ المسَيَّبِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يَأْبَقُ لَهُ العَبْدُ أَيُؤَخِّذُهُ؟
فَقَالَ سَعِيدُ بنُ المسَيَّبِ: قَدْ وَخَّذْنَا فَمَا رُدَّ عَلَيْنَا شَيْءٌ، أَوْ رَدَّ عَلَيْنَا شَيْئًا). [كما في التمهيد لابن عبد البر: ٦/٢٤٥]

■ أثر يحيى بن سعيد الأنصاري

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ وَهْبِ بنِ مُسْلِمٍ المِصْرِيُّ (ت:١٩٧هـ): (بَلَغَنِي عَن يَحيَى بنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ قَالَ فِي العَبْدِ يَأْبَقُ فَيُعْقَدُ بِغَيْرِ سِحْرٍ حَتَّى تُعَمَّى عَلَيْهِ الطُّرُقُ، وَيُمْنَعَ مِنَ الخَلاءِ وَالبَوْلِ، فَيَشْتَدَّ ذَلِكَ عليه، فَيَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ.
قَالَ يَحْيَى: «رَأَيْتُ خير مَن أَدْرَكْنَا يَكْرَهُ ذَلِكَ كَرَاهِيَةً شَدِيدَةً وَيَنْهَى عَنْهَا»). [الجامع: باب في الرقية]

■

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ وَهْبِ بنِ مُسْلِمٍ المِصْرِيُّ (ت:١٩٧هـ): (أخبرني ابنُ لَهيعةَ، عن يَزيدَ بنِ أبي حبيبٍ، عن هُرْمُزَ، مولى عمرِو بنِ العاصِ، أنه . . . عبد الله بن عمرو، فإذا هو يرى التيوسَ تنزوا على . . . . . ما هاهنا، لم أكن أعلم السباعَ هاهنا كبيرةً، قيل: نعمْ، ولكنها عقدت، فهي تخالطُ البهائمَ ولا تُهَيِّجها، فقال عبد الله بن عمرٍو: شعب صغيرة . . . . .). [الجامع: باب في الرقية] والنقط كما في الأصل.

قلت: (الأُخْذَةُ عَلَى أَنْواعٍ:
النَّوعُ الأَوَّلُ: أُخْذَةُ السِّحْرِ، وتُطْلَقُ على ما يقولُه السَّاحِرُ إذا سَحَرَ وَنَفَثَ، وتُطْلَقُ عَلَى الحُجُبِ وَالعَزَائِمِ الَّتي يُؤَخِّذُ بها، وهذا النَّوعُ مُحرَّمٌ لا شَكَّ فِي تَحْرِيمِهِ إذ هوَ مِن عَمَلِ السِّحْرِ.

النَّوعُ الثَّانِي: أُخْذَةُ العَيْنِ، وَمِنهَا رُقًى لِدَفعِ العَينِ، وَرُقًى لِرَدِّ العَينِ عَلَى صَاحِبِهَا، وتُطلَقُ أَيضاً على التَّعَالِيقِ الَّتِي تُعَلَّقُ لِدَفْعِ العَينِ؛ فَأمَّا الرُّقَى فَغَالِبُ مَا كَانَتْ تَفعَلُهُ العَرَبُ مِن ذَلِكَ فِيهِ شِرْكٌ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ» وَاللامُ فِيهَا عَهْدِيَّةٌ.

وَقَدْ يَكُونُ مِنهَا مَا يُعْرَفُ مَعْنَاهُ، وَلَيْسَ فِيهِ شِرْكٌ وَجُرِّبَ نَفْعُهُ؛ فَيَدْخُلُ فِي قَوْلِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا بَأسَ بالرُّقَى مَا لَمْ تَكُن شِرْكًا».

وَأَمَّا الأَحْرَازُ وَالحُجُبُ وَالتَّمَائِمُ الَّتِي تُعَلَّقُ لِدَفْعِ العَينِ فَلا تَجُوزُ.

النَّوْعُ الثَّالِثُ: أُخْذَاتٌ يَزْعُمُ بَعْضُ العَرَبِ أَنَّهُم يَرُدُّونَ بهَا الغَائِبَ، وَيَحْبِسُونَ بهَا الآبِقَ وَالشَّارِدَ، وَيَرُدُّونَ بهَا العَدُوَّ، وَيُعَمُّونَ بهَا عَنِ الأَمْوَالِ وَالطَّرِيقِ.

وَهِيَ مِن أَنوَاعِ الرُّقَى، وَالغَالِبُ فِيهَا مَا يَغْلِبُ عَلَى الرُّقَى عِندَ العَرَبِ فِي الجَاهِلِيَّةِ مِنَ الشِّرْكِ، وَبَعْضُهَا أَوْهَامٌ وَجَهْلٌ وَخُرَافَاتٌ، وَلِذَلِكَ أَنكَرَهَا السَّلَفُ كَمَا صَحَّ عَنِ ابنِ عُمَرَ وَالحسَنِ البَصْرِيِّ.

وَأَمَّا مَا رُوِيَ عَن جَابرٍ – إِن صَحَّ عَنهُ – وَكَذَلِكَ مَا رُوِيَ عَن سَعِيدِ بنِ المسَيَّبِ؛ فَالمرَادُ بِهِ مَا خَلا مِنَ الشِّرْكِ مِن تِلْكَ الأُخْذَاتِ.

وَقَدْ أَبْدَلَنَا اللهُ تَعَالَى بالأَذْكَارِ وَالأَوْرَادِ المأثُورَةِ مَا هُوَ خَيرٌ وَأَسْلَمُ وَأَنفَعُ مِنهَا).

الرَّعْب

قال أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ ابنُ دُرَيْدٍ الأَزْدِيُّ (ت:٣٢١هـ): (والرَّعْب: رُقْيَةٌ مِنَ السِّحْرِ، وَهُوَ شَيْءٌ تَفعلُهُ العَرَبُ، كَلامٌ تَسْجَعُ فِيهِ يَرْعَبُونَ بِهِ السِّحْرَ، وَفَاعِلُ ذَلِكَ رَاعِبٌ وَرَعَّابٌ؛ يُقَالُ: رَعَبَ الرَّاقِي يَرْعَبُ رَعْباً، إِذَا فَعَلَ ذلكَ). [جمهرة اللغة: رعب]

للاستزادة

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (تَقَدَّمَ في (البقرةِ) القولُ في السِّحْرِ وحَقِيقَتِه، وما يَنْشَأُ عنه من الآلامِ والمفاسِدِ، وحُكْمُ الساحِرِ؛ فلا معنَى لإعادتِهِ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٤]

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْن عَاشُورٍ (ت: ١٣٩٣هـ): (وأَمَّا السِّحْرُ فقَدْ بَسَطْنَا القولَ فيه عندَ قولِه تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] في سُورَةِ البَقَرَةِ). [التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٨]

مسائل في الحسد والعين

■ بيان معنى الحسد

قالَ الخَلِيلُ بنُ أَحْمَدَ الفَرَاهِيدِيُّ (ت:١٧٠هـ): (الحَسَدُ: مَعْرُوفٌ، والفِعْلُ: حَسَدَ يَحْسُدُ حَسَداً، وَيُقَالُ: فُلانٌ يُحْسَدُ على كَذا فَهُوَ مَحْسُودٌ). [العين: حسد]

قالَ عَبْدُ الرَّحمنِ بنُ إسْحاقَ النَّهاوَنْدِيُّ الزَّجَّاجِيُّ (ت: ٣٣٧هـ): (ذَكَرَ ابنُ الأَعْرَابِيِّ أَنَّهُ يُقَالُ لِلقُرَادِ: (حَسْدَلٌ) وَأَصْلُهُ عِنْدَهُ حَسْدٌ، وَاللامُ زائدَةٌ، وَالحَسَدُ القَشْرُ، وَمِنْهُ اشتِقَاقُ الحَسَدِ، كأَنَّ الحَسَدَ يَلْصَقُ بقَلْبِ الإِنسَانِ فَيَقْشِرُهُ كَمَا يَلْصَقُ القُرَادُ بجلدِ البَعِيرِ). [اللامات:١٣١]

قالَ أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ الأَزْهَرِيُّ (ت: ٣٧٠هـ): (قالَ الليثُ: الحَسَدُ مَعْرُوفٌ، وَالفِعْلُ حَسَد يَحْسُدُ حَسَداً.

أَبُو العَبَّاسِ عَنِ ابنِ الأَعْرَابِيِّ قالَ: الحَسْدَلُ: القُرَادُ. قالَ: وَمِنْهُ أُخِذَ الحَسَدُ؛ لأَنَّهُ يَقْشِرُ القَلْبَ كَمَا يَقْشِرُ القُرَادُ الجِلْدَ فيَمْتَصُّ دَمَهُ...

وأَصْلُ الحَسَدِ القَشْرُ كَمَا قَالَ ابنُ الأَعْرَابِيِّ). [تهذيب اللغة: ٢٩/٢]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بنُ حَمَّادٍ الجَوْهَرِيُّ (ت:٣٩٣هـ): (الحَسَدُ: أَن تَتَمَنَّى زَوالَ نِعْمَةِ المحسُودِ إِلَيْكَ، يُقَالُ: حَسَدَه يَحْسُدُهُ حُسُودًا. قالَ الأَخْفَشُ: وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: يَحْسِدُهُ بالكَسْرِ. قالَ: وَالمصْدَرُ حَسَدٌ بالتَّحْرِيكِ وحَسَادَةً.

وَحَسَدْتُكَ علَى الشَّيْءِ، وَحَسَدْتُكَ الشيءَ، بمعنًى.

وتَحاسَدَ القومُ، وَهُمْ قَوْمٌ حَسَدَةٌ، مِثْلُ حَامِلٍ وحَمَلَةٍ). [الصحاح: ١٢٨/١]

قالَ أَحْمَدُ بنُ فَارِسِ بنِ زَكَرِيَّا الرَّازِيُّ (ت:٣٩٥هـ): ([حَسَدَ] الحَاءُ وَالسِّينُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الحَسَدُ). [معجم المقاييس: ٦١/٢]

قالَ أَبُو المُظفرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (وقولُه: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٥] الحسَدُ: هو تَمَنِّي زَوالِ النِّعمةِ عن المُنْعَمِ عليه). [تفسير القرآن: ٣٠٧/٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (مِن المَعْلُومِ أَنَّ الحَاسِدَ هو الذي تَشْتَدُّ مَحَبَّته لإِزالَةِ نِعْمَةِ الغَيْرِ إليه، ولا يَكَادُ يكونُ كذلك إلا ولو تَمَكَّنَ مِن ذلك بالحِيَلِ لفَعَلَ، فلذلك أَمَرَ اللَّهُ بالتَّعَوُّذِ منه). [التفسير الكبير: ١٧٩/٣٢]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (والحاسِدُ: هو الذي تَشْتَدُّ مَحَبَّته لإزالة نِعْمَةِ الغَيْرِ إليهِ، حتى لو تَمَكَّنَ مِن ذلك بالحِيَلِ لَفَعَلَ، فلذلك أَمَرَ اللَّهُ رسولَه صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ بالتَعَوُّذِ منه). [غرائب القرآن: ٢٢٨/٣٠]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (وأَصْلُ الحَسَدِ هو بُغْضُ نِعمةِ اللهِ على المحسودِ وتَمَنِّي زوالِها، فالحاسِدُ عدوُّ النِّعَمِ). [بدائع الفوائد: ٢٣٣/٢]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمِ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (الحَسَدُ، وَهُوَ تَمَنِّي زَوَالِ نِعْمَةِ المَحْسُودِ). [نظم الدرر: ٦٠٦/٨]

قَالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ ﴾ [الفلق: ٥] الحَسَدُ: تمَنِّي زَوَالِ النِّعْمَةِ التي أَنْعَمَ اللَّهُ بها على المحسودِ). [فتح البيان: ٤٦٢/١٥]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُصْطَفَى المَرَاغِيُّ (ت: ١٣٧١هـ): (والحَاسِدُ: هُوَ الَّذِي يَتَمَنَّى زَوَالَ نِعْمَةِ المَحْسُودِ). [تفسير المراغي: ٢٦٧/٣٠]

قَالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (إنَّ الحَسَدَ هو تَمَنِّي زوالِ نِعمةِ الغيرِ، أو عَدَمِ حُصولِ النِّعمةِ للغيرِ؛ شُحًّا عليه بها). [تتمة أضواء البيان: ٣٤٣/٩]

قَالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (أمَّا حَقيقةُ الحَسَدِ: فيَتَعَذَّرُ تَعريفُه مَنْطِقِيًّا.

وتَقَدَّمَ للشيخِ - رحمةُ اللَّهِ تعالى عَلَيْنَا وعليه - أنه قالَ في السحرِ: "لا يُمْكِنُ تَعْرِيفُهُ؛ لِخَفَائِهِ".

ومعلومٌ أنَّ الحَسَدَ أشَدُّ خَفاءً؛ لأنَّه عَمَلٌ نَفْسِيٌّ وأَثَرٌ قَلْبِيٌّ، وقد قِيلَ فيه: إنَّه كإشعاعٍ غيرِ مَرْئِيٍّ، يَنْتَقِلُ مِن قلْبِ الحاسِدِ إلى المحسودِ، عندَ تَحرُّقِه بقَلْبِه على المحسودِ، وقد شُبِّهَ حَسَدُ الحاسِدِ بالنارِ في قولِهم:

اصْبِرْ على مَضَضِ الحَسُو ... دِ فإنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهْ
كالنارِ تَأْكُلُ بعْضَها ... إنْ لَمْ تَجِدْ ما تَأْكُلُهْ

). [تتمة أضواء البيان: ٣٤٣/٩]

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ سُلَيْمَانَ الأَشْقَرُ (ت:١٤٣٠هـ): (﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ ﴾ [الفلق: ٥] الحَسَدُ: تَمَنِّي زَوَالِ النِّعْمَةِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى المَحْسُودِ). [زبدة التفسير: ٦٠٤]

■ الرد على الفلاسفة في إنكارهم وقوع الحسد

قَالَ إِلْكِيَا الهَرَّاسِيُّ عِمَادُ الدِّينِ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّبَرِيُّ (ت:٥٠٤ هـ): (وقَالَ قَوْمٌ مِن الفَلاسِفَةِ: إِنَّ ضَرَرَ العينِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ شَيْءٍ يَنْفَصِلُ مِن العينِ وَيَتَّصِلُ بالمُعَايَنِ.

وَالحَقُّ فِي ذلكَ إِذَا اتَّفَقَ ضَرَرٌ فَهُوَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ عِنْدَ إِعْجَابِ الإنْسَانِ بِمَا يَرَاهُ تَذْكِيراً لَهُ؛ لأَنْ لا يَرْكَنَ إِلَى الدُّنْيَا وَلا يَعْجَبَ بِشَيْءٍ مِنْهَا). [أحكام القرآن: ٤٣٤/٤]

قَالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (وقد أَنْكَرَ بعضُ الفَلاسفةِ وُقُوعَ الحَسَدِ، حيثُ إنه غيرُ مُشاهَدٍ، وهم مَحْجُوجُونَ بكُلِّ مَوجودٍ غيرِ مُشاهَدٍ؛ كالنفْسِ والرُّوحِ والعقْلِ.

وقد شُوهِدَتِ اليومَ أشِعَّةُ (إكس)، وهي غيرُ مَرْئِيَّةٍ، ولكِنَّها تَنْفُذُ إلى داخِلِ الجِسْمِ مِن إنسانٍ وحيوانٍ، بل وخَشَبٍ ونَحْوِه، ولا يَرُدُّها إلاَّ مادَّةُ الرَّصاصِ؛ لِكَثَافةِ مَعْدِنِه، فتُصَوِّرُ داخِلَ جِسْمِ الإنسانِ مِن عِظامٍ وأمعاءٍ وغيرِها، فلا مَعْنَى لرَدِّ شيءٍ لعَدَمِ رُؤيته). [تتمة أضواء البيان: ٣٤٣/٩- ٣٤٤]

الفرق بين الحسد والغبطة

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالَوَيْهِ (ت: ٣٧٠هـ): (فَأَمَّا مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ قُرْآنًا فَهُوَ يَتْلُوهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»، فإِنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ الحَسَدَ لا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ، وَلَوْ كَانَ وَاجِبًا لَكَانَ فِي هَذَيْنِ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٧]

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٥] أمَّا الحسَدُ فهو تَمَنِّي زوالِ نِعمةِ المحسودِ، وإنْ لم يَصِرْ للحاسِدِ مثلُها، والمنافَسةُ هي تَمَنِّي مِثلِها وإنْ لم تَزُلْ، فالحسَدُ شَرٌّ مَذمومٌ، والمنافَسةُ رَغبةٌ مُباحَةٌ، وقد رُوِيَ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ قالَ: «المُؤْمِنُ يَغْبِطُ وَالمُنافِقُ يَحْسُدُ»). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٦- ٣٧٧]

قالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ السَّلامِ السُّلَمِيُّ (ت:٦٦٠ هـ): (وَالحَسَدُ تَمَنِّي زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنِ المحسودِ، وَإِنْ لَمْ تَصِرْ للحاسدِ. وَالمُنَافَسَةُ: تَمَنِّي مِثْلِهَا، فالمُؤْمِنُ يَغْبِطُ وَالمُنَافِقُ يَحْسُدُ). [تفسير القرآن: ٣/٥١١]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (الثَّامِنَةُ: قولُه تَعالَى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٥] قد تَقَدَّمَ في سُورةِ (النساءِ) معنَى الحَسَدِ، وأنَّه تَمَنِّي زَوَالِ نِعمَةِ المَحْسُودِ، وإِنْ لَمْ يَصِرْ للحاسِدِ مِثْلُها. والمنافَسَةُ هي تَمَنِّي مِثْلِها وإِنْ لَمْ تَزُلْ. فالحَسَدُ شَرٌّ مَذمومٌ. والمنافَسَةُ مُباحَةٌ وهي الغِبْطَةُ.
وقد رُوِيَ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «المُؤْمِنُ يَغْبِطُ، وَالمُنَافِقُ يَحْسُدُ».
وفي الصحيحيْنِ: «لا حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ». يُرِيدُ: لا غِبْطَةَ، وقد مضَى في سورةِ (النساءِ). والحمدُ للهِ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٩]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (قَوْلُهُ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٥] الحَسَدُ: هُوَ تَمَنِّي زَوَالِ نِعْمَةِ المَحْسُودِ، وإن لَمْ يَصِرْ لِلْحَاسِدِ مِثْلُهَا، والمُنَافَسَةُ: هِيَ تَمَنِّي مِثْلِهَا وإِنْ لَمْ تَزُلْ مِنَ المَحْسُودِ، وهي الغِبْطَةُ، فالحَسَدُ: شَرٌّ وَمَذْمُومٌ، والمُنَافَسَةُ مُبَاحَةٌ.
قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المُؤْمِنُ يَغْبِطُ وَالمُنَافِقُ يَحْسُدُ»، وقَالَ: «لا حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ». يُرِيدُ الغِبْطَةَ). [اللباب: ٢٠/٥٧٤]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (ويُطلَقُ الحسَدُ على الغِبطةِ مَجازًا، وكان ذلك شائعًا في العُرْفِ الأوَّلِ، وهي تَمَنِّي أن يكونَ له مِثلُ ما لأخيهِ مِن النِّعمةِ مِن غيرِ تَمَنِّي زوالِها، وهذا مِمَّا لا بَأْسَ به، ومِن ذلك ما صَحَّ مِن قولِه صَلَّى اللَّهُ تعالى عليه وسلَّمَ: «لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ تَعَالَى مَالاً وَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ». وقالَ أبو تَمَّامٍ:

هـم حَـسَدوه لا مَلـومينَ مَجْـدَهُ ... ومـا حاسـدٌ في المُكْرَمـاتِ بحاسِـدِ

وقالَ أيضًا:

واعْذُرْ حَسودَكَ فيما قد خُصِصْتَ بِهِ ... إنَّ العُـلا حَـسَنٌ في مِثْلِهـا الحَـسَدُ

). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٤]

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (وقد يُطْلَقُ الحسَدُ ويُرادُ به الغِبْطَةُ، وهو تَمَنِّي ما يَراهُ عنْدَ الآخَرِينَ مِن غيرِ زوالِه عنهم.

وعليه الحديثُ: «لا حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الخَيْرِ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا بَيْنَ النَّاسِ».

وقالَ القُرْطُبِيُّ: رُوِيَ مَرفوعاً: «المُؤْمِنُ يَغْبِطُ وَالْمُنَافِقُ يَحْسُدُ»). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٤٥]

■ مراتب الحسد

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (ثم إنَّ الحسَدَ على دَرجاتٍ:

الأُولَى: أن يُحِبَّ الإنسانُ زوالَ النعمةِ عن أخيه المُسلِمِ، وإن كانت لا تَنْتَقِلُ إليه، بل يَكْرَهُ إنعامَ اللهِ على غيرِه ويتأَلَّمُ به.

الثانيةُ: أن يُحِبَّ زَوالَ تلك النِّعمةِ لرغْبَتِه فيها رَجاءَ انتقالِها إليه.

الثالثةُ: أن يَتَمَنَّى لنفسِه مِثلَ تلك النِّعمةِ من غيرِ أن يُحِبَّ زوالَها عن غيرِه، وهذا جائزٌ، وليس بحَسَدٍ، وإنما هو غِبْطَةٌ). [التسهيل: ٢٢٦]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصلٌ: وتَأَمَّلْ تَقييدَه سُبحانَه شَرَّ الحاسِدِ بقولِه: ﴿إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٥] لأنَّ الرجُلَ قد يكونُ عندَه حَسَدٌ ولكن يُخْفِيه، ولا يُرَتِّبُ عليه أَذًى بوجْهٍ ما، لا بقَلْبِه، ولا بلسانِه، ولا بيدِه، بل يَجِدُ في قلبِه شيئًا من ذلك ولا يُعاجِلُ أخاه إلا بما يُحِبُّ اللهُ، فهذا لا يَكادُ يَخلُو منه أحَدٌ إلا مَن عَصَمَه اللهُ.

وقِيلَ للحَسَنِ البَصريِّ: أَيَحْسُدُ المؤمنُ؟ قالَ: ما أنساكَ إخوةَ يُوسُفَ؟!

لكنَّ الفرْقَ بينَ القوَّةِ التي في قَلْبِه من ذلك وهو لا يُطيعُها ولا يَأْتَمِرُ لها، بل يَعصيها طاعةً للهِ وخَوْفًا وحَياءً منه وإجلالاً له، أن يَكرَهَ نِعَمَه على عِبادِه، فَيَرَى ذلك مُخالَفَةً للهِ وبُغضًا لِمَا يُحِبُّه اللهُ ومَحبَّةً لِمَا يُبْغِضُه، فهو يُجاهِدُ نفسَه على دفْعِ ذلك، ويُلزِمُها بالدعاءِ للمَحسودِ وتَمَنِّي زيادةِ الخيرِ له، بِخِلافِ ما إذا حَقَّقَ ذلك وحَسَدَ ورُتِّبَ على حَسَدِه مُقتضاهُ من الأَذَى بالقلْبِ واللسانِ والجوارِحِ، فهذا الحَسَدُ المذمومُ، هذا كلُّه حَسَدُ تَمَنِّي الزوالِ.

وللحَسَدِ ثلاثُ مَراتِبَ، **أَحَدُها** هذه.

الثانيةُ: تَمَنِّي استصحابِ عَدَمِ النِّعمةِ، فهو يَكْرَهُ أن يُحْدِثَ اللهُ لعَبْدِه نِعمةً، بل يُحِبُّ أن يَبْقَى على حالِه من جَهْلِه أو فَقْرِه أو ضَعْفِه، أو شَتَاتِ قَلْبِه عن اللهِ، أو قِلَّةِ دينِه، فهو يَتَمَنَّى دَوامَ ما هو فيه من نَقْصٍ وعَيْبٍ، فهذا حَسَدٌ على شيءٍ مُقَدَّرٍ، والأوَّلُ حَسَدٌ على شيءٍ مُحَقَّقٍ، وكلاهما حاسِدٌ عدوُّ نِعْمَةِ اللهِ وعدوُّ عِبادِه، ومَمْقوتٌ عندَ اللهِ تعالى وعندَ الناسِ، ولا يَسُودُ أبدًا ولا يُواسَى؛ فإنَّ الناسَ لا يُسَوِّدُون عليهم إلا مَن يُريدُ

الإحسانَ إليهم، فأمَّا عدوُّ نِعمةِ اللهِ عليهم فلا يُسَوِّدُونه باختيارِهم أبدًا، إلا قَهْرًا يَعُدُّونه من البلاءِ والمصائبِ التي ابْتَلاهُمُ اللهُ بها، فهم يُبْغِضُونه وهو يُبْغِضُهم.

والحَسَدُ الثالثُ: حَسَدُ الغِبْطَةِ، وهو تَمَنِّي أن يكونَ له مثلُ حالِ المحسودِ من غيرِ أن تَزولَ النِّعمةُ عنه، فهذا لا بأسَ به ولا يُعابُ صاحبُه، بل هذا قريبٌ من المُنافَسةِ، وقد قالَ تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: ٢٦]، وفي الصحيحِ عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قالَ: «لا حَسَدَ إلَّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً وَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ».

فهذا حَسَدُ غِبْطَةٍ، الحامِلُ لصاحِبِه عليه كِبَرُ نفسِه، وحُبُّ خِصالِ الخيرِ، والتَّشبُّهُ بأهلِها، والدخولُ في جُمْلَتِهم، وأن يكونَ من سُبَّاقِهم وعِلْيَتِهم ومُصَلِيهم لا من فَسَاكِلِهم، فتَحْدُثُ له من هذه الهِمَّةِ المُنافَسَةُ والمُسابَقَةُ والمُسارَعَةُ، مع مَحَبَّتِه لِمَن يَغْبِطُه، وتَمَنِّي دَوامِ نِعمةِ اللهِ عليه، فهذا لا يَدْخُلُ في الآيةِ بوَجْهٍ ما). [بدائع الفوائد: ٢/٢٣٦- ٢٣٧]

■ الفرق بين العين والحسد

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصلٌ: والعائِنُ والحاسِدُ يَشترِكانِ في شيءٍ ويَفترِقانِ في شيءٍ، فيَشترِكانِ في أنَّ كلَّ واحدٍ منهما تَتَكَيَّفُ نفسُه وتَتَوَجَّهُ نحوَ مَن يُريدُ أذاه، فالعائِنُ تَتَكَيَّفُ نفسُه عندَ مُقابَلَةِ المَعينِ ومُعايَنَتِه، والحاسِدُ يَحْصُلُ له ذلك عندَ غَيْبِ المحسودِ وحُضورِه أيضًا، ويَفترِقانِ في أنَّ العائِنَ قد يُصيبُ مَن لا يَحْسُدُه من جَمادٍ أو حيوانٍ أو زَرْعٍ أو مالٍ، وإن كان لا يَكادُ يَنْفَكُّ من حَسَدِ صاحبِه، وربما أصابَتْ عينُه نفسَه، فإنَّ رؤيتَه للشيءِ رؤيةُ تَعَجُّبٍ وتحديقٍ مع تَكَيُّفِ نفسِه بتلك الكَيْفِيَّةِ تُؤَثِّرُ في المَعينِ). [بدائع الفوائد: ٢٣١]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (والمقصودُ أنَّ العائِنَ حاسدٌ خاصٌّ، وهو أَضَرُّ من الحاسِدِ، ولهذا – واللهُ أَعْلَمُ – إنما جاءَ في السورةِ ذِكْرُ الحاسِدِ دونَ العائِنِ؛ لأنه أَعَمُّ، فكُلُّ عائنٍ حاسِدٌ ولا بُدَّ، وليس كلُّ حاسِدٍ عائنًا، فإذا استعاذَ من شَرِّ الحسَدِ دَخَلَ فيه العَينُ، وهذا من شُمولِ القرآنِ وإعجازِه وبَلاغتِه). [بدائع الفوائد: ٢٣٣]

قالَ أبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وذَكَرُوا أنَّ العائنَ والحاسدَ يَشترِكانِ في أنَّ كُلاًّ منهما تَتكيَّفُ نفسُه وتَتوجَّهُ نحوَ مَن تريدُ أذاهُ، إلا أنَّ العائنَ تَتكيَّفُ نفسُه عندَ مُقابَلَةِ العينِ والمُعايَنَةِ، والحاسدَ يَحْصُلُ حَسدُه في الغَيْبَةِ والحضورِ، وأيضًا العائنُ قد يَعِينُ مَن لا يَحْسُدُه مِن حيوانٍ وزَرعٍ، وإن كان لا يَنْفَكُّ مِن حَسَدِ صاحبِه والتَّقْييد بذلك إذْ لا ضَرَرَ قبلَه، بل قيلَ: إنَّ ضَرَرَ الحسَدِ إنما يَحِيقُ بالحاسدِ لا غيرُ، كما قالَ عليٌّ كَرَّمَ اللهُ تعالى وَجْهَه: للهِ دَرُّ الحسَدِ ما أعدلَه، بَدَأَ بصاحبِه فقتَلَه. وقالَ ابنُ المعتزِّ:

اصْبِرْ على حَسَدِ الحسو ... دِ فإنَّ صَبْرَك قاتِلُهْ
فالنارُ تأكلُ بعضَها ... إن لم تَجِدْ ما تَأْكُلُهْ

وليُعْلَمْ أنَّ الحَسَدَ يُطْلَقُ على تَمَنِّي زوالِ نِعمةِ الغيرِ وعلى تَمَنِّي استصحابِ عَدَمِ النعمةِ ودَوامِ ما في الغيرِ مِن نَقْصٍ أو فقْرٍ أو نحوِه، والإطلاقُ الأوَّلُ هو الشائعُ، والحاسدُ بِكِلا الإطلاقين مَمْقوتٌ عندَ اللهِ تعالى وعندَ عِبادِه عزَّ وجلَّ، آتٍ بابًا مِن الكبائرِ على ما اشْتُهِرَ بينَهم، لكنَّ التحقيقَ أنَّ الحَسَدَ الغريزيَّ الجِبِلِّيَّ إذا لم يُعملْ بمُقتضاهُ مِن الأذى مُطْلَقًا بل عاملَ المُتَّصِفُ به أخاهُ بما يُحِبُّ اللهُ تعالى، مُجاهِدًا نفسَه لا إِثْمَ فيه، بل يُثابُ صاحبُه على جِهادِ نفسِه وحُسْنِ معاملته أخاه ثوابًا عظيمًا لِمَا في ذلك مِن مَشَقَّةِ مَخالَفَةِ الطبعِ كما لا يَخْفَى). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٤]

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ نَاصِرٍ السّعْدِيُّ (ت: ١٣٧٦هـ): (ويَدْخُلُ في الحاسدِ العاينُ؛ لأنَّه لا تَصْدُرُ العينُ إلاَّ مِن حاسدٍ شرِّيرِ الطبعِ خَبيثِ النَّفْسِ). [تيسير الكريم الرحمن: ٤/٢٠٠١] (م)

قالَ عَطِيَّة مُحمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (تنبيهٌ آخَرُ: تُوجَدُ العينُ كما يُوجَدُ الحَسَدُ، ولم أَجِدْ مَن فَرَّقَ بينَهما معَ وُجودِ الفَرْقِ.

وقد جاءَ في الصحيحِ: «إِنَّ العَيْنَ لَحَقٌّ».

كما جاءَ في السُّنَنِ: «لَوْ أَنَّ شَيْئًا يَسبِقُ القَدَرَ لَسَبَقَتْهُ العَيْنُ».

ويُقالُ في الحَسَدِ: حاسِدٌ. وفي العَيْنِ: عائِنٌ.

ويَشتركانِ في الأَثَرِ، ويَختَلِفانِ في الوَسيلةِ والمُنْطَلَقِ.

فالحاسِدُ: قد يَحْسُدُ ما لم يَرَهُ، ويَحْسُدُ في الأمْرِ المُتَوَقَّعِ قَبْلَ وُقوعِه، ومَصْدَرُه تَحَرُّقُ القَلْبِ واستكثارُ النِّعمةِ على المَحْسودِ، وبتَمَنِّي زوالِها عنه أو عَدَمِ حصولِها له، وهو غايةٌ في حِطَّةِ النفْسِ.

والعائنُ: لا يَعِينُ إلاَّ ما يَراهُ والموجودَ بالفعْلِ، ومَصْدَرُه انقداحُ نَظْرَةِ العَيْنِ، وقد يَعِينُ ما يَكْرَهُ أنْ يُصابَ بأذًى منه كولَدِه ومالِه.

وقد يُطْلَقُ عليه أيضاً الحَسَدُ). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٤٥]

■ العين حقّ

■ حديث أبي هريرة

قالَ مُحمَّدُ بنُ إِسمَاعِيلَ البُخَارِيُّ (ت: ٢٥٦هـ): (حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «العَيْنُ حَقٌّ»، وَنَهَى عَنِ الوَشْمِ). [صحيح البخاري: كتاب الطب/ باب العين حق]

قالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الجَصَّاصُ (ت: ٣٧٠هـ): (وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَبُو هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْعَيْنُ حَقٌّ»، وَالأَخْبَارُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصِحَّةِ العَيْنِ مُتَظَاهِرَةٌ). [أحكام القرآن: ٣/٦٤٩]

قالَ حَيْدَرُ بْنُ عَلِيٍّ القَاشِيُّ (ت: ٧٧٦هـ): (عَنْ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «العَيْنُ حَقٌّ، وَيَحْضُرُ بِهَا الشَّيْطَانُ، وَحَسَدُ ابْنِ آدَمَ») [المعتمد في المنقول: ٢/٥٠٨]

حديث ابن عباس

قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الحَجَّاجِ بنِ مُسْلِمٍ القُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٢٦١هـ): (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، وَأَحْمَدُ بْنُ خِرَاشٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَخْبَرَنَا، وقَالَ الآخَرَانِ: حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «العَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ القَدَرِ سَبَقَتْهُ العَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا»). [صحيح مسلم: ١٣/٧]

- **قلتُ**: (هذا الحديثُ رواه مسلمٌ والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ والطَّحاويُّ وابنُ حِبَّانَ والجَصَّاصُ والبَيهقيُّ وابنُ عبدِ البَرِّ في التمهيدِ من طُرُقٍ عن عبدِ اللهِ بنِ طاوسِ بنِ كَيسانَ، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ مرفوعاً).

قالَ أَبُو بَكرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الجَصَّاصُ (ت: ٣٧٠هـ): (حَدَّثَنَا ابْنُ قَانِعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا القَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّا، قَالَ: حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِبْرَاهِيمَ السَّقَّاءُ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ طاوسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «العَيْنُ حَقٌّ، فَلَوْ كَانَ شَيْءٌ يَسْبِقُ القَدَرَ لَسَبَقَتْهُ العَيْنُ، فَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا»). [أحكام القرآن: ٦٤٩/٣]

حديث عائشة

قالَ ابنُ ماجَهْ مُحَمَّدُ بنُ يَزِيدَ القَزْوِينِيُّ (ت: ٢٧٣هـ): (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا أَبُو هِشَامٍ المَخْزُومِيُّ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، عَنْ أَبِي وَاقِدٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ فَإِنَّ العَيْنَ حَقٌّ»). [سنن ابن ماجه: ٣٥٦/٢]

- **قالَ مُحَمَّد ناصِرِ الدِّينِ الأَلْبَانِيُّ (ت:١٤٢٠هـ)**: (أخرجه ابنُ ماجهْ (٣٥٦/٢) والخَرائطيُّ في مكارمِ الأخلاقِ (٨٩- ٩٠) والدَّيلميُّ (٤٨/١/١- ٤٩) والحاكمُ (٢١٥/٤) من طريقِ وُهيبٍ، عن أبي واقدٍ اللَّيْثيِّ، قال: سمِعتُ أبا سلمةَ بنَ عبدِ الرحمنِ يُحدِّثُ عن عائشةَ رضِيَ اللهُ عنها به مرفوعًا، وقال الحاكمُ: (صحيحٌ على شرطِ الشيخينِ)، ووافقه الذَّهَبِيُّ، وهو كما قالا). [السلسلة الصحيحة: ٣٧٣/٢]

حديث جابر بن عبد الله

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ عَدِيٍّ بنِ عَبْدِ اللهِ الجُرْجَانِيُّ (ت: ٣٦٥هـ): (حَدَّثَنَا أَحمدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ سَعِيدٍ المروَزِيُّ، وَعَلِيُّ بنُ إبرَاهِيمَ بنِ الهيثَمِ، وَعبدُ الملِكِ بنُ مُحَمَّدٍ، قَالُوا: ثنا شُعَيبُ بنُ أَيُّوبَ، ثنا مُعَاوِيَةُ بنُ هِشَامٍ، ثنا سُفْيَانُ، عَن مُحَمَّدِ بنِ المنكَدِرِ، عَن جَابِرٍ قَالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ العَيْنَ لَتُدْخِلُ الرَّجُلَ القَبْرَ وَالجَمَلَ القِدْرَ»). [الكامل: ٤٠٧/٦- ٤٠٨]

- **قالَ مُحَمَّد ناصِرِ الدِّينِ الأَلْبَانِيُّ (ت:١٤٢٠هـ)**: («الْعَيْنُ تُدْخِلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ وَالْجَمَلَ الْقِدْرَ».

قال في الجامعِ: (رواه ابنُ عَدِيٍّ وأبو نُعيمٍ في الحِلْيَةِ عن جابرٍ وابنُ عديٍّ عن أبي ذرٍّ).

قلتُ: وقد أخرجه أبو نُعيمٍ في الحِليةِ (٧/٩٠)، وأبو بكرٍ الشِّيرازيُّ في سبعةِ مجالسَ من الأمالي (٢/٨)، والخطيبُ في تاريخِه (٩/٢٤٤) من طريقِ محمدِ بنِ مَخْلَدٍ وابنِ عَدِيٍّ، كلاهما عن شُعيبِ بنِ أيوبَ، حدثنا معاويةُ بنُ هشامٍ، حدثنا سفيانُ، عن محمدِ بنِ المُنْكدِرِ، عن جابرٍ به.

قال ابنُ عديٍّ: (وحدث سفيانُ هذا عن محمدِ بنِ المنكدِرِ، ويقالُ: إنه غلِط وإنما هو عن معاويةَ عن عليِّ بنِ عليٍّ، عن ابنِ المنكدرِ، عن جابرٍ).

والحديثُ أشارَ إليه الذهبيُّ في ترجمةِ شعيبِ بنِ أيوبَ هذا، وقال: إنه منكرٌ.

وضعَّفه الحافظُ السَّخاويُّ في المقاصدِ الحَسَنةِ.

وإسنادُه حسنٌ عندي؛ لأن شُعيبَ بنَ أيوبَ وثَّقَه الدارقطنيُّ وابنُ حِبَّانَ، وجرَّحَه أبو داودَ جرحًا مبهمًا فقال: إني لأخاف اللهَ تعالى في الروايةِ عنه). [السلسلة الصحيحة: ٣/٢٥٠]

حديث آخر عن ابن عبَّاس

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الوَلِيدِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ دُوَيْدٍ، حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ ثَوْبَانَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «العَيْنُ حَقٌّ، العَيْنُ حَقٌّ، تَسْتَنْزِلُ الحَالِقَ»). [مسند الإمام أحمد: ٤/٤١٨]

قالَ مُحَمَّد ناصِر الدِّينِ الأَلْبَانِيُّ (ت:١٤٢٠هـ): («الْعَيْنُ حَقٌّ، تَسْتَنْزِلُ الْحَالِقَ» أخرجه الحاكمُ (٤/٢١٥)، وأحمدُ (١/٢٧٤و٢٩٤) والطبرانيُّ في الكبيرِ (٣/١٧٨/٢) من طريقِ سُفيانَ عن دُويدٍ، حدثني إسماعيلُ بنُ ثوبانَ، عن جابرِ بنِ زيدٍ عن ابنِ عباسٍ به مرفوعًا.

وقال الحاكمُ: صحيحٌ. ووافقه الذهبيُّ معَ أنه أورد دُويدًا في الميزانِ، وقال: (قال أبو حاتمٍ: لَيِّنٌ)، ولم يَزِدْ، فمِن أين جاءَتِ الصحةُ إلى إسنادِه؟! وفي "المَجْمَع" (٥/١٠٧): (رواه أحمدُ والطبرانيُّ وفيه دُويدٌ البَصريُّ، وقال أبو حاتمٍ: لَيِّنٌ، وبَقيةُ رِجالِه ثِقاتٌ).

قلت: لكن الحديثُ له شاهدٌ بلفظِ: «إِنَّ الْعَيْنَ لَتُولِعُ بِالرَّجُلِ» وقد مضَى برَقْمِ (٨٨٩) فهو به حسنٌ إن شاء اللهُ تعالى). [السلسلة الصحيحة:٣/٢٥١]

حديث أبي ذرّ الغفاري

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا دَيْلَمٌ، عَنْ وَهْبِ بْنِ أَبِي دُبَيٍّ، عَنْ أَبِي حَرْبٍ، عَنْ مِحْجَنٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ العَيْنَ لَتُولِعُ بِالرَّجُلِ بِإِذْنِ اللَّهِ حَتَّى يَصْعَدَ حَالِقًا ثُمَّ يَتَرَدَّى مِنْهُ»). [مسند الإمام أحمد: ٣٥/٢٢٨]

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت: ٣٦٠هـ): (حدَّثنا مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ بنِ الأَحْمَرِ النَّاقِدُ، قالَ: ثنا طَالُوتُ بنُ عَبَّادٍ، قالَ: نا دَيْلَمُ بنُ غَزْوَانَ، قالَ: نا وَهْبُ بنُ أَبي دُبَيٍّ، عَن أَبي حَرْبِ بنِ أَبي الأَسْوَدِ، عَن

مِحْجَنٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ العَيْنَ لَتُولِعُ بِالرَّجُلِ بِإِذنِ اللَّهِ حَتَّى يَصْعَدَ حَالِقًا فَيَتَرَدَّى مِنْهَا».

لا يُرْوَى هذَا الحدِيثُ عَن أَبِي ذَرٍّ إلا بهذَا الإِسْنَادِ، تَفَرَّدَ بِهِ دَيْلَمُ بنُ غَزْوَانَ). [المعجم الأوسط: ٦/١١٩]

قلتُ: (هذا الحديثُ رواه أحمدُ والحارثُ بنُ أبي أسامةَ في مُسندِه والبزَّارُ والطبرانيُّ في المعجمِ الأوسطِ وابنُ عَديٍّ في الكاملِ، كلُّهم من طريقِ دَيلمِ بنِ غزوانَ، عن وهبِ بنِ أبي دُبَيٍّ، عن أبي حربٍ عن مِحْجَنٍ عن أبي ذرٍّ.

قال الألبانيُّ: وهذا إسنادٌ رجالُه كلُّهم ثِقاتٌ معروفون غيرَ مِحجنٍ هذا.

قلتُ: قال ابنُ عَدِيٍّ في الكاملِ: لعلَّ أبا حربٍ هو مِحْجَنٌ).

■ تأويل المعتزلة لمعنى العين

قالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الجَصَّاصُ (ت: ٣٧٠هـ): (زَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ ضَرَرَ العَيْنِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ شَيْءٍ يَنْفَصِلُ مِنَ العَائِنِ فَيَتَّصِلُ بِالمَعِينِ، وَهَذَا هُوَ شَرٌّ وَجَهْلٌ، وَإِنَّمَا العَيْنُ فِي الشَّيْءِ الْمُسْتَحْسَنِ عِنْدَ العَائِنِ، فَيَتَّفِقُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَوْقَاتِ ضَرَرٌ يَقَعُ بِالمَعِينِ، وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ عِنْدَ إِعْجَابِ الإِنْسَانِ بِمَا يَرَاهُ تَذْكِيرًا لَهُ؛ لِئَلَّا يَرْكَنَ إِلَى الدُّنْيَا وَلا يُعْجَبَ بِشَيْءٍ مِنْهَا، وَهُوَ نَحْوُ مَا رُوِيَ أَنَّ العَضْبَاءَ نَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ تَكُنْ تُسْبَقُ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ فَسَابَقَ بِهَا فَسَبَقَهَا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ وَضَعَهُ».

وَكَذَلِكَ أَمْرُ العَائِنِ عِنْدَ إِعْجَابِهِ بِمَا يَرَاهُ أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ وَقُدْرَتَهُ فَيَرْجِعَ إِلَيْهِ وَيَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] فَأَخْبَرَ بِهلاكِ جَنَّتِهِ عِنْدَ إِعْجَابِهِ بِهَا بِقَوْلِهِ، فَقَالَ: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾ [الكهف: ٣٥] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] أَيْ: لِتَبْقَى عَلَيْكَ نِعَمُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى وَقْتِ وَفَاتِكَ).
[أحكام القرآن: ٣/٦٤٩]

قلتُ: (وهذا تأويلٌ باطلٌ؛ لأَنَّهُ يعودُ علَى حَقِيقَةِ العَينِ بالإبطَالِ، وَقَد سَبَقَ ذِكْرُ الأدِلَّةِ المبيِّنَةِ لِحَقِيقَةِ العَينِ وَأَثرِهَا، وَنِسْبَةِ الأثرِ إليهَا نِسبَةَ الفِعْلِ إِلَى فَاعِلِهِ، وَأَمْرِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَكْثَرَ مِن حَدِيثٍ بالاسترْقَاءِ مِنَ العَيْنِ، بَلْ قَدْ كَانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنهَا، وَيُعَوِّذُ غيرَهُ، وَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لا يَتَعَوَّذُ مِن شَيْءٍ لا حَقِيقَةَ لَهُ وَلا أَثرَ).

■ حقيقة العين

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (وقد قالَ غيرُ واحدٍ من الْمُفَسِّرينَ في قولِه تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ﴾ [القلم: ٥١]: إنه الإصابةُ بالعينِ فأَرَادُوا أن يُصيبُوا بها رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، فنظَرَ إليه قومٌ من العائنينَ، وقالُوا: ما رَأَيْنا مِثْلَه ولا مِثْلَ حُجَّتِه.

وكان طائفةٌ منهم تَمُرُّ به الناقةُ والبقرَةُ السمينةُ فيَعِينُها، ثم يقولُ لِخَادِمِه: خُذِ المِكْتَلَ والدِّرْهَمَ وائتِنَا بشيءٍ من لَحْمِها. فما تَبْرَحُ حتى تَقَعَ فتُنْحَرَ.

وقالَ الكلبيُّ: كان رَجُلٌ من العَرَبِ يَمْكُثُ يومين أو ثلاثةً لا يَأْكُلُ، ثم يَرْفَعُ جانِبَ خِبائِه فتَمُرُّ به الإبِلُ فيَقولُ: لم أَرَ كاليومِ إبِلاً ولا غنَمًا أَحْسَنَ من هذه. فما تَذْهَبُ إلا قليلاً حتى يَسْقُطَ منها طائفةٌ، فسأَلَ الكُفَّارُ هذا الرجُلَ أن يُصيبَ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعَيْنِ، ويَفْعَلَ به كَفِعْلِه في غيرِه، فعَصَمَ اللهُ رسولَه وحَفِظَه، وأَنْزَلَ عليه: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [القلم: ٥١] هذا قولُ طائفةٍ.

وقالَتْ طائفةٌ أُخرى منهم ابنُ قُتَيْبَةَ: ليس المرادُ أنهم يُصيبُونك بالعَيْنِ كما يُصيبُ العائِنُ بعينِه ما يُعجِبُه، وإنما أَرادَ أنهم يَنظُرون إليك إذا قَرَأْتَ القرآنَ نَظَرًا شديدًا بالعَداوةِ والبَغضاءِ يَكادُ يُسْقِطُكَ، قالَ الزجَّاجُ: يعني مِن شِدَّةِ العداوةِ يَكادون بنَظَرِهم نَظَرَ البَغضاءِ أن يَصْرَعُوكَ.

هذا مُستعْمَلٌ في الكلامِ، يقولُ القائلُ: نَظَرَ إليَّ نَظَرًا كادَ يَصْرَعُني.

قالَ: ويَدُلُّ على صِحَّةِ هذا المعنى أنه قَرَنَ هذا النظَرَ بسماعِ القرآنِ، وهم كانوا يَكْرَهون ذلك أَشَدَّ الكراهيةِ، فيُحِدُّون إليه النظَرَ بالبَغضاءِ. قلتُ: النظَرُ الذي يُؤَثِّرُ في المنظورِ قد يكونُ سببُه شِدَّةَ العَداوةِ والحسَدِ فيُؤَثِّرُ نظَرُه فيه كما تُؤَثِّرُ نفسُه بالحَسَدِ ويَقْوَى تأثيرُ النفْسِ عندَ المُقابَلَةِ، فإنَّ العَدُوَّ إذا غابَ عن عَدُوِّه قد يَشْغَلُ نفسَه عنه، فإذا عايَنَه قُبُلاً اجْتَمَعَت الهِمَّةُ عليه، وتَوَجَّهَت النفْسُ بكُلِّيَّتِها إليه فيَتَأَثَّرُ بنَظَرِه، حتى إن مِن الناسِ مَن يَسْقُطُ، ومنهم مَن يُحَمُّ، ومنهم مَن يُحْمَلُ إلى بيتِه، وقد شاهدَ الناسُ من ذلك كثيرًا.

وقد يكونُ سببُه الإعجابَ، وهو الذي يُسَمُّونَه بإصابةِ العينِ، وهو أنَّ الناظِرَ يَرى الشيءَ رؤيةَ إعجابٍ به أو استعظامٍ فتَتَكَيَّفُ رُوحُه بكَيْفِيَّةٍ خاصَّةٍ تُؤَثِّرُ في المَعينِ، وهذا هو الذي يَعْرِفه الناسُ من رؤيةِ المَعينِ فإنهم يَسْتَحْسِنُون الشيءَ ويَعْجَبون منه فيُصابُ بذلك.

قالَ عبدُ الرزَّاقِ بنُ مَعْمَرٍ، عن هِشامِ بنِ قُتَيْبَةَ قالَ: هذا ما حَدَّثَنا أبو هُريرةَ، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «العَيْنُ حَقٌّ» ونَهَى عَنِ الوَشْمِ.

ورَوَى سفيانُ عن عمرِو بنِ دينارٍ، عن عُروةَ، عن عامِرِ بنِ عُبيدِ بنِ رِفاعةَ، أنَّ أسماءَ بنتَ عُمَيْسٍ قالَتْ: يا رسولَ اللهِ: إنَّ ابْنَيْ جَعْفَرٍ تُصيبُهم العينُ أَفَنَسْتَرْقِي لهم؟ قالَ: «نَعَمْ، فَلَوْ كَانَ شَيْءٌ يَسْبِقُ القَضَاءَ لَسَبَقَتْهُ العَيْنُ».

فالكُفَّارُ كانوا يَنظرون إليه نَظَرَ حاسِدٍ شديدِ العَداوةِ، فهو نَظَرٌ يَكادُ يُزْلِقُه لولا حِفْظُ اللهِ وعِصْمَتُه، فهذا أَشَدُّ من نَظَرِ العائِنِ، بل هو جِنْسٌ من نَظَرِ العائِنِ، فمَن قالَ: إنه من الإصابةِ بالعَيْنِ. أرادَ هذا المعنى، ومن قالَ: ليس به. أَرادَ أنَّ نَظَرَهم لم يكن نَظَرَ استحسانٍ وإعجابٍ. فالقرآنُ حقٌّ.

وقد رَوَى التِّرْمِذِيُّ من حديثِ أبي سعيدٍ: (أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يَتَعَوَّذُ من عينِ الإنسانِ، فلولا أنَّ العينَ شَرٌّ لم يَتَعَوَّذْ منها).

وفي التِّرْمِذِيِّ من حديثِ عليِّ بنِ المُبارَكِ، عن يَحْيى بنِ أبي كثيرٍ، حَدَّثني حابِسُ بنُ حَبَّةَ التَّميميُّ، حَدَّثَني أبي، أنه سَمِعَ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقولُ: «لا شَيْءَ فِي الهَامِ، وَالعَيْنُ حَقٌّ». وفيه أيضًا من حديثِ وُهَيْبٍ عن ابنِ طاوُسٍ، عن أبيه، عن ابنِ عَبَّاسٍ قالَ: كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقولُ: «لَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ القَدَرِ لَسَبَقَتْهُ العَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا». وفي البابِ عن عبدِ اللهِ بنِ عمروٍ. وهذا حديثٌ صحيحٌ). [بدائع الفوائد: ٢٣١- ٢٣٢]

■ الاسترقاء من العين

قالَ مُحمَّدُ بنُ إسْمَاعِيلَ البُخَارِيُّ (ت: ٢٥٦هـ): (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَعْبَدُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ شَدَّادٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ أَمَرَ أَنْ يُسْتَرْقَى مِنَ العَيْنِ). [صحيح البخاري: كتاب الطب/باب رقية العين]

قالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الجَصَّاصُ (ت: ٣٧٠هـ): (قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَدْ رَوَتْ عَائِشَةُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهَا أَنْ تَسْتَرْقِيَ مِنَ العَيْنِ). [أحكام القرآن: ٣/٦٤٩]

قالَ إِلْكِيَا الهَرَّاسِيُّ عِمَادُ الدِّينِ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّبَرِيُّ (ت:٥٠٤ هـ): (ورَوَتْ عَائِشَةُ أَنَّ النَّبِيَّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ قالَ: «العَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ يَسْبِقُ القَدَرَ لَسَبَقَتْهُ العَيْنُ، فَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْتَسِلُوا»). [أحكام القرآن: ٤/٤٣٣]

- **قلت:** (هذا حديثُ ابنِ عباسٍ كما تقدَّمَ، ولعله حصل له انتقالُ نظرٍ وهو ينقل عن الجَصَّاصِ، والجصاصُ قد ذكر الحديثين.

■

قلت: (في الاسترقاءِ من العينِ أحاديثُ أخرى سبَق ذِكْرُ بعضِها في مسائلِ الرُّقَى فراجِعْه).

■ الاستغسال للعين

■ حديث سَهل بن حُنيف الأنصاري

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُوَيْسٍ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ وَسَارُوا مَعَهُ نَحْوَ مَكَّةَ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِشِعْبِ الخَرَّارِ مِنَ الجُحْفَةِ، اغْتَسَلَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَكَانَ رَجُلاً أَبْيَضَ حَسَنَ الجِسْمِ وَالجِلْدِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ أَخُو بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ وَهُوَ يَغْتَسِلُ فَقَالَ: (مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ) فَلُبِطَ سَهْلٌ؛ فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لَكَ فِي سَهْلٍ؟ وَاللَّهِ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، وَمَا يُفِيقُ.

قَالَ: «هَلْ تَتَّهِمُونَ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ؟»

قَالُوا: نَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ.

فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامِرًا فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «عَلامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ هَلاَّ إِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَّكْتَ».

ثُمَّ قَالَ لَهُ: «اغْتَسِلْ لَهُ».

فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ، ثُمَّ صُبَّ ذَلِكَ الْمَاءُ عَلَيْهِ، يَصُبُّهُ رَجُلٌ عَلَى رَأْسِهِ وَظَهْرِهِ مِنْ خَلْفِهِ، يُكْفِئُ الْقَدَحَ وَرَاءَهُ، فَفَعَلَ بِهِ ذَلِكَ، فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ). [مسند الإمام أحمد: ٢٥/ ٢٥٦]

- **قلت:** (هذا حديثٌ مشهورٌ في دواوين الإسلامِ، رواه الإمامُ مالكٌ وعبدُ الرزاقِ وابنُ أبي شيبةَ وأحمدُ وابنُ ماجةَ والنسائيُّ وأبو يَعْلَى والطحاويُّ وابنُ حبانَ والطبرانيُّ وابنُ السُّنِّيِّ والحاكمُ والبيهقيُّ والبغويُّ وغيرُهم من طرقٍ عن الزهْرِيِّ، عن أبي أُمامةَ بنِ سهلِ بنِ حنيفٍ عن أبيه رضِي اللهُ عنه، وهو حديثٌ صحيحُ الإسنادِ، وقد رووه بألفاظٍ متقاربةٍ).

صفة الاستغسال

قالَ أَبُو حَاتِمٍ مُحَمَّدُ بنُ حِبَّانَ بنِ أَحْمَدَ البُسْتِيُّ (ت:٣٥٤هـ): (أخبرنا عبدُ الصمدِ بنُ سعيدِ بنِ يعقوبَ بحِمْصَ، حدثنا سليمانُ بنُ عبدِ الحميدِ البَهْرَانيُّ، حدثنا يحيى بنُ صالحٍ الوُحَاظِيُّ، حدثنا إسحاقُ بنُ يحيى الكَلبيُّ، حدثنا محمدُ بنُ مسلمِ بنِ شِهابٍ، حدثني أبو أُمامةَ بنُ سهلِ بنِ حُنيفٍ، أن عامرَ بنَ رَبيعةَ أخا بني عَدِيِّ بنِ كعبٍ رأى سهلَ بنَ حُنيفٍ وهو معَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بالخَرَّارِ يَغْتَسِلُ، فقال: واللهِ ما رأيتُ كاليومِ ولا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ.

قال: فلُبِطَ سهلٌ؛ فأُتِيَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم فقيل: يا رسولَ اللهِ، هل لك في سَهْلِ بنِ حُنيفٍ لا يرفَعُ رأسَه؟

فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: «هَلْ تَتَّهِمُونَ مِنْ أَحَدٍ؟».

قالوا: نعمْ، عامرَ بنَ ربيعةَ، رآه يَغتَسِلُ فقال: واللهِ ما رأيتُ كاليومِ ولا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ.

فدعا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم عامرَ بنَ رَبيعةَ، فتَغيَّظَ عليه وقال: «عَلامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟! أَلا تَبَرَّكَ؟ اغْتَسِلْ لَهُ»

فغَسَلَ له عامرٌ، فراح سهلٌ مع الرَّكْبِ ليسَ به بأسٌ.

والغَسْلُ: أنْ يُؤْتَى بالقَدَحِ؛ فيُدْخِلُ الغاسلُ كفَّيه جميعًا فيه، ثم يغسِلُ وجهَه في القَدَحِ، ثم يُدْخِلُ يدَه اليمنى فيغسِلُ صدرَه في القَدَحِ، ثم يُدخِلُ يدَه فيَغسِلُ ظهرَه، ثم يأخُذُ بيدِه اليسرى يفعَلُ مثلَ ذلك، ثم يغسِلُ ركبتيه وأطرافَ أصابعِه من ظَهْرِ القَدَمِ، ويفعَلُ ذلك بالرجلِ اليسرى، ثم يُعْطَى ذلك الإناءَ - قبل أنْ يضعَه بالأرضِ - الذي أصابه العينُ، ثم يَمُجُّ فيه ويتمضمضُ، ويُهَرِيقُ على وجهِه، ويصُبُّ على رأسِه ويُكْفِئُ القدحَ من وراءِ ظهرِه). [صحيح ابن حبان:١٣/ ٤٦٩- ٤٧١]

قالَ يُوسُفُ بنُ عَبدِ اللهِ ابنُ عَبْدِ البَرِّ النَّمَرِيُّ (ت:٤٦٣هـ): ((أخبرنا محمدُ بنُ إبراهيمَ، قال: حدثني أحمدُ بنُ مُطَرِّفٍ، قال: حدثني سعيدُ بنُ عُثمانَ، قال: حدثني محمدُ بنُ عُزَيْزٍ قال: حدثني سلامَةُ بنُ رَوْحٍ، قال: حدثني عُقَيْلٌ، عن ابنِ شِهابٍ، أنه أخبره أن الغَسْلَ الذي أدركنا علماءَنا يَصِفُونه: أن يُؤْتَى الرجلُ الذي يَعينُ صاحبَه بالقدَحِ فيه الماءُ فيُمْسَكُ له مُرْتَفِعًا من الأرضِ فيُدْخِلُ فيه يدَه اليمنى فيغرِفُ من الماءِ ويَصُبُّ على وجهه صبةً واحدةً في القدحِ، ثم يُدخِلُ يدَه اليسرى [فيُمضمضُ ثم يَمُجُّه في القدحِ، ثم يُدخِلُ يدَه اليسرى] فيَغترِفُ قَبضةً على ظهرِ كفِّه اليمنى صبةً واحدةً في القدحِ، وهو ثانٍ يدَه على عَقِبِه، ثم يفعَلُ مثلَ ذلك في مِرفقِ يدِه اليسرى، ويفعَلُ مثل ذلك في طرَفِ قدمِه اليمنى من عندِ أصولِ أصابعِه، واليسرى كذلك، ثم يُدخِلُ يدَه اليسرى فيصُبُّ على كتفِه اليمنى، ثم يفعَلُ مثلَ ذلك في اليسرى، ثم يَغمِسُ داخِلةَ إزارِه اليمنى في الماءِ، ثم يقومُ الذي في يدِه القدحُ حتى يصبَّه على رأسِ المَعينِ من ورائِه، ثم يَكْفَأُ القدحَ على ظهرِ الأرضِ وراءَه.

وقد ذكره ابنُ أبي ذِئبٍ عن ابنِ شِهابٍ بخلافِ شيءٍ من معانيه). [الاستذكار: ٨/٤٠١]

▪ أثر طاوس بن كَيْسان

قالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت: ٢١١هـ): (قَالَ مَعْمَرٌ: وَسَمِعْتُ ابْنَ طَاوُسٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: [العَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ القَدَرَ سَبَقَتْهُ العَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَغْتَسِلْ].

يَعْنِي الَّذِي أَصَابَ بِعَيْنِهِ يَغْسِلُ قَلِيلَ وَجْهِهِ، وَلِحْيَتَهُ، وَأَطْرَافَ كَفَّيْهِ، وَدَاخِلَ إِزَارِهِ، وَظُهُورَ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ يَحْسُو مِنْهُ حَسَوَاتٍ، ثُمَّ يَنْفُضُ ثَلاثًا عَلَى رَأْسِهِ مِنْ خَلْفِهِ). [تفسير عبد الرزاق: ٢/٤٠٨- ٤٠٩]

- **قلت:** (ما بين المعكوفين صحّ مرفوعاً كما تقدم).

▪ بيان ما تعالَج به العين

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (مسألةُ بيانِ ما تُعَالَجُ به العَيْنُ:

لَمَّا كانَ الحَسَدُ أضَرَّ ما يكونُ على الإنسانِ، والإصابةُ بالعينِ حَقٌّ لا شَكَّ فيها، وجاءَ فيها: «لَوْ أَنَّ شَيْئاً يَسْبِقُ القَدَرَ لَسَبَقَتْهُ العَيْنُ»، وحديثُ: «إِنَّ العَيْنَ لَحَقٌّ»، فقد فَصَّلَتِ السُّنَّةُ كيفيَّةَ اتِّقائِها قَبْلَ وُقوعِها، والعلاجَ منها إذا وَقَعَتْ.

وذلك فيما رَوَاهُ مالِكٌ في (المُوَطَّإِ) وغيرِه مِن الصِّحَاحِ، في حديثِ سَهْلِ بنِ حُنَيْفٍ، وبَوَّبَ البُخارِيُّ في صحيحِه بابَ رُقْيَةِ العَيْنِ، وذكَرَ حديثَ عائشةَ أنَّها قالَتْ: أمَرَنِي النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ، أو أمَرَ أنْ يُسْتَرْقَى مِن العَيْنِ.

وعَقَدَ مالِكٌ في (المُوَطَّإِ) باباً بعُنوانِ: الوُضوءُ مِن العَيْنِ، وباباً آخَرَ بعدَه بعُنوانِ: الرُّقْيَةُ مِن العَيْنِ، وساقَ حديثَ سَهْلٍ بتَمامِه، وفيه بيانُ كَيْفِيَّةِ اتِّقائِها وعِلاجِها؛ ولذا نَكْتَفِي بإيرادِه لِشُمولِه.

قالَ: عن مُحَمَّدِ بنِ أبي أُسامةَ بنِ سَهْلِ بنِ حُنَيْفٍ، أنَّه سَمِعَ أباه يقولُ: اغْتَسَلَ أبي سَهْلُ بنُ حُنَيْفٍ بالخَرَّارِ، فنَزَعَ جُبَّةً كانَتْ عليه، وعامِرُ بنُ رَبيعَةَ يَنْظُرُ. قالَ: وكانَ سَهْلٌ رَجُلاً أبيضَ حَسَنَ الجِلْدِ. قالَ: فقالَ له عامِرُ بنُ رَبيعةَ: ما رأيتُ كاليومِ ولا جِلْدَ عَذْرَاءَ. قالَ: فوُعِكَ سَهْلٌ مكانَه واشْتَدَّ وَعْكُه.

فأُتِيَ رسولُ اللَّهِ فأَخْبَرُوهُ أنَّ سَهْلاً وُعِكَ، وأنه غيرُ رائحٍ معَكَ يا رسولَ اللَّهِ. فأتاهُ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ، فأَخْبَرَه سَهْلٌ بالذي كانَ مِن أمْرِ عامِرٍ، فقالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ: ((عَلامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخاهُ؟! أَلا بَرَّكْتَ، إِنَّ العَيْنَ حَقٌّ، تَوَضَّأْ لَهُ)) فتَوَضَّأَ له عامِرٌ، فرَاحَ سَهْلٌ معَ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ ليسَ به بَأْسٌ.

وساقَه مَرَّةً أُخْرَى وفيه: فقالَ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ: ((هَلْ تَتَّهِمُونَ لَهُ أَحَداً؟)). قالوا: نَتَّهِمُ عامرَ بنَ رَبيعَةَ. قالَ: فدَعَا رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ عامراً فتَغَيَّظَ عليه، وقالَ: ((عَلامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخاهُ؟! أَلا بَرَّكْتَ، اغْتَسِلْ لَهُ)). فغَسَلَ عامرٌ وجْهَه ويَدَيْهِ ومِرْفَقَيْهِ ورُكْبَتَيْهِ وأطرافَ رِجْلَيهِ، وداخِلَ إزارِه في قَدَحٍ، ثم صَبَّ عليه، فرَاحَ سَهْلٌ معَ الناسِ ليسَ به بأْسٌ.

فهذه القِصَّةُ تُثْبِتُ قَطْعاً وُقوعَ العَيْنِ، وهذا أمْرٌ مُجْمَعٌ عليه مِن أهْلِ السُّنَّةِ وسَلَفِ الأُمَّةِ، كما أنَّها تُرْشِدُ إلى أنَّ مَن بَرَّكَ - أي: قالَ: تَبَارَكَ اللَّهُ. وفي بعضِ الرواياتِ لغيرِ مالِكٍ: ((هَلاَّ كَبَّرْتَ)). أي: يقولُ: اللَّهُ أكْبَرُ. ثلاثاً- فإنَّ ذلك يَرُدُّ عينَ العائِنِ، كما جاءَ في السُّنَّةِ أنَّ الدعاءَ يَرُدُّ البلاءَ، فإذا لم تُدْفَعْ عندَ صُدُورِها وأَصَابَتْ، فإنَّ العِلاجَ منها كما جاءَ هنا: ((تَوَضَّأْ لَهُ))، واللفْظُ الآخَرُ: ((اغْتَسِلْ لَهُ)).

وقد فَصَّلَ المُرادَ بالغَسْلِ له أنَّه غَسْلُ الوجْهِ واليَدَينِ؛ أي الكَفَّيْنِ فقطْ، والمِرْفَقَيْنِ والرُّكبتَيْنِ والقَدَمَيْنِ وطَرَفِ الإزارِ الداخِلِيِّ، ويكونُ ذلك في إناءٍ لا يُسْقِطُ الماءَ على الأَرْضِ، ويُفْرَغُ هذا الماءُ على المُصابِ مِن الخَلْفِ ويُكْفَأُ الإناءُ خَلْفَهُ.

وقد ذَكَرَها مُفَصَّلَةً القاضي البَاجِيُّ في شَرْحِ (المُوَطَّأِ) فقالَ: ورُوِيَ عن يَحْيَى بنِ يَحْيَى، عن ابنِ نافِعٍ في معنَى الوُضوءِ الذي أمَرَ به رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ فقالَ:

يَغْسِلُ الذي يُتَّهَمُ بالرَّجُلِ وَجْهَهُ ويدَيْهِ ومِرْفَقَيْهِ ورُكبتَيْهِ ورِجْلَيهِ ودَاخِلَةَ إِزَارِه. وقالَ: ولا يَغْسِلُ ما بينَ اليدِ والمِرْفَقِ. أيْ: لا يَغْسِلُ الساعِدَ مِن اليَدِ.

ورُوِيَ عن الزُّهْرِيِّ أنَّه قالَ: الغُسْلُ الذي أدْرَكْنَا عُلماءَنا يَصِفُونَه أنْ يُؤْتَى العائِنُ بقَدَحٍ فيه ماءٌ، فيُمْسَكُ مُرْتَفِعاً مِن الأَرْضِ، فيُدْخِلُ فيه كَفَّهُ فيُمَضْمِضُ، ثم يَمُجُّه في القَدَحِ، ثم يَغْسِلُ وَجهَه في القَدَحِ صَبَّةً واحدةً، ثم يُدْخِلُ يدَه اليُسرَى فيَصُبُّ بها على كَفِّه اليُمنَى، ثم يُدْخِلُ يَدَه اليُمْنَى فيَصُبُّ بها على ظَهْرِ كَفِّه اليُسرى صَبَّةً واحدةً، ثم يُدْخِلُ يَدَه اليُسرَى فيَصُبُّ بها على مِرْفَقِه الأَيْمَنِ، ثم يُدْخِلُ يَدَه اليُمْنَى فيَصُبُّ على مِرْفَقِه الأَيْسَرِ، ثم يُدْخِلُ يَدَه اليُسرى فيَصُبُّ بها على قَدَمِه اليُمْنَى، ثم يُدْخِلُ يَدَهُ اليُمْنى فيَصُبُّ بها على قَدَمِه اليُسْرَى، ثم يُدْخِلُ يَدَه اليُسرى فيَصُبُّ بها على رُكبتِه اليُمنَى، ثم يُدْخِلُ يَدَه اليُمنى فيَصُبُّ بها على رُكبتِه اليُسرى، كلُّ

ذلك في قدَحٍ، ثم يُدْخِلُ دَاخلةَ إزارِه في القَدَحِ، ولا يُوضَعُ القَدَحُ في الأرضِ، فيُصَبُّ على رأسِ المَعِينِ مِن خَلْفِه صَبَّةً واحدةً، وقِيلَ: يُغْتَفَلُ ويُصَبُّ عليه؛ أي: في حالةِ غَفْلَتِه، ثم يُكْفَأُ القَدَحُ على ظَهْرِ الأرضِ وراءَهُ.

وأمَّا داخِلَةُ إزارِه فهو الطرَفُ المُتَدَلِّي الذي يُفْضِي مِن مِئْزَرِه إلى جِلْدِه مكانَه، إنَّما يَمُرُّ بالطرَفِ الأيمنِ على الأَيْسَرِ، حتى يَشُدَّه بذلك الطرَفِ المُتَدَلِّي الذي يكونُ مِن دَاخِلٍ. اهـ.

ومِمَّا يُرْشِدُ إليه هذا الحديثُ تَغَيُّظُه صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ على عامِرِ بنِ رَبيعةَ، وقولُه صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ: «عَلامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟!» مِمَّا يُبيِّنُ شَناعةَ هذا العمَلِ، وأنَّه قد يَقْتُلُ.

ومِمَّا يَنْبَغِي مُراعاتُه مِن كُلٍّ مِن الطَّرَفَيْنِ: مَن ابْتُلِيَ بالعينِ فلْيُبَارِكْ عنْدَ رُؤيتِه ما يُعْجِبُه؛ لِئَلاَّ يُصِيبَ أحَداً بعَيْنِه، ولئلا تَسْبِقُه عَيْنُه.

وكذلك مَن اتَّهَمَ أحَداً بالعينِ، فلْيُكَبِّرْ ثلاثاً عندَ تَخَوُّفِه منه؛ فإنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ العينَ بذلك. والحَمْدُ للهِ). [تتمة أضواء البيان: ٣٤٨٠-٣٥٠/٩]

■ ما يقول من رأى ما يعجبه

■ حديث سهل بن حُنيف

قلت: (سبق ذِكْرُه، وفيه: ألا برَّكتَ عليه).

■ حديث أنس بن مالك

قالَ ابنُ أَبي الدُّنيَا عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ القُرَشِيُّ (ت:٢٨١هـ): (حدَّثني الحَسَنُ بنُ الصَّبَّاحِ، ثنا عُمَرُ بنُ يُونُسَ، ثنا عِيسَى بنُ عَونٍ الحَنَفِيُّ، عن حَفْصِ بنِ الفَرافِصَةِ الحَنَفِيِّ، عَن عبدِ المَلِكِ بنِ زُرارَةَ، عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ قَالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «مَا أنعَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَبدِهِ نِعْمَةً فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ وَلَدٍ فيَقولُ: مَا شَاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ باللهِ فَيَرَى فِيهِ آفَةً دُونَ المَوْتِ»). [الشكر:١/٥]

قالَ أبو يَعْلَى أَحْمَدُ بنُ عَلِيِّ بنِ المُثَنَّى المَوْصِلِيُّ (ت:٣٠٧هـ): (حَدَّثَنَا جَرَّاحُ بْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ عَوْنٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ زُرارَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّم: «مَا أَنْعَمَ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً مِنْ أَهْلٍ، أَوْ مَالٍ، أَوْ وَلَدٍ، فَيَقُولُ: مَا شَاءَ الله لا قُوَّةَ إلاَّ بِالله، فَيَرَى فِيهِ آفَةً دَونَ المَوْتِ». وَكَان يَتَأَوَّلَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]). [مسند أبي يعلى:]

- **قالَ مُحَمَّد ناصِر الدِّينِ الأَلْبَانِيُّ (ت:١٤٢٠هـ):** (أخرجه ابنُ أبي الدُّنيا في الشُّكْرِ (رقم١)، ومن طريقِه البيهقيُّ في الشُّعَبِ (١٢٤/٤)، والطبرانيُّ في الصغيرِ (ص١٢٢)، وفي الأوسطِ (١/٢٥٧/١/٤٤٢١ - بترقيمي)، وابن السُّنِّيِّ (رقم٣٥١)، والبيهقيُّ في الأسماءِ والصفاتِ (ص١٦١)، والخطيبُ في التاريخ

(١٩٩/٣) من طريقِ عمرَ بنِ يونسَ اليَمَامِي، حدثنا عيسى بنُ عونٍ، عن عبدِ الملكِ بنِ زُرارةَ عن أنسٍ مرفوعاً.

وليس عندَ ابنِ السُّنِّيِّ قولُه: "ثم قرأ .. إلخ" وكذلك أورده السيوطيُّ في الجامعِ، وقال: رواه أبو يعلى، والبيهقيُّ في (الشعبِ)، ثم رمَّز له بالضعفِ.

وقال الطبرانيُّ في الصغيرِ: (لا يُروى إلا بهذا الإسنادِ).

قلتُ: وهو إسنادٌ ضعيفٌ، قال الأزديُّ: (عيسى بنُ عونٍ عن عبدِ الملكِ لا يصِحُّ حديثُهما عن أنسٍ).

وقال في المَجمعِ (١٤٠/١٠): (وفيه عبدُ الملكِ بنُ زُرارةَ، وهو ضعيفٌ).

وبالراويين أعلَّه المُناويُّ في فَيضِ القَديرِ، ولذلك جزَم بضعف إسنادِه في التيسيرِ، وزاد ابنُ أبي الدنيا وغيرُه بينهما (حفصَ بن الفَرافصةِ)، وهو مجهولٌ؛ وإن وثَّقه ابنُ حبانَ (١٩٥/٦)). [السلسلة الضعيفة: ٢٥/٥]

حديث آخر عن أنس بن مالك

قالَ أَحْمَدُ بنُ عَمْرِو بنِ عَبْدِ الخَالِقِ البَزَّارُ (ت:٢٩٢هـ): (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الصَّبَّاحِ العَطَّارُ، حَدَّثَنَا الحَجَّاجُ بْنُ نُصَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الهُذَلِيُّ، عَنْ ثُمَامَةَ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّم قَالَ: «مَنْ رَأَى شَيْئًا فَأَعْجَبَهُ، فَقَالَ: مَا شَاءَ اللهُ، لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ لَمْ يَضُرَّهُ».

وَهذَا الكَلامُ لا نَعْلَمُ رَوَاهُ إِلاَّ أَنَسٌ، وَلا نعلَمُ لَه طَرِيقًا إِلاَّ هذَا الطَّرِيقَ). [مسند البزار: ٢/ ٣٥٠]

قالَ ابنُ السُّنِّيُّ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْحَاقَ الدِّينَوَرِيُّ (ت:٣٦٤ هـ): (أَخبرَنِي مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ المَهَاجِرِ، وَجَعْفَرُ بنُ عِيسَى الحُلْوَانِيُّ، قَالا: ثنَا العَبَّاسُ بنُ مُحَمَّدٍ، ثنا حَجَّاجُ بنُ نُصَيرٍ، ثنَا أَبو بَكرٍ الهُذَلِيُّ، عَن ثُمَامَةَ بنِ عَبدِ اللهِ، عَنْ أَنسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ رَأَى شَيئًا فَأَعْجَبَهُ فَقَالَ: مَا شَاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ باللهِ، لَمْ يَضُرَّهُ العَيْنُ». يعني لا يصيبُه العينُ). [عمل اليوم والليلة:]

قالَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الجَصَّاصُ (ت: ٣٧٠هـ): (وَحَدَّثَنَا عَبْدُ البَاقِي، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ الفَضْلِ، قَالَ: حَدَّثَنَا العَبَّاسُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الهُذَلِيُّ، عَنْ ثُمَامَةَ، عَنْ أَنسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى شَيْئًا أَعْجَبَهُ فَقَالَ: اللَّهُ اللَّهُ، مَا شَاءَ اللَّهُ، لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ»). [أحكام القرآن: ٣/٦٤٩]

- **قلت**: (أبو بكرٍ الهُذليُّ سُلْمَى بنُ عبدِ اللهِ البصريُّ متروكُ الحديثِ كما في التقريبِ، وثُمامةُ هو ابنُ عبدِ اللهِ بنُ أنسِ بنِ مالكٍ قاضي البصرةِ، وثَّقَهُ الإمامُ أحمدُ والعِجْلِيُّ وابنُ حِبَّانَ).

قالَ إِلْكِيَا الهَرَّاسِيُّ عِمَادُ الدِّينِ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّبَرِيُّ (ت:٥٠٤ هـ): (وعنْ أَنَسٍ أنَّ النبيَّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ قَالَ: «مَنْ رَأَى شَيْئاً يُعْجِبُهُ فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، مَا شَاءَ اللَّهُ، لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ»). [أحكام القرآن: ٤٣٤/٤]

■ أحاديث وآثار في التحذير من الحسد

حديث الزبير بن العوام

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَنْبَأَنَا هِشَامٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ يَعِيشَ بْنِ الوَلِيدِ بْنِ هِشَامٍ. وَأَبُو مُعَاوِيَةَ شَيْبَانُ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ يَعِيشَ بْنِ الوَلِيدِ بْنِ هِشَامٍ، عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، وَالبَغْضَاءُ هِيَ الحَالِقَةُ، حَالِقَةُ الدِّينِ، لا حَالِقَةُ الشَّعَرِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ»). [مسند الإمام أحمد:]

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا حَرْبُ بْنُ شَدَّادٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، أَنَّ يَعِيشَ بْنَ الوَلِيدِ حَدَّثَهُ أَنَّ مَوْلًى لِآلِ الزُّبَيْرِ حَدَّثَهُ، أَنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ العَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، وَالبَغْضَاءُ هِيَ الحَالِقَةُ، لا أَقُولُ: تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - أَوْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ- لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ، أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ».

حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ المُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ يَعِيشَ بْنِ الوَلِيدِ، أَنَّ مَوْلًى لِآلِ الزُّبَيْرِ حَدَّثَهُ أَنَّ الزُّبَيْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ...». فَذَكَرَهُ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا رَبَاحٌ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ يَعِيشَ بْنِ الوَلِيدِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ مَوْلًى لِآلِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ العَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ...» فَذَكَرَهُ). [مسند الإمام أحمد:]

- **قلتُ**: (هذا الحديثُ رواه عبدُ الرزاقِ وأبو داودَ الطَّيالسيُّ وأحمدُ والتِّرمذيُّ وأبو يَعلى ومحمدُ بنُ نَصرٍ المَرْوَزِيُّ وعبدُ بنُ حُميدٍ والبيهقيُّ والضِّياءُ المَقْدِسِيُّ وغيرُهم من طرقٍ عن يحيى بنِ أبي كثيرٍ عن يَعيشَ بنِ الوليدِ، ثم اختلفوا في طريقةِ إسنادِه إلى النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم اختلافاً كثيراً، لخَّصه الإمامُ الدَّارَقُطْنِيُّ - لما سُئِلَ عن هذَا الحديثِ كما في العِلَلِ - بقولِه: (يَروِيهِ يَحيَى بنُ أَبِي كَثِيرٍ، عَن يَعِيشَ بنِ الوَلِيدِ بنِ هِشامٍ، عَن مَولًى لآلِ الزُّبيرِ، قال ذَلِك عَنهُ حَربُ بنُ شَدَّادٍ، وعَلِيُّ بنُ المُبارَكِ، ومَعمَرُ بنُ راشِدٍ، وشَيبانُ، واختُلِفُ عَنهُ، فَقِيل: عَن شَيبانَ، عَن يَحيَى، عَن يَعِيشَ، عَنِ الزُّبيرِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّمَ.

وَقال مُوسَى بنُ خَلَفٍ، عَن يَحيَى، عن يَعِيشَ مَولَى ابنِ الزُّبيرِ، عَنِ الزُّبيرِ.

وَقالَ هِشامٌ الدَّستُوائِيُّ، عَن يَحيَى، عَن يَعِيشَ، عَنِ الزُّبيرِ.

والقَولُ قَولُ حَربِ بنِ شَدَّادٍ ومَن تابَعَهُ، عَن يَحيَى).

قلتُ: وبذلك قال أبو زُرعةَ الرَّازيُّ كما في العِلَلِ لابنِ أبي حاتمٍ.

ورواه البزارُ من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبيرِ فقالَ: (حَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ مُوسَى بْنِ خَلَفٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ يَعِيشَ بْنِ الوَلِيدِ، مَوْلًى لابْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلَّمَ قَالَ: « دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: البَغْضَاءُ وَالحَسَدُ.. ») فذكره.

ثم قال: وَهَذَا الحَدِيثُ خَالَفَ مُوسَى بْنَ خَلَفٍ فِي إِسْنَادِهِ هِشَامٌ صَاحِبُ الدَّسْتُوائِيِّ، فَرَوَاهُ هِشَامٌ عَنْ يَحْيَى، عَنْ يَعِيشَ بْنِ الوَلِيدِ، عَنْ مَوْلَى الزُّبَيْرِ، عَنِ الزُّبَيْرِ، وَقَالَ مُوسَى: عَنْ يَحْيَى، عَنْ يَعِيشَ مَوْلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، عَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَهِشَامٌ أَحْفَظُ رَجُلٍ عَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ).

والحديثُ حسَّنه الألبانيُّ).

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (أَخْرَجَ الإمامُ أَحْمَدُ وَأبو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، عَنِ الزُّبيرِ بنِ العَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، أَلا وَالبَغْضَاءُ هِيَ الحَالِقَةُ، لا أَقُولُ: إِنَّهَا تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ».

وَفي البابِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عنهما وَابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَعْظَمُ أسبابِ الحَالِقَةِ أَوْ كُلُّهَا الحَسَدُ). [نظم الدرر: ٨/٦٠٧]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وأخرجَ الإمامُ أحمدُ، عنِ الزُّبيرِ بنِ العوَّامِ، أنَّهُ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ، الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ أَلا وَالبَغْضَاءُ هِيَ الحَالِقَةُ»). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٤]

حديث أبي هريرة

قالَ أَبُو دَاودَ سُلَيمَانُ بنُ الأشْعَثِ السِّجِسْتَانِيُّ (ت:٢٧٥هـ): (حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ صَالِحٍ البَغْدَادِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ، يَعْنِي عَبْدَ المَلِكِ بْنَ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلالٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي أَسِيدٍ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « إِيَّاكُمْ وَالحَسَدَ؛ فَإِنَّ الحَسَدَ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ » أَوْ قَالَ: «العُشْبَ»). [سنن أبي داود:]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَهْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِيَّاكُمْ وَالحَسَدَ؛ فَإِنَّ الحَسَدَ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ»). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٣]

- **قلت:** (هذا الحديثُ رواه البخاريُّ في التاريخ، وأبو داودَ والبزارُ وعبدُ بنُ حُميدٍ والخرائطيُّ والبيهقيُّ في شُعبِ الإيمانِ وابنُ عبدِ البرِّ في التمهيدِ وغيرُهم من طُرُقٍ عن سليمانَ بنِ بلالٍ، عن إبراهيمَ بنِ أبي أَسيدٍ، عن جَدِّه، عن أبي هريرةَ.

قال البخاريُّ: (لا يصحُّ)، وقال الألبانيُّ: (رجالُه موثَّقونَ غيرَ جدِّ إبراهيمَ، وهو مجهولٌ؛ لأنه لم يُسمَّ)).

حديث أنس بن مالك

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَن يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ: «إنَّ الحَسَدَ لَيَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ»). [مصنف ابن أبي شيبة: ٩٣/٩]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الحَسَدَ لَيَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ»). [الدر المنثور: ٨٠٥/١٥]

- **قلت:** (يَزِيدُ بنُ أبانٍ الرقاشيُّ متروكُ الحديثِ، قال ابنُ مَعينٍ: رجلٌ صالحٌ، وليسَ حديثُه بشيءٍ، وقال أحمدُ: لا يُكتَبُ حديثُه، وقال شعبةُ: لأنْ أقطَعَ الطريقَ أحبُّ إليَّ من أنْ أرويَ عن يزيدَ.

وحديثُه أخرجه ابنُ عبدِ البرِّ في التمهيدِ من طريقِ ابنِ وضَّاحٍ، عن ابنِ أبي شيبةَ به، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهانيُّ وابنُ بِشرانَ وابنُ زَنْجُويَهْ في كتابِ الأموالِ، والخطيبُ البغداديُّ في الكِفايةِ من طُرُقٍ عن وافدِ بنِ سلامةَ، عن يزيدَ الرقاشيِّ به.

قال الخطيبُ البغداديُّ: (قال التمتامُ: إنما هو وافدٌ.)

قلتُ: يريدُ بالفاءِ، والمشهورُ: واقدُ بنُ سلامةَ.

وقال الحافظُ العراقيُّ في تخريجِ أحاديثِ الإحياءِ: وهو في تاريخ بغدادَ بإسنادٍ حسنٍ.

قلت: قال الخطيبُ البغداديُّ في تاريخ بغدادَ (٣٣٧/٣): (أخبرنا الحسنُ بنُ أبي بكرٍ، قال: أنبأنا عبدُ اللهِ بنُ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ البغويُّ، قال: أنبأنا محمدُ بنُ الحسينِ ابنُ حَريقَا البزارُ، قال أنبأنا الحسنُ بنُ موسى الأشيبُ، قال: أنبأنا أبو هلالٍ، عن قتادةَ، عن أنسٍ قال: قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ: «الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ».

قلت: أبو هلالٍ محمدُ بنُ سعيدٍ الراسبيُّ البصريُّ فيه ضعفٌ، قال أحمدُ بنُ حنبلٍ: يُحتمَلُ في حديثِه إلا أنه يُخالفُ في قتادةَ، وهو مضطربُ الحديثِ، وقالَ ابنُ مَعينٍ: صدوق، وقال النسائيُّ: ليسَ بالقويِّ، وقال ابنُ عَدِيٍّ: وهو ممن يُكتَبُ حديثُه).

حديث آخر عن أنس بن مالك

قالَ ابنُ ماجَهْ مُحَمَّدُ بنُ يزيدَ القَزْوينِيُّ (ت: ٢٧٣هـ): (حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الحَمَّالُ وَأَحْمَدُ بْنُ الأَزْهَرِ، قَالا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ، عَنْ عِيسَى بْنِ أَبِي عِيسَى الحَنَّاطِ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الحَسَدُ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَالصَّلَاةُ نُورُ المُؤْمِنِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ»). [سنن ابن ماجه:]

- **قلت:** (هذا الحديثُ رواه ابنُ ماجهْ والبزارُ وأبو يعلى والبيهقيُّ في شُعَبِ الإيمانِ، وابنُ عساكرَ وغيرُهم من طُرُقٍ عن عيسى الحنَّاطِ، عن أبي الزِّنادِ، عن أنسٍ. وعيسى الحناطُ متروكُ الحديثِ).

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (قالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الحَسَدُ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النارُ الحطَبَ»). [التسهيل: ٢٢٦]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ البَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الصَّلاةُ نُورٌ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَالحَسَدُ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ»). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٥]

حديث آخر لأنس بن مالك

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وابْنُ مَنِيعٍ وابْنُ عَدِيٍّ وَأَبُو نُعَيمٍ وَالطَّبَرَانِيُّ والبَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَادَ الفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْراً، وَكَادَ الحَسَدُ أَنْ يَغْلِبَ القَدَرَ»). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٥]

- **قلت:** (هذا الحديثُ رُوِيَ على أنحاءٍ:
- فرواه ابنُ أبي شيبةَ وهنَّادُ بنُ السَّرِيِّ في الزُّهْدِ، كلاهما عن أبي معاويةَ، عن الأعمشِ، عن يَزيدَ الرَّقاشيِّ، عن الحسنِ البصريِّ مرسلاً، في إسنادِه يزيدُ الرقاشيُّ، وهو متروكُ الحديثِ.
- ورواه ابنُ مَنيعٍ عن يوسفَ بنِ عَطيةَ، عن عمرِو بنِ عُبيدٍ، عن الحسنِ البصريِّ مرسلاً.
- ورواه ابنُ مَنيعٍ أيضاً من طريقِ يحيى بنِ سعيدٍ عن الأعمشِ عن يزيدَ عن الحسنِ أو أنسٍ؛ على الشكِّ.
- ورواه أبو الشيخِ الأصبهانيُّ في التوبيخ عن ابنِ الحَريشِ عن أبي معاويةَ عن الأعمشِ عن يزيدَ الرقاشيِّ عن أنسٍ مرفوعاً.
- ورواه أبو الشيخِ أيضاً من طريقِ أبي مسلمٍ عن الأعمشِ عن يزيدَ عن الحسنِ عن أنسٍ به.
- ورواه ابنُ عَدِيٍّ من طريقِ يحيى بنِ يَمانٍ عن سفيانَ الثوريِّ عن الأعمشِ عن يزيدَ عن أنسٍ به.

وهذا الطريقُ على ما فيه من ضعفِ يَزيدُ فيه يحيى بنُ يمانٍ، قال عنه ابنُ عَدِيٍّ: عامةُ ما يرويه غيرُ محفوظٍ، وهو في نفسِه لا يَتَعَمَّدُ الكَذِبَ، إلا أنه يُخْطِئُ ويُشَبَّهُ عليه.

- ورواه ابنُ أبي الدنيا في إصلاحِ المالِ، وأبو نُعيمٍ الأصبهانيُّ في تاريخِ أصبهانَ من طرقٍ عن سفيانَ الثوريِّ عن حَجَّاجِ بنِ أَرطاةَ، عن يَزيدَ، عن أنسٍ به.
- ورواه أبو نُعيمٍ أيضاً في الحِليةِ، والبيهقيُّ في شعبِ الإيمانِ، وابنُ الجوزيِّ في العِلَلِ المتناهيةِ من طرقٍ عن سفيانَ الثوريِّ، عن الحجاجِ بنِ الفُرافصةِ، عن يزيدَ الرقاشيِّ عن أنسٍ به.
- ورواه العُقيليُّ في الضعفاءِ، والدُّولابيُّ في الكُنَى من طريقِ حجاجِ بنِ المِنهالِ، عن المعتمرِ بنِ سليمانَ، عن حسينِ أبي المنذرِ، عن يزيدَ، عن أنسٍ به.

- ورواه الطبرانيُّ في الأوسطِ، قال: (حدثنا عليٌّ، قال: حدثني أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ الحميدِ الكاتبُ، قال: حدثني عمرُو بنُ عثمانَ الكِلابيُّ، قال: نا عيسى بنُ يونسَ، عن سليمانَ التَّيْميِّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: «كَادَ الْحَسَدُ يَسْبِقُ الْقَدَرَ، وَكَادَتِ الْحَاجَةُ تَكُونُ كُفْراً»).
قالَ الطبرانيُّ: (لم يَرْوِ هذا الحديثَ عن سليمانَ إلا عيسى، ولا عن عيسى إلا عمرُو بنُ عثمانَ، تفرَّدَ به أحمدُ بنُ محمدٍ الكاتبُ).

حديث معاذ بن جبل

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَهْ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يَحُلُّ الدَّرَجَاتِ العُلَى لَعَّانٌ، وَلا مَنَّانٌ، وَلا بَخِيلٌ، وَلا بَاغٍ، وَلا حَسُودٌ»). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٣]

حديث آخر

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (ورُوِيَ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «ثَلاثَةٌ لا يُسْتَجَابُ دُعَاؤُهم: آكِلُ الحَرَامِ، وَمُكْثِرُ الغِيبَةِ، وَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ غِلٌّ أَوْ حَسَدٌ لِلْمُسْلِمِينَ». واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٦٠]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (ورُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلاثَةٌ لا يُسْتَجَابُ دُعَاؤُهُمْ: آكِلُ الحَرَامِ، وَمُكْثِرُ الغِيبَةِ، وَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ غِلٌّ أَوْ حَسَدٌ لِلْمُسْلِمِينَ»). [اللباب: ٢٠/٥٧٥]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (ورُوِيَ عنهُ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «ثَلاثَةٌ لا يُسْتَجَابُ دُعَاؤُهُمْ: آكِلُ الحَرَامِ، وَمُكْثِرُ الغِيبَةِ، وَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ غِلٌّ أَوْ حَسَدٌ لِلْمُسْلِمِينَ»). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٤]

مرسل الحسن البصري

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (أَخْرَجَ ابْنُ عَدِيٍّ في الكاملِ، والبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الإِيمَانِ عَنِ الحَسَنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٥]. قَالَ: هُوَ أَوَّلُ ذَنْبٍ كَانَ فِي السَّمَاءِ). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٢]

بلاغ الأصمعي

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ البَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ عَنِ الأَصْمَعِيِّ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: الحَاسِدُ عَدُوُّ نِعْمَتِي، مُتَسَخِّطٌ لِقَضَائِي، غَيْرُ رَاضٍ بِقِسْمَتِي الَّتِي قَسَمْتُ بَيْنَ عِبَادِي). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٥]

■ ذم الحسد

قالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ المَاوَرْدِيُّ (ت: ٤٥٠هـ): (وقدْ قيلَ: إنَّ الحَسَدَ أوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللَّهُ به في السماءِ والأرضِ، فحَسَدَ إبليسُ آدَمَ حتى أَخْرَجَه مِن الجَنَّةِ، وأمَّا في الأرضِ فحَسَدُ قابيلَ بنِ آدمَ لأخيهِ هابيلَ حتى قَتَلَه، نَعُوذُ باللَّهِ مِن شرِّ ما اسْتَعاذْنَا منه). [النكت والعيون: ٦/ ٣٧٧]

قَالَ أبو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (والحسَدُ أَخَسُّ الطَّبَائِعِ، وأوَّلُ مَعصيَةٍ عُصِيَ اللَّهُ بها في السماءِ: حَسَدُ إبليسَ لآدمَ، وفي الأرْضِ: حَسَدُ قابيلَ هابيلَ). [زاد المسير: ٩/٢٧٦]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (والحسَدُ أوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللهُ بِهِ في السماءِ، وأوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ به في الأَرْضِ، فحَسَدَ إِبْلِيسُ آدمَ، وحَسَدَ قَابِيلُ هَابِيلَ. والحاسِدُ مَمْقُوتٌ مَبْغُوضٌ مطْرُودٌ مَلْعُونٌ، ولَقَد أَحْسَنَ مَنْ قَالَ:

قُلْ لِلْحَسُودِ إذَا تَنَفَّسَ صَعْدَةً ... يَا ظَالِمًا وكَأَنَّهُ مَظْلُومُ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٥٩]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (والحاسِدُ عدوُّ نِعْمَةِ اللهِ.

قالَ بعضُ الحكماءِ: بارَزَ الحاسِدُ ربَّه مِنْ خَمْسَةِ أوْجُهٍ:

أحدُها: أنه أبْغَضَ كلَّ نِعْمَةٍ ظَهَرتْ على غيرِه.

وثانِيها: أنَّه سَاخِطٌ لِقِسْمَةِ رَبِّه، كأنَّه يقولُ: لِمَ قَسَمْتَ هذه القِسْمَةَ؟

وثالِثُها: أنَّه ضادَّ فِعْلَ اللهِ، أي: إنَّ فضْلَ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشاءُ، وهو يَبْخَلُ بِفَضْلِ اللهِ.

ورابِعُها: أنَّه خَذَلَ أولياءَ اللهِ، أو يُرِيدُ خِذْلانَهُمْ وزَوالَ النِّعْمَةِ عَنْهُم.

وخامِسُها: أنَّه أعانَ عَدُوَّه إبْلِيسَ.

وقِيلَ: الحاسِدُ لا يَنَالُ في المجالِسِ إلاَّ نَدَامَةً، ولا يَنالُ عندَ الملائِكَةِ إلاَّ لَعْنَةً وبَغْضَاءَ، ولا يَنَالُ في الخَلْوَةِ إلاَّ جَزَعًا وغمًّا، ولا يَنَالُ في الآخِرَةِ إلاَّ حُزْنًا واحْتِراقًا، ولا يَنالُ مِن اللهِ إلاَّ بُعْدًا ومَقْتًا). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٦٠]

قالَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ القَزْوِينِيُّ (ت: ٦٩٩هـ): (الثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ مِن شُعَبِ الإِيمَانِ تَرْكُ الغِلِّ وَالحَسَدِ وَنَحْوِهِمَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٥]، ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: الآية: ٥٤].

ولحديثِ أَنسٍ في صحيح مسلمٍ: «لا تَحاسَدُوا وَلا تَبَاغَضُوا وَلا تَقَاطَعُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا».

وحديثِ أنسِ بنِ مالكٍ في صحيحِ البخاريِّ: «لا تَبَاغَضُوا وَلا تَحَاسَدُوا وَلا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ يَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلامِ»:

وبِهِ أَنْبَأَنَا البَيْهَقِيُّ بإسنادِهِ عنِ الحسنِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٥]. قالَ: هُوَ أوَّلُ ذَنْبٍ كانَ في السماءِ.

وَعَنِ الأَحْنَفِ بنِ قَيْسٍ: (خَمسٌ هُنَّ كَمَا أقولُ: لا رَاحَةَ لِحَسُودٍ، وَلا مُرُوءَةَ لِكَذُوبٍ، وَلا وَفَاءَ لِمُلُوكٍ، وَلا حِيلَةَ لِبَخِيلٍ، وَلا سُؤْدُدَ لِسَيِّئِ الخُلُقِ).

وَعَنِ الخليلِ بنِ أَحْمَدَ: (مَا رأيتُ ظَالِمًا أَشْبَهَ بمظلُومٍ مِن حَاسِدٍ لَهُ نَفَسٌ دَائِمٌ وَعَقْلٌ هَائِمٌ وَحَزَنٌ لازِمٌ).

وَعَن بشْرِ بنِ الحَارِثِ الحافِي: (العَدَاوَةُ فِي القَرَابَةِ، وَالحسَدُ فِي الجيرَانِ، وَالمنفعَةُ فِي الإِخْوَانِ).

وَعَنِ المبرِّدِ أَنَّهُ أَنشَدَ:

عَـيْنُ الحَـسُودِ عَلَيْـكَ الـدَّهْرَ حَارِسَـةٌ ... تُبْـدِي المـسَاوِئَ وَالإِحْـسَانَ تُخْفِيـهِ

يَلْقَـــاكَ بالبِـــشْرِ يُبْدِيـــهِ مُكَاشَـــرَةً ... وَالقَلْـبُ مُنكَـتِمٌ فِيـهِ الَّـذِي فِيـهِ

إِنَّ الحَـــسُودَ بِـــلا جُـــرمٍ عَدَاوَتُـــهُ ... وَلَـيْسَ يَقْبَـلُ عُـذْرًا فِـي تَجَنِّيـهِ

). [مختصر شعب الإيمان: ٩٢- ٩٣]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (وهو أوَّلُ ذَنبٍ عُصِيَ اللهُ به في السَّماءِ مِن إبلِيسَ، وفي الأرضِ مِن قَابِيلَ). [مدارك التنزيل: ٣/٢٠١٤]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ [الفلق: ٥] الحَسَدُ: خُلُقٌ مَذمومٌ طَبْعًا وشَرْعًا). [التسهيل: ٢٢٦]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (وقالَ بعضُ العلماءِ: الحَسَدُ أوَّلُ مَعصيةٍ عُصِيَ اللهُ بها في السماءِ والأرضِ، أمَّا في السماءِ فحَسَدُ إبليسَ لآدَمَ، وأمَّا في الأرضِ فقَتْلُ قابيلَ لأخيه هابيلَ بسببِ الحسَدِ). [التسهيل: ٢٢٦]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (والحاسِدُ يَضُرُّ نفسَه ثلاثَ مَضَرَّاتٍ:

أحدُها: اكتسابُ الذنوبِ؛ لأنَّ الحسَدَ حرامٌ.

الثانيةُ: سوءُ الأدَبِ مع اللهِ تعالى، فإنَّ حقيقةَ الحسَدِ كراهيةُ إنعامِ اللهِ على عَبْدِه واعتراضٌ على اللهِ في فِعْلِه.

الثالثةُ: تألُّمُ قَلْبِه من كثرةِ هَمِّه وغَمِّه، فنَرْغَبُ إلى اللهِ أن يَجْعَلَنَا مَحسودينَ لا حاسدينَ؛ فإنَّ المحسودَ في نِعمةٍ، والحاسِدَ في كَرْبٍ ونِقمةٍ، وللهِ دَرُّ القائلِ:

إِنِّـي لأَرْحَـمُ حاسـدِيَّ لِفَـرْطِ مـا ... ضَـمَّتْ صـدورُهم مـن الأوغـارِ

نَظَـرُوا صَـنيعَ اللهِ بـي فعُيـونُهم ... في جَنَّـــةٍ وقُلـــوبُهم في نـــارِ

وقالَ آخرُ:

إن يَحْـسُدُوني فـإني غـيرُ لائِمِهـم ... قَبْلِي من الناسِ أَهْلُ الفَضْلِ قد حُسِدُوا

فـدَامَ لـي ولهـم مـا بـي ومـا بهـم ... ومـاتَ أكـثَرُنا غَيْظًـا بمـا يَجِـدُ

ثم إنَّ الحَسُودَ لا تُزالُ عَداوتُه ولا تَنْفَعُ مُداراتُه، وهو ظالِمٌ يُشاكِي، كأنه مَظلومٌ، ولقد صَدَقَ القائلُ:

كـلُّ العَـداوةِ قـد تُرْجَـى إزالتُهـا ... إلا عَـداوةَ مَـن عـادَاكَ مِـن حَسَـدِ

وقالَ حكيمُ الشعراءِ:

وأظلَمُ خَلْقِ اللهِ مَن باتَ حاسِدًا لِمَنْ باتَ في نَعمائِه يَتَقلَّبُ). [التسهيل: ٢٢٦]

قالَ عُمَرُ بنُ علِيِّ بْنِ عادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (قَالَ بعضُ الحُكَماءِ: الحاسِدُ بَارَزَ رَبَّهُ مِن خَمْسَةِ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: أنه أَبْغَضَ كُلَّ نِعْمَةٍ ظَهَرَتْ عَلَى غَيْرِهِ.

وثانِيها: أَنَّهُ سَاخِطٌ لِقِسْمَةِ رَبِّهِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَوْ قَسَمْتَ إِلَيَّ بهَذِهِ القِسْمَةِ.

وثَالِثُهَا: أَنَّهُ ضَادَّ اللَّهَ، أي أَنَّ فَضْلَ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وهُوَ يَبْخَلُ بِفَضْلِ اللَّهِ.

ورَابِعُهَا: أنه خَذَلَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ، أو يُرِيدُ خِذْلانَهُمْ، وزَوَالَ النِّعْمَةِ عَنْهُمْ.

وخامِسُهَا: أنه أَعَانَ عَدُوَّهُ إِبْلِيسَ). [اللباب: ٢٠/٥٧٥]

قالَ عُمَرُ بنُ علِيِّ بْنِ عادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (وقِيلَ: الحَاسِدُ لا يَنَالُ في المَجَالِسِ إلا نَدَامَةً، ولا يَنالُ عِنْدَ المَلائِكَةِ إلا لَعْنَةً وبَغْضَاءَ، ولا يَنالُ في الخَلْوَةِ إلاَّ جَزَعًا وغَمًّا، ولا يَنالُ في الآخِرَةِ إلا حُزْنًا واحْتِرَاقًا، ولا يَنالُ مِنَ اللَّهِ إلا بُعْدًا ومَقْتًا). [اللباب: ٢٠/٥٧٥]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): ((فائدةٌ) قَالَ بعضُ الحكماءِ: الحاسدُ بارزَ ربَّهُ مِن خمسةِ أوجهٍ، أَوَّلُهَا: أَنَّهُ أبغضَ كلَّ نعمةٍ ظهرتْ على غيرِهِ.

ثانيها: أَنَّهُ ساخطٌ لقسمةِ ربِّهِ كأَنَّهُ يقولُ: لِمَ قسمت هذهِ القسمةَ؟!

ثالثُها: أَنَّهُ ضادَّ فِعلَ اللَّهِ تَعَالَى أنْ فضَّلَ ببرِّهِ منْ شاءَ وهوَ يبخَلُ بفضلِ اللَّهِ تَعَالَى.

رابِعُها: أَنَّهُ خَذَلَ أولياءَ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ يُرِيدُ خِذْلانَهم وزوالَ النِّعمةِ عنهمْ.

خامِسُها: أَنَّهُ أعانَ عَدُوَّ اللَّهِ إبليسَ.

والحاسدُ لا يَنَالُ في المجالسِ إلا ندامةً، ولا يَنالُ عندَ الملائكةِ إلا لعنةً، ولا يَنالُ في الدُّنيا إلا جَزَعًا وغمًّا، ولا ينالُ في الآخِرَةِ إلا حُزنًا واحتراقًا، ولا ينالُ منَ اللَّهِ تَعَالَى إلا بُعدًا ومَقْتًا). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٤]

قالَ الخَطِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وعنْ عُمرَ بنِ عبدِ العزيزِ: لمْ أرَ ظالِمًا أشبهَ بالمظلومِ مِن حاسدٍ). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٤]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وَهو أَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللَّهُ بهِ في السماءِ مِنْ إبليسَ، وَفي الأرضِ مِنْ قابيلَ). [فتح البيان: ١٥/٤٦٢]

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (وقالَ القُرْطُبِيُّ: رُوِيَ مَرفوعاً: «المُؤْمِنُ يَغْبِطُ وَالمُنَافِقُ يَحْسُدُ».

وقالَ: الحَسَدُ أوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللَّهُ به في السماءِ، وأَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ به في الأَرْضِ، فحَسَدَ إبليسُ آدمَ، وحَسَدَ قابيلُ هابيلَ.اهـ.

تحذيرٌ: كُنْتُ سَمِعْتُ مِن الشيخ- رحمةُ اللَّهِ تعالى عَلَيْنَا وعليه- قولَه: إنَّ أوَّلَ مَعصِيَةٍ وَقعَتْ هي الحَسَدُ، وجَرَّ شُؤْمُها إلى غيرِها، وذلك لَمَّا حَسَدَ إبليسُ أبانا آدمَ على ما آتاهُ اللَّهُ مِن الكراماتِ؛ مِن خَلْقِه بيَدَيْهِ، وأمْرِ الملائكةِ بالسجودِ له، فحمَلَه الحسَدُ على التَّكَبُّرِ، ومَنَعَه التكَبُّرُ مِن امتثالِ الأَمْرِ بالسجودِ، فكانَتِ النتيجةُ طَرْدَه، عِياذاً باللَّهِ). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٤٥- ٣٤٦]

■ ما يضر من الحسد

قالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): ([وَقِيلَ للحَسَنِ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، أَيُحْسَدُ المُؤْمِنُ؟

قَالَ: وَيْحَكَ، مَا أَنْسَاكَ بَنِي يَعْقُوبَ حَيْثُ أَلْقَوْا أخَاهُمْ يُوسُفَ فِي الجُبِّ؟! وَلَكِنَّ الحَسَدَ لا يَضُرُّ مُؤْمِنًا دُونَ أَنْ يُبْدِيَهُ بِيَدٍ أَوْ لِسَانٍ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٧]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (وتَأَمَّلْ تَقييدَه سُبحانَه شَرَّ الحاسِدِ بقولِه: ﴿إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٥] لأنَّ الرجُلَ قد يكونُ عندَه حَسَدٌ ولكن يُخْفِيه، ولا يُرَتِّبُ عليه أَذًى بوجْهٍ ما، لا بقَلْبِه، ولا بلسانِه، ولا بيدِه، بل يَجِدُ في قلبِه شيئًا من ذلك ولا يُعاجِلُ أخاه إلا بما يُحِبُّ اللهُ، فهذا لا يَكادُ يَخلُو منه أحَدٌ إلا مَن عَصَمَه اللهُ.

وقِيلَ للحَسَنِ البَصريِّ: أَيَحْسُدُ المؤمنُ؟

قالَ: ما أنساكَ إخوةَ يُوسُفَ؟

لكنَّ الفرْقَ بينَ القوَّةِ التي في قَلْبِه من ذلك وهو لا يُطيعُها ولا يَأْتَمِرُ لها، بل يَعصيها طاعةً للهِ وخَوْفًا وحَياءً منه وإجلالاً له، أن يَكرَهَ نِعَمَه على عِبادِه، فيَرَى ذلك مُخالَفَةً للهِ وبُغضًا لِمَا يُحِبُّه اللهُ ومَحبَّةً لِمَا يُبْغِضُه، فهو يُجاهِدُ نفسَه على دفْعِ ذلك، ويُلزِمُها بالدعاءِ للمَحسودِ وتَمَنِّي زيادةِ الخيرِ له، بخِلافِ ما إذا حَقَّقَ ذلك وحَسَدَ ورُتِّبَ على حَسَدِه مُقتضاهُ من الأذَى بالقلْبِ واللسانِ والجوارحِ، فهذا الحَسَدُ المذمومُ). [بدائع الفوائد: ٢/٢٣٦]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ التَّمِيمِيُّ (ت: ١٢٠٦ هـ): (قَوْلُهُ: ﴿إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٥]؛ لأَنَّ الحَاسِدَ إِذَا أَخْفَى الحَسَدَ وَلَمْ يُعَامِلْ أَخَاهُ إِلاَّ بِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ لَمْ يَضُرَّهُ، وَلَمْ يَضُرَّ المَحْسُودَ). [مجموع مؤلفاته/ التفسير: ٢٨٣]

■ فضل من لا يحسد

■ حديث أنس بن مالك

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ البَيْهَقِيُّ فِي (شُعَبِ الإِيمَانِ) عَنْ أَنسٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ مِنْ هَذَا الفَجِّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ».

فَطَلَعَ رَجُلٌ مِن الأنصارِ تَنْطُفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ عَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشمالِ فَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَانَ مِن الغَدِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ الرَّجُلُ مِثْلَ مَرَّتِهِ الأُولَى، فَلَمَّا كَانَ اليَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضاً، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الأُولَى.

فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ العَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَلاَّ أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلاثاً، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَأْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ الثلاثُ فَعَلْتَ. قَالَ: نَعَمْ - قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ ثَلاثَ لَيَالٍ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ من الليلِ شيئًا، غيرَ أنه إذَا تَعارَّ من الليلِ وتَقَلَّبَ عَلَى فِراشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلاةِ الفَجْرِ، وَإذا تَعارَّ من الليلِ لا يَقُولُ إلاَّ خَيْراً- قَالَ: فَلَمَّا مَضَتِ الثلاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَحْتَقِرُ عَمَلَهُ قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ وَالِدِي غَضَبٌ وَلا هجرةٌ، ولكنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَطْلُعُ الآنَ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ». فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثلاثَ مَرَّاتٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ فَأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ. فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فَقَالَ: مَا هُوَ إِلاَّ مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لا أَجِدُ فِي نَفْسِي عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا وَلا أَحْسُدُهُ عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَهَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لا تُطَاقُ). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٤]

■ ما يصنع من ابتُلي بالحسد

■ أثر الحسن البصري

قالَ هُودُ بْنُ مُحكَّمٍ الهوَّارِيُّ (ت: ق٣): (قالَ تعالَى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٥] [يَحْيَى عنِ الحَسَنِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ الحَسَنِ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «غُمُّوا هَذَا الحَسَدَ بَيْنَكُمْ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَهُوَ يَعْرِضُ لَهُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِنَّهُ لَيْسَ بِضَائِرٍ عَبْدًا لم يَعْدُ بِلِسَانٍ أو يَدٍ]»). [تفسير كتاب الله العزيز: ٤/٥٤٤]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنُ أَبِي زَمَنِينَ (ت: ٣٩٩هـ): (﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٥].
يَحْيَى: عَنِ الحَسَنِ بنِ دِينَارٍ، عَنِ الحَسَنِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «عَمُّوا هَذَا الحَسَدَ بَيْنَكُمْ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وهو يَعْرِضُ لَهُ مِنْهُ شَيْءٌ، وإِنَّهُ لَيْسَ بضَائِرٍ عَبْداً لَمْ يَعْدُ بلِسَانٍ أَوْ يَدٍ»). [تفسير القرآن العزيز: ٥/١٧٤]

- **قلتُ**: (وقد رواه وَكيعٌ في الزُّهدِ عن بعضِ أصحابه، عن الحسنِ البصريِّ مرسلاً، ورواه هنَّادٌ عن وكيعٍ به، كلاهما بلفظِ: (غُمُّوا) بالغين المعجمة).

■ كيف يداوي الحاسد نفسه؟

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (وقد ذَكَرُوا للحَسَدِ دَواءً كذلك؛ أي: يُداوِي به الحاسِدُ نَفْسَه؛ لِيَستريحَ مِن عَناءِ الحسَدِ المُتَوَقِّدِ في قَلْبِه المنَغِّصِ عليه عَيْشَه، الجالِبِ عليه حُزْنَه، وهو على سبيلِ الإجمالِ في أَمْرَيْن: العلْمِ ثم العمَلِ.

والمرادُ بالعلْمِ هو أنْ يَعْلَمَ يَقيناً أنَّ النعمةَ التي يَراها على المحسودِ إنما هي عَطاءٌ مِن اللَّهِ بقَدَرٍ سابقٍ وقَضاءٍ لازِمٍ، وأنَّ حَسَدَه إيَّاه عليها لا يُغَيِّرُ مِن ذلك شيئاً، ويَعْلَمَ أنَّ ضَرَرَ الحسَدِ يَعُودُ على الحاسِدِ وَحْدَه في دِينِه؛ لعَدَمِ رِضائِه بقَدَرِ اللَّهِ وقِسمتِه لعِبادِه؛ لأنه في حَسَدِه كالمُعْتَرِضِ على قَوْلِه تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢] وفي دنياه؛ لأنه يُورِثُ السَّقامَ والأحزانَ والكآبةَ ونَفْرَةَ الناسِ منهم ومَقْتَهُم إيَّاه، ومِن وَراءِ هذا وذاكَ العِقابُ في الآخِرَةِ.

أمَّا العَمَلُ فهو مُجاهَدَةُ نفْسِه ضِدَّ نَوازِعِ الحَسَدِ، كما تَقَدَّمَتِ الإشارةُ إليه في الأسبابِ، فإذا رأَى ذا نِعمةٍ فازْدَرَتْهُ عينُه فلْيُحاوِلْ أنْ يُقَدِّرَه ويَخْدُمَه.

وإنْ رَاوَدَتْهُ نفْسُه بالإعجابِ بنَفْسِه، ردَّها إلى التواضُعِ وإظهارِ العَجْزِ والافتقارِ.

وإنْ سَوَّلَتْ له نفْسُه تَمَنِّيَ زَوالِ النِّعْمَةِ عن غيرِه، صَرَفَ ذلك إلى تَمَنِّي مِثْلِها لنَفْسِه، وفَضْلُ اللَّهِ عظيمٌ.

وإن دَعاهُ الحَسَدُ إلى الإساءةِ إلى المحسودِ، سَعَى إلى الإحسانِ إليه وهكذا، فَيَسْلَمُ مِن شِدَّةِ الحَسَدِ، ويَسْلَمُ غيرُه مِن شَرِّه.

وكما في الأَثَرِ: «المُؤْمِنُ يَغْبِطُ وَالمُنَافِقُ يَحْسُدُ»). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٥٠- ٣٥١]

■ ما يحمل الحاسد على الحسد

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (أسبابُ الحَسَدِ:

وبتَأَمُّلِ القِصَّةِ، يَظهَرُ أنَّ الحامِلَ على الحَسَدِ أصْلُه أمران:

الأوَّلُ: ازْدِراءُ المحسودِ.

والثاني: إعجابُ الحاسِدِ بنَفْسِه؛ كما قالَ إبليسُ مُعَلِّلاً لامتناعِه مِن السجودِ: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢].

ثم فَصَّلَ معنَى الخَيْرِيَّةِ المَزعومةِ بقولِه: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢﴾ [الأعراف: ١٢] ويَلْحَقُ بذلك جميعُ الأسبابِ.

وقد ذَكَرُوا منها التَّعَزُّزَ في نفْسِه، ولا يُريدُ لأَحَدٍ أنْ يَرتفِعَ عليه، والتعَجُّبَ بأنْ يُعْجَبَ بنفْسِه، ولا يَرَى أحداً أَوْلَى منه، والخَوْفَ مِن فَواتِ المَقاصِدِ عندَ شَخْصٍ إذا رآه سَيَسْتَغْنِي عنه، وحُبَّ الرئاسةِ مِمَّن لا يُريدُ لأَحَدٍ أنْ يَتقدَّمَ عليه في أيِّ فَنٍّ أو مَجالٍ.

وذكَرَها الرَّازيُّ نَقْلاً عن الغزاليِّ.

ومِن هنا لا نَرَى مُعْجَباً بنفْسِه قَطُّ إلاَّ ويَزدري الآخَرِينَ ويَحْسُدُهم على أَدْنَى نِعمةٍ أَنْعَمَها اللَّهُ عليهم. عافانَا اللَّهُ مِن ذلك). [تتمة أضواء البيان: ٩/٣٤٦]

■ أسباب اندفاع شر الحاسد عن المحسود

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فصلٌ: ويَنْدَفِعُ شرُّ الحاسِدِ عن المحسودِ بعَشَرةِ أسبابٍ:

أحدُها: التعوُّذُ باللهِ من شَرِّه والتحَصُّنُ به واللجوءُ إليه، وهو المقصودُ بهذه السورةِ، واللهُ تعالى سَميعٌ لاستعاذَتِه، عليمٌ بما يَسْتَعيذُ منه.

والسمْعُ هنا المُرادُ به سَمْعُ الإجابةِ، لا السمْعُ العامُّ، فهو مِثْلُ قولِه: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَه» وقولِ الخليلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: ٣٩].

ومَرَّةً يَقْرِنُه بالعلْمِ ومَرَّةً بالبَصَرِ؛ لاقتضاءِ حالِ المُستعيذِ ذلك، فإنه يَستعيذُ به من عدُوٍّ يَعْلَمُ أنَّ اللهَ يَراهُ، ويَعلَمُ كَيْدَه وشَرَّه، فأَخْبَرَ اللهُ تعالى هذا المُستعيذَ أنه سَميعٌ لاستعاذتِه، أي: مُجيبٌ عليمٌ بكَيْدِ عَدُوِّه، يَراهُ ويُبْصِرُه لِيَنْبَسِطَ أمَلُ المُستعيذِ، ويُقْبِلَ بقلبِه على الدعاءِ.

وتَأَمَّلْ حِكمةَ القرآنِ: كيف جاءَ في الاستعاذةِ من الشيطانِ الذي نَعلَمُ وُجودَه ولا نَراهُ بلفْظِ السميعِ العليمِ في [الأعراف، وحم السجدة] وجاءتِ الاستعاذةُ من شَرِّ الإنْسِ الذين يُؤْنَسُون ويُرَوْنَ بالأبصارِ بلَفْظِ السميعِ البصيرِ في [سورة حم المؤمن] فقالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾ [غافر: ٥٦] لأنَّ أفعالَ هؤلاءِ أفعالُ مُعايَنَةٍ، تُرى بالبَصَرِ، وأمَّا نَزْغُ الشيطانِ فوَسَاوِسُ وخَطَرَاتٌ يُلْقِيها في القلْبِ يَتعلَّقُ بها العلْمُ، فأَمَرَ بالاستعاذةِ بالسميعِ العليمِ فيها، وأَمَرَ بالاستعاذةِ بالسميعِ البصيرِ في بابِ ما يُرَى بالبَصَرِ ويُدْرَكُ بالرؤيةِ، واللهُ أَعْلَمُ.

السببُ الثاني: تَقْوَى اللهِ وحِفْظُه عندَ أَمْرِه ونَهْيِه، فمَن اتَّقَى اللهَ تَوَلَّى اللهُ حِفْظَه، ولم يَكِلْهُ إلى غيرِه، قالَ تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾[آل عمران: ١٢٠] وقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعَبْدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ: «احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجاهَكَ». فمَن حَفِظَ اللهَ حَفِظَه اللهُ، ووَجَدَه أمامَه أَيْنَما تَوَجَّهَ، ومَن كان اللهُ حافِظَه وأمامَه فمِمَّن يَخافُ ومِمَّنْ يَحْذَرُ؟!

السببُ الثالثُ: الصبْرُ على عَدُوِّه، وأن لا يُقاتِلَه ولا يَشْكُوَه ولا يُحَدِّثَ نفْسَه بأذاه أَصْلاً، فما نُصِرَ على حاسِدِه وعَدُوِّه بِمِثْلِ الصبْرِ عليه والتوكُّلِ على اللهِ، ولا يَسْتَطِلْ تأخيرَه وبَغْيَه، فإنه كلَّما بَغَى عليه كان بَغْيُه جُنْدًا وقُوَّةً للمَبْغِيِّ عليه المحسودِ، يُقاتِلُ به الباغي نفسَه، وهو لا يَشْعُرُ، فبَغْيُه سِهامٌ يَرْمِيها من نفسِه إلى نفسِه، ولو رأى المَبْغِيَّ عليه، ولكن لضَعْفِ بَصيرتِه لا يَرى إلا صورةَ البغيِ دونَ آخِرِه ومآلِه، وقد قالَ تعالى: ﴿وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠].

فإذا كان اللهُ قد ضَمِنَ له النصْرَ مع أنه قَدِ اسْتَوْفَى حقَّه أوَّلاً، فكيف بِمَن لم يَستوفِ شيئًا من حقِّه، بل بُغِيَ عليه وهو صابرٌ.

وما من الذنوبِ ذنبٌ أسْرَعُ عُقوبةً من البَغْيِ وقَطيعةِ الرِّحِمِ، وقد سَبَقَتْ سُنَّةُ اللهِ أن لو بَغَى جَبَلٌ على جَبَلٍ جَعَلَ الباغيَ مِنْهُما دكًّا.

السببُ الرابعُ: التوكُّلُ على اللهِ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]. والتوكُّلُ من أَقْوَى الأسبابِ التي يَدْفَعُ بها العبْدُ ما لا يُطِيقُ من أذَى الخَلْقِ وظُلْمِهم وعُدوانِهم، وهو مِن أَقْوَى الأسبابِ في ذلك، فإنَّ اللهَ حَسْبُه، أي كافِيه، ومَن كان اللهُ كافِيَه وواقِيَه فلا مَطْمَعَ فيه لِعَدُوِّه، ولا يَضُرُّه إلا أَذًى لا بدَّ منه، كالحَرِّ والبَرْدِ والجوعِ والعَطَشِ، وأمَّا أن يَضُرَّه بما يَبْلُغُ منه مُرادَه فلا يكونُ أبدًا، وفَرْقٌ بينَ الأذى الذي هو في الظاهِرِ إيذاءٌ له، وهو في الحقيقةِ إحسانٌ إليه، وإضرارٌ بنفسِه، وبينَ الضرَرِ الذي يَتَشَفَّى به منه.

قالَ بعضُ السلَفِ: جَعَلَ اللهُ لكلِّ عَمَلٍ جزاءً من جِنْسِه، وجَعَلَ جزاءَ التوكُّلِ عليه نَفْسَ كفايَتِه لعَبْدِه فقالَ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] ولم يَقُلْ: نُؤْتِه كذا وكذا من الأَجْرِ، كما قالَ في الأعمالِ، بل جَعَلَ نَفْسَه – سبحانَه – كافيًا عبدَه المتوكِّلَ عليه وحَسْبَه وواقِيَه، فلو تَوكَّلَ العَبْدُ على اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِه وكَادَتْه السماواتُ والأرضُ ومَن فيهن لَجَعَلَ له مَخرجًا من ذلك وكفاه ونَصَرَه، وقد ذَكَرْنا حقيقةَ التوكُّلِ وفوائدَه وعِظَمَ مَنفعتِه وشِدَّةَ حاجةِ العَبْدِ إليه في: (كتابِ الفتْحِ القُدْسِيِّ)، وذَكَرْنا هناك فَسادَ مَن جَعَلَه من المَقاماتِ المَعلولةِ، وأنه من مَقاماتِ العوامِّ، وأَبْطَلْنا قولَه من وُجوهٍ كثيرةٍ، وبَيَّنَّا أنه من أَجَلِّ مَقاماتِ العارفينَ، وأنه كُلَّما علا مَقامُ العَبْدِ كانت حاجتُه إلى التوكُّلِ أعظمَ وأَشَدَّ، وأنه على قَدْرِ إيمانِ العبْدِ يكونُ تَوكُّلُه، وإنما المقصودُ هنا ذِكْرُ الأسبابِ التي يَندفِعُ بها شرُّ الحاسِدِ والعائنِ والساحرِ والباغي.

السببُ الخامسُ: فَراغُ القلبِ من الاشتغالِ به والفِكْرِ فيه، وأن يَقْصِدَ أن يَمْحُوَه مِن بالِه كُلَّما خَطَرَ له، فلا يَلْتَفِتُ إليه ولا يَخافُه ولا يَملأُ قلبَه بالفِكْرِ فيه، وهذا من أَنْفَعِ الأدويةِ وأَقْوَى الأسبابِ المُعِينَةِ على اندفاعِ شَرِّه، فإنَّ هذا بمنزلَةِ مَن يَطْلُبُه عَدُوُّه لِيُمْسِكَه ويُؤْذِيَه، فإذا لم يَتَعَرَّضْ له ولا تَماسَكَ هو وإيَّاه، بل انْعَزَلَ عنه؛ لم يَقْدِرْ عليه، فإذا تَماسَكَا وتَعَلَّقَ كلٌّ منهما بصاحِبِه حَصَلَ الشرُّ، وهكذا الأرواحُ سواءٌ، فإذا عَلَّقَ رُوحَه وشَبَّثَها به، وروحُ الحاسِدِ الباغي مُتَعَلِّقَةٌ به يَقَظَةً ومَنامًا، لا يَفْتُرُ عنه، وهو يَتَمَنَّى أن يَتَماسَكَ الرُّوحانِ ويَتَشَبَّثَ، فإذا تَعَلَّقَتْ كلُّ روحٍ منهما بالأخرى عُدِمَ القَرارُ ودامَ الشرُّ، حتى يَهْلِكَ أَحَدُهما، فإذا جَبَذَ رُوحَه عنه وصانَها عن الفِكْرِ فيه والتَّعَلُّقِ به وأن لا يُخْطِرُه ببالِه، فإذا خَطَرَ ببالِه بادَرَ إلى مَحْوِ ذلك الخاطِرِ والاشتغالِ بما هو أَنْفَعُ له وأَوْلَى به، بَقِيَ الحاسدُ الباغي يَأْكُلُ بعضُه بعضًا، فإنَّ الحسَدَ كالنارِ فإذا لم تَجِدْ ما تَأْكُلُه أكَلَ بعضُها بعضًا، وهذا بابٌ عظيمُ النفعِ لا يَلقاه إلا أصحابُ النفوسِ الشريفةِ والهِمَمِ العَلِيَّةِ، وبينَ الكَيِّسِ الفَطِنِ وبينَه حتى يَذوقَ حَلاوتَه وطِيبَه ونعيمَه، كأنه يَرى من أَعْظَمِ عذابِ القَلْبِ والروحِ اشتغالَه بعَدُوِّه وتَعَلُّقَ روحِه به، ولا يَرى شيئًا آلَمَ لرُوحِه من ذلك، ولا يُصَدِّقُ بهذا إلا النفوسُ المُطمئنَّةُ الوادعةُ اللَّيِّنَةُ التي رَضِيَتْ بوَكالةِ اللهِ لها، وعَلِمَتْ أنَّ نَصْرَه لها خَيْرٌ من انتصارِها هي لنفسِها، فوَثِقَتْ باللهِ وسَكَنَتْ إليه واطمأنَّتْ به، وعلِمَتْ أنَّ ضَمانَه حقٌّ ووَعْدَه صِدْقٌ، وأنه لا أَوْفَى بعَهدِه من اللهِ، ولا أَصْدَقَ منه قِيلاً، فعَلِمَتْ أنَّ نَصْرَه لها أَقْوَى وأَثْبَتُ وأَدْوَمُ

وأعظمُ فائدةً من نَصْرِها هي لنفسِها أو نَصْرِ مَخلوقٍ مِثْلِها لها، ولا يُقْوَى على هذا إلا **بالسبَبِ السادسِ**: وهو الإقبالُ على اللهِ والإخلاصُ له وجعْلُ مَحَبَّته وتَرَضِّيهِ والإنابةِ إليه في مَحَلِّ خواطِرِ نفسِه وأمانِيِّها، تَدُبُّ فيها دَبيبَ تلك الخواطِرِ شيئًا فشيئًا حتى يَقْهَرَها ويَغْمُرَها ويُذْهِبَها بالكُلِّيَّةِ، فتَبْقَى خواطِرُه وهواجِسُه وأَمانِيُّه كلُّها في مَحابِّ الربِّ والتقرُّبِ إليه وتَملُّقِه وتَرَضِّيه واستعطافِه، وذِكْرِه كما يَذْكُرُ المحبُّ التامُّ المَحبَّةِ لمحبوبِه المُحسِنِ إليه، الذي قَدِ امْتَلأَتْ جَوانحُه من حُبِّه، فلا يَستطيعُ قلبُه انصرافًا عن ذِكْرِه، ولا رُوحُه انصرافًا عن مَحَبَّتِه، فإذا صارَ كذلك فكيفَ يَرْضَى لنفسِه أن يَجْعَلَ بيتَ أفكارِه وقَلْبَه مَعمورًا بالفِكْرِ في حاسدِه والباغي عليه والطريقِ إلى الانتقامِ منه والتدبيرِ عليه.

هذا ما لا يَتَّسِعُ له إلا قَلْبٌ خَرابٌ لم تَسْكُنْ فيه مَحَبَّةُ اللهِ وإجلالُه وطَلَبُ مَرضاتِه، بل إذا مَسَّهُ طَيْفٌ من ذلك واجتازَ ببابِه من خارجٍ ناداه حَرَسُ قلبِه: إيَّاكَ وحِمَى المِلكِ، اذهَبْ إلى بيوتِ الخاناتِ التي كلُّ مَن جاءَ حَلَّ فيها ونَزَلَ بها، ما لكَ ولبيتِ السلطانِ الذي أقامَ عليه اليزكَ وأدارَ عليه الحَرَسَ وأحاطَه بالسُّورِ؟

قالَ - تعالى- حكايةً عن عَدُوِّه إبليسَ أنه قالَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ [ص: ٨٢، ٨٣] وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، وقالَ: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩، ١٠٠] وقالَ في حقِّ الصِّدِّيقِ يُوسُفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ۝٢٤﴾ [يوسف: ٢٤] فما أَعْظَمَ سعادةَ مَن دَخَلَ هذا الحِصْنَ وصارَ داخلَ اليزكِ، لقد آوى إلى حِصْنٍ، لا خَوْفَ على مَن تَحصَّنَ به، ولا ضَيْعَةَ على مَن آوَى إليه، ولا مَطْمَعَ للعدُوِّ في الدنوِّ إليه منه: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٤﴾ [الجمعة: ٤].

السببُ السابعُ: تَجريدُ التوبةِ إلى اللهِ من الذنوبِ التي سَلَّطَتْ عليه أعداءَه، فإنَّ اللهَ تعالى يَقولُ: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] وقالَ لخيرِ الخلْقِ، وهم أصحابُ نبيِّهِ دونَه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

فما سُلِّطَ على العبْدِ مَن يُؤذِيه إلا بذَنْبٍ يَعْلَمُه أو لا يَعْلَمُه، وما لا يَعْلَمُه العبْدُ مِن ذُنوبِه أضعافُ ما يَعْلَمُه منها، وما يَنساه مِمَّا عَلِمَه وعَمِلَه أَضعافُ ما يَذْكُرُه.

وفي الدعاءِ المشهورِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا أَعْلَمُ» فما يَحتاجُ العَبْدُ إلى الاستغفارِ منه مِمَّا لا يَعْلَمُه أضعافُ أَضعافِ ما يَعلَمُه، فما سُلِّطَ عليه مُؤْذٍ إلا بذَنْبٍ.

ولَقِيَ بعضَ السلَفِ رجلٌ، فأَغْلَظَ له ونالَ منه، فقالَ له: قِفْ حتى أَدْخُلَ البيتَ ثم أَخْرُجَ إليك. فدخَلَ فسَجَدَ للهِ وتَضرَّعَ إليه وتابَ وأنابَ إلى ربِّه، ثم خرجَ إليه، فقالَ له: ما صَنَعْتَ؟ فقالَ: تُبْتُ إلى اللهِ من الذنْبِ الذي سَلَّطَكَ به عَلَيَّ.

وسَنَذْكُرُ إن شاءَ اللهُ تعالى أنه ليس في الوجودِ شرٌّ إلا الذنوبُ ومُوجَباتُها، فإذا عُوفِيَ من الذنوبِ عُوفِيَ من مُوجباتِها، فليس للعَبْدِ إذا بُغِيَ عليه وأُوذِيَ وتَسَلَّطَ عليه خُصومُه شيءٌ أَنْفَعُ له من التوبةِ النَّصُوحِ.

وعَلامةُ سَعادتِه أن يَعْكِسَ فِكْرَه ونَظَرَه على نفسِه وذنوبِه وعُيوبِه، فَيَشْتَغِلَ بها وبإصلاحِها وبالتوبةِ منها، فلا يَبْقَى فيه فَراغٌ لتَدَبُّرِ ما نَزَلَ به، بل يَتَوَلَّى هو التوبةَ وإصلاحَ عُيوبِه، واللهُ يَتَوَلَّى نُصْرَتَه وحِفْظَه والدفْعَ عنه ولا بدَّ، فما أَسْعَدَه من عبدٍ! وما أَبْرَكَها من نازِلَةٍ نزَلَتْ به! وما أَحْسَنَ أَثَرَها عليه، ولكنَّ التوفيقَ والرَّشَدَ بيدِ اللهِ، لا مانِعَ لِمَا أَعْطَى، ولا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، فما كُلُّ أَحَدٍ يُوَفَّقُ لهذا لا مَعْرِفَةً به، ولا إرادةَ له، ولا قُدرةَ عليهِ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ.

السببُ الثامنُ: الصدَقَةُ والإحسانُ ما أَمْكَنَه، فإنَّ لذلك تأثيرًا عَجيبًا في دَفْعِ البلاءِ ودَفْعِ العينِ وشرِّ الحاسِدِ، ولو لم يكنْ في هذا إلا تَجارِبُ الأمَمِ قديمًا وحَديثًا لكَفَى به، فما يَكادُ العينُ والحسَدُ والأذى يَتَسلَّطُ على مُحْسِنٍ مُتَصدِّقٍ، وإن أَصابَه شيءٌ من ذلك كان مُعامَلاً فيه باللطْفِ والمَعونةِ والتأييدِ، وكانت له فيه العاقبةُ الحَميدةُ.

فالمُحْسِنُ المُتصدِّقُ في خِفارةِ إحسانِه، وصَدَقَتُه عليه من اللهِ جُنَّةٌ رَاقيةٌ وحِصْنٌ حَصينٌ، وبالجمْلَةِ فالشكْرُ حارسُ النعمَةِ من كلِّ ما يكونُ سَبَبًا لزوالِها.

ومِن أقوى الأسبابِ حَسَدُ الحاسِدِ والعائنِ، فإنه لا يَفْتُرُ ولا يَنِي ولا يَبْرُدُ قَلْبُه حتى تَزولَ النِّعمةُ عن المحسودِ، فحينئذٍ يَبْرُدُ أَنِينُه وتَنْطَفِئُ نارُه، لا أَطْفَأَهَا اللهُ، فما حَرَسَ العَبْدُ نعمةَ اللهِ عليه بِمِثْلِ شُكْرِها، ولا عَرَّضَها للزوالِ بِمِثْلِ العمَلِ فيها بِمَعاصِي اللهِ، وهو كُفرانُ النِّعمةِ، وهو بابٌ إلى كُفرانِ المُنْعِمِ.

فالمُحْسِنُ المتصدِّقُ يَستخدِمُ جُنْدًا وعَسْكرًا يُقاتلون عنه وهو نائمٌ على فِراشِه، فمَنْ لم يكنْ له جُنْدٌ ولا عَسْكَرٌ وله عَدُوٌّ، فإنه يُوشِكُ أن يَظْفَرَ به عدُوُّه، وإن تَأَخَّرَتْ مُدَّةُ الظفَرِ، واللهُ المُستعانُ.

السببُ التاسعُ: وهو من أَصْعَبِ الأسبابِ على النفْسِ وأَشَقِّهَا عليها، ولا يُوَفَّقُ له إلا من عَظُمَ حظُّه من اللهِ، وهو إطفاءُ نارِ الحاسِدِ والباغي والمؤْذِي بالإحسانِ إليه، فكُلَّمَا ازدادَ أَذًى وشَرًّا وبَغْيًا وحَسَدًا ازْدَدْتَ إليه إحسانًا وله نصيحةً وعليه شَفَقَةً، وما أَظُنُّك تُصَدِّقُ بأنَّ هذا يكونُ فَضْلاً عن أن تَتَعاطَاه.

فاسْمَعِ الآنَ قولَه عزَّ وجَلَّ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٤- ٣٦] وقالَ: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [القصص: ٥٤] وتأمَّلْ حالَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي حكَى عنه نَبِيُّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه ضَرَبَه قومُه حتى أَدْمَوْه، فجعَلَ يَسْلِتُ الدمَ عنه ويقولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ» كيف جمَعَ في هذه الكلماتِ أَرْبَعَ مقاماتٍ من الإحسانِ، قابَلَ بها إساءَتَهم العظيمةَ إليه:

أحدُها: عَفْوُه عنهم، والثاني: استغفارُه لهم. الثالثُ: اعتذارُه عنهم بأنهم لا يَعلمون. الرابعُ: استعطافُه لهم بإضافتِهم إليه، فقالَ: «اغْفِرْ لِقَوْمِي» كما يَقولُ الرجُلُ لِمَنْ يَشفَعُ عندَه فيمَنْ يَتَّصِلُ به: هذا وَلَدي، هذا غُلامي، هذا صاحِبِي فهَبْه لي.

واسْمَع الآنَ ما الذي يَسْهُلُ على النفْسِ ويُطَيِّبُه إليها ويُنَعِّمُها به، اعْلَمْ أنَّ لك ذُنوبًا بينَك وبينَ اللهِ تَخافُ عَواقِبَها وتَرجوهُ أن يَعْفُوَ عنها، ويَغْفِرَها لك، ويَهَبَها لك، ومع هذا لا يَقْتَصِرُ على مُجَرَّدِ العَفْوِ والمُسامَحَةِ، حتى يُنْعِمَ عليك ويُكْرِمَك، ويَجْلُبَ إليك من المنافِعِ والإحسانِ فوقَ ما تُؤَمِّلُه.

فإذا كنتَ تَرْجُو هذا من ربِّك أن يُقابِلَ به إساءتَك، فما أَوْلاك وأَجْدَرَك أن تُعامِلَ به خَلْقَه وتُقابِلَ به إساءتَهم، ليُعَامِلَكَ اللهُ هذه المُعامَلَةَ؛ فإنَّ الجزاءَ من جِنْسِ العمَلِ، فكما تَعْمَلُ معَ الناسِ في إساءتِهم في حَقِّكَ يَفْعَلُ اللهُ معك في ذنوبك وإساءتِك جزاءً وِفاقًا، فانْتَقِمْ بعدَ ذلك أو اعْفُ، وأَحْسِنْ أو اتْرُكْ، فكَمَا تَدينُ تُدانُ، وكما تَفْعَلُ مع عِبادِه يَفْعَلُ معك.

فمَن تَصَوَّرَ هذا المعنى وشَغَلَ به فِكْرَه هان عليه الإحسانُ إلى مَن أَساءَ إليه، هذا مع ما يَحْصُلُ له بذلك من نَصْرِ اللهِ ومَعِيَّتِه الخاصَّةِ، كما قالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للذي شَكَى إليه قَرابَتَه وأنه يُحْسِنُ إليهم وهم يُسيئون إليه فقالَ: «لا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ».

هذا مع ما يَتَعَجَّلُه من ثَناءِ الناسِ عليه ويَصيرونَ كلُّهم معه على خَصْمِه، فإنه كلُّ مَن سَمِعَ أنه مُحْسِنٌ إلى ذلك الغيرِ وهو مُسيءٌ إليه وَجَدَ قَلْبَه ودُعاءَه وهِمَّتَه مع المُحْسِنِ على المسيءِ، وذلك أمْرٌ فِطْرِيٌّ فَطَرَ اللهُ عليه عِبادَه، فهو بهذا الإحسانِ قَدِ اسْتَخْدَمَ عَسكرًا لا يَعْرِفُهم ولا يَعْرِفُونَه، ولا يُريدون منه إقْطَاعًا ولا خُبْزًا.

هذا مع أنه لا بُدَّ له مع عَدُوِّه وحاسِدِه من إحدى حالتينِ.

إمَّا أن يَمْلُكَه بإحسانِه فيَسْتَعْبِدَه ويَنقادَ له ويَذِلَّ له ويَبْقَى مِن أَحَبِّ الناسِ إليه.

وإمَّا أن يُفَتِّتَ كَبِدَه ويَقْطَعَ دابِرَه إن أقامَ على إساءتِه إليه، فإنه يُذِيقُه بإحسانِه أضعافَ ما يَنالُ منه بانتقامِه.

ومَن جَرَّبَ هذا عَرَفَه حقَّ المَعرفةِ، واللهُ هو المُوَفِّقُ المُعينُ، بيدِه الخيرُ كلُّه لا إلهَ غيرُه، وهو المسؤولُ أن يَسْتَعْمِلَنا وإخوانَنا في ذلك بِمَنِّهِ وكَرَمِه.

وفي الجملةِ: ففي هذا المَقامِ من الفوائدِ ما يَزيدُ على مائةِ مَنفعةٍ للعَبْدِ عاجِلَةٍ وآجِلَةٍ، سنَذْكُرُها في مَوْضِعٍ آخَرَ إن شاءَ اللهُ تعالى.

السببُ العاشِرُ: وهو الجامعُ لذلك كلِّه، وعليه مَدارُ هذه الأسبابِ، وهو تَجريدُ التوحيدِ والترَحُّلُ بالفكْرِ في الأسبابِ إلى المُسَبِّبِ العزيزِ الحكيمِ، والعِلْمُ بأنَّ هذه آلاتٌ بمنزلَةِ حَركاتِ الرياحِ، وهي بِيَدِ مُحَرِّكِها وفاطِرِها وبَارِئِها، ولا تَضُرُّ ولا تَنْفَعُ إلا بإذنِه، فهو الذي يُحَسِّنُ عَبْدَه بها، وهو الذي يَصْرِفُها عنه وحْدَه، لا أَحَدَ سِواه.

قالَ تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس:١٠٧] وقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما: «واعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ».

فإذا جَرَّدَ العبْدُ التوحيدَ فقد خَرَجَ من قلبِه خوفُ ما سواه، وكان عَدُوُّه أهونَ عليه من أن يَخافَه مع اللهِ، بل يُفْرِدُ اللهَ بالمَخافةِ وقد أَمَّنَه منه، وخَرَجَ من قلبِه اهتمامُه به واشتغالُه به وفِكْرُه فيه، وتَجَرَّدَ للهِ محبَّةً وخَشيةً وإنابةً وتَوَكُّلاً واشتغالاً به عن غيرِه، فيَرَى أنَّ إعمالَه فِكْرَه في أمرِ عَدُوِّه وخَوْفَه منه واشتغالَه به من نَقْصِ توحيدِه، وإلا فلو جَرَّدَ توحيدَه لكان له فيه شُغْلٌ شاغِلٌ، واللهُ يَتَوَلَّى حِفْظَه والدفْعَ عنه، فإنَّ اللهَ يُدافِعُ عن الذين آمَنُوا، فإنْ كان مُؤْمِنًا فاللهُ يُدافِعُ عنه ولا بدَّ.

وبِحَسَبِ إيمانِه يكونُ دِفاعُ اللهِ عنه، فإن كَمُلَ إيمانُه كان دَفْعُ اللهِ عنه أَتَمَّ دَفْعٍ، وإن مَزَجَ مُزِجَ له، وإن كان مَرَّةً ومَرَّةً، فاللهُ له مَرَّةً ومَرَّةً، كما قالَ بعضُ السلَفِ: مَن أَقْبَلَ على اللهِ بكُلِّيَّتِه أَقْبَلَ اللهُ عليه جُملةً، ومَن أَعْرَض عن اللهِ بكُلِّيَّتِه أَعْرَضَ اللهُ عنه جُملةً، ومَنْ كان مَرَّةً ومَرَّةً فاللهُ له مَرَّةً ومَرَّةً.

فالتوحيدُ حِصْنُ اللهِ الأعظَمُ الذي مَن دَخَلَه كان من الآمنينَ.

قالَ بعضُ السلَفِ: مَن خافَ اللهَ خافَه كلُّ شيءٍ، ومن لم يَخَفِ اللهَ أَخافَه من كلِّ شيءٍ. فهذه عشَرةُ أسبابٍ يَندفِعُ بها شرُّ الحاسِدِ والعائنِ والساحرِ، وليس له أَنْفَعُ من التوَجُّهِ إلى اللهِ وإقبالِه عليه وتَوَكُّلِه عليه، وثِقَتِه به، وأن لا يَخافَ معه غيرَه، بل يكونُ خوفُه منه وحدَه، ولا يَرجُو سواه، بل يَرجوه وحدَه، فلا يُعَلِّقُ قلبَه بغيرِه ولا يَستغيثُ بسواه ولا يَرْجُو إلا إيَّاه.

ومتى عَلَّقَ قلبَه بغيرِه ورجاهُ وخافَه وُكِلَ إليه، وخُذِلَ من جِهَتِه، فمَن خافَ شيئًا غيرَ اللهِ سُلِّطَ عليه، ومَن رَجَا شيئًا سِوى اللهِ خُذِلَ من جِهَتِه وحُرِمَ خيرَه، فهذه سُنَّةُ اللهِ في خَلْقِه: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب:٦٢]). [بدائع الفوائد: ٢/٢٣٨- ٢٤٦]

■ معنى قول بعض الناس للحاسد: (الخمس في عينك)

قالَ عَبْدُ الحَقِّ بنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:٥٤٦هـ): (وهذه السورةُ خمسُ آياتٍ، فقالَ بعضُ الحُذَّاقِ: هي مرادُ الناسِ بقولِهم للحاسدِ إذا نَظَرَ إليهم: الخمسُ على عَيْنَيْكَ، وقد غَلِطَتِ العامَّةُ في هذا، فيُشيرُونَ بالأصابعِ لكونِها خَمْسَةً). [المحرر الوجيز: ١٥/٦١١- ٦١٢]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (قالَ ابنُ عَطِيَّةَ: قالَ بعضُ الحُذَّاقِ: هذه السورةُ خَمْسُ آياتٍ، وهي مُرادُ الناسِ بقولِهم للحاسِدِ الذي يُخافُ منه العينُ: الخمسةُ على عَيْنِكَ). [التسهيل: ٢٢٦]

قالَ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الأندَلُسِيُّ (ت: ٧٤٥هـ): (وقولُ المنظورِ إليهِ للحاسدِ إذا نَظَرَ: الخَمْسُ على عَيْنَيْكَ. يَعْنِي بِهِ هَذِهِ السورةَ؛ لأَنَّها خَمْسُ آياتٍ، وَعينُ الحاسدِ في الغالبِ وَاقعةٌ، نَعُوذُ باللَّهِ مِنْ شَرِّهَا). [البحر المحيط: ٨/٧٦٣]

■ حُكْم مَن قتَلَ أو أتْلَفَ شيئاً بالعَيْنِ

قالَ عَطِيَّة مُحمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (مسألةٌ: في حُكْمِ مَن قَتَلَ أو كَسَرَ أو أتْلَفَ شيئاً بالعَيْنِ:

تَقدَّمَ بيانُ ذلك في حَقِّ السِّحْرِ، أمَّا في حَقِّ العينِ، فقد قالَ ابنُ حَجَرٍ في (فتْحِ البارِي) في (كتابِ الطِّبِّ) ما نَصُّهُ:

وقد اخْتُلِفَ في جَرَيَانِ القِصَاصِ بذلك - يعني بالعَيْنِ - فقالَ القُرْطُبِيُّ: لو أتْلَفَ العائنُ شيئاً ضَمِنَه؛ لو قَتَلَ فعليهِ القِصَاصُ أو الدِّيَةُ إذا تَكَرَّرَ ذلك منه بحيثُ يَصيرُ عادَةً، وهو في ذلك كالساحِرِ عندَ مَن لا يَقْتُلُه كفراً.اهـ.

ولم يَتَعَرَّضِ الشافعِيَّةُ للقِصَاصِ في ذلك، بل مَنَعُوهُ، وقالوا: إنه لا يَقْتُلُ غالباً ولا يُعَدُّ مُهْلِكاً.

وقالَ النَّوَوِيُّ في (الرَّوْضَةِ): (ولا دِيَةَ فيه ولا كَفَّارَةَ؛ لأنَّ الحُكْمَ إنما يَتَرَتَّبُ على مُنْضَبِطٍ عامٍّ دُونَ ما يَخْتَصُّ ببعضِ الناسِ في بعْضِ الأحوالِ، مِمَّا لا انْضِبَاطَ له، كيفَ ولم يَقَعْ منه فعْلٌ أصْلاً، وإنَّما غايتُه حَسَدٌ وتَمَنٍّ لزوالِ نِعمةٍ.

وأيضاً: فالذي يَنْشَأُ عن الإصابةِ بالعينِ حُصولُ مَكروهٍ لذلك الشخْصِ، ولا يَتعيَّنُ ذلك المَكروهُ في زَوالِ الحياةِ، فقد يَحْصُلُ له مكروهٌ بغيرِ ذلك مِن أَثَرِ العينِ). اهـ.

ولا يُعَكِّرُ على ذلك إلاَّ الحُكْمُ بقَتْلِ الساحِرِ، فإنه في معناه، والفرْقُ بينَهما عَسيرٌ.

ونَقَلَ ابنُ بَطَّالٍ عن بعْضِ أهْلِ العلْمِ: أنَّه يَنبغِي للإمامِ مَنْعُ العائنِ - إذا عُرِفَ بذلكَ - مِن مُدَاخَلَةِ الناسِ، وأنَّه يُلْزِمُه بيتَه، فإنْ كانَ فَقيراً رَزَقَهُ ما يقومُ به؛ فإنَّ ضَرَرَهُ أشَدُّ مِن ضَرَرِ المَجْذومِ الذي أَمَرَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عنه بِمَنْعِهِ مِن مُخَالَطَةِ الناسِ، وأشَدُّ مِن ضَرَرِ الثُّومِ الذي مَنَعَ الشارِعُ آكِلَه مِن حُضورِ الجماعةِ.

قالَ النوويُّ: وهذا القولُ صحيحٌ مُتَعَيِّنٌ، لا يُعْرَفُ عن غيرِه تصريحٌ بخِلافِه. اهـ مِن (فَتْحِ البارِي).

وبتَأَمُّلِ قولِ القُرْطُبِيِّ والنوويِّ بدِقَّةٍ، لا يُوجَدُ بينَهما خِلافٌ في الأَصْلِ؛ إذِ القُرطُبِيُّ يُقَيِّدُ كلامَه بما يَتَكَرَّرُ مِنه بحيثُ يَصيرُ عادةً له.

والنوَوِيُّ يقولُ: إنَّه لا يَقْتُلُ غالباً. وعليهِ فلو ثَبَتَ أنَّه يَقتُلُ غالباً وتَكرَّرَ ذلك مِنه؛ فإنه يَتَّفِقُ معَ كلامِ القُرْطُبِيِّ تَماماً في أنَّ مَن أَتْلَفَ بعَيْنِه وكانَ مُعتاداً منه ذلك فهو ضامِنٌ، وهذا معقولُ المعنَى. واللَّهُ تعالى أَعْلَمُ.

وعندَ الحَنابِلَةِ في (كَشَّافِ القِنَاعِ) ما نَصُّهُ: والمِعْيَانُ: الذي يَقْتُلُ بعَيْنِه.

قالَ ابنُ نَصْرِ اللَّهِ في (حَوَاشِي الفُرُوعِ): يَنْبَغِي أنْ يُلْحَقَ بالساحِرِ الذي يَقْتُلُ بسِحْرِه غالباً، فإذا كانَتْ عينُه يَستطِيعُ القَتْلَ بها ويَفعلُه باختيارِه وَجَبَ به القِصَاصُ. اهـ). [تتمة أضواء البيان: ٣٤٧/٩- ٣٤٨]

مسائل في الوسوسة وحديث النفس ورد كيد الشيطان

معنى (الشيطان)

قالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ ابنُ دُرَيْدٍ الأَزْدِيُّ (ت:٣٢١هـ): (اختلفُوا في اشتقاقِ الشَّيطانِ، فَقَالَ قومٌ مِنْ أَهلِ اللُّغَةِ: اشتقاقُه من شَاطَ يَشيط وتشيّط، إذا لَفَحَتْهُ النارُ فأثَّرَتْ فيهِ، والنُّون فيه زائدةٌ، قال الراجز:

كشائطِ الرُبِّ عليه الأشْكَلِ

قال أبو بكر: هذا الرَّجَزُ لأبي النجم، وإنما يصفُ فَحلاً منَ الإبل قد جَسِدَ ولَبدَ خَطرُه على فخذيه فشبّه برُبِّ السمن الذي قد نالت منه النارُ فاسوادّ، والياء فيه أصلية، والشُّكلة: بياض في حُمرة؛ وعين شَكْلاء إذا كان في بياضها حُمرة، ومن قال: إن النون فيه أصلية؛ فهو من شَطَنَ فهو شاطن، أي بعُد عن الخير.

وقرأ الحسن: وما تنزّلتْ به الشّياطونَ.

قال أبو بكر: هذا خلاف الخطِّ). [جمهرة اللغة: شطن]

قالَ أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ الأَزْهَرِيُّ (ت: ٣٧٠هـ): (قال الليث: الشيطانُ فَيْعَالٌ مِن شَطَنَ، أي بَعُدَ. قال، ويقال: شَيْطَنَ الرجل، وتَشَيْطَنَ، إذا صار كالشيْطان وَفَعَلَ فِعْلَهُ.

وقال رؤبة:

شَاقِ لِبَغْيِ الكَلِبِ المُشَيْطِنِ

وقال غيره: الشيْطان: فعلان، من شَاطَ يشِيطُ، إذا هلك واحترق، مثل هيمان وغيمان، من هام وغام.

قلت: والأول أكبر، والدليل على أنه من شَطَنَ قول أمية بن أبي الصلت يذكر سليمان النبي:

أَيُّما شَاطِنٍ عَصاهُ عَكاهُ

أراد: أيّمَا شيطان). [تهذيب اللغة: شطن]

قالَ أَبُو المُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (وقولُه: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [الناس: ٥] هو الشيطانُ، والشيطانُ كلُّ مُتمَرِّدٍ كان جِنِّيًّا أو إِنْسِيًّا). [تفسير القرآن: ٦/٣٠٨]

قالَ ابنُ الأَثِيرِ المبارَكُ بنُ مُحَمَّدٍ الجَزَرِيُّ (ت:٦٠٦هـ): (إنْ جَعَلت نُون الشيطان أصليَّة كان من الشَّطن: البُعْد: أي بَعُد عن الخير أو من الحَبْل الطويل كأنَّه طالَ في الشَّرّ.

وإن جعَلتها زَائدَة كان من شاط يَشيطُ إذا هلَك أو من استَشَاط غضَباً إذا احْتدَّ في غَضَبه والتَهَب). [النهاية في غريب الحديث:]

إطافة الشيطان بآدم عليه السلام قبل نفخ الروح فيه ودخوله في جوفه

قالَ أَبُو دَاوُودَ سُلَيْمَانُ بنُ دَاوُودَ بنِ الجَارُودِ الطَّيَالِسِيُّ (ت:٢٠٤هـ): (حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ تَرَكَهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتْرُكَهُ، فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ عَلِمَ أَنَّهُ خَلْقٌ لا يَتَمَالَكُ). [مسند أبي داوود الطيالسي: ٥١٢/٣]

- **قلت**: (هذا الحديث رواه أبو داوود الطيالسي وأحمد ومسلم وعبد بن حميد وأبو يعلى والحاكم وابن حبان كلهم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس به).

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِيُّ (ت: ٢٧٦هـ): (روَى يَزِيدُ بنُ هارونَ السُّلَمِيُّ عن سعيدٍ قالَ قَتادَةُ: (كانَ إبليسُ يَنْظُرُ إلى آدمَ، ويقولُ: لأمرٍ مَا خُلِقْتَ! ويَدْخُلُ مِن فِيهِ، ويَخْرُجُ مِن دُبُرِه. فقالَ للملائكةِ: لا تَرْهَبُوا مِن هذا؛ فإنَّ ربَّكم صَمَدٌ، وهذا أجْوَفُ)). [تفسير غريب القرآن: ٥٤٤]

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (وعن قَتادةَ قالَ: كانَ إبليسُ - لَعَنَه اللهُ- يَنظرُ إلى آدَمَ عليه السلامُ، ودَخَلَ في فِيهِ، وخرَجَ مِن دُبُرِه. يعني: حينَ كان صَلصالاً، فقالَ للملائكةِ: لا تَرْهَبوا مِن هذا؛ فإنَّ رَبَّكم صَمَدٌ، وهذا أَجْوَفُ). [بحر العلوم: ٥٢٥/٣]

- **قلت**: (ورواه ابن جرير في تفسيره والبيهقي في الأسماء والصفات وابن عساكر كلهم من طريق أسباط بن نصر عن السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود في خبر طويل، وإسناده ضعيف.

وروى نحوه ابن جرير في تاريخه من طريق أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس).

ذكر أسماء إبليس وأسماء أولاده

قالَ ابنُ أَبِي الدُّنيَا عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عُبَيْدٍ القُرَشِيُّ (ت:٢٨١هـ): (حَدَّثَنا بِشْرُ بنُ الوليدِ الكِندِيُّ حدَّثَنا مُحَمَّدُ بنُ طَلحةَ عَن زُبَيْدٍ عَن مُجَاهِدٍ قَالَ: لِإِبْلِيسَ خَمْسَةٌ مِنْ وَلَدِهِ قَدْ جَعَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ ثُمَّ سَمَّاهُم فَذَكَرَ: ثَبْرٌ والأَعْوَرُ وَمِسْوَطٌ وَدَاسِمٌ وَزَلَنْبور.

- فَأَمَّا ثَبْرٌ فهو صَاحِبُ المصيبَاتِ الَّذِي يَأْمر بالثُّبورِ وشَقِّ الجُيوبِ وَلَطْمِ الخُدُودِ وَدَعْوى الجاهِلِيَّةِ.
- وَأَمَّا الأَعْوَرُ فَهو صَاحِبُ الزِّنَا الَّذي يَأْمُرُ بِهِ وَيُزَيِّنُه.
- وَأَمَّا مِسْوَطُ فَهُوَ صَاحِبُ الكَذِبِ الَّذي يَسْمَعُ فَيَلْقَى الرَّجُلَ فيُخْبِرُه بالخَبَرِ فَيَذْهَبُ الرَّجُلُ إِلَى القَوْمِ فَيَقُولُ لَهُمْ: قَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً أَعْرِفُ وَجْهَهُ وَمَا أَدْرِي مَا اسْمُهُ حَدَّثَنِي بكَذَا وكَذَا.
- وأَمَّا دَاسِمٌ فَهُوَ الَّذِي يَدْخُلُ مَعَ الرَّجُلِ إِلَى أَهْلِهِ يُرِيهِ العَيْبَ فِيهِمْ وَيُغْضِبه عَلَيْهِم.
- وَأَمَّا زَلَنْبُورُ فَهُوَ صَاحِبُ السُّوقِ الَّذِي يَرْكُزُ رَايَتَهُ فِي السُّوقِ). [مكائد الشيطان:]

- **قلت**: (محمد بن طلحة بن مصرف مختلف فيه، وثقه أحمد والعجلي، واختلفت الرواية فيه عن ابن معين،

وضعفه النسائي، وقال أبو داوود وابن حبان: كان يخطئ، وقال ابن سعد: كانت له أحاديث منكرة، وقد أخرج البخاري بعض حديثه في الصحيح.
وكذلك بشر بن الوليد مختلف فيه).

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (حدَّثَنَا القَاسِمُ، قالَ: ثَنا الحُسَينُ، قالَ: ثَني حَجَّاجٌ، عَنِ ابنِ جُرَيجٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ [الكهف: ٥٠] قال: ذُرِّيَّتُهُ: هُمُ الشَّياطِينُ، وكَانَ يَعُدُّهُمْ: زَلَنْبُور صَاحِبُ الأَسْوَاقِ ويضَع رايتَه في كلِّ سُوق ما بينَ السَّماء والأرضِ، وثَبْرٌ صاحِبُ المصَائب، والأعور صَاحبُ الزّنا ومِسوط صَاحبُ الأخبارِ يَأتي بها فيُلقِيها في أفواهِ النَّاسِ، ولا يَجدون لهَا أصلاً، ودَاسِمٌ الذي إذا دَخل الرَّجُلُ بَيْتَهُ ولم يُسَلِّمْ ولَمْ يَذْكُرِ اللهَ بَصَّرَهُ مِنَ المتَاعِ مَا لَمْ يُرْفَعْ، وَإِذَا أَكَلَ وَلَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللهِ أَكَلَ مَعَهُ). [جامع البيان:١٨/٤٣]

- **قلت:** (الحسين هو ابن داوود المصيصي المعروف بسنيد صاحب التفسير مضعف في روايته خصوصاً عن حجاج بن محمد المصيصي).

قالَ أَبُو الشَّيْخِ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ جَعْفَرٍ الأَصْبَهَانِيُّ (ت:٣٦٩هـ): (حَدَّثَنَا الوليدُ قال: حدَّثني الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ ليثٍ حدَّثنا أحمدُ بنُ عَبْدَةَ حدَّثنا سَعيدُ بنُ سالمٍ القدَّاح حدَّثنا ابنُ جُرَيجٍ عن مُجاهدٍ رَحِمَهُ اللهُ تعالى في قَوْلِهِ عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢ﴾ [الكهف: ٥٠] قال: (باضَ إبليسُ خمسَ بَيضَاتٍ: زَلَنبور ودَاسِم وثَبر وَمِسْوَط والأَعْوَر؛ فَأَمَّا الأَعْوَرُ فصاحبُ الزِّنَا، وَأَمَّا ثَبْرٌ فصاحبُ المصائبِ، وأَمَّا مِسْوَطٌ فَصاحِبُ أَخْبارِ الكَذِبِ يُلْقِيهَا عَلَى أَفْواهِ النَّاسِ وَلا يَجِدُونَ لها أَصْلاً، وأَمَّا دَاسِم فهو صَاحِبُ البيوتِ إِذَا دَخَلَ الواحدُ بيتَهُ وَلَمْ يُسَلِّمْ دَخَلَ مَعَهُ، وَإِذَا أكل ولَمْ يُسَمِّ أَكَلَ مَعَهُ، وَيُرِيهِ مِن مَتَاعِ البَيْتِ مَا لا يُحْصِي مَوْضِعَهُ، وأَمَّا زَلَنْبورُ فَصَاحِبُ الأَسْوَاقِ يَضَعُ رَايَتَهُ فِي كُلِّ سُوقٍ بينَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ). [العظمة:٥/]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (ولإبْلِيسَ أَسْمَاءُ: المَارِدُ، والشَّيْطَانُ، والمُوَسْوِسُ، والرَّجِيمُ، [واللَّعِينُ] والغَرُورُ، والمَارِجُ، والأَجْدَعُ، والمُذْهِبُ، والمُهَذِّبُ، والأَزْيَبُ، وهَيَاهٌ، والخَيْتَعُورُ، والشَّيْصَبَانُ، والدُّلمُزُ، وأَوْهَدُ، والدُّلامِزُ، والعِكَبُّ، والكَعَنْكَعُ، والقَازُّ، والسَّفِيهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا ٤﴾ [الجن: ٤]. وَأَسْمَاءُ أَوْلادِهِ: زَلَنْبُور، والأَعْوَرُ، ومِسْوَطٌ، وثَبْرٌ، ودَاسِمٌ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٩- ٢٤٠]

- **قلت:** (أكثر ما ذكره ألقاب وأوصاف، وبعضها أسماء لبعض الجن زعمتها بعض العرب، وأما ما ذكر من أسماء أولاده فمأثور عن مجاهد رحمه الله).

الوسوسة أصل كل معصية وبلاء

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحَليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وَأَيْضًا فَإِنَّهُ ذَكَرَ فِي الآيَةِ ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الناس: ١- ٣] فَإِنْ كَانَ المَقْصُودُ أَنْ يَسْتَعِيذَ النَّاسُ بِرَبِّهِمْ وَمَلِكِهِمْ وَإِلَهِهِمْ مِنْ شَرِّ مَا يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِهِمْ فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي يُطْلَبُ مِنْهُ الخَيْرُ الَّذِي يَنْفَعُهُمْ وَيُطْلَبُ مِنْهُ دَفْعُ الشَّرِّ الَّذِي يَضُرُّهُمْ.

وَالوَسْوَاسُ أَصْلُ كُلِّ شَرٍّ يَضُرُّهُمْ؛ لأَنَّهُ مَبْدَأٌ لِلْكُفْرِ وَالفُسُوقِ وَالعِصْيَانِ وَعُقُوبَاتُ الرَّبِّ إِنَّمَا تَكُونُ عَلَى ذُنُوبِهِمْ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لأَحَدِهِمْ ذَنْبٌ فَكُلُّ مَا يُصِيبُهُ نِعْمَةٌ فِي حَقِّهِ وَإِذَا ابْتُلِي بِمَا يُؤْلِمُهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ دَرَجَتَهُ وَيَأْجُرُهُ إِذَا قُدِّرَ عَدَمُ الذُّنُوبِ مُطْلَقًا لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ بِوَاقِعٍ مِنْهُمْ فَإِنَّ كُلَّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَاطِئِينَ التَّوَّابُونَ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى:

﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٧٢، ٧٣].

فَغَايَةُ المُؤْمِنِينَ الأَنْبِيَاءِ فَمَنْ دُونَهُمْ هِيَ التَّوْبَةُ:

- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧﴾ [البقرة: ٣٧].
- وَقَالَ نُوحٌ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٤٧﴾ [هود: ٤٧].
- وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٢٨﴾ [البقرة: ١٢٨].

وَقَالَ مُوسَى: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ۝١٥٥﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وَدُعَاءُ نَبِيِّنَا بِمِثْلِ ذَلِكَ كَثِيرٌ مَعْرُوفٌ.

فَكَانَ الوَسْوَاسُ مَبْدَأَ كُلِّ شَرٍّ فَإِنْ كَانُوا قَدِ اسْتَعَاذُوا بِرَبِّهِمْ وَمَلِكِهِمْ وَإِلَهِهِمْ مِنْ شَرِّهِ فَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ وَسْوَاسُ الجِنِّ وَالإِنْسِ، وَسَائِرُ شَرِّ الإِنْسِ إِنَّمَا يَقَعُ بِذُنُوبِهِمْ فَهُوَ جَزَاءٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ كَالشَّرِّ الَّذِي يَقَعُ مِنَ الجِنِّ بِغَيْرِ الوَسْوَاسِ، وَكَمَا يَحْصُلُ مِنَ العُقُوبَاتِ السَّمَاوِيَّةِ.

وَهُمْ لَمْ يَسْتَعِيذُوا هُنَا مِنْ شَرِّ المَخْلُوقَاتِ مُطْلَقًا كَمَا اسْتَعَاذُوا فِي سُورَةِ الفَلَقِ بَلْ مِنَ الشَّرِّ الَّذِي يَكُونُ مَبْدَؤُهُ فِي نُفُوسِهِمْ.

وَإِنْ كَانَ ذِكْرُ رَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ يَسْتَعِيذُونَ بِهِ لِيُعِيذَهُمْ وَلِيُعِيذَ مِنْهُمْ وَهَذَا أَعَمُّ المَعْنَيَيْنِ فَذَلِكَ يَحْصُلُ بِإِعَاذَتِهِ مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ المُوَسْوِسِ فِي صُدُورِ النَّاسِ؛ فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي يُوَسْوِسُ بِظُلْمِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَبِإِغْوَاءِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَبِإِعَانَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ.

فَمَا حَصَلَ لإِنْسِيٍّ شَرٌّ مِنْ إِنْسِيٍّ إلا كَانَ مَبْدَؤُهُ مِنَ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ وَإِلا فَمَا يَحْصُلُ مِنْ أَذَى بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الوَسْوَاسِ بَلْ كَانَ مِنَ الوَحْيِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مَلائِكَتَهُ كَانَ عَدْلاً كَإِقَامَةِ الحُدُودِ وَجِهَادِ الكُفَّارِ

وَالاقْتِصَاصِ مِنَ الظَّالِمِينَ ؛ فَهَذِهِ الأُمُورُ فِيهَا ضَرَرٌ وَأَذًى لِلظَّالِمِينَ مِنَ الإِنْسِ لَكِنْ هِيَ بِوَحْيِ اللَّهِ لا مِنَ الوَسْوَاسِ، وَهِيَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ فِي حَقِّ عِبَادِهِ حَتَّى فِي حَقِّ المُعَاقَبِ فَإِنَّهُ إِذَا عُوقِبَ كَانَ ذَلِكَ كَفَّارَةً لَهُ إِنْ كَانَ مُؤْمِنًا وَإِلا كَانَ تَخْفِيفًا لِعَذَابِهِ فِي الآخِرَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَذَابِ مَنْ لَمْ يُعَاقَبْ فِي الدُّنْيَا.

وَلِهَذَا كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحْمَةً فِي حَقِّ العَالَمِينَ بِاعْتِبَارِ مَا حَصَلَ مِنَ الخَيْرِ العَامِّ بِهِ وَمَا حَصَلَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

- وَبِاعْتِبَارِ أَنَّهُ فِي نَفْسِهِ رَحْمَةٌ فَمِنْ قَبِلَهَا وَإِلا كَانَ هُوَ الظَّالِمَ لِنَفْسِهِ.
- وَبِاعْتِبَارِ أَنَّهُ قَمَعَ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ فَنَقَصَ شَرُّهُمْ وَعَجَزُوا عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ بِدُونِهِ، وَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ ؛ فَكَانَ تَعْجِيلُ مَوْتِهِمْ خَيْرًا مِنْ طُولِ عُمْرِهِمْ فِي الكُفْرِ لَهُمْ وَلِلنَّاسِ.

فَكَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ بِكُلِّ اعْتِبَارٍ فَلا يُسْتَعَاذُ مِنْهُ وَمِنْ أَمْثَالِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمُ المُؤْمِنِينَ وَهُمْ مِنَ النَّاسِ وَإِنْ كَانُوا يَفْعَلُونَ بِأَعْدَائِهِمْ مَا هُوَ أَذًى وَعُقُوبَةٌ وَأَلَمٌ لَهُمْ ؛ فَلَمْ تَبْقَ الاسْتِعَاذَةُ مِنَ النَّاسِ إِلا مِمَّا يَأْتِي بِهِ الوَسْوَاسُ إِلَيْهِمْ ؛ فَيُسْتَعَاذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ لِلْمُسْتَعِيذِ وَمِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ لِسَائِرِ النَّاسِ حَتَّى لا يَحْصُلَ مِنْهُمْ شَرٌّ لِلْمُسْتَعِيذِ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ شَرٌّ إِلا مِنَ الوَسْوَاسِ كَانَتِ الاسْتِعَاذَةُ مِنْ شَرِّ الَّذِي يُوَسْوِسُ لَهُمْ تَحْصِيلاً لِلْمَقْصُودِ، وَكَانَ حَسْمًا لِلْمَادَّةِ وَأَقْرَبَ إِلَى العَدْلِ، وَكَانَ مَخْرَجًا لِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَأَوْلِيَائِهِ أَنْ يُسْتَعَاذَ مِنْ شَرِّهِمْ وَأَنْ يُقْرَنُوا بِالوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ وَيَكُونُ ذَلِكَ تَفْضِيلاً لِلْجِنِّ عَلَى الإِنْسِ وَهَذَا لا يَقُولُهُ عَاقِلٌ.

فَإِنْ قِيلَ: فَإِنْ كَانَ أَصْلُ الشَّرِّ كُلِّهِ مِنَ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ فَلا حَاجَةَ إِلَى ذِكْرِ الاسْتِعَاذَةِ مِنْ وَسْوَاسِ النَّاسِ فَإِنَّهُ تَابِعٌ لِوَسْوَاسِ الجِنِّ.

قِيلَ: بَلِ الوَسْوَسَةُ نَوْعَانِ: نَوْعٌ مِنَ الجِنِّ وَنَوْعٌ مِنْ نُفُوسِ الإِنْسِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦] فَالشَّرُّ مِنَ الجِهَتَيْنِ جَمِيعًا، وَالإِنْسُ لَهُمْ شَيَاطِينُ كَمَا لِلْجِنِّ شَيَاطِينُ). [مجموع الفتاوى:١٧/٥١٤- ٥١٧ (م)]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (فَصْلٌ: وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ فَضْلُ هَذِهِ الاسْتِعَاذَةِ وَالَّتِي قَبْلَهَا كَمَا جَاءَتْ بِذَلِكَ الأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَعِذِ المُسْتَعِيذُونَ بِمِثْلِهِمَا ؛ فَإِنَّ الوَسْوَاسَ أَصْلُ كُلِّ كُفْرٍ وَفُسُوقٍ وَعِصْيَانٍ فَهُوَ أَصْلُ الشَّرِّ كُلِّهِ ؛ فَمَتَى وُقِيَ الإِنْسَانُ شَرَّهُ وُقِيَ عَذَابَ جَهَنَّمَ وَعَذَابَ القَبْرِ وَفِتْنَةَ المَحْيَا وَالمَمَاتِ وَفِتْنَةَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ هَذِهِ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِطَرِيقِ الوَسْوَاسِ وَوُقِيَ عَذَابَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُعَذَّبُ عَلَى الذُّنُوبِ، وَأَصْلُهَا مِنَ الوَسْوَاسِ.

ثُمَّ إِنْ دَخَلَ فِي الآيَةِ وَسْوَاسُ غَيْرِهِ بِحَيْثُ يَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ [الناس: ٤] اسْتِعَاذَةً مِنَ الوَسْوَاسِ الَّذِي يَعْرِضُ لَهُ وَالَّذِي يَعْرِضُ لِلنَّاسِ بِسَبَبِهِ فَقَدْ وُقِيَ ظُلْمَهُمْ وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا يُرِيدُ وَسْوَاسَهُ ؛ فَهُمْ إِنَّمَا يُسَلَّطُونَ

عَلَيْهِ بِذُنُوبِهِ وَهِيَ مِنْ وَسْوَاسِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وَقَالَ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

وَقَالَ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]). [مجموع الفتاوى:١٧/٥١٨] (م)

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (فأصْلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وبلاءٍ إنما هو الوَسوسةُ، فلهذا وَصفَه بها لتكونَ الاستعاذةُ من شرِّها، أهمَّ من كلِّ مُستعاذٍ منه، وإلا فشَرُّه بغيرِ الوَسوسةِ حاصلٌ أيضًا). [بدائع الفوائد: ٢/٢٥٨]

ذكر أمثلة لشرور الشيطان

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (و إلا فشَرُّه بغيرِ الوَسوسةِ حاصلٌ أيضًا؛ فمِنْ شَرِّه أنه لِصٌّ سارقٌ لأموالِ الناسِ فكُلُّ طعامٍ أو شَرابٍ لم يُذْكَرِ اسمُ اللهِ عليه فله فيه حَظٌّ بالسَّرِقَةِ والخَطْفِ، وكذلك يَبيتُ في البيتِ إذا لم يُذْكَرْ فيه اسمُ اللهِ، فيَأْكُلُ طعامَ الإنسِ بغيرِ إذنِهم، ويَبيتُ في بُيوتِهم بغيرِ أَمْرِهم، فيَدخُلُ سارقًا ويَخرُجُ مُغيرًا ويَدُلُّ على عَورتِهم، فيَأْمُرُ العبدَ بالمَعصيَةِ، ثم يُلْقِي في قلوبِ الناسِ يَقظةً ومَنامًا أنه فَعَلَ كذا وكذا.

ومن هذا: أنَّ العبْدَ يَفْعَلُ الذنبَ لا يَطَّلِعُ عليه أحدٌ من الناسِ فيُصْبحُ والناسُ يَتحَدَّثُون به. وما ذاك إلا أنَّ الشيطانَ زَيَّنَه له وألْقاهُ في قَلْبه، ثم وَسْوَسَ إلى الناسِ بما فَعَلَ، وألْقاهُ إليهم، فأَوْقَعَه في الذنْبِ، ثم فَضَحَه به، فالربُّ تعالى يَسْتُرُه، والشيطانُ يَجْهَدُ في كَشْفِ سِتْرِه وفضيحتِه، فيَغْتَرُّ العبْدُ ويقولُ: هذا ذنْبٌ لم يَرَهُ إلا اللهُ، ولم يَشْعُرْ بأنَّ عَدُوَّه ساعٍ في إذاعتِه وفَضيحتِه، وقَلَّ مَن يَتفَطَّنُ من الناسِ لهذه الدقيقةِ.

ومن شَرِّه أنه إذا نامَ العبْدُ عَقَدَ على رأسِه عُقَدًا تَمْنَعُه من اليَقَظَةِ.

كما في صحيحِ البخاريِّ، عن سعيدِ بنِ المسيِّبِ، عن أبي هُريرةَ، أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ: ثَلاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ مَكَانَها: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّها، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ».

ومِن شَرِّه: أنه يَبُولُ في أُذُنِ العبْدِ حتى يَنامَ إلى الصباحِ، كما ثَبَتَ عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه ذُكِرَ عندَه رجلٌ نامَ ليلَه حتى أَصْبَحَ، قالَ: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ» أوْ قَالَ: «فِي أُذُنِهِ». رواه البخاريُّ.

ومن شَرِّه: أنَّه قَعَدَ لابنِ آدَمَ بطُرُقِ الخيرِ كلِّها، فما من طرُقِ الخيرِ من طريقٍ إلا والشيطانُ مُرْصِدٌ عليه يَمنَعُه بجَهْدِه أن يَسلُكَه، فإن خالَفَه وسَلَكَه ثَبَّطَه فيه وعَوَّقَه وشَوَّشَ عليه بالمُعارِضاتِ والقواطِعِ، فإنْ عَمِلَه وفَرَغَ منه قَيَّضَ له ما يُبْطِلُ أَثَرَه ويَرُدُّه على حافِرَتِه.

ويَكْفِي من شرِّه أنه أَقْسَمَ باللهِ لَيَقْعُدَنَّ لبَنِي آدَمَ صِراطَه المُستقيمَ، وأَقْسَمَ ليَأْتِيَنَّهُم من بينِ أَيديهم ومن خَلْفِهم وعن أيمانِهم وعن شَمَائِلِهم، ولقد بَلَغَ شرُّه أن أَعْمَلَ المَكيدةَ وبالَغَ في الحِيلةِ حتى أَخْرَجَ آدَمَ من الجَنَّةِ.

ثم لم يَكْفِه ذلك حتى استَقْطَعَ من أولادِه شُرْطَةً للنارِ، من كلِّ أَلْفٍ تِسْعَمائةٍ وتسعةً وتِسعينَ.

ثم لم يَكْفِه ذلك حتى أَعْمَلَ الحِيلةَ في إبطالِ دَعوةِ اللهِ من الأرضِ، وقَصَدَ أن تكونَ الدعوةُ له وأن يُعْبَدَ من دونِ اللهِ فهو ساعٍ بأَقْصَى جَهْدِه على إطفاءِ نُورِ اللهِ وإبطالِ دَعوتِه، وإقامةِ دعوةِ الكفْرِ والشرْكِ، ومَحْوِ التوحيدِ وأَعلامِه من الأرضِ.

ويَكفي من شرِّه أنه تَصَدَّى لإبراهيمَ خليلِ الرحمنِ حتى رَمَاهُ قَوْمُه بالمَنْجَنيقِ في النارِ، فرَدَّ اللهُ كَيْدَه عليه، وجَعَلَ النارَ على خَليلِه بَرْدًا وسَلامًا.

وتَصدَّى للمسيحِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أَرادَ اليهودُ قَتْلَه وصَلْبَه، فرَدَّ اللهُ كَيْدَه، وصانَ المسيحَ ورَفَعَه إليه، وتَصَدَّى لزَكَرِيَّا ويَحْيَى حتى قُتِلا.

واسْتَثَارَ فِرعونَ حتى زَيَّنَ له الفَسادَ العظيمَ في الأرضِ ودَعْوَى أنه رَبُّهُم الأعلى.

وتَصدَّى للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وظَاهَرَ الكُفَّارَ على قَتْلِه بجَهْدِه، واللهُ تعالى يَكْبِتُه ويَرُدُّه خاسئًا.

وتَفَلَّتَ على النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشِهابٍ من نارٍ يُريدُ أن يَرْمِيَه به وهو في الصلاةِ، فجعَلَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقولُ: «أَلْعَنُكَ بلَعْنَةِ اللهِ».

وأعانَ اليهودَ على سِحْرِهم للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإذا كان هذا شأنَه وهِمَّتَه في الشرِّ فكيفَ الخَلاصُ منه إلا بمَعونةِ اللهِ وتأييدِه وإعاذتِه.

ولا يُمْكِنُ حَصْرُ أَجناسِ شَرِّه فَضْلاً عن آحادِها، إذ كلُّ شرٍّ في العالَمِ فهو السببُ فيه). [بدائع الفوائد: ٢/٢٥٨- ٢٦٠]

أمثلة لوسوسة الشيطان للإنسان

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (ومن وَسْوَستِه ما ثَبَتَ في الصحيحِ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ»). [بدائع الفوائد: ٢/]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (وفي الصحيحِ، أنَّ أصحابَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالُوا: يا رسولَ اللهِ إنَّ أَحدَنا ليَجِدُ في نفسِه ما لأَنْ يَخِرَّ من السماءِ إلى الأرْضِ أحَبُّ إليه من أن يَتكلَّمَ به فقالَ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الوَسْوَسَةِ»). [بدائع الفوائد: ٢/٢٥٧]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (ومِن وَسْوَستِه أيضًا أن يَشْغَلَ القلْبَ بحديثِه حتى يُنْسِيَه ما يُريدُ أن يَفعلَه، ولهذا يُضافُ النِّسيانُ إليه إضافتَه إلى سببه، قالَ تعالى حِكايةً عن صاحبِ موسى أنه قالَ: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: ٦٣]). [بدائع الفوائد: ٢/٢٥٧]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (وقالَ الإمامُ أحمدُ: حدَّثَنا وَكِيعٌ، عن سُفْيانَ، عن مَنْصُورٍ، عن ذَرِّ بنِ عَبْدِ اللَّهِ الهَمْدَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ شَدَّادٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قالَ: جاءَ رَجُلٌ إلى النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ، فقالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ، إنِّي أُحدِّثُ نفسي بالشيءِ لأَنْ أَخِرَّ مِن السماءِ أَحَبُّ إليَّ مِن أَنْ أَتَكَلَّمَ بهِ.

قالَ: فقالَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وسلَّمَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، الحَمْدُ للَّهِ الذي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الوَسْوَسَةِ».

ورواهُ أبو دَاوُدَ والنَّسائِيُّ مِن حديثِ مَنْصُورٍ، زادَ النَّسائِيُّ: والأعمشِ، كلاهما عن ذَرٍّ، بهِ). [تفسير القرآن العظيم: ٣٩١٣/٨]

مراتب إغواء الشيطان للإنسان

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [الناس: ٥] وَسوسةُ الشيطانِ في صَدْرِ الإنسانِ بأنواعٍ كثيرةٍ منها إفسادُ الإيمانِ والتشكيكُ في العقائدِ، فإن لم يَقْدِرْ على ذلك أَمَرَه بالمعاصي، فإن لم يَقْدِرْ على ذلك ثَبَّطَهُ عن الطاعاتِ، فإن لم يَقْدِرْ على ذلك أَدْخَلَ عليه الرياءَ في الطاعاتِ لِيُحْبِطَها، فإن سَلِمَ من ذلك أَدْخَلَ عليه العُجْبَ بنفسِه واستكثارَ عمَلِه، ومن ذلك أنه يُوقِدُ في القَلْبِ نارَ الحَسَدِ والحقْدِ والغَضَبِ حتى يَقودَ الإنسانَ إلى شَرِّ الأعمالِ وأَقْبَحِ الأحوالِ). [التسهيل: ٢٢٧]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (ولا يُمْكِنُ حَصْرُ أَجناسِ شَرِّه فَضْلاً عن آحَادِها، إذ كلُّ شرٍّ في العالَمِ فهو السببُ فيه، ولكن يَنْحَصِرُ شرُّه في سِتَّةِ أجناسٍ، لا يَزالُ بابنِ آدمَ حتى يَنالَ منه واحدًا منها أو أَكْثَرَ.

الشرُّ الأَوَّلُ: شرُّ الكفْرِ والشرْكِ ومُعاداةِ اللهِ ورسولِه، فإذا ظَفِرَ بذلك من ابنِ آدمَ بَرَدَ أنينُه واستراحَ من تَعَبه معه، وهو أوَّلُ ما يُريدُ من العَبْدِ، فلا يَزالُ به حتى يَنالَه منه، فإذا نالَ ذلك صَيَّرَه من جُنْدِه وعَسْكَرِه واستنابَه على أمثالِه وأَشكالِه فَصارَ من دُعاةِ إبليسَ ونُوَّابه، فإنْ يَئِسَ منه من ذلك وكان مِمَّنْ سَبَقَ له الإسلامُ في بَطْنِ أمِّه نَقَلَه إلى:

المَرتَبَةِ الثانيةِ: من الشرِّ وهي البدعةُ، وهي أَحَبُّ إليه من الفُسوقِ والمعاصي؛ لأن ضَرَرَها في نفسِ الدِّينِ وهو ضَرَرٌ مُتَعَدٍّ، وهي ذَنْبٌ لا يُتابُ منه، وهي مُخالِفَةٌ لدعوةِ الرسُلِ، ودُعاءٌ إلى خِلافِ ما جاءوا به، وهي بابُ الكفْرِ والشرْكِ، فإذا نالَ منه البدعةَ وجعَلَه من أهلِها بَقِيَ أيضًا نائبَه وداعيًا من دُعاتِه، فإن أَعْجَزَه من هذه المَرتبةِ، وكان العبْدُ مِمَّنْ سبقَتْ له من اللهِ مَوهبةُ السنَّةِ ومُعادَاةُ أهْلِ البدَعِ والضلالِ نَقَلَه إلى:

المَرتبةِ الثالثةِ: من الشرِّ وهي الكبائرُ على اختلافِ أنواعِها، فهو أَشَدُّ حِرْصًا على أن يُوقِعَه فيها، ولا سِيَّمَا إن كان عالِمًا مَتبوعًا فهو حريصٌ على ذلك لِيُنَفِّرَ الناسَ عنه، ثم يُشيعَ من ذنوبه ومعاصِيه في الناسِ، ويَستنيبَ منهم مَن يُشيعُها ويُذيعُها تَدَيُّنًا وتَقَرُّبًا بزَعْمِه إلى اللهِ تعالى، وهو نائبُ إبليسَ ولا يَشْعُرُ، و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ١٩] هذا إذا أَحَبُّوا إشاعتَها وإذاعتَها، فكيف إذا تَوَلَّوْا هم

إشاعتَها وإذاعتَها لا نَصيحةً منهم، ولكن طاعةً لإبليسَ ونِيابةً عنه، كلُّ ذلك ليُنَفِّرَ الناسَ عنه، وعن الانتفاعِ به.

وذُنوبُ هذا ولو بَلَغَتْ عَنانَ السماءِ أَهْوَنُ عندَ اللهِ من ذُنوبِ هؤلاءِ، فإنها ظُلْمٌ منه لنَفْسِه، إذا اسْتَغْفَرَ اللهَ وتابَ إليه قَبِلَ اللهُ تَوْبَتَه وبَدَّلَ سَيِّئَاتِه حَسناتٍ.

وأمَّا ذنوبُ أولئكَ فظُلْمٌ للمؤمنينَ، وتَتَبُّعٌ لعَورَتِهم وقَصْدٌ لفَضِيحَتِهم، واللهُ سبحانَه بالمِرْصَادِ لا تَخْفَى عليه كَمَائِنُ الصدورِ ودَسائسُ النفوسِ، فإن عَجَزَ الشيطانُ عن هذه المَرتَبَةِ نَقَلَه إلى:

المَرْتَبَةِ الرابعةِ: وهي الصغائرُ التي إذا اجْتَمَعَتْ فرُبَّما أَهْلَكَتْ صاحبَها، كما قالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقِّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ قَوْمٍ نَزَلُوا بفَلاةٍ مِنَ الأَرْضِ» وذَكَرَ حديثًا معناه: أنَّ كلَّ واحدٍ منهم جاءَ بعُودِ حَطَبٍ حتى أَوْقَدُوا نارًا عظيمةً، فطَبَخُوا واشْتَوَوْا، ولا يَزالُ يَسْهُلُ عليه أمْرُ الصغائرِ حتى يَستهينَ بها، فيكونُ صاحِبُ الكبيرةِ الخائفُ منها أحْسَنَ حالاً منه، فإنْ أَعْجَزَه العَبْدُ من هذه المَرتَبَةِ نَقَلَه إلى:

المَرْتَبَةِ الخامِسَةِ: وهي إشغالُه بالمُباحاتِ التي لا ثَوابَ فيها ولا عِقابَ، بل عاقِبَتُها فَوْتُ الثوابِ الذي ضَاعَ عليه باشتغالِه بها، فإنْ أَعْجَزَه العبْدُ من هذه المَرْتَبَةِ وكان حافظًا لوَقْتِه شَحيحًا به يَعْلَمُ مِقدارَ أَنفاسِه وانقطاعَها وما يُقابلُها من النعيمِ والعَذابِ نَقَلَه إلى:

المَرْتَبَةِ السادسةِ: وهو أن يَشغلَه بالعَمَلِ المفضولِ عمَّا هو أَفضَلُ منه ليُزيحَ عنه الفَضيلةَ ويفوتَه ثوابُ العملِ الفاضلِ، فيَأْمُرُه بفِعْلِ الخيرِ المفضولِ ويَحُضُّه عليه، ويُحَسِّنُه له إذا تَضَمَّنَ تَرْكَ ما هو أَفْضَلُ وأعلى منه، وقَلَّ مَن يَتَنَبَّهُ لهذا من الناسِ، فإنه إذا رأى فيه دَاعِيًا قَوِيًّا ومُحَرِّكًا إلى نوعٍ من الطاعةِ لا يَشُكُّ أنه طاعةٌ وقُربةٌ، فإنه لا يَكادُ يقولُ: إن هذا الداعيَ من الشيطانِ، فإنَّ الشيطانَ لا يَأْمُرُ بخيرٍ ويَرَى أنَّ هذا خيرٌ، فيقولُ: هذا الداعي من اللهِ. وهو مَعذورٌ ولم يَصِلْ عِلْمُه إلى أنَّ الشيطانَ يَأْمُرُ بسبعينَ بابًا من أبوابِ الخيرِ، إمَّا ليَتَوَصَّلَ بها إلى بابٍ واحدٍ من الشرِّ، وإما ليُفَوِّتَ بها خيرًا أعظَمَ من تلك السبعينَ بابًا وأَجَلَّ وأَفْضَلَ.

وهذا لا يُتَوَصَّلُ إلى مَعرفتِه إلا بنورٍ من اللهِ يَقْذِفُه في قلْبِ العبْدِ يكونُ سببُه تجريدُ مُتابعةِ الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشِدَّةُ عِنايتِه بمَراتِبِ الأعمالِ عندَ اللهِ وأَحَبِّها إليه، وأَرْضَاها له، وأَنْفَعُها وأَعَمُّها للعَبْدِ نصيحةً للهِ ورسولِه ولكتابه ولعِبادِه المؤمنين خاصَّتِهم وعامَّتِهم.

ولا يَعْرِفُ هذا إلا مَن كان من وَرَثَةِ الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونُوَّابه في الأُمَّةِ وخُلفائِه في الأرْضِ، وأكثَرُ الخلْقِ مَحجوبون عن ذلك، فلا يَخْطِرُ بقلوبِهم، واللهُ يَمُنُّ بفَضْلِه على مَن يَشاءُ من عِبادِه.

فإذا أَعْجَزَه العبْدُ من هذه المَراتِبِ الستِّ وأُعْيِيَ عليه سَلَّطَ عليه حِزْبَه من الإنْسِ والجِنِّ بأنواعِ الأَذَى والتكفيرِ والتضليلِ والتبديعِ والتحذيرِ منه وقَصْدِ إخمالِه وإطفائِه ليُشَوِّشَ عليه قلبَه، ويَشْغَلَ بحربِهِ فِكْرَه ولِيَمْنَعَ الناسَ من الانتفاعِ به، فيُبْقِي سَعْيَه في تَسليطِ المُبطِلِينَ من شياطينِ الإنْسِ والجِنِّ عليه لا يَفْتُرُ ولا يَنِي، فحينئذٍ يَلْبَسُ المؤمنُ لأْمَةَ الحرْبِ ولا يَضَعُها عنه إلا الموتُ، ومتى وَضَعَها أُسِرَ أو أُصيبَ فلا يَزالُ في جِهادٍ حتى يَلْقَى اللهَ.

فتَأَمَّلْ هذا الفَصْلَ وتَدَبَّرْ مَوْقِعَه وعظيمَ مَنْفَعَتِه، واجْعَلْه مِيزانَك تَزِنُ به الناسَ وتَزِنُ به الأعمالَ فإنه طِلْعُكَ على حَقَائِقِ الوُجودِ ومَراتِبِ الخلْقِ، واللهُ المُستعانُ وعليه التُّكلانُ، ولو لم يكنْ في هذا التعليقِ إلا هذا الفَصْلُ لكان نافعًا لِمَن تَدَبَّرَه ووَعَاهُ). [بدائع الفوائد: ٢/٢٦٠- ٢٦٢]

ذكر بعض حيل الشيطان

في تفسير سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيِّ (ت: ٢٨٣هـ): (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: ٤] قِيلَ لِسَهْلٍ: مَا الوَسْوَسَةُ؟ فقَالَ: كُلُّ شَيْءٍ دُونَ اللهِ تعَالَى فهُوَ وَسْوَسَةٌ، وإِنَّ القَلْبَ إِذَا كَانَ معَ اللهِ تَعَالَى فهُوَ قَائِلٌ عَنِ اللهِ تَعَالَى، وإِذَا كَانَ مَعَ غَيْرِهِ فهُوَ قَائِلٌ معَ غَيْرِهِ.

ثُمَّ قالَ: مَنْ أَرَادَ الدُّنْيا لَمْ يَنْجُ مِنَ الوَسْوَسَةِ، ومَقَامُ الوَسْوَسَةِ مِنَ العَبْدِ مَقَامُ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ بالسُّوءِ، وهو ذِكْرُ الطَّبْعِ، فوَسْوَسَةُ العَدُوِّ فِي الصُّدُورِ، كمَا قَالَ: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس: ٥، ٦] يَعْنِي فِي صُدُورِ الجِنِّ وَالإِنْسِ جَمِيعًا، ووَسْوَسَةُ النَّفْسِ فِي القَلْبِ. قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦﴾ [ق: ١٦] وإِنَّ مَعْرِفَةَ النَّفْسِ أَخْفَى مِنْ مَعْرِفَةِ العَدُوِّ، ومَعْرِفَةَ العَدُوِّ أَجْلَى مِنْ مَعْرِفَةِ الدُّنْيا، وأَسْرُ العَدُوِّ مَعْرِفَتُهُ، فإِذَا عَرَفْتَهُ فقَدْ أَسَرْتَهُ، وإِنْ لَمْ تَعْرِفْ أَنَّهُ العَدُوُّ وأَسَرَكَ فإِنَّمَا مَثَلُ العَبْدِ وَالعَدُوِّ وَالدُّنْيا كَمَثَلِ الصَّيَّادِ وَالطَّيْرِ والحُبُوبِ، فَالصَّيَّادُ إِبْلِيسُ، وَالطَّيْرُ العَبْدُ، وَالحُبُوبُ الدُّنْيا، ومَا مِنْ نَظْرَةٍ إِلا وَلِلشَّيْطَانِ فِيهَا مَطْمَعٌ، فإِنْ كُنْتَ صَائِمًا فأَرَدْتَ أَنْ تُفْطِرَ قَالَ لَكَ: مَا يَقُولُ النَّاسُ؟ أَنْتَ قَدْ عُرِفْتَ بالصَّوْمِ، تَرَكْتَ الصِّيَامَ؟!

فإِنْ قُلْتَ: مَا لِي وَلِلنَّاسِ؟ قالَ لك: صَدَقْتَ، أَفْطِرْ؛ فإِنَّهُمْ سَيَضَعُونَ أَمْرَكَ عَلَى الحِسْبَةِ وَالإِخْلاصِ فِي فِطْرِكَ، وإِنْ كُنْتَ عُرِفْتَ بالعُزْلَةِ فخَرَجْتَ قَالَ: مَا يَقُولُ النَّاسُ؟ تَرَكْتَ العُزْلَةَ؟!

فإِنْ قُلْتَ: مَا لِي وَلِلنَّاسِ؟ قالَ: صَدَقْتَ، اخْرُجْ؛ فإِنَّهُمْ سَيَضَعُونَ أَمْرَكَ عَلَى الإِخْلاصِ وَالحِسْبَةِ.

وكَذَلِكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِكَ، يَرُدُّكَ إِلَى النَّاسِ حَتَّى كَأَنَّهُ لَيَأْمُرُكَ بالتَّوَاضُعِ لِلشُّهْرَةِ عِنْدَ النَّاسِ. ولَقَدْ حُكِيَ أَنَّ رَجُلاً مِنَ العُبَّادِ كَانَ لا يَغْضَبُ، فأَتَاهُ الشَّيْطَانُ وقَالَ: إِنَّكَ إِنْ تَغْضَبْ وتَصْبِرْ كَانَ أَعْظَمَ لأَجْرِكَ؛ ففَطِنَ بِهِ العَابِدُ فقَالَ: وكَيْفَ يَجِيءُ الغَضَبُ؟ قالَ: آتِيكَ بشَيْءٍ فأَقُولُ: لِمَنْ هُوَ؟ فَقُلْ: هُوَ لِي، فأَقُولُ: بَلْ هُوَ لِي. فأَتَاهُ بشَيْءٍ وقَالَ العَابِدُ: هُوَ لِي، فقَالَ الشَّيْطَانُ: لا، بَلْ هُوَ لِي. فقَالَ العَابِدُ: إِنْ كَانَ لَكَ فَاذْهَبْ بِهِ. ولَمْ يَغْضَبْ، فرَجَعَ الشَّيْطَانُ خَائِبًا حَزِينًا، أَرَادَ أَنْ يَشْغَلَ قَلْبَهُ حَتَّى يُصِيبَ مِنْهُ حَاجَتَهُ، فَعَرَفَهُ وَاتَّقَى غُرُورَهُ.

ثُمَّ قالَ سَهْلٌ: عَلَيْكَ بالإِخْلاصِ تَسْلَمْ مِنَ الوَسْوَسَةِ، وإِيَّاكَ وَالتَّدْبِيرَ؛ فإِنَّهُ دَاءُ النَّفْسِ، وعَلَيْكَ بالاقْتِدَاءِ؛ فإِنَّهُ أَسَاسُ العَمَلِ، وإِيَّاكَ وَالعُجْبَ؛ فإِنَّ أَدْنَى بَابٍ مِنْهُ لَمْ تَسْتَتِمَّهُ حَتَّى تَدْخُلَ النَّارَ، وعَلَيْكَ بالقُنُوعِ وَالرِّضَا؛ فإِنَّ العَيْشَ فِيهِمَا، وَإِيَّاكَ وَالائْتِمَارَ عَلَى غَيْرِكَ؛ فإِنَّهُ لَيُنْسِيكَ نَفْسَكَ، وعَلَيْكَ بالصَّمْتِ؛ فأَنْتَ تَعْرِفُ الأَحْوَالَ فِيهِ، وعَلَيْكَ بتَرْكِ الشَّهَوَاتِ تَنْقَطِعُ بِهِ عَنِ الدُّنْيا، وعَلَيْكَ بسَهَرِ اللَّيْلِ تَمُوتُ نَفْسُكَ مِنْ مَيْلَةِ طَبْعِكَ وتُحْيِي

قَلْبَكَ، وإِذَا صَلَّيْتَ فَاجْعَلْهَا وَدَاعًا، وخَفِ اللهَ يُؤَمِّنْكَ، وَارْجُهُ يُؤَمِّلْكَ، وَاتَّكِلْ عَلَيْهِ يَكْفِكَ، وعَلَيْكَ بالخَلْوَةِ تَنْقَطِعُ الآفَاتُ عَنْكَ. ولَقَدْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- : لَوْلا مَخَافَةُ الوَسْوَاسِ لَرَحَلْتُ إِلَى بلادٍ لا أَنِيسَ بهَا، وهَلْ يُفْسِدُ النَّاسَ إِلا النَّاسُ). [تفسير التستري: ٢١١]

صفة وسوسة الشيطان للإنسان

حديث أم المؤمنين صفية بنت حيي

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إسْمَاعِيلَ البُخَارِيُّ (ت: ٢٥٦هـ): (حَدَّثَنِي مَحْمُودُ بْنُ غَيْلانَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلاً؛ فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ؛ فَانْقَلَبْتُ فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَمَرَّ رَجُلانِ مِنَ الأَنْصَارِ فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَعَا؛ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ »

فَقَالا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ!

قَالَ: « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا» أَوْ قَالَ: «شَيْئًا»). [صحيح البخاري:كتاب بدء الخلق/باب صفة إبليس وجنوده]

- **قلت**: (هذا الحديث رواه عبد الرزاق وإسحاق بن راهويه وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داوود وابن ماجة والنسائي وغيرهم من طرق عن الزهري عن علي بن الحسين عن صفية بنت حيي رضي الله عنهم.

ورواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد ومسلم في صحيحه وأبو داوود وأبو يعلى والطحاوي والبيهقي في شعب الإيمان وغيرهم من طرق عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك بنحوه مختصراً).

قالَ هُودُ بْنُ مُحَكَّمٍ الهواريُّ (ت: ق٣): (قالَ تعالَى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [الناس: ٥] ذَكَرُوا أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ ومَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَائِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا فُلانُ، هَذِه فُلانَةُ»، فقالَ الرجلُ: يا رَسُولَ اللهِ، أَفَأَظُنُّ بكَ هذا؟ أو كما قالَ. فقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ»). [تفسير كتاب الله العزيز: ٥٤٥/٤]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وفي الصَّحِيحِ عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ». وهذا يُصَحِّحُ ما قالَه مُقاتِلٌ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٣/٢٠]

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (وفي الصحيحينِ من حديثِ الزُّهْرِيِّ، عن عليِّ بنِ حُسينٍ، عن صَفِيَّةَ بنتِ حُيَيٍّ قالَتْ: كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَكِفًا فأَتَيْتُه أَزُورُه ليلاً، فحَدَّثْتُه، ثم قُمْتُ فانْقَلَبْتُ، فقام معي ليَقْلِبَنِي، وكان مَسْكَنُها في دارِ أُسامةَ بنِ زيدٍ، فمَرَّ رجلان من الأنصارِ، فلَمَّا رَأَيَا النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَعَا، فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ

حُيَيٍّ» فقالا: سُبحانَ اللهِ ! يا رسولَ اللهِ ! فقالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلوبكُمَا سُوءًا» أو قالَ: «شَيْئًا»). [بدائع الفوائد: ٢/٢٥٧]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤هـ): (وثَبَتَ في الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسٍ في قِصَّةِ زِيَارَةِ صَفِيَّةَ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ وهو مُعْتَكِفٌ، وخُروجِه مَعَها ليلاً لِيَرُدَّها إلى مَنْزِلِها، فلَقِيَهُ رَجُلانِ مِن الأَنْصَارِ، فلَمَّا رَأَيا النَّبِيَّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ أَسْرَعا، فقالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ: «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ». فقالا: سُبْحَانَ اللَّهِ يا رَسُولَ اللَّهِ! فقالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، وإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئاً، أَوْ قَالَ: شَرًّا»). [تفسير القرآن العظيم: ٨/٣٩١١]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (وقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ). [اللباب: ٢٠/٥٧٨]

■ حديث أبي هريرة: (إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط...)

قالَ ابْنُ القَيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (وفي الصحيح أيضًا، عن أبي سَلَمَةَ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن أبي هريرة قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا نُودِيَ بالصَّلاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، فَإِذَا قُضِيَ أَقْبَلَ فَإِذَا ثُوِّبَ بها أَدْبَرَ، فَإِذَا قُضِيَ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الإِنْسَانِ وَقَلْبِهِ فَيَقُولَ: اذْكُرْ كَذَا اذْكُرْ كَذَا، حَتَّى لا يَدْرِيَ أَثلاثًا صَلَّى أَمْ أَرْبَعًا؟ فَإِذَا لَمْ يَدْرِ أَثلاثًا صَلَّى أَمْ أَرْبَعًا سَجَدَ سَجْدَتَيِ السَّهْوِ»). [بدائع الفوائد: ٢/٢٥٧]

■ حديث آخر عن أبي هريرة: (إن أحدكم إذا كان في المسجد جاءه الشيطان فأبسَّ به...)

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا أَبو بَكْرٍ الحَنَفِيُّ حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ بْنُ عُثْمَانَ عَنْ سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ فِي المَسْجِدِ جَاءَهُ الشَّيْطَانُ فَأَبَسَّ بِهِ كَمَا يُبِسُّ الرَّجُلُ بدابَّتِهِ فَإِذَا سَكَنَ لَهُ زَنَقَهُ أَوْ أَلْجَمَهُ ».

قَالَ أَبو هُرَيْرَةَ: فَأَنْتُمْ تَرَوْنَ ذَلِكَ أَمَّا المَزْنُوقُ فَتَرَاهُ مَائِلاً كَذَا لا يَذْكُرُ اللَّهَ، وَأَمَّا المَلْجُومُ فَفَاتِحٌ فَاهُ لا يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ). [مسند الإمام أحمد: ١٤/١٠٥]

- **قلت:** (الإبساسُ من الأضداد يطلق على دعاء الدابة بلطف وهو المراد هنا فيقال لها: بس بس حتى تسكن وتنقاد، والناقة البسوس التي لا تدر إلا بالإبساس قال ابن دريد: (بسَّ بالناقة وأبَسَّ بها إذا دعاها للحلب).

قلت: إنما ذكر الحلب من باب التمثيل.

ويطلق الإبساس على زجر الدابة لتسير، ومنه حديث: « يخرج قوم من المدينة إلى العراق واليمن والشام يبسون والمدينة خير لهم لو يعلمون ».

قال أبو عبيد: (قوله: «يُبسُّونَ» هو أن يُقالَ في زَجْرِ الدَّابَّةِ إذا سِيقَتْ حِماراً أو غَيْرَه بَسْ بَسْ وبسْ بسْ بفتح الباء وكَسرِها وأكثر ما يُقال بالفتح وهو من كلام أَهل اليَمَن وفيه لغتانِ بَسَسْتُه وأَبْسَسْتُه).

قلت: لا يختص ذلك بأهل اليمن، وقال الأصمعي: لم أسمع الإبساس إلا في الإبل.

قوله: (زنقه): الزِّنَاق حَبْلٌ يُدَارُ من تحت حنك الدابة بإحكام فتقاد به.

وقوله: (ألجمه) أي جعل الحبل في فيه كما يوضع اللجام في فم الفرس.

قال النابغة:

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وخيل تعلك اللجما).

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤هـ): (وقالَ الإمامُ أحمدُ: حدَّثنَا أبو بكرٍ الحَنَفِيُّ، حدَّثنَا الضَّحَّاكُ بنُ عُثْمَانَ، عن سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عن أبي هُرَيْرَةَ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ فِي المَسْجِدِ جَاءَه الشَّيْطَانُ فَأَبَسَّ بِهِ كَمَا يُبِسُّ الرَّجُلُ بدابَّتِه، فإِذَا سكَنَ لَهُ زَنَقَهُ أَوْ أَلْجَمَهُ».

قالَ أبو هُرَيْرَةَ: وأنتم تَرَونَ ذلك، أما المَزْنُوقُ فتَرَاهُ مَاثِلاً - كَذَا- لا يَذْكُرُ اللَّهَ، وأمَّا المُلْجَمُ فَفَاتِحٌ فَاهُ، لا يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ. تفرَّدَ بهِ أحمدُ). [تفسير القرآن العظيم: ٣٩١٢/٨] [(ماثلاً) لعل الصواب: مائلاً]

■ حديث أنس بن مالك

قالَ أَبُو يَعْلَى أحمدُ بنُ عليٍّ بنِ المُثَنَّى الموصلِيُّ: (حدَّثنا محمدُ بنُ بَحْرٍ حدَّثَنا عَدِيُّ بنُ أبي عُمارَةَ حَدَّثَنَا زيادٌ النُّمَيريُّ عن أنسِ بنِ مالكٍ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّيطَانَ واضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْب ابنِ آدَمَ فَإِنْ ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ وَإِنْ نَسِيَ التَقَمَ قَلْبَهُ؛ فَذَلِكَ الوَسْوَاسُ الخَنَّاسُ»). [مسند أبي يعلى: ح رقم:٤٣٠١]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (أنْبَأَنِي عبدُ اللهِ بنُ حامدٍ الوَزَّانُ الأَصْفَهَانِيُّ، أخبرَنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عيسى، أخْبَرَنا أبو عبدِ اللهِ أُمَيَّةُ بنُ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ الباهليُّ بالبَصرَةِ، أخْبَرنا محمَّدُ بنُ عبدِ المَلِكِ بنِ أبي الشَّوارِبِ، أخْبَرَنا عديُّ بنُ أبي عمَّارٍ الجَرْمِيُّ، حدَّثَني زيادٌ النُّمَيْرِيِّ، عن أَنَسِ بنِ مالِكٍ، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَنَسَ، وَإِذَا نَسِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ التَقَمَ قَلْبَهُ»). [الكشف والبيان: ٣٤١/١٠]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (أَخْبَرَنَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ الغَازِي، أنا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَمْدَانَ بْنِ عَلِيٍّ، أنا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ المُثَنَّى، نا مُحَمَّدُ بْنُ بُجَيْرٍ، نا عَدِيُّ بْنُ أَبِي عُمَارَةَ، نا زَيْدٌ النُّمَيْرِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ وَإِنْ نَسِيَ التَقَمَ قَلْبَهُ، فَذَلِكَ الوَسْوَاسُ الخَنَّاسُ»). [الوسيط: ٥٧٥/٤] (م)

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وعن أَنَسٍ أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ، وَإِذَا نَسِيَ اللهَ التَقَمَ قَلْبَهُ فَوَسْوَسَ»). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٢/٢٠]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤هـ): (وقالَ الحافظُ أبو يَعْلَى المَوْصِلِيُّ: حدَّثنا محمدُ بنُ بَحْرٍ، حدَّثنا عَدِيُّ بنُ أبي عُمارَةَ، حدَّثنا زِيَادٌ النُّمَيْرِيُّ، عَنْ أَنَسِ بنِ مالكٍ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابنِ آدَمَ، فإِنْ ذَكَرَ خَنَسَ، وإِنْ نَسِيَ التَقَمَ قَلْبَهُ، فذَلِكَ الوَسْوَاسُ الخَنَّاسُ». غريبٌ). [تفسير القرآن العظيم: ٣٩١١/٨]

قال عليُّ بنُ أبي بكرِ بنِ سُليمان الهَيْثَميُّ (ت: ٨٠٧هـ): (وعن أنسِ بنِ مالكٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ، وإِنْ نَسِيَ التَقَمَ قَلْبَه، فذَلِكَ الوَسْوَاسُ الخَنَّاسُ». رَوَاهُ أبو يعلَى، وفيه عَدِيُّ بنُ أبي عُمارَةَ، وهو ضعيفٌ). [مجمع الزوائد: ١٤٩/٧]

قالَ أَحْمَدُ بنُ أبي بَكْرِ بنِ إِسْمَاعِيلَ البُوصِيرِيُّ (ت: ٨٤٠هـ): (وَقَالَ أَبُو يَعْلَى المَوصِلِيُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَحْرٍ، حَدَّثَنَا عَدِيُّ بْنُ أَبي عُمارَةَ، حَدَّثَنَا زِيَادٌ النُّمَيْرِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم: « إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِنْ نَسِيَ التَقَمَ قَلْبَهُ فَذَلِكَ الوَسْوَاسُ الخَنَّاسُ ».

هَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ لِضَعْفِ بَعْضِ رُوَاتِهِ رَوَاهُ ابْنُ أَبي الدُّنْيَا وَالبَيْهَقِيُّ.

خَطْمُهُ بفَتْحِ الخَاءِ المُعْجَمَةِ وَسُكُونِ الطَّاءِ المُهْمَلَةِ، هُوَ فَمُهُ.

لكن لَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَوَاهُ الحَاكِمُ فِي المُسْتَدْرَكِ، وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ). [إتحاف الخيرة:]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبي الدُّنْيَا في مَكَايدِ الشَّيْطَانِ، وَأَبُو يَعْلَى، وَابْنُ شَاهِينَ فِي التَّرْغِيبِ فِي الذِّكْرِ، والبَيْهَقِيُّ فِي (شُعَبِ الإِيمَانِ) عَنْ أَنسٍ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِنْ نَسِيَ التَقَمَ قَلْبَهُ، فَذَلِكَ الوَسْوَاسُ الخَنَّاسُ»). [الدر المنثور: ٨٠٧/١٥]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ ابنُ أبي الدنيا في مكايدِ الشيطانِ وَأبو يَعْلَى وَابنُ شَاهِينَ وَالبيهقيُّ في الشُّعَبِ عَنْ أنسٍ عَنِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِنْ نَسِيَهُ التَقَمَ قَلْبَهُ، فَذَلِكَ الوَسْوَاسُ الخَنَّاسُ»). [فتح القدير: ٧٦٤/٥]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وعنْ أنسٍ أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِنْ نَسِيَهُ التَقَمَ قَلْبَهُ، فَذَلِكَ الوَسْوَاسُ الخَنَّاسُ». أَخْرَجَهُ ابنُ أبي الدنيا في مَكَايدِ الشيطانِ وَأبو يَعْلَى وَابنُ شَاهِينَ وَالبَيْهَقِيُّ في الشُّعَبِ). [فتح البيان: ٤٦٧/١٥]

قال محمد ناصر الدين الألبانيُّ (ت:١٤٢٠هـ): (ضعيف، رواه ابن شاهين في " الترغيب " (٢/٢٨٤) وأبو نعيم في " الحلية " (٢٦٨/٦) وأبو يعلى واللفظ له (١/٢٠٤) والبيهقي في " الشعب " (٣٢٦/١ - هندية) من طريق عدي بن أبي عُمارة الذراع: حدثنا زياد النميري عن أنس بن مالك مرفوعا.

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٩/٣٠٧) : (غريب).

وقال الهيثمي (٧/١٤٩) : (رواه أبو يعلى ، وفيه عدي بن أبي عُمارة وهو ضعيف).

قلت : وشيخه زياد النميري ضعيف أيضا كما في " التقريب " ولذلك أشار المنذري إلى تضعيف الحديث في (الترغيب والترهيب) (٢/٢٣٠ - ٢٣١) وصرح بذلك الحافظ كما يأتي.

وقد عزاه صاحب المشكاة (٢٢٨١) للبخاري تعليقاً من حديث ابن عباس مرفوعاً، وهو خطأ من وجوه عديدة : الأول : أنه عند البخاري في آخر التفسير عن ابن عباس موقوفاً ، وهذا مرفوع.

والثاني : أنه بلفظ (الوسواس : إذا ولد خنسه الشيطان، فإذا ذكر الله عز وجل ذهب ، وإذا لم يذكر الله ثبت على قلبه). فهذا غير حديث الترجمة كما هو ظاهر.

الثالث : قال الحافظ في صورة تعليق البخاري لهذا الحديث : (قوله : وقال ابن عباس : الوسواس.. كذا لأبي ذر ، ولغيره) ويذكر عن ابن عباس ، وكأنه أولى لأن إسناده إلى ابن عباس ضعيف.. "). [السلسلة الضعيفة: رقم ١٣٦٧]

■ حديث آخر عن أنس بن مالك

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ شَاهِينَ عَنْ أَنَسٍ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «إِنَّ لِلْوَسْوَاسِ خطْماً كَخَطْمِ الطَّائِرِ ، فَإِذَا غَفَلَ ابْنُ آدَمَ وَضَعَ ذَلِكَ المِنْقَارَ فِي أُذُنِ القَلْبِ يُوَسْوِسُ ، فَإِن ابْنُ آدَمَ ذَكَرَ اللَّهَ نَكَصَ وَخَنَسَ ؛ فَلِذَلِكَ سُمِّيَ الوَسْوَاسَ الخَنَّاسَ»). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٧- ٨٠٨]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (وأَخْرَجَ ابنُ شاهينَ عن أَنسٍ قالَ : سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ

تعالى عليه وسَلَّمَ يقولُ : «إِنَّ لِلْوَسْوَاسِ خَطَمًا كَخَطَمِ الطَّائِرِ فَإِذَا غَفَلَ ابْنُ آدَمَ وَضَعَ ذَلِكَ المِنْقَارَ فِي أُذُنِ القَلْبِ يُوَسْوِسُ فَإِنْ ذَكَرَ اللهَ تَعَالَى نَكَصَ وَخَنَسَ فَلِذَلِكَ سُمِّيَ الوَسْوَاسَ الخَنَّاسَ»). [روح المعاني: ٢٩/٢٨٦- ٢٨٧]

■ حديث الحكم بن عمير الثمالي

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَهْ عَن الحَكَمِ بْنِ عُمَيْرٍ الثُّمَالِيِّ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «الحَذَرَ أَيُّهَا النَّاسُ ، وَإِيَّاكُمْ وَالوَسْوَاسَ الخَنَّاسَ ، فَإِنَّمَا يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً»). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٦]

قلت: (الحكم بن عمير ويقال : بن عمرو الثمالي صحابي جليل من أهل بدر ، ولكن رويت عنه أحاديث مناكير.

وهذا الحديث رواه ابن جرير في تفسير سورة الأحزاب فقال : (حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ثنا بقية قال ثني عيسى بن إبراهيم عن موسى بن أبي حبيب عن الحكم بن عمرو وكان من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم...) فذكره مطولاً ، وقال ابن كثير : (هذا حديث غريب جداً ، وله شواهد من وجوه أخرى)

قلت : فيه بقية بن الوليد يدلس تدليس التسوية).

■ أثر أبي ثعلبة الخشني

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (ورَوَى شَهْرُ بنُ حَوْشَبٍ، عن أَبي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ، قال: سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يُرِيَنِي الشَّيْطَانَ ومَكَانَه مِن ابْنِ آدَمَ فَرَأَيْتُه، يَدَاهُ في يَدَيْهِ، ورِجْلاهُ في رِجْلَيْهِ، ومَشَاعِبُهُ في جَسَدِهِ؛ غَيْرَ أَنَّ لَه خَطْمًا كَخَطْمِ الكَلْبِ، فإِذَا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ ونَكَسَ، وإِذَا سَكَتَ عن ذِكْرِ اللهِ أَخَذَ بقَلْبِه.

فعَلَى مَا وَصَفَ أبو ثَعْلَبَةَ، أَنَّه مُتَشَعِّبٌ في الجَسَدِ، أي: في كُلِّ عُضْوٍ مِنْه شُعْبَةٌ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٦٣]

- **قلت:** (ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول).

■ حديث ابن عباس مرفوعاً وموقوفاً: (الشيطان جاثم على قلب ابن آدم...)

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (حَدَّثَنَا ابنُ حُمَيْدٍ، قالَ: ثَنَا جَرِيرٌ، عن منصورٍ، عن سعيد، عن ابنِ عبَّاسٍ، في قَوْلِهِ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ٤﴾ [الناس: ٤] قالَ: الشيطانُ جاثِمٌ على قلبِ ابنِ آدَمَ، فإِذَا سَهَا وغَفَلَ وَسْوَسَ، وَإِذَا ذَكَرَ الله خَنَسَ.

قالَ: ثَنَا مِهْرَانُ، عن عثمانَ بنِ الأسودِ، عن مُجَاهِدٍ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ٤﴾ [الناس: ٤] قالَ: يَنْبَسِطُ، فإذا ذُكِرَ اللهُ خَنَسَ وانْقَبَضَ، فإذا غفَلَ انْبَسَطَ). [جامع البيان: ٢٤/٧٥٤]

قالَ مَحْمُودُ بنُ حَمْزَةَ بنِ نَصْرٍ الكِرْمَانِيُّ (ت: ٥٢٥هـ): (وجاءَ في الحديثِ: «إنَّ الشَّيْطَانَ جَاثِمٌ على قَلْبِ ابنِ آدَمَ؛ فإذا ذَكَرَ اللهَ تَنَحَّى وخَنَسَ، وإذا غَفَلَ التَقَمَ قَلْبَهُ فحَدَّثَهُ ومَنَّاهُ»). [غرائب التفسير: ٢/١٤١٥]

قَالَ أبو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيِّ (ت: ٥٩٧هـ): (قالَ ابنُ عبَّاسٍ: الشيطانُ جَاثِمٌ على قلْبِ ابنِ آدَمَ، فإذا سَهَا وغفَلَ وَسْوَسَ، فإذا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ). [زاد المسير: ٩/٢٧٩]

قال ابنُ الأثيرِ المباركُ بنُ محمدٍ الجزَرِيُّ (ت: ٦٠٦هـ): ((خ- ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: الوَسْوَاسُ: إذَا وُلِدَ خَنَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ ذَهَبَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ ثَبَتَ عَلَى قَلْبِهِ، ذَكَرَهُ البُخَارِيُّ بغَيْرِ إِسْنَادٍ.

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِذَا غفَلَ وَسْوَسَ» وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[شَرْحُ الغَرِيبِ]: (خَنَسَهُ) الخُنُوسُ: التَّأَخُّرُ وَالانْقِبَاضُ). [جامع الأصول: ٢/٤٤٣- ٤٤٦]

قَالَ حُسَيْنُ بنُ أَبي العِزِّ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٦٤٣هـ): (وفي الحديثِ: «الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدمَ فإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ تَنَحَّى وخَنَسَ، وإِذَا سَهَا وغَفَلَ وَسْوَسَ إِلَيْهِ»). [الفريد: ٤/٧٥٥]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وفي الخَبَرِ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا غَفَلَ وَسْوَسَ، وَإِذَا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ». أي: تأَخَّرَ وأَقْصَرَ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٦٢]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (وقالَ سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ في قولِه: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: ٤]. قالَ: الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ على قَلْبِ ابنِ آدَمَ، فإذَا سَهَا وغفَلَ وَسْوَسَ، فإذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وكذا قالَ مُجاهِدٌ وقَتادَةُ). [تفسير القرآن العظيم: ٣٩١٢/٨]

قالَ حَيْدَرُ بْنُ عَلِيٍّ القَاشِيُّ (ت: ٧٧٦هـ): (عَنِ البُخَارِيِّ –تَعْلِيقًا– عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ وَإِذَا غَفَلَ وَسْوَسَ»). [المعتمد في المنقول: ٥٠٩/٢]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ مَرْدُويَهْ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: ٤]. قَالَ: الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ سَهَا وَغَفَلَ وَسْوَسَ، وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ). [الدر المنثور: ٨٠٨/١٥]

قال ابنُ الدَّيْبَعِ عبدُ الرحمن بنُ عليٍّ الشيبانيُّ الزَّبيديُّ (ت: ٩٤٤هـ): (وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى خَنَسَ، وَإِذَا غَفَلَ وَسْوَسَ». أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ تَعْلِيقًا). [تيسير الوصول: ٢٠٢/١]

قال محمدُ بنُ سليمانَ المغربيُّ (ت: ١٠٩٤هـ): (وفي روايةٍ، رَفَعَهُ: «الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابنِ آدَمَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللهُ خَنَسَ، وَإِذَا غَفَلَ وَسْوَسَ». للبُخَارِيِّ تَعْلِيقًا). [جمع الفوائد٣/٢٢٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ ابنُ أبي شَيْبَةَ وَابنُ جريرٍ وَابنُ مَرْدُويَه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ في قولِهِ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: ٤]. قَالَ: الشيطانُ جَاثٍ على قلبِ ابنِ آدمَ، فإذا سَهَا وَغَفَلَ وَسْوَسَ، وَإِذا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ). [فتح القدير: ٧٦٤/٥]

■ أثر ابن عباس: (ما من مولود إلا وعلى قلبه الوسواس...)

قالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت: ٢١١هـ): (عَنِ الثَّوْرِيِّ عَنْ حَكِيمِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ وَعَلَى قَلْبِهِ وَسْوَاسٌ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِذَا غَفَلَ وَسْوَسَ، وَهُوَ الوَسْوَاسُ الخَنَّاسُ). [تفسير عبد الرزاق: ٤١٠/٢]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيُّ (ت: ٢٥٦هـ): (وَيُذْكَرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ [الناس: ٤]: إِذَا وُلِدَ خَنَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَإِذَا ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ذَهَبَ، وإذا لم يَذْكُرِ اللهَ ثَبَتَ على قَلْبِهِ). [صحيح البخاري: ٣١٢/٥]

- **قال محمدُ بنُ يوسف بنِ علي الكِرْمانيُّ (ت: ٧٨٦هـ):** (قَوْلُهُ: (خَنَسَهُ) قال الصَّغَانِيُّ: الأَوْلَى نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ مَكَانَ خَنَسَهُ الشَّيْطَانُ، وإنْ سَلِمَتِ اللَّفْظَةُ مِنَ الانْقِلابِ والتَّصْحِيفِ فَالْمَعْنَى - واللَّهُ أَعْلَمُ - أَخَّرَهُ وَأَزَالَهُ عَنْ مَكَانِهِ لِشِدَّةِ نَخْسِهِ وطَعْنِهِ بِإِصْبُعِهِ فِي خَاصِرَتِهِ). [شرح الكرماني: ٢١٩/١٧]

- **قال أحمدُ بنُ عَلَيٍّ بنِ حجرٍ العَسْقَلانيُّ** (ت: ٨٥٢هـ): (قولُهُ: **(ويُذْكَرُ عن ابنِ عَبَّاسٍ: الوَسْوَاسِ: إذا وُلِدَ خَنَسَهُ الشَّيْطَانُ، فإذا ذُكِرَ اللهُ [عز وجل] ذَهَبَ، فإذا لم يَذْكُرِ اللهَ ثَبَتَ على قَلْبِهِ)**.

قالَ ابنُ جَرِيرٍ: ثنا أبو كُرَيْبٍ، ثنا يَحْيَى بْنُ عِيسَى، عَنْ سُفْيَانَ، عن حَكِيمِ بنِ جُبَيْرٍ، عنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قال: ما مِنْ مَوْلُودٍ إلا على قَلْبِهِ الوَسْوَاسُ، فإذا عَمِلَ بذِكْرِ اللهِ خَنَسَ، وَإِذَا غَفَلَ وَسْوَسَ.

ورَوَاهُ الحَاكِمُ في المُسْتَدْرَكِ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ، به.

وكذا رَوَاهُ عَبْثَرُ بنُ القَاسِمِ، عنِ الأعمَشِ، عن حَكِيمِ بْنِ جُبَيْرٍ، به. وحَكِيمٌ ضَعِيفُ الحَدِيثِ.

وقد رُوِيَ عن مَنْصُورٍ، عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ. وفي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ أَيْضًا.

قَرَأْتُهُ على أَحْمَدَ بنِ بلغاق، أَخْبَرَكُمْ إِسْحَاقُ بنُ يَحْيَى، حُضُورًا، أنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ بَرَكَاتٍ الخُشُوعِيَّ، أَخْبَرَهُ. ح وقَرَأْتُ على إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحمَّدِ بنِ القاسِمِ القَزْوِينِيِّ أَنَّ جَدَّهُ أَخْبَرَهُ قَالا: أنا يَحْيَى بنُ مَحْمُودٍ، أنا الحَسَنُ بنُ أَحْمَدَ الحَدَّادُ، أنا مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ إبراهيمَ بنِ مُصْعَبٍ، أنا عَبْدُ اللهِ بنُ جَعْفَرِ بنِ أَحْمَدَ بنِ فَارِسٍ، ثنا أَبي، ثنا ابنُ حُمَيْدٍ، ثنا جَرِيرٌ، عن مَنْصُورٍ، عن سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عنِ ابنِ عَبَّاسٍ قالَ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: ٤]، قالَ: الشَّيْطَانُ يَحُطُّ فَاهُ على قَلْبِ ابنِ آدَمَ، فإذَا سَهَا وغفَلَ وَسْوَسَ، وإذا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ). [تغليق التعليق: ٧/٣٨١- ٣٨٢]

- **قال أحمدُ بنُ عَلَيٍّ بنِ حجرٍ العَسْقَلانيُّ** (ت: ٨٥٢هـ): (قولُهُ: (وقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: الوَسْوَاسُ إذَا وُلِدَ خَنَسَهُ الشيطانُ فَإِذَا ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وجَلَّ ذَهَبَ، وإذا لم يَذكُرِ اللهَ ثَبَتَ عَلَى قَلْبِهِ) كذا لأبي ذَرٍّ ولغيرِهِ، ويُذْكَرُ عنِ ابنِ عَبَّاسٍ وكَأَنَّهُ أَوْلَى؛ لأنَّ إِسْنَادَهُ إِلَى ابنِ عَبَّاسٍ ضعيفٌ أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ والحَاكِمُ، وفي إسنادِهِ حَكِيمُ بْنُ جُبَيرٍ، وهُو ضعيفٌ ولَفْظُهُ: مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلاَّ عَلَى قَلْبِهِ الوَسْوَاسُ، فَإِذَا عَمِلَ فَذَكَرَ اللهَ خَنَسَ، وإذا غَفَلَ وَسْوَسَ. ورُوِّينَاهُ في الذِّكْرِ لجَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ فَارِسٍ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وفي إسنادِهِ مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ الرَّازِيُّ وفيه مَقالٌ، ولَفْظُه: يَحُطُّ الشَّيْطَانُ فَاهُ عَلَى قَلْبِ ابنِ آدَمَ، فَإِذَا سهَا وغفَلَ وَسْوَسَ وَإِذَا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ. وأَخرجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنصورٍ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عنِ ابنِ عَبَّاسٍ ولَفْظُهُ: يُولَدُ الإنسانُ وَالشَّيْطَانُ جَاثِمٌ على قَلْبِهِ، فإذا عَقَلَ وذَكَرَ اسمَ اللهِ خَنَسَ، وإذا غَفَلَ وَسْوَسَ.

وجاثِمٌ بجِيمٍ ومُثَلَّثَةٍ، وعَقَلَ الأُولَى بمُهْمَلَةٍ وقَافٍ والثَّانِيَةُ بمُعْجَمَةٍ وفاءٍ، ولأبي يَعْلَى مِن حَدِيثِ أَنَسٍ نَحْوُهُ مَرْفُوعًا، وإسنادُهُ ضَعِيفٌ، ولسعيدِ بْنِ مَنصورٍ مِنْ طَرِيقِ عُرْوَةَ بْنِ رُوَيْمٍ قَالَ: سَأَلَ عِيسَى عليه السلامُ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ مَوْضِعَ الشَّيْطَانِ مِن ابنِ آدَمَ فَإِذَا رَأْسُهُ مِثْلُ رَأْسِ الحَيَّةِ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى ثَمَرَةِ القَلْبِ فَإِذَا ذَكَرَ العَبْدُ رَبَّهُ خَنَسَ، وإذا تَرَكَ مَنَّاهُ وحَدَّثَهُ.

قَالَ ابنُ التِّينِ: يُنْظَرُ في قَولِهِ: خَنَسَهُ الشَّيْطَانُ؛ فَإِنَّ المَعْرُوفَ في اللُّغَةِ: خَنَسَ إِذَا رَجَعَ وانْقَبَضَ. وقَالَ عِيَاضٌ: كذا في جميعِ الرِّوَايَاتِ وهُو تصحيفٌ وتَغْيِيرٌ، ولَعَلَّهُ كَانَ فِيهِ نَخَسَهُ أي بنُونٍ ثُمَّ خَاءٍ مُعْجَمَةٍ ثُمَّ سِينٍ مُهْمَلَةٍ مَفْتُوحَاتٍ لِمَا جَاءَ في حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ يَعْنِي المَاضِيَ في تَرْجَمَةِ عِيسَى عليه السلامُ. قَالَ: لَكِنَّ اللَّفْظَ المَرْوِيَّ عن

ابن عَبَّاسٍ ليسَ فِيهِ نَخسَ فَلَعَلَّ البُخارِيَّ أَشارَ إلى الحديثَيْنِ مَعًا. كذا قَالَ، وادَّعَى فيه التصحيفَ ثُمَّ فَرَّعَ على مَا ظَنَّهُ مِنْ أَنَّهُ نَخسَ، والتفريعُ لَيْسَ بصَحِيحٍ ؛ لأنَّه لو أَشارَ إلى حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ لم يَخُصَّ الحَدِيثَ بابنِ عَبَّاسٍ، ولعلَّ الروايةَ الَّتِي وَقَعَتْ له باللفظِ المَذْكُورِ، وتَوْجِيهُهُ ظَاهِرٌ، ومَعْنَى يَخْنُسُهُ: يَقْبِضُهُ أي: يَقْبِضُ عَلَيْهِ وهُو بِمَعْنَى قولِهِ في الرِّوايَتَيْنِ اللَّتَيْنِ ذَكَرْنَاهُمَا عنِ ابنِ فَارِسٍ وسَعِيدِ بنِ مَنصورٍ، وقد أَخْرَجَهُ ابنُ مَرْدَوَيهِ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الوَسْوَاسُ هُو الشَّيْطَانُ يُولَدُ المَوْلُودُ، والوَسْوَاسُ عَلَى قَلْبِهِ فهُوَ يَصْرِفُهُ حَيْثُ شاءَ فَإذَا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ وإذا غفَلَ جَثَمَ على قَلْبِهِ فَوَسْوَسَ وقَالَ الصَّغَانِيُّ: الأَوْلَى خَنَسَهُ مكانَ يَخْنُسُهُ، قَالَ: فإنْ سَلِمَتِ اللَّفْظَةُ مِنَ التَّصْحِيفِ فَالمَعْنَى أَخَّرَهُ وأَزَالَهُ عَنْ مَكَانِهِ لِشِدَّةِ نَخْسِهِ وطَعْنِهِ بأُصْبُعِهِ). [فتح الباري: ٨/٧٤١- ٧٤٢]

- **قال محمودُ بنُ أحمدَ بنِ موسى العَيْنِيُّ (ت: ٨٥٥هـ)**: (**(وَيُذْكَرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الوَسْوَاسُ: إِذَا وُلِدَ خَنَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ- ذَهَبَ وَإِذَا لَمْ يُذْكَرِ اللَّهُ ثَبَتَ عَلَى قَلْبِهِ).**

كَذَا وَقَعَ هَذَا لِغَيْرِ أَبِي ذَرٍّ، وَوَقَعَ لَهُ: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ؛ وَالأَوَّلُ أَوْلَى ؛ لأَنَّ إِسْنَادَ الحَدِيثِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ضَعِيفٌ، أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ وَالحَاكِمُ، وَفِي إِسْنَادِهِ حكِيمُ بْنُ جُبَيْرٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ وَلَفْظُهُ: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ عَلَى قَلْبِهِ الوَسْوَاسُ فَإِذَا عَمِلَ فَذَكَرَ اللَّهُ خَنَسَ وَإِذَا غَفَلَ وَسْوَسَ).

قَوْلُهُ: (خَنَسَهُ الشَّيْطَانُ)قَالَ الصَّاغَانِيُّ: الأَوْلَى: (نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ) مَكَانَ: (خَنَسَهُ الشَّيْطَانُ) فَإِنْ سَلِمَتِ اللَّفْظَةُ مِنَ الانْقِلابِ وَالتَّصْحِيفِ فَالمَعْنَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ- : أَخَّرَهُ وَأَزَالَهُ عَنْ مَكَانِهِ لِشِدَّةِ نَخْسِهِ وَطَعْنِهِ فِي خَاصِرَتِهِ). [عمدة القاري: ٢٠/١٠- ١١]

- **قال أحمدُ بنُ محمدِ بن أبي بكرٍ القَسْطَلاَّنيُّ (ت: ٩٢٣هـ)**: ((وَيُذْكَرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ) ولأَبِي ذَرٍّ: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (الوَسْوَاسُ إِذَا وُلِدَ) بضَمِّ الوَاوِ وكَسْرِ اللاَّمِ (خَنَسَهُ الشَّيْطَانُ) اعْتَرَضَهُ السَّفَاقِسِيُّ بِأَنَّ المَعْرُوفَ فِي اللُّغَةِ، خَنَسَ إذا رَجَعَ وَانْقَبَضَ، وَقَالَ الصَّغَانِيُّ: الأَوْلَى نَخَسَهُ مَكَانَ خَنَسَهُ، فإن سَلِمَتِ اللَّفْظَةُ مِنَ الانْقِلابِ والتَّصْحِيفِ، فَالمَعْنَى أَزَالَهُ عن مَكَانِهِ ؛ لِشِدَّةِ نخْسِهِ وَطَعْنِهِ بإِصْبَعِهِ فِي خَاصِرَتِهِ (فَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَهَبَ، وَإِذَا لَمْ يُذْكَرِ اللَّهُ) بضَمِّ أَوَّلِهِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ (ثَبَتَ عَلَى قَلْبِهِ) والتَّعْبِيرُ بيُذْكَرُ أَوْلَى ؛ لأنَّ إِسْنَادَهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ضَعِيفٌ. أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ، وَأَخْرجَ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ وَجْهٍ آخرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الوَسْوَاسُ هُوَ الشَّيْطَانُ يُولَدُ المَوْلُودُ، وَالوَسْوَاسُ عَلَى قَلْبِهِ ؛ فَهُوَ يَصْرِفُهُ حَيْثُ شَاءَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وإِذَا غَفَلَ جَثَمَ عَلَى قَلْبِهِ فَوَسْوَسَ، وَعِنْدَ سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ من طَرِيقِ عُرْوَةَ بْنِ رُوَيْمٍ قَالَ: سَأَلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ مَوْضِعَ الشَّيْطَانِ مِنِ ابْنِ آدَمَ، فَأَرَاهُ فَإِذَا رَأْسُهُ مِثْلُ رَأْسِ الحَيَّةِ وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى ثَمَرَةِ القَلْبِ، فَإِذَا ذَكَرَ العَبْدُ رَبَّهُ خَنَسَ، وإِذَا تَرَكَ مَنَّاهُ وَحَدَّثَهُ. وقَوْلُهُ: (يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ) هَلْ يَخْتَصُّ ببَنِي آدَمَ أَوْ يَعُمُّ بَنِي آدَمَ وَالجِنَّ فِيهِ قَوْلانِ، وَيَكُونُونَ قَدْ دَخَلُوا فِي لَفْظِ النَّاسِ تَغْلِيبًا). [إرشاد الساري: ٧/٤٤٤]

- **قال عبيدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سُليمانَ الجابريُّ (م)**: ((ويُذْكَرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ [الوَسْوَاسِ] إذا وَلَدَ خَنَسَهُ الشَّيْطَانُ. فإذا ذُكِرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَهَبَ، وإذا لَمْ يُذْكَرِ اللهُ ثَبَتَ على قَلْبِهِ).

ش: أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ والحاكِمُ في المُسْتَدْرَكِ: (٢/ ٥٤١)، واللفظُ لابنِ جَرِيرٍ كِلاهُما مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ حكيمِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ بلَفْظِ: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا عَلَى قَلْبِهِ الوَسْوَاسُ، فَإِذَا عَقَلَ فَذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِذَا أَغْفَلَ وَسْوَسَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: [الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ]). وفي إسنادِهِ حَكِيمُ بنُ جُبَيْرٍ الأَسَدِيُّ الكُوفِيُّ ضَعِيفٌ. قالَ الحافِظُ: " أَخْرَجَ سَعِيدُ بنُ مَنْصُورٍ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ولَفْظُهُ: (يُولَدُ الإِنْسَانُ وَالشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِهِ، فَإِذَا عَقَلَ وَذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ خَنَسَ، وَإِذَا غَفَلَ وَسْوَسَ)، وجاثِمٌ بجيمٍ ومُثَلَّثَةٍ، وعَقَلَ الأُولَى بمُهْمَلَةٍ وقافٍ والثانية بمُعْجَمَةٍ وفاءٍ. ولأَبي يَعْلَى مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ نَحْوُهُ مَرْفُوعًا وإسنادُهُ ضَعِيفٌ". اهـ قُلْتُ: ويَبْدُو لي أنَّ الخَبَرَ بمَجْمُوعِ طُرُقِهِ إلى ابْنِ عَبَّاسٍ لا يَقِلُّ عَنْ دَرَجَةِ الحَسَنِ لِغَيْرِهِ. واللهُ أَعْلَمُ). [إمداد القاري: ٤/٤٨٥]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (حَدَّثَنا أبو كُرَيْبٍ، قالَ: ثَنا يَحْيَى بنُ عيسى، عن سُفْيَانَ، عن حَكِيمِ بنِ جُبَيْرٍ، عن سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ، قالَ: ما مِن مولودٍ إلاَّ على قَلْبِهِ الوَسْوَاسُ، فإذا عَقَلَ فذَكَرَ اللهَ خَنَسَ، وإذَا غَفَلَ وَسْوَسَ، قالَ: فذلك قولُه: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: ٤]). [جامع البيان: ٢٤/٧٥٤]

قَالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ النحَّاسُ (ت: ٣٣٨هـ): ((الخَنَّاسِ) عن ابنِ عَبَّاسٍ رِوَايتانِ، إحداهما أنه يُوَسْوِسُ ويَجْثِمُ على صَدْرِ الإنسانِ، فإذَا ذَكَرَ اللَّهَ جلَّ وعزَّ يَخْنُسُ، والروايةُ الأُخْرَى أنه يُوَسْوِسُ فإذا أُطِيعَ انْخَنَسَ، والقولانِ مُتَّفِقَانِ). [إعراب القرآن: ٥/٣١٥- ٣١٦]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ الحَسَنِ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٣٥٢هـ): (ثَنَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: ثَنَا آدَمُ، قَالَ: ثَنَا حِبَّانُ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِه: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: ٤]. قَالَ: الوَاسْوَاسُ: الشَّيْطَانُ، يُولَدُ المَوْلُودُ والوَسْوَاسُ عَلَى قَلْبِهِ، فهو يَصْرِفُهُ، فإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ؛ خَنَسَ، وإِذَا غَفَلَ جَثَمَ عَلَى قَلْبِهِ فوَسْوَسَ). [تفسير مجاهد: ٧٩٧ (م)]

قال محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الحاكمُ النَّيسابوريُّ (ت: ٤٠٥هـ): (أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّنْعَانِيُّ بمَكَّةَ، ثنا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبَّادٍ، أَنْبَأَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَنْبَأَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عن حَكِيمِ بْنِ جُبَيْرٍ، عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا عَلَى قَلْبِهِ الوَسْوَاسُ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِنْ غَفَلَ وَسْوَسَ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: ٤] هذا حديثٌ صَحِيحٌ على شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ). [المستدرك: ٢/٥٤١]

- **قال محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عثمانَ الذَّهَبيُّ (ت: ٧٤٨هـ)**: ((سُفْيَانُ)، عن حَكِيمِ بْنِ جُبَيْرٍ، عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلا على قَلْبِهِ الوَسْوَاسُ، فإِنْ ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وإِنْ غَفَلَ وَسْوَسَ، وهو قَوْلُهُ: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: ٤] (خ م) آخِرُ التَّفْسِيرِ). [تلخيص مستدرك الحاكم: ٢/٥٤١]

قالَ جلالُ الدينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أبي بكرِ السيوطيُّ (ت: ٩١١هـ): (ويُذْكَرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ [الناس: ٤]: إِذَا وُلِدَ خَنَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَإِذَا ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ذَهَبَ، وإِذا لم يَذْكُرِ اللهَ ثَبَتَ على قَلْبِهِ). [التَّوْشيحُ: ٣١٦٣/٧]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَابْنُ مَرْدُويَهْ والبَيْهَقِيُّ والضياءُ فِي (المختارةِ) عَن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلاَّ عَلَى قَلْبِهِ الوَسْوَاسُ، فَإِذَا عقلَ فذكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِذَا غفلَ وَسْوَسَ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ [الناس: ٤]). [الدر المنثور: ٨٠٨/١٥]

قال محمدُ بنُ سليمانَ المغربيُّ (ت: ١٠٩٤هـ): (ويُذْكَرُ عَنِ ابنِ عباسٍ (الوَسْوَاسِ) إِذَا وُلِدَ خَنَسَهُ الشيطانُ فَإِذَا ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ذَهَبَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ ثَبَتَ على قَلْبِهِ. للبخاريِّ تَعْلِيقًا). [جمع الفوائد٣/٢٢٨]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَأَخْرَجَ ابنُ أبي الدنيا وابنُ جريرٍ وَابنُ المنذرِ وَالحاكمُ وَصَحَّحَهُ وَابنُ مَرْدُويَه وَالضياءُ في المختارةِ وَالبيهقيُّ عنهُ [أي: ابن عباس] قَالَ: ما مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إلاَّ على قَلْبِهِ الوَسْوَاسُ، فإذا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِذا غَفَلَ وَسْوَسَ، فذلكَ قولُهُ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ [الناس: ٤]. وقدْ وَرَدَ في معنَى هذا غيرُهُ، وظاهرُهُ أنَّ مُطْلَقَ ذِكْرِ اللَّهِ يَطْرُدُ الشيطانَ، وَإِنْ لمْ يكنْ على طريقِ الاستعاذةِ، وَلِذِكْرِ اللَّهِ سبحانَهُ فوائدُ جَلِيلَةٌ حَاصِلُهَا الفوزُ بِخَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ). [فتح القدير: ٧٦٥/٥]

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (أَخْرَجَ الضياءُ في المختارَةِ والحاكِمُ وصَحَّحَه وابنُ مُنذِرٍ وغيرُهم عن ابنِ عبَّاسٍ قالَ: ما مِن مَولودٍ يُولَدُ إلا على قَلْبه الوَسواسُ، فإذا عَقَلَ فذَكَرَ اللهَ تعالى خَنَسَ، فإذا غَفَلَ وَسْوَسَ، وله - على ما رُوِيَ عن قَتادةَ - خُرطومٌ كخُرطومِ الكلْبِ، ويقالُ: إنَّ رأسَه كرأسِ الحَيَّةِ). [روح المعاني: ٢٨٦/٢٩]

قالَ مُحمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وعن ابْنِ عَبَّاسٍ في الآيَةِ قَالَ: الشيطانُ جَاثٍ على قلبِ ابنِ آدمَ، فإذا سَهَا وَغفَلَ وَسْوَسَ وَإذا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ.

وَعنهُ قَالَ: ما مِنْ مولودٍ يُولَدُ إلاَّ على قلبِهِ الوسواسُ، فإذا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِذا غَفَلَ وَسْوَسَ، فَذَلِكَ قولُهُ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ [الناس: ٤].

وقدْ وَرَدَ فِي معنَى هذا غيرُهُ، وَظاهِرُهُ أنَّ مُطْلَقَ ذِكْرِ اللَّهِ يَطْرُدُ الشيطانَ وَإِنْ لمْ يكنْ على طريقِ الاستعاذةِ، وَلِذِكْرِ اللَّهِ سبحانَهُ فَوَائِدُ جليلةٌ، حَاصِلُهَا الفوزُ بِخَيْرَيِ الدنيا وَالآخرةِ). [فتح البيان: ٤٦٧/١٥]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ سُلَيْمَانَ الأَشْقَرُ (١٤٣٠هـ): (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلاَّ عَلَى قَلْبِهِ الوَسْوَاسُ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِذَا غَفَلَ وَسْوَسَ). نَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِن كَيْدِهِ وَوَسْوَسَتِهِ). [زبدة التفسير: ٦٠٤]

لفظ آخر

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبي دَاوُدَ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: ٤]. قَالَ: مَثَلُ الشَّيْطَانِ كَمَثَلِ ابْنِ عِرْسٍ، وَاضِعٌ فَمَهُ عَلَى فَمِ القَلْب فَيُوَسْوِسُ إِلَيْهِ، فَإِن ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِنْ سَكَتَ عَادَ إِلَيْهِ، فَهُوَ الوَسْوَاسُ الخَنَّاسُ). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٧]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (وَقَدْ أَخْرَجَ ابنُ أبي داودَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ في قولِهِ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: ٤] قَالَ: مَثَلُ الشيطانِ كَمَثَلِ ابنِ عِرْسٍ وَاضِعٌ فَمَهُ على فَمِ القلبِ فَيُوَسْوِسُ إِليهِ، فإِنْ ذَكَرَ خَنَسَ وَإِنْ سَكَتَ عَادَ إِليهِ، فهوَ الوسواسُ الخَنَّاسُ). [فتح القدير: ٥/٧٦٤]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (وعن ابْنِ عَبَّاسٍ في قولِهِ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: ٤] قَالَ: مَثَلُ الشيطانِ كَمَثَلِ ابنِ عِرْسٍ وَاضِعٌ فَمَهُ على فَمِ القلبِ فَيُوَسْوِسُ إِليهِ، فإِنْ ذَكَرَ خَنَسَ وَإِنْ سَكَتَ عَادَ إِليهِ، فهوَ الوسواسُ الخَنَّاسُ). [فتح البيان: ١٥/٤٦٧]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (قالَ ابنُ عبَّاسٍ: أيْ: يُوَسْوِسُ على قَلْبِ ابنِ آدَمَ، فإذا ذكَرَ اللهَ سبحانَه خنَسَ مِن قَلْبه فذَهَبَ، وإذا غفلَ التَقَمَ قلْبَه فحَدَّثَه ومَنَّاهُ). [الكشف والبيان: ١٠/٣٤١]

أثر سعيد بن جبير

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بنِ الحُسَيْنِ الرَّازِيُّ (ت: ٦٠٤هـ): (عن سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ: إذا ذَكَرَ الإنسانُ رَبَّه خَنَسَ الشيطانُ ووَلَّى، فإذا غفَلَ وسْوَسَ إليه). [التفسير الكبير: ٣٢/١٨١]

قالَ نِظَامُ الدِّينِ الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ (ت: ٧٢٨هـ): (عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ: إذا ذَكَرَ الإنسانُ ربَّه خَنَسَ الشيطانُ ووَلَّى، وإذا غفَلَ وَسْوَسَ إليهِ). [غرائب القرآن: ٣٠/٢٢٥]

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مَحْمُودٍ النَّسَفِيُّ (ت: ٧١٠هـ): (رُوِيَ عن سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ: إِذَا ذَكَرَ الإِنسانُ ربَّه خَنَسَ الشَّيطانُ ووَلَّى، وإِذا غفَلَ رَجَعَ ووَسْوَسَ إِلَيْه) [مدارك التنزيل: ٣/٢٠١٥]

قلت: (لم أجده مقطوعاً على سعيد بن جبير، وقد تقدم بمعناه من حديث سفيان الثوري عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وحكيم بن جبير ضعيف).

أثر مجاهد بن جبر

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ عَمْرٍو، قالَ: ثَنَا أبو عاصِمٍ، قالَ: ثَنَا عيسَى؛ وحَدَّثَنِي الحَارِثُ، قالَ: ثَنَا الحَسَنُ، قالَ: ثَنَا ورْقَاءُ، جَمِيعاً عن ابنِ أبي نَجِيحٍ، عن مُجَاهِدٍ، في قَوْلِهِ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: ٤] قالَ: الشيطانُ يكونُ على قلبِ الإنسانِ، فإذا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ). [جامع البيان: ٢٤/٧٥٤]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (... قالَ: ثَنَا مِهْرَانُ، عن عثمانَ بنِ الأسودِ، عن مُجَاهِدٍ: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: ٤] قالَ: يَنْبَسِطُ، فإذا ذُكِرَ اللهُ خَنَسَ وانْقَبَضَ، فإذا غَفَلَ انْبَسَطَ). [جامع البيان: ٢٤/٧٥٤]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ الحَسَنِ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٣٥٢هـ): (ثَنَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: ثَنَا آدَمُ، قَالَ: ثَنَا وَرْقَاءُ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ، عن مُجَاهِدٍ، قَالَ: الوَسْوَاسُ: الشَّيْطَانُ، فَمُهُ عَلَى قَلْبِ الإِنْسَانِ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ؛ خَنَسَ، فذَلِكَ قولُه: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: ٤]). [تفسير مجاهد: ٧٩٧] (م)

قالَ أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرْقَنْدِيُّ (ت:٣٧٥هـ): (قالَ مُجاهِدٌ: هو مُنبَسِطٌ على قَلْبِ الإنسانِ؛ إذا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ وانقبَضَ، فإذا غفَلَ انبَسَطَ على قَلْبه. ويُقالُ: له خُنوسٌ كخُنوسِ القُنْفُذِ). [بحر العلوم: ٣/٥٢٨] (م)

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: ٤]. قَالَ مُجَاهِدٌ: إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ خَنَسَ وَانْقَبَضَ، وَإِذَا لَمْ يُذْكَرِ اللَّهُ انْبَسَطَ عَلَى القَلْبِ). [الوسيط: ٤/٥٧٥] (م)

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (قَالَ مُجَاهِدٌ: إذا ذُكِرَ اللَّهُ خَنَسَ وَانْقَبَضَ، وَإِذا لم يُذْكَرِ انْبَسَطَ على القلبِ). [فتح البيان: ١٥/٤٦٦]

■ أثر عكرمة مولى ابن عباس

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخرَجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: الوسواسُ مَحَلُّهُ عَلَى فؤادِ الإِنْسَانِ وَفِي عينِهِ وَفِي ذَكَرِهِ، وَمَحَلُّهُ مِن الْمَرْأَةِ فِي عَيْنِهَا وَفِي فَرْجِهَا إِذَا أَقْبَلَتْ، وَفِي دُبُرِهَا إِذَا أَدْبَرَتْ، هَذِهِ مَجَالِسُهُ). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٩]

■ أثر قتادة السدوسي

قالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ (ت: ٢١١هـ): (عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: يُقَالُ: الخَنَّاسُ لَهُ خُرْطُومٌ كَخُرْطُومِ الكَلْبِ يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ الإِنْسَانِ، فَإِذَا ذَكَرَ العَبْدُ رَبَّهُ خَنَسَ). [تفسير عبد الرزاق: ٢/٤١٠]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (حدَّثَنَا بشْرٌ، قالَ: ثَنَا يَزِيدُ، قالَ: ثَنَا سعيدٌ، عن قَتَادَةَ: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: ٤] يعني الشيطانَ، يُوَسْوِسُ في صدْرِ ابنِ آدَمَ، ويَخْنُسُ إذا ذَكَرَ اللهَ). [جامع البيان: ٢٤/٧٥٥]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (قالَ قَتادةُ: الخَنَّاسُ له خُرطومٌ كخُرطومِ الكلْبِ في صدْرِ الإنسانِ، فإذا ذكَرَ العبْدُ ربَّه خنَسَ). [الكشف والبيان: ١٠/٣٤١]

قالَ الحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ البَغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (وقالَ قَتَادةُ: الخَنَّاسُ له خُرطومٌ كخُرطومِ الكلْبِ في صَدْرِ الإنسانِ، فإذا ذَكَرَ العَبْدُ ربَّه خَنَسَ ويُقالُ: رأسُه كرأسِ الحَيَّةِ، واضِعٌ رأسَه على ثَمرَةِ القلْبِ يُمَنِّيهِ ويُحَدِّثُه،

فإذا ذَكَرَ الله خَنَسَ وإذا لم يَذْكُر رَجَعَ فوَضَعَ رأسَه فذلك: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [الناس: ٥]. [معالم التنزيل: ٧٢٧]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وقالَ قَتادَةُ: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: ٤] الشيطانُ له خُرْطُومٌ كخُرْطُومِ الكَلْبِ في صَدْرِ الإنسانِ، فإذَا غفَلَ الإنسانُ وَسْوَسَ له، وإذَا ذَكَرَ العَبْدُ رَبَّهُ خَنَسَ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ٢٦٢]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (قَالَ قتادة: إِنَّ الشيطانَ لهُ خُرْطُومٌ كَخُرْطُومِ الكلبِ في صدرِ الإنسانِ، فإذا غفَلَ ابنُ آدمَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَسْوَسَ لهُ، وإذا ذَكَرَ العبدُ ربَّهُ خنَسَ). [فتح القدير: ٥/ ٧٦٣]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (قَالَ قَتَادَةُ: إِنَّ الشيطانَ لهُ خرطومٌ كخرطومِ الكلبِ في صدرِ الإنسانِ، فإذا غَفَلَ ابنُ آدمَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَسْوَسَ لهُ، وإذا ذَكَرَ العبدُ رَبَّهُ خَنَسَ). [فتح البيان: ١٥/ ٤٦٧]

■ أثر يحيى بن أبي كثير

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبي الدُّنْيَا عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبي كَثِيرٍ قَالَ: إِنَّ الوَسْوَاسَ لَهُ بَابٌ فِي صَدْرِ ابْنِ آدَمَ يُوَسْوِسُ مِنْهُ). [الدر المنثور: ١٥/ ٨٠٨]

■ أثر عروة بن رويم

قالَ عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ الحَسَنِ الهَمَذَانِيُّ (ت: ٣٥٢هـ): (ثَنَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: ثَنَا آدَمُ، قَالَ: ثَنَا أَبُو فُضَالَةَ، قَالَ: ثَنَا عُرْوَةُ بنُ رُوَيْمٍ اللَّخْمِيُّ، أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ دَعَا رَبَّهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى أَنْ يُرِيَهُ مَوْضِعَ إِبْلِيسَ مِن بَنِي آدَمَ، فتجَلَّى لَهُ إِبْلِيسُ، فإِذَا رَأْسُه مِثْلُ رَأْسِ الحَيَّةِ، واضِعاً رَأْسَهُ عَلَى ثَمَرَةِ القَلْبِ، فإذَا ذَكَرَ العَبْدُ رَبَّهُ عَزَّ وجَلَّ، خَنَسَ إِبْلِيسُ برَأْسِه، وإِذَا تَرَكَ الذِّكْرَ، مَنَّاهُ وحَدَّثَهُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [الناس: ٤، ٥]. [تفسير مجاهد: ٧٩٧]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (وروى ابنُ فَضالَةَ عن عُروةَ بنِ رُوَيمٍ: أنَّ عيسى ابنَ مَريمَ عليه السلامُ دَعَا اللهَ تعالى أنْ يُرِيَهُ مَوْضِعَ الشيطانِ مِن ابنِ آدَمَ، فجُلِّيَ له، فإذا رأسُه مثلُ الحَيَّةِ، واضِعٌ رأسُه على ثَمَرَةِ قلْبِه، فإذا ذكرَ العبْدُ ربَّه خنسَ، وإذا لم يَذكُرْه وضعَ رأْسَه عليه فمَنَّاهُ وحَدَّثَه). [الكشف والبيان: ١٠/ ٣٤١]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَابْنُ أبي الدُّنْيَا وَابْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ رُوَيْمٍ، أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ دَعَا رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ مَوْضِعَ الشَّيْطَانِ مِنِ ابْنِ آدَمَ، فَجُلِّيَ لَهُ، فَإِذَا رَأْسُهُ مِثْلُ رَأْسِ الحَيَّةِ وَاضِعاً رَأْسَهُ عَلَى ثَمَرَةِ القَلْبِ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرْهُ وَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى ثَمَرَةِ قَلْبِهِ فَحَدَّثَهُ). [الدر المنثور: ١٥/ ٨٠٨- ٨٠٩]

■ أثر مقاتل بن سليمان

قالَ عَبْدُ الخَالِقِ بْنُ الحَسَنِ ابنُ أبي رُوبَا (ت:٣٥٦ هـ): حدَّثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ ثابتٍ الثَّورِيُّ عن أبيه عن الهُذَيْلِ بن حَبِيبٍ عنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ البلخيِّ (ت:١٥٠هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ٤﴾ [الناس: ٤] وهوَ الشَّيْطانُ في صُورَةِ خِنْزِيرٍ، مُعلَّقٌ بالقَلْبِ في جَسَدِ ابْنِ آدَمَ، وهوَ يَجْرِي مَجْرَى الدَّمِ، سَلَّطَهُ اللَّهُ على ذلك مِنَ الإِنْسان، فَذلك قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥﴾ [الناس: ٥] فإذا انْتَهى ابْنُ آدَمَ وَسْوسَ في قَلْبِهِ حَتَّى يَتبَلَّعَ قَلْبَهُ، والخَنَّاسُ الَّذِي إِذَا ذَكَرَ اللَّهَ ابْنُ آدَمَ خَنَسَ عن قَلْبِهِ، فذَهَبَ عَنْهُ، ويَخْرُجُ عن جَسَدِهِ). [تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٩/٣]

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (وقالَ مُقاتلٌ: إنَّ الشيطانَ في صُورةِ خِنْزيرٍ، يَجري في جسَدِ العَبْدِ مَجرَى الدَّمِ في العُروقِ سلَّطَه اللهُ عزَّ وجَلَّ على ذلك، فذلك قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥﴾ [الناس: ٥]). [الكشف والبيان: ٣٤١/١٠]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (ورُوِيَ عن عبدِ الرحمنِ بنِ الأَسْوَدِ، أَوْ غَيْرِهِ من التابعين، أنَّه قالَ - وقد كبرَ سِنُّهُ - : مَا أَمِنْتُ الزِّنَى، وَمَا يُؤَمِّنُنِي أنْ يُدْخِلَ الشيطانُ ذَكَرَهُ فيُوتِدَه! فهذا القولُ يُنْبِئُكَ أنه مُتَشَعِّبٌ في الجَسَدِ، وهذا معنَى قولِ مُقاتِلٍ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٣/٢٠]

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (فَصْلٌ في الكلامِ عَلَى الشَّيْطَانِ، قَالَ مُقَاتِلٌ: إنَّ الشَّيْطَانَ في سورَةِ خِنْزِيرٍ، يَجْرِي مِن ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ في عُرُوقِهِ، سَلَّطَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥﴾ [الناس: ٥]). [اللباب: ٥٧٨/٢٠] [هكذا في سورة، وهو خطأ طباعي صوابه: في صورة]

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: ١٢٥٠هـ): (قَالَ مقاتلٌ: إنَّ الشيطانَ في صورةِ خِنْزيرٍ يَجْرِي مِن ابْنِ آدمَ مَجْرَى الدمِ في عروقِهِ، سَلَّطَهُ اللَّهُ على ذلكَ، وَوَسْوَسَتُهُ هيَ الدعاءُ إلى طَاعَتِهِ بكلامٍ خَفِيٍّ يَصِلُ إلى القلبِ مِنْ غيرِ سَمَاعِ صَوْتٍ). [فتح القدير: ٧٦٣/٥]

قالَ مُحَمَّد صِدِّيق حَسَن خَان القِنَّوْجِيُّ (ت: ١٣٠٧هـ): (قالَ مُقَاتِلٌ: إنَّ الشيطانَ في صورةِ خنزيرٍ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدمَ مَجْرَى الدمِ في عُرُوقِهِ، سَلَّطَهُ اللَّهُ على ذلكَ). [فتح البيان: ٤٦٧/١٥]

■ أثر ثور الصنعاني

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ (ت: ٣١٠هـ): (حَدَّثَنَا ابنُ عبدِ الأعلى، قالَ: ثَنَا ابنُ ثَوْرٍ، عن أبيه، قالَ: ذُكِرَ لي أن الشيطانَ، أو قالَ: الوَسواسَ، يَنْفُثُ في قلبِ الإنسانِ عندَ الحُزْنِ وعندَ الفَرَحِ، وإذا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ). [جامع البيان: ٧٥٥/٢٤]

قلت: (ابن ثور هو محمد بن ثور الصنعاني أبو عبد الله العابد، وثقه يحيى بن معين وأبو حاتم وأثنى عليه في العبادة والفضل والصدق).

■ أثر سليمان بن طرخان التيمي

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤ هـ): (وقالَ المُعْتَمِرُ بنُ سُلَيْمَانَ، عن أبيهِ: ذُكِرَ لي أَنَّ الشيطانَ الوَسْوَاسَ يَنْفُثُ في قَلْبِ ابنِ آدَمَ عندَ الحُزْنِ وعندَ الفَرَحِ، فإذا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ). [تفسير القرآن العظيم: ٣٩١٢/٨]

قلت: (سليمان بن طرخان التيمي البصري أبو المعتمر، قال عنه ابن حجر: نزل في التيم فنسب إليهم ثقة عابد، وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، ووثقه الإمام أحمد والنسائي وجماعة قال العجلي: تابعي ثقة، وقال يحيى بن معين: كان يدلس، وقال يحيى بن سعيد: مرسلاته شبه لا شيء).

■ أقوال المفسرين في شأن الوسوسة

قَالَ الحُسَيْنُ بنُ أَحْمَدَ ابْنُ خَالويهِ (ت: ٣٧٠هـ): (وَذَلِكَ أَنَّ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللهُ يُوَسْوِسُ في قَلْبِ ابْنِ آدَمَ إذا غَفَلَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللهَ تَعَالَى العَبْدُ خَنَسَ أَيْ: تَأَخَّرَ). [إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٩] (م)

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (﴿ٱلْخَنَّاسِ ٤﴾ [الناس: ٤] الرَّجَّاع، وهو الشيطانُ جاثِمٌ على قلْبِ الإنسانِ، فإذا غفَلَ وَسْوَسَ وإذا ذكَرَ اللهَ سبحانَه انْخنَسَ). [الكشف والبيان: ٣٤١/١٠]

قالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الوَاحِدِيُّ (ت: ٤٦٨هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ [الناس: ٤]: يَعْنِي: ذَا الوَسْوَاسِ، وهو الشَّيْطَانُ، ﴿ٱلْخَنَّاسِ ٤﴾ [الناس: ٤]: وهو الذي يَخْنُسُ ويَرْجِعُ إذا ذُكِرَ اللهُ، والشَّيْطَانُ جَاثِمٌ على قَلْبِ الإنسانِ، فإذا ذَكَرَ اللهَ تَنَحَّى وخَنَسَ، وإذا غَفَلَ التَقَمَ قَلْبَهُ فحَدَّثَهُ ومَنَّاهُ، وهو قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥﴾ [الناس: ٥]). [الوجيز: ١٢٤٣/٢] (م)

قالَ هُودُ بْنُ مُحكَّمٍ الهواريُّ (ت: ق٣): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ٤﴾ [الناس: ٤] ذَكَرَ بَعْضُهم قالَ: إنَّ الشيطانَ جاثِمٌ على قَلْبِ ابْنِ آدَمَ فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ). [تفسير كتاب الله العزيز: ٥٤٥/٤] (م)

قالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنُ أبي زَمَنِينَ (ت: ٣٩٩هـ): (قولُه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ [الفلق: ١] إِلَى قَوْلِه: ﴿ٱلْخَنَّاسِ ٤﴾ [الناس: ٤]. قَالَ قَتَادَةُ: الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابنِ آدَمَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ). [تفسير القرآن العزيز: ١٧٥/٥] (م)

قالَ الشَّريفُ الرَّضِيُّ محمدُ بنُ الحُسَينِ الموسَوِيُّ (ت: ٤٠٦هـ): (وَجَاءَ فِي الخَبَرِ: إنَّ الشَّيْطَانَ يُوَسْوِسُ فِي العَبْدِ فَإِذَا ذَكَرَ العَبْدُ رَبَّهُ خَنَسَ وَقَبَعَ وَانْقَبَضَ). [تلخيص البيان: ٣٤١]

قالَ أَبُو المُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمْعَانِيُّ (ت: ٤٨٩هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ٤﴾ [الناس: ٤] هو الشيطانُ، والمعنى: مِن شَرِّ الشيطانِ ذي الوَسواسِ، ويُقالُ: سُمِّيَ وَسواسًا؛ لأنه يَجْثُمُ، فإنْ ذَكَرَ العبدُ ربَّه خَنَسَ - أي تَأَخَّرَ - وإن لم يَذْكُرْ: وَسْوَسَ. وفي روايةٍ: التَقَمَ ووَسْوَسَ أي القَلْبَ. وفيه خبرٌ صحيحٌ على هذا المعنى). [تفسير القرآن: ٣٠٨/٦]

قالَ الحُسَيْنُ بنُ مَسْعُودٍ البغَوِيُّ (ت: ٥١٦هـ): (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: ٤] يعني: الشيطانَ، يكونُ مَصدرًا واسْمًا.

قالَ الزَّجَّاجُ: يعني: الشيطانَ ذا الوَسْواسِ، "الخَنَّاسِ": الرَّجَّاعِ وهو الشيطانُ جاثِمٌ على قلْبِ الإنسانِ، فإذا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ، وإذا غفَلَ وَسْوَسَ). [معالم التنزيل: ٧٢٧]

قالَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الخازِنُ (ت: ٧٢٥هـ): (قِيلَ: إنَّ الشَّيْطَانَ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ الإِنْسَانِ، فَإِذَا غَفَلَ وَسَهَا وَسْوَسَ، وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ تعالى خَنَسَ الشَّيْطَانُ عَنْهُ وَتَأَخَّرَ.

وقالَ قَتَادَةُ: الخَنَّاسُ لَهُ خُرْطُومٌ كَخُرْطُومِ الكَلْبِ،

وَقِيلَ: كَخُرْطُومِ الخِنْزِيرِ فِي صَدْرِ الإنسانِ، فَإِذَا ذَكَرَ العَبْدُ رَبَّهُ خَنَسَ.

ويُقَالُ: رَأْسُهُ كَرَأْسِ الحَيَّةِ، وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى ثَمَرَةِ القَلْبِ يَمَسُّهُ وَيَجْذِبُهُ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ تعالى خَنَسَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ تعالى رَجَعَ وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى القَلْبِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [الناس: ٥]: يَعْنِي بالكَلامِ الخَفِيِّ الذي يَصِلُ مَفْهُومُهُ إلى القلبِ مِنْ غيرِ سماعٍ، والمرادُ بالصَّدْرِ القلبُ). [لباب التأويل: ٤/٥٠٣]

قالَ عَلِيُّ بْنُ عُثْمَانَ التُّرْكُمَانِيُّ (ت: ٧٥٠هـ): (وفِي التَّفْسِيرِ: لَهُ رَأْسٌ كَالحَيَّةِ يَجْثِمُ عَلَى قَلْبِ العَبْدِ، فإذا ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى خَنَسَ، أي: تَأَخَّرَ وتَنَحَّى، وإذا تَرَكَ الذِّكْرَ رَجَعَ إلى القَلْبِ فوَسْوَسَ). [بهجة الأريب: ٢٥٧]

قالَ ابنُ الهائِمِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِمَادٍ القَرَافِيُّ (ت: ٨١٥هـ): (وجاءَ في التفسيرِ: أنَّ له رَأْسًا كرأسِ الحَيَّةِ يَجثُمُ على القلْبِ يُوَسْوِسُ فيهِ، فإذَا ذَكَرَ اللَّهَ عزَّ وجلَّ العبْدُ خَنَسَ، أيْ: تأخَّرَ وتَنَحَّى. وإذَا تركَ ذِكْرَ اللَّهِ رَجَعَ إلى القَلْبِ فوسْوَسَ فيهِ). [التبيان: ٣٥٦]

قالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (قَالَ البَغَوِيُّ: لهُ خُرْطُومٌ كَخُرْطُومِ الكَلْبِ في صدرِ الإِنسانِ، وَيُقَالُ: رَأْسُهُ كرأسِ الحيَّةِ وَاضِعٌ رَأْسَهُ على يَمِينِ القلبِ، يُحَدِّثُهُ فإذا ذُكِرَ اللَّهُ خَنَسَ، وَإِذا لَمْ يُذْكَرِ اللَّهُ رَجَعَ وَوَضَعَ رَأْسَهُ خَزَاهُ اللَّهُ تَعَالَى). [نظم الدرر: ٨/٦١٥]

تعاظم الشيطان وتصاغره

حديث: لا تقل تعس الشيطان

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بن حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَاصِمٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا تَمِيمَةَ يُحَدِّثُ عَنْ رَدِيفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ شُعْبَةُ: قَالَ عَاصِمٌ: عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ عَنْ رَجُلٍ عَنْ رَدِيفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: عَثَرَ بالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَارُهُ فَقُلْتُ: (تَعِسَ الشَّيْطَانُ)

فَقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ فَإنَّكَ إِذَا قُلْتَ تَعِسَ الشَّيْطَانُ تَعاظَمَ وَقَالَ بِقُوَّتِي صَرَعْتُهُ وَإِذَا قُلْتَ: باسْمِ اللَّهِ تَصاغَرَ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الذُّبابِ »). [مسند الإمام أحمد: ١٩٩/٣٤]

قالَ أَبُو داوِدَ سُلَيمانُ بنُ الأشْعَثِ السِّجِسْتانِيُّ (ت:٢٧٥هـ): (حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةَ عَنْ خَالِدٍ - يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ - عَنْ خَالِدٍ - يَعْنِي الْحَذَّاءَ - عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ عَنْ رَجُلٍ قَالَ كُنْتُ رَدِيفَ النَّبي - صلى الله عليه وسلم- فَعَثَرَتْ دَابَّتُهُ فَقُلْتُ تَعِسَ الشَّيْطَانُ؛ فَقَالَ: « لا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ فَإنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ وَيَقُولَ بِقُوَّتِي وَلَكِنْ قُلْ: باسْمِ اللَّهِ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ »). [سنن أبي داوود:]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ اللهِ الحَاكِمُ النَّيْسابوريُّ (ت: ٤٠٥هـ): (حَدَّثَنا عَلِيُّ بنُ عِيسَى ثنا أَحْمَدُ بنُ نَجْدَةَ القُرَشِيُّ ثنا سَعِيدُ بنُ مَنصُورٍ ثنا مُحَمَّدُ بنُ حُمْرَانَ ثنا خَالدٌ الحَذَّاءُ عَن أَبِي تَمِيمةَ عَن أَبِي المَلِيحِ بنِ أُسَامَةَ عَن أَبيهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: كُنتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فَعَثَرَ بَعِيرُنَا فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيطَانُ فَقَالَ لِي النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: « لا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيطَانُ فَإِنَّهُ يَسْتَعْظِمُ حَتَّى يَكُونَ مَثْلَ البَيتِ وَيَقْوَى وَلَكِنْ قُلْ: باسْمِ اللهِ فَإِذَا قُلْتَ: باسْمِ اللهِ تَصَاغرَ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الذُّبَابِ»). [المستدرك:٣٢٥/٤]

قالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ القُرَشِيُّ (ت: ٧٧٤هـ): (وقالَ الإمامُ أحمدُ: حدَّثَنا محمدُ بنُ جعفرٍ، حدَّثَنا شُعْبَةُ، عن عاصِمٍ: سَمِعْتُ أبا تَمِيمَةَ يُحَدِّثُ عن رَدِيفِ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ، قالَ: عَثَرَ بالنَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ حِمارُه، فقلتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ. فقالَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم: « لا تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ؛ فإنَّكَ إذا قُلْتَ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ. تَعاظَمَ وقالَ: بِقُوَّتِي صَرَعْتُهُ. وإذا قُلْتَ: باسْمِ اللَّهِ. تَصاغَرَ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الذُّبابِ».

تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ، وإسْنَادُه جَيِّدٌ قَوِيٌّ، وفيهِ دَلالَةٌ على أنَّ القَلْبَ مَتَى ذَكَرَ اللَّهَ تَصاغَرَ الشَّيْطَانُ وغُلِبَ، وإِنْ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ تَعاظَمَ وغَلَبَ). [تفسير القرآن العظيم: ٣٩١٢/٨]

- **قلت:** (هذا الحديثُ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي مَواضِعَ مِن كُتُبِهِ، وَقَدْ سُئِلَ الدَّارَقُطْنِي عَنْ هذَا الحَدِيثِ فَقَالَ: (يَروِيهِ عاصِمٌ الأَحوَلُ، واختُلِف عَنهُ ؛ فَرَواهُ حَمّاد بن سَلَمَة، عَن عاصِمٍ الأَحوَلِ، عَن أَبي تَمِيمَة الهُجَيمِيِّ، مُرسَلاً، عَنِ النَّبيِّ صَلَّى الله عَلَيه وسَلم واسمُ أَبي تَمِيمَة طَرِيفُ بن مُجالِدٍ.

وَخالَفَهُ زُهَيرُ بن مُعاوِيَة، فَرَواهُ عَن عاصِمٍ، عَن أَبي تَمِيمَة، عَن رَدِيفِ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيه وسَلم، أَو عمَّن حَدَّثَهُ عَن رِدفِ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيه وسَلم ورَواهُ الثورِيُّ، وعَلِيُّ بن مُسهِرٍ، عَن عاصِمٍ، عَن أَبي تَمِيمَة، عَن ردف النَّبيِّ صَلَّى الله عَلَيه وسَلم وكَذَلِك رَواهُ خالِدٌ الحَذّاءُ، عَن أَبي تَمِيمَة وهُو الصَّوابُ).

دخول الشيطان في جوف الإنسان

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحَليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وُجُودُ الجِنِّ ثَابِتٌ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَاتِّفَاقِ سَلَفِ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا. وَكَذَلِكَ دُخُولُ الجِنِّيِّ فِي بَدَنِ الإِنْسَانِ ثَابِتٌ بِاتِّفَاقِ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ قَالَ اللَّهُ

تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِن ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ».

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ الإمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ قُلْتُ لأبي: إنَّ أَقْوَامًا يَقُولُونَ: إنَّ الجِنِّيَّ لا يَدْخُلُ فِي بَدَنِ المَصْرُوعِ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ يَكْذِبُونَ هَذَا يَتَكَلَّمُ عَلَى لِسَانِهِ.

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ أَمْرٌ مَشْهُورٌ فَإِنَّهُ يَصْرَعُ الرَّجُلَ فَيَتَكَلَّمُ بلِسَانٍ لا يَعْرِف مَعْنَاهُ وَيُضْرَبُ عَلَى بَدَنِهِ ضَرْبًا عَظِيمًا لَوْ ضُرِبَ بِهِ جَمَلٌ لأثَّرَ بهِ أثَرًا عَظِيمًا، وَالمَصْرُوعُ مَعَ هَذَا لا يُحِسُّ بالضَّرْبِ وَلا بالكَلامِ الَّذِي يَقُولُهُ، وَقَدْ يَجُرُّ المَصْرُوعَ وَغَيْرَ المَصْرُوعِ وَيَجُرُّ البِسَاطَ الَّذِي يَجْلِسُ عَلَيْهِ وَيُحَوِّلُ آلاتٍ وَيَنْقُلُ مِنْ مَكَانٍ إلَى مَكَانٍ وَيُجْرِي غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الأُمُورِ مَنْ شَاهَدَهَا أَفَادَتْهُ عِلْمًا ضَرُورِيًّا بأَنَّ النَّاطِقَ عَلَى لِسَانِ الإِنْسِيِّ، وَالمُحَرِّكَ لِهَذِهِ الأَجْسَامِ جِنْسٌ آخَرُ غَيْرُ الإِنْسَانِ.

وَلَيْسَ فِي أئِمَّةِ المُسْلِمِينَ مَنْ يُنْكِرُ دُخُولَ الجنِّيِّ فِي بَدَنِ المَصْرُوعِ وَغَيْرِهِ وَمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَادَّعَى أَنَّ الشَّرْعَ يُكَذِّبُ ذَلِكَ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى الشَّرْعِ وَلَيْسَ فِي الأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ مَا يَنْفِي ذَلِكَ). [مجموع الفتاوى:٢٤/٢٧٧]

أحاديث في دخول الشيطان في بدن الإنسان

حديث أم المؤمنين صفية بنت حيي

قالَ مُحَمَّدُ بنُ إسْمَاعِيلَ البُخَارِيُّ (ت: ٢٥٦هـ): (حَدَّثَنِي مَحْمُودُ بْنُ غَيْلانَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلاً؛ فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ؛ فَانْقَلَبْتُ فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَمَرَّ رَجُلانِ مِنَ الأَنْصَارِ فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَعَا؛ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ»

فَقَالا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ!

قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا» أَوْ قَالَ: (شَيْئًا)). [صحيح البخاري:كتاب بدء الخلق/باب صفة إبليس وجنوده]

- **قلت:** (تقدم بيان من روى الحديث من الأئمة).

حديث أبي سعيد الخدري

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَكْظِمْ مَا اسْتَطَاعَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ فِي فِيهِ»). [مسند الإمام أحمد: ١٧/٣٦٥]

- **قلت:** (هذا الحديث روي بألفاظ:

الأول: ما تقدم ذكره.

والثاني: بلفظه دون قوله: «في فيه» أخرجه ابن أبي شيبة، ومسلم في صحيحه من طريق ابن أبي شيبة عن وكيع به.

والثالث: بلفظ: «إذا تثاوب أحدكم فليضع يده على فيه فإن الشيطان يدخل مع التثاوب». رواه عبد الرزاق عن معمر عن سهيل به، وعنه الإمام أحمد.

الرابع: بلفظ: «إِذَا تَثَاوَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ» رواه أحمد ومسلم من طرق عن سهيل به.

الخامس: بلفظ: «إذا تثاءب أحدكم فليسد بيده فاه فإن الشيطان يدخل». رواه ابن خزيمة من طريق عبد العزيز الدراوردي عن سهيل به). (م)

إنكار الفلاسفة دخول الجني في بدن الإنسي

قالَ أَبو الثَّناءِ مَحْمُودُ بنُ عبدِ اللهِ الآلُوسِيُّ (ت: ١٢٧٠هـ): (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [الناس: ٥] قيلَ: أُريدَ قلوبُهم مَجازًا.

وقالَ بعضُهم: إنَّ الشيطانَ يَدْخُلُ الصدرَ الذي هو بمنزِلةِ الدِّهليزِ، فيُلقِي ما يُريدُ إلقاءَه إلى القلبِ ويُوَصِّلُه إليه، ولا مانِعَ عَقْلاً مِن دُخولِه في جَوفِ الإنسانِ، وقد وَرَدَ السمْعُ كما سَمِعْتَ فوَجَبَ قَبولُه والإيمانُ به، ومِن ذلك أنَّ الشيطانَ لَيَجْرِي مِن ابنِ آدمَ مَجْرَى الدمِ، ومِن الناسِ مَن حَمَلَه على التمثيلِ وقالَ في الآيةِ: إنها لا تَقْتَضِي الدخولَ كما يُنادِي عليه البيانُ الآتي.

وقالَ ابنُ سينا: (الوَسواسُ القُوَّةُ التي تُوقِعُ الوَسوسةَ وهي القوَّةُ المُتَخَيِّلَةُ بحَسَبِ صَيْرُورتِها مُستعمَلَةً للنفْسِ الحيوانيَّةِ، ثم إنَّ حَرَكَتَها تكونُ بالعكسِ، فإنَّ النفسَ وجهَتَها إلى المبادئِ المفارِقَةِ، فالقوَّةُ المتخيَّلَةُ إذا أخَذَتْها إلى الاشتغالِ بالمادَّةِ وعلائقِها فتلك القوَّةُ تَخْنِسُ، أي: تَتَحَرَّكُ بالعكْسِ، وتَجْذِبُ النفسَ الإنسانيَّةَ إلى العكسِ فلذلك تُسَمَّى خَنَّاسًا، ونحوَه ما قيلَ: إنه القُوَّةُ الوَهميَّةُ، فهي تُساعِدُ العقلَ في المُقَدِّماتِ، فإذا آلَ الأمرُ إلى النتيجةِ خَنَسَتْ وأَخَذَتْ تُوَسْوِسُه وتُشَكِّكُه) ا.هـ.

ولا يَخْفَى أنَّ تفسيرَ كلامِ اللهِ تعالى بأمثالِ ذلك مِن شَرِّ الوَسواسِ الخَنَّاسِ، والقاضي ذَكَرَ الأخيرَ عن سبيلِ التنظيرِ لا على وجهِ التمثيلِ والتفسيرِ بناءً على حُسْنِ الظنِّ به). [روح المعاني: ٢٨٧/٢٩] (م)

الوسواس في الوضوء

قالَ أَحْمَدُ بنُ مُحمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيُّ (ت: ٢٤١هـ): (حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ أَخْبَرَنِي أَشْعَثُ عَنِ الحَسَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي مُسْتَحَمِّهِ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ فِيهِ فَإِنَّ عَامَّةَ الوَسْوَاسِ مِنْهُ»). [مسند الإمام أحمد: ١٨٠/٣٤]

- **قلت:** (هذا الحديث رواه عبد الرزاق وأحمد وأبو داوود والترمذي وابن ماجة والنسائي والحاكم وابن حبان والبيهقي وغيرهم من طرق عن معمر عن أشعث عن الحسن عن عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه مرفوعاً.
وأشعث هو ابن عبد الله بن جابر الحداني البصري ويقال له: أشعث الأعمى مختلف فيه.
قال الذهبي: (كان من علماء البصرة كأشعث الحمراني، وهو صالح الحديث، وقد وثقه النسائي وغيره، وفي حديثه وهم، أورده العقيلي في الضعفاء، وقال الدار قطني: يعتبر به).
والحديث صححه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، وضعفه الألباني في عدة مواضع من كتبه).

- **قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ عُثْمَانَ بنِ قَايماز الذَّهَبِيُّ (ت:٧٤٨هـ):** (مَعْمَرٌ، عَنِ الأَشْعَثِ، عَنِ الحَسَنِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مُغَفَّلٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي مُسْتَحَمِّهِ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ فِيهِ، فَإِنَّ عَامَّةَ الوَسْوَاسِ مِنْهُ ».
قلتُ: مُرَادُهُ بالوَسْوَاسِ أَن يُصِيبَهُ مَسٌّ مِنَ الجَانِّ، وَمِنْهُ سُمِّيَ المسْرِفُ فِي المَاءِ مُوَسْوِسًا، شُبِّهَ بالمجْنُونِ، وَلا سِيَّمَا إِذَا كَبَّرَ أَحَدُهُمْ للفَرِيضَةِ، عَافَاهُمُ اللهُ تَعَالَى). [سير أعلام النبلاء: ٦/٢٧٤]

■ أثر عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، قَالَ: حدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ صُهْبَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُغَفَّلٍ المُزَنِيّ يَقُولُ: البَوْلُ فِي المُغْتَسَلِ يَأْخُذُ مِنْهُ الوَسْوَاسُ). [مصنف ابن أبي شيبة:١/١١٢]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ أبي شَيْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ قَالَ: البَوْلُ فِي المُغْتَسَلِ يَأْخُذُ مِنْهُ الوَسْوَاسُ). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٦]

- **قلت:** (رواه البخاري في صحيحه معلقاً بلفظه وأسنده العقيلي في الضعفاء فقال: حدثنا محمد بن إسماعيل قال: حدثنا شبابة قال: حدثنا شعبة عن قتادة عن عقبة بن صهبان قال: سمعت عبد الله بن مغفل يقول فذكره.
ومحمد بن إسماعيل هو الصائغ توفي سنة ست وسبعين ومئتين).

■ أثر إبراهيم التيمي

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدٍ ابنُ أبي شَيْبَةَ العَبْسِيُّ (ت:٢٣٥هـ): (حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنِ العَوَّامِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، قَالَ: أَوَّلُ مَا يَبْدَأُ الوَسْوَاسُ مِنَ الوُضُوءِ). [مصنف ابن أبي شيبة:١/١٦٦]

- **قلت:** (رجال الإسناد إلى إبراهيم التيمي ثقات أئمة).

قالَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّعْلَبِيُّ (ت: ٤٢٧هـ): (وأخبرَنا عبدُ اللهِ بنُ حامدٍ الأَصْفَهَانيُّ الوزَّانُ، أخبرَنا أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ، أخبرَنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ، أخبرَنا عثمانُ، أخبرَنا يزيدُ بنُ هارونَ، أخبرَنا العَوَّامُ بنُ حَوْشَبٍ، عن إبراهيمَ التَّيْمِيِّ، قالَ: أَوَّلُ ما يَبدأُ الوَسواسُ مِن قِبَلِ الوُضوءِ). [الكشف والبيان: ١٠/٣٤١]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وقالَ إبراهِيمُ التَّيْمِيُّ: أوَّلُ مَا يَبْدُو الوَسْوَاسُ مِن قِبَلِ الوُضُوءِ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٦٢]

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ أبي شَيْبَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ قَالَ: أَوَّلُ مَا يَبْدَأُ الوَسْوَاسُ مِنَ الوُضُوءِ). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٦]

■ أثر عمرو بن مرة

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ ابْنُ أبي شَيْبَةَ عَنْ عَمرِو بْنِ مُرَّةَ قَالَ: مَا وَسَاوِسُهُ بأَوْلَعَ مِمَّنْ يَرَاهَا تَعْمَلُ فِيهِ). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٦- ٨٠٧]

ما يفعله من ابتلي بالوسوسة

قالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبِيُّ (ت: ٨٧٥ هـ): (قَالَ النَّوَوِيُّ: قَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ: يُسْتَحَبُّ قَوْلُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ لِمَن ابْتُلِيَ بالوسوسةِ فِي الوُضُوءِ وَالصَّلاةِ وَشِبْهِهِمَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ الذِّكْرَ خَنَسَ؛ أَيْ: تَأَخَّرَ وَبَعُدَ، وَلا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ رَأْسُ الذِّكْرِ، وَلِذَلِكَ اخْتَارَ السادةُ الجِلَّةُ مِنْ صفوةِ هَذِهِ الأُمَّةِ أَهْلُ تَرْبِيَةِ السَّالِكِينَ وَتَأْدِيبِ المُرِيدِينَ قَوْلَ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ لأَهْلِ الخَلْوَةِ، وَأَمَرُوهُمْ بالمُدَاوَمَةِ عَلَيْهَا، وَقَالُوا: أَنْفَعُ عِلاجٍ فِي دَفْعِ الوسوسةِ الإقبالُ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى والإكثارُ مِنْهُ.

وَقَالَ السيِّدُ الجليلُ أَحْمَدُ بْنُ أبي الحَوَارِي: شَكَوْتُ إِلَى أبي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ الوَسْوَاسَ؛ فَقَالَ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَنْقَطِعَ عَنْكَ فَأَيُّ وَقْتٍ أَحْسَسْتَ بِهِ فَافْرَحْ، فَإِنَّكَ إِذَا فَرِحْتَ بِهِ انْقَطَعَ عَنْكَ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى الشَّيْطَانِ مِنْ سُرُورِ المُؤْمِنِ، وَإِنِ اغْتَمَمْتَ بِهِ زَادَكَ (ت).

وَهَذَا مِمَّا يُؤَيِّدُ مَا قَالَهُ بَعْضُ الأَئِمَّةِ: إِنَّ الوَسْوَاسَ إِنَّمَا يُبْتَلَى بِهِ مَنْ كَمُلَ إِيمَانُهُ، فَإِنَّ اللِّصَّ لا يَقْصِدُ بَيْتاً خَرِباً - انْتَهَى (ت) وَرَأَيْتُ فِي مُخْتَصَرِ الطَّبَرِيِّ نَحْوَ هَذَا). [الجواهر الحسان: ٥/٦٤٢]

علاج الوسوسة

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيءٍ الكَلْبِيُّ (ت: ٧٤١هـ): (وعلاجُ وَسوستِه بثلاثةِ أشياءَ:

واحدُها: الإكثارُ من ذِكْرِ اللهِ.

وثانيها: الإكثارُ من الاستعاذةِ باللهِ منه، ومِن أَنْفَعِ شيءٍ في ذلك قراءةُ هذه السورةِ.

وثالثُها: مخالَفَتُه والعزْمُ على عِصيانِه). [التسهيل: ٢٢٧]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (السابعةُ: قالَ الإمامُ الغزاليُّ في الإحياءِ أيضاً في بيانِ تَسلُّطِ الشيطانِ على القلْبِ بالوَسواسِ ومعنى الوَسوسةِ وسَبَبِ غلَبَتِها ما مثالُهُ:

اعْلَمْ أنَّ القلبَ في مِثالِ قُبَّةٍ مَضْرُوبَةٍ لها أبوابٌ تَنْصَبُّ إليهِ الأحوالُ مِنْ كلِّ بابٍ، ومثالُهُ أيضاً مِثالُ هَدَفٍ تَنْصَبُّ إليهِ السِّهامُ مِن الجوانبِ، أوْ هوَ مِثالُ مِرآةٍ مَنصوبةٍ تَجتازُ عليها أَصنافُ الصُّوَرِ الْمُخْتَلِفَةِ، فتَتَراءَى فيها صُورَةٌ بعدَ صورةٍ ولا يَخْلُو عنها، أوْ مِثالُ حَوْضٍ تَنْصَبُّ فيهِ مِياهٌ مُختلِفَةٌ مِنْ أنهارٍ مَفتوحةٍ إليهِ.

وإنَّما مَداخِلُ هذهِ الآثارِ الْمُتَجَدِّدَةِ في القلْبِ في كلِّ حالٍ، إمَّا مِن الظاهِرِ فالحَوَاسُّ الخَمسُ، وإمَّا مِن الباطنِ فالخَيالُ والشهوةُ والغضَبُ والأخلاقُ الْمُرَكَّبَةُ مِنْ مِزاجِ الإنسانِ؛ فإنَّهُ إذا أَدْرَكَ بالحواسِّ شيئاً حَصَلَ منهُ أَثَرٌ في القلْبِ.

وكذلكَ إذا هَاجَتِ الشهوةُ مَثَلاً بسببِ كَثرةِ الأَكْلِ وسببِ قُوَّةٍ مِن المِزاجِ، حَصَلَ منها في القلبِ أَثَرٌ، وإنْ كَفَّ عن الإحساسِ فالخَيالاتُ الحاصلةُ في النفْسِ تَبْقَى ويَنْتَقِلُ الخيالُ مِنْ شيءٍ إلى شيءٍ، وبحَسَبِ انتقالِ الخيالِ يَنتقِلُ القلْبُ مِنْ حالٍ إلى حالٍ آخَرَ.

والمقصودُ أنَّ القلْبَ في التغَيُّرِ والتأَثُّرِ دائماً مِنْ هذهِ الأسبابِ.

وأَخُصُّ الآثارَ الحاصلةَ في هذهِ الخواطِرِ، وأَعْنِي بالخواطِرِ ما يَحْصُلُ فيهِ مِن الأفكارِ والأَذْكَارِ، وأعني بهِ إدراكاتِهِ عُلُوماً، إمَّا على سبيلِ التَّجَدُّدِ، وإمَّا على سبيلِ التذَكُّرِ؛ فإنَّها تُسَمَّى خواطرَ مِنْ حيثُ إنَّهُ تَخْطِرُ بعدَ أنْ كانَ القلبُ غافلاً عنها.

والخواطِرُ هيَ الْمُحَرِّكَاتُ للإراداتِ؛ فإنَّ النيَّةَ والعزْمَ والإرادةَ إنَّما تكونُ بعدَ خُطورِ المَنْوِيِّ بالبالِ لا مَحالةَ، فمَبدأُ الأفعالِ الخواطِرُ، ثمَّ الخاطِرُ يُحَرِّكُ الرغبةَ، والرغبةُ تُحَرِّكُ العزْمَ، والعزْمُ يُحَرِّكُ النِّيَّةَ، والنيَّةُ تُحرِّكُ الأعضاءَ.

والخَوَاطِرُ الْمُحَرِّكَةُ للرغبةِ تَنقسِمُ إلى ما يَدْعُو للشرِّ، أَعْنِي إلى ما يَضُرُّ في العاقبةِ، وإلى ما يَدعو إلى الخيرِ، أعني إلى ما يَنفعُ في الدارِ الآخرةِ، فهما خاطرانِ مُختلِفانِ. فافْتَقَرَا إلى اسمَيْنِ مُختَلِفَيْنِ، فالخاطِرُ المحمودُ يُسَمَّى إلهاماً، والخاطرُ المذمومُ، أعني الدَّاعِيَ إلى الشرِّ، يُسَمَّى وَسْوَاساً.

ثمَّ إنَّكَ تَعلمُ أنَّ هذهِ الخواطِرَ حادثةٌ، ثمَّ إنَّ كُلَّ حادثٍ فلا بُدَّ لهُ مِنْ مُحْدِثٍ، ومهما اختَلَفَتِ الحوادثُ دَلَّ ذلكَ على اختلافِ الأسبابِ.

هذا ما عُرِفَ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ تعالى في ترتيبِ الْمُسَبَّباتِ على الأسبابِ، فمَهْمَا استَنارَتْ حِيطانُ البيتِ بنُورِ النارِ، وأَظْلَمَ سَقْفُهُ واسودَّ بالدُّخانِ، عَلِمْتَ أنَّ سببَ السَّوَادِ غيرُ سببِ الاستنارةِ، وكذلكَ لأَنْوَارِ القلْبِ وظُلمتِهِ سَبَبانِ مُختلِفانِ، فسببُ الخاطرِ الداعي إلى الخيرِ يُسَمَّى مَلَكاً، وسببُ الخاطِرِ الداعي إلى الشرِّ يُسَمَّى شَيطاناً، واللُّطْفُ الذي يَتَهَيَّأُ بِهِ القلبُ لقبولِ إلهامِ الخيرِ يُسَمَّى تَوْفِيقاً، والذي بِهِ يَتَهَيَّأُ لقبولِ وَسواسِ الشيطانِ يُسَمَّى إغواءً وخِذلاناً؛ فإنَّ المعانِيَ الْمُخْتَلِفَةَ تَفْتَقِرُ إلى أَسامٍ مختلِفَةٍ.

والمَلَكُ عبارةٌ عنْ خَلْقٍ خَلَقَهُ اللَّهُ تعالى، شأنُهُ إفاضةُ الخيرِ، وإفادةُ العلْمِ، وكَشْفُ الحقِّ، والوعْدُ بالخيرِ، والأمرُ بالمعروفِ، وقدْ خَلَقَهُ وسَخَّرَهُ لذلكَ.

والشيطانُ عِبارةٌ عنْ خَلْقٍ شأنُهُ ضِدُّ ذلكَ، وهوَ الوعْدُ بالشرِّ، والأمْرُ بالفحشاءِ، والتخويفُ عندَ الهَمِّ بالخيرِ بالفقْرِ. فالوَسوسةُ في مُقابَلَةِ الإلهامِ، والشيطانُ في مُقابَلَةِ المَلَكِ، والتوفيقُ في مُقابَلَةِ الخِذلانِ.

ثمَّ قالَ الغزاليُّ: ولا يَمْحُو وَسوسةَ الشيطانِ مِن القلبِ إلاَّ ذِكْرُ ما سِوَى ما يُوَسْوِسُ بهِ؛ لأنَّهُ إذا خَطَرَ في القلبِ ذِكْرُ شيءٍ انْعَدَمَ منهُ ما كانَ مِنْ قَبْلُ، ولكنَّ كلَّ شيءٍ سِوَى اللَّهِ تعالى، وسِوَى ما يَتَعَلَّقُ بهِ، فيَجوزُ أيضاً أنْ يكونَ مَجالاً للشيطانِ.

وذِكْرُ اللَّهِ هوَ الذي يُؤْمَنُ جانبُهُ، ويُعْلَمُ أنَّهُ ليسَ للشيطانِ فيهِ مَجالٌ، ولا يُعالَجُ الشيءُ إلاَّ بضِدِّهِ، وضِدُّ جميعِ وَساوسِ الشيطانِ ذِكْرُ اللَّهِ بالاستعاذةِ، والتبَرُّؤُ عن الحَوْلِ والقُوَّةِ، وهوَ معنى قَوْلِكَ: أَعوذُ باللَّهِ مِن الشيطانِ الرجيمِ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللَّهِ العَلِيِّ العظيمِ، وذلكَ لا يَقْدِرُ عليهِ إلاَّ المُتَّقُونَ الغالبُ عليهم ذِكْرُ اللَّهِ تعالى.

وإنَّما الشيطانُ يَطُوفُ عليهم في أوقاتِ الفَلَتَاتِ على سبيلِ الخِلسةِ، قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

ثمَّ قالَ: فالوَسوسةُ هيَ هذهِ الخواطرُ، والخواطرُ مَعلومةٌ، فإذَن الوَسواسُ معلومٌ بالمُشاهَدَةِ، وكلُّ خاطِرٍ فلهُ سَبَبٌ، ويَفتقِرُ إلى اسْمٍ يُعَرِّفُهُ، فَاسْمٌ سببُهُ الشيطانُ، ولا يُتَصَوَّرُ أنْ يَنْفَكَّ عنهُ آدَمِيٌّ، وإنَّما يَختلفونَ بعِصيانِهِ ومُتابعتِهِ، فقدِ اتَّضَحَ بهذا النوْعِ مِن الاستبصارِ معنى الوَسوسةِ والإلهامِ، والمَلَكِ والشيطانِ، والتوفيقِ والخِذلانِ، انْتَهى). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٨٢- ٥٨٤]

طريق النجاة من الوسواس الخناس

قالَ عَطِيَّة مُحَمَّد سَالِم (ت: ١٤٢٠هـ): (تنبيهٌ: إذا كانَ هذا كلُّه خَطَرَ الوَسواسِ الخَنَّاسِ مِن الجِنَّةِ والناسِ، وهما عَدُوٌّ مُشْتَرَكٌ ومُتَرَبِّصٌ حاقِدٌ حاسِدٌ، فما طريقُ النَّجاةِ منه؟

الذي يَظْهَرُ واللَّهُ تَعَالَى أعْلَمُ: أنَّ طريقَ النَّجاةِ تَعْتَمِدُ على أمْرَيْنِ:

الأَوَّلُ: يُؤْخَذُ مِن عُموماتِ الكتابِ والسُّنَّةِ.

والثاني: سَمِعْتُهُ مِن الشيخِ رحمةُ اللَّهِ تعالى عَلَيْنَا وعليه.

أمَّا الأَوَّلُ فهو: إذا كانَتْ مُهِمَّةُ الوَسواسِ التشكيكَ والذَّبْذَبَةَ والتردُّدَ، فإنَّ عُموماتِ التكليفِ تُلْزِمُ المسلِمَ بالعَزْمِ واليَقينِ والمُضِيِّ دُونَ تَرَدُّدٍ؛ كما في قوله: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وامْتَدَحَ بعْضَ الرُّسُلِ بالعَزْمِ وأمَرَ بالاقتداءِ بهم: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقالَ صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لا يَرِيبُكَ».

والقاعِدَةُ الفِقهيَّةُ: اليقينُ لا يُرْفَعُ بشَكٍّ.

والحديثُ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ لِأَحَدِكُمْ وَهُوَ فِي الصَّلاةِ فَيَنْفُخُ فِي مَقْعَدَتِهِ؛ فَيَتَخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ أَحْدَثَ وَلَمْ يُحْدِثْ، فَلا يَنْصَرِفْ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتاً أَوْ يَجِدَ رِيحاً».

ومِن هنا كانَتِ التكاليفُ كلُّها على اليقينِ، فالعقائدُ لا بُدَّ فيها مِن اليقينِ، والفُروعُ في العِباداتِ لا بُدَّ فيها مِن النِّيَّةِ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ».

والشرْطُ في النيَّةِ الجَزْمُ واليقينُ، فلو نَوَى الصلاةَ على أنه إنْ حَضَرَ فُلانٌ تَركَها لا تَنْعَقِدُ نِيَّتُه، ولو نَوَى صَوْماً أنه إنْ شاءَ أَفْطَرَ لا يَنْعَقِدُ صَوْمُه.

ونَصَّ مالِكٌ في (المُوَطَّأِ) أنه إنْ نَوَى ليومِ الشكِّ في لَيلتِه الصومَ غداً على أنه إنْ صَحَّ مِن رمضانَ فهو لرَمَضَانَ وإلاَّ فهو نافِلَةٌ، لا يَنْعَقِدُ صَوْمُه لا فَرْضاً ولا نَفْلاً حتى لو جاءَ رمضانُ لا يُعْتَبَرُ له منه، وعليه قَضاؤُه لعَدَمِ الجَزْمِ بالنيَّةِ.

والحَجُّ لو نَواهُ لَزِمَه، ولَزِمَهُ المُضِيُّ فيه، ولا يَمْلِكُ الخروجَ منه باختيارِه.

وهكذا المُعَامَلاتُ في جميعِ العُقودِ مَبْنَاها على الجَزْمِ حتى في المَزْحِ واللَّعِبِ يُؤَاخَذُ في البعْضِ كالنِّكاحِ والطلاقِ والعِتَاقِ.

فمِن هذا كلِّه كانَتْ دَوافِعُ العزيمةِ مُسْتَقَاةً مِن التكاليفِ مِمَّا يَقْضِي على نوازِعِ الشكِّ والتردُّدِ، ولم يَبْقَ في قلْبِ المؤمنِ مَجالٌ لشَكٍّ ولا مَحَلٌّ لوَسْوَسَةٍ.

وقد كانَ الشيطانُ يَفِرُّ مِن طريقِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنه.

أمَّا الذي كُنْتُ سَمِعْتُه مِن الشيخِ - رحمةُ اللَّهِ تعالى عَلَيْنا وعليه- فقولُه: لقد عَلَّمَنا اللَّهُ كَيفيَّةَ اتِّقاءِ العَدُوِّ مِن الإِنْسِ ومِن الجِنِّ.

أمَّا العَدُوُّ مِن الإنْسِ ففي قَوْلِه تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤]؛ فدَلَّ على أنَّ مُقابَلَةَ إساءةِ العَدُوِّ بالإحسانِ إليه تُذْهِبُ عَداوتَه وتُكْسِبُ صَداقتَه؛ كما قالَ تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

وأمَّا عَدُوُّ الجِنِّ ففي قَوْلِه تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت: ٣٦] وهو ما يَدُلُّ عليه ما تَقَدَّمَ مِن الآثارِ مِن أنَّ الشيطانَ يَخْنُسُ إذا سَمِعَ ذِكْرَ اللَّهِ.

وعلى قولِه رَحِمَه اللَّهُ فإنَّ شَيطانَ الجِنِّ يَنْدَفِعُ بالاستعاذةِ منه باللَّهِ، ويَكْفِيهِ ذلك؛ لأنَّ كَيْدَ الشيطانِ كانَ ضَعيفاً، أمَّا شَيطانُ الإنْسِ فهو في حاجةٍ إلى مُصانَعةٍ ومُدافَعةٍ والصبرِ عليه، كما يُرْشِدُ إليه قَوْلُهُ تعالى: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت: ٣٥] رَزَقَنا اللَّهُ تعالَى وجميعَ المُسْلِمِينَ حَظًّا عظيماً في الدنيا والآخِرَةِ إنه المسؤولُ وخيرُ مأمولٍ). [تتمة أضواء البيان: ٩/٦٩- ٧٠]

حديث منكر

قالَ سُليمانُ بنُ أَحمدَ بنِ أَيُّوبَ الطَّبَرَانِيُّ (ت:٣٦٠هـ): (حدثنا عبدان بن أحمد ثنا سعيد بن أبي الربيع السمان ثنا سعيد بن عنبسة القطان ثنا المهاجر بن المنيب عن أبي المليح بن أسامة عن أبيه: أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني أشكو إليك وسوسة أجدها في صدري إني أدخل صلاتي فما أدري على شفع أنفتل أم على وتر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَإِذَا وَجَدتَ ذَلِكَ فَارفَعْ إِصبعَكَ السَّبَّابَةَ اليُمْنَى فَاطْعَنْهُ فِي فَخِذِكَ اليُسْرَى وَقُلْ: باسمِ اللهِ فَإِنَّهَا سِكِّينُ الشَّيطَانِ»). [المعجم الكبير: ١/١٥٩- ١٦٠، رقم:٥١٢]

- **قال محمد ناصر الدين الألباني (ت:١٤٢٠هـ):** (منكر، أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (١/١٥٩ - ١٦٠)، والعقيلي في "الضعفاء" (٤/٢٠٩)، والدولابي في "الكنى" (٢/١٣٠) من طريق عنبسة بن سعيد: ثَنَا المُهَاجِرُ بن المُنِيبِ عَنْ أبي المَلِيحِ بن أُسَامَةَ عَنْ أبيهِ: أَنَّ رَجُلا أَتَى النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ وَسْوَسَةً أَجِدُهَا فِي صَدْرِي، إِنِّي أَدْخُلُ فِي صَلاتِي، فَمَا أَدْرِي عَلَى شَفْعٍ أَنْفَتِلُ أَمْ عَلَى وِتْرٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ...فذكره.

قلت: وهذا إسناد ضعيف مجهول، أورده العقيلي في ترجمة مهاجر بن المنيب، وقال: (مجهول بالنقل، لا يتابع على حديثه، ولا يعرف إلا به)، وأقره الذهبي في "الميزان" وساق له هذا الحديث. وقال في "المغني": (لا يعرف، وخبره منكر).

وعنبسة بن سعيد هو القطان صرحت بذلك رواية الطبراني، وهو ضعيف اتفاقاً، وبعضهم تركه.

وتابعه أبو سعيد عن مهاجر أبي المنيب... به مع بعض اختصار، أخرجه البزار في "مسنده: (١/٢٧٩/٥٨٠ - كشف الأستار) وقال: (لا نعلمه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا من هذا الوجه، وأبو سعيد - وهو الحسن بن دينار - ومهاجر أبو منيب بصري، وليسا بالقويين في الحديث).

قلت: لقد لطَّف القولَ في الحسن بن دينار، فحاله شر مما قال، فقد تركه وكيع وابن المبارك، وكذبه أحمد ويحيى وغيرهما كما تقدم تحت الحديث (٦٤٢٤)، ثم إنه قد خفي عليه أنه تابعه عنبسة القطان كما رأيت.

(تنبيه): هناك بعض الأخطاء وقعت في بعض مصادر الحديث المذكورة:

أولاً: انقلب في "معجم الطبراني" اسم (عنبسة بن سعيد) إلى (سعيد بن عنبسة)! فلا أدري أهكذا الرواية فيه فهو خطأ من أحد الرواة، أو هو خطأ مطبعي؟

ثانياً: زاد محققه الأخ حمدي أداة الكنية بين (المهاجر) و(المنيب) فصار هكذا (المهاجر بن [أبي] المنيب). وهذه الزيادة خطأ، لأن (أبو منيب) هي كنية المهاجر، كما في كتب الرجال، وكما تقدم في تعقيب البزار على الحديث، فليست هي كنية أبيه.

ثالثاً: سقط من إسناد "كنى الدولابي" قوله: "عن أبي المليح بن أسامة"، وبقيت فيه نسبة (الهذلي) الدالة عليه فصار هكذا: "عن مهاجر أبي المنيب الهذلي عن أبيه"!). [السلسلة الضعيفة:٦٤٣٢]

وجوب دوام الاستعاذة والحذر من كيد الشيطان

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (فإذا أَرادَ الحقُّ إِعانَةَ عَبْدٍ حَمَلَهُ على الاستعانةِ بالاستعاذةِ، فَيَسَّرَ عَلَيْهِ صِدْقَ التَّوَكُّلِ، فَحِينَئِذٍ يَصِيرُ عابداً صادِقاً في العُبُودِيَّةِ، فيكونُ إِلَهُهُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بهِ، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بهِ، ويَدَهُ التي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ التي يَمْشِي بها.

ويَنْبَغِي أَنَّهُ كُلَّمَا زَادَهُ سُبْحَانَهُ وتعالى تَقْرِيباً ازْدَادَ لهُ عبادةً حتَّى يَنْفَكَّ مِنْ مَكْرِ الشيطانِ بالموتِ، كما قَالَ تعالى لأقربِ خَلْقِهِ إليهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٩].

ومَن نَقَصَ مِنَ الأعمالِ شَيْئاً اعْتِمَاداً على أَنَّهُ وَصَلَ، فقدْ تَزَنْدَقَ، وكانَ مَثَلُهُ مَثَلَ شَخْصٍ في بيتٍ مُظْلِمٍ أَسْرَجَ فيهِ سِرَاجاً فَأَضَاءَ، فَقَالَ: ما أَوْقَدْتُ السِّرَاجَ إلاَّ لِيُضِيءَ البيتَ، فَقَدْ أَضَاءَ، فلا حَاجَةَ لي الآنَ إلى السِّرَاجِ فَأَطْفَأَهُ، فَعَادَ الظلامُ كما كانَ). [نظم الدرر: ٨/٦١٨]

الاستعاذة تكون بالقول والقصد والعمل

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (السادسةُ: قالَ الإمامُ الغزاليُّ في الإحياءِ في بيانِ تَفصيلِ ما يَنبغِي أنْ يَحْضُرَ في القلبِ عندَ كلِّ رُكْنٍ وشَرْطٍ مِنْ أعمالِ الصلاةِ ما مثالُهُ: وإذا قُلْتَ: أَعُوذُ باللَّهِ مِن الشيطانِ الرجيمِ، فاعْلَمْ أَنَّهُ عَدُوُّكَ ومُتَرَصِّدٌ لصَرْفِ قلْبِكَ عن اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ؛ حسَداً لكَ على مُناجاتِكَ معَ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ، وسُجُودِكَ لهُ معَ أَنَّهُ لُعِنَ بسَبَبِ سَجدةٍ واحدةٍ تَرَكَها ولم يُوَفَّقْ لها.

وإنَّ اسْتِعَاذَتَكَ باللَّهِ سبحانَهُ منهُ بتَرْكِ ما يُحِبُّهُ وتبديلِهِ بما يُحِبُّ اللَّهُ عزَّ وجَلَّ، لا بمُجَرَّدِ قَوْلِكَ؛ فإنَّ مَنْ قَصَدَهُ سَبُعٌ أوْ عَدُوٌّ لِيَفْتَرِسَهُ أوْ لِيَقْتُلَهُ فقالَ: أَعُوذُ منكَ بهذا الحِصْنِ الحَصينِ، وهوَ ثابتٌ على مكانِهِ ذلكَ لا يَنْفَعُهُ، بلْ لا يُفيدُهُ إلاَّ بتبديلِ المكانِ؛ فكذلكَ مَنْ يَتَّبِعُ الشهواتِ التي هيَ مَحَابُّ الشيطانِ ومَكارِهُ الرحمنِ، فلا يُغْنِيهِ مُجَرَّدُ القولِ، فلْيَقْتَرِنْ قولُهُ بالعزْمِ على التعَوُّذِ بحِصْنِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ عنْ شَرِّ الشيطانِ. وحِصْنُهُ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ؛ إذْ قالَ عزَّ وجلَّ فيما أَخْبَرَ عنهُ نَبِيُّنا صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: «لا إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ حِصْنِي، فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي»، والمُتَحَصِّنُ بهِ مَنْ لا مَعْبُودَ لهُ سِوَى اللَّهِ سُبحانَهُ، فأمَّا مَن اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَواهُ، فهوَ في مَيدانِ الشيطانِ لا في حِصْنِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، انْتَهَى.

ومُلَخَّصُهُ أنَّ التَّعُوُّذَ ليسَ هوَ مُجَرَّدَ القولِ، بل القَوْلُ عِبارةٌ عمَّا كانَ لِلْمُتَعَوِّذِ مِن ابتعادِهِ بالفعْلِ عمَّا يَتَعَوَّذُ منهُ، فكانَ تَرجمةً لِحَالِهِم.

وهذا المعنى كانَ يَلُوحُ لي مِنْ قَبْلِ أنْ أَراهُ في كلامِ حُجَّةِ الإسلامِ، حتَّى رَأَيْتُهُ فحَمِدْتُ اللَّهَ على المُوَافَقَةِ). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٨١- ٥٨٢]

ما يعتصم به العبد من الشيطان

قالَ ابْنُ القيِّمِ مُحَمَّدُ بْنُ أبي بَكْرٍ الزُّرَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ (ت: ٧٥١ هـ): (ونَخْتِمُ الكلامَ على السورتين بذِكْرِ قاعدةٍ نافعةٍ فيما يَعْتَصِمُ به العَبْدُ من الشيطانِ، ويَسْتَدْفِعُ به شَرَّهُ ويَحْتَرِزُ به منه.

وذلك عشرةُ أسبابٍ:

أحدُها: الاستعاذةُ باللهِ من الشيطانِ، قالَ تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٦] وفي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وقد تَقَدَّمَ أنَّ السمعَ المرادُ به ههنا سَمْعُ الإباحةِ، لا مُجَرَّدُ السمعِ العامِّ، وتَأَمَّلْ سِرَّ القرآنِ كيفَ أَكَّدَ الوَصْفَ بالسميعِ العليمِ بذِكْرِ صيغةِ (هو) الدالِّ على تأكيدِ النِّسبةِ واختصاصِها، وعَرَّفَ الوَصْفَ بالألِفِ واللامِ في سورةِ (حم) لاقتضاءِ المَقامِ لهذا التأكيدِ، وتَرَكَهُ في سورةِ الأعرافِ لاستغناءِ المَقامِ عنه؛ فإنَّ الأمْرَ بالاستعاذةِ في سورةِ (حم) وَقَعَ بعدَ الأمْرِ بأشَقِّ الأشياءِ على النفْسِ، وهو مُقابَلَةُ إساءةِ المسيءِ بالإحسانِ إليه، وهذا أمْرٌ لا يَقدِرُ عليه إلا الصابرونَ، ولا يُلَقَّاهُ إلا ذو حظٍّ عظيمٍ، كما قالَ اللهُ تعالى.

والشيطانُ لا يَدَعُ العبْدَ يَفعَلُ هذا، بل يُريه أنَّ هذا ذُلٌّ وعَجْزٌ ويُسَلِّطُ عليه عَدُوَّه فيَدْعُوه إلى الانتقامِ ويُزَيِّنُه له، فإنْ عَجَزَ عنه دَعاهُ إلى الإعراضِ عنه، وأن لا يُسيءَ إليه ولا يُحْسِنَ فلا يُؤْثِرُ الإحسانَ إلى المُسيءِ إلا مَن خالَفه، وآثَرَ اللهَ وما عندَه على حَظِّه العاجِلِ، فكان المَقامُ مَقامَ تأكيدٍ وتَحريضٍ فقالَ فيه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٦].

وأمَّا في سورةِ الأعرافِ فإنه أَمَرَه أن يُعْرِضَ عن الجاهلينَ، وليس فيها الأمْرُ بمُقابَلَةِ إساءتِهم بالإحسانِ بل بالإعراضِ، وهذا سَهْلٌ على النفوسِ غيرُ مُسْتَعْصٍ عليها، فليس حِرْصُ الشيطانِ وسَعْيُه في دَفْعِ هذا كحِرْصِه على دفْعِ المُقابَلَةِ بالإحسانِ، فقالَ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وقد تَقَدَّمَ ذِكْرُ الفَرْقِ بينَ هذين الموضعين وبينَ قولِه في (حم المؤمن): ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾ [غافر: ٥٦] وفي صحيحِ البخاريِّ، عن عَدِيِّ بنِ ثابتٍ، عن سليمانَ بنِ صُرَدٍ قالَ: كنتُ جالسًا مع النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورَجلان يَسْتَبَّانِ، فأحدُهما احْمَرَّ وجْهُه وانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُه، فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ».

الحِرْزُ الثاني: قراءةُ هاتينِ السورتينِ فإنَّ لهما تأثيرًا عَجِيبًا في الاستعاذةِ باللهِ من شَرِّه ودَفْعِه والتحصُّنِ منه.

ولهذا قالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَعَوَّذَ الْمُتَعَوِّذُونَ بِمِثْلِهِمَا» وقد تَقَدَّمَ أنه كان يَتَعَوَّذُ بهما كلَّ ليلةٍ عندَ النومِ، وأَمَرَ عُقبةَ أن يَقرأَ بهما دُبُرَ كلِّ صلاةٍ، وتَقَدَّمَ قولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مَنْ قَرَأَهُمَا مَعَ سُورَةِ الإِخْلاصِ ثَلاثًا حِينَ يُمْسِي وَثَلاثًا حِينَ يُصْبِحُ كَفَتْهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ».

الحِرْزُ الثالثُ: قراءةُ آيةِ الكُرْسِيِّ، ففي الصحيحِ من حديثِ مُحَمَّدِ بنِ سيرينَ، عن أبي هُريرةَ قالَ: وَكَّلَنِي رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفظِ زكاةِ رَمضانَ، فأتى آتٍ فجعَلَ يَحْثُو من الطعامِ، فأَخَذْتُه فقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إلى رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكَرَ الحديثَ فقالَ: **(إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ ولا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ).**
فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ الشَّيْطَانُ» وسَنَذْكُرُ إن شاءَ اللهُ تعالى السرَّ الذي لأَجْلِه كان لهذه الآيةِ العظيمةِ هذا التأثيرُ العظيمُ في التَّحَرُّزِ من الشيطانِ، واعتصامِ قارِئِها بها، في كلامٍ مُفْرَدٍ عليها وعلى أسرارِها وكُنوزِها بعَوْنِ اللهِ وتأييدِه.

الحِرْزُ الرابعُ: قراءةُ سورةِ البقرةِ، ففي الصحيحِ من حديثِ سَهْلٍ، عن عبدِ اللهِ، عن أبي هُريرةَ، أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَإِنَّ البَيْتَ الذي تُقْرَأُ فِيهِ البَقَرَةُ لا يَدْخُلُهُ الشَّيْطَانُ».

الحِرْزُ الخامسُ: قِراءةُ خاتِمَةِ سورةِ البقرةِ، فقد ثَبَتَ في الصحيحِ من حديثِ أبي موسى الأنصاريِّ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ الآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ» وفي التِّرمذيِّ، عن النُّعمانِ بنِ بشيرٍ، عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ بِأَلْفَيْ عَامٍ أَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ البَقَرَةِ فَلا يُقْرَآنِ فِي دَارٍ ثَلاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ».

الحِرْزُ السادسُ: أوَّلُ سورةِ حم المؤمنِ إلى قولِه: ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾ [غافر:٣] مع آيةِ الكُرْسِيِّ، في التِّرمذيِّ من حديثِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبي بكرٍ، عن ابنِ أبي مُلَيْكَةَ، عن زُرارةَ بنِ مُصْعَبٍ، عن أبي سَلَمَةَ، عن أبي هُريرةَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ حم المؤمنِ إلى ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ وآيةَ الكُرْسِيِّ، حينَ يُصبحُ حُفِظَ بهما حتى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَرَأَهُمَا حِينَ يُمْسِي حُفِظَ بِهِمَا حَتَّى يُصْبِحَ» وعبدُ الرحمنِ المُلَيْكِيُّ، وإن كان قد تُكُلِّمَ فيه من قِبَلِ حِفْظِه فالحديثُ له شَواهدُ في قراءةِ آيةِ الكرسيِّ، وهو مُحْتَمِلٌ على غَرابتِه.

الحِرْزُ السابعُ: لا إلهَ إلا اللهُ وحْدَه لا شَريكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ مائةَ مرَّةٍ.
ففي الصحيحينِ من حديثِ سُمَيٍّ مولى أبي بَكْرٍ، عن أبي صالحٍ، عن أبي هُريرةَ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «مَن قالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عِدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ

يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ» فهذا حِرْزٌ عظيمُ النفعِ جليلُ الفائدةِ يَسيرٌ سَهْلٌ على مَن يَسَّرَه اللهُ عليه.

الحرزُ الثامنُ: وهو من أنْفعِ الحُروزِ من الشيطانِ كثرةُ ذكْرِ اللهِ - عَزَّ وجَلَّ - ففي التِّرْمِذِيِّ من حديثِ الحارثِ الأشعريِّ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ «إنَّ اللهَ أَمرَ يحيَى بْنَ زَكريَّا بخَمْسِ كَلِماتٍ أن يَعْمَلَ بها ويأْمُرَ بني إسرائيلَ أن يَعْمَلوا بها، وإنه كاد أن يُبْطِئَ بها؛ فقالَ عِيسى: إنَّ اللهَ أَمرَك بخَمْسِ كلماتٍ لتَعْمَلَ بها وتَأْمُرَ بني إسرائيلَ أن يَعْمَلوا بها فإمَّا أن تَأْمُرَهُم وإمَّا أن آمُرَهُم.

فقالَ يَحْيَى: أَخْشَى إن سَبَقْتَنِي بها أن يُخْسَفَ بي أو أُعَذَّبَ، فجَمَعَ الناسَ في بيتِ المَقدِسِ فامْتَلأَ وقَعَدوا على الشُّرَفِ فقالَ: إنَّ اللهَ أَمَرَني بخَمْسِ كلماتٍ أن أَعْمَلَ بهنَّ وآمُرَكُم أن تَعملوا بهنَّ:

أَوَّلُهُنَّ: أن تَعْبُدوا اللهَ ولا تُشْرِكوا به شيئًا، وأنَّ مَثَلَ مَن أَشْرَكَ باللهِ كمَثَلِ رجلٍ اشترى عَبْدًا من خالِصِ مالِه بذَهَبٍ أو وَرِقٍ فقالَ: هذه داري وهذا عَمَلِي، فاعْمَلْ وأَدِّ إليَّ؛ فكان يَعملُ ويُؤَدِّي إلى غيرِ سيِّدِه، فأَيُّكُمْ يَرْضَى أنْ يكونَ عَبْدُه كذلك، - وأنَّ اللهَ أَمَرَكم بالصلاةِ؛ فإذا صَلَّيْتُم فلا تَلْتَفِتوا؛ فإنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَه لوجْهِ عَبْدِه في صلاتِه ما لم يَلْتَفِتْ.

- وأمَرَكُم بالصيامِ؛ فإنَّ مَثَلَ ذلك كمَثَلِ رجُلٍ في عِصابةٍ معه صُرَّةٌ فيها مِسكٌ، فكُلُّهم يُعْجَبُ أو يُعْجِبُه رِيحُها، وإنَّ ريحَ الصائمِ أَطْيَبُ عندَ اللهِ من ريحِ المِسكِ.

- وأمَرَكم بالصَّدَقةِ؛ فإنَّ مَثَلَ ذلك كمَثَلِ رجُلٍ أَسَرَه العدوُّ فأَوْثَقُوا يَدَه إلى عُنُقِه وقَدَّمُوه ليَضْرِبوا عُنُقَه، فقالَ: أنَا أَفْدِيهِ مِنْكُم بالقليلِ والكثيرِ ففَدَى نفسَه منهم.

- وأمَرَكُم أن تَذْكُروا اللهَ؛ فإنَّ مَثَلَ ذلك كمَثَلِ رَجُلٍ خرَجَ العدُوُّ في أَثَرِه سِراعًا حتى أَتَى على حِصْنٍ حَصينٍ فأَحْرَزَ نفسَه منه، كذلك العَبْدُ لا يُحرِزُ نفسَه من الشيطانِ إلا بذِكْرِ اللهِ».

قالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وأَنَا آمُرُكُمْ بخَمْسٍ، اللهُ أَمَرَني بهنَّ: السَّمْعُ، والطاعةُ، والجِهادُ، والهِجرةُ، والجَماعةُ، فإنَّ مَن فَارَقَ الجَماعةَ قِيدَ شِبْرٍ فقد خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلامِ من عُنُقِه إلا أنْ يُراجِعَ، ومَن ادَّعَى دَعْوَى الجاهليَّةِ فإنه من جثَاءِ جَهَنَّمَ».

فقالَ رجُلٌ: يا رسولَ اللهِ، وإن صَلَّى وصَامَ، قالَ: «وإنْ صَلَّى وصَامَ، فادْعُوا بدَعْوَى اللهِ الذي سَمَّاكُمُ المسلمينَ المؤمنينَ عِبَادَ اللهِ» قالَ التِّرمذيُّ: هذا حديثٌ حسَنٌ غريبٌ صحيحٌ. وقالَ البخاريُّ: الحارثُ الأشعريُّ له صُحْبَةٌ، وله غيرُ هذا الحديثِ.

فقد أَخْبَرَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديثِ أنَّ العبْدَ لا يُحْرِزُ نفسَه من الشيطانِ إلا بذِكْرِ اللهِ، وهذا بعينِه هو الذي دَلَّتْ عليه سورةُ: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، فإنه وَصَفَ الشيطانَ فيها بأنه الخَنَّاسُ، والخَنَّاسُ الذي إذا ذَكَرَ العبْدُ اللهَ انْخَنَسَ، وتَجَمَّعَ وانْقَبَضَ، وإذا غَفَلَ عن ذِكْرِ اللهِ التَقَمَ القلْبَ وأَلْقَى إليه الوَساوِسَ التي هي مَبادئُ الشرِّ كلِّه، فما أَحْرَزَ العبْدُ نَفْسَه من الشيطانِ بمِثْلِ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

الحِرْزُ التاسعُ: الوُضوءُ والصلاةُ، وهذا من أَعْظَمِ ما يُتَحَرَّزُ به منه، ولا سِيَّما عندَ تَوارُدِ قُوَّةِ الغضَبِ والشهوةِ، فإنها نارٌ تَغْلِي في قلْبِ ابنِ آدَمَ، كما في التِّرْمِذِيِّ من حديثِ أبي سعيدٍ الخُدريِّ، عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قالَ: «أَلا وَإِنَّ الغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، أَمَا رَأَيْتُمْ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ، فَمَنْ أَحَسَّ بشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَلْصَقْ بالأَرْضِ».

وفي أَثَرٍ آخَرَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنْ نَارٍ وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بالمَاءِ» فما أطفأَ العبْدُ جَمرةَ الغضَبِ والشهوةِ بمِثْلِ الوُضوءِ والصلاةِ، فإنها نارٌ والوُضوءُ يُطفِئُها، والصلاةُ إذا وَقَعَتْ بخشوعِها والإقبالِ فيها على اللهِ أَذْهَبَتْ أَثَرَ ذلك كلِّه، وهذا أَمْرٌ تَجْرِبَتُه تُغْنِي عن إقامةِ الدليلِ عليه.

الحِرْزُ العاشِرُ: إمساكُ فضولِ النظَرِ والكلامِ والطعامِ ومُخالَطةِ الناسِ، فإنَّ الشيطانَ إنما يَتَسَلَّطُ على ابنِ آدمَ، ويَنالُ منه غَرَضَه من هذه الأبوابِ الأربعةِ، فإنَّ فُضولَ النظَرِ يَدعو إلى الاستحسانِ ووقوعِ صورةِ المَنظورِ إليه في القلْبِ والاشتغالِ به والفِكرةِ في الظَّفَرِ به، فمَبدأُ الفِتنةِ من فُضولِ النظَرِ، كما في المُسْنَدِ عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قالَ: «النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ، فَمَنْ غَضَّ بَصَرَهُ للهِ أَوْرَثَهُ اللهُ حَلاوَةً يَجِدُهَا فِي قَلْبِهِ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ» أو كما قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالحوادثُ العِظامُ إنما كلُّها من فُضولِ النظَرِ، فكم نَظرةٍ أَعْقَبَتْ حَسَراتٍ لا حَسرةً، كما قالَ الشاعرُ:

كُلُّ الحوادثِ مَبْدَاها من النظَرِ ... ومُعْظَمُ النارِ من مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ
كم نَظرةٍ فتَكَتْ في قلْبِ صاحبِها ... فتْكَ السهامِ بلا قَوْسٍ ولا وَتَرِ

وقالَ الآخَرُ:

وكنتَ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَك رائدًا ... لقَلْبِكَ يومًا أَتْعَبَتْك المناظِرُ
رأيتَ الذي لا كُلُّه أنتَ قادِرُ ... عليه ولا عن بعضِه أنتَ صابرُ

وقالَ المتنَبِّي:

وأنا الذي جَلَبَ المَنِيَّةَ طَرْفُه ... فمَنِ المَطالَبُ والقتيلُ القاتلُ

ولي في أبياتٍ:

يا راميًا بسهامِ اللحْظِ مُجْتَهِدًا ... أنتَ القتيلُ بما تَرْمِي فلا تُصِبِ
وباعِثَ الطرْفِ يَرتادُ الشفاءَ له ... تَوَقَّهُ إنه يَرْتَدُّ بالعَطَبِ
تَرجُو الشفاءَ بأحداقٍ بها مَرَضٌ ... فهل سَمِعْتَ ببُرْءٍ جاءَ من عَطَبِ
ومُفْنِيًا نفسَه في إثْرِ أَقْبَحِهِم ... وصْفًا لِلَطْخِ جمالٍ فيه مُسْتَلَبِ
وواهِبًا عُمْرَه في مِثْلِ ذا سَفَهًا ... لو كنتَ تَعْرِفُ قدْرَ العُمْرِ لم تَهَبِ
وبائعًا طِيبَ عَيْشٍ ما له خطَرٌ ... بطَيْفِ عيشٍ من الآلامِ مُنْتَهَبِ

غُبِنْتَ واللهِ غَبْنًا فاحشًا فلو اسـ تَرْجَعْتَ ذا العَقْدَ لم تُغْبَنْ ولم تَخِبِ
ووَارِدًا صَفْوَ عيشٍ كلُّه كَدَرٌ أمامَك الوِردُ صَفْوًا ليس بالكَذِبِ
وحاطِبُ الليلِ في الظلماءِ مُنْتَصِبًا لكلِّ داهيةٍ تَدْنُ من العَطَبِ
شابَ الصِّبَا والتصابي بعدُ لم يَشِبِ وضاعَ وَقْتُك بينَ اللهوِ واللعبِ
وشَمْسُ عُمْرِكَ قد حانَ الغروبُ لها والضَيُّ في الأُفُقِ الشرقيِّ لم يَغِبِ
وفازَ بالوَصْلِ مَن قد فازَ وانْقَشَعَتْ عن أُفْقِه ظُلماتُ الليلِ والسُّحُبِ
كم ذا التخلُّفِ والدنيا قَدِ ارْتَحَلَتْ ورُسْلُ ربِّك قد وافَتْكَ في الطلَبِ
ما في الديارِ وقد سارتْ ركائِبُ مَن تَهواهُ للصبِّ مِن سُكْنَى ولا أَرَبِ
فأَفْرِشِ الخَدَّ ذَيَّاك الترابَ وقُلْ ما قالَه صاحبُ الأشواقِ في الحُقَبِ
ما رَبْعُ مَيَّةَ مَحفوفًا يَطُوفُ به غَيلانُ أَشْهى له من رَبعِكَ الخَرِبِ
ولا الخدودُ إذا أُدْمِينَ من ضَرَجٍ أَشْهَى إلى ناظِري من خَدِّكَ التَّرِبِ
منازِلاً كان يَهواها ويأْلَفُها أَيَّامَ كان منالُ الوَصْلِ عن كَثَبِ
فكُلَّما جُلِيَتْ تلك الرُّبوعُ له يَهْوِي إليها هَوِيَّ الماءِ في صَبَبِ
أَحْيَا له الشوقُ تَذكارَ العُهودِ بها فلو دعا القلْبُ للسُّلوانِ لم يُجَبِ
هذا وكَمْ مَنزِلٍ في الأرضِ يأْلَفُه وما له في سواها الدَّهْرَ من رَغَبِ
ما في الخِيامِ أخو وَجْدٍ يُرِيحُك إن بَثَثْتَه بعضَ شأنِ الحبِّ فاغْتَرِبِ
وأَسْرِ في غَمَراتِ الليلِ مُهْتَدِيًا بنفحَةِ الطِّيبِ لا بالنارِ والحطَبِ
وعادِ كلَّ أَخِي جُبْنٍ ومُعْجِزَةٍ وحارِبِ النفْسَ لا تُلقِيكَ في الحَرَبِ
وخُذْ لنفسِكَ نورًا تستضِيءُ به يومَ اقتسامِ الورَى الأنوارَ بالرُّتَبِ
فالجِسْرُ ذو ظُلماتٍ ليس يَقْطَعُه إلا بنورٍ يُنْجِي العبْدَ في الكُرَبِ

والمقصودُ أنَّ فُضولَ النظَرِ أصلُ البلاءِ.

وأمَّا فُضولُ الكلامِ فإنها تَفْتَحُ للعبْدِ أبوابًا من الشرِّ، كلُّها مَداخِلُ للشيطانِ، فإمساكُ فُضولِ الكلامِ يَسُدُّ عنه تلك الأبوابَ كلَّها، وكم من حَرْبٍ جَرَّتْها كلِمَةٌ واحدةٌ، وقد قالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعاذٍ: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ». وفي التِّرمذيِّ أنَّ رجلاً من الأنصارِ تُوُفِّيَ فقالَ بعضُ الصحابةِ: طُوبَى له. فقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَا يُدْرِيكَ فَلَعَلَّهُ تَكَلَّمَ بِمَا لا يَعْنِيهِ أَوْ بَخِلَ بِمَا لا يَنْقُصُه».

وأكثرُ المعاصي إنما تَوَلُّدُها من فُضولِ الكلامِ والنظَرِ، وهما أَوْسَعُ مَداخِلِ الشيطانِ؛ فإنَّ جارِحَتَيْهما لا يَمَلَّانِ ولا يَسْأَمَانِ، بخلافِ شَهوةِ البطْنِ فإنه إذا امْتَلأَ لم يَبْقَ فيه إرادةٌ للطعَامِ، وأمَّا العينُ واللسانُ فلو تُرِكَا لم يَفْتُرَا من النظَرِ والكلامِ فجِنَايَتُهما مُتَّسِعَةُ الأطرافِ كثيرةُ الشُّعَبِ عَظيمةُ الآفاتِ، وكان السلَفُ يُحَذِّرُونَ من فُضولِ النظَرِ كما يُحَذِّرونَ من فُضولِ الكلامِ، وكانوا يَقولون: ما شيءٌ أَحْوَجَ إلى طولِ السجْنِ من اللسانِ.

وأمَّا فُضولُ الطعامِ فهو داعٍ إلى أنواعٍ كثيرةٍ من الشرِّ فإنه يُحَرِّكُ الجَوارحَ إلى المَعاصي، ويُثْقِلُها عن الطاعاتِ، وحَسْبُك بهذين شَرًّا، فكم من معصيةٍ جَلَبَها الشِّبَعُ وفضولُ الطعامِ وكم من طاعةٍ حالَ دونَها، فمن وُقِيَ شرَّ بَطْنِه فقد وُقِيَ شرًّا عظيمًا، والشيطانُ أَعْظَمُ ما يَتَحَكَّمُ من الإنسانِ إذا مَلأَ بطْنَه من الطعامِ.

ولهذا جاءَ في بعضِ الآثارِ: ضَيِّقُوا مَجارِيَ الشيطانِ بالصوْمِ. وقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ» ولو لم يكنْ في الامتلاءِ من الطعامِ إلا أنه يَدْعُو إلى الغَفْلَةِ عن ذِكْرِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وإذا غَفَلَ القلْبُ عن الذكْرِ ساعةً واحدةً جَثَمَ عليه الشيطانُ ووَعَدَه ومَنَّاهُ وشَهَّاهُ وهَامَ به في كلِّ وادٍ؛ فإنَّ النفْسَ إذا شَبِعَتْ تَحَرَّكَتْ وجالَتْ وطَافَتْ على أبوابِ الشهواتِ، وإذا جاعَتْ سَكَنَتْ وخَشَعَتْ وذَلَّتْ.

وأمَّا فُضولُ المُخالَطةِ فهي الداءُ العُضالُ الجالِبُ لكلِّ شرٍّ، وكم سَلَبَت المُخالَطَةُ والمعاشَرَةُ من نِعمةٍ، وكم زَرَعَتْ عن عَداوةٍ، وكم غَرَسَتْ في القلْبِ من حَزَازَاتٍ تَزولُ الجبالُ الراسياتُ، وهي في القلوبِ لا تَزولُ، فُضولُ المخالطَةِ فيه خَسارةُ الدنيا والآخرةِ، وإنما يَنبغِي للعَبْدِ أن يَأْخُذَ من المخالَطَةِ بمِقدارِ الحاجةِ.

ويَجعلَ الناسَ فيها أربعةَ أقسامٍ متى خَلَطَ أحدَ الأقسامِ بالآخَرِ ولم يُمَيِّزْ بينَهما دَخَلَ عليه الشرُّ.

أحدُها: مَن مُخالَطَتُه كالغذاءِ لا يَسْتَغْني عنه في اليومِ والليلةِ، فإذا أَخَذَ حاجتَه منه تَرَكَ الخُلطةَ، ثم إذا احتاجَ إليه خالَطَه، هكذا على الدوامِ، وهذا الضَّرْبُ أَعَزُّ من الكِبريتِ الأحمرِ، وهم العُلماءُ باللهِ وأَمْرِه ومَكايدِ عَدُوِّه وأمراضِ القلوبِ وأَدْوِيَتِها، الناصحونَ للهِ ولكتابه ولرسولِه ولِخَلقِه، فهذا الضرْبُ في مُخالَطَتِهم الربْحُ كلُّه.

القِسمُ الثاني: مَن مُخالَطَتُه كالدواءِ يُحتاجُ إليه عندَ المَرضِ فما دُمْتَ صحيحًا فلا حاجةَ لك في خُلطتِه، وهم مَن لا يُسْتَغْنَى عن مُخالطَتِهم في مَصلحَةِ المعاشِ وقِيامِ ما أنت مُحتاجٌ إليه من أنواعِ المُعاملاتِ والمُشارَكاتِ، والاستشارةِ والعِلاجِ للأدواءِ ونحوِها، فإذا قَضَيْتَ حاجَتَكَ من مُخالَطَةِ هذا الضرْبِ بقِيَتْ مُخالطتُهم من:

القِسمِ الثالثِ: وهم مَن مَخالَطَتُه كالداءِ على اختلافِ مَراتبه وأنواعِه وقوَّتِه وضَعْفِه.

فمنهم مَن مُخالطَتُه كالداءِ العُضالِ والمَرَضِ المُزمِنِ، وهو مَن لا تَرْبَحُ عليه في دِينٍ ولا دنيا، ومع ذلك فلا بدَّ من أن تَخْسَرَ عليه الدينَ والدنيا، أو أحدَهما فهذا إذا تَمَكَّنَتْ مُخالَطَتُه واتَّصَلَتْ فهي مَرَضُ الموتِ المَخوفُ.

ومنهم مَن مُخالطَتُه كوَجَعِ الضِّرْسِ يَشْتَدُّ ضَرَبًا عليك فإذا فارَقَكَ سكَنَ الألَمُ.

ومِنهم مَن مُخالَطَتُه حُمَّى الروحِ وهو الثقيلُ البَغيضُ العَقْلِ الذي لا يُحْسِنُ أن يَتكلَّمَ فيُفِيدَك ولا يُحْسِنُ أن يُنْصِتَ فيَستفيدَ منك، ولا يَعرِفُ نفسَه فيَضَعَها في مَنزلتِها، بل إنْ تَكَلَّمَ فكلامُه كالعِصِيِّ تَنْزِلُ على قلوبِ

السامعينَ مع إعجابه بكَلامِه وفَرَحِه به، فهو يُحَدِّثُ من فيه، كُلَّمَا تَحَدَّثَ ويَظُنُّ أنه مِسْكٌ يَطيبُ به المجلِسُ، فإن سَكَتَ فأَثْقَلُ من نصفِ الرَّحا العظيمةِ التي لا يُطاقُ حَمْلُها، ولا جَرُّها على الأرْضِ.

ويُذْكَرُ عن الشافعيِّ - رَحِمَه اللهُ - أنه قالَ: ما جَلَسَ إلى جانبي ثقيلٌ، إلا وَجَدْتُ الجانِبَ الذي هو فيه أَنْزَلَ من الجانِبِ الآخَرِ.

ورأيْتُ يومًا عندَ شَيخِنا - قَدَّسَ اللهُ رُوحَه- رَجُلاً من هذا الضرْبِ، والشيخُ يَحملُه، وقد ضَعُفَت القُوَى عن حَمْلِه، فالتَفتَ إليَّ، وقالَ: مُجالَسَةُ الثقيلِ حُمَّى الرِّبْع.

ثم قالَ: لكن قد أَدْمَنَتْ أَرواحُنا على الحُمَّى فصارَتْ لها عادةً أو كما قالَ.

وبالجُملةِ فمُخالَطَةُ كلِّ مخالِفٍ حُمّى للروحِ فعَرَضِيَّةٌ ولازِمَةٌ.

ومِن نَكَدِ الدنيا على العَبْدِ أن يُبْتَلَى بواحِدٍ من هذا الضَّرْبِ، وليس له بُدٌّ من مُعاشَرَتِه ومُخالَطَتِه فلْيُعَاشِرْه بالمعروفِ حتى يَجعَلَ اللهُ له فَرَجًا ومَخْرَجًا.

القِسمُ الرابعُ: مَن مُخالَطَتُه الهلْكُ كلُّه، ومُخالَطَتُه بمنزِلَةِ أَكْلِ السُّمِّ، فإن اتَّفَقَ لآكِلِه تِرياقٌ، وإلا فأَحْسنِ اللهُ فيه العزاءَ، وما أَكثَرَ هذا الضَّرْبَ في الناسِ، لا كَثَّرَهُمُ اللهُ، وهم أَهْلُ البِدَعِ والضلالةِ الصادُّون عن سُنَّةِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الداعون إلى خِلافِها، الذين يَصُدُّون عن سبيلِ اللهِ ويَبغونَها عِوَجًا، فيَجعلون البِدْعَةَ سُنَّةً والسُّنَّةَ بدْعَةً، والمعروفَ مُنْكَرًا والمنكَرَ مَعروفًا:

- إن جَرَّدْتَ التوحيدَ بينَهم قالُوا: تَنَقَّصْتَ جَنابَ الأولياءِ والصالحينَ!.
- وإن جَرَّدْتَ المُتابَعَةَ لرسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالُوا: أَهْدَرْتَ الأئمَّةَ المتبوعينَ!.
- وإنْ وَصَفْتَ اللهَ بما وَصَفَ به نفسَه، وبما وَصَفَه به رسولُه من غيرِ غُلُوٍّ ولا تقصيرٍ قالُوا: أنت من المُشَبِّهِينَ!.
- وإنْ أَمَرْتَ بما أَمَرَ اللهُ به ورَسولُه من المعروفِ ونَهَيْتَ عمَّا نَهَى اللهُ عنه ورَسولُه من المُنْكَرِ قالُوا: أنت من المُفْتَنِينَ!.
- وإنِ اتَّبَعْتَ السنَّةَ وتَرَكْتَ ما خالَفَها قالُوا: أنت من أَهْلِ البدَعِ المُضِلِّينَ!.
- وإنِ انْقَطَعْتَ إلى اللهِ تعالى وخَلَّيْتَ بينَهم وبين جيفَةِ الدنيا قالُوا: أنت من المُبلِسِينَ!.
- وإن تَرَكْتَ ما أنت عليه واتَّبَعْتَ أهواءَهم فأنت عندَ اللهِ من الخاسرينَ وعندَهم من المنافقينَ!!.

فالحزْمُ كلُّ الحزْمِ التماسُ مَرضاتِ اللهِ تعالى ورسولِه بإغضابهم، وأن لا تَشتغلَ بإعتابهم ولا باستعتابهم، ولا تُبالِي بذَمِّهم ولا بُغْضِهم، فإنه عينُ كمالِك كما قالَ:

وإذا أَتَتْــكَ مَــذَمَّتِي مــن نــاقِصٍ ... فهــي الـشهادةُ لـي بـأَنِّيَ فاضِـلُ

وقالَ آخَرُ:

وقــد زادَنِــي حُبًّــا لنفــسي أنــني ... بَغـيضٌ إلى كـلِّ امـرئٍ غـيرِ طائـلِ

فمَن كان بوَّابُ قلْبه وحارسُه من هذه المَداخلِ الأربعةِ التي هي أَصْلُ بلاءِ العالِم، وهي فُضولُ النظَرِ والكلامِ والطعامِ والمخالَطَةِ، واستَعْمَلَ ما ذَكَرْناه من الأسبابِ التسعَةِ التي تُحْرِزُه من الشيطانِ فقد أَخَذَ بنصيبه من التوفيقِ، وسَدَّ على نفسِه أبوابَ جهنَّمَ، وفَتَحَ عليها أبوابَ الرحمةِ وانغَمَرَ ظاهِرُه وباطنُه، ويُوشِكُ أن يَحْمَدَ عندَ المَماتِ عاقِبَةَ هذا الدواءِ فعندَ المَماتِ يَحْمَدُ القومُ التُّقَى، وفي الصباحِ يَحْمَدُ القومُ السُّرَى. واللهُ المُوَفِّقُ لا ربَّ غيرُه ولا إلهَ سِواهُ). [بدائع الفوائد: ٢/٢٦٧- ٢٧٦]

حديث النفس ووسوستها

■ حديث أبي هريرة: (إن الله عز وجل تجاوز لأمتي عما حدثت بها أنفسها...)

قالَ مُحمَّدُ بنُ أَحْمَدَ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ): (وقد ثَبتَ عنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قالَ: «إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ بِهِ». رواهُ أبو هُرَيْرَةَ، أخْرَجَهُ مسلمٌ). [الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/٢٦٤]

- **قلت:** (الحديث متفق عليه، وفي رواية في صحيح البخاري: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لأُمَّتِي عَمَّا وَسْوَسَتْ أَوْ حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَكَلَّمْ» وهذا اللفظ رواه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم.

وفي لفظ آخر في صحيح البخاري: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ».

وهذا اللفظ رواه الشافعي والحميدي وأحمد والنسائي وغيرهم).

قالَ عُمَرُ بنُ عَلِيِّ بْنِ عَادِلٍ الدِّمَشْقِيُّ الحَنْبَلِيُّ (ت: ٨٨٠هـ): (قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ –عَزَّ وَجَلَّ– تَجَاوَزَ لأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ بِهِ»). [اللباب: ٢٠/٥٨٠]

قالَ الخَطِيبُ مُحمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشِّرْبِينِيُّ (ت: ٩٧٧هـ): (وَقِيلَ: معنى مِن شرِّ الوسواسِ الوسوسةُ التي تكونُ منَ الجِنَّةِ والنَّاسِ، وهوَ حديثُ النَّفْسِ قَالَ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ بِهِ»). [تفسير القرآن الكريم: ٤/ ٦١٦]

■ حديث: (اللهم اعمر قلبي من وساوس ذكرك...)

قالَ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أبي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: ٩١١ هـ): (وَأَخْرَجَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أبي دَاوُدَ فِي كِتَابِ (ذَمِّ الوَسْوَسَةِ) عَنْ مُعَاوِيَةَ بنِ أبي طَلْحَةَ قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ اعْمُرْ قَلْبي مِنْ وَسَاوِسِ ذِكْرِكَ، وَاطْرُدْ عَنِّي وَسَاوِسُ الشَّيْطَانِ»). [الدر المنثور: ١٥/٨٠٧]

- **قلت:** (وجدت إسناده في كتاب آكام المرجان للشبلي نقلاً عن ابن أبي داوود قال: (حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد حدثنا أبو داود حدثنا فرج عن معاوية بن أبي طلحة...) فذكره.

وأبو داوود هو الطيالسي، وفرج هو ابن فضالة التنوخي ضعيف الحديث قال عنه البخاري: منكر الحديث، وهو من طبقة تبع الأتباع، وأما معاوية بن أبي طلحة فقد بحثت عن ترجمته فلم أجد أحداً بهذا الاسم، وتتبعت

مرويات فرج بن فضالة فوجدته يروي عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة ؛ فقد يكون ما هاهنا تصحيفًا والله تعالى أعلم).

فوائد

تفسير لَمَّةِ الملك ولَمَّةِ الشَّيطان

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (فَالشَّيْطَانُ يُلْقِي فِي النَّفْسِ الشَّرَّ، وَالمَلَكُ يُلْقِي الخَيْرَ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ المَلائِكَةِ وَقَرِينُهُ مِنَ الجِنِّ».

قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: «وَإِيَّايَ إلا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ وَفِي رِوَايَةٍ فَلا يَأْمُرُنِي إلا بِخَيْرٍ» أَيْ اسْتَسْلَمَ وَانْقَادَ.

وَكَانَ ابْنُ عُيَيْنَةَ يَرْوِيهِ فَأَسْلَمُ بالضَّمِّ، وَيَقُولُ: إنَّ الشَّيْطَانَ لا يُسْلِمُ لَكِنَّ قَوْلَهُ فِي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى: «فَلا يَأْمُرُنِي إلا بِخَيْرٍ» دَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ يَأْمُرُهُ بالشَّرِّ، وَهَذَا إسْلامُهُ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كِنَايَةً عَنْ خُضُوعِهِ وَذِلَّتِهِ لا عَنْ إيمَانِهِ باللَّهِ كَمَا يَقْهَرُ الرَّجُلُ عَدُوَّهُ الظَّاهِرَ وَيَأْسِرُهُ، وَقَدْ عَرَفَ العَدُوُّ المَقْهُورُ أَنَّ ذَلِكَ القَاهِرَ يَعْرِفُ مَا يُشِيرُ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ؛ فَلا يَقْبَلُهُ بَلْ يُعَاقِبُهُ عَلَى ذَلِكَ؛ فَيَحْتَاجُ لانْقِهَارِهِ مَعَهُ إلَى أَنَّهُ لا يُشِيرُ عَلَيْهِ إلا بِخَيْرٍ لِذِلَّتِهِ وَعَجْزِهِ لا لِصَلاحِهِ وَدِينِهِ، وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إلا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَلا يَأْمُرُنِي إلا بِخَيْرٍ».

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (إنَّ لِلْمَلَكِ لَمَّةً، وَإِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً، فَلَمَّةُ المَلَكِ إيعَادٌ بالخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بالحَقِّ، وَلَمَّةُ الشَّيْطَانِ إيعَادٌ بالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بالحَقِّ).

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥] أَيْ يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ بِمَا يَقْذِفُ فِي قُلُوبِكُمْ مِنَ الوَسْوَسَةِ المُرْعِبَةِ كَشَيْطَانِ الإِنْسِ الَّذِي يُخَوِّفُ مِنَ العَدُوِّ فَيُرْجِفُ وَيَخْذُلُ، وَعَكْسُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ [الأنفال: ١٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤﴾ [الإسراء: ٧٤].

وَالتَّثْبِيتُ جَعْلُ الإِنْسَانِ ثَابِتًا لا مُرْتَابًا، وَذَلِكَ بِإِلْقَاءِ مَا يُثَبِّتُهُ مِنَ التَّصْدِيقِ بالحَقِّ وَالوَعْدِ بالخَيْرِ كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (لَمَّةُ المَلَكِ وَعْدٌ بالخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بالحَقِّ) فمتى عَلِمَ القَلْبُ أَنَّ مَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ حَقٌّ صَدَّقَهُ، وَإِذَا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَهُ بالتَّصْدِيقِ وَثِقَ بِوَعْدِ اللَّهِ فَثَبَتَ؛ فَهَذَا تَثْبِيتٌ بالكَلامِ كَمَا يُثَبِّتُ الإِنْسَانُ الإِنْسَانَ فِي أَمْرٍ قَدِ اضْطَرَبَ فِيهِ بِأَنْ يُخْبِرَهُ بِصِدْقِهِ وَيُخْبِرَهُ بِمَا يُبَيِّنُ لَهُ أَنَّهُ مَنْصُورٌ؛ فَيَثْبُتُ.

وَقَدْ يَكُونُ التَّثْبِيتُ بالفِعْلِ بِأَنْ يُمْسِكَ القَلْبَ حَتَّى يَثْبُتَ كَمَا يُمْسِكُ الإِنْسَانُ الإِنْسَانَ حَتَّى يَثْبُتَ.

وَفِي الحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَأَلَ القَضَاءَ وَاسْتَعَانَ عَلَيْهِ وُكِلَ إِلَيْهِ، وَمَنْ لَمْ يَسْأَلِ القَضَاءَ وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَيْهِ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَلَكًا يُسَدِّدُهُ» فَهَذَا المَلَكُ يَجْعَلُهُ سَدِيدَ القَوْلِ بِمَا يُلْقِي فِي قَلْبِهِ مِنَ التَّصْدِيقِ بِالحَقِّ وَالوَعْدِ بِالخَيْرِ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣] فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الصَّلاةَ سَبَبٌ لِخُرُوجِهِمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَقَدْ ذَكَرَ إِخْرَاجَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ فِي غَيْرِ آيَةٍ كَقَوْلِهِ: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وَقَالَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الحديد: ٩].

وَقَالَ: ﴿الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [إبراهيم: ١].

وَفِي الحَدِيثِ «أَنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الخَيْرَ»

وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا بِتَعْلِيمِهِ الخَيْرَ يُخْرِجُ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، وَلِهَذَا كَانَ الرَّسُولُ أَحَقَّ النَّاسِ بِكَمَالِ هَذِهِ الصَّلاةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وَالصَّلاةُ هِيَ الدُّعَاءُ إِمَّا بِخَبَرٍ يَتَضَمَّنُ الدُّعَاءَ، وَإِمَّا بِصِيغَةِ الدُّعَاءِ؛ فَالمَلائِكَةُ يَدْعُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ كَمَا فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَالمَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلاهُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ»؛ فَبَيَّنَ أَنَّ صَلاتَهُمْ قَوْلُهُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ.

وَفِي الأَثَرِ: «إِنَّ الرَّبَّ يُصَلِّي فَيَقُولُ: سَبَقَتْ - أَوْ غَلَبَتْ - رَحْمَتِي غَضَبِي»

وَهَذَا كَلامُهُ سُبْحَانَهُ وَهُوَ خَبَرٌ وَإِنْشَاءٌ يَتَضَمَّنُ أَنَّ الرَّحْمَةَ تَسْبِقُ الغَضَبَ وَتَغْلِبُهُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ لا يَدْعُو غَيْرَهُ أَنْ يَفْعَلَ كَمَا يَدْعُوهُ المَلائِكَةُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الخَلْقِ، بَلْ طَلَبُهُ بِأَمْرِهِ وَقَوْلِهِ وَقَسَمِهِ كَقَوْلِهِ: لأَفْعَلَنَّ كَذَا، وَقَوْلِهِ: كُنْ فَيَكُونُ.

وَقَوْلُهُ: لأَفْعَلَنَّ كَذَا قَسَمٌ مِنْهُ كَقَوْلِهِ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ﴾ [ص: ٨٥].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥].

وَقَوْلِهِ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: ٢١].

وَهَذَا وَعْدٌ مُؤَكَّدٌ بِالقَسَمِ بِخِلافِ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [غافر: ٥١] فَإِنَّ هَذَا وَعْدٌ وَخَبَرٌ لَيْسَ فِيهِ قَسَمٌ، لَكِنَّهُ مُؤَكَّدٌ بِاللامِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ جَوَابَ قَسَمٍ.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ [الفتح: ٢٠].

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ ﴾ [الأنفال: ٧].

وَنَحْوُ ذَلِكَ وَعْدٌ مُجَرَّدٌ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ [الشورى: ٥١] فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُوحِي إِلَى البَشَرِ تَارَةً وَحْيًا مِنْهُ وَتَارَةً يُرْسِلُ رَسُولاً فَيُوحِي إِلَى الرَّسُولِ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ، وَالمَلائِكَةُ رُسُلُ اللَّهِ). [مجموع الفتاوى:١٧/٥٢٤- ٥٢٦]

اشتقاق لفظ الملَك

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وَالمَلائِكَةُ رُسُلُ اللَّهِ، وَلَفْظُ المَلَكِ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الرِّسَالَةِ؛ فَإِنَّ أَصْلَ الكَلِمَةِ مَلأك عَلَى وَزْنِ مَفْعَلٍ، لَكِنْ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ خُفِّفَتْ بِأَنْ أُلْقِيَتْ حَرَكَةُ الهَمْزَةِ عَلَى السَّاكِنِ قَبْلَهَا وَحُذِفَتِ الهَمْزَةُ وَمَلاك مَأْخُوذٌ مِنَ المَأْلُك وَالمَلأك بِتَقْدِيمِ الهَمْزَةِ عَلَى اللامِ وَاللامِ عَلَى الهَمْزَةِ، وَهُوَ الرِّسَالَةُ، وَكَذَلِكَ الأَلُوكَةُ بِتَقْدِيمِ الهَمْزَةِ عَلَى اللامِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

أَبْلِغِ النُّعْمَانَ عَنِّي مَأْلُكًا أَنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَانْتِظَارِي

وَهَذَا بِتَقْدِيمِ الهَمْزَةِ، لَكِنَّ المَلَكَ هُوَ بِتَقْدِيمِ اللامِ عَلَى الهَمْزَةِ، وَهَذَا أَجْوَدُ؛ فَإِنَّ نَظِيرَهُ فِي الاشْتِقَاقِ الأَكْبَرِ لاكَ يَلُوكُ إِذَا لاكَ الكَلامَ وَاللِّجَامَ، وَالهَمْزُ أَقْوَى مِنَ الوَاوِ وَيَلِيهِ فِي الاشْتِقَاقِ الأَوْسَطِ: أَكَلَ يَأْكُلُ؛ فَإِنَّ الآكِلَ يَلُوكُ مَا يُدْخِلُهُ فِي جَوْفِهِ مِنَ الغِذَاءِ وَالكَلامِ.

وَالعِلْمُ مَا يَدْخُلُ فِي البَاطِنِ وَيُغَذَّى بِهِ صَاحِبُهُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: (إِنَّ كُلَّ آدِبٍ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى مَأْدُبَتُهُ، وَإِنَّ مَأْدُبَةَ اللَّهِ القُرْآنُ).

وَالآدِبُ: المُضِيفُ، وَالمَأْدُبَةُ الضِّيَافَةُ، وَهُوَ مَا يُجْعَلُ مِنَ الطَّعَامِ لِلضَّيْفِ؛ فَبَيَّنَ أَنَّ اللَّهَ ضَيَّفَ عِبَادَهُ بِالكَلامِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيْهِمْ؛ فَهُوَ غِذَاءُ قُلُوبِهِمْ وَقُوتُهَا، وَهِيَ أَشَدُّ انْتِفَاعًا بِهِ وَاحْتِيَاجًا إِلَيْهِ مِنَ الجَسَدِ بِغِذَائِهِ.

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (الرَّبَّانِيُّونَ همُ الَّذِينَ يُغَذُّونَ النَّاسَ بِالحِكْمَةِ وَيُرَبُّونَهُمْ عَلَيْهَا).

وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي ».

وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ القُرْآنَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَالنَّاسُ إِلَى الغِذَاءِ أَحْوَجُ مِنْهُمْ إِلَى الشِّفَاءِ فِي القُلُوبِ وَالأَبْدَانِ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أَمْسَكَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أَمْسَكَتِ المَاءَ فَشَرِبَ النَّاسُ وَسَقَوا وَزَرَعُوا وَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ».

فَأَخْبَرَ أَنَّ مَا بُعِثَ بِهِ لِلْقُلُوب كَالْمَاءِ لِلأَرْضِ تَارَةً تَشْرَبُهُ فَتَنْبُتُ وَتَارَةً تَحْفَظُهُ وَتَارَةً لا هَذَا وَلا هَذَا وَالأَرْضُ تَشْرَبُ الْمَاءَ وَتَغْتَذِي بِهِ حَتَّى يَحْصُلَ الْخَيْرُ.

وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ رُوحٌ تَحْيَا بِهِ الْقُلُوبُ فَقَالَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢].

وَإِذَا كَانَ مَا يُوحِيهِ إِلَى عِبَادِهِ تَارَةً يَكُونُ بِوَسَاطَةِ مَلَكٍ وَتَارَةً بِغَيْرِ وَسَاطَةٍ فَهَذَا لِلْمُؤْمِنِينَ كُلِّهِمْ مُطْلَقًا لا يَخْتَصُّ بِهِ الأَنْبِيَاءُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة: ١١١] وَإِذَا كَانَ قَدْ قَالَ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] الآيَةَ.

فَذَكَرَ أَنَّهُ يُوحِي إِلَيْهِمْ فَإِلَى الإِنْسَانِ أَوْلَى، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢]). [مجموع الفتاوى:١٧/٥٢٧- ٥٢٩]

الفرق بين الخاطرة والوسوسة والإلهام

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٧، ٨]؛ فَهُوَ سُبْحَانَهُ يُلْهِمُ الفُجُورَ وَالتَّقْوَى لِلنَّفْسِ وَالفُجُورُ يَكُونُ بِوَاسِطَةِ الشَّيْطَانِ وَهُوَ إلْهَامُ وَسْوَاسٍ، وَالتَّقْوَى بِوَاسِطَةِ مَلَكٍ وَهُوَ إلْهَامُ وَحْيٍ، هَذَا أَمْرٌ بِالفُجُورِ وَهَذَا أَمْرٌ بِالتَّقْوَى، وَالأَمْرُ لا بُدَّ أَنْ يَقْتَرِنَ بِهِ خَبَرٌ.

وَقَدْ صَارَ فِي العُرْفِ لَفْظُ الإِلْهَامِ إذَا أُطْلِقَ لا يُرَادُ بِهِ الوَسْوَسَةُ.

وَهَذِهِ الآيَةُ مِمَّا تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ إلْهَامِ الوَحْيِ وَبَيْنَ الوَسْوَسَةِ؛ فَالْمَأْمُورُ بِهِ إنْ كَانَ تَقْوَى اللَّهِ فَهُوَ مِنْ إلْهَامِ الوَحْيِ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الفُجُورِ فَهُوَ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ؛ فَيَكُونُ الفَرْقُ بَيْنَ الإِلْهَامِ المَحْمُودِ وَبَيْنَ الوَسْوَسَةِ الْمَذْمُومَةِ هُوَ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ؛ فَإِنْ كَانَ مَا أُلْقِيَ فِي النَّفْسِ مِمَّا دَلَّ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَى أَنَّهُ تَقْوَى لِلَّهِ فَهُوَ مِنَ الإِلْهَامِ المَحْمُودِ، وَإِنْ كَانَ مِمَّا دَلَّ عَلَى أَنَّهُ فُجُورٌ فَهُوَ مِنَ الوَسْوَاسِ الْمَذْمُومِ، وَهَذَا الفَرْقُ مُطَّرِدٌ لا يَنْتَقِضُ، وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو حَازِمٍ فِي الفَرْقِ بَيْنَ وَسْوَسَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ فَقَالَ: مَا كَرِهَتْهُ نَفْسُك لِنَفْسِك فَهُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَمَا أَحَبَّتْهُ نَفْسُك لِنَفْسِك فَهُوَ مِنْ نَفْسِك فَانْهَهَا عَنْهُ). [مجموع الفتاوى:١٧/٥٢٩- ٥٣٠]

قالَ أَحْمَدُ بنُ عبدِ الحليمِ ابنُ تَيْمِيَّةَ الحرَّانِيُّ (ت:٧٢٨هـ): (وَقَدْ تَكَلَّمَ النُّظَّارُ فِي العِلْمِ الحَاصِلِ فِي القَلْبِ عَقِبَ النَّظَرِ وَالاسْتِدْلالِ فَذَكَرُوا فِيهِ ثَلاثَةَ أَقْوَالٍ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو حَامِدٍ فِي مُسْتَصْفَاهُ وَغَيْرُهُ: قَوْلُ الجَهْمِيَّةِ وَقَوْلُ القَدَرِيَّةِ وَقَوْلُ الفَلاسِفَةِ.

وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكَلامِ لا يَذْكُرُ إلا القَوْلَيْنِ: قَوْلَ الجَهْمِيَّةِ وَقَوْلَ القَدَرِيَّةِ.

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَذْكُرُونَ فِي كُتُبِهِمْ مَا يَعْرِفُونَهُ مِنْ أَقْوَالِ مَنْ يَعْرِفُونَهُ تَكَلَّمَ فِي هَذَا، وَهُمْ لا يَعْرِفُونَ إلا هَؤُلاءِ، وَالمَسْأَلَةُ هِيَ مِنْ فُرُوعِ القَدَرِ؛ فَإِنَّ الحَاصِلَ فِي نَفْسٍ حَادِثٌ فِيهَا؛ فَالقَوْلُ فِيهِ كَالأَقْوَالِ فِي أَمْثَالِهِ.

وَمَذْهَبُ جَهْمٍ وَمَنْ وَافَقَهُ كَأَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ وَكَثِيرٍ مِنَ المُتَأَخِّرِينَ (المثبتة هو مذهب أهل السنة والجماعة)[1] أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَأَنَّ اللَّهَ خَالِقُ أَفْعَالِ العِبَادِ، لَكِنَّهُ لا يُثْبِتُ سَبَبًا وَلا قُدْرَةً مُؤَثِّرَةً وَلا حِكْمَةً لِفِعْلِ الرَّبِّ؛ فَأَنْكَرَ الطَّبَائِعَ وَالقُوَى الَّتِي فِي الأَعْيَانِ، وَأَنْكَرَ الأَسْبَابَ وَالحِكَمَ؛ فَلِهَذَا لَمْ يَجْعَلْ لِشَيْءٍ سَبَبًا، بَلْ يَقُولُ هَذَا حَاصِلٌ بِخَلْقِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَلَمْ يَذْكُرُوا لَهُ سَبَبًا وَهُمْ صَادِقُونَ فِي إِضَافَتِهِ إِلَى قَدَرِهِ وَأَنَّهُ خَالِقُهُ خِلافًا لِلْقَدَرِيَّةِ لَكِنْ مِنْ تَمَامِ المَعْرِفَةِ إِثْبَاتُ الأَسْبَابِ وَمَعْرِفَتُهَا.

وَأَمَّا القَدَرِيَّةُ مِنَ المُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ: فَبَنَوْهُ عَلَى أَصْلِهِمْ وَهُوَ أَنَّ كُلَّ مَا تَوَلَّدَ عَنْ فِعْلِ العَبْدِ فَهُوَ فِعْلُهُ لا يُضَافُ إِلَى غَيْرِهِ كَالشِّبَعِ وَالرِّيِّ وَزُهُوقِ الرُّوحِ وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ فَقَالُوا: هَذَا العِلْمُ مُتَوَلِّدٌ عَنْ نَظَرِ العَبْدِ أَوْ تَذَكُّرِ النَّظَرِ.

وَالمتَفَلْسِفَةُ بَنَوْهُ عَلَى أَصْلِهِمْ: فِي أَنَّ مَا يَحْدُثُ مِنَ الصُّوَرِ هُوَ مِنْ فَيْضِ العَقْلِ الفَعَّالِ عِنْدَ اسْتِعْدَادِ المَوَادِّ القَابِلَةِ؛ فَقَالُوا: يَحْصُلُ فِي نُفُوسِ البَشَرِ مِنْ فَيْضِ العَقْلِ الفَعَّالِ عِنْدَ اسْتِعْدَادِ النَّفْسِ باسْتِحْضَارِ المُقَدِّمَتَيْنِ.

وَهَذَا القَوْلُ خَطَأٌ، وَالَّذِي قَبْلَهُ أَقْرَبُ مِنْهُ، وَالأَوَّلُ أَقْرَبُ، وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا تَحْقِيقُ الأَمْرِ فِي ذَلِكَ.

وَحَقِيقَتُهُ أَنَّ اللَّهَ وَكَّلَ بِالإِنْسِ مَلائِكَةً وَشَيَاطِينَ يُلْقُونَ فِي قُلُوبِهِمُ الخَيْرَ وَالشَّرَّ؛ فَالعِلْمُ الصَّادِقُ مِنَ الخَيْرِ، وَالعَقَائِدُ البَاطِلَةُ مِنَ الشَّرِّ، كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: (لَمَّةُ المَلَكِ تَصْدِيقٌ بِالحَقِّ وَلَمَّةُ الشَّيْطَانِ تَكْذِيبٌ بِالحَقِّ)، وَكَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي القَاضِي: «أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَلَكًا يُسَدِّدُهُ»

وَكَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّ المَلائِكَةَ تُوحِي إِلَى البَشَرِ مَا تُوحِيهِ، وَإِنْ كَانَ البَشَرُ لا يَشْعُرُ بِأَنَّهُ مِنَ المَلَكِ كَمَا لا يَشْعُرُ بِالشَّيْطَانِ المُوَسْوِسِ لَكِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ أَنَّهُ يُكَلِّمُ البَشَرَ وَحْيًا، وَيُكَلِّمُهُ بِمَلَكٍ يُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ، وَالثَّالِثُ التَّكْلِيمُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ: المُرَادُ بِالوَحْيِ هُنَا الوَحْيُ فِي المَنَامِ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو الفَرَجِ غَيْرَهُ وَلَيْسَ الأَمْرُ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّ المَنَامَ تَارَةً يَكُونُ مِنَ اللَّهِ، وَتَارَةً يَكُونُ مِنَ النَّفْسِ، وَتَارَةً يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَهَكَذَا مَا يُلْقَى فِي اليَقَظَةِ.

وَالأَنْبِيَاءُ مَعْصُومُونَ فِي اليَقَظَةِ وَالمَنَامِ، وَلِهَذَا كَانَتْ رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَحْيًا كَمَا قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ وَقَرَأَ قَوْلَهُ: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ رَأَى رُؤْيَا كَانَتْ وَحْيًا؛ فَكَذَلِكَ لَيْسَ كُلُّ مَنْ أُلْقِيَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ يَكُونُ وَحْيًا، وَالإِنْسَانُ قَدْ تَكُونُ نَفْسُهُ فِي يَقَظَتِهِ أَكْمَلَ مِنْهَا فِي نَوْمِهِ كَالمُصَلِّي الَّذِي يُنَاجِي رَبَّهُ؛ فَإِذَا جَازَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ فِي حَالِ النَّوْمِ فَلِمَاذَا لا يُوحَى إِلَيْهِ فِي حَالِ اليَقَظَةِ كَمَا أُوحِيَ إِلَى أُمِّ مُوسَى وَالحَوَارِيِّينَ وَإِلَى النَّحْلِ، لَكِنْ لَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يُطْلِقَ القَوْلَ

---

(١) هكذا في الأصل، ولعل هذه الجملة مقحمة.

عَلَى مَا يَقَعُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ وَحْيٌ لا فِي يَقظَةٍ وَلا فِي المَنَامِ إلا بدَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الوَسْوَاسَ غَالِبٌ عَلَى النَّاسِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ). [مجموع الفتاوى:١٧/٥٣٠- ٥٣٢]

قَالَ بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بنُ عُمَرَ البِقَاعِيُّ (ت: ٨٨٥هـ): (وَالخواطرُ الواردةُ على الإنسانِ قدْ تكونُ وَسْوَسَةً، وَقدْ تكونُ إِلْهَاماً.

وَالإلهامُ تارةً يكُونُ مِنَ اللَّهِ بلا وَاسطةٍ، وَتَارَةً يكونُ بوَاسِطَةِ المَلَكِ، وَيَكُونُ كلٌّ مِنْهُمَا في القلبِ، وَالوسوسةُ تَارَةً مِنَ الشيطانِ وَأُخْرَى مِنَ النفسِ، وَكِلاهُمَا يكونُ في الصدرِ، فإنْ كانَ الإنسانُ مُرَاقِباً دَفَعَ عَنْ نفسِهِ الضارَّ وَإلاَّ هَجَمَت الوَارِدَاتُ عَلَيْهِ وَتَمكَّنَتْ منهُ، وَيَتَمَيَّزُ خَيْرُ الخواطرِ مِنْ شَرِّهَا بقَانُونِ الشرعِ، على أنَّ الأمرَ مُشْكِلٌ فإنَّ الشيطانَ يَجْتَهِدُ في التلبيسِ؛ فإنْ وَافقَ الشرعَ فَلْيَنْظُرْ فإنْ كَانَ فِعْلُهُ ذلكَ الحينَ أَوْلَى مِنْ غيرِ تَفْويتٍ لِفَضِيلَةٍ أُخْرَى هيَ أَوْلَى منهُ بَادَرَ إِليهِ، وَإِنْ كانَ الخَاطِرُ دُنْيَوِيًّا وَأَدَّى الفِكْرُ إلى أَنَّهُ نَافِعٌ مِنْ غَيْرِ مُخَالَفَةٍ للشرعِ زَادَ على شِدَّةِ تَأَمُّلِهِ الاستشارةَ لِمَنْ يَثِقُ بدِينِهِ وَعَقْلِهِ، ثمَّ الاستخارةَ لاحتمالِ أنْ تَتَوَافَقَ عَلَيْهِ العقولُ وَيكونُ فيهِ خَلَلٌ لتقصيرٍ وَقَعَ في النظرِ، وَقدْ جَعَلَ بَعْضُهُم قانونَ الخاطرِ الرَّحْمَانِيِّ أَنْ يَنْشَرِحَ لهُ الصدرُ وَتَطْمَئِنَّ إليهِ النفسُ، وَالشيطانيِّ وَالنفسيِّ أَنْ يَنْقَبِضَ عندَهُ الصدرُ وَتَقْلَقُ النفسُ بشهادةِ الحديثِ النَّبَوِيِّ في البرِّ وَالإِثْمِ، وَيُعْرَفُ الشيطانيُّ بالحملِ على مُطْلَقِ المخالفةِ، فإنَّ الشيطانَ لا غَرَضَ لهُ في مخالفةٍ بعَيْنِهَا فَإِنْ حَصَلَ الذِّكْرُ زَالَ ذلكَ، وَالنَّفْسَانِيُّ مَلْزُومُ شيءٍ بعَيْنِهِ، سَوَاءٌ كانَ نَفْعاً أَوْ ضُرًّا، وَلا يَنْصَرِفُ عنهُ بالذِّكْرِ). [نظم الدرر: ٨/٦١٦- ٦١٧]

قالَ مُحَمَّد جَمَال الدِّينِ القَاسِمِيُّ (ت: ١٣٣٢هـ): (الخامسةُ: قالَ ابنُ تَيْمِيَّةَ: الفرْقُ بينَ الإلهامِ المحمودِ وبينَ الوَسوسةِ المذمومةِ هوَ الكتابُ والسُّنَّةُ، فإنْ كانَ مَا أُلْقَى في النفْسِ ممَّا دَلَّ الكتابُ والسُّنَّةُ على أنَّهُ تَقْوَى للَّهِ، فهوَ مِنَ الإلهامِ المحمودِ، وإنْ كانَ ممَّا دَلَّ على أنَّهُ فُجُورٌ، فهوَ مِنَ الوَسواسِ المذمومِ، وهذا الفرْقُ مُطَّرِدٌ لا يُنْقَضُ.

وقدْ ذَكَرَ أبو حَازِمٍ في الفَرْقِ بينَ وَسوسةِ النفْسِ والشيطانِ، فقالَ: ما كَرِهَتْهُ نفْسُكَ لنفْسِكَ فهوَ مِن الشيطانِ، فاستَعِذْ باللَّهِ منهُ، وما أَحَبَّتْهُ نفْسُكَ لنَفْسِكَ فهوَ مِنْ نفْسِكَ، فانْهَهَا عنهُ). [محاسن التأويل: ٩/ ٥٨١]

الكشاف